



بلا مأوى

شيخة أمارة

- رواية -

"رواية بلا مأوى"

"لقد كان يبدو الأمر في البداية و كأن غايتها الوحيدة من الزواج به هي الهروب من حياة التشرد.. كانت تظن بأن حُب الطفولة النبيل بينهما قد تحوّل إلى سراب.. و بأنها قادرة على اعتكاف دور البرود في مقابله إلى أن تحين اللحظة المناسبة التي ستنتهي فيها مهزلة الارتباط ذاك.."

و إذا بها تنهار منذ أول لقاء لها به مقرة و مُسلمة كل جوارحها بذلك الحُب الذي ظنته سراباً!

و إذا به.. ذلك الشاب حاد الطباع.. الذي تعرض لحادث صرّوع جعله سجين كرسي متحرك يتنقل به من مكان إلى آخر.. و الذي قبل الزواج منها لتكوّن ممرضة تواسيه في وحدته و عجزه..

يسقط ضحية لبراءة عينيها التي ظنّها خادعة منذ أول لقاء ! "

شيما أمارة

- شهد...

"لم يكن الحب قرارًا يومًا.. لكنه بالنسبة لي... كان الملجأ و المتنفس الذي
هرعت إليه دائمًا ضد حياة مريرة اختلست مني نصيبي العادل من السعادة!"

- هادي...

"لقد كان الحُب خطيئتي البريئة الوحيدة التي لم أَرِد أن أتوب عنها!"

- سجي...

" لا أظن بأن الحب يخضع إلى أيّ تعريف..الحقيقة أن جميع المفاهيم و المفردات في العالم هي عاجزة عن منح مرادف واحد قد يلائم معناه شعورًا عظيمًا كالحب!"

- لؤي...

"إن لم يكن الحب قادرًا على تغيير بعض الأشياء العميقة بداخلنا..فما هو إذا؟!"

"لمحة ؛ ما تبقى مني"

_ شهيد

أن تعيش كل حياتك في دار أيتام..وسط أهل ليسوا بأهلك..إخوة ليسوا بإخوتك.. أناس لا تعرفهم..لا تربطك بهم أي رباط دم أو مشاعر..أنت فقط مسؤولية ضمن المسؤوليات الكثيرة الملقاة على عاتقهم..مسؤولية ثقيلة جدًا بالنسبة لهم..لكنهم رغم ذلك يقومون بها -ليس- على أكمل وجه !!

كان لصدى صوت الأسلاك و هي ترتطم بجسدي الضعيف تأثير بشع على كل كياني..

عصاياهم القاسية كانت تجعلني أفر و أرتجف في مكاني..و كلماتهم المتهورة التي تنطقها أفواههم بدون تفكير كانت كالسكاكين التي تغرس بموضع قلبي لترديني..مرة بعد مرة..

كنت أريد الوحدة ، أن أكون بعيدة كل البعد عن ما يسمى بالأشخاص..لكنهم لم يتركوني لوحدي..حتى الوحدة هنا تعتبر ذنبًا و هناك عقاب قاس لها !

أحيانًا كثيرة كنت أستيقظ مفزوعة في منتصف الليل..أنظر حولي لعلي ألمح طيف أم تحتضني لتخفف عني آلام جسدي و خوفي..و كنت أتذكر بعدها أنها أمي..كانت أمي من تركتني أمام باب هذا السجن المؤقت و رحلت..

هل تعلمون لما هو مؤقت ؟!

لأنهم أخبروني منذ اليوم الأول لي هنا أنني سأخرج بعد خمسة عشر سنة..كانت الفكرة سيئة جدًا على إدراكي..لكنني سرعان ما قبلتها..بل أصبحت أنتظر اليوم الذي ستفتح فيه أبواب هذا السجن لأعانق حريتي..لم اكن أعلم حينها أن للحرية ثمن !

كنت طفلة تحلم بالوقوف أمام حريتها و لم أدرك..أن الحرية بدون سند تعني خوف..تعني برد..تعني جوع..تعني ليال شتوية قاسية..تعني أذى...تعني مخاطرًا متعددة لشابة مثلي أكملت الثامنة عشر من عمرها.. لهذا كل ما كنت أريده هو حرية آمنة !

هل تعلمون ماذا كان ثمن حريتي الآمنة ؟!

كان أن أتزوج من شاب تعودت ان أراه في صغري..هذا الشاب نفسه الذي كان لي كمجال الرفاهية الوحيد أصابني في مقتل بجفاءه ما إن نضجنا..

كان ابن المديرة..و أنا فتاة فقيرة يتيمة بهوية لن تغير شيئًا من كونها ليست إلا -لقبطة- في نظر الجميع !

كنتُ قد احببته و لم أستطع أن أبوح له..إلى أن تأكدت من أنه ليس لي و لا أنا له !

_ هادي

أن تكون غنيًا ليس بالشيء الرائع دومًا..أحيانًا حتى المال قد يكون له ثمن..و قد دفعت ثمن

كوني ابن السيدة -عفاف سالم الشاذلي- أضعاف ما توقعت !

كنت كإضافة سيئة في قصر لم يدخل عتبته إلا أرقى الناس شأنًا و مكانة..هذا القصر نفسه

الذي اضطهدت مكاني بداخله..كنت كقطعة -حلوى فاسدة-..هذا ما كان ينعتني به والدي و كانت

أمي تصمت !

هل تعلمون لما حلوى ؟! لأنني كنت طفلًا وسيماً جدًا.. ليس تفاخرًا لكن الجمال ليس من

صنعي فأنا خلقت بهذا الوجه !

و هل تعلمون لما فاسدة ؟! لأنني كنت الثالث على التوالي بين أبناء أبي الذي لم يرد يومًا أن

يزيد عن ابنين اثنين..

كان مريضًا بوهم السيطرة و المال و قد أقررت بذلك بداخلي..كنت أتحمل لكنني فقدت هذه

القدرة بعد أن نضجت..

نحن نتغير حينما نكبر..يصبح لدينا طموحات و أحلام ربما لا توافق مزاج أهاليينا..لكن ليس

كل الأهل يعارضون أحلام أبناءهم..ربما باستثناء أهلي أنا !

أردت أن أصبح مصورًا فوتوغرافيًا..وأرادني أن أشتغل تحت أمره..في مجال الأموال و

الأعمال مثله !

شجارات كثيرة و مشاحنات كانت لا تزيدني سوى لهفة و رغبة في تحقيق أحلامي المؤجلة..و

كان من ضمن هذه الأحلام اسمها..

شهد..... !!

و كانت كالشهد بالفعل !!

كنت قد اعتدت مقابلتها في كل مرة تأخذني أمي فيها إلى الدار..من بين كومة الفتيات هناك أنا

لم ألمح سواها و لم أتخذ سواها صديقتي..

كنت صغيرًا..و لم أكن أعلم أن الصداقة مع شخص أقل مكانة منا تعتبر ذنبًا كبيرًا و له

عقاب بالنسبة لأبي !!

اعترفت في لحظة خاطفة أمام عائلتي أنني أرغب في الزواج بها عندما أكبر..

كانت أمنية صغيرة.. بريئة جدًا !

لكنهم لم يروها بهذه البراءة.. فقد تلقيت صفعتي الأولى يومها و علمت أن لا مكان لها في حياتي
و لا وجود لي في قلبها أو حياتها..

هي لم تعلم يومًا بمشاعري و لن تعلم ! و أنا أعلم أنها لا تبادلني و هذا يناسبني !
خاصة بعد أن استيقظت يومًا لأجد نفسي وقد أصبحت شخصًا -معاقًا- لن تختاره فتاة و لن
يحبه أحد بعد الآن !

لم تكن إعاقتي سببًا في حزني.. لكن ما ألمني حقيقة ربما كنت أدير وجهي عنها.. حقيقة كون
عائلي لا تحبني حرفيًا !

كنت قد تشاجرت مع والدي يومها.. و احتد الشجار إلى أن فقدت أعصابي لأجدني أستقل
سيارتي و كل غايتي أهرب بعيدًا بأقصى سرعة ممكنة..

تلك الليلة كانت بمثابة -بداية النهاية- حينما وجدت نفسي أفقد تركيزي و سيطرتي لأصطدم
بشاحنة كبيرة.. و لم أستفق إلا بعد شهر كامل لأجد نفسي و قد أصبت بشلل نصفي -مؤقت- !
حسنًا.. إنه مؤقت هذا يعني بأن هناك أمل !

هي أيام قليلة بعدها و وجدت نفسي أعيش في شقة بعيدة لوحدي..
وحيد تمامًا تحيط بي الممرضات اللواتي لم ينلن مني إلا الصراخ و الرفض حتى أصبحت أكره
نفسي و أكره كل جنس البشر !
لكن لا يزال هناك أمل !

خاصة بعد أن تلقيت أكثر خبر صادم في حياتي.. و هو أن أمي الرائعة قرّرت أن تختار لي فتاة
تزوجها لي لتكون بمثابة الخادمة و الممرضة لي لا غير..

نعم.. لقد كانت تلك الفتاة هي... شهد !

لا.. ليس هناك أمل !!

كنت قد أحببتها و لم أستطع أن أبوح لها.. إلى أن تأكدت أنها ليست لي و لا أنا لها !

" ١ - عقد قران "

#شهد

أن تكون مخيرًا بين حياتك و موتك إنه لأمر في غاية الصعوبة و التعقيد..مخير بين اختيار حياتك التي تعلم أنها محكومة بالموت في ظل ظروف قاهرة..أو بين موتك الذي هو بحد ذاته يعتبر حياة لقلبك..

كنت سأختار موتي لو رفضت الزواج منه...و اخترتُ حياتي البائسة حينما انصعت لأوامر أمه !

لا أنكر السعادة التي غمرت قلبي و أنا أنظر لذلك الباب الذي لم أتجرأ يوماً لأخطاه دون إذن المشرفات يفتح أمامي لأخرج رافعة رأسي بكل ارتياحية و أمام العن..
ما إن خرجتُ حتى لفحتني برودة الهواء لتطير خصلات شعري -المنفلتة من الجديلة الفرنسية الطويلة التي تعودت صنعها بشعري- في كل مكان دون أن أكثر..فقد فتحت ذراعي و عانقت الحرية..أخيرًا !

كنتُ سعيدة..حتى و أنا أعلم أنها حرية مؤقتة..ربما لدقيقة..أو دقيقتين.. ساعة..ساعتان..و ستبخر كل هذه الحرية !

و قد تبخرت و أنا ألمح تلك السيارة الفارحة تتوقف أمامي لتأخذني إلى جحيمي الجديد..المؤقت كذلك !

كان الإتفاق بيني و بين السيدة عفاف أن أتزوج ابنها -هادي- لمدة محدّدة و أفترق عنه..لم أفهم شيئًا..أو بصيغة أفضل فهي لم تفهمني أيّ شيء !

لقد رمت كل الخيارات أمامي و تركتني أعاني وحدي مرارة الإختيار !
و أنا بالطبع انصعت تمامًا و اخترت أن أتزوج من أحبه..و لا يجبني !
اقتربتُ من السيارة بخطواتٍ هادئة عكس النيران المندلعة بقلبي..لأصعد في المقعد الخلفي بينما أراقب السائق و هو يحمل حقيبتي ليضعها في صندوق السيارة...
كنتُ فاقدة للأمل..يائسة..حزينة..هادئة بشكل غريب !

عقلي فقط من كان يطرح التساؤلات ليغرقني كل مرة في دوامة جديدة من القلق و الخوف !

فهادي الذي سأتزوج به ليس ذلكَ الطفل الذي كان يجلس معي أيام صغرنا..ليس نفس

الشخص الذي كان يفضلني على كل فتاة في الدار و يحبني دونهم !

ليس من منحتة قلبي..و أحببته !

بل هادي الجديد..نفسه الذي قابلته قبل ثمانية أشهر..و قبلها بشهور أخرى..دون أن أقابله

حقًا !

ذلكَ الذي نظر لي من علو..ذلكَ الذي لم يقترب..لم يهفو إلي..لم يسأل عن حالي..بل لم يهتم

حتى برجاء عيناوي و هما تطالبانه بتفسير !

كيف يمكن لحُب الطفولة أن يندثر بهذا الشكل ؟! أم أنه لم يكن حبًا من الأساس ؟!!!

توقفت السيارة أخيرًا أمام مكتب المأذون..كما كان الاتفاق تمامًا..أن أتزوج به ما إن

أخرج..كوني فتاة يتيمة صغيرة بلا سند...و لا مأوى !

دلفتُ إلى داخل المكتب المفتوح لأقابل مباشرة عيني السيدة عفاف..و فتاة أخرى شديدة

الأناقة و التبرج لم أرها من قبل تجلس بجانبها..كلتاها..فقط !!!!!

ما خطبهم ؟! أليس هادي ابنهم أيضًا ؟!

لطالما كان يشتكي لي هادي في أيام الطفولة من حياته معهم..كان يقول أن والداه لا يحبانه..و

أنا كنتُ أبتسم..فقط أبتسم بحزن و أنا أتذكر أنني لا أملكهم حتى لأتذمر من عدم حبيهم لي !

ربما لو كانت لديّ عائلة مثل عائلة هادي لما كنت سأعيش تعيسة إلى هذا الحد !

بالنسبة لي أن تكون لديك عائلة لا تحبك كثيرًا..أفضل من أن لا يكون لديك من الأساس !

و كما العادة لم تتعب نفسها لتقف و تلقي التحية علي..فقد اكتفت بإيماءة من رأسها المرفوع

دائمًا..ثم أشارت لي لأجلس في مقابلها..و ذلكَ ما فعلت..لكن الفتاة التي بجانبها فاجئتني تمامًا و هي

تستقيم بأدب لتفرد يدها باتجاهي دعوة في...مصافحتي !!!

صافحتها بتردد و أنا أتكلف ابتسامة واهنة ما إن همست لي بلطفٍ :

_مبارك لكِ مقدمًا!

بقيتُ أنظر لها بدهشة احتلت كل ملامحي و أنا أرى ابتسامتها التي كانت ألطف من

نبرتها..ابتسامتها الموجهة لي أنا !!

و علمتُ بأن عينيها قد التقطتا هذه الدهشة فاتسعت ابتسامتها أكثر مظهره غمازة كبيرة

كانت تزيد من لطافة هيئتها و ابتسامتها الجذابة و -الصادقة- التي تشعر القلب بالألفة نحوها

تلقائيًا !

شكرًا لك !

قلتُ بصوتٍ ربما لم يسمعه أحدٌ غيري و أنا أبعد يدي أخيرًا.. وسرعان ما تناسيت أمرها تمامًا
و أنا أعود لأجلس ناظرة حولي بحيرة..

رغمًا عني كنت أبحث عن طيفه الساحر.. أردتُ أن أراه حتى لو لم يلقي نظرة واحدة علي !
أردت أن أثبت أنه ألي بعيناي حتى لو لم يتمكن من قراءته بهما !!
أن أطمئن عليه.. أن أسأله لماذا ؟!

لماذا بعد كل هذا الجفاء تطلب الزواج بي بهذا الأسلوب ؟! أن أبحث بداخل عينيه -حبيبتي
قلبي- على حب أفنته الأيام !

على راحة يستكين لها قلبي و ترتاح دقائقه من تسارعها بهذا الشكل المؤلم !
لكنها بدلًا عن ذلك تسارعت.. تسارعت بقوة أكبر و أنا ألمح كيانًا لا أعرفه يدخل إلى هذا
المكتب.. يجلس فوق كرسي متحرك.. بملابس لا تشبه ملابسه الأنيقة التي كان يرتديها..
ملامحه شاحبة و ساكنة بشكل أثار ريبتي.. و شعره الناعم مبعثر بشكل عشوائي..
أما عيناه.. عيناه اللتان لطالما تعودت الغوص في سحرهما الكهربائي القاتم خلال سنوات
طفولتنا.. عيناه اللتان تحملان هالة فطرية من غموض باعث للرعب.. نظرنا إلى عيناها بألم دفين..
قرأت بداخلهما سطورًا من عذاب و عتاب لم أفهم لماذا يخصني به ؟!!!

و لماذا هو جالس بهذا الشكل فوق هذا الكرسي ؟!!!
وجدتُ نفسي أندفع بدون أن أشعر هامة بالوقوف و الإقتراب منه.. لكنني تراجعته بأمر من
أمه.. حينما رفعت يدها و نظرت لي بعينها القاسيتين و كأنها تحذرنني بالفعل من لمسه !
و أنا كما العادة لم أملك إلا الإنصياع.. فتراجعت في مقعدي غير قادرة على إشاحة عيناها
عنه..

إلى أن اقترب هو بنفسه بكرسيه المتحرك.. اقترب بصمت تام.. و بدون أن يكلف نفسه عناء
النظر لي مجددًا أعلن عن استعداد له لبدء المراسم..

إلى بدأت مراسم عقد القران بالفعل..
كنتُ أول من طلب منها المأذون التوقيع و هو يدفع بذلك العقد باتجاهي.. لكنني لم أنتبه
له.. فقد كنت شاردة تمامًا.. شاردة به..

و قد تعمق شرودي أكثر و أنا أتطلع إليه بقلب تجمد من الذعر عليه و مشاعر جارفة لم
تنفك تأمرني بأن أقف و أقرب أكثر منه.. لا لشيء.. فقط لأسأله بيبي و بينه..

من أنت ؟! فقط من أنت ؟!!!!

_شهد !!!

نداء السيدة عفاف الصارم جعلني أنتفض من حماقتي..فالتفتُ بسرعة لأمسك بالقلم و أوقع العقد بارتجاف..ثم ما أن عدتُ أرفع رأسي..تفاجئت بتلك النظرة التي رمق هادي أمه بها.. كانت نظرة جامدة..تشبه الصقيع في جمودها و قسوتها..قبل أن يمسك بالقلم ليوقع العقد بصمت..و حينها فقط..لمحتُ ذلك الجرح الذي كان يشق حاجبه الأيمن..جرح لم أره من قبل أبداً ! كان جرحاً كبيراً نسبياً لكنه لا يظهر إلّا لمن يقترب منه بمثل درجتي..فقد كان قريباً..قريباً للحد الذي جعلني أرفع يدي ببطءٍ مرتجف و كأني أريد أن ألمس الجرح..لكنني تراجعت و الحمد لله أنني فعلت حينما رفع رأسه فجأة لتلتقي عيناه الصارمتين بعيناي تماماً.. لم تكن هناك أيّ سعادة..الغضب فقط من كان يعتمر ملامحه و الشحوب الشديد يفترس ملامحي..

إلى أن رفعتُ رأسي تزامناً مع وقوف السيدة عفاف..تلك التي تدبرت ابتسامة دبلوماسية و هي تقول ناظرة لي من مكانها بترفعها المعهود :

_الآن هو بين يديك..أنتِ فقط من ستهتمين بكل أموره..طلباته يجب أن تنفذ قبل أن يطلبها حتى..ستكونين ممرضة و خادمة بينك و بينه..و زوجة إذا أعجبك الأمر!..لكن تذكرني فقط بأن كل هذا مؤقت..هادي يعلم جيداً أن الزواج لن يستغرق أكثر من بضعة أشهر معدودة يسترد فيها قواه الجسمانية و حينها فقط كل واحد منكما سيلتفت إلى حياته..بعد أن تنالي ثمن أتعابك بالطبع...مفهوم ؟!

كلامها كان كالصعقة الكهربائية بالنسبة لي..جعلني أتجمد أكثر غير قادرة على لفظ كلمة..إلى أن كرّرت بسؤالها مجدداً بنبرة أجفلتني..فقلت بتلعثم و عيناى تنحرفان قسراً عن إرادتي إلى أن نظرت لهادي :

_م..مفهوم !

مع نطقي لتلك الحروف الخمسة..لمحت تلك العقدة التي تشكلت بقسوة بين حاجبيه..لمحت عينيه اللتين اتسعتا قليلاً في حركة شبه مرئية..و رأيت تلك النظرة التي وجهها لي.. لقد نظر لي.....بكره ؟!!!!

نظرتة ضربتني في مقتل..جعلت خفقات قلبي تتفتت الماء..و لم أعرف أيّ صمود ذاك تسلمت به و جعلني أرفع رأسي نحو أمه و أنا أسمعها تستأنف بترفع :

_ سأترك لكما السيارة و السائق ليأخذكما إلى المنزل حيث ستعيشان منذ اليوم... كلاكما !
ثم نظرت للفتاة التي كانت تر اقب الوضع بصمتٍ..و بعينين مائلتين قليلاً بأسى..و قالت
بصلاية :

_ هيا يا " سجي " ..

#هادي

أن تكون في محل اختيار..أهون من أن تكون مجبراً على المواقفة على شيء أنت تعلم أنه ليس
الصواب !

كنتُ أعلم أن زواجها مني ليس إلا صفقة..هي فقط باعت أياماً من حياتها ستمضيها في
الاهتمام بي مقابل أموال أُمي..باعت نفسها أو لأكون في الصورة فـأُمي- من باعتني إليها !
و هي وافقت..و افقت بكل بساطة لأجل المال !

نفسه الهوس بالمال الذي دمر حياتي..نفسه الذي جعل والدي يفرق في معاملته بيني و بين
إخوتي الذين يشتغلون تحت أمره..نفسه الذي أوصلني لهذه النقطة !!
كنتُ سأرفض لا محالة..لكنني تراجعت حينما علمت أنها أيضاً وافقت ! وافقت و هي لا
تحبني ! و أنا وافقت رغم أنني أحبها !!

ما يؤلمني حقاً أنها باعت طفولتنا أيضاً حينما انصاعت لطلب أُمي !
ارتضت لنفسها أن تعيش كجارية تلبى طلباتي و تسمع أوامري..رغم أنني لم أتمنى لها أن تعيش
هذا الموقف يوماً..لكنني أصبحت أوقن الآن أنها تستحق..تستحق أن تعيش تحت رحمتي !
و أنا لن أرحمها..لن أرحمها أبداً...لو استطعت !

سأجعلها تكرهني للحد الذي يمنعها من التفكير حتى في أن تكن لي المشاعر..سأخزن ذلك
الحب اللعين بقلبي و أمنحها الكره فقط ! إلى أن تتعب و ترحل..فلست أنا من يقبل بزواج دافعه
الشفقة و الرغبة في المال !

حتى و أنا أعلم أنها مضطرة..فهي لم تكن يوماً إنسانة مستعبدة للمال..هي فقط فتاة صغيرة
يتيمة بلا مأوى..خافت أن تلقي بها مطبات الحياة الوعرة في جب من الضياع..لهذا تمسكت بأول
فرصة جاءت أمامها و اختارت أن تعيش تحت سقف واحد مع شاب مكسور النفس..فاقد للأمل..
فاقد للقدر على الوقوف حتى !

انتهيتُ لها و هي تنحني على ركبتيها لتعدل من وضع قدمي فوق أقدام الكرسي الحديدية بعد
أن ساعدني السائق لأستقر فوق الكرسي..فابتلعت ريشي بصمتٍ و أنا أنظر لها من مكاني..و
حاولت..و حاولت بكل جهدي أن ألتزم الصمت..لكنني عجزت..عجزت تمامًا لأجد نفسي أهتف بها
بعنف :

_ابتعدي !!

و كانت ردة الفعل المتوقعة أن أجفلت بقوة و هي ترفع رأسها إليّ ب.....خوف !
لا..لا يمكنني أن أتأثر بوداعها..نظراتها مهما اخترنت من الصدق لن تنجح بأن تكسرنى !!!
زفرتُ أنفاسي بغضب و أنا أهتف مجددًا من بين أسناني..أنظر في عينيها الجاحظتين و كأنني
لم أعرفها يومًا و لم تعرفني.

_لا تحاولي أن تلمسيني مجددًا !!

ثم التفتُ عنها لأنظر جانبًا بصمتٍ..غير قادر على النظر أكثر إلى ملامحها التي اكتست خوفًا
أكبر و... صدمة !

ثم و بكل طاعة..وقفت ببطءٍ لتراجع خطوتين بعيدًا عني..تاركة للسائق مهمة دفعي إلى
الداخل..كما أردت !!!

لكنها لم تستطع أن تصمد كثيرًا على ما يبدو..فما إن أغلق الباب خلفنا.. حتى شعرت بها
تقترب مني بخطواتٍ مرتجفة بشدة و كأنها لم تتجاوز بعد صرختي تلك..إلى أن وقفت بجاني..أو
بالأحرى ورائي..و حينها همست بصوتٍ لمحت فيه الألم..و الدموع !

لكنني تمسكت بموقفي و بقيت أنظر جانبًا..أسمعها ببرود و هي تردف :

_أعلم بأنك لا تحبني أبدًا..بل إذا صح القول أنت تكرهني..أصبحت تكرهني...أو..ربما تنفر

مني..كوني مجرد فتاة -لقطة- لا ترقى إلى مستواك كما يعرف..لكنني لا أطلب منك سوى شيئًا
واحدًا..أن تتحملني لفترة محدّدة فحسب.. أنا أعدك أنني لن أزعجك أبدًا..لن أقرب إلا حينما
تحتاجني..و لا أقصد بالاحتياج أنك من ستطلب..بل أنا هنا لألي كل أوامرك بصمت..

كان صوتها قد اختنق في آخر كلماتها..و شعرت بها تكبح دموعها عن فضحها باستماتة..لكنني
رغم ذلك..عجزت عن منع لساني الذي ارتفع بالقول بجمود بدون أن ألتفت نحوها..لا أريد أن ألتفت
نحوها !

_نعم..فأنت ستقبضين الثمن في النهاية..أليس كذلك ؟!

صمت تام قابلي بعد جملي تلك..بعد سؤالي -الحقير- ربما !!

فاضطرتُ لأن أستدير ببطءٍ إليها..و يا ليتني لم أفعل !
فقد كانت تقف مطرقة الرأس..دموعها تسقط من تحت جفنها المطبقين بعنف..و أناملها
ترتجف و هي تغلق قبضتها بشدة..ثم قالت بصوتٍ متهدج حاولت بجهدٍ مثير على ما يبدو أن يخرج
متزناً دون أن تفتح عينها :
_نعم..سأفعل!..لهذا أنا فقط أريدك أن...تنسى أنك تعرفت يوماً علي و تعتبرني مجرد ممرضة
أو خادمة كما قالت..أمك...ربما يكون لديّ بعض الصلاحيات كوني وقعت عقد زواجنا لكنني
أظل....خادمة- سألبي كل ما تأمرني به إلى أن تقف على قدميك !
لم تفتح عينها بعدها..لم تنتظر سماع إجابتي..هي فقط..التفتت بسرعة لتتجه لأول غرفة
ظهرت أمامها و تدخل مغلقة الباب خلفها بعنفٍ..و لم تعلم أنني رأيتها !!!
بل لم تلمح عيناها و أطر افهما تميل إلى الأسفل بألم..و لا تلك الدمعة التي سقطت فوق
وجنتي و لم أحاول أن أمسحها أبداً لشدة ما شعرت بأني أحتاجها.. أحتاج فعلاً لأن أشعر بسخونتها
لعلها تبرد قليلاً من حرقة قلبي !!

" 2 :مشاعر مكتومة "

#شهد

أغلقتُ الباب خلفي بعنفٍ لأستند عليه إلى أن سقطت باستسلام فوق الأرض.. احتضنت
ركبتاي إلى صدري بقوة و أنا أدفن وجهي بينهما مجهشة في البكاء..كتلك الأيام التي كنت أختبئ فيها
تحت الطاولة في دار الرعاية لأحيط ركبتي بذرعاي بقوة و أبكي ألماً و وحدتي و ضعفي..
كانت هذه عادتي..الهروب إلى أيّ ملجأ آمن يبعدني عن كل تلك الوجوه التي تؤذيني !
و يبدو أنها ستصبح عادتي هنا أيضاً !!

هل يجب على الحُب أن يكون معقداً بهذا الشكل دائماً؟! لماذا فقط لا يلمح حبه في عيني
ليدرك أنني لا..لست معه لا بدافع شفقة أو مال !
بل بدافع الحب فقط !

نعم..أنا كنتُ خائفة من الخروج من الدار و الاصطدام بهذا العالم المحاط بالمخاطر..لكنني
أيضاً كنت سأفضل الخروج إليه على أن أتزوج من غيره !
أعلم أنني لم أكن لأوافق حتى و لو على حساب حياتي لو كان الشخص أحداً آخر !!
لكنه كان هو..هادي !! فكيف كنت سأرفض هدية الزمن بهذه البساطة !!
تهدجت أنفاسي و انسابت دموعي أكثر بالأم..و بقيت جالسة مكاني لا أتجرأ على الخروج
لدقائق طالت..إلى أن سمعت صوت رنين الهاتف يصلني من الخارج..حينها فقط..كنت أتمسك مكاني
عاقدة حاجباي أنتظر أن يتوقف ذلك الرنين و أنا أظنه هاتف هادي..
لكن الرنين لم يتوقف أبداً..فاضطرت لأن أستعين ببداي لأقف..كما العادة أنا تلك الفتاة
التي تتحامل على نفسها ضد كل الأسى لتمثل الصمود الذي لا تمتلكه !!
مسحتُ دموعي و التفتُ لأفتح الباب و أخرج بخطواتٍ حذرة باحثة عن مصدر الهاتف
و...عنه !!

لكنه لم يكن هناك..لم يكن في نفس المكان حيث تركته !!
شعرتُ بالقلق ينتابني نحوه تلقائياً..لكن عيني اللتان وقعتا على الهاتف الأرضي الذي كان لا
يزال يرن بالحاح جعلتاني أوّجل فكرة تفقده إلى ما بعد أن أجيب على ذلك الإتصال..أكاد أن أجزم بأن
أمه هي صاحبتة !!

اقتربتُ بخطوات متخاذلة نحو الهاتفف..لكنني عجزت عن الرد فوراً.. فظلت يدي المرتعشة
متسمة على بعد إنشأتٍ منه..قبل أن أمسك به بحزم لأرفعه إلى أذني..و حينها فوراً سمعت صوت
السيدة عفاف تقول ببرودها و ترفعها المعتاد :

_هل يجب أن أتصل ألف مرة حتى تجيبي؟؟!

لم أستطع أن أجيبها..أطبقت جفوني بقوة شاعرة بالغصة الحارقة تتوسط حلقي..و لم تكن
تنتظر جوابي..فقد سمعت صوت زفرة واضحة منها..قبل أن تبدأ في شرح أهم الأساسيات عن وضع
هادي لي..بما يشمل مواعيد أدويته و كل الأشياء التي يجب علي وضعها بعين الاعتبار خلال اعتنائي
به..

كانت تتكلم بصيغة الأمر طيلة الوقت..و بقيت أستمع لها بصمتٍ تام إلى أن انتهت..و حينها
فتحت في لأهمس باختصار بصوتي الخافت :
_نعم..فهمت..حاضر...

ثم أعدتُ السماع إلى مكانها..و زفرت مطولاً و كأنها حركة أحاول من خلالها التخلص من كل
الارهاق الذي بدأ يملكني منذ اليوم الأول !!!
نقلتُ عيناى حولي للحظات..قبل أن أبتلع ريتي ببطءٍ و أتجه بتردد إلى الغرف باحثة
عنه..ألست في النهاية...مجرد خادمة مكلفة بإطاعة أوامره و الاهتمام بكل شؤونه !
فتحتُ الغرفة الأولى..و الثانية..و اقتربت من الثالثة بتوتر و أنا أدركُ أنه بداخلها..فلا أظن أن
هذا المنزل الأنيق يزيد عن أربعة غرف..

ابتلعتُ ريتي مجدداً و أنا أرفع يدي ببطءٍ لأطرق الباب بتردد منتظرة سماع جواب طردي
بأسرع وقت..لكن لم يكن هناك أيّ جواب..فقط الصمت !!
فلم أجد بداً من أن أمسك بالمقبض بأنامل ضعيفة لأدفع الباب بتردد و أطل من خلفه دون
أن أدخل فعلاً..و لمحته..لقد كان هنا بالفعل !!!

اعتمر الأسى قلبي و أنا أراه غارقاً في النوم فوق نفس الكرسي..رأسه مائلاً إلى جانب الكرسي
قليلاً في وضعية غير مريحة بتاتاً بينما عيناه منسدلتان ب....بضعف !
لكن هل تناسب كلمة "ضعف" السيد هادي الشاذلي؟!

ربما لم أخبركم من قبل أن هادي وسيم جداً..نعم..وسيم للحد الذي قد يجعلك تفغر شفطيك
متأملاً ملامحه في أول مرة تقابله فيها..
كما فعلت أنا..و لا أزال أفعل !

حتى بعد أن أضعفه المرض كثيرًا لا تزال ملامحه وسيمة إلى درجة تفوق درجة الوسامة العادية..بل أكثر...

لهذا كان ينعته والده منذ الصغر بـ-الحلوى الفاسدة-!
و كان هذا اللقب يمزق قلبي إلى أشلاء من شدة الألم عليه و أنا أراه يصِف والده بكل الألفاظ الكارهة و الحاقدة !

اقتربتُ منه ببطءٍ إلى أن وقفت أمامه تمامًا..و كم كنت أشعر بالإرتياح كونه نائم..صدقًا حمدت الله من قلبي على هذه الفرصة التي مُنحت لي بعد سنوات طويلة..فرصة تأمل ملامحه عن قرب بارتياح !

انخفضتُ ببطءٍ إلى أن جلست أمامه تمامًا على ركبتاي..أتأمل ملامحه التي اشتقت إليها بقلب خافق و مشاعر جارفة..ليته فقط يستطيع أن يرى هذه المشاعر و هو مستيقظ !
ما يحيرني بالفعل هو عدم استيعابي لما حدث معه ؟! كيف انتهى الأمر بهادي خاصتي جالسًا فوق هذا الكرسي المتحرك ؟! و الجرح.....!!

وجدتُ نفسي أستقيم قليلًا على ركبتاي إلى أن اقتربت منه أكثر ناظرة إلى ذلك الجرح عن قرب..و لم أستطع هذه المرة أن أمنع أناملِي من أن تمتد لتلمسه برقة..
كان ملمسه خشنًا مقارنة مع ملمس كل ملامح هادي..ما عدا ذقنه الذي كانت شعيراته نابثة بغير ترتيب فعلي..و تمنيت لو أهتم به أنا..لو أرته له..لو أمشط له خصلات شعره الكثيفة الناعمة و التي طالت حتى أصبحت تلامس عنقه قليلًا بجاذبية لا تناسب غيره..لو أقبل هذا الجرح ليستكين ألمه بين ذراعي !

تمنيت..لكن الأمانِي لا تتحقق دائمًا !
و كأنه يمتلك قوى خارقة مكنته من قراءة أفكارِي في تلك اللحظة..ففتح عينيه هكذا فجأة لتلتقي بعيناي القريبتين منه في تواصل عجيب لثانية واحدة لم أستغرق غيرها لأبتعد و أقوم بسرعة..

ثم قلت ما إن وقفت بارتجافٍ شديد ؛
_أنا..أنا..كنت أريد أن أوقفك لأجل الدواء..أخبرتني السيدة عفاف أنك تشربه في هذا الوقت بعد الأكل..أنا..أنا سأحضر لك شيئًا لتتناوله.....

استدرتُ بسرعة أريد الهروب مجددًا منه..لكن صوته الذي خرج جامدًا..محملًا بقسوة أوقفني ؛

_انتظري !

تسمرتُ في مكاني تمامًا..قبل أن أستدير إليه بصمتٍ..لكنه لم يكن ينظر لي..كانت عيناه

منصبتان أمامه..ثم قال أمرًا بجفاء ؛

_تعالِي..

يا إلهي..ما هذا التعذيب البطيء الذي أعيشه؟! ألا يعلم أن مجرد النظر لعينيهِ يجعل

الدموع تسقط من عيني و أنا أدركُ في كل مرة بأنه ليس لي..و لن يكون أبدًا !

لكنني رغم ذلك اقتربت..عدت لأقترب الخطوتين اللتين ابتعدتهما إلى أن وقفت أمامه مطرقة

الرأس..أظن أن النظر إلى مربعات الأرض أهون من النظر لعينيهِ القاسيتين..

ظل صامتًا للحظاتٍ ينظر لي بدون أن ألمح نظرتَه فعلاً..إلى أن قال بنفس النبرة ؛

_اجلسي !

نظرتُ حولي للحظةٍ بحيرة..قبل أن أجلس على طرف السرير في مقابله تمامًا بدون أن أرفع

رأسي..لأسمعه يهمس هذه المرة بهدوءٍ شعرت به غريبًا..

_كم كان المبلغ الذي اتفقت عليه مع أمي ؟!

أجفلتُ بقوة من هذا السؤال و رفعت رأسي ناظرة له بغير فهم للحظاتٍ..ثم قلت بصوتٍ

باهتٍ و أنا لا ألمح سوى الجمود يستوطن ملامحه ؛

_لم يكن هناك أيّ مبلغ متفق عليه..أنا أردت المأوى و هي ستعطيني المأوى مقابل أن.....

و صمتُ غير قادرة على الإكمال..فأكمل عني هو بنبرة لا تنم عن تعبيرٍ محدّد ؛

_مقابل أن تخدميني لأشهر أنتِ لا تعرفين عددها !

تخدميني !

كم هي كلمة قاسية جدًا في سماعها و نطقها أيضًا بالنسبة لي..لفتاة عاشت نصف حياتها مع

لقب -لقيطة- و ستعيش المتبقي ك...خادمة !

الفكرة نفسها جلبت دموعًا فوق التي مسحتها قبل قليل فاضطرت لأن أطرق برأسي مجددًا

أناشد نفس الصمت..إلى أن سمعته يقول بجمود ؛

_أنا أستطيع أن أوّمن لكِ المأوى و أمنحك مبلغًا أكبر من الذي ستعطيه لكِ أمي مقابل أن

تخرجي من هذا المنزل...و تركيني للأبد !

هل سمعتم ما يقوله؟! حقًا هل أنتم قادرون على الإستيعاب؟! هل أصبحت مرفوضة لديه

إلى هذا الحد؟! أن يدفع كل هذا فقط ليبعدني عنه!!؟

أين اندثرت صداقة الطفولة إذن؟! أين حب الماضي و أحلام المستقبل التي نسجناها
بخيوط الود معًا؟! أين كل أمانينا البريئة بسقفٍ واحد يجمعنا ما إن نكبر؟!
ها هو السقف موجود...لكن أين أحلامنا؟!
ربما لو كان شخص آخر لكنت تهللت ملامحي الآن من السعادة..لو افقت على العرض بسرعة
مقابل أن أبتعد عنه!
لكنه هادي...هادي!!!!
لا أستطيع أن أكون أنانية لهذا الحد و أرحل عنه تاركة إياه في هذه الحالة..أنا لست سيئة إلى
هذا الحد...لست إنسانة سيئة عى الإطلاق!
خاصة بعد أن أخبرني أمه في ذلك الإتصال البارد عن كم المشاكل التي كان يفتعلها مع
الممرضات اللواتي كانت تجلهم للإهتمام به..لدرجة أن لا واحدة منهن أصبحت قادرة على تحمل
فضاظته و عنفه معهن..
و هذا ما جعلها تفكر في أمر الزوجة! الزوجة فقط من لن يستطيع إبعادها بالقوة..و لن
تستطيع هي التخلي عنه...لأنه زوجها!
زوجي أنا...فكيف أتركه بهذه البساطة؟!
حتى و أنا أعلم أننا سنفترق لا محالة..لا أستطيع..لا أستطيع أن أستغل الفرصة و أرحل الآن
!
استغرقني الأمر بضع لحظاتٍ لم أفعل فيها أيّ شيء باستثناء التحديق به بصدمة تفوق
الصدمة..قبل أن أرفع رأسي نحوه..و لأول مرة منذ أن قابلته بعد كل تلك السنوات يكون صوتي هادئًا
متزنًا رغم اهتزاز خفقات قلبي الشديد و أنا أخاطبه:
_ لا أظن أن الإتفاق كان بيننا يا سيد هادي..أنا هنا فقط أنفذ أوامرك المتعلقة بما تحتاجه و
لست لعبة بين أيديكما أنت و أمك ليفرض عليّ كل منكما ما يشاء وقتما يشاء..أنا لن أرحل و أتركك
لأنني...زوجتك..رغم كل شيء..أحببت أم كرهت..تقبلت أم لا فأنا زوجتك وفق الشرع و القانون..و
لن أغادر هذا المكان إلا بعد أن تنتهي مهمتي و أقبض حسابي من أمك..لا منك!
كلام في غاية القسوة..أليس كذلك؟!
لكنني مضطرة..لأنني في نفس الوقت الذي مطالبة فيه بعدم تركه أنا يجب أن أمنحه فكرة
عن فتاة قاسية رخيصة أمام المال لكي لا.....يتعاطف و لو للحظة!

حتى أرحل في هدوء عندما يحين الوقت.. فلا أحد يعرف السيدة عفاف مثلي.. كما أنني لست
حمل عداوة مع أي أحد الآن.. خاصة عائلة أكرم الشاذلي المرموقة !
_هل هذا هو آخر كلامك ؟!

قال بنبرة غريبة شعرت بأنها تخفي خلفها أطنائاً من الغضب و العنف.. فرمشت بعيناي
ناظرة في كل اتجاه و أومأت منتظرة الأسوء..
و قد حدث الأسوء بالفعل...

فلم يكذب يتأكد من إجابتي.. حتى كانت يده تمتد إلى المنضدة القريبة منه لتسقط كل شيء
فوقها بصوتٍ مدو أفرعني بشدة.. ثم و في لمح البصر.. كانت نفس اليد تلك تمتد إليّ ل... لتقبض على
ذقني بقوة !

فارتعشت بشدة و أنا أشعر بأصابعه الخشنة تكاد أن تحطم عظام وجهي تحت
وطأتها.. حينما اقترب مني بوجهه للحد الذي جعلني مضطرة لأن أنظر في جوف عينيه بعيناي
المتسعتين رعباً..

و حينها فقط.. قال من بين أسنانه أمام عيناي بنبرة جعلت تلك الارتعاشة السابقة تزداد
أضعافاً.. و خوفي اللا حدود له.. يتفاقم بشكل... مؤسف !
_لن ترحلي إذن !!!

استطعتُ بمشقة أن أجابه كل تلك المشاعر التي تكاد أن تقيد كل أطرافي.. و أومأت بالنفي
بصمود هائل لم أعرف حتى من أين استمديته..
ربما من ذلك الحب الذي يعيش في جوارحي منذ الأزل !!!

بعدها.. و للحظة خاطفة.. لمحت شهاباً من الألم السحيق يمر في عينيه.. لكنه تلاشى فوراً أو
ربما أنا من كنت أتخيل.. علمت بأنني كنت أتخيل فعلاً حينما سمعت صوته يقول بنبرة سوداوية
مخيفة أمام عيناي بينما ملامحه تتعقد أكثر و أكثر بغضب أهوج ؛

_حسناً... اسمعي إذاً آخر كلامي أنا أيضاً.. لقد كانت هذه آخر فرصة منحها لك لتبتعدي عن
هذا الجحيم المسمى بأنا... لكن و من بعد الآن حتى لو أردتِ الرحيل فلن يكون هذا
مسموحاً.. سأجعلك تندمين على هذه اللحظة بالذات ما تبقى من حياتك.. سأجعلك تنزفين دمًا بدل

الدموع.. سأستنزفك بشكل سيء جداً إلى أن أجعلك تتمنين الرحيل و الخروج من هنا دون أن
تستطيعي.. حتى أفكارك لن يكون لديك سلطان عليها منذ هذه اللحظة.. ألم تقولي أنك هنا لتخدميني
حتى رغماً عن إرادتي.. ليكون إذاً أيتها -الخادمة-.....

كان صوته قد ارتفع بقوة في آخر كلمة..ثم دفعني بقسوة ليكمل هادراً بحدة..بينما أنا لا أتجرأ

على رفع رأسي من شدة الخوف ؛

_قومي !!

استجمعتُ نفسي مع أمره الصارم لأقف بصعوبة بدون أن أرفع رأسي..و أطرقت أكثر في محاولة فاشلة لأخفي دموعي التي عجزت عن التحكم بها كما العادة عنه..لكن شهقة خافتة هربت من

بين شفتاي جعلته يقول بلا أي رحمة ؛

_هل كنت قاسياً ؟!

كانت نبرته باردة ساخرة..فحركت رأسي بالنفي و رفعت أناملي الضعيفة لأمسح دموعي بينما

أهمس بصوتٍ متهدج ؛

_أنت..أنت محق !

سمعتُ صوته القاسي يقول مجدداً بترقب من يتمنى أن تلاقي تهديداته المرعبة نتيجة !!

_إذا ؟!

فهمستُ من بين أنفاسي المتحشجة بشدة ؛

_أخبرني ما الذي تحتاجه مني و سأفعله..أنا...تحت أمرك !

ساد صمت طويل منه..فرفعت عيناى قليلاً فقط لأختلس نظرة له..و هناك..في جوف

عينيه..لمحته الآن فعلاً..كان أماً حقيقياً يستوطن أعماقهما..ثم زفر بتعب شديد ليهتف بي بغضب ؛

_حسناً..هيا انزلي على ركبتيك و اخلي عني حذائي...بسرعة !!

كنتُ أعلم أن كل هذه ما هي إلا محاولات لكبحي عن ما أريده..لإبعادي عنه..أنا أفهمه

تماماً..هو يريد أن يذلني و يستنزفني لأختار الرحيل بإرادتي..

لكنني لن أرحل...لن أرحل !

و بالفعل انخفضتُ ببطءٍ إلى أن جلست على ركبتي أمامه..و أمسكت بقدمه أنتوي أن أخلع

إحدى الفردين بأنامل ترتجف حرفياً..

و قد لمح ارتجافتي على ما يبدو فقال بيأس و هو يلتفت جانباً ؛

_كفى..ابتعدي !

لم أفهم أمره ذاك..فرفعت رأسي نحوه لأقول بكل غباء و أنا أمسكُ بفردة الحذاء أنتوي

خلعها عن قدمه بالفعل ؛

_لكن.....

لم أكن أستطيع الاعتراض..فقد عاد ليقول بأمر قاطع غاضب ؛

_ابتعدي !!!!

و ابتعدتُ بالفعل و أنا أقف منتظرة أمره التالي..لكن لم يكن هناك أمر جديد..بدا و كأن كل غضبه قد سقط عن ملامحه و هو يطبق عينيه بإجهد شديد.. ثم همس بإجهد أكبر ؛

_ألم تكوني ذاهبة لتجهيز الطعام ؟!

أومأت بتردد و أنا أردف بسرعة ؛

_نعم..أنا...سأحضره بسرعة !

لم يجب..ظل صامتاً ينظر جانباً بنفس ملامحه التي لم أكن قادرة على تمييزها بوضوح من

خلف غمامة دموعي التي يبدو بأنها لن تنتهي اليوم..

فاستدرتُ فوراً لأفتح الباب و أخرج مغلقة إياه خلفي..و هرعت أدور في المنزل باحثة عن

المطبخ بينما دموعي تشاركني البحث عن مخبأ تتوارى فيه عنه !!!

#هادي

قاسي جداً..ظالم..متكبر..استغلالي..

كلها ألفاظ لن تكفي لوصف تصرفي النذل معها قبل قليل...أليس كذلك ؟!

أنا أيضاً مثلها كنت أشعر بأنفاسي تهرب مني..نبضات قلبي تتدافع كالذبيح الذي ينتظر ساعة

التنفيذ في أي لحظة..

كشخص أرهقته الحياة و أضناه الألم و أحزنه الشوق و جافاه النوم و الأمل..كمن وجد

حبيبته بعد طريق طويل عسير ليكتشف في النهاية بأنها ليست إلا وهمًا و خيالاً جميلاً كان يستحثة

ليقترب أكثر قبل أن يختفي !

أنا أيضاً نُهبَت أحلامي و انهارت طموحاتي..أنا أيضاً كنت أحترق..كنت أحترق بنيران قلبي الذي

لا يستطيع تحمل رؤيتها بهذا الوضع !!!

صحيح..دائماً أردتها زوجة لي..معي...لكن ليس بهذا الشكل !!!

ليس بهذا الشكل يا شهد !!!

سمعتُ بعد لحظاتٍ صوت طرقاتٍ خافتة فوق الباب فرفعت رأسي لأنظر له بتردد كبير..قبل

أن أقول بصوتٍ صلب خرج رغماً عني ؛

_نعم ؟!

رأيتُ الباب و هو يندفع ببطءٍ شديد لتطل منه عينا حبيبتى المُعذبتين بدموعها التي انسابت بسببي..ثم لم تلبث أن همست بصوتٍ خافت جدًا وصلتني ارتعاشته ؛
_الطعام جاهز..إذا ما أردت.....

صمتت للحظة..ثم قالت تكمل بدون أن ترفع رأسها و كأن مجرد النظر لي ... يخيفها !!!
_هل تحب أن أحضره لك هنا أو أسد..تتناوله في غرفة اليهو ؟!
_ضعيه في اليهو..أنا قادم..

قلتُ بجفاء..فأومأت بطاعة قبل أن تتراجع مجددًا مغلقة الباب بهدوء أعلم كم هو خادع..بينما زفرت أنا مطوّلًا بإرهاق..قبل أن أكبس ذلك الزر الذي يتحكم بهذا الكرسي الذي أصبح كرفيق وفي لا يتركني إلّا أثناء النوم..

و فتحتُ الباب لأخرج حتى توقفت بجانب الطاولة حيث كانت قد رتبت صحون الأكل..كانت تقف وراء أحد الكراسي تقبض على طرفيه بين أناملها المتوترة بشدة..انتظرتها للحظة أن تجلس..لكنها ظلت على نفس الوضع..فقلت بنفس النبرة الجافة الآمرة :
_اجلسي..

و ما كان منها إلّا أن أومأت مجددًا بذلك الخنوع الذي يمزقني و جلست تنظر للأطباق بصمتٍ دون أن تبادر بالأكل...

و أنا أيضًا لم اضف كلمة فقد امتدت يداي إلى الأكل لأبدأ في تناوله بغير شهية إلى أن انتهيت..و حينها نظرت لها بتعب شديد و أنا أقول ؛

_هل ستبقين جالسة بهذا الشكل ؟! تحدقين في الأطباق دون أن تأكلي شيئًا ؟!!!
و مجددًا ذلك الانصياع..رفعت يديها ببطء لتبدأ في الأكل أمام عيناى اللتان لم تفارقا النظر لرأسها المنكوس للحظة طوال الدقيقة التي استغرقتها في الأكل على مضض..قبل أن تقف أخيرًا لترفع الصحون إلى المطبخ بصمت..و تعود بعد لحظات بكأس من الماء و الدواء في يدها الأخرى..
أخذت الكأس منها و الحبة لأبتلعها بصمتٍ و أعيد الكأس إليها..ثم لم أنتظر أكثر و أنا أتوجه إلى غرفتي لأجدها و قد لحقت بي بعد دقيقة واحدة..

و هذه المرة لم أستطع أن ألفظ حرفًا واحدًا و أنا أراها تقترب بخطواتها المترددة مني..إلى أن انخفضت ببطءٍ لتمسكَ بقدماي العاجزتين و تنزع عنهما الحذاء..تنفذ المهمة التي أمرتها بها قبل دقائق طوعًا..

شعرتُ بيديها الإثنتين على بشرتي بعد أن وضعت الحذاء جانبًا..فبقيت أراقبها بعيناي الصّامتين و هي تنزل قدماي بصعوبة قليلاً لى الأرض..ثم عادت تقف سائلة بخفوتٍ ؛
_هل تسمح لي بأن أساعدك لتستلقي في سريرك ؟!
لم أرد فوراً..فرفعت رأسها قليلاً فقط لتكمل بصوتٍ لمحت فيه بعض الرجاء ؛
_لن أزعجك بعدها...أقسم لك !
" لن أزعجك ! "
" آه يا شهدي و يا مزعجتي..

لو تعلمين فقط كم يروقني إزعاجك هذا..لاستمررتِ ترعجينني بقربك المهلك حتى أسلم حصوني و أخضع لسلطان هذا القلب الذي يأمرني أن أستسلم في هذه اللحظة لرغبتني في جذبك إلى صدري و ضمك بقوة حتى يجف ألمي و تنتهي سلسلة آهاتي ببعدك ! "
أوماتُ بجمود و أنا أختزن كل مشاعري بداخل قلبي..فاقتربت ببطءٍ لتمسك بيدي و تدخل رأسها تحت ذراعي إلى أن أصبحت مستنداً بها..
لم أستطع أن أمنع عيناها من أن تقع في شرود عميق و أنا أنظر إلى جانب وجهها..أتأمل ملامحها النحيطة الشاحبة عن قرب..أرى حاجبها الرفيعين كيف انعقدا بألم شديد كمن يتكبد مجهوداً جسدياً أقوى بكثير من قدرة تحمله !!
و هذا ما كانت تتكبد به بالفعل..

كم شعرتُ بالشفقة عليها و أنا أراها تساعدني بإخلاص إلى أن ارتميت فوق السرير بكل ثقلي..لكنها لم تكتفي رغم ذلك..
فقد شعرتُ بارتجافتها واضحة و هي تنخفض لترفع قدماي بصعوبة إلى أن أصبحت مستلقياً بشكل كامل فوق السرير..و حينها فقط التقت عيناها بعيناي في تواصل عجيب هادئ و هي تدثرنني بالغطاء..

كنت هادئاً لولا أن لمحت شيئاً ما جعل عيناها تتسعان بشدة..فقد كانت هناك علامة غريبة تشق معصمها يبدو كمن وضع قطعة حديد ساخنة جداً فوق جلدها بهدف واحد..أن لا يزول أثره أبداً !!!

لم أشعر بنفسي و أنا أقبض على يدها قبل أن تبتعد..ثم قلت غير عابئ بالانتفاضة التي أرسلتها حركتي إليها..قلت بنبرة حادة رغمًا عني بينما أنا ملي تلامس تلك العلامة ؛
_ما...ما هذا ؟!!!

كانت عيناها جاحظتان بقوة و هي تنظر إلى تلك العلامة..ثم قالت بصوتٍ متعثرٍ جدًا و يدها ترتعش بشدة ؛

_ل...ليس شيئاً هاماً..مجرد...جرح قديم !

قلتُ بتصميم و نبرة صوتي تصبح أكثر حدة و قلقًا ؛

_أعلم..لكن من فعله ؟! من فعل بكِ هذا ؟!!!!

تضاعف التوتر بعينها و انسدت جفونها للحظة في ضعفٍ..قبل أن تهمس بصوتٍ مرتعد كيدها ؛

_لا أحد..لا أحد..أنا..كنت قد أصبت مرة و أنا ألهوا..

تلهو !!! من يستطيع أن يصدق هذه الكذبة الغبية !!

بقيتُ أنظر لها بحاجبي المنعقدان بشدة بينما هي تحاول تحرير يدها دون جدوى..إلى أن همست من بين أنفاسها بصوتٍ متألم ؛

_هل يمكنك أن تترك يدي...رجاءً !

و حينها فقط استوعبتُ نفسي و أنا أنظر لمعصمها الذي كنت أعتصره بقوة انفعالي بدون أن أشعر..أبعدت يدي كالمسوح تمامًا..و كانت هذه فرصتها للهرب فاستقامت بسرعة قائلة ؛

_أنا سأكون في الغرفة المجاورة إذا...إذا ما احتجت شيئاً...

ثم هربت..اختفت في لمح البصر و هي تغلق الباب خلفها تاركة وراءها عيناها اللتان كانتا لا تزالان تنظران في أثرها بما يشبه...الصدمة !

لم أدر بعدها كيف و لا متى أخذني النوم..إلى أن استيقظت في منتصف الليل على صوتٍ غريب قريب مني !!!

كان يبدو كصوتٍ أنين مكتوم متألم..فاستندت بيدي لأستقيم بصعوبة ناظرًا للمكان المظلم نسبيًا من حولي بحيرة..قبل أن أهتف بقلق ؛

_شبه.....

لكنني لم أكد أكمل حتى كنت ألمحها..سكنت تمامًا أحرق بها و قد كانت...نائمة هنا..نصف مستلقية فوق الأريكة الوثيرة القابعة في منتصف هذه الغرفة العريضة..

مغمضة عينها بينما رأسها مائل قليلاً على طرف الأريكة و الغطاء الأسود السميك الذي تقبض عليه بيديها يكاد أن يبتلعها كلها..

و صوت أنينها الغريب..المؤلّم.....في تزايد !!

كانت دموعها تسقط بالفعل فازدردت ريتي بصعوبة و أنا أتسمر للحظاتٍ طالت
كثيرًا..أتأملها فقط غير قادر على قول كلمة واحدة..
إلى أن هتفتُ و أنا أشعر بنفسي غير قادر على تحمل سماع صوت أنينها المُعذب أكثر ؛
_شهد !!!!!!!

" 3 :زيارة غير مرغوبة "

#هادي

_شهد!!!!!!

و كانت صرختي كفييلة بأن تقتلعها من داخل دوامة كو ابيسها التي لم أكن أعلم عنها من قبل..فانتفضت بقوة ناظرة حولها بجزع إلى أن استقرت عيناها عليّ بخوف..
قالت بتلعثم بينما ترجع خصلات شعرها -الذي كان منسدلاً الآن عكس العادة- إلى خلف
أذنيها ؛

_هل..هل تحتاج شيئاً ؟!

ثم نظرت حولها و كأنها استوعبت نفسها الآن فقط قبل أن تقف بسرعة و قالت بينما تمسح
دموعها بحركاتٍ خرقاء ؛

_أنا..أنا آسفة..أنا فقط كنت..كنت.....

يا إلهي !! لقد كانت تبدو في حالة يرثى لها بالفعل !

شعرتُ بقلبي يئن لوعة و أنا أرى ارتجافها الواضحة بل و أستشعرها أيضاً !!

إلا أنني رغم ذلك..همست مرغماً بنبرة صلبة حتى في هدوءها ؛

_خائفة ؟!

فأومأت بصمتٍ..ثم قالت بنبرة منبأة بعاصفة أخرى من الدموع تحاول حجّها عني بفشل ؛

_أنا..سأذهب إلى غرفتي..أعتذر...

لم تكذ تكمل كلامها حتى كانت تلتفت هامّة بالخروج بالفعل..إلا أنني و قبل أن تفعل..همست

أمنعها ؛

_لحظة..

تسمرت تماماً بدون أن تستدير إلي..فهمست هذه المرة بصوتٍ أكثر رفقاً ؛

_استديري !

و استدارت بالفعل..استدارت ببطءٍ لتنزل يدها التي كانت تمسح الدموع باستسلام و تتركها

تنساب أمامي بالأم..كانت لا تزال مطرقة برأسها..فهمست أسألها بصوتٍ خافتٍ ؛

_هل نمتِ يوماً لوحدكِ في غرفة منفصلة عن الجميع ؟!

ظلت صامته تصارع دموعها..ثم لم تلبث أن هزت رأسها بالنفي عكس جوابها عندما قالت
بتحشرج ؛

_أحيانًا فحسب..لكنني متعودة..لا تقلق..سأنام في الغرفة المجاورة و لن أزعجك مجددًا كما
وعدتك.....

لكنني لم أكن لأسمح لها و هي أيضًا كانت تتمنى لو لا أسمح لها..فقد كانت تعابير ملامحها
مفضوحة تمامًا أمامي..فقلت و أنا أشير إلى الأريكة بذقني ؛
_تستطيعين أن تنامي هنا إذا أردتِ..أقصد إذا كنتِ لا تمانعين النوم في غرفة أنا متواجد بها
فلا بأس..نامي هنا حتى تتلاشى كوايبسك..

ذبحتني ابتسامتها الضعيفة التي شقت شفتيها لأول مرة..ثم رفعت رأسها قليلًا فقط لتهمس
ناظرة لي بامتنان..بكبرياء لا تزال تحاول حتى الآن التمسك بحباله المنقطعة..
_شكرًا لك..لكنني لا أريد أن أزعجك و أنا أعلم أن...نومي ليس هادئًا تمامًا كما
رأيت..لذا.....

_هذا أمر !

قاطعتها بصوتٍ صارم فنظرت لي و قد تلاشت ابتسامتها تمامًا..قلت بنفس النبرة التي لا تقبل
الجدال ؛

_أنا لا أطلب منك..هذا أمر ضمن كل أوامري التي أنت ملزمة بإطاعتها..لهذا لا تعترضني !!
كنت أعلم أن هذا الأسلوب فقط ما سينجح معها..و قد نجح بالفعل..فرايتها و هي تتراجع
أمام عيناها بصمتٍ إلى أن توقفت بجانب نفس الأريكة لترفع الغطاء و تندس بداخله مستلقية
فوقها..

فتراجعتُ أنا أيضًا..انخفضت ببطءٍ إلى أن وضعت رأسي فوق الوسادة بدون أن أفارق رغم
ذلك عينيها المتسعيتين اللتين لم تنسدلا..لم تتوترا..و لم تجفلا أبدًا..فقد استمرت على اتصالهما
الصامت بعيناها..

كانت تنظر لي و أنظر لها بسكون تام و مطبق..و قد بدت عيناها أمام عيناها

ضعيفتان..هادئتان..مستنجدتان رغم الفراغ الذي يحجب كل مشاعرها عني..

كانت تلك واحدة من بين أغرب اللحظات التي أعيشها في حياتي..و رغم ذلك فلم أحاول

أبدًا..بل لم تخطر في بالي أبدًا فكرة قطع هذا التواصل الغريب بيننا..و يبدو بأنها لم تخطر في بالها
أيضًا..

إلى أن بدأت عيناها تنسدلان تدريجيًا بضعفٍ.. رأيت محاولاتها السرية الحثيثة لمقاومة دوامة النوم.. فكانت بين لحظة و أخرى تطرف برموشها الطويلة و كأنها تحاول أن تختبر قدرتها على إبقاء عينيها مفتوحتين لمدة أطول..
إلا أنها عجزت في النهاية كما هو متوقع.. فانسدلت عيناها تمامًا بعد بضع ثوانٍ.. واستسلمت للنوم الرحيم قسرًا عن إرادتها..
بينما بقيتُ أنا مستيقظًا أراقبها بدون ملل.. أحاول أن أتسلل بصوتي الخافت الحنون بين كل كابوس و كابوس تعيشه في حلمها إلى أن ارتحت و أنا أراها تهدأ تمامًا..
فأغمضتُ عيناها أنا الآخر باستسلام.. عيناها فقط أما قلبي فقد استودعته إياها ليحرسها نياحة عن كل حواسي !!!

#الكاتبة

تسللت أشعة الشمس ببطءٍ لتسلط ضوءها الساطع على ملامح تلك الشابة النائمة في وضعية غير مريحة أبدًا.. ففتحت عينيها بعد عدة محاولات واهية.. لكنها ما لبثت أن عادت لإطباقها متأثرة بضوء الشمس المزعج..
رفعت يدها لتبعد أثر النعاس عن عينيها.. قبل أن تستقيم ببطءٍ..
تجولت عيناها ببطءٍ حول المكان غير المألوف من حولها.. قبل أن تتسمر تمامًا حينما وقعت عيناها على -هادي- الذي كان لا يزال نائمًا..
شهقة مرتجفة خافتة هربت من بين شفתיها و هي تستعيد كل أحداث يوم أمس التي كانت قد تناسها تمامًا لوهلة.. من تسلمها في منتصف الليل إلى هنا حينما شعرت بالخوف في تلك الغرفة المغلقة.. و استيقاظه بعدها فجأة.. و الأهم أمره القاطع الذي جعل ابتسامه شاحبة تشق شفتيها ببطءٍ..

أبعدت الغطاء بهدوء قبل أن تقف مقتربة عدة خطوات إلى أن توقفت بجانب السرير حيث يرقد حبيبها المُجافي !!

شعور جارف من الحنان لامس عينيها المتسعيتين و هي تتأمل كل ملامحه من مكانها.. قبل أن تتسمر للحظاتٍ على ذلك الجرح الأثير.. نفس الجرح الذي يمزق قلبها كلما نظرت له..
شعرت برغبة عميقة تجرفها نحو الإقتراب منه.. فامتدت يدها ببطءٍ لتلامس وجنته بلمسة حانية حريصة على ألا توقظه.. كانت أناملها ترتجف فوق ذقنه.. بينما حاجباها مائلان للأسفل بحزن..

تحركت أصابعها بخفة فوق ملامحه و كأنها ترسمها بإتقان.. إلى أن استقر إبهامها يربت برفق فوق أكثر جزء يثيرها و يؤلمها من ملامحه..

و لم تستطع و هي تتأمله من مكانها.. أن لا تقترب أكثر إلى أن قبّلت ببطء شديد و تركيز ذلك الجرح الذي يشق حاجبه مغمضة عينيها لثانية واحدة.. فقط ثانية واحدة كانت كفيلة بأن تعيد لأنفاسها الحياة..

لتبتعد مجدداً و تمشي على أطراف أصابعها إلى أن فتحت الباب و خرجت مغلقة إياه خلفها بهدوء كي لا توقظه..

لا تدري بأنه كان مستيقظاً طيلة الوقت.. فما كادت تخرج.. حتى كان يفتح عينيه متنبهاً بإرهاق.. قبل أن يرفع يده ليلمس ذلك الجرح بأطراف أنامله..

يتساءل عقله ما المميز فيه؟! و لماذا لم تقبل جبينه و قبّلت هذا الجرح؟! أساساً هل ما شعر به كان حقيقياً؟! هل قبلت جرحه حقاً أم أنه محض تخيل من تخیلاته التي لا تنتهي بشأنها؟! زفر و هو يستند بيديه إلى السرير بصعوبة ليستقيم قليلاً.. سواء كان حقيقياً أو لا فهو لن يغير من حقيقة علاقتهما شيئاً.. هي ليست إلا علاقة مصلحة متبادلة سيذهب كل منهما في طريقه ما إن تنتهي !!

لكن و قبل أن يأتي ذلك اليوم "العصيب" عليه أن يكون قد نجح بامتياز في جعلها لا تتردد أبداً في تركه.. لا يجب أن تنظر إلى الوراء لأن ما ستراه لن يروق لها.. عائلة " أكرم الشاذلي " ليست بالسهلة أبداً.. و ما تقوله السيدة " عفاف سالم الشاذلي " تفعله حتماً..

و هو يعلم.. يعلم أنها ستؤذيها لو لم تلتزم بهذا الاتفاق كما هو.. و هو لن يستطيع التحمل.. لن يستطيع التحمل أبداً..

كما أنه لا يعلم حتى الآن عن حقيقة مشاعرها تجاهه.. ربما لا تحبه.. ربما هي مجرد مشاعر شفقة.. أو عواطف جديدة انتابتها بعدما تزوجته !

لو كانت تحبه حقاً لما وافقت على هذه الصفقة من الأساس.. لما كانت سترتضي له هذا الوضع.. نعم.. هي مشاعر شفقة لا غير.. و هو لا يريد أيّ شفقة.. الحقيقة أنه يكره وقع الكلمة حتى.. ربما هذه أكثر كلمة يكرهها بشدة.. كما يحاول جاهداً إرغام عقله و قلبه على كرهها.. حتى لا تجرفه براءة عينيها و.....

صوت طرقات خافتة فوق الباب قطع حبل أفكاره..فتنحج مجلياً صوته قبل أن يقول

بخشونة ؛

_ ادخلي !

دلفت شهد بعد أن كانت قد رتبت شعرها..كما العادة قامت بظفره لتركه منسدلاً فوق

كتفها يتجاوز خصرها من شدة طوله..ترتدي قميصاً قطنياً ناعماً يشبه الكثير من قمصانها..كان

بلون " البيج " ..و تحته تنورتها الطويلة التي تتخطى مرفقيها.....

إن شكلها البريء..البسيط لأقصى حد يزيد من جاذبيتها و سحرها في عينيه..لكنه لن ينصاع

لهذه الجاذبية..أبدًا..

قالت بخفوتٍ و عيناها تقعان خلسة على تلك " الكاميرا " المحفوظة فوق المنضدة بجانب

سريره ؛

_لقد جهزت طعام الإفطار و السيدة عفاف اتصلت.. قالت أنها ستأتي اليوم مع العائلة

لتزورنا..كما.....

_من سيأتي ؟!!!

هتف يقاطعها باستنكار و كأن ما سمعه لم يعجبه..فرفعت شهد عينيها لتلتقي بعينه في لمحة

خاطفة..ثم همست بنفس الخفوت ؛

_ذكرت اسمين..قالت أنها ستأتي مع السيد "شهاب" و الأنسة "سجى"..

_شهاب !!!

همس اسمه بملامح معقدة بنفور واضح..بينما تسمرت شهد تراقب نظراته التأهية

بصمتٍ..إلى أن قال بنفس نبرته القاسية..التي لا تقبل نقاشاً..

_لن تتحركي من جانبي حينما يأتون..مفهوم ؟! لا أريد لعيناى أن تغفل عنك و لو للحظة

واحدة..و لا أن تشاركي مع المدعو -شهاب- نصف كلمة.. باستثناء التحية..مفهوم ؟!

لم تستوعب شهد طلبه الغريب هذا..و لا حتى مناداته لأخيه بـ " المدعو " و كأنه يكرهه !!

لكنها رغم ذلك أومأت بانصياع و هي تعود لتنظر إلى الأرض..ثم قالت بعد لحظة بتلك ؛

_كنت..أريد أن..أسألك عن حصص الترويض..متى ستبدأ ؟!!

" يااااه يا شهد..

ألهذه الدرجة تتمنين أن تنتهي حصصى لتغاديرني ؟!

ألهذا الحد يشعرُ قربي بالقنوط و النفور ؟! أتراكِ تشمينني بأقبح الألفاظ في داخلِك !
أتراكِ تتمنين لي الموت أو الشفاء سريعاً لتتخلصي مني ؟!
أتراكِ تلعينِ قدركِ الذي وضعكِ في حياتي ؟! ألهذه الدرجة لا تكنين لي أية مشاعر صداقة
حتى ؟!!!! "

كانت هذه أفكاره المتألمة التي لم يسمح لها أبداً بالتأثير على ملامحه و هو يجيب سؤالها مردفاً
باقتضاب ؛
_بعد أسبوع تقريباً...

امتلاً البيت بوصول أمه و أخيه الذي يمقته حرفياً " شهاب " ...و سحى !
سحى فقط من كانت تملكُ علاقة ليست جيدة فحسب..بل أكثر من رائعة مع هادي..سحى هي
أخته التي لم تلدها أمه..لطالما كان يحبها و يرتاح لها و يفضلها عن الجميع..
سحى ذات الواحدة و العشرون ربيعاً و التي تصغره بسنتين فقط كانت له نعم السند و
العائلة أكثر من مَن يعتبرون أنفسهم أسرته..
فهي ابنة خالته التي توفيت قبل سنواتٍ طويلة..لتضمها والدته إلى منزلهم بدون أن تضمها
حرفياً !
سحى فقط من كانت تشاركه نفس المصير الأسود و الشعور بالنبذ من هذه العائلة..ربما هذا
ما جعلها تنضم لجمعية خيرية تدعى بـ " نحن المأوى " و تصبح عضواً لا يتجزأ منها..
رغم أنها لا تزال تدرس في كلية الحقوق لكنها اختارت أن تكون لها حياة خاصة عنهم..هذه
الحياة التي تكمن في عدد الأطفال الذين تكفلهم الجمعية..رغم أن والدته كانت تصر عليها أن تباعد
عنها و أن تهتم بدراستها فقط..
ليس لأنها تخاف عليها غالباً..بل لأجل صورتها أمام المجتمع النبيل !
لا يجب أن يعلم أيّ أحد من معارفها أن السيدة عفاف بفخامة قلبها الرقيق تنقص من قيمة
ابنة أختها التي تبنتها إلى عائلتها بدافع العطف و الكرم كما يتداولون..
أو أن ترسب في مادة واحدة فتشوه صورة عائلة " الشاذلي " العظيمة !
لكنها لم تستطع..فقط في هذا الأمر وجدت نفسها تتنازل عند إرادة سحى..عموماً هذا الأمر
أيضاً في صالحها..أليست هي أكبر ممولة لدار الأيتام حيث كانت تعيش شهد و مديرتها
أيضاً..فليقولوا أن الكرم في عائلتهم متوارث !!

شهاب !!!

لطالما كان يظن هادي أن هذا الإسم لا يليق به أبدًا..ربما هو أكثر شخص لا يليق اسمه به من

شدة قبح شخصيته و عبثها و الخلل فيها..

الأخ الأكبر بينهم و الأقل نضجًا و تعقلًا...و أخلاقًا !!

ما يزعجه حقًا هو أن هذا الرجل القذر يدعي حبه العميق لسجى !! بكل صفاقة هو يستمر

بالبهتان أمامهم بحبه لها !!

بل و قد تخطى هذا الحد و بات يعلن ملكيته الحصرية لها أمام الجميع.. بدعوى الغيرة و

العشق و ما إلى ذلك..هذا العشق الذي يعلم هو كل العلم بأنه ليس سوى وهمًا خلفته رغبته

بامتلاكها لا غير !

و غالبًا..ما إن يتمكن من جعلها تحبه سيفتر منها و يتركها كما هو معروف عنه !!

رمقه هادي بنظرة حاقدة واضحة و هو يمسكُ بيد سجى ليهمس لها بشيء ما..لكن ما قاله لم

يعجب هذه الأخيرة على ما يبدو..و التي لا يعجبها أي شيء فيه فدفعت يده لتنظر جانبًا بعيدًا عن

ملامحه المقرزة !

التفت عيناه بعينها فمنحها ابتسامة أخوية يخصها بها دائمًا و بادلتها بواحدة أخرى تشبهها و

أجمل مع غمازتها الكبيرة التي تليق تمامًا بملامحها الجميلة..

ثم التفت لينظر لـ..زوجته !

و قد لاحظ بأنها كانت ترتجف حريفًا..فقد كان رأسها مطرقًا و هي تقبض على قماش تنورتها

تعتصره بقوة بين أناملها المتوترة المرتبكة من هذا الجمع العائلي الذي لم تتعوده..

مالت عيناه قليلًا بحزن و هو يتعذب بحالها هذا..هو يعلم أنها لا يمكن أن تتأقلم أبدًا مع جو

عائلته مهما حاولت لألف سنة أخرى..إذا كان هو ابنهم و لم يستطع طوال حياته...فكيف عساها أن

تستطيع هي !!!

خاصة و نظرات أمه المتكبرة منصبة عليها تمامًا..كانت تدقق النظر بها بطريقة مخيفة

حقًا..لكل تفصيلة..من ثيابها..و جديلتها..و ارتباكها الواضح..

لا بد أنها تفكر أن هذه الفتاة لا تليق أبدًا بمكانة كنة في هذه العائلة..لا بد أنها ندمت لأنها

زوجتها لهادي حتى لو كانت مجرد صفقة براتب و مدة محدّدة..

هذا ما كانت تفكر فيه شهد قبل أن تنتفض بشكل مفاجئ حينما شعرت بلمسة حنونة جدًّا

فوق يدها..

رفعت رأسها لتلتقي أنظارها مباشرة بهادي الذي كان ينظر لها بنفس الجمود عكس لمسته الحانية..و تمننت لو يختفي هذا الجمود و يمنحها بدلاً عنه ابتسامة رقيقة كلمسة يده !
شهاب فقط من كان مستمتعاً بالوضع..و يبدو أن هذه الصغيرة قد راقته له..كما توقع هادي تماماً..تحفزت ملامحه و هو يرى النظرات العابثة تلون وجه شهاب..و هذه المرة تجاه
شهد..تجاه زوجته هو !!!!!

التقت عيناه بعيني شهاب الذي لم تختفي ابتسامته الكسولة المستفزة تلك فانعقد حاجبا هادي و هو ينظر له بطرف عينه بنظرة محذرة أن يتوقف عن النظر -لما يخصّه- بطريقته المقززة.....
_أمي..اطلبي من شهد أن تحضر لي فنجان قهوة !

قال و هو يميل على أمه بصوت هامس لم يسمعه سواها..و هي لن ترفض له طلباً بالطبع..قالت بنبرة أمرة لا تقبل النقاش ؛

_قومي و حضري للسيد شهاب فنجان قهوة !

رفعت شهد رأسها بسرعة و هي تسمع أمرها..و حاولت أن تقف بالفعل لكن يد هادي التي انتقلت من وضع اللمس إلى القبض على يدها بقوة منعتها..قبل أن تسمع صوته يقول بصلاصة ؛
_لن تحضر له أي شيء..إذا أراد أن يشرب القهوة فليقم و ليجهزها بنفسه..زوجتي- ليست خادمة !!!

تحفزت ملامح عفاف تلقائياً مع كلامه..كما ظهر بعض الإنفعال جلياً على وجه شهاب من هذا التمرد الذي لطالما كان يزعجه حقاً من طرف هادي..
الحقيقة أنه يتمرد ليس عليه فقط..بل على كل قوانين هذه العائلة..على الأقل هو لا يواجه هذه المشكلة مع -لؤي-..رغم أن الساذج الآخر يدافع دائماً عن هادي إلا أنه يحترم أهم قانون في هذه العائلة..

و الذي يجعل الولد البكر قائماً على إخوته..وجب أن يحترموه و يسمعوا كلامه !!

_سأسامح انفعالك -غير المقصود- هذا...دع يدها !

قالت أمه بنبرتها الأرستقراطية بكل برود و كأنها لم تسمع اعتراضه قبل قليل..و قبل أن يهتف هادي بشيء آخر يزيد من تكهرب الأجواء كانت سجي تنقذ الموقف و هي تقوم بسرعة بينما تقول ؛
_أنا..أنا سأجهزها لك كما تحب..و شهد ستساعدني..أليس كذلك ؟!

قالت آخر كلمة و هي تنظر لهادي بتعقل..فترك هادي يد شهد على مضض..همست سجي

مجدداً برفق و هي تنظر إلى شهد ؛

_تعالى يا شهد !

وقفت شهد لتلحق بها إلى المطبخ بصمتٍ بينما ظل هادى متسمرًا مكانه ينظر بين والدته و

أخيه بفكّ حاد و عينين غاضبتين...جدًا !

_لقد تعارفنا من قبل..أمل أنكِ تذكرتني !

قالت سحى مبتسمة ببساطة لشهد ما إن وصلتا إلى المطبخ..فأومأت شهد راسمة شبح

ابتسامة بالكاد ظهرت و هي تشعر براحة غريبة نحو هذه الفتاة..

قالت سحى مجددًا و هي تشرع في تجهيز القهوة ؛

_هل تدرسين يا شهد ؟!

كانت شهد تشعر بالخجل الشديد..لطالما كانت فتاة خجولة جدًا..كتومة و انطوائية لا تظهر

انفعالات إلا أمام أشخاص ندر..و هي لم تقابل هؤلاء الأشخاص الندر بعد..باستثناء هادى ربما !!

_لم يحن الموسم الدراسى بعد !

قالت بخفوتٍ و هي لا تزال تتجنب عينها تحاول بكل طريقة ممكنة أن تبقي على ابتسامتها

غير الملحوظة.. فضحكت سحى قليلًا برقة و هي تقول ؛

_أعلم..أقصد بشكل عام...هل تدرسين ؟!!

تلقائيًا كان حاجبا شهد ينعقدان بعض الشيء بقلق و عقلها يتطرق لأمر الدراسة..ماذا لو

أتى الموسم الدراسى و هي لا تزال هنا !!

لن تستطيع أن تلتحق بالجامعة حينها حتمًا !!!!

كانت سحى قد انتهت لشروودها الغريب..فقالت تنهها بحذر ؛

_شهد !!!!

أجفلت شهد و هي تلتفت إليها مجددًا..ثم لم تلبث أن قالت دون أن يرتفع صوتها ؛

_أنا..أنا سألتحق بالجامعة هذه السنة بإذن الله.....

_جيد !

همست سحى بنفس النبرة اللطيفة قبل أن ترتب فناجين القهوة في طبقها الخاص..ثم قالت و

هي تحثها للخروج ؛

_هل نخرج ؟!!!

اكتست ملامح شهد بالإحراج و هي تهمس بتوتر ؛

_لقد جهزتها بمفردك !

إلا أن سجي بدت أكثر من متسامحة و هي ترد ببساطة باقية على ابتسامتها الجميلة ؛

_نعم..و استمتعت بالكلام معكِ..

ظلت شهد تقف مكانها..ملاحمها باهتة و عيناها المتسعيتين قليلاً تهريان من عيني سجي و كأن مجرد النظر لها يعد تجاوزاً..فتداعت ابتسامة سجي قليلاً..و ظلت صامتة لعدة لحظات..قبل أن تهمس بنبرة جادة صادقة تخللها بعض التعاطف ؛

_لا ترتبكي بهذا الشكل يا شهد..أنتِ هنا في بيتكِ..تذكرى أنكِ زوجة هادي و نحن هنا من نزورك..لهذا ارفعي رأسكِ هكذا و كوني واثقة من نفسك حينما تتحدثين مع أيّ منا..خاصة و هادي يقدم لكِ كل هذا الدعم..لن تجدي شاباً أفضل من هادي يا شهد..صدقيني !

كلماتها و كأنها بددت حرارة التوتر الذي يتلقف شهد..فوجدت نفسها تلقائياً ترسم ابتسامة مرتجفة على شفيتها..ثم همست بشرود كبير و هي تهز رأسها بالايجاب ؛
_أعلم..

رفعت رأسها ببطءٍ لتقابل عيني سجي أخيراً هامسة بنبرة امتنان ؛
_شكراً لكِ !

حينها فقط..كانت الابتسامة تعود لترسم بتألق على شفاه سجي..ثم همست بشقاوة و هي تنظر للباب ؛

_هل نخرج إذا ؟!

أومأت لها شهد بصمتٍ..قبل أن تخرج برفقتها بهدوء إلى أن وضعت سجي القهوة فوق الطاولة لتعود و تجلس مكانها بملامح تلاشت منها الابتسامة ليبقى الجمود فقط و النفور من هذا الجالس بجانبها !

_هل تجيدين صنع القهوة أيضاً ؟! لم أكن أعلم !

سمعت صوته يهمس بنبرة ساخرة مزعجة جداً و هو يميل عليها بعد أن تذوق أول رشفة من القهوة التي أعدها..ثم أعاد الفنجان فوق الطاولة بحرص ليهمس مجدداً يخاطبها هي فقط بدون أن يسمعه أحد بنبرته المستفزة ؛

_أم أن -اللقطة الصغيرة- جهزتها عنكِ !

نظرت له سجي باستياء..و قد كانت تلك غايته ربما..فأرت ابتسامته المقيتة تتسع خلسة..ثم هز رأسه بكل هدوء و هو يكمل مؤكداً ؛

_سأؤكد من أن تجيدي صنعها بامتياز بعد أن نتزوج !

زفرت سحى بأعصاب متشنجة و هي تلتفت عنه مُصمّمة على النظر إلى كل مكان عدا وجهه..و
تمنت لو تختار مكاناً آخر بعيداً عنه..لكنها تعلم أنها مهما ابتعدت ستجده ملتصقاً بها..كما يظل
ملتصقاً بها طيلة الوقت !!

نظرت لشهد التي لم تكن تبدو مرتاحة أبداً..و لا هادي الذي هي أكثر من يعلم كم ينفر من
هذه التجمعات العائلية التافهة..و الحقيقة أنها لا تلومه أبداً..
هي أيضاً تتمنى أحياناً لو تجد طريقة واحدة تخولها الهرب بعيداً عن هذه المسؤولية إلى الأبد
!!!

ثم نظرت لخالتها التي كانت تجلس بكل تبجح..تسند ركبة إلى الأخرى.. بينما ذقنها مرفوع كما
هي عاداتها و عيناها تدققان النظر بشهد و كأنها تحاول حل معضلة عظيمة..
و هذا غالباً ما يجعل شهد المسكينة لا تشعر بالإرتياح !!
رغم أنها لا تعرفها شخصياً..و لم تقابلها من قبل قط..إلا أنها من الفراغ شعرت بمشاعر
غريبة تجتاحها ناحيتها..ربما ليست إشفافاً بقدر ما هي رغبة بدفعها عن التعرض للأذى من هذه
العائلة !!

خاصة خالتها..

أليست تخصّ هادي كما أعلن قبل قليل بكل ثقة ؟! إذن فهي تهتمها أيضاً !!
قالت بخفوتٍ لعفاف و هي تحاول لفت انتباهها عن شهد ؛
_خالتي !

نظرت لها عفاف بهدوء..فقالت سحى بنفس النبرة ؛

_أنا لذيّ غرض مهم ينتظرني..هل أستطيع الذهاب الآن ؟!

و صمتت منتظرة جوابها..بينما ضاقت عينا شهاب قليلاً و هو ينظر لها بتمعن..يتساءل في

عقله عن ماهية هذا الغرض الذي لا علم له به !!!

لم تجب عفاف..فقد وقفت فجأة بهدوء..و قالت بدون أن تتوقف عن النظر إلى شهد من علو
و كأنما تشعر بالتقزز من مجرد فكرة الجلوس في نفس المكان مع فتاة ليست من مستواهم..

_أساساً جميعنا سنذهب !

تجاوزت شهاب و سحى اللذان كانا قد وقفا هما الآخرين..إلى أن توقفت بجانب شهد..و مالت
عليها لتهمس في أذنها بنبرة خافتة جداً في خطورتها..لم يسمعها أحد غيرها!

_أريد لنتائج وجودك معه أن تظهر سريعاً..في المرة القادمة التي أزوركم بها لا أريده وقحاً بهذا الشكل..فليكن هذا الجانب منه من نصيبك أنتِ..و تذكرى أنك لو خرقت الإتفاق..أو حاولت استخدام سحرك البريء هذا و جعله يجذب لك مجدداً فسأجعلك تقتلين نفسك من شدة الندم..هذه المرة سيكون العقاب أقسى من المرة السابقة..تذكرى ما سأقوله الآن جيداً...-لا مستقبل لكما معاً- !!

كانت عينا شهد متسعتان على أقصاهما و هي تسمع كل كلمة منها لتفتح عقلها فوراً..فعلم هادي أن لسان أمه السام يقوم بعمله الآن..قبل أن تستقيم مستأنفة سيرها بأناقة شديدة نحو الباب إلى أن غادرت..

راقبتها سحى و هي تبتعد..قبل أن تقترب من هادي..هذا الأخير الذي كانت أنظاره منصبة نحو ملامح شهد الشاحبة الآن..لكنه أرغم نفسه بصعوبة شديدة على الانشغال عنها قليلاً حينما انخفضت سحى لتلف ذراعها حوله..تضمه مودعة بطريقة جعلت وحوش الغضب تظهر بعيني ذلك الذي كان لا يزال يقف ورائها يراقبها و كأنها جزء متصل منه..

و قد كان ذهن هادي مشغولاً لدرجة أنه لم يلمح تعابير تلك حتى حينما رفع يده ليبادلها هذا العناق مرتبطاً على ظهرها برفق..و لو كان قد لمح لها اهتماماً أساساً ! ثم نظرت لشهد ببعض الأسى..و تمنى لو تمنحها كلمة أو أخرى تريحها بها..لكنها لم تستطع أن تفعل الآن أكثر من أن تمد يدها إلى أن لمست بها وجنتها لمسة رقيقة جداً رفعت على إثرها شهد رأسها إليها..

منحتها سحى ابتسامة مهتزة قليلاً اخترقت قلب شهد بصدقها..قبل أن تلتفت بعدها لتتجه إلى الباب يهدوء..

و تلك الشعلة المتقدة المُسماة بـ"شهاب" تلحق بها !!

"4: سجي"

#سجي

مرحبًا ، أنا.....سجي ! جزء لا يتجزء من هذه القصة الكئيبة- ربما !!!
لكنني كنتُ الجانب المتفائل منها..لطالما كنت تلك الفتاة التي تستقبل كل ما يحدث في حياتها
بابتسامة..حتى لو كانت حزينة مريرة...تظل ابتسامة !!
عشتُ تحت وصاية سيدة تلقب بالاسم -خالتي- !
في ظروف لا تناسب كليًا ما يعرفه الناس عن حياتي..و لا يمكن أن يعلموا..فالسيدة عفاف
بفخامة قدرها أفنت عمرًا كاملاً لتبني هذه الإمبراطورية و تجعل من صورتها أمام المجتمع رائعة..
إنها تلك المرأة العظيمة المتفانية -في نظرهم-..أما في نظري أنا..و إن كنت حتى هذا اليوم لا
أزال و بكل صدق أكن لها بعض الإحترام و الكثير من الحُب كونها لم تتخلى عني..كونها..كانت أمًا ثانية
لي..

لكنني لا أراها سوى امرأة أنانية في حميها لأولادها..أنانية للحد الذي جعلها لا تهتم يومًا بزرع
أخلاق حميدة فيهم بقدر ما كان كل شغلها الشاغل جمع المال لأجلهم..و بناء صورة رائعة لهذه
العائلة..و التستر على كل أخطائهم بالطبع !!!
دعوني لا أقول أخطاءهم..هي أخطاء لشخص واحد..أكثر شخص أكرمه في هذه الحياة..و
أكثرهم التصاقًا بي...شهاب !!!
حسنًا..لأصحح ظنونكم فهو ليس شابًا عابثًا مغرورًا فحسب..بل هو أكثر من ذلك بكثير !
تستطيعون أن تصفوه بالمذنب البريء..و المجرم الذي ينفذ جرائمه في النور بلا أي أدنى
خوف أو شعور بالتأنيب..
لا يزال حتى الآن يدعي حبه لي في نفس الوقت الذي يمتلك فيه علاقات لا تعد...كلها غير
شرعية !!

ليس لهذا السبب أكرمه فقط...بل لسبب أقوى !!
كونه -اعتدى- على فتاة بريئة قبل أربع سنوات !!
حتى ابنة " مدبرة المنزل " التي أمضت نصف حياتها معنا تحت سقف واحد تخدمنا بتفانٍ لم
يرحمها و اغتصبها بكل وحشية حينما علم باهتمامها به !

لكنه كما أخبرتكم لم ينل أيّ عقاب..و بدل ذلك كانت الفتاة من نالته بـقتل نفسها- بعد فترة

ليست بالطويلة من فعلته الشنيعة بها !!

ليكمل حياته بكل دم بارد بعد أن إهتم والداه بالطبع بنفي كل التهم عنه عبر استخدام

أموالهم الطائلة و نفوذهم الذي لا ينتهي !!!

هل استطعتم تفهم موقفني الآن ؟!

أنا أكرهه..ربما ليس كرهًا فقط..أنا أنفر منه..أمقته..أشمئز منه لأقصى درجة قد توجد !!!

_انتظري !!

سمعتُ صوته المقزز يهتف من ورائي..فوقفت على مضضٍ لألتفت بسرعة هاتفة به ؛

_ماذا تريد مني بعد ؟!!!!

و جوابًا على هذا السؤال امتدت يده الوقحة لتقبض على ذراعي بقوة مفاجئة..بينما همس

هو أمام عيناى بنبرة مرعبة..تظهر هذا الجانب المتسلط منه و الذي أعرفه جيدًا ؛

_كم مرة حذرتكِ من لمسه ؟!! لماذا لا تسمعين الكلام ؟!!!!

نظرت له بذهول و أنا أهمس بعدم فهم ؛

_هل تقصد هادي خاصتي ؟!!

و مع كلمة " خاصتي " التي قلتها كان يتركُ ذراعي ليهتف بعنف أحرق ؛

_ليس خاصتك..لا تقولي خاصتي مجددًا..هل تفهمين ؟!!!!

ثم اقترب و قد انخفض صوته ليقول من بين أسنانه بحدة أمام وجهي ؛

_أنا فقط من أخصّكِ..افهمي..أنا فقط من يخلصكِ هنا و لا أحد غيري !!!

زفرتُ أنفاسي بإرهاق من هذا الموال الذي نعيده كل يوم و لا ينتهي..ثم قلت بكل صراحة و

جدية ناظرة في جوف عينيه الغاضبتين ؛

_ثانيًا هذا الموال ! كم مرة أخبرتك يا شهاب أنني لا أحبك..أنت لا تعني لي أيّ شيء..لا أكن لك

أيّ مشاعر حب أو احترام حتى !!!

صمتُ للحظة أنظر للأرض بإرهاق..ثم عدت لأرفع رأسي نحوه مجددًا و استأنف بما يشبه

الرجاء ؛

_أرجوك..أرجوك أن تخرجني من تفكيرك تمامًا..أنا لست لك..و لن أكون..لن.....أكون..هل

تفهم ؟!!!!

نطقْتُ سؤالي الأخير بنبرة مشتدة..إلا أن تلك النظرة في عينيه..لم تتغير كثيرًا..نفس الحدة و
التجهم والإصرار و هو ينظر لي و كأنما يستمع لشخص يهذي..ثم قال بكل ثقة و ابتسامة هادئة
ترتسم على شفثيه بتأني ؛

_هل انتهيت ؟! اسمعيني أنا الآن.....

اقترب خطوة أخرى مني ليهمس بصوتٍ خافت هادئ..و بطيء جدًا ؛
_أنا..."شهاب الشاذلي"..ضعي في عقلك هذا الإسم و تذكره جيدًا..شهاب الشاذلي الذي
يحصل على كل ما يريده..و أنا أريدك -أنتِ-..و سأحصل عليكِ شئت أم أبيت..لهذا كلما تقبلت الأمر
الواقع أسرع كلما أصبح الوضع أسهل بالنسبة لكِ..
صمت للحظة ثم أكمل من بين أسنانه..و قد كنتُ قادرة على تمييز كل محاولاته في إضفاء
أكبر قدر من الهدوء على نبرته..لولا أنه لم ينجح تمامًا..فخرج صوته متشنجًا قليلًا..مشتدًا كتيار
كهربيائي معرض للتمزق..

_لا تجعليني أعاملِك بعنفٍ فهذا فقط ما لا أَرْضِيهِ لِكِ..و ما يجعلكِ مختلفة عن كل
الفتيات اللواتي دخلن حياتي ليس كونكِ ابنة خالتي..بل لأنني أحبك..انظري أقولها مجددًا.. أنا أحبك
أنتِ!..و ما يحبه شهاب يصبح له فورًا..تذكرني هذا جيدًا..و تذكرني أيضًا أنني لست من هذا النوع
الذي يجب الانتظار كثيرًا..هي مهلة فحسب سأمنحها لكِ..و أتمنى أن تتعقلي و تو افقي لنبدأ في
مراسم الزفاف..و إلا.....

صمت دون أن يكمل..لكن عينيه أكملتنا و أدركت أنه ليس إلا تهديدًا مشفرًا لجعلي أخاف لا
أكثر..لكنني بقيتُ حريصة على أن لا أظهر أمامه أيّ خوف رغم أنه يجعلني أشعر به أحيانًا..و اكتفيت
بأن ابتسمت بسخرية و أنا أهز رأسي بيبأسٍ منه..
قبل أن ألتفت بهدوء مقترية من سيارتي إلى أن اتخذت مقعدي بداخلها و انطلقت بعيدًا عن
انعكاسه الخبيث الذي ظل يلاحقني في المرأة لبضعة ثوانٍ أخرى..

- جمعية دار الأيتام " نحن المأوى " -

ابتسمتُ براحة بالغة و أنا أقف هنا أخيرًا..أمام عالمي الصغير القابع في الجهة الأخرى من هذا
الباب العريض..

عالمي البريء الذي لا ألمح فيه شيئًا عدا تلك الوجوه البريئة و هي تنتظرني بشوق..

تلك الوجوه التي ذكرتني باسم واحد الآن..للأسف شهد !!

رغمًا عني..كنت أشعر بتأنيب ضمير قوي ينتابني تجاهها..حتى لو لم يكن لي دخل في ما
تعيشه فهي هناك بسبب أفكار خالتي..

أكاد ألمح فيها كل وجه من وجوه " أطفالى " الهية.. هادئة..بسيطة..و بريئة القلب و الملامح
مثلهم..ربما هذا ما يجعلني أعاطف معها بشدة !

مجرد تعاطف بريء لن يغير من وضع حياتها شيئاً..فأنا رغم رفاهيتى لا أملكُ ربعاً من الجرأة
التي ستجعلني أقف ضدّ خالتي لأجل فتاة تعرفت عليها قبل يومين !!!!

تقدمتُ بهدوء ما إن فتح الباب على مصراعيه أمام وجهي لأدلف ناظرة حولي بحماس..نفسه
الحماس الذي يحتل ملامحي كلما قابلت وجوههم الصغيرة الفرحة !!

و كالعادة..سقطت على ركبتي و أنا أفتح ذراعى برحابة لهم لأغرق في نوبة من العناق و
القبل و التأنيب..منهم من يتدمر لأننى تأخرت..و منهم من هو سعيد بوجودي فحسب..

و منهم من كنت قد وعدته بهدية نسيته في غمرة إنشغالي !!

كهذه الصغيرة التي نظرت لي بعتاب الآن..فاتسعت ابتسامتي الحنونة المعتذرة و أنا ألمس
التقلص الطفيف الذي ظهر على أطراف شفتيها دليلاً على استعدادها للبكاء..قلت معذرة بحزن

مزيف تماماً غير قادرة على عدم الابتسام بحُب على شكلها اللطيف ؛

_اممم..يحق لكِ هذا الغضب لأننى أستحق..لكن البكاء ماذا قلنا عنه ؟!!!!

_ممنوع في قاموسنا !

همست لي بصوتها المختنق قليلاً بغير رضا تام..فضحكتُ قليلاً و أنا أقول مجدداً بحماس
بينما أخرج من حقيبتي " بسكويت " بالشوكولا التي يعشقها الأطفال و أمدها لها..

_خذي هذا الآن..و دميتكِ التي قلتِ عنها ستكون في يدكِ غداً..ماذا كان اسمها ؟!!!!

لم تبدو تلك الصغيرة راضية أبداً حتى بعد كلامي..لكن هذا لم يمنعها من أن تأخذ البسكويت
منى لتفتحه و تبدأ في قضمه..ثم قالت مدعية الضيق بينما عيناها تبرقان سعادة ؛

_ " ماشا ".....

_و الدُب ؟!!!!

قلتُ مبتسمة بترقب..فهزت رأسها بالنفي هامسة بعبوس ؛

_الذئب تحضرينه لـ " أمجد " ..ماشاش للفتيات و الدب للفتيان !

و بالطبع..لم أستطع سوى أن أهز رأسي بطاعة لها..ثم قلت و أنا أبحث حولي بعيناي ؛

_بما أنكِ ذكرتِ اسم أمجد..فأين هو ذلك الشقي ؟! أنا لا أراه !

أشارت لي بأصبعها على اتجاه معين بدون أن يتلاشى العبوس من ملامحها.. لكنني ما كدت ألتفت لأنظر إلى حيث تشير.. حتى كانت عيناى تتسعان بقوة و أنا أراه يتشابكُ بالأيدي مع فتاة أخرى.. ثم لم ألبث أن وقفتُ بسرعة مقترية منهما إلى أن قبضت على ذراعيهما أبعد كل واحد منهما إلى جهة.. و هتفت تلقائيًا أخاطب أمجد بتأنيب بما أن هذا النوع من الشجارات ليس بالغريب عليه ؛
مجددًا..مجددًا يا أمجد..ماذا علمتك أنا ؟!!!!

أطرق أمجد برأسه أمام نبرتي الصارمة ليقول من تحت أسنانه بغیظ ؛

_هي من تجرأت بمد الأيدي أولاً !

نظرت للفتاة الصغيرة الآن و أنا أقول بتفاجئ ؛

هل حقًا ؟!!

قالت بنبرة تشبهه و هي تنظر له برغبة لمحتها في عينها في أن تضربه مجددًا ؛

_إنه لا ينفك عن التدخل بشؤوني الخاصة دون اعتبار لكوني فتاة و هو ولد !!

الآن فغرْتُ في بصدمة تمامًا..و همست و أنا أكبح ابتسامتي بصعوبة ؛

حسنًا أيتها السيدة الصغيرة..ما نوع هذه الشؤون التي تدخل بها ؟!!

قالت بنفس النبرة المغتظة منه ؛

_لا يسمح لي بإطلاق شعري لأنه طويل..هل هذا من شأنه أيضًا ؟!

تظاهرتُ بالتفاجئ الشديد رغم أنني فعليًا كنت أشعر به داخليًا..ثم لم ألبث أن قلت بسرعة و

أنا أنقل أنظاري إلى أمجد ؛

لا..ليس من شأنه بالطبع..لماذا تتدخل بشؤونها يا أمجد ؟!!!!

و كم كان جوابه مدهشًا و غريبًا..بحيث قال و هو يعقد حاجبيه بعنفٍ لا يلائم سنه كطفل

صغير أبدًا..

_لأنها تخصني فحسب..و لا أحب أن يلتفّ حولها الفتيان منبهرين بشعرها الرائع كما

يعتقدون !

تخصني فحسب !! ها..و شهاب آخر هنا أيضًا !

زفرتُ بإرهاق..ثم تركت معصميهما حيث كنت لا أزال أقبض عليهما تفاديًا لأيّ تشابك

جديد..و قلت و أنا أنخفض إلى مستواهما إلى أن أصبحت جالسة على ركبتاي..موجهة كلامي لأمجد

الآن ؛

_حسناً..إذا لم يكن رائعاً بالنسبة لكَ فأنا أراه رائعاً جداً..و بالفعل..أنت لا يجب أن تتدخل

في شؤونها الخاصة..نعم...و لا ترفع يدك عليها مجدداً !!

_حتى لو رفعتها هي ؟!!!

قال و هو يرفع حاجبيه باستنكار طفولي..فقلت فوراً بجدية و أنا أنظر بينهما ؛

_و لن ترفعها هي أيضاً..اتفقنا ؟!!

كان صوتي صارماً بعض الشيء..فهزت تلك الصغيرة ذات الملامح الناعمة رأسها بطاعة رغم

العبوس الذي لم يفارق نظراتها..قبل أن تقع عيناى على إحدى المشرفات التي كانت تقترب منى..

إلى أن وصلت إليّ تزامناً مع وقوفى..لتقول مبتسمة بلطفٍ ؛

_مرحباً بكِ آنسة سحى !

ابتسامة مشابهة لابتسامتها ارتسمت على شفاهي و أنا أوماً لها في تحية صامتة..قبل أن يقاطع

اللحظة صوت رنين هاتفي..فأخرجته من جيب معطفي الرمادي لأنظر للرقم..

و قد كان...شهاب !! مجدداً !!!!

زَمَمْتُ شفتاي على نظرة استياء لامست عيناى و أنا أضغط زر إغلاق الخط غير عابئة به..ثم

عدت لأدسّه في مكانه المخصّص بحزم..لكنه عاد ليرن مجدداً في نفس اللحظة..

و تلك المرة..عجزت عن تمالكِ نفسي فأخرجته بسرعة لأفتح الخط بدون أن أنظر لرقم

المتصل حتى مجيبة بانفعال ؛

_أقسم يا شهاب سو.....

_لؤي...أنا لؤي !

سمعتُ هذا الصوت المألوف..الحبيب..يقاطعني فوراً بقوة و كأن صوت صراخي قد أفزع

صاحبه..فعقدت حاجباى قليلاً..و زفرت أنفاسي بإرهاق و أنا أهمس ؛

_لؤي ؟!!!

ثم عدت لأتهد بتعب أكبر هامسة كمن وجد منقذه ؛

_لؤي ! هذا أنت !!

سمعتُ صوته المبتسم المرح يقول مؤكداً من الجانب الآخر ؛

_نعم..لؤي..ماذا فعل لكِ ذلك الغي مجدداً ؟!!

فقلت باستياء ؛

_و ماذا سيفعل غير الالتصاق بي و الاتصال بي كل دقيقة !!

زفرتُ للمرة الثالثة و أنا أنظر حولي عشوائيًا..أرى أطفال الصغار يلعبون في كل مكان من حولي..قبل أن أسمع صوت لؤي يسأل بلطف ؛

_ أين أنتِ ؟!

و رغم بعض الهدوء الذي كان قد بدأ يستعمر عيناى مجددًا و أنا أقف في منتصف أكثر مكان أحبه في العالم..إلا أنني لم أستطع أن أمنع نفسي من أن أقول بفضاظة ؛
_ ولماذا تسأل أنت الآخر ؟!!

هنا فقط..كنت أسمع صوت ضحكة يائسة من لؤي..قال بعدها بشقاوته المعهودة ؛
_ربما لأنه يوم إجازة..و أنا أشعر بالملل الشديد..لهذا فكرت أن نلتقي و نتزّه قليلاً كالأيام الخوالي..تتذكرين ؟!!!

رغمًا عني تبسمت و أنا أتذكر تلك الأيام التي ذكرها..حينما كان لؤي لا يزال يدرس و كنا لا ننفكّ ننظم أمسياتٍ و رحلاتٍ لا مثيل لها..و يشاركنا فيها هادي غالبًا..
و أحيانًا حتى كنا نخرج ثلاثتنا للتزّه في جو لا يخلو من المرح و الشقاوة و التعليقات الساخرة
مني أو من أحدهما دون أن يأخذها أحد منا بجدية فعلاً..قلت بتهيدة عميقة ؛
_ وكيف عساي أن أنسى ؟!!

ساد بعض الصمت من طرفه..ثم قال بجذل ؛

_هل أفهم أنكِ مو افقة ؟!

لم أتردّد أبدًا في إجابته بنبرة استنكار مازحة و كأنني أحاول أن أنسيه فظاظتي السابقة ؛
_أكيد !

و حينها سمعت صوت تهديدته الهادئة..ثم قال بنفس الهدوء ؛

_حسنًا إذًا..أخبريني أين أنتِ لأمر عليكِ و نذهب سوياً..

لم تكذ تمر بضعة دقائق..حتى وجدته يتوقف بسيارته أمام الميتم حيث كنت أقف مستندة إلى سيارتي البيضاء في انتظاره..اقتربت منه مبتسمة بحماسٍ شديد لم ينفكّ قلبي عن الاختلاج به..
و ما كدت أن أتخذ مكاني بجانبه في سيارته..حتى أتاني صوته يقول بحذر زائف...كل الغاية منه مشاكستي بالطبع !!!

_أخبريني أولاً..هل السيد شهاب يعلم عن نزھتنا هذه ؟! لأنني لست حمل أيّ مشاكل أيتها

السيدة المرتبطة !!!

تعتمد أن يلقبني بتلك العبارة الأخيرة المزعجة..و قد شعرت بالانزعاج بالفعل منه..فضربت ذراعه براحتي لأهتف به باستياء رغم رغبتي القوية في الابتسام تجاوبًا مع ابتسامته المحببة للقلب..
_والله أنزل الآن و أترك مشوار التنزه الغبي هذا لك وحدك !!!!

لم يكن يستطيع أن يتجاهل تهديدي "المخيف جدًا" بالطبع..فرايته و هو يهز رأسه لي بسرعة و بخوف زيفه بإتقان كما زيفت أنا نبرتي المستاءة تلك.. فأنا لا يمكن أن أستاذ من لؤي أبدًا !!
حسنًا..أعترف أن هادي أكثر قربًا لي منه..لكن علاقتي بلؤي تظل مميزة جدًا..غالبًا..كنا نتشارك أنا و هادي أسرارنا حتى الخاصة منها و نتشاطر أحزاننا و مشاعرنا..و إن كانت هذه الصفات قد بدأت تتداعى قليلًا بعد حادث هادي الذي غيره تمامًا عن ذي قبل و حوله إلى شخص أكثر عزلة..شديد الانفعال و الغضب..

لكن لؤي كان مختلفًا تمامًا..صحيح أننا لا نتشارك أسرارنا و لا نتكلم كثيرًا بمواضيع جادة..أو لا نجد وقتًا لذلك..

كونه حريفًا لا ينفك يضحكني و يشعرنني بالأنسة بمزاجه و لطافته المبالغ بها كلما تكلمنا..للحد الذي يجعلني أتناسى تمامًا أي أمور جدية أو مزعجة معه !
إلا أنه كان يشبه..صديقي المخلص..مساحتي الأمانة و وسيلة فعالة لزرع الأمل في قلبي !!!
عكس شهاب الذي لا يجلب لي سوى مشاعر التقزز و الكره !!
أحيانًا أتساءل بجدية..حقًا ! كيف يمكن لهؤلاء الثلاثة أن يكونوا إخوة ؟!!!! و الجواب...لا
جواب !!!

و كما العادة..فقد مضى نصف هذا اليوم بشكل رائع الجمال عكس النصف الأول..أنا و لؤي لم نترك مكانًا لم نتجول فيه..
من ساحل البحر..و المتنزه القريب من الجامعة حيث كنا نأتي قديمًا بشكل دائم..إلى المطعم و قد قررنا خرق القاعدة و تحمل التوبيخ اليوم فقط من خالتي و تناول وجبة العشاء في الخارج..
إلى أن توقفت السيارة أمام باب القصر الشديد الفخامة لعائلة " الشاذلي "..
كنا نتبادل الضحكات النقية أثناء اقترابنا سويًا من الباب الداخلي..لكن جسمًا عريضًا طويلاً اعترض طريقنا فجأة قبل أن نصل..
كان يقف مستقيم الظهر..عاقداً ذراعيه و ملامحه بجمود تام..
نظرت إليه و كما العادة..كان....." شهاب "!!!!

"5 ؛وردة حمراء"

#سجى

_مساء الخير !

قلتها بفتور و أنا أنظر لهذا الجبل الذي لا يتزحزح من أمامنا..فاكتفى بأن نقل أنظاره
الغاضبة جدًا بيننا..قبل أن تتسمر عيناه للحظة على ذراع لؤي الذي كان ملتقًا حول كتفائي..
لكن ما فاجئني بالفعل أن لؤي لم يبعده..بل شدّد من ضغط ذراعيه حولي و كأنه بهذا يقصد
مجاورة شهاب لا أكثر..و قد نجح بالفعل..تأكدت من نجاحه و أنا أرى هذا المزعج يرفع عينيه إلى
لؤي..ثم قال بنبرة تنبئ بالشر ؛

_هل تحاول أن تتحاذق معي يا هذا ؟!!!

تصنع لؤي عدم الاستيعاب بمهارة و هو يعقد حاجبيه قليلًا..فزجره شهاب بنظرة قاتلة قبل
أن يقبض على ذراعه بقوته المتسلطة ليبعده عني..و يهتف به من بين أسنانه ؛
_سأقتلك في المرة القادمة لو فعلتها أمامي..أنت و الغبي الآخر..كم مرة نهتكم على هذا الأمر
بالذات !!!

بدا لؤي في أوج بروده و هدوءه و هو يُمط شفتيه بتفكير زائف للحظة و كأنه يعتمد فقط

استفزاز شهاب..ثم قال بصوته البارد يمنحه ابتسامة عريضة ؛

_مرة أو مرتين..لكنني نسيت تمامًا..تعالى يا سجى !

ثم عاد ليحاوط كتفائي برفق و هو يضيف بجدية تامة بعد أن سقطت الابتسامة المصطنعة
عن وجهه..فبدا نداءً لند مع شهاب الغاضب..

_لا تنسى أنها تكون " ابنة خالتي " أيضًا..حتى حبك الأسطوري هذا لها لن يمنعني من أن أتكلم

معها و ألمسها..و أضمها حتى !

سلم لسانك !

لوهلة كانت هذه الكلمة ستخرج من فمي و أنا أنقل أنظاري بينهما بابتسامة خفية منتصرة..

قبل أن يختتم لؤي هذا النقاش حينما قال ؛

_تصبح على خير !

تجاوزناه بعدها بكل هدوء إلى أن اختفينا بالداخل..بينما ظل شهاب متسمراً مكانه كشخص عاجز تمامًا عن تحريك قدميه أو لسانه ضد هذا " القصف " الذي منحه لؤي إياه !

صباحًا كان الجو أكثر هدوءًا..شعرت براحة بالغة حينما لم ألمح شهاب في طاولة الإفطار و علمت أنه ذهب للعمل مبكرًا اليوم..

_صباح الخير !

قلتُ بهدوء لـ " عمي أكرم " و خالتي و لؤي و أنا أتخذ مقعدي لأهم في الأكل ببساطة..لكن أمرًا صارمًا صدر من خالتي باقتضاب أوقفني ؛

_ليس بعد !

تراجعتُ بغير رضا تام و أنا أنتظر أن يأذن مزاجها و تسمح لنا بالأكل سريعًا..فلا وقت إضافيًا لديّ لأضيعه في التحديق في كل مكان بلا هدف !

كان لؤي يجلس في أقرب مقعد لي..و قد بدت تعابيرهِ متشابهة مع تعابيرِ..حتى أنه لم ينفك عن رمق ساعة معصمه بين كل لحظة و أخرى بقنوط شديد..إلى أن تقدمت الخادمة لتضع آخر طبق..و حينها فقط كانت خالتي تقول بنفس نبرتها مانحة إيانا الإذن لنشرع في الأكل..

_ابدأوا.....

كان الصمت -الكئيب- يسود في القصر كما العادة..كل ما يسمع بيننا هو صوت الملاعق أو حينما يضع أحدنا كوبه فوق الطاولة بهدوء شديد..

كم كنت أكره هذا الصمت !!

و كأننا لسنا أفراد عائلة واحدة نعيش تحت سقف واحد..الجميع ملزم بالتقيد بقوانين خالتي و زوجها..و اتباع أخلاق و قواعد الطبقة النبيلة التي ننتمي لها.. حتى أثناء الأكل !! لا..ليس الجميع في الحقيقة..فقد سمعت لؤي يهمس في أذني بصوتٍ خافت جدًا و هو يميل علي قليلًا..

_انظري..و السيد شهاب ليس موجودًا أيضًا..ما رأيكِ أن نخرق القاعدة نحن أيضًا و نتناول

الغذاء في الخارج ؟!!!!

كان صوته يحمل نفس الشقاوة المعهودة و المرح اللطيف..فرفعت المنديل بخفة لأمسح أطراف شفّتي بأناقة..ثم همست بسخرية بدون أن أنظر له..حريصة ألا يصل صوتي لخالتي و عمي..و العشاء أيضًا لكي تلقي بنا خالتي خارج المنزل و تصفق الباب في وجهينا...ما رأيكِ يا ذكي ؟!!!!

رمقته بنظرة استهانة في نهاية كلامي..فزمت شفتيه قليلاً بامتعاظ و هو يعود ليستقيم في جلوسه..وكذلك فعلت أنا الأخرى..

كلانا نتظاهر بأننا لم نلاحظ نظرات خالتي التي انتقلت بيننا بشيء من الانزعاج..انزعاج لا سبب له على الأرجح !

همستُ بعد لحظاتٍ و أنا أدفع الكرسي قليلاً نحو الوراء لأقف على عجالة من أمري ؛
_بالعافية لكم !

قبل أن ألتفت هامة بالذهاب..إلا أن صوت لؤي الذي انطلق بهدوء من ورائي أوقفني لوهلة ؛
_انتظري لأقلبكِ معي !
_لن تقلها !

لم أكد حتى أفتح فمي لأجيبه..حتى وجدت صوت والده يقاطعني بذلك الأمر..فالتفتُ قليلاً لأنظر للملامحه المقتضبة على الدوام..أسمعه يستأنف بنفس النبرة المقتضبة الأمرة ؛
_شهاب لديه عمل هام خارج المدينة و أنت من ستتخذ مكانه اليوم لذا ستذهب معي حالاً
بدل تأخير اتك المعتادة !

ثم نظر لي مردفًا بتسلط ؛
_و أنت سيقلك السائق..

لطالما كانت نبرته في مخاطبتي لا تعجبني..لكنني كنت أتجاهل و أنا أدركُ أنه هو هكذا..حتى أولاده الذين من صلبه يكلمهم بنفس النبرة الخالية من أي عاطفة...فماذا عني ؟!!!
أومأت بحركة لا معنى لها و تعاير باردة..قبل أن أمنح لؤي ابتسامة صادقة قابلها بمثلها و هو يغمز لي..ثم استدرت مكملته طريقي باتجاه الباب..

و بالطبع..كنت أنا من أستقل سيارتي و أقودها بنفسي..بعد أن أمرت السائق الذي فتح الباب لي و كأنه سمع أمر عمي أكرم بالفعل و سيقلني..
_سأقود بنفسي..شكراً لك..

بدا متردداً قليلاً و هو يقف أمامي ببدلته الرسمية لا يزال قابضاً على طرف الباب المفتوح..لكنه لم يملك من أمر نفسه في النهاية سوى أن يهز رأسه لي بطاعة و يعيد غلق الباب..
حينها فقط كنت أتجه إلى الجهة الأخرى من السيارة لأفتح الباب بنفسي و أتخذ مكاني..قبل أن أنطلق بسرعة مناسبة متجهة إلى جامعتي..

متجاهلة أمر "السيد أكرم" تماماً !!

كالعادة أنا كنت تلك الفتاة التي تلتفت لها جميع الرؤوس ما إن تركن سيارتها الفخمة أمام
بوابة الجامعة و تنزل منها بخطوات هادئة واثقة..

و أنا أيضًا تلك التي تسير بين كل تلك النظرات بثقة..غير عابئة بأي أحد غير نفسي..كنت
أمشي بذقن مرتفع و خطوات أنيقة..يكاد كعب حذائي أن يرسم آثاره فوق الأرض التي بالكاد يلامسها..
لقد كانت أناقتي -بدون مبالغة- ملفتة للأنظار دائمًا بغير تعمد مني..لا.. ليس السر الوحيد
نوعية ثيابي الفاخرة و لا ثبات ملامحي الجذاب..

بل كان ذلك اللقب الذي يعرفه الجميع !!

فأنا بينهم..لم أكن مجرد طالبة عادية..بل أنا قريبة من الدرجة الأولى لعائلة " الشاذلي "
المشهورة..بل و أكثر من ذلك أنا أعتبر كابنتهم تمامًا كوني أعيش تحت سقف واحد معهم..
حتى أن أغلب الطلاب كانوا ينادونني بـ " سجي الشاذلي " عوض لقبى الحقيقي !
حسنًا..ربما كذبت في نقطة واحدة..

باستثناء نفسي..كان هناك شخص آخر..مميز..وحده من يجعل عيناى تبرقان حبًا كلما

لمحته..أو نظرت في عينيه !!

كان حبيبي أشرف !!

و كما العادة ما إن وقعت عيناى عليه من مكاني..حتى توقفت خطواتي..و برزت ابتسامه
واسعة سعيدة غطت ملامحي و أنا أراقبه بهدوء بينما يقترب منى بسعادة مماثلة لخاصتي..

_صباح الخير !

سمعتُ صوته يهمس لي بحب ما إن توقف أمامي..فاستغرقني الأمر بضعة لحظات في تأمل

ملامحه الوسيمة..قبل أن أجيب بركة ؛

_أهلاً بك..

كنتُ لا أزال أنقل عيناى بين خاصتيه..أشعر بأنفاسي تتباطئ انبهارًا كلما اتسعت ابتسامته

الجميلة أكثر أمامي..

على الأرجح..إنها نفس الأعراض التي تحدث معي كلما قابلته !!

راقبتُ حركة يده و هو يدسها في جيب محفظته ليخرج شيئًا ما و يرفعه أمام عيناى..

فرمشت بخفة و ابتسامتي تتسع أكثر و أنا أنظر إلى تلك -الوردة الحمراء- بين أنامله..قبل أن أسمع

صوته يهمس لي بنبرته المحببة بمرح ؛

_ رأيتها في طريقي فلم أستطع أن لا أقطفها لأجلها لك.. أرجوك لا تنعتيني بالمجرم قاطف

الورود !

لم أتمالك أمر الضحكة التي تسللت من بين شفتاي برقّة و أنا أرفع يدي لأخذها منه بينما

أردف بعملية ؛

_ المنطق يخبرني أنك مجرم بالفعل.. لكن للقلب كلام آخر !

لمعت عيناه بحب و هو يسمع جملي التالية.. فاقترب خطوة أخرى مني ليمس بلهفة بالغة ؛

_ أتخفيني.. ماذا يقول كلام القلب ؟!!!

لم أرد فوراً.. فقد كانت عيناى شبه ساهمتين في النظر إلى تلك الوردة الحمراء بين يداى.. أنظر

لها بهدوء بينما فراشات الحُب تحلق في روحى.. قبل أن أرفع كتفاى ببساطة هامسة بدون أن أنظر له ؛

_ هذا سر !

لم أسمع جوابه فوراً.. فنظرت له لأجد ملامحه كما تخيلتها.. مليئة بالإحباط غير الحقيقي

تماماً.. فاتسعت ابتسامتي بعض الشيء.. إلا أنني تجاهلت نظرته تلك.. وبدلاً من أن أطيّب خاطره

بكلمات شاعرية.. رمقت ساعة معصمي بنظرة خاطفة و أنا أقول غير سامحة له بالتدمير أكثر ؛

_ إذا يا سيد.. ألا تنوي الدخول أم أن لديك مشاريع أخرى خارج الفصل ؟!!!!

اختفت معالم الإحباط من ملامحه تماماً و هو يقول بخبث و كأنه يتصيد كل كلمة ليزعجني

بها..

_ مشاريع كماذا مثلاً ؟!!!!

_ أخبرني أنت !

همستُ أرفع أحد حاجباى بهدوء.. فقلب عينيه بحزن في الأرجاء.. ثم قال و كأنما يصارحني

بحقيقة مُهمة ؛

_ حسناً لكي لا أخدعك أكثر فأنا لديّ عمل بالفعل.. سأقابل فتاة جميلة جداً كنت أعرفها منذ

فترة خلسة عنك لكن.....

صمت فجأة و هو يرى تجهّم ملامحي تحذيراً.. فابتلع ريقه مدعيًا الخوف و هو يهمس بتراجع و

بطريقة جعلتني أضحك بدل أن أتمسك بموقفي منه !

_ حسناً!!.. لقد كانت... مزحة فحسب.. مزحة سخيفة جداً !

كان يتكلم بحذر و كأنه يخاف أن أفتكّ به و بتلك الفتاة الجميلة غير الموجودة في هذا العالم

بالفعل.. و لم أستطع أمام ردة فعله السخيفة تلك.. إلا أن أضحك بشدة رغماً عني..

فابتسم هو الآخر برضا و هو ير اقبني بتهيدة لمحت بداخلها الكثير من.....الحُب و الإخلاص

!!!

هل أخبرتكم من قبل بأن أشرف يشبه لؤي؟! على الأرجح لا..

ها أنا ذا أقول إذا..لقد كان أشرف يشبه لؤي في كثير من الأشياء.. أبرزها..مزاجه الهادئ و

قدرته الجميلة على إضحائي !!

الفرق بينهما فقط أن لؤي يكون أخي روحياً..و أشرف...الرجل الذي لا أتمنى غيره زوجاً

مستقبلياً !!

#شهد

أيّ كلمات قد تكون كافية لتجسيد ألم القلب الفاتك؟! ألم الشعور بالموت اللحظي !!

ألم..اختبار مذاق الندم..و اللآ ندم في نفس الوقت !!

معنى أن تقع بين مجموعة أفكار و ذكريات تسحبك نحو هاوية المشاعر التي تود الهرب منها

بكل جوارحك !!

لا كلمات قادرة على وصف ذلك الضياع القلبي في الحقيقة !!!

سألت نفسي كثيراً..هل ندمت لأنني تزوجت هادي؟!

نعم..ندمت ! لا..لم أندم ! أو ربما فقط.....لا أعلم !!

لقد قالت أن العقاب سيكون أقسى هذه المرة !!

مسكينة..لا تعلم بأن لا عقاب بالنسبة لي أصعب من افتراقه عنه !!!

حتى هذه الندبة التي تركتها في معصمي و التي تعمّدت جعلها ترافقني إلى الأبد لم يكن ألمها

قويّاً بالقدر الكافي ليجعلني أنسى هادي..بل كان فارقاً لدرجة خلدت ذكريات آهاتي في عقلي أكثر !!

مشكلتنا نحن في هذا العالم الظالم أننا نختار دائماً أسهل الحلول..ثم نضع مجموعة من

الأطفال بلا قوة و لا حيلة في مؤسسة رعاية..تحت رحمة عدد من الأشخاص نلقبهم بال-مشرفات-..ثم

ننساهم و كأننا قد قمنا بأقصى واجباتنا غير المفروضة نحوهم !!

نضع أطفالاً نبذتهم الحياة بين أيدي أشخاص..لا يعرفون عن معاناتهم شيئاً..ثم بدلاً من أن

يقتلوا مشاعر النبذ بداخلهم..يتخذونهم مثل وسيلة لتفريغ مشاعرهم السلبية !!

لا أظن بأن الحياة بكل الجمعيات الخيرية تشبه الحياة التي عشتها أنا هناك!

و لو كانت فأنا أدعوا الله من أعماق قلبي أن لا يعاني أيّ طفل نصف ما عانيته أنا ! أو أن تتخلى عنه عائلته كعائلي تمامًا..

دعوني لا أقول عائلي..بل "أمي" فقط !

و ليّتها فقط وضعتني في أيدي أمينة..لقد ألقت بي إلى النار بأعين مفتوحة ورحلت.. هكذا ببساطة دون أن تلتفت مجددًا..رحلت ببساطة دون أن تهتم لا بنداءاتي الضعيفة و لا دموعي البريئة التي سقطت شوقًا لها لا خوفًا على نفسي !

تركتني وحيدة أواجه مصيرًا مجهولًا..شاركني به بقصد أو بغير قصد ذلك الطفل الذي لا يزال قابعًا بمكان عميق بداخل قلبي..

نفسه الذي أحبيته رغمًا عني..و كأن عذابي بمشاعري لم يكفي لتزيد أمه الطين بله..و

يضاعف هو من جروح قلبي بجفائه الجارح بعد نضجنا !

لا أزال حتى الآن أتساءل لماذا ؟!

فقط لماذا أنا بالذات يحدث معي كل هذا ؟!

و الجواب كان واضحًا كوضوح الشمس.....

حدث كل هذا لأنني أحببت..أحببت ابن المديرية..و حدث أن لا تكون المديرية مجرد مديرة

عادية..بل هي الكافلة الرسمية لكل الأطفال في ذلك الميتم..و هي من مولته و ساهمت في بناءه حتى !!!

كان شعور هادي صائبًا حينما لم يتردد في سؤالني..

" من فعل بكِ هذا ؟! "

و الجواب هو " أنت " ..حبك من فعل يا هادي..و التنفيذ كان بيد أمك !!!

هل أعترف لك بشيء ما لن تسمعه مني ربما يومًا ؟!

لا يزال حبك حتى الآن يفعل بي العجائب دون أن يتناقص قدره في قلبي و لو قليلًا..أظن بأنني

حتى و لو واجهت الموت هذه المرة فلن يتداعى حبك في قلبي و لو قليلًا !!

حبك كان..كالمرض المزمن الذي لا خلاص منه إلا بالموت !!!

كنتُ أجلس في غرفتي..أحتضن ركبتي إلى صدري..أناظر الجدار الأبيض حيث يتم عرض كل

ذكرياتي البائسة بعينين متسعيتين فارغتين..دوامه أفكار غير الرحيمة..أرسلت شعورًا من الاختناق

إلى قلبي..

فحررتُ ركبتي يهدوء و وضعت قدمي في الأرض قبل أن أقف متجهة إلى أكثر مكان راق لي و

أحبيته في كل هذا المنزل..

كان تلك الحديقة الصغيرة..و التي لم أرى بجمالها يومًا !
اقتربتُ من حوض الورود الذي كان مهملاً قبل أن أدخل هذا المنزل..إلى أن جلست على طرفه
أتأمل أزهارى الجميلة..وحدها من تبدد عني قليلاً شعور الوحدة الذي يكاد أن يلهمني في هذا البيت..
كان الحزن هو رفيقى الأقرب..حتى في هذه اللحظة التي أجبرت فيها نفسي على تجاهل كل
معضلاتي كانت أطياف الحزن تتلقف قلبي و عيناى..
رفعتُ يدي مهدوء لألمس بخفة وردة حمراء هي أكثر وردة أحببتها بين رفيقاتها..كان الجو هادئاً
جداً اليوم و كأن الكون كله عقد صفقة سلام مؤقتاً..
شعرتُ ببريق الشمس ينعكس على عيناى ليجعلني أطرف بهما بين كل لحظة و أخرى بدون أن
أشعر بأيّ تضايق منه..و بعض النسيم الدافئ يلامس خصلات غرتي الطويلة المنسدلة على جانب
وجهي و المنفلتة من ظفيري الفرنسية ليطيها بخفة..
شبح ابتسامة بالكاد يُرى مر كشهاب على ملامحي و أنا أنخفض قليلاً إلى أن غرست أنفي في
تلك الوردة أستنشق رائحتها الخلابة مسدلة ستار رموشي السوداء كشعري بلطف..
لكنني أجفلت فجأة داخلياً..و فتحت عيناى و أنا أشعر بضوء غريب يسلط على وجهي ثم
يختفي في ظرف أقل من ثانية..
رفعتُ رأسي ببطءٍ أنقل عيناى حولي بحيرة..و بالطبع لم يكن هناك أحد !! يا لغباىي..و من
سأجد ؟!!!
كما تعلمون..فهذا المنزل الكبير نسبياً..لا يعيش فيه سوى شخصان اثنان.. بالكاد يتبادلان
أطراف الحديث لأجل أشياء مهمة و فارقة..
لقد كان هادي في غرفته..بنفسي أنا من ساعدته قبل قليل ليجلس في مقعده..قبل أن يطلب
مني الخروج و تركه بمفرده..
لا..لم تكن نبرته مرتفعة و لا حادة بشكل مخيف في مخاطبتي اليوم..كانت فقط..باردة..فارغة
تماماً..و هذا الأسلوب يؤلني و يؤذيني أكثر لو تعلمون !!
لقد كنتُ أعلم بأنه لن يستطيع أن يؤذيني..ليس حباً في التأكيد..بل هي سماته الطبيعية التي
كنت أخشى في البداية أن يكون قد تخلّى عنها..لقد كان أقصى ما يستطيع فعله..هو الصراخ بي أو
إلقاء أوامر باردة علي..ثم يتجاهلني و كأنني غير موجودة !!

الحقيقة بأنني رغم كل شيء..لم أتوقع أن يعم هذا الهدوء المنزل بعد تهديداته المربعة
تلك..لكنني لسبب ما..شعرت بأن القليل فقط من جفائه نحوي قد تلاشى بعد زيارة أمه لنا ليلة
أمس..

كان الأمر وكأنه...لا يملك حيلة لا في أذيتي..أو إقناعي بالإبتعاد !!
تهيدة خافتة هربت من بين شفاهي و أنا أعود لأتأمل الورود الجميلة و قد ارتسم شبح
ابتسامة جديد على ملامحي..فأنا و أخيراً وجدت ملجأ أهرع إليه بين الحينة و الأخرى لأنتعم بدفئه و
أنسته بعيداً عن ضجيج حياتي المشتتة !!!

#هادي

جميلة..بل أكثر من جميلة...
لقد كانت...تشبه الملائكة البيضاء تماماً..تلك التي تزورنا في أحلك أوقات حياتنا لتزرع في
أفئدتنا أملاً مشرقاً..
كانت مثل الملائكة..تحتضن نفس جمالها..ورقتها..ونعومتها و شفافيتها.. كانت ملاكاً صغيراً
حزيناً..كلما اقتربت منه رغبة في احتضانه..اختفى طيفه الجميل عنك..و كأنه يخبرك..بأن ملامسة
الأشياء الجميلة هو شيء غير وارد في عالمنا المظلم هذا !!
لقد لمحتُ ابتسامتها أخيراً..رأيتها شبه ظاهرة لأول مرة بعد سنوات..لمحت السكون الذي لم
أره يقترب من عينيها بجاني و لو لمرة..سكون منحته لها الورود التي تشبهها !!
أني يمكن للحروف وحدها وصفها ؟! أيّ شاعر يمتلك أناملاً ذهبية يستطيع أن يوفي تلك
اللوحة المبهرة حقها ؟!! و أيّ قصيدة قد تكون قادرة مهما تعددت سطورها على تجسيد كل ذلك
الجمال الذي تراه عيناى !!

نعم..لقد كنت أنا صاحب ذلك الضوء الساطع الذي لامس ملامحها كشهاب
خاطف..اعذروني..فأنا لست إلا شخصاً مولعاً بالتقاط الصور -و الاحتفاظ بها في أعماق مساحة في
قلبي- لكل ما هو خلاب و نادر ك-هي- !

أنا لستُ إلا إنساناً يعشق تأمل كل ما هو عذب و تخليده في صور مميزة.. أنا لستُ إلا...رجلاً
عاشقاً عجزت عيناه عن غض الطرف عن تفاصيل -معشوقته-..حتى و لو كانت تلك المعشوقة لا
تشاركه الاحتراق بنيران عشقها الملتببة !!

تستطيعون أن تصفوني بالمتخاذل..أو الضعيف..كل الصفات متاحة أمامكم لنسيها لرجل مثلي..عجز قلبه عن التمسك بوعده القسوة الذي توعدده لمالكته !!

رجل مثلي..لم يلتفت لكل الدلائل التي تُدين حبيبته بقدر ما صنعت ابتسامتها الحزينة فارقاً في قلبه !!

الحقيقة أن ما رأيته و التقطت له صورة..لم يكن لفتاة تمسك بوردة..بل وردة متوردة الوجنتين تمسك بشبيبتها !!

" خدود الورد ! "

همستها بشرود بيبي و بين نفسي..بنبرة ساهمة تماماً و أنا لا أزال أتأملها.. نعم..هذا هو اللقب الصحيح الذي يناسبها ! شهدي أنا !

لقد نجحت ابتسامة الشهد الباهتة في إحياء شغف " العشق القديم " في قلبي.. على الأرجح..ذكرتني بمن أكون..و بطريقة ما..استوعبت للتو فقط..بأن تلك الفتاة الجالسة بهدوء هناك..و التي لم أنفك عن مر اقبتها من نافذة غرفتي المظلة على حديقتهامدة دقائق..تكون زوجتي أنا !!

لقد كانت حركة بديهية مني..حينما رفعت الكاميرا خاصتي بسرعة لألتقط لها أجمل صورة..ثم أتوارى خلف ستار نافذتي تزامناً مع رفعها لعينيها..

ارتخت ملامحي تماماً و أنا أخفض رأسي..أتأمل الصورة التي التقطتها لها بشرود..و رغمًا عني..ارتفعت أنا ملي لتتجول فوق ملامحها..

تلامس عينيها المنسدلتين..و أنفها الصغير..و وجنتيها اللتين سرقتا من الورد

توردها..للتوقف عند حدود شفيتها المرسومتين بريشة القدير..و كأني ألامسها حقًا !!!

كم أتمنى أن ألامسها...حقًا !!

سمعتُ صوت طرق خافت فوق الباب فرفعت رأسي بسرعة و أنا أفكر بأن " صاحبة خدود

الورد " قرّرت أخيرًا أن تفارق ورداتها و تعود إلي..أغلقت الكاميرا بهدوء ثم وضعتها في مكانها فوق

الطاولة القريبة مني..قبل أن أجلي صوتي هاتفًا بنبرة هادئة رغم ارتفاع صوتي ؛

_ادخلي !

و دخلت بالفعل..متوترة..مرتبكة..خائفة كما العادة !

لا..ليس كما العادة..فقد كانت ملامحها تبدو أكثر استرخاءً اليوم رغم اضطراب أنفاسها و

الذي استطعت من مكاني الشعور به..

قالت بدون أن ترفع رأسها نحوي..و كأنها تتعمد أن تخفي عينيها عني بحزم شرير!

_طعام الإفطار جاهز!

عجباً..كيف استطاعت! بل متى استطاعت أن تجهزه بهذه السرعة الفائقة و أنا من كنت

أراقبها تجلس في الحديقة قبل دقيقتين !!!

_أنا...قادم!

قلتها بنبرة عادية جداً..أكثر رفقا من التي اعتادت عليها..فأومأت و هي تلتفت لتخرج..لكنني

أوقفتها بسرعة بندائي ؛

_شهد !!

توقفت للحظة قبل أن تلتفت إليّ بصمتٍ..فقلت و أنا أقطب جبيني قليلاً ببعض التوجس ؛

_بماذا همست لكِ أمي البارحة في أذنك ؟!!!

لمحتُ ارتباكها الشديد كما توقعت..و رأيت كيف اتسعت عيناها قليلاً بدون أن تنظر لي..ثم

همست من بين شففتيها المطبقتين بتوتر ؛

_ل..لا شيء مهم..طلبت مني أن...أهتم بك و أتصل بها إذا استصعب عليّ أيّ أمر يخصك !

نفس الكذبة الغبية !

كنتُ أود لو أصارحها بوضوح و أخبرها بأنها لا تجيد الكذب...إطلاقاً! لكنني اليوم فقط قرّرت

أن أرحم حالتها النفسية..فقلت ببرود ؛

_حسناً..أنتِ...جهزي مائدة الإفطار و أنا قادم حالاً..

و لحقتُ بها بالفعل بعد لحظاتٍ لأجدها تقف كعادتها وراء الكرسي المقابل لي..تقبض عليه

بأناملها الرقيقة ناظرة للجانب بهدوء..قلت بصبر ؛

_اجلسي !

كنتُ أشعر باليأس الشديد يملكني و أنا أراها تجلس بطاعة..تتخذ مكانها بهدوء قبل أن يهم

كلانا بالأكل في صمت..و قد ظننت بأن هذا الصمت سيطول..إلا أنني تفاجئت بها تقطعه..

و لأول مرة..أسمعها تقول بنبرة مهمة..بصوتٍ مفاجئ شبه مرتفع..و كأنها كانت غارقة في

التفكير في معضلة ما..و قد خرجت الفكرة على شكل سؤال مندفع لم تشعر به !

_كيف ؟!!!!

نظرتُ لها بذهول و أنا عاجز عن فهمها للحظة..فطلت صامته للحظاتٍ تنظر إلى طبقها غير
الفارغ..قبل أن ترفع أنظارها ببطءٍ لتقابل عيني..تلك الحركة التي نادرًا ما تفعلها..ثم قالت تنطق
سؤالها بنبرة واضحة هذه المرة.. تحمل شيئًا من حذرها و ترددها..
كيف انتهى بك الأمر جالسًا فوق هذا الكرسي المتحرك ؟!!!!

" 6 ؛ هدنة "

#شهد

_كيف انتهى بك الأمر جالسًا فوق هذا الكرسي المتحرك ؟!!!!
لم أكن أستطيع أن أتجاهل هذا السؤال أكثر..رغم أنني كنت خائفة..خائفة جدًا من ردة فعله
بعد هذا السؤال الذي ربما سيقبح جرحه و يزيد من تدهور حالته النفسية !
رأيتُ ملامحه و هي تتعقد بشدة..و قبضته التي كانت ترتكز فوق الطاولة..تلك اشتدت حول
نفسها بانفعال لا بغضب..لكنه رغم ذلك قال ينظر في عيناى بجمود ؛
_ألم تخبركِ السيدة عفاف عن السبب ؟!!!!
حركتُ رأسي بالنفي و أنا أنتظر جوابه بصبر..عازمة على عدم التراجع عن موقفي رغم
الخوف الذي غمر قلبي و أنا أرى الغضب المكتوم يكتسح ملامحه..
صمت قصير ساد بيننا..لم يلبث فيه هادي أن نظر إلى عيناى بجموده المعتاد..لوهلة ظننت
بأنه لن يجيب..و رغم ذلك فلم أتفاجئ أبدًا حينما وجدته يفتح فمه أخيرًا ليقول بنبرة لمحت فيها
الحزن رغم أنه حاول أن يجعلها مختصرة مقتضبة ؛
_كان حادث..حادث سير..
لم أستغرب كثيرًا..بل شعرت بالإحباط من جوابه المختصر..مختصر جدًا في الحقيقة..
صمت جديد ساد بيننا..هذه المرة كان صمتًا طويلًا..حزينًا..كنت لا أزال أنظر له بأمل..أنتظره بصبر
أن يتم كلامه..أن يمنحني تفسيرًا أشد وضوحًا حتى و لو كان من كلمتين لا أمانع..
لكن نفس الصمت هو ما قابلني لمدة فاقت حدود قدرتي على الانتظار..فتجرات مجددًا و
فتحتُ فمي هامةً بالتحدث و كل غاييتي أن أسمع الإجابة عن سؤال واحد..
" كيف ؟! كيف حدث هذا الحادث ؟! "..
فقط كيف !!
لكنه كان قد فعل ما لم أتوقعه منه أبدًا..فقد أطرق برأسه ليمس و كأنه هو من في أمس
الحاجة لأن يفضي إليّ بالقليل من معضلاته الخفية لا أنا !
_ " حلوى فاسدة " !

ابتلعتُ ريتي ببطءٍ و أنا أسمع هذا الوصف السّام يخرج من بين شفثيه محملاً بالأم عميق..
ألم لا يوصف.. قبل أن يرفع عينيه إليّ مجدداً.. وهالتي تلك النظرة التي استوطنتهما في لحظة
واحدة.. نظرة لوحدها جعلت من أنا ملي القابعة فوق الطاولة بيننا ترتجف قليلاً ككل خفقات قلبي..
كانت عيناه و كأنما تذكر اني بالماضي الجميل رغم مرارته.. تلك الأيام التي كنا نجلس فيها
بجانب بعضنا البعض في الدرجة القريبة من غرفتي هناك.. لنتبادل أطراف الحديث الطفولي الذي
لم يكن شيئاً بقدر ما كان حزيناً و كلانا يشتكي للآخر بدون تحفظ أو تردد..

فقط براءة منقطعة النظير مني.. و تفهم كبير منه !

إلى أن تأتي أمّه فتدمر اللحظات بيننا و تبعده عني بإرادة شريرة متسلطة.. لأبقى أنا وحيدة في
انتظار مرته القادمة التي ستجلبه معها فيها !

رأيتُ ابتسامته الساخرة المريعة التي شقت الألم السحيق بعينيه.. ابتسامة تلاشت قبل أن
تكتمل حتى.. ثم همس لي بكل بساطة ؛

_كانت آخر جملة تمر في مسامعي هي هذه.. "حلوى فاسدة".. أنا رأيت الموت و صدقت
به.. كانت لحظة واحدة لكن عقلي شعر بها كعمر كامل.. في لحظة واحد كان عقلي يسترد كل شريط
حياتي التافهة جداً.. نبضاتي لم تتسارع.. بل تباطأت أكثر.. لم أشعر بالخوف.. بل بالانتصار!.. كانت
مشاعراً بريئة تخيلت فيها وجه " السيد أكرم " و " السيدة عفاف " بعد أن يسمعوا خبر موت "
حلواهم الفاسدة".. رغماً عني كانت هذه الرغبة تسيطر علي أكثر من رغبتني في الحياة نفسها!..
صمت لوهلة.. ثم عاد لهمس بنبرة غريبة و هو يطرق برأسه مجدداً.. يحجب الألم العامر
بعينيه عني كما تساعده خصلات شعره التي تتحين الفرصة لتلامس جبهته في ذلك..

_لكنني تراجعت عن هذه الرغبة في آخر لحظة.. هل تعلمين لماذا ؟!!!!

بقيت صامتة تماماً أنظر له بأنفاس متباطئة جداً.. كل ما أتمناه أن يرفع رأسه مجدداً لا
لشيءٍ إلا لأطمئن عليه.. عليّ أن أتأكد بأن الغصة في صوته ليست غصة دموع !!
و قد فعل بالفعل.. رفع رأسه نحوي ببطءٍ كما أطرقه قبل لحظاتٍ.. ليستأنف بما جعل

أجراس الحب و الوجد تفرع بداخل قلبي !

_لأنني تذكرتك !

"لأنني تذكرتك !"

ما مدى الألم الذي يحتويه هذا الاعتراف ؟!

مجرد كلمتين تحترقان بلهيب العجز كانتا كافيتين لتجعلاً لمعة دموع تتحجر بجوف
حدقتاي..و بدون أن أحتاج لرؤية انعكاسي في المرأة..شعرت بالشحوب الشديد يتلقف ملامحي..
و لأول مرة خلال هذا الحديث..تمنيت أن يصمت..لكنه خيب أمني و لم يفعل..بل وجدته
يسترسل بنفس نبرته التي لم تكن تحمل سوى الصدق و الصدق فقط..
_تراءت أمامي الكثير و الكثير من الصور..لكن أكثر صورة كانت تتداخل بعقلي لتسيطر عليه
كانت..... صورتكِ أنتِ !

" لماذا ؟! لماذا صورتني أنا ؟!!!!!! "

هذا كان السؤال الذي هتف به عقلي بل و كل جوارحي بدون أن أستطيع نطقه أبداً..بل بقيت
متسمة مكاني أشاهد بقلب ينزف كل تلك القسوة التي عادت لتكتسح عينيه مجدداً..حينما قال بنبرة
عاد لها جمودها و -حقدها- الذي يخيفني و يؤلمني...بشدة !
_لو كنت أعلم أن حياتي ستصبح بهذا الشكل بعد أن أعود لتمنيت الموت.. بل لرجوت الله من
كل قلبي أن يأخذ روحي لأستريح و لا أجرب شعور الخيانة هذا..منكِ أنتِ بالذات !!!
كان قد ارتفع صوته قليلاً في آخر كلامه و هو ينظر في عيني تماماً.. الحزن يعتمر ملامحه
أكثر من الغضب..و نظرة الخذلان التي احتلت عينيه ذبحتني أكثر من قسوته..
و لم أستطع أمامه..إلا أن أطرق برأسي بعجز لأهمس بنبرة خرجت متهدجة ضعيفة رغمًا
عني ؛

_كنت مضطرة !!

_لم تكوني كذلك !!!!!!!

هتف بها و هو يضرب الطاولة بقبضته بصوتٍ مرتفع جدًا انتفضت له بقوة..قبل أن يزم
شفتيه بعنفٍ ثم أشاح بوجهه ينظر جانبًا في محاولة للتحكم بانفعاله الشديد في هذه اللحظة...لكن
عبتاً..

فقد كانت عيناه المتقدتين أماً..الشفافتين إليّ تفصحان عن كل شيء !!
كل ما استطعتُ فعله بعد صرخته تلك..أن عدت لأطرق برأسي بصمتٍ.. عالمة بأن كل كلمة
أخرى قد تخرج مني في هذه اللحظة..لن تساهم سوى في تضاعف غضبه الذي يحاول حمايتي منه..أو
تأزم حالته النفسية أكثر..

و هذا أكثر ما كنت أخشاه..أن يعود لموقفه الأول و يبعدني عنه !

بعد لحظاتٍ..وقفت بهدوء لأجلب الدواء كما العادة..ثم ما إن وقفت أمامه أفرد راحتي نحوه بصمتٍ..رفع رأسه نحوي لينظر لي للحظاتٍ طالت بعينيهِ القاسيتين و كأنه لم يتعافى من أثر الذكريات التي استعادها بسببي للتو..

كنتُ قد أعددت نفسي لتحمل أيّ كان ما قد يقوله في هذه اللحظة..بل و شعرت بأنه على وشكٍ شتني و أنا لا أمانع لو فعل بشرط أن لا يبعدني عنه فقط !!
لكنه لم يفعل..فقد رفع يده بصمتٍ ليلتقط حبة الدواء من يدي..مجدداً يلامس بشرتي بأطراف أنامله التي شعرت بدفئها لمرة واحدة فقط..كانت يوم أمس حينما أمسك بيدي مدافعاً عني ضد أمه !!

شعرتُ بنوع من الارتياح و أنا أراقبه بصمتٍ بينما يبتلع الحبة مرتشفاً من كأس الماء الذي أخذه مني بعدها..قبل أن يضعه فوق الطاولة بهدوء بالكاد عاد ليلامس ملامحه..ثم يلتفت بنفس الهدوء ليتجه على عكس العادة إلى أحد النوافذ المظلمة على الحديقة و يتوقف هناك ناظراً أمامه بصمت..

للحظة..عجزت عن إبعاد عيني عن..فتوقفت مكاني أراقبه..أنظر إلى جانب وجهه بعيني الحزينتين..قبل أن أتهد بخفوتٍ و ألتفت باستسلام شارعة في رفع أو اني الافطار إلى المطبخ..
طوال تلك الدقائق التي قضيتها في غسل الأواني.. كان عقلي يحاول ترجمة الكلمة بإصرار..
"لأنني تذكرتك !"

" لكن أكثر صورة كانت تتداخل في عقلي لتسيطر عليه كانت...صورتك أنت !"
صورتني أنا !!! صورتني أنا بالذات !! لقد تذكرني في لحظة من المفترض أن تكون الأكثر رعباً في حياته..تذكرني أنا !!!

هل هذا يعني شيئاً ما ؟!!! هل يعقل أن يكون هادي أيضاً يبادلني ال.....
حركت رأسي في كل اتجاه بلا فائدة و أنا أشغل نفسي بغسل الأطباق..لا.. هادي لا يبادلني الحب !

ربما شفقة..أو تأنيب ضمير..أو مشاعر صداقة قديمة..أو مجرد اهتمام.. لكن ما يشعر به نحوي ليس حباً حتماً !!!

رغم أنني أتمنى لو يكون حباً..هل يمكن أن يكون حباً ؟!!!!
وجدتُ نفسي أبتسم رغماً عني..ابتسامة صغيرة جداً ربما لن يلمحها من يراني عن بعد..فقط أنا من شعرت بها لأن قلبي من كان يبتسم في تلك اللحظة !!

"لأنني تذكرتك "

الناس لا يتذكرون في لحظاتهم الصعبة إلا أشخاصًا لم يفارقوا ذهنهم يومًا..و هادي تذكرني

أنا...تذكرني !!

بغض النظر عن كل شيء...أليس هذا شيئًا يدعو للسعادة !!!!!

مرّ الوقت بعدها بطيئًا جدًّا..و هادئًا جدًّا..فبعد أن رتبت المنزل..لم أجد ما يمنعني من

الجلوس في أحد المقاعد في الهو و التي تعمدت اختيارها بحيث تخول لي مر اقبته كما أشاء..

كنتُ أتأمله بصمتٍ..لا أمل أبدًا من النظر له و التدقيق بكل تفاصيله..أنا معه...أكون كفنانة

تعشق ما ترسمه أناملها لدرجة تجعلها عاجزة بعد إتمام كل لوحة عن عدم تأملها لساعات و ساعاتٍ

حريصة على إضافة كل ما يزيدها جمالًا إليها..

لولا أنه كان رجلًا جميلًا بالفطرة !!

أشكُّ بأن هناك درجة وسامة في العالم تفوق درجة وسامته في عيناى !!!

كان شاردًا تمامًا..و شروده ذاك من ساعدني في اختلاس هذه اللحظات الثمينة في النظر

له..عيناه لا تتحركان إلا نادرًا لتغرقان في شرود جديد..مرة تتأملان السماء الهادئة بتعابير فارغة..ثم

يعود ليخفضهما قليلًا محددًا بالحديقة المشرقة خلف النافذة..

و في لحظاتٍ ما..كنت أشعر بهما تنحرفان قليلًا و كأنه سينظر في جرتي..بل و كأنه..يعلم

بمر اقبتي له !!

لكنه يعود مجددًا لتأمل كل ما هو أمامه فأتهد بارتياح مستأنفة بإخلاص فيما أفعله..

كم تمنيت أن أكون أنا محور كل أفكاره الآن !!

مهلاً...هل يعقل أن أكون...أنا ؟!!!!

اتسعت عيناى قليلًا مع هذا الهاجس الغريب..و أبعدتُ يدي التي كنت أستند إليها بذقني..

قبل أن أرفع نفس اليد لألمس بها وجنتي الساخنة بشدة..لا أعلم حتى سببًا لهذه المشاعر التي داهمتني

الآن و أنا أتخيله يفكر بي حقًا !!!!

رغمًا عني انتابني شعور ب.....الخجل !

فكرة غبية..أليس كذلك !!!

رن الهاتف فجأة فوقفت بسرعة لأقترب منه..رفعت السماعة بهدوء لأضعها فوق أذني و أنا

أعلم هوية المتصل أساسًا..و بالفعل فقد سمعت الصوت الذي لا أحبه يقول باقتضاب و ترفع ؛

_كيف حاله ؟!!!!

التقت عيناى بهادى الذى كان قد إلتفت لىنظر لى بصمتٍ و كأنه مثلى تنبأ بهوىة المتصل..قبل

أن أهمس بخفوتٍ بدون أن أفارق عىنىه ؛

_إنه...بخىر !

_هل حاول أن ىخرج قط ؟!!!

_لا....

_و ماذا تنتظرىن ؟!!!

كانت نبرتها الآن مرتفعة قليلاً..تحمل بروداً و غروراً لم أعهد مثله فى حىاتى..فنظرت جانباً و

أنا أجبىب بىنما أسلوبها فى الكلام ىجعلنى أنبذ هذه الحىاة التى فرضها عىّ القدر..و قلبى اللعىن فى

تواطئه معه !

_سأحاول أن أقنعه بالخروج قليلاً...إلى الحدىقة !

كان آخر ما سمعته منها هو صوت زفرتها الطوىلة قبل أن تغلق الخط.. فأعدت السماعة إلى

مكانها تزامناً مع سماعى لصوت هادى ىسأل بفتور..

_خىر..ما خطبها ؟!!!

اقتربتُ منه بخطواتٍ هادئةٍ إلى أن وقفت أمامه مردفة بصوتٍ خافت متردد ؛

_لقد طلبت منى أن أجعلك تخرج قليلاً..على الأقل إلى الحدىقة !

لمحتُ النظرة الغامضة التى احتلت عىنىه مع ذكر "الحدىقة"..بىنما ملامحه تحررت من

قسوتها فجأة و أصبحت أكثر استرخاءً..لكنه رغم ذلك هز رأسه باعتراض و هو ىهم بقول شىء

ما..فقلت أقاطعه بنبرة مترجىة ؛

_هذا..جزء من عملى...رجاءً !!!

نظراته لى بعد رجائى..و التى احتوت تفكيراً عميقاً..جعلت بعض الارتباك ىلامس

ملامحى..قبل أن أسمع صوت زفرته الهادئة..ثم استدار بصمتٍ لىتقدمنى باتجاه الحدىقة..بىنما أنا

أسىر خلفه بحذر..

إلى أن توقف بالكرسى فى منتصفها..و حىنها قلت بخفوتٍ و أنا أقف بجانبه ؛

_إذا احتجت لأى شىء فأخبرنى !

أوما لى بكل هدوء..فطرفت بعىناى ببطءٍ و أنا أشعر ببعض الإستغراب ىنتابنى من هدوئه

المفاجئ..لكننى رغم ذلك حمدت الله من كل قلبى على هذا السكون..خاصة حىنما انحرفت عىناه قليلاً

لترمقان حوض الورود بنظرة بدت عميقة جداً كعىنىه..

لكن هل تعلمون أكثر ما فاجئني ؟!

شيخ الابتسامة الجانبية الذي شق أطراف شفتيه فجأة..كانت ابتسامة رائعة زادت من وسامته في عيني الكثير..ابتسامة غامضة براقة بالكاد يستطيع الانسان أن يلمحها..
فغرئتُ فهي كالبلهاء تمامًا و أنا أتأمله ما بين ذهول و انهيار و بلاهة و عشق...

عشق الجارف !!!!

قبل أن ألتفت قليلاً فقط لأنظر للحوض هناك و أنا أفكر جدياً بأنه مثلي..لا بد أنه يحب
الورود مثلي ! هذه الفكرة جعلتني أبتسم أنا الأخرى...ببلاهة !!!

_هل تحبين الورود ؟!!!!

سمعتُ سؤاله الذي خرج بصوته الشارد..الهادئ على نحو مميز..فنظرت له مجيبة بحذر ؛
_قليلاً !

لم أفهم الطريقة التي نظر لي بها بعد جوابي هذا..و لا حتى تلك الحركة التي تشكلت بحاجبه
و هو يرفعه باقياً على ابتسامته التي أسرت قلبي..ينظر لي بعينين تهماًني بالكذب !!!
حسنًا..ربما كذبت قليلاً !!

نظرته تلك..كانت الشيء الذي جعلني أبتلع ريتي ببطء..ثم قلت أداركُ بصدق ؛
_أحبها...كثيراً !!

الآن فقط كانت تلك النظرة تنقشع من عينيه..ثم عاد ليتأمل الحوض هامساً بنبرة خافتة
شاردة..غامضة بشكل يدعو للتوجس..
_و أنا أيضاً أحبها !

كان يلمح لشيءٍ ما..استطعت أن أدرك ذلك..فانعقد حاجبائي بشدة و فغررتُ فهي أكثر بغباء
كبير..لكنني سرعان ما عدت لأطبقه و أنا أراه يتحرك فجأة ليقترّب من الحوض..ثم و أمامي..كان
يخفض رأسه بكل هدوء ليغرس أنفه مغمضاً عينيه في ورده معينة بينما أنامله تقبض عليها برفق..
كانت نفس الوردة الحمراء التي كنت أشمها قبل قليل !!!

هذا فقط جعل عيناى تتسعان بإدراكٍ متأخر جداً..فنظرت حولي بسرعة لتقع أنظاري
مباشرة على تلك النافذة المطلّة على الحديقة و التي كانت و للأسف...نافذة غرفته !!!
أعدت أنظاري إليه بصدمة يشوبها بعض اليأس الذي انتابني فجأة..قبل أن أقترّب منه لأقول
بتوتر شديد أول سؤال خطر في بالي ؛

_هل...أنت ؟!

بدا و كأنني قد قطعت عليه لحظة استرخاء عظيمة و هو يفتح عينيه..عيناه
الجميلتان..الجزابتان..و يرفعهما ناظرًا لي بعدم فهم..فقلت موضحة بتلعثم ؛
_هل كنت...أنت...من.....التقط لي..صورة قبل قليل ؟!!!!
ضيق عينيه قليلًا بتفكير بدا لي مزيفًا تمامًا..ثم لم يلبث أن مطّ شفتيه ليحييني بدهشة
بالغة ؛
_أنا ؟!! لا بالطبع !! لماذا تسألين هذا السؤال ؟!!!!
لأن لا أحد غيرنا هنا..و لأنك تتصرف بلطافة اليوم لدرجة غريبة جدًا..و الأهم لأجل نظرتك
المتسلية هذه !!!
_ل..لا..لا شيء..مجرد سؤال غبي !!
قلتها بنبرة باهتة جبانة كعادتي..قبل أن أراجع خطوة صغيرة للوراء و أنا أنظر له كمن ينظر
إلى كائن ليس طبيعيًا أبدًا !!!

#لؤي

كعادتي أنا أجلس في هذا المقهى كل يوم بعد العمل..لأستنشق الهواء قليلًا..أو لأستمتع
بالنظر إلى الناس و التحليل في تعابيرهم و تصرفاتهم..
أو...لأنتشي برائحة اليود القادمة من هذا البحر الذي يطل عليه هذا المقهى...و ما أجملها
من رائحة !!
تنقلني إلى سماء واسعة مشرقة من الاطمئنان..إلى عالم أحلامي العتيقة الموهودة..إلى دنيا لا
أكون فيها مقيّدًا بلقب "الشاذلي"..و تعاليم و قوانين عائلة الشاذلي..أحظى فيها بدقائق من
الاستمتاع بحريتي المفقودة !!
نعم..أنا أيضًا لديّ أحلام !
و قد كان حلمي الأصدق أن أصبح -معالجًا نفسيًا- !!
لكن كيف..و متى..بل من سيسمح ؟!!!!
أحيانًا و أنا أنظر لنفسي في المرأة تخرج كلمة واحدة من بين شفتاي ؛
" جبان " !
أنا أشعر بأنني جبان بالفعل..لطالما كنت الأجبن بين إخوتي..فأنا لا أمتلك شراسة هادي في
الدفاع عن أحلامه..و لا تفاني شهاب في العمل و حبه المجنون لسجي..

هذا الحُب الذي كان يعد محرماً كونها عاشت معنا تحت سقفٍ واحد ك-أخت- جعله هو مباحاً و مشجعاً من طرف أمي و أبي..

لماذا؟! لأنه ببساطة شهاب..الولد البكر..المفضل بيننا..

حتى أخطاءه الكبيرة جداً لم تنقص من مكانته هذه شيئاً..بل جعلته أكثر تسلطاً و تجبراً و عبثاً !!

لا أظن أنكم لم تسمعوا حتى الآن بالفوارق التي أنشأها والداي بيننا..أتساءل حقاً ما يميز

الولد البكر عن من أصغر منه؟! و لماذا كان أبي يريد ولدين فحسب؟!

لماذا كل هذا الهوس و التزمت فيما يخص كل هذه القوانين..قوانين أنشأها بنفسهما و

أصبحت شيئاً مسلماً به نحن مجبورين على التقيد بها !!

أتساءل ماذا لو كنتُ أنا مكان شهاب؟! هل كنت سأضطر للتخلي عن أحلامي حقاً؟! هل

كنت سأرتضي لنفسني هذه الحياة التي لا أحبها؟!

هل كنتُ سأنصاع لرغبات والدي و أتركُ ما أتمناه؟!

بالطبع لا و ألف لا !!!

فإن كان شهاب يعمل بكل جد تحت إشراف والدي فهو يفعل لأنه يريد...لأنه يحب ما يفعل !

سعى أيضاً تدرس بجد ليس لأنها يجب أن تدرس..بل لأنها بالفطرة هكذا..هي إنسانة متفانية

و مجتهدة ليس في الدراسة فحسب..بل في كل ما تفعله..

و هادي لم يفكر يوماً في التخلي عن أيّ من أحلامه في سبيل رضا والدي..ربما هذا ما جلب له

شجارات و شجاراتٍ و مشاكل كثيرة معه..لكنه لم يستسلم..و لم يكن ليستسلم يوماً !!!

و أنا..أنا بينهم كالشخص النكرة الذي لا هوية له أو أهداف !!!

أغمضتُ عيني بشدة و أنا أهز رأسي لعدة مراتٍ لعلّي أطرد كل هذه الأفكار الحقيرة من

عقلي..فأنا ما أتيت إلى هنا إلا لأصفي ذهني قليلاً و أستمع بهدوء المكان أثناء ارتشاف قهوتي الخلوة

بتأني..

دقائق أخرى من التأمل..و كنتُ أقف بهدوء لأنصرف بعد أن وضعت الحسّاب فوق الطاولة..

لم تكن وجهتي القصر بالطبع..بل كنت ذاهباً إلى منزل هادي..لزيارته بعد مدة طالت انشغلت

فيها عنه..و لأتعرّف على زوجته الصغيرة و التي أنا متأكد من أنني سأحبها و أرتاح لها من أول لقاء..

فهي شهد..حبيبة هادي التي لطالما أزعجني بالحديث عنها منذ الطفولة..كيف لن أرتاح لها !!

ما إن توقفتُ أمام الباب حتى تنهدت تنهيدة عميقة و أنا أرفع يدي لأطرقه بحذر.. انتظرت
لثوان قبل أن أسمع صوت تحرك القفل من الداخل يهدوء و أحدهم يفتح الباب بحذر شديد.. هذا
الأحد هو زوجة هادي بالطبع !

لمحتها.. لا.. لم ألمحها.. لمحتُ طيفها فحسب..

فقد كانت المسافة بين الباب و حاجز الباب بضع إنشات قليلة استطاعت أن تنظر بعينها
عبرها دون أن تتجراً على فتحه أكثر.. و كأنها تحاول أن تتأكد قبلاً من أن من يقف أمام الباب ليس

كائنًا غريبًا سيهجم على أهل البيت !!

ابتسمتُ برفق و أنا أقول بحذر ؛

_أنا "لؤي" ..أخ هادي الأكبر !!

لم أكد أكمل التعريف بنفسي.. حتى وجدتُ عينها اللتين لم أكن أرى غيرهما تتسعان قليلاً.. ثم

تراجعت خطوة مرتبكة نحو الوراء و هي تفتح لي الباب على مصراعيه..

اتسعت ابتسامتي التي كانت أكثر من صادقة و أنا أرى أمامي شابة صغيرة مهذبة الشكل و

الملامح بشكل مبالغ به..

لم تكن أنيقة.. هي بسيطة فقط.. بملامح جميلة جدًا و مريحة للتأمل.. قميص أبيض و تنورة

طويلة تجعلها أشبه بدمية صغيرة هاربة من حقبة قديمة.. و جديلة فرنسية.. نفسها الجديلة التي كان

يحكي لي هادي عنها !!

الآن فقط علمتُ و أنا أراها لما اختارها هادي بالضبط.. و لما أحبها بذلك القدر !!!

_تفضل !

قالت بصوتٍ خافتٍ جدًا بالكاد سمعته.. فهمستُ باهتمام و أنا ألقى نظرة على المنزل الفارغ

تمامًا من مكاني..

_هادي ؟!!!

_إنه.. في..... الحديقة !

الحديقة !! أليس هذا تطورًا بالغًا بالنسبة له !

لشخصٍ لم يكن يخرج من باب غرفته إلا بإلحاح شديد و شجارات لا تحصى !!

يبدو أن هذه الصغيرة لها سحر خاص كما كان يقول هادي.. و قد بدأت تمارس سحرها

بالفعل !!

تعمدتُ أن أتوقف ما إن تقدمت خطوة نحو الداخل..و كأني أمنحها سلطة الترحيب بي..و
قد فعلت بالفعل..أشارت لي لأدخل بكل أدب و هي تفرد ذراعها باتجاه الحديقة..
حينها فقط...كنتُ أقدمها بخطواتي الهادئة..إلى أن توقفت في الحديقة..و قد كان هادي
هناك بالفعل..يجلس بجانب حوض الورود يتأمل وردة الحمراء كانت بين يديه بملامح مرتاحة...
جداً !!

رفع أنظاره لي مباشرة..فاقتربتُ فوراً و قبل حتى أن أصل تمامًا كنت أنحني عليه بسرعة
لأضمه بقوة..و هتفت بشقاوة و أنا أشعر به يبادلني هذا العناق..
_كيف حالك يا أبا الورود ؟!!! سيكون هذا لقي لك منذ اليوم !
لم تكن نبرتي بريئة أبداً..كانت تحمل تلميحاً مأكراً فهمه هادي فوراً..فالتفت قليلاً برأسه
لينظر إلى شهد بصمتٍ..و قد بدت تلك الأخرى متوترة..ملاحمها تدل على شخصٍ يتساءل عن ما
يتوجب عليه فعله بيننا..

نظراتها تلك..جعلت بعض التعاطف يتسلل إلى قلبي ناحيتها..قبل أن أسمع صوت هادي
يقول باهتمام ؛

_هل تعرفتما على بعضكما ؟!!

تلقائياً..كانت هناك ضحكة هادئة تفلت من بين شفتاي..ثم قلتُ أجيب بنبرة ذات مغزى و أنا
أغمز له ؛

_إنها غنية عن التعريف !

نفس الدهول...استوطن عينيها في نفس اللحظة..لكن الفرق..كان أن دهول شهد دهول
صدمة و عدم فهم..أما هادي..فقد كان دهوله دهول استياء كبير..نفس الإستياء الذي تلقف نظراته
لي و لم يحاول كبحه أبداً..

لكنه لم يساهم إلّا في جعل ابتسامتي تتسع أكثر و أكثر..قبل أن أتنحى قائلاً بجدية الآن ؛
_لا..لم نتعرف بعد..لكن هذا لا يمنعني من الشعور بالامتنان نحوها..رؤيتك تجلس هنا و
بهذه الرحابة تسرني...جداً !

ثم نظرتُ لها لأهمس بصدق باقياً على ابتسامتي ؛

_شكراً لك يا شهد..

بدت و كأنها لم تخرج من صدمة عبارتي السابقة حتى اللحظة..فكانت عيناها الجاحظتين
بالفطرة لا تزالان متسعيتين قليلاً..لكنها رغم ذلك أومأت لي بأدب..ففردتُ يدي باتجاهها و أنا أستأنف
بنفسِ النبرة ؛

_و أنا لؤي..الأخ الأكبر لهادي..أخبرتكَ قبل قليل..

نظرة مترددة اكتسحت عينيها و هي ترمق يدي المفرودة أمامها بنفسِ الارتباك الذي لم يترك
ملامحها منذ أن أتيت..لكن ما جعلني أقف أمام هذين الاثنين مندهشاً حقاً هو تلك النظرة التي
رمقت بها هادي..كانت نظرة استئذان..و كأنها تستشيرهُ أن يسمح لها أو لا يسمح بمصافحتي !!!
أوماً لها هادي بالايجاب..و حينها فقط رأيتُ ملامحها تسترخي قليلاً و نصف ابتسامة يحتل
شفثيها..ثم رفعت يدها لتصافحني هامسة أثناء ذلك بنفسِ نبرتها الخافتة ؛

_شهد.....

_هادي الشاذلي !!

كان هذا صوت هادي الذي قاطعها بسرعة..فتسمرت للحظة على نظرة غريبة مزجت ما بين
دهشتها بما قاله و شعور واضح ظهر في عينيها من...الانتماء ربما !!
قبل أن تعيد أنظارها إليّ مؤكدة بصوتٍ أجش لم يتخلص من دهشته بعد ؛
_ "شهد هادي الشاذلي " !

"7 ؛غيرة"

#شهد

هل تعلمون ذلك الشعور المتناقض ؟!

حينما تقع بين نارين..بين فكرتين متناقضتين..بين أماني عديدة..منها أنني أتمنى من كل قلبي
أن أرى هادي سليمًا متعافي..و منها أنني أتمنى أن تطول مدة علاجه قدر الإمكان...لأن سلامته تساوي
افتراقه عنه !!

خمسة أيام..مرت بعد ذلك اليوم الأثير الذي لن أنساه في حياتي ككل أيامي التي أمضيها هنا..
على تلك اللحظة التي علقت في عقلي..
"شهد هادي الشاذلي !"

هل يمكن لخفقات قلبي أن تتسارع أكثر ممّا تصبح عليه كلما تذكرتُ صوته العميق يقاطع
صوتي..لا لشيءٍ فقط ليعلن انتمائي له !!
الحُب...كلعبة البولينغ..تمنحك خيارين..إما أن تمسك نفسك بإحكام قبل أن تحين لحظة
الإلقاء فتفوز بإسقاط كل الأهداف..أو تلقىها بتهور فتسحبك معها إلى أقصى درجات الجنون !
لكم أن تخمنوا ماذا اخترتُ أنا !!!
لطالما كانت مشاعري نحو هادي غير عادية..لا يمكن التحكم بها أو تقييدها..لطالما كنتُ
أحبّه بـ"جنون" منقطع النظير !!

هل أطلعكم على سر صغير ؟!
حتى ولو لم أكن في حاجة إلى المأوى كنتُ سأوافق على الزواج من هادي طمعًا في عيش و لو
القليل من اللحظات الثمينة بجواره..

الآن أنا موقنة تمامًا...أستطيع أن أعترف أمام نفسي على الأقل بأنني كنتُ سأأخذ نفس
القرار و نفس الوجهة حتى ولو عاد بي الزمن ألف مرة !!!

ألم أخبركم بأن الحُب كـ"لعبة البولينغ"..و أنا لم أكن يومًا ممّن يحترفون اللعب !!!
لم أكن أريد..لم تعد فكرة الابتعاد عنه تروقني بعد..لا أريد أن أبتعد عنه..على الأقل ليس
قبل أن أشبع من وجوده بجاني..و الحقيقة أن هذا اليوم لن يأتي..لأنني أبدًا لا يمكن أن أشبع يومًا
من هادي..

ليس قريبًا و لا بعد ألف سنة !!!

كنتُ أقف على بعد خطواتٍ عديدة منه..بينما هو في الجانب الآخر من الحديقة محاط بعدد من المُمرضين و المعالجين الفيزيائيين و الطبيعيين..و مُمرضة مزعجة لا تنفكُ تلتصق به !!!!
لم أستطع أن أفهم أيّ شيء عن ماهية هذا العلاج..لكنني رغم ذلك بقيتُ أبتسم بهدوء و أنا أنظر لهادي الذي كان يلتفت إليّ بين الحينة و الأخرى ليمنحني نظرة عادية جدًا..خالية من أيّ تعبير..نظرته فقط..

أما عيناه..فكانتا تعصفان بمشاعر لم يستطع إخفاءها عني..هو كان يبدو وكأنه يستمد قوته من ابتسامتي هذه..و أنا بكامل إرادتي..كانت كل غايتي أن أمدّه بتلك القوة التي يحتاج..لهذا لم أتوقف عن الابتسام !!

من مكاني...كنتُ أرى كيف لم تنفك عضلات وجهه عن الانفعال بين الحينة و الأخرى..و كيف كان يفتح فمه ليخاطب من حوله بفتور و ملل كبير..

و كيف كانت كل تلك التعابير تتلاشى كلما نظرت لي بالصدفة !!!
انعقد حاجباي قليلاً و أنا أرى تلك الآلة الميكانيكية الحديدية الشبيهة بالكرسي..لكنك لن تستطيع حتمًا أن تجلس عليها !!

لكن ليس هذا ما جعل حاجباي منعقدان طوال الوقت بتحفز..بل محاولة الممرضين باستماتة لجعل هادي يستند إليها و يحاول تحريك قدميه و لو قليلاً..
كنتُ أشعر بالخوف لا مجرد القلق عليه..خاصة و أنا أرى عينيه اللتين تأطرتا باللون الأحمر..و العرق الغزير الذي كان قد بدأ يتصبب من جبينه..ثم انعقاد ملامحه أيضًا الذي يدل على المجهود الجبار الذي يقوم به..

الغريب أن من بين كل مشاعري المتخبطة تلك..كانت هناك سعادة عارمة تحتل قلبي و أنا ألمح إصراره و تصميمه على تحريك قدميه..

_هل أنت قريبته ؟!

هذا السؤال الذي خرج موجهًا إليّ بصوت رجولي هادئ..جعلني أنتفض داخليًا..قبل أن ألتفت بسرعة لتقع عيناي مباشرة على ذلك الممرض الذي كان يقف بجاني..

لا أعلم حتى كيف و لا متى ابتعد عنهم ليقرب مني !

_أنا...زوجته !

قلتُ بصوتٍ خافت يشوبه بعض التوتر و أنا أتجنب عينيه متعمدة..لكنني رغم ذلك

استطعت أن ألمح الدهشة البالغة التي احتلت ملامحه..

لكن ما جعل بعض الانزعاج ينتابني..هو تلك النظرة التي رمقني بها..كانت نظرة شملتني من

أخمص قدماي و حتى رأسي..ثم قال بنفس الدهشة ؛

_غريب..كيف لم أرك من قبل هنا !!!

تدبرتُ ابتسامة واهية لا معنى لها و أنا أقول بتوتر ؛

_لقد تزوجنا حديثاً..

ثم صمتُ بعدها للحظة..قبل أن أسأل أنا هذه المرة..قلت بتوجس حريصة على أن أبقى نبرتي

متحفظة ؛

_هل كنت تأتي دائماً إلى هنا ؟!

أوما لي بالايجاب بسرعة و هو يردف ؛

_نعم..أنا و بعض أعضاء الفريق بالطبع لأجل العلاج النفسي للسيد هادي..

علاج نفسي !!! ماذا أفعل أنا هنا إذا !!

رغمًا عني..شعرتُ بالأسف عليه و أنا أفكر أنه لربما كان واحدًا من أولئك الممرضين الذين

تحملوا عنف هادي و تقريعه..في نفس الوقت الذي انتابني مشاعر جيدة جدًا..

كنتُ أزهو بنفسي و أنا أفكر أن هادي رغم قسوته و عنفه مع -الجميع- لم يستطع أن يؤذي

أو يستمر في محاولاته لإبعادي كال-جميع-..بل تقبلي بعد يومين فقط رغم جفاءه و برودة أسلوبه

معي..

و أحيانًا هدوءه و ابتسامته التي بالكاد ألمحها و تجعل قلبي يرفرف..و الأهم ذلك اللقب الذي

لا أستطيع إبعاده من عقلي..

"شهد هادي الشاذلي"

كان منحي لهذا اللقب منه شخصيًا كهدية متأخرة لزفافنا الكارثي..شعرتُ لأول مرة أنني لست

وحيدة...فأنا أنتهي ل هادي !!!

رغم أنني عمليًا لم أكن لقيطة كما كانوا يصفونني كثيرًا في المكان حيث ترعرعتُ طوال حياتي

تقريبًا..فأنا لا أزال حتى الآن أتذكر أشباحًا لماضي بعيد كنت فيه أمتلك بيتًا و أمًا.....تخلت عني !!

لكنني للأسف نسيْتُ ماذا كان لقبني آنذاك..الشيء الوحيد الذي بقي في ذاكرتي هو ملامح أمي

و هذه ليست واضحة تمامًا..و أتذكر أيضًا أنه كان لدي -أخ- يصغرنني في السن قليلًا..

تساءلتُ كثيراً لماذا لم تتخلى عنه هو أيضاً؟! لماذا أنا فقط من تحتم عليها أن تعيش كل تلك

الأيام القاسية المريعة؟!!!

هل كانت ستتركني لو تنبأت بطبيعة الحياة التي عشتها هناك؟! هل كان ألمي ليكسرهما كما

كسر ظهري؟!!

و الأهم..هل لا تزال تتذكرني حتى الآن؟!!!!

حركة طفيفة لراحته و هو يمررها في الهواء أمام وجهي جعلت حواسي تتنبه و أنا أعود لأنظر

لذلك الممرض..فقال هذا الأخير بذهول ؛

_أنا أكلمك منذ دقيقتين !!

"و أنا لا أريد أن أتكلم معك !!!"

هذا ما كنتُ أود قوله لكنني تراجعته..خاصة حينما لمحت هادي من البعيد..و لم أتفاجئ أبداً

و أنا أقابل تلك النظرة الـ..قاسية قليلاً التي كانت تحتل عينيه..و يبدو..لا..لا يبدو..هو كان يراقبني

فعلاً و لا أعلم منذ متى..

رفع يده في إشارة واضحة منه لي لأقترب منه..فابتلعت ريتي ببطءٍ و أنا أشعر بذلك الخوف

يعود ليحتلني نسبياً..و لم أتردد لثانية واحدة من الاقتراب منه بسرعة بدون أن أرمق ذلك الممرض

بنظرة أخرى..

لكن هادي فعل..منحه نظرة حادة قبل أن يرفع عينيه نحوي ما إن توقفت بجانبه..لكنني لم

أتكلم فوراً..فقد انتظرت رحيل مجموعة طاقم التمريض الذين كانوا على وشك الذهاب بالفعل..

تحية رسمية منحها المشرف عليهم لهادي سبقت رحيلهم بصمتٍ..و حينها فقط كنت أهمس

أنا بصوتٍ خافت و عينين متسعيتين قليلاً ؛

_نعم !!!

ثوانٍ استغرقها هادي في النظر لي..قبل أن أسمع صوته يسألني بانزعاج واضح في نبرته ؛

_ما الذي كان يقوله لك ذلك المعتوه؟!!!

حسنًا..بما أنه وصفه بالمعتوه فلا بد أن دوري قادم قريباً !!!

_لـ..لا شيء مهم..سألني فقط عنك..

همستُ بتوتر لا أملكُ أمر التحكم فيه..و كم تمنيت أن يكون ذلك السؤال هو الأخير كما كان

الأول..لكنه لم يكن..فقد عاد هادي ليقول بنفس نبرته ؛

_ما نوع هذه الأسئلة ؟!!

يا إلهي..ها هو جموده يعود مجددًا..و نظرته القاسية تشعرني و كأنني ارتكبت ذنبًا كبيرًا لا

أعلم ماهيته !!!

همست بصوتٍ خافتٍ جدًا و بصدق تام ؛

_سألني هل أنا قريبتك..

كنتُ طوال الوقت أحاول أن لا تلتقي عيناى بعينيه مباشرة تجنبًا لكل ذلك الضياع الذي

يتلقف روعي كلما قابلتهما..إلا أنني رغم ذلك بين الحينة و الأخرى كنت أعجز عن الالتزام بما يجب

عليّ فعله..

كهذه اللحظة تمامًا التي رأيته فيها يميل برأسه قليلًا سائلًا بحذر ؛

_و بماذا أجبته ؟!

شعرتُ بالتوتر يتحول إلى تردد قوي حول ماهية ما عليّ قوله..فأنا لا أستطيع التنبأ بردة

فعله..قبل أن أطرق برأسي مجددًا لأهمس بنفس صوتي الخافت جدًا ؛

_أخبرته أنني.....زوجتك !

_و بعدها ؟!!

يا إلهي..لماذا أشعر و كأنني أخوض تحقيقًا غريبًا من نوع ما !!!

همست بدون أن أرفع رأسي نحوه ؛

_قال أنه لم يراني من قبل هنا كونه كان يأتي دائمًا مع الفريق لأجل العلاج النفسي و ما

إلى.....ذلك !

_و.....؟

هذه المرة كانت إجابتي فورية و سريعة جدًا حينما قلت ؛

_و فقط...لم أقل شيئًا بعدها !

رفعتُ رأسي بعد جملي هذه بحذر لأنظر لوجهه..و كم شعرت بالارتياح و أنا أرى كل تلك

القسوة التي تخيفني قد اختفت من ملامحه..لكن الانزعاج ظل مرتسمًا بشكل طفيف بين حاجبيه

الرفيعين..الداكنين كشعره..و لولا بعض الرضا الذي اكتسح عينيه خلصة لظننت بأن أجوبتي لم

تكن في محلها الصحيح..

بعدها..التزم الصمت تمامًا و هو ينظر بعيدًا و كأن عقله قد انشغل بفكرة جديدة ألهمته

عني..أي كانت هذه الفكرة فأنا ممتنة لهذا الشرود الذي منحني فرصة جديدة في مزاولة أكثر ما

أحبه..تأمله !!

كنتُ أتأملُه بإخلاص شديد...ملامي هادئة لولا أن قفزت فكرة ما إلى عقلي..فكرة مزعجة ما
لبثت أن زادت إلحاحًا في ذهني حتى ما عدت قادرة على كبحها..و كانت النهاية..أن وجدت نفسي أهمس
بغباء لافتة انتباهه إليّ مجددًا بأكثر طريقة حمقاء..

_أظن أن شعرك و ذقنك قد أصبحا طويلين...جداً !!

حسنًا..تستطيعون أن تنعتوني الآن بكل ألفاظ الغباء و التهور..لكنني كنت عاجزة تمامًا أمام

رغبتى هذه في رؤيته أنيقًا مرتبًا كما الماضي !!!

شعرتُ برغبة عارمة في الضحك و في الاختفاء في نفس الوقت حينما رفع حاجبه مدعيًا

الاستغراب و هو يقول ؛

_هل طال شعري حقًا ؟! لم أنتبه من قبل !

صمت للحظة..ثم قال مضيقًا عينيه ناظرًا لي بتوجس من رصد شخصًا آخر يقوم بفعل

مشين !

_هل هذا تمهيد لشيء ما ؟! ربما شيء ترغيبين في فعله بصفتك زوجتي !!

اتسعت عيناى بذعر و أنا أفهم تلميحه هذا على الفور..فقلت بسرعة و أنا أهز رأسي بالنفي

قطعًا ؛

_أنا...لا..لا..ليس تمهيدًا...لأي شيء !!

لكنه لم يتراجع عن محاولاته المستميتة في إحراجي..لأول مرة أشعر بأنه يعتمد إحراجي !!

بل قال بنبرة لمحت فيها بعض الخبث الذي لم أكن أعرف من قبل أن هادي يمتلكه ؛

_أظن أن هذا أيضًا مسموح في الزواج !

الآن تراجعُ خطوة مترنحة و نظرات الذعر و البلاهة تستوطن ملاحي أكثر..و لم أستطع

سوى أن أهمس قبل بتوتر أمهد طريقي للهروب بالفعل ؛

_أ..أظن أن الشمس ستغرب بعد قليل..س..سأعد طعام العشاء !

لم أكد أكمل كلامي..حتى كنت ألتفت بسرعة لأمشي بخطواتٍ شبه راكضة نحو المنزل..تاركة

إياه ورائي.. متمنية من كل قلبي أن لا يستوقفني مجددًا..و لم يستوقفني بالفعل..

لكنني استطعت بعد أن تجاوزت النافذة الزجاجية الفاصلة بين الحديقة و المنزل أن ألمح

ابتسامته التي كانت بارزة بوضوح كبير على ملامحه..

بينما هو لا يزال ينظر لي من مكانه ب.....تسلية !!!!

تبًا لي..ما نفع التوقف و النظر له الآن بعد أن هربت كالحمقاء قبل لحظاتٍ !!!

بالطبع لم أستطع أن أقابل عينيه إلا لمجرد ثانية واحدة.. قبل أن أكمل طريقي نحو الداخل بسرعة.. إلى أن اختفيت عن موضع نظره تمامًا.. وحينها فقط حررت أنفاسي و أنا أنظر حولي بذهول تام..

لا أكاد أصدق أنه لم يغضب.. بل يبدو أن ملاحظتي هذه جاءت على مزاجه و راقى له !!!!!
استطعت أن أستجمع نفسي بصعوبة.. فالتجيت إلى المطبخ لأبدأ في إعداد طعام العشاء بالفعل و أحاول في نفس الوقت التوقف عن التفكير به و بحماقاتي التي لا تعد !!

#الكاتبة

كانت تمشي باتجاه الباب بحذر بالغ.. أصابع قدميها بالكاد تلامسان الأرض.. إلى أن توقفت أمام الباب لتفتحه بحذر بالغ و تخرج مغلقة إياه بنفس الهدوء..
كانت تتوقع أن تجده ينتظرها على بعد أمتار من الباب الداخلي ربما ذلك الأحمق الذي تسلك إلى قصر عائلة الشاذلي بكل جرأة..

إلا أنها شهقت بتفاجئ و هي تجده يقف أمامها بالفعل..

قالت بصوت خافت حاد و هي تنظر حولها للمكان الفارغ برعب ؛

_ماذا تفعل هنا ؟!! هل أنت مجنون ؟!!!!

قال أشرف بتنهيدة حزينة ؛

_اشتقت لك !!

عبست سجي و هي تهمس بحدة أكبر و كأنها تخاطب طفلاً صغيراً بالكاد يستطيع الفهم..

_لقد التقينا يوم أمس بالفعل !

تأكدت بالفعل بأنه طفل حينما سمعت صوته يهمس لها ببراءة ؛

_و اليوم لم نلتقي..

قالت سجي بانفعال ؛

_لأن اليوم إجازة و.....

زمت شفتيها بحلق بالغ و هي تتوقف عن الشرح فجأة.. قبل أن تقول بتوجس ؛

_ثم كيف استطعت الدخول ببساطة هكذا ؟!!!!

همس أشرف بدون أن يعلو صوته عن الهمس بكل بساطة بينما ابتسامة مترفعة بسداجة

ترسم على شفتيه..

_قفزت من فوق السور و لم يلمحني أيّ أحد..

_و اتصلت بي في منتصف الليل لتزعجني فحسب !!

هتفت سجي به مجدداً بانزعاج..فهز رأسه بالنفي و هو يقول بنبرة بطيئة مميزة ؛

_لأراك...ألم أخبرك أنني اشتقت لك ؟!

أغمضت سجي عينيها متهددة بيأسٍ قبل أن تهمس ؛

_حسناً..و ها قد رأيتني..ارحل الآن..

نظر لها أشرف باعتراض و كأنه سيرفض..إلا أنه و ما كاد أن يفتح فمه ليتحدث حتى كان

صوت انفتاح الباب الرئيسي ثم تقدم إحدى السيارات نحو الداخل يقاطعه..

اتسعت عينا سجي بقوة و هي تتعرف على هوية صاحب تلك السيارة فوراً..قبل أن تسحبه من

يده بسرعة إلى أن انحنت و اضطر هو لينحني معها ليتواريا خلف شجرة صغيرة حيث كان ظلام الليل

الدامس ينعكس على هذه الحديقة الواسعة..

كانت حركة واضحة المعنى تماماً..أي شخص سيفهم بأنها لا تريد لابن خالتها الأحقق أن يراها

معه..لكن ذلك الأبله الذي كان يجلس بجانبها بدا أشد غباءً من أن يستطيع الفهم بسرعة ففتح فمه

يهم بسؤالها..

لكن صوته لم يتردد سوى بداخل فمه حينما رفعت سجي يدها بسرعة لتكتم فمه براحتها..ثم

رفعت الأخرى لتشير له بسبابتها على فمها بأن يصمت تماماً..حينها فقط..كان أشرف يهز رأسه

بطاعة..فزفرت بتعب و هي تبعد يدها عن فمه ببطء..

التفتت بعدها لتنظر إلى ذلك الذي كان قد خرج من سيارته بعد أن فتح له أحد الحراس

الباب..

كعادته لا يمكنه أن لا يبدو أنيقاً بشكل مبالغ به في جميع الأوقات..لولا أنها لم تكثرت يوماً

لأناقته تلك..لقد كانت إنسانة تؤمن بالجواهر..و قد كان رجلاً ذو جوهر فاسد..لا تليق به إلا امرأة

فاسدة مثله !!

راقبته بفتور و هو يتجه إلى المنزل بخطواته الأنيقة إلى أن اختفى خلف الباب المصمم

بطريقة رائعة بعد أن فتحت له الخادمة الباب..

_هل هذا هو نفسه ؟!

صوت أشرف الذي خرج محملاً بشيءٍ من البغض..أخرجها من شرودها نسبياً..فقال بدون

أن ترفع رأسها نحوه بصوتٍ حاد ؛

_هشششش..لا كلمة !

إلا أن أشرف رفض الالتزام هذه المرة..فقال بإلحاح ؛

_أجيبيني أولاً !!!!

همست سجي تتنهد بفتور و ضيق ؛

_نعم..هو شهاب ابن خالتي -الملتصق-..

قبل أن تضيف بنبرة كانت غايتها الحقيقية استفزاز غيرته رغم عفويتها الظاهرية..

_لكنه للأمانة يحبني بشدة و لا ينفك ي.....

الآن كان دور أشرف ليكمّم فمها بسرعة..ثم ما إن نظرت له رافعة حاجبيها دهشة..قال

عابساً بشدة ؛

_هل تحبين أن أذهب و أحطم رأسه الآن ؟!!!!

هزت سجي رأسها بالنفي ببراءة..فعاد ليردف بنفس العبوس و هو يبعد يده بحذر..

_توقفي عن استفزازي عاطفياً إذًا..

عاد لينظر أمامه بعدها..بينما هزت سجي رأسها محاولة بشدة أن تخفي التسلية من

ابتسامتها التي شقت شفاهها رغمًا عنها..قبل أن يلفت انتباههما سويًا صوت بوق سيارة أخرى ثم

انفتاح الباب على مصراعيه..وهذه المرة كانت سيارة -لؤي-..

كم كانت تحب رؤية لؤي..تشعر بأن كل معضلات حياتها تتلاشى فور لمحها له و لو من

البعيد !

كان قد خرج بالفعل و أغلق الباب من خلفه بهدوء..حينما وصلها صوت أشرف يقول بغباء و

هو يشاركها النظر له من مكانهما الخفي ؛

_هل هناك نسخة أخرى منه أم ماذا ؟!!!!

ضحكت سجي برقة على جملته هذه و هي تقول ناظرة للؤي بحب ؛

_لا..هذا لؤي ابن خالتي أيضًا..هما لا يتشابهان إطلاقًا لكن عمي أكرم سامحه الله يفرض

عليهما هذه البديل الرسمية لأجل العمل..

و هما لم يكونا متشابهين فعلاً..على الرغم من أن الثلاثة إخوة..هادي و لؤي و شهاب..كانوا

يتشاركون نفس لون الشعر البني الداكن -مع اختلاف درجته قليلاً بالنسبة للؤي الذي كان يمتلك

لون شعر أفتح بقليل من أخويه-..و نعومته الفطرية..

إلا أن أيّ منهم الثلاثة لم يكن يشبه الآخر بأيّ شيءٍ ربما باستثناء لقيهم العائلي..خاصة
طبائعهم المختلفة تمامًا..

قال أشرف و هو يلاحظ نظراتها الجميلة جدًا لهذا المدعو لؤي ؛

_يبدو أنه يمتلك مكانة خاصة جدًا لديك !!

أومأت سجي و هي تهمس مؤكدة بينما ابتسامتها الجميلة تشرق..

_هو كذلك..

انتظرتة بعدها بهدوء إلى أن اختفى هو الآخر بداخل المنزل..و حينها فقط..كانت تقف

بسرعة..قالت و هي تسحب أشرف من يده مجددًا و تخرج من مخبئها ؛

_عليك الذهاب حالًا..

_لكن.....

هتفت به سجي بحزم و هي تتوقف فجأة ؛

_لا يوجد لكن..لقد كدت تفضحنا !!

فزم أشرف شفثيه ناظرًا لها بإحباط كبير جعل من حاجبيها يميلان للأسفل قليلًا بعطف..ثم

قالت بصوتٍ حاولت أن يكون لطيفًا الآن ؛

_هيا..و سأتصل بك بعد قليل..أعدك !

_حسنًا..

همس أشرف بنفس الاحباط و هو يترك يدها على مضض ليتراجع بخطواته إلى الورا دون أن

يترك عينها إلا حينما وصل إلى وجهته..وقد كان كان ذلك السور الذي تسلقه بخفة كما فعل قبل

دقائق..ثم قفز إلى الجهة الأخرى أمام أنظارها..

تهيدة أخرى محملة بابتسامة شبه مكتملة هربت من بين شفثيها و هي تراقبه إلى أن اختفى

تمامًا عن مجال نظرها..قبل أن تستدير عائدة للمنزل بهدوء..

بالطبع بدون أن تنتبه لزوج من العيون التي كانت قد لمحّتها لرجلين كل واحد منهما كان يقف

خلف نافذة غرفته ببدلة رسمية..

أحدهما كان لؤي الذي اتسعت عيناه بصدمة و ذهول كبير..

و الآخر لم يكن سوى شهاب..و هذا كان يبدو من شدة صدمته و غضبه كمن يقاوم رغبة

عنيفة في الانقضاض عليها من مكانه و...صفعها -حرفيًا- !!!

" 8 :فضفضة "

#الكاتبة

بصعوبة بالغة تمكن من السيطرة على نفسه حتى لا يخرج إليها الآن و يحاسبها على ما رأى..ترك النافذة بعنفٍ ليتراجع ناظرًا حوله في كل اتجاه في محاولة فاشلة لتهدئة أعصابه الآن.. صورتها مع ذلك الشاب احتكرت كل تفكيره لتجعله يرفع يده يتخلل بها شعره يكاد أن يقتلعه من جذوره لشدة إنفعاله..قبل أن يزفر لمراتٍ متتالية ثم ارتدى فوق الأريكة الجانبية الوحيدة بهذه الغرفة هامسًا لنفسه بغضب مكبوت..

_اهدأ..اهدأ..لا تتسرع..تبًا لا تتسرع !!!

صرخ آخر كلمة و هو يقف بالفعل منتفضًا من مكانه..موقن هو أنه لو خرج الآن و قابلها فسيؤذيها..حتمًا سيؤذيها..و هو لا يريد..ليس بعد..ليس قبل أن يتأكد بشكل قاطع من ما رآه !! أقنع نفسه بصعوبة بفكرة أنه لا بد أن يكون مجرد صديق لها في الصّف و أتى لغرض ما شديد الأهمية في منتصف هذا الليل..فلا يمكن أن يجبره على القدوم شيء إلا إذا كان بالغ الأهمية..و هو يعلم كم تهتم سحى بدراستها بشكل مبالغ به..

إلا إذا كانت قد انحرفت عن الطريق و قررت تحدي "شهاب الشاذلي".. حينها فقط سيكون جانبه الآخر من يقابلها..ذلك الجانب الذي لم تقابله من قبل و لم تتعرف عليه..و لا هو يتمنى أن تتعرف عليه يومًا !!

في غرفة أخرى لا تبعد كثيرًا عن خاصته..لم يستطع صاحبها الصمود مكانه ففتح الباب ليخرج باندفاع متجهًا إلى السلالم عازمًا على الذهاب إليها..إلا أنه لم يكد يقطع الدرجة الأولى..حتى كان عيناه تقعان عليها بالفعل بينما تصعد السلم..

شعرت سحى ببعض التوتر يساورها و هي تراه يقف مكانه في أعلى درجة من السلم ينتظر صعودها على ما يبدو بملامح...جامدة !!

فتسمرت للحظة قبل أن تعود للصعود بخطواتٍ هادئة..إلى أن توقفت أمامه..و حينها فتحت فمها مردفة بنبرة حاولت جعلها عادية ؛

_لؤي..متى جئ.....

لم يسمح لها لؤي بإتمام جملتها..بل قبض على يدها فجأة ليسحبها وراءه بحزم أمام تفاجئها
إلى أن دخل إلى غرفته و أدخلها معه..

التفت إليها فوراً بعد إغلاقه الباب لينظر لها بأنفاسه اللاهثة..نظراته غير المريحة على
الإطلاق جعلت سجي تشعر ببعض القلق و فكرة واحدة تقفز إلى عقلها..
طرفت بعينها و هي تشعر بالدم ينسحب من وجهها تدريجياً..هل يعقل أن يكون قد رآها مع
أشرف ؟!! ألهذا السبب يبدو غاضباً منها بهذا الشكل ؟!!
لكن لماذا يغضب ؟! أساساً هي كانت تنوي إخباره قريباً..بل و إخبار كل من في هذا
البيت..كانت تنتظر فرصة جيدة فقط و ربما أن تتخلص من إلحاح شهاب و التصاقه بها نهائياً..
لؤي.....

همست اسمه بدون أن تجد القدرة على قول شيء آخر بعدها..فاقترب لؤي خطوة و قد بدت
ملامحه شديدة الإرهاق و هو يهتف هامساً برجاء ؛
_أرجوك..أرجوك أخبريني أن ما أفكر به ليس صحيحاً..أرجوك..
كان صوته لاهتاً..لمحت نبذة الخوف واضحة فيه..فارتفع حاجباها قليلاً و قد تأكدت بما لا
يقبل الشك من صواب فكرتها..
هي أكثر من يعرف عن عاداته في الوقوف طويلاً أمام النافذة مهدوء و انعزاله الجميل..لا بد
أنه رآها مع أشرف...الآن تأكدت !!
قالت بصدق و هي ترفع يديها و كأنها تعتذر له على شيء ما لا شأن له به ؛
لؤي..لؤي أنا أحب.....

قاطعها لؤي و هو يقترب فجأة ليقبض على ذراعها هاتفاً بنبرة شعرت بها غريبة..كانت نبذة
تحمل الخوف الشديد..نبذة جعلتها تنظر له مشدوهة بشدة..
_لا تكلمي..لا تكلمي..هل أنت مجنونة ؟!! هل تعلمين ما يستطيع شهاب فعله بك لو سمعك
تنطقين اسم أي شاب آخر ؟!!!!
حسنًا..لا تظن أن شهاب خطير لهذا الحد..خاصة معها هي !!! لكن لماذا يبدو لؤي خائفاً جداً
منه ؟!!!!

لم ترق لها نظراته المرتعبة هذه من شخص جبان كشهاب..شخص يبحث عن هويته
المفقودة عن طريق السيطرة على فتيات أقل شأنًا و مكانة و قيمة منه..شخص لا يستطيع أن يمس
ظفرًا من أصبعها..

لأنها ببساطة لن تسمح له !!!!

لهذا و بحزم كانت تنفض ذراعها من يديه هاتفة به هي هذه المرة بصوتٍ خافت ؛
_ أنت هل جننت ؟!! هل تظن حقًا أنني أخاف من شهاب ؟!!!! أم أنني كنت أنوي الزواج به
إرضاءً لمزاجه حتى لا يؤذيني مثلاً !!!!

نطقت آخر كلماتها بنبرة ساخرة مستنكرة.. فتسمر لؤي للحظة ناظرًا لها بصمتٍ.. نظراته
قائمة يتخللها شيء يشبه الحسرة.. وكأنه يقول لها بلا صوت..

" أنت لا تعرفينه بعد.. بل أنت لا تعلمين أي شيء !! "

قطبت سجي حاجبها بشدة و هي تدقق النظر في ملامحه غير قادرة على الاستيعاب.. ثم
همست و ابتسامة مذهولة عصبية تحتل شفتيها ؛

_ أنا أعلم.. أكاد أرى كل مخاوفك في عينيك.. لكنني لست مثلك... أنا لا و لن أخضع
لشهاب.. أفضل أن أموت على أن أفعل.. أنا لست " نرمين " .. حتى تلك الفتاة المسكينة لو كانت تمتلك
القليل من القوة لمواجهة لما كان اعتدى عليها بتلك الوحشية.. لكن لؤي.....

صمتت للحظة ثم أضافت بحذر بالغ.. بشيء من.. رهبة طفيفة !

_ هل تراني حقًا أشبهها ؟!! هل تلمح طيفها في عيناها ؟!!!!

هز لؤي رأسه بيباسٍ و أفكاره تخرج من بين شفتيه على شكل كلمات متحسرة..

_ أنت لا تعلمين شيئًا.. لا تزالين بريئة حتى الآن.. تظنين أن حبك النقي هذا أو كونك من دمنا
سيشفع لك عنده.. لا و ألف لا.. من استطاع الإعتداء على فتاة صغيرة تربت تحت أيدينا.. نفس الفتاة
التي كان يدعو أمها بخالتي.. لتختفي الألقاب يومًا فجأة و تصبح مجرد خادمة لا أكثر و لا أقل.. نفس
الفتاة التي أمنتها والدتها عليها.. بل أمنتنا جميعًا و هي واثقة تمامًا أن لا يدق تمد نحوها بسوء.. فهي
بعد كل شيء كانت تعتبر فردًا من عائلتنا بالنسبة لي على الأقل.. نفسها من نظرت له بإعجاب و

حاولت استمالة قلبه بسذاجة مراهقة لم تتجاوز السابعة عشر بعد.. ليجردها من كل براءتها و يتركها
مجرد جثة هزيلة لامرأة كانت ذات يوم فتاة مشرقة.. أقصى أحلامها أن تلتقي بفارس أحلامها الذي
سينتزعها إلى عالمه الوردي.. لتفتح عينها على سواد كربه و تعلم أن لا فارس في قصتها.. مجرد وحش

على هيئة بشر اقتنص منها كل شيء !!!

كانت سجي تستمع إليها و بعض الدموع بدأت تتدافع في عينها و هي تتذكر تلك الفتاة التي
كانت ذات يوم مشعة كالشمس المشرقة بينهم.. لتغدو كما وصفها مجرد جثة لامرأة هزيلة كانت ذات

يوم فتاة مشرقة !!!

بينما استأنف لؤي و هو يقرأ ألمها و أفكارها في عينيها..قال بصوتٍ مرتجف و عقله يبني له
صورًا مخيفة من المستقبل..صورًا لم يحب تخيلها أبدًا..

_هل تظنين أن هذا الشخص قد يرحمك ؟!! أو أن أمي أو أبي سيقفان ضده بصفك لو حصل
و تسبب لك في أي أذى ؟!!!

قالت سجي باندفاع ؛

_خالتي لا يمكن أن تتخلى عني..أنا أعلم أنها تحبني بشدة حتى لو حاولت إخفاء ذلك فهي
تحبني !!!

كانت تتكلم بثقة مهتزة بعض الشيء..نعم..تعلم بأن خالتها تحبها بصدق.. لكن هل يا ترى تحبها
بنفس القدر مع شهاب ؟!

جاءها الجواب فوراً من لؤي..و كأنه قد ترجم نفس الفكرة التي راودت عقلها..فرأت
الابتسامة المريرة التي اعتلت وجهه..قبل أن يهمس بنبرة هادئة هذه المرة..يقر لها بالحقيقة الكئيبة
التي لا يستطيع أي أحد إنكارها!

_لكنها تحبه أكثر منك..تعلمين هذا أيضاً !!

سكنت سجي تماماً بعد جملته هذه..و أطرقت برأسها و هي تهمس بنبرة خافتة جداً و قد بدأ
بعض الخوف يندلع في ملامحها و قلبها..

_سأضعه أمام الأمر الواقع و أتزوج بدون علمه إذا..لن يستطيع أن يؤذيني حينها..أليس
كذلك ؟!!!!

قالت آخر كلمة بتساؤل ضعيف و هي تعود لترفع رأسها نحوه ناظرة في عينيه اللتين كانتا
تماثلان شعره المرتب الناعم في لونهما..برجاءٍ ظهر في عينيها عميقاً..تستنجد به و تتوسله أن يمنحها
الاطمئنان الذي تنشده..

لكنه لم يمنحها شيئاً ممّا أرادت..فقد هز رأسه بعجز و هو يهمس بعينين شبه دامعتين ؛
_لا أعلم..لا أعلم حقاً يا سجي !!

صمت للحظة و هو يرى ملامحها التي شحبت تماماً بعد إجابته..فانحنى حاجباه قليلاً بشيءٍ
من الأسى..يتمنى بشدة لو يطمئنها بكلمة واحدة..لكنه لا يستطيع..يعلم أن كل ما سيقوله لن يكون
سوى كذباً و هو لا يستطيع أن يكذب عليها...لا يستطيع !

_لكنك ستساعدني..أليس كذلك ؟!!!!

عادت لتهمس عاقدة حاجبها قليلاً بنفس نبرتها التي شعر بها بريئة جداً.. بالغة البراءة.. فما كان منه إلا أن هز رأسه بالإيجاب لها.. قبل أن يفتح ذراعه هامساً بحنان جارف ؛
_ اقتربي !

و اقتربت بالفعل لتندس في حضنه محاوطة جذعه بذراعيها بقوة.. سامحة لتلك الدمعة العالقة بين رموشها بالتحرّر أخيراً ببطءٍ.. أغمضت عينها بشدة و هي تشعر بذراعيه تلتفان حولها بإحتواء اعتادته منه.. فهمست مجدداً بضعف ؛
_ لا تتخلي عني !

و ردًا على رجاءها هذا شدّد لؤي من احتضانها و هو يهمس بنبرة حازمة لا تردّد فيها ؛
_ لن أتخلي عنك.. لن أتخلي عنك أبداً !

#شهد

تمر الأيام ببطءٍ شديد عكس خفقات قلبي التي تزداد ذعرًا و اضطرابًا كل يوم مع فكرة فراقه الذي أصبح يبدو لي قريبًا جدًا.. قريب إلى درجة ما عدت أقدر معها على إغماض عيناي قليلاً ناشدة الراحة إلا و أعود لأفتحهما ب... بجزع لا أملك أمر تقييده او طرده !
اقتربتُ من غرفته في وقتِ الظهيرة لأجد الباب مواربًا قليلاً بينما هادي يحاول بشدة أن يحرك قدميه مستندًا إلى تلك الآلة الميكانيكية الشبيهة بالكروسي..
فتوقفتُ مكاني أراقبه من على بعد خطواتٍ منه بدون أن أشعر..
كانت عيناي تطوفان على كل تفاصيله و تحركاته.. و لمحت حركة طفيفة جدًا في أصابع قدميه و تجعد جبينه بانفعالاتٍ قوية.. فانعقد حاجباي قليلاً و تحفز قلبي بأمل و كأنني أشاركه نفس الانفعالات القوية تلك..

كان يحاول أن يتحرك.. عيناه يتخللهما الكثير الكثير من الإصرار... لكن جسده العليل لا يسعفه تمامًا و كل قوته تبدو ضعيفة أمام ما هو مقدم عليه..
و بالفعل.. فقد رأيتُه بعد عدة محاولات ذات جهد عالي يرجع رأسه للوراء مغمضًا عينيه على أنفاس متسارعة.. تاركًا المحاولة باستسلام إلى وقتٍ آخر..
بقيتُ واقفة مكاني للحظاتٍ أخرى أراقبه بخفقات قلبي المتهدجة.. قبل أن أتقدم خطوة نحو الداخل.. و لم أكد أقول كلمة.. حتى وجدته يرفع رأسه لينظر لي مباشرة و همس من بين أنفاسه
اللاهثة بما جعلني مذهولة ؛

_هل رأيتهَا؟؟!!

نظرتُ له بعدم فهم..فهمس بنفسي النبرة الهادئة مع ابتسامة صغيرة تحتل شفتيه ؛

_حركة أصابعي !!

تفاجئتُ بشدة من أنه يعلم أنني كنت أراقبه..هل يعلم حقًا !!!

تجاهلتُ تلكَ الفكرةَ بمشقة و أنا أهز رأسي بالايجاب هامسة بصدق تام و أنا أنظر صوب عينية البر اقتين بذلك الوهج الفطري الداكن..و اللتين بالكاد أستطيع الصمود كلما نظرت لهما..

_رأيتهَا..و سعدت...كثيرًا !

نظرة غريبة استفحلت عينية بعد ردي..لكنه لم يتكلم فورًا..فقد ظل يتأملني بصمتٍ لعدة لحظات..ثم قال فجأة تاركًا نفس الابتسامة الجذابة الهادئة كاسمه تحتل شفتيه ؛

_هل تر اقبيني دائمًا أم أنها مرتك الأولى؟؟!!

يا إلهي..ما الداعي لهذا السؤال الآن !! إنه يعيش إحراجي بالفعل !!!

ارتباكٌ شديد احتل ملامحي و أنا أنظر له للحظة بغباء..لكنني رغم ذلك قلت أجيبه كاذبة ؛

_أنا..جئتُ لأدعوكَ إلى الغداء..لم أكن أقصد مر اقبتك !

و تفاجئتُ أكثر و أنا أسمع يكرّر سؤاله و كأنه لم يسمع جوابي ؛

_هل هي أول مرة؟؟!!

هل ستصدقوني لو أخبرتكم بأنني رغبت بشدة في هذه اللحظة في الہتاف في وجهه بأيّ كلمة

تجعله يتوقف عن إحراجي..على الأرجح كانت رغبة لحظية انتابتي لأول مرة..

قلتُ بصوتٍ خافتٍ وديع جدًا و أنا أتجنب عينية الساحرتين..ذلكَ لأنني أدركُ بأنني ربما لن

أستطيع تهجئة تلكَ الأحرف الثلاثة حتى لو استمررت في النظر لهما!

_نعم..

كلمة واحدة واضحة أجابني بها جعلتني أرمش بعيناي بغير تصديق..

_كاذبة !!

قالها بهدوء تام و هو لا يزال ينظر لي و كأن لا شيء في الحياة يشكل معه فارقًا..هو يعلم بأنني

أكبر فاشلة في الكذب..خاصة عليه..لذا أيّ محاولة الآن للتبرير فهي بائسة !!

لهذا و بدون أن أكلف نفسي عناء الشرح..همست بعد لحظاتٍ أغير كل منحي الموضوع و أنا

أطرق برأسي ؛

_الأكل سيبرد..

على الرغم من هدوء نبرتي إلا أنها لم تكن لا خائفة و لا ودیعة كما العادة..فقد ظهر بها بعض من ذبذبات مشاعري المغتاضة منه..سمعت صوته يهمس بعد لحظاتٍ بنبرة مسّت قلبي ؛

_هل تظنين بأنني أستطيع الوقوف مجدداً ؟!!!!

نبرته هذه بكل الأمل الحزين الذي تخللها..جعلت كل الارتباك السابق يتداعى من ملامحي..قبل

أن أوماً له هامسة بكل تأكيد و طيف ابتسامة لم أخطط لها يشق شفّتي ؛

_بالطبع..أنت تتحسن بسرعة ما شاء الله..حتى حركة أصابعك تدل على أنك على وشك

استعادة قوة قدميك قريباً بإذن الله..

صمتُ بعدها ناظرة له بابتسامة بريئة جداً..لكنه فاجئني مجدداً حينما قال بنفس هدوءه

الملفت ؛

_هل أنتٍ طيبة ؟!!!

نظرتُ له بغباء تام و أنا أهز رأسي بالنفي..فقال و هو يقطب حاجبيه ببرود ؛

_توقفي عن التنبأ بمستقبل حالي إذا !

امتعت ملامحي تماماً أمام جملة..و لم أستطع إلا أن أخفض رأسي أكثر هامسة بحزن لم

أملك اخفاه من نبرتي ؛

_حاضر..

ثم التفتُ بدون أن أمنحه نظرة أخرى أهم بفتح الباب و الخروج بصمت.. لكن صوته الذي

نطق فجأة من ورائي أوقفني..

_شهد !!

تسمرتُ للحظة قبل أن ألتفت إليه بصمتٍ..لا يزال الحزن يلون ملامحي بغير قصد مني..فقال

بعد ثوان بنبرة جادة تماماً ؛

_لماذا تلتزمين الصّمت دائماً حينما أهيئك ؟!!

رفعتُ رأسي لأنظر له غير قادرة على استيعاب سؤاله أو هدفه منه أساساً..لكنني همست

رغم ذلك بنبرة ضعيفة مائلة للبكاء ؛

_لأنني مجرد خادمة..أنا هنا لخدمتك فقط..لا يحق لي أن أعترض..

ظل هادي ينظر لي للحظاتٍ بصمت..بينما برز في عينيه نظرة جعلت قلبي يرتجف لهفة

لتفسيرها..كانت نظرة شفقة..أو أسى..أو ربما...ندم !!

قبل أن أسمع صوته الأمر يهمس لي بخفوتٍ ؛

_ اقتربي !

و اقتربتُ بالفعل إلى أن وقفت أمامه تمامًا أنظر بعيدًا عن عينيه..قال بنفسِ النبرة الآمرة
الهادئة على نحو غريب ؛

_ اجلسي !

هذا الأمر وحده ما جعل بعض الرعشة تلامس أناملي و أطرافي..و حتى عيناى اللتان اهتزتا
قليلاً و عقلي يستعيد لحظة سيئة عشتها هنا قبل أيام..
جلستُ بحذر شديد في نفس المكان الذي جلست فيه ذلك اليوم..في طرف السرير بينما هو
أمامي فوق كرسيه المتحرك..

بعض الصمت الكئيب ساد في المكان لم أنفكّ خلاله عن التلاعب بأناملي التي أضعها فوق
حجري..و النظر إلى كل مكان في الأرض..

كنتُ أشعر بالخوف الشديد..خوف لا سبب له و لا معنى له ربما لكنه لم يلبث أن احتل قلبي
و أنا أجلس أمامه تحت مرأقبته..أشعر بعينيه على ملامحي لا تبارحان النظر لي..
ذلك الخوف..هو ما جعلني أنتفض حرفيًا حينما امتدت يده إلى وجهي فجأة..كان خوفًا قويًا
ظهرت أطيافه واضحة على ملامحي..

بينما عاد ذلك الموقف ليمر أمام عيناى واضحًا..حتى أنني شعرت بألم غريب في ذقني و كأنني
أعيشه في عقلي مجددًا..أسمع كلماته المهددة لي و أرى عينيه القاسيتين تقابلان عيناى..كل تلك
التفاصيل التي كرهت استحضارها و لو في عقلي كانت تزيد من تشعب الخوف غير المبرر في ملامحي..
و يبدو أنه قرأ كل ذلك الخوف من نظرتي تلك..فانعقد حاجباه قليلًا..و احتلت عينيه نظرة
لم أستطع أن أفهمها تمامًا..كان بها من الحنان ما جعلني أفغر فمي بذهول تام..بينما أصبحت أطياف
الندم واضحة في عينيه الثابتين لي..

كانت يده متوقفة في الهواء بجانب وجهي الذي كاد أن يلمسه لولا ردة فعلي تلك..فرمقتها
بنظرة سريعة قبل أن أستقيم مجددًا في جلستي بعد أن أخذت نفسًا عميقًا بدا و كأنه إعلان مني على
عدم اعتراضى على يده تلك..

و حينها فقط..كانت يده تعود لتتحرك ببطءٍ إلى أن لامس بظاهر أنامله وجنتي..منحني
لمسة..جعلت شيئًا ما يتحرك في معدتي..أو في قلبي..لا أعلم..

لكنني وجدتُ نفسي أغمض عيناى باستسلام تام ليدى و لهذه المشاعر الجديدة التي سيطرت
علي..أشعر بأنفاسى تخرج بصعوبة..أتمنى من كل أعماقى أن لا يزول تأثير يده الحانية على قلبي..

عساه يتركها هناك..لقد آلف قلبي تلك اللمسة و لم أعد استلطف فكرة الفراغ الذي

سيتلقفني بعدها !!!

سمعتة يهمس بعد لحظاتٍ بنبرة حازمة..قاسية قليلاً..عكس لمسة يده..

_ما قلته ذلك اليوم كان دافعه غضبي و شعوري بالخذلان المريع منك !

فتحتُ عيناى ببطءٍ لأقابل عينيه مجدداً بشيءٍ من الرهبة.. فأكمل و هو يبعد يده فجأة
بطريقة جعلت من رعشة باردة تمر عبر عمودي الفقري..أشعر بأن كابوسي اللحظي تحقق...لقد

تركني للفراغ هادي !!

_لكن و رغم كل ذلك..أنا لم يكن يحق لي أن أقول كل ما قلت !

قال مجدداً بنبرة أقل قسوة و حزمًا..بل كانت نبرة إقرار فقط..اعتراف! سمعت صوت تهيدة

خافتة منه..ثم استرسل و هو ينظر جانباً بشرود ؛

_أحياناً يضطر الإنسان على الخضوع لقوانين و أحكام قاسية..فقط لأنه...عاجز !

صمت للحظة أخرى..ثم نظر لي متسائلاً بنفس الشرود ؛

_من يعلم ؟!! ربما لو كنت مكانك لفعلت نفس الشيء !!

هنا فقط..كانت عيناى تتسعان بدهشة بالغة..لا أصدق بأنه يمنحني العذر بعد كل شيء !!

كان هادي قد لمح ردة فعلي..علمت ذلك من الطريقة التي استكانت عيناه للحظة تدققان

النظر في عيناى..ثم أكمل و كأنه يؤنب نفسه بذنبي أنا !!!!

_مهما كانت أسبابك فأنا لم يكن يحق لي محاسبتك عليها..ليس لأنك لا تستحقين..بل لأنني أنا

نفسي لست جديرًا بلعب دور -الشخص المجروح- الذي تعرض للخيانة من الفتاة التي تخطى عنها

بنفسه سابقًا !!!

كانت نبرته متألمة رغم محاولاته الفاشلة في جعلها قوية جامدة..ثم همس و هو ينظر لعيناى

تمامًا..

و قد لمحت بعض الضعف و الانكسار يكتسح ملامحه خلسة !

_كيف كنت أتوقع منك الاخلاص و الحب بينما أنا لم أمنحك أي شيءٍ في حياتي ؟!! ما عدا

الرفض و التجاهل و الدموع التي كثيرًا ما رأيتها في حدقتيك كلما كنت أقف من البعيد أناظرك..أرى

كيف أن عيناك تستنجدان تفسيرًا صغيرًا مني..ربما مجرد جملة تشرح سبب جفائي المفاجئ معك !!!

أطرق برأسه ليكمل بنفس النبرة ؛

_ لكنني لم أمنحك أي تفسير.. بل استمررت بتجاهلك و كأنني لم أعرفك يوماً.. وها هو القدر
يدير الكفة ليضعني في هذا الموقف أمامك.. حيث أنا من أحتاج رعايتك و حمايتك لا أنت !!
أعاد أنظاره إليّ ليمس و ابتسامة هادئة جداً.. و مريرة جداً تلامس شفتيه..
_ الفرق بيننا أنني تجاهلتك في الوقت الذي كنت في حاجة لي فيه.. تجاهلتك لأجلك.. بينما أنت
لم تتجاهليني في الوقت الذي احتجتك فيه... لأجل نفسك !!
شعرتُ و كأنه قد سكب دلوًا من الماء البارد فوق رأسي.. و بدقات قلبي تنقبض بشدة.. و بآلم
سحيق غير معقول يحتلني لدرجة فقدان كل صمودي أمامه..
و كم تمنيتُ في هذه اللحظة بالذات.. لو أفتح فمي.. لأصارحه بكل أمانة بأنني.... "أحبه" !
فقط لأقولها و لا ألفظ حرفاً آخر بعدها!
" أنا أحبك يا هادي.. أحبك بعدد شعيرات ذقنك التي أكاد لا أستطيع عدها.. بعدد اللقاءات
التي جمعتنا و الابتسامات التي تشاركناها سوياً في طفولتنا.. بعدد تلك النجوم التي لطالما جلسنا
سوياً تحتها نتأملها خلسة عن أمك.. بعدد نبضات قلبي المكلوم بحبك أحبك.. بقدر الدموع التي ذرفت
في فراقك و الليالي التي قضيتها أناجي طيفك أحبك.. بقدر ألمك الذي تسببت به أنا أحبك.. أحبك !! "

"9 : خبايا"

#هادي

أنا لم أكن أكذب حينما اعترفتُ لها بكل صدق أنني ربما لو كنت مكانها لفعلتُ نفس الشيء !!!
في النهاية هي مجرد فتاة صغيرة وجدت نفسها بين لحظة و أخرى عرضة للخروج للشارع..
وحيدة.. خائفة.. مكسورة.. فكان الحل الأمثل أن تتمسك بأول خيط نجا امتد لها !!!
الحقيقة أنني شيئاً فشيئاً بدأتُ أشعر نحوها بعطفٍ غريب.. أو بمعنى أدق فأنا عذرتها..
ربما لو لم أكن أنا المقصود.. لو كنت لا أكن لها أية مشاعر تتجاوز الصداقة التي كانت
تجمعنا في الماضي لكنت أنا من أقنعتها بالقبول بهذا العرض على أن أراها بخير دائماً و لا تتعرض لأيّ
أذى !!!

غريب أمرنا نحن البشر.. لا نمنح غيرنا نفس الأعذار التي نمنحها لأنفسنا !!! ألم أتعمد جرحها
- في وجهة نظرها- أنا أيضاً ؟!

ماذا لو تبدلت الأدوار إذًا ؟! لو كانت هي من في محلي !
لو لم أتعرض لأيّ حادث و قرّرت أن أواجهها بشجاعة ذات يوم لأخبرها بكل صدق أنني ما
تركته إلا حبّاً فيها.. نعم أنا تجاهلتها لكن من أجلها..
لقد وضعوا السكين فوق رقبتني و طلبوا مني أن أنحني.. و أنا انحنيت لأنني لم أجد منفذاً حينها
غير الإنصياع لرغبة شخصين كان من المفترض أن يشكّلان كل الأمان لي لكنهما لم يشكّلا في حياتي
سوى عائقاً كبيراً..

بيني و بين أحلامي.. طموحاتي.. حُبي.. ببساطة كل شيء !!!
بقيتُ أتأمل عينيها المُعذبتين بصمتٍ.. أتساءل لما كل هذا العذاب ؟!!!
إنها تنظر لي و كأنها تناشد ملاكها الحامي أن لا يتركها.. أن يعذرها.. أن يصدقها.. لكن ماذا
سيصدق و هي لم تلفظ كلمة واحدة منذ أن جلست ؟!!!!
حركتُ رأسي بلا فائدة لأسترجع كامل إدراكي و أعيد أنظاري لها هامساً بخفوتٍ بعد صمتٍ
طال ؛

_ أنا لن أعاتبك بعد الآن.. أنا فقط أطلب منك بأن تنمي كل مهامك بأمانة إلى أن يأتي يوم
افترقنا... و أقصد بمهامك أن تعيدي لي شهد الماضي !!!

رأيتُ ومضاتٍ من الحنين تمر في عينيها كشهابٍ عابرٍ مع نطقي لاسمها مقترباً بماضيها
الجميل.. فاستأنفت بنفسي النبرة التي مزجت ما بين الجدية والرفق ؛
_ أن تعيدي لي.. صديقتي الصغيرة المبتسمة على الدوام رغم حزن عينيها.. المتفائلة رغم
الأسى.. القوية حتى في أشد لحظات ضعفها.. شهد التي... ناديتها ذات مرة بـشهد العسل... هل
تتذكرين ؟!!!!

برقت عيناها أكثر مع ذكر اللقب الحبيب الذي بدا وكأنه قد خلق لأجلها فقط.. ورأيت كيف
تسللت بعض العبرات الهادئة من عينيها الشبه مبتسمتين تزامناً مع إيماءة من رأسها منحتها لي..
فالتزمت الصمت للحظاتٍ أخرى.. قبل أن أقول هذه المرة بنبرة غامضة تحمل مغزى عميق ؛
_ أنا أيضاً لدي بعض المهام التي أريد أن أؤديها بأكمل وجه..
لمحت انعقاد حاجبيها قليلاً بعدم فهم.. فأكملت بنبرة زادت عمقاً وأنا أدقق النظر بكل
تعايرها الشفافة تلك ؛

_ أن أنبذ عنك كل هذا الضعف والصمت وأعيدك إلى الحياة مجدداً !!
طيف ابتسامة لينة داعب طرف شفاهي وأنا أضيف هامساً ؛
_ أريدك أن تكوني قوية مع الجميع ما عداي أنا !!!
كانت نبرة يتخللها شيء من المزاح.. ورأيت كيف تعمقت ابتسامتها أكثر إلى أن كادت أن تتحول
إلى ضحكة صامتة لم تملك أمر التحكم بها..
حينها قلتُ أترجم ما لمحت في عينيها في كل مرة كنت أستفزها دون أن تجيبني ؛
_ ونعم.. أنا أحب أن أخرجك لأنك تبدين في غاية الحُسن والوداعة حين أفعل.. أنا آسف يا
شهد.. لكنك أول شخص يروقي رؤية ارتباكك لهذا الحد !
لم تختفي الضحكة تماماً.. فقد تلاشت قليلاً مخلقة ابتسامة صغيرة جداً.. فقلت بنبرة مميزة ؛
_ وسأسمح لك أيضاً بتأدية دور الزوجة و تخليصي من هذا الذقن الطويل !!!
و كأنني منحتها هدية.. رأيت بعض اللمحة تستوطن عينيها.. وكيف أن وجنتها تخضبت قليلاً
بحمرة الخجل.. ثم همست بدون أن تستطيع منع نفسها ؛

_ حقاً ؟!!!!

أومأت لها بالموافقة بجدية.. و سمحت لنفسي باحتكار بعض اللحظات الإضافية في الصمت
لتأملها بعينيها المرتبكتين.. قبل أن أقول بنبرة عادت الصرامة الهادئة لتتخللها ؛
_ جيد.. دعينا نذهب لتناول طعام الغداء إذًا..

كانت فرحتها واضحة جدًا لي..فرحة تفوق ما توقعت أن أراه في ملامحها بعد كلامي..ورغم أن
الابتسامة كانت قد سقطت من وجهها الآن..
إلا أن ذلك البريق في عينيها لم يخمد و هي تقف بطاعة اعتدتها منها..حينها وجدت نفسي أتهد
تهيدة طويلة محملة بملامحها التي تحثني على تقدمها لأجل الذهاب لتناول الغذاء كما طلبت..
و أنا أشعر بأن سعادتها اللحظية تلك تنتقل تلقائيًا إلي !!!

#سجى

كنتُ أقف بجانب المسيح الهائل التصميم بقصرنا العريض..أو دعوني لا أقول قصرنا...بهذا
-القصر- الذي أعيش فيه فحسب !!
أتأمل السراب بينما عقلي يتلاعب بي كيفما يشاء...يسرقني من دوامة لأخرى..من فكرة حمقاء
لأخرى أشد منها..و لا داعي لأن أخبركم عن محور أفكارى تلك..
هي ثلاثة أسماء..شهاب..أشرف..و خالتي !!
عقلي يحثني بضراوة على أن أصعد الآن لخالتي و أعترف لها بكل صدق أنني لا أريد شهاب..لا
أحبه..أنا أكرهه..أشمئز منه..بل أمقته !!
هي تعلم هذا مسبقًا لكنني لم أواجهها به وجهًا لوجه من قبل..شهاب فقط من كان ينال من
غضبي و رفضي المستمر له دون أن يستسلم..
بل و الأدهى أنه في كل مرة يصبح هوسه أعنف و أكثر إصرارًا في تصنيفي ك-ملكية خاصة-
له !!

لقد كنتُ مجرد شيءٍ بالنسبة له يطمع لاقتناؤه في سبيل إرضاء فضوله المريض فقط..لا حبًا
أو من تلك الخرافات التي يزعج مسامعي بها طوال الوقت و كأنه أول و آخر العاشقين !!
ترددت كثيرًا..كنت بين لحظة و أخرى أرفع رأسي مباشرة لأنظر لنافذة جناح خالتي
بتصميم..لكنه سرعان ما ينطفئ ثم أعود لأتراجع مجددًا ب...خوف !
كان خوفي العميق أن تخذلني..أو أن تستاء للحد الذي يجعلها تشي بي لشهاب و حينها.....
كلمات لؤي عنه كانت تجعلني أرتجف بشدة..بطريقة أكرهها..رغمًا عني..وجدت شعور
الخوف منه يتسلل إلى قلبي حين التفكير بردة فعله لو أحاط علمًا بمشاعري نحو أشرف !!!

هل تعلمون ذلك المثل الشهير الذي يقول.."على ذكر سيرة الشيطان يحضر !"..حسناً إنه صحيح تماماً !

_ مساء الورد..

سمعتُ صوته المقيت بجاني..فالتفتُ مجفلة لتقع عيناى مباشرة على ملامحه المزعجة و أنا أشعر بأن أفكاري هي من استدعته ليظهر لي فجأة..

كانت هناك ابتسامة سامجة مستفزة تتلاعب فوق شفاهه..بينما بدت عيناه اليوم مختلفتان..و كأنهما تحملان وميضاً غريباً..تحتويان نظرة غامضة لم أفهمها..

رغم أنه فعلياً كان يبدو في مزاج جيد اليوم..بينما أنا العكس...بسببه !!
حينما بقيت صامتة أنظر له بطريقي تلك التي تظهر مدى حيرتي في تفسير نظراته تلك..
سمعت صوته يقول منبهاً إياى باهتمام..يتصرف و كأن شيئاً لم يكن !!

_إذا ؟!!

كنتُ أمقت الوقوف معه و النظر لملامحه..لهذا و تجنباً لأيّ احتكاك لا أحبه..همست بفتور و أنا أهم بتجاوزه ؛

_ سأذهب للتكلم مع خالتي..

لكنه لم يسمح لي..بل غافلني بأن قبض على ذراعى بطريقة جعلتني أغمض عيناى بشدة كاتمة غصبي و حنقى من اللمسة تلك..قبل أن أسمعته يقول في أذنى بنبرة لم أفهمها ؛

_ لا يزال الوقت مبكراً جداً لنأخذ المباركة رسمياً من عند -حماتك المستقبلية-..

لم أشعر بصوتي الذي ارتفع مقاطعاً بغضب ؛

_ليست.....

لم أستطع أن أنطق بأكثر من تلك الأربعة حروف و أنا أشعر بضغط يده يزداد على

ذراعى..بينما هو استأنف هامساً في أذنى ببرود ساخر ؛

_علينا أولاً أن نأخذها من عروستنا الجميلة..أليس كذلك ؟!!

نبرته كانت تزيد من تشوش ذهني..فنفضت ذراعى من يده بقوة و أنا أترجع خطوة..إلى أن

نظرت لملامحه مضيقة عيناى مردفة بلا مقدمات ؛

_ماذا تحاول أن تقول ؟!!!!

ارتفع حاجباي ببعض الدهشة و أنا أرى الابتسامة الباردة تنقلب إلى متهمكة بينما ملامحه
تتحول إلى مستعمر للغضب و الإنفعال فعلمت أنه لم يكن رائقًا من الأساس بل كان تظاهراً
فحسب..

قال بنبرة قاطعة متهمكة و هو يقترب مني خطوة غير مرئية تراجعت مثلها ؛
_ ما أحاول قوله أن الصبر بلغ منتهاه..أنا لن أنتظرك أكثر..
رغم الغباء الذي اكتنف عقلي فجأة بسماع جملته تلك..و الذي جعلني أتسمر للحظة
خاطفة مدركة لمغزاها..

إلا أنني رغم ذلك قلت فجأة أرسم ابتسامة مشجعة زائفة على شفتي ؛
_ هل تصدق أرحتي..هذا أفضل شيء سمعته اليوم..
لكنه قتل سعادتي الزائفة تلك بخطوة أخرى اقترها نحوي..ليقول بنفس النبرة المتهمكة و
كأنه لم يسمع جملتي الهازئة قبل قليل ؛
_ أنا لذي رحلة عمل بعد يومين..ستمتد لأسبوع كامل..
بقيت أنظر له بقنوط..لا أرى أمامي سوى شخصاً كريماً..أؤمن..بل أدعو بأن تكون نهايته
كرهية مثله..كيف يمكنه أن يتجاهل الكراهية في عيناى ؟! أيّ إنسان هذا !!!
رأيتُ ابتسامته المستفزة التي عادت لترسم فوق شفتيه..ثم قال بنبرة بطيئة أمام
عيناى..عاجز تماماً عن إخفاء عصبية خلف ابتسامته تلك..
_ ما إن أعود سنبدأ في مراسم الزفاف..هذه المرة بدون أن أكلف نفسي عناء إقناعك..هذه
المرة ستقفين فوق المنصة بالغضب و يدك فوق رأسك.. ستعلنين ملكيتي لك بنفسك
راضية..أعدك..

تعهد أن يهمس كلمته الأخيرة بنبرة مميزة أشد خفوتاً من سابقتها..بينما بقيت أنا أقف مكاني
عاجزة عن استيعاب كمّ الثقة التي أردف بها كلماته تلك !
بأيّ طريقة سيخضعني ذلك الأبله !! لقد نفذت كل الطرق منه بالفعل !!
حركتُ رأسي بيأسٍ و أنا أسمع لضحكتي المذهولة و الساخرة بالظهور أمامه أخيراً..لأقول
بعدها رافعة أحد حاجباي بنبرة باستخفاف ؛
_ اممم..أتحفني..كيف ستفعل ذلك ؟!!!

لم يجب..فقد اتسعت ابتسامته أكثر جاعلة من ثقتي تهتز قليلاً..بينما اكتسبت عيناه البنيتين
و اللتين لا تشبهان عيني لؤي في أي شيء باستثناء لونهما نظرات مهمة جداً و مخيفة في نفس الوقت
جعلت بعض الذعر الذي لا أحبه يتسلل إلى قلبي دون أن يظهر على ملامحي الواثقة تماماً..
و استمر الصمت بيننا للحظات كانت كافية له ليسقط ابتسامته تلك..قبل أن يهمس بنبرة
جادة تماماً الآن..لمحت فيها تحذيراً خفياً ؛

_تذكري أنني منحتك من الفرص ما لم أمنحه يوماً لنفسى حتى..انتظرتك كثيراً و توسلت
سماع مو افقتك حتى سئمت من سماعها يوماً..

اقترب قليلاً بوجهه مني ليكمل أمام عيناى بنبرة خافتة جداً..مشدداً على كل حرف ؛
_تذكري أيضاً أنني قد أتهاون في كل شيء إلا -الخيانة-..لا أشفع لصاحبها و لا أرحمه...حتى و
لو كان -أنت- !

شعرتُ بأنفاسي ترتجف فجأة..فأطبقت في مصرة على أن لا أدع ملامحي تهتز أمامه..و هو
لم ينتظر طويلاً أن يشهد أي ضعف في عيناى..بل استدار فوراً لينصرف بهدوء تام بعد أن دمر كل
هدوئي أنا..

حينها فقط..كنتُ أسدل رموشي قليلاً و أنا أرفع يدي لأتخلل خصلات شعري..أنظر حولي
مستعدة كلماته بملامح بهتت كل القوة منها..

ظلت تهديداته تتكرر في ذهني للحظات..بدون أن أجد الشجاعة لا للصعود نحو خالتي و
الإحتماء بها و لا لإنكار تأثيرها على كل كياني المُشتت..الضائع !!

دقائق أخرى أمضيها و اقفة هناك..أناظر انعكاس صورتي البائسة الضبابية في
المياه..ارتجافة باردة مرت على طول عمودي الفقري..

فأطبقتُ عيناى بقوة كارهة لهذا الضعف الذي يسيطر علي..و لم أستطع أن أنظر لنفسى
أكثر..فالتفتت مندفعة لأعقد ذراعاى ناظرة في كل مكان بلا هدف..

لا أعلم ما الذي تغير في حياتي منذ أحببت أشرف..منذ سمعت كلمات لؤي التي نهيتني لو اقع
مرير كثيراً ما عزمت على تجاهله..لكنني فقط...شعرت بتهديداته تخترق كل جوارحي محدثة الفوضى
بقلي لأول مرة بهذه الشدة..

شعرتُ بدمعة ساخنة جداً تتسلل من بين جفوني ببطء خبيث لتلامس وجنتي بتمرد أثناء
شرودي..فرفعت يدي لأمسحها بسرعة شاعرة بوجنتاي تتأهبان لاستقبال المزيد..

لولا أن صوت رنة هادئة بهاتفي أنقذتني.. فسحبت نفسيًا طويلاً.. قبل أن أدس يدي في جيب
معطفي الرمادي القصير لأخرجه.. وهناك رأيت الاسم الحبيب الذي جعل ابتسامة واهية تتردد في
الارتسام على شففتاي..

_ أهلا أشرف..

همستُ بخفوتٍ أحاول أن يكون صوتي ثابتاً.. لكن الصمت الذي ساد للحظات من جهه
أعلمني بأنني فشلت.. خاصة حينما سمعت صوته يهمس بقلق ؛

_ هل أنت بخير ؟!!!

سحبتُ نفسيًا كان أطول و أشد عمقاً من السابق.. ثم تنحنحت بخفة هامسة بنبرة أكثر ثباتاً ؛
_ أنا بخير..

ثم أضفتُ بسرعة قبل أن يتسنى له إجابتي ؛

_ لكنني أريد أن نلتقي اليوم..

سمعتُ صوت أشرف يقول بنفس القلق ؛

_ بالطبع.. لكن.. هل أنت بخير حقاً ؟!!!

كانت نبرته دافئة.. جعلتني أشعر برغبة حقيقية في البكاء.. أن أمتلك شخصاً كهذا و لا

أستطيع أن أقدمه للجميع بكل فخر لهو شيء... مؤلم جداً !!

لم أجب سؤاله رغم أنني رغبت في طمأننته.. بقيت صامتة للحظات أنظر أمامي بلا وجهة.. قبل
أن أقول فجأة بلا مقدمات ؛

_ أشرف أنا جاهزة !

بدا كأنه لم يفهم كلامي رغم ذبذبات الفرحه التي ظهرت في صوته وهو يقول ؛

_ هل أنت جادة ؟!! هل تقصدين أنكِ جاهزة لـ.....

_ جاهزة للزواج بك.. في أقرب وقت !

قلتُ بسرعة و بنبرة قاطعة و كأنني أخشى من أن تلامس قلبي أي ذرة تردد لاحقاً.. و لم أستطع
أن أخفي الخوف في نبرتي و أنا أردف بصدق ؛

_ أنا لم أعد أستطيع الإنتظار أكثر يا أشرف.. لا يزال هذا القذر المدعو بابن خالتي يلتصق بي

بجنون.. أنا أكاد أصاب بالجنون بالفعل بسببه !!!

صمت آخر ساد من طرفه.. كنت أعلم بأن سيرة شهاب تقرفه مثلي.. إلى أن قال بحزم ؛

_حسناً إذا..أنا في النادي الرياضي الآن..دعينا نلتقي بعد ساعتين تقريباً في المقهى القريب من الجامعة..

شعرتُ بشيءٍ من الرهبة و أنا ألمح المواقفة على ما قلته في صوته.. فهمست بصوتٍ خافت و أنا أتهدد كـشخصٍ ينفذ عنه حملاً ثقيلاً ؛
_حسناً..

ثم لم ألبث أن أغلقتُ الخط بعدها زافرة بعنفٍ و أنا أفكر فيما أنتوي فعله.. أنا لا أستطيع أن أعتمد على خالتي..

حتى لو كانت تُكن لي الكثير من الحُب فهي لن ترتضي بي زوجة لغير شهاب ما دامت تلك إرادته !

الحقيقة حتى لو لم يكن شهاب موجوداً فعلاقتي بأشرف تبدو شبه مستحيلة..كونه يعتبر شاباً عادياً في مقابلي رغم وضع أسرته المادي المستقر نسبياً..لكنه أمام أسرتي أنا يبدو كشاب فقير جداً..

الحل الوحيد هنا أن أضعهم جميعاً أمام الأمر الواقع و لا أخبر أحداً عدا لؤي بالطبع..لؤي فقط من يستحق ثقتي الآن !!

#الكاتبة

كعادتها السيدة عفاف تفضل الجلوس في هذه الشرفة الواسعة في هذا الوقت من العصر لتحتمي فنجان قهوتها الساخن و تتطلع إلى آخر المستجدات في حاسوبها الشخصي في جو هادئ جداً لا يدمر خلوته إنسان..

لكن اليوم كان مختلفاً..فبينما هي تنظر باهتمام للصفحة المائلة أمامها في أحد مواقع التواصل الإجتماعي..حيث كانت تظهر مجموعة جديدة لأحذية منتجة من طرف إحدى أكثر الماركات شهرة..

برقت عينها باهتمام بالغ دون أن تتخلى ملامحها عن برودها وقسوتها المعتادة..وهمت بأن تتصل بالرقم المائل أمامها لتطلب المجموعة الكاملة لها طبعاً..لكن رسالة ما أوقفتها.. نظرت للإشعار الغريب ببريدها الخاص بحاجبين منعقدين قليلاً..ثم لم تلبث أن فتحت الرسالة لتقرأ فحواها الذي لم يكن سوى سؤالاً واحداً مختصراً لرقم تذكره جيداً رغم أن صاحبه لم يرسلها منذ فترة جيدة..

" كيف حالها ؟ !!! "

شحبت ملامحها قليلاً و أعادت الفئجان مكانه ببطءٍ و هي تنظر لهذه الرسالة بملامح مزجت

ما بين قسوتها و شيء من الضيق ربما !!!

و همّت بأن تغادر هذه الصفحة بدون أن تجيب..لكن صوت نداء هادئ من على بعد خطوة

بجانها لفت انتباهها عن تلك الرسالة..

_خالتي.....!

رفعت رأسها شبه مجفلة لتنظر إلى سجي التي كانت تقف أمامها بتوتر بدا واضحاً على

ملامحها الجميلة جداً رغم سنوات عمرها التي تخطت منتصف الأربعين..

لكنه كان توتراً لحظياً سرعان ما تلاشى من ملامحها تماماً و هي تعود لترقق الشاشة و

تضغط على زر الخروج من الصفحة بكاملها بنظراتٍ هادئة.. قبل أن تستقيم في الأريكة حيث تجلس

بظهر مفرد قائلة و هي ترفع رأسها مجدداً لسجي ؛

_ما الخطب ؟ !!!

كانت سجي تبدو حزينة جداً..مرهقة..عينها تناظران خالتها باعتذار خفي..و شيء آخر يشبه

عتاباً خفياً أيضاً..

اقتربت منها ببطءٍ بدون أن تجيب سؤالها..إلى أن جلست بجانبها..و ظلت تنظر لها للحظات

بنفس النظرات التي لا تخفي مشاعرها..

مما جعل حاجبي عفاف ينعقدان بما يشبه القلق و الحيرة..قبل أن تتسع عينها قليلاً حينما

اقتربت سجي منها فجأة لتندس في حضنها محيطة إياها بذراعيها بصمت..

تسمرت عفاف للحظة..قبل أن ترفع ذراعيها بهدوء لتحاوط بهما كتفي ابنة أختها..أو ابنتها

الرابعة مرتبة عليهما برفق بالغ بينما تهمس ؛

_لا تبدين بخير !!

ظلت سجي صامتة للحظاتٍ أخرى تنظر أمامها بشيءٍ من الشرود الحزين بينما تشعر بأنامل

خالتها التي ارتفعت قليلاً تربت بها على جانب وجهها و شعرها الناعم..قبل أن تنفج شفاهها على

همسة لم تشعر بها ؛

_سامحيني !

انعقد حاجبا عفاف بعدم فهم..و طرفت بعينها قبل أن تقول باستغراب ؛

_أنت لا تبدين بخير بالفعل..ما الذي تهذين به ؟ !!!

أغمضت سجي عينها مستسلمة لهذا الحزن الذي لا تمتلك غيره.. ترفض أن تستغفل خالتها.. و ترفض أيضًا أن تتخذ قرارًا بهذا الجبن.. لكن الأمر ليس بيدها ! هو لم يعد بيدها بعد !

قالت بنفس الصوت الخافت المستسلم ؛

_ يبدو أنني لست بخير حقًا.. لا تهتمي..

شعرت براحتي عفاف تمسدان كتفها بحركتها التي كانت تفعلها منذ زمن.. و افتقدتها جدًا في غمرة انشغال كل واحد منهم بأموره..

فهمست و هي تفتح عينها مجددًا بصوتٍ بدا متباعدًا جدًا ؛

_ لقد اشتقت لهذه الحركة !

انتهت عفاف لحركة يديها بالفعل.. لكنها لم تعلق.. فقد استمرت تهددها للحظات.. ثم قالت

بعدها بشكٍ ؛

_ هل ضايقت شهاب مجددًا ؟!!

و كأنك ستدافعين عني ضده يا خالتي !!!!

كان هذا جوابها الداخلي لسؤالها ذاك.. لكنها لم تلفظ كلمة.. بل اكتفت بأن حركت رأسها بالنفي في حزنها.. فقالت عفاف بحيرة ؛

_ ما الأمر إذًا ؟!!!

همست سجي بخفوتٍ ؛

_ لا شيء.. خالتي!.. ألا يمكنني أن أكون مشتاقة لك فقط.. أنا أحتاجك !

صمتت بعدها سامحة للهدوء بأن يغزو كل المكان.. و فضلت عفاف أن تبقي على هذا الصمت.. فظلت أنامل يدها اليمنى تربت على شعر سجي و الأخرى تمسد كتفها برفق..

و تهتدت بثقل و هي ترمق شاشة الحاسوب أمامها بنظرات مهمة قاسية قليلًا لم تلمحها سجي أبدًا..

بعد ساعة تقريبًا كانت تلتقي بأشرف في المقهى القريب من الجامعة حيث يجلسان دائمًا.. ألقت عليه التحية بإرهاق واضح و هي تتخذ أحد المقاعد لتجلس عليها بينما هو في مقابلها..

قال و هو يتفحص ملامحها ببعض القلق ؛

_ لا تبدين بخير !

ابتسمت سجي مرغمة و هي تقول بيأسٍ ؛

_ ما بال الجميع هذا اليوم يسألني نفس السؤال !!

قال أشرف باهتمام و هو يستند بمرفقيه إلى الطاولة بينهما ؛

_لأنك لا تبدين بخير حقًا !!

هزت سجي رأسها مجددًا بلا فائدة و هي تقترب قليلاً مستندة يمرفقيها إلى الطاولة مثله..لكنها

لم تخمد قلقه كما توقع..بل قالت تخاطبه بجدية حازمة ؛

_لما لا تتوقف عن السؤال عن حالي و تدعنا نتكلم بموضوعنا !

سرعان ما كانت ملامح القلق تتداعى من وجه أشرف لتحل محلها ابتسامة سعيدة قال بعدها

ببعض الخبث ؛

_كلمة الجمع بيننا و أنتِ تقولين " موضوعنا " تخرج من فمك كالعسل !

نهزته سجي بنظرة زاجرة و هي تهتف بخفوت ؛

_تأدب..ابن خالتي على وشك الوصول..

مع ذكرها لوصف "ابن خالتي"..وجدت بعض التهمك يكتسح ملامحه تزامناً مع صوته الذي

سأل باندفاع ؛

_ابن خالتك ؟!!!

قالت سجي متدركة بسرعة ؛

_لؤي..أنا أتكلم عن ابن خالتي الأصغر لؤي..اهدا..

لم تَلِن نظرتة تمامًا و هو يغمغم محتارًا ؛

_لماذا سيأتي ؟! هل أنتِ من استدعيته ؟!

أومأت سجي بالإيجاب بهدوء..فقال مجددًا ؛

_لما ؟!!!

تراجعت سجي في مقعدها متهددة بخفة..قبل أن تهمس رافضة أن تريح فضوله تجاه هذا

المدعو لؤي ؛

_ستعرف ما إن يصل !

حينها تنهد اشرف و هو يتراجع في مقعده مثلها..بدون أن تنتبه أو ينتبه هو لتلك العيون

المتريصة بهما من مكان قريب..و التي كانت تلحق بها منذ خروجها من المنزل..

التقط لهما ذلك الشاب صورة بعيدة من داخل سيارته ليرسلها فوراً إلى سيده..و يتصل به

بعدها فوراً قائلاً بأدب بالغ ؛

إنها تجلس في أحد الأماكن العمومية مع شاب يماثلها في السن تقريبًا..لقد أرسلتُ لكَ
صورتهما..

#الكاتبة

_إنها تجلس في أحد الأماكن العمومية مع شاب يماثلها في السن تقريبًا..لقد أرسلت لك صورتَهما..

نظرة قدت من شر كامن لاحت في عينيه الداكنتين و هو يسمع تلك الجملة..قبل أن يزم شفتيه و يغلق الخط بسرعة شارعًا في فتح خانة الرسائل تزامنًا مع صوت اهتزاز هاتفه متلقيًا لرسالة فورية..

تجمدت عيناه تمامًا فوق صورتَهما سويًا..ينظر إلى ابتسامتها الرصينة التي استطاع لمحها حتى رغم ابتعاد موقعهما عن الكاميرا التي التقطت الصورة..و يرى ذلك الشاب القابع أمامها..ينظر لها بتمعن و كأنه يمتلك كل الحق في تأمل ما هو ملكية لغيره..

سجى...ملكيتَه الخاصة !!!

كان يجلس خلف مكتبه الخاص في غرفته الواسعة في هذه الشركة الفارهة السمعة و المكانة..حينما احتد فكه بغضب شديد..و همَّ بالوقوف باندفاع أشد غضبًا و هو يحمل سترته ليرتديها..

لولا أن أوقفه صوت رسالة أخرى..فرفع الهاتف لينظر إلى الصورة الجديدة التي تم إرسالها له..و انعقد حاجباه بشدة و هو يرى.....لؤي !!

لؤي يجلس معهما !!

شعر بعقله يتوقف عن العمل لوهلة..فتراجع ببطءٍ إلى أن عاد ليستقر جالسًا في مكانه فوق الكرسي المريح و الذي فجأة لم يعد مريحًا..بدون أن يزيح عينيه المذهولتين عن الصورة الثانية تلك..

لؤي أيضًا معهما..لؤي..لؤي !!!

_ماذا يفعل هذا الغبي أيضًا معهما !!!!

وجد نفسه يهتف بهذا السؤال مخاطبًا نفسه بذهول..رفع يده ليخفف من ضغط رِبطة عنقه قليلًا شاعرًا بضيق تنفس ينتابه بلا سبب واضح..و ظل ينظر إلى الصورة بنفس ملامحه المعقدة الخالية من الفهم للحظات أخرى..

أنامله تمسكُ بالهاتف بعنف و كأنه يتمنى تكسيره الآن و حالاً و تدمير تلك الصورة حيث
يجتمع اثنان من الخونة..

و رجل دخيل يتمنى قتله..فقط لو لم يكن "شهاب الشاذلي" الذي يمتلك دهاءاً لا يوصف
لكان قد ألقى أمراً بقتله غير عابئ بأي عواقب !!
أخذ نفساً عميقاً لم يخفف من وطأة غضبه الداخلي شيئاً..ثم ألقى بالهاتف فوق سطح
المكتب الأنيق بإهمال..قبل أن يتجه إلى النافذة الكبيرة التي تحتل أحد جدران مكتبه بالكامل ليقف
هناك مغرقاً يديه في جيبي بنطاله..

من يراه من البعيد بهالته الهادئة..يظن بأنه مجرد شخص شارد في مراقبة حركة
الشارع..لكن عقله كان أبعد عن ما يحدث في الشارع..أو حوله..
أحكم كل عقله و رصانته و منطقيته التي يفقدها أساساً في أخذ كل الأمور..خاصة ما يتعلق
منها بسجى..و تجمد مكانه متغلباً على غضبه بإرادة حازمة..
إنه يشعر بالحيرة..لذا لن يتصرف الآن حتى لا يخطئ..هو سينتظر فقط ليرى ماذا تنوي هذه
الحمقاء التي يجيها فعله..
و حينها فقط سيحين دوره ليتصرف بالمثل !

#سجى

كنتُ أشعر بالراحة أكثر حينما انضم إلينا لؤي..لا داعي لأن أخبركم بمدى تأثير وجوده من
حولي..لقد كان لؤي مثل فقاعة بيضاء تنشر الإيجابية و الروح المتفائلة و الطمأنينة في قلب كل من
يجلس معه..خاصة أقرب المقربين منه..

و أنا كنت كذلك..أنا و هادي أقرب المقربين منه !!
لهذا فقط..فور وصوله..وجدت نفسي أسحب نفساً هادئاً و أبتسم..ابتسمت فقط
بتفاؤل..يساورني شعور يألفه قلبي من الأمان كلما نظرت له و تذكرت بأنه يقف في صفي..
غريب أن أستشعر كل ذلك الأمان في وجود لؤي..بينما لا أستشعره بنفس الدرجة مع أشرف
الذي فاق حبي له حدود الحب !!

غريب أيضاً أنني دائماً ما خفت من أن يتم كشف الستار عن مشاعري تلك أمام عائلتي..ثم
فجأة..ما إن أصبح لؤي على اضطلاع بالأمر..حتى تداعى نصف ذلك الخوف ربما !!

نعم..نصفه فقط !! فأنا لا أزال حتى اللحظة عاجزة عن تقييد مخاوفي من تهديدات المعتوه
أخوه و كلماته !!

لكنني فقط..قررت تسليم زمام أموري للوئي..عالمه بأنه لن يترك يدي أبداً مهما ارتكبت من
التهورات !!

_إِذَا ؟!!

كان هذا صوت لوئي الذي همس بجديّة و رصانة بينما ينقل عينيه بيني و بين أشرف..كلانا
تقريباً كان شاردًا قبل هذا السؤال..و ذلك ظهر في ردة فعل أشرف الذي التفت ناظرًا للوئي بهدوء و
اهتمام..نظر له لوئي سائلًا بنفس نبرته ؛

_هل تحب سحى حقًا ؟!!!

ردة فعل أشرف التي كانت عبارة عن هزة قوية من رأسه أكد بها بغير تردّد عن مدى حبه
لي..جعلت ابتسامة عاشقة يشوبها بعض الخجل اللذيذ تحتل شفّتي..
خاصة و أنا أسمع صوته يقول بشيءٍ من اللفّة بينما عيناه في عيني ؛
_أكثر من نفسي..بل أكثر من كل شيء..

أطلق لوئي تهيدة مرتاحة بعد سماع اعترافه هذا..و برزت ابتسامة هادئة أشد ارتياح على
شفاهه..قبل أن يقترب منا قليلًا..ليقول بحزم تام بينما يستند بمرفقيه إلى الطاولة و كأنه يشي لنا
بسر بالغ الخطورة ؛
_جيد..الآن أنتما الإثنان أصغيا إلى ما سأقوله جيدًا..

#هادي

دعوني أطلعكم على أجمل هواياتي التي اعتدتها في آخر أونة..تأملها عن بعد !!!
لقد أصبح تأملها و مر اقبة كل تحركاتها و سكناتها..حتى اهتزاز رموشها و التعابير التي
ترسمها ملامحها في الحديقة -خاصة- كطقس مهم لدي..لا يمكنني إلّا أن أفي به مقابل إنعاش قلبي
بالحياة..

غالبًا كنت أراقبها من خلف النافذة..أجلس هناك لساعاتٍ أتأملها فقط بهم و سكون..لا
يمكن لذرة من ملل أن تتسلل إلى قلبي و لو بعد ألف سنة من تأملها..
ألم أخبركم بأن تأملها ينعش قلبي بالحياة !!

و في أحيان أخرى..حينما تغفل عيناها عني أثناء إحدى وجبات الطعام أو حتى أثناء

مساعدتها لي..فأستغل الفرصة لتفحصها كما أشاء..

ثم ما إن تقع عيناها في عيناى صدفه..أتظاهر بأن لا شيء يحدث..بأنني حتى لم أكن أراقبها

كما تر اقبني على الدوام تلك الشقية !!

لقد أصبح نومها في غرفتي شيئاً مسلماً به..لا يمكنني إلا أن أغفوا و أنا أطلع بها..بينما هي

مستلقية فوق الأريكة المقابلة لسريري..نحييفة و شاحبة..و صاحبة في نومها على عكس سكونها

الحزين أثناء النهار..

لقد بدأت كو ابيسها تتلاشى..استطعتُ أن ألاحظ ذلك..فأصبحت لا أستيقظ مجفلاً و

ملتاعاً عليها إلا مرة واحدة أو اثنين خلال الليل..لأبثها بصوتي الهامس كل المسكنات التي قد

تحتاجها..

ثم ما إن يعود الهدوء ليحتل كيانها و ملامحها..أتهد بقوة غير قادر على النوم لساعات..لكنني

لا أمانع..ليت كل ذلك التعب ينقشع عني..و ليت النوم يهرب من جفناى كل ليلة فقط...لأمضيها في

تأملها !!

هل سأبدوا غريباً لو اعترفتُ بأنني أحببت السلام الذي يحتل عينيها كلما فتحتهما مفزوعة

خلال الليل..شعور لا يلامسهما إلا حينما تقعان في عيناى..

حينها تعود لتستلقي بهدوء تام..ثم و كعادة غريبة جداً أصبحت بيننا..لا تغمض عينيها..بل

غالباً تطول لحظات تطلعنا بأعين بعضنا البعض..بصمتٍ تام فقط..

و كأن الكلام لغة لا تناسبنا..و كأنني انعكاسها و هي ظلي الذي أعجز عن السير بدونه..عيناى

في عينيها بينما كلانا مستلقٍ في مكانه..

إلى أن يأخذها النوم الرحيم مني..يحرمني بالحاءء المستمر من لذة حدقتها..و أبقى أنا كما

أنا..أتأملها و كأن العالم كله يتكون منها فقط !!

اليوم كان مختلفاً..اليوم أيضاً كنتُ أراقبها..لكن و أنا أجلس على بعد مسافة قريبة منها..و

ليس من وراء حاجز النافذة..

غالباً هي تعلم بمر اقبتي لها..سواء من النافذة أو من مكاني القريب الآن.. لكنها تفعل الشيء

الذي لا تجيده دائماً..التظاهر بأنها لا تفعل !!

كانت تجلس قرب الحوض كما تفضل دائماً..تحمل في يدها مقصاً كبيراً تقطع به كل الأغصان

الزائدة منه..لتزرع مكانها أزهاراً تشبهها..زهرتي !!

حسنًا...أنا حقًا هائم بها..

أكاد لا أعرفني قبل فترة حينما كنت لا أطيق النظر لها و كأنها وباء سيلتصق بي إلى الأبد إذا ما

أطلت النظر إليه !!

و الحقيقة أنها وباء..أصعب وباء و.....أجمل وباء !!

لكنني رغم كل مشاعري التي أنشأها مع نفسي لا أستطيع أن أبوح لها بأيّ منها..لأنني أعلم

أنها سواء اليوم أو غدًا فهي حتمًا...راحلة-!!!

لا ضرر إذا من اقتناص كل هاته اللحظات الثمينة في ممارسة هوايتي الأجمل إلى أن يأتي ذلك

اليوم العصيب الذي أودعها فيه متمنيًا لها سعادة جميلة و حياة آمنة بالمال الذي ستأخذه ثمنا

لأيامها معي..

بينما أنا أخذتُ الثمن مسبقًا..كانت هذه الأيام الأثيرة التي قضيتها في مر اقبتها..ووحدها

ذكريات هذه الأيام من ستبقى أنيسي بعدها !!

رغم كل شيء..و أنا أتأملها اليوم..شعرتُ بأمنية ما تتسلل إلى قلبي..تمنيت أن يساورني الملل

يومًا منها..أن أشيع حد الإكتفاء من ملامحها..

لعلني..أتركها ترحل في سلام حينما يحين الوقت..و دعوني أكون صريحًا أنا لست واثقًا من

قدرتي على تركها ترحل في سلامٍ عني !!

كما أعلم بأن أمنيّتي تلك ليست إلّا سرابًا بعيد عن التحقق..

كيف يمكنني أن أملّها..و أنا من أحببتها طفلًا لا يفقه من العالم شيئًا سواها..

فكيف أملها الآن و هي من طردت عني كل الملل !!!

_شهد !

كعادتها تلتفت سريعًا ما إن أنادىها حتى و لو كان صوتي خافتًا..ثم تقترب بخطواتٍ سريعة

كما الآن تمامًا ما إن أشير لها بالإقتراب..إلى أن تقف أمامي ناظرة إلى الأرض متأهبة لتنفيذ أيّ كان ما

أطلبه منها..

و كأنها لم تخلق إلّا لتكون معي..و كأن كل مهمتها في الحياة...إطاعة أوامري و تنفيذها !!

في بداية زواجنا..كان الأمر يؤلني نوعًا ما...

لكنني الآن و أنا أنظر إلى ملامحها الهادئة عن قرب..لا يشوبها شيء سوى الهدوء الذي أحبه..

لا يشوبها خوف مرير..سلام فقط !!

كنتُ أشعر بالرضا..الهدوء يغمرني مثلها..و رغبتى في تأملها بهم تتضاعف..تتمادى مخلفة
رغبات أخرى..كم أتمنى أن ألمس ملامحها الآن..فقط لأتجول بسبابتي فوق كل تلك التعابير الجميلة..

فقط لـ...أقبل عينها !

قلتُ بهدوء و أنا أكتُم كل رغباتي تلك..أغلق قبضتي المريحة على مسند الكرسي بهدوء بينما

أرى نظراتها المترقبة ؛

_أريد أن أنام قليلاً..هلا ساعدتني !!

رفعت رأسها لتنظر لي بدهشة كردّ فعل لتلقائي بعد طلبي الغريب..فقد كانت الساعة لم

تتعدى الثانية و النصف ظهراً بعد..

رأيتُ كيف تحركت عيناها لتنظر حولها إلى ضوء النهار الساطع..ثم أعادت أنظارها لي لتهمس

ببعض.....القلق !!

_هل أنت مريض ؟!!!

لم أستغرب سؤالها هذا..إلا أنني رغم ذلك قلت أنظر لها ببساطة ؛

_و هل يجب أن أكون مريضاً لأرغب في النوم ؟!!

حركت رأسها بالنفي و هي تهمس ناظرة لي..غير قادرة على مقابلة عيناى تماماً كما اعتدت

منها إلا في أثناء الليل..حينها فقط أقابل سخاءً جميلاً من عينيها الواسعتين بالفطرة..

_لا..لكنك لست معتاداً على النوم في هذا الوقت !

همست بتردد يشوبه بعض التوتر..ما إن تلتقي عيناها بخاصتي حتى تعود لترتبك مشيخة

بهما..لم تنتظر أن تسمع إجابتي بعد جملتها تلك..

بل تحركت بهدوء لتقف ورائي متمسكة بظهر الكرسي هامة بدفعه نحو المنزل..و رغم أنني

أمتلك زراً بالفعل يخول لي التحرك به كما أشاء..إلا أنني لم أعترض..

لقد كان قريبا بالنسبة لي كل غاياتي..لهذا فقط...أثرت قريبا الجميل !!

و لا تسألوني لما..بل إسألوها هي عن سحرها الذي يجعل قريبا مهلكاً لي لهذا الحد !!!

توقفت بي أخيراً في منتصف غرفتي..قبل أن تنحني بصمتٍ..و تقوم بتلك الحركة التي لا

أحبها..تمسكُ بقدماي برفق لتخلع عنهما الحذاء..

إنها تلك اللحظات..التي تذكر الإنسان بعجزه..و التي تجعله يكره هذا العجز..راغباً في الهروب

منه..

ليتني بالفعل...أملكُ رفاهية منعها !!..

راقبتها بصمتٍ إلى أن وضعت الحذائين في مكانهما بترتيب..ثم عادت إليّ لتساعدني بصعوبة
إلى أن أصبحت مستلقيًا فوق سريري الوثير..

_لا تنسي أن توقظيني في الرابعة تمامًا !

همستُ بخفوت و أنا أنقل عيناى بين كل ملامحها القريبة منى..فأومات لى بطاعة و هى ترفع
الغطاء فوق جسدى مدثرة إياى جيداً..

لا تزال عيناها الجميلتين تهريان من عيناى و كأننى أفعى ستلدغها لو ارتكبت مثل تلك
الهفوة..

رباه..كيف يمكنها أن تمتلك كل هذا التأثير على !!

لم أستطع أبداً أن أمنع يدي من أن ترتفع لتقبض على ذراعها برفق..عفوياً و بغير تخطيط
منى..و كأن كل جوارحي استطابت قريها منى..و كأن كل خلية تعيش فى داخلى تمقت ابتعادها..
هنا فقط..كانت عيناها تتوقفان عن تهريهما..فرأيت كيف كشفت رموشها عن بؤبؤتين
ملونتين بلون الزيت الصافى..ذلك اللون الذى أتذكره منذ طفولتى..و الذى كنت قد اشتقت لتأمله
عن قرب..

كانت تمتلك عينيـن بلون الزيتون الغامق..برأقتين بشدة و كأنهما جوهريـن صغيرتيـن لا
تلمعان إلّا فى الليل..البراءة فىهما تجعل قلب الانسان يلين تلقائياً حين تأملهما..
و واسعتان جداً جداً لدرجة تجعل جانب الفنان بداخل أى إنسان تأملهما يرغب فى أن
يتخذهما لوحة يرسم عليها كل الأشكال المبهرة..الأشد عمقاً من لونهما !!
شعرتُ بأنفاسها ترتجف بشدة..لكنها رغم ذلك لم تعترض هذه المرة..بدت مسحورة بي مثلما
كنت أنا مسحوراً ببريق عينيها الأخاذ الذى سلب صوابى من جماله !!
فقط..لو أستطيع أن أمضى ما تبقى من عمري أتأمل تلك العينيـن..فقط لو لم يقف التعب و
النعاس عائقاً أمام قدرتى على إطالة هذه اللحظة أكثر..
و لو لم يتخاذل وعيى..و ترتخي قبضتى حول معصمها الرقيق بغير إرادة منى..و لو لم يبتلع
الظلام نور أحلامى المتجسدة بملامحها..لكنى قد اخترت أن أحيا هذه اللحظة لأطول مدة من الزمن
أستطيعها !!

#شهد

رباه..ما كانت تلك اللحظة التى جرفتني من نفسى !!

كانت كالحلم تمامًا..و أنا قريبة منه إلى ذلك الحد..أنظر في عينيه تمامًا بينما أستشعر أنامله
حول معصبي..كنت فقط...منهرة !

شعرتُ بأنني و لأول مرة عاجزة عن كبح جماح حُبي و لهفتي عليه.. فسكنت تمامًا أتأمل عينيه
الداكنتين بـنهم- كالمتعطشة لرشفة واحدة من دفئه !!

و كم تمنيتُ و أنا أرى عينيه تنسدلان بتعب من مكاني القريب..أن أهمس اسمه..فقط
لأطلبه..أتوسّله أن لا ينهي تلك اللحظة النادرة بهذه السرعة..

لولا أن شعورًا آخر اكتسح قلبي فاز على الأول..كان شعورًا بالـ...حنان !!
حنان عميق و رغبة في رؤيته آمنًا على الدوام انتابتني و أنا أرى كيف أن خطوط الإرهاق
رسمت لنفسها قلعة بملامحه الوسيمة..

تجسد كل مفاهيم الوسامة !!
إلى أن نام بالفعل..نام بمنتهى السهولة و البساطة..و حينها..بصعوبة بالغة أرغمت نفسي
على الخروج من هيمنة هذه اللحظة و التحرّر من سحرها الخلاب..

كانت يده لا تزال متمسكة بمعصبي لكن بوهن الآن..أنامله تلامس بشرتي برقة تناقض
خشونتها التي اختبرتها على ذقني ذات مرة لا أريد تذكرها..
فمال حاجبائي قليلًا نحو الأسفل..و شعرت بنغزة حب في قلبي و أنا أمد يدي الأخرى لأمسك
بيده محرّرة ذراعي برفق..و كم كانت يده دافئة..تجعلني أتمنى أن لا أفلتها أبدًا..
لكنني في النهاية اضطررت لأن أضعها برفق بجانبه..ثم استغرقت لحظات أخرى في النظر
إليه..قبل أن أتهد مطولًا و أرغم نفسي على الوقوف متجهة نحو الباب..إلى أن خرجت و أغلقت
خلفي بهدوء..

بقيت بعدها ملتصقة ما بين بعض أشغال المنزل غير المكتملة..ثم اتجهت للحديقة لأجلس هناك
لبضعة دقائق..قبل أن أعود إلى غرفته مجددًا..

فتحتها برفق شديد و حذر متوقعة أن يكون قد استيقظ بالفعل رغم أنه طلب مني أن أوقظه
في وقتٍ محدّد..

لكنه كان لا يزال نائمًا..فتوقفت على بعد مسافة متر من سريره أنظر لملامحه الساكنة ببعض
القلق الذي طاف بعيناي..كان ساكنًا بشدة..أنفاسه شبه ثقيلة و قد شعرت لسبب ما بأنه ربما
يجرها بمشقة..

رمقتُ الساعة الجانبية بنظرة خاطفة..و كانت تشير إلى أنه تبقى بضعة دقائق على المدة التي طلب مني أن أوقظه بعدها..

زفرة طويلة خرجت من جوف قلبي..قبل أن أتجه لأجلس على الأريكة السوداء حيث أنام كل يوم..تارة أنظر له..و تارة تنحرف عيناى لتنتقلان حول الغرفة بغير هدى..
إلى أن وقعتا فجأة على شيء مألوف..شيء أراه كل يوم محفوظاً في نفس المكان بدون أن أتجراً على لمسـه..كانت الكاميرا الخاصة به !!

شعرتُ ببعض الإرتباك ينتابني..و حاولت أن أكبح رغبة كبيرة بداخلي في الوقوف و إمساكها..أو فقط لألمسها..ألمس ذلك الشيء الثمين بالنسبة إليه..
و الذي احتضنته أنامله لمراتٍ تفوق مرات احتضانها لأناملى أنا !!
و مجدداً..كانت تمر في عقلي لحظات طريفة تذكرت فيها حلمه الصغير بأن يصبح " مصوراً فاتوغرافياً " .. يؤسفني بالفعل بأن ذلك الحلم لم يتحقق بعد !!
بقيتُ أنظر لها لثوان..و عقلي يدور عبر حلقاتٍ لا تصور لي سوى شكله و هو يمسكُ بتلك الكاميرا ليلتقط الصور لكل منظر يروقه..و ابتسامته التي اعشقها و لا أكاد أراها منيرة على وجهه إلا نادراً..

صورة جميلة..و حلم جميل !!
تلك الصورة..و ذلك الحلم..هما ما جعلاني أقف فجأة لأقترب منها -ضدَّ- إرادتي أو إدراكي..إلى أن وقفت بجانب المنضدة حيث تقبع كل أحلامه..و مددت يدي لأمسكها ناظرة لها بتردد للحظات.. لحظة تردد أخرى..ثم كنت أرفعها مقلبة إياها بين يداي باحثة عن زر تشغيلها بفضول لا يخمد..إلى أن وجدته بالفعل..و هذه المرة لم أتردد و أنا أضغط عليه مشغلة إياها..
لكن بما أنني لم أحمل كاميرا من قبل في يدي..و لم أكن مضطلة بأي معلومات عن جميع أصناف الأجهزة و التكنولوجيا بصفة عامة..

فقد استغرقت لحظات في البحث عن قائمة الصور رغم أنها تقريباً كانت أمامي..فتحتها بهدوء..و حينها تسمرت..تسمرت تماماً على نظرة فاقت حدود الصدمة و أنا لا أرى شيئاً سوى.....صورى..صورى أنا !!!

كانت صوراً عديدة جداً..كلما ضغطت على زر تغيير الصورة اصطدمت بإحداها.. كانت صوراً احترافية جميلة لم أعلم متى التقطتها لي حتى..و أغلبها في الحديقة بوضعياتٍ مختلفة و متقاربة !!

و قد كنت نوعًا ما..أبدوا جد شاردة في جميعها تقريبًا لدرجة جعلتني أستغرب من نفسي

حقًا..هل أكون شاردة لهذا الحد دائمًا ؟!!!!

ثم..ثم لماذا كل هذه الصور لي...أنا ؟!!!! هل لكم أن تتصوروا شعوري الآن !!

كنتُ ضائعة..متفاجئة..و خفقات قلبي ترتعد..ترتعش و تنتفض بشيءٍ من...السعادة !!

هل هي سعادة حقًا ؟!! كيف لا أستطيع الابتسام إذا ؟!!

طرفتُ بعيناي لعدة مراتٍ..قبل أن ألتفت لأنظر لملامحه الساكنة برهبة..أرغب في أن أوقظه

حالاَ لأستفسر منه..فقط عن سبب كل هذه الصور !!!!

لكنها كانت رغبة مقيدة بخجلي و ترددي..و لم أفعل سوى أن أغلقت الكاميرا بأنامل مرتبكة

بعد لحظاتٍ أخرى من النظر لها و لصوري بضياح..قبل أن أعيدها إلى مكانها ببطءٍ..

ثم عدتُ لأتفقد الساعة الجانبية..فوجدتها قد شارفت على الرابعة..اقتربت من السرير

بهدهوء لا تزال رجفة ما رأيته تكتسحني..لأنني إلى مستواه بدون أن أجلس هامسة برفق رغم نبرتي

المرتفعة قليلاً ؛

_هادي..هادي إنها الساعة الرابعة تمامًا كما طلبت...

لم أحصل على أيّ استجاباتٍ حقيقية منه..سوى من بعض الهمهمات التي خرجت من بين

شفتيه..فابتلعت ريقِي..و رفعت يدي بقلق لألمس بها وجهه..

و هنا فقط...اتسعت عيناَي و أنا أجده ساخناً لدرجة مخيفة !!!!

استوطنني الذعر الشديد و أنا أحركُ يدي على وجهه برفق و كأنني أحاول أن أتأكد من ما هو

مؤكد أساسًا..

و قد كانت الحرارة منتشرة في كل إنشٍ من وجهه..فلم أشعر بنفسي و أنا ألمس كتفه لأهزه

ببعض القوة هاتفة بخوفٍ و حيرة ؛

_هادي..هادي هل أنت بخير ؟!! هادي..أرجوك قل شيئًا..هادي !!!

لكنه لم يقل شيئًا..فقد انفتحت عيناه ببطءٍ شديد جدًا و كأنه يتحامل على نفسه ليفتحها

عبدًا..استقمت بسرعة و أنا أنوي البحث عن أيّ شيءٍ يساعدني في خفض حرارته التي لم أفهم سببها..

لكنني تسمرت و أنا أشعر بيد خشنة تقبض على معصمي بضعفٍ لا يلائمها..التفتُ إليه

بسرعة لأجده لا يزال في وضعه..مغمض العينين تقريبًا..لامحه شاحبة لدرجة أخافتني أكثر..

و همس من بين شفتيه بصوتٍ ثقيل خافتٍ جدًا لكنني سمعته جيدًا رغم ذلك ؛

_لا..تتركيني.....شهد !!!

ارتجفتُ بشدة و أنا أسمع هذا الرجاء..فعدت لأجلس بجانبه قابضة على يده بين كلتا
يدي..الأمس أنامله و أفركها و كأن الأمر سيجدي..قبل أن أهمس بينما دموعي تتحرر رغماً عني ؛
_لن أتركك..لن أتركك أبداً..لكنني لا أفهم..لقد كنت بخير !!!

لم أكن أفهم بالفعل..لقد كان بخير حتى قبل ساعاتٍ..نعم..لقد لمحت بعض التعب يتلقف
ملامحه و عينيه لكنني ظننته مجرد تعب طبيعي !!

لم أظن أبداً بأن يكون قد سمعني..فقد كان يبدو خارجاً عن وعيه..لكنني سمعته رغم ذلك
يهمس بعد لحظاتٍ مانحاً إياي أصعب الحلول ؛

_اتصلي..اتصلي بأمي ... !!

الاسم وحده جعلني أنظر له مجفلة بشدة..لكنني لم أملك خياراً فقامت بسرعة أهم بالإتصال
بها..لكنني توقفت مجدداً قائلة بغباء ؛

_لكن..لكنني لا أملك هاتفاً !!

مجدداً لم يجب فوراً حتى خفت أن لا يكون قد سمعني..إلى أن همس بصعوبة بالغة بدون أن
يفتح عينيه ؛

_ها...هاتفي..هاتفي هناك.....

و لم يضيف كلمة بل اكتفى بأن استسلم لوعيه الذي بدأ ينسحب منه مجدداً..فاتجهت إلى
المنضدة التي بجواره لأمسك بهاتفه لأول مرة بين يدي..الخوف يكاد أن يقتلني عليه..

فتحت به سرعة..لكنني تسمرت بنفس الطريقة قبل دقائق و أنا أرى.. مجدداً..صورتي تحتل
شاشة هاتفه الرئيسية !!!!

يا إلهي..هل هذا يوم الصدمات العالمي ؟!!!!

لقد كنتُ سأستسلم لصدمتي بالفعل..حتى أنني عقدت حاجباي للحظة و فغرت شفثاي
كالبلهاء..لكن عقلي عاد لينبهي لوضعي..

فحركتُ رأسي في كل الجهات محاولة تجاهل الصورة بحزم..و شرعت في البحث بين الأرقام
عن اسم أمه إلى أن وجدته بالفعل..

اتصلتُ بها بسرعة و رحت أمشي في المكان في كل اتجاه بقلق و توتر بالغ..

_هادي !!!

سمعتُ صوتها يأتيني مستغرباً و كأنها أول مرة تتلقى فيها اتصالاً من ابنها..و قد كانت لتضيف
شيئاً ربما..

لكنني لم أترك لها فرصة للتعجب أكثر و أنا أقول بسرعة و بكلماتٍ متقطعة متوترة ؛

_أنا..أنا شهيد..هادي حرارته مرتفعة لدرجة كبيرة و أنا.....

_أنا قادمة..

قاطعتني بهذا الرد الحازم فوراً..قبل أن تغلق الخط في وجهي...كما العادة !!!

زفرت و أنا أعيد الهاتف مكانه..قبل أن أتجه للمطبخ بسرعة و أمسك بإناء ملأته بالماء البارد

و بعض قطع الثلج..ثم بعض المحارم و عدت بسرعة إليه..

كان لا يزال شبه فاقدٍ لوعيه حينما جلست بجانبه في طرف السرير أنظر له بأسى..و قد

تضاعف الأسى في قلبي و أنا أمسكُ بطرف الغطاء الذي دثرته به سابقاً لأبعده عنه قليلاً..

ثم لم ألبث أن بدأت أمزج المحارم المبللة بالماء المثلج فوق جبينه على أمل أن تثمر نتيجة..لكن

عبثاً..

فالنتيجة الوحيدة التي وجدتها هي همسته الخفيضة جداً..و التي جعلتني أتراجع مبهوتة

بصدمة حتى كدت أقع لولا أن تمالكت نفسي..

هل تعرفون ماذا قال !! همس شيئاً لم أفهمه..همس من بين ثنايا وعيه المفقود بخفوتٍ

شديد..بصوتٍ مرتجفٍ ضعيف ؛

_لا تتركيني يا..شهيد..أنا.....أحبك !!

لم أستطع أن أستوعب..شعرت بأنني أهذي بالفعل..لا بد أنني أهذي..لا بد أنني أتخيل !!! يا

إلهي..هل وصل بي البؤس إلى هذا الحد !!!

_شهيد !!

اقتربتُ مجفلةً منه..مستجيبةً لندائه بكل جوارحي بينما عقلي لا يزال غارقاً في دوامة كلماته

قبل قليل..قلت و أنا ألصق أذني تقريباً بفمه حتى أسمع ما يهمسه ؛

_أنا هنا..

_أنا..أحبك..

شهقة بلا صوتٍ غادرت فمي و أنا أتسمر للمرة الثانية..لم أكن أهذي إذًا.. لقد قالها..لقد

همسها في أذني للتو..همس الأربعة حروف التي ما توقعت يوماً أن تجتمع كلها في لسانه مرتبطة بي !!

يا إلهي..أتى يمكن لهذا أن يكون حقيقياً ؟!!!

_شهيد !!!

تخلل صوته الضعيف مسامعي بهذا النداء للمرة التي لا أذكرها..فهمتفت بدون أن أشعر

بصوتٍ خافت تتخلله مشاعر الذعر و الصدمة ؛

_نعم..نعم..أخبرني..أنا هنا..

تثاقل صوته أكثر و هو يهمس ؛

_لقد خذلتني يا...شهد !

و لم يصمت بعد همسته هذه..بل أكمل و هو يبدو على وشك فقدان أنفاسه الآن لا وعيه

فقط ؛

_أنا..أحب.....شهد !!

حسنًا..ما عاد هناك مبرّر للصدمة بعد..فما أكثر صدمات اليوم !!

ابتلعتُ ريقِي ببطءٍ..قبل أن أستقيم قليلاً حيث أجلس..ثم ربتُ على كتفيه برفق بالغ و أنا

أهمس له مطمئنة من بين دموعي الغزيرة الهادئة ؛

_حسنًا..حسنًا..اهدا أرجوك..

كانت أنفاسي لاهثة الآن..الحرارة تجتاح روحي كما تجتاح جسده..كنت ضائعة

المشاعر..أتخبط ما بين خو في الشديد عليه و صدمتي لما سمعته للتو !!!

أطبقتُ عيناِي بقوة و أنا أحاول أن أتماسك قليلاً معيدة النظام لأنفاسي المتسارعة..و في تلك

اللحظة..تناهى إلى مسامعي صوت دوران المفتاح في قفل الباب..ثم خطوات عنيفة تقترب من الغرفة

استطعت تكهن صاحبِتها بغير عناء تفكير..

تلك الخطوات التي تخيفني..التي تجعل ذكريات بائسة مرعبة و مؤذية تطوف في ذهني..هي ما

جعلتني أخرج من حالي السابقة..فوقفت بهدوء لأقف في جانب معين تزامناً مع اقتحامها للغرفة..

كانت ملامحها شاحبة بشدة..يكتسحها الذعر لدرجة لا تصدق..تلك النظرة..لم أرها مقترنة

بملامحها يومًا..أو بالأحرى قبل اليوم..فقد كانت دائماً تشكل لي تلك -الساحرة الشريرة- ذات السطوة

و القسوة اللا متناهية في قصتي..

أما اليوم...لأول مرة أراها كأم تكابد الذعر الشديد على ابنها..صوت خطواتٍ أخرى

نبهني..كانت خطوات تختلف عن الأولى..خطوات رقيقة هادئة و رشيقة..

نظرت لصاحبِتها التي دخلت الغرفة للتو و كانت.....سجى !!

لم تبدو منتبهة لي و هي تقترب من هادي ناظرة له بقلق بالغ بينما أنا أنكمش على نفسي أكثر

غير قادرة على بناء جدار تواصل معهما..

يؤلمني أن أكون غريبة بين عائلة مرموقة كذلك..جميع أفرادها بما فيهم هادي يختلفون عني في كل شيء..حتى لو استثنيت هادي الأقرب لقلبي..

و لؤي و سجي..الوحيدان اللذان عاملاني بلطفٍ..فتلك الحواجز التي تفصلني عن هذه

العائلة..لا يمكن لها أن تتصدع و لو بعد ألف سنة !!

انتهتُ لحركات أمه المرتجفة و هي تدسّ يدها في حقيبتها لتخرج شيئاً ما..لم يكن سوى -إبرة-

طبية اقتربت من هادي لتدسّها في معصمه بأنامل مهتزة كنظرات عينها !

حسنًا..لم أتوقع أن تكون امرأة مثل السيدة عفاف قادرة على الشعور بالقلق لهذا الحد على

أيّ كان..

أيّ كان ؟! يا لي من حمقاء !

إنه ابنها هادي الذي فعلت بي ما لا يمكن لطفلة أن تتحملة فقط لتبعدني عنه..و لتبعده عني

في الماضي البعيد..القريب !

رأيتها كيف ألقت بها بإهمال فوق المنضدة الجانبية..قبل أن تنحني عليه قليلاً محيطة وجهه

بين يديها بحنان بالغ..ثم همست بخوف و هي تربت على شعره الناعم معيدة خصلاته الطويلة قليلاً

إلى الخلف ؛

_هادي..هادي استيقظ حبيبي..كل شيء بخير..استيقظ..

_شهد !!

هذا النداء الخافت الذي خرج بصوتٍ ناعم لطيف..جعلني أترك النظر لهادي و ألتفت

بسرعة لأنظر إلى سجي..

عجبًا..لقد كانت تقف بجانب هادي..متى لمحتني و اقتربت مني !!

لم أعرف بما أجيبها في البداية..فتدبرت ابتسامة مرتجفة..و همستُ بينما أرفع يدي لأبعد

خصلة منفلتة من ظفيري إلى خلف أذني ؛

_ك..كيف حالك ؟!!!

بلهاء..أليس كذلك ؟!

حسنًا..ردة فعلها لم تبدو و كأنها تؤكد لي فكرتي أبدًا..بل كان أن منحتني ابتسامة صادقة

صغيرة..لكنها أبرزت غمازتها الكبيرة رغم ذلك..و قالت بنبرة لطيفة رغم ملامحها التي لم تكن عادية

اليوم..

فقد لمحتُ بداخل عينها شيئاً يشبه...الحزن !

_بألف خير..شكرًا لك..

لقد كانت تشكرني على سؤالي عنها رغم أنها هي من نادتي..و هي من تشرع في التحدث معي كلما رأني و كأنني استثناء بالنسبة لهاتها الأنيقة جدًا و التي تظهر فتاة مرموقة المستوى و المكانة..
أومأت لها بصمتٍ و أنا أنظر إلى ملامحها كمن يحاول تحليل لمعة الحزن في عينيها..و رغم ابتسامتها الجميلة..فهي لم تكن تجيد إخفاء حزنها أبدًا..هذا ما استنتجته..
خاصة أمام فتاة مثلي عاشت من الألم ما يكفي لجعلها أكثر من يجيد قراءته بعيون غيرها
من الناس !

عدتُ لأنظر لهادي الذي لم يستفق بعد..فسمعتها تهمس من جديد بتهيدة ؛
_لا تقلقي على هادي..هذه حالة مألوفة لديه..هو لا يعاني من حى حقيقية ناتجة عن تعرضه للبرد..هذا ما يسمى بمضاعفات الدواء..
بقيتُ أنظر لهادي في شرود و أنا أسمع كلماتها تلك..لا أشعر سوى بالاحترام و الامتنان لها كل ما قابلتها و رأيت ابتسامتها المُحببة للقلب..
حركة ضئيلة في رموشه جعلتني أخرج من شرودي..فلم أتمالك نفسي من الاقتراب منه بلهفة..
لكنني و قبل أن أصل إليه..سمعت صوت أمه الذي خرج مغلفًا بكل سمومها و هي تهتف بي ؛
_ابتعدي..

صوتها الهادر..هزني من الأعماق..ليس إلّا لأنه يعود ليذكرني بماضي الأليم معها..نظرت لها بعدم قدرة على الإستيعاب..فقالت و هي تقرأ نظرتي تلك ؛
_ماذا ؟!! هل تتوقعين مني أن أدعك تلتصقين به أمامي ؟!! خاصة بعد ما أصابه بسببك..ألم تقرئي مضاعفات الدواء من قبل و أنتِ تقدمينه له ؟!!! و لا دفتر الملاحظات الذي دونت لك فيه كل شيء يخصّه !! حتى و لو لم تقرئيه..ألم تستطيعي أن تخمني بذكائك المحدود أنها مجرد مضاعفات ؟!!! أيتها -الجاهلة- !!!

_خالتي !!!!!

كانت هذه صرخة سحى التي قالت بتنبيه و ذهول..بينما ملامحها كان يستوطنها بعض الانفعال و كأن تلك الكلمات قد آذتها هي شخصيًا..
بينما أنا..علقت في محاولة استيعاب كلمة واحدة..
جاهلة..جاهلة..جاهلة !!!!!

ألا تعلم هذه السيدة المصون أنني كنت الأولى على دفعتي في الثانوية !!!

كيف تنعتني بالجاهلة !!

شعرتُ و كأن أحدهم قد سكب دلوًا من الماء البارد فوق رأسي و الكلمة تتكرّر في عقلي بلا

توقف..و بقيت أنظر لها للحظاتٍ قصيرة..تذكرت فيها كلام هادي..

" أريدك أن تكوني قوية مع الجميع عداي أنا "

حتى لو كان قد قال ما قاله ممازحًا حينها لكن يكفيني أنه من قاله !

لذا...رفعتُ ذقني..و قلت بقوة لم أعلم من أين جاءني رغم تردّد صوتي و ارتجافته الداخلية ؛

_أنا لست جاهلة..و لا أسمح لك بمخاطبتي بهذا الشكل !!

" ٥ :تلميحاح "

#شهد

_أنا لست جاهلة..و لا أسمح لك بمخاطبتي بهذا الشكل !!
لحظة صمتٍ مهيب..ثم كانت السيدة عفاف ترفع رأسها ببطءٍ لتنظر نحوي بنظرة فاقت
حدود الصدمة الطبيعية..
نعم..ردة فعل متوقعة من امرأة مثلها اعتادت أن لا ترى شيئاً عدا الخوف في عيني !!
كانت ملامحها تدعو للضحك و هي ترفع حاجبها ببطءٍ شديد في محاولة لتحليل هذا الرد
الوقح جداً بالنسبة إليها مني..لكنه في الحقيقة لم يكن وقحاً..بل كان في غاية الأدب و
الإحترام...بالنسبة لي !!!
كنتُ أشعر بثقة و راحة غير طبيعية بعد أن قلت ما قلت..لكنني لم أستطع رغم ذلك أن لا
أميل بنظراتي إلى أن نظرت لهادي الذي كان قد استيقظ أخيراً بتوتر أولاً..
لكن كل ذلك التوتر تداعى معظمه..و أنا ألمح تلك الابتسامة الهادئة التي كانت تشق شفثيه..
ابتسامة مقترنة بي..ابتسامة أعلمتني أنه سمع ردي -القوي- هذا بل و نال إعجابه !!
لو كان لابتسامته صوت لهمست لي الآن معبرة عن شعور صاحبها..
" أنا فخور بك..فخور جداً !! "
لم أستطع أن لا أبتسم أنا أيضاً بارتجافة..قبل أن ترتفع أنظاري مجدداً و تلقائياً لملامح
سجى..و للعجب فقد وجدتها تبتسم بنفس طريقة هادي..
كانت تنظر إلى هادي بطريقة لم أفهمها..لكنني استطعتُ أن أعلم ما تقصده بها..فقد كانت
دهشتها أيضاً واضحة من أسلوب في الكلام..
و عيناها تتألقان برسائل مشفرة بينهما علمت أنها عني لا ريب..خاصة و قد مالت ابتسامتها
إلى الخبث و ابتسامته إلى ما يشبه الغيظ..
فأطرقتُ برأسي محاولة إخفاء ابتسامتي التي لم تلبث أن اتسعت ببطءٍ... قبل أن أسمع بعد
ثوانٍ صوت أمه..هتفت بنبرة غير مصدقة و هي تنقل عينيها بين جميعنا..توجه كلامها لهادي و سجى
فقط..
_تبتسمان !!! لا أصدق أنكما أيضاً تشجعانها على أسلوبها الرديء هذا في الكلام معي !!!!

ارتجافة جديدة شعرت بها تمر على طول عمودي الفقري.. تلك الارتجافة أعرفها.. إنها نفس
الارتجافة التي تكتسح جسدي كلما سمعت صوت هتافها..

لكنها كانت ارتجافة لحظية سرعان ما تلاشت و أنا أسمع صوت هادي يجيب بكل حكمة ؛
_لم يكن أسلوبها رديئاً يا أمي.. بل أنت من شتمتها أولاً و هي طلبت منك بكل أدب أن
تحترمها.. دعينا لا نزيف الحقائق !!

يا الله ! كيف يمكن لخفقات قلبي أن تحتفظ باستقرارها بعد هذا !! لقد كان يدافع عني !!
_أحترمها !!!

كان هذا صوت أمه التي عادت تهتف بنبرة استنكار شديد و تكبر فاق المعهود.. كانت لا تزال
تقف مكانها في مقابلي بقامتها الممشوقة.. و قد نطقت آخر كلمة و هي تنظر لي بنظرة تحتوي نفس ما
احتوته نبرتها من مشاعر..

كنت حريصة على أن لا أنظر لها.. لا أحب أن أقابل عينيها أبداً.. لهذا و تجنباً لذلك تعمدت أن
أبقي عيناى جانباً.. إلى أن سمعت صوتها تقول بملامة لهادي ؛
_كله بسبك.. أنت من تمنحها هذه الشجاعة الغبية لتتحداني..

لم يجب هادي.. فصمتت قليلاً ثم هتفت به مجدداً و قد شعرت أنها على وشك ننف شعرها
من الغيظ ؛

_تباً ألم تكن لا تطيقها !!!!!

الآن فقط كانت ملامح هادي تكتسب بعض الجمود الذي حل محل ابتسامته.. ثم قال بجدية
و حسم ؛

_و لم أعد كذلك.. هل تعلمين ؟! حتى لو كنت لا أطيقها بالفعل فهذا لن يجعلني أتغاضى عن
محاولاتك المتكررة لإحراجها و إهانتها.. سبق و أخبرتك أن شهد تكون زوجتي و ما لا أقبله على نفسي لا
أقبله عليها أيضاً !!!

شعرتُ بأنني على وشك فقدان وعيي و أنا أسمع نبرته التي ازدادت شراسة في الدفاع عني...
ضدَّ أمه !!!

حتى و لو لم تكن أمًا مثالية له فهي تبقى أمه !!!!!

نفسها أمه التي بدت و كأنها قد فقدت كل تكبرها و ثقته بعد كلامه هذا.. فقد تحولت ملامحها
إلى مشاعر مخيفة عجزت عن قرائتها.. كانت تمتزج ما بين الكارهة لي و المعاتبة لهادي و المتوقعة... لي
أيضاً !!!

حسنًا..من المفترض أن أشعر بالخوف فأنا أخاف منها بالفعل..لكن ليس بعد..ليس و أنا أقف

على بعد خطواتٍ من هادي..

بعد سماع دفاعه الشرس عني !!

لحظة أخرى..استغرقتها في الوقوف هناك زامة فمها بقوة..قبل أن تلتفت التفاتة سريعة
للتجّه بخطواتها الأنيقة التي لا تجسّد مزاجها الغاضب..و ذقنها المرتفع على الدوام إلى الباب..إلى أن
أغلقتة وراءها بهدوءها المعتاد مختفية وراءه..

صمت تام ساد بعد خروجها بين ثلاثتنا..شعرتُ أنا خلاله بالضياح ينتابني يتخلله بعض
التوتر الذي لا أدركُ سببه..لكنني رغم ظللت أحاول تخفيفه عبر مشابكة أنامل يداي ببعضها
البعض..

إلى أن شعرتُ بلمسة ناعمة هادئة على كتفي..فرفعت رأسي لأنظر إلى سجي مباشرة..و
هناك..فوق ملامحها اللطيفة..رأيت ابتسامتها الجميلة مرتسمة بهدوء..

رباه..كم تملكُ ابتسامة مريحة للقلب !!

ابتسامتها تلك..و نظرتها..بدت و كأنها تذكرني بكلامها الجميل ذلك اليوم عن هادي..فبادلتها
إياها بنظرة لم تحمل سوى الامتنان المعهود..

قبل أن أسمع صوت هادي يقول بمزاح بينما ابتسامته تتركُ أثرها على صوته ؛

_أنصحكِ أن تأخذي بعضكِ و تلحقي بخالتكِ فهي ستكون الآن في حالة يرثى لها..لا أستغرب
أن تمزق إطارات السيارة بأسنانها لشدة انفعالها..

ضحكت سجي و هي تزجره بحدة مزيفة ؛

_تأدب يا ولد..أنت تتكلم عن خالتي..

_و أمي !!

همس يجيها بتنهيدة مرهقة رغم ملامحه التي لا تزال محتفظة بمرحها..فهزت رأسها

بالإيجاب و كأنها تتهد مثله..ثم همست بينما تنقل أنظارها بين كلانا ؛

_اعتنيا ببعضكما جيدًا..

كانت تلك آخر جملة همستها لنا بنبرتها الصادقة..قبل أن تغادر في هدوء..لأبقى أنا و هادي

فقط..هادي !!

" أنا أحبك "

رغمًا عني وجدتُ هذه الكلمة تمر في عقلي مجددًا بصوته الضعيف..تتكرّر بعدد المرات التي
نطقها اليوم لتجعلني في حالة يرثى لها..

فمن الحرارة التي سرت بكل وجهي علمتُ بأنني قد انكشفت أمامه حتمًا..و الدليل ابتسامته
الواسعة التي لمحتها بطرف عيني..ثم صوته الذي خرج هادئًا جدًّا..مختلفًا..
_تعالِي..

نظرتُ له كشخصٍ لا يعرفه تمامًا..و بدوت و كأنما أسأله بعيني المتسعتين قليلًا..

" هل تكلمني أنا ؟!! "

كنتُ قد رفعت أصبعي السبابة لأشير إلى نفسي بالفعل بدون أن أشعر..إلا حينما رأيت
ضحكة جميلة تزين ملامحه..ضحكة جعلتني أنسى الموقف الذي أنا فيه بعد أن سُحرت بها !!
هل ضحكك بالفعل ؟! هادي !!!

كانت ضحكته كالحلم الجميل تمامًا..لا تستوعبه إلا بعد أن تستيقظ..حينها تتمنى لو تعود
للنوم لتعيشه مجددًا حتى و لو مؤقتًا لا يهم...فجماله يستحق !!

هذا ما حدث معي تمامًا..شعرتُ ببعض الإحباط و أنا أرى كيف أن ضحكته القصيرة
تداعت..لكنه أبقى على ابتسامته الهادئة بينما يهز رأسه مجيبًا سؤالي الصامت بسخرية محببة ؛
_لا..طيفك..ألا ترين أن لا أحد متواجد بالغرفة غيرنا يا حمقاء ؟!!!!

ابتسمتُ بإحراج بالغ من حركتي التافهة تلك..قبل أن أجبر قدمي على التقدم نحوه
ببطء..إلى أن جلست بجانب السرير بتردد و همستُ بارتباك ؛
_ك...كيف تشعر الآن ؟!!!!

لم أكن أنظر له..كانت عيني على يداي المتشابكتين..تلك الحركة التي تنجح نادرًا في تبديد
القليل من توتري..حينما سمعت صوت تهديدته التي سبقت قوله بهدوء ؛
_بأفضل حال..

حركتُ رأسي ببطءٍ بدون أن أقول كلمة واحدة..فقد تركت الصمت يسود بيننا للحظات..إلى
أن قطعه هو بنبرته الهادئة البسيطة التي توهمني بأن لا شيء في العالم تغير بعد هذيانه الجميل
اليوم !

_إِذَا ؟!!!!

الآن فقط..وجدتُ نفسي مضطرة لأن أقابل عينيه على مضض..فرفعت عيناى إليه ببطءٍ إلى
أن نظرت له بالفعل..و حينها...رأيت كيف أن يده تحركت لتحرّر يداى من تشابكهما متمسكة
بإحدهما بين أنامله..

ثم قال بنبرة مميزة هادئة ؛

_هل غيرت رأيك و لم تعودى تتمنين رؤيتى حليق الذقن ؟!!!

ارتعشت بشدة لسؤاله هذا..ويبدو أنه لاحظ ارتعاشى هذه فى يدى القابعة بين كفيه..فشدد
من إمساكها برفق..و أكمل بينما أنامله الكبيرة تتلاعب بأناملى بطريقة جعلتنى أشعر بالدغدغة
لشدة رقة لمساته ؛

_هل تشعرين بالخجل ؟!!!

لا..لا أشعر به..أنا فقط أكاد أن أذوب فى مكاني لشدة شعورى به !!

همست و أنا أحاول تجنب عينيه بتوتر بالغ ؛

_لقد...كنت تقول شيئاً...و.....أنت..نائم !!

لم يبدو عليه التفاجئ أبداً..بل همس ببساطة ؛

_لم أكن نائماً..قولى فاقداً للوعى..

ثم أضاف فوراً باهتمام ؛

_ماذا كنت أقول ؟!!!

يا إلهى..هل نسي بهذه السرعة ؟!!!! و كيف سيتذكر يا حمقاء ؟!!! لقد كان يهذى !!!!!

شعرتُ بأننى سأموت حقاً لشدة توترى..فتلافيت الموضوع و همست بخفوتٍ مصرة على

تجنب عينيه كي لا أفضح أمامه ؛

_لا.....شيء مهم..تجاهل فحسب..

كنتُ خائفة بشدة أن يصير أكثر على السؤال..لا لشيءٍ فقط لإدراكى التام بأننى أبداً لن

أستطيع المراوغة و الكذب عليه أكثر..

لكنه لم يفعل..بل استمر يتأملنى للحظاتٍ و كأنه يفكر جدياً فى اقتراحى بأن يتجاهل

فحسب..إلى أن تنهد للمرة التى لا أذكر كم..و همس مغيراً منحنى الموضوع ؛

_هل أنتِ من اتصلتِ بأمى ؟!!!

نظرتُ له بطرف عيناى بتردد و أنا أهمس و كأننى أحاول أن أتأكد من أننى فعلت الصواب ؛

_أنتِ من طلبت منى !

الآن كان هو من يهز رأسه ببطء.. قبل أن يشق طرف شفتيه شبح ابتسامة جعل الخفقات تختلج في قلبي.. ثم قال يسألني مجددًا.. لا ينفك عن الانتقال من موضوع لآخر بسلاسة و غرابة ؛

_هل شعرت بالخوف علي؟؟!!

لم أستطع أن أرد.. شعرتُ بأن صوتي قد اختفى فقط.. لقد كان يجيد إضعافي بمجرد

سؤال.. خفت عليه فقط ؟! لقد كدت أن أموت من الخوف !!

ليته يعلم فقط بأنني مستعدة لأن أهب كل حياتي مقابلًا لحياته !! ليته !!!

شعرتُ بأن تلك المشاعر تختنق بداخلي راغبة في اكتساح عينايا.. و قد نجحت بالفعل في اكتساحهما.. فأسدلت جفنايا عنه بصمتٍ لعلني أخفي تلك النار المندلعة تحتهما عنه.. لكنه و بطريقة ما لم يكن ينتظر جوابي.. أو ربما فقد أخذ كفايته من تعابير ملامحي

الفاضحة ! فسمعته يستأنف بذات ابتسامته التي شردت قليلًا ؛

_يكاد هتافك المذعور باسمي و ترجيك الخائف لي بأن أفتح عينايا يتكرر في عقلي ليمنحني

الجواب القاطع لسؤالي..

كانت أنامله لا تنفك عن عبثها بخفقات قلبي و هي تغير من وضعية تمسكها بيدي من لحظة

لأخرى.. ثم في النهاية كان يفرد راحته فظننت بأنه سيحرر يدي..

لكن ما فعله أن فرد راحة يدي أنا فوق راحة يده.. بينما أخذت أنامل يده الأخرى تلامس أناملي

برقة بالغة.. إبهامه يمر بسلاسة فوق كل أصابعي ثم يعود ليمنح الدور لأصابعه الأخرى..

أغمضتُ عينايا بقوة و أنا أحارب رغبة قوية في القبض على يده بشدة أو تحرير يدي منه و

الهروب من حنانه الجميل.. غير المبتذل !!

أردتُ أن أختبأ فقط كعادتي.. لكن أنامله تلك كانت تمنعني.. تؤازرها خفقات قلبي و صوته

الذي الذي عاد ليقول ببطء.. بدون أن ينظر لي هذه المرة.. فقد كانت عيناها تر اقبان تحركات أنامله

بإخلاص ؛

_لكنني رغم ذلك أريد سماعها منك.. هل شعرت بالخوف علي؟؟!!

حسنًا.. لم يعد هناك جدوى من الصمت الآن أو المراوغة.. همست باستسلام و أنا أطرق

برأسي.. أتأمل تشابك أناملنا مثله ؛

_شعرت به..

فقط.. و أغلقتُ فمي.. لكنه أبى إلا أن يسمع الإعتراف كاملاً مني فسأل مجددًا بإصرار ؛

_بماذا شعرت بالضبط ؟!! أكملني كلامك !

ابتلعتُ ريشي الجاف أصلاً من هذه المحادثة الغريبة و الهادئة جداً..ثم لم ألبث أن رفعت

رأسي قليلاً لأنظر لعينيه..همست بعد لحظاتٍ من التردد بصدق تام ؛

_شعرت بالخوف عليك...كثيراً !!

بدا وكأنه يجاهد لكتم ابتسامته -السعيدة- باعترافي هذا..ثم قال محاولاً التظاهر بالاعتيادية

و كأنه يريد أن يتأكد من شيءٍ ما قبل أن يسمح لابتسامته الخلافة بسلب الصواب من عقلي ؛

_لماذا ؟!! ما الذي يدعو لشعورك بالخوف علي ؟!! تراك تحبيني مثلاً ؟!!!!!!

لا..لا أحبك..أنا فقط غارقة في حب كل تفاصيلك حتى النخاع..لست أحبك يا هادي..بدليل

نبضات قلبي التي تكاد أن تخترق قفصي الصدري المسكين لتظهر للعيان مفصحة عن مشاعري

اليتيمة تجاهك..

لستُ أحبك..إنما فقط...أشعر بأن الحياة من قبلك كانت عبثاً..و من بعدك لن تكون

بالنسبة لي..إلا هراءً مظلماً..كهف من الغسق و الظلمات !!

_أنا..أنا عليّ أن أذهب..

قلتها بهدف الهروب و أنا أحاول تحرير يدي منه..لكنه لم يسمح لي..بل قال بحزم بينما يتمسكُ

بها أكثر ؛

_لن تتحركي خطوة قبل أن أسمع الجواب من فمك...حالاً !!!!

اتسعت عيناى بذهول بالغ و أنا أجد نفسي محاصرة تماماً..ألا يمكنني التملص من الاجابة

حتى ؟ أو الرفض !!

همستُ بتلعثم و أنا أحاول أن أتحكم بأنفاسي المتسارعة ؛

_ع..عليّ أن...أجهز طعام العشاء !!

هذه المرة كان صوته أشد حزمًا و هو ينطق كلمة واحدة ؛

_شهد !!!!

فنظرتُ له باستسلام و برجاءٍ خفي أن يرحمني من هذا السؤال بالضبط..فأنا لن أستطيع..لا

أستطيع أن أكذب في هذا الشأن !!! سأموت قبل أن أفعل !!

لهذا و مجددًا..حاولت أن أتلافى الموضوع..فقلت بمراوغة بينما صوتي المتوتر يفضحني ؛

_بالطبع..بالطبع أحبك..أ..لسنا صديقين منذ الطفولة..أنا...أنا أحب كل أصدقائي !!!

لم أفهم سبب تلك العقدة التي ظهرت بين حاجبيه..كانت عقدة واضحة تفصح عن شعوره

ربما ب...بالاستياء !

قبل أن يقول بنبرة غريبة..شبه حادة و أنامله تشدد من ضغطها على يدي بدون أن يشعر
غالبًا ؛

_أصدقائك ؟!! كم صديقًا تمتلكين غيري ؟!!!

لم تكن نبرته تنبئ بالخير أبدًا..فقد شعرت و كأنه على وشك صفعي عقابًا لكلامي الغبي..
فقلت بسرعة ؛

_أقصد..أقصد صديقاتي..صديقاتي الفتيات..أحبهن جميعًا...

الآن رأيتُ كيف أن الاستياء تلاشى نسبيًا من ملامحه..ثم همس بنبرة أشد غرابة..نبرة
جعلتني أنظر له بدهشة شديدة..

فقد كان صوته ينم عن...إحباط !!!!

_لكنك قلت -أصدقائي- حرفيًا قبل قليل !! كنت أظن بأنني صديقك الوحيد !!

شعرتُ بحنان غريب يجتاحني نحوه..فنظرت لعينيه العابتين لأهمس بصدق تام الآن ؛
_لم تظن..أنت كنت صديقي الوحيد بالفعل..أنا لم أحظى بأيّ أصدقاء من قبل..لا فتيان..و
لا فتيات !!!

من بين كل ما قلته..كانت كلمة واحدة من لفتت انتباهه..و هي نفسها التي كررها لسانه
بشروء ؛

_كنت !!!

كان صوته حزينًا نوعًا ما..فأطرقت برأسي بصمتٍ غير قادرة على نبذ حزنه هذا و الكذب
بقول أنه لا زال حتى الآن صديقي..فهو لم يعد كذلك..و لا يمكن أن يعود !!!
_نعم..لقد كنت صديقك..الآن أنا زوجك..

قالها بنفس الشروء و بنبرة واثقة و هو ينظر في عيني و كأنه يتقرب ردة فعلي..فأومأت ببطءٍ
و أنا أكرّر وراءه بهدوءٍ يتخلله نفس الشروء ؛
_نعم..أنت...كذلك !!

كان قد خفف من قبضته حول يدي بالفعل بدون أن يحرّر عيني من أسر عينيه..همستُ
مجددًا بما يشبه الرجاء و أنا أشعر بأنني على وشك فقدان أنفاسي تأثرًا بكل ما دار بيننا من
أحاسيس هذه اللحظة ؛

_هلا حررت يدي ؟!!! أنا...لدي عمل !!!

لم يحررها..فقد سأل بخفوت ؛

_ ما نوع هذا العمل ؟!!!

قلتُ بخفوتٍ و أنا أهز كتفائي ببساطة ؛

_ تجهيز طعام العشاء لك !!

ظل صامتًا للحظات يتأمل ملامحي..و مثله عجزتُ عن تبديد قيمة اللحظة تلك..إلى أن همس

و يده الأخرى تنضم لتلامس وجنتي برفق ؛

_ هل تشعرين بالجوع ؟!!!

حركتُ رأسي بالنفي..و كم كان ردي هذا مرضيًا له..فلم تلبث أن عادت الابتسامة الشبه

مكتملة لتشق شفثيه..ثم همس ببساطة ؛

_ و لا أنا !!

شعرتُ بأنه قد تم خداعي بسؤاله البريء ذاك..فقلت محاولة الإعتراض ؛

_ لكن.....

لكنه قاطعني فورًا بسؤال جديد ؛

_ ألا تزال تراودك الكوابيس في الليل ؟!!!

الكوابيس !! هل كان يجب أن يذكرني بتلك المأساة الآن !!

همستُ متنهدة باستسلام..متخلية عن فكرة الهروب مؤقتًا ؛

_ أحيانًا فحسب !!

نظرتُ للأريكة حيث أصبحت أنام في الغالب و أنا أستأنف بصدق ؛

_ تراودني أكثر حينما..أكون.....وحددي !!!

ثم عدتُ أنظر له فطرف بعينه بدون أن يبعد يده عن وجنتي..و قد هالني و خطف أنفاسي

ذلك البريق الذي رايته يلمع في عينيه بعد اعترافي..

و كأن كل اعتراف جديد..يجعل من عينيه الهادئتين و نظراته الحادة بالفطرة تلين أكثر

بحنان غريب علي..

قبل أن يهمس بصوته الخشن الحنون بعد لحظاتٍ من الصمت ؛

_ اقتربي !!!

لم أفهم أمره هذا..و لم أحب أن أفهم للحقيقة..فقد طرفتُ بعيناي أنا الأخرى و همست

بخجل شديد و أنا أنظر بعيدًا عنه..أخشى أنني لو نظرتُ إلى عينيه أكثر قد...أبكي !!

_ أنا قريبة.....بالفعل !!

كنتُ أتأمل أن يجعله جوابي يغير رأيه..يتراجع عن أمره..لكن العكس تمامًا ما حدث..حرك رأسه بالنفي و هو يهمس برقة تناقض خشونة صوته ؛

_اقتربي أكثر !!!

شعرتُ أنني سأنصهر بعد لحظة واحدة لو استمر في أمره هذا..و علمت أيَّ اقتراب يقصد

لكنني لم أرد أن أفهم أو أقرب..لا أستطيع...لا أستطيع !!!

_هل عليَّ أن أكررها مجددًا ؟!!!

التفتُ إليه بسرعة..فأردف و هو ينظر لي بحزن علمتُ أنه زيفه بإتقان ؛

_ألا تشفقين على حالي ؟!!!! ألا ترين أنني لا أزال مريضًا و أحتاج

صمت تمامًا..فهمست بسرعة و بلهفة بالغة ؛

_ماذا تحتاج ؟!!!! أنت فقط أخبرني و أنا سأحضر لك كل ما تحتاج !!!

لم أستوعب كمية الغباء الذي حملته أسئلتي العفوية تلك..إلا بعد أن تلقيت جوابه

الخبيث..حينما قال بكل جدية جعلتني أمامه شاحبة كمن لا يعي أيَّ ممّا يدور حوله ؛

_أحضري نفسك لي إذا !! أنا أحتاج أحدًا بجانبني و لا أرى غيرك هنا !!

بقيتُ متسمة مكاني للحظة..قبل أن أبتلع ريتي بصعوبة..ثم همست مدعية الغباء الذي هو

أسمى صفة لدي..تبًا لي !!

_ماذا تريد أن أفعل لأجلك ؟!!!!

كما عادتني في غالب الأحيان..كنت أحاول في هذه اللحظة أن أتجنب تأثير عينيه الملح..حينما

هز رأسه بالنفي على سؤالي ذاك..ثم همس بهدوء و ابتسامة صغيرة تداعب شفتيه ؛

_لا شيء..نامي هنا فحسب !!

كان يربت على السرير بالفعل مع استطراده في الكلام ببساطة شديدة..فنقلتُ أنظاري بينه و

بين يده بتردد كبير..و توتر أكبر..أشعر بأني وقعت في مأزق كبير بالفعل..

حاولتُ أن أعترض..حاولت أن أستجمع الكلمات لأتعلل بشيء ما أو أراوغ مجددًا..لكن

خفقات قلبي التي كانت تهفو إليه خانتني..كما خاني صوتي للمرة الألف أمامه..فاستسلمت..

أليس أجمل شيء في الحب هو الاستسلام له ؟!

ببطءٍ شديد..كنتُ أميل إلى أن استلقيت فوق السرير الوثير..بل في طرفه الصغير أكاد أقع..و

استمررت أنظر أمامي بأنفاسٍ متهدجة..ظهري فقط من يقابله و بجانبه أنا أكاد أن أذوب..

شعرتُ به يقترب مني بنصفه العلوي في نفس الوقت الذي تلتفّ ذراعاه من حولي ليضميني إلى صدره بقوة و يغمض عينيه في سلام..

هذا السلام الذي لم أحظَ به أنا..فقد تجمدت تمامًا على نفسٍ وضعيتي..لا أرى أمامي إلّا أحلامًا من الماضي البعيد تتحقق..لا أشعر سوى بخفقات قلبي الهائجة بعد يوم مختلف..طويل.. ولا أسمع سوى صوت أنفاسه القريبة مني..تكاد أن تحرقني لشدة دفئها الكاسح.. بينما ذراعاه مصرتان على التمسك بي بقوة جبارة تساءلت معها عن وضع قدميه الآن..بل و شعرت بالقلق عليه لهذا الجهد الذي يقوم به في النوم بهذه الوضعية غير المريحة لهما..

خفقات قلبه كانت سريعة جدًا و كأنها تتحارب مع نفسها لتثبت لي أنني أيضًا أمتلك تأثيرًا و لو صغيرًا عليه..لا هو فحسب !!

بقيتُ على هذا الوضع للحظاتٍ طالت..لم ألبث فيها عن التمتع بهذه اللحظة..أحاول أن أقنع نفسي بأنني أحيأ هذا الحلم بالفعل..

رغم ذلك..كنت أشعر بالأسى عليه..أعلم قدر الألم الذي قد ترسله وضعيته غير المريحة هذه إلى قدميه..لهذا انتظرت بصبر إلى أن شعرت بانتظام أنفاسه.. و حينها فقط..أمسكت بذراعيه لأحرّر انعقادهما من حولي بحرص بالغ حريصة على أن لا أوقظه..إلى أن تمكنت من الالتفات إليه و تعديل وضعية نومه..

شابكتُ بين أنامله و أنا أريحها فوق بطنه بهدوء..ثم عدت لأستلقي في مكاني..أستند إلى يدي المفرودة فوق المخدة بوجنتي بينما أحرق به بعينين واسعتين كل ما يغمرهما الحب..و الدهشة !! شعرتُ بتململه..فسارعت للترييت على يديه بنعومة..و بقيت هكذا أغطيهما بكفي الذي بدا صغيرًا فوقهما..أتأمله و أراقب كل حركة صغيرة تصدرها ملامحه الساكنة باهتمام..

إلى أن شعرتُ بجفناي يتناقلان ببطء..و رغم أنني حاولت الصمود دون السماح للنوم بسحبي نحو دهاليسه لثوان..إلّا أن إرهابي كان أقوى..

فلم أشعر بنفسِي إلّا و أنا أستسلم لهذا الظلام الحالك تاركة ضوء الغرفة مشتعلًا كما أفضل أن يبقى أثناء نومي..

و كم كان الاستسلام للنوم مريحًا مع إدراك بأن لا كوابيس اليوم..

فهادي و لأول مرة بجاني !!!!

" لا يمكن للإنسان أن يحيا في الوهم طوال حياته ! "

كانت عبارة من كتاب مرت على عقلي ذات مرة و لم أنساها لشدة ما استوعبتها بكل
جوارحي..لقد كنت أنا "الوهم"..و شهاب ذلك الإنسان الذي يحيا عليه !
مصر هو..بل مستميت للحظة التي سيغدو فيها هذا الوهم حقيقة !! لكن هل تذكر
القاعدة !!؟

" لا يمكن للإنسان أن يحيا في الوهم طوال حياته ! "

و أنا مهمتي منذ الآن أن أخرج من ذلك الوهم..أن أخبره بطريقة غير الكلام بأنني لم ولن
أكون يوماً أضغاث فتاة يتلاعب بها..لست حقاً مكتسباً لديه و لا يمكنني لا..أن أعتبر السنين الخالية
و أستسلم لوهم ابن خالتي التي تبنتني تحت رعايتها منذ الصغر..
تلك الفتاة ليست أنا..و لن أكون !!
رغم كل الأسى و الخوف الذي أصبح يحتلني مؤخراً..إلا أنني كنت أشعر بسعادة تفوق
الوصف..كنت متحمسة جداً للفكرة فقط..
أنني و أشرف..حب حياتي..سنتزوج !!!
الشيء الوحيد الذي كان يحبط من سعادتني تلك و يربكني هو تواجد شهاب من حولي..لولا أن
والده و لأول مرة فعل شيئاً جيداً..فعلمت بأنه قد أوكل إليه رحلة عمل إلى مدينة أخرى ستجعلني
أخلص منه لما يقارب الأسبوع..
كنتُ أقف أمام النافذة..أتأمل الفراغ أمامي بينما أَلف وشاحاً خفيفاً حول كتفائي..في
مدينتنا..معدل الحرارة يبقى منخفضاً تقريباً على طول السنة..
حتى خلال أيام الصيف يبقى الجو معتدلاً..لا بارداً كالصقيع أو حاراً بشكل لا يطاق..هادئ
فقط مع بضع نسائمٍ دافئةٍ من البرد..
كانت النسائم الدافئة نسبياً تداعب خصلات شعري الكستنائي مطيرة إياها برفق..في أحيان
قليلة أشعر بأنها تتجرد من سمة الدفء فألفّ الوشاح الأزرق الخفيف حولي أكثر..
الحقيقة أنني لم أكن أقف من فراغ..فأنا لديّ الكثير ممّا أريد الخروج حالاً لقضاءه..لكنني
فقط كنت أنتظر مغادرته بفارغ الصبر..
إلى أن خرج بالفعل..و حينها فقط كنت أقرب خطوة من النافذة لأراقبه بتعابير جافة و هو
يتجه لسيارته بخطواته الواثقة المستفزة..

فتح له السائق الباب بسرعة فرمقه بواحدة من نظراته المغرورة اللآ مبالية قبل أن يحتل مكانه في المقعد الخلفي ناظرًا أمامه بملامح جامدة..
كنت متأهبة لانطلاق سيارة.. بالنسبة لي تلك الأيام التي سيغيب فيها عن المنزل بسماجته و إزعاجاته هي الجنة بحد ذاتها..
لكنه لم ينطلق فورًا.. فقد ظل ينظر أمامه للحظة.. قبل أن يرفع رأسه فجأة لتلتقي أنظاره بأ نظاري مباشرة.. كانت حركة مباغته منه جعلت من رموشي تهتز قليلًا..
و كأنه يخبرني بأنه مضطلع بكل شيء يخصني.. حتى هذه اللحظات التي ظننت فيها بأنه لا يراني كأن عقله واعيًا مدركًا لوقوفي هنا و مر اقبتي له..
هناك... في جوف عينيه اللتين ضاقتا قليلًا و هو يتأملني من مكانه البعيد نسبيًا.. لمحت بريقًا خفيًا يستوطنهما.. مخيفًا و خطيرًا جدًا كخطورة صاحب هاتين العينين..
شعرتُ بأن تلك الارتجافة تنتقل من رموشي لتنتشر بكل أنحاء جسدي.. فecedت ذراعاي بشدة.. و أرغمت نفسي بقوة عزيمة على أن أرفع ذقني ناظرة له من مكاني بنظرة فاقت حدود التحدي..

كانت نظراته لي.. متنوعة.. و نظراتي.. جامدة.. قوية.. لا أطياف خوف تجردها من تلك القوة التي لم تكن للأسف حقيقية تمامًا !
و بقيتُ هكذا على اتصالي بعينه بدون أن أجفل.. مصممة على عدم إشاحة أنظاري أولًا حتى لا يفكر للحظة بأنني أخاف منه..
ثم في النهاية كان هو من يشيح بعينه عني.. التفت بكل هدوء بعد أن رمقني بأخر نظرة لا تنم عن تعبير محدّد..
و رأيتُ كيف انفرجت شفاهه موجهًا أمرًا للسائق الذي كان قد صعد للتو.. تزامنًا مع ارتفاع يده إلى أن حجب شرور عينيه بنظاراته السوداء الغالية الثمن.. قبل أن تنطلق السيارة بسرعة مبتعدة تدريجيًا.. إلى أن تجاوزت الباب الرئيسي مخفية عن مجال رؤيتي..
و حينها فقط.. كنت أزفر أنفاسي التي تشنجت بسببه براحة و أنا أحزّر ذراعاي من انعقادهما هامسة بحقد نبع من أعماقي ؛

_ غبي !!

بعدها.. اتجهتُ إلى المرأة و كأن شيئًا لم يحدث.. إلى أن وقفت هناك أنظر إلى انعكاس ملامحي التي عادت تتوهج بابتسامة براقة رفضت أن أسمح له بإطفائها..

سحبتُ الوشاح الملتف حول كتفائي برفق إلى أن وضعته معلقاً فوق كرسي الزينة بجاني..
قبل أن أفتح الدرج الأبيض الأنيق هناك لأنتقي بعض مساحيق التجميل و أشرع في إضافة بعد
الشروق إلى ملامحي..

و ما إن انتهيت..توجهتُ لحقيقتي الدراسية لأعلقها فوق كتفي و أتجه إلى الباب مكتفية
بفستاني الأصفر الذي يلامس أسفل ركبتاي و حذائي الأسود الذي تلتفّ خيوطه الجلدية حول
قدماي..

كنتُ على وشكٍ أن أقطع آخر درجتين في السلالم بسرعة..حينما اصطدمت في الطريق فجأة
بالعم أكرم أثناء صعوده..

فتراجعتُ خطوة بحذر..و هممت بأن أفتح فمي لألقي عليه تحية مختصرة..لكن نظرة التفاجئ
التي لمحتها في عينيه جعلتني أراجع..و بالفعل فقد سمعته يقول بنبرته الرخيمة الحادة ؛
_ إلى أين ؟!!!

كان التهكم واضحاً في نبرته..و كأنه لا يسألني..بل يلقي أمراً عابراً على خادمة !
حسنًا..ذلك الخاطر لم يعجبني !

في لحظة واحدة..كانت ملامحي الهادئة تنقلب إلى جامدة..ثم قلت ببرود و اختصار ؛
_ إلى الجامعة..عن إذنك..

لم أنتظر سماع جوابه..بل تقدمت خطوة أخرى إلى أن تجاوزته بلا مبالاة مكملة طريقي..لولا
أن صوته الذي عاد ليردّ باقتضاب من ورائي أوقفني ؛
_ لقد أخبرني شهاب أنكما اتفقتما على موعد زفاف قريب !!

اتسعت عيناى بقوة..قبل أن ألتفت منتفضة إليه..أنظر له بصدمة..و للمرة الثانية..كنت
على وشكٍ أن أقول شيئاً ما..فقط لأنكر هذا الهراء..لكنه كان أسرع مني و هو يقول بنفس اقتضابه ؛
_ هذا يدعوني لأذكرك أن كل حياتك ستتغير بعد الزواج من الإبن البكر لعائلة الشاذلي..
كانت نبرته مزعجة..مهينة نوعاً ما..ففتحت فمي أهم بالتوضيح أو شتمه حتى رغم أن هذا
هذا الإحتمال مستبعد تمامًا..

_ أنا و.....

إلا أنه استأنف و كأنني لم أنطق ؛

_ كونك ابنة أخت عفاف فهذا لن يشفع لك عندي..

الآن ارتفع حاجبائي قليلاً و كأنني لا أصدق ما أسمع..قبل أن يكمل ؛

_لقد كنت أتساهل معك جدًا لهذا السبب فقط..كونك لا تنتمين لي من الأساس..وكان
يفضل لي أن أختار لشهاب فتاة أكثر نضجًا و رقيًا منك لتليق به..لكن و بما أنه مصر عليك أنتِ
بالضبط فلا ضرر من تحقيق رجاءه..عزائي الوحيد هنا أنك نشأت بيننا و تعلمين بكل قوانين هذا
المنزل التي و -للأسف- لطالما أخللت بها..لكن ليس بعد الآن..الآن فقط سيتحتم عليك احترامها
جميعها.. من السماح للسائق بأخذك إلى أي مكان تريدين و الدخول و الخروج في الوقت الذي أحده
لك أنا..و ثيابك.....

صمت فجأة و هو ينظر لثيابي بالفعل..و التي لم أرى فيها ريبًا أبدًا !!!
تناسيتُ كل شيء أمام هذه النظرة و قلت رافعة حاجبًا واحدًا بجمود أقرب إلى الاستياء ؛
_خير..ما بها ثيابي ؟!!!!
استمر صمته للحظة..ثم قال بنبرة شدّد فيها على أمره و هو يترك تأمله المزعج لثيابي و ينظر
لوجهي ؛

_ثيابك لا تليق أبدًا بمكانة كنة هذه العائلة..يجب أن تكون أكثر رسمية و نضجًا..
مهلاً..هل يدركُ هذا الرجل بأنه يتحدث مع فتاة جامعية !!
لا..و ليست أي فتاة..تلك التي يضرب المثل بأناقتها الخلافة بين الجميع !
شعرتُ و كأنه سكب دلو باردًا من الماء فوق رأسي..و فتحت فمي و أنا أهم بمنحه ردًا لاذعًا
بينما أكرز على أسناني..لكنه و للعجب..للمرة الثالثة اليوم..
التفت قبل أن أقول شيئًا ليتم طريقه نحو الأعلى و كأنني غير موجودة..
بل و كأنه لم يقل شيئًا !!!!
زفرتُ بغضب..و تمنيت لو أنني ستطيع الهتاف في وجهه بأقبح أنواع الشتائم..كنت لأفعل لولا
القليل من أخلاقي التي تردعني..
لهذا...و بصعوبة شديدة..كتمت هذه الرغبة..و استدرت لأتم طريقي نحو الباب بخطواتٍ
غاضبة الآن و أنا أفكر أن الإبن و والده متشابهان..
نفس التسلط..نفس التكبر..نفس الغرور..نفس القوانين حتى !!
_و أنا أتساءل من أين أتى شهاب بسفالتة !!
لم أستطع أن أكتم هذه الرغبة في نعتيها بهذا الوصف الدنيء حتى و لو بيني و بين نفسي..قبل
أن أهتف بالسائق الذي ركض ليفتح لي باب سيارتي ما إن خرجت ؛
_ابتعد !!

ابتعد إلى الوراء مجفلاً.. قبل أن يطرق رأسه باحترام بالغ لم أهتم لرؤيته أبداً.. كل ما فعلته أن
زفرت نفساً طويلاً حاولت أن أستعيد به حيوية اليوم..
ثم فتحت الباب بنفسي و صعدت بسيارتي أقودها بنفسي أيضاً كعادتي.. متجهة بحماس
سرعان ما عاد ليتلقف قلبي إلى الجامعة حيث سألتقي بـ...زوجي المستقبلي !!!

" 12 ؛ قمري الحزين "

#هادي

هل تتصورون شعوري في هذه اللحظة ؟!!! و أنا أفتح عيناى تلقائياً لأستوعب الآن فقط
بأننى..كنت نائماً طيلة الليل بجانب " القمر " !!
لا و ليس أيّ قمر..قمر متورد بشعر أسود مرتب طويل تمنيت لو أتخلله بأناملى لأبعثر ترتيبه
المستفز..الجميل هذا..
قمر بخدود حمراء ناعمة و حاجبين معقودين و عينين منسدلتين باستسلام مغرٍ.. خاصة
بأنامله الرقيقة التي و للعجب تفاجئت بها تتشبث بصدري باستماتة
و تساءلت..هل كان -القمر- صاحياً حينما أقدم على هذه الحركة أم أن النوم -الشرير- قد
جرفه إليه قبلها ليمنح أنامله الرقيقة هذه السلطة ؟!!!
ابتسمتُ تلقائياً و أنا أنقل أبصاري بين يدها المريحة فوق صدري بضعف و ملامحها
الساكنة تماماً بشكل يدعوني لتأملها كما أشاء..
تأملها فقط ؟!
قطعاً لم أكن لأكتفي بالتأمل فقط في هذه اللحظة..عجزت تماماً عن الإنصياع لرجاحة عقلي
المُبجل الذي يشارك قلبي حُبها..
فرفعتُ يدي بهدوء و بغير تردد لأمرّرها برفق فوق ملامحها الجميلة البريئة.. ملامحها ناعمة
ساكنة تماماً لا يتخللها سوى الإطمئنان..و كأنها ترقد مسلمة في أكثر الأماكن الآمنة لها في
العالم...ترقد بجانبى..بين أحضانى !!
تجولتُ بإبهامى برفق فوق كل إنشٍ من ملامحها..بما فيها حاجبها الرفيعين بجمال فطري..و
عينها المغلقتان بهدوء..أنفها الصغير و شفتاها..قبل أن تتوقف يدي فوق وجنتها الناعمة..
كنتُ مغمضاً عيناى طوال الوقت..أستشعرها بقلبي و كأننى كفيفٌ لا تخطئ أنامله تمييز
تعاير حبيبته..إلى أن فتحتهما بهدوء لتأملها للحظاتٍ أخرى..
قبل أن أقرب منها أكثر..ثم و بدون أن أفكر أو أشعر كنت أطبع شفاهى فوق وجنتها مطبقاً
جفناى خانعاً لتأثيرها للمرة الثانية..

و كم كان الغرق في نعيمها جميلاً.. يجعلني أتمنى أن أمتلك أناملًا خارقةً أغير بها القدر فقط
لأستطيع أن أرتب كل الأحداث حسب التوقيت و المنهج الصائب..
لكن كل ما استطعت فعله في هذه اللحظة.. أن عشتها لأكبر قدر تستحقه.. قبل أن أبتعد
ببطءٍ حينما شعرت بتململها..

و عدتُ لأستلقي برأسي فوق نفس المخدة حيث ترتاح وجنتها و غرتها الناعمة الجميلة.. أنظر
لها مبتسماً بترقب من مكاني القريب منها جداً.. بدون تحفظ أو ترددٍ أبداً.. فهي رغم كل شيء... كانت
زوجتي !

استكنتُ تماماً في مكاني أتأمل انفتاح عينيها بحماس يشبه حماس طفل صغير قدمت له
هدية مغلفة بعناية غاص في التفكير عن ماهية محتواها قبل أن يقرر فتحها..
و أخيراً فتحت الأميرة النائمة كالقمر الهادي عينيها.. أخيراً انتهى انتظار الطفل المشاغب و
عبثه و انكشف الستار الخلاب عن هديته المميزة..

كم كانت مميزة... لمعة عينيها!
بالطبع كان أول ما وقعت عليه أنظارها عيناى.. و رأيت كيف تعاقبت ملامحها.. من السكون
الأولي.. ثم الحيرة التي يستشعرها كل شخص استيقظ من النوم للتو..
لكنها ليست أي شخص.. و لا أنا !

لوهلة بدت مصدومة أو غير مستوعبة بعد.. فقد انتهتُ لإنعقاد حاجبيها بشدة و هي تطرف
بعينيها لعدة مراتٍ و كأنها تحاول أن تتعرف على ملامحي بالفعل.. أو أنها نسيت من الأساس أنها كانت
نائمة بجاني طيلة الليل !!!
لا.. لم تنسى !!

بصعوبة تمكنتُ من كبح ضحكتي و أنا أرى اتساع عينيها بدرجة مخيفة كدليل على
استيعابها.. أخيراً...

قبل أن تنتفض بسرعة لتستقيم جالسة.. ناظرة لي بشيءٍ من الخجل الذي اكتسح وجنتيها.. و
التوتر.. و الخوف الذي لا أفهم حتى الآن سبب التصاقه بنظراتها على الدوام..
عدتُ لأرتقي في مكاني مستلقيًا على ظهري و أنا أستشعر ببعض الألم في قدمي.. مع العلم أن
الشعور بالألم و لو كان طفيفاً بهما يعتبر خطوة مهمة في طريق العلاج..
ابتسمتُ و أنا أفكر بأن كل خطوات علاجي أصبحت مرتبطة بهذه الجالسة بجاني.. لعل
الأمر يبدو غريباً حين الاعتراف به لكنني أجد وجودها بجاني نقطة قوة لم أكن أمتلكها من قبل..

فأنا لم أكن مهتمًا من قبل بالعلاج بتأتًا رغم إصرار -السيدة عفاف- المصونة.. لكنني أجد

نفسي الآن أكثر من راغبٍ و متلهفٍ للوقوف مجددًا على قدمي !!!

فقط لأختبر طولها القصير أمام طولي الفاره !!!!

حسنًا..فكرة غبية و سامجة لكنني فعلاً أجد عقلي يرسل لي الكثير من الصور من

المستقبل..حيث أكون أنا من يضطر ليخفض رأسه لينظر لها لا العكس !!!!

_ماذا تفعلين بجانبني ؟!!!!

تصنعتُ الجهل بمهارة و أنا أسألها بكل هدوءٍ..فلمحت اتساع عينيها بدرجة أكبر..ثم قالت

بتوتر شديد و هي ترفع يدها لتبعد تلك الخصلة الطويلة المُسدلة على جانب وجهها إلى خلف أذنها ؛

_أنا..أنا..أنت من...طلبت...مني...أن.....

_امم..أنا ماذا ؟!! أكملني !

قلتُ و أنا أشعر بالشفقة اللذيذة عليها..بل على كل مو اقفها معي التي أتعمد فيها

إرباكها..لكنها و للعجب لم تتمسك بتوترها كما العادة هذه المرة..

فقد أجابت و هي تتجنب عيناها بنبرة لم تخلو من الحذر و بعض الضيق ؛

_أنت من...طلبت مني البقاء بجانبك !!!!

الآن كان دوري أنا لتتسع عيناها باستنكار زائف بالطبع و أنا أقول ؛

_أنا ؟!!!! متى فعلت ؟!!!!

الآن تلونت ملامحها ببعض الانزعاج الذي أحببته..لكنه كان انزعاجًا شبه ملحوظ لشخصي

لا يعرفها عكسي..ثم همست بخفوتٍ و هي تحاول إخفاءه عني عبثًا ؛

_هل تتعمد إحراجي مجددًا ؟!!!!

حركتُ رأسي بالنفي بكل براءة و جدية تتناقض مع ابتسامتي الخبيثة التي باتت شبه واضحة

الآن..لكن ما فاجئني بالفعل..هو همستها المتذمرة التي خرجت مرتفعة قليلاً فقط عن

سابقاتها..مألوفة بشكل جعل خفقات قلبي تختلج بشدة بداخلي ؛

_هادي !!!!

ها..هذا ما كنتُ أسعى إليه منذ البداية..الآن أنا فقط أستطيع أن أقول أنني استطعت إخراج

جزء من شخصية شهد صديقتي الصغيرة !!!!

لكنها و على ما يبدو لم تشعر بنفس سعادتي..فقد تماكنت نفسها بسرعة..ثم سرعان ما

رأيتُ كيف أن ملامحها اكتست بالشحوب الذي لا أحبه معلنة عن تراجعها عن تدميرها -العفوي-..

قبل أن تطرق رأسها بطريقة جعلت قلبي يخفق للمرة الثانية في نفس اللحظة.. لكن هذه المرة خفق حزناً..

_أنا... سأذهب لأجهز طعام الإفطار !!

لم أستطع أن ألفظ كلمة أمام صوتها الذي استعاد سكونه و وداعته.. فأومأت لها بالإيجاب بصمتٍ.. ثم تهمتُ داخلًا و أنا أراقبها بينما تقف متجهة إلى الباب.. لكنها و قبل أن تخرج.. عادت لتتوقف للحظة.. ثم استدارت نحوي هامسة ؛

_و سأعود بعدها لأساعدك في النهوض !!

لم تنتظر هذه المرة إيماءتي.. بل التفتت بهدوء لتفتح الباب و تخرج مغلقة إياه خلفها.. فتهمت بإرهاق و أنا أستند بيداى إلى السرير إلى أن استقمت قليلاً بشيءٍ من الصعوبة ناظرًا في أثرها بشرود..

#الكاتبة

كانت تذرع الغرفة ذهابًا و إيابًا.. تكاد تجن من فرط التفكير و استرجاع نفس المشهد منذ يوم الأمس..

" أنا لست جاهلة ، و لا أسمح لك بالتكلم معي بهذا الأسلوب ! "

_هكذا يا شهد.. أنا سأعرف كيف سأتعامل معك هذه المرة !!

هتفت بغیظ شديد و هي ترتبي جالسة في طرف السرير زامة شفيتها بقوة.. قبل أن يأتيها صوت زوجها " أكرم " الذي قال باقتضاب حاد و هو يرفع رأسه عن الصحيفة التي كان يقرأها ؛
_كان يجب أن تفكري في هذه العواقب حينما أدخلتها إلى حياته مجددًا.. بعد أن أخرجناها من رأسه بصعوبة في المرة الماضية !!

نظرت له عفاف بغضبٍ مكبوتٍ و هي تقول بملامة و انفعال ؛

_نعم.. أنا أدخلتها بعد أن طلبت العون منك أنت.. أدخلتها لأنها كانت الحل الوحيد المائل أمامي حينها.. لقد كدت أفقده.. أنا كدت أن أفقد ابني بينما أنت لم يتحرك رمشك حتى خوفًا عليه!.. توسلتك أن تزوره و لو مرة واحدة لعل زيارتك تجدي معه.. لكن ماذا فعلت أنت ؟!!! تمسكت بعنادك و ها هي النتيجة !!

وقفت مجددًا باندفاع لتهتف بجنون بينما تعود لتذرع الغرفة مغرقة يديها في خصلات شعرها البنية الناعمة و التي قدر لأولادها الثلاثة أن يرثوا عنها نعومتها و لونها.. كما ورث عنها هادي الكثير من تفاصيل ملامحها.. ربما باستثناء عينيها..

عيناه فقط كانتا مختلفتان بلونهما الذي من الظلم حصره في اسم واحد محدّد..
_تلك " اللقيطة " التي كانت تخشى أن ترفع رأسها أمامي حتى لشدة ذعرها أصبحت
تتحداني..لا و تواجهني بكل صلفٍ طالبة مني أن أحترمها..أنا...أحترمها هي !!!
قالت آخر كلمة عاقدة حاجبها بصوتٍ أكثر ارتفاعاً و عينين متسعيتين استهجاناً..فزفر أكرم
بضيق..ثم قال رافعاً أحد حاجبيه بجدية بينما يضع الصحيفة فوق الطاولة الزجاجية الأنيقة أمامه
؛

_أنا أرى أنكِ تضخمين الموضوع بلا أيّ فائدة الآن..دعينا نتركها تتم مهمتها مع هادي و حينها
فقط ما إن يقف على قدميه سنجعلها تبتعد..إما برضاها أو بالغضب..لا تهم الطريقة !!
هزت عفاف رأسها بيأس و هي تردف ؛

_المشكلة لم تعد تكمن هنا..بل المشكلة الأكبر في هادي..ماذا لو تمسك بها ؟!! ماذا لو رفض
أن يلتزم بالإتفاق و يتركها ؟!! أنت لم ترى نظراته يا أكرم..لم ترى كيف يعاملها و يدافع عنها..لو رأيته
بالفعل لجن جنونك..أنا لا أعرف ما السّحر الذي تمتلكه هذه الطفلة لتجعله غيباً إلى هذا الحد في
عشقها !!!!

لم يظهر أيّ انفعال على ملامح أكرم المقتضبة على الدوام..بل قال بكل اتزان و ثقة..و بنبرة
تلميحية جعلت ملامح عفاف تمتنع و هي تتوقف عن ذرعها للغرفة فجأة ؛
_نفس السّحر الذي ألقتة -والدتها- على كمال !!

شحبت ملامح عفاف تماماً..و تفصّد جبينها بعرق خفيف..بينما غامت عينها قليلاً و عبارته
تعيدها إلى ذكرياتٍ بعيدة كانت قد عزمت على تناسيها منذ زمن بعيد..لكنه أبى إلا أن يعيدها إليها..
همست و هي ترفع ذقنها بجمودٍ مخيف..بنبرة غامضة واثقة ؛

_لا أظن أن هناك سحراً يفوق سحر المال..المال فقط يستطيع أن يخرس كل الألسنة و يطفئ
كل نيران -الحُب الوردى- في قلب كل من يدعيه..نفسه السّحر الذي أخرست به أمها ذات يوم
سأستخدمه لأخرسها الآن إلى الأبد !!!!

كانت مشاعرها في هذه اللحظة عبارة عن مزيج من الأسى و الإحباط المُختلط بسعادة لم
تكتمل بعد..هذا ما كان ينقصها بالفعل !

لقد شعرت بالضيق الشديد حينما علمت بأن لؤي لن يكون متواجداً معها في جلسة عقد
قرانها السرية..فقد كلفه والده -هو الآخر- بصفقة لا بد أن يسافر لإتمامها !!

_هيا..إنهما يومان فحسب و سأعود لأجديك أصبحت عروسًا !

كان هذا صوت لؤي الذي خرج محملاً بابتسامته اللطيفة التشجيعية بينما يقف بجانبها في شرفه غرفتها مساءً..كلاهما مُتمسكٌ بحاجزها الحديدي المطل على الحديقة الشاسعة الجميلة..
همست سجي بعد لحظاتٍ من الصمت و هي تنظر إليه بحزن اكتسح عينيها ؛

_ما نفعه و أنت لن تكون حاضرًا معي من الأساس !!

هز لؤي رأسه و هو يهمس مبقياً على ابتسامته ؛

_بل سأكون معك بقلبي..كما أنني تكلمت مع أشرف و أمنتك عليك..لا تخافي..

كان يتكلم بجدية و رفق رغم القلق النسبي الذي يتلاعب في عينيه..و كأنه مثلها لا يريد أن يتركها في موقف حسّاس كهذا..

لولا أنه عاجز عن معارضة أمر والده الذي لا يتهاون في العمل !

الحقيقة أن أمره هذا كان مفاجئًا جدًا..عادة يعلمه والده بمثل هذه الأعمال التي تتم خارج المدينة قبل بضعة أيام..أما هذه المرة..فقد جاء الأمر بغتة..لقد أخبره يوم الأمس بالكاد..و سيسافر في اليومين القادمين !

لم تبدو سجي مرتاحة مثله..بل لم تبدو على ملامحها أيّ بادرة إصغاء لكلامه المطمئن..حركت رأسها بلا فائدة و هي تطرف بعينيها نازرة جانبًا في محاولة منها لكبح دموعها من السقوط..
قبل أن تهمس بصوتٍ مهزوز مرتعش مشبع بشعورها بالعجز في هذه اللحظة ؛
_لا أستطيع أن لا أخاف..لا أستطيع أن لا أخاف...

أعادت انظارها إليه لتكمل أمام عينيه الحنونتين و حاجباه المائلان قليلاً للأسفل بنفس النبرة ؛

_لقد أخبر جميع من في المنزل أننا سنزوج..قالها بكل ثقة و صلف لم أعلم من أين اكتسبه..دون أن يسألني حتى..هو فقط ألقى ببعض التهديدات في وجهي و تركني في حالي هذه..أكاد أجن من فرط التفكير...و الخوف !!!

قالت آخر كلمة بصوتٍ أكثر خفوتًا تزامنًا مع تحرّر دموعها من محجريها ببطءٍ..فاستمر لؤي ينظر لها للحظاتٍ بأسى..قلبه يؤلمه لألمها..ثم همس بحزم و هو يغطي يدها القابضة على حاجز الشرفة بيده ؛

_كلانا يعرف شهاب جيدًا..هو سيء..أنا أعلم..لكن سوءه هذا لن يطالك بعد أن تصبحي زوجة شخصٍ آخر..أنا رتبت كل شيء بالفعل و شرحت لأشرف..ما إن يتم عقد قرانكما حتى تتوجهان

مباشرة إلى المكان حيث ستجدان -طائرة خاصة- تنتظركما.. ستخفيان عن الأنظار ليومين فقط
أكون قد عدت أنا من رحلتي هذه و تعودان لتواجهان العائلة بزواجكما.. سيكون هناك بعض
الإستنكار و الرفض من طرف أمي و أبي أولاً لكنهما لن يخاطرا بسمعة عائلتهما العظيمة هذه.. و هذا
سيكون سلاحنا الأكبر ضدهم و الذي سيجعلهم يتقبلان زواجك بصبرٍ و يجبران شهاب على تقبله.. و
أنتِ تعلمين.. كلمة أبي أمام عناد شهاب... من سيفوز حينها ؟!!!
صمت و هو يزيد من تمسكه بيدها ناظرًا لها بتشجيع رغم الحزن الذي يتلقف عينيه
لأجلها.. فتحاملت سجي على مشاعرها المختنقة في هذه اللحظة.. و تدبرت ابتسامة واهنة بينما تهمس
بأمل ؛

_ أتمنى.. أتمنى حقًا أن يمر كل شيءٍ مثلما وصفته !!!

أوماً لها لؤي بكل رصانة و حزم مردفًا ؛

_ و سيمر.. بإذن الله سيمر... ثقي بي !

لقد بدأ الأمر يبدو و كأن جميع الكون تواطئ لإنهاء أيام نعيمها بجانبه.. هذا ما كانت تشعر به

بالفعل.. تناقضات لا تخصي و أفكار هوجاء تلف بعقلها..

تتمنى شفاءه.. و في نفس الوقت تخشى تلك اللحظة التي ستضطر فيها إلى الرحيل عنه

للأبد.. و هي من أدمنت عينيه و ابتسامته و صوته..

كيف لها أن تحيا من بعده الآن ؟!

تعددت زيارة فريق التمريض لهادي كل الفترة الماضية.. فقد أصبحوا أكثر إلحاحًا بمجيئهم

تقريبًا كل يوم تقريبًا.. إنهم جزء من الكون الذي تواطئ مع خطة أمه للتخلص من هذه العلاقة التي

أصبحت تشكّل لهما سويًا " إكسير الحياة " ..

رغم تشوشها.. كانت قد استطاعت أخيرًا أن تفهم ب-ذكائها- المزعوم بأن نظرات هادي

المختلسة بغضب و ضيق دائمًا لذلك -الممرض- الذي لا ينفكّ يصنع أسبابًا ليحدثها كلما أتى إلى

هنا.. ما هي إلا تعبير -جميل- عن شعوره بالغيرة عليها !!!

خاصة و ذلك الإعتراف الذي همسه لها ذلك اليوم بذهنٍ غائبٍ تمامًا يحتل عقلها ليتكرّر في

كل فرصة بالاحاح مذكّرًا إياها بمكانتها لديه التي ربما قد تكون تعادل -نصف- مكانته لديها !! فهي لا

تظن بأن أيّ حب في العالم.. مهما بلغت قوته.. قد يعادل حُبها له !!

دلفت إلى الغرفة في منتصف الليل فوجدته مستلقياً فوق السرير بعد أن كانت قد ساعدته قبل ساعة تقريباً في الاستلقاء رغم تحسّن وضع قدميه قليلاً مع محاولاته المُستمِيتة في الوصول إلى أفضل نتيجة في أسرع وقت..

لقد كان عنيفاً جداً في محاولاته..إصراره كبير جداً..بشكل يدفعها للتساءل..هل هو أيضاً متواطئٌ معهم في رغبتهم في إنهاء هذا الزواج !!!

كما العادة و التي -عوّدها- عليها بالغضب خلال الأيام القليلة الخالية اقتربت لتستلقي بجانبه مع التأكد من ترك مسافة جيدة بينهما..

ظلت تر اقب السقف بعينين شاردتين و هي تشابكُ أناملها فوق بطنها لدقائق..و حينما شعرت بأنها عاجزة تماماً عن تجاهل وجوده بجانبها..على بعد إنشات منها..

تنهدت بتعب و هي تستدير على جانبيها لتقابل ملامحه الحبيبة النائمة بسكون متأملة إياها بروحٍ مفعمة بالعشق و الاشتياق الحزين !!!

الاشتياق الحزين الذي ينبع من الفكرة التي أصبحت مسيطرة عليها في هذه الفترة..مر افقة لمشاعرها السعيدة برؤية تحسّنه..فكرة أنها قريباً ستفتقد هذه الملامح..و هذا الدفء الذي بدأت تعتاده بدلالٍ رغماً عنها..

دفع ذراعيه الحنونتين..المُلتحين على احتضانها بقوة كل ليلة..دون أن يغفل ليلة واحدة..فحتى في تلك المرات التي كان ينام فيها قبلها هي كانت تستيقظ لتجد نفسها مدثرة بدفئها و احتواءهما..

يطالعهما بصمتٍ تام و بريقٍ مشتعل يتلقف عينيه..في البداية كانت ترتبكُ مع استيقاظها و مقابلة عينيه المتأملتين..

لكن و بعد ثلاث ليالٍ متتابعة كانت قد قرّرت الاستسلام و التأقلم مع نظراته التي تجعل نبضات قلبها ترتجف لا تتدافع فحسب لشدة المشاعر التي تقرأها بداخلهما !!!
ابتسمت بضعفٍ و هي تمد يدها بترددٍ لتلامس ذقنه الذي لم تتجرأ حتى الآن على حلقه له كما سمح لها بأن تفعل برقة..

فقد كانت مشاعرها الخجلة تنتصر على رغبتها في رؤيته مرتباً أنيقاً كما الماضي.. فأثرت تجاهل الموضوع الذي اقترحته بنفسها..خاصة و هو لم يفتحها مجدداً..
و لو كان قد فتحه ربما لكانت قد مثلت الانصياع لرغبته و حققت رغبتها في تخليصه منه !!!

أجفلت بقوة حينما تحركت راحته لتغطي يدها المريحة على خده فجأة..لكنها عادت لتلتقط
أنفاسها المرتجفة و هي تراه لا يزال نائمًا..
رغم ذلك..فقد أثارت حركته تلك ربيتها..لهذا و بأدب شديد...سحبت يدها من تحت يده برفق
لتضمها إلى صدرها لا تزال تراقب ملامحه الهادئة برهبة..
لولا أن ذلك الهدوء الكاذب انقشع بعد لحظة واحدة..فشهقت بذعر و هي تراه يفتح عينيه
فجأة لتلتقي بعينها مباشرة..اتسعت عيناها بقوة و تدافعت أنفاسها و هي تنظر له بصدمة..لقد كان
مستيقظًا طوال الوقت..كان مستيقظًا...
_نعم..كنت مستيقظًا !!

همس بكل هدوء و هو يعود ليلتقط يدها الرقيقة ليفردها فوق وجنته بكل بساطة..و رفع
حاجبيه باهتمام و هو يفتح فمه مجددًا سائلًا أمام عينها المتسعيتين ؛
_الآن أنا أصبحت أتساءل..إما أنك تحبين شعيرات وجهي كثيرًا و هذا ما جعلك تتراجعين عن
فكرة تخليصي منها!!..أو تحبينني أنا شخصيًا بشكل ميوؤوسٍ منه يجعلك تحبين معه كل ما يخصني !!!
لم تلفظ شهد كلمة..فقد كانت تحاول تحرير يدها من يده التي تضغط عليها بحزم.. إلى أن
قال يحثها بنفس الحزم بدون أن يبالي بمحاولاتها الضعيفة ؛
_أجيبي !!

ابتلعت شهد ريقها و هي تهمس بمزيج من خجلها و توترها و ضيقها مستسلمة أخيرًا لأسر يده
؛

_و لا...واحدة من الذي قلته !!!
هز هادي رأسه في حركة سينمائية جعلتها تتوتر أكثر مدركة بأنه لم يصدقها قطعًا.. قبل أن
يقرر تجاهل الموضوع بملء إرادته..فعاد ليتلاعب بأناملها و كأنها -هو ايته- المفضلة بينما يهمس ؛
_إذا..ألن تخبريني بعد ما سبب كوايبسك تلك ؟!!!
سألها بينما أنامله تداعب ذلك الأثر البشع الذي رآه ذلك اليوم في معصمها ؛
_و ماذا ترين فيها ؟!!!

قالت شهد بتلعثم و هي تستشعر نفس الإحساس بالدغدغة المرافق لمداعبة أنامله الدافئة
ليدها ؛

_ل..لا..لا شيء مهم !!

لكن هادي و كعاداته لم يقتنع بردها..فقد انعقد حاجباه بشدة و هو يدقق النظر بملامحها
التي تأطرت كلها بالحزن بينما عيناها تحتجزان بحرًا من دموع ربما لو تركته يسقط لأغرقت قلبه
حسرة و ألمًا عليها..

امتدت أنامل يده الأخرى لتلمس رموشها برقّة فأسبلتهما باستسلام تام..حينها همس مجددًا و
أنامله تنتقل الآن إلى وجنتها ؛

هل تشعرين بالنعاس ؟!!!

عادت شهد لتفتح عينيها ناظرة له بتردد للحظاتٍ..لكنها لم تلبث أن همست بخفوتٍ و الحزن
يلتهم صوتهما و عينيها ؛

أشعر به...كثيرًا !!

حينها همس لها بنبرة خلت من كل شيءٍ باستثناء حنانه المستحدث ؛

اقتربي إذًا !!

هل كانت تستطيع أن تقاوم هذا النداء المغري ؟! أيّ حمقاء هي لتفعل !! بل أيّ صمود لا تزال

تمتلكه يدفعها لتقاوم شيئًا يستطيه قلبها و روحها !!

مبادرة هي أكثر ما تحتاج إليه في هذه اللحظة !

انخفضت عيناها ببطءٍ لتستقران على صدره..تشعر برغبة قوية بالفعل في الاقتراب و

الاختباء بداخله عن كل آلامها و كوابيسها المنبعثة من ماضيها الأليم..

و أمامها التزم هادي الصمت و هو يمنحها الخيار كاملاً..يراقب تعاقب ملامحها الجميلة

المرسومة و الالهفة الكامنة في عينيها بعينين حنونتين تلتقطان كل ما تفكر فيه..

إلى أن ابتسم حينما وجدها تقترب بالفعل لتندسّ في حضنه كطفلة معاقبة لكنها تأبى إلا أن

تنام في حضن والدها حتى لو كان لن ينظر لها أو يكلمها !!

كانت يدها تتململ قليلاً بداخل يده..فحرّرها برفق..قبل أن يشعر بها تتحرك في نفس اللحظة

إلى أن أصبحت تتشبث بقميصه الرياضي الأسود بتردد..

فرفع يده هو الآخر يمشط خصلات شعرها برفق..يحتضنها باحتواء و تملكٍ و كأنه يمسكُ

بين يديه كنزه الوحيد الذي فاز به من هذه الدنيا !

سمع بعد لحظاتٍ صوت أنفاسها التي أخذت تتسارع بشدة..و استشعر بروحه المبتلاة بحُيها

منذ الأزل دموعها الصامتة التي بدأت تبلبل قميصه..

فأغمض عينيه بشدة و هو يزيد من ضمها إليه بصمت تام..تاركاً لها كل المساحة في تفرغ كل دموعها على صدره بدون تحفظ أو خوفٍ من أسئلته الكثيرة..
كان يشعر بقلبه يتمزق تحت وجنتها بينما هو يرغم نفسه بصُعوبة شديدة على التزام الهدوء أمام بكاءها الذي تحول إلى شهقاتٍ خافتة متألمة لم يفهم لها سبباً..و كأنها فقط..وجدت ملجأ تسكب فيه البعض من ركام الوجد المتجمع في روحها منذ سنواتٍ طويلة..
لم تكن ترغب في التحدث..استطاع أن يتفهم هذا..لا تريد التفسير و لا استذكار الماضي الأليم..كل ما كانت تتمناه و تستنجد به أناملها المتمسكة به هو حضنه..هذه كانت أقصى متمنياتنا في الحياة !

دقائق طويلة استغرقها في الصمت الذي يشوّهه صوت أنفاسها الخافتة المتحشجة بالدموع..إلى أن بدأ صوت بكاءها يهدأ تدريجياً..
كما شرعت أنفاسها في الانتظام معلمة إياه بأنها على وشك السقوط ضحية للنوم..و بالفعل..فقد شعر بها تنتظم تماماً بعد بضع ثوانٍ..
لكنه لم يتحرك رغم ذلك..بل استمر يضمها إليه بقوة تاركاً أنامله تداعب خصلات شعرها الحالكة بشروء تام..إلى أن سرقه النوم هو الآخر إلى دوامته بعد دقائق طويلة..

من قال بأن الحب هو مرادف للسعادة ؟!!!! أو أن السعادة هي شيءٌ ملأ أيدينا ما علينا سوى التشبث به لنعيشها كاملة !!!!

كانت تجاهد بالفعل لصنع ابتسامة أمام موظف عقد القران..أشرف يجلس بجانبها مبتسماً ملأ قلبه بينما في الجانب الآخر اثنان من أصدقائهما اللذان سيشهدان على هذا العقد..
حاولت بشدة أن تبتمس..أن تتجاهل تلك المشاعر -السيئة- التي تسيطر عليها منذ أن اتخذت هذا القرار و تنبئها بالأسوء..لكنها لم تستطع..فقط لم تستطع !!
نظرت حولها و هي تتمنى بالفعل لو كان لؤي معها الآن..لو كان هو أيضاً بجانبها..ليته لم يسافر..ليتها لم تسمح له..ليتها تسمع صوته على الأقل !
نظرت لجانب وجه أشرف القابع في الكرسي المألصق لكرسيها..فمنحها أجمل ابتسامة قد تراها في حياتها..ابتسامة جعلتها تتذكر بأنها تجلس بجانب الرجل الذي تحب..و الذي سيصبح زوجها بعد قليل !!

أليس وجوده يكفي ؟! إنه يكفي بالطبع !!!

نعم..وجود أشرف يكفي بالطبع..لكن لؤي..لؤي يمثل لها مركز أمانها و اطمئنانها.. و السبب يعود ربما لحقيقة كونه أٌخ شهاب..فهي تشعر بأنها محمية به ضدَّ شهاب نفسه !!!

_ أنتِ بخير حبييتي ؟!!!

سمعت هذا السؤال يخرج محملاً بالقلق الذي حل محل ابتسامة أشرف..فهزت رأسها قليلاً تحاول إرغام نفسها بالقوة على الخروج من أفكارها..لكنها رغم ذلك عجزت.. فتدبرت ابتسامة ضعيفة بصُعوبة أمامه..ابتسامة قالت على إثرها و هي تدفع الكرسي و تقف فجأة بتوتر بالغ ؛

_أنا..أنا سأعود بعد دقيقة واحدة..

فغر أشرف فمه بقلق أكبر تخلله بعض الغباء..لكن سجي لم تنتظر رده..هي فقط ألقت بجملتها السريعة قبل أن تتجه إلى الباب العريض لتخرج.. توقفت أمام الباب للحظة مغمضة عينيها..تحاول أن تسحب العديد من الأنفاس إلى رئتيها لعل قلقها يخفّ و لو قليلاً..لكن عبثاً..فلم تفكر أكثر و هي تدسّ يدها في جيب بنطالها الأسود الأنيق لتخرج هاتفيها..

رفعته إلى أذنها بسرعة بعد أن طلبت رقم لؤي..لكنه كان مغلقاً..فزفرت بقوة و هي تعاود الإتصال به شاعرة بانقباض قلبها يتزايد و القلق يعصف بها أكثر مع مرور كل ثانية جديدة.. كانت تستند بيدها إلى خصرها..تنظر إلى الأرض بنفاذ صبر بينما حذاءها الأبيض اللامع يرتد عازفاً فوق الأرض المسطحة لحناً رتيباً يزيد من توترها لا العكس..تنتظر بأمل أن يجيبها رغم أن الأمر مُستبعد..

إلى أن يُست تمامًا بعد عدة اتصالات..فزفرت بغضب مكبوت و هي تخفضه قليلاً هامة بإعادة الهاتف عديم الفائدة إلى جيب معطفها.. لكن يدها تسمرت في الهواء و هي تلمح ذلك الحذاء اللامع الذي توقف صاحبه أمامها فجأة..شيء ما اشتد في قلبها..

بطريقة ما مجرد رؤية ذلك الحذاء اللامع جعلت أطر افها تتشنج و رموشها ترتجف شاعرة بالبرد يتلقفها من مكان مجهول..و حركة حذاءها تتوقف..

لحظة صمتٍ..ثم كانت ترفع رأسها نحو صاحب الحذاء شاعرة بالغرابة و التوجس معاً..لكنها و ما كادت أن تراه..حتى كانت عيناها تتسعان بقوة مذعورة..

و هربت من بين شفتيها شهقة بلا صوتٍ تزامناً مع سقوط الهاتف من يدها إلى أن ارتطم في الأرض مشكلاً صوتاً ليس أشد تأثيراً عليها من صوتِ أنفاسها التي ظهر اضطرابها في صوتها المرتجف الذي خرج مشكلاً اسماً واحداً.. اسماً مقيئاً لطالما اعتادت أن تغمض عينيها غضباً و تقزراً كلما مر على مسامعها..

_ش..شهاب!!!!

" 13 ؛ بداية النهاية "

_ش..شهاب!!!!

خرج الاسم من بين شفتيها كلحن نشاز ذو صدى متباعد جداً..بينما شعرت بأنفاسها تتداعى
ببطءٍ في ظرفٍ أقل من ثوان قابلت فيها عينيه و استوعبت بأنه يقف أمامها شخصياً..
يقف أمامها أمام المقر حيث كانت على وشك أن تعقد قرانها على رجل غيره للتو..
تخونه..تتجاوز حدوده التي شرحها و تتجراً على اتخاذ خطوة حذرهما من قطعها..
" تذكرني أنني منحتك من الفرص ما لم أمنحه يوماً لنفسي حتى..انتظرتك كثيراً و توسلت
سماع مو افقتك حتى سئمت من سماعها يوماً.."
" تذكرني أيضاً أنني قد أتهاون في كل شيءٍ إلا -الخيانة-..لا أشفع لصاحبيها و لا أرحمه..حتى لو
كان -أنت- ! "

بدا و كأن عينيه تردّدان تلك الكلمات على مسامعها..تردّدانها مراراً و تكراراً لتدفع قلبها نحو
هاوية الجزع و الخوف..

كان يقف بقامته الطويلة التي ترسل في القلب رجفة..و ذقنه الحاد المرتفع بغرور على
الدوام..اليوم يبدو أشد حدة من المعتاد..
بينما عيناه..يا إلهي عيناه..عيناه و كأنهما ليستا نفسيهما من اعتادتا النظر إليها بحُب ظاهري
أو تهديد خفي عاجز..أو ملامة أو غضب..
و كأنما كل تلك التعابير كانت محض أوهام..رأت كيف يمكن للشر الخالص أن يتجسّد
بعينين عابثتين..رأت كيف يمكن للنظرات البشرية الطبيعية أن تتخذ هيئة الصقر القادر على انتهاك
حرمة فريسته الضعيفة بكل تمهل..و كيف يتم وأد براكين الصبر و تشتعل الرغبة الهائجة في التدمير
و الهدم..

كل تلك المشاعر قرأتها في عينيه..و هي وحدها من جعلتها تستيقظ من صدمتها التي لم تدم
سوى لحظاتٍ معدودة من الزمن..

بدون أن تشعر كانت تفتح فمها هامة باستدعاء وسيلة الإنقاذ الوحيدة المتاحة لها الآن ؛

_أشر.....

لكنها لم تستطع أن تنطق الأربعة حروف كاملة حتى..فقد وقفت يده لها بالمرصاد حينما
ارتفعت في لحظة خاطفة لتقمع كلماتها مكّمة حركتها و فمها بقوة..
نقل عينيه بسرعة حوله و هو يتأكد من خلو الشارع غير عابئ بأيّ مقاومة ضعيفة تصدر
عنها..بل كانت مقاومتها محفزاً أكبر جعله يسحبها معه بقوة جبارة..
إلى أن فتح باب السيارة و دفعها نحو الداخل هاتفاً بدون أن يحرّر فمها أو يحرّر جسدها
المكبل بين ذراعيه ؛
_تحرك..

لم يستغرق السائق سوى بضعة ثوان قبل أن تنطلق السيارة مبتعدة عن المكان الذي كان من
المفترض أن يكون الشاهد على أجمل يوم في حياة كل فتاة..ما عداها هي رُبما !!
كانت ذراعاه لا تزالان تحيطان بها من كل جهة..رغم تأكده بأن حتى صوت صراخها لم يعد ذا
منفعة لها الآن..و هي لم تُكن تصرخ أساساً..و لم يحرّرها إلّا بعد أن ابتعدت السيارة بمسافة
ملحوظة..حينها فقط كانت سحى تسحب عدة أنفاسٍ مرتجفة..
لكن الغريب في الأمر بالفعل أنه لم ينظر لها..لم يوجه لها أيّ كلمة..مجرد أن حرّرها ثم عاد
لينظر أمامه بعينيه القاتمتين..المخيفتين..و المتسعيتين قليلاً و كأنه مثلها لا يستوعب بعد ماهية ما
كان سيحدث لولا وصوله في آخر لحظة..
لم تستطع سحى أن تلفظ كلمة واحدة أمام ردة فعله تلك..كانت فقط تشابكُ أناملها
المرتجفة بشدة فوق حجرها..تفركُ راحتي يديها ببعضهما بحركاتٍ سريعة خرقاء و هي تنظر إلى جانب
وجهه بعينين جاحظتين..
بينما تهديداته..لم تتوقف عن التردّد في عقلها طوال الطريق الذي لا تعلم ما نهايته...أو
نهايتها !

كان صوته المهدد يتداخل في عقلها مع صوت لؤي المحذر لها..فترتجف أنفاسها و أناملها
أكثر..خفقات قلبها باتت كآلة عشوائية العمل..تتضارب و تتضارب مصطدمة بقفصها الصدري
لتخلف شعوراً مريباً تتذوقه كل حواسها..
بينما المسافة بينها و بين أشرف تغدو أبعد و أبعد..
خلال دقائق..شعرت بالانهيار يجتاح كيائها على شكل أفكار و خواطر تتماوج بين كل درجات
الرعب..إلى أين سيأخذها ؟! هو لا يتجه إلى المنزل حتماً..

هذا ليس طريق المنزل..هذا الطريق لا يؤدي إلى غرفتها الآمنة و لن يأخذها إلى أحضان خالتها

حيث تشك أنها قد تحميها منه !!

لم تكن تستطيع أن تتنبأ بنواياه الآن..لكنها كانت متأكدة..بل أكثر من متأكدة من أنه لا يستطيع أن يؤذيها..ليس لأنها تثق به..بل لأنها هي سجي -ابنة خالته- رغم كل شيء و ليست تشبه أي فتاة ممّن يعرفهم...أليس كذلك..أليس كذلك ؟!!!!

لم تكن تعلم أن في قاموس شهاب الشاذلي الجميع متشابهون في نيلهم للعقاب..حتى من أحبها من قلبه و تمنى الزواج بها !!

لم يتمنى فحسب..بل هو يريد...و سيفعل حتمًا...هذه المرة برضاها أيضًا كما أخبرها !!!!
توقفت السيارة فجأة مصدرة صريرًا عاليًا جدًا..فانتفضت بقوة و هي تلتفت مباشرة لتقع عيناها على واجهة ذلك المنزل الفاره..قبل أن تتسعا بقوة و عقلها يميل إلى فكرة واحدة..

هذا...منزله..لا بد أنه منزله...!

جميعهم يعلمون بأنه يمتلك منزلًا على ضفاف المدينة..لكنها لم تزره من قبل و لم تهتم يومًا بزيارته..لكن لماذا هي هنا الآن ؟!

لم تجد وقتًا لتفكر في إجابة لسؤالها حتى و هي تراه يفتح الباب بقوة ليغلقه بعنفٍ من جهته بعد أن أمر السائق بصوتٍ صارم مهين ؛
_اترك السيارة هنا و ارحل..

ثم دار حول السيارة بسرعة إلى أن فتح الباب من جهتها هي..و بدون أن ينظر لها انخفض ليقبض على ذراعها و يخرجها عنوة مغلقًا الباب بنفس الطريقة الهمجية..

حينها فقط و ما إن وقفت على قدميها أمام هذا المنزل ذات الواجهة الخلابـة..
المقـيـتـة..استطاعت أن تهتف بنبرة مرتجفة بالكاد تستطيع الكلمات التجمع بداخل حلقها المتشنج ؛
_شهاب..شهاب اسمعني قليلًا من فضلك..شهاب أنا.....

صمتت حينما التفت إليها مندفعًا بسرعة البرق..لينظر في عينيها للمرة الثانية اليوم هاتفًا من بين أسنانه بنبرة فاقت ما جسده نظرتـه من شر ؛
_ أقسم أنني سأجعلك تتوسليني لأتزوجك..

كانت عيناها تبرقان حرفيًا..الغضب الأهوج يستولي على كل ذرة من ملامحه..و الجشع المريض لكسر كل ذرة كبرياء امتلكتها يومًا يعصف بنظراته..
ثم أكمل بصوتٍ بطيء بينما ابتسامة مرعبة جدًا ترتسم على شفـتيه ؛

_و سأكون كريماً حينها و أتزوجك...أعدك !

شحبت ملامحها تماماً و كأنه قد قتلها..بل هي شعرت بذلك بالفعل..و كأنه قد ألقى عليها
لكمة قوية جداً جعلت النبض في وريدها يهتز و أقدامها تترنح كمن يجابه خبر موتٍ وشيك..
لكنه لا يزال رغم ذلك يتمسكُ بقشة أمل كاذبة..يأبى أن يسمح لعقله باعتكاف الحقيقة و
تقبلها..يرفض أن يسمح لأي فكرة مؤذية بالتهام رغبته في العيش بعد..
لولا أن عقلها بدا شديد العناد..فأبى إلا أن يذكرها بجريمة ارتكبتها قبل ثلاثة سنوات..جريمة
راحت ضحيتها فتاة بريئة..

فهل يا تراه...ينتوي ارتكاب نفس الجريمة فيها ؟!!!!

لم يكلف نفسه عناء النظر لها أكثر..و كأنها كتلة من الألم و الاستسلام سحبا نحو قلعة
آثامه بمنتهى السهولة..

كانت قدمها ضعيفتان..لا تحملانها..لم تكن تمشي..كانت حرفياً تسحب كالمُسيرة نحو
مقصلة الإعدام..الصدمة لفظ لا يكفي لوصف ما يلّم بملامحها..بينما صوته الغاضب يتسلل إلى
ذهنها و كأنه صوت جرس يتم نقره بعيداً..بعيداً عنها و عن إدراكها و قد توقف العالم أمام عينيها
لعدة لحظاتٍ لم تشعر بها فعلياً..

_لقد حذرتك..أخبرتكَ أن لا شيء يميزك عن باقي الفتيات سوى أنني أحبك..و قد تبخر هذا
الحب اليوم برؤية ما أوشكت على فعله بدناءة..أنا شهاب..شهاب..لا أحد يخونني..لا أحد يخونني و
ينجو بفعلته حتى لو كانت فتاة لعينة وقعت في حُبها بسذاجة !!!!

هتف آخر كلمة بصوتٍ مرتفع انتشر صدها عبر أرجاء المنزل الواسع و هو يدفعها بعنفٍ إلى
السرير الخاص بأحد الغرف هنا...غرفته بالضبط !!

و قد كانت دفعته هذه كجهاز إنذار متأخر استعداد معه عقلها رشده..فهمتفت و هي تراجع
بدعر..تراه بينما يذرع الغرفة ذهاباً و إياباً كالمعتوه ؛

_شهاب..أرجوك..أرجوك أنت...لست في وعيك..دعنا نتكلم بعد أن تهدأ..أنت لا يمكن أن

تؤذيني..لن تفعلها..أنا أعلم بأنك لن تفعلها..لن تفعلها يا شهاب...لن تؤذيني !!

بدت و كأنها تلقي كلمات متوسلة إلى الجدران الخائقة حولهما..فقد بدا شهاب كالأعمى تماماً
و هو يخلع سترته ليلقي بها حتى آخر مكان في الغرفة بينما صراخه يعلو بعنفٍ..إلى أن نظر لها هادراً
بجنون و هو يدسّ يديه في خصلات شعره يكاد يقتلعها من جذورها ؛

_كنتِ ستزوجين..ستزوجين في غيابي..هل فكرتِ أنكِ ستخدعيني بهذه البساطة ؟!!! هل
خططتِ و دبرتِ مع ذلك الغبي لتضعيني أمام الأمر الواقع ؟!!!!
كانت سحى تنتفض مع كل كلمة..ملامحه الحمراء و عيناه المتسعتان و كأنهما على وشك
ابتلاعها بذنبا البريء الذي لا يصنف كذنب بالفعل تزيدان من تهيج كل مناطق خوفها..
صمت قليلاً ينظر لها من بين أنفاسٍ لاهثة هائجة..قبل أن يرفع يده مشيراً إلى نفسه هاتفاً
باستنكار مجنون..معلنًا عن صكّ ملكيته الحصرية لها حتى و لو أبت ألف مرة ؛
_ألا تعلمين أن قدركِ معي أنا ؟! هل عجز عقلكِ المعتوه عن استيعاب معنى الكلمة حتى ؟!
لقد أخبرتكِ أنني أحبك..تباً أنا أحبتكِ من كل قلبي..كنت أنا أحترق بهذه المشاعر بينما أنتِ تتسلين
مع شخصٍ آخر..تخونيني...تخونيني أنا !!!!
مجرد وقع الكلمة كان يرن في أذنيه ليضاعف من غضبه..فلم يشعر بقدمه التي ارتفعت في
آخر كلمة لتلكم الكرسي الخشبي الملتصق بطاولة الزينة الصغيرة هناك بقوة رفعت سحى على إثرها
يديها الإثنتين لتحجب أذنها بينما سيل من الدموع يتجمع في عينها لينساب أنهاراً غزيرة بغير كوابح..
هز رأسه بقوة و كأنه يؤكد لنفسه شيئاً ما لا لها..ثم صمت للحظة و كأنه يحاول جاهداً أن
يخفّف من انفعاله..و بالفعل..فقد قال بعد أن خفت صوته قليلاً بتوعد ؛
_لكن لا بأس..لا يهم..أنا سأثبت لكِ الآن أنكِ لي..لا أحد في العالم يستطيع أن ينتزعكِ مني
بأيّ طريقة..لا أحد..أنتِ لي أنا و ستزوجين بي أنا !!!
الآن تحول الذعر إلى شيء أقوى..و اكتسبت عيناها دموعاً أخرى سقطت حارقة كالسّم على
بشرتها..لم يكن ذلك الرجل الذي يقف هناك شهاب..
ليس شهاب الذي ترعرعت معه تحت سقفٍ واحد..ليس نفس الشخص العاثر و لا ذلك
المزعج المغرور..إنه لا يشبه حتى ذلك الشخص الذي تخيلته و هي تسمع تحذيرات لؤي..
بدا لها أسوء..أسوء بكثير..كان ك..وحش !..
كل ما كانت تراه أمامها وحش يتخذ وضعية التأهب للإنقضاض عليها في أيّ لحظة و
يحطمها..لهذا لم تشعر بنفسها..لم تجد مفراً و لا رغبة في الفرار بعد فهتفت متلعثمة بتوسل..بأمل
باهت و كبرياء فقد سطوته تحت هيمنه الخوف ؛
_سأتزوج بك..سأتزوج بك أقسم..لك...أنا...أنا سأخبره أنني لم أعد أريده و أتزوج
بك..أرجوك...أرجوك !!

كانت توسلاتها هذه كالمرهم لغضبه..لكن لا لرغبته..فقد رفع حاجبيه بدهشة مفتعلة..و

برقت عيناه بقوة و كأنه يشعر بالرضا من كل ما سمعه..

ثم قال بينما يرفع يرفع كم قميصه شارعاً في فتح أزواره بحركاتٍ خرقاء عكست أطياف غضب

لا يزال يملكه من الأعماق ؛

_ستزوجين بي !!..بالطبع ستزوجين..أنا سأضمن هذا..لكن ليس قبل أن تنالي عقابك الذي

لا يجعلك تفكرين حتى في النظر لرجل غيري..

اقترب منها بعدها ببطءٍ إلى أن وقف على بعدٍ إنشأتٍ من طرف السرير..فاتسعت عيناه بقوة

و ابتلعت ريقها بصعوبة..تشعر بالأنفاس تهدج و تختنق بداخلها..بينما العرق الطفيف يتلألأ بجبينها

مضيفاً إلى الرعب رعباً..

عيناه كانتا ترسمان خطوط النهاية..بينما عيناه المنددتان بعبرات الألم تمنحانه الوعد المير

بفتح المجال لبداية جديدة بينهما..لكنه أبى إلا أن يقتل الأمل الباهت الذي نشدته من قلبه في مهده..

فهتفت تخاطب عينيه همساً بصوتٍ متقطع مرتعش..تمزق قوته الدموع و تشوّه الغصّة

القاتلة في روحها ؛

_أرجوك..أتوسل إليك..لا تفعل هذا بي..أنا..أنا ابنة خالتك...

كانت قدماه تلامسان نهاية السرير الآن..حينما قال ناظرًا لعينيه الجاحظتين من علو بنبرة

بطيئة..و ابتسامته المخيفة تعود لتشكل لنفسها مكاناً في جوف عينيه القاسيتين ؛

_ولأنك ابنة خالتي أنا لن أدع أي أحد يأخذ شرفك غيري..لن يأخذه غيري لأن شرفك هو

شرفي أنا..!

هزت رأسها بالنفي بقوة و هي تهتف ببكاء أعنف و أقوى..تنكمش على نفسها أكثر..تضم

نفسها أكثر و أكثر كحمامة صغيرة يعرقل صمودها و قوتها عينان لا تعرفان للرحمة عنواً..ترفض

تصديق أي كلمة يقولها و تؤكد ما ملامحه ؛

_لا لا لا..أنت لا يمكن أن تفعل هذا بي..لن تفعل هذا بي..لن تفعلها يا شهاب..لن تفعلها...!!

و كم كانت مخطئة في ظنها به !

كم كانت بريئة حينما راهنت على مكانة مهمشة في قلب يجهل صاحبه مفهوم العاطفة..فقد

فعلها...

فعلها بكل برودة دم و أعصاب..فعلها بلا أي تردد أو شعور بالتأنيب..

فعلها متجاهلاً حُبه الأسطوري الذي صرخ به لسنواتٍ فارغة..و الذي أثبت الآن أنه لم يكن
إلا هوسًا مجنونًا و ادعاءات كاذبة..

و أكمل في ما ينتويه غير عابئٍ لا بشهقاتها و دموعها التي أغرقت كل ركن في وجهها و لا
مقاومتها المُستमितة بالنسبة إليها..الضعيفة أمام سطوته..و لا بصرخاتها و توسلاتها المكسورة..فقد
صمّ آذانه عن كل ذلك بكل إصرار..

لم تكن عيناه تنظران لها حينها..بل كانت صورتها مع حبيبها ذاك هي من تملأ عينيه و تحتل
كل عقله الآن لتشعل -فتيل- حقدده و رغبته في -قتل- أيّ أمل لها في الحياة بعيدًا عنه بعد !!!
لم تكن تعلم أنها كانت تصرخ مُستنجدة باسم واحد لم تؤمن يومًا بأن أحدًا أكثر من صاحبه
قادر على أن يحميها.....لؤي !!

إلى أن ضاعت صرخاتها في مهب الريح و تداعى صوتها و كل مقاومتها..كان وعيها ينسحب منها
تخالطه صور ذكرياتها السعيدة جدًا مع كل من أحبتهم في حياتها..
ذكريات ابتساماتٍ فقدت شعاعها إلى الأبد..أحلام ماتت فرصة تحقيقها على أرض الواقع
الذي استحال إلى كابوس أسود..محاولات فاشلة من عقلها لإبعادها عن هذا الألم الذي تعيشه..
هادي..لؤي..أشرف..خالتها..العجز يكبل كل الأيادي التي دفنتها يومًا و لا أحد منهم قادر على
الوصول إليها..لا أحد يتجرأ على انتشالها من كابوسها..

لا أحد مستعد لاختراق ظلامها البشع بشمعة مُضيئة في يده..لا أحد...لا أحد !!

إنها تموت..ستموت...ليتها تموت !!

أما شهاب..فقد هاله هذا السكون الغريب الذي غزا كل المكان فجأة ليجعله يبتعد أخيرًا لكن
بعد فوات الأوان..فقد اتسعت عيناه بقوة جبارة و هو يرى انعكاس -صورته الوحشية- في ملامحها
التي كانت تبدو..ميتة حرفيًا... !

شفتها قد غابت عنهما دماء الحياة لتتشح بزرقه مخيفة..عينها الجميلتان اللتان لطالما
نظرتا إليه بظفر و شراسة بالغة انسدل ستارهما اليوم بضغفٍ شديد بعد أن فقدت صاحبتهما وعيها
بالعالم..و وجنتها اللتان كان يعشق توردهما الفطري استحالتا إلى بياض الموت..
حتى شعرها الناعم بريقه اللامع الخاطف كان باهتًا و كأنما المدة الزمنية التي مرت ما بين
لقاءها صباحًا و الآن سنوات طوال...

كل شيءٍ فيها كان يذكره بالموت !!

أمسك بيدها الباردة ليرفعها قليلاً و يتركها في الهواء فسقطت هي الأخرى بلا حياة..و هنا فقط تراجع إلى الوراء مذعوراً إلى أن استقر جالساً فوق الأرض ينظر إلى صنع يده بملامح مصدومة ميتة..

لم يكن ليجازف بأخذها لأيّ مشفى بحالتها تلك..لهذا اختار أبسط الحلول..فاستدعى دكتور العائلة كاتم كل أسرارهم بعد أن -تمالك نفسه و استفاق من صدمته- ليقوم بفحصها وطمئننته على وضعها الصحي فقط.. فهو ليس نادم على ما فعله بها أبداً..

بل العكس تماماً..هي استحقت ذلك العقاب و نالته..الشيء الوحيد الذي قد يندم عليه هو فقدانها..و هو لن يفقدها..لا يمكن أن يفقدها بعد أن حصل عليها أخيراً..
لم يستطع الطبيب الاعتراض بنصف كلمة رغم الذعر الذي احتل عينيه و هو يعاينها ليرى حالتها التي كانت أكثر من مزرية..

لم يذكر شيئاً يخص الإعتداء أو ما شابه..فقد قال و هو ينظر لشهاب بأدب بالغ بعد أن انتهى من فحصها و جمع عدته ؛

_لقد أعطيتها بعض الأدوية و المسكنات التي تحتاجها..و ستستيقظ قريباً إن شاء الله..اطمئن..

ظل شهاب يرمقه بجمود جعل ملامح الطبيب التي لم تغادرها الصدمة بعد تتوتر بشكل يثير الشفقة..قبل أن يخرج -إبرة- ممتلئة بمحلول ما من محفظته وضعها في يده هامساً بصوت مضطرب ظهرت ذبذبات الرعب به من هذا المائل أمامه ؛

_قد تواجه معها بعض المشاكل ما إن تستيقظ..لهذا أنصحك بأن تحققها بهذه الإبرة المهدئة..
تردد للحظة..لكنه لم يجد بدا من القول بنفس الإبرة و هو ينظر إلى عيني شهاب بجدية ؛
_لن تستطيع تهدئتها بدونها !

و قد كان هنا يلح للموضوع بكل وضوح..تناول شهاب الإبرة منه بهدوء..و تعتمد أن يصمت للحظات ناظراً لها بين يديه..قبل أن يرفع رأسه مجدداً مردفاً ببرود مخيف ؛

_هل عليّ أن أضاعف من أجرك لتغلق فمك عن كل ما رأيته هنا أم.....

صمت عن قصد..فقال الدكتور بسرعة ؛

_لا لا بالطبع سيد شهاب..لقد أعطيتني الكثير أصلاً..

تدبر ابتسامة باهتة و هو يكمل بخفوت ؛

_سرك سيدفن في بئر كما العادة..

أوماً له شهابٍ ببطءٍ تاركاً نفس النظرات الباردة التي توحى بالخطورة على ملامحه.. قبل أن يرافقه نحو الباب بصمتٍ.. إلى أن أغلقه بهدوء بعد خروجه.. ثم عاد ليتجه إلى نفس الغرفة.. توقف للحظة في حاجز الباب ينظر بلا تعابير إلى ملامحها الساكنة الفاقدة لكل بؤادر الحياة.. قبل أن يخرج هاتفه ليكتب رسالة مختصرة لأمه..

" لا تقلقوا على سجي ،إنها معي ! "

ثم ضغط على زر الارسال بهدوء ليعيد الهاتف مكانه و يتراجع الخطوة الوحيدة التي تقدمها نحو الغرفة مغلقاً الباب خلفه..

ساعات طويلة مرت و هو ينتظر استيقاظها بفارغ الصبر.. كان يتجه إلى غرفتها بين الحين و الآخر.. أحياناً يكتفي بالتأكد من أنها لا تزال فاقدة لوعيمها..

و في أحيان أخرى تجرفه الرغبة في الجلوس بجانبها و تأملها عن قرب متلذذاً بفكرة أنها غدت ملكه أخيراً.. ملكه تماماً.. كهذه اللحظة تماماً..

كان يجلس بجانبها بهدوء.. أنامله تتجول برفق يدعو للسخرية بعد عنفٍ سحيق فوق وجنتها و شعرها.. بينما عيناه تلمعان ببريق الانتصار و هو يتأملها بتركيز..

لم يعد هناك مفر لها منه بعد الآن.. هو سيتجاهل ذلك الألم الخفيف الذي غزا قلبه بعد فعلته بها.. المهم أنها أصبحت ملكه و كفى..

أليست الفكرة تدعو السعادة ؟! الآن حتى لو أعادها و أطلع والديه على ما حدث فلا أحد.. لا قوة في العالم قادرة على حرمانه منها أو انتزاعها منه !!

لم يكن يشعر بالحسرة فعلياً.. لكنه رغم ذلك همس على مقربة من ملامحها بصوتٍ حنون و هو يتكى بمرفقه إلى الوسادة بجانب رأسها ؛

_أسف..أسف حبيبتي...أعلم أنني كنت قاسياً جداً معكِ لكن ما باليد حيلة..أنتِ فقط

استيقظي الآن و أنا سأعوضكِ عن كل لحظة عنفٍ بأخرى أكثر رقة !!

كان مبتسماً بظفر أثناء همسه لكل ذلك.. قبل أن يرتفع برأسه قليلاً و يعقد حاجبيه حينما لمح تلك الحركة الطفيفة برموشها التي بدأت تهتز ببطءٍ شديد دليلاً على بدء استيقاظها..

إلى أن فتحت عينها أخيراً لتلتقي بعينيها المقبلتين عليها مباشرة..

كانت نظرتها خالية من التعابير بداية.. غير مستوعبة لأي شيء سوى لذلك الألم الذي انتشر بكل عضلة من جسدها الضئيل..

بدأ عقلها يستعيد تدريجيًا كل الأحداث التي ظنتها قبل ساعات فقط.. لكن الحقيقة أن تلك الساعات هي ما شكلت يومًا كاملاً أمضته كله فاقدة لوعيها بنفس الوضع..

كانت كل الأحداث و المواقف تمر في عقلها على التوالي.. كل حدث جديد يصنع تعبيرًا جديدًا ضعيفًا على ملامحها الشاحبة كصفحة بيضاء..

كانت عيناها تطرفان بسرعة و لمراتٍ عديدة.. بينما شفتاها منفرجتان على أنفاسٍ لاهثة بطيئة بالكاد تستطيع سحبا..

ثم فجأة.. تحولت الأنفاس اللاهثة البطيئة إلى أنفاسٍ متدافعة مُرتعبة.. واتسعت عيناها بشدة أمام أنظاره.. فعلم أنها تذكرت و حينها فقط اضطر ليستقيم في جلوسه بينما سعى تنتفض حرفيًا جالسة فوق السرير.. بل في طرفه الآخر تكاد تسقط...

أطرفت تنظر بجزع لثيابها التي كانت تبدو سليمة لا شيء مريب فيها.. الشيء المريب الوحيد أنها تغيرت عن التي كانت ترتديها يوم أمس !!!!

هنا فقط تأكدت أن كل ما عاشته لم يكن حلمًا.. بل واقعًا مريبًا جدًّا جعلها تغمض عيناها بدون أن ترمقه بنظرة واحدة.. تعتصرهما بقوة على دموع انزلقت بكل سلاسة من تحت جفونها.. لتتحول إلى شهقات مرتفعة شقت السكون القبيح في المنزل.. شهقات كانت بنكهة الوجع.. شهقات تشبه النحيب بصوتٍ يمزق نياط القلب لكل من يسمعه.. لكن ليس له بالطبع..

فقد اقترب منها بكل حذر ليُمس كتفها بيده الخشنة لكنه لم يهنأ بلمسته تلك.. فقد انتفضت مبتعدة عن مسار يده قبل أن يلمسها حتى..

بينما صوت بكاءها العنيف.. أصبح أشد جنونًا حينما انضمت يداها أيضًا لتلقيان بكل ما تلمسه بعنفٍ.. من غطاء السرير.. الوسادة التي وقعت في أبعد مكان...

تلك الساعة الدائرية المحفوظة فوق المنضدة بجانبها و التي تكسرت إلى أجزاء بعد اصطدامها بإحدى الجدران ثم.. صورتها التي كانت بجوارها...

و تلك الأخيرة ارتاحت فوق الأرض بعد أن تهشم زجاجها إلى أجزاء متفرقة ليبدد حلاوة الابتسامة المرتسمة باتساع على ملامح فقدت أثر الابتسامة اليوم..

كانت تكسر كل شيء بلا هوادة أو وعي.. و قد تمنى أن تكسر أكثر.. لولا إدراكٍ داخلي

استشعرته حواسها بأن قدرتها على الوقوف في هذه اللحظة بالذات هي شبه منعدمة.. بل منعدمة بالكامل..

و بالتالي و حينما لم يتبقى أي شيء حولها لكسره..كانت ترفع يديها لتقبض على جانبي رأسها
تكاد تحطمه من شدة ضغطهما حوله..

شعر شهاب بأنها ستؤذي نفسها حتماً لو لم يتصرف في الحال..
فاقترب في لحظة خاطفة ليحاوطها بذراعيه قسراً عن إرادتها..و ظل يحتضنها بقوة يحاول أن
يدسّ الإبرة المهدنة في معصمها بينما صدره يتلقى اللكمات التي لا تشكل فارقاً لديه من قبضتها
المُنهارتين..

إلى أن استطاع أن يدسّ تلك الإبرة في معصمها بالقوة..
كان لا يزال يحاوطها مكبلاً ذراعيها بينما يفرغ الدواء في معصمها..إلى أن انتهى تماماً..و لم
يهتم كثيراً حينما دفعتها بقبضتها إلى أن استقرت في نهاية الغرفة المدمرة كلياً..فقد استمر يحاوطها
للحظاتٍ أخرى بقوة..مصر على إحباط كل مقاومتها..
إلى أن بدأ مفعول الدواء يسري في أوردها..فشعر بيديها تنزلقان من فوق صدره ببطءٍ تزامناً
مع عينيها اللتين انسدلتا بضعفٍ شديد..
انتظر لحظة أخرى..قبل أن يمدّدها فوق السرير برفق و يرفع الغطاء مدثراً إياها جيداً..بقي
بعدها جالساً في نفس المكان يتأملها لدقائقٍ في هدوء..قبل أن يقف ليتجه إلى الباب و يغلقه خلفه
بنفس الهدوء..

توقف أمام النافذة المنخفضة مغرقاً يديه في جيبي بنطاله..ينظر أمامه بعينين تحتويان أشد
الأسرار دناءة..لا بأس..سينتظر الأميرة قليلاً بعد إلى أن تستيقظ..و حينها فقط ستبدأ مهمته التالية
في إكمال ما بدأه بجعلها ملكه..أمام العالم بأسره هذه المرة !

#شهد

الحُب !

لا أحد منا لم يختبر هذا الشعور من قبل..ليس بالضروري أن يكون مقترناً بتواجد
الحبيب..إنما هو شعور يشمل كل الصلات و العلاقات الجميلة في الحياة..
الحُب..هو نكهة الحياة التي تجردها من مرارتها اللئيمة..هو نقطة التفاؤل الوحيدة في بحر
من السلبيات..بالنسبة لي..هو منحني رفاهيتي الوحيد في حياة بلا رفاهية..
الحُب هو ذلك الشعور الذي يغمرنا بألفة و نحن بصدد اللقاء الجميل مع أحبائنا..و
الضحكات النقية الطاهرة التي تحملها قلوبنا و نحن بين أحضان أقرب الناس إلينا..

الحُب هو أن نختار العيوب بدل المزايا.. بل و نصنع من تلك العيوب نفسها مزايا! هو أن نبتسم مع من نجب في وجه الألم رغم الصعوبات.. بل و نصنع من ذلك الألم محفزاتٍ نقمع من خلالها كل الصعوبات !

كنتُ أقف كعادة أصبحت مر افقة لي في جانب معين من الحديقة.. أراقب هادي المُحاط بطاقم التمريض بقلق اعتيادي.. حينما سمعت صوتًا مزعجًا يقطع مر اقبتي له بسؤال لا يهمني سماعه أو انتقاء أيّ جواب عليه..

كيف حالك !!؟

كان نفس المُمرض الذي تحدثت معي ذات مرة.. و الذي أثار حنق هادي بحديثه و التصاقه.. لكنني اليوم.. لم أكن مستعدة إطلاقًا للحديث و لا حتى مسامرة.. خاصة و عقلي لا يزال حتى الآن يتذكر أمر هادي القاطع لي بالإبتعاد عنه و تجنب الوقوف معه.. لهذا لم أتردد من أن أقول بسرعة و بتحفظ مبالغ به ؛

عن إذنك !!

ثم ابتعدتُ بسرعة لأقف في جانب آخر تاركة إياه ينظر لي بذهول و كأنه كان يخاطب مجنونة.. لكنني لم أهتم.. فقد كانت عيناى على هادي الذي هو الآخر لم يتوقف عن النظر لي طيلة الوقت.. و رأيت كيف أن ملامحه امتلأت بالرضا بعد تصرفي الأحمق ذاك.. كنتُ أقف على بعد خطواتٍ منه الآن.. حينما سمعت صوته يقول موجهاً سؤالاً حادًا قليلًا إلى أحد الطاقم المسؤولين ؛

هل هو يشتغل معكم أم أنه مجرد عبء ملتصق ير افقكم لكل مكان !!!؟ شعرتُ بالشفقة و أنا أرى الإرتباك الذي اكتسح ملامح المُمرض المسكين.. قبل أن يلتفت بدون أن يجيب هادي لينادي زميله المزعج بصرامة لم يستطع الآخر أمامها إلا الإقتراب من زملائه بسرعة ناظرًا لهادي ببعض الضيق..

لم أستطع أن أكتفم ابتسامة تسلفت إلى شفاهي بقوة من الموقف بأكمله.. ابتسامة بادلني إياها هادي خلسة.. فقد كانت ملامحه أمام الجميع صارمة حادة كعادته.. قبل أن تتلاشى ببطءٍ و يحل محلها قلق كبير امتزج ببعض الدهشة و أنا أرى هادي يتبادل بعض أطراف الحديث بصوتٍ خافتٍ مع أحد المُمرضين.. قبل أن يمسك بطرفي الكرسي الحديدي و يحاول الوقوف باستماتة.. هل سيحاول الوقوف حقًا ؟! متى تطور وضعه إلى هذا الحد !!

رغم قلقي الداخلي الكبير..و ارتجاف كل أنفاسي توترًا..إلا أنني لم أتوقف عن النظر له
بتشجيع..نفس الانفعال الذي يخالج ملامحه هو الذي يخالجني..بينما الخوف يأكل قلبي من كل
جوانبه..

محاولة..ثم أخرى..ثم أخرى..ثم كانت عيناى تتوهجان ببريق اللهفة و أنا أراه.....يقف !!!
لا..لا يقف تمامًا..فقط ارتفع قليلاً عن المعتاد و هو يستند بطرفي الكرسي رافضاً إصرار
الخبراء في الإستناد إلى تلك الآلة..

كانت عيناه مثبتتان في عيناى طوال الوقت..وقدماه مصرتان على إكمال مشوارهما نحو
الوقوف..إلى أن استقام في لحظة مفاجئة..لحظة واحدة سريعة كانت تفصل بين سعادتي الغامرة
برؤيته واقفًا..

و جزعي الكبير و أنا أراه يفقد توازنه فجأة ليسقط بكل ثقله فوق الأرض !!!!!!!

" ١٩ : تضارب مشاعر "

#شهد

هل أنا تزوجتُ بمجنون ؟!

كان هذا هو السؤال الوحيد الذي يراود عقلي بينما أجلس بجانبه على طرف السرير.. أبك كالـمجنونة- بصمتٍ بينما أعمل على تضميد بعض الجروح التي نالها بعد وقوعه.. كانت إحدى يداي الخالية من القطن تربت على جبينه البارد حيث ناله خدش خفيف لكنه مخيف و قبيح بالنسبة لي..

و كنتُ أحاول تقطيعه برفق بينما أشعر بنظراته علي.. ينظر لي بهدوء تام و كأن شيئاً لم يحدث... يبدو أنه يستمتع حقاً برؤية كل انفعالاتي السلبية !!!
لا.. قطعاً لا يستمتع.. تأكدتُ من ذلك و أنا أسمع صوت تأوه خافت يغادر شفثيه.. فأجفلت بقوة و رفعت يدي قليلاً هامسة بجزع فاق حدود التحكم به ؛

_أسفة..أسفة...هل أملك ؟!!!

كنتُ أنظر لعينه الآن بينما الدموع الصامته تجري على وجنتاي.. فاستغرق بضعة لحظاتٍ في النظر لي هو الآخر قبل أن يجيبني بنبرة ذات مغزى بعيد جداً عن مغزى سُؤالي ؛

_كثيراً...ألمتني كثيراً !!

لم أستطع أن أجيبه.. بل لم أحاول إجابته رغم كم الأثر الذي خلفه تلميحه الذي فهمته تماماً بداخلي.. فقد عدت لإتمام ما كنتُ أفعله..

لكنه على ما يبدو قرّر أن لا ينهي الموضوع.. فسمعته يهمس بعد لحظاتٍ محتفظاً بنفس الهدوء ؛

_لكن أتعلمين ما الجيد في الموضوع ؟!!

تسمرتُ للحظة أنظر لأناملي الملامسة لجرح جبينه.. قبل أن أهمس ببطءٍ و توجس و أنا أخفض عينائي قليلاً لأنظر له ؛

_أيُّ موضوع ؟!!

همس و هو يرفع حاجبيه معاً مشيراً إلي ؛

_موضوع أنكِ أَلمتني... !

ما الجيد في موضوع أني...آلمته؟! ما هو الجيد الذي يمكن للعقل إيجاده في... الألم !!
التزمتُ الصمت تمامًا بدون أن أجيب..و لم يكن هو في حاجة لإجابتي ليكمل على ما يبدو..
فرفع يده برفق ليمسك بيدي التي على جبينه..ثم همس ببطء بينما يحتويها بين أنامله كما تحتوي
عيناه كل جوارحي ؛

_أنك رغم كل تصرفاتك الهوجاء لا تزالين تصابين بالذعر الشديد لو خرج مجرد تأوه خفيف
جداً من بين شففتاي..

هل هذا أمر جيد بالفعل؟!!

ألا يعلم كم أن ذلك الخوف يستهلكني و يقتلني في اللحظة آلاف المرات ترقباً كلما طرأ احتمال
تعرضه للأذى في عقلي..

ليته يعلم بالفعل بأنني أفضل الموت على أن أراه حزيناً أو متألماً..و أنني سأختار الهاوية بعيون
مغمضة لو وضعت يوماً في رهان ما بين حياتي و حياته..

و بأن راحته عندي ترادف كل راحتي..و الألم الذي يمر في عينيه صدمة يخترق قلبي كالنصال
قبل أن يصل إلى قلبه !!

لا يا هادي..لا أظن بأن هذا الأمر جيد..لكنه محتم و واقع..لا أملك رفاهية تغييره و لا أتمنى
تغييره..

ربما أنا فقط مريضة..ربما أنا فتاة مهووسة لأعشق الألم الذي يحدثه حُبي له في قلبي..لكنني
فقط لا أملك إلا أن...أحبه !!!

_هل تعلمين ما الجيد أيضاً؟!!!!

سمعتُ صوته يهمسُ بنفسِ النبرة بعد لحظاتٍ أخرى لم تبارح عيناه فيها عيناى.. فأطرقت
رأسي بصمتٍ و كأنني فقط أخجل من أن تتجسد كل مشاعري الهوجاء في عيناى فتفضحني أكثر
أمامه..

و رغم ذلك فبطريقة ما..شعرت بابتسامته الباهتة و هو يهمس لي مُستأنفاً ؛

_أنه لولا تصرفك الأهوج ذاك لما كنت هنا معي الآن..في منزلي..في غرفتي..تجلسين بجانبى على
سريري لترمى كل جروحي بصفتك...زوجتي-!!!

شعرتُ بالدهشة الشديدة من كلماته..حتى أنني عقدت حاجباى قليلاً و أنا أرفع رأسي مجدداً
لأنظر له بنفس الدهشة..

و كأنني أتساءل بالفعل كيف لم أفكر بهذه الطريقة من قبل؟! رغم أنني فعليًا.. وافقت على

هذا الزواج لأجل هذا القرب !

بينما رفع هادي حاجبه قائلاً بشقاوة محببة ؛

_هل فكرت في الموضوع من هذه الناحية من قبل ؟!!!

حركت رأسي بالنفي ببطءٍ و أنا أنظر له بعيناي المتسعيتين قليلاً بدون أن أكسر

صمتي..فصمت للحظاتٍ..ثم قال بتفكير عميق ؛

_و هل تعلمين ما الجيد أيضاً في هذا الموضوع ؟!!!

نظرتُ له بحذر و أنا أعجز عن تحديد عن أي موضوع يتكلم الآن بالضبط..فقلت بنبرة بطيئة

خافتة ؛

_أي موضوع ؟!!!

شعرتُ بخفقات قلبي ترتعش بشدة و أنا أرى لأول مرة و أسمع صوت ضحكة خافتة حقيقية

تصدر عنه..لقد ضحك بالفعل..و كم كانت ضحكته جميلة..

و كم اشتقت لها !!

قبل أن يرفع يده ليلمس الخدش الصغير بجبينه..و الذي كان يعلو تمامًا أثر الجرح القديم

الذي يشق حاجبيه الكثيفين..نفسه الذي قبلته ذلك اليوم بدون علمه !!!

شعرتُ بحبيباتٍ من الخجل تتجول فوق وجنتاي بدون سبب و أنا أتذكر تلك اللحظة..تلك

القبلة البريئة و كأنني أعيشها مجددًا..

و رغم أنه لا يعلم..إلا أنني عجزت تمامًا عن النظر في عينيه فأطرقت برأسي أحاول أن أذكر

نفسي بأنه لا يعلم..إنه لا يعلم يا حمقاء !!!

_أنني و لأول مرة بعد الحادث استطعت استعمال قدمي..حتى و لو للحظة صغيرة جدًا

لكنني فعلتها..لا تتخيلين كم السعادة التي أشعر بها !!

بلى..أتخيل..أستطيع التخيل جيدًا...

بل أنت عليك أن تتخيل كم التشتت الذي أشعر به أنا ما بين هذه السعادة التي تقول عنها

أنت..و الأسى الذي يعتمرنني كلما طرأت بعقلي فكرة فراقنا !!!!

كان هذا جوابي المبطن الذي كتمته كما العادة و أنا أراه ير اقص بين حاجبيه ليمس لي بنبرة

خبيثة ظهرت فيها مشاعره السعيدة واضحة ؛

_و أخبرني الدكتور أنني قريبًا جدًا سأستبدل الكرسي بالعكازين !

كان يبدو متحمسًا بشكل مبالغ به..سعيدًا إلى درجة جعلتني أصاب بالعدوى من سعادته..
فشعرت بقلبي ينشرح بابتسامته..لكن ملامحي ظلت كما هي هادئة لا تظهر شيئًا..
لم أفهم سبب نظرة الخبث التي اكتسحت عينيه بعدها..لم أفهم أيضًا نبرة الشقاوة التي
تخللت صوته في جملته السابقة..إلا حينما تركّ يدي يهدوء ليقبض على كتفائي و يقربني منه قليلًا..
ثم همس في أذني بنبرة خافتة جدًا..ساحرة ؛

_لكن أكثر ما يسعدني ليس هذا السبب..بل اقتراب تلك اللحظة التي سأكون واقفًا فيها
كالجبل أمامك..تلك اللحظة التي أكون أنا المضطر فيها للإطراق برأسي لأجل تأمل عينيك..اللحظة
التي ستخول لي الشعور بجسدك بين ذراعي..فوق صدري و أنا أحتويه في عناق بريء بقوتي لا بحناني
فقط..و حينما تحاولين الهروب كعادتك...سأقف لك بالمرصاد و أعيذك إلى ذراعي !!!
اتسعت عيناى بقوة و أنا أشعر بشفتيه فوق وجنتي بعد أن صمت فورًا..طبع قبله طويلاً
هناك..قبله جعلت الطبول تقرع بقلبي..و الألحان الخلافة تتردد إلى مسامعي من المجهول..
و لم أستطع أبدًا أن أمنع ابتسامة مرتجفة من أن تتسلل إلى شفتاي و أنا أستسلم تمامًا
لدفء شفتيه و ذراعيه اللتين أحاطتا بي بتملك راق لي !!!!
بينما عقلي...قد تخلى عني للحظات غارقًا كليًا في تخيل تلك اللحظة التي قال لي عنها..لحظة
أن أراه و اقفًا أمامي بالفعل..هذه أقصى أمنياتي من أجله..أن يستعيد قوته حتى و لو على حساب
قلبي..

إلى أن ابتعد قليلًا..و حينها فقط استطعت أن أرفع رأسي لأنظر لعينيه بمزيج من مشاعري
التي لا بد أنها ستكون قد ظهرت تمامًا في عيناى الغائمتين..

أحيانًا أتمنى بالفعل أن يمتلك من فطنة الحب ما يخوله قراءة مشاعري تلك بدون أن أضطر
أنا للهتاف بها و أنا أعلم..أعلم بأنني فاشلة في التعبير عن مشاعري و لن أستطيع نطقها بسهولة !!!
_هل...نخرج؟؟!!!

سمعتُ صوته ينطق هذا السؤال..فطرفت بعيناى في حركة حاولت من خلالها استعادة
تركيزي..قبل أن أنظر له هامسة بتشوش و أنا أشعر بالذهول ممّا سمعته ؛
_ما..ماذا قلت ؟!!

لكنه أنهى ذهولي بهمسة بسيطة جدًا من صوته الجاد ؛

_لنخرج !!

فطرفتُ بعيناى مجددًا و أنا أسأل بغباء ؛

_إلى...أين؟!!!

ابتسامة هادئة لامست شفتيه و هو يردف بنفس البساطة ؛

_ربما لنشتري لك هاتفًا !!

شعرتُ وكأنه صفعني بشدة بهذا الجواب..فقلت بسرعة كمن ينفي عنه تهمة بشعة جدًا ؛

_لكنني..لكنني لم أطلب شيئًا...كهذا !!!

إلا أنه بدا في غاية الهدوء و الثبات أمامي..فهمس و هو يرفع يده ليربت على جانب وجهي

مرجعًا بعض الخصلات الصغيرة المنفلتة من الضفيرة إلى خلف أذني ؛

_لم تطلبي..هذه رغبتني أنا..

فغرتُ فمي بغباء للحظة..قبل أن احرك رأسي بالنفي هامسة بحيرة و توتر ؛

_لكن..أنا لا أعرف المدينة جيدًا..تعلم أنني..كنت..أقصد..لست...لم أكن.....

زفرتُ بيأس و أنا أقطع حروفي الخرقاء هنا شاعرة بأني أتفوه بالهراء..لكنه تفهمني تمامًا

فقال باتزان و هو يمنحني من نظرات عينيه الوفير ؛

_ليس من الضروري أن تعلمي..أنا أعرف كل ركن في هذه المدينة..كما أننا نمتلك سائقًا..هل

نسيت ؟!!!

نمتلك سائقًا ؟! بدت هذه الكلمة غريبة جدًا في أذناي..ليس فقط لصيغة الجمع..إنما

"نمتلك" سائقًا...أنا و هو !

ابتلعتُ ريقِي و أنا أقول مصححة بخفوتٍ بينما أعود لأخفض رأسي ككل مرة ينتابني بعض

الحزن ؛

_تمتلكه أنت...لا أنا !

ظل هادي ينظر لي للحظاتٍ بصمتٍ تام..فاضطرت لأن أرفع عيناي إليه مجددًا..و حينها

فقط..كان يهمس ناظرًا في عيناي ببطءٍ و كأنه يحاول إقحام كلامه هذا في عقلي عنوة ؛

_أنا و أنت ؟!!!! لا يوجد أنا و أنت بعد الآن !! أنتِ اخترتِ أن تكوني جزءًا لا يتجزء من حياتي

حينما و افقتِ على عرض أُمي..وحدكِ من أعلنتِ انتمائكِ لي حينما وقعتِ تلك الأوراق بكامل

إرادتكِ..و لهذا السبب أنتِ عليكِ أن تتحملي قراركِ لأنني لم و لن أسمح لكِ بالتملص منها

أبدًا..افهمي جيدًا..أنتِ زوجتي...زوجتي أنا !!

قال آخر كلماتٍ بنبرة أشد بطئًا و هو يشدد على كل كلمة..و لم أستطع امام كلماته الصريحة

هذه إلا أن ألزم الصمت تمامًا و كأنني من خلاله أعلن استسلامي و موافقتي على كل ما قاله..

وكم أحببتُ ما قاله !

نعم..أنا من وقعت تلك الأوراق بكامل إدراي و أنا اخترت أن أنتهي لك يا هادي.. تلك الحقيقة لا تؤذي بل تسعدني..و تقتلني فكرة أن أحرر من هذا الانتماء الذي أحببته.. كما أحببتك دائماً..و أبداً !

رغم سعادتي النسبية بهذا التطور و أنا أراه يقترح علي فكرة الخروج..إلا أنني كنت أشعر بالتوتر..فأنا لم أعتد الخروج نهائياً..و هادي شديد التحفظ و الصرامة و الغيرة في كل شيء يخصني.. كنتُ مترددة...ماذا لو تعرض لي أحدهم بكلمة و فقد هادي أعصابه مع حالته التي لن تزيده سوى قهراً و غضباً و تدهوراً في صحته !!!

تهدتُ بقوة و أنا أطرده هذه الأفكار من عقلي بحزم..قبل أن أقف لأساعده في الجلوس فوق الكرسي..ثم جعلته يرتدي حذائه الأسود.. قبل أن أخفي لعدة دقائق استغرقتها في تجهيز نفسي..إلى أن عدت إليه..لأقول بخفوتٍ بينما نفس التردد لا يزال يكتسحني ؛
_أنا مستعدة !!

#لؤي

ثلاث مكالمات متتالية من سجي !!

كنتُ كالفاقد لتعقله و أنا أذرع غرفة الفندق الفاره ذهاباً و إياباً..بينما أحمل الهاتف في يدي..أحاول الإتصال بسجي منذ ساعات.. بالذات منذ أن خرجتُ من أحد الإجتماعات المهمة التي اضطرتت لغلق هاتفي قبل الدخول إليها..لكن دون جدوى..فقد كان هاتفها مغلقاً طوال الوقت..و كأنها تعاقبني على انشغالي الأحمق عنها و عدم ردي على اتصالاتها..

زفرتُ بقوة و أنا أنزل الهاتف يائساً لأتفقد مجدداً عدد المكالمات التي وصلتني منها..كان القلق ينهش صدري بلا رحمة...لماذا قد تغلق هاتفها ؟!
و لماذا اتصلت بي في اللحظة التي من المفترض أن يتم زواجها بها ؟! و لماذا لم تترك لي رسالة إذاً
كما يفعل الناس عادة ما دام خطي لم يكن متاحاً !!!

كلها أسئلة بلا إجابات.. أسئلة زادت من قلقي و زادت من إرهابي الذي لا يحتمل أساسًا.. لم أكن أستطيع أن أصل إلى أخبار شهاب حتى.. لا أعرف هل عاد من سفره المقيت أم لا.. وهو الآخر لا يرد على اتصالاتي ذلك الأبله.. تبًا... فقط تبًا !!!

رفعت رأسي بإرهاق بالغ و أنا أطلب رقمها بأمل لآخر مرة.. لكن نفس النتيجة هي ما اخترتها.. فأنزلته بيأس و أنا أغرس أناملي بخصلات شعري أشعر بأن القلق في طريقه للتحويل لشيء أقوى.. و في تلك اللحظة بالذات.. اختار اسم واحد أن يتسلل إلى عقلي.. فرفعت الهاتف مجددًا لأطلب رقم أشرف بسرعة.. كيف لم يخطر ببالي طيلة هذا الوقت..

لكن ما سمعته منه.. زاد الطين بلة.. حينما أتاني صوته يقول بقلق أكبر من قلقي ربما.. رغم أنني أشك أن بقلق عليها أي أحد مثلما أفعل الآن..

_ لا أعلم.. لا أعلم... لقد قالت أنها ستخرج قليلًا لتستنشق الهواء و تعود لكنها لم تعد و عندما ذهبت لأتفقد لها لم أجدها.. أنا أشعر بالقلق.. يا إلهي سأجن حتمًا !!!
سقطت جالسًا بكل ثقلي فوق السرير و فكرة واحدة تجتاح عقلي.. أن سجي وقعت بين يدي شهاب.. و شهاب لن يرحمها.. لن يشفق عليها أبدًا..

_ لؤي.. ألا تزال معي ؟ !!!

سمعتُ صوته يصلي متباعدًا من بين تلايب إدراكي للعالم الذي بات كله ضعيفًا.. مظلماً في عيناى في هذه اللحظة.. كنت أشعر بثقل كبير يجثم فوق قلبي لدرجة أنني لم أستطع أن أفتح فمي و أنطق بكلمة واحدة أجيبه بها..

لم أعلم حتى متى انقطع الخط و من قطعه منا.. أنا فقط أنزلت يدي بالهاتف و أنا أتجمد تمامًا ناظرًا أمامي للحظات بحيرة بالغة و قلق أهوج..

و طالت اللحظات إلى أن تحولت لدقائق لم تنفك فيها الأفكار عن التدافع في عقلي.. لا بد أن أعود.. لا بد أن أعود في الحال...

فقط... لم أفكر أبدًا أكثر من ذلك و أنا أقف فجأة لأرتدي سترتي الزرقاء بحركات غير ثابتة و ألتقط مفاتيح سيارتي و أخرج بسرعة تاركًا كل العمل المتبقي تحت مسؤوليتي عالقًا.. فسجى أهم.. لن اضيع دقيقة واحدة أخرى هنا بينما لا أعلم لها وجهة محددة.. علي أن أعود حالًا لأطمئن عليها بنفسى..

دلف بعد وقتٍ طال إلى الغرفة ليجدها لا تزال كما هي في حالتها الغريبة..تحتضن ركبتيها بقوة

بينما تجلس على طرف السرير ناظرة أمامها بلامح.....ميتة تمامًا !!

تبدو كمن على وشك الدخول في صدمة الله فقط من يعلم متى قد تخرج منها..اقترب أكثر و هو يفكر بأنه لا يمكن أن يسمح أبدًا بحدوث هذا..هو يحتاجها بكامل عقلها معه حتى لو كان قلبها قد تفتت إلى أجزاء صغيرة مُمزقة..

لم تكن قد شعرت به أبدًا..حتى بعد فتحه للباب و الدخول بخطواته الهادئة ظلت على حالها و كأنها جزء منفرد من هذا العالم المتحرك..

إلى أن وصل إليها..فتوقف للحظة بجانب السرير..قبل أن يقترب أكثر إلى أن وضع الصينية الصغيرة حيث وضع بعض أصناف الطعام فوق المنضدة الجانبية..و جلس في طرف السرير مرتكزًا بركبتيه إليه..

كان لا يزال ينظر لها بتمعن..حينما لاحظ تفصّد جبينها بقطرات عرقٍ ندية..بينما أسنانها تصطك ببعضها كمن يعاني برّدًا شديدًا رغم أن الطقس كان معتدلًا و هي ترتدي كنزة صوفية يلامس عنقها ذقنها..

قال بحذرٍ شديد و هو يمد يده ليمس كتفها بخفة ؛

_سجى !!!!

و كأنه لم يلمسها..بل لسعها..فقد انتفضت بقوة ملتفتة نحوه كالقذيفة التي تم إطلاقها فجأة..حتى أنها كادت أن تقع في غمرة رعبها لولا أن امتدت يداها سريعًا تقبضان على ذراعيها ليمنع سقوطها..

لكنه مجددًا عجز عن السيطرة عليها حينما ارتفعت نفس اليدين لتدفعه عنها بشراسة لا تناسب وضع ملامحها الشاحبة بشكل مربع..

كانت تبدو غريبة بالفعل..نظراتها زائغة بشكلٍ مريب بينما عيناها جاحظتان بلا ردة فعل..ثم ما إن مد يده نحوها بعد لحظاتٍ و كأنه سيلمسها مجددًا..همست تتراجع بتعثر شديد و صعوبة باللغة في النطق ؛

_لا..لا..لا.....تلمسني !!

تأفّف شهاب بنفاذ صبر..لكنه رغم ذلك لم يحاول أن يلمسها أكثر..فأبعد يديه ليحمل

الصينية إلى أن وضعها أمامها..ثم قال بصيغة الأمر ؛

_لن ألمسك..لكن تناولي شيئًا فأنا لذي ما سأقوله لك..

نظرت بعينها الزائغتين للصحن كمن ينظر لحيوان مفترس سينقض عليه في أي لحظة..ثم

عادت تنظر له وقالت بنفس نظراتها الغريبة و نبرتها الأغرب ؛

_لا.....أريد...دعني و.....شأني !!!

انعقد حاجبا شهاب بشدة و هو يهمس مدققاً النظر بتركيز في ملامحها ؛

_هل أنت بخير ؟!! هل تعانيين صعوبة في النطق ؟!!!

بمجرد أن نطق هذا السؤال..رأى كيف تغيرت ملامحها الفاقدة للحياة قليلاً..نظرت له كمن

يستيقظ لتوه من غفوة عميقة..و كأن سؤاله ذكرها بشيءٍ ما أو أعادها إلى نقطة ما..فغامت عيناها

بشدة..و زاغت النظرة بهما حتى أصبح متأكداً بأنها على وشك فقدان وعيها مجدداً في أي لحظة..

لكنها لم تفقده..بل استمرت تنظر لملامحه للحظاتٍ و قد انخفضت زوايا شفيتها إلى الأسفل

ببطءٍ كمن يشعر بالتقزز الشديد..و قد كانت تشعر بالفعل..

فبعد لحظة واحدة..وجدها تقبض على معدتها و تلتفت بسرعة و كأنها تحاول الوقوف..لكن

قدمها الهلاميتين خانتها للأسف فسقطت بعد أول خطوة فوق الأرض لتتحني مفرغة كل ما كان في

معدتها التي لم تستقبل شيئاً منذ يوم و نصف تقريباً..

حسناً..هذا متوقع !

زفر بقوة قبل أن يقف و يستدير حول السرير بسرعة إلى أن جلس على ركبتيه بجانبها..ورفع

يده في نية الترييت على ظهرها..لكنها مجدداً..كانت تنتفض متراجعة بذعر قبل أن يلمسها حتى..

حينها نظر لها شهاب بينما يزم شفتيه قليلاً بشيءٍ من الانفعال..لكنه لم يفعل شيئاً سوى أن

وقف لينحني عليها في محاولة لحملها بينما يقول ؛

_أنتِ لا تزالين متعبة..ارتاحي قليلاً ريثما أنظف هذه الفوضى..

هذه المرة..لم تقاوم..فقد كانت على وشك الإغماء بالفعل ممّا ساعده على حملها بكل سلاسة

إلى أن وضعها فوق السرير و اتجه ليبدأ في تنظيف الفوضى التي أحدثتها..

إلى أن جلس مجدداً بجانبها ينتظرها بصبر أن تستيقظ مجدداً من إغماءها الرابعة ربما..و

ما إن استيقظت كان يقترب منها بحزم هذه المرة ليهتف بها بحدة ما إن لمح محاولاتها في الابتعاد ؛

_اهدئي !!!

نبرته المرتفعة الأمرة و كأنما أعادت لها إدراكها للعالم نسبياً..فقست ملامحها الشاحبة قليلاً

لتقول بعد لحظاتٍ ناظرة له بكره رغم بحة صوتها و ضعفه ؛

_قدر !!!

تسمر شهاب لوهلة و هو يسمع تلك الكلمة تخرج بنبرتها التي لا تشبه نبرتها المعتادة.. لكنه و على عكس كل التوقعات.. لم ينفعل.. بل هز رأسه ضاحكاً برضا تام و هو يقول ؛
_جيد.. الآن بما أنك استعدت وعيك و إدراكك فنستطيع أن نتكلم..

قالت سجي و هي تزدرد ريقها ببطء.. بينما عيناها تبدوان مسافرتان بعيداً.. في عالم آخر غير الواقع الذي تحياه ؛
_أنا.. أنا.. أنا.. سأفضحك !!

ارتفع صوت ضحكاته المنفرة بشكل زاد من الذعر بداخلها رغم نظرتها التي كانت خالية من التعابير.. فقد كانت ردود الفعل الحقيقية في رموشها و أطر افها المرتجفة.. قال بكل ثقة و اتزان ؛
_لا.. لن تفعلي لأنك لن تستطيعي.. أنت لا تستطيعين مجابتي بعد الآن..

نظر لعينها تماماً ليكمل بعد أن تلاشت كل الضحكة ليبقى الجمود فقط و القسوة ؛
_أظن بأن العقاب كان منصفاً جداً أمام فعلتك -القدرة-.. و لا ريب في أن الشك لن يراودك بعد الآن حول ما أستطيع فعله بك إذا ما حاولت عصيان ما أقول !!!

لم تنطق سجي بكلمة.. إلا من أنفاسها التي ارتفعت لتوضح شعورها بالإختناق -حرفياً- معه.. فزفر شهاب مجدداً و كأنه نال إجابته.. ثم قال و هو يمسك بالصحن مدعيًا الهدوء ؛
_و الآن ستأكلين بكل وداعة أمامي فأنا لست مستعداً لخسارتك بعد..

لمح في عينها نواياها في الرفض.. لكنها لم تستطع أن تلفظ كلمة حينما امتدت يده لتقبض على ذراعها بعنف.. ثم قال محذراً بنبرة هادئة ؛
_هل تحبين أن تري وجهي الآخر الذي قابلته بالأمس ؟!!!

ارتجفت بشدة تحت ضغط يده على ذراعها.. و شعر بارتجافتها التي لم تزد سوى شعوراً بالرضا من نفسه.. خاصة و هو يرى العذاب الكامن يرتسم على تقاسيمها بينما تغمض عينها بشدة عن ملامحه المخيفة هامسة ؛

_سأتناوله.. س..أتناوله.. لا.. تلمسني... أرجوك !!

تركها شهاب أخيراً ليقرب الصحن منها.. فنظرت له أمامها للحظة برغبة جديدة في التقىء.. قبل أن تمسك بالملعقة مجبرة نفسها على الأكل بأنامل ترتجف بشدة..
لكنها لم تستطع حتى أن توصلها إلى فمها.. فقد كانت ارتجافتها أقوى ففقدت يدها توازنها في منتصف الطريق لتسقط الملعقة بما تحتويه فوق الصحن..

حركَ شهاب رأسه بيأسٍ و هو يقترب قليلاً ليلتقط الملعقة و يعيد ملأها..قبل أن يقرّبها منها و هو ينظر في عينيها و كأنه يتحداها أن تعترض..

و هي لم تعترض بالفعل..لم تكن تستطيع الإعتراض..كلما كانت تشعر به هو الاستسلام..

الاستسلام الشديد الذي هو أفضل ردة فعل لإنسانة مثلها..

راهنّت على كل شيء..فخسرت كل شيء !

تركته يطعمها بصمتٍ تام..لم تكن تمتلك ما تقوله..لم يتبقى لها شيءٌ لتدافع عليه بعد أن

عانت مرارة الفقد الأصعب..و هل بعد فقد الانسان لشرفه و كرامته فقدُ أصعب ؟!!!!

أخذ الصحن منها ليعيده إلى مكانه بهدوء..ثم رفع المنديل المرتاح في جانب معين من الصحن

ليقرّبه منها متعمداً مسح طرفي شفّتها برقة بالغة..

يرى الرفض يتجسد في عينيها متخللاً الضياع..يلمح الخوف الذي عقد العزم منذ اليوم على

عدم التخلي عن ملامحها و أنفاسها..و كيف أشاحت بوجهها بعيداً عن يده فاقدة لكل قدرتها على

التحمل بعد..

لكن كل ما يهمه فعلاً...أنها هنا و أنه قد حصل عليها في النهاية كما يستحق !

لهذا..فقد وضع المنديل جانباً بكل هدوء..قبل أن يعيد أنظاره إلى عينيها متهدداً بقوة..و يهمس

مدعياً تعاطفاً لم يزر قلبه إلّا في لحظاتٍ عابرة بدون أن تشكل فارقاً لديه ؛

_هل تعلمين ؟! حينما فكرت قليلاً بعد وجدّتي تسرعت للغاية في تنفيذ عقابكِ بهذا الشكل

-السيء- جداً لك..لهذا و إرضاءً لقلبي المتيم بكِ حُباً منذ وقتٍ طويل..و لأنكِ ابنة خالتي كما وصفتِ

الأمر سابقاً..فأنا قررت أن أمنحكِ فرصة أخيرة للتخلص مني...ذا كنتِ لا تزالين مصرة على هذه

الفكرة بالطبع !!!

همس آخر جملة بنبرة بريئة تماماً..بينما لم تتغير نظرات سجي كثيراً..مجرد أن تخللها بعض

التشوش ليزيدها ضياعاً..فاقترب منها بوجهه ليستأنف بنبرة بطيئة..حازمة و عميقة ؛

_لكن هذه الفرصة مكبلّة بشروطي أنا التي ستنفذنيها بدون نقاش و ترتضين بالنتيجة في ما

بعد بغض النظر عن إذا كانت لصالحكِ أو لصالحي !!!!

" ١٥ ؛ خيبة أمل "

#سجى

من قال أن الموت في هذه الدنيا واحد ؟!!!
أنا أشعر بأنني أموت في اللحظة ألف مرة..خفقات قلبي باتت ضعيفة جدًا هادئة لدرجة أنني
أصبحت بالكاد أشعر بها حينما أضع يدي فوق قلبي..
جسدي خامل -مشمئز- من نفسه !!
عقلي يصارع باستماتة للخروج من دائرة تلك الذكرى الأليمة التي لم يمر عليها سوى
يومين..كل خلية فيّ كانت ترتجف..تنئن..تشمئز..
أنا أشعر بالقرع من نفسي بالفعل !!!
هل أخبرتكم مرة بأنني من النوع المتفائل على الدوام و المبتسم ؟!! هل أحببتم شخصيتي
المناضلة و القوية ؟!!! توقفوا عن حبها إذًا لأن تلك الـسجى - ماتت للأبد..و لن تعود..أبدًا لن تعود !!!
ماتت على يدي شخص توقعت منه كل السوء إلا أن يقتلها و هي على قيد الحياة !!
منذ ساعاتٍ طويلة أنا توقفت عن كل شيء..عن الانفعال..عن التفكير..عن البكاء... عن
الحياة نفسها !!!
_ألقي نظرة أخيرة على منزلك الذي ستعودين إليه بعد أيام لتعيشي فيه !!
سمعتُ صوته البارد جدًا يأتي من جانبي في سيارته..لكنني لم أبدأ أي ردة فعل..ألم أخبركم
بأنني توقفتُ عن كل شيء !
كنتُ فقط..أنظر للسراب القاتم أمامي و أنا أشعر بأنني عاجزة..عاجزة عن تحريك أي عضلة
بجسمي..عاجزة عن التنفس حتى أو الإنهيار كرد فعلٍ طبيعي..
انطلقت السيارة بنفس الهدوء و قد قرّر أن يتجاهلني على ما يبدو..
لم أكن أعلم عن أيّ فرصة يتكلم و لم أكن أهتم في الحقيقة..الموت هو المنفذ الوحيد و الملجأ
في هذه اللحظات و لا شيء قد يعوض ما خسرتة على يديه..لا شيء..
من بين أفكار المشوشة بكل الصور القبيحة كانت تمر صورة أشرف في قلبي و حينها فقط..
كنتُ أبدي إنفعالا ضئيلاً بأن أطرق برأسي المرهق أو أشابك بين أناملِي المُرتجفة بتوتر..أو أغمض
عيني لأكبح دموعي المتألّمة..

دقائق مرت في الصمت.. إلى أن سمعتُ صوته يقول مجددًا بنفسِ النبرة اللا مبالية و التي
تحتوي في أعماقها شعورًا واضحًا و حقيقياً بالتشفي ؛

_ها قد وصلنا !

لكنني لم أتحرك أيضًا.. بل بقيتُ متسمة أنظر إلى أناملي بدون أن أميز أي حركة تحدث من
حولي.. إلى أن شعرت بيده تمتد لتقبض على ذقني بقوة و تدير وجهي إلى اتجاه معين قسرًا..
و حينها فقط.. خرجت شهقة قوية من بين شفتاي و تدافعت نبضات قلبي بضعف.. بينما
برقت عيناى بشيء يشبه فقط...-الأمل- !

و على ما يبدو أنه قرأ هذه النظرة بداخل عيناى.. فهمس و هو يقترب من أذني بصوت خافتٍ
هادئ لأقصى حد ؛

_هذه هي فرصتك الوحيدة و الأخيرة.. على بعد خطواتٍ قليلة من سيارتي يقبع خلاصك
الوحيد أو -نهايتك- التي ستعيدك إلي.. كل شيءٍ مرتبط برد فعل -حبيب القلب- بعد أن تطلعيه على
كل ما حدث بيننا.. أو لأقول... ما فعلته أنا بك !!!

خرج صوت أنين مختنق من بين شفتاي و أنا أحركُ رأسي برفض تام.. الفكرة فقط تجعلني
أشعر بأن قلبي سينشطر إلى نصفين.. فبأي جرأة سأقف أمامه لأخبره أنني تعرضت لما يطلق
عليه...-الإغتصاب- !

كيف.. كيف سأستطيع قولها ؟!!!!

أنا فتاة في النهاية حتى لو كنت أمتلكُ من الرقي ما يجعلني لا أخجل أبدًا من الاعتراف بما
حدث لي أمام الجميع و أنا متأكدة تمامًا أن لا ذنب لي فيما حدث..
_بل ستفعلين.. إذا كنتِ تثقين به حقًا و تريدن استغلال هذه الفرصة ستفعلين.. صدقيني
ستندمين حتمًا لو أضعتِ هذه الفرصة من بين يديك بدون أن تحظي بلحظة رؤية ردة فعله و مكانتكِ
الحقيقة لديه التي أنا متأكد تمامًا أنها لن تعادل نصف مكانتكِ عندي !!
كان أشرف يقف أمام واجهة مطعم فاخر.. يحمل الهاتف في يده و ينظر حوله بحيرة أنبأتني
حتمًا بأن هذا الذي بجاني هو من اتصل به من رقم مجهول ليطلبه إلى هنا..
بقيتُ أنظر له بعينين لا تنظران.. عيناى ثقيلتان جدًا بينما رموشي تهتز رغبة مني في... فقدان
الوعي ربما.. كل ما أريده الآن هو الاستسلام..

ليتني أغمض عيناى إلى الأبد.. ليتني فقط.. أمتلكُ وسيلة تخلصني من سطوة صوته الهامس
كالشيطان في أذناى..

_الخيار بين يديك..إما أن تستغلي فرصتك أو تتمسكي بموقفك و نرحل بصمت !!!

الخيار بين يداي ؟!!! لا..ليس بين يداي !!

لو كان بين يداي حقًا لكنتُ متزوجة الآن من الشخص الذي أحبه..لما تعرضت لكل هذا الظلم

و الإهانة و الاضطهاد في حياة لم أتسبب فيها بالأذى لأيّ إنسان..

بعد جملته تلك..لم أشعر..لم أفكر..بل فكرت..ربما...ربما لا تزال هناك فرصة أخيرة للخلاص

الأخير..فرصة أن أموت بسلام بعيدًا عن صوته السام..فأوان الخلاص الحقيقي قد فات بالفعل !

فتحتُ الباب لأنزل و أتجه إلى ذلك الرجل القلق هناك كالمنومة مغناطيسيًا..كانت خطواتي

ثقيلة شبه مترنحة..كل خطوة أتقدمها تقربني أكثر من احتمالية سقوطي خائفة الأنفاس فوق الأرض

الباردة..

لكنني رغم ذلك..استمررت في التحامل على نفسي و أنا أتقدم أكثر مكملة طريقي نحوه..نحو

خلاصي الزائف أو موتي المحتم !

توقفت أمامه أخيرًا..و التقت عيناه بعيناي أخيرًا..

في لحظة واحدة استغرقها في النظر لي..لمحت كل ذلك القلق و هو يتحول الى ذعر

طبيعي..فقد كانت حالتي نوعًا ما...غريبة !

استمر ينقل عينيه بين كل ملامحي بتدقيق للحظات..قبل أن يقترب بلهفة كبيرة و هو ينوي

احتضاني بين ذراعيه..لكنني تراجعت خطوة سريعة جعلته ينظر لي فاغراً شفتيه مجفلاً مذهولاً من

حركتي الرفضية..

كان العذاب هو ما يكتسح نظراتي له..قبل أن أفتح فمي لأخبره بكل شيء بملامح ميتة

تمامًا..عكس نبرة صوتي التي كانت متهدجة يتخللها شيء يشبه...التوسل !

لم أكن أتوسله سماحه و لا تفهمه..لا..كنت أتوسل قلبه أن لا يخذلني فقط..أنا انتظرتُه

بالفعل أن يعود ليلتقطني بين ذراعيه ليخبرني أن لا ذنب لي فيما حدث..ليبثني ألمه و دموعه التي

يبكيها لأجلي..كما بكيت و غامرت بالكثير من قبل لأجله..

لكنه لم يفعل..هو لم يتحرك من مكانه حتى..بل ظل و اقفًا مكانه..متجمدًا ينظر لي بعينين

متسعتين غير قادرتين على الإستيعاب..بل جاحظتين بصدمة فاقت حدود الصدمة..

صوت انفتاح و انغلاق باب السيارة القريب مني..جعل من حواسي تتأهب فجأة..فالتفتُ

بسرعة لأرى شهاب الذي كان قد خرج من سيارته ليقف مستندًا إليها..

قبل أن يميل برأسه قليلاً ناظرًا في عيناى تمامًا بملامح متوعدة واثقة كل الثقة..و حينها فقط..تحرّرت دموعى بقوة..و تحرّرتُ من جمودى الكاذب..و لم أجد بدا من الإندفاع نحو أشرف إلى أن أمسكتُ بيده هامسة بصوتٍ مبجوح متوسل بالكِ ؛

_أرجوكَ أن تحتضننى الآن..حتى لو لم تعد تريدنى بعد أمسك يدي فقط و خذني معك.. أنظر..أنظر إنه ير اقبنا..أشرف أنتَ فرصتي الأخيرة..أرجوكَ لا تخذلني..أرجوك.. أرجوكَ أن تتمسك بيدي الآن.....

لكن أشرف كان يبدو في عالم غير العالم..بعيدًا عن ملامحي و صوتي و همساتي المتوسلة.. بعيدًا عن دموع ألي..غير عابئ بأي شيء سوى ما يعيشه هو من مشاعر مشتتة في هذه اللحظة.. كانت يدي فقط من تتمسكُ به باستماتة..أما أنامله فكانت مفرودة باستسلام تام و كأنها فقدت الشعور بأناملي..فانسابت دموعى أكثر و تداعى صوتي و أنا أنظر لملامحه الشاحبة الخالية من أيّ تعبير آدمي..

ارتعدتُ بشدة و أنا أرى شهاب يستقيم أخيرًا ليقترّب منا بابتسامة منتصرة على وجهه..فنقلت أنظاري المذعورة بينهما و أنا أهتف مجددًا بأشرف بينما يداى تهزان يده بقوة لعلي استطعت إخراجِه من حالته هذه ؛

_أشرف..أشرف أرجوك..أرجوك..إنه قادم..هل ستسمح له بأخذي معه أمام عينيك ؟!!!! أرجوك..أرجوك لم يعد لديّ أحد غيرك... !!! مع نهاية كلامي..كان قد وصل شهاب إلينا..و لم يتردّد أبدًا في أن يرفع يده ليمسك بذراعي بقوة مؤلمة و يفصل يدي عن يده قسرًا بينما أشرف صامت تمامًا ينظر لكلانا بنفسٍ نظراته الميتة.. _تحركي !!

هتف بها شهاب و هو يجذبني إليه بالقوة ليسحبني وراءه بينما عيناى مستمرتان على تواصلهما المُستमित بأشرف.. نفسه أشرف الذي أغمض عينيه بشدة عن ملامحي ليسقط بكل ثقله فوق درجة الرصيف باستسلام تام فهمت منه بأنها ليست إلّا طريقة ليخبرني بها أنه -تخلّى عني-.. تخلّى عن من كان يدعي أنها محور حياته !!!!

كانت لحظة بطيئة جدًّا استعاد فيها عقلي كل ذكرياتنا الجميلة..كل لحظات السعادة التي عشناها سويًا..كل كلماته التي بثني فيها حبه و غيرته و عشقه الجارف لي..أم أقول -الكاذب- لا -الجارف- !!!!

بعدها..استسلمتُ تمامًا ليدي شهاب و هو يدخلني للسيارة ليغلق الباب في وجهي بعنفٍ و
يستدير إلى مكانه إلى أن أعاد تشغيل السيارة منطلقًا بها بعيدًا عن...أحلام الماضي الجميلة...
عن ذكرياتي التي باتت رماذًا يحتل كل كياني الآن..عن كل تلك الابتسامات التي استحالت
دموعًا تسقط بثقل مريع فوق وجنتاي..عن كل أمل جميل عقدته على ذلك الذي كان سيصبح..زوجًا
لي حتى قبل ساعات !!!

#هادي

حسنًا..رغم أنني متأكد أن الكلمات لن تكفي لوصف كل مشاعري الآن..لكنني سأخبركم أنني
كنتُ أشعر بالرضا فحسب !!!
و أنا أستشعر أناملها التي كانت تستلقي بين أناملتي براحة بالغة بينما عيناها تنظران أمامها
بمزيج من الارتياح و الهدوء التام و التوتر -الذي ير افقها دائماً لكنه بدأ يندثر بمرور الوقت-..
توقفت السيارة بعد وقتٍ طويل أمام واجهة محل لبيع الهواتف كنت قد عزمت على اشتراء
هاتف لها منه رغم رفضها الضعيف..و اشتريته بالفعل..
لم أرغب في تكبد إرهاق مضاعف و النزول الآن قبل وصولنا إلى وجهتنا..فأمّرت السائق
بإحضاره بعد أن أطلّعته على نوعية الهاتف الذي أريده..
_لم يكن..عليك فعل ذلك !!
سمعتُ همستها الخافتة جدًا من جانبي فنظرت لها بحاجب مرتفع بينما أقول بملامة ؛
_ماذا قلنا ؟ !!!
لم تجادل أكثر..فقد اكتفت بأن أطرقت برأسها بصمتٍ..فشددت من ضغطي على أناملها
برفق و أنا أنتظر السائق..
إلى أن عاد و في يده الهاتف كما أردت..أخذته منه لأفتح العلبة الخاصة به و أنظر له
للحظاتٍ قبل أن أمدّه لها..فرفعت أنظارها إليّ بتردد..
بدت بريئة جدًا و هي تنظر إلى الهاتف..ثم تعود لترفع عينيها نحوي ناظرة لي كطفلة لا تعلم
كيفية الامساك به حتى..همست بنفس التردد ؛
_أنا..أنا لا أظن بأنني أجيد استعماله !
يومًا ما ستفقدني برائتها هذه صوابي !!!! لا ريب في هذا !!
مالت عيناها بحنان يخصّها فقط و أنا أهمس ؛

_ أَلَمْ تَحْصِلِي عَلَى هَاتِفٍ خَاصٍ بِكِ يَوْمًا ؟ !! _

حَرَكْتُ رَأْسَهَا بِالنْفِي يَهْدُو.. فَهَمَسْتُ مُجَدِّدًا وَ أَنَا أَفْتَحُ الْعَلَبَةَ الْخَاصَّةَ بِهِ وَ أَخْرَجَهُ لِأَبْدَافٍ فِي

تَشْغِيلِهِ ؛

_ اقْتَرِبِي لِأَعْلَمِكِ إِذَا .. _

تَرَدَّدَتْ قَلِيلًا .. لَكِنَّمَا فِي النِّهَايَةِ اقْتَرَبْتَ مِنِّي بِهَا لَتَهَا الْجَمِيلَةَ لِتُشَارِكَنِي النَّظَرَ لِلْهَاتِفِ بِاهْتِمَامٍ بِالْغ

يَتَخَلَّلُهُ بَعْضُ الْإِنْهَارِ الَّذِي جَعَلَنِي أَفْغَرَ شَفْتَايَ بِغَيْرِ تَصْدِيقٍ ..

بِالْكَادِ اسْتَطَعْتُ أَنْ أَتَجَاوَزَ جَمَالَهَا ذَاكَ بِدُونِ أَنْ أَرْفَعَ يَدِي لِأَلَامَسَ تِلْكَ الْخَصَلَاتِ الْمَتَسَاقِطَةِ

بِنَعُومَةٍ عَلَى جَانِبِ وَجْهِهَا ..

بَدَأْتُ فِي شَرْحِ كُلِّ شَيْءٍ لَهَا بِتَمَهُّلٍ .. وَ سُرْعَانِ مَا وَجَدْتُهَا تَنْسَجِمُ مَعِي تَمَامًا .. كَانَتْ تَسْأَلُنِي بَيْنَ

الْحِينَةِ وَ الْآخَرَى عَلَى شَيْءٍ مَا .. لِأَجِيبَهَا عَلَيْهِ بِرَحَابَةٍ كَبِيرَةٍ سَعِيدٍ بِانْطِلَاقِهَا الْجَدِيدِ ..

إِلَى أَنْ تَوَقَّفَتْ السَّيَّارَةَ أَخِيرًا .. فَنَظَرْتُ حَوْلِي بِابْتِسَامَةٍ رَائِقَةٍ جَدًّا لِوَاجِهَةِ ذَلِكَ الْمَطْعَمِ الَّذِي

قَرَرْتُ أَنْ نَتَنَاوَلَ طَعَامَ الْغَدَاءِ فِيهِ الْيَوْمَ ..

ثُمَّ سُرْعَانِ مَا كُنْتُ أُعِيدُ أَنْظَارِي إِلَيْهَا أَهْمُ بَوْضِعِ الْهَاتِفِ فِي يَدِهَا .. لَكِنَّمَا رَفَضَتْ التَّمَسُّكَ بِهِ وَ

هِيَ تَقُولُ ؛

_ أَنَا .. لَا أَظُنُّ أَنَّي سَأُرْتَاحُ بِحَمْلِهِ مَعِي .. دَعِهِ مَعَكَ أَنْتِ !! _

قَطَبْتُ حَاجِبَايَ قَلِيلًا مُحَدِّقًا بِهَا بِجَذَلٍ .. لَكِنِّي لَمْ أَرْغَبْ هَذِهِ الْمَرَّةَ فِي الْإِلْحَاحِ أَكْثَرَ .. فَتَنَاوَلْتُهُ

مِنْهَا مُرَدِّقًا بِحَزْمٍ ؛

_ حَسَنًا .. الْيَوْمَ فَقَطْ وَ سَتَأْخِذِينِي مَا إِنْ نَعُودُ لِلْمَنْزِلِ .. فَهُوَ لِكِ .. _

أَوْمَاتٌ لِي بِطَاعَةٍ .. فَوَضَعْتُهُ فِي جَيْبِ سِتْرَتِي الْجِيْنِزِ .. ثُمَّ عَدْتُ لِأَلْتَقِطَ يَدَهَا مَتَخَلِّلًا أَنَامِلَهَا

الرَّقِيقَةَ بِأَنَامِلِي هَامِسًا وَ أَنَا أَرَى عَيْنَيْهَا اللَّتَيْنِ تَعْلَقَتَا بِوَاجِهَةِ الْمَطْعَمِ بِرَهْبَةٍ ؛

_ أَلَمْ تَمْلِي مِنَ الرُّوتِينِ الْيَوْمِيِّ ؟ !! _

نَظَرْتُ لِي مُجْفَلَةً بِصِمْتٍ .. فَقُلْتُ مَبْتَسِمًا وَ أَنَا أَنْظُرُ لِلْوَاجِهَةِ مِثْلَهَا ؛

_ هَلْ تَنَاوَلْتِ الْأَكْلَ الصِّينِيَّ مِنْ قَبْلِ ؟ !!! _

_ لَا .. _

سَمِعْتُ صَوْتَهَا الْوَدِيعَ مِنْ وَرَائِي وَ لَا بَدَأَتْ أَنَّهَا أَوْمَاتٌ أَيْضًا لَكِنَّمَا اضْطُرَّتْ لِلتَّكَلُّمِ حِينَمَا لَمْ

أَلْتَفَتَ نَحْوَهَا .. هَمَسَتْ يَهْدُو وَ أَنَا أُسْتَبْدِلُ وَاجِهَةَ الْمَطْعَمِ بِوَجْهِهَا الْبَيْهِ ؛

_ سَأَجْعَلُكَ تَتَنَاوَلِيْنِي الْيَوْمَ إِذَا ! _

قلتُ آخر كلمة و أنا أشير للسائق بعيناي بأن ينزل لمساعدتي..و ما إن استقرينا في طاولتنا التي كانت منعزلة تمامًا عن الجميع في هذا المطعم..حتى قلت و أنا أرى عينها المتسعيتين برهبة و هي تتأمل كل المكان بانبهار كبير جعلني أشفق عليها..

_كنت أعلم أنك تحبين الأزهار كثيرًا !!

كان المكان يشبه غرفة مليئة بالأزهار مختلفة الألوان و التي أحاطت بنا من كل مكان على شكل مربع تتوسطه طاولتنا الدافئة..

توقفت عن تحديقها البريء و هي تنظر إليّ كمن استوعب نفسه للتو..و كان دوري أنا لتأملها منبهراً و أنا أرى شبح الابتسامة الذي لاح فوق شفيتها بدون أن تستطيع كبحه..

قبل أن تهمس بخفوتٍ ؛

_شكراً لك !!

أومأتُ لها ببطءٍ و أنا أسمح لابتسامة صغيرة تشبه ابتسامتها بالظهور على ملامحي..قبل أن أرفع رأسي لأنظر للنادل الذي تقدم بكل رقيّ ليرتب الأطباق التي طلبتها مسبقاً أمامنا و يذهب.. فعدتُ لأنظر لها متسلياً برؤية تعاقب ملامحها الناعمة بينما تنظر للأكل..يبدو أنها لن تتوقف عن الإنهيار اليوم..حتى أنها لم تغلق شفيتها منذ أن دخلنا للمطعم.. اليوم كانت ترتدي لوناً مختلفاً..قميص أخضر باهت تحت سترة بيضاء بأزرار مزركشة لطيفة الشكل..أحد إطلاقاتها البسيطة بقدر تميزها الذي يجعلها لا تشبه أيّ من الفتيات اللواتي صادفتهن في حياتي بدون أن يستحوذني أيّ فضول للتعرف عليهن..

فأنا مستحوذ فعلاً منذ زمن طويل لصاحبة خدود الورد..شهد العسل الجميلة !!

_هل ستبقين على تأملك أم نمر للمرحلة الثانية التي تسمى بالتذوق !!!!

قلتُ فجأة..فرفعت رأسها مجفلة و ملامحها تمتنع قليلاً ببعض الاحراج..قبل أن تمد يديها لتبدأ في الأكل بالفعل أمام عيناى المرأقتين لها..

كنتُ أحاول أن أستشف أيّ ردة فعل من ملامحها..و لم أبدأ في الأكل إلّا بعد أن لمحت ردة الفعل التي أردت..و التي أكدت لي بأن ما اخترته نال إعجابها بالفعل..

كانت عبارة عن ارتفاعة ضئيلة تشكلت بين حاجبيها لتؤكد لي بأنها أحبت الأكل..و بأنها مجدداً..تشعر بالدهشة و الإنهيار من طعمه غير المألوف..اللذيذ..

حينها فقط..كنتُ أتهد بارتياح تام لأشعر في الأكل أنا الآخر..و ساد بعض الصمت المرفق باللطف..إلى أن قطعتة شهد بشهقة ذعر مفاجأة..

نظرتُ لها بسرعة و أنا أقول عاقداً حاجبائي بقلق ؛

ماذا هناك ؟!!!

فقلت بعينين متسعيتين و بقلق شديد مبالغ به ؛

موعد دوائك !!!

يا الله..ألم أخبركم بأن براءتها هذه ستقتلني في يوم ما !!

عقدتُ حاجبائي أكثر و أنا أنظر لها في الوهلة الأولى متفاجئاً..إلا أنني لم ألبث أن قلت بهدوء

جاد ؛

_لا بأس..سأتناوله ما إن نعود..

لكن أملك تقول.....

لم أسمح لها بالاعتراض..فقد قلت أقاطعها بجدية ؛

أين أمي ؟!!! هل تريتها في أي مكان ؟!!!

ثم تهدتُ مضيقاً ببعض الإرهاق و الضيق و كأنني ألومها ؛

_أنا بصعوبة أحاول الخروج من دائرة هذا السجن الذي تُحكّمه أمي من حولنا بأوامرها و

قوانينها و أنت لا تنفكين تعيديننا لنفس السيرة !!!

شعرتُ بأن نبرة صوتي قد أجفلتها نوعاً ما..خاصة و أنا أراها تطرق برأسها هامسة بخفوت ؛

أسفة..لم أقصد !!

نغزة ألم قوية اجتاحت قلبي و أنا أسمع اعتذارها الذي وجدته نقياً كطهارة صاحبته..و إن

أخطأت في اختيار طريقها فهي تظل طاهرة و نقية الروح لأبعد حد..

فردتُ يدي باتجاهها كدعوة صريحة مني لها لتضع يدها فوق يدي..فرفعت عينيها بتردد

لتنظر لحركتي تلك..ثم للامحي التي عادت لهدوءها..

فأشرتُ لها بذقني أن تضع يدها فوق يدي..و -كما توقعت-..هي لم تخذلني في امتثالها لكل

أوامري و طلباتي..

رفعت يدها بتردد إلى أن وضعتها فوق يدي..فتخللت أناملها برفق و أنا أستشعر ارتعاشتها

الخفية عبر أناملها..قبل أن أهمس بجدية ناظراً لعينيها اللتين راحتا ضحية تأمل أصابعنا المتشابكة ؛

و هذا درس آخر..أن لا تعتذري إلا حينما تكونين مخطئة بالفعل !!

بصعوبة تمكنت من أن تبعد عينيها عن أيدينا لتنظر لي بعدم فهم..قبل أن تقول ببعض

الحزن ؛

_ألم أخطأ ؟!!!

أومأتُ لها بالنفي و أنا أقول بنفسي الجدية و الهدوء ؛

_لا..لم تخطئي !!

تجراتُ لثمسي لي مجددًا ببعض الشقاوة التي لمحتها وسط نبرتها الخفيضة الوديعة ؛

_هل أسحب اعتذاري إذا ؟!!!

رفعتُ حاجباي باستغراب من سؤالها هذا..قبل أن أهز رأسي لأقول مبتسمًا بتهيدة ؛

_يبدو أنكِ سحبتَه مسبقًا !!

اتسعت عينها قليلاً و انفرجت شفاتها و هي تهم بنفي ما قلته..لكنني قاطعتها بسرعة غير

قادر على منع ضحكة هادئة من التسلل إلى ملامحي ؛

_أمزح..أمزح..أنتِ لا تعيديها مجددًا فحسب !!

ابتسامة مرتجفة شقت شفتيها ببطءٍ..لكنها لم تتكلم رغم ذلك..فتهدتُ تهيدة مُحملة

بملامحها البهية و أنا أضيف مداعبًا بخفوتٍ ؛

_أما الآن...فاعتذاركِ مقبول تمامًا !

#الكاتبة

_أنا و سجي تكلمنا كثيرًا خلال هذين اليومين و قرّرنا أن نقرب موعد الزفاف أكثر..

قالها شهاب بهدوء و هو يقف أمام والده و والدته في بهو المنزل..بينما سجي تقف بجانبه تبدو

كالأموات تمامًا بلامحها التي تماثل بياض الثلج في شحوبها..

كانت حالتها مزرية..واضحة جدًا لكل من يراها..فقد كانت تقف متهدلة الكتفين..بنظراتٍ

بعيدة مهزوزة..مستسلمة تمامًا و كأنها لا تعي حقًا ما يدور حولها..

شفاتها زرقاوتان تماثلان ملامحها في الشحوب..و شعرها منسدل بإهمال لم تكن تتصف به

يومًا..تبدو هزيلة لحد بدا مخيفًا لعيني عفاف التي اقتربت منها ناظرة لها بعينين قلقيتين متوجسّتين

لعدة لحظاتٍ..

قالت و هي تلمس ذقنها لتجعلها تنظر لها ؛

_هل أنتِ بخير ؟!!!

لم تستطع سحى أن تجيئها..لم تنظر لها حتى..كانت فقط..متباعدة بروحها و عينيها و كل
تعايرها.. فتركها عفاف للحظة لتتنظر لشهاب بحاجب مرتفع يطلب تفسيراً..
لكن هذا الأخير لم يمنحها التفسير فوراً..فقد نقل عينيه بينها و بين سحى لوهلة..قبل أن يرفع
ذراعه ليحاوط كتفي سحى ليقربها منه قليلاً متجاهلاً الرعشة التي سرت بكل جسدها خوفاً من لمستته
و التي -لمحتها- عينا عفاف..

ثم قال من بين أسنانه مدعيًا المرح و أنامله تقبض على كتفها ببعض القوة التي ظنها مؤلمة
كعقاب لها على صمتها..لكنها لم تشعرها بأي ألم للعجب..
فقط شعورها بالاشمئزاز و الخوف من كان يسيطر عليها و صور من تلك اللحظات المقززة
تمر في عقلها بقوة مدمرة لتذكرها بحقيقة الو اقف بجانبها و وضعها المزري هنا..
و هل هذا سؤال حتى ؟!!! ألم أخبركما أننا تكلمنا كثيراً..إنها مرهقة بشدة لأنها لم تنم جيداً
طيلة الليلة الماضية..كما أن الطريق من منزلي إلى هنا بعيد جداً و يستغرق وقتاً و جهداً..
نظر لوجهها ليقول بنبرة بطيئة ذات مغزى ؛

_أليس كذلك...سحى ؟!!!

ابتلعت سحى ريقها بصُعوبة بالغة أمام أنظار عفاف التي ازدادت توجساً و ارتياباً من هذا
الوضع الغريب..و شعرت بأن عينيه ترتكبان نفس الجريمة في حقها للمرة الثانية..فهزت رأسها
بارتجاف و هي تهمس بنبرة بالكاد وصلت إلى مسامع خالتها ؛
_مع حق..أنا...فقط...متعبة جداً..سأصعد لأنام قليلاً !!
قالت آخر كلمة..قبل أن تتلمص منه بسرعة لتلتفت متجهة إلى السلالم بدون أن تضيف
كلمة أخرى و تصعدهم بخفة رغم أنفاسها التي كانت تشعر و كأنما ستتوقف عن الشعور بها بعد
لحظة واحدة..

راقبتها عفاف طيلة رحلة صعودها بطرف عينيها..قبل أن تعقد ذراعها لتقول بجمود موجهة
الكلام مباشرة لشهاب ؛

_ماذا فعلت لها ؟!!!

هتف شهاب مدعيًا الإستنكار ؛

_ماذا فعلتُ لها ؟!!!! و ماذا عساي قد أفعل لسحى يا أمي ؟!!! ألا تثقين بابنكِ أبداً ؟!!!

لم تتأثر عفاف بنبرته..قالت و هي تزم شفيتها بصلاية ؛

_شهاب !! تعلم أنني لا أتهاون أبداً فيما يخصّ سحى...لذا تكلم !!!

نظرت إلى السلاالم حيث صعدت سحى قبل لحظاتٍ و هي تكمل بغير تصديق ؛
_الفتاة تبدو كالشيخ الهزيل بالفعل..بعد أن تركتها بكامل نضارتها و إشرقتها قبل يومين..ثم
كيف غيرت رأيها بهذه السرعة ؟!! و هي من كانت لا تطيق النظر لوجهك حتى !!!
حاول شهاب أن يقول شيئاً يدافع به عن نفسه..لكن عفاف نظرت له بحدة و هي تعيد
سؤالها بتشديد على كل كلمة ؛
_ماذا فعلت لها ؟!!!!

" ١٦ : شهقة "

#الكاتبة

_ماذا فعلت لها ؟!!!!!!

زفر شهاب بيأسٍ و هو يستند إلى خصره بيديه ناظرًا للأرض للحظاتٍ..قبل أن يرفع رأسه
مجددًا ليقول بينما ينقل أنظاره بينهما ؛

_هل تظنون حقًا أنني قد أؤدي سجي ؟!!!! هل فقدتم ثقتكم إلى هذا الحد ؟!!!! تبًا من تظنونني
!!!! سجي تكون ابنة خالتي !!

لقد كانت تلك نفس الجملة التي ألقتها على مسامعه بأمل ضعيف قبل أن ينزل عقابه بها..و
الآن ها هو ذا يلقيها على مسامع أبويه و اثق بأن مفعولها لا يمكنه أن يخطئ..
لكنه أخطأ نوعًا ما اليوم..فقد سمع أمه تعقب فورًا بجدية ؛
_و نرmin كنت تقول عنها أنها بمثابة أختك الصغيرة !!

قالتها دون أن يرف لها جفن..بملامح تشمل تحذيرًا خفيًا و نبرة ساخطة بعض الشي رغم
جمودها.. فتغصنت ملامح شهاب بغضب حقيقي الآن مع ذكر الموضوع المشؤوم و هو يهتف بانفعال
؛

_مجددًا !!! ألم نكن قد أغلقنا هذا الملف المشؤوم منذ زمن ؟!!!! تبًا لقد كانت مجرد غلطة غير
محسوبة جعلتموني أندم عليها أشد الندم و أنتما لا تنفكان تلمحان لها كلما أردتما توبيخي !!!
رفع أصبعه في وجهيهما و هو يقول بنفس الانفعال ؛
_مع العلم أنني لم أخطأ يومًا..لا قبلها و لا بعدها..حتى ذلك اليوم أنا لم أكن مخطئًا
تمامًا..كانت هي من أتت إليّ بنفسها..لكنكما تتعمدان تذكيري بالموضوع بين كل فترة و فترة لا لشيء إلا
لتحبطا موفقني و كأنني لست ابنكما بالفعل..أنتما تستنزفانني عن قصد !!!!
زفرت عفاف بغير رضا و هي تنظر جانبًا..بينما قال أكرم بصرامة و هو ينظر له ؛
_الإستنزاف هو الذي سأجعلك تعيشه بالفعل لو كنت قد أقدمت على خطأ جديد يهدد
سمعة العائلة !!!

توترت ملامح شهاب قليلًا و هو يزفر مدعيًا الانزعاج أمام هذا التحقيق الشائك..إلا أن أكرم
لم يطل في الموضوع أكثر..فقد قال بجفاء و جدية و هو يتجاوز به باتجاه الباب ؛

_غير ثيابك و الحق بي بعد أن تستريح قليلاً..العمل لن ينتظرك أكثر !!!
ثم خرج ليبقى فقط شهاب و عفاف..تلك التي لم تتغير ملامحها كثيرًا..كانت لا تزال تنظر له
بجمود خلفه نظرات سخط و رجاء خفي بأن لا يكون قد خذلها هذه المرة أيضًا..
فهتف شهاب و هو يحرك يديه بأسى ؛
_أنا لم أفعل لها شيئاً يا أمي..صدقيني !!!!

#شهد

أستطيع أن أقول أن هذه الأمسية ,لا..بل هذا اليوم...كان أفضل يوم عشته في حياتي
القصيرة بأكملها !!
كنتُ أشعر و كأني أطيّر..أنا أطيّر حرفياً..
عيناه..كانتا و كأنما كانتا تمنحاني في كل نظرة جديدة تمر بيننا ألف اعتراف و اعتراف
بالعشق..كانت رسائلهما واضحة بشكلٍ أشد من سماعها بصوته..
أنامله تحتوي أناملي برفق بالغ..و قوة بالغة !!!
يرمقني بين كل لحظة و أخرى بنظرة أبلغ من كل كلام ليعود و ينظر إلى حركة الشارع دون أن
يترك يدي و كأنه يخشى بالفعل أن يلتفت فجأة فيجديني قد اختفيت !
تجولنا تقريباً بالسيارة في كل مكان..و إلى أماكنه المفضلة التي تعرفت عليها اليوم فقط..كنا
نتوقف بين الحينة و الأخرى في مكان معين لبدأ هو في وصفه لي بابتسامة رائعة هادئة لم تنقص من
رجولته الطاغية شيئاً..
_و هذا أفضل مكان بالنسبة لي..
كان يقصد بكلامه هذا " ساحة التزلج " التي توقفنا أمامها..فنظرت إلى جانب وجهه ببعض
الفضول و أنا أنتظره أن يكمل..و أكمل بالفعل و هو يترك مكانه المفضل لينظر لي أنا ؛
_عدا حيي الكبير للتصوير الفوتوغرافي أنا أيضاً عشقت دائماً رياضة التزلج..أظن أن هذه هي
المعلومة الوحيدة التي لم تكوني تعرفينها عني !
صمت للحظة لمحت فيها شرود عينيه و تلك الابتسامة الشاردة أيضاً التي خطت شفاهه و
هو يستأنف ؛
_يوماً ما سنأتي إلى هنا سوياً..حينها لن نكتفي بالتأمل فقط..بل سننزل سوياً..يداً في يد
لنتوجه إلى -مكاننا- خطوة خطوة..هذا وعد !!

شعرتُ بالدموع تتدافع في عيناى حينما عادت عيناه لتتطلعا بي..كان صادقاً في وعده..و
ربما هو قد تناسى لوهلة السبب الحقيقي لتواجدنا معاً..

شعرتُ بأننى عاجزة عن كبح دموعي أكثر فأطرقت برأسي و أنا أشعر بأن هذا الوعد لن
يتحقق حتماً..فعافيته مقترنة بغيابي !

لكنه شعر بألمى على ما يبدو فارتفعت يده لتلمس ذقني برقة بالغة محفزاً إياي على مقابلة
عينيه مجدداً..و حينها همس لي بخفوتٍ بطيء و ملح ؛
_ هذا وعد !!! ألا تصدقين وعودي ؟!!!!

كان يتكلم بجدية شديدة..و لم أستطع إلا أن أهز رأسي ببطءٍ مشكلة ايماءة بالموافقة على
كل ما قاله..فشعرت بيده تتركُ ذقني لترتفع قليلاً و تمر فوق تلك الدموع تنسفها برقة كادت أن تجلب
لي دموعاً أخرى..

لكنني بدلاً عن ذلك..سحبتُ نفساً عميقاً و أنا أتدبر ابتسامة واهنة شبه ملحوظة..كانت
يدي ترتعش في رغبة واضحة لأن تمسك بيده المتجولة على وجهي..
و رغم أنني حاولت تكبيل رغبتيها الوقحة تلك..إلا أنني عجزت تماماً..فلم أشعر بنفسى إلا و أنا
أرفعها فجأة لأتمسك بها..بأنامله الخشنة..الدافئة...لأول مرة !!!
_ ألا تريدين أن تقولي لي أي شيء بهذه المناسبة ؟!!

نظرتُ له بغباء و أنا أفغر شفتي قليلاً بعدم فهم..فهمس و هو يرفع حاجباً واحداً
بتعقيب..بعد أن رمق تشابك أناملي مع خاصته بنظرة خاطفة ؛
_ شيء مميز لم تقولي من قبل !!

هل يحاول أن يلمح لشيء ما ؟! لأنني صدقاً لم أفهم شيئاً !!
شعرتُ بذلك الغباء يكتنف عقلي أكثر إزاء الترقب الذي يملأ نظراته و كأنه ينتظرني أن أقول
شيئاً مميزاً بالفعل..و أنا فعلت..همست بعد لحظاتٍ بتردد ؛
_ نعم..سأقول شيئاً !

لكنني عدتُ لأرمش بعيناى توجساً و أنا أرى تلك الالهة التي امتلأت بها عيناه فجأة و هو
ينتظر سماع ما سأقول..لكنها اختفت تماماً و ما حل محلها كان شعوراً استطعت قراءته بسهولة
من...إحباط و يأس..

ما إن همستُ بتوتر الشيء الوحيد الذي خطر ببالي في هذه اللحظة ؛
_ شكراً لك..أنا...أشكرك على هذا اليوم المميز..لن أنساه في حياتي !

و صمتُ بعدها و أنا أشعر بالخجل بلا سبب..خاصة و قد ظهرت بعض الدهشة في عينيه
بالإضافة إلى مشاعره السابقة التي لم أستطع أن أستشف أسبابها الحقيقية آنذاك..
ثم و في لمحة خاطفة تفرقت شفاهه و كأنه سيقول شيئاً ما..لكنه عاد و أطبق فمه قبل أن
يفعل متنهداً باستسلام..

بقيتُ أنتظره أن يتحدث بعدها..إلا أنه فقط..تراجع في مقعده إلى أن أصبح يريح رأسه على
طرف المقعد بدون أن يضيف أي كلمة..إلا من أمر واحد مختصر وجهه للسائق بنبرة صارمة قليلاً ؛
_لنعد..

#هادي

حسنًا..لا يمكنني أن أنعتها بالغيبة !
إنها شهيد..ما الذي كنت أتوقع أن أسمعه منها باستثناء الإجابة عن سؤالي الأحمق بإجابة أشد
حمقاً بحق الله !!
_خذي !

قلتُ و أنا أمد الهاتف لها بعد عودتنا فوراً من الخارج..فنظرت لي بحيرة للحظات.. قبل أن
ترتفع يدها بتردد لتأخذه مني و تجلس فوق أحد المقاعد التي تتوسط هذا الهو الكبير..
بقيتُ أراقبها بصمتٍ و أنا أرى الحيرة تكتسح عينيها الناظرتين للهاتف في يدها..و ساد صمت
قصير ظلت فيه فقط تحديق بشاشته السوداء بتفكير..
قبل أن ترفع رأسها نحوي فجأة لتهمس بما جعلني مدهوشاً ؛
_هل..هل دونت فيه رقم هاتفك ؟!!!

ابتسمتُ بهدوء و أنا أهز رأسي بالنفي..فمالت عينها قليلاً ببعض الحزن..و ترددت كثيراً قبل
أن تهمس مجدداً برجاء بريء ؛
_لكنني..أريده...هل تعطيه لي ؟!!!

لم تتغير ملامحي إلا من ابتسامتي التي اكتسبت حناناً يخصها هي فقط..لكنني رغم ذلك قلت
متظاهراً بالغباء ؛

_ماذا سأعطيك ؟!! هل تقصدين رقم هاتفي ؟!!!

أومأت لي بذات ترددها..فقلت مجدداً ؛

_و ماذا ستفعلين به ؟!!! لا أظن أنك تحتاجين إلى رقم هاتفي فأنت تعيشين معي في الأساس !

أطرقت برأسها و قد أصبحت ملامحها الآن عبارة عن مستعمرٍ للحزن و المرارة.. لكن ما لم أتوقعه بالفعل..هو جملتها التالية التي همستها بشرود كبير ؛

_تتكلم و كأنني سأبقى هنا دائماً !

" ليتك..ليتك تبقين هنا دائماً ! "

كتمتُ هذا الخاطر و أنا أزفر بإرهاق شديد و كأن جملتها غير المقصودة تلك قد أعادتني إلى نقطة الصفر..

ثم همستُ متخلياً..لهذه اللحظة فقط..عن إلحاحي المُستفز في استفسارها عن كل شيء ؛
_حسنًا..أعطني الهاتف و سأدونه لك..

جملتي تلك..هي من أخرجتها من شرودها القصير..فنظرت لي بسرعة قبل أن تضع الهاتف في يدي بغير تردد..كنتُ أشعر بنظراتها عليّ و أنا أدون الرقم بعد أن منحتها نظرة خاطفة أخرى..
إلى أن رفعت رأسي نحوها مجددًا مردفًا بينما أعيد الهاتف لها ؛
_تفضلي..

لكنها لم تأخذه..بل استمرت تنظر لي بطريقة غريبة و كأنها تريد أن تقول شيئًا آخر..و من حبيبات الخجل التي سرت فوق وجنتيها علمت أن هذا الشيء يخصني أيضًا..
لكنني التزمتُ الصمت تاركًا لها مساحة التحدث متى شاءت..إلى أن همست بنبرة خرقاء
شديدة التوتر ؛

_و.....صورتك أيضًا !

رغم أنني كنتُ قد توقعت طلبًا كهذا قبل أن تتكلم حتى..إلا أنني تعمدت أن أرسم فوق ملامحي كل مشاعر التفاجئ و أنا أقول عاقداً حاجبائي باستنكار ؛
_صورتي !! ما الذي ستفعلينه بصورتي ؟!!!

ارتبكت بشكل مثير للشفقة..قبل أن ترفع رأسها لعيناي و تهمس بقوة لم أعرف متى اكتسبتها ؛

_أنت أيضًا لديك صوري..كما أنك...تضع صورتي كخلفية لهاتفك !!

فغرتُ في مذهولًا حقًا رغم بريق السعادة الذي ظهر في عيني و أنا أرى انطلاقها الغريب لأول مرة في الحديث معي بهذا الشكل..ثم قلتُ بحذر ؛

_متى رأيت خلفية هاتفي ؟!! هذا يدعوني لسؤالك..هل تتفقدين هاتفي بين الحينة و الأخرى

جلسة عني ؟!!!

الآن كان دورها هي لتتنظر لي بدهشة..ثم هزت رأسها بالنفي بسرعة و قالت مدافعة بتوتر ؛

_لا..لقد رأيته يوم اتصلت بأمك.....هذا...فقط !

حركتُ رأسي بإدراكٍ رغم أنني كنت أعرف الجواب مسبقًا و قبل أن أسألها حتى.. أساسًا

أستطيع تخمين كل إجاباتها المألوفة إلي قبل أن تتحدث..

لكن مهلاً..هل اهتمتني بأني أضع صورتها كخلفية لهاتفي ؟!

لم أشعر بنفسي و أنا أسألها بحذر و توجس ؛

_هل تريد أن تجعلها خلفية لهاتفك أيضًا ؟!

نظرت لي بعدم فهم..فأكملتُ ببطء ؛

_صوتي !

ملاحمها بعد توضيحي أيقظت رغبتي في الضحك..لكنني كتمتُ هذه الرغبة بصعوبة و أنا

أكتفي بمجرد ابتسامة شبه ملحوظة..قبل أن أتفاجئ بيدها تمتد إليّ مطالبة بالهاتف..تزامنًا مع

صوتها الجميل الرقيق الذي ارتفع بنبرة تشبه نبرة طفلة صغيرة تم حرمانها ممّا تحب ؛

_حسنًا..إذا كان الأمر يزعجك فلا ترسلها لي..

تمسكتُ بالهاتف بقوة بين كفي غير سامح لها بأخذه رغم أنها لم تلمسه فعليًا..فقد اكتفت

بفرد أناملها و كأنها تطلب مني أن أعيده لها..

ثم و بدلًا عن تعريضها للإجراج أكثر..كنت أنا من أتهند باستسلام..قبل أن أرفع هاتفي لأدخل

مباشرة إلى خانة الصور و أبدأ في إرسال بعض الصور إلى هاتفها..

كانت صورًا قديمة قليلًا بالطبع..قبل الحادث..حينما كنت أهتم بشكلي بعناية جدًّا..لدرجة

أن و لا صورة منهم كنت أبدو فيها غير مرتبًا..

بذقني الذي كان خفيفًا جدًّا و كأنه غير موجود..و شعري الداكن الذي ازداد طوله الآن قليلًا

فقط..فهو قد كان طويلًا في الأساس..

و كنتُ دائمًا أعتمد رفعه إلى وراء أو ترتيبه إلى الجانب رغم نعومته التي دائمًا ما

استفزتني..ربما هذا ما كان يجعله يبدو مرتبًا على الدوام..حتى دون أن أمرّ المشط عليه..كنت أكتفي

فقط بتمرير أصابعي بين خصلاته لأبدو بمظهري المثالي..

كفرد لا يعتز بانتماءه لعائلة "الشاذلي" العظيمة !

ردة فعلها بعد أن أخذت الهاتف مني و نظرت إلى صوري..جعلتني أطرف بعيناي كالأبله..فقد

كانت نظرات ذات معاني واضحة جدًّا..

كانت تنقل عينها بتركيز فوق كل صورة..عاقدة حاجبها و كأنها تتعامل مع موضوع حساس جداً..

كانت نظراتها بكل بساطة نظرات.....عاشقة فقدت السيطرة على عشقها فتسرب من عينها
أنهارًا ليروي عطش هذا الرجل المسكين الجالس أمامها يراقبها بإخلاص !!!
و الحمد لله أنها لم تفقد السيطرة بالفعل..و إلا ما كانت استطاعت أن تنظر لي أخيرًا لتهمس
بنبرتها الوديعه الهادئة ؛
_شكرًا..

أومأت بغير تركيز و أنا أدقق النظر بذلك البريق الفطري الذي يحتل عينها الجميلتين..و قد
زاد لمعانها في هذه اللحظة..كنت أريد لهذه اللحظة أن تطول أكثر..أردت أن أتأملها أكثر..
لكنها قاطعت نشوتي حينما همست مجددًا و هي تنظر إلى النافذة حيث كان الظلام الشاحب
منتشرًا خلفها قريب غروب الشمس ؛
_سأذهب لأجهز شيئًا للعشاء !

لم أفهم لما لمحتُ حزنًا خفيًا يتسلل إلى صوتها فجأة..لقد كانت سعيدة للتو !! أم أن صوري
القديمة أعادت لها ذكريات غير جميلة من ماضينا !!!
وجدتُ نفسي أومأ لها بغير تركيز..قبل أن ألتفت مع وقوفها لأراقب ظهرها المنصرف باتجاه
المطبخ..إلى أن اختفت وراءه تمامًا و حينها فقط زفرت و أنا أرفع هاتفي لأنظر لصورتها التي تحتل
خلفيته كما قالت..

و لم يخطر في بالي أبدًا أنها أيضًا قد تكون في هذه اللحظة بالذات تتأمل صوري بداخل
المطبخ !!

بنفس الحنين..بنفس الالهفة..بنفس العتاب الخفي و الشوق الجارف..بل العشق الجارف..
ذلك العشق الذي أصبحت عادتي قراءته من عينها دون أن أشعر بالحاجة فعلاً لسماعه
بصوتها !!!

#الكاتبة

الخدلان...طعنة في القلب..رصاصة نافذة تخترق الروح لترديها صريعة موتٍ فجائي غير
مُمهّد..الخدلان هو مرادف لكل نوع من الألم...بل كل أنواع الألم هي أهون من ألم الخدلان !
كان ذلك المشهد هو الوحيد ما يتكرّر في ذهنها بعد مشهد اغتيالها الدامي..

منذ أن دخلت إلى هذه الغرفة التي لم تعد تمثل لها مصدر أمان و هي عاجزة عن كل شيء
سوى...البكاء !

لم تكن قادرة لا على النوم و لا على الجلوس و لا على أي شيء آخر..هي فقط... أغلقت الباب
خلفها بالمفتاح قبل أن تسقط مستندة إليه فوق الأرض الباردة..لا تناشد سوى الاستسلام المريع..
ما أقساه..و ما أقبحه شعور الخذلان حينما يأتينا من أقرب الأشخاص إلينا..من شخص
توقعنا منه كل شيء إلا أن يدير وجهه عنا في أكثر لحظاتها احتياجًا و ضعفًا !!
لم تعلم إلى متى ظلت جالسة مكانها تبكي بألم و هي تدرك أن لا أحد سيسمعها.. الجميع تولى
عنها..هي عادت وحيدة..وحيدة جدًا..

تمامًا كذلك اليوم الذي استيقظت فيه على فاجعة فقدان والديها إثر سقوط طائرتيها التي
كانت عائدة من بلاد أخرى..فجلست منكشمة على نفسها في ركن وحيد..تضم نفسها بأياد هزيلة و
فؤاد محطم..ترقب اللا شيء بعينين مندنتين بالحزن و العبرات..
لكن حتى في ذلك اليوم هي وجدت حضنًا..

كان حضن خالتها التي أحاطتها بدفئها لتخبرها بلا كلمات أنها لن تتخلى عنها.. ليتبدد كل ألمها و
تستكين دموعها البريئة بهمساتها الحانية..

أما الآن فلا شيء..لا شيء قد يوقف سيل دموعها بعد..حتى لو احتضنها العالم أجمع فلن
يغير شيئًا من حقيقة ما تعانيه...و ما عانتة !

دقائق أخرى طويلة أمضتها في البكاء..قبل أن يبدأ صوت بكاءها في التلاشي تدريجيًا ليتلاشى
معه كل تعبير لها مخلفًا لا شيء..سوى الكثير من الشحوب و الاستسلام..و نظرات فارغة..فاقدة
لماهية الحياة تمنحها للجدار المقابل لها..

كان رأسها يضح بالأصوات الوهمية..بينما ذلك الجدار الميت أمامها..بدا لها كشاشة عرض
تعرض لها..كل لحظات انتهاكها و ألمها..

بينما عيناها مستسلمتان تمامًا..فارغتان و كأن صاحبتيهما قد و افتهما المنية قبل ساعاتٍ
بالفعل..و تلك جثتها الهزيلة تم إلقاءها بإهمال هناك لكن ليس إلا بعد الانتهاء من تشويه جميع
دواخلها..و قتل جميع فرصها المُنعدة في العودة للحياة بعد..

لكن صوتًا واحدًا هتف باسمها الذي كادت أن تنسى الطريقة الصحيحة لتهجئة
حروفه..جعل ملامحها تستعيد بعض الحياة..كما جعل شفيتها الشاحبتين ككل شيء بها تنفرجان
على شهقة مرتجفة غادرت بصوتٍ ضعيف..

بينما عاد الصوت ليهتف بنبرة منخفضة لكنها تحمل كل أنواع الجزع و القلق ؛

_سجى..سجى افتحي الباب..أنا أعلم أنك لست نائمة..افتحي !!!

كان صوت لؤي بالطبع..ذلك الصوت الذي تشعر بأنها لم تسمعه منذ وقتٍ طويل.. رغم أنها

تحدثت معه آخر مرة قبل ما يقارب الثلاثة أيام فقط..

كان يهتف بجزع..نبرته تبدو لشخصٍ يعلم مسبقًا بما ألم بها قبل حتى أن يراها و يطمئن

عليها..لكنها لم تتحرك رغم ذلك..لم تقوى على التحرك..حتى صوته لم ينجح في انتزاعها من نوبة الموت

التي ابتلعتها بعد ساعاتٍ من الانفعالات التي أنهكت روحها أكثر..

من بين كل الصّمت الذي غزا ملامحها..سقطت دمعة..دمعة وحيدة بدت و كأنها الأخيرة

اليوم..انسابت ببطءٍ شديد و حارق فوق وجنتها لتلامس ذقنها و تسقط فوق الأرض كما سقطت كل

طموحاتها و أحلامها...و قلبها حتى !!

_أرجوكِ افتحي يا سجى..أنا أكاد أجن بالفعل..انظري لقد قمت بإلغاء كل عملي

لأجلكِ..افتحي..أتوسل إليك أن تفتحي..أعدكِ أنني لن أماطل في الكلام..فقط لأطمئن.. لأطمئن عليكِ

و أخرج..رجاءً..رجاءً...!!!!

ظل و اقفًا مكانه لدقائق طالت..يحاول استعطافها بكل طريقة مُمكنة لعلها تفتح..حتى ظنت

بالفعل بأنه سيمضي كل الليلة أمام غرفتها..

و لوهلة صغيرة..كادت أن تتحامل على نفسها لتقف و تفتح الباب..لكن صوته اختفى

فجأة..بل كل أثر على أنه كان موجودًا قد اختفى..

و امتلأ المكان بصمتٍ خانق جعل حاجبها ينعقدان بشكل غير مرئي..بينما ارتفع رأسها قليلًا

مفارقة الجدار الذي كانت تستند عليه أخيرًا و كأنها تتساءل عن رحيله بدون أن تجد القدرة على

الوقوف للتأكد بنفسها..

لكنها تأكدت بأنه لم يرحل حينما سمعت صوت المفتاح الذي أخذ يدور في قفل الباب..و في

لحظة واحدة خاطفة..كان الباب يندفع ببطءٍ شديد و كأن من فتحه يعلم بالفعل بأنها تجلس وراءه

شبه مستندة عليه..و قد كان لؤي بالفعل..

لم تتحرك سجى من مكانها حتى و هي تراه يتقدم بداخل الغرفة ببطءٍ مدققًا النظر في كل

مكان بحثًا عنها..بل تراجعت أكثر إلى أن أحاطت ركبتها بذراعيها تدفن وجهها بينهما و هي ترغب في

الهروب من كل الأصوات..

إلى أن أخفض أبصاره فجأة لتقع عليها مباشرة..و حينها فقط كانت عيناه تتسعان بشدة..ثم
اقترب بسرعة لينزل إلى مستواها هامسًا بذعر شديد ؛

_سجى !!

لم تستجب سجى..فهتف فورًا بقلق و هو يمد يديه إليها في محاولة نبيلة لجعلها ترفع رأسها ؛
_هل أنت بخير ؟!!!!

لكنها فاجئته بامتناعها العنيف الغريب..لدرجة أنها دفعته بيديها لتعود و تحيط بهما نفسها
بقوة رافضة تمامًا أن تخرج من هذه القوقعة العنيفة التي تسجن بها نفسها..
و التي جعلت من جبينه يتجدد بمشاعر سيئة و قد بدأ يستوعب شيئًا فشيئًا شكلها الغريب
جدًا..

ظل ينظر لها للحظات قصيرة بقلق..قبل أن يمد يديه هذه المرة ببعض القوة إلى أن نجح في
إبعاد يديها التي كونت بهما حاجزًا منيعًا حولها..
أحاط وجهها بقوة إلى أن جعلها تنظر له..و هنا فقط...اتسعت عيناه مبهوتًا ما إن قابلت
عيناه عينيها..

لقد.....انطفئت !!!

نعم..هي انطفئت..ليس هناك تفسير أشد اقترابًا لمعنى ما يراه !!!
هو لم يكن يرى سجى بوهجها القوي و ابتسامتها الواثقة..ما رآه الآن هو سجى أخرى..سجى
الشاحبة..الهزيلة..اليائسة..ال.....ميتة !!!!!
من تجسدت صورة -نرمين- بملامحها !!!!

خرج نفس ثقيل مُرتجف من بين شفثيه و عقله يتوقف عن التفكير عند هذه النقطة.. إلى أن
انتفض حرفيًا حينما قالت و هي تطبق عينيها برغبة في الصراخ..لكن صوتها خرج ضعيفًا مرتجفًا
تزامنًا مع انتفاض جسدها في محاولاتٍ مستميتة واهية للتملص من يديه ؛
_لا..لا..لا...لا تلمس..لا تلمسني...!!!!

" 17 : إغاثة "

#الكاتبة

_ل..لا...لا...لا تلمس..لا تلمسني...!!!!

جملتها تلك ضربته في مقتل..تلك الكلمة التي كررتها أكثر من مرة اخترقت جوارحه بتأثير

مدمر..جعلت من كل حواسه تتحفز رعباً..

و رغم أنه فعلياً كان عاجزاً عن الاستيعاب..إلا أنه فقط وجد يداه ترفضان تحريرها بينما

عيناه اللتان اتسعتا قليلاً بسماع حروفها المتقطعة تدمعان بشدة..

ثم لم يشعر بنفسه و هو يهتف هامساً باستجداءٍ لعينيها أن تمنحانه جواباً مقنعاً يبديد

خوفه ؛

_سجى ؟!!!!!!

لكنه لم يجد أيّ جواب..و ظلت على وضعها..عينها زائغتان في البعيد..تبدو كالمغيبة تماماً

أمام نظراته..فصمت للحظة..ثم عاد ليمس كمن يتمسك بأمال واهية لا جدوى منها ؛

_لقد أخبروني في الأسفل أنك و شهاب اتفقتما على الزواج..أنا لا يمكن أن أصدق هذه

المهزلة..لست أنا من تنطلي عليه هذه الكذبة الغبية..انظري..انظري أنا عدت على وجه السرعة

لأجلك.....

اقترب أكثر ليستند بجبينه إلى جبينها رغم مقاومتها الضعيفة التي بدأت تتلاشى بسماع صوته

الحنون..و همس بتوسل و هو يشعر بالدموع التي كان يخنقها بصعوبة حتى الآن تسقط حسرة على

هذه الوردة التي ذبلت !!!!

_أرجوكِ قولي شيئاً يا سجى..أنا أكاد أجن..أخبريني أنه لم يفعل لك شيئاً..هو لم يتسبب لك

بأيّ أذى...أخبريني أرجوكِ !!!!

كانت قد انسابت دموعها هي الأخرى و عقلها يستوعب الآن فقط بأن من أمامها هو لؤي لا

شهاب الذي أصبح صوته و صورته مر افقان لكل أفكارها..

ثم لم يلبث صوت بكاءها أن ارتفع ليتحول إلى شهقاتٍ خافتة بأناتٍ مؤلمة لم تزده سوى عذاباً

فوق الذي يعانيه و هو يقول ببطءٍ شديد و صوت خافتٍ لعله يستطيع الوصول إلى إدراكها ؛

_هو فعل لك شيئاً ما..هذا واضح جداً..لكن ماذا فعل ؟!!! أنت تستطيعين أن تخبريني أنا يا

سجى..تعلمين أنك تستطيعين...أخبريني !!!!

كان صوت شهقاتها يرتفع بعد كل كلمة..و شعر بها تهز رأسها بالنفي فوق جبينه للمرة التي لا يعرف كم..فشدد من ضغطه حول وجهها و هو يبتعد قليلاً فقط ناظرًا لعينيها..هاتفًا بصوتٍ مشتد

لم يرتفع عن الهمس ؛

_بل ستخبريني..ستخبريني أنا و ليس أيّ أحد آخر بالذي فعله لك..ماذا فعل ليوصلك إلى

هذه الحالة !! هذه ليست أنت يا سجى..ليست سجى التي أعرفها !!!!

كانت طوال الوقت تهز رأسها بالنفي..كلماته تنفذ إلى روحها لكن روحها تأبى إلا أن تحترق

بنيران الظلم الذي تعرضت له..

انتظرها للحظات أن تجيب..لكنها لم تفعل..بل فتحت فمها لتهمس بصعوبة فائقة من بين

أنفاسها المختنقة بشدة ؛

_ج...جميعكم تخلى عني !! جميعكم بلا...استثناء !

لم يكد يستوعب كلماتها حتى كانت يداها ترتفعان لتقبضان على يديه محاولة إبعاده بقوة

واهنة بينما تهتف بصوتها الذي بالكاد تستطيع إخراجها بانفعال ؛

_و أنت أيضاً لا...تلمسني..أنا أصبحت قدرة..قدرة..لا أحد س...يلمسني بعد الآن.. لا أحد

سيلمسني..بعد...الآن !!!!

كل كلمة جديدة منها كانت تزيد من اتساع عينيه..قال من بين دموعه بصوتٍ أجش و هو

يرفض أن يبتعد عنها و لو بضعة إنشات ؛

_أنا لن أتخلى عنك..ألا تتذكرين ماذا أخبرتك ذلك اليوم ؟!! لن أتخلى عنك يا سجى حتى لو

تخلى عنك كل العالم و تخليتُ أنا عن الجميع لأجلك..لن أتخلى عنك و لن أدع هذا الزواج يمر...لن

يمُر !!!!

قال آخر كلمة ضاعطاً على حروفه بصوتٍ مشتد..ثم صمت للحظة حاول فيها أن يهدأ من

نفسه..قبل أن يهمس ببطء الآن و هو يشعر بحباله الصوتية على وشك التمزق خوفاً ؛

_الآن أخبريني..هل.....

لم يستطع أن يلفظ كلمة أخرى..صمت مختنقاً و هو ينقل أنظاره بترقب بين عينيها في انتظار

جواب بئس..و ليس أيّ جواب..هو يريد جواباً يبدد خوفه و دعره..

لكن سحى حينما تكلمت..قالت بصوتٍ متحشرج ببكاءها العنيف و هي تطرق برأسها مطبقة
عينها بعذاب ؛

_أنا..أنا توسلته..توسلته بشدة و قاومته باستماتة..أقسم بالله قاومته لكنه لم...

ينفع..لا...توسلاتي..و لا..مقاومتي أجدت نفعاً..لا شيء..لا شيء.....

شعر بأن خفقات قلبه تتثاقل شيئاً فشيئاً و كأن قلبه يمهد الطريق نحو آخر خفقة قبل أن
يعلن الاستسلام و يموت..و قد مات بالفعل..لقد شعر بذلك..الموت هو ما استشعره و هو يسمعها
تكمل..تجيب كل تساؤلاته الماضية..و ليتمها ما أجابت !

_هو....اعتدى علي..ش..شهاب...أخوك اعتدى علي !! لقد فات الأوان..فات الأوان..فات...الآن

لو تخليت أو لم تتخلى عني فلم يعد ينفع..فات الأوان..فات الأوان !!!!

كانت تردّد تلكَ الكلمتين الأخيرتين بصوتها الذي يشبه الهذيان غير منتبهة لذلك الذي قارب
على لفظ أنفاسه الأخيرة صدمة..كل شيء فيه كان يرتجف..كل خلية و نبض..
كل فكرة تصورها عقله و أرعبته سابقاً عليها تداعت أمام ما يسمعه..كما تداعت كل قدرة
لديه على الاستيعاب..لدرجة أنه لم يشعر بيديه و هما تتركان وجهها فجأة..بينما تراجع جسده إلى
الوراء باستسلام..

ارتفعت يده تربت على موضع قلبه و هو يشعر بنفسه عاجزاً عن التقاط أنفاسه حرفياً..و
ظل ينقل عينيه بين كل مكان عداها..

و كأنه يبحث عن حقيقة أخرى بعيداً عن عينها و صوتها..

و كأنه يحاول أن يستخلص من الجدران دليلاً يؤكد له بأن كل ما يعيشه محض حلم..محض
كابوس مرعب..و ربما بعد قليل سيستيقظ ليهز رأسه يائساً من نفسه..

لكن صوتها أبى أن يرحمه..صوتها الذي لا يشبه صوتها فعلياً هو ما جعله يعيد عينيه

المتسعتين إليها و هو يسمعها تهمس بصعوبة بالغة ناظرة له بعينها اللتين استحالتا إلى لون الدماء ؛

_ش..شهاب نفذ وعده لي و سيجعلني أتزوجه بكامل...رضاي..شهاب ليس له أيّ ذنب..أنا..أنا

تصرفت بغباء و نلت...عقابي..لا...تشفق علي..لا تشفق عليّ أرجوك..دعني أظن أنني أستحق لكي لا

أنهار فوق منصة الزفاف..اجعلي استوعب أنني ملكه منذ الأزل لكي لا أستمّر في رفضي و أنال

العقاب مضاعفاً..و أنتَ أيضاً تخلى عني..أنا لم أعد أريد أحداً بجاني..لم أعد أريد أحداً !!!!!

كان يحارب نفسه بصعوبة.. يحارب قلبه و عقله الذي فقد القدرة على التفكير السليم.. حينما جاءت جملتها الأخيرة التي بدت كإطلاق الرصاص.. تلك الجملة هي ما جعلته يستعيد نفسه نسبيًا و يعود لرشده..

فلم يفكر و هو يقترب منها بسرعة ليقول بينما يدها تعودان إلى موضعهما.. تشددان من احتضان وجنتيها..

تضغطان أكثر على وجهها لتوضحا لها الفرق -الشاسع- بينه و بين من وضعت حياتها تحت أقدامه و تخلي عنها ببساطة !!

_ششش.. اصمتي.. لا تهذي...

قاوم كل الشتات الذي كان يعصف بنفسه.. قاوم رغبته الكاسحة في الوقوف الآن و في هذه اللحظة و التوجه إلى أخيه لا لشيء إلا ليبرحه ضربًا حتى يموت بين يديه..

ليستحضر بقايا من اتزان و تعقله.. مدركٌ هو بأن كل انفعال سابق لأوانه لن يجدي.. هو لن يستفيد شيئًا.. سحى لن تستفيد شيئًا لو خرج الآن و تقاتل مع شهاب فما حدث قد حدث بالفعل.. الشيء الوحيد الذي سيجنيه هو سخطه و سخط والديه.. و حينها لن يدفع الثمن مجددًا سواها.. سحى التي لا و لن يسمح لها بالزواج من شهاب..

ستتزوج به في حالة واحدة... على جثته !!!

سحب نفسًا مرتجفًا لم يخفف من سوء وضعه شيئًا.. قبل أن يتحامل على نفسه ليقف و هو يسحبها من ذراعيها ليجعلها تقف معه..

لكنه وجدها عاجزة تمامًا عن استعمال قدميها.. فما إن وقفت كادت أن تقع بالفعل فأحاطها بذراعيه بسرعة مسندًا جسدها المنهار إلى صدره..

قبل أن ينخفض ليحملها بين ذراعيه و يقترب من السرير بسرعة إلى أن جعلها تستلقي هناك و جلس بجانبها ممسكًا بيدها رغم محاولاتها المتكررة لإبعاده و هي تهمس من بين بقايا وعيها الذي شعرت أنه ينسحب منها قسرًا ؛

_أخبرتكَ لا... تلمسني.. ألا تفهم ؟!! أنا لا أريد شفقة.. لا أريد... شفقة !!!

قالت آخر كلمة و عيناها تنسدلان بضعفٍ شديد.. لكنه لم يكن ليسمح لها أبدًا بإغلاقهما نهائيًا.. فامتدت يده بسرعة إلى القنينة التي كانت تحتوي الماء فوق المنضدة بجانبها..

سكب منها القليل من المياه فوق يده و بدأ في رشه فوق وجهها برفق.. إلى أن عادت تفتح عينيها بضعفٍ أكبر.. و حينها فقط.. همس يحتوي وجنتها بيد واحدة بقوة مشددًا على كل حروفه ؛

_ لا يا سجي.. ليس الآن.. لم يحن وقت راحتك بعد.. انظري إلي.. هيا.. افتحي عينيك جيداً و

انظري إلي !!!

اقترب ليحيطها بذراعيه إلى أن جعلها تجلس سندها الوحيد صدره.. و لم يكتفي هذه المرة بنثر الماء فوق وجهها بل قام بغسله مراتٍ متتالية لعله يجعلها تستعيد قوتها التي تبدو أنها قد خارت كما خار كل شيء فيها..

لكن عبثاً.. فكل ما حصل عليه منها نظرة زائغة لإنسانة سلمت نفسها للألم.. ورغم ذلك فقد

رفع يده ليحاوط وجهها إلى أن جعلها تنظر له.. ثم قال بصوته الأجش بحزم ؛

_ الآن اسمعيني جيداً.. أنتِ لن تتزوجي من شهاب.. لن تتزوجي منه.. مفهوم !!!!

كان و كأنما يخاطب السراب.. فقد بدت سجي في وضع لا يسمح لها أبداً بالإستيعاب حتى

فكيف إذا بالرد !

زفر بيأسٍ شديد.. قبل أن يتركها ليتجه إلى الباب المفتوح و ينقل عينيه حوله ليتأكد من هدوء القصر و خلو كل الممرات.. و قد كان المكان خالياً بالفعل.. الصمت هو الصوت الوحيد المسموع في منزلهم الخالي من كل بوارد الدفء و الحياة..

هذه المرة لم يحاول حثها على سماعه أكثر.. فقد انحنى عليها ليحمل جسدها الميت بين ذراعيه

و يغادر الغرفة عابراً السلالم الطويلة في طريقه نحو الباب الخلفي القابع في المطبخ..

حينما دخل إلى المطبخ.. كانت الخادمة موجودة بالفعل هناك تتم بعض أعمالها.. فقال لؤي

بحدة و هو يرى نظراتها المذهولة المليئة بالفضول إليهما ؛

_ لا أريد لأحد أن يعلم أنني عدت.. أو أن سجي معي حتى.. مفهوم !!!!

نقلت الخادمة عينها بتوتر و فضول قاتل بينه و بين سجي القابعة بين ذراعيه.. قبل أن تهمس

بتلكئ ؛

_ لكن السيدة أمرتني أن أخبرها ما إن تستيقظ الأنسة س.....

هتف لؤي يقاطعها بحدة أكبر ؛

_ لا يهمني بماذا أمرتك.. نفذي ما قلته فحسب !!!!

فأومأت بخوفٍ رغم التردد الذي كان لا يزال يكتسح عينيها و الذي لم يهتم بتفسيره.. فقد

اكتفى بأن رمق الباب المغلق هناك بطرف عينيه أمراً ؛

_ افتحي الباب !!

نفذت الخادمة فوراً..قبل أن تتراجع مر اقبه إياه بينما يخرج إلى الحديقة متجهاً إلى الباب الرئيسي الكبير..ثم ما إن ابتعد بمسافة أمتار قليلة حتى كانت تغلقه بسرعة قبل أن تتجه إلى هاتفها المحفوظ فوق طاولة المطبخ..

رفعته بسرعة حيث دونت عدة أرقام بأنامل ترتجف طالبة شخصاً محدداً ؛
_لماذا تتصلين؟! ألم أخبرك أن تستمري بمُر اقبتهَا و أنا من سأصل بك لاحقاً !
كان هذا صوت شهاب الذي هتف باستياء بينما يقف بسيارته أمام تلك الواجهة الفاخرة لمحل مختص ببيع -فساتين- الزفاف..
كانت عيناه على تلك الواجهة بالضبط حينما هتف بسؤاله..قبل أن يسمع صوت الخادمة المزعجة التي هتفت تجيب بتعثر ؛
_نعم..لكن..لكن.....

_لكن ماذا ؟!!! تكلمي بسرعة..هل هي بخير ؟!!!
هتف بسرعة و هو يستقيم في مقعده قليلاً متوقعاً كل شيء من سجي بوضعها المزري ذاك..لكن صوت الخادمة جاءه متوتراً بدرجة أكبر ؛
_إنها بخير..لكن السيد لؤي قد.....

مجرد ذكر الاسم..جعل ملامحه تحتد بقوة..ثم قال يقاطعها باستنكار ؛
_متى عاد ؟!!!
و قد كان جوابها صادمًا..زاد من استياءه..و فاقم من غضبه أضعافاً مضاعفة..
_لا يهم هذا الآن يا سيد شهاب..لقد أخذ معه الأنسة سجي !!!

#لؤي

هل تعلمون ما الحياة ؟! متاهة !
دوامه بشعة جداً تسبقك أقدامك إليها مرغماً..فتحاول التشبث بكل خيوط النجاة الممكنة..
لكن الحقيقة أن لا خيوط نجاة..فكلما ظننت أنك رسوت في بر الأمان و قاربت على الخروج منها تتفاجئ بأنك لا تزال في نقطة البداية !!
كما ظننت من قبل أنني أنقذت سجي !
نعم...لقد وضعتهَا في بر الأمان و تركتها في أيدي أمينة و سافرت..و ليتني ما سافرت..بل ليتني بقيت خلفها أحميها بكل ما أملك من صمود..أراقبها في كل لحظة و أستشعر وجودها بخير بجاني..

ليتني رفضتُ تلكَ الرحلة العملية المشؤومة..بل ليتني وقفت في وجه شهاب منذ زمن و انتزعتها
منه عنوة...ليتني !!

لم تكن سجي فقط من تتعذب..أنا أيضًا كنت أشعر بقلبي يُعْتَصِر وجعًا و ألمًا و أسى عليها..
حاولتُ بشدة أن أخدع نفسي..أن أمثل القوة و الصمود..

لكني لم أستطع..أنا إنسان في النهاية !!

فتحتُ السيارة بصعوبة قليلًا لأمدد جسدًا الفاقد لوعيه في المقعد الخلفي و أغلق الباب
متخذًا مكاني بسرعة..كانت دموعي تسقط بقوة متزامنة مع ارتعاشة أصابع يدي التي شرعت تعتصر
المقود لا تمسكُ به فقط..

الطريق إلى منفانا المُمَثِّل في "مزرعة" عائلتنا التي أنا متأكد أنها آخر مكان قد يبحث فيه
شهاب عن سجي لو علم باختفاءها...يبدو طويلًا جدًا..

بينما الدموع في عيناى تجعل كل الصور أمامي تبدو وهمية..و أطرافي التي ترتعد بشدة
تشعرنى بأني على وشك فقدان زمام تحكمي بالقيادة في أي لحظة..

لا يمكن لذلك المكان الذي يقبع في أطراف المدينة..بعيدًا كل البعد عن أضواءها و ضجيجها
أن يخطر في بال شهاب أبدًا..بالأحرى لن يخطر في بال أي أحد سواى !

فهي خالية بالفعل منذ سنين طويلة..باستثنائى أنا..لا أحد يزورها...لقد كانت تشبه منفاى و
مكاني الخاص الذي ألجأ إليه حينما تضيق بي الحياة..

لقد كانت مكان خلوتي و راحتى النفسية..بين تلك الجدران..لا أكون سوى أنا..لؤى ! هناك
حيث أتجرد من هذا اللقب اللعين و القوانين المُرِيفة التي يفرضها علينا !

توقفتُ بعد وقتٍ طويل جدًا أمام وجهتى..قبل أن أخرج و أتجه مباشرة إلى الباب الخلفى إلى
أن فتحته و انخفضتُ بسرعة لأحمل سجي التي لم تكن قد استعادت وعيها بعد..

بحالتها هذه..تبدو كمن ينشد الهروب من كل عالمه !

أخرجتُ المفاتيح بصعوبة لأفتح الباب الداخلى بعد أن أغلقت الخارجى الذي لا يحرسه
أحد..ثم توجهت مباشرة إلى أحد الغرف الجانبية لأمددها فوق السرير برفق..

ثم جلستُ بجانبها بعد أن أسدلت الغطاء فوق جسد..أتمسكُ بيدها الباردة كالثلج..بينما
عيناى تنتقلان فوق كل تلك الملامح الشاحبة في محاولة أخيرة لاستيعاب ما أراه..

كيف استطاع ؟!! أي قلب يمتلكه طاوعه على أذية النور الوحيد الذي لطالما أشع في بيتنا

الخالى من النور..

بل أيّ قلب كان لديه أساسًا.. ألم يرتكب نفس الجرم بفتاة بالكاد اجتازت مرحلة الطفولة
سابقًا !

ربما ظننتُ بأن سجي تمتلكُ بعض المُميزات.. أليست في النهاية فرد منا.. أمانة خالتنا ! أو لم
تكن نرmin أشبه بفرد من العائلة ؟! ابنة المرأة التي ناديتها بخالتي آلاف المرات منذ طفولتي !
بقيتُ أنظر لها لدقائق من بين دموعي الصامتة بينما عقلي يرفض فكرة هروبها من الواقع
بهذا الشكل.. و حينما شعرت بأنني لن أحتمل أكثر..

رفعتُ يدي لأربت بها برفق على جانب وجهها و جبينها بينما بينما أ همس برفق على مقربة منها ؛
_سجي..سجي استيقظي..سجي.....

انتظرتُ للحظاتٍ أخرى.. قبل أن ألمح حركة رموشها الضعيفة التي تناقضت مع عينيها اللتين
اتسعتا فجأة بدون إنذار مسبق.. ثم و قبل أن أستوعب أي شيء.. كانت تنتفض جالسة بهلع لمحتة و
فهمته تمامًا !!

جلست في نهاية السرير منكمشة على نفسها بأنفاسٍ متهدجة متقطعة..تنظر لي بحذر شديد
و خوف و كأنها.....لا تعرفني !!!

ذلك الإدراك ألمني بشدة..أن تنظر سجي في عيني بكل هذا الخواء و الرعب..أن لا تجعلها
ملامي تنهد بارتياح كما اعتدت منها..و أن لا تلجأ إليّ لتلقي برأسها على صدري ناشدة مساندي !
سمحتُ لها ببضع لحظاتٍ تلتقط فيها أنفاسها الضائعة..لكن تعابيرها لم تتغير.. فاقتربت
منها بحذر..و ارتحتُ حينما لم تنتفض مجددًا..

رفعتُ يداي لأحاط وجهها برفق شديد..و حينها فقط..خرجت شهقة ضعيفة من بين شفتيها
و ارتجفت كل أطرافها بشكلٍ ملحوظ إلي..

كان حاجباها منعقدان بشدة فوق عينيها الضائعتين..حينما ارتفعت يداها لتتمسكان بيدي
و كأنها تحاول إبعادي..لكنني لم أبتعد..بل تمسكت بها أكثر و أنا أ همسُ بخفوتٍ شديد و رفق أشد ؛
_ششش..اهدئي..اهدئي يا سجي..هذا أنا..أنا لؤي..اهدئي فقط..اهدئي.....اهدئي !

تهددتُ براحة حينما وجدت عينيها تتفاعلان مع كلامي..لكن الخوف لم يختفي تمامًا منهما..بل
ظلت تحاول التملص مني رغم أنها تعرفت علي..

إلى أن همست بنفسي نبرتها المتعثرة التي فقدت كل قوتها و شجاعتها دفعة واحدة ؛

_لا...تلمسني..أرجوك...أرجوك لا تلمسني !

كانت تهمس كلماتها برجاءٍ معذب و كأنما الكلمات تخرج غصبا عنها..هي لا تريد أن تبعدني..هي

تريدني قريباً منها جداً..لكن الأمر ليس بيدها..هو لم يعد بيدها !!!!

تركتها ببطءٍ لأبتعد تماماً..قبل أن أهمس برفق لكن يتخلله بعض الحزم ؛

_حسناً..لن ألمسك..بشرط أن تهدئي و تأكلي...اتفقنا ؟!!!!

لم أعلم لما جعلها كلامي هذا ترتعش أكثر..في نفس الوقت الذي تتسعان فيه عيناها بشكلٍ

مخيف..ثم همست بذهول كشخصٍ يهذي ؛

_أنت تشبهه تماماً..أنت...مثله !! هو أيضاً قال نفس الكلام..هو أيضاً قال نفس الكلام..قال

نفس الكلام بعد فوات الأوان يا لؤي...قال نفس الكلام !!!

وجدت نفسي عاجزاً تماماً عن تلبية طلبها في هذه اللحظة بالذات..فاقتربت أكثر و جذبتها

لأضمها بقوة إلى صدري رغم ارتجافتها التي يبدو انها استوطنت جسدها و لن تتركه إلى الأبد..

همستُ بينما أربت على شعرها في محاولة ل تهدئة دموعها و دموعي أيضاً ؛

_لستُ أشبهه يا سجي..لستُ أشبهه..صحيح أنه -أخي- بالدم و هذه حقيقة لا أستطيع

إنكارها..أسوء حقيقة على الإطلاق..لكن هذا لا يعني أنني أشبهه !! و لم يفت الأوان بعد..هل

تسمعينني ؟!! أنت ستعيشين و ستحققين كل أحلامك و لن تتزوجي به..لن تتزوجي به...

قلتُ آخر كلماتي بتشديد قوي و كأنما أغرسها في عقلي أنا لا في عقلها هي فقط..اليوم فقط

أنا سأكف عن كوني جباناً و سأتحمل مسؤولية وعدي حينما همست لها بكل صدق أنني...لن أتخلى

عنها- !!!!

سمعتُ صوتها بعد لحظاتٍ طويلة يأتي ضعيفاً مكسوراً..ميتاً متحرجاً ببكاءها العنيف ؛

_أيّ أحلام ؟!! أيّ أحلام يا لؤي ؟!!!! أنا لم يعد لدي أحلام..لم يعد لدي أيّ أحلام !!! الآن فقط

الموت ما سيربحني..أنا...أحترق..أنا أحترق يا لؤي..لم أعد أستطيع التحمل..أشعر أنني سأموت في أيّ

لحظة..و ليتني أموت..ليتني أموت.....

كانت أناملها تتشبث بقميصي باستماتة..تعتصره بقوة و كأنها تستنجد بي بصمتٍ وصلني

فحواه..

هي لا تريد أن تموت..لا تريد أن تموت بعد..هي تريد أن تمتد يدًا دافئة من المجهول لتلتقط

أناملها و تطبق عليها بحنان مسيطر..تريد ملاذاً تختبئ بداخله عن آلامها و واقعها..هي تريد إنقاذاً

سريعاً..

و أنا فقط من سيمنحها كل هذا !!!! أنا سأكون ملاذها و منقذها و عالمها الوحيد بعد الآن !!

لم يعد هناك مجال للتفكير و لا لرفاهية اتخاذ القرارات !!

رفعتُ يدي التي كانت تحيط بها لأقبض بها على يدها المتمسكة بقميصي تعصره بقوة إلى أن أنزلتها و بقيت متمسكًا بها أضغط عليها بقوة حنونة رغم الارتجافة التي رفضت أن تتركها و كأنها ترغم عقلها على استيعاب أن من أمامها أنا...و هذا فقط ما يجعلها تتقبل لمساتي و تصمّد دون إبعادي !! أخذتُ نفسًا عميقًا حازمًا..قبل أن أبتعد قليلًا لأنظر لعينيها المحاطتين بهالة حمراء من الضعف..ثم قلت ناظرًا في أعماق تلك العينين الأقرب إلى قلبي بصوتٍ بطيء عميق جدًا..و نبرة حازمة

لا تردّد فيها ؛

_لا تتزوجي من شهاب يا سحى..تزوجيني أنا !

" ١٨ :خطوة جديدة "

#شهد

كنتُ قد جهزت طعام الإفطار حينما اتجهت إلى غرفة هادي لأناديه..لكنني تسمرت و أنا أراه
يجلس أمام خزانة جانبية كانت تحتوي مجموعة من الكتب..قبل أن يقبض بيديه بقوة على طرفي
الكرسي ليحاول الارتفاع مستعملاً قدميه باستماتة..

شعرتُ بارتجافة قوية ينتفض لها جسدي و أنا أرى معالم الألم ترسم على ملامحه
الحازمة..لكنني رغم ذلك لم أقرب منه..

فقد تعمدتُ أن أعقد ذراعاي ملصقة قدماي في الأرض و كأنني أحاول أن أمنعهما من التمرد
و الاقتراب لمساعدته..قبل أن أتراجع قليلاً مستندة إلى حاجز الباب بكتفي مستمرة في مراقبته
بقلق..

كنتُ أفاعل بشدة مع كل تحركاته..أراقبه بقلب يخفق بعنفٍ خوفاً و فرحاً في نفس الوقت و
أنا أراه يرتفع بالفعل إلى أن استطاع الوصول إلى أحد الطوابق بالخزانة التي لم يكن سيصل لها و
هو جالساً..

اضطر لأن يحرر يداً واحدة ليرفعها في محاولة لالتقاط كتاب معين من هناك..لكنه فشل
فعاد ليستند بقائم الكرسي بسرعة و يطرق برأسه لاهئاً بإرهاق شديد..
لكنه عاد و رفع رأسه بعد لحظاتٍ بنظرة عازمة على تحقيق ما يصبو إليه..ثم و بتأني شديد..
كانت ترتفع نفس اليد التي تسكنها ارتجافة شديدة في محاولة جديدة للوصول إلى ذلك الكتاب..و هذه
المرة نجح بالفعل..

كان قد أمسك بالكتاب بين يده حينما ارتسم ظل ابتسامة شاحبة مرهقة على وجهه..و
ارتسمت شبيهه تلقائياً على وجهي و أنا أترك الحاجز لأقف متحفزة ببطء..
لكنه لم يكد يفرح بإنجازه هذا حتى كانت قدماه تخونانه فجأة..و في لحظة خاطفة..كانت يده
تفلت الكتاب في محاولة فاشلة منه لإسناد نفسه..

فقد انزلت يده التي حاول التمسك بها بطرف الكرسي و كاد أن يسقط هو أيضاً لولا أنني
تحركت بسرعة ناحيته لأحيط ظهره بذراعي و أدس رأسي تحت كتفه في حركة لم أخطئ لها أو أشعر
بها..

طرحْتُ أنفاسي براحة و أنا أتأكد من أنه نجا بالفعل..قبل أن أرفع عيناى المُجهدين من ثقله
حينما أخفض أنظاره لي..و هناك..رأيت نفس الابتسامة الشاحبة تشق شفاهه..ثم همس من بين
أنفاسه المتدافعة بشدة ؛

_كنتِ تراقبينى مجدداً ؟!!

بادلته الابتسامة بشبهتها بدون أن أستطيع أن أهمس بكلمة واحدة..قبل أن تمتد يدي وراءنا
بصعوبة لتثبتان الكرسي إلى أن دفعته برفق لأجعله يجلس عليه..
حاولتُ أن أتكلم لكنني عجزت تماماً و أنا أشعر بأنني أفقد السيطرة على أنفاسي اللاهثة بعد
أن تحملت ثقله بالكامل تقريباً فوق كتفائي..فانخفضت ببطءٍ إلى أن جلست القرفصاء أمام كرسيه
لا أزال أحاول إعادة التوازن إلى أنفاسي..

دون أن أشعر أبداً بيدي اللتين كانتا قد استقرتا فوق ركبتيه و كأنني أستند به و أحاول
استمالة بعض القوة منه..

إلى أن شعرتُ بيديه تغطيان يداي بدفء..و حينها فقط..رفعت رأسي لأهمس له بنبرة قلقة
مجهدة ؛

_هل...أنت بخير ؟!!

كان سؤالاً عادياً..أليس كذلك ؟!!! ما هذه النظرة التي احتلت عينيه بعد سؤالى إذا ؟!! و كأنني
كنت أتغزل به لا مجرد سؤال قلق بعد الخوف الكبير الذي اجتاحني مع فكرة رؤيته يسقط مجدداً !!!
كانت نظرفته عبارة عن قلوب من الحب و الاهتمام و الامتنان..و الاحترام..احترام و دفء كبير
و لمعة جعلتني أعقد حاجباى بعدم فهم..بل بغباء شديد ! خاصة حينما اقترب منى قليلاً دون أن تترك
يداه يداى لي طبع شفتيه على...جبتي !!!!

زاغت عيناى قليلاً..و شعرت بتدافع الدماء بداخلي و أنا أستشعر هذا الدفء الذي أحاط بي
من كل مكان..ذلك الدفء الذي بدأت أتعوده..بل أدمنه بدلال رغماً عني..
قبل أن ترتفع يداه لتطوقان وجهي تزامناً مع ابتعاده قليلاً فحسب..فهو لم يبتعد إلا ليستند
بجبهته الباردة فوق جبتي المتعركة قليلاً..ثم همس بعد لحظاتٍ يهمس بخفوتٍ شديد..بصوتٍ مشدد ؛
_شهدي أنا !!!

ابتلعتُ ريقى بصعوبة و أنا أقابل عينيه بحيرة..لكنه لم يجب حيرتي هذه..بل استمر يغمض
عينيه باقياً على نفس الحركة للحظاتٍ طالت..

كانت أنفاسه متدافعة عنيفة تلفحني بحرارتها..بينما جبينه مقترن بجبيني كاقتران قلبينا
تمامًا..و بقيتُ أنا كالمسحورة أنقل عيناى الزائغتين قليلاً بين كل إنشٍ في ملامحه بنفس الغباء..
إلى أن ابتعد قليلاً..و حينها فقط رمشت بعيناى ببعض التوتر مقنعة نفسي بأنها كانت ردة
فعل طبيعية و انتهت..

قبل أن ألتقط الكتاب الذي كان قد استقر فوق الأرض لأمدّه له بدون أن أقف..لكنه لم
يأخذ الكتاب..بل استمر يتأملني و كأنما ينظر إلى...كنز عزيز عليه !
_كنت..قد...أتيتُ لأناديكَ لأجل تناول طعام الإفطار !
همستُ بخفوتٍ شديد و بصوتٍ متعثر..فهز رأسه في حركة بالكاد لمحتها..بينما تحركت عيناه
أخيراً ترمق للكتاب في يدي..قبل أن يأخذه مني بهدوء..
قلبه بين يده للحظة قبل أن يلقي به فوق السرير بإهمال و يعود ليولي انتباهه لي سائلاً
بهدوءٍ ؛

_ما رأيك أن نتناول طعام الإفطار في الحديقة ؟!!
احتلت ابتسامة صغيرة شفتاي و أنا أوماً له بلا أي تردّد..ثم وقفت بحماسٍ غريب عني لأقول ؛
_هل أدفع الكرسي أنا أم تجب أن تذهب بمفردك ؟!!
بادلني الابتسامة بأجمل منها رغم هدوءها و رصانتها الشديدة و هو يقول بنبرة ذات مغزى
مبطن ؛

_سيأتي اليوم الذي أسألك أنا فيه نفس السؤال لكن بصيغة أخرى !
عقدتُ حاجبائي بعدم فهم..فهمس و نبرته تكتسب بعض الخبث الذي أصبحت أفهمه تماماً
الآن ؛

_سيكون السؤال حينذاك على هذا النحو..هل أحملك بين ذراعي أم تفضلين أن تمشي
بمفردك ؟!!

صمت للحظة ليكمل بنبرة قاطعة ؛
_و قبل أن أمنحك الفرصة لللفظ كلمة أو منحي الإذن سأكون قد حملتك بالفعل !!
تسمرتُ للحظاتٍ أنظر له كمن يحاول استيعاب درس صعب الفهم جداً..قبل أن تنفج
شفتاي على ضحكة خافتة لم أستطع منعها..
لكنني استطعتُ أن أرفع يدي لأغطي في و أطرق برأسي في محاولة -فاشلة- لإخفاءها و إخفاء
الحرص الذي اكتسح وجنتاي معها..

و شاركني بها هادي..لكنه رغم ذلك قال بتأكيد على كلامه ؛

_لا تضحكي..أنا أتكلم بجدية !

لا تضحكي !!!! حسنًا..أليس هذا أمر غريب بالنسبة لشخصٍ يتأمل ضحكتي بكل ذلك البريق

المتوهج في عينيه !

بالكاد استطعتُ أن أكتُم ضحكتي و أرفع رأسي نحوه باقية على ابتسامة رائعة جدًا.. تلكَ

الابتسامة التي جعلت من ذلك الوهج في عينيه يغدو أشد عمقًا..تزامنًا مع تهيدة طويلة تسربت من

بين شفثيه..

اقتربتُ بعدها بهدوء لأقف وراءه هامة بدفعه..إلى أن توقفنا في الشرفة المفتوحة على

الحديقة حيث تقبع طاولة أكل رائعة التصميم هناك..

_سأعود حالًا !

قلتُ بهدوء..قبل أن أتجه إلى المنزل بسرعة بغاية نقل أطباق الأكل من طاولة البهو إلى الطاولة

حيث قرّرنا أن نتناول طعام الإفطار..

إلى أن وضعتُ آخر طبق..و حينها اقتربت لأتخذ الكرسي المقابل لكرسيه جالسة بهدوء..لكنني

عدت لأقف حينما خطرت فكرة ما في ذهني..

أردتُ أن أجعله يبتسم..أن أفعل شيئًا مميّزًا رغم سذاجة الفكرة..فاقتربت بسرعة أمام عينيه

المر اقبطين لي من الحوض هناك لأختار وردة حمراء..تردّد طفيف انتابني من فكرة قطف الزهور

نفسها..

لكن حتى شعوري هذا لم ينجح بالتغلب على رغبتى السابقة النبيلة..فتنهدت هامسة بكلمة

أسف صغيرة تزامنًا مع يدي التي امتدت تقطف تلك الوردة بالفعل أقطفها..ثم عدت لألتفت عائدة

إليه بحماس..

كان طوال الوقت ينظر لي بدهشة..و قد تضاعفت دهشته و هو ير اقبني بينما أدسّ الوردة

بداخل الفوهة الصغيرة جدًا لتلك القنينة الحديدية الطويلة التي أحضرتها من المنزل..

همستُ ناظرة له بترقب شديد و أنا أعود لأجلس في مكاني ؛

_هل...أعجبتك !!!؟

رأيتُ حاجبيه ينعقدان بجدية قليلًا و هو ينظر للوردة كمن يحاول حلَّ معادلة عقيمة

الجواب..و ابتسامة جميلة تظهر في عينيه فقط..

قبل أن ترتفع أنظاره لي بنظرة مدققة لللامي..و حينها فقط انفرجت شفتاه ليمس بنبرة

هادئة جداً.. بطيئة جداً..غامضة جداً..هائلة جداً..خيثة..جداً !!!!

_أعجبتي..أعجبني كثيراً !!

شعرتُ بأنني سأغصّ حتماً رغم أنني لم أتناول لقمة واحدة بعد فرفعت كأس الماء المقابل لي

لأرتشف منه رشفة صغيرة بينما عيناى في عينيه اللتين لم تختفي نظرة المكر منهما..

إلى أن أعدته ببطء..و ابتلعت ريقى الجاف قائلة بغباء بينما أشعر بحبيبات الخجل تسري

فوق وجنتاي ؛

_ب..بصحتك !!

اختر أن يدعي الاعتيادية تماماً أمام ردي مكتفياً بإيماءة..قبل أن يشرع في الأكل بشهية

مفتوحة..تاركا طيف الابتسامة الجميلة يتلاعب على أطراف شفتيه و على أوتار قلبي..

و ما كان مني إلا أن تهتدت بخفوت و أنا أشاركه الأكل بصمت و ارتياح..شاعرة بالسعادة تملأ

قلبي برؤية تلذذه بما يتناوله رغم ثبات ملامحه..

إلى أن انتهينا..فوقفت بسرعة لأحضر له الدواء و أفرد راحتي نحوه به..و ككل يوم..امتدت يده

لتلتقط تلك الحبة ملامسا بشرتي برقة دغدغت قلبي..

كانت عيناى على عينيه حتى و أنا انخفض قليلاً لأمسك بكأس الماء و أمد له..و رغم أنه كان

يستطيع أن يعيده إلى مكانه فوق الطاولة..فقد أثر مثلي أن يدغدغ أنا ملي للمرة الألف و هو يضعه في

يدي..

حينها فقط..كنتُ أطرف بعيناى مشيخة بهما عنه بصعوبة..قبل أن أضع الكأس في مكانة

شارعة بعدها مباشرة في رفع الأوانى عن الطاولة..لكنني تفاجئت بيده التي عادت لتتمسك بيدي..ثم

قال بصوته الرخيم ما إن نظرت له ؛

_اتركي العمل لوقتٍ لاحق..أريد أن أجلس معك قليلاً !

طرفتُ بعيناى و أنا أنظر له بتفاجئ للحظة..لكنني لم ألبث أن أومأت له بغير تركيز و أنا أترك

الصحن الذي كنت أحمله بيدي الأخرى..

لكنه لم يترك يدي رغم ذلك..فانخفضت أنظاري تلقائياً ليدينا..ثم همست بخفوتٍ ؛

_هل تترك يدي قليلاً ؟!!!!

_لأي سبب ؟!!!!

قالها بنفس نبرتي بدون أن يفارق عيناى..فنظرت للكرسي القابع على بعد خطواتٍ منى مردفة
ببساطة ؛

_لأحضر الكرسي !

بدا و كأنه لم يسمعى أو فقط يتظاهر بعدم السمع..حتى أننى لوهلة شعرت بأننى أتعامل مع
طفل صغير يحب العناد..

فأخذتُ المبادرة منه محررة يدي من يده بحذر شديد و كأننى أخشى أن يعترض.. قبل أن
أقرب من الكرسي لأحمله و أقربه قليلاً منه..جلست عليه بهدوء فى مقابل هذه الحديقة الجميلة..
لكننى لم أكد أرتاح فى جلوسى حتى سمعت صوته يهمس مجدداً ؛
_اقتربى !

نظرتُ له بترددٍ للحظة..قبل أن أستقيم نصف و اقفة لأدفع الكرسي الذى كان قريباً فى الأصل
من الكرسي خاصته لكنه أصبح ملاصقاً له الآن..
إلى أن امتدت يداى لتحتضن يدي مجدداً بين كفيه بينما أنظاره مستقرة أمامه بسكونٍ تام..
نفسه السكون الذى استوطن عيناى و أنا أدقق النظر بجانب وجهه شديد الوسامة..
أتأمله كيفما أشاء..بالطريقة التى أشاء..غير مضطرة لا لإخفاض رأسى خوفاً أو خجلاً..و لا
لإخفاء نظرة عيناى بمشاعرى الواضحة الفحوى !!

#الكاتبة

_لا تتزوجى من شهاب يا سحى..تزوجينى أنا !
للحظاتٍ شعر بأنها تجمدت تماماً و لن تتحرك بعد الآن..فقد اتسعت عيناها بشكل غير مرئى
و تجمدت ملامحها تماماً و قد تضاعف شحوبها الذى بات لا يفارق وجهها أضعافاً..
ظلت تنظر له للحظاتٍ طالت غير قادرة على الاستيعاب..قبل أن تهمس بغير تركيز ؛
_ما..ماذا قلت ؟!!!

قال لؤى مكرراً مباشرة بنبرة بطيئة جادة تماماً ؛
_أقول لا تتزوجى من شهاب يا سحى..تزوجينى أنا !
مجدداً لم تجب..فقد عقدت حاجبها بشدة..قبل أن تلتفت عنه لتتنقل عيناها حول هذا
المكان الغريب الذى لم تستوعب وجودها فيه إلا الآن..
عادت لتنظر له هامة بسؤاله بجزع..لكنه سبقها بأن قال موضعاً بهدوء ؛

_نحن في المزرعة..لا أحد سيجدنا هنا..لا تخافي !

بل عليها أن تخاف..عليها أن تخاف و بشدة..لأن لا أحد..لا أحد سيقف بجانبها إذا ما وجدها

شهاب..حتى هذا الجالس أمامها ربما لن يهتم..

سينسحب كما انسحب أشرف..و خالتها و زوجها لن يقفا ضده بعد أن يطلعهم على ما فعله

بها..إلا من بعض الكلمات العاطفية و التريينات الحانية التي لا تهمها..فكلاهما.. كلاهما يعشقان

شهاب حد الموت..كما يعشقان المال و الثروة و السمعة الجيدة..

حتى خالتها ستضطر لتنصاع لزوجها الذي سيأمر بإتمام هذا الزفاف حتى لا يفتضح الأمر

فتتدمر سمعة العائلة العزيزة و مكانتها..

و الله وحده يعلم ما قد يفعله بها حينما تصبح زوجته..بعد ما سمح لنفسه باستباحة عذريتها

و هي ليست زوجته..فكيف بعد أن تصبح ملكه رسمياً !!

و بعد أن يعلم أنها حاولت الهر.....لا..لم تحاول..لؤي من استغل غيابها عن الوعي ليحضرها

إلى هنا..كما كان من المتفق أن تتزوج هي و أشرف..

و تحملت عقاب تلك الخطوة لوحدها..و ستتحمله الآن أيضاً لو وجدهما...لوحدها !!!!

لم تشعر بنفسها و هي تهتف من بين أنفاس متدهورة بجزع ؛

_أنت..أنت...كيف أحضرتني إلى هنا ؟!!!!

زفر لؤي بأعصاب مرهقة و هو يقول مهدئاً ؛

_ليس هذا موضوعنا الآن يا سجي..سألتكِ هل تتزو.....

لم يستطع أن يكمل..فقد قاطعته سجي فجأة و هي تقبض على ياقة قميصه بيديها الإثنتين

هاتفة من بين الدموع التي تدافعت كالأنهار في عينيها بتوسل معذب ؛

_بل وقته..وقته تمامًا..شهاب...شهاب سيقتلني لو علم باختفائي..شهاب سيجدنا و أنا فقط

من سأتحمل العقاب هذه المرة كما المرة الماضية..أعدني..أرجوك أعدني...لا تؤذني أكثر يا لؤي..لا

تؤذني..أنا لم أعد أتحمل..لن أتحمل..هل تسمعي ؟!!!! أقسم أنني لن أتحم.....

قاطعها لؤي بقوة و هو يكتم فمها..و مجددًا وجد عينيها تعصفان بمشاعر استنتج من

خلالها أن حركته هذه ذكرتها بالآخر..لهذا وجد نفسه يبعد يده بسرعة كالملسوع..

ثم لم يلبث أن همس لها ببطء شديد و تأني كل غايته أن يدسّ الكلام في عقلها المشتت ؛

_لن يحدث لك أي شيء..شهاب لن يستطيع أن يلمسكِ بعد لأنني هنا..أنا لن أترككِ بعد

الآن..هل تفهمين ؟!!!! لن أستسلم حتى لو رفضت و أجبرتكِ على إمضاء عقد الزواج بي فسأفعل..أنتِ

لن تزوجي بشهاب و لن تخرجي من هذا المنزل إلّا و أنتِ تحملين اسمي أنا..اسمي أنا يا سحى...هل تفهمين ما أقول ؟!!!

كانت عيناها تجسدان العذاب..كلما أضاف كلمة جديدة يرى الضياع المشبع بالخوف
يفترسهما أكثر..رفع يديه ببطء ليمسكَ بيديها المتمسكتين بياقة قميصه بدون أن يبعهما..بل
ألصقهما أكثر بصدرة بينما يهمس بتوسل ؛

_اسمحي لي بأن أكفر عن ذنبي بحقك..أنا أعلم أنك لم تستسلمي بعد..أنت لا تريدين الزواج
من شهاب..لا تحاولي أن تنكري لأنك بنفسك من اعترفت منذ لحظاتٍ بأنك لن تتحملي أيّ عقاب آخر
منه..فكيف بحياة كاملة تعيشينها تحت ظله ؟!!!..تتحملين فيها رؤية ملامحه و سماع صوته و لمساته
!!!!

قال آخر كلمة بصوتٍ أشد ارتفاعاً..بينما تسمرت سحى تماماً و عقلها لا يردّد سوى كلمة
واحدة...لمساته !!!

تلك الكلمة فقط..كانت كفيلة بأن ترجعها إلى نفس النقطة حيث شعرت بكل تلك اللحظات
العصبية المريعة تتكرّر في ذهنها بسطوة..تضاعف من خوفها و تحفز رغبتها في الموت أكثر..
ارتجفت يداها بقوة..قبل أن تسحيمها متحرّرة منه لتحاوط رأسها..متخللة شعرها..مُطبقة
عينها بقوة و كأنها فقط تحاول أن تقيد تلك الأفكار الهوجاء عبثاً..
تتوسل عقلها أن يمنحها رحمة النسيان لكن توسلاتها لا تنشد استجابة !
و أمامها..التزم لؤي الصمت سامحاً لكلماته بالتسلل إلى إدراكها ملياً لعلها تقتنع..إلى أن
عادت تفتح عينها المُعذبتين لتنظر له بعجز..

و حينها هتفت و هي تهز رأسها بالنفي برفض تام رغم نبرة صوتها الضعيفة المتحشجة ؛
_لا أستطيع..لا أستطيع...أنت تفعل كل هذا بدافع الشفقة فقط..و حينما تمر بك الأيام
ستندم أشد الندم على هذه الخطوة الغبية..أنا أكره نفسي و أشعر بالاشمئزاز مني فكيف بك أنت..لا
رجل يستطيع التعايش مع زوجة مطعونة في شرفها..حتى و لو كان زواجاً ورقياً فقط..حتى لو كنت
أنت لؤي ابن خالتي الذي يعرفني أكثر من نفسه..لقد قلتها بنفسك..أنت تريد تكفير ذنب لست من
ارتكبه في الأساس..لكنني لا أستطيع..لا أستطيع أن أفعل بك هذا..أنا إنسانة ميتة..لن تستوي لي
حياة بعد الآن..و لن أعود كما كنت..لا أستطيع أن أنصاع لرغبتى الأنانية في استغلال هذه الفرصة
على حساب حياتك أنت...لا أستطيع !!!!

قالت آخر كلمة بصوتٍ امتزج ببكاءها العنيف و هي تطبق عينيها مجدداً..فصمت لوي
للحظاتٍ ينظر لها بأسى..قبل أن يهمس بنبرة خافتة يشوبها كل الصدق ؛
_و إذا أخبرتك أنني أريدك..أنا أريدك بشدة يا سجي..أعلم أنني لا أحبك و لا أنتِ
تحبينني..لكنني لم أعد أتخيلك في هذه اللحظة إلا زوجتي أنا..أنا أريد أن أحملك من نفسك حتى إذا
التزم الأمر..نعم..أنا طلبت منك أن تسمحي لي بتكفير ذنبي..لكنك لم تسأليني أيّ ذنب !!!
صمت للحظة..ثم استأنف ببطء..ينظر إلى عينيها المؤطرتين باحمرار البكاء ؛
_كان ذنبي الأغبي أنني لم أفكر بهذه الطريقة من قبل..لو كنت قد فكرت بها من قبل لكنتِ
زوجتي الآن و لما كنتِ تعرفتِ على أشرف أو أحببته..لكنتِ قد أحببتني أنا..و أنا أعلم أنكِ
ستحبينني..كما سأحبك يوماً ما..أنتِ فقط امنحيني هذه الفرصة..كوني أنانية و تمسكي
بيدي..اسمحي لي بانتشالك من قوقعة اليأس هذه..رجاءً..رجاءً!!!!
صمت أخيراً و هو يفرد يده في اتجاهها بينما عيناه تنظران لعينيها برجاءٍ خالص قرأته
بهما..كانت لحظة واحدة..نقلت فيها عينيها المرهقتين بين وجهه ثم يده..
لحظة واحدة استعاد فيها عقلها كل ذكرياتها..الجميلة منها و السيئة..معه..مع شهاب..مع
أشرف.....
تذكرت موقفها مع أشرف و تخليه عنها بكل تلك البساطة رغم توسلاتها..
نظرات شهاب المنتصرة و التي وعدتها بتحقيق انتصارات أخرى مستقبلاً على حساب كرامتها
و كبرياءها و حياتها..
ثم كلماته.....كلماته !!!
" أظن بأن العقاب كان منصفاً جداً أمام فعلتك -القدرة-..و لا ريب في أن الشكّ لن يراودك
بعد الآن حول ما أستطيع فعله بكِ إذا ما حاولتِ عصيان ما أقول !!! "
" هل تحبين أن تري وجهي الآخر الذي قابلته بالأمس ؟! "
" ألقى نظرة توديعية على منزلكِ الذي ستعودين لتعيشي فيه قريباً..
" أنا و سجي تكلمنا كثيراً خلال هذين اليومين و قرّرنا أن نقرب موعد الزفاف أكثر..
" لكن هذه الفرصة مكبله بشروطي أنا التي ستنفذنها دون نقاش و ترتضين بالنتيجة في ما
بعد..بغض النظر عن إذا كانت لصالحكِ أو لصالحي !!!!! "
" هل تحبين أن تري وجهي الآخر الذي قابلته بالأمس ؟! "
" هل تحبين أن تري وجهي الآخر الذي قابلته بالأمس ؟! "

مع تكرّر تلك الكلمات المؤذية في عقلها بغير كوابح..وجدت يدها تتحرك تلقائيًا بدون وعي منها
لتقترب من يده إلى أن ارتاحت فوقها..

فتمسكَ بها لؤي بقوة ناظرًا لها بابتسامة واهنة جدًا تدبرها بصعوبة بالغة..ليقول بعدها
بنبرة صادقة تمامًا..و حدقتين تنطقان بالكثير و الكثير..

_أعدكِ أنكِ لن تندمي أبدًا على هذه الخطوة..أعدكِ أنني سأغير كل حزنكِ هذا إلى فرح..و
يأسكِ إلى أمل لن يندثر مجددًا إلا باندثار أنفاسي..و خوفكِ إلى شجاعة أستعيد بها سجي القديمة..و
قلبك المكلوم إلى قلبٍ مفعم بالحب و الأمان..أعدكِ أنني لن أترك يدكِ هذه أبدًا بعد الآن..سأكون
صديقكِ و أخاكِ و زوجكِ و -حبيبكِ- إذا أردتِ !!

صمت أخيرًا تاركًا لعينيه مهمة التصديق على وعوده التي نبعت من جوف قلبه..بينما دمعت
عيننا سجي بشدة أمام كلماته السخية..

و تحركت أناملها المرتعشة تتمسكُ هي الأخرى بيده رافضة أن تسمح لأيٍّ من مخاوفها
بإضعافها أكثر..هي ستمسكُ بيده و كفى !!!

#الكاتبة

كانا يجلسان كلاهما في غرفة المكتب الواسعة بهذه المزرعة..بينما أمامهما تمامًا يجلس موظف عقد القران و في الجانب الآخر رجالان لم ترهما من قبل..فقط أخبرها لؤي أنها سيشهدان على الزواج..

كانت مطرقة رأسها طيلة الوقت..عينها الفارغتان تناظران الأرض بصمتٍ..و ذلك الفستان الأبيض الذي يلفّ قوامها الرقيق يكاد أن يبتلعها بالكامل..
كان فستانًا قديمًا يعود إلى خالتها..لكنه لا يزال جميلًا و فاخرًا..ككل ثياب خالتها التي نُسيت في هذه المزرعة كما نُسيت المزرعة نفسها..

لقد انتقاه لؤي لأجلها..لا لشيءٍ إلا رغبة في الظهور بمظهر طبيعي و لائق أمام كل الحاضرين..أو ربما أراد لها هي أن تعتكف بعض الأمل الخائن من فكرة أنها ستتزوج اليوم..من لؤي..صديقها..و ابن خالتها الأوسط الذي اعتبرت صدره ملجأ لها..لا شهاب...
حتى و لو كان زواجًا ورقيًا..يكفيها أن تتخلص من لعنة ذلك الاسم..
بينما بقي هو بقميصه الأبيض و بنطاله الرسمي..

لم تحاول أبدًا أن ترفع رأسها..كانت فقط تشابكُ بين أناملها المتوترة..بين لحظة و أخرى تنفج شفتاها لتردد ما يطلبُ منها مأذون الزواج أن تقوله..
إلى أن دفع العقد و القلم نحوهما..و بالطبع كان لؤي اول من التقط القلم ليقع بدون أي تردد..بينما هي..نالت كل التردد !

ابتلعت ريقها باضطراب و هي تمد يدها لتمسك بالقلم محاولة التحكم بارتجافة أناملها..لكنها عجزت تمامًا..فكان يقع منها لأكثر من مرة بشكل جعل كل الجالسين ينظرون لها بارتياب..
إلا لؤي..هذا الأخير الذي رمقها بنظرة قلقة..قبل أن يمد يده ليقبض على يدها برفق و كأنه يحاول أن يساعدها في التغلب على ارتجافتها التي تكاد أن تنتقل إليه..
_دعها توقع بنفسها لو سمحت !

سمع هذا الأمر الموجه إليه بصوت الموظف أمامهما..فتردد للحظة..لكنه لم يلبث أن ترك يدها ببطء و حذر..بعد أن رمق عينها القريبتين منه بنظرة تحتضن أصدق وعود الاحتواء..

سحبت سحى نفساً عميقاً و هي تطبق عينيها للحظة واحدة..قبل أن تمسك بالقلم و تنكب
على العقد موقعة إياه بسرعة غير سامحة لأي أفكار بثنيها عن تنفيذ هذه الخطوة..
نفس لاهث هرب من بين شفتيها و هي تر اقب أنامل الرجلين أثناء توقيعهما..قبل أن يقول
الموظف بابتسامة هادئة و هو ينظر لهما و يغلق الملف الذي استوفت كل شروطه الآن ؛
_مبارك لكما !

أوماً له لؤي بغير تركيز..ثم وقف ليصافح الرجلين اللذين لم يكونا سوى صديقان قديمان من
أيام الجامعة تعمد أن يلجأ إليهما حتى لا يُفتضح أمره و يمر كل شيء بخير..
امتدت يد واحد منهما تلقائياً لسحى رغبة في مصافحتها و تهنئتها..لكنه تفاجأ برد فعلها حينما
تراجعت خطوة خائفة نحو الورا و كأن يده أفعى ستلدغها..
إلى أن قبضت بيديها الاثنتين على ذراع لؤي..ذلك الذي تدبر ابتسامة حاول جعلها مرحة و
هو يقول لصديقيه بينما راحة يده ترتفع لترت على أنامل يديها المتمسكتين بذراعه بقوة ؛
_أسف..زوجتي كما تعلمون تخجل قليلاً !

أنزل الشاب يده و هو يبادلها الابتسامة بتفهم..فالتفت لؤي قليلاً لينظر إلى سحى..قبل أن
يهمس لها بخفوت ؛
_سأرافقهم إلى الباب و أعود في الحال..
أومات سحى ببطء و عيناها تتعلقان في عينيها تنظر له بطريقة جعلت خفقات قلبه تضطرب
أماً لأجلها..قبل أن تترك ذراعه على مضض سامحة له بتوديع ضيوفه كما طلب..
رافقهم لؤي بهدوء إلى الباب و على شفتيه ابتسامة منقوصة..إلى أن أغلقه بعد رحيلهم و عاد
إليها بسرعة..

توقف في حاجز الباب ينظر لها بينما تجلس في نفس الكرسي..
مطرقة الرأس بملامحها الباهتة الفاقدة للون الحياة و عينيها الزائغتين..شعر بقلبه يرق و
هو يتأمل هذا الضعف و الضياع الذي لم يعتد رؤيته مر افقاً لملامحها أبداً..
فاقترب يحث خطواته نحوها بينما يهمس بخفوت ؛
_سحى !

رفعت سحى رأسها نحوه مُجفلة بدون سبب..أو هناك سبب فهو قد أصبح يتفهمها تماماً !

بدت و كأنها تتحامل على نفسها و قوتها الخائرة إلى أن وقفت تزامناً مع وصوله إليها..فتنهذ
لؤي ناظرًا لها بصمتٍ لوهلة..قبل أن يمد يديه إلى أن قبض على كتفها برفق.. و اقترب أكثر ليطيع
شفتيه الدافئتين فوق جبينها للحظاتٍ طالت حاولت أن تصمد فيها بصبر..
لكنها لم تستطع حتى هذا القدر..فدفعت صدره بضعفٍ و هي تهمس ؛
_لؤي..رجاء !!

ابتعد عنها لؤي لينظر لوجهها..ثم همس بعد لحظة بحزم حان ؛
_الآن تبقت لدينا الخطوة الأصعب !
نظرت له سجي عاقدة حاجبها بنظرة مزجت ما بين التوجس و الخوف..فقال يكمل بحذر
بالغ ؛

_أن نواجه كل العائلة بزواجنا حتى نستطيع أن نتخلص من شهاب إلى الأبد و نعيش في سلام !
اتسعت عيناها قليلاً و هزت رأسها بالنفي بقوة مدعورة..لكن لؤي قال مؤكداً بحزم شديد
رغم نبرة صوته الخافتة الحنونة ؛

_بل سنفعلها..سنفعلها سويًا يا سجي..هل نسيت أنك أصبحت زوجتي ؟!!! الآن لا أحد..لا
أحد سيستطيع انتزاعك مني و إجبارك على أي شيء..أنت فقط ثقي بي..ثقي بي !!!
قال آخر كلمة بحرارة و أنامله تعود لتعرف طريقها إلى أناملها الرقيقة..و ظل ينظر لها
للحظاتٍ..يرى كم الضياع و الخوف الذي يلتهم ملامحها..
إلى أن هزت رأسها بالإيجاب ببطء..ثم همست تبتلع ريقها الجاف بصعوبة أمامه و مشهد
أشرف يتكرر في ذهنها ؛

_إذا تخليت عني أنت أيضًا...فلن أعيش !
هز لؤي رأسه بالنفي غير قادر على لفظ كلمة واحدة..عيناه فقط من تكلمت..و دموعه التي
لم يبدو أنها ستتنضب أبدًا كدموعها كانت تسرد الكثير..
تدبر ابتسامة دامعة واهنة و هو يدقق النظر بعينها..و تساءل عقله بالحاح...أين كان ؟!!
أين كان غافلاً عنها ؟!! لماذا لم يفكر فيها يومًا على هذا النحو ؟!!! اليوم فقط استوعب أنه
كان مغفلًا كما وصفه والده في كثير من الأحيان !!
لكن لا بأس..ها هي ذي الآن أصبحت زوجته..زوجته التي سيمها كل حياته بلا شروط أو
تردد..ما فعله لا يسمى تضحية..بل خطوة كان يجب أن يخطوها منذ زمن طويل..لما استطاع شهاب
ملاحقتها أو إيذاء شعرة واحدة منها !!

كانت تجلس بجانبه على طرف السرير..هادي يجلس نصف مستلقياً بينما هي..تمسكُ بقدمه
لتساعده في ثني ركبته بين الحينة و الأخرى كنوع من تدريب العضلات كما أخبرها الطبيب..
كانت تنقل يدها من قدمٍ لأخرى بتركيز تام..عينها شاردتان بعض الشيء بعيداً عنه..بينما
هادي يتأملها بسكونٍ تام..إلى أن همس فجأة محتفظاً بهدوءه ؛
_كفى !

رفعت شهد رأسها نحوه ناظرة له بتساءل ؛

_هل تعبتي ؟!!

قال هادي مبتسماً نصف ابتسامة حنونة ؛

_بل أنتِ من تعبتي..تعالى إلى هنا !

لم تمنع شهد تنفيذ طلبه..تركت قدميه لتدور حول السرير إلى أن جلست بجانبه بهدوء..ثم
سرعان ما شعرت بذراعيه ترتفعان نحوها لا لشيءٍ إلا ليطوقها بالكامل مقرباً إياها منه إلى أن ارتاح
رأسها على صدره..

كان شعرها منسدلاً الآن بنعومة عكس العادة..و بدت لعينيها العاشقتين..جميلة على نحو
مختلف..ارتفعت أنامل يده لتتخلل تلك الخصلات الناعمة برفق شديد..بينما غرقت عيناه في شرود
عميق للحظات..

إلى أن همس بعد دقائق بصوتٍ غريب و هو يخفض رأسه قليلاً ليغرق أنفه بين خصلاتها

مستنشقاً رائحتها المسكرة ؛

_لماذا لا تسدلين شعرك دائماً ؟!!

بدا وكأنه قد فتح جرحاً غائراً قديماً لديها..فأغمضت شهد عينيها باستسلام للحظات..إلى أن

همست بصوتٍ مرتجف ؛

_لقد كانت المشرفة في دار الأيتام تمنعني من تركه منسدلاً بحجة أنه طويل جداً..لهذا فكرت

أنك.....

صمتت فجأة بغصة..فشدد هادي من ضغط ذراعيه حولها و هو يكرّر بحذر ؛

_فكرتِ أني.....ماذا ؟!!!

ابتلعت شهد ريقها ببطءٍ و عقلها يعيدها رغماً عنها لبداية زواجهما..حينما كان لا ينفكّ

يقسو عليها لسبب أو آخر..قبل أن تهمس بصوتٍ خافتٍ متهدج بتردده ؛

_أنك...ربما قد تنزعج أيضًا من طوله !!

جملتها تلك..ضربته في مقتل..شعر بقلبه يختلج بمشاعر سيئة جدًا..و ظل صامتًا ينظر أمامه لثوان أخرى نظرة باهتة قليلًا..قبل أن يهمس بنبرة تشبه الاستنكار..نبرة شاردة أشد غرابة من

السابقة ؛

_أنزعج من طوله !!!!

رفعت شهد رأسها لتقابل عينيه سائلة بترقب ؛

_ألم تنزعج ؟!!!!

بالكاد استطاع هادي أن يخرج من دهشته ليخفض رأسه ناظرًا لعينيها الجميلتين ببرائتهما الخلابه..ثم ابتلع ريقه باختناق و يده ترتفع تلقائيًا لتغطي وجنتها هامسًا بصوتٍ أجش اخترق قلبها المسكين بصدقه ؛

_هل رأيت نفسك في المرأة مسبقًا ؟!! هل دقتِ النظر بعينيك ؟!! بلامحك ؟! بشعرك ؟!!!!
ببرائتك المهلكة هذه ؟!!!! هل يستوعب عقلك سؤالك ؟!! بل هل تسمع أذنك ما يلفظه لسانك ؟!!
انخفض أكثر إلها إلى أن لمس جبينها بجبينه..و حينها أكمل بذات نبرته بينما أنامله تصنع دوائرًا وهمية فوق وجنتها..

و عقله يذكره بمرارة أن موعد رحيلها اقترب..اقترب جدًا..
و أنه رغم كل وعوده و ابتساماته لا يزال حتى الآن عاجزًا تمامًا عن تغيير هذه الحقيقة المرة
أو تجاهلها أكثر..لكنه سيتناساها اليوم فقط..

الآن من ينظر لها ليست شهد التي تزوجته إيفاءً باتفاق تافه ستأخذ عليه مقابل..بل شهد صديقه..رفيقة طفولته و مراهقته..شهد حبيبة قلبه و وحيدته !!!!

_أنت...جميلة جدًا !! جميلة للحد الذي يجعلني غير قادر على إزاحة عيناك عنك..جميلة في جميع حالاتك..سواء بشعرك المظفور أو المفرد أنت جميلة..هي لم تكن تمنعك لأنها تنزعج من طول شعرك..بل لأنها تغار منك..تغار من -شهدي- أنا !!!

شعرت شهد بالدموع تتدافع في عينيها بقوة و هي تسمع تلك الكلمات الساحرة

منه..فأطبقتهما بشدة غير مصدقة..هل قال هادي كل ذلك حقًا ؟..

بينما ارتجفت شفتاها بشكل بدا ملحوظًا لعينيه..فانخفضت أنامله أكثر لتلامسهما برفق..ثم

همس من بين أنفاسٍ غير متوازنة و هو بالكاد يكبح أمنية مجنونة اجتاحتها بأن يستبدل

أنامله..بشفتيه..و لتذهب إلى الجحيم كل وعوده السابقة لنفسه..

_افتحي عينيك !

لكنها لم تفتحهما..كانت أول مرة لا تنصاع فيها لأمره و هي تطبق عليهما أكثر..إلى أن أعاد
همسته بخفوتٍ شديد و برجاءٍ لم تعلم لما لمحت بداخله حزنًا خفيًا..
و كأنه يتوسلها أن لا تحرمه لذة التشبع بتأمل كل تفاصيلها قبل.....موعد رحيلها الذي بات
قريبًا !!!

_افتحي عينيك..رجاء !

استطاعت شهد أن تفتحهما أخيرًا على تلك الدموع الساخنة التي تحررت لتسقط فوق
صفحة وجهها البيضاء ببطءٍ خادع..فتحركت يده لتمسح دموعها برفق..دون أن ينتبه لتلك التي
كانت قد لامست جفونه هو أيضًا..
لكن شهد انتهت لها..و تسمرت تمامًا ناضرة لعينييه بعدم قدرة على الاستيعاب أو التنفس
بشكل سوي حتى..كان قلبي يرفرف حرفيًا كطائر هارب و نبضاته تتسارع بقوة مخيفة بينما عيناها
جاحظتان ذهولًا..

رفعت يدها ببطءٍ لتلمس تلك الدمعة العالقة بين رموشه الداكنة كحاجبيه و شعره..و لم
تستطع أن لا تهمس بشفتين فاغرتين ذهولًا و صدمة ؛

_أنت.....تبكي !!!!

" نعم ،أنا أبكيك !

أبكِ سنيًا ضاعت مني في مر اقبتكِ عن بعد غير قادر لا على لمسكِ أو الاطمئنان عليك..
أبكِ جفاءً تصنعه طويلاً..لا لشيءٍ..سوى حزنًا و خوفًا عليك..أبكِ تضحية أردت قلبي قتيل
الاشتياق و الأمل الواهن !!! "

كان هذا حديث عينييه الصامت الذي قرأته شهد كاملاً..لكن ما جعل من أنفاسها ترتجف
أكثر..حركة ذراعيه اللتين ارتفعتا ببطءٍ لتضمناها أكثر إليه مخفيًا رأسها بين عنقه و كتفه..
شهقة خافتة جدًا غادرت شفتيها و هي تشعر بذلك التوتر الذي ير افقها معه غالبًا يعود
ليسيطر عليها..

هذا التوتر الذي استحال بعد لحظاتٍ قليلة فقط إلى نبع من الأمان و الدفء الذي انبعث
من أنفاسه التي كانت تلفح بشرتها..

و التي وعدتها بالأمان..و لا شيء سوى الأمان !!

فلم تشعر بيديها و هما ترتفعان ببطءٍ من فوق صدره الخافق بعنفٍ إلى أن أحاطت عنقه بقوة مماثلة..بل أشد من قوة ذراعيه الحنونتين..و أغمضت عينها بقوة و هي تسمع صوته المكتوم المختنق قليلاً بينما يدفن أنفاسه المضطربة في تجويف عنقها ؛

_ لا تظفري شعركِ بعد !!

اختلج قلبها بمشاعر محمومة و شعرت أنها ستنصهر حتماً في أي لحظة..و لم تفهم أم ربما استوعب عقلها أن هذا العناق ،يشبه عناق.....الوداع !!!

ساد الصمت بينهما لعدة لحظاتٍ و هما على هذا الوضع..أنامله تتجولان بين خصلات شعرها بلهفة..و أنفاسه اللاهثة تداعب بشرتها و روحها بألم..إلى أن شعرت براحتيه فوق كتفها و هو يبتعد قليلاً لينظر لها..

فهمست بصوتٍ شبه مبجوح..تحاول استعادة تركيزها و صوابها بعد عناقه عبثاً..همست تخاطب عينيه ببراءة كادت تصهر قلبه ؛

_لكنني..اعتدت تركه مظفوراً !

وجد هادي نفسه يبتسم نصف ابتسامة شاحبة لم تداري حزن عينيه و هو يهمس بينما أنامله تداعب وجنتها بسحر يخصّه ؛

_لا بأس إذاً من تجديله أحياناً..كلما أردتِ -أنتِ- !

_و أنت ؟!!!

همستها بنفس النبرة الخافتة المبحوحة و عيناها لا تزالان متعلقتين بعينيه..فأجاب هادي بخفوتٍ أكبر و كأنه يفكر في إجابة لسؤالها الهادئ هذا بالفعل ؛
_أنا.....

صمت للحظاتٍ..ثم عاد يكمل بنفس النبرة..لكنها أشد بطئاً و خفوئاً و عمقاً ؛

_أنا.....أحبك- في كل حالاتك !

أحبك !!!!!

اتسعت ابتسامته قليلاً و هو يرى تعاقب نظراتها المسكينة بعد اعترافه المُبطن هذا..و انعقاد حاجبيها بشدة..قبل أن تفتح فمها ببطءٍ و كأنها ستقول شيئاً ما..لكنها عادت تزمه بحيرة..و زاغت عيناها عنه للحظة..قبل أن تعيدها إلى عينيه هامسة بضياح ؛

_ت..تحبني !!!

رغم التأثر الذي اكتنفه بسماع سؤالها البريء.. إلا أنه كالعادة.. لا يمكنه إلا أن يسمح لطبيعته المحبة لرؤية إخراجها أن تتدخل.. فهمس يهز رأسه مبتسمًا بجذل بينما نبرته تكتسب بعض الخبث ؛

_هل ستحاولين إقناعي الآن بأنك لم تكوني تعلمين !
ابتلعت شهد ريقها بصعوبة أمام عينيه و عقلها يعيدها إلى ذلك اليوم.. و اعترافه
العفوي.. الساحر آنذاك !

قبل أن تفتح فمها لتهمس بتعثر أول شيءٍ خطر في بالها ؛
_هل.....ننام ؟!!!

الآن تحولت ابتسامته إلى ضحكة صغيرة مندهشة.. قبل أن يقرّر عتقها فهمس ببساطة ؛
_لننام !

رمشت شهد بعينها تكاد أن تشكره على ردة فعله تلك.. و لوهلة.. بدت عاجزة تمامًا عن ترك ملامحه.. و ضحكته تلك.. إلى أن هزت رأسها ببطء.. و التفتت عنه بغاية واحدة.. أن تمسك بطرف الغطاء مسدلة إياه فوق جسده..

سحبها هادي برفق نحوه إلى استلقى رأسها فوق صدره.. فوق قلبه الخافق تمامًا.. بينما عادت أنامله تتخلل شعرها لتمسكه لها بنعومة شديدة جعلت من عينها الجاحظتين تنسدلان ببطءٍ شديد إلى أن أسدلتها تمامًا..

لكنها عادت تفتحهما شبه مجفلة حينما سمعت صوت مفتاح المصباح الجاني و الظلام ينتشر في الغرفة.. همس هادي بتوجسٍ و هو يربت بذراعه بحنو فوق كتفها ؛
_هل تخافين من الظلام ؟!!

سمع صوتها يأتيه خافتًا مختنقًا قليلًا رغم هدوءه ؛
_لا.. إنه فقط يذكرني بلحظاتٍ سيئة !

انعقد حاجبا هادي قليلًا و هو يهمس متساءلاً ببعض الخشونة ؛
_أي لحظاتٍ ؟!!!

صمتت شهد للحظاتٍ ظل فيها هادي ينتظر إجابتها بقلق.. إلى أن تكلمت.. همست بصوتٍ متحشرج أظهر تأثرها بما ستقوله ؛

_كنت دائمًا أكتم دموعي باستماتة عن المشرفات.. حتى أثناء عقابي و في لحظاتٍ غضبهم و توبيخهم لي لم أكن أبك.. كنت أصمت فقط إلى أن ينتهي النهار و يطفو الظلام و حينها فقط أندس

تحت غطاء سريري المهترء هناك لأحرز كل دموعي المكبوتة بصمتٍ.. بصمتٍ تام حتى لا يسمعي أحد
فأنال العقاب مجددًا !!

أغمضت عينيها بشدة بعد آخر كلمة في محاولة يائسة لمنع دموعها الضعيفة من الانسياب
مجددًا.. لكنها تمردت.. و انسابت ببطءٍ.. فلم تجد مفراً منها سوى أن تندس في حضنه أكثر..
بينما تسمر هادي تمامًا للحظات و تلك الابتسامة التي كانت تحتل عينيها قبل دقيقة فقط
تستحيل إلى فيض من الحزن و المرارة بسماع صوتها المتألم..
و لم يتردد أبدًا من أن يمد يده ليضغط على نفس الزر الخاص بالمصباح الصغير إلى أن عاد
الضوء لينتشر بكل الغرفة..

كان يضمها إليه بقوة.. و كانت يدها مرتاحة فوق صدره.. فتحركت يده تلقائيًا لتمسك بها
بقوة.. لكن عقله مجددًا عاد و أرسل له صورة من مأساة حبيبته..
فلم يشعر بأنامله التي تحركت على يدها بخفة إلى أن لمس بإبهامه ذلك الأثر بمعصمها.. و
الذي لطالما أرق قلبه و آلمه..

هل هو نتيجة أحد العقابات التي نالتها من المشرفات ؟!!!!
استطاع بصعوبة تجاهل هذا السؤال و رغبته العارمة في معرفة جوابه حتى لا يحزنها
أكثر.. فاكتفى بأن تمسك بيدها متمهّدًا تهيدة طويلة صامتة..
قبل أن يرتفع جانبًا شفّتيه في شبح ابتسامة هادئة حزينة حينما شعر بأناملها تتحرك ببطءٍ
بداخل يده إلى أن أصبحت متمسكة بها هي الأخرى بشدة..
و كانت حركتهما هذه كفيلة بجلب بعض الاطمئنان إلى قلبه.. و الأمان إلى قلبها.. فتناقل
جفناها ببطءٍ شديد.. و استسلمت للنوم بإرادتهما..
كما استسلم هو لمشاعر المرارة التي عادت ترتسم في ملامحه.. غير سامحة له بإغماض عينيها
إلا بعد ساعاتٍ طالت أمضاها في التفكير في كلامها و النظر إلى السقف فوقهما بفراغ..

كان يذرع غرفته ذهابًا و إيابًا.. ملامحه محتقنة بلون أحمر تدل على الانفعال و الغضب الذي
يعانيه منذ يوم الأمس.. رن هاتفه فجأة فالتقطه بسرعة من فوق السرير ليجيب بصوتٍ مشدّد متوتر
غاضب ؛

_هل وجدتهما ؟!!

جاءه الصوت المقتضب للرجل الذي اعتاد مراقبة سجي يقول باحترام و أسف ؛

_للأسف لا..لقد ذهبت إلى شقة السيد لؤي و إلى كل مكان قد يكونا فيه لكن بدون جدوى !

هتف شهاب بجنون و هو يشعر بالغضب يجتاح كيانه بضراوة ؛

_ولماذا تتصل بي الآن أيها الغبي ؟!! اذهب و ابحث عنهما..لا تترك مكانًا في المدينة إلّا و بحثت

فيه..أريد هما اليوم..هل تفهم ؟!!! و إلّا فلن يدفع الثمن غيرك !!

أغلق الخط في وجهه بقوة و هو يعود ليلقي بالهاتف فوق السرير بإهمال..قبل أن يرفع يده

إلى شعره القاتم بينما الأخرى يستند بها إلى جانبه بغضب أهوج..

ذلك الغبي !!!

لقد كان يظن أنه لن يعود قبل اليوم..بعد أن طلب من والده أن يرسله هو بدلًا عن أحد

الموظفين لهذه الرحلة العملية في غرض التخلص منه بعد أن تأكد بالدليل القاطع أنه متواطئ مع

سجى و ذلك الجبان حبيبها في خطتهما..

فهو لم يكن غافلاً..شهاب الشاذلي لا أحد يخدعه..هل كانوا يتوقعون بالفعل أنه سيسافر

هكذا ليختفي لأيام حتى لو كانت قليلة تاركًا لهم الحرية الكاملة في استغفاله بهذا الشكل !!

لقد سافر بذهن مرتاح بعد أن أمر الخادمة الغبية بمر اقبة سجى و لؤي طيلة وجودهما

بالمنزل..و بالطبع كانت سجى مر اقبة طيلة الأسبوعين الماضيين من طرف الرجل الغبي الذي اتصل به

قبل قليل..

و ما إن شعر بأن هناك أمرًا كبيرًا ينفذ من خلف ظهره..عاد من فوره قبل يومين من الموعد

المحدد..تاركًا أعماله المتبقية تحت مسؤولية أحد مساعديه..

و بالطبع أثر البقاء في منزله البعيد..مفسحًا المجال للخائنة الصغيرة بتأكيد ظنونه عنها !

زفر بعنفٍ و هو يتخلل شعره أكثر بعنفٍ و توتر..هل تكون قد أخبرته ؟!! و حتى و لو..ما الذي

سيتغير ؟!! و إلى متى سيظل يخفيها ؟!!

مكانها هنا و ستعود لهنّا..حتى لو أخبر العالم عن فعلته فهو لن يخسرّها مجددًا..لأنّها

ملكه..تبًا للجميع إنّا ملكه !!!!

_مستعدة ؟!!!

همسها لؤي بصوتٍ خافتٍ رفيق جدًا و هو ينظر لسجى التي كانت تجلس بجانبه في

سيارته..لكن هذه الأخيرة بدت بعيدة كل البعد عن ما تحمله تلك الكلمة من معنى..

فقد همست بنبرة ضعيفة و الدموع الهادئة تعود لتتشق طريقًا مؤذيًا إلى قلبها قبل وجنتها ؛

_دعنا نعود يا لؤي..أرجوك !

تهند لؤي بتعب و هو ينظر لها بأسى..إلا أنه هذه المرة لم يستجب لرجائها..فقد أطبق عينيه
متنهدًا بحزم للحظة..قبل أن يمد يده ليمسح تلك الدموع الساخنة برقة بالغة..
ثم وبدون أن يضيف كلمة..فتح الباب و نزل..دار حول السيارة بسرعة إلى أن توقف أمام
بابها و فتحه هو الآخر محفزًا إياها بعينه فقط أن تثق به و تنزل..
لكنها رفضت تمامًا..بل و أطرقت برأسها كمن يشعر بالضيق..همس لؤي برجاء شديد و هو
يشعر بقلبه يتمزق و يئن ألمًا ؛

_سجى !!!!

و كأن الجواب..أن هزت رأسها المطرق بالنفي هامسة بضغفٍ و اختناق ؛
_أنت لا تفهمي !..ما عشته لم يكن سهلًا أبدًا..مقابلة ملامحه مجددًا و النظر لها أصبح أمرًا
شاقًا للغاية بالنسبة لي..أنا خائفة..لن أنكر بعد...أنا خائفة !!
اكتسح الحنان عيني لؤي الحزینتین..قبل أن ينحني إلى أن جلس القرفصاء أمام مقعدها..ثم
مد يده ليحتوي برفق أنامل يديها المتشابكتين..
و همس لعينها المتهربتين منه بصوتٍ حازم بطيء ؛

_بل أنا أكثر من يفهمك..و أعلم أن هذه الخطوة صعبة جدًا بالنسبة لك لكنها مهمة
جدًا..صدقيني يا سجى لن تستقيم لنا الحياة إلا بعدها..شهاب سيظل يلاحقنا لو بقي على ظنه بأننا
هاربان..أما عن خوفك فأنا أفهمه تمامًا..أنا فقط أطلب منك أن تتحامي على نفسك قليلًا بعد و
تمسكي بيدي..تأكدي أن لا ضرر قد يصيبك و أنا معك..أنت لم تعودي صديقتي و ابنة خالتي
فقط..أنت -زوجتي- الآن يا سجى..هل تعلمين ماذا يعني هذا ؟!!
صمت أخيرًا ينظر إلى جانب وجهها المطرق..ينتظرها أن ترفع رأسها نحوه بصبر..إلى أن رفعت
رأسها بالفعل..رفعته قليلًا فقط لتقابل عينيه اللتين تؤكدان على صدق كلماته..
قبل أن تهمس بصوتها الضعيف بعد لحظات ؛

_لن تتركني للحظة...واحدة ؟!

أومأ لؤي بسرعة و هو يتمسك بيدها أكثر مردفًا بتأكيد حار ؛

_أبدًا !

قبل أن يقف دون أن يترك يدها..فنزلت سجى هي الأخرى لكنه وجدها هي من تترك يده لتقبض
على ذراعه بين يديها بقوة..حركتها التي يشك أنها ستصبح أثيرة لديه !

منحها ابتسامة حانية و هو يرفع يده ليربت على ظاهر كفها باحتواء..قبل أن يقترب من المنزل العريض برفقتها..

إلى أن توقف أمام الباب..و تعمد لؤي أن لا يضبط الجرس..فقد أخرج مفاتيحه الخاصة

ليفتحه بهدوء..و هناك..ما إن تقدما خطوة واحدة بداخل الباب الفاخر..

حتى كانت عيناهما تقعان على المشهد المتوقع..أمه و أباه اللذان اقتريا منهما بسرعة..

كانت نظرات أمه عبارة عن تناقضات..ما بين القلق و الغضب و الاستنكار..

أما والده..فقد توقف ينظر بنفسٍ نظراته الحادة الصارمة..لكن مع بعض الدهشة التي

تطفلت على عينيه اليوم و هو يرى التصاقهما الغريب ببعضهما..

نفس الدهشة التي اعتلت ملامح الخادمة التي كانت تنظر لهما خلسة من وراء باب

المطبخ..قبل أن تتسلل غير سامحة لأحد برؤيتها إلى أن صعدت لغرفة شهاب لتدفع الباب بدون أن

تشعر..

_كيف تدخلين بهذا الشكل الهمجي دون أن تطرقي الباب ؟!!!

صرخ بها شهاب ما إن لمحها و هو يلتفت إليها مندفعًا بملامحه المرعبة..لكن تلك الملامح

سرعان ما اكتسبت لفحة من الشر حينما هتفت الخادمة بأنفاسٍ لاهثة ؛

_إنهما هنا..لقد عاد السيد لؤي و برفقته الأنسة سجي !!

" 20 :مواجهة "

#هادي

كعادتها تلك " المتلصصة " كانت تقف خلف باب غرفتي تر اقبني بإلحاح و تفانٍ.. ظنًا منها أنني لا أراها.. لكنني كنت أراها.. ولأول مرة أنا أشفق عليها و أقرر أن لا أخرجها بمواجهتها..

اقتربتُ من المكتبة مجددًا.. نفسها التي أخرجت منها كتابًا بصعوبة يوم أمس و كنت سأقع لولا أن أسندتني ذراعان رقيقتان تعودان لتلك الخجولة المتوارية خلف الباب..

كعادتي لم أكن لأستسلم أو أنهزم لرهبي من أمر سقوطي مجددًا.. بل اتخذته تمرينًا مختلفًا

قررتُ أن أقوم به كل يوم في هذه الفترة التي تسبق تسلمي للعكازين..

و لو أنني أتمنى لو أستطيع تخطي مرحلة العكازين أيضًا !!

لكن لا بأس.. فكل خطوة أخطوها نحو طريقي إلى الشفاء هي خطوة محسوبة و هامة.. خطوة سيتذكرها عقلي يومًا ما.. و يتذكر معها هذه الواقفة ورائي !!

اليوم لم أفقد توازني.. بل استطعتُ بصعوبة و جهد أن أصل إلى المكان حيث وصلت يوم أمس.. لكن مع تقدم بسيط جدًا..

كوني استطعتُ أن أرفع يدي و ألتقط كتابًا عشوائيًا من هناك لأعود و أرتقي في مقعدي بإرهاقٍ.. ابتسمت بانتصار و أنا أرفع الكتاب إلى عينائي.. و الذي لم يكن سوى كتابًا للتاريخ.. كتاب

مُمل جدًا !!!

و هذه معلومة جديدة عني.. أنا أكره مادة التاريخ.. و لطالما كنت فاشلاً فيها أيام الدراسة !!!

قلبتُ عينائي فوق غلافه بلا اهتمام قبل أن ألقى به بكل بساطة فوق السرير.. ثم و بكل اعتيادية أتقنت تمثيلها.. تنهدتُ بخفوتٍ و أنا ألتفت إلى الباب..

و حينها فقط لمحتها وجهًا لوجه.. و هي أيضًا لمحتني.. و اتسعت عيناها كمن تم كشفه متلبسًا

أثناء ارتكابه لجريمة خطيرة جدًا !!!!

_شهد ؟!!!!

تصنعتُ التفاجئ بمهارة و أنا أنطق اسمها مذهولًا.. أنظر لها عاقداً حاجبائي قليلاً بتوجس.. و ربما ردة فعلي هذه هي من أعادت أنفاسها إلى طبيعتها..

و ساعدتها لتستعيد القليل فقط من رباطة جأشها لتقول و هي تطرق برأسها قليلاً مقلبة

عينها في كل مكان..عينها الـشبه-...زيتونيتين !!!!

_كنت قد..أقصد..الإفطار جاهز.....كما العادة !!!

حسنًا..لا بد أنكم تشعرون باليأس مثلي أيضًا !!!

فهذه -الحمقاء الصغيرة- لا تزال حتى الآن تخجل و تتوتر و تخاف أحياناً مني..و هي من أمضت الليلة كلها ملتصقة بي..تكاد جمجمة رأسها أن تترك أثراً فوق صدري الذي نامت متوسدة به

!!!

تجاهلتُ هذه الفكرة..و طردت كل الخواطر عن ذهني..لأسمح لقلبي بأن يمتلك زمام الأمور

الآن و أنا أنظر لشكلها.....الخلاب جداً !!!

فشعرها الحالك السواد و -تمائلاً- لأمري تركته منسدلاً اليوم..حرّاً طليقاً..طويلاً..طويلاً..مع

ثيابها البسيطة ذات الطراز الكلاسيكي القديم..و كم يليق بها !!!

هل يعقل أن الخلل في عيناها حقاً ؟!

لأنني بالفعل أستغرب..كيف لها أن تبدو جميلة جداً لهذا الحد في كل حالاتها..أنا أقول في كل

حالاتها بالمعنى الحرفي !

لقد كانت تبهمني بخصلات شعرها المرتبة بعناية شديدة سابقاً..كما شعرت بالإنبهار الآن و أنا

أراها منسدلة بعفوية..

ثيابها على بساطة ألوانها و اختلافها تجعلها تبدو في عيناها كمخلوقة نادرة جميلة كل

الجمال..بقميصٍ قماشي أبيض يكاد أن يكون نصفه السفلي مختفياً بداخل تنورتها البنية

الطويلة..طويلة لدرجة لا يظهر من قدميها إلا رأس حذائها المُحدب..و البسيط أيضاً..

و عيناها ذات اللمعة الخفية التي أشكّ أن أحداً سواي قد رآها..أنا أصبحتُ أخاف بالفعل

من فكرة أن الجميع ربما يراها بنفسٍ طريقيتي..و أتمنى بالفعل أن يكون الخلل في عيناها أنا..

هل اسمه "خلل" بالفعل ؟!!!!

حسنًا..الخلل الوحيد ها هنا هو رغبتني في إخفاءها عن العالم أجمعين..أن أغلق عليها كافة

الأبواب فلا يراها أحد غيري..

رغبة مخيفة..أليس كذلك ؟!!!

تحننحتُ أخيراً لأجلي تفكيري..ثم قلت و أنا أوليها كل اهتمامي ؛

_حسنًا..دعينا نبدأ في.....

توقفتُ فجأةً و أنا أنتبه لنظراتها التي انصبت حول الكتاب الذي رميته قبل قليل فوق

السريـر.. فنقلت أنظاري بينها و بينه بحاجب مرتفع..

هل يعقل أنها تحب التاريخ ؟!!!

هل هناك أي أحد في العالم يحب تلك المادة المزعجة !

_هل تحبين كتب التاريخ ؟!!!

وجدتُ هذا السؤال يهرب من بين شفـتاي بعد أن كان في عقلي فقط.. فأجـفـلت شهد و هي تعيد

أنظارها لي بسرعة.. لـتـهـمس بعد لحظة بخفوتٍ ؛

_لقد.. لقد كنت الأولى على دفعتي في... كل المواد.....تقريبًا !

حتى مادة قلبي ؟!!!

تجاهلتُ رغبتـي في نطق هذا السؤال بصعوبة.. لأقول بعد لحظة بهدوءٍ ؛

_سألتكِ هل -تـحـبـين- التاريخ ؟!! أنا أعلم أنكِ كنتِ الأولى على دفعتكِ !

_تعلم ؟!!!!

همسـتـها بضـياع جعل قلبي يخفق حبًا لها.. لكنني اكتفيتُ بأن حركت رأسي بالإيجاب مردفًا

بهـدوءٍ ؛

_لم تجيبي على سؤالي !

بدت مرتبكة جدًا و هي تعود لتطرق برأسها مشابكة بين أناملها بينما تهـمس ؛

_نعم.. أحب.....كتب التاريخ !

لم أشعر إلا بشبح ابتسامة شبه ملحوظ يشق شفاهي.. ثم قلتُ بهدوء أنظر إلى رأسها المـطـرق

باهتمام ؛

_هو لكِ إذا !

رفعت رأسها إليّ تنظر لي مجفلة.. قبل أن تقول بعينين متسعـتين ؛

_لا.. أنا لم أقصد هذا.. أنا فقط.....

_لكنني قصدت كلامي.. خذيه.. هو لكِ !

هذه المرة كان صوتي حازمًا بعض الشيء و أنا أقاطع كلماتها التي تنم عن حرج يجعلني أبتسم

في أحيان ما.. و يزعجني في أحيان أخرى..

لكن تلك العنيدة هناك عادت لتفتح فمها هامة بالإعتراض ربما.. لولا أن قاطعتها مجددًا و

بحزم أشد ؛

_شَهِد !!!

و كعادتها انصاعت.. لكنها انصاعت برضا اليوم.. فقد اقتربت من الكتاب لتحمله و ترفعه بين

يديها ناظرة له بعينين تبرقان.. و شبه ابتسامة احتلت شفيتها..

ابتسامة مثل التي ظهرت في عيناها.. الفارق الوحيد هو ذلك الحزن الذي كان يطفو فوق

ابتسامتي.. و ذلك الشرود العميق الذي احتلني و أنا أحرق بها..

بأمنيتي القريبة جداً.. و البعيدة المنال... جداً !!!

إلى أن رفعت رأسها هي نحوي هذه المرة لتجعلني أستيقظ من شرودي الأحرق.. طرفت بعيناها

عدة مراتٍ لأقول بعدها بغير تركيز ؛

_تستطيعين أن تختاري أيّ كتاب من هنا لتقرئيه.. كلهم... لك !

جالت أنظارها فوق وجهي قليلاً بشيءٍ من الامتنان.. قبل أن تحيد بهما عني لتنظر إلى تلك

الخزانة المليئة بالكتب.. و تعود مجدداً إلى مُستقرها.. عيناها..

قالت بعد لحظة و ابتسامتها تتسع قليلاً.. قليلاً فقط ؛

_شكراً لك !

أومأت لها بهدوءٍ.. ثم قلت بعد لحظة و أنا ألمح شحوب ملامحها المريب ؛

_هل أنت بخير ؟!!!

ارتفع حاجباها بعدم فهم.. فالتزمت الصمت تماماً.. إلى أن هزت رأسها قليلاً لتقول غير قادرة

على إخفاء دهشتها ؛

_بخير !

حينها فقط.. كنتُ أهرز رأسي بارتياح.. ثم همست بنفسٍ نبرتي الهادئة ؛

_هل نذهب لتناول الإفطار إذا ؟!!

_حسناً..

قالت بخفوتٍ.. ثم اقتربت من تلك المنضدة الملاصقة للسرير لتضع الكتاب هناك.. مانحة

إياي فرصة أخرى في تأملها لبضعة لحظاتٍ إضافية..

لا تمر في عقلي إلا تلك اللحظات بيننا ليلة أمس.. و اعترافي -غير المباشر- بمشاعري نحوها.. و

كأنني قد أزحت حملاً ثقيلاً من فوق كاهلي بمجرد اعتراف غير مباشر استحقته حبيبتي..

تلك التي أصبحت موقناً بأنها تبادلني الحب.. بل تعشقني بنفس الطريقة المجنونة.. لا تسألوني

كيف علمت ؟!! و لا متى ؟!! أنا فقط علمت !!

ربما... امتنع لسانها عن البوح.. لكن عيناها تكفلت.. أنفاسها الضائعة كلما اقتربت منها
اعترفت.. اهتمامها بي.. خوفها علي... تفاصيلها !!!
ماذا قد أحتاج أكثر من كل هذا دللاً على مشاعرها تجاهي ؟!!!

#الكاتبة

_أين كنتِ ؟!!

كان هذا أول سؤال يطرح على سجي.. سؤال خرج من بين شفاه عفاف محملاً بغضب كبير و
قلق أكبر.. لكن تلك الأخيرة.. لم تبدو مستعدة أبداً للكلام.. للإجابة أو استقبال أي أسئلة..
فأطرقت برأسها المنهك أكثر محتمية بلوئي.. تاركة الإجابة له كما تركت كل زمام أمور حياتها
له.. لكنه ما كاد يقول كلمة يجيب والدته بها حتى كان صوت شهاب المرتفع الغاضب يخترق المكان ؛
_لؤي !!!!

انتفضت سجي بقوة مذعورة و هي تسمع الصوت المقيت.. المرعب أشد الرعب بالنسبة لها.. و
لم تشعر بنفسها إلا و هي تغمض عينيها بقوة..
تزيد من التصاقها بلوئي.. تشعر بيده المتمسكة بيديها القابضتين على ذراعه تتمسكُ بهما
أكثر.. أنامله المحتوية تهدد روحها الكسيرة بدون حتى أن يضطر للالتفات نحوها..
نظر بحدة إلى شهاب الذي تسمر مكانه كالصنم و هو ينظر إلى شكلهما..... الغريب جداً !
رمش بعينه بحركة ثقيلة بداية و عقله يتوقف عن الاستيعاب عند هذه اللحظة.. يتجول
بأنظاره بينهما.. يرى سجي المختفية خلف ظهر أخيه.. يلح أناملها المتمسكة بذراعه باستماتة..
و فجأة.. تحولت الصدمة إلى غضب أهوج.. ذلك الغضب الذي دفعه لأن يقترب منهما بسرعة
تبدو لوحش يهم بالهجوم على اثنين من البشر.. امتدت يده فور وصوله إليهما إلى سجي التي انكمشت
على نفسها أكثر حتى أصبحت مختبئة خلف لؤي حرقياً..
و لم يكن لؤي ليخذلها.. فقد ارتفعت يده لتقبض على معصم شهاب قبل أن يلمسها حتى.. ثم
ما إن نظر له هذا الأخير باستهجان غاضب.. قال من بين أسنانه بنبرة تشبه التهديد ؛
_هذه آخر مرة تتجراً فيها و تمد يدك على -زوجتي- !!

زوجتي..زوجتي..زوجتي !!!!!

كانت كلمته هذه بمثابة صعقة لجميعهم.. فقد تلونت أنظار ثلاثتهم بالذهول و الصدمة و
الغباء الشديد.. بينما بدا شهاب كمن فقد كل تركيزه و قدرته على التحرك دفعة واحدة..

لدرجة أنه تراجع خطوة مترنحة إلى الوراء ما إن نفّض لؤي ذراعه بتقزز.. قبل أن تنتقل أنظاره

إلى عفاف التي هتفت بصدمة ؛

هل أنت تهذي ؟!!!

لم يتردد لؤي أبدًا و لم يتوتر أمام سؤالها و استنكارهم.. قال و هو ينظر في عينيها متهمًا
بنفس نبرته الجادة و ملامحه الجامدة التي بدت مختلفة تمامًا عن ملامحه اللطيفة المعتادة ؛

_هل تحبين أن أريك عقد الزفاف ؟!!! أم أستدعي الموظف الذي عقدنا قراننا عنده ليؤكد

لكم بنفسه ؟!!!!_

عقدت عفاف حاجبها على نظرة فاقت حدود الدهول و الغباء.. و لم تجد وسيلة للتأكد من

ما تسمعه سوى أن نظرت لسجى سائلة بغير تركيز ؛

سجى !!

لكن صوت لؤي الذي قصف مقاطعًا نداءها وقف حائلًا بينها و بين قدرتها على الاستفسار

حتى ؛

سجى لا تريد الكلام مع أيّ أحد منكم..

نظرت له عفاف بصدمة أكبر.. فأكمل بوضوح ينقل عينيه بين الجميع الآن ؛

لقد جئت فقط لأخبركم أننا.....

انقطع كلامه فجأة حينما سقطت راحة يد والده على وجنته بقوة جبارة.. تزامنًا مع صوته

الذي هتف بانفعال شديد ؛

هل جننت يا ولد ؟!! أم أنها أحد دعاباتك السخيفة ؟!!!

لم يقل لؤي كلمة.. فقد اكتفى بأن دسّ يده الحرة في جيب بنطاله ليخرج تلك الورقة التي تدل

على حقيقة ما يقوله.. وضعها في راحة يد والده دون أن يتلاشى الجمود من عينيه..

وهنا فقط.. كان شهاب يستيقظ من صدمته.. فامتدت يده في حركة هوجاء ليختطف الورقة

من يد والده.. قبل أن يفتحها أمام عينيه ناظرًا لها بجنون..

ظل ينقل أنظاره للحظاتٍ في كل مكان من تلك الورقة.. ملامحه تبدو لشخصٍ عاجز عن

التصديق أو الفهم..

إلى أن رفع رأسه ببطءٍ شديد لينظر للؤي للحظاتٍ بلا أيّ تعبير.. قبل أن يندفع إليه فجأة

ليقبض على ياقة قميصه بقوة هاتفًا به بجنون ؛

كيف تجرأت ؟!!! كيف تجرأت ؟!!!!

كانت تلك أول مرة لا يهتز فيها رمش من ملامح لؤي أمام غضبه.. هو لم يحاول دفعه حتى.. كل ما فعله.. أن زم شفتيه بقسوة ناظرًا إلى عيني أخيه بطريقة جعلت أنامل شهاب القابضة على ياقته ترتعش قليلاً..

ثم لم يلبث أن ترك قميصه فجأة.. عقد حاجبيه بشدة و هو ينقل عينيه حوله للحظات كشخصٍ مجنون بالفعل.. غير قادر على استيعاب أي شيءٍ أو فهمه !!!
ما يعلمه فقط أن سجي ملكه.. ملكه و كفى !!

لهذا عاد يهز رأسه ضاحكًا بغير تصديق و هو يعود ليرفع تلك الورقة التي وقعت منه قبل قليل في غمرة جنونه..

ثم قال بدون أن يشعر.. موجهًا كلامه لكلاهما بسخرية لم تنجح في مداراة غضبه و صدمته ؛
_هل تظنان بالفعل أن هذه الورقة قد تنفعكما ؟!!!! هل خيل لكما عقلكما أنني أنا شهاب الشاذلي قد أستسلم و أتخلى عن ما هو من حقي ؟!! هل تظن أنك بفعلتك هذه قد أنقذتها مني ؟!!!!
هل ستنقذها مني أنا ؟!!!! ألا تعلم أن الأوان قد فات بالفعل ؟!!!!.. أنا جعلتها ملكي غصبًا عن الجميع و عنها.. وصمتها باسمي الذي لن يفارق عقلها بعد الآن !!! حتى هذه الورقة لن تغير شيئًا من حقيقة أنها باتت لي أنا ؟!!!! لي فقط.. هل تفهم ؟!!!!

قال آخر كلامه بصوتٍ مرتفع و نبرة قوية مشتدة.. فالتفتت عفاف لتنظر له بحاجبين منعقدين حيرة و جهلاً.. بينما قال أكرم بحدة و هو ينقل أنظاره بينهما بنفس الحيرة ؛
_ما الذي يحدث هنا ؟!!!!

و كان الصمت فقط من أجابه.. فعاد يهتف بهما بغضب بينما عفاف تنظر إلى جميعهم بعجز عن الإدراك أو النطق ؛

_ماذا..... يحدث هنا ؟!!!!!!

طفا الصمت في المكان و كل واحد منهما ينظر إلى الآخر بجمود يخفي خلفه الكثير.. سجي فقط من كانت تشعر أنها على وشك الموت لا الإنهيار فقط بعد كلام شهاب الذي أعادها إلى نفس النقطة..
إلى أن ارتفع صوت لؤي فجأة.. قال بكل ثباتٍ دون أن يحيد بأنظاره عن شهاب ؛

_أنا سأخبرك ما الذي يحدث !!

انتقلت أنظارهم تلقائيًا له ما عدا شهاب الذي نظر جانبًا برغبة في الاختفاء.. بينما أكمل لؤي و يده تنتقل من وضع التريبت فقط على كفي سجي إلى الامساك بإحدهما إلى أن جعلها تخرج من مخبئها..

_شهاب ابنكم البكر..أعز ابن لديكما و أكثرهم تحملاً للمسؤولية و انصياعاً لكما...
-اغتصب- زوجتي هذه التي قدر لها أن تكون ابنة خالته..نفسها التي ترعرعت معنا في نفس المنزل
كأختنا !!

نظر لعيني أمه التي كانت قد فقدت كل قوتها ليبقى الشحوب فقط و الصدمة تحتل كل
ملامحها مع سماع كلماته..و استأنف ؛
_أمانة أختك..ابنتك التي تربت تحت يديك..سجى حبيبة قلبك..من كانت تعتبرك و لا تزال
أمها الثانية و ملجأ قلبها الآمن..اليوم اغتصبها ابنك المدلل..اعتدى عليها بدون ذرة واحدة من خجل
أو تردد !!!!!

خطوة مترنحة تراجعها عفاف إلى الوراء و هي تشعر بنفسها على وشك الشقوط.. بينما زاغت
عينها و هي تنتقل من لؤي لسجى التي أطرقت برأسها أكثر تكاد تختنق ببكاءها..إلى أن أحاطها لؤي
بذراعيه الحنونتين ليخفي رأسها في صدره..
بينما اقترب أكرم بسرعة من زوجته ليسندها هامساً ؛
_هل أنت بخير ؟!

دفعته عفاف قليلاً و عينها مثبتتان على سجى التي كانت قد استسلمت مرغمة لبكاءها
الهستيري و هي تغرق أنفاسها في صدر لؤي..
_سجى ؟!!

همستها عفاف بصوتٍ بدا مرتعشاً جداً..لتهمس بعدها و عقلها يرفض تخيل الفكرة
حتى..تتوسلها أن تنفي صحة تلك الحقيقة التي سمعتها للتو..
_هل...هل ما يقوله حقيقي ؟!!!

لم تنطق سجى بكلمة..لم تقوى حتى على النظر لها و هي تخفي ملامحها في صدر لؤي
أكثر..لكن صوت بكاءها الذي ارتفع أكثر و يداها المرتجفتان اللتان كانتا تعتصران قميصه..منحتا
خالتهما الجواب القاطع...

فهزت رأسها بعذاب تكاد أن تسقط..لولا أن عادت ذراعا أكرم لتلتفا حول كتفها كتفها إلى
أن جعلها تجلس في أحد المقاعد الوثيرة هناك..

بينما كان شهاب..يستمع إلى الكلمات التي تدينه..يشهد تبعات مُصيبته غارقاً في صمتٍ
قاتم..يشعر بأن كل الجراءة التي كان يظن نفسه يمتلكها أمامهم قد تسربت منه على حين غرة !!!
إلى أن عاد صوت لؤي ليرتفع مجدداً..قال نبرة قاطعة موجهاً كلامه لجميعهم ؛

_الآن ستسمحون لنا بالصعود إلى غرفة سجي لنجمع كل اغراضها و نرحل من هنا..

نظر له أكرم مندفعًا برفض تام..فقال لؤي بتهديد واضح و نبرة لا تقبل نقاشًا ؛

_و إلا فلن تتوقف هذه الحقيقة هنا فحسب !

نظر له أكرم بذهول و هو يقول بحذر شديد ؛

_هل أعتبر هذا تهديدًا ؟!! هل أصبحت تهدد والدك بسمعة العائلة ؟!!!!

قال لؤي بصوتٍ قاتم جامد و هو ينظر جانبًا ؛

_أنا أخبرك فقط !

_اتركه يأخذها !

كان هذا صوت عفاف الباهت و هي لا تزال مُطرقة برأسها تحيط جيبتها بيدها

المرتجفة..فالتفت إليها أكرم قائلاً بعدم فهم ؛

_لكن.....

لكنها قاطعته بنبرة مزجت ما بين إرهاق شديد و ألم أشد ؛

_اتركه يأخذها يا أكرم..اتركه رجاء !

زفر أكرم بدون أن يقول كلمة..فاعتبرها لؤي مو افقة غير معلنة..

ابتعد قليلاً لينظر في وجه سجي التي لم يتوقف بكاءها ليهمس بينما يحتضن وجنتها بيديه و

يطبع شفتيه فوق جيبتها بقوة مشاعره المضطربة الآن ؛

_تعالى !

أمسك بيدها ليسحبها معه إلى الطابق العلوي تحت أنظار شهاب الذي ظل متصنمًا ير اقيهما

للحظات و كأنه فقد النطق..إلا أنه في النهاية..استطاع أن يهتف بنبرة مهتزة و اعتراض ضعيف موجهًا

كلامه لوالده ؛

_على جثتي..لن أسمح لهما بالخروج من هذا المنزل !

_أنت ستخرس تمامًا !! لا أريد أن أسمع صوتك..خاصة في هذه اللحظة !!!

صرخ به أكرم بصوتٍ مرتفع يحمل كل غضبه نحو هذا الطفل الذي ظن يومًا أنه أكثر أولاده

تعقلًا..

فتسمر شهاب للحظة..قبل أن يعود ليهتف بنفس النبرة الفاقدة لثقتها المعهودة ؛

_لكن.....

و كانت عفاف من تقاطعه الآن بإعياء ؛

_أخبره أن يصمت..أخبره أن يصمت تمامًا يا أكرم..لا أريد سماع صوته..بل لا أريده من

الأساس...لا أريده هنا !!

نظر لها شهاب و قد شحبت ملامحه تمامًا..لا يصدق أن تقول أمه تلك الكلمات عنه..قبل أن

يسمع صوت والده الذي عاد يهتف به ؛

_ألم تسمع ؟!!!!

بدا وكأنه طفل صغير بالفعل يواجه لأول مرة قسوة غير مفسرة من والديه..كطفل صغير

سرق لعبة من أحد زملائه عنوة..

ثم ما إن عاد الزميل مطالبًا بها..بدأ في الصراخ بملكيتها لها منتظرًا من والديه نفس الدعم

المعهود الذي لطالما منحوه له بغض النظر عن استحقاقه له أم لا !

_لكن سجي.....

مجرد نطق اسمها..جعل والده يعود ليصرخ به بغضب فاق حدود الغضب ؛

_لم يعد هناك سجي..هذه آخر مرة أسمعك تنطق فيها بهذا الاسم..

حاول أن يقول شيئًا ما..أن يعترض مجددًا..لكن أكرم عاد يقاطعه بنبرة تحذيرية مشتدة ؛

_لا تضطرنني للتعامل معك كطفل..لأنني بالفعل سئمت منك و من أفعالك الهوجاء..الآن إما

ستخرج من هذا الباب و تختفي عن أنظارني إلى أن أقرر بنفسي عقابك أو ستستمر في عنادك الغبي و

حينها أنا بنفسي من سأسلمك للشرطة هذه المرة !!!!

بهتت ملامح شهاب أكثر..و رمش بعينه و هو يشعر بطعم المرارة في حلقه..بعد أن بدأ

يستوعب عقله أنه دمر كل شيء بالفعل !!!

هو فقدما هذه المرة حتمًا و فقد معها كل شيء..حتى والده الذي لطالما وقف في صفه ها هو

الآن يتخلى عنه ببساطة..و أمه تكاد رغبتها في البصق في وجهه أن تظهر في عينها لولا أنها مطرقة

برأسها..

لا ترغب في النظر له..أو ربما تشمئز من النظر له !

وجد قدميه تتحركان ضدَّ إرادته نحو الباب..إلى أن فتحه ليتجاوز به عينين غائمتين لا تميزان

العالم..و يصعد بسيارته منطلقًا بها عشوائيًا..لا ينشد وجهة أو ملاذًا !

منذ أن صعد بها إلى الغرفة..و هي تجلس في طرف السرير..تنظر أمامها بعينين واسعتين

بطريقة غريبة..بينما العبرات الصامتة تنساب منهما ببطء..

و كأنها تعاني اضطرابًا غريبًا..

بينما كان لؤي..ينقل ثيابها من خزانها إلى حقيبتها بصمتٍ..إلى أن انتهى..و حينها قال يحاول

أن يكون صوته طبيعيًا بينما يغلق الحقيبة ؛

_و ها قد انتهيت !

كان الأسى يعتمر ملامحه..و قد تضاعف أثره و هو يقابل صمتها..فتهد و هو يمسك بمقبض

الحقيبة هامًا بإنزالها عن السرير..لكنه توقف فجأة و هو يسمع صوتها..تهمس بنبرة متباعدة جدًا ؛

_أريد أن أغتسل !

طرف لؤي بعينه ببطء و هو ينظر لها بعدم فهم..و قد توقع للحظة بأنها تهذي..أو ربما لم

تتكلم من الأساس و هو من يهذي..لكنها أثبتت خطأ توقعه حينما التفتت لتنظر له بعينها الخاويتين

رغم الدموع المتشعبة بهما مكررة بعذاب ؛

_أريد أن أغتسل و أخلص من هذه الثياب القذرة..

فغر لؤي شفتيه قليلًا ناظرًا لها بحزن..قبل أن يهمس برفق و هو يشعر بالألم يفترس قلبه ؛

_حسنًا..لكن دعينا نذهب أولًا لمنزلنا ثم هناك.....

_الآن !!!

قاطعته بهذه الكلمة بدون أن تشيح بعينها عن ملامحه..فابتلع ريقه ببطء..و لم يستطع إلا

أن ينفذ لها ما شاءت..فعاد ليفتح الحقيبة ليختار لها بعض الثياب منها..ثم قال بهدوءٍ بينما يمدّها

لها ؛

_حسنًا..سأنتظرك هنا ريثما تنتهين !

أخذت منه سجي الثياب كشخصٍ ضائع و هي تقف لتتجه للحمام..لكنها عادت لتتوقف

حينما سمعت صوته من خلفها ؛

_لحظة !

اقترب منها بسرعة لينحني القرفصاء أمامها و يفكّ تلك العقدتين الخاصّتين بحزامي حذاءها

الرياضي إلى أن خلعه عن قدميها تمامًا أمام أنظارها التي راقبته بفراغ..

إلى أن وقف أخيرًا و اقترب من باب الحمام ليفتحه محفزًا ؛

_ادخلي..

دخلت سجي بصمتٍ..فأغلق الباب متهدًا بقوة..و همّ بأن يقترب السرير..لكنه عاد يقف

مكانه حينما سمع صوتها يأتيه خائفًا من الداخل بعد أن سمعت خطواته تبتعد ؛

_لا..لا..ابق هناك !

قال بصوتٍ خافتٍ مطمئنٍ و هو يستند بظهره إلى الباب ؛

_حسنًا..

كانت عيناه تنظران للسقف بلا تعبير..بينما أنامله تطرق في حركاتٍ رتيبة غير مسموعة على

الباب..صوت الماء الجاري هو كل ما يصل إلى مسامعه..

يختلط بين كل لحظة و أخرى بأصواتٍ شهقاتٍ ضعيفة..

فيطبق عينيه بعذاب..يشعر بفؤاده يئن و يتمزق لوعة..يتمنى أن تخرج سريعاً و إلا فلن

يستطيع التحمل طويلاً بهذا الوضع..

سمع بعد دقائق طويلة نوعاً ما صوت دوران القفل من الداخل..فابتعد عن الباب

بسرعة..ثم وقف ينظر لها و هي تقف في حاجزه..

مطرقة الرأس..تتأمل الأرض بطريقة غريبة جداً..

جالت عيناه على كل ملامحها..للتوقف عند حدود التورم الذي أطر حدقتيها..وجهها و عنقها

متشحان بلون أحمر واضح كأنها لم تكن تغتسل..

بل كانت في حرب خاضتها مع نفسها و خرجت منها خاسرة بجدارة !!

ترتدي نفس القميص بلون الخردل الذي اختاره لها عشوائياً و بنطالها الجينز الأسود..

تجاهل كل الرجفة التي عصفت بقلبه..و اقترب منها ليقبض على يديها بسرعة و يسحبها معه

إلى أن جعلها تجلس على طرف السرير و انخفض جاثياً على ركبتيه أمامها هامساً ؛

_هل أنت بخير ؟!!

ظلت ساكنة للحظاتٍ تنظر للفراغ..قبل أن تهز رأسها بصمتٍ في حركة لم تطمئننه بأي شكل

من الأشكال..فزفر و هو يأخذ المنشفة التي كانت لا تزال قابعة بين يديها..ثم رفع يده ليبدأ في تجفيف

شعرها المبلل برفق..

ألقى بها جانباً بعشوائية بعد أن انتهى..ثم أمسك بحذائها و عاد ليجثو أمامه مدخلاً

الفردتين في قدميها برفق بالغ..

إلى أن وقف أخيراً و التقط وشاحاً أسوداً كان ظاهراً في حقيبتها المفتوحة..ليلقّه عدة لفاتٍ

حول عنقها..

كل هذا و هي ساكنة تماماً بحالتها الغريبة..

كل ما فيها باهت لا يتحرك.. باستثناء أسنانها التي كانت تصطك ببعضها بشكلٍ جعله يهمس
مرتبًا قلقًا ؛

هل تشعرين بالبرد ؟!!!!

هزت رأسها بصمتٍ بدون أن تنظر له.. فرمش بعينه قليلًا بنفس التوجس قبل أن يهمس
مجددًا ؛

الجو لا يبدو باردًا جدًّا.. هل تريد أن أخرج لك معطفًا ؟!!

و نفس الجواب منها.. مجرد إيماءة لم تغير شيئًا في انطباع عينيها الميتين.. فوقف ليختار لها
معطفًا من حقيبتها و يقبض على ذراعها إلى أن وقفت أمامه متمسكة بصمتها و سكونها.. ساعدها
برفق في ارتداء المعطف.. أو بالأحرى فهو من ألبسها إياه..

و تاهت عيناه بعض الشيء في تأمل ملامحها الباهتة من كل مظاهر الحياة بينما يقف أمامها
و أنامله تعمل على إغلاق أضرار المعطف بهدوء خادع..

قبل أن يرغم شفاهه على رسم مجرد شيء يشبه طيف ابتسامة حينما تحركت جفونها بثقل
إلى أن قابلت عينيه البنيتين..

قابلتها فقط للحظة من الزمن.. ثم كان بعدها مباشرة يتركها لا شيء إلا ليغلق الحقيبة
هناك ثم يعود إليها مجددًا متمسكًا بيدها حيث قادها إلى الباب بهدوء..

توقف لثوانٍ قليلة أمام أمه التي كانت لا تزال تجلس في نفس المكان حيث تركاها قبل
قليل.. بجانب والده الذي كان لا يزال يطوقها بذراع واحد ينظر إليها بملامحه القلقة..
قبل أن يعود ليسحبها وراءه ناحية الباب..

دون أن ينتبه لعينها.. لعيني سجي.. و اللتين ما اكتسبتا بعض التعابير إلا حينما التقتا بعيني
خالتها..

تلك الأخيرة التي رفعت رأسها تبادلها النظرات الصامتة بعجز عن كل شيء..

عن الوقوف.. عن التحرك.. عن الكلام.. عن البكاء.. عن الاعتذار أو التقدم خطوة واحدة
ناحيتهما لمواساتهما أو توديعهما حتى !!!

إلى أن اختفيا تمامًا عن مجال نظرها.. و حينها فقط.. كانت تدفع أكرم الذي نظر لها مندهشًا
الآن لتقف متجهة إلى غرفتها و تغلق الباب خلفها بعنفٍ.. كعب حذاءها يرتطم مع الأرض بهدوء يناقض
تضارب مشاعرها في هذه اللحظة..

إلى أن فتحت أحد الأدراج باحثة عن صورة قديمة لأختها الصغيرة..والدة سجي.. تلك التي ماتت في عز شبابها.. نظرت لها بعينين معذبتين..تحملان اعتذارًا خفيًا حاولت مداراته بادعاء صمود كاذب..

لكنها عجزت تمامًا ودموعها تسقط ساخنة على وجنتيها.. فلم تشعر بنفسها إلا وهي تنخفض ببطءٍ إلى أن جلست على طرف السرير..
لتهمس بينما تضم الصورة الحبيبة إلى صدرها بعذاب.. و سيل جديد من الدموع يستعد للتحرّر من مقلتيها مغرقًا وجهها الجميل في بؤس الصدمة الأخيرة أكثر ؛
_أسفة..أسفة..سامحيني..أنا...لم أستطع أن أحميها..لم أستطع أن أفي بوعدِي لكِ رغم أنني حاولت..أقسم أنني حاولت !!!!

"21 ؛ غاليتي "

#لؤي

رغم أنني كنت عازماً على الاتجاه لمنزلي الذي يقبع على بعد مسافة جيدة من القصر..إلا أنني تلقائياً..وجدتني أنحرف باتجاه المزرعة..حيث شعرت أنه أكثر مكان سترتاح فيه سجي..عساها ترتاح فقط !!!!

كانت تجلس في المقعد الخلفي..لا..لم تكن تجلس..بل كانت مُنكمشة على نفسها..مستلقية و هي تضم ركبتيها بذراعيها في وضعية الجنين..بينما عيناها جاحظتان أمامها بشكل غريب.. لكنني و للعجب لم أعد أشعر بالغرابة !! عقدتُ حاجبائي قليلاً حينما أخذني عقلي إلى فكرة معينة..فهمست بصوتٍ خافتٍ حتى لا أفرعها ؛

_سجي !

لم تقل كلمة..لكنني رأيت من مرآة السيارة الأمامية بؤبؤ عينيها يتحرك قليلاً دلالة على كونها سمعت ندائي..فأكملتُ بنفسي الرفق ؛ _أظن أنه علينا أن نذهب للطبيب أولاً ! لم أكن أتوقع أبداً أن تكون ردة فعلها بذلك البرود..فقد همست بدون أن تغير من وضعية جسدها بنبرة لا تعبير فيها ؛ _لن أذهب !

تنهدتُ بقلّة حيلة و أنا أهمس مجدداً في محاولة لإقناعها ؛

_لكن.....

لم أستطع أن أعترض حتى..فقد قاطعني صوتها البارد المهتز للمرة الثانية..و مجدداً بدون أن تغير من وضعية جسدها أو تظهر أيّ انفعال على ملامحها حتى.. _الطبيب لن يغير شيئاً..هو سيؤكد لك فقط على حقيقة أنني أصبحت قدرة ! أغمضتُ عيناوي بشدة و أنا أشعر بقلبي يتمزق بعد كلامها هذا..و حاولت أن ألتمز بهدوئي و لا أنفعل عليها لكنني لم أستطع..

فنهتفتُ أنهرها بأعصاب مشتتة ؛

_لا تتكلمي بهذا الشكل عن نفسك !!!

رغم الانتفاضة التي لمحتها في عينيها الزائغتين مع صوتي المرتفع..لكنها رغم ذلك استطاعت

أن تهمس بنبرة مرتجفة ظهرت بها ذبذبات.....الخوف مني !!!!

_لن أذهب !

_بل ستذهيبين !!!

وجدتُ نفسي أهتف بها بصوتٍ مرتفعٍ قاطع بدون أن أشعر..بل كنتُ أشعر..كنتُ أشعر

بالاستنزاف الشديد و الألم السحيق يقهر قلبي عليها..على سجي...غالياتي !

تجعد جبيني بمشاعري التي ظهرت في عينايا..و التي كانت كلها غضب و توبيخ لنفسي..خاصة

حينما انتفضت سجي فجأة بقوة و هي تستقيم من استلقاءها..

كانت تلهث بعنفٍ..تنظر لي بعينيها اللتين تخلصتا من برودهما الزائف ليحتلها الخوف

بديلاً..ذلك الخوف الذي بدأتُ أعوده..و الذي يجعلني راغباً في ضمها بقوة إلى قلبي كلما لمحتُ..

لكن ما جعل قلبي يتمزق أكثر..كانت الارتجافة التي غزت شففتها و كأنها على وشك البكاء..

فهمستُ برجاء و أنا أنظر لها عبر المرأة الأمامية ؛

_سجي ؟!!!!

اتسعت عينايا بقوة حينما وجدتُها تبدأ بالبكاء بالفعل و هي تقول بصوتها الضعيف

الخائف..و الذي ظهرت به بعض مشاعر التأنيب و العتاب ؛

_أخبرتكَ أنك تشبهه..أخبرتكَ أنك تشبهه لكنك أنكرت..أوقف السيارة هنا..لم أعد أريدك..أنا

لا أريد كلاكما..لا أريد أيٍّ أحد..لا أريد أيٍّ أحد !!!

قالت آخر كلمة و هي تعود لتتكلمش على نفسها..تضم ركبتيها إلى صدرها مخفية ملامحها

الباكية عني بينهما..مُجهشة في البكاء بشكل مرير جعلني أشتم نفسي ألف مرة على تسرعِي..

أوقفتُ السيارة جانباً..ثم نزلتُ بسرعة لأفتح الباب الخلفي و أجلس بجانبها..استمررت أنظر

لها للحظاتٍ بأسى..العجز يكبل قلبي و أنفاسي..

مددتُ يدي نحوها ببطءٍ في محاولة للتربيت على شعرها..لكنني تفاجئت بانتفاضتها القوية و

هي تتراجع أكثر ناظرة لي بذعر..

نقلت عينيها بين عينايا و كأنها تحاول أن تبحث عني بداخل تلك العينين اللتين تطلعتا بها

بقسوة قبل قليل..ثم لم تلبث أن هدأت أنفاسها قليلاً..

لكن ذلك الذعر في عينيها لم يختفي رغم ذلك..بل قالت باستجداء مزقني ؛

_أرجوك..أرجوك لا تجبرني..لا...تجبرني !!!

دمعت عيناى بقهر و أنا أقترّب منها بحذر إلى أن حاوطت وجهها مقبلاً جبهة المتعركة
بعمق..قبل أن أبتعد قليلاً لا لشيء إلا لأستند بجبتي إلى جبهة متوسلاً بعذاب ؛
_أنا الذي أرجوك أن لا تعاقبي نفسك بهذا الشكل..أنا لا أستطيع إجبارك بالفعل لكنني
أتوسلك..أنا أتوسلك يا سحى أن تو افقيني..ألم نتفق على أنك ستثقين بي و تسلمين كل أمورك لي ؟!!
لم تمنحني أي ردّ سوى من يديها اللتين ارتفعتا لتتعلقان بيدي بضعف..و كأنها تستنجد مني
بي..فهمستُ مجدداً دون أن أبتعد ؛

_إذا كنتِ خائفة من احتمالية ابتعادك عني فأنا لن أترككِ لثانية واحدة..و لا ثانية واحدة
أقسم لك..أنتِ فقط و افقي لأجلك..أساساً كل ما أفعله لأجلك يا سحى..لأجلك فقط !
صمتُ أخيراً و أنا أبتعد قليلاً لأقابل عينيها الباكيتين ناظراً لها برجاء..إلى أن همست بصوتٍ
مختنق من بين بكاءها ؛

_أنا لم أعد..أستطيع تحمل...الصّراخ !!!

قلتُ بحرارة و أنا أعود لأقبل جبينها بقوة شاعراً بالغیظ الشديد من نفسي ؛
_و أنا لن أصرخ عليك مجدداً..أسف..أسف..سامحيني يا -غاليتي-...أسف !!!!!
رمشت بعينيها بغير تركيز و هي تنقل أنظارها بين عيناى للحظات..قبل أن تهمس بتردد و
ضعف ؛

_هو لن...يلمسني ؟!!!!

أغمضتُ عيناى بإرهاقٍ..قبل أن أعود لأفتحهما قائلاً ؛

_لن نذهب إلى دكتور..سنذهب إلى دكتورة..هل هذا يناسبك ؟!!
ظلت تنظر لي بنفس نظراتها المحتارة الغريبة لعدة لحظات..ثم قالت ؛
_لكنك لن...تركني حتماً !!

حركتُ رأسي بالنفي بسرعة..قبل أن أسألها مجدداً بنفس الرجاء ؛

_هل نذهب إذن ؟!!

و ارتحت حينما أومأت لي بتردد..قبل أن أقول و أنا أشعر أن تركها تجلس في المقعد الخلفي
بمفردها هو فعل شاق بالفعل بالنسبة لي ؛

_هل تجلسين بجانبى ؟!!!!

عادت تومئ لي ببطءٍ..فتركت وجهها بصعوبة لأخرج من السيارة و أدور حولها إلى أن فتحت لها الباب و التقطتُ يدها لأجعلها تقف و أفتح الباب الأمامي لتجلس فيه..
تهدأت بقوة و أنا أدور حول السيارة مجددًا إلى أن اتخذت مقعدي هامًا بالانطلاق..لكنني عدت أنظر لها مدهوشًا حينما تفاجئت بيديها الاثنتين تمتدان فجأة لتقبضان على ذراعي بنفس حركتها المعهودة !!!

نظرتُ لوجهها فوجدتها تنظر أمامها و كأنها لا تمسكُ بي بالفعل..فتحت في أهم بتنبيهها..لكنني عدت لأغلقه متراجعًا أمام الهدوء الخائن الذي احتل ملامحها..
و بدلًا عن ذلك تهدت مستسلمًا للمستها..مؤثرًا استعمال يدي الأخرى في تشغيل السيارة بصعوبة..حريص على ألا أحرك ذراعي التي تتمسكُ بها حتى لا تعي نفسها فتجفل مجددًا أو تشعر بالإحراج..

و فقط حينما توقفتُ أمام العيادة..كنت أرفع يدي الحرة لألمس يديها أفصلها عن ذراعي بتردد..و حينها فقط حصلت على انتباهها و شعرت بممانعتها السرية و هي تنظر لذراعي و كأنها تنظر إلى ملاذها الأمن الذي فصلتها عنه !!

لكنها لم تعاند رغم ذلك..فقد شابكت بتوتر بين أناملها و كأنها تمنعهما من التمرد و الامساكِ بي مجددًا..

إلى أن خرجت من السيارة لأفتح الباب من جهتها أحثها برفق على النزول..
شعرتُ بها تتحامل على نفسها بصعوبة لتقف فقط إرضاءً لرغبتي..قبل أن تنظر لذراعي مجددًا بملامح مسكينة..لكنها لم تتجرأ على عكس العادة على التمسكِ بي الآن.. فابتسمتُ بوهن و أنا أهمس لها بحنان ؛

ألن تتمسكي بي كما العادة ؟!!!!

رفعت رأسها بسرعة لعيناي..فأومأتُ لها بتشجيع و أنا أثني ذراعي نحوها لتتمسكُ بها..و لم تفكر كثيرًا و هي تتمسكُ بها بالفعل..بل تشببت بي تكاد تغرس أظافر يديها بلحم ذراعي لشدة ضغطها !!!

ثم بعد ما يقارب الدقيقة..كنا نقف أنا و هي في منتصف عيادة الدكتورة التي حدث و أن تواصلت معها مسبقًا لأجل سجي..حينما قالت تنظر بيننا بلطف و توجه أمرها لسجي حصرًا..
_تفضلي !

قالت تحثها على الاستلقاء فوق سرير طبي كان مختفياً خلف ستار أبيض طويل أزاحته
للتو.. لكن سجي لم تلي طلبها.. فقد رفعت أنظارها لي بنظراتٍ ضائعة..

إلى أن تبسّمت الطيبة و هي تهمس ؛

هل أنتَ زوجها !!؟

كانت معلومة لم أشاركها مع الطيبة مسبقاً.. فقد شرحت لها الوضع باختصار سابقاً و أنا
أحجز موعداً هنا.. لهذا فقد أومأت لها الآن مركداً و أنا أشعر بالغرابة بالفعل من كل هذا

الوضع.. فقالت مجدداً بنفس النبرة ؛

_لا مانع من أن تتفضل معها أيضاً !

شعرت بأن ملامح سجي ارتاحت أكثر و هي تسمع جملة الطيبة.. قبل أن أحثها برفق على
السير إلى أن أصبحت مستلقية فوق ذلك السرير الطبي بينما أنا أقف بجانبها متمسكاً بيدها بقوة..

_لحظة واحدة !

قالت الطيبة و هي تتجه إلى مكتبها لتفتح أحد أدراجها باحثة عن شيءٍ ما.. فاستغلت سجي

الفرصة لتهمس لي ؛

هل هي.... تعلم... أنني.....؟!

قطعت كلامها غير قادرة على إتمامه.. فأومأت و أنا أنفهمها تماماً.. ثم همستُ بهدوء و أنا أنظر

لعينها الخائفتين ؛

_إنها تعلم كل شيء.. استرخي..

أغمضت عينها بشدة حينما اقتربت الطيبة لتفحصها أمام أنظاري.. أمسكت بذراعها

النحيل لترفع كمّ معطفها برفق و تثبت ذلك الجهاز المُسمى بجهاز الضغط هناك..

عقدتُ حاجبائي المأ.. و شعرت بالدموع تلسع عيناوي بخبثٍ و أنا أرى تلك العلامات الزرقاء

الشفافة المترسخة في معصمها.. علامات تجزم بالعنف الذي تعرضت له غاليتي..

قبل أن أرفع عيناوي قليلاً إلى وجهها.. و رأيتُ كمّ الوجع الذي كان يبتلع ملامحها.. بينما

رموشها المُغلقة ترتجف بشدة..

تاھت عيناوي تماماً و أنا أتأملها بحزن لعدة لحظاتٍ تناسيت فيها وجود الطيبة معنا.. إلى أن

سمعتها تهمس بعد انتهائها بلطفٍ ؛

_سأدون لكما بعض المُسكنات و الأدوية التي قد تساعدكما معاً على تجاوز هذه المرحلة..

كانت تتكلم و هي تجهز إبرة مهدئة بالفعل قربتها من معصم سجي التي كانت قد فتحت عينها أخيرًا.. لكنهما اتسعتا بقوة مع رؤية الإبرة بالمحلول الذي تحتويه..

ثم و فجأة..كانت تنتفض منتزعة يدها من بين أنامل الدكتور هاتفة بهذيان ؛

_لا أريد..لا أريد أي إبرة مهدئة..لا أريد !

_ما الخطب ؟!!!

سألها بقلق فهتفت بنا سويًا من بين أسنانها بصوتها المبحوح ؛

_أخبرتكما لا أريد..لا...أريبيد !!

زفرت بتعب لا أكاد أفهم سبب هذا التصرف..بينما بدت الطيبة أكثر من متفهمة و هي

تهمس ؛

_لا بأس..إذا كانت تعاني مشكلة مع الإبر فندستطيع استبدالها بالحبوب المهدئة..هل

تسمحين ؟!!!!

سألها الطيبة برفق..فأومأت سجي بغير اقتناع تام..ابتسمت الطيبة بتفهم و هي تلتفت عنا

لتحضر كأسًا من الماء و حبة من الحبوب المهدئة كما قالت..

وضعتها في يدي امرأة بهدوء ؛

_اجعلها تشربها أنت..

نظرت للحبة في راحة يدي ثم إلى سجي..قبل أن أميل عليها لأحاط كنفها بذراعاي متحاملاً

على الارتجافة التي انتقلت منها إلي إلى أن جعلتها تستقيم قليلاً..

ثم قربت الحبة من فمها إلى أن جعلتها تبتلعها بغير امتناع منها..يلمها كأس الماء الذي تقبلته

مني..كل هذا بدون أن تترك حدقتاي تواصلها مع عينيها الكسيرتين..

_الآن اجعلها تستلقي ريثما أتحدث معك على انفراد..

كنت أعلم أن سجي سترفض هذا الاقتراح بالطبع..و قد ظهر رفضها في يدها التي تمسكت

بيدي باستماتة رغم جفونها التي تناقلت مع بداية سيطرة الدواء على جسدها..

_ل..لا تتركني !!!

همست بصعوبة و هي تحاول التشبث بآخر تلايب وعمها لكنها عجزت تمامًا و عيناها

تسدلان قسرًا عنها في نفس الوقت الذي أخذت عضلات جسدها بالإسترخاء..

فعدت أمددها فوق السرير برفق و أنا أشعر بضغط أناملها على يدي يقل و يقل إلى أن

سقطت تمامًا بضعفٍ جعل حاجباي يميلان إلى الأسفل بحنان جارف..

نظرتُ للطبيبة مجددًا..تلكَ التي منحني نظرة جادة و هي تقترب مجددًا من سجي..حينما

نطقت بما توقعته و فهمته تمامًا ؛

_هل تفضل الخروج أو.....

_أنا..سأخرج.....

قلتُ أقاطعها بسرعة حينما امتدت يدها إلى معطف سجي شارعة في فتح أزواره الواحدة تلو

الأخرى..ردة فعلي جعلتها تتوقف فجأة..لكنني أنا من وجدت نفسي عاجزًا عن التحرك من مكاني رغم

ذلك..فتجمدتُ قليلًا أدقق النظر بملامح سجي و شعور جديد يكتسجني لفكرة استغفالهـا بهذا

الشكل..حتى و لو كان من أجلها..

_سيد لؤي ؟!!

سمعتُ صوت الدكتورة تنبني من جانبي للمرة الثانية..فاستمريت أنظر إلى نفس المكان..

ملامح سجي الساكنة..للحظاتٍ أخرى..قبل أن أمد يدي لأمنحها تربيطة أخيرة فوق جبينها و شعرها..ثم

همست للدكتورة التي كانت تر اقبني بتعاطف بنبرة شابهـا رجاء صريح و حقيقي ؛

_اعتني بها رجاء..

رغم أن السبب الحقيقي لتواجدنا هنا أساسًا هو الاعتناء بها !!

أومأت لي الطبيبة مطمئنة بتفهم..و حينها فقط...كنت أراجع على مضض إلى أن غادرتُ

الغرفة بأكملها حيث عاد ذلك الستار الأبيض المشؤوم لينسدل أمام عيناـي مخلفًا حاجزًا قبيحًا بيني

و بين سجي..

لم أعلم كم من دقيقة استغرقتها في الوقوف هناك..لم أستطع العد..فأنا كنتُ أقف حرفيًا

على أعصابي..أنقل أبصاري حول كل المكان قبل أن أعود لأرملق الستار نفسه بقلق بالغ..أرفع يدي

لأخللها في شعري قبل أن أسقطها مجددًا لأسندها إلى جانبي بإرهاق..

إلى أن سمعتُ خطوات الطبيبة تقترب مني فالتفتُ بسرعة لأقابل وجهها مباشرة..كانت نفس

النظرة الجدية ترسم في ملامحها..حينما تجاوزتني عائدة إلى مكتبها في انتظار أن ألحق بها..لكنني لم

أفعل..فقد قادتني قدماي إليها..إلى سجي مجددًا..

نظرة متفحصة رمقتها بها بالكامل و كأنني أحاول أن أتأكد من أن جميع أجزائها لا تزال في

مكانها..و قد بدت كما تركتها قبل دقائق..هزيلة..شاحبة..ضعيفة..و آمنة بأزرار المعطف المغلقة

جميعها كما كانت قبل قليل..

لمسة رقيقة و دافئة منحتها لجانب وجهها..بينما تحركت شفاهي أشكل كلمة واحدة حزينة ؛

_أعتذر..مجددًا أنا...آسف !

اقتربتُ بعدها من الطبيبة إلى أن جلست أمامها على أحد الكرسيين أنظر لها باهتمام و ترقب..فقالت

و هي تتنهد بأسى ؛

_لم تخبرني..متى تعرضت زوجتك للاغتصاب ؟!!!

اغتصاب ؟!!!

رباه ما أبشع نطق هذه الكلمة و سماعها حتى..خاصة حينما يكون الأمر متعلقًا بشخصٍ

قريب جدًا منك..خاصة حينما يكون الأمر متعلقًا بسجى !!!

_قبل يومين..

همستُ مشيحًا بأنظاري عن الطبيبة بخفوتٍ..لكنني اضطررتُ للنظر لها بعدها سائلًا بنفس

القلق ؛

_هل هي بخير ؟!!

الآن ظهر بعض التعاطف في عينيها و هي تجيبني ؛

_لا تقلق..لا يوجد أيّ إصاباتٍ تستدعي تدخلًا طبيًا صارمًا..

أومأتُ لها ببطءٍ و أنا أبتلع غصة حارقة في حنجرتي..قبل أن يرتفع صوتها مجددًا سائلة بما

جعلني أنظر لها متفاجئًا ؛

_لكن هل قمتم بعرضها على أيّ طبيب قبلي ؟!!

فغرتُ فهي قليلًا و كأنني سأمنحها إجابة لا أعرفها..أو ربما فقط أستفسرها عن سبب هذا

السؤال..إلا أنني عدت لأطبقه بقوة للحظة..و خرج صوتي مختنقًا قليلًا بتلك الغصة ؛

_لا..لماذا ؟!!

بعض الحيرة اكتسحت عينيها بشكل طفيف بعد سماع ردي..تلك الحيرة جعلتني أتساءل في

مدى صدق إجابتي..هل يعقل أن يكون شهاب النذل قد.....

لكنني عدتُ و حركت رأسي في اتجاه عشوائي متخلصًا من هذه الفكرة التي لن يغير صدقها أو

عدمه من الوضع..و قد ساعدني صوت الطبيبة التي قالت بهدوء ؛

_لا شيء مهم..

ثم لم تلبث أن تنهدت بعدها و هي تضيف بجدية ؛

_ما أريد التنبيه عليه الآن هو حالتها النفسية ؟!!!

نظرتُ لها باهتمام..فاستأنفت موضحة بنبرة ازدادت تعاطفًا ؛

_المعنى أن كل هذا لن يكفي..زوجتك تعرضت لجريمة اغتصاب !! الأمر ليس هيناً للحد الذي يتطلب الدواء فقط..زوجتك تحتاج إلى رعاية نفسية خاصة..و تواجدك بجانبها لن يكون كافياً

بالطبع رغم ضرورته..إنها تحتاج إلى المتابعة لدى طبيب نفسي !!

غرسْتُ أناملِي بخصلات شعري بحيرة و أنا أقول ؛

_لكن هل تظننيها ستوافق ؟!! لقد أحضرتها إلى هنا بصعوبة جداً !!!!

زفرت الطيبية و هي تقول لي بكل صدق ؛

_لن توافق للأسف..خاصة بهذه الفترة..لذا حتى تستطيع إقناعها بنفسك فأنا سأكتب لك

بعض الأدوية و المسكنات كما أخبرتك سابقاً..و إياك..إياك أن تغيب عن عينيك للحظة واحدة

حتى..التفكير بوضعها هذا و إلحاح عقلها على المكوث في تلك الواقعة قد يدفعها للإنيهار..و بالتالي

محاولة الانتحار !!!

اتسعت عيناى بقوة مذعورة..انتحار ؟!

كادت الكلمة أن تهرب من بين شفتاي محملة بكل خوفاً..لولا أن الطيبية هزت رأسها مؤكدة

بأسف..قبل أن تستأنف شارحة بشفقة ؛

_و هنا يأتي دورك..الفتاة في هذه المواقف تحتاج إلى سند حقيقي..إلى شخصٍ يشعرها

بالاكتمال حتى لو كانت تبدو بعين نفسها ناقصة..تحتاج لمن يدفعها نحو المستقبل لا أن يعيدها إلى

نفس النقطة..حاول قدر الامكان أن تبعدها كل البعد عن تلك الذكرى.. أشغل عقلها و تفكيرها

بأشياء أخرى..اصنع لها ذكرياتٍ جديدة جميلة تخول لعقلها محاربة ذكرياتها السيئة..أنا لا أريدك أن

تراها كزوجتك في هذه الفترة..بل كصديقة عزيزة تحتاج إلى المساعدة..هل تفهمني ؟!!!!

أنا صديقها بالفعل !!!!!

أردتُ أن أجيب كلماتها بهذه الجملة بعد أن لمحت تحذيرات مبطنة بداخلها..و حذرها في

التفسير و إيصال كل المعلومات و هي تظن بأنها تكلم زوجاً عادياً كباقي الأزواج !!

أومأت لها بهدوء بينما عيناى تغرقان في أنهار من الحيرة..قبل أن أهمس و أنا أقف فجأة

مصافحاً إياها و كأني على عجلة من أمري ؛

_شكراً لك !

ثم قلتُ مجددًا باهتمام و أنا أنظر إلى الستار الذي يحجب سجي عني ؛

_متى ستستيقظ ؟!!!!

_بعد بضعة دقائق لا أكثر..

قالت بنبرة استعادت لطفها..فقلت بسرعة و أنا أتجه إلى حيث تقبع -غاليقي- كما وصفتها !! و

أشكّ بأن هناك كلمة غيرها قد تنجح في وصفها بعد الآن !

_أنا أعتذر..لا أستطيع الانتظار أكثر..

رَبْتُ على جانب وجهها الشاحب بحنو..قبل أن أميل عليها لأحملها بين ذراعي أمام أنظار
الدكتورة التي منحتني إيماءة من رأسها كتحية أخيرة بينما عيناها تستقران على سجي بنفس نظرة
التعاطف السابقة..

إلى أن وصلتُ إلى سيارتي فمددتها في المقعد الخلفي لأعود و أجلس في مكاني و أنطلق متجهاً
إلى المزرعة..

#الكاتبة

هل يمكن أن يكون كل ما عاشه مجرد كابوس ؟!

هل يمكن أن يكون كل هذا محض حلم !

كان يقود بعقل غائب..يقبض على المقود معتصراً إياه بعنفٍ يكاد أن يخلعه من
موضعه..بينما عيناها جاحظتان بغضب مُستعر..و أنفاسه تخرج من بين شفثيه كاللهيب الحارق..
عقله لا يرسل له إلا صورتها مع لؤي..بين أحضانها..بصفتها زوجته...زوجة لؤي !!!!
ذلك الاسم الذي لطالما حلم و انتظر اليوم الذي سيراه مقترناً باسمه اليوم أصبح مقترناً
باسم أخيه !!!!

لقد تم استغفاله بأسوء طريقة..لكنه يستحق..إنه يستحق !!!!

هذا ما كان يفكر فيه و هو يستعيد تلك اللحظات التي أظهرت جانبه الوحشي و الهمجي

أمامها..كانت فعلته بها هي القشة الأخيرة لتحملها !!!

كيف كان يتوقع منها أن ترتضي به بعدها ؟!!!! كيف بعد أن وجدت ملاذاً آمناً تتوارى فيه عن

قسوته ؟!!

و قد كان هذا الملاذ ذراع لؤي..و حضن لؤي..و اسم و احتواء لؤي !!!

ذلك الاحتواء الذي لم يمنحه لها يوماً !!!!

أوقف السيارة فجأة في جانب طريق مهجور تماماً..قبل أن ترتفع يده تلكم المقود لعدة مراتٍ

بعنفٍ بالغ تزامن مع صوته الذي ارتفع بصراخ حبيس مجنون و هو يشعر بنفسه يحترق !!!

تبّاً إنه يحترق حرفياً !!!!!

_سجى !!!

همس اسمها بصوتٍ لاهثٍ و هو يريح جبينه بإرهاق على المقود..و ظل على وضعه لعدة

دقائق..ينفث أنفاسه اللاهثة مطبق العينين..

قبل أن يسمع رنين هاتفه..ففتح عينيه ببطءٍ شديد لينظر لجيب بنطاله حيث يدسّ

الهاتف..لا يرغب في الكلام مع أيّ أحد في هذه اللحظة..

كل ما يريده الآن هو الصراخ..و الصراخ فقط !

تنهد بضيق و هو يدخل يده في جيبه ليخرج الهاتف بانفعال..و قد كان اتصالاً من والده..رمق

اسمه المنير هناك بنظرة فارغة مطولة..قبل أن يعيد أنظاره أمامه عازماً على تجاهله..

لكن الرنين لم يلبث أن تكرر و تكرر بإلحاح شديد..إلى أن زفر بنفاذ صبر و هو يقفل الخط في

وجه أبيه لأول مرة تقريباً في حياته..ثم أطفأ الهاتف ملقياً به بإهمال في المقعد المجاور..

اتجه بعدها إلى منزله و هو يشعر بفراغ قاتم و إعياء بالغ..إلى أن توقف أمامه للحظاتٍ كان

عقله يستعيد فيها مجدداً نفس الذكرى..حينما أخرجها عنوة من الباب الخلفي لسيارته..ليدفعها إلى

الداخل متجاهلاً كل توسلاتها إلى قلبه بأن لا يقتلها بهذا الشكل..

زفر بانفعال للمرة التي لا يدري كم..قبل أن يتقدم نحو المنزل عدة خطواتٍ مشابهةٍ للتي

تقدمها ذلك اليوم و هي تحت قبضته..

فتح الباب ثم دلف متجهاً إلى غرفته فوراً..حيث نفذ عقابه القاسي فيها..ظناً منه أنه

سيجعلها ترضخ بهذا الشكل..

لكنها لم ترضخ..بل ارتبطت بشخصٍ آخر..و أيّ شخص..أخاه الأصغر !!!!

أغمض عينيه بقوة و هو يجد نفسه لأول مرة مداهماً بذكريات -نرمين- !!! تلك المراهقة التي

انتهت طفولتها على يديه !!!

في ذلك اليوم كان قد عاد لتوه من سهرة طويلة استنزفت كل إدراكه..ليتجه إلى بيت الملحق و

هو ينتوي إتمام سهرته هناك بعيداً عن توبيخات والديه..

لكنه تفاجأ ما إن دفع الباب بها..تقف أمامه تنظر له بابتسامتها الطفولية الشقية العامرة

بالحماس..نفسه الحماس ذاك الذي انطفأ على يديه !

_ما الذي تفعلينه هنا ؟!!!!

سألها بحاجبين منعقدين و صوت ثقيل متأملاً إياها بشيءٍ من العبث الذي لم تميزه عيناها

أبدأ..بل همست برقة خجولة ؛

_كنت أنتظرك لأتكلّم معك !

قبل أن يوجه لها شهاب سؤالاً جديداً..استأنفت بنفسِ النبرة و هي تنظر له بشيخ ابتسامة
مترددة على شفيتها ؛

_ألم تخبرني ذلك اليوم عن ضرورة اعترافي للشخص الذي أحبه بحبي ؟!!!
رفع حاجبيه مندهشاً من تطرقها لهذا الموضوع..فهو لا يتذكر حتى متى أخبرها بذلك !!! ربما
في أحد المرات التي كان فيها ثملاً كما يشعر بنفسه الآن ثملاً لحد مرعب !!!
قبل أن تقول بنفسِ النبرة و هي تدقق النظر بوجهه الذي راقتها وسامته غير واعية بعد أيّ
ضمير متسخ يتوارى وراء ملامحه الجذابة هذه ؛

_ها أنا أقول..أنت هو الشخص الذي أحبه..أنا أحبك أنت !
فقط..نطقت تلك الكلمات بكل براءة غير عالمة بالمصير الذي ستناله بعد اعترافها البريء
ذاك..و لا ما تعنيه كلمة أحبك في قاموس شهاب الشاذلي !!!!
عاد من الذكرى و هو يرتقي فوق السرير بكل ثقله..ليجد عينيه تنسدلان ضد رغبته و هو
يغرق في نوم عميق لم يستيقظ منه إلا في صباح اليوم التالي على صوت طرقات قوية فوق باب منزله..
فتح عينيه بكسل ناظرًا حوله للحظة بغير تركيز..قبل أن ينتفض على صوت الطرقات الذي
ارتفع أكثر..استقام بسرعة و هو يرفع يده ليزيل أثر النعاس عن عينيه بينما يتوجه إلى الباب غير
عالم..

إلى أن فتحه لتتسع عيناه بقوة حينما رأى والده يقف أمامه بملامح لا تبشر بالخير أبداً !!!
دفعه أكرم بتسلط إلى أن دخل غير منتظرًا دعوته..ثم وقف أمامه ينظر له كمن ينتظر
تفسيراً لشيء مجهول الهوية..

شعر شهاب بأنه غير مستعد لسماع أيّ توبيخات جديدة..فقال بتعب ؛

_أنظر..أعلم أنك.....

_ستسافر اليوم مساءً إلى فرنسا..لقد حجزت لك تذكرة يوم أمس..

قاطعه والده بهذا الأمر المتسلط و هو يلقي بالتذكرة بإهمال فوق الطاولة الدائرية الزجاجية
التي تتوسط الهو..فرمق شهاب التذكرة بملامح ممتعة..قبل أن يهتف باعتراض تام ؛
_لكن.....

لكن والده لم يسمح له بنصف كلمة اعتراض..فقد عاد ليقاطعه هاتفًا بنبرة صارمة متصلبة
من بين أسنانه ؛

_لا يوجد لكن !!

رفع شهاب يديه ليتخلل بها خصلات شعره زافرًا بأعصاب مشتتة.. إنه يصبح أشبه برجل عاجز فاقده للقدره على الاعتراض أمام والده..

لكنه الآن..لم يستطع أن يقابل أمره بالموافقة كما اعتاد..فقال بنبرة لم تخفي انفعاله ؛
_لن أسافر..ليس هذه المرة أيضًا..ليس هذه المرة أيضًا..تعلم كم أكره التصدي لقراراتك لكن
هذه المرة الأمر يخصّ سجي يا أبي..أنا لن أتخلّى عنها !!!!!

هتف آخر كلمة بصوتٍ مرتفع جعل والده يفقد أعصابه تمامًا..فهدير به من بين أسنانه ؛
_شهاب..لا تفقدني عقلي !!!

قال شهاب بنفس النبرة بينما القهر يكتسح ملامحه ؛
_أنا من سأفقد عقلي لا أنت..لقد تجاوزتُ الأمر بصعوبة و التزمت الصّمت تاركًا لذلك المغفل
خيار أخذها معه..لكن هذا لا يعني أنني سأتخلّى عنها..هذا الزواج ما هو إلّا عقد مزيف يريد إبعادها
عني بواسطته..و أنا لن أسمح له يا أبي..إلّا سجي..إلّا سجي !!!

صمتت للحظة واحدة ثم عاد يهتف كشخصٍ مجنون بالفعل ؛
_تبًا أنا أخطّط لاستعادتها و أنت.....

لم يكذب يتم باقي كلامه حتى كان يرتد جسده للوراء قليلًا إثر صفعه قوية تلقاها من يد والده..
ثم وقبل أن يستوعب حركته الصادمة تلك..كان يرفع يديه ليقبض على ياقة قميصه هاتفًا
أمام وجهه بنبرة خافتة رغم قسوتها و غضبها ؛

_استيقظ !! استيقظ..لقد اعتديت على ابنة خالتك..تلك التي كنت تركض خلفها ليل نهار
مصرحًا بحبك لها أمام الجميع اليوم اغتصبتهما !!!

بدا شهاب كمّن يحاول الاستيقاظ بالفعل من غيبوبة طويلة و هو ينقل أبصاره بين عيني
والده الذي استأنف ببطءٍ شديد و نبرة حاسمة ؛

_أنت ستتخلّى عنها تمامًا و تنفذ ما أمرتك به..و إلّا فسأتبرأ منك إلى الأبد بعد أن أسمح للوئي
بالاستعانة بالشرطة ضدك..و لنرى حينها من سينقذك هذه المرة من هذه الجريمة !!!

_أبي !!!!!

قالها باستجداء لا يصدق أن يتخلّى عنه والده بهذا الشكل..لكن أكرم لم يبدو عليه أيّ تأثير
أبدًا و هو يقول بغضب متزايد ؛

_أنا لم أحب تلك الفتاة يومًا..لكنني اضطررت لتقبلها لأجل أمك فقط..هل تستطيع تخيل

حالة أمك الآن ؟!!!!

شحبت ملامح شهاب تمامًا عند ذكر اسم أمه..بينما استرسل أكرم بنفس النبرة ؛

_تستطيع أن تتخيل..أليس كذلك ؟!!!!

أطرق شهاب برأسه تمامًا غير قادر على لفظ حرفٍ واحد..و كانت ردة فعله تلك.. ما جعلت

أكرم يدفعه أخيرًا..ثم قال بينما يلتقط التذكرة ليضعها في يده ؛

_ستعود معي حاليًا للمنزل لتجمع كل أغراضك و تسافر..على الأقل هذه الفترة..فلا أحد

مستعد للنظر لوجهك أو تقبلك بعد الآن بيننا !

لم يعلم لماذا أثار كلام والده هذا مشاعرًا مؤلمة ربما لم يكن يظن أنه يمتلكها بداخله

قبلاً..خاصة و عقله يتخيل حالة والدته بالفعل !!!

فهو أكثر من يعلم أنها رغم تسلطها و برودها و تكبرها إلا أنها تحب سجي كثيرًا.. كما كانت

تحب أختها التي لا يتذكر عنها إلا بعض الصور غير الواضحة تمامًا من ماضي بعيد قبل أن تموت..

وجد نفسه يحمل سترته ليرتديها و يلحق بوالده باستسلام و هو يفكر أن والده ربما محق !!

ربما الاختفاء في هذه -الفترة- أفضل من الجلوس هنا و الإحترق بمر اقبتهما سويًا.. دون أن

يمتلك القدرة على الاقتراب فعليًا ليعيدها إليه بالإجبار كما كان يزعم !!!!!

" 22 ؛عناق أرواح "

#لؤي

هل تتذكرون ما كانت أمنيتي التي أخبرتكم عنها ؟!!! أن أصبح " معالجًا نفسيًا " .. الآن أصبحتُ

أدركُ الحكمة التي اختارها الله حينما وضع هذه الأمنية في قلبي ..

لم أكن أتخيل في أبعد خيالاتي أنني قد أحتاج و لو القليل من خبرة الأطباء النفسيين لأتعامل

مع حالة معقدة لفتاة قدر لها أن تصبح زوجتي ..

بعد أن لم تكن سوى صديقة مقربة جدًا و أختًا أقرب لي ربما من إخوتي الحقيقيين .. لكنها لم

تعد أختًا للأسف... و لن تعود !!!

خاصة و قد اتخذ عقلي سبيلًا آخر في التفكير فيها.. في سحى !

أنا وجدتُ عقلي و قلبي يتفقان بالفعل على فكرة واحدة.. أن سحى مقدرة لي كما أنا لها !!! و لن

أكون لسواها ..

و أنا موقن.. بل أؤمن بأنني قادر على زرع بذور الحب في بستان قلبها القاحل .. أؤمن أن القدر

لم يجمعنا برباط موثق إلا لسبب ما.. سبب بات واضحًا لي الآن.. كان أن نصبح لكلانا -المأوى- الذي

افتقدناه طويلاً ..

فك-حالتها- و حال هادي أنا عشت غريبًا بداخل منزل لم أشعر بالانتماء له يومًا .. حياة مُملة

مرت ما بين انصياعي المخزي لكل أوامر والدي و أحكامه ..

و ابتساماتي السعيدة التي بقيت أوهم نفسي طيلة حياتي بها أنني شخص سعيد بالفعل ..

لكنني لم أكن سعيدًا يومًا.. بل لم أشعر أنني ذي فائدة يومًا.. إلا بعد أن تزوجت بسحى !!!

كنتُ أقف أمام السطح الرخامي الأملس في المطبخ.. أرتب فوقه مجموعة من الصحون و

أملأها بالطعام الذي حضرته أنا بخبرتي المتواضعة ..

فأنا رغم طبيعة حياتي المرفهة لطالما أحببتُ الطبخ.. لهذا يبدو الأمر عاديًا جدًا بالنسبة لي ..

خاصة و قد تعودتُ دائمًا أن أطبخ لنفسي في كل مرة لجأتُ فيها لهذا المكان ..

حملتُ الأطباق بعد انتهائي من ملأها لأتجه بها إلى الشرفة الخارجية الواسعة.. و التي كانت

تطل على كل المناظر الجميلة و المريحة للعين المحيطة بهذه المزرعة التي تتوسط مجموعة من

السّهول و المساحات الخضراء.. لتشكل منظرًا شهيًا ..

يكتمل بتلك الحديقة التي كانت ظاهرة أمامي الآن من البعيد...بالإضافة إلى المسيح الصغير..و

البهو المجهز بأرائك مخملية و عريشة رائعة التصميم..

رتبتُ الأطباق فوق الطاولة بعناية..قبل أن أتهد بقوة و ألثفت عائداً إلى المنزل.. متجهاً إلى

غرفتها بخطوات هادئة لا تعكس اضطراب خفقات قلبي..

توقفتُ أمام الباب أطرقه بخفوتٍ و ترددٍ لوهلة..لكنني لم أسمع جواباً منها.. فأمسكت

بالمقبض لأدفع الباب بهدوء متقدماً خطوة واحدة نحو الداخل..

و هناك..لمحتها كما توقعتها تماماً..تجلس فوق السرير ناظرة أمامها بنظراتٍ لا تعابير فيها..

ملامحها التي ما عاد الشحوب يستغني عنها شاردة تماماً..و ذراعاها تعانقان ركبتيها بقوة عنيفة..

رغمًا عني وجدتُ عقلي يعود لينسحب لدوامة ذكرى ليلة أمس المريعة..و التي لم أنسها أبداً

رغم أنني أرغب بالفعل في تجاوزها لشدة الألم الذي تزرعه في قلبي..

فبعد أن وصلتُ تماماً إلى المزرعة..كنت قد فتحت الباب من جهتها لأحملها بين ذراعي و أدلف

إلى الداخل إلى أن مددتها برفق فوق السرير الوثير..

ثم توقفتُ أمامها للحظة واحدة..قبل أن أمد يداي لأفتح أزرار معطفها الثقيل جداً خوفاً

عليها من أن تمرض..إلى أن خلعته عنها تماماً برفق و ألحقت الوشاح به مدثراً إياها جيداً بالغطاء

الثقيل..

رمقتها بنظرة حزينة أخيرة كنتُ قد خرجت بعدها بهدوء أطبق على كل المنزل كما أطبق على

قلبي..و قد كنت قد بدأت أجهز نفسي للتعود على سلبيته بالفعل..

لكن لم يخطر في بالي أبداً أنه ربما قد يكون ما يقولون عنه...

" الهدوء الذي يسبق العاصفة " !!!!!

فما إن وضعتُ رأسي المتعب فوق الفراش في نية النوم حتى عادت عينايتي تتسعان بقوة

شديدة حينما تسلل إلى مسامعي صوت نفس الهدوء كله..

في البداية ظننتُ أنني أهذي..خاصة و أنا لا أسمع سوى صوت أنين خافتٍ معذب كمن يتم

كتم أنفاسه بالقوة..لكن الصّوت لم يلبث أن ارتفع..و ارتفع..و ارتفع..إلى أن تحول إلى صراخ متوسل

بكلماتٍ متقاطعة لم يلتقط عقلي منها حرفاً واحداً سليماً..

لم أفكر أبداً..وجدتُ نفسي أنتفض بهلع من مكاني لأفتح الباب و أتجه إلى غرفتها بخطواتٍ

شبه راكضة..إلى أن دفعت الباب بقوة و حينها فقط...تسمرت في مكاني للحظة ارتجف فيها قلبي لما

يراه..

لم يكن سوى حلمًا ! لقد كان حلمًا يخصها هي لا أنا !
بل كابوسًا سيئًا جدًا لدرجة أنه بات يختلط لديها مع الواقع..و هذا ما يجعلها تنتفض
صارخة بهذا الشكل المؤلم أثناء نومها !
كل هذه الأفكار داهمت عقلي في لحظة واحدة من الزمن..قبل أن أكمل طريقي نحوها بلهفة..
إلى أن جلستُ بجانبها بسرعة و مددتُ يدي مرتبطًا على جبهتها المتفصدة بعرق ندي كمن يتكبد مجهودًا
جسديًا بالغًا..

شعرتُ بقلبي يئن و يلتاع حسرة عليها..فهتفت و أنا أميل عليها قليلًا بصوتٍ خافتٍ حنون
جدًا..لعلي أنجح في الوصول إلى وعيها و دفعها للإستيقاظ ؛

_سجى..سجى..استيقظي..إنه مجرد كابوس..سجى.....!!!
لكن رد الفعل الوحيد الذي نلته من سجى..هو صراخها المستنجد المتوسل و يداها اللتان
ارتفعتا تقريبًا بلا وعي منها لتدفعان صدري بقوة جبارة..

لا..ليس يديها فقط..بل جسدها كله كان ينتفض في محاولة لإبعادي بينما دموعها تغرق
وجهها و فمها لا يهمس سوى كلمتين اثنتين مرعبتين ؛

_لا أرجوك..أرجوك..كفى..كفى أرجوك!!!!
لم يكن جسدي يرتجف الآن فقط..بل ما انتابني كان شعورًا أشبه بالقشعريرة و أنا أستمِر في
محاولاتي المتكررة لإيقاظها دون جدوى..إلا من تلك الضربات العنيفة التي نلتها منها و لم أستطع
سوى تحمّلها بصبر..

و حينما اشتد خوفي عليها و وجدتُ نفسي عاجزًا عن إخراجها من كابوسها المرعب هذا..أو
عن الصمود أكثر أمام حالتها..

اقتربتُ لأستلقي بجانبها..و لم أجد سوى ذراعي تتمردان أكثر لتحاوطانها بشدة تزامنًا مع
حركة ساقي اللتان التفتتا حول ساقيها تعانقاهما بغاية إحباط كل مقاومتها..
أحاول أن أذكرها بصوتي الذي يتوسلها الهدوء بأن كل ما تراه هو محض كابوس..و بأن من
يحتضنها الآن بقلب يتمزق هو -أنا- !

لكنها لم تهدأ فورًا..و لا أنا استسلمت..أغمضت عيناى بألم و أنا أشدد من تمسكي بها..و
بقيتُ أهدها برفق هامسًا في أذنها بصوتٍ خافتٍ ملتان ؛

_ششش..اهدي..اهدي أرجوك..أنا هنا..هل تسمعينني ؟!!! لن يؤذيك أحد بعد..لن يؤذيك
أحد بعد ما دمتُ هنا !!!

و كأن صوتي الواعد بالحماية تسرب إلى ثنايا عقلها الشبه مُغيب في هذه اللحظة.. شعرت بمقاومتها العنيفة تتلاشى تدريجيًا..بينما أناملها الرقيقة التي كانت تحاول دفعي تسقط فوق صدري باستسلام و كأن صاحبتهما من اختارته..

و رأسها يندسّ في حضني أكثر دون أن تفتح عينها أو تستيقظ حتى..و لو كانت قد استيقظت لانتفضت مجددًا و حاولت إبعادي !!!

بقيت هكذا لدقائق أضمرها بقوة رفيقة و أهددها بحنان مربتًا على ظهرها و شعرها..قبل أن أميل على أذننها لأهمس بروح مفعمة بغريزة حمايتها لا غير..بصوتٍ خافتٍ جدًا و وعد صادق قطعته على نفسي قبل أن أقطعه عليها ؛

_نامي يا غاليتي و لا تخافي شيئًا..أنا لن أتركك ما دمتُ حيًا بعد الآن أبدًا..أبدًا !!!

ابتعدتُ بعدها قليلًا فقط..لأنظر إلى ملامحها التي سكنت تمامًا بشعور من الارتياح..و استمررت أراقبها لوقتٍ طال كنت أكتفي فيه بأن أربت فوق وجهها و شعرها المُبعثر حولها بنعومة شديدة..

إلى أن ارتفعت أنظاري للساعة الحائطية فوجدتها و للعجب قد تجاوزت الخامسة و النصف صباحًا..حينها فقط كنت أتهمد تهيئة طويلة و أبتعد عنها بعد أن طبعت قبلة دافئة فوق جبينها..و وقفتُ بحذر شديد لأقترب من الباب بنفسي الحذر خشية من أن تستيقظ فتكتشف بهلع أنها كانت نائمة بين أحضاني طيلة الليل تقريبًا !!!

و ها أنا الآن أقف أمامها أناظرها باعتيادية و كأن شيئًا لم يحدث..أخذت نفسًا عميقًا..قبل أن احث نفسي على الاقتراب منها أكثر..

إلى أن وقفتُ على بعد سنتيمترات من السرير حيث تجلس هامسًا بصوتٍ خافتٍ ؛

_سجى !

لكنها لم تجب..و ربما لم تسمعي أيضًا..فعدت أهمس اسمها بنفسي الخفوت بلا جدوى..فاقتربت أكثر بحذر تزامنًا مع يدي التي امتدت لتربت على كتفها برفق..و حينها فقط..وجدتها تنتفض كما العادة طبعًا !

هل سيكون الوضع هكذا دائمًا ؟ !!!

شرود..تليه انتفاضة..و نظرتها المدعورة هذه قبل أن تتأكد من أنني أنا في كل مرة أحاول

مناداتها !!!

عدتُ أستقيم في وقفتي قائلاً بابتسامة هادئة لم تكتمل ؛

_أنا...جهزت طعام الإفطار..تعالى !

و كما توقعت..أنا أصبحت قادرًا على توقع كل ردود فعلها..قالت بعد ثوانٍ من النظر لى

بتوجس و هى تعود لتحيط ركبتيها بذراعيها و تبعد أنظارها عني ؛

_لست جائعة !

زفرت بقوة..ثم اقتربت أكثر إلى أن جلست على بعد مسافة قصيرة منها فوق السرير..و لم

تفتنى حركتها غير المرئية تقريبًا و التى كانت بغرض الابتعاد عني لا أكثر..

همستُ و أنا أناظرها باستعطاف ؛

_لكننى جائع جدًا !

طرفت برموشها الكثيفة المبللة فى حركة بطيئة جدًا و هى تلتفت إلى ناظرة لى بتساؤل يشوبه

الحدزر..فأكملت بكل صدق ؛

_أنا لن أتناول شيئًا ما لم تشاركينى..لن أتناول لقمة واحدة إلّا بعد أن أتأكد من أنك أكلت !

الآن استحالت نظراتها إلى بعض الأسى و احتلت عيناها مشاعر كثيرة مُشتتة و معقدة..ثم

ابتلعت ريقها بصعوبة..قبل تهمس بصوت مضطرب ؛

_لكننى لست.....جائعة..لست جائعة !

كان صوتها مشتدًا قليلًا مرتجفًا و كأنها تتوسلنى بكلماتٍ مشفرة أن أتركها و شأنها فقط..إلّا

أننى لم أفعل..بل كل ما فعلته أن تصنعت ضيقًا لا أشعر به و أنا أقول بعناد بدا طفوليًا ؛

_أنا قلت ما لدى !

ظلت تنظر لى بنفسى الطريقة التى تخبرنى بأنها غير مستعدة على الإطلاق لمشاركتى بأيّ

شيء..فاستأنفت ببعض الحزن ؛

_أنا لن أجبرك بالتأكيد..لكننى لن أتناول شيئًا فى المقابل !

ثم وقفت فى نية الخروج و أنا أراهن على مكانتى لديها..مترقبًا سماع صوتها فى أيّ لحظة..لكنها

لم تتكلم أبدًا بشكل جعل الأسى يعتمر قلبي..

لكننى رغم ذلك أكملت طريقي نحو الباب إلى أن خرجت بالفعل بدون أن أحصل على أية ردة

فعل منها على ما قلته..

زفرت أنفاسى بإرهاق و أنا أستند برأسى إلى الباب الذى أغلقته مستسلمًا..لا أشعر سوى

بالعجز الشديد..العجز يكبل روحي و يقتلنى بسادية..

ما يؤلمني حقًا أن هذا يعتبر اليوم الأول فحسب..فماذا عن الأيام القادمة و المراحل التالية
التي أنتوي خوضها معها في طريق شفائها و الذي أعلم أنه طريق صعب..صعب جدًا مليء بالعثرات..
لكني سأقطعه..سأقطعه متمسكًا بيدها..و سأظل متمسكًا بها حتى بعد أن أوصلها إلى بر
الأمان !!!

بقيتُ و أقفًا هناك بحزن لعدة ثوان أخرى..قبل أن أتقدم متجهاً إلى حيث تقبع طاولة الأكل
بخيبة أمل و إحباط شديد..

إلى أن جلستُ أنظر إلى تلك المناظر التي لم تعد تبدو جميلة في عيناى كما كانت.. بل مظلمة
لأنني أعلم أنها لن تراها معي..اليوم على الأقل !

لكن كل ظنوني هذه و حزني..بما فيه خيبة الأمل التي أخبرتكم عنها..كل هذا تفتت حينما
سمعتُ بعد دقائق صوت خطواتٍ رقيقة تقترب منى ببطءٍ شديد..و كأنها تتقدم خطوة لتراجع واحدة
مثلها مجددًا !!!

لكني لم أحب أن ألتفت الآن رغم ذلك كي لا أدفعها لتغيير رأيها..فتسمرتُ على وضعى رغم
بتلات السعادة التي زُرعت في قلبي..

و استمررتُ أحدى بتلك المناظر..و للعجب فقد عادت جماليتها لتأسر عيناى !!!
سمعتُ خطواتها تتوقف في مقابلى تمامًا..و حينها فقط..رفعت رأسى لأنظر لها و ابتسامتى
تكاد أن تصل إلى أذناى لشدة السعادة التي شعرت بها و أنا أنظر بتمعن لشعرها المبلل قليلاً دليلاً
على أنها اغتسلت و ثيابها المختلفة عن التي كانت بها يوم أمس..
بينما ملامحها اكتسبت بعض الهدوء..القليل منه فقط و الذي جعلنى أشعر بالرضا الآن..
لكنها لم تجلس..بل ظلت و اقفة تنظر لى بنظراتها التي أصبحت تسكن ذاكرتى..
خاصة بعد زواجنا..

دائمًا ما تكون نظراتها عبارة عن مجموعة تناقضاتٍ..تمزج ما بين الشحوب و الخوف الذي لا
أعرف له سببًا و الحذر و الرغبة في الهروب و البقاء في نفس الوقت..ثم الرجاء الشديد..و شيء من
سجى القديمة التي كانت دائمًا ما تنظر لى بصدقة عميقة !!!
استطعتُ التخلص من دوامة أفكارى فوقفت مندفعًا بشكل جعلها تجفل متراجعة خطوة
غير محسوبة للوراء..

حسنًا..لا أمانع من أن تنعتونى بالغبى الأبله..فأنا غبى بالفعل !!

تظاهرتُ و كأن شيئاً لم يكن و اقتربت أكثر إلى أن دفعت الكرسي المقابل لخاصتي إلى الورا و
أشرت لها بذقني أن تجلس..

و قد استجابت لدعوتي بالفعل و هي تقترب بتردد إلى أن جلست في الكرسي تنظر لكل شيء
بعينين متسعيتين فارغتين..

تبدو كشخصٍ كان مسجوناً طيلة حياته و الآن فقط يحظى بفرصة الخروج لاكتشاف العالم
لأول مرة !!!

_سجى ؟!!!!

همستُ مجدداً لأخرجها من هذا الشرود الذي عادت تغرق به.. فرفعت رأسها نحوي
بسرعة.. ثم عادت تنظر للأطباق حينما تأكدت أنني جاد في عدم رغبتي في أكل أي شيء قبلها..
ارتفعت يدها بارتجاف لتمسك بالشوكة و السكين في غرض تقطيع لقمة من الوجبة التي
كانت المفضلة لديها.. لكنها لم تعد مفضلة على ما يبدو..

فما إن رفعت يدها مقربة إياها من فمها بأول لقمة حتى وجدتها تتسمّر مجدداً.. بينما
حاجبها ينعقدان بعنفٍ و ملامح الذعر تعود لتحتل عينيها و كأنها تذكرت شيئاً ما فجأة..
نظرتُ بقلق شديد لأناملها التي كانت قد بدأت ترتجف بقوة استجابة ربما لفكرة أو ذكرى
دارت بخلدتها فجأة.. قبل أن تسقط فوق الصحن باللقمة..

و سقط معها قلبي حينما وجدتها ترفع يديها الاثنتين لتغطي جبينها مُستندة بمرفقيها إلى
الطاولة.. مجهشة في البكاء.. هامسة بصوتها المتهرج بعذاب شديد ؛

_أنا... لا أستطيع.. لم... أعد أستطيع فعل أي شيء.. في كل التفاتة أراه.. كل خطوة أخطوها نحو
الأمم أشعر أنها تعيدني إلى نفس النقطة.. إنه موجود.. هو موجود في كل مكان.. في كل موقف.. في كل
حركة.. في ذاكرتي.. في أحلامي.. في عقلي.. في ملامحك هو موجود أيضاً.. أنا لم أعد أستطيع التصرف
بأدمية بعد.. أنا انتهيت.. انتهيت يا لؤي انتهيت !!!!

أغمضتُ عينايا بألم و صوت بكاءها ينخر قلبي.. قبل أن أزفر بقوة و أعود لأفتحهما بحزم
أمراً ؛

_انظري إلي !

لكنها لم تنظر.. بل تشنجت أناملها الرفيعة أكثر و هي تضغط بها على جبينها.. فعدت أقول
ببطءٍ حاد الآن رغم الإختناق الذي لامس صوتي رغماً عني ؛

_سجى.. ارفعي رأسك و انظري إلي !!!!!

صمتُ أخيراً أنتظر انصياعها بأسى..و بالفعل..فقد وجدتُها بعد لحظاتٍ طويلةٍ بعض الشيء
تنزل يديها محرّرة جبينها من ضغطها العصبى ببطءٍ بدون أن ترفع رأسها نحوي.. بل عادت ترفع
أناملها المرتجفة تلك لتمسح دموعها دون أيّ جدوى تذكر..
إلى أن كرّرت برجاء الآن و أنا مُصمم على جعلها تنظر لي بإرادتها ؛
_سجى ؟!!!!

و هنا فقط..كانت ترفع عينيها الحمرّوين المبللتين بالدموع..رفعتُهما قليلاً فقط لتنظر
لي..فاقتربت منها أكثر إلى أن أحطت وجهها بلكتا يداي..
ثم همستُ بنبرة مشتدة حازمة بينما أناملي تتحرك بلطف على وجنتيها لتستلم مهمتها
السابقة متجولة فوق تلك الدموع الغالية ؛
_لا شيء انتهى..هل تسمعينني ؟!! لا شيء إطلاقاً انتهى..رغم كل شيء..و كل الظروف و
العثرات التي مررنا بها..نحن لا زلنا على برّ الأمان يا سجى..أنتِ هنا..لا تزالين على قيد الحياة و هذا
لوحده يعد انتصاراً كبيراً..

صمتُ للحظة أحرق فيها بملامحها التي لم تفقد انفعالها بعد..لكنه تلاشى قليلاً فقط بعد
كلامي..ثم تركت وجهها لأقف و أدور حول الطاولة إلى أن أمسكت بيدها بقوة لأجعلها تقف..
و لم أبالي أبداً برغبتها التي شعرت بها في التملص من يدي..بل سحبتها معي إلى أن توقفتنا أمام
ذلك السور الفاصل بين الشرفة و الحديقة و ما هو ظاهر خلفها..
و هنا فقط كنت أحرر يدها لأقف وراءها و أقبض بيدي على كتفيها..ثم همستُ بانفعال
حانٍ بينما أستشعر ارتجافتها و رفضها الضعيف لهذه السيطرة التي أفرضها عليها ؛
_انظري..تأملني جيداً في كل مكان هنا يا سجى..هذا المكان كله لنا..هو لنا فقط..هذا الهدوء..و
السكون..كله لنا..لا أحد هنا غيرنا أنا و أنتِ..أنا و أنتِ فحسب..كل ما تشعرين به هو محض أوهام
فقط..و الحقيقة الوحيدة ها هنا هي أنكِ أصبحتِ زوجتي..انظري جيداً..هو ليس موجوداً في أيّ مكان
هنا..هو لن يلاحقك بعد..لا هو و لا أيّ أذى سيلاحقك بعد الآن..لأنني هنا!..مثلما احتميت بي يوم
أمس ضدهم..بنفس الطريقة أنا سأخلصك من كل أوهامك هذه..و إذا كنتِ تظنين أنكِ انتهيت..فأنا
أعدك أني سأعيدك إلى الحياة مجدداً..

كانت دموعها لا تزال تنساب بحرارة..صوت بكاءها المؤلم يرتفع أكثر و أكثر مع كلامي و كأنني لا
أحاول هدهدة مشاعرها بما أقوله..بل دفعها نحوها أكثر..

إلى أن أدرتها نحوي دون أن أحرّر كتفها..لأكمل بحرارة و أنا أستند بجبتي إلى جبهتها..بينما
دموعي تسقط مواسية لدموعها..و قلبي يرتجف كقلبيها..

_ كل ابتساماتكِ التي قتلها بدناءة سأعيد إحياءها مجدداً باحتواء..أنا سأستعيد صديقتي
سجى التي فقدتها..سأستعيدكِ !!!!

قلتُ آخر كلمة بصوتٍ مختنقٍ أشد انفعالاً..قبل أن أشعر بيديها المرتجفتين ترتفعان إلى أن
قبضتَ بهما على ياقة قميصي الأزرق بقوة تزامناً مع عينيها اللتين عادت تغمضها على دموعها..
دون أن يتلاشى صوتُ شهقاتها و لو قليلاً..بل ارتفعت ذراعاها أكثر عوضاً عن ذلك
لتحاوِطان عنقي..و قد كانت أول مرة تقترب هي فيها مني بعد الحادث..
و ليس أيّ اقتراب..فقد كانت و كأنها تشتكي لي بطريقة أخرى أسهل من أن تقول ما تتمناه
بلسانها..

ذراعاها تكادان أن تفصلا رقبتني إلى جزئين لشدة ضغطهما العنيف من حولي..بينما دموعها
الغالية المكتومة في كتفي تخترق قلبي بدل أن تخترق قماش قميصي..
و صوت بكاءها الذي بات أشبه بنحيبٍ مختنقٍ لطفلة صغيرة تشكو من الظلم جعل من
ذراعاي تتحركان بلا أيّ تخطيط مني لتلتفان من حول خصرها النحيل..تبادلا عنها هذا العناق بقوة
تفوق قوتها بأضعافٍ مضاعفة..

و قد كانت هذه هي اللحظة التي صدق فيها قلبي أنها زوجتي..هي زوجتي حتى لو استنكر العالم
أجمع من هذه الحقيقة فخفقات قلبي تؤكد على ذلك !!!!

#هادي

هل نظرتم حولكم بتدقيق من قبل ؟ حدقتم بكل تلك الأشياء الثمينة التي هي ملككم ؟!! هل
جربتم أن تستشعروا جمالية انتماءها لكم و قباحة فكرة أن لا تعود لكم ؟!
أنا جربت..كان هذا هو مزيج مشاعري المتناقضة و أنا أحقد بها..
و من غيرها ؟!!!!-شهدي أنا- !!

كانت تقف أمامي تماماً..أقصد بتقف أمامي أنني أيضاً كنت -شبه- و اقفأ..تنظر لي و كأنها
تحقق بابنها الذي يوشكُ على أن يخطو أولى خطواته..

الفرق الوحيد ها هنا أنها لن تكون مُضطرة لأن تخفض رأسها لتراقبه..بل هي مضطرة لأن
ترفعه..كما رفعته الآن و نظرت لي من بين دموعها السعيدة جداً..و الحزينة جداً..

إلى أن قلتُ بصوتٍ خافتٍ مختنقٍ بتأثري ؛

_كيف أبدو ؟!!

رأيتُ ضحكها الناعمة الصغيرة جدًا التي شقت شفاهها عنوة..ثم همست لي بصوتها

المتحشرج قليلاً بدموعها ؛

_طويل..طويل جدًا !

شاركتها الضحكة بقلب عاشق للحظاتٍ..قبل أن أعود لأهمس رافعاً أحد حاجبائي بتلميح

لشيءٍ فهمته فوراً ؛

_إذا ؟!!

و كما توقعتُ فقد تخضبت وجنتاها بحمرة لذيذة أوضحت خجلها..و نظرت حولنا إلى

المُمرضين المحيطين بكل مكان..قبل أن ألتفت أنا أيضاً لأنظر لهم ببعض الضيق.. خاصة لذلك الذي

لم تنزع نظراته عنها بلا خجل أو حياء !!

تنحنحتُ فجأةً ناظرًا له بحدة..فانتقلت أنظاره لي بتوتر شديد..قبل أن ينضم إلى أصدقائه

الذين كانوا يهمون بالرحيل..كتمتُ غيظي بصعوبة و رغبت في ضربه بشدة و راقبت جميعهم إلى أن

غادروا..

ثم عدتُ لأحدق بها ما إن أصبح المنزل خاليًا إلّا منا..أو بالأحرى الحديقة فهي التي كنا -نقف-

فيها الآن..قلت بخفوتٍ و أنا أراها تطرق برأسها بذات خجلها و ارتباكها ؛

_و الآن ؟!!!

لوهلة شعرتُ بأنها لن ترفع رأسها..و ربما ستتجاهل كل مقصدي و تهرب كعادتها..و لن

أستطيع إمساكها هذه المرة للأسف كما وعدتها ذات مرة..فأنا لا أزال حتى الآن عاجزًا عن حمل نفسي

حتى لولا العكازين..

لكنها لم تخذلني..بل عادت ترفع رأسها بتردد لتنظر لعيناي بعينيها اللتين زادت من توهج

لونهما الزيتوني الخلاب الشمس التي انعكست عليهما..

كان لون عينها يشبه لون عيني سحى..مع اختلاف طريف و هو أن لون عيني سحى كان في

درجة أفتح من درجتها قليلاً..

أو ربما انعكاس لون شعرها الخلاب يجعلهما تبدوان أغمق من حقيقتهما !

قبل أن تقترب خطوة صغيرة مني هي الوحيدة التي كانت تفصل بيننا..إلى أن أراحت رأسها في

حركة هادئة جدًا فوق صدري و أحاطت جذعي بذراعيها ملبية بكرم فائض..لرغبتني الماثلة في عيناها..

شعرتُ برعشة غريبة تستفحل قلبي.. فطرفت بعيناي و أنا أحرُكُ يدي بصعوبة لأربت بها فوق
شعرها الذي كان منسدلاً اليوم أيضاً بحرية.. و تمنيتُ لو أستبق الوقت و ألقى بهذين العكازين
لأستطيع ضمّهما كيفما أشاء !!!

لكنني اليوم...أطبقت عيناي مكتفياً بذلك الحُضن الذي لم أشهد بجماله مثيلاً قبلها..
محتفظاً برغبتِي المؤجلة إلى يوم آخر !

ابتعدت أخيراً ببطءٍ لتهمس ناظرة لي بوداعة ؛

_هل أساعدك في الدخول إلى المنزل ؟!!

اومأتُ لها بالإيجاب ببطءٍ و أنا بالكاد أقاوم رغبتِي الحمقاء في احتضانها أكثر.. فابتسمت
نصف ابتسامة سلبت الصّواب من قلبي..قبل أن تتمسك بذراعي و تر افقني إلى المنزل خطوة
بخطوة..ظنّنا منها أنها تسندني بالفعل !!

لكن الحقيقة أنها لم تُكن تسندني..هي فقط كانت تدغدغ مشاعري و كل حواسي و أنا
أستشعر أناملها الرقيقة الملامسة لذراعي..

و لأول مرة أعشق حقيقة أنها -زوجتي-..زوجتي الأولى و الأخيرة..و التي لم أحب قبلها و لن أحب
بعدها أحداً..حتى لو شاء القدر و افترقنا !!!

لم أكن أتوقع أبداً أن هذه المرحلة قد تمرّ..لكنها مرّت..ببطءٍ شديد و سرعة شديدة في نفسِي
الوقت..و بالفعل كنت و كأنما أسابق الوقت في رغبتِي في الوقوف على كلتا قدمي باستقامة..
من مرحلة لمرحلة أشدّ منها صعوبة..و أجمل عند قطعها..أيام أخرى صعبة التحمل و كنت
أتخلّى عن العكازين لأستبدلّهما بعكاز واحد..

ثم أيام أخرى و استبدلتُ العكاز نفسه بآخر أصغر منه و أخفّ وزناً..لدرجة شعرت معها
أحياناً أنني أصبحت قادراً على المشي بدونه..

لكنه كان مجرد شعور..في البداية فحسب..فلا داعي لأن أسرد عليكم عناء الأيام التي
تلتها..عناءٌ فكري أكثر من كونه جسدي..

كثيراً ما وجدتُ عقلي يحاول إثنائي عن أيّ محاولة في الاستمرار في هذا الطريق الشاق نحو
الشفاء..

بل يتكاسل أكثر طمعاً في أيام أخرى أمضيتها معها...تحت سقفٍ واحد !!!

كنتُ أقفُ مستندًا إلى ذلك العكاز الخفيف الذي أخبرتكم عنه..أمام النافذة المطلة على الحديقة كعادتي..بينما -شهدي- في المطبخ لا يصلني منها سوى صوت الأواني و هي ترتطم ببعضها أثناء غسلها ربما أو تحضير شيء ما للغداء..

هذه الفترة تبدو شهد مختلفة تمامًا..هادئة بشكل مبالغ به..صامتة بشكل مبالغ به.. حزينة بشكل مبالغ به..و أنا أعرف السبب طبعًا..و هو سبب مقنع بالفعل !!!

فمثلها و أكثر أنا أشعر بنفس الحزن و الخوف..لكنني عاجز..أنا عاجز تمامًا عن تغيير هذا الواقع المرير..و عجزني ينبعث من خوفي من ما قد تتجرأ أُمي لتفعله بها لو خرقنا أحد شروط هذا العقد البائس..

أظن أن المُنقذ الوحيد ها هنا هو أبي..لكن حتى أبي يكره شهد..رغم أنه لم يقابلها شخصيًا في حياته يومًا..و لا حتى بعد أن تزوجنا..و إلا كنت لأدهس كرامتي و كبريائي و ألجأ إليه و أنا متيقن أنه قادر على الوقوف في وجه أُمي..

سمعتُ فجأة صوت ارتطام قوي من المطبخ..يليه صوت تأوه مكتوم منها !!!!!
فانتفضتُ ملتفتًا بفرع..قبل أن أحث نفسي على الاقتراب من المطبخ بسرعة متحاملًا على قدرتي المتواضعة في المشي بهذه الوتيرة..

إلى أن هتفتُ مرتعبًا باسمها و أنا أقفُ في منتصف المطبخ..أنظر إلى تلك الطنجرة الحديدية التي كانت مُستقرة فوق الأرض بعد أن وقعت بقوة من فوق الطباخ..
لكن ليس هذا ما أخافني..بل تلك المياة الساخنة التي كانت بداخلها و انسكبت على الأرض..لكنها لم تنسكب كاملة..

بل كان جزء منها قد انسكب على.....ظاهر يد حبيبتي !!!!!

" 23 ؛ و ماذا لو تلاقينا "

#الكاتبة

اتسعت عيناه جزعاً و تسمر مكانه ينقل أنظاره بين تلك " الطنجرة " التي استقرت فوق الأرض و شهد التي التفتت مُجفلة عنه في غرض واحد..
أن تخفي دموعها التي لم يعلم لها سبباً في هذه اللحظة !
ارتفعت يدها في حركة متوترة لتمسح وجنتيها في ظن غيبي منها أنه لم ير دموعها.. ثم عادت تلتفتُ نحوه هامسة بتلعثم و هي تنخفض القرفصاء تنتوي تنظيف هذه الفوضى التي أثارها ؛
_...أسفة !!

امتدت يدها ناحية تلك الطنجرة و هي تهتم بإمسакها.. دون أن تبالي أو ربما لم تنتبه لظاهر كفه الذي كان قد بدأ يتورم بشكل بدا موجعاً لهاذي الذي هتف بها مندفعاً قبل أن تلمس أي شيء ؛
_توقفي !

و توقفت بالفعل و هي ترفع رأسها نحوه مُجفلة.. دون أن تملك أمر تلك الدمعة الأخيرة التي تسالت من بين رموشها المبللة و راقبتها عيناه بلوعة.. و جعلت من ملامحه تفقد كامل انفعالاتها..
قبل أن يفرد راحة يده نحوها هامساً بخفوت الآن ؛
_تعال !

تحركَ بؤبؤَ عينيهما ببطءٍ ليستقر فوق يده التي كانت ممتدة أمامها.. تناشدها التمسكَ بها.. لكنها لم تفعل.. فقد انفرجت شفاتها ببطءٍ كشخصٍ فاقد لتركيزه.. قبل أن تهمس ؛
_لكن.....

_شهد!!!!

قاطعها بحزم حاد و هو يحثها على أن تتمسكَ بيده.. و لم تكن لتعصي له أمراً كعادتها الغريبة معه.. فرفعت يدها ببطءٍ لتقرّبها من يده إلى أن ارتاحت فوق راحته..
ابتلع هادي ريقه بغصة تقبض له قلبه و هو ينظر إلى يدها الصغيرة المصابة.. قبل أن يحرك أنامله إلى أن تمسكَ بمعصمها و دفعها برفق إلى أن أصبحت واقفة أمامه مطرقة برأسها..

كانت يدها ترتجف حرفيًا بشكل جعل من رجفة الألم التي تحتلها تنتقل إليه..فاشتد ضغط يده حول معصمها أكثر..و بدون أي كلمة..التفت عنها مرغمًا ليس إلّا ليسحبها معه نحو غرفته..إلى أن جلس في طرف السرير و جعلها تجلس بجانبه..

تجاهل كل شيء..و رغبته في توبيخها أو احتضانها بشدة في هذه اللحظة..و أرغم نفسه على التزام الصمت حتى يطمئن على حبيبته..

فالتفت ليفتح أحد الأدراج الخاصة بخزانة صغيرة ملاصقة للسرير و يخرج منها قنينة مغلقة فتحها بعد أن ترك العكاز يسقط فوق الأرض بإهمال..

و ترك يدها لوهلة هي الأخرى ليغطس أنامله بداخل ذلك السائل " الكريمي " الذي تحتويه..ليعود و يمسك بيدها مجددًا دون أدنى اعتراض أو ردة فعل منها..إلّا من تأوه ضعيف جدًا هرب رغمًا عنها من بين شفتيها المضمومتين بقوة..

و جعله ينظر لها ملتاعًا للحظة..لكنه اضطر رغم ذلك لأن يتحامل على نفسه و يقرب أنامله بذلك السائل من ظاهر يدها شارعًا في دهن بشرتها و تدليكها بحركاتٍ حانية جدًا.. لكنها لم تبدو حانية لشهد..فرغم حرصه الشديد على أن لا يؤلمها أبدًا إلّا أن نظرة واحدة منه لملامحها الحبيبة بحاجبيها المنعقدين بشدة..و عينيها اللتين أغمضتهما باستسلام أرغمت نفسها على التسلح به..

و رموشها التي كانت ترتجف دليلاً على لسعات الألم التي ترسلها أنامله إليها.. كانت لا تزيده سوى قهراً و قهراً و رغبة أقوى في توبيخها بشدة على إهمالها هذا..

إلى أن انتهى..و حينها فقط كانت عيناها تنفرجان و ملامحها تستعيد القليل فقط من استرخائها رغم أن الاسترخاء شعور بات بعيداً كل البعد عن كلاهما.. عاد يفتح نفس الدرج ليخرج علبة الإسعافات الأولية و يفتحها إلى أن أمسك بتلك الضمادات " القماشية " ليلفّها حول يدها عدة لفاتٍ بنفس رفقته..

ثم تنهد بعمقٍ و هو يهمس بعدها بإرهاق ؛

_نوبة شرودٍ أخرى ؟!!!

هنا فقط..كانت عيناها ترتفعان إليه ببطءٍ بدون أن ترفع رأسها..و قالت على وشك البكاء ؛

_آسفة !!!

وجدت نفسها تجهش في البكاء بعدها فوراً بشكل جعل من يده تتشنج فوق يدها بعد أن كان

يهم بتركها..و حاجباه ينحنيان إلى الأسفل ألمًا..

نظر حوله للحظاتٍ كانت يده ترتجف فيها حرفياً فوق يدها..و حاول..حاول بشدة أن يتمسكَ في موقفه ناحيتها..أن يوبخها و يلومها بشدة على إفزاعه بهذا الشكل في كل مرة.. لكنه لم يستطع..هو لم يستطع فحسب..فلم يشعر بنفسه إلّا و هو يلتفت في حركة مندفعة إليها..ثم و بدون إنذار مسبق كانت تمتد ذراعاه نحوها في حركة شبه عنيفة لتقربانها من صدره إلى أن أصبحت مُحاطة بدفنه من كل مكان..

كان صوت بكاءها يرتفع و يرتفع لسبب يجهله..أو ربما يعرفه..فهو مثلها يكاد أن يكتم رغبته في الصراخ ألماً..لا البكاء فقط!..

لكنه رغم ذلك لم يستطع سوى أن يرفع يده ليربت بها فوق شعرها و ظهرها.. يهددها في صمتٍ لم يقطعه سوى صوتها بعد دقائق طالت لم يهدأ فيها بكاءها إلّا بعدها ؛
_لقد اتصلت.....أمك !

لم تبذر عنه أية ردة فعل..و كأنه كان يتوقع بالفعل أن سبب حالتها الغريبة هذه هو شيءٌ يتعلق بموعد افتراقهما القريب..تنهد مطولاً و كأنه ينبذ كل انفعالاته جانباً..
ثم قال بصوتٍ لا تعبير فيه و هو يحتضنها أكثر إليه ؛

_ماذا قالت ؟!!!

جاءه صوتها يحترق في نار الوجد ؛

_قالت أنها.....ستأتي غداً لترك و لتتم إجراءات ال.....

صمتت غير قادرة على نطق الكلمة البشعة..تكتم غصتها الخائفة دافنة أنفاسها المتهدجة في صدره..ليأتها صوته بعد لحظة بنفسِ النبوة ؛

_إجراءات.....ماذا ؟!!!

بدا كمن يتمسكُ في آمال واهية و هو يسألها سؤالاً أجابه عقله عليه مسبقاً..و أتاه الجواب كما صوره عقله تماماً..بل أسوء..و أسوء حينما همست بصوتها المتهدج المتقطع باختناق و صعوبة ؛

_إجراءات ال...الطلاق !!!!

عادت دموعها لتتخذ سبيلاً إلى وجنتها ملازمة قلبه بحرارة أكبر..بألم و وجع أكبر..و كأنما تبثه كل مشاعرها بصمتٍ..تخبره بدموعها فقط أنها...لا تريد..هي لا تريد أن تبتعد عنه..هي تفضل الموت ألف مرة على أن تتركه مجدداً..ليس مجدداً !!!

و لأول مرة في الحياة تختار أن تبكي بدون أيّ كوابح..بصوتٍ مرتفع..و أمام شخصٍ واحد

محدّد..

فهي دائماً ما كانت تجيد إخفاء ألمها عن الجميع...إلا عنه !

وها هي ذي اليوم تنهار أمامه كذلك اليوم الذي انهارت فيه في " دار الأيتام " ..

لكن الفرق الوحيد هو أنها وجدت من يكتُم دموعها ذلك اليوم بأسلوب آخر..لا يشبه أسلوبه

الدافع أبداً..

و أيدٍ كمّمت فمها بقوة على النقيض من القوة التي يتمسكُ بها الآن..وعينين قسّم لهما أن

تنشأها قليلاً مع عينيه تحدقان بها بقسوة من فوق..

لتقترب -صاحبة- هاتين العينين خطوة مرعبة ناظرة لها من مكانها بكل ظفر و تكبر..و ترفع

يدها الصغيرة تكاد أن تعتصرها بين يدها..

لم تشعر بعدها إلا بذلك " الجسم الصّلب الساخن " الذي اخترق أوردة معصمها..و يدٌ

مهيمنة تغطي لها عينها و تكمّم لها فمها..

و كأن الشعور به فقط كان أهون من رؤية عروق معصمها تتمزق تمزقاً أمام عينها !!

لكن صرختها الصغيرة المكتومة آنذاك استطاعت تخطّي حتى سطوة أيديهم و التسلل بالم

كاد أن يمزق كل خلية من جسدها الهزيل..

و فجأة..شعرت بكل الثقل الجاثم فوق فمها و عينها يتزاح..و تلك العينين المُخيفتين لا تزال

صاحبتهما تقف مكانها أمامها تكاد أن تحفر الأرض بكعب حذاءها الطويل..

و حينها فقط..استطاعت أن تعرف ماهية ذلك الشيء الذي وضعوه فوق معصمها.. و الذي

لم يكن سوى قطعة حديد ساخنة جداً..

لكنها ليست أشد سخونة من عبراتها البريئة التي سقطت آنذاك بغزارة..

إلى أن أتاها صوتها شديد الهدوء تهمس بنبرة مخيفة ككل شيء فيها ؛

" هل تعرفين أيّ طفلٍ اسمه هادي ؟!!! "

كانت تلفظ سؤالها أمام عينها المتسعيتين بعد أن انحنت لمُستواها..بينما عيناها هي تنتقلان

بين تلك القطعة الحديدية و ملامح شهد المرتعبة الخائفة بشرٍ..

و ما إن وجدتْها صامته إلا من نظراتها المُهتزة البريئة و التي تحمل أماً يفوق الألم..هزت رأسها

بوعيد و هي تمسكُ بيدها الأخرى و تقرب القطعة من معصمها السليم في حركة ذات مغزى..

تلك الحركة..هي ما جعلت من شهد تشهق بقوة و هي تحرك رأسها بالنفي قطعاً في جميع

الاتجاهات..و قد كان جوابها مرضياً كثيراً لعفاف التي هزت رأسها مبتسمة و هي تعيد صياغة سؤالها

بطريقة أخرى..

" هل لديك أي صديق اسمه هادي ؟!!! "

نفس الجواب تلقت..إيماءة مرتجفة بالنفي و أنفاس متحشجة توشكُ على التقطع.. فلم تتردد عفاف من أن تدفعها بلا أي مبالاة قبل أن تلتفت عائدة إلى مكتبها.. تاركة خلفها طفلة حيّة بروح ميتة..بعد أن أخذت درسها القاسي كاملاً..كان أن لا تنطق اسم هادي مجدداً..

لكن ما لم تعلمه تلك السيدة الجبارة الباردة..بأنها لم تنفك عن نطقه بينها و بين نفسها مرة و ثانية..و الثالثة..و ألف...كان حُبها يتفاقم و يتجدد في كل مرة منهم !!! عادت من تلك الذكرى الأليمة التي اخترقت عقلها اليوم بعد أن ظنت أنها تجاوزتها تماماً..لكنها استوعبت اليوم أنها لم تتجاوز أي شيء..هي لا تزال حتى الآن تخاف.. إنها تخاف بشدة من كل شيء..و الدواء -الوحيد- لخوفها هذا هو هادي..و ها هو هادي أيضاً سيتركها و تبقى وحيدة للأبد !

سمعت صوته يأتيها بعد لحظات منهكاً..مستسلماً ؛

حسناً..ألم يكن هذا هو الاتفاق منذ البداية..لماذا البكاء الآن ؟!!!!

و كأنما سؤاله زاد من تقيح جروحها القديمة و الجديدة..فأغمضت عينها بصمتٍ على عبارتها التي لم تتوقف أبداً..

لم تكن يداه تحتضناتها الآن فقط..بل تكادان أن تكونانها جزءاً من قلبه المكلوم..و لم تزدها حركته هذه سوى رغبة أكبر في البكاء أكثر و أكثر..

و بعد دقائق من هذا الصمت الخانق..كانت تشعر بنفس اليدين ترتفعان ببطءٍ إلى أن قبض على كتفها بهما..و أبعدها عنه قليلاً لينظر لوجهها..و حينها قال ما جعل الدم يتكتل في عروقها ؛

_لا تأخذي المال من أُمي يا شهد..أنا سأؤمن لك كل ما تحتاجينه !!

كان قد أعلن استسلامه للأمر الواقع..و رفض أن يتمسك بها أكثر على حساب حياتها..و لم تستطع شهد إلا أن تومئ من بين دموعها غير قادرة على نطق كلمة واحدة..

همس مجدداً بصوتٍ شبه مختنق و عبراته التي كبح نزولها طويلاً تتمرد على كل محاولاته ؛ _و لا تسدلي شعرك أمام أي أحدٍ غيري !

ابتلعت شهد ريقها بصعوبة عند هذه النقطة..و رفعت رأسها قليلاً فقط لتنظر له بعينيها المحمرتين بشدة..و همست ببراءتها المهلكة لقلبه ؛

لماذا ؟!!!!

وجد نفسه يزعم شفثفه بقوة على ابتسامة حزينة جدًا و هو همس ؛

ألا تعلمين لماذا ؟!!!

هزت رأسها بالنفي بكل صدق..فاتسعت ابتسامته أكثر بحزن أكبر..و اقترب ببطءٍ منها إلى أن

أصبح جبينه مقترنًا بجبينها..

بينما يداه تحاوطان وجهها الجميل لتمسحان دموعها..

همس بعد لحظاتٍ أخرى بنفسٍ نبرته الهامسة الغارقة في الحزن ؛

_هناك أغنية كنت أستمع لها كثيرًا في الماضي..لطالما أحببتها لأنها تذكرني..... بنا !

قلبت شهد عينيها الواسعتين بين عينيهِ القريبتين جدًا..و ساد صمت قصير قال بعده

بابتسامة واهنة جدًا ؛

هل تسمعينها ؟!!!

و كان الجواب أن أسدلت عينيها في محاولة واهية جدًا استشعرها للهروب من أسر عينيهِ بما

توقظانه بداخلها من رغبة في توسّله لا الإعتراف فقط بأنها.....تجبه و لا تريد الابتعاد عنه !

ثم أومأت في حركة مرتجفة..شعرت بعدها بيده تتركّ وجنتها لدقيقة واحدة فقط كان الغرض

منها تشغيل الأغنية فحسب..ثم ألحان الأغنية الحزينة تتسلل إلى آذانها بخفوتٍ..

وماذا لو تلاقينا ؟!

بحُبِّ بعدَ أنْ كانتِ، قبائِلُهم تُفرِّقنا؟

وَتُبْعِدُنَا ..بِكُرهٍ كِي تُمَرِّقنا!

وَكُنَّا نَحْتَمِي خَوْفًا؛ على ذِكْرِي تُجَمِّعُنَا ..

وماذا لو تلاقينا؟

سَأُمسِكُ كَفَّكَ الأيمنَ، أَقبِلُهُ ولا أَخْجَل ..

وَأَحْضُنُهُ؛ لِأَخْبِرُهُم: بأنَّ الحُبَّ أنْ تَفْعَلَ!

بأنَّ الحُبَّ أنْ نُقَتِّلَ، ونُصَلِّبَ فَوْقَ بُسْتَانٍ ..

لنُسْقِي الزَّهَرَ مِنْ دِمْنَا، فزَهْرُ الحُبِّ لا يَذْبُل!

وماذا لو تلاقينا؟

سَأُطَلِّبُ مَوْعِدًا مَعَكَ، كما كُنَّا ..

أُقَبِّلُ خَدَّكَ شَغْفًا، وَحُبًّا حَجْمُهُ الدُّنْيَا ..

أَكْرُرُ كُلَّ مَا كُنَّا؛ طِوَالِ الْأَمْسِ نَفْعَلُهُ
نُعِيدُ الْحُبَّ فِي وَلَعٍ .. كَأَنَّا قَطُّ مَا غَبْنَا !
كَأَنَّ الْأَمْسَ كَابُوسٌ !!
وهذا اليوم قد فِقمَا !
وماذا لَوْ تَلَقَّيْنَا ؟
على وَطَنِ مِنَ الْعِشْقِ ..
على لَيْلٍ يُغْنِينَا .. بِصَوْتِ وَنَكْهَةِ الصُّبْحِ !
لِنَنْسِيَ كُلَّ أَوْطَانِ الدَّمَارِ ..
وماذا لَوْ تَلَقَّيْنَا ؟
وَمَا كُنَّا نَخَافُ فِرَاقَنَا أَبَدًا،
وَمَا كُنَّا لِنَتْرُكَ بَعْضَنَا قَطُّعًا..
وَمَا كَانَتْ يَدَاكَ تَعُودُ تَطْلُبُنِي،
يَدَاكِ، بِكُلِّ هَذَا الْخَوْفِ تُمَسِّكُنِي:
" حَبِيبِي لَا تُفَارِقْنِي .. أَخَافُ تَوْقُفَ الْعُمْرِ ..
أَخَافُ لِحَبْنَا وَجَعًا، أَخَافُ بِأَنْ يُعْرِقِلَهُ؛
بِكُلِّ الْكُرْهِ، مُجْتَمَعِي .. "
وماذا لَوْ تَلَقَّيْنَا؟

....

" وَسَتُطْمِطِنَ بِحُبِّكَ وَطَنًا،
وَسَتُشْبَعِينَ بِغَيْثِكَ طَمْعِي ..
وَسَتُهْلِكِينَ بِحُسْنِكَ أُمَمًا
وَسَتُفْهِمِينَ الْحُبَّ مُجْتَمَعِي ."

كانت الألحان و الكلمات تتدافع في قلبيهما بقوة..كل كلمة جديدة تتسلل إلى عقليهما تزيد من
عذابتهما..بينما عيناها في عينيه لا تفارقانها..تكاد أن تضيع و تتلاشى بتأثيره..
و هو مثلها..

كلاهما يبدو كالغريق الذي يُحارب بشدة للتمسك بطوق نجاته..لكن عبثًا..فما لبثت أناملها
أن تمسكت بشدة تكاد أن تكون عنيفة بأنامله المُحاوطة لوجهها..

بينما شعر هادي...برغبة قوية تستفحله في الاقتراب أكثر منها..و كأنما كل هذا الاقتراب لم
يعد يكفي !!!..

وجد نفسه يقترب منها بغير استئذان ليستبدل يديه الدافئتين بشفتيه الأشد دفئًا..يعزفُ
فوق بشرة وجهها الحزين أعذب الألحان و أرقها..يغوص في مياها العذبة و يرتشف من رحيق أنهارها
الفائضة بالعشق بغير حساب..

يستقبل استسلامها و انصهارها به كهدية عزيزة ستر افقه أينما ذهب بعد الآن..يحقق أمنية
عتيقة ما ظن أن تناشد أرض الواقع يومًا..يلمس رُوحها الكسيرة قبله بأياد من همساتٍ و
قبلات..يحتضن تلك الطفلة الصغيرة الباكية ملتقطًا حروف اسمه من بين شفتيها و كأنها مرتها الأولى
في تهجئتها..ترددها مرارًا غير عابئة للمرة الأولى بأي عواقب..

و لم تكن تلك الليلة ليلة عابرة أبدًا كسابقاتها..كانت الليلة التي أعلنت فيها شهد استسلامها
لحب هادي..كانت الليلة التي انتقلت فيها من شهد الطفلة -اللقطة-..إلى شهد زوجة هادي الشاذلي
رسميًا و -فعليًا- !!!

لكن خيبة الصباح قتلت فرحة المساء !!!
حينما وجدا نفسيهما يجلسان بظهر مقتضبٍ و ملامح قاتمة جدًا أمام والدته التي جلست
برفاهية فوق أريكة في مقابلتهما..بعد أن أُلقت قنبلتها الكبرى..
كانت تلك الوثائق التي أُلقت بها فوق الطاولة أمامهما..وثائق الطلاق التي بدت بمثابة وثائق
تنفيذ الإعدام لهما..

كانت عينا هادي مستقرتان فوق تلك الأوراق بلامح لا تعابير فيها..بينما شهد تنظر للأرض في
رغبة بالموت..و في هذه اللحظة بالذات قرّر عقلها أن يعيدها إلى ذكرى ذلك اليوم..و كلام هذه المائلة
أمامها الذي تسلل كالسّم إلى عقلها و قلبها..

" لن يكون هذا الإتفاق لفظيًا فقط..بل سيوثق في عقد منفرد ستوقعين عليه حالًا و قبل
الزواج..دون أن يعرف هادي عنه بالطبع..و لو حدث..لو حدث و حاولتِ حتى أن تتراجعِي و تخزقي
أحد البنود فلن تكوني الوحيدة التي ستدفع الثمن..بل هادي معكِ !"
لم تستوعب حينها كلامها هذا..و لا تهديدها إياها بهادي..إنها هي !!

فتسمرت في مكانها حيث كانت تقف في منتصف مكتبها بدار الأيتام..بينما عفاف تجلس بكل راحة في مقعدها..إلى أن أكملت تجيب تساءلات عقلها بكل ثباتٍ..

" ستقولين أن هادي ابني و ما إلى ذلك ؟!!!.. صحيح..هو كذلك و أنا لا أستطيع أن أؤذيه جسدياً بالطبع..لكنني أستطيع بكل برودة دم أن أحرمه من تحقيق حلمه الأسطوري الذي تعلمين ماهيته جيداً..هذا غير ما سأفعله بك..لا أظن أنني أحتاج لأن أعرفك بنفسي.. فأنت تعرفيني جيداً بالفعل.. "

كانت قد رمقت معصمها في نهاية كلامها بنظرة ذات مغزى فهمته شهد..لكنها التزمت الصمت التام تاركة لعفاف فرصة الاستئناف بكل برود..

" المعنى أنه لا مجال للتراجع ها هنا..أبدًا..حتى سحرك البريء هذا لن يجدي معي..لهذا لا تفكري قطعاً في أن تستغلي وجهك البريء في محاولة الإيقاع بهادي !!.. "

ثم صمتت للحظة و أكملت بوضوح ؛

" الآن الخيار لك..إما أن تتزوجي بهادي و تلتزمين بكل ما قلته و تؤمني لنفسك حياة آمنة بعد أن تخرجي من هنا..أو تخرجي من هذا الباب الآن و لا أريد رؤية وجهك مجدداً "

و كان أن تنازلت بالطبع و وقعت ذلك العقد خائفة لمصيرها..و ها هي اليوم تجلس أمامها.. بعد أن انتهت مدة هذا العقد البائس..

و انتهت معها كل أحلامها البريئة التي كونها قلبها مرغماً مع هادي !!

نفسه هادي الذي كانت قد غامت عيناه و عقله في ذكرى مشابهة جداً..

" نعم..ستتزوج بها..لكن لفترة سأحددها أنا..لن تقرّبها فيها أو تعقد أيّ آمال معها.. ستكون علاقة مريض مع ممرضته لا غير..فتاة لقيطة ستنتقل من حياة الميتم إلى منزل سيّدها لتخدمه..إلى أن يأتي اليوم الذي تغادر فيه كما جاءت بعد أن تتعافى تماماً..و في حال تراجعت و قرّرت الاحتفاظ بها معك فلن يدفع الثمن سواها..سواها فقط!..و أنا أكثر من يعرف مكانتها لديك التي تتعدى أحلام صداقة بريئة..بل هي حُب عميق لم يتبدّد إلى يومنا هذا..حب عميق لكنه " عقيم " في نفس الوقت..أليس كذلك ؟!!! "

كان هذا هو كلامها الذي دسّته في عقله دساً كالسم..بعد أن أقنعتة بأساليبها التي تصنف -قدرة- على الموافقة على هذا الزواج..

و جعلت من عقله يبني فكرة أخرى بشعة جداً عن شهد اليوم..لكن شهد استطاعت أن تنتزع هذه الفكرة انتزاعاً من عقله..بل و الترسّخ في قلبه أكثر و أكثر !

جالت عيناه ببطءٍ فوق كل ركن في هذا المنزل دون أن يرى أي شيءٍ بالفعل.. إلى أن استقرت
على أناملها التي كانت ترتجف بشدة فوق حجرها..

ثم ارتفعت أكثر لتتنظر لرأسها المطرق بينما شعرها يغطي نصف وجهها عنه.. لكنه رغم ذلك
لمح استطاع أن يلمح التورد الذي كان يحتل وجنتها بشكل مُهر للعين اليوم.. وقد علم أن هذا ليس إلا
تأثير أحداث ليلة الأمس..

قبل أن ترفع رأسها لتلتقي عينها مباشرة بأمه.. والتفت هو الآخر لينظر لعيني أمه بتعبيرها
الجامد رغم ذلك الشحوب و الضعف الذي لاحظته لأول مرة يحتل ملامحها بهذا الشكل..
لكن عقله استنكر فكرة أن يسألها عن حالها.. أو عن سجي التي اعتاد حضورها معها.. فقد
كانت حالته في هذه اللحظة أسوء من أن يفكر في أي أحدٍ غير نفسه و هذه التي تجلس على بعد
مسافة قصيرة منه..

إلى أن تهتد بقوة كمن وجد طريقه أخيرًا.. ليقول ناظرًا في عيني أمه بثباتٍ ؛
_أنا.... وشهد.....

لكن صوته انخرس فجأة.. واتسعت عيناه صدمة ما إن تفاجأ بشهد تمسك بالقلم بين يدها
بأنامل ترتجف لتوقع ذلك العقد بتماسكٍ منافٍ تمامًا لسيل دموعها..
كانت لحظة بطيئة جدًا و سريعة في نفس الوقت.. فقد سجلها قلبه كاملة.. استطاع أن يهمس
فيها كلمة واحدة فقط.. بصوتٍ لاهثٍ شاحب مصدوم ؛
_شهد ؟!!!!

و لم يكذب يَتَمَّها حتى كانت قد وقعت بالفعل.. وتركت القلم يسقط باستسلام فوق الطاولة و
كأنما ألقت بكل أسلحتها جانبًا و استسلمت.. استسلمت كعادتها !!!!!
_دورك !

سمع صوت أمه يأتيه في نفسٍ درجة البرود رغم الرعشة الغريبة التي تحتله اليوم.. وكأنما
العالم كله تأمر عليه فحتى شهد وجدها تلتفت عنه لتتنظر جانبًا و كأنها لم تعرفه يومًا..
و كأن تلك التي كانت معه ليلة الأمس.. التي ذابت بين ذراعيه كشمعة بيضاء صغيرة هي
أخرى.. و قد كانت واحدة أخرى بالفعل.. فتلك كانت شهبه.. حبيبته.. زوجته...
أما هذه التي يراها الآن ليست..... زوجته.. لم تعد زوجته بعد !!!!
زَمَّ شفتيه بقوة كمن يكتنم رغبته في تحطيم أي شيء حوله.. و أظلمت عيناه بشدة بعد حركتها
هذه.. وزادت كلمات أمه من حدة مشاعره بعد أن اختلطت في عقله بكل أحداث حياته..

لِقائهما الأول..لِقائهما الأخير..و ما بينهما من لحظاتٍ عاشها برفقتها و شكلت جميعها..حياة
كاملة عاش على أساسها طوال سنواته المهدورة الماضية...

و فجأة..وجد يده تتحرك تلقائياً يقوده انفعاله لتمسكً بالقلم و توقع ذلك العقد في لحظة
خاطفة..ألقى بعدها بالقلم بعنفٍ إلى أبعد مكانٍ..

رفع يديه الاثنتين بعدها يتخلل بهما خصلات شعره الكثيفة بعنفٍ أمام أنظار أمه التي وقفت
بحزم بعد أن أغلقت الملف و حملته بكل بساطة..

لتقول بعدها موجهة كلامها لشهد باقتضابٍ و هي تلقي بشيءٍ ما فوق الطاولة أمامها..و الذي
لم يكن سوى مفاتيح منزل الأحلام كما وعدتها ؛

_لا أظن أنك قد تكونين من السفالة بحيث تبقين و لو لعشر دقائق في منزل مغلقٍ مع
-طليقك- !

ألقت بكلامها السام لتلتفت بعدها بكل هدوءٍ و تتجه إلى الباب..لا يسمع في المنزل سوى
صوت كعب حذاءها الذي أخذ يتلاشى و يتلاشى إلى أن اختفى تمامًا..
استمر الهدوء بعدها للحظاتٍ فقط..لحظات كانت أعينها تنظر للأرض..يتشاركان الدموع في
صمتٍ..

قبل أن يرتفع رأسه في حركة مندفعة جداً و ترتفع يداه و قدماه تلکمان و تركلان كل شيءٍ
حوله..من الوسائد التي ألقى بها إلى أبعد مكان و تلك الطاولة التي ركلها بعنفٍ متحاملاً على ضعف
قدميه..متغاضياً عن كل ما قد يلم به من ألم جسدي أمام الألم ال-قلي- الذي يعتصره بقوة..
بينما انتفضت شهد جزعاً و هي تهب و اقفة من مكانها..هتف بها بجنون بينما عروق رقبته
تكاد أن تتمزق لشدة انفعاله ؛

_لماذا؟؟ لماذا؟؟!!!!؟ تَبَا لَكَ لماذا؟؟!!!!؟

بكت شهد بألم و هي تراه يطرق برأسه باستسلام هامساً بأنفاسٍ لاهثة بعد أن أنهكه الإجهاد ؛
_أنا كنت سأفعل شيئاً..كنت سأقنعها بطريقة ما..هل ظننت بالفعل أنني قد أتخلى عنك بعد
ما حدث بيننا ليلة أمس؟؟!!! هل كنت سأتركك بعد أن تيقنتُ من مشاعركِ نحوي؟؟!!! هل كنت
سأترككِ؟؟!!!!

هتف سؤاله الأخير بصوتٍ شديد الانفعال و هو يرفع رأسه نحوها لينظر في عينيها بعينيهِ
الدامعتين بشدة..و استمر يتطلع بها بألم اخترق عينيها و روحها..

لكن شهد اختارت الهروب كسابق عهدها..فالتفتت عنه باستسلام لتتجه لغرفتها تسحب
أذيال ضعفها و ألمها معها..فأطبق أجفانه المُحتقنة على دموعه بقوة عنيفة..
قبل أن يأتيه صوت خطواتها بعد دقائقٍ طالت علم أنها مثله أمضتها في البكاء..و كما توقع فما
إن فتح عينيه بترددٍ..بخوفٍ..لمح تلك الحقيبة التي احتوت ملابسها و التي كانت تسحبها معها بتخاذل..
بينما هي انحنت ببطءٍ لتمسك بذلك المفتاح الذي استقر فوق الأرض من بين هذه الفوضى
التي أثارها و تقف مجدداً مطرقة برأسها..
لكنها لم تستطع أبداً أن تتم طريقها نحو الباب..بل وجدت أقدامها تلتصق في الأرض فجأة و
شيءٌ وهمي يدفعها نحو الوراء..

نحو غرفته...نحوه هو بالضبط !!!
و مثلها لم يستطع أن يستكين صامداً مكانه..و لأول مرة تراه يبكي فعلياً..ليست دمعة أو
اثنتين هو كان يبكي بالفعل كطفل صغير يودّع أمه بقلب يئن..
قبل أن يستند إلى العكاز إلى أن وقف بصعوبة ناظراً في عينيها من على بعد أمتار تفصل بينهما
بعينين تحملان من العتاب أطناناً..و من الحزن أضعافه..
و من الحسرة ما جعلها تترك الحقيبة فجأة لتقترب منه بخطواتٍ شبه راکضة إلى أن أخفت
وجهاها الباكي في صدره و حاوطت جذعه بذراعيها بقوة في عناق كان بمثابة الوداع بالفعل..
و لم يستطع هادي أن يبعدها..بل وجد نفسه يضمها أكثر إليه..بقوة جبارة كادت أن تسحق
عظامها الهشة..دسّ أنفه بين خصلات شعرها التي تبللت معظمها بدموعه..ثم همس بعد لحظاتٍ في
أذنها بصوتٍ مختنق مكتوم ؛
_اعطني.....بنفسكِ !

زم شفّتيه بعدها قهراً و هو يشدّد من احتضانها إليه بذراعه الوحيد الخُر..يشعر بذراعيها
تشدّدان من تمسكهما به في المقابل..تضمه بقوة لم يعهدها تملكها قبلاً..
و طال هذا العناق لدقائقٍ لم يهتم أحدهما بحساب عددها..إلى أن شعر بضغط ذراعيها
يخفُ تدريجياً حوله..و خفقات قلبه تتباطئُ بشكلٍ مؤلم معها..
و صوتها الباكي المتقطع يهمس في أذنه بحرارة بما انتظر سماعه طويلاً..طويلاً ؛
" أحبك !!!..أقسم بالله.....أحبّكِ ! "

كانت قد تركته بعدها بالفعل لتراجع خطوة مترنحة نحو الوراء..بينما اتسعت عينا هادي
بشدة و فغر شفّتيه مشدوهاً..و امتدت يده في حركة ثقيلة جداً نحوها..

لكنها لم تتمسك بها هذه المرة..بل مسحت دموعها بقوة لتمسك بعدها بحقيبتها و تسحبها معها نحو الباب دون أن ترمقه بنظرة أخرى..

و رحلت..رحلت و كأنها لم تكن..هو شعر بالفعل أنها لم تكن هنا..و كأنما كل شيء كان محض حلم..أسوء حلم..و أجمل حلم !

كانت ردة فعله مُماثلة لردة فعلها تمامًا..فما إن اخترق صوت إنغلاق الباب أذنيه حتى وجد نفسه يتسمر لثوانٍ قليلة فقط ناظرًا أمامه بعينين فارغتين..

قبل أن تنغلق يده التي كانت لا تزال متعلقة بالهواء وحدها تدل على أنها كانت هنا بالفعل حول نفسها و يتراجع خطوتين مهزوزتين إلى الوراء إلى أن سقط جالسًا على طرف الأريكة..

و من الفراغ وجد عينيه تتبللان بدموع أخرى ساخنة ألهمت قلبه قبل وجنتيه..و سرعان ما استحال الدموع الهادئة إلى نوبة بكاء عنيفة لم يجرب مثلها في حياته..

أما هي..فلم تكن حالتها بأفضل منه..فقد فتحت الباب الخلفي للسيارة التي تركتها لها عفاف بأنامل متوترة مرتعشة لتصعد بصمتٍ لم تبدده دموعها..

جلست هناك متكأة إلى النافذة المغلقة..تناظر السراب بقلب مُمزق..تستعيد نظرتة الأخيرة و عناقهما الأخير بروح جائعة إليه..بجوارح تنزف رغبة في العودة إلى أحضانه..مشاعر مجنونة رافقتها طوال الطريق الذي لم تشعر به في خضم معاناتها الداخلية..

إلى أن توقفت السيارة أخيرًا أمام ذلك المنزل الذي أصبح لها..

فتحت الباب كشخصٍ يود الهروب..و قد كان هذا ما تنتويه بالفعل..قبل أن تمسك بحقيبتها التي كان قد أخرجها لها السائق من صندوق السيارة..

و تتجه إلى المنزل دون أن تنظر له أو تلقي و لا نصف كلمة عليه..لكنها سمعت صوته ينادي برسمية من وراءها ؛

_لحظة يا آنسة !

أخذت نفسًا عميقًا لم يبدد من حدة شعورها شيئًا..قبل أن تلتفت إليه ناظرة له بصمتٍ..

ففتح الباب الأمامي للسيارة لينحني إلى الداخل و يخرج شيئًا ما..و الذي لم يكن سوى ملفًا يضم مجموعة من الأوراق أعطائها لها و هو يقول ؛

_هذا هو عقد المنزل..و نصيبك الذي حددته لك السيدة من المال موجود هنا أيضًا !

" لا تأخذي شيئًا من أُمي يا شهد ، أنا سأؤمن لك كل ما تحتاجين ! "

مرت هذه الجملة في ذهنها بشكل غير عابر لتجعل من من ملامحها تشحب تمامًا..و تلك
الدموع التي حاربت سقوطها طوال الطريق تكاد أن تخونها و تنساب مجددًا..
تحركت يدها بتوتر لتتناول ذلك الملف منه بسرعة..ثم فتحته أمام عينيها ناظرة إلى ذلك "
الشيك " الذي كان فوق أوراق العقد..و الذي كان موقعًا بمبلغ ضخّم جدًّا لم تهتم لحساب عدده..
هي فقط...حملته بهدوء قبل أن تمُدّه إلى الرجل ذو الملامح الطيبة مردفة بصوتٍ مُشتد
مبحوح ؛

_ أخبرها أنني...لا أريد أيّ مال..المنزل.....كافٍ !
أخذ منها السائق الشيك بتفهم..فالتفتت لتتجه إلى ذلك المنفى الذي ستعيش فيه مُتمسكة
بالملف..تجر حقيبتها و أذيال حزنها معها..
إلى أن فتحته بأصابع خرقاء و دلفت مغلفة إياه خلفها بعنفٍ..و حينها فقط..كانت تطلق
العنان لعبراتها..بعد أن سقطت فوق الأرض الباردة..تضم نفسها بنفسها لتللم شتاتها و انكسارها
وحيدة..وحيدة تمامًا..
بينما عقلها لا يصور لها سوى صُورته..بابتساماته و كلماته...و دفء ذراعيه الحائيتين الذي
فقدته اليوم !

"24 :انتكاسة"

#لؤي

حينما أقررتُ بأن الطريق لا يزال صعبًا جدًا..رسمت حدودًا معينة له..

و لم أتوقع أبدًا أن يكون شاقًا لهذا الحد !!

ألم ، إرهاق ، حيرة ، خوف ، يأس ، ضعف ، تعب نفسي و جسدي !!

ما بين كل هذه المشاعر كنت أتدحرج أنا كلما قابلت عينيها..أو صدر منها أو مني أيّ تصرف يعيدنا إلى نفس النقطة البائسة..شيئًا فشيئًا وجدتي أفقد لؤي القديم..المرح..البشوش..المتفائل..
لأغدو شخصًا رسمت خطوط الألم مكانها فوق ملامحه..لتقتل بذلك كل أمل ولید لديه و تجلب بدلًا عنه الكثير و الكثير من الحزن و مشاعر اليأس التي استنكرتها في كل مرة..خاصة و ذلك السؤال يؤرق مضجعي..

إذا كانت هذه هي حالتي أنا فماذا عنها هي ؟!!!

ماذا لو كان هدوءها -الغريب- هذا مجرد قناع متقن الصنع تخفي به نوايا مختلفة ؟!!! هذه الفكرة كانت تزيد من تخوفاتي و رُعيي عليها..

لدرجة أنني أصبحت لا أنفك أراقبها عن بعد طيلة النهار دون أن أسمح لها برؤيتي في كثير من الأحيان..ثم ما إن ترانيأرسم ابتسامة عريضة أتدبرها بصعوبة فوق شففتي و أقترب منها..
حتى النوم لم يعد يريحني..أخاف أن أنام ببديهة لأستيقظ على صدمة تجعلني أندم ما تبقى من حياتي لأنني أغفلتها..خاصة بعد كلام الدكتورة ذلك اليوم و الذي زاد من توتر مشاعري..
المُسكنات أيضًا لم أجد أيّ طريقة لأصارحها بضرورة تناولها..ألم أخبركم أنني أصبحت مرتعبًا من فكرة فقدانها بأيّ طريقة ؟!!!!

لهذا قرّرتُ بعد استشارة الطبيبة أن أضعها لها في أيّ مشروب و أجعلها تشربه كل ليلة حتى ولو بالإجبار..

في المرة الأولى كنت مترددًا من فكرة أنها قد تكشفني..لكن العكس تمامًا حدث..فقد وجدتُها تستجيب لرجائي باستسلام غريب..

و كانت تلك أول ليلة تنام فيها بسلام بعد الحادث..ذلك الاسترخاء الذي استوطن ملامحها
تلك الليلة أثناء نومها بعث شعورًا رائعًا بالرضا إلى قلبي..لكنني لم أستطع رغم ذلك أن أتركها للحظة
واحدة..

ككل ليلة جلست في كرسي الصقته مع سريرها أحرق بها في صمت لساعات و ساعات طردت
فيها النوم من جفناي بكل طريقة مُمكنة..

إلى أن هزمني سلطانه في مكاني..لأستيقظ بعد ساعة تقريبًا بمزاج سيء و أخرج بهدوء شديد
كما العادة بعد أن طبعت قبلة عميقة فوق جبينها..وهكذا كان حالي طيلة الفترة التي مضت..حتى
هذا اليوم !!!

دفعْتُ الباب برفق بعد أن طرقت عدة طرقات خافتة لأتجول بعيناي حول كل الغرفة
الفارغة..دلفت خطوة أخرى لأغلق الباب خلفي مناديًا اسمها بهدوء شديد حتى لا أفزعها لو كانت في
الحمام..

لكنني لم أسمع أي ردٍّ منها..فتقدمتُ أكثر إلى أن توقفت بجانب الباب أطرقه بذات الهدوء
مناديًا ؛

_سجى ؟!!! هل أنت هنا ؟!!!! سجى !!!!

لكن الصمت فقط ما قابلني من الداخل..فابتلعت ريقِي باختناق و ذلك الخوف يعود
ليتملكني بضراوة غريبة..ثم أمسكت بالمقبض بأناملي المرتجفة المترددة..
انتظرت لثانية واحدة أخرى قبل أن أغمض عيني و أدفع الباب الذي كان قفله مفتوحًا من
الداخل عكس العادة..لكنني لم أجد لها أثرًا..

كان المكان كله هادئًا بشكل مريب..شعرتُ بأنني وحدي في البيت بأكمله..و هذه الفكرة
لوحدها جعلتني ألتفت بسرعة لأتجه للباب بعد أن هتفت اسمها بخوفٍ غير طبيعي بيني و بين
نفسي..

بحثتُ في كل أنحاء المنزل تقريبًا دون أن أجد لها أي أثر..إلى أن توقفت أمام غرفتي التي تبقت
بمفردها..ففتحت الباب و أنا أكاد أن أفقد قدرتي على الوقوف لشدة خوفي..و كما توقعت لم تكن
هناك..

و ما كدت أستدير أنوي الخروج للبحث عنها في أي مكانٍ آخر حتى عدت أتصنم بسماع صوتٍ
ضئيل قادم من الحمام..

انعقد حاجباي بشدة و اقتربت بخطواتٍ مترددةً أولاً تحولت إلى سريعة..إلى أن دفعت الباب
باندفاع متقدماً نحو الداخل كمن يهجم بالهجوم على مكان ما بدون سبق تخطيط..
و هناك وجدتُها تقف أمام المرأة تماماً..رأسها مطرق تنظر لشيء ما في يدها بفراغ..لكن
نظراتها زاغت عن ما في يدها حينما انتفضت انتفاضة ضئيلة بدخولي لتلتقي عيناها بعيناي في المرأة..
كان الخوف جلياً على ملامحي..و ربما قد لمحتُ عقدة صغيرة تتكون بين حاجبيها أثناء نظرها
لي بنظراتها المتسائلة المغلفة بهذا الشحوب الذي أصبح صديقاً لملامحها..
تجمدتُ مكاني للحظاتٍ كنت و كأنما أستوعب فيها وجودها هنا..و قد شعرت كمن تلقى قرار
العفو بعد أن تم نفي اسمه من قائمة الحياة !..

قبل أن أستعيد تركيزي فجأة..فاقتربت مندفعاً إليها لأهمس باسمها بأنفاسٍ لاهثة ؛

_سجى !!!!

لكنني لم أكد أكمله حتى كانت عيناي تتسعان حينما وقعنا على ما كان في يديها.. كانت تحمل
بين إحدى يديها علبة بيضاء صغيرة تخص المسكنات..بينما في الأخرى..كان هناك مجموعة لم أحسب
عددها من حبوبها !!

اتسعت عيناي ذعراً و أنا أرفع رأسي نحوها بسرعة..أنظر لها بعدم فهم مغلفٍ بالكثير من
الرعب الذي استفحل عيناي..في الوهلة الأولى..بدت و كأنها تبادلني نفس الصعوبة في فهم ما
يجري..قبل أن ترمق المسكنات في يدها بنظرة زائغة..
ثم عادت لتضعهما في عيناي هامسة بضعف ؛

_أنا..لقد...لقد كان لديّ صداع رأس لذا..هذه المسكنات..وجدتها و.....

كانت تسترسل في كلماتها المتلعثمة غير منتبهة للامحي التي تحولت إلى "سماء" من الانفعالات
المختلفة..و لم أشعر بنفسي إلا و أنا أجذبها إلى حضني بقوة متجاهلاً أي منطقٍ آخر يأمرني بالابتعاد
عنها..

رباه !!! يوماً ما سيقتلني خوفاً الشديد عليها !!!

شعرتُ بخفقات قلبي ترتجف حرفياً حينما تسللت شهقة مكتومة منها إلى مسامعي..كنت
أشعر أن أيّ قوة لا تكفي في هذه اللحظة..

فأطبقتُ جفناي أكثر و اشتدَّ ضغط ذراعي أكثر و أكثر حولها دون أن أشعر أيضاً..و
استمررت هكذا للحظاتٍ ألتقط فيها أنفاسي المتلاحقة بعد أن كنت قد فقدت قدرتي على التقاطها
بطبيعية..

كان صمتمها لا يزيدني سوى رغبة في ضمّها أكثر إلى صدري..و تناسيت تمامًا أن الصّمت أحيانًا
قد يكون مكلفًا أكثر من الصراخ نفسه..

إلى أن فتحتُ عيناى فجأة حينما شعرت بقطراتٍ ندية تبلل قميصي..بينما يداها المرتجفتان
تستقران فوق صدري في حركة فهمت أن المغزى منها دفعي لا أكثر !!!
هل تحاول أن تدفعني حقًا ؟!!! بل هل أنا.....

ابتعدتُ بسرعة كمن تم دفعه بالفعل رغم أنها لم تدفعني حرفيًا لأنظر لوجهها..و حينها
اتسعت عيناى بقوة و أنا أرى تلك الدموع التي كانت تنساب بالتتابع من تحت جفניה اللذين أطبقتهما
بعنفٍ عني..

في نفس الوقت الذي تنفتح فيه يدها التي كانت تمسكُ بالأقراص إلى أن تركتها تسقط فوق
الأرض في حركة علمت أنها غير مقصودة أو محسوبة منها..

كنتُ أنظر لها بجزع كبير..بينما هي ظلت مُطبقة عينها عني للحظاتٍ طالت..إلى أن فتحتهما
أخيرًا لتمنحني نظرات زائغة فاقدة للتركيز..و هناك..بداخلهما..قرأت سطورًا من حربٍ تخوضها مع
نفسها حول سببٍ مجهول..

كان صوت أنفاسها يخرج على شكل نسيج ضعيف..بينما ملامحها تهرب إلى نقطة مخيفة.....
مهلاً..هل نظرت لي باشمئزاز ؟!!!!!!!!!!!!

جائني الجواب أقدس ممّا تخيلت و أنا أراها تلتفت عني في لحظة سريعة لتنحني على المغسلة
هناك مستفرغة كل ما كان بداخل معدتها الفارغة أساسًا..فأنا بالإجبار أقنعها على تناول بضع
لقيمات في كل وجبة حتى تستطيع الوقوف على قدميها..

شعرتُ بالألم يعتصر قلبي بعنفٍ و أنا أراها تقبض بيديها الاثنتين المُرتجفتين بشدة على
طرف المغسلة..قبل أن تنحني بقوى خائفة إلى أن جلست فوق الأرض لا تزال تحاول ضبط أنفاسها
عبيثًا..

كرهتُ نفسي في هذه اللحظة جدًّا..لدرجة أنني ما إن لمحت انعكاس صورتى في المرأة المقابلة لم
أر بداخل عيناى سوى نسخة أخرى عن شهاب..

و تمنيتُ بالفعل لو أكسرها..لو تنتهي هذه اللحظة بلمح البصر..لكنني اكتفيت بأن
أغمضتهما بقوة مشيحًا بهما عن صورتى البائسة..

أطرفتُ برأسي أنظر لها بأسى من بين دموعي التي لا أعلم متى انسابت بطيئة حارقة..ثم
انخفضت ببطءٍ إلى أن جلست بجانبها فوق الأرض الباردة..

و امتدت يدي تكاد تلمس ظهرها لتخفف من صعوبة ما تعانيه..لكنها توقفت في الهواء قبل أن تلامسها تمامًا خوفًا من انتكاسة أخرى أكون سببها أنا..

عدتُ أبتلع ريتي بتوتر..ثم همست بعد تردد بصوتٍ خافتٍ جدًا..يحمل نبرة اعتذار حزينة ؛
_سجى !!!

رفعت رأسها نحوي ببطءٍ لتتنظر لي بعينيها اللتين لمحت بأعماقهما خوفًا مفاجئًا.. فعدت
أهمس بتهديج محاولًا كنم دموعي بالقوة ؛
_أنا آسف..لم أقصد.....إفزاعك !!

رفعتُ يدي ببطءٍ أمام عينيها التي راقبتها على طول الطريق إلى أن أمسكت بمعصمها
النحيل برفق..يشبه جسدها الذي فقد الكثير من طاقته..
لقد تغيرت غاليتي كثيرًا..لم يعد بريق الثقة و البسمة تعريف لعينيها..الآن كلما نظرت في
جوفهما..لا ألمح سوى طيفًا حزينًا لفتاة هزيلة ترسم الهالات السوداء خطوطًا معبرة تحتها..
همستُ بخفوتٍ محاولًا أن تكون نبرتي هادئة رفيقة لأقصى حد ؛
_دعيني أساعدك !!

و كأنما منحني عيناها اللتان استقرت على يدي بعد أن انقشعت غمامة الخوف منها قليلًا
فحسب الموافقة التامة..فامتدت يدي الأخرى لتحاط كتفها بذات الحذر إلى أن ساعدتها لتقف
بصعوبة..

ثم فتحتُ الصنبور لأشعر في غسل وجهها عدة مراتٍ بدون أن ألقى ردة فعل حقيقية منها..
باستثناء جفونها التي كانت قد شارفت على الانغلاق تعبًا..فهمست أتوسلها بحنان ؛

_سجى..سجى ؟!! أنتِ لا تستطيعين الوقوف..اسمحي لي بأن أحملك !!!
لم أكد أتم آخر كلمة حتى وجدتها تفتح عينيها بقوة..ثم هزت رأسها بالنفي لعدة مراتٍ
متحاملة على كل الضعف الذي يفترس كل إنشٍ في ملامحها..
فلم أملك من أمري سوى أن أهز رأسي في حركة شبه مرئية..فحملها يعني الاقتراب منها
مجددًا..

و الاقتراب بدون سببٍ إجباري بات محظورًا بيننا منذ هذه اللحظة !!!
حاولتُ بشدة أن أحترم رغبتها..فشددت من ضغط ذراعي برفق حولها لأساعدها في
المشي..لكنها لم تستطع الصمود لخطوة أخرى بعد..

و كأنما كل قواها خارت بعد حركتي الغبية تلك..فعادت عيناها لتسدلان بضعفٍ..و سقط
رأسها كغصن مكسور فوق صدري..بينما قدماها اللتان همّت بالوقوف عليهما خانتاهما و كادت أن
تسقط لولا أن انخفضتُ بسرعة البرق لأدسّ ذراعي تحت ركبتيها و أحملها..
اقتربتُ من السرير بسرعة لأمدّدها فوقه برفق..ثم جلست بجانبها أربت على كتفيها و جانب
وجهها..أحاول بكل الطرق جعلها تستيقظ..إلى أن فتحت عينيها ببطءٍ بعد عدة محاولاتٍ لتستقر في
عيناها تمامًا..

و ساد صمت قصير بيننا لم أعرف فيه ماذا أقول..لكنها لم تكن تنتظر مني أن أقول أيّ شيءٍ
ربما..فقد سمعتها تهمس لي من بين أنفاسها المُختنقة شيئًا ضربي من الأعماق ؛
_...آسفة !!!

آسفة ؟! هل اعتذرت لي للتو حقًا !!!

لم أشعر بنفسِي حينما اقتربت منها بعفوية لأهمس شاعرًا بقلبي يئن و يتمزق بألمها ؛
_على ماذا ؟!!!!

أغمضت عينيها بإرهاق هامة بنبرة التقطتها أذناي بمشقة ؛

_على...كل شيء !!

شعرتُ بكل دماء جسدي ترتفع إلى رأسي..أو بأني تلقيت لكمة قوية أردت كل حواسي..خاصّة
و أنا ألمح بين طيات كلامها اعتذارًا حقيقيًا..ليس على ما حدث اليوم..بل هي كانت تقصد كل شيءٍ
بالفعل..

إنها تظن بأن ما أفعله لأجلها بدافع الشفقة لا غير..تظن أنها مجرد عبءٍ ألقى فوق كاهلي
بدون أن أحسب حسابه ..!!!

لقد قرأتُ كل هذه المشاعر قبلاً في عينيها و حاولت طردها مرارًا من عقلي..لكنها لا تنفك تؤكّد
لي صدقها بنظراتها الساهمة عني..و اهتزاز رموشها شفقة على نفسها في كل مرة أهرع لمساعدتها في أيّ
شيء كان قبل حتى أن تطلب مني..

زفرتُ بقوة لعلي بذلك أتمالك أمر هذه الدموع التي التصقت بجفناي و همست بحرارة ؛

_بل أنا الآسف..أنا الآسف على كل شيء !!

فتحت عينيها مجددًا بصُعوبة..فأكملت بذاتِ نبرتي ؛

_لقد انتابني الخوف حينما لم أجذك في غرفتك..ثم بحثت في كل المنزل و لم أجد لكِ أيّ

أثرٍ..لذا ما إن رأيتكِ.....

صمتُ شاعرًا بالغصة تحرق أحشائي..مكتفياً بدلاً عن الكلام بنظرة الرجاء في عيني..قبل أن
أمد يدي و كأنني سأمسكُ بيدها..لكن ذلك التردّد الذي انتابني جعلها تتوقف على بعد إنش من يدها
بأمر من عقلي..

ثم قلتُ برجاءٍ معذب ؛

_لا تكرّري هذا التصرف مجدداً..رجاء !!

لم تبدو سجي مهتمة برجائي حتى..فقد زاغت بأنظارها عني..و انعقد حاجباي قليلاً بعدم فهم

و أنا أرى عينيها تستقران فوق يدي..بينما.....

مهلاً...هل هذه ابتسامة ؟!!!!!!

نعم نعم...إنها تشبه الابتسامة..حتى لو كان نصفها فقط فأنا راضٍ تماماً !!!

فغرتُ شفّتي غباءً و أنا ألمح ذلك الارتفاع الضئيل بجانب شفّتها..يناقض تماماً الحزن في

عينيها أثناء همسها بخفوتٍ ؛

_هل غيرت رأيك ؟!!!!

انعقد حاجباي أكثر بعدم فهم..فأكملت تهمس بذاتِ نبرتها ؛

_ألن تمسكُ يدي بعد ؟!!!

طرفت بعيني للخطّاتِ حاولت فيها أن أستوعب ما قالت..قبل أن أحركَ يدي بسرعة لأقربها

من يدها إلى أن أمسكتُ بها بشدة..

و تخللت أناملها الرقيقة بأناملي و أنا أقول بانفعال عاطفي ؛

_لن أتركها ما حييت !!

ثم صمتُ للحظة و أضفت ؛

_هل أصبحتِ أفضل الآن ؟!!!! هل أحضر لكِ مسكناً للصداع ؟!!!!

شعرتُ بالراحة أكثر حينما هزت رأسها بالنفي رغم ما أيقظته صورة المُسكنات في يدها من

مشاعر سيئة في قلبي..قبل أن أتهد بقوة لأضيف بحنانٍ ؛

_حسنًا إذاً..أنتِ ارتاحي هنا قليلاً و أنا سأذهب لأجهز طعام الإفطار..

أنهيتُ كلامي و التفتُ أهمّ بالوقوف..لكنني تراجعت حينما سمعت همسة غريبة من خلفي ؛

_سأساعدك !

رفعتُ حاجباي ذهولاً و التفتُ نحوها ببطءٍ أنظر لها بعدم فهم..فقالت تكرّر و هي تنظر في

عيني الآن ؛

_أريد...أن...أساعدك !

رسمتُ ابتسامة صغيرة فوق شفتي و أنا أقترِب منها قليلاً سائلاً بلهفة حقيقية ؛

_هل هذه رغبتك حقاً ؟!!!

كان الأجدر بي أن أمنعها من النهوض و هي في هذا الوضع..لكنني لم أستطع.. اقترحها على بساطته كان له تأثير قوي بداخلي..جعل من كل ذلك اليأس الذي أخبرتكم عنه ينقشع تمامًا و كأنه لم يكن..

ليحلّ محله سعادة طفيفة بهذا التقدم الطفيف أيضاً..فهذا لم يكن مجرد طلب..بل محاولة أخرى منها للتشبث في تلايب الحياة القاسية !!!

اقتربتُ منها قليلاً أهم بمساعدتها للوقوف..لكنني تفاجئت بيدها التي ارتفعت تمنعني..قبل أن تتحامل على نفسها إلى أن جلست و أنزلت أقدامها فوق الأرض..
تسمرتُ مكاني أمنحها الوقت الكافي لتقرر بنفسها الوقوف..إلى أن وقفت بالفعل..و حينها فقط اقتربت منها لأتمسكَ بيدها برفق..

ثم همستُ أنظر في عينيها بصوتٍ حاولت أن أضفي إليه بعض المرح ؛

_دعينا نجهز طعام الإفطار معاً إذا...كأجمل -زوجين-!!!.

#سجى

لم أكن أنوي "الانتحار" على أية حال !!!

أنا فقط خرجتُ من غرفتي باحثة عن أيّ مسكن لذلك الصداع الذي كان يفتكُ برأسي..لكن مجموعة الأدوية و الأقراص التي رأيته في حمام غرفته هالتي رغم أنني لم أجد أيّ محفز يدفعني للتجسس عليه و قراءة أغلفتها..

لكن إن لم يكن ما أفكر به خاطئاً فتلك الادوية ربما...كلها لي !!!

السؤال ها هنا..لماذا لا يقدم لي الأقراص مباشرة لأتناولها ؟ أنا لم أكن لأمانع على أية حال !!
طيلة الفترة التي مضت أنا كنتُ قد فقدت قدرتي على عدِّ الأيام..أصبحت أعيش في دوامة شاهقة من أفكار عشوائية تتلقف عقلي بهيمنة..منها تلك الفكرة التي طرأت بعقل لؤي عقب رؤيته للأقراص في يدي !!

لكنني للأسف لم أكن بالقوة الكافية لأفعلها..أو لنقل...لست ضعيفة لهذا الحد !!! ربما !!

و أهمّ فكرة سردها عقلي على شكل سؤال عقيم الجواب..

" هل أنا أستحقه ؟!!!! "

كرّره عقلي في كل مرة رأيته أمامي..و كنتُ أتجاهله في كل مرة..لكنه عاد اليوم يلح في

عقلي..يكرّر نفسه بشكلٍ أقوى !!

" هل أنا أستحقه فعلاً ؟!!!! "

لا..لا أستحقه..الحقيقة أنني لا أستحق أيّ أحدٍ..و لا هو يستحق أن يرتبط اسمه

بفتاة...-مُغتصبة- !!!

الكلمة نفسها كانت تخلق في نفسي رغبة في الموت..في العزلة..في الابتعاد عنه قدر المستطاع

حتى لا أصادف في عينيه نظرة شفقة...

أو ندم..أو حسرة..أو حتى اشمئزاز !!!!

كنت قد تعودتُ الجلوس لوقتٍ طويل في أحد الكراسي من التي تحتل الحديقة..أحرق أمامي

بكل تلك المناظر التي وصف لي لؤي جماليتها..

لكنني لا أزال حتى الآن أبحث عن موضع الجمال فيها..

و على بعد خطواتٍ عديدة من خلفي كنت كثيرًا ما ألمح بطرف عيناى يقف هناك بصمتٍ

يراقبني..و أنا أيضًا غالبًا ما اخترت الصمت و تظاهرت بعدم رؤيته..

إلا في مراتٍ قليلة..تلك المرات التي أشعر فيها بأنني غير قادرة على الصمود بعد دون النظر

له..فأستدير نحوه لأقابل ابتسامته العريضة التي لا تفارق وجهه..ربما تفارقه.. حينما ألتفت عنه !

و في أحيان أخرى...كان هو من يقترب مني ليجلس بجاني في هدوء تام نعتكفه كالنا لساعاتٍ

طويلة..فقط نجلس هناك فوق نفس المصطبة نراقب اللا شيء..و المسافة الوحيدة التي تفصل بيننا

هي بضعة سنتيمترات..

إلى أن يحل الليل..لينتهي اليوم بهمسته الدافئة التي انصبت لها دائمًا..

" لندخل ! "

لكن يوم الأمس كان مختلفًا..فهو لم يختار الصمت كما العادة..و لم يجلس بجاني فور

اقتراابه..بل شعرت به يتوقف ورائي تمامًا..و بوشاح أسود دافٍ جدًا يلتفّ حول كتفائي..و راحتا

يديه ترتبان عليهما برقة لم أشهد مثلها في حياتي..

حينها تجمدتُ مكاني تمامًا أنظر في كل اتجاه بتوتر..أو خوف..لا أعلم تحديدًا.. لكنني التزمت

الصمت فقط عمدًا..كما قاومت رغبة داخلية في دفع يديه بالقوة..

و انصعْتُ لرغبتى الأخرى التى تلح بى أن لا أدفعه..تذكرنى باستماتة أن هذا الذى يقف خلفى هو "لؤى"...فكيف أدفعه ؟!

و أن هاتين اليدين الرفيقتين لن تتحولاً بعد ثانية واحدة إلى عصارتين حديديتين تطبقان على قلبى قبل أنفاسى..و أن من تسبب لى بالأذى ذات يوم بات اليوم بعيداً..بعيداً جداً عني.. و رغم كل هذه الأفكار التشجيعية التى حاولت تلقينها لعقلي فى أولى دروسه نحو النجاح فى رحلة التجاوز و النسيان..وجدته يتخذ منى آخر مُخالف..

يحثنى بقوة مخيفة على أن ألتفت..على أن أخاف..على أن أتملص من هاتين اليدين و صاحبهما و.....فراغ !!

فراغ قاتم استفحلنى ما إن فقدت هذه اللمسات الحانية التى كنت أهم بالتملص منها.. و كأنه حقاً كان يقرأ أفكارى فقرّر أن يريحنى منها بنفسه..فدار حول الكرسي و جلس بجانبى.. حينها فقط كانت أنفاسى تعود إلى طبيعتها و أنا ألتفت لأنظر له.. راقبتُ بعدها بأعصاب مشدودة قليلاً حركة يديه اللتين أمسكتا بطرفى الوشاح لتلفانه حولي أكثر بحرصٍ بالغ..و اهتمام بالغ..ذلك الإهتمام الذى بدأت أعتاده بحق.. قبل أن يبعد يديه و يتهد بعدها مُطولاً قائلاً ؛

_هادي و شهد انفصلا !

هادي و شهد ؟!!!! لوهلة شعرتُ أني أجهل صاحبي هذين الاسمين !!! لكن صدمتي بما قاله كانت أقوى من أن أغرق فى مقارنات أخرى و أخرى بين سحى التى يعرفانها..و هذه التى لم أعد أعرفها أنا بنفسى !! نظرتُ له بصدمة..فأوماً لى بحزن و هو يقول متهدداً مجدداً ؛ _لقد أخبرتني أُمى عبر الهاتف حينما اتصلت لتسأل...عنك !

تسأل عني ؟!! بعد ماذا ؟!!!!!!

لم أستطع أن أنظر له أكثر..أو أن أجد أيّ شيء أقوله حيال الأمر..فأطرقت برأسي بصمتٍ..و نظرت جانباً أخفى شحوب وجهي عنه..

لكننى سمعتُ صوته بعد لحظاتٍ يهمس بتردد ؛

_سحى ؟!!!!

_نعم ؟!!!!

همستُ بدون أن أرفع رأسي..و قد شعرت بكل هموم العالم تثقل كاهلي..فسمعت صوته
يأتيني بنفسِ درجة التردّد ؛

_كنت...أفكر..لماذا لا نذهب سوياً و نزور هادي ؟!!!

حسنًا..في الحالة الطبيعية كان يجب أن أرفع رأسي نحوه بسرعة و أوليه كل الانتباه الآن..لكن
فكرة مزعجة جدًّا..مقلقة نوعًا ما طرأت في عقلي جعلتني أكتّم كل ردود فعلي إلّا الباطنية منها..و تلك
الارتعاشة التي غزت رموشي و أناملي التي شابكت بينها..

و فتحتُ فهي أسأله بصوتٍ مختنقٍ بدون أن أرفع رأسي ؛

_هادي ؟!!! هل...يعلم هادي أيّ شيء عن...زواجنا ؟!!! عن ما...حدث معي ؟!!!!

كان هذا هو السؤال الذي يحتل عقلي بالفعل..هل أصبحت مصدر شفقة الآن ؟!!! هل

ذاعت أخباري بين الناس حقًا ؟!!!

هل تداولت الجرائد ما حدث معي أم أنهم كما العادة استطاعوا التكتّم على كل شيءٍ

باحترافية ؟!!

قبل أن يأتيني جوابه مرفقًا بتهيدة أخرى أشد عمقًا ؛

_لا..إنه لا يعلم...أيّ شيء !

شعور متطفل من الارتياح استوطنني و آخر شبّيه من -الألم- مع تخيل ردة فعل هادي لو

علم..أنا أعرف هادي جيّدًا..و أعرف لؤي أيضًا..

الفرق الوحيد بينهما..أن هادي كان كاتم أسراري بالفعل و ملجأّي الأمن طويلاً.. بينما لؤي

كان مصدر استرخائي و سعادتي..

وحده كان و لا يزال يمتلكُ قدرة رهيبة على التأثير على كل أفكاري بمزاجه المرح و كلماته

الحكيمة..و ربما رصانته و تعقله من جعلاه يصمد و ينصت لعقله متخذًا قرارًا حكيماً في مثل هذا

الوضع...

لكن هادي..هادي على النقيض منه تمامًا..هادي كان سيفقد عقله..كان ليحدث الفوضى في

كل مكان لو علم...أساسًا هو يكره ش...يكرهه كثيرًا !

بل يكره أيّ صلة تجمع بينهما..و من بين هذه الصفات والده الذي نال الكثير من مقتله هو

الآخر !

قلت بعد صمتٍ قصير متحاملة على صوتي الذي يكاد أن يتداعى لشدة الإرهاق الذي أشعر

به..إرهاق ليس متعلقًا بأيّ مرض..بل روعي من كانت مرهقة !!!

_و أفضل أن لا يعلم..دعه يحتفظ في عقله بصورة سجي.....الطبيعية !!!
رغمًا عني وجدت صوتي يتلاشى تمامًا في آخر كلمة..متزامنًا مع تلك القطرات الساخنة التي
انسابت فوق وجنتاي بغير استئذان..فأدّرت وجهي عنه أنظر بعيدًا لعلّي أخفيها..
لكنني كما العادة فشلت..بل كعادته استطاع قراءة كل مشاعري و تفهمها تمامًا.. فهمس بعد
لحظة بصوتٍ خافتٍ رفيق ؛

_إنه مجرد اقتراح فحسب..إذا لم تكوني مستعدة بعد ف.....
صمت فجأة بعد أن تشبعت نبرة صوته بالمرارة..و امتد صمت جديد بيننا..قبل أن أرفع يدي
لأمسح دموعي..ثم همستُ و أنا أنظر أمامي..فأنا لم أعد أقوى بعد على تحمل مواجهة انعكاس
صورتي البائسة في عينيه !

_لستُ مستعدة..أنا لست مستعدة لأيّ شيء..أيّ شيء..وجود البشر من حولي أصبح يمثل
تهديدًا قاسيًا لي..فماذا لو كان هذا البشر هو هادي ؟!!!! هادي سيقراً كل الحقيقة في عيناى دون أن
أحتاج لأقول أيّ شيء !! و مرة أخرى سأضطر لتحمل رؤية كل انفعالاته التي ستكون أقواها " شفقة
"..و أنا لا أريد شفقة..بل لا أريد أيّ أحد بجاني و لا أن أكون بجانبه..لا أريد أيّ أحد..أيّ أحد !!!!
قلت آخر جملة بصوتٍ مختنقٍ مشدّد لشدة انفعالي..و استمرّيت أنظر جانبًا..أحاول للمرة
الألف ربما أن اخفي ضياعي و وجعي عنه..إلى أن أتاني سؤاله المفاجئ ؛
_حتى أنا ؟!!!!

كانت نبرته خافتة جدًا تمزج ما بين التساؤل و العتاب..هو كان يعاتبني بالفعل..و أنا أنبت
نفسي بشدة حينما استوعبت ما تلفظت به..و تلقائيًا وجدت نفسي ألتفت إليه بسرعة..
ثم همست بينما أنقل أنظاري بين عينيه بحرارة ؛
_إلا أنت..إلا أنت...!!!!

لم أكن أعي ما أقوله حقًا..و لم أخطئ لقول ما قلته..لكنني شعرت به تمامًا..هذا ما جعلني
أعود لأطرق برأسي بحيرة من كل شيء..إلى أن شعرت بلمسة يده الحنونة فوق ظاهر كفي و هو يهمس
بابتسامة حانية ظهر أثرها في صوته ؛

_حسنًا..دعينا لا نزور هادي..لكن لنخرج !! أنت لم تخرجي منذ فترة طويلة !!!!
أغمضت عيناى باستسلام..و قلت و أنا أضغط على شفّتي محركاً رأسي بالنفث ؛
_لا أريد..لا تجبرني...رجاء !!

" رجاء " !!!

كنتُ في كل مرة أنطق هذه الكلمة أوقن أكثر كم أنني أصبحت أضعف من أن أقول كلمة " لا " في وجه أيّ أحدٍ بثقة.. تلك الكلمة التي صرختُ بها مرارًا و تكرارًا ذات يوم غائم.. قاتم و مدجج بالألم.. و

لم تجدي نفعًا !!!!

_حسناً..كما تشائين !

سمعتُ صوته يأتي بنفسِ درجة الخفوت و الهدوء..فعدت أنظر له بترددٍ للحظاتٍ و فكرة من

ضمن الأفكار العشوائية التي تطفلت على عقلي تمر في ذهني مجددًا..

إلى أن قلت بتلعثم و أنا أنقل أنظاري بين عينيه بلا أيّ تعبير معين ؛

_طوال هذه...الفترة التي مضت كان هناك سؤال وحيد يمر في ذهني..و لم أستطع حتى الآن

سؤالك إياه !!!

الآن التفت إليّ بكليته..و اقترب مني إنشًا واحدًا فقط ناظرًا لي باهتمام كبير قال بعده دون أن

يرتفع صوته ؛

_ما هو ؟!!!!

كانت عيناه في عيناى الآن تمامًا..الشيء الذي جعلني أشيح بأنظاري عنه قليلًا أثناء قلوي

بصوتٍ خرج مرتجفًا رغماً عني ؛

_لماذا لم...تسألني عن.....أشرف ؟!!!!

#سجى

_ لماذا لم...تسألني عن.....أشرف ؟!!!!

رغم مرارة تذكره..و رغم بشاعة نطق اسمه الذي كان يوماً يحتل قائمة أقرب الأسماء لقلبي
لكنني لم أستطع أن أكتُم هذا السؤال طويلاً..رغم التردد الذي احتلني يمتزج بتخوفي من شيء لا
أعلمه..

و حينما طال الصمت لدقيقة تقريباً ظللت أنظر فيها بعيداً عنه..أنتظر جوابه الهام بالنسبة
إلي..عدت أنظر لوجهه..و تفاجئت بهدوء ملامحه التام..

لكنه كان هو من يلتفت عني هذه المرة لينظر أمامه..و قال بصوتٍ شارد عميق.. جاد تماماً ؛

_ لم أكن لأسألك عنه بعد أن منحته مهلة أطول من اللازم لتبذر منه أية ردة فعل !!

صمت للحظة..ثم أكمل بدون أن ينظر لي بنفسٍ نبرته ؛

_كنت قد تكلمت معه قبل يومٍ واحد من عودتي للمدينة..بعد أن حاولت الاتصال بك طويلاً
بدون فائدة..تفاجئت به يخبرني بأنك اختفيت فجأة..لكن المفاجأة الأكبر آنذاك كانت أنه لم يحاول
البحث عنك حتى..كان يتكلم بقلق لكنني لم أشعر بأن هذا القلق حقيقي بالفعل..شعرت به يشبه
القلق المرتبط بتخوف مستقبلي..ربما من فكرة أنه كان آخر من يراك قبل أن تختفي !!!..انتظرت
طويلاً أن يتصل مجدداً و أنا في طريقي إلى المدينة..و بعد أن علمت بما حدث توقعت أن يأتي..أن
يسأل عنك..أن يبلغ الشرطة..أن يفعل أي شيء..لكنه لم يفعل أي شيء..أي شيء !!

هو لم يفعل أي شيء بالفعل ! كم كان محقاً لؤي في حكمته !

تهدد مطولاً بعدها..قبل أن ينظر لي ليكمل مباشرة بصوتٍ عميق ؛

_ حينها تأكدت قطعاً أنه.....لا يحبك..لا يستحقك !!!

لا يحبني..لا يستحقني !!! و هل أستحقك أنا يا ترى ؟!!!!

تهيدة أخرى بذرت منه جعلتني أستعيد انتباهي قليلاً..و رأيت ملامحه و هي تتخلص من كل
التعبير السابقة لتحتلها نصف ابتسامة حزينة ارتسمت فوق شفثيه في نفس الوقت الذي امتدت
يده نحوي ببطء إلى أن لامس بها..غمازة خدي التي كادت أن تختفي تحت أنهار الحزن..

أرغمتُ نفسي بالقوة على التزام الهدوء رغم رغبتى القوية في إبعاد وجهي عن مستوى يده..و سمعته بعد لحظاتٍ يهمس مغيرًا كل منحنى الموضوع دون أن تتلاشى ابتسامته ؛

_لكن هل تعلمين ما أكثر شيءٍ اشتقت له ؟!!!

كنتُ أعرف الجواب قطعًا..لكنني التزمت الصمت رغم ذلك حينما استطرد باشتياقٍ ظهر في عينيه بالفعل ؛

_ابتسامتك..و غمازتك !!!

زاغت عيناى قليلاً عن الرؤية..و ابتلعتُ ريقى الجاف ببطءٍ..و وقفت بسرعة بعد أن شعرت بأننى لن أحتمل أكثر..إلى أن قلت بتلعثم ؛

_أنا...أنا سأدخل !!!

حاولتُ أن أبتعد لكن يده التى ارتفعت تتمسكُ بيدي فجأةً أوقفتني..فنظرت له لوهلة بعدم فهم..لكنه لم يقل شيئًا..فقد وقف هو الآخر بجانبى هامسًا بهدوءٍ ؛
_دعينا ندخل سوياً..

و لم أكن لأملكُ خيار الرفض..فاستسلمت لأسر أصابعه الدافئة فى تمسكها رغم الأسى..و رافقته إلى المنزل بهدوءٍ..إلى أن تجاوزنا الباب الزجاجى المٌطل على الحديقة..و حينها فقط تركت يده لأتجه لغرفتي فى نية الاختباء خلفها كما اعتدت..لكن ندائه الخافت باسمي أوقفني مجددًا..

نظرتُ له بصمتٍ قابله بنفس ابتسامته قائلاً برجاءٍ ؛

_ابقي معي قليلاً بعد !!

نقلتُ أنظاري بينه و بين الأريكة التى تتوسط بهواً تقليدياً أنيقاً هنا..و حاولت بشدة أن أجبر قدماي على التحرك نحوه أو نحوها لأجلس ملبية لرغبته -العزيزة- على قلبي.. لكنني لم أجدهما سوى تتمردان بقوة و تلتصقان فى الأرض قسرًا..

و عندما فتحت فى بدلاً من أن أو افق ببساطة وجدتنى أهمس بنبرة قائمة لا تعابير فيها ؛

_أنا...أشعر بالنوم..تصبح على...خير !!

ثم اتجهت لغرفتي فى محاولة لتصديق كذبتى هذه..فأنا لم أكن أشعر بالنوم أبداً..بل حدث أننى فقدتُ الشعور بكل شيءٍ للأسف !!

استلقيتُ فوق السرير باستسلامٍ..أناظر السقف الأبيض بعينين لا وميض فيهما..أناشد النوم أن يزورهما لعله فقط يبتلعني من مرارة كل ما أعايشه من أفكار و متاهات..

سمعتُ بعد لحظاتٍ صوتٍ طرقاتٍ خافتةٍ فوق الباب..ثم اندفاعه قليلاً نحو الوراء ليظهر
منه وجه لؤي في منتهى اللطافة..قبل أن يدلف و يغلقه خلفه و حينها فقط لمحت كأس العصير الذي
كان بين يده..

اقترب أكثر ليضعه فوق المنضدة الملاصقة للسرير و يجلس هو في طرفه البعيد جداً
عني..فأنا بدون قصد كنت في كل مرة أبتعد فيها نحو الوراء في حركة شبه مرئية أرسل له رسالة
فحواها " الابتعاد " ..و الابتعاد فقط !!!

حتى لو كانت مكانته تفوق كل شيءٍ عندي فأنا لا أريده قريباً..و الأمر ليس بيدي أبداً !!
بقيتُ صامتة..فامتدت يده لتحمل الكأس الذي مده نحوي مردفًا بتهيدة رائقة ؛
_و ها هو فنجانك الليلي كما العادة !!

نعم..لقد أصبح عادة لدي..بعد أن كنت في البداية بالكاد أمتنع عن شربه بضعفٍ ليقنعني
هو بكلماته الحانية إلى أن اعتدته تمامًا..

رفعتُ يدي التي كانت لا تزال حتى الآن تسكنها ارتجافة باتت بديهية لأستلم منه الكأس و أقربه
من فمي..إلى أن ارتشفته كاملاً ببطءٍ و أعدت الكأس مكانه..

نظرتُ له و هو يقف ليقترُب مني إلى أن دفعني برفقٍ ليرتاح رأسي المتعب على الوسادة..ثم و
برفق تام..بوداعة و لطف شديدين..كان يمسكُ بالغطاء ليرفعه فوق جسدي أكثر و يدثرني جيداً..
ثم همس بصوتٍ دافئٍ ؛

_و أنتِ من أهله !

علمتُ أن همسته هذه ما هي إلّا ردُّ متأخر على جملي التي قلتها قبل دقائقٍ طالت بأسلوب
شبه جارج..لوهلة شعرت بغصة أليمة تستوطن قلبي..

يؤلمني كل هذا التفاني الذي يتكبده في الإعتناء بي..همساته الرفيقة..تفهمه و حرصه و
اهتمامه اللا مشروط يجعلني أبدو قبيحة أمام نفسي كلما قابلت أمانيه بغير قصدٍ مني ب...بجفاء!
شعرتُ فجأةً بخمول شديد يتملكُ جسدي..لم أفهم له سبباً أو مبرراً حينذاك..و جفوني
تتناقل قسراً عني لتسحبني نحو دائرة النوم أو الاغماء لا أدري..بينما طيف لؤي الذي بات شبه
واضحاً يبتعد عني..

لكنني لم أرده الليلة بالذات أن يبتعد..تلك الغصة التي في قلبي أمرتني أن لا أسمح له
بالابتعاد..فارتفعت يدي المتثاقلة في حركة لم أخطط لها لتلتقف يده..بينما استقرت عيناى اللتين
كانتا شبه منسدلتين في عينيه المتسائلتين..

كان تركيزي يتلاشى أيضاً ببطءٍ..و فجأة شعرت بقدرتي على فتح عيني أكثر تختفي..و بظلام
دامس يتراءى لي..و يدي التي كانت تتمسكُ بيده بضعف تسقط بنفسِ الضعف الذي كرهته..
لكنها عادت لتستريح بين أنامله برغبة منه هو الآن..ثم لم أشعر بعدها بأي شيء سوى تلك
الأصابع الناعمة التي أخذت تربت فوق شعري في حركاتٍ رتيبة حنونة مهدت رغبتني في النوم أكثر..
بعد أن أخبرتني بأرق طريقة أنه كما العادة استجاب لرغبتني و سيبقى هنا...معي !!
عدتُ من شرود ذاكرتي و عقلي يخمن تلقائياً سبب ذلك الخمول الذي يحتلني كل ليلة بعد
إحتساء ذلك العصير..و كان تلك المسكنات التي لمحتها في حمام غرفته..لا ريب في ذلك !!
_سجى ؟!!!!

انتفضتُ فجأة على صوته الحاني..فنظرت له من مكاني الذي احتلته حول طاولة الأكل..كان
الجو سيئاً جداً هذا اليوم..و هذا ما جعلنا نجلس هنا بدل طاولة الأكل القابعة في الشرفة..
_ألن تأكلي ؟!!!!

أومأتُ له بشكل غير مرئي تقريباً..و رفعت يدي نحو الأكل لأبتلع بضع لقيماتٍ بالإجبار كما
العادة..لا يسمع في المنزل سوى صوت قطراتِ المطر التي كانت تسقط من جوف السماء بتتابع..مبددة
بعضاً من هذا الهدوء الموحش الذي يحتلني أنا شخصياً..
و لأول مرة رغبت بأن أخرج إليه..لأقف تحته لدقائق فقط..ثم أعود لأُمِدّ جسدي فوق
سريري البارد بكل ارتياح..أنا موقنة أنني سأشعر بالارتياح لو فعلتها !!..
لكن...هل سيسمح لي لؤي ؟!!!!

رمقته بنظرة مترددة من تحت أهدابي..و حاولت أكثر من مرة أن أفتح فمي لأطلب منه الطلب
مباشرة..لكنني تراجعته..و عدت أطرق برأسي بشعور من الضعف و الهوان..
الآن أصبحتُ محتاجين لطلبِ الإذن لتفعلي أي شيءٍ تتمينه يا سجى ؟!! ما عدتُ تستطيعين
الوقوف بمفردكِ..و لا الخروج بمفردكِ..و لا حتى الابتسام بمفردكِ !!!..
أنتِ مجرد مسؤولية !!! عبءٌ ألقى فوق كاهل هذا المائل أمامكِ يعاملكِ بكل ألفةٍ و حنو..أنتِ
مجرد وسيلة لتكفير ذنبٍ هو ليس ذنبه من الأساس !!

_هل تريدان قول شيءٍ ما ؟!!!!
لم أستغرب كثيراً حينما سمعت هذا السؤال يأتي بنبرته المتفهمة..فأنا اعتدتُ دائماً أن أكون
مكشوفة النوايا و المشاعر أمامه..لكنني رغم ذلك لم أستطع أن ألفظ كلمة سليمة..بدا لي وكأنه
سيضحكُ علي لو سمع طلبي الغريب ذاك !!!

لكنه حينما تكلم قال يسترسل بذات نبرته ؛

_رأيتك تحديقين بالمطر قبل لحظات !!

حسنًا..لم يتبقى أي شيء لإخفاءه فيبدو أنه استشعر ما أريده دون أن أقوله..لكنه لم يتخيله

حتمًا بهذا الجنون..إلى أن قلت بصوتٍ متلعثم متردد ؛

_هل...نخرج قليلًا؟!!! إلى...الحديقة أقصد !!!

اتسعت عيناه بذهول..و عقد حاجبيه باستنكار و هو يقول ؛

_ظننتك تريدان الوقوف و تأمله فقط كما كنا نفعل في الماضي !

حركتُ رأسي بالنفي..ثم همست أتعثّر في كلماتي ؛

_أنا...أحتاج لذلك...رجاء !!

لمحتُ نظرات العجز في عينيه عميقًا..و قال و كأنه يتوسلني بالفعل ؛

_أنا لا أمانع حرفيًا..لكنك...ستمرضين!

_أنتَ هنا !!

همستها بدون أن أشعر..لكنني لم أندم بعد قولها أبدًا و أنا أرى نظرات الرفض في عينيه

تتلاشى تدريجيًا..و قد بدا كمن يحاول استيعاب الكلمة بكل ما حملته من مشاعر..

قبل أن يزفر مجددًا ليقول و هو يقف بيأس ؛

_سأسمح لكِ بدقيقة واحدة فحسب !

أومأت تلقائيًا و أنا أشعر بتضخم في خفقات قلبي..قبل أن أقف منصاعة لأسر أنامله التي

التفت حول يدي في حركة اعتدتها..

و ما إن فتح لي الشرفة المظلة على الحديقة..تركت يده لأتقدم بخطواتٍ لم تبدو واثقة

تمامًا..إلى أن وقفت في منتصفها تمامًا..تحت تلك القطرات الباردة التي تسلت إلى جسدي ببرودتها و

صفائها كالدواءٍ تمامًا..

لم أشعر أبدًا بتلك الشهقة التي هربت من بين شففتي..أنا فقط أغمضت عيني و أطلقت

قيد أنفاسي و ذراعي..و استسلمت تمامًا لهذا الشعور الرائع من " الطهارة " الذي شعرت به بعد

وقتٍ طويل..

كنتُ و كأنما أميز كل قطرة تسقط من فوقي لتبللني أكثر..أستشعرها قطرة..قطرة.. تكاد أن

تخلصني من كل " القذارة " التي شككت أنني قد أتخلص منها يومًا..

تناسيتُ نفسي..تناسيتُ العالم..تناسيتُ ذلك الذي وقف مكانه يحدق بي بدموع لم أعلم
أسعيدة أو حزينة..وانهت تماماً أبث الطبيعة كل ما بداخلي..
تلك اللحظات بألمها و صعوبتها كانت تمر في عقلي بالتتابع..لتختفي لحظة بلحظة تدريجياً و
أنا أشعر بأن كل قطرة تلامس جسدي تنظف جزءاً منه..
لم أعلم كم من الوقت مرَّ بالضبط..لكنه تعدى الدقيقة حتمًا..و مع بداية انتهاء قدرتي على
الوقوف أكثر..على البكاء أكثر..على الصراخ أكثر..شعرت بذراعين حائيتين في قوتهمما تلتفان من حولي
بهيمنة رجولية..
فما كان مني إلا أن استسمت لهذا الدوار الذي لفَّ رأسي..ثم لم أشعر بعدها إلا بجسدي
يرتفع بين ذراعين قويتين..وبهمسة خافتة جدًا تتسلل إلى مسامعي باحتواءٍ اعتدته من صاحبها ؛
_ من هذه اللحظة..لترقد دموعك في سلامٍ يا غاليتي..لأنني لم أعد مستعدًا بعد لرؤيتك
تذرفينها...إلا فرحًا !

#شهد

للحياة دائمًا طرق مختلفة في تلقيننا الدروس..مرة تلو الأخرى حتى تقحم كل أحكامها في
عقولنا..وربما كانت حكمتها من كل الأيام الفاتنة أن تمنحني القدر الكافي من القوة لأكمل ما تبقى
فيها بلا هادي..ودفع هادي..ورائحة هادي..و حب هادي !!!
لقد كان هذا هو درسي الذي استوعبته هذه المرة جيدًا..أن " علاقتنا " كانت و لا تزال منذ
البداية " مُستحيلة " استحالة ملامسة الأرض للسماء !!
هل تسألون عن حالي ؟!!!! ميتة !!
هذا هو الوصف الوحيد و الأدق لحالي اليوم !
يوم و نصف..أربع و ثلاثون ساعة و ١٠ دقائق بالضبط...أمضيها بدونه !!!
في منزل موحش لا يسمع فيه سوى صوت تكتكة عقارب الساعة مذكراً إياي في كل لحظة تمر
بأنني عدت وحيدة !!!
أنا سقطت ضحية لتلك الوحدة التي هربت منها طويلاً..
على الأقل كنت راضية قبله..كنت أعيش حياتي في خطٍ مستقيم..حياة مُملة فارغة منه لكنها
خالية من هذا الألم أيضًا !!

أنا... أشكّ بالفعل أنني سأستطيع الاستمرار بعد... أنا مستعدة للموت ألف مرة على أن
أستلقي في سرير خالٍ من حضنه..

كيف عساي أعتاد الحياة بعده و أنا من أدمنت الإفطار بعينيه كل صباح؟! و التسحر
بذراعيه.. و التبجح بذلك الحب الذي قرأته طويلاً داخل حدقتيه؟!
كيف عساي أن أبتسم بطبيعية و لا أتذكر نكاته الساخرة الوقحة التي أرسلت رجفاتٍ من
السعادة دائماً لقلبي ؟!!!

بل كيف سأعيش بدون " هويتي " التي كانت و باتت تتشكل في حروف اسمه ؟!!!!
كنتُ أجلس فوق الأرض.. بعد أن لم يتحمل السرير ثقل المראה في مشاعري.. أحتضن نفسي
ب-نفسي-.. أحرق بصورته التي تحتل خلفية هاتفي..
كلماته على بساطتها و حُنها كانت تتكرر في ذهني في وتيرة متتالية.. يمتزج صداها بتلك
القطرات التي تسيل الكثير منها من جوف السماء تماماً إلى داخل غرفتي.....
هذه الغرفة التي ليست ملكي !!

و كأنما السماء أيضاً اختارت أن تخاصم الشمس اليوم فاعتكفت الظلام كما اعتكفه قلبي و
روحي..

تلك البرودة التي كانت تلفح كل الغرفة لترفع الستائر العتيقة المهترئة لتلك النافذة مُطيرة
إياها عشوائياً إلى كل مكان لم تؤثر بي أبداً.. بل كانت تفاقم من حرارة هذا الألم الذي يستوطنني!
شعرتُ بأنها طريقة أخرى لمواساتي.. و كأنما قرّرت خوض الحداد معي.. فتسمرت مكاني غير
عابئة بما سيحدث لاحقاً... و ماذا قد يحدث ؟!!!

سأمض مثلاً ؟!!! من يبالي ؟!!!!

كلمة الموت بكل ما تخلقه في ذواتِ الناس من رعب أصبحت مرادفاً لـ " الرحمة " بالنسبة لي !!!
رفعتُ يدي فجأة في حركة لم أفكر فيها لأمسح دموعي.. لكنني تسمرت قبل أن أفعل و أنا أنظر
إلى تلك الضمادات القماشية الملتفة حولها.. بأنامله هو !!

و بدلاً من مسحها وجدتني أذرفها أكثر..

هذا ليس عدلاً.. ليس عدلاً أبداً..

أن أراه في كلّ مكانٍ دون أن أدركه فعلاً.. أن أستشعر أمان حضنه في عقلي ثم فجأة أتلقى
صفعة غادرة تعيدني إلى واقعي.. ليس عدلاً أبداً !!!

أطبقتُ أنا ملي بعنفٍ غير عابئة بأيِّ ألم.. و احتضنتها و كأنما أحتضن يده هو.. ثم أمسكت
بها تنفي لأرفعه إلى مستوى عيناى لا أزال أأدق بصورته بقلبٍ ينزف..

تلك الملامح التي احتلت كل حياتي.. كما احتل صاحبها كل ذرة في قلبي.. و ما أجمله من

احتلال.. و ما أقساه من احتلال !!!

بقيتُ هكذا أأدق بشاشة هاتفي الحاملة لصورته للحظاتٍ بألم.. أممر أصابعي فوق ملامحه
المثالية و كأنما ألمسها حقًا.. إلى أن قطع هذا التأمل صوت طرقاتٍ خافتة فوق الباب.. فأجفلت بخوفٍ
امتزج بلهفة و عقلي يصور لي أفكارًا مزيفة شئت تصديقها..

وقفتُ أتعثر في مكاني.. لأمسح دموعي بسرعة و أقترب من باب الغرفة ثم الباب الرئيسي.. لكنني
تعثرت قبل أن أصل بحقيبي التي بقيت هناك منذ يوم الأمس..

فانخفضتُ لأمسكها بأنامل ترتجف و أدفعها إلى جانب معين.. ثم اقتربت بترددٍ من الباب إلى
أن التصقت به.. و همست بصوتٍ خافتٍ متوتر ؛

_من هناك ؟!!!!

سمعتُ بعد لحظة صوتًا ناعمًا يجيب بلطفٍ ؛

_أنا جارتك في الشقة المقابلة.. افتحي و لا تخافي عزيزتي !

جارتى ؟!!!!

ابتلعتُ ريقى ببطءٍ و أنا أشعر برهبة غريبة تحتلني بالتفكير بوضعي الجديد.. قبل أن
أستجمع نفسي فمسحت ما تبقى من دموعي و أخذت نفسًا عميقًا.. ثم أمسكت بالمقبض لأفتح الباب
قليلاً بتردد كبير..

كانت هناك فتاة تبدو في مثل سني تقريبًا.. أو ربما تكبرني بسنة واحدة أو سنتين.. تحمل في
يدها صحنًا صغيرًا نسبيًا مغطى بقماشٍ ورقي..

ثم ما إن رأني قالت محتفظة بابتسامتها اللطيفة و هي تشير إلى الشقة المقابلة ؛

_أنا أقطن هنا..

لم أمنحها أي ردة فعل.. بل بقيتُ أنظر لها بملامحي التي لا تشمل أي تعابير.. فتولت هي دفعة
الكلام و أكملت بلطفٍ ؛

_أمي ترسل لك هذا الطبق.. و تقول أنك حلت " أهلاً و سهلاً " علينا... تفضلي !

نقلت أنظاري بتوجسٍ بينها و بين ذلك الطبق.. ثم قلت أنظر لها بتوتر ؛

_هل... أمك تعرفني من قبل ؟!!!!

ارتفع حاجباي قليلاً بدهشة حينما وجدتها تضحكُ بشدة أثناء تحريكها لرأسها بالنفي..لكنها
لم تلبث أن ردت بلطفٍ ؛

_لا..إنها مجرد عادة قديمة تجب أن تفعلها مع كل الجيران الجدد..

ثم صمتت للحظة واحدة و قالت بجرأة استنكرتها ؛

_إذا...هل ستدعينني أدخل ؟!!!

طرفتُ بعيناي عدة مراتٍ بحيرة..و بقيت أنظر لها للحظاتٍ لا أعلم ماذا أفعل..لكن ملامحها

التي كانت تبتسم بمنتهى اللطافة بعثت شعوراً ضئيلاً بالإرتياح إلى قلبي..

فدفعت الباب نحوي قليلاً لأفتحه أكثر و قلت بصوتٍ خافتٍ جداً ؛

_تفضلي !

ازدادت دهشتي و أنا أراها تدلف بكل بساطة..إلى منزل غريب تماماً..فهي لم تعرفني يوماً !!

كيف إذا تستطيع الوثوق بأيّ شخصٍ بهذا الشكل ؟!!!!

أم أنا فقط الجبانة جداً هنا !

دفعْتُ الباب قليلاً دون أن أغلقه تماماً و اقتربت ببطءٍ و كأني أنا من أقف في منزلها لا

هي..نظرت لها و هي تتخذ مقعداً براحة و تبعد ذلك الغطاء عن الطبق لتظهره لي..

و قد كان طبقاً غريباً لا أظن أنني رأيته من قبل..فأنا حسب ما أتذكر طوال حياتي لم أكن

أتناول سوى " الأرز " و " الفاصولياء " في ذلك الميتم ككل الفتيات..

و أحياناً قليلة حينما يأتي بعض المتبرعون يتمنون علينا ببعض الحلويات التي يتخاطف

عليها الجميع..إلا أنا ربما !! كنت أتناول ما يقدمونه لي بخنوع اعتدته طوال حياتي..

كان الطبق يشبه لوحة متقنة الرسم بكل أنواع الحلويات و المخبوزات التي تم ترتيبها بشكلٍ

بالغ الاتقان..رفعت رأسي على صوتها الذي همس بنفس اللطف ؛

_بالمناسبة..أنا أمل...و أنت ؟!!!

كانت يدها مُمْتدة ناحيتي أثناء كلامها..فصافحتها بتحفظٍ و همست في نفسي درجة الخفوت..

دون أن تخفى عني نظراتها التي مالت للقلق و الفضول قليلاً و هي تصافح يدي المضمدة ؛

_أنا...شهد !

_أحببته !

قالتها و ابتسامتها المُفعمة كاسمها بال-أمل- تكاد أن تصل إلى أذنيها..ثم أضافت تزيد من

غرابة الموقف ؛

_اجلسي !

اقتربتُ ببطءٍ لأجلس على بعد مسافة قصيرة منها في نفس الأريكة..لكنها قطعها حينما اقتربت

مني قليلاً سائلة بفضول ؛

_هل تدرسين يا شهد ؟!!!

أومأتُ لها و أنا أرمقها بنفسِ نظراتي الخالية من التعابير..بعد أن احتلني جمود مفاجئُ أنا

نفسي لم أفهمه..إلى أن فتحت فمها مجددًا لتقول بحماس ؛

_أي اختصاص ؟!!!!

_السنة الأولى في كلية الاقتصاد !

انتفضتُ فجأة حينما صرخت متفاجئة بحماسٍ أكبر و هي تهتف ؛

_و أنا أيضًا أدرس الاقتصاد..لكنني في السنة الثانية !

تدبرتُ ابتسامة مرتجفة بصعوبة كرد فعلٍ على كلامها..ثم عدت أطرق برأسي أنظر للأرض

بملامحي الفارغة..

فسمعتُ صوتها يأتي بعد لحظة أكثر خفوتًا..و أقل حماسًا ؛

_أسفة..لقد تحمست كثيرًا على ما يبدو !

شعرتُ بتأنيب ضمير قوي و أنا أستشعر في كلامها إحساسها بالنبذ من طرفي..رغم أنني لم

أعتمد أبدًا أن لا أمنحها واجب ضيافتها..قبل أن تكمل فجأة و قد عاد حماسها للعجب ؛

_حسنًا..أنا عليّ الذهاب الآن...إذا احتجتِ لأي شيء فتعرفين منزلي !

وقفت لتقترب من الباب..بينما بقيت أنا في مكاني أنظر لظهرها المنصرف بتوتر.. إلى أن قلت

فجأة أستوقفها ؛

_أنا أحتاج لشيء ما في الحقيقة !

توقفت لوهلة و استدارت تنظر لي باهتمام..فابتلعت ريتي بتوتر أكبر..و قلت بنبرة خالية من

بوادر الثقة في النفس ؛

_أحتاج إلى...عمل !!

لم يكن لديّ أي وسيلة بديلة إلا هذه..خاصة بتحفظي المبالغ به حول كل العالم..و خوفي

الذي سيلاحقني أينما ذهبت..

_عمل ؟!!!!

هتفت بها بذهول..قبل أن تنقل أنظارها أمامها قائلة بنفسِ الدهول المستنكر ؛

_هل تقصدين أنك ستعيشين بمفردكِ هنا ؟!!!!

صمتت للحظة ثم قالت تستدركُ كلامها ؛

_أ..أقصِد...أين والداكِ ؟!!!! ألن يلتحقا بكِ إلى هنا ؟!!!!

والداي !!! هي قالت والداي !!!!

لماذا أنا لا أرى سوى صورة هادي في عقلي إذا ؟!!!!..

تردّدت قليلاً في إجابتها..إلا أنني استطعت أن أقول في النهاية بخفوتٍ شديد بينما أفرّكُ يداي

ببعضهما تحت الطاولة التي وضع بها الطبق ؛

_هما..هما...ميتان !!

أغمضتُ عيني بعد ما قهرًا كي لا أرى نظرات الشفقة التي ستكون قد احتلت ملامحها..ثم

عدت أفتحها ما إن سمعت صوتها يصلني حزينًا ؛

_أنا...أسفة !

_لا بأس !

قلتها بهدوء حاولت مداراة مشاعر القهر التي تملكنتني به..لكن معظمها اختفى حينما أردفت

تلك الفتاة الطيبة هناك فجأة بتفكير ؛

_أظن أن هناك عمل..لكنني لا أعلم هل سيناسبكِ أم لا !!

نظرتُ لها بلهفة و أنا أقول ؛

_يناسبني..يناسبني بالطبع...أخبريني !

اقتربت مني قليلاً إلى أن جلست في مقعد مقابل مغممة بحذر ؛

_حسنًا..السيدة رضوى صاحبة المكتبة القابعة في جانب الحي تحتاج إلى مساعدة تقف نيابة

عنها في منضدة البيع !!!..إذا كنتِ تريدين أن.....

التمعت عيني بسعادة و أنا أقول مقاطعة بسرعة ؛

_أريد...أريد بالطبع..سأكون ممتنة لو تأخذيني إلها فحسب !

أومأت لي بابتسامة مترددة..ثم صمتت قليلاً و عادت تسأل باهتمام ؛

_و دراستكِ ؟!!!!

دراستي !!!

لقد تذكرتُ الآن فقط أن الموسم الدراسي الجديد قد اقترب كثيرًا بالفعل..و ربما لهذا السبب

تحتاج صاحبة المكتبة لمساعدة..لكنني لم أكن لأراجع أبدًا..

قلتُ بنفسِ اللفظة ؛

_سأوفق بينهما ! لا تقلقي !

حينها فقط كانت ابتسامتها تتسع بشدة.. أثناء قولها بنفس النبرة اللطيفة التي زادت من

مشاعر الارتياح في قلبي ناحيتها ؛

_جيد إذا.. نلتقي في المساء لأصطحبك إليها !

أومأت لها بامتنان و أنا أهمس بحرارة ؛

_شكرًا لك بالفعل.. لن أنسى معروفك هذا ما حييت !

لم أتوقع أبدًا حركتها التالية.. حينما امتدت يدها لترت على ذراعي قليلًا و هي تقول بصدق ؛

_لا عليك !.. أنا فعلت واجبي فحسب.. اعتبريني صديقة منذ الآن !

كان لوقع كلمة " صديقة " تأثير جميل عليّ رغم كل شيء.. فمنحتها ابتسامة بدد جماليتها

الحزن.. قبل أن تقف أمام أنظاري التي تتبععتها بنفس الابتسامة..

لكن حاجباي انعقدا بشدة حينما وجدتها تتوقف في منتصف الطريق.. لتلتفت إليّ بعدها

ناظرة لي بابتسامة متألقة.. غامضة بعض الشيء..

قالت بعدها محتفظة بمزاجها اللطيف ؛

_نسيت أن أقول.. أمني تريدك معنا في الغداء أيضًا.. و لا تسأليني لماذا فأنا أصبحت صديقتك

منذ الآن !

التفتت بعدها دون أن تمنحني نظرة أخرى.. و بقيتُ أنا أنظر في أثرها بشفتين فاغرتين

قليلاً.. أفكر أن العالم لم يعد يبدو سيئًا جدًا كما كنت أراه..

ربما هناك أناس طيبين بالفعل ،ك.....أمل !!!

و هادي !!!..

هادي يشبه ذلك " المحور الهام " الذي يقبع في منتصف دائرة مغلقة الزوايا.. مهما دارت و

دارت حول نفسها تعود إليه خائبة مستسلمة !!!

و هذا هو حالي معه تمامًا.. ليته يعود فقط... ليته !!!!!

#هادي

دائمًا بين طرفين متحايين يوجد عقبات.. يكونها المجتمع أو هما بنفسيهما !..

لكن عقباتنا و حواجزنا لم نكونها نحن و لا المجتمع حتى..بل هو قدرٌ محتوم ألقى بأحكامه علينا و رفض التراجع عنها..مرة قبل سنين طويلة..حينما اضطررتني الظروف لأقطع أيّ سبيل تقارب بيننا أو لقاءٍ حتى..

فاختفيتُ فجأة دون أن أمنحها أيّ عذرٍ أو اعتذار..ابتعدت فحسب و اعتكفت الوحدة مع نفسي التي أنبتني دائماً على انصياعي لأحكام أب....السيد " أكرم سالم الشاذلي " !!
لكن قلبي كان عاصياً..كان يرضيني في تمرده..يصرخ بي داخلياً أنها لك..هي كانت لك و ستبقى لك...دائماً !! و أصبحت لي بالفعل..و ليست لي !!!

" أعلم أنك لا تحبني أبداً..بل إذا صح القول أنت تكرهني..أو..ربما تنفر مني..كوني مجرد -لقيطة- كما يعرف..لكنني لا أطلب منك سوى شيئاً واحداً..أن تتحملني لفترة محددة فحسب..أنا أعدك أنني لن أزعجك أبداً..لن أقرب إلا حينما تحتاجني..و لا أقصد بالاحتياج أنك من ستطلب..بل أنا هنا لألبي كل أوامرك بصمت "

" كنت مضطرة ! "

" لو كنتُ أعلم أن حياتي ستصبح بهذا الشكل بعد أن أعود لتمنيت الموت..بل لرجوت الله من كل قلبي أن يأخذ روحي لأستريح و لا أجرب شعور الخيانة هذا...منك أنتِ بالذات "

" أنا لن أعاتبك بعد الآن..أنا فقط أطلب منك بأن تتمي كل مهامك بأمانة إلى أن يأتي يوم افتراقنا "

" يوماً ما سنأتي إلى هنا سوياً..حينها لن نكتفي بالتأمل فقط..بل سننزل سوياً..يداً في يد لنتوجه إلى -مكاننا- خطوة خطوة..هذا وعد !! "

" هذا وعد !..ألا تصدقين وعودي ؟! "

" أنا أحبك في كل حالاتك ! "

" لا تأخذي المال من أمي يا شهيد..أنا سأؤمن لك كل ما تحتاجينه.. "

" أحبك ، أقسم بالله أحبك ! "

" أحبك ، أقسم بالله أحبك ! "

فتحتُ عيني على اتساعهما بقوة..و انتفضت و أنا أستيقظ فزعاً فجأة لأجد نفسي لا أزال جالساً في مكاني..و أستوعب مجدداً أن -شهدي- لم تعد هنا بعد..

و لن تعود..اليوم على الأقل !!

كان المنزل يبدو كثيبًا بشكل سيء جدًا..بدا كبقعة مهجورة لم تقربها أقدام البشر منذ
سنين !!..

خراب !! هذا ما كنت أراه تمامًا !!

عينها الواسعتان بلونهما الذي لطالما أذاب قلبي تطرقان مخيلتي بإصرار خبيث..و ذلك
العناق الأخير الذي بثني فيه كل ذرة من مشاعر كنت أشتاقها من قبل لا يزيدني سوى حسرة..
لماذا وقعت يا شهد ؟!!! لماذا أنهيت كل شيء كان بيننا هكذا بكل بساطة ؟!!! أم تراكِ تعبتِ من
العيش تحت رحمة حُب لم يجلب لك سوى الألم ؟!!!

لطالما كنتِ خنوعة لكنني لم أعهدكِ ضعيفة لهذا الحد !!!
أنا كنتُ خائفًا عليكِ أنتِ من لحظة الفراق..راهننت نفسي أنكِ لن تقدرى عليه..لكن قدر كل
الرهانات التي أخوضها مع نفسي أن تفشل !!..

و ها أنتِ ذا رحلتِ بمحضِ إرادتكِ..كلانا أصبح غريبًا عن الآخر بين ليلة و ضحاها..مغتربًا
حتى عن نفسه..الآن لا أنتِ زوجتي و لا أنا عدت أنتي إليك !!
كانت هذه هي أفكاري التي حملتني إلى كل هموم الدنيا بكل مرارتها..قبل أن أطرح أنفاسي بقوة
اصطنعتها أمام نفسي و أقف لتقودني قدماي لا شعوريًا إلى.....غرفتنا ؟!!! أم أقول غرفتي فقط !!!
توقفتُ في منتصفها..أحرق بعينين تائهتين ميتين..محتقنتين بدموع توقفت عن ذرفها قبل
ساعات..لكنها أبت إلا أن تخلف أثرها في قلبي و في جفناي..

كانت الغرفة كلها مرتبة..و قد شعرت لوهلة أن كل ما عشته معها كان محض حلم..حلم
جميل جدًا..و قدر الأحلام أن تنتهي..أليس كذلك ؟!!!
لماذا إذًا لا أجدني سوى غارقًا في كل تفصيلة بهذا الحلم..و كأني أعيشه مجددًا بالفعل !!..بل
ربما هي لا تزال هنا و قد تدلف في أي لحظة لتدعوني لتناول طعام الإفطار كما العادة..أو
عساها.....

شتاء ؟!!!

لفت انتباهي تلك النافذة المطلة على الحديقة..نفسها التي لطالما جلستُ خلفها أتأملها
لساعاتٍ و ساعات دون أن أمل..فاقتربت منها لأقف وراءها تمامًا..أحرق بنفسٍ الشغف.. لكنه شغف
لحظة واحدة فقط..

فقد انطفأ فورًا و عينايا لا تقابلان سوى خضرة مُهملة..تحدقان بتلك الورود التي مالت
معظمها أو انكسرت بفعل الرياح العاتية لتسقط كما سقط قلبي برحيلها..

رباه..هل ما أشعر به حقيقي؟!!! بل هل ما أعيشه حقيقي؟!!!

إنني أشعر بالفعل و كأنني في كابوس مرعب سأستيقظ منه في أي لحظة لأراها بجاني..تسدل جفنيها باستسلام اعتدته..قرأت بداخله سطوراً من حُب و اطمئنان و ثقة منحتها لي بكامل إرادتها!!..
أغمضتُ عيناها بانفعال صامت..و زفرت أنفاسي عدة مراتٍ بقوة كنت أهتف في كل مرة منها
بنفسي أن تهدأ..فلتهداً فقط و تتقبل الواقع بكل مرارته..

التفتُ بعدها لأتجه إلى الحمام..ثم وقفت أمام المرأة..و هالني هذا الشحوب الذي أراه يلتصق
بوجهي لأول مرة بهذه القوة..قبل أن أفتح صنبور المياه لأملأ يداي و أغسل وجهي عدة مراتٍ لعلي
أبعد هذا الإرهاق الذي رفض أن يتركني..

ثم أطبقتُ جفناي للحظاتٍ حاولت فيها التحكم بضجيج عقلي و أنفاسي..و فتحتهما أنظر
للامحي التي لم أعد أعرفها بعد..و لأول مرة بعد زمن أنتبه إلى شكلي !!! و تسائلت..

أين هادي الشاذلي؟!!!! أينني- أنا مني ؟!!!!
" أظن أن شعرك و ذقنك أصبحا طويلين...جداً ! "

حمقاء !!!

وجدتُ عيناها تدمعان مجدداً بألم جارف..في نفس الوقت الذي تمتد فيه يدي لتفتح أحد
الادراج بخزانة صغيرة جداً كانت معلقة على الجدار..لأخرج " ماكينة حلاقة " ..و استمررتُ أحقق
بصورتي في ترددٍ مثير للشفقة..

أشعر أنني بحلق شعر ذقني و شعري لن أعود هادي الذي يخصّ شهد !!!
لكن انعكاس ابتسامتي الساخرة المريرة في المرأة أخبرني أنني لم أعد هادي الذي يخصّ شهد و
لا شهد عادت...تخصّني ؟!!!!

إنها.....تخصّني حتماً !!!!

رفعتُ يدي التي كانت ترتجف حرفياً لوجهي..لأبدأ في تهذيب هذه " اللحية " ..و كم تمنيت لو
كانت شهد هنا الآن..

و كان هذا الفراغ الذي أحقق به ورائي ممتلئاً بها..و بابتسامتها الخجولة الوديدة !..

لكن قدر الأمنيات أن تبقى مجرد أمنياتٍ فقط !!!

سرعان ما وجدتني أنزل يدي ما إن انتهيت..لكنني لم أحلقه كاملاً هذه المرة..أو بالأحرى فقد
تركت أثراً خفيفاً جداً له يحدّد منطقة فكي..و بدوتُ حسن المظهر على أية حال..

رفعت يداي لأعيد ترتيب خصلات شعري الناعمة إلى الوراء بشكلٍ عشوائي..و حصلت على

مظهر مثالي !!! مظهر مثالي و حياة خالية من المثالية !!!

أظن أن هناك خلل كبير في تركيبة هذه المعادلة التي لم أهتم بفكّ خيوطها المعقدة..

فاكتفيت بأن أسقطت يداي متهدداً عميقاً..

لفت انتباهي صوت رنين هاتفي الذي تركته لا أعلم أين..فأغمضتُ عيناي بإرهاقٍ و أنا أستند

بيداي إلى طرف المغسلة لعدة لحظات..و حاولت بشدة أن أتجاهله..

لكن فكرة غريبة طرأت في عقلي جعلتني أفتح عيناي على اتساعهما..لأجد نفسي أهمس

بصوتٍ شبه لاهث..ذلك الاسم الذي وصم في قائمة حياتي إلى الأبد..

"شهد !!!"

خرجت من الحمام بسرعة لأراه محفوظاً فوق المنضدة الجانبية حيث تضعه شهد دائماً..كل

شيءٍ متعلق بشهد أساساً !!

لكنني حينما تفقدت الرقم لم ألمح الاسم الذي تمنينته..بل وجدت حرفياً..

"لؤي"

و تلقائياً وجدت اسماً آخر يطرق عقلي.."سجى"...

سجى المُختفية منذ فترة لسببٍ مجهول !!!

تحفزت ملامحي قليلاً و أنا أفتح الخط دون أن أُلْفِظ كلمة..إلى أن جاءني صوته بعد لحظاتٍ

قاتماً..حزيناً..متهدجاً ؛

_لقد أخبرتني أمي بأنك و شهد انفصلتما..كيف حالك الآن ؟!!!

كان الأولى به أن يهرع إلى شهد ليوجه هذا السؤال الوجيه إليها..أو لعلي اسألها أنا فقط إذا ما

التقيتها يوماً...كيف حالي يا شهد ؟!

تهددتُ تهيدة طويلة خرجت مُحملة بكل تعبي..و ساد صمت ثقيل من طرفي..إلى أن قلت كاذباً

و أنا أرتبي جالساً فوق طرف السرير..

أحتضن وسادتها التي تحمل عبق عطرها الطبيعي الأخاذ بين ذراعاي و كأنني أحتضنها هي ؛

_أفضل !.. و أنت ؟!!!!

_بخير !

قالها بنبرة لا تنبئ بالخير أبداً..فعلمتُ أنه يكذب لا محالة..لكنني حينما تكلمت عاقداً

حاجباي وجدتني بدل أن أسأل عنه هو أقول فجأة بقلبي ؛

_و سجي ؟!!! أنا لم أرها منذ فترة !

ذلك الصمت الذي قابلني من جهته بعد سؤالي ذاك ضاعف من قلقي و حيرتي.. فسألتُ

مجددًا بصوتٍ مشتدٍ الآن ؛

_لؤي !! هل سجي بخير ؟!!!!

سمعتُ تهديدته التي تشابهت مع تهيدتي كثيرًا..ثم قال بعدها بلا مقدماتٍ ما جعل عيناى

تجحضان صدمة ؛

_أنا و سجي...تزوجنا !

" 26 ؛سكون "

#الكاتبة

_أنا و سجي تزوجنا !!

لوهلة شعر هادي بأنه فقد كل قدرته على الإستيعاب..بل على السمع أيضاً !!
قبل أن يفتح فمه ليقول بحاجيين منعقدين بشدة..و نبرة فاقدة للتركيز ؛

_ما...ماذا ؟!!!!

كان لؤي يقف في غرفته..أمام نافذتها الزجاجية التي تطل على كل الأماكن الجميلة المحيطة
بالمزرعة..لكنه لم يكن ينظر رغم ذلك لأيّ منها..فقد استقرت عيناه في السماء الشاحبة بغيومها التي
أبت إلا أن تحجب الشمس وراءها..

قبل أن يعيد جملته باتزان ؛

_أنا و سجي تزوجنا !!

صمت آخر قابله من جهة هادي الذي فغر فمه غير مستوعباً..إلى أن أتاها صوته بعد لحظاتٍ
يقول بنبرة تائهة مصدومة ؛

_تزوجتما.....كيف ؟!!!!..و..و شهاب.....!!!

مع ذكر اسم شهاب..امتلات أنظار لؤي بغضب مفاجئ حاول أن يكتمه بقوة..لكنه رغم ذلك
لم يستطع..فخرج صوته غاضباً منفعلاً رغمًا عنه و هو يردف باستنكار ؛

_شهاب ؟!!! و ما دخل شهاب في الأمر ؟!!! أنا أردتها و هي أرادتني و تزوجنا ببساطة..ما الشيء

الغير مفهوم فيما أقوله !!!

صمت يزفر أنفاسه بانفعال..بينما جالت أنظار هادي حوله بلا هدف..قبل أن يرتفع جانب
شفتيه في ابتسامة مذهولة بالفعل..مُستنكرة أكثر من نبرة لؤي..

قبل أن يقول أخيرًا محاولاً تمالك نفسه ؛

_لا..ليس هناك أيّ شيءٍ مريب في الأمر سوى أنني آخر من يعلم عن زواج أخي و ابنة خالتي

التي تعد أختي أيضًا !!..

عبس فجأة و هو يضيف بنبرة خرجت و كأنها شتيمة ؛

_لقد كانت تعد أختك أنت أيضًا بالمناسبة !!

زفر لؤي بقوة..هل كان عليه أن يختار هذه اللحظة بالذات ليطلع أخاه الأحمق على أمر مهم

و حسّاس كهذا ؟!!

بالكاد استطاع أن يضيف إلى صوته نبرة العفوية و هو يقول بجدية ؛

_ أنت قلتها...تعد !!!..لكنها ليست أختي !

صمت للحظة..ثم أكمل بنبرة اعتذار الآن ؛

_ثم إن الأمر مرّ في سرعة البرق..لذا.....لم أجد الوقت لأطلعك عليه أنت و شهد !!!..أسف!

ازداد انعقاد حاجبي هادي ببطء..و شعر ببعض التوجس ينتابه من مكان مجهول.. إلى أن

قال بعد صمتٍ قصير ب..بغباء !

_هل تقصد بأنكما تزوجتما في السرّ ؟!! أنا لا أفهم أيّ شيء !!

عاد لؤي يزفر بنفاذ صبر و هو يهتف باستنكار ؛

_بالسرّ ؟!! هل أنت معتوه ؟!!!!

وجد هادي نفسه يهز رأسه محتارًا مشوشًا و هو يقول ؛

_أنا أكاد أن أصبح معتوهًا بالفعل !!!..إذا كان هذا الزواج حقيقي بالفعل..و ليس بالسرّ..لماذا

إذا لم تكتب عنه أيّ جرائد ؟!! ثم أين ردّة فعل شهاب ؟!! أنا لا أتخيله سوى يهدم السقف فوق

رأسيكما قهراً !!!..و أمي..و أبي..أساسًا منذ متى تربطكما علاقة غرامية أنت و سجي !!!.. أنا لا أفهم أيّ

شيء !!!!

أغمض لؤي عينيه و هو يرفع يده ليفرك المنطقة بين عينيه محاولًا استمداد كل طاقات

الصبر في عقله حتى لا ينفعل بكلمة غير محسوبة على أخيه..

ثم عاد ليفتحها قائلًا من بين أسنانه باستسلام ؛

_ستفهم كل شيء !..لكن ليس الآن..دعنا نتكلم حينما أعود !

حينما أعود ؟!!!! صفة جديدة لعقله الذي بدأ يفقد قدرته على الإدراك بالفعل..قال بعدم

فهم ؛

_تعود من أين ؟!!!!

صمت لؤي للحظاتٍ حاول فيها أن يصنع أيّ عذر يجعله يقنعه به..يهدف تأخير لقاءهما لا

أكثر..على الأقل حتى تتحسن حالة سجي قليلًا !!!..

فقال أول ما خطر في عقله بغباء ؛

_من...من...شهر العسل بالطبع !!! لقد كنا نتكلم للتو عن زواجي بسجي !!

ارتفع حاجباه بدهشة شديدة حينما تخللت مسامعه صوت ضحكة هادي المذهولة التي لم
يستطع كتمها على ما يبدو بعد إجابته..

فتسمر للحظة يحاول استعادة كلماته ليدرك العطب فيها..ثم قال بنبرة حانقة مُمتعضة ؛
_لماذا تضحك ؟!!!

استطاع هادي بصعوبة أن يتمالك نفسه من نوبة الضحك هذه التي داهمته فجأة لسببٍ لم
يفهمه بنفسه !! سوى أن وقع جملة لؤي الأخيرة كان شديد النشاز على عقله..

سجى و لؤي...في شهر عسل !

قال محتفظاً بابتسامته المستنكرة ؛

_شهر عسل ؟!!! و أنت و سجى !!...أين سجى ؟!!!!

_إنها نائمة !!

قال لؤي بصوتٍ قانط..فارتفع حاجبا هادي أكثر و قد زاد تشوشه و استنكاره..و تسمر

للحظة أخرى..قبل أن يزفر ليقول و قد أصبحت نبرته جادة تمامًا الآن ؛

_اسمع..إذا كانت هذه مزحة فهي تبدو سخيفة جداً..أنصحك أن تراجع عنها الآن و تعطي

الهاتف لسجى لأتكلّم معها !

شعر لؤي بأنه على على وشكٍ فقدان صبره..فتهدّ بيأس..قبل أن يقول بنفسٍ الجدية التي

شأبها بعض الانفعال ؛

_هل تظن حقًا أنني أستطيع المزاح في مثل هذا الموضوع ؟!! سجى.....

_أنا لستُ غيبًا لهذا الحد !!..لن أصدق بأن لؤي و سجى اللذان كانا من أعز

الأصدقاء..أصبحا بين ليلة و ضحاها زوجين !! هناك خطب ما و أنت ستخبرني به الآن !!

جاءه صوت هادي محتدًا على غير ما توقع الآن..فهتف لؤي و هو يرفع أحد حاجبيه

بتململ..في نفسٍ درجة الحدة ؛

_أيّ خطب تتكلم عنه أنت يا غبي ؟!! أنا أحببتُ سجى و تزوجتها..هذا هو كل ما في.....

صمت فجأة مصدومًا من نفسه..بينما اتسعت عيناه بشكل ملحوظ و شحب لونه و هو

يكمل جملته بصوتٍ باهت خافت ؛

_الموضوع !!!

_أحببتها ؟!!! قلت أنك.....أحببتها ؟!!!

قالها هادي بتشوش و حذر يشاركه دهشته..فشحبت ملامح لؤي أكثر..و زمّ شفتيه حيرة و
غيظًا من نفسه في نفس الوقت..ثم قال بجفاء و عيناه تنتقلان في الأرجاء بحيرة ؛
_نعم...أنا...أحببتها !!!

سمع صوت أنفاس هادي التي جعلت عقله تلقائيًا يتخيل ابتسامته اليائسة أثناء قوله
بعناد ؛

_لا أصدق !!

تلك المرة لم يحاول الشرح..ظل صامتًا للحظات يحاول أن يستوعب ردة فعله..تلك الكلمة
التي أقر هادي بغير تصديقها..إلى أن قال ينهي الإتصال بنبرة شبه متلعثمة..يشعر بأنه ما عاد قادرًا
على المماطلة في هذا الموضوع البائس بعد !
_عمومًا..أنا...سأغلق الخط الآن..نتكلم لاحقًا !

تهمد بقوة و هو ينزل هاتفه أخيرًا..قبل أن يلتفت متجهًا إلى غرفة سجي إلى أن فتحها..توقف
هناك في حاجز الباب ينظر لها للحظة..

لقد كانت لا تزال كما تركها منذ أن فقدت وعيها في الحديقة..غارقة في سبات عميق شعر أنها
لم تحظى بمثلها طوال حياتها لشدة مشاعر الاسترخاء التي رآها بملامحها و التي لم يرها منذ فترة
طويلة..

لقد كانت أكبر مخاوفه الآن أن تصاب بنوبة زكام بسبب وقوفها الطويل تحت المطر..و رغم
ذلك فلم يستطع أن يفعل شيئًا أكثر من أن يدثرها جيدًا بالغطاء..قبل أن يخرج في نية الإتصال
بهادي لا أكثر..

اقترب منها بتأني إلى أن جلس على طرف السرير بجانبها..يتأملها بحزن أصبح رفيق
عينيه..ينتظرها أن تستيقظ في أي لحظة بفارغ الصبر..
بينما في الجهة الأخرى..هز هادي رأسه بعد أن أغلق الخط غير مصدقًا لأي شيء يحدث من
حوله...

أولا ... طلاقه من شهد..و الآن...زواج لؤي من سجي !!!

و شهاب !!!..

إنه لا يستطيع أن يستوعب حتى الآن كيف تقبل شهاب هذا الأمر..رغم أنه داخليًا..عميقًا في
قلبه وجد شعورًا من الشماتة و السعادة في نفس الوقت يستفحله و هو يتخيل حالة شهاب الآن..
حالته التي يستحقها بالطبع !

و يرسم صورة للؤي و سجي -الزوجين- لعله فقط يقحم الفكرة بكل غرابتها في عقله..و قد
وجدها تدريجيًا تخترق عقله و قلبه في نفس الوقت !!

_زوجين !!

وجد نفسه يهمسها بخفوتٍ بينما ابتسامة غريبة..ساهمة و مريرة جدًا تحتل شفثيه..لم تكن
تلك المرارة تخصّ لؤي و سجي..
بل صاحبة " رائحة الشهد" التي يحتضن و سادتها الآن !!
شدهه الجبانة..صاحبة -خدود الورد- الخجولة !!

" و لا تسدلي شعركِ أمام أيّ أحدٍ غيري !"

كانت تقف أمام المرأة تهم بتمشيظ شعرها..حينما مرّت هذه الجملة في ذهنها مر افقة
لصورته بنظراته الأسرة آنذاك..
لا تزال تمر في ذهنها كل يوم..كلما وقفت أمام المرأة هامة بترتيب شعرها..ثم و ببساطة..تضع
فرشاة الشعر من يدها شارعة في تجديله كيفما اتفق..
إنها لا تستطيع رغم كل شيء أن تتجاهل و لو حرفًا واحدًا مرّ بينهما أو تنساه..تكاد أن تجزم
أنها لا تزال ملكه..هي ملكه بكل جوارحها و رضاها...دائمًا ستكون ملكه !
لذا...لذا هو فقط يحق له بأن يملي عليها أيّ أمر و هي ستنفذه بكامل الرضا !!
تركت شعرها أخيرًا بعد أن انتهت من ظفره..و شردت عينها الذابلتين تمامًا..الحزينتين..في
انعكاسها بالمرأة..تشعر بأنها في كل يوم جديد تفقد جزءًا جديدًا منها..
في كل يوم يُصبح انعكاسها أشدّ بؤسًا و حزنًا عن الذي قبله..و هي هنا..لا تمتلك حيلة سوى
الوقوف أمام المرأة و تأمل انهيارها الداخلي بصمتٍ !
صوتُ طرقاتٍ فوق الباب جعلها تجفل فجأة..فنظرت حولها للحظاتٍ و كأنما تبحث عن شيءٍ
ما..قبل أن تقترب من السرير لتمسك بحقيبتها السوداء البسيطة الشكل و تعلقها فوق كتفها
بخلاف...

ثم اتجهت للباب لتفتحه بسرعة عالمة بهوية الطارقة قبل أن تفعل..

_هل أنتِ جاهزة ؟!!!

قالتها أمل بحماسها و لطفها المعهود و هي تقف في حاجز الباب منتظرة..فتدبرت شهد
ابتسامة مرتجفة و هي تومئ لها بينما تغلق الباب..

لكنها ما كادت تلتفت نحوها حتى تسمرت حينما تفاجئت بأمل تتعلق بذراعها ببساطة بينما تقول ؛

_لنذهب إذًا !

وجدت شهد نفسها رغمًا عنها تحقق بذراعها المتأبطة بها بمشاعر مختلفة لم تجربها قبلاً...

أن يكون لديها صديقة بالفعل !! لهو شيء جميل...ربما !!!

هزت رأسها في حركة متوترة..قبل أن ترافقها النزول عبر السلالم إلى أن تجاوزتا باب البناية

المتواضعة..و ما هي إلا دقائق معدودة حتى كانت تتوقف أمام تلك المكتبة..

أمام صاحبها البشوشة الوجه التي استقبلتهما بكل ترحاب..كانت شابة لا تبدو كبيرة في

السّن أبدًا..ربما تتعدى سنّها الثلاثين ببضعة أعوام..

رغم أن شكلها كان يوحي بأنها أصغر..إلا أن ملامحها بكل تلك الحكمة و النضج التي

اصطبغت بها تجعل أيّ شخصٍ يتوقع عمرها بناءً على هذين الأمرين فقط !

_هل سبق و أن اشتغلت في أيّ مكانٍ يا شهد ؟!!!

كان هذا هو أول سؤالٍ طرحه عليها و الذي جعلها ترتجف خشية من أن تخسر هذه الفرصة

التي بدت لها الوحيدة لديها..لكنها رغم ذلك هزت رأسها بالنفي مُجيبة بصدق..

فزمت -رجوى- شفيتها مفكرة قليلاً و هي تتمعن النظر بها..قبل أن تهمس سائلة مجددًا بهدوء

؛

_أخبرتني أمل أنك تدرسين..هل ستستطيعين أن توفقي بين العمل و الدراسة بالفعل ؟!!!

لم تتردّد شهد من الإيماء لها بسرعة و قد برزت بعض الלהفة و الأمل في عينيها..فطرفت

رجوى بشيءٍ من التردّد..و انتقلت عيناها لأمل التي نظرت لها برجاءٍ لم تستطع إلا أن تقابله بنظراتها

العطوفة المُشفقة و عقلها يسترجع الحديث الذي دار بينهما في الصباح..

كانت قد أخبرتها حينذاك عن حالة شهد المزرية و حاجتها للعمل..و رغم أنها لم تتكلم

بالتفاصيل..إلا أن بضع كلماتٍ عن والديها المتوفيين و حالتها المادية التي علمت بحدسها أنها ليست

جيدة تمامًا جعلت من نظراتها تمتلئ بالتعاطف أكثر..

قبل أن تنهد بقوة لتقول مُستسلمة ؛

_هل تحبين أن تبدئي من اليوم أو.....

_الآن..سأبدأ حالًا !

قاطعتها شهد بذات الלהفة..فابتسمت تلقائيًا و هي تهمس ؛

_تبدین متحمسة للغاية !

لم تجيها شهد حرفيًا..بل اكتفت بأن بادلتها الابتسامة ببرائة ملامحها وتعايرها التي تكاد أن

تأسر كل من يلتقي بها..قبل أن تسمع صوت أمل تقول بمدح ؛

_شهد فتاة مجتهدة جدًا..لقد كانت الأولى على دفعتها السنة الفاتنة..لن تندمي أبدًا على

اختيارها..صدقيني !!

منحتها رجوى ابتسامة بسيطة كإجابة عن كلامها..تهتدت بعدها لتقف قائلة موجهة كلامها

لشهد باستسلام ؛

_لا بأس بهذا إذًا..تعالى لأعلمك على أساسيات العمل !

كان يقف أمام النافذة العريضة بغرفة سحى..لا يزال هناك منذ أن دخل قبل ساعاتٍ

ينتظرها بلا يأسٍ أن تفتح عينها..

قبل أن تتسلل هذه الهمسة الواهنة..الخافتة جدًا إلى مسامعه..

_لؤي؟؟!!!!

طرف بعينه في حركة سريعة كمن يحاول التأكد من سماعها بالفعل..قبل أن يلتفت بنفسه

السرعة لينظر لسحى التي كانت قد فتحت عينها مسبقًا..تنظر له من مكانها بملامحها.....المعتادة

!!!!؟

لا..هي لم تبدو كالمعتاد أبدًا..هو فقط يستطيع الانتباه لذلك البريق الجديد الذي ظهر

بعينها..عينها الذابلتان رغمًا عنها شعر بأنهما اتشحتا بالقليل من الحياة الآن..

ملامحها أيضًا تلاشى منها القليل من الشحوب الذي ربما لن تلحظه هي نفسها..لكنه يستطيع

أن يلحظه حتمًا !

حتى ذلك الخوف الذي لطالما رآه ملتصقًا بنظراتها شعر أنه تراجع بشكل ضئيل و غريب

اليوم..أم ربما هو مجرد شعور ؟!!!!..

هو يكاد يجزم أنه لمح ابتسامة حياة فوق شفيتها في آخر لحظاتٍ صحوتها قبل أن تفقد وعيها

صباحًا..

حتى طريقة إغماضها لهما لم تكن كما اعتادها مؤخرًا..

حينما تطبقهما بشدة قهراً..أو تسدلها باستسلام مؤلم..أو تغضهما عن ذكرى مخيفة..بل

أغمضتهما ب.....سلام !!

كان السلام فقط ما لمحّه في عينيها صباحًا !! نفسه الذي يكاد أن يراه الآن عميقًا في عينيها
المُرَهَقَتَيْنِ المتسائلَتَيْنِ...

لم يمتلك أمر ذلك النفس المرتجف الذي هرب من بين شفّتيه و هو يقترب منها بلهفة إلى أن
جلس بجانبها و تمسك بيدها بشدة..

لتستقر عيناه في عينيها للحظات.. همس بعدها بخفوتٍ قلق ؛

كيف تشعرين الآن ؟!!!

لم يدري لما خرج سؤاله بهذا الشكل.. هو كان ينوي أن يقول حرفيًا..

" هل أنت بخير ؟!! "

لكنه وجد سؤاله ذاك يخرج تلقائيًا.. قبل أن يأتيه صوتها تهمس بإعْيَاءٍ بعد أن استعاد عقلها

القليل فقط من نشاطه ؛

_أفضل !

امتدت يده لتربت فوق شعرها بخُنُو و هو يرسم ابتسامة صغيرة فوق شفّتيه أثناء همسه

بذات نبرته الرفيقة ؛

_جيد.. الآن قومي لتبدلي ثيابك لكي نتناول طعام العشاء سويا !

قطب حاجبيه قليلاً حينما لمح نظرات الحيرة بعينيها.. قبل أن تقول بعدم فهم ؛

عشاء ؟!! هل نمّت كل هذا الوقت ؟!!!

أوماً لها لؤي بنفسِ ابتسامته الحانية.. ثم حانت منه نظرة للسماء التي كانت قد اتشحت

بحمرة غامقة منبأة بقريب غروب الشمس.. و همس بنبرة شاردة ذات مغزى ؛

أتذكرين ؟!!!

نظرت له سحى للحظاتٍ بصمتٍ بنفس نظراتها التي اكتسبت هدوءً جميلاً هذا اليوم.. قبل أن

تشاركه النظر هامسة و عقلها يهرب بعيداً.. بعيداً جداً !

_ " مع كل غروب شمسٍ جديد.. يسطع في حياتنا أمل جديد ! و كأنها لم تغرب إلا لتخبرنا أنها

عائدة حتمًا !! "

كانت هذه هي جملته التي لطالما ردّدها على مسامعها هي و هادي في الماضي كلما ضاقت

بأحدهم الحياة.. كيف عساها أن تنساها ؟!!

بل كيف عساها أن تنسى أيّ شيء يخصه ؟!!!

ساد بعض الصمت بينهما و كلاهما يتأمل الأفق..و ذكرى عابرة..غير عابرة..حينما كانا
يجلسان ذات مرة في حديقة القصر..فوق العشب الأخضر..
يراقبان الغروب و يتحدثان عشوائيًا..لوحدهما تمامًا قبل سنوات عديدة..إلى أن همست
فجأة و عينيها على الأفق..كما اليوم..
" لا أحب غروب الشمس كثيرًا! "
حينها نظر لها لؤي بتفاحي..ثم قال و على شفثيه ابتسامة اهتمام ؛
" و السبب أنسة سجي ؟! "
و كان جوابها معبرًا جدًا..بل لطيفًا جدًا..حينما قالت بدون أن تبادله الابتسامة..بنبرة مستاءة
قليلاً و هي تنظر إلى نفس المكان..
" و لما لا ؟ أليست الشمس تعتبر مرادفًا للأمل ! ما المميز في الغروب أساسًا لنحبه ؟ "
ثم هزت رأسها و هي تكرر بجذل و كأنها تخاطب نفسها ؛
" قطعًا لا يمكنني أن أحبه ! "
كان صوتها شاردًا جدًا رغم ذلك..و بدا و كأن عقلها قد انسحب آنذاك إلى ذكريات غابرة من
الماضي..يدركُ بأنها فقدت والديها ذات ليلة مؤلمة..لقد كان من المفترض أن يكون الصباح شاهدًا على
عودتهما آنذاك..
لولا أن سقطت الطائرة التي كانا من روادها أثناء عودتهما من رحلة ما..سقطت في منتصف
الليل..كما تلقت عائلته الخبر في منتصف الليل !
لا يدرك حتى لما ربط عقله كلماتها تلك في ذلك الوقت بوفاة والديها..لكنه لم يشعر بنفسه إلا
و هو يمنحها ابتسامة أكثر اتساعًا ما إن التفتت صوبه..ابتسامة بدت و كأنها الشمس الحاملة للأمل
بعينها..ثم همس برقة ؛
" هذا لأنك تنظرين للأمر برؤية محدودة..لو نظرتِ له من جميع الجوانب..فستغيرين رأيكِ
مثلي..و ربما تبدئين باستلطاف الغروب و حُب تأمله حتى.. "
ابتسمت سجي مثله سامحة لغمازتها الجميلة بالبروز ببطء..ثم هزت كتفها هامسة بنبرة
تشبه التحدي ؛
" صف لي الأمر من زاويتك إذن..أشعر بالفضول لسماع رأيك ! "
و لم يجد لؤي ما يمنعه آنذاك من أن يهمس لها بكل صدق..بنبرة فاقت نبرتها عمقًا و حكمة
رغم المرح الذي يلفها ؛

" لو نظرتِ للأمر من زاويتي..فربما تبدئين بالإيمان بجملة مرت على مسامعي نات مرة و لم
أستطع نسيانها يوماً..."

" مع كل غروب شمس جديد يسطع في حياتنا أمل جديد..و كأنها لم تغرب إلا لتخبرنا بأنها
عائدة حتماً !"

هل هي عائدة حتماً ؟ هل يمكن لشمسها الدافئة المشبعة بخيوط الأمل أن تعود للسطوع في
أفق قلبها و روحها من جديد ؟!

شعرت بأنامله تتخلل أناملها بقوة حنونة..تجبرها على مغادرة تلك الذكرى التي لا تريد
الخروج منها..ثم همس لها بنبرة لم تفهمها في البداية ؛

_ أين هي إذا ؟!!

نقلت عينها بين عينيه بعدم تركيز..فأكمل يستعطفها بنبرة ذات مغزى ؛

_ ابتسامتك !!

راقبت عيناه كل تفصيلة بملامحها بإلحاح..بتدقيق و كأنه يبحث عنها بالفعل..و قد وجدها

أخيراً..كانت أول ابتسامة حقيقية يتبادلها معها بعد ذلك الحادث !

ابتسامة أجبرت نفسها على رسمها لعل ملامحها تستطيعها لاحقاً فتغدو حقيقة.. ابتسامة

لامست عينها فقط لكنها لامست قلبه أيضاً بسحر خاص..لتطرد الكثير الكثير من الغصّات

المختنقة التي سكنته طويلاً و تسمح لبعض الرضا بالتسلل إليه..

تأمل ابتسامتها الشاحبة..غير المكتملة تلك بنهم شديد..قبل أن يقف بهدوء و يساعدها على

الوقوف معه..لكنها لم تكد تقف حتى كانت أنظارها تنصب نحوه بقلق حينما صدرت منه عطسة

قوية تلقاها بمنديل أبيض أخرجه من جيبه بسرعة..

وجدت عينها تتسعان قليلاً بإدراك ضئيل..و استعاد عقلها صورته و هو يقف تحت المطر

يراقبها غير عابء بنفسه كما اعتادت منه..

و زاد من حدة قلقها أنفه الذي لاحظت احمراره الواضح الآن فقط..بينما برز الارهاق في

ملامحه واضحاً..لكنها لم تكد تقول كلمة تطمئن بها عليه حتى كان يسبقها ما إن قال باعتيادية ؛

_ لقد جهزت لك الحمام..و سأنتظرك في الصالة حتى تنتهين للأكل سوياً..اتفقنا ؟!!

وجدت نفسها تومئ له مرغمة..متحاملة على ذلك القلق الذي رفض أن يتركها.. كيف لم

تلاحظ مدى إرهاق ملامحه منذ البداية ؟!

دلفت إلى الحمام مغلقة الباب خلفها بهدوء و عقلها ينضج بالقلق..و قد اختارت الطبيعة تلك اللحظة بالذات لتخفز شعورها أكثر..فتلقت مسامعها صوت عطسة أخرى.. جعلتها تنتفض مع فكرة أن يكون قد أصيب بوعكة صحية.....بسببها !!..

دقائق أخرى و كانت تقف أمامه بعد أن اغتسلت و غيرت ثيابها بأخرى مريحة أكثر..جالت أنظارها قليلاً فوق أطباق الأكل الذي أعده بنفسه بعد أن اتخذت مكانها.. و ارتفعت أنظارها إليه تحديق بتعايره الطبيعية جداً و هو يهم بالأكل..و يحثها برفع حاجبيه..لكن عينها تاهتا قليلاً بدلاً عن ذلك غير قادرة على تجاهل ما تجسده ملامحه من إرهاق خفي..

شعرت بتأنيب ضمير قوي فاق كل ما كانت تشعر به سابقاً..لكنها لم تستطع أمام نظراته التي عادت لتنصب نحوها بدهشة و كأنه يسألها أن تبدأ في الأكل..إلا أن تطرف بعينها و تطرق برأسها لتبدأ في الأكل تماثلاً لرغبته فقط..

لكنها عادت تنتفض و عطسة أخرى تخترق مسامعها..تلتها واحدة أخرى جعلتها تهمس فوراً بقلق ؛

_هل أنت.....بخير ؟!!!!

نظر لها لؤي باستغرابٍ قليلاً..ثم قال بكل بساطة و كأن شيئاً لم يكن ؛

_بخير !!

هل هو يتكلم بجدية بالفعل ؟! أم أنه يحاول التظاهر بأنه لا يشعر بشيءٍ لأجلها ! حاول أن يقف بعفوية ليبدأ في جميع الأطباق كما يفعل عادة..لكنها منعتة حينما قالت مبتلعة ريقها بتوتر و هي تقف بدلاً عنه ؛

_أنا..أنا سأفعل !

نظر لها لؤي باعتراض مردفاً ؛

_لكن.....

_رجاءً !!

لكنها عادت تقاطعه بنبرتها الخافتة القلقة..حينها لم يجد بدا من أن يعود ليستقر في مكانه باستسلام..بينما شرعت سجي برفع الأطباق و عينها عليه..لا تستوعب كمّ الشحوب الذي ما ينفك يلتهم ملامحه أكثر بعد كل لحظة !

اتجهت بعدها إلى المطبخ لتختفي هناكَ لعدة دقائق استغرقتها في غسل الأواني و ترتيبها في مكانها المحدد..بينما ظل لؤي يجلس مكانه ينظر في أثرها بشيءٍ من الدهشة..

قبل أن يقف متجهًا إلى إحدى المقاعد الوثيرة هناكَ في الهو ليجلس عليها..ينتظرها بهدوء بينما قلبه يختلج بشعور من الامتنان لتطوعها رغم كل شيء..

فقد كان رغم كل محاولاته للتمسك بثبات جسده..غير غافل عن الصداغ الذي ما انفك يتضاعف في رأسه منذ دقائق عديدة..

و ما إن خرجت بعد لحظاتٍ من المطبخ هامة بالتوجه نحو غرفتها كعادتها..سمعت صوته يهمس لها بعتابٍ خفي ؛

_هل ستركيني أجلس بمفردي اليوم أيضًا ؟!!!

فقط..كان هذا السؤال هو ما يلزمها فقط ليزيد من تحفيز إرادتها في الجلوس معه اليوم بالذات..فوجدت نفسها تتجمد للحظاتٍ في مكانها..

قبل أن تلتفت إليه لتقابل نظراته المستعطفة حيث كان لا يزال يجلس في نفس المكان..و لم تستطع أمامها إلا أن تعود أدراجها ناحيته مطرقة برأسها..إلى أن جلست فوق الأريكة بجانبه..بل على بعد مسافة سنتيمترات منه..

مطرقة برأسها بذات التوتر دون أن تلمح ابتسامته التي ازدادت اتساعًا..قبل أن يقف ليقول بحماسٍ رأته غريبًا ؛

_لحظة واحدة !

راقبته أنظارها بحذر إلى أن دلف للمطبخ..اختفى هناكَ لدقيقتين تقريبًا..قبل أن يخرج حاملاً بين يديه صينية صغيرة فوقها فنجانان من القهوة ربما..

وضعها فوق الطاولة بهدوء..ثم دار حولها ليجلس القرفصاء أمام خزانة صغيرة جانبية و يفتح أدراجها باحثًا بداخلها بين مجموعة من الأشرطة التي علمت أنها تخص الأفلام لا ريب..

سمعت صوته يقول بكل طبيعية بدون أن يلتفت إليها ؛

_كوميديا أو دراما ؟!!!

طرفت سجي بعينها بتشوشٍ و هي تنظر له كمن تنتظر بقية جملة ناقصة..فاستدار لؤي بنصفه العلوي نحوها دون أن يقف قائلاً ؛

_أنا أفضل الكوميديا..ماذا عنك أنتِ ؟!!!

أغمضت عينها للحظة و هي تشعر بتعب قوي يروح فوق كل حواسها..لكنها رغم ذلك
تحاملت على رغبته في أن تدلف لغرفتها فقط لتستلقي فوق سريرها و تعانق السكون..و همست
بصوتٍ خافتٍ مضطرب ؛
_أنا.....مثلك !

حركَ لؤي رأسه برضا و هو يغلق الدرج شارعًا في تشغيل الفيلم..إلى أن انتهى بالفعل و اقترب
منها ليعاود الجلوس بجانبها مع بداية عرض " الجينريك " الخاص به..
مرت دقائق طالت لم يكن يسمع فيها في كل أرجاء المنزل الواسع سوى صوت التلفاز أمامهما و
أحيانًا يقطعه صوت عطساته التي تعددت أكثر من المعتاد لتزيد من خوفها و قلقها الصامت..
كان طيلة الوقت مبتسمًا رغم أنه لم يكن يتابع الفيلم حقًا..بل كان يتابع ملامحها هي..يبحث
عن وسيلة إشباع لرغبته التي لا تنتهي في رؤية ابتسامتها مجددًا..و مجددًا..و مجددًا..
لكنها خيبت أمله بشدة و لم تبتسم أبدًا رغم محاولاتها لأن تنسجم مع كل مشهد !!
ظلت صامته و ساكنة فقط بشكل جعل حاجباه ينحنيان للأسفل أسفًا عليها..لكن هذه
المشاعر سرعان ما انقشعت تمامًا من ملامحه حينما لمح تلك الحركة الطفيفة برموشها التي أنبأته
بشعورها بالنعاس..

مجرد هذه الفكرة جعلته سعيدًا جدًّا..كونها نامت اليوم لساعاتٍ طالت بدون أيٍّ مسكن..و
ها هي تكاد أن تستسلم لسلطانها مجددًا بدون مسكناتٍ أيضًا..
عساها تتخلص من كوابيسها فقط..سيكون أسعد شخصٍ في الكون لو حدث هذا !
و بالفعل..دقائق أخرى معدودة و كان يهزمها النعاس..
و لم تشعر برأسها و هو يسقط كغصن منكسرٍ أمام حدقتيه اللتين تشبعتا حنًا..
كان رأسها منحني للأمام و قد بدت و كأنها غطت في النوم بالفعل بهذه الوضعية غير
المريحة..فاقترب منها قليلًا مناديًا بصوتٍ خافتٍ جدًّا ؛

_سجى ؟!!!!

و كما توقع لم يسمع منها أيَّ جواب..فما كان منه إلا أن مد يده برفق ليحاطب جانب وجهها
إلى أن رفع رأسها ينظر لملامحها التي سكنت تمامًا..
ابتسم بارتياح و هو يدقق النظر بها لوقتٍ..قبل أن يعدل من وضعية رأسها و يسنده لطرف
الأريكة..ثم وقف ليتجه لغرفته حيث أخرج غطاءً سميكًا دثرها به جيدًا..ثم انحنى قليلًا يجلس
القرفصاء أمامها يتأملها بلا هدف محدد..

حاول بعدها أن يتجاهل بكل أمانة رغبة داخلية اجتاحتته..فهرز رأسه في كل الاتجاهات و هو يقف مجددًا متخذًا نفس المكان بجانيها..لكنه عاد يحرق بها بتفكير متردد و عدم رضا..
و في النهاية وجد نفسه يرفع يده مسيرًا لا مخيرًا إلى أن أحاط كتفها برفق ليس إلا ليريح رأسها على كتفه..يشعر أن موضع راحتها يقبع هنا فقط..فوق كتفه..بين أحضانها التي تمنى أن يخفيها بها..أن يحتوي ذلك الجسد الضعيف بقوة أكبر..
لكنه كبح تلك الرغبة بقوة..و اكتفى بأن رفع الغطاء أكثر فوق جسدها ليحجب عنها برودة الجو..و شرعت أنامله في عزفها الرتيب فوق ذراعها بنعومة جعلتها تنسجم في النوم أكثر..
الشيء الوحيد الذي كان يعكر مزاجه في هذه اللحظة هو ذاك الصداق الذي ما لبث يكتسح رأسه أكثر..و جعل رأسه يميل إلى الوراء إلى أن أراحه فوق طرف الأريكة مُستمر في الترييت على كتفها بتفان..

ارتفع جانب شفتيه في ابتسامة باهتة مرهقة حينما مرَّ مشهد كوميدي في التلفاز الكبير أمامه..و قد كان ينتوي أن يسهر أكثر هنا..ليشبع من هذا السكون فقط الذي أحبه قبل أن يحملها لغرفتها بعدها..

و استهان بسلطان التعب و النوم الذي أخذ يسحبه نحوه تدريجيًا..مرة تلو الأخرى حاول أن يقاومه فيها..إلى أن وجد نفسه يسدل جفنيه بغير إرادة منه..مستسلمًا لذلك الارهاق الذي فتك بجسده..

و مع بزوغ فجر جديد..كانت عيناها تنفتحان فجأة.. لتدرك ببطء أنها نامت هنا..و في.....ما هذه الذراع المحاوطة بها ؟!! و هذا العطر !!..

انتفضت من مكانها بقوة بعد أن انتهت مهلة استيعابها لتنظر للوي الذي كان غارقًا مثلها في نوم عميق!..

ابتلعت ريقها بصعوبة و ارتجفت بشدة و هي تنقل أنظارها بين ملامحه..ثم ذراعه المحاوطة لها..و التي رفضت أن تتركها حتى أثناء نومه..فارتفعت يدها بتوتر لتمسك بيده تنتوي أن تتملص من هذا الأسر الذي لا يزال يبدو لها خانقًا رغمًا عنها..

لكن لمسة خاطفة ليده جعلت من حاجبها ينعقدان بقلقٍ مفاجئ..قبل أن تضم يدها الأخرى وتمسك بيده تلامسها بقلق تزايد..

كانت يده ساخنة لدرجة غير طبيعية..جعلتها تنظر لوجهه مجفلة قبل أن تنتقل يدها المرتعشة من يده إلى جبهته و وجنته..و شهقت بجزع و هي تهمس اسمه بأنفاسٍ لاهثة متهدجة ؛

_لؤي؟؟!!!!

كانت حرارة جبينه مرتفعة أكثر بمراتٍ من باقي جسده الذي كان كله ساخنًا..خوف مفاجئ
داهمها و هي تنتبه لذرعه التي سقطت أخيرًا من تلقاء نفسها من فوق كتفها..وقد تحققت رغبتها في

التملص منها !

قبل أن تهتف بذعر و دموعها تأخذ طريقها إلى وجنتها متزامنة مع أناملها التي حاوطت وجهه

تهزه بقوة ؛

_لؤي؟؟ لؤي استيقظ رجاءً!!...هل أنتَ بخير؟؟ لؤي!!!!!!..

" 27 ؛ صبوة "

#سجى

_لؤي..لؤي رجاء افتح عينيك..هل أنت بخير ؟!!! لؤي !!!
شعرتُ في هذه اللحظة بالذات و كأنما كل العالم أصبح ضيقًا..يكاد أن يطبق عليّ أكثر ليزيد
من شعور الاختناق الذي اكتسحني بضراوة و أنا أحرق من حولي في حيرة بهذه الوحدة التي اكتنفت
المنزل فجأة..

لم أكن خائفة فقط..لقد كانت مشاعري في تلك اللحظة أقوى من أن تصفها كلمات.. بقيتُ
هكذا أهزه بقوة محاولة قدر الإمكان جعله يستفيق و لو قليلًا..
إلى أن فتح عينيه بصعوبة شديدة ليمس لي من بين أنفاسه اللاهثة ؛
_لا...تخافي !! مجرد نزلة برد و.....و ستزول !!!

أغمضتُ عيناى بقوة في هذه اللحظة و انخرطت في نوبة بكاءٍ هستيري فجأة..إنه يحاول تهدئتي
حتى و هو في هذا الحال!!!
رباه...أيُّ قلبٍ يمتلكه هذا الإنسان ؟!!! بل أيُّ دو افع تلك التي تجعله لا يزال صامدًا معي حتى
الآن ؟!!!

حسنًا..هو ابن خالتي..و صديقي المقرب جدًا قبل أن يصبح.....زوجي !!!
لكن كل هذا لا يضطره لتحمل هذه الحياة المعتوهة معي..إنه...إنه يستحق الأفضل !!!
يستحق فتاة طبيعية خالية من كل هذه الإضطرابات التي أشركته بها معي..يستحق أن يحب
و يحب !

أن يحظى كأَيِّ شاب في مثل عمره و مكانته بحياة طبيعية..زوجة تنتظره كل يوم بعد العمل
لتخفّف عنه أعباءه..امرأة طاهرة لا مجرد فتاة ضاعت شخصيتها و شرفها في مهب الريح !!!
استطعتُ أن أتمالك نفسي أخيرًا فوقفت بسرعة و انحنيت عليه لأدفعه بصعوبة إلى أن
جعلته يستلقي فوق الأريكة..ثم أبعدت الغطاء جانبًا..
نظرتُ مجددًا للملامحه الشاحبة التي عادت تستكين..و عيناها اللتان انسدلتا قسرًا عنه و كأنه
ليس نفس الشخص الذي همس لي للتو.."إنها مجرد نزلة برد و ستزول !"

فلم أحاول إيقاظه هذه المرة و استدرتُ عنه بسرعة لأدخل للمطبخ أحاول فعل ما يفعله الجميع في مثل هذه الحالات..

ثم عدتُ إليه بعد لحظاتٍ لأضع الإناء الذي ملأته بالماء و بعض مكعبات الثلج التي زادت من برودته فوق الطاولة..بينما في يدي الأخرى كنت أمسكُ بمنديل قطني بللته جيداً بالماء البارد..
جلستُ القرفصاء بجانب الأريكة حيث يرقد لأبدأ في تمرير المنديل بأناملي المرتجفة فوق جبينه و وجنتيه و رقبتة..بينما هو ساكن لا يصدر منه إلّا صوت أنفاسه اللاهثة و أحياناً حينما تخرج على شكل تأوه خافتٍ جداً..
استمررتُ أكرّر حركتي هذه لوقتٍ طال كنت لا أكفُ فيه عن ذرف الدموع..حتى بعد أن خفتت درجة حرارته قليلاً أنا لم أستطع أن أتوقف لا عن حركتي تلك و لا عن البكاء بألم يعتصر قلبي كلما تذكرت أنني السبب..

ليتني فقط أصغيتُ له..ليتني لم ألح في رغبتى الغبية في الخروج و احترمت رأيه فقط..بل ليتني بقيت صامته و لم أطلب منه أي شيء..ليتني !!!
شعرتُ بعد ساعاتٍ بأن قدرتي على تحريك ذراعي تتلاشى تدريجياً..بينما فتكّ الارهاق بجسدي..و زاغت عيناى المتورمتين عن النظر..فأصبحت صورته تتراءى أمام عيناى مضطربة مهتزة..
حينها فقط كنتُ أتوقف عن تكرار حركتي تلك..فأنزلت يدي و أطرقت برأسي أسند وجهي المُغرق بالدموع إلى طرف الأريكة..و اثقة تماماً أن موعد استيقاظه لم يحن بعد..
فهو و إن خفتت حرارته لا يزال يحتاج للراحة بعد تعب الأمس..
بل بعد تعب كل الأيام الفائتة !!

هذه الفكرة فقط بعثت مشاعر اليأس إلى قلبي..و جعلت من يدي التي كانت قد ارتاحت فوق صدره بغير إدراكٍ مني تنغلق حول نفسها بشدة..تتمسكُ بقميصه بضعفٍ..
بقيتُ هكذا لوقتٍ طال لم أحسب عدده..أحدق بعينين فارغتين بشعاع الشمس المضيء الذي أخذ يتسلل من خلف النافذة بخجل..

و قد كان الجو هذا اليوم مختلفاً كلياً عن يوم الأمس..ذكرني بجملة همستها يوم الأمس..
" و كأنها لم تغرب إلّا لتخبرنا أنها عائدة حتماً ! "

بقيتُ هكذا أنظر في نفس المكان مستندة برأسي إلى طرف الأريكة..ثم همست أحدث جسده الساكن..بصوتٍ ميتٍ أنهكه البكاء..و نبرة مبسوطة فاقدة لكل مرادفات الأمل..

_سأفقد إيماني بهذه الجملة لو لم تستيقظ الآن يا لؤي..استيقظ الآن..رجاءً..رجاءً !!

وكم بدا ندائي مجدياً في تلك اللحظة !

فما هي إلا بضع ثوانٍ..حتى كنتُ أشعر بجسده يتململ من سكونه القبيح..و بيدٍ حنونة جداً

تغطي يدي المرتاحة فوق صدره..بينما أنفاسه الساخنة تخترق خصلات شعري..

و همسة متأوهة تتسلل إلى مسامعي لتعاود زرع بذور الحياة بقلبي ؛

" سجي ؟!!!! "

شعرتُ في هذه اللحظة أنني أمتلكُ الاسم الأجل في كل العالم..و رفعت رأسي أنظر له بلهفة

بينما هو ينظر لي بعينيه الشبه مفتوحتين..

لم أشعر بنفسي و أنا أرتفع قليلاً إلى أن أصبحت أجلس في طرف الأريكة هاتفة بصوتٍ هامس

مرتجف بينما أحاط وجهه بيدي بقوة ؛

_هل...هل أنت بخير ؟!! كيف تشعر الآن ؟!!!!

لاحقت عيناك تلك الابتسامة المهتزة التي ارتسمت بوهن فوق شفتيه..ثم همس يومئ لي

بصوته الخافت المرهق..الإجابة التي توقعتها تماماً !

_بأفضل حال..اطمئني !!

حركتُ رأسي بالنفي بقوة و قلت بحرارة و أنا أشدد من ضغط يداي حول وجهه الشاحب دون

أن أشعر ؛

_أسفة..أسفة..كله بسببي !! لم يكن عليّ أن ألح عليك في السماح لي بالخروج..لو أصغيت لك

منذ البداية لما حدث كل هذا أساساً..أسفة !!!

رأيتُ ابتسامته و هي تزداد اتساعاً بحنان ممتزج ببعض الأسى..بينما ارتفعت يده هو هذه

المرّة لتلمس دمعة وحيدة فوق وجنتي..

ثم همس ينظر لي بحزن بالفعل ؛

_بل أنا الأسف..أنا أسف بشدة !!

أسف ؟! هل هو من يعتذر !!!

طرفتُ بعيناك بحيرة و أنا أنظر له بعدم فهم للحظاتٍ..لكنه لم يضيف كلمة بعد جملته

تلك..فهمست أسأله بغير تركيز ؛

_على...ماذا ؟!!!!

تضاعفت الحيرة و الدهشة في عيناك و أنا أرى ابتسامته تبهت تماماً..بينما طاف صمت طويل

بيننا اكتفينا فيه بتبادل النظرات ما بين دهشة مني و حزن لمحتة في جوف عينيه..

بدا وكأن كل العالم قد اختفى من حولنا في هذه اللحظة..لأبقى أنا و هو فقط..و ابتسامته الحزينة..و أنامله التي انحرفت عن تلك الدمعة لتلامس غمازة خدي مدغدغة إياي بمشاعر غريبة..

و همس بصوتٍ ذائب في الحسرة..و الألم !!

_أسف لأنني...وعدتك أن لا أجعلك تذرّفين الدموع بعد إلا فرحاً..و أخلفت !

أغمضت عيناى بقوة في هذه اللحظة..و ابتلعت ريتي أقاوم شعوراً انتابني فجأة ب...بالإغماء

!!!!

ربما يبدو الوضع غريباً لكنني تمنيتُ ذلك فعلاً..تمنيته بشدة لأهرب فقط من هذه الدوامة

الكاسحة التي تلتفّ بي..

هل يجب عليه أن يكون مثاليًا لهذا الحد ؟!! في كل الأمور !! ألم يتذوق طعم الفشل في أيّ

علاقة في حياته من قبل ؟!!

كيف يستطيع أن يكون ابن خالتي و صديقي و أخي و طبيبي النفسي و.....و زوجي ؟!!!! في

نفس الوقت !! كيف ؟!!!!

_هل أطلب منك شيئاً ما و تفعليه لأجلي ؟

سمعتُ هذا السؤال الذي خرج منه بنبرة مترددة..فعدت لأفتح عيناى ناظرة له بملامح لا

تعبير معين فيها..و شعرت في هذه اللحظة بالذات...بأنني مستعدة لفعل أيّ شيء..أيّ شيء في العالم

-لأجله..-

فما كان مني إلا أن أومأت له ببطء متجاهلة ذلك القلق الداخلي الذي اكتسحني من أن يكون

طلبه أصعب من مقدرتي !!..

لكنه حينما تكلم همس ينظر في عيناى تمامًا..بصوتٍ مبجوح يتخلله تردد أكبر ؛

_أريد أن أصطحبك معي إلى مكان ما..

لوهلة كنتُ سأفتح في لأقول لا تلقائيًا..و كدت أن أحرك رأسي بالنفي لكنني عدت و

تراجعت و أنا أتذكر شيئاً ما..

أنه مثلي تمامًا لم يخرج لمرة واحدة منذ أن حدث ما حدث !!

فأطبقتُ في أنقل أنظاري بين عينيهِ الحزنتين..المستعطفتين..و ساد بعض الصمت

الجديد بيننا..لم أشعر بنفسى بعده إلا و أنا أحرك رأسي بالإيجاب متحاملة على ذلك الصوت الذي

يهتف بي داخليًا..أن أرفض..

أن أنصاع لرغبتى مجددًا و أكتفى بالإختباء فقط عن كل الكون الخارجي..لأبقى في هذا المنزل فقط..حيث يقبع كل الأمان بعيدًا عن شرور العالم !!
نظرتُ لابتسامته التي اتسعت ممتزجة بكل مشاعر السعادة و الامتنان..و كأنما هو من يحتاج للخروج..لكن الحقيقة هي العكس..أنه يفعل كل شيءٍ لأجلي..لأجلي فقط !!
و من الفراغ..لأول مرة منذ لا أدري كم من الوقت..وجدت ابتسامة هادئة جدًا..تكاد أن لا تسمى ابتسامة لشدة هدوئها..تحتل شفتي..
ابتسامة منحها له هو فقط قبل أن أمنحها لنفسي..
و شعرتُ لأول مرة بمعنى تلك الكلمة التي همسها في أذني قبل فترة..شعرت أنني على قيد الحياة !! رغم كل شيء..و بعد كل شيء..أنا لا أزال على قيد الحياة !!

#الكاتبة

كانت تقف في مكانها المخصّص خلف منضدة البيع..مستندة بمرفقيها إلى سطحها الزجاجي بينما عيناها ساهمتان في البعيد..هادئة كما العادة..شاردة تمامًا..عقلها لا يزال على إلحاحه المُستفز في إرسال صورته..و صورته فقط..
المكان أيضًا كان هادئًا جدًا..رغم شعورها بالغربة من كل شيءٍ و هي تجد نفسها تنتقل بين ليلة و ضحاها من تلك الفتاة الخجولة الإنطوائية بشكل مبالغ به إلى أخرى مضطرة لأن تتعامل مع كافة أصناف الناس في المجتمع..إلا أنه راق لها بشدة !
هي تعلم أنها جبانة لحدٍ ميؤوس منه..و هذا ما يجعل قابليتها للعمل في أيِّ مكانٍ آخر شبه معدومة..على الأقل هي هنا تمضي أغلب الأوقات بمفردها بعد أن شرحت لها صاحبة المكتبة التي تعيش في المنزل الملاصق لها كل ما عليها فعله..
و غالبًا كل الأشخاص الذين يأتون إلى هنا تجدهم من ذوي العقول الهادئة و المثقفة..الذين لا يطيلون في الكلام و يتأقلمون تمامًا مع شخصيتها..
تيقظت من شرورها فجأة و هي ترفع أنظارها تتجول بها حولها..تحقق بتلك الرفوف التي ترتبت فوقها مجموعة من الكتب بعناية..
قبل أن تقترب منها مأخوذة لتبدأ رحلتها في ترتيب بعض الكتب في مكانها المخصّص لها..لكنها توقفت فجأة حينما لفت انتباهها كتاب معين..كان كتاب -تاريخ-..و مجددًا وجدت عقلها يعود لذلك اليوم !!

حينما توقفت ذات صباح أمام باب غرفته ترأى به بعشقي جارف استكان بعينها منذ
زمن..بسعادة ظللها خوف فطري و قلق غير طبيعي..
إلى أن خطى خطوته الأولى.

نعم..كانت الخطوة الأولى..نحو الشفاء...و نحو الوداع !!!
ستكذب لو قالت أنها ندمت على أي لحظة مرت بينهما..سواءً في بداية زواجهما الكارثية...أو
نهايته !

كل تلك المواقف أصبحت تترأى في عقلها على شكل ذكريات جميلة ستعيش عليها ما تبقى
من حياتها..هذا لو كانت أهلاً للتسمية بـحياة- !!

أغمضت عينها تلقائياً و عقلها يستعيد كل لحظاتها..كل تلك التفاصيل الصغيرة و الكبيرة
التي صنعت عالمها الجديد..من كلماته الحانية أحياناً و الصارمة في أحيانٍ أخرى..
نظراته لها..دفاعه عنها..جلوسه كل يوم خلف نافذة غرفته لمراقبتها فقط..ابتسامته
الغالية..لمساته المألوفة جداً..أنامله التي اعتادت دفئها في كل مرة تخلل أناملها بها..
تلميحاته الوقحة..نبرة صوته الرخيمة..صورها في الحديقة..صورتها التي تحتل خلفية
هاتفه..احتضانه لها في كل ليلة..قلقه الشديد عليها..و غيرته الأشد !!..
ليلتهما الأولى..و الأخيرة ! تلك التي ستحمل معها ذكرياتها إلى الأبد !!!
و الأهم من كل ذلك..

كان ذلك الحب الذي قرأت مراراً..سطوراً منه بداخل حذقيته !!
_عفواً يا آنسة !

فتحت عينها مجفلة فجأة على هذا الصوت الرجولي الهادئ جداً الذي صدح من
ورائها..فرفعت يدها تربت بها فوق موضع قلبها لعلها تهدأ من خفقاته بعد هذا الطوفان الجبار من
الذكريات الذي أحاط بها..

قبل أن تبتلع ريقها و تلتفت لتتنظر لذلك الشاب الذي توقف ورائها ينظر لها بحاجبين
منعدين حيرة..لكن تلك العقدة سرعان ما انفكت و هو يقابل ملامحها الشبيهة ب...أميرات العصر
القديم !

مهلاً..لا يبدو هذا الوصف دقيقاً جداً !

انحدرت أنظاره لتلاحق ضفيرتها الطويلة المريحة فوق كتفٍ واحد بعينين منبهرتين..ثم عاد
يرفع أنظاره نحوها..ملامحها الهادئة في حزنها تذكره ببطلة إحدى الروايات التي يحب قرائتها..

إنها لا تمثل الأميرة حتمًا.. بل تلك الفتاة الفقيرة التي تكون نداءً لها في كل قصة.. لتفتح

مجرياتها فجأة و تختطف قلب الأمير أجمل اختطاف !!

اتسعت ابتسامته اللطيفة مع هذه الفكرة.. بينما ارتبكت شهد بشدة.. و تسارعت أنفاسها

المتسارعة أساسًا لترسل لها صورة واحدة.. و فكرة واحدة..

أن هذه النظرات و إن لم يكن باطنها سيئًا لن تروق لهادي أبدًا.. هي لا تزال تتذكر عبارته

الأخيرة التي همسها في أذنها.. قال حرفيًا..

" اعتني بنفسك "

لم تكن تلك العبارة بسيطة أبدًا.. لقد كان معناها أقوى من ظاهرها.. و هي.. هي لا تستطيع بعد

كل هذا أن لا تعتني بنفسها.. لأجلها.. و لأجله !!

و فجأة بلا سابق إنذار كانت ترفع رأسها لترسم فوق ملامحها تعابيرًا مقتضبة رغم كل التوتر

الذي لا يزال ينتابها داخليًا.. و قالت تحاول تمثيل الرسمية بفشل ؛

_أنا... تحت أمرك سيدي !!

حرك الشاب رأسه في حركة بلا معنى.. رغم أن نظراته كانت أكثر نقاءً من كل فكرة اتجه لها

عقل شهد و هو يشير بأصبعه لأحد الكتب قائلاً بهدوء ؛

_اممم.. أنا كنت أريد هذا الكتاب.. هل تسمحين لي بأخذه ؟!!!

زم شفثيه قليلاً و هو يرى الإرتباك الذي هو ميزتها الأساسية على ما يبدو يعاود احتلالها.. ثم

أومأت هامسة قبل أن تعود لمكانها ؛

_بالطبع.. تفضل..

وقفت بعدها مكانها تحاول ضبط أنفاسها التي تشعر بها تكاد تختنق بداخلها.. يا إلهي.. إنها

تشكّ بالفعل أنها ستستطيع الصمود أكثر على هذا الحال...

إنها..... إنها لا تحب كل أصناف الرجال.. إلّا هادي !!.. لقد اكتشفت ذلك الآن فقط !

لقد كانت تصاحبها هذه الحالة من قبل خلال سنوات حياتها التي أمضتها في الملجأ.. كلما

اقترب منها أي ذكر هي كانت تستنكر الأمر و تبتعد بما يشبه الهلع..

لطالما كانت فتاة انطوائية بشدة و قد أرجحت مشاعرها تلك لهذه الحقيقة.. لكن إن كانت

تلك حقيقة بالفعل فلما لا تصاحبها مع هادي ؟!!! لما لا تخاف منه ؟! و تهرب منه هو الآخر ؟!!!

أليس الجواب واضحًا ؟ إنه هادي !!

على العكس تمامًا هي تتمنى في هذه اللحظة لو تحتمي به..لو تقترب منه لتندسّ في صدره و
ليفهم الجميع أنها تخصّه فقط !!

ذلك الشخص أيّ كان من يكون لا يحقّ له بالنظر لها بذلك الشكل..لا يحقّ له أبدًا !!!..
انتهت له فجأة و هو يمسكُ بأحد الكتب ليقترب من الباب يهم بالخروج دون دفع
ثمّنه..فاتسعت عيناها قليلًا و انعقد حاجباها و هي تنظر له بعدم فهم..و ما كاد يخرج حتى وجدت
نفسها تنادي فجأة بسرعة ؛

_عفوًا !!!

طرف بعينه قليلًا بحيرة..ثم التفت إليها ينظر لها بحاجبٍ مرتفع تسائلًا..فأشاحت شهد
بعينها عنه متعمدة..و قالت بلامح شبه عابسة رغم صوتها الخافت ؛
_أنت لم...تدفع ثمن....الكتاب !
ظلت هكذا مشيخة بأنظارها عنه دون أن تلمح حاجبيه اللذين ارتفعا بدهشة حقيقية..قبل
أن يقترب من المنضدة ليقف في طرفها المقابل قائلًا بوجه شبه ممتنع ؛
_عفوًا منك أنتِ..ألا تعلمين من أنا ؟!!!

صمتت شهد للحظات..اضطرت بعدها لأن تعيد أنظارها إليه دون أن تنظر في عينيه
تمامًا..فزفر بقوة و هو يفتح فمه أخيرًا ليجيب الحيرة في ملامحها ؛
_أنا أمجد..أخ رجوى الصغير..ألم تخبركِ عني ؟!
كان واثقًا من نفسه جدًّا و هو يعرف بنفسه..بشكل جعل من وجهه شهد يشحب تمامًا..في
نفس الوقت الذي امتلأت عيناها بالإحراج..ثم قالت بعد لحظات بتعلثم في محاولة لتدارك الموقف ؛
_لقد..لقد أخبرتني في الحقيقة..لكنني توقعته أن يكون أصغر منك..أنا...آسفة !!

ابتسم أمجد بهدوء و هو يقول يزيد من رفع حاجبه المرتفع أساسًا ؛
_لا بأس..قد تحدث هذه الأمور أحيانًا يا.....
صمتت ينتظر أن تتم عنه باقي الجملة و تقول اسمها..لكن شهد لم تقل كلمة..فقد عادت
تشيح بأنظارها بتحفظٍ..و همست بعد لحظات بنبرة واجمة فاترة ؛
_شكرًا لك !

هذا فقط..ثم صمتت بينما هز الآخر رأسه بإدراكٍ بطيء..قبل أن يزفر باستسلام ليقول
ببساطة و هو يهم بالمغادرة ؛
_العفو..

خرج بعدها بهدوء..بينما طرحت شهد أنفاسها بإرهاقٍ و هي تنظر حولها غير راضية أبدًا لما آلت إليه حياتها..إلى أن جذب انتباهها رؤية السيدة رجوى متوقفة على بعد خطواتٍ معدودة من الباب..

لكن ليس هذا ما أثار انتباهها..بل ذلك الرجل الذي لم تلمح منه إلا ظهره الذي كان في مقابلها..لكنها شعرت رغم ذلك بأنه مألوف..نوعًا ما !
عقدت حاجبها قليلًا و هي تنظر لها بفضول لم يكن يومًا سمته..تريد أن تكتشف أصل شعورها ذاك..لكنها لم تستطع رؤية وجهه..فقد التفت بعد لحظة واحدة ليمضي في طريقه..
ظلت تنظر في نفس المكان للحظاتٍ أخرى..قبل أن تسمع صوت رجوى التي قالت بعفوية فور دخولها إلى المكتبة ؛
_ مساء الخير !

كانت هناك ابتسامة لطيفة على ملامح رجوى..تلك الابتسامة التي لا تفارقها أبدًا.. فتدبرت شهد ابتسامة مشابهة و هي تجيب تحيتها..قبل أن تقترب رجوى أكثر لتدور حول المنضدة مردفة
بنفس اللطف ؛

_اممم..لا بأس بهذا اليوم..تستطيعين الذهاب لترتاحي قليلًا..
تلاأت ابتسامة شهد أكثر و هي تومئ برأسها..قبل أن تمسك بحقيبتها و تتجه إلى الباب بصمتٍ..لكن رجوى التي تتبعت حركتها بتوتر أوقفها حينما همست فجأة ؛
_ لحظة !

تصنمت شهد مكانها تمامًا و كل الخيارات السلبية تطرأ على عقلها الغبي حول استوقافها لها بهذه الطريقة..و أسوء خيار كان أن يكون أخاها السمج قال لها أي شيء عنها!
لكنها لم تلبث أن التفتت نحوها لتهمس باستسلام ؛
_نعم ؟!!!

اقتربت منها رجوى تلقائيًا..فانخفضت أنظار شهد لتنظر لذلك الظرف الذي فردت يدها به نحوها بحيرة..إلى أن قالت رجوى بكل لطف ؛
_خذي !!

رفعت شهد عينيها إليها سائلة بعدم فهم ؛

_ما.....هذا ؟!!

و كان ردُّ رجوى في منتهى البساطة و هي تردف ؛

_ هذا مبلغ مالي لك خصيصًا..لقد راق لي عملك لهذا قرّرت أن أقوم بتسبيق القليل من أجرك

الشهري كعربون ترحيب بك بيننا !!

كان عذرهما سخيًّا جدًّا..بدا لشهد أكثر من مبتذل..فمن سيدفع لموظف لديه مقدّمًا ماليًا

من أجره الشهري..و منذ أول يوم له في العمل ! إلا إذا حصل على توصية ما !

و الإحتمال الثاني أن تكون هذه -الرجوى- ملاك..و هذا الإحتمال منفيّ بالطبع!

تبقى الإحتمال الأول إذا..و هو أن تكون أمل تدخلت في الأمر و سردت لها بعض من

ظروفها..و هذا يبدو منطقيًّا نوعًا ما..

تردّدت كثيرًا..و تلكأت عيناها بين وجهها و بين الظرف و هي تفكر برفضه..لكنها عادت لتراجع

و هي تتذكر بأنها أعادت كل المال للسائق..

أي أنها بقيت بلا فلسٍ واحد الآن..

و ربما غدًا ستموت من الجوع لو استمرت في تمسكها بكبرياءٍ لن يفيدها أبدًا !

عند هذه الفكرة..وجدت نفسها ترفع يدها بتردد..لكنها رغم ذلك لم تأخذ الظرف..تركها

هناك ممتدة في الهواء محتارة ما بين حاجتها للمال..و رغبتها في الرفض..

لكن رجوى قطعت عليها كل أفكارها هذه..و جردتها من حرية الاختيار و هي تمسك بيدها

فجأة بقوة لتضع الظرف بداخلها و تقول بجدية ؛

_يجب أن تدري بأنني لا أتمنن عليك..هذا حقك الطبيعي..و أنا كنت سأفعل نفس الشيء مع

أيّ موظفة أخرى مكانك..مفهوم ؟!!!

قالت آخر كلمة تنظر لها ببعض الصرامة..فأومأت شهد بغير اقتناع تام و هي تغلق يدها

حول الظرف..ثم همست بامتنان حزين ؛

_و مع ذلك فأنا...أشكرُكِ بشدة !

ربتت رجوى على يدها و هي تمنحها ابتسامة جميلة دون أن تجيبها بكلام..فبادلتها شهد

الابتسامة بتردد..

قبل أن تلتفت لتكمل طريقها نحو الباب بصمتٍ..لا تزال تنظر للظرف بشفتين فاغرتين..و

عينين متسعيتين..تفكر أنها و لأول مرة تجني مالا بتعها هي !!

و لو رمقت رجوى بنظرة أخرى كانت ستدركُ أن الموضوع لا علاقة له بتعها..و لا بعملها هنا

أساسًا !

رجوى التي اومأت بتفهم لذلك الرجل الذي كان متوقعًا في الجهة المعاكسة من الطريق..كان نفسه الذي توقفت معه قبل قليل لتستمع إلى طلبه الغريب و تلييه برضا حينما علمت أن دافعه خير..

تمهدت بقوة و هي تعود لتباشر بالعمل..في نفس الوقت الذي يقترب فيه الآخر من سيارته الفارهة..أو بالأحرى السيارة التي يشتغل عند صاحبها كمجرد سائق..
أخرج هاتفه بعدها ليطلب رقمًا ما..و ما إن أتاه الصوت الخشن من الجهة الأخرى يسأل ؛
هل أتممت الأمر ؟!!!

قال بكل أدب ؛

_نعم سيدي..لقد أعطيتها المال و راقبتها إلى أن أعطته للأنسة شهد..

جاءه الصوت -الحاد- من الجهة الأخرى هادئًا ؛

_جيد..

ثم صمت للحظة و عاد يكمل ببعض الحدة ؛

_لا تنسى ما أمرتك بفعله..إذا سألتك أُمي ستقول حرفيًا بأنها أخذت المال..ضع في عقلك أنني

لو علمت بالصدفة بأنك أخبرت أُمي بأي شيء ف.....

_لن أخبرها يا سيدي..اطمئن !

قاطعه السائق بسرعة خوفًا من سماع باقي الجملة..قبل أن يغلق الخط ليزفر بقوة و ينطلق

بالسيارة بعيدًا عن هذا الحي الذي أصبح يعرفه..

فهو يتنقل هنا تقريبًا منذ أقل شهد إلى منزلها القريب قبل يومين..

و حينما شعر بنفسه مترددًا من أن يعيد الشيك إلى السيدة عفاف بعد أن أمرته بإعطاءه

لشهد..كان خياره المثالي هو أن يعيده لسيده الذي هو أساسًا يشتغل لديه..

السيد هادي أكرم الشاذلي !

#هادي

حركة مقصودة..أن تختار السائق الخاص بي بالضبط لتأمره بأخذ شهد إلى منزلها

الجديد..كانت أكثر حركة دينئة فعلتها !!..

ببساطة كان المغزى منها أن توضح لنا بأنها لم تعد تحمل همّ هذه العلاقة التي دمرت كل

جماليتها بمجرد ورقة !!

لقد ضربت ضربتها الأقوى و فرقت بيننا بوثاق رسمي..

ماذا قد يشغل بالها بعد ؟!!

و من قد يعرف السيدة عفاف أكثر مني ؟!!..

أنزلتُ هاتفِي بعد أن أنهيت هذه المكالمة البائسة التي لم تزدني سوى قهراً فوق ما أشعر به.. رغم أنني تمنيت لو أراها بشدة.. حتى ولو من البعيد.. إلا أنني لم أستطع.. لأنني ببساطة لا أثق بمشاعري..

و أنا أكثر من أعلم أنني لو حدث و رأيتها.. فلن أستطيع أن أكتفي بمراقبتها من البعيد فقط ! فكرة أنها لم تعد لي.. أنها تعيش في مكانٍ آخر.. في منزل منعزل.. بمفردها.. كان وقعها في منتهى القسوة على قلبي..

أتخيلها و هي مستلقية لوحدها في سرير بارد.. تضم مخدتها لتحقق في السراب بفراغ.. لتبذلها بدموعها التي لطالما استشعرتها في الكثير من المرات تبذل قميصي.. و أناملها الرقيقة تكاد أن تنغرس بقماشها متمنية مثلي لو يتغير الزمان.. لو تحدث معجزة كونية.. و نلتقي !!!

كنت أقف مستنداً بيدي إلى حافة هذا "اليخت".. بينما الأخرى كنت أسندها إلى ذلك العكاز.. فأنا حتى الآن لا أزال عاجزاً عن استعمال قدمي بأريحية.. أراقب حركة البحر الذي بدا في منتهى الهدوء اليوم.. كما لو أن كل العالم تواطء مع ليشاركني هذا الصمت الذي امتلأت حياتي به.. لطالما اعتدتُ في الماضي أن ألجأ إلى هذا المكان.. أحياناً بمفردي و أحياناً مع سجي و لؤي... حسناً.. كان الأجدر بي أن أقول مع أخي و -زوجة- أخي !! لم أشعر بنفسي و أنا أرسم تلك الابتسامة الساخرة فوق محياي.. كم هو غريب هذا القدر !! و غرابته تكمن في أحكامه القاسية على كل ذوي البشر..

من كان يتخيل أن يأتي اليوم الذي تتزوج فيه سجي من لؤي ؟!!!! بل من كان يظن أنني قد أجتمع يوماً ما بشهد تحت سقفٍ واحد.. كزوجين !!

أنا لا أتذكر إلا ذلك الطفل بملامحه الكئيبة بعد أن تم أمره بكل قسوة بالإبتعاد عن حياته.. لقد كان الأمر على هذا النحو بالفعل.. أن أتخلى عن حياتي !!! أنا أراهن نفسي على أنهما لمحا ذلك الإنطفاء الغريب الذي غزا ملامحي بعد ذلك اليوم.. لكن أحدهما لم يهتم.. فسمعة العائلة و ثروتها أهم بالطبع !!

الآن حينما أتذكر ذلك الخنوع الذي اتخذته رقيقاً لي حينما تم أمري بتركها.. لا أشعر سوى
بالخزي من نفسي !!

كيف ؟!! كيف استطعت ؟!! بل كيف طاوعني قلبي حينها لأتركها في منتصف الطريق.. ثم
اختفي فجأة بعد أن جعلتها تعتادني !!

لكن أكثر ما كان يحز في نفسي و يؤلمني حين تذكره هو ملامحها ذلك اليوم.. ذلك اليوم الذي
التقيت بها فيه لأول مرة بعد سنواتٍ طويلة.. الذي تقابلت فيه شهد الشابة بهادي الآخر..

نذل !!! هذه هي الكلمة الوحيدة التي أستطيع وصف تصرفي بها ذلك اليوم !

في ذلك اليوم كنت قد أتيت بناءً على طلب أمي.. حينما اتصلت بي فجأة في المساء لتخبرني بأن
سيارتها قد تعطلت و هي لا تستطيع الإتصال بلؤي و شهاب لأن كلاهما داخل اجتماع مهم في
الشركة.. و السائق الخاص بها ذهب ليصلح السيارة و هي بالطبع لن تقوى على انتظاره..
فما كان مني إلا أن انصعبتُ لها تماماً.. و أتيت على مضض متحاملاً على تلك الرعشة
الداخلية التي استفحلتي عقب تذكر أنني قد ألتقيها... مجدداً !!!

إلى أن توقفتُ أمام دار الأيتام و خرجت من سيارتي مستنداً إليها أنتظر خروج السيدة عفاف
بفخامة مكانتها.. لكنهما لم تخرج فوراً.. و بقيت أنا مكاني أنتظرها لساعاتٍ و ساعات.. مصمماً على أن لا
أتقدم خطوة واحدة إلى الداخل خوفاً من رؤيتها !!

و حينما طال بي الإنتظار.. قرّرت أن أدخل... و ليتني لم أفعل !!

دلقتُ و أنا أدعو الله بشدة بأن لا ألتقيها فأنا لن أحتمل.. لن أحتمل مواجهتها و لستُ حمل
تلك النار التي قد تندلع حارقة بقلبي حارقة كل ذرة قوة تباهيت بها يوماً !!!..

لكنني و لجمال حظي الممهر... صادفتها !!

في أول خطوة تقدمتها نحو الداخل.. رأيتهما من البعيد و هي تقف مطرقة برأسها أمام إحدى
المشرفات على ما أظن..

و هي رأتني.. رأتني مع أول إيماءة أومأتها بانصياع لتلك المشرفة الغبية التي كانت توبخها على
ما يبدو.. رأتني من البعيد..

كانت المسافة بيننا تبدو طويلة جداً.. بطول كل تلك الليالي التي أمضيها بدونها أبكي قدرتي
الظالم.. و رغم أنها كانت المرة الأولى التي أقابلها فيها بعد سنوات.. إلا أنني لم أكن لأخفق في التعرف
عليها أبداً..

فمن قد لا يميز روحه إذا ما تجسّدت أمامه على شكل صورة في منتهى الجمال و الرقة و
الهشاشة ؟!!!!..

كانت لحظة بطيئة.. شعرت فيها بأن الزمان توقف من حولنا.. اختفت كل الأصوات.. و
أصبحت كل الصور ضبابية.. و ماتت أنفاسي مع أول خطوة رأيته توشكُ على أن تتقدمها نحوي
بلهفة عفوية تمامًا..

لكنها عادت لتتسمر مكانها بإدراكٍ جديد.. أن هادي الذي توقف أمامها ذلك اليوم ليس نفسه
صديقها الصغير البشوش.. و أنا لم أحاول الإقتراب منها أساسًا..

بل تجمدتُ مكاني أهدق فيها بفراغ.. بطريقة جعلتها تتراجع خطوة متخاذلة نحو الورا بدل أن
تتقدمها نحوي.. و كم أمتني تلك الحركة في ذلك اليوم !!

قبل أن أرفع يدي لأتخلل خصلات شعري القصير نسبيًا أحاول ترتيبها عبثًا.. ثم أمسكتُ
بنظارتي الشمسية التي كانت معلقة في جيب معطفي الغالي ذلك اليوم لأحجب بها عيناى ببرود أجدت
تمثيله بإتقان..

و أتقدم تحت ترحيب كل من يراني باتجاه مكتب أُمى.. دون أن أكلف نفسي عناء منحها نظرة
أخرى حتى..

كانت رسالة صامته فحواها.. الإبتعاد فقط.. كنت أطلب منها الإبتعاد بصمتٍ !
و كم كنت من الغباء بحيث لم أميز تلك الالهفة في عينيها في ذلك اليوم.. كانت لهفة
عاشقة.. عاشقة صغيرة أنهكها الفراق.. و حطّم كل حصونها العشق !!!
و لسخرية القدر فقد تفاجئتُ ما إن دلفت لمكتب أُمى الفارغ ذلك اليوم برسالة مختصرة
تخبرني فيها بأن السائق تمكن من حل المشكلة بسرعة.. و أن أغير طريقي و لا ألتحق بها لأقلها !!

" 28 :رسالة "

#الكاتبة

توقفت أمام المرأة..تنظر بعينيها الجاحظتين إلى هذا الفستان الذي التفّ حول جسدها
النحيف بسحر خاص..و لأول مرة تشعر بأنها نحفت بشدة..
أول مرة تتراءى لها صورة سجي القديمة بنظراتها الوثيقة..
كذلك اليوم الذي راقبت-هُ- عيناها إلى أن غادر لتقترب من المرأة و تضي على شكلها الساحر
أساساً لمسات خاصة زادت من سحره..

كانت أول مرة ترتدي فيها فستاناً بعد فترة اعتكفت فيها جميع ألوان الظلام..
امتدت أناملها المرتجفة لتلتقط أحمر الشفاه بتردد..و تساءلت..هل ستستطيع ؟!!!! أن
تستعيد و لو القليل من سجي القديمة..و لما لن تستطيع ؟!!!..
لقد كانت معتادة في الماضي على الاهتمام بكل تفاصيلها بعناية..
هي...تستطيع حتماً !

لأنها لا تزال على قيد الحياة..لأن زوجها هو لؤي..و لؤي يستحق أن يحظى بزوجة.....جميلة
!!!

كانت أفكارها غاية في الجنون و التناقض..أدركت ذلك لكنها رغم ذلك أغلقت يدها الممتشجة
حول أحمر الشفاه لتثبتته بين إبهامها و سبابتها..

قبل أن ترفعها بقوة لتبدأ في خط شفتيها بلونه الوردي الخفيف..هذا اللون الذي كان
المفضل لديها دائماً...فهي لم تحب يوماً الهرجة المبالغ بها رغم حبها لكل أنواع مساحيق التجميل !
كانت لا تزال تنظر إلى انعكاسها بعينيها المتسعيتين قليلاً..و ما إن انتهت..حتى كانت تعيده إلى
مكانه..و شعرت بالانتصار و هي تنظر إلى وجهها..

لكنها لم تكتفي حتى هذا القدر فقد أطرقت تتجول بعينيها حول كل مساحيق التجميل
بتصميم مخيف..لتختار الأنسب بينها مضمية إلى وجهها الشاحب بعض ألوان الأمل..
استمرت رحلتها الغريبة هذه لدقائق إلى أن انتهت..

و حينها فقط كانت تنزل يديها و تزم شفتيها قليلاً متأملة شكلها بعينين غريبتين..تشعر
بأنفاسها التي كانت تغادر رئتيها مجهدة متلاحقة كمن كان يبذل مجهوداً جسدياً قوياً بالفعل..

كانت النتيجة مرضية نوعاً ما..و قد بدت في هذه اللحظة تشبه سجي القديمة نسبياً..كما
أرادت تماماً..

لكن ذلك الضعف و نظرة الانكسار بعينيها لم تزل..وتشكُّ أنها قد تزول يوماً !!
طرفت برموشها المرتجفة ببطءٍ و هي تمد يدها لتمسك بفرشاة الشعر لتبدأ في تمريرها بين
خصلات شعرها الحريري..ورغم تلك اللمعة الفطرية التي لطالما كانت تمتزج بخصلاته إلا أنه بدا لها
ميتاً مثلها..

لونه الكستنائي الجذاب بالفطرة بدا باهتاً...بشدة !!
انتفضت فجأة على صوتٍ طرقي خافتٍ فوق الباب..فابتلعت ريقها و هي تلقي بالفرشاة من
يدها فجأة ناظرة للباب المغلق بتوتر..
قبل أن يصلها صوت لؤي هادئاً ؛
_سجي..هل أستطيع الدخول ؟!!!
ارتبكت بشدة و هي تهمس بصوتٍ لا يكاد يسمع ؛
_تد..تفضل !

راقبت عيناها الباب و هو يندفع ببطءٍ..لكن و قبل أن تلتقي عيناها بعينه كانت تلتفت
بسرعة لتلتقط بعض المناديل الورقية و ترفعها إلى وجهها ثم بأن تمسح هذه المهزلة التي وضعها
عليه..

لكن يدها توقفت في الهواء بأمر من لؤي الذي قال يمنعها فجأة بلهفة ؛
_توقفي !!

خفق قلبها بقوة عند هذه اللحظة..و لم تستطع أمام كلمته إلا أن تخفض يدها
باستسلام..لكنها رغم ذلك ظلت و اقفة مكانها بدون أن تتحرك و هي تسمع صوت خطواته تقترب منها
ببطءٍ جاعلة من خفقات قلبها ترتجف أكثر..

إلى أن توقف وراءها تماماً..حينها فقط كان ترفع عينيها لتقابل عينيه في المرأة..عيناه اللتان
تجولتا على كل إنشٍ في ملامحها ب...بانهار ! هل نظر لها بانهار حقاً ؟!!!
بالإضافة إلى نظرة الإنهار تلك..كانت هناك نظرة غريبة احتلت عينيه و هو يشعر بأنه يرى
سجي القديمة..بجمالها الحاد بالفطرة..و عينيها الفريدتين في لونهما الزيتوني..
كانت قد ورثت لونهما من والدها..رغم أن كل ملامحها الأخرى بالتقريب كانت تشبه أمها...إلا
غمازتها !!

غمازتها الساحرة التي لطالما سلبت الصواب من عينيه لم ترثها من أيّ أحد !!!
لم يشعر بنفسه و هو يبتسم ببطء.. ابتسامة هادئة جميلة جداً.. ثم قال بنبوة تائهة شاردة
بجوار أذنها دون أن يزيح عينيه عن عينيها.. يكاد صدره أن يلامس ظهرها.. يكاد فقط..

__يليق بكِ تمامًا !!!

طرفت سحى بعينيها بتوتر أكبر.. و ارتعشت أناملها فشابت بين يديها أمامها بقوة.. قبل أن
تلتفت إليه ناظرة له بحاجبين منعقدين حيرة..

إلى أن أكمل لؤي بنفس النبوة و هو ينظر في عينيها تمامًا ؛

__أحمر الشفاه و...الكحل.....و.....الفستان !!

لم تعلم في تلك اللحظة كم بدت جميلة لعينيه.. جميلة إلى حدٍ مبهٍر.. بهذا الفستان الأسود
الرقيق.. و الذي كان يتخطى ركبتها قليلاً..

بينما في خصره امتد شريطان طويلان كان من المفترض أن يجتمعا في عقدة أنيقة خلف
ظهرها.. لولا أنها عجزت بعد محاولاتٍ متكررة عن ربطه فتركته متناسية إياه مؤقتاً..

لا نحافتها.. و لا ذلك الحزن الساكن بعينيها استطاعا أن ينقصا من جمالها و جاذبيتها أيّ

شيء !

تراجعت خطوة صغيرة مرتجفة نحو الورا و كأنها تحاول الهرب من تأثير كلماته ككل.. و ظلت

تنظر له للحظاتٍ بعينين تتشاركان نفس التعابير التائهة بعينيه..

إلى أن قال لؤي محتفظاً بابتسامته و بنبوة صوته الحانية ؛

__هل نذهب !!؟

أومأت له سحى ببطءٍ غير قادرة على مداراة ارتباكها.. لكنه لم يتحرك رغم ذلك من مكانه.. بل

استمر يحدق بها بترددٍ.. قبل أن يقترب منها خطوة أخرى..

ثم و فجأة.. كانت ترتفع يداها في حركة لم تتوقعها إلى أن أمسك بالشرائط الناعمة لفستانها

الأشد نعومة.. و الذي خمن عقله تلقائياً أنها استصعبت تعديلها كما يجب..

التفت ذراعاه حول خصرها و هو يقترب منها أكثر لهذا الغرض لا أكثر.. أم رُبما لأغراض أخرى

..!!!!؟

فصوت أنفاسها المتسارعة التي كانت تضرب صدره بشدة توترها كادت أن تفقده كل توازنه

المنشود.. و فاقم من فداحة وضعه أناملها التي امتدت في حركة ارتعشت لها كل أوصاله لتتمسك

بقميصه الأزرق الشاحب من فوق خصره..

كان يعلم أنها حركة غير مقصودة..بل رُبما هي لا تعلم حتى الآن بأناملها التي كادت أن تمزق
قماش قميصه لشدة ضغطها..بينما هي قريبة يكاد جبينها المطرق قليلاً أن يلامس كتفه..
لم يشعر بنفسه و هو يميل برأسه قليلاً إلى أن دسَّ أنفه بين خصلات شعرها مطبقاً عينيه
بشدة..يستنشق رائحتها المُسكرة بلهفة دون أن يلمسها تماماً..
و هو قريب منها بهذا الشكل كان يشعر بال...بالعذاب !..
العذاب فقط حين تذكر أنها زوجته..و أنه لا يستطيع حتى الآن أن يعاملها..كزوجته !..رغم أنه
يريد...يريد بشدة أن يتمسكَ بيدها ليسحبها معه خارج دائرة الصداقة هذه !!
ظل هكذا لوقتٍ لم يحسب عدده..حتى بعد أن انتهى من عقد طرفي ذلك الشريطين ببعضهما
لم يستطع أن يبتعد..و هي لم تحاول إبعاده بأيّ طريقة..بل رُبما كانت تبدو أكثر منه حاجة لهذا
الإقتراب..
إلى أن فتح عينيه العاصفتين بمشاعر غير مفهومة مرغماً نفسه على الانسحاب من نعيمه
الخاص و هو يتراجع خطوة صغيرة جداً..
حينها فقط شعر بأنامل يدها الرقيقة تحرّر قميصه بارتباكٍ..فتراجع خطوة أخرى..ثم قال
بصوته الأجش المضطرب بحزم ؛
_لنذهب !!

هذه المرة لم تتمسك بذراعه أثناء القيادة..بل اكتفت بأن جلست بجانبه مُستندة بجبينها
المرهق إلى النافذة..ترقب حركة الشارع الهادئة بلا هدف..
بينما هو كان يشعر بالسعادة..كان سعيداً باستشعار ذلك التطور البارز الذي طرأ في
حالتها..بين تلك المرة الأولى التي صعدت بها هنا بعد الحادث المُقيت و اليوم..
كانت تبدو أكثر هدوءاً..أكثر اطمئناناً..و أكثر...شجاعة !!
عادة كان يجدها تختلس النظر له بين كل لحظة و أخرى..و كأنما تحاول التأكد فقط بأنه لا
يزال هنا..معها...لكنها اليوم لم تفعل..لم تختلس النظر له أبداً..
كانت مرتاحة البال..واثقة تمام الثقة بأنها في كل مرة ستلتفت حولها ستجده..إنه بجانبها..و
سيكون بجانبها على الدوام..
أليس هذا هو وعده الذي قطعه عليها يوم زواجهما ؟!..!!

لطالما كان يوم زواجهما يذكرها بمأساتها.. ليرسل مشاعرًا في منتهى السوء لقلبيها.. لكنه هذه المرة لم يذكرها بأي شيء.. وجدت عقلها يسترجع وعده فقط.. و أنامله التي احتوت أناملها لتشجيعها على توقيع ورقة النجاة لها.. و قبلته على جبينها..

تلك القبلة التي لن تنساها أبدًا.. لأنها لم تكن محض قبلة.. بل كانت طريقة أخرى للتعبير.. أخبرها بها أنه لا يزال على عهده.. و سيبقى..

و قد نجح بأن ينهي بها تخوفها ذلك اليوم من فكرة أنه قد يشعر بالندم ما إن يجد نفسه مقيدًا معها بورقة رسمية !

لم تشعر بنفسها و هي تسدل عينيها باستسلام أمام عينيها المر اقبطين لها بحنان.. لتغرق بعد دقيقة واحدة في نوم عميق.. عميق جدًا لم يخرجها منه إلا صوته الحاني بعد وقتٍ لم تعلمه.. أمضاه كله في تأملها..

_سجى !!!

فتحت عينيها فجأة حينما اخترق هذا النداء الخافت وعيها.. لتلتقي عيناها بعينيها القريبتين منها مباشرة.. و همست بوعي لا يزال غائبًا ؛

_هل...وصلنا ؟!!!

أوما لها لؤي و ابتسامته الساحرة تعود لتخط شفثيه بتمهل.. ثم التفت ليفتح الباب من جهته و يدور حول السيارة بسرعة إلى أن فتح لها الباب هي و همس برفق بالغ و هو يفرد يده نحوها ؛
_تعالى !

نقلت سجى أنظارها بين يده و وجهه بغير تركيز تام للحظات.. قبل أن ترفع يدها لتضعها فوق يده.. فأطبق عليها بشدة و هو يحثها للنزول إلى أن وقفت بجانبه..

كان يظن أن عهد حركتها الغريبة تلك قد انتهى عهدها.. لكنه تفاجأ بها.. مجددًا.. ترفع يدها الحرة لتمسك بذراعه.. تاركة يدها الأخرى محتجزة بين يده.. و هو أيضًا لم يبخل.. فارتفعت يده الأخرى لتربت فوق ظاهر كفها في حركته المعتادة..

كانا شبه متلاصقين.. من يراهما يقسم على أنهما عاشقان في بداية زواجهما.. لا مجرد شخصين جمعهما القدر صدفة في علاقة بلا مسمى..

لكنها أسمى من كل العلاقات الأخرى !!

قبل أن ترفع رأسها منتبهة إلى هذا المكان الذي أحضرها إليه.. و قد كان آخر مكانٍ توقعت أن يخطر في باله.. بعد أن غاب عن بالها تمامًا هي بنفسها..

كان... "دار الأيتام" !

ذلك المكان الذي كان ملجأها الآمن في وقتٍ مضى.. لكنه لم يعد كذلك على ما يبدو !
لأنها في هذه اللحظة بالذات التي تقف فيها أمام واجهته.. تنظر إلى تلك اللافتة العريضة التي
تحمل اسمه هناك.. لا تميز في قلبها إلا أمنية واحدة.. الهروب و الاختفاء مجدداً.. عقلها لا يرسل لها
سوى كل تلك الوجوه التي قد تضطر لمقابلتها إذا دلفت !
لكنها رغم ذلك.. ورغم كل تلك المشاعر المخيفة التي انتابتها.. إلا أنها لم تستطع.. عجزت تماماً
أن تلفظ و لو كلمة اعتراض واحدة.. أو أن تفصح بمشاعرها له..
ليس لأنه لن ينصت إليها.. بل لأنها هي لن تحتمل رؤية ملامح الإحباط و اليأس بعينه.. لذا
رغمًا عنها.. ما إن سمعت صوته يقول بحنان ؛

_هل ندخل !!؟

وجدت نفسها تومئ له بالإيجاب بتردد.. بل أكثر من ذلك استطاعت أن ترسم شبح ابتسامة
كانت مليئة بالإخلاص.. قبل أن ترافقه بكامل رضاها إلى الداخل..
كعادة كانت قد نسيتهما.. ما إن دلفت أول خطوة حتى أجفلت من كم الأطفال الذين هبوا
نحوها يصرخون بسعادة لرؤيتها..
في الوهلة الأولى تراجعت خطوة مترنحة.. خائفة.. نحو الراء.. لكن و مع وصولهم إليها.. و
توقفهم أمامها و من حولها يحدقون بها ما بين مشتاق و لائم..
وجدت نفسها تتجمد مكانها تنقل أنظارها بضياح بين جميعهم دون أن تترك لؤي الذي كان
يراقب الوضع بقلق ممتزج بأملٍ ضعيف..
جميعهم بدون استثناء التفوا حولها.. يحاوطون خصرها باشتياق جارف ظهر في عيونهم
الصغيرة ناحيتها..

كانت أكبر مخاوف لؤي من أن تفقد أعصابها مجدداً و تقوم بدفعهم.. أو حتى الهروب من هنا
أو أن.. تفقد وعيها انفعالاً.. لكن كل ذلك لم يحدث..
فقد امتلأت عينها بالدموع.. ليست دموع حُزن هذه المرة.. بل دموع تأثر و هي تنقل أنظارها
بين جميعهم بحيرة.. غافلة عن عينيه اللتين انصهرتا تماماً بتأملها..
كانت تبكي بقوة و كأنها لم تبكي من قبل.. لكن صوت بكاءها رغم ذلك كان ناعماً لم يرتفع أبداً
عن مجرد شَهَقَاتٍ مختنقة خافتة.. قبل أن تترك يده في لحظة خاطفة لتسقط على ركبتيها تحتضن
من وصلت إليه ذراعيها منهم بلهفة..

فغر فمه على أنفاسٍ ساخنة و هو ينظر لهذه الهالة القوية من البراءة التي اكتنفتها و هي بينهم..يشعر بالفعل أنه لم يعرفها قبلاً..

فهذه التي يراها هنا..لا تشبه سجي الأولى بقوتها و انطلاقها..و لا الثانية بصمتها و شحوبها ! كانت سجي أخرى..أكثر نعومة من الأولى..و أكثر تماسكاً من الثانية..دموعها كانت تنزل غزيرة لكن مع ابتسامة حقيقية يراها لأول مرة ترتسم فوق ملامحها..
و أخيراً رأى غمازتها !!!!

لم يعلم بأن دموعه كانت تناسب أيضاً..بسعادة..بدهشة..بأمل.....بحب ؟!!!
هو فقط ظل هكذا يراقبها لوحدها..يكاد أن يلتهمها كلها بنظراته..يتوسل من الله أن تصبح هذه اللحظة أطول..أن يتوقف الزمن هنا فقط..
كان مشدوهاً بها لدرجة أنه ما إن سمع خطوات قوية تتجه ناحيتها وجد نفسه يرفع يده بسرعة ليمنع تلك السيدة الوقورة التي تعمل هنا من الإقتراب أكثر و تدمير هذه اللحظة..
كل هذا دون أن يزيح عينيه عنها للعجب !!!

ظل هكذا لوقتٍ طويل يراقبها بتركيز و هي تبدأ في التفاعل مع الأطفال شيئاً فشيئاً..منهم من يسألها فتجيبه بصوتها الناعم المبحوح..و منهم من اكتفى بالجلوس بجانبها إلى أن شكلوا شيئاً يشبه دائرة صغيرة كانت هي ضمنها..

سمع صوت واحدة من بين الأطفال تسألها بدلالٍ طفولي ؛

_أين دميّتي " ماشة " ؟!!!

فاضطر لأن يزيح عينيه عنها للحظة واحدة..واحدة فقط ثم أعادها بسرعة ينظر إلى ملامح الإحباط التي ارتسمت فوق وجهها و هي تمطّ شففتها قليلاً بأسفٍ..
و كأنها تتأسف له هو لأنها تتعمد بخبيثٍ بريءٍ تماماً أن تقوم بكل حركة تزيد من بروز غمازتها الجميلة..حبيبة قلبه هي و غمازتها !!!

قبل أن يدس يده في جيب بنطاله بسرعة ليخرج مفاتيحه و ينتزع منهم تلك الدمية الصغيرة جداً الخاصة بدبّ بني لطيف الشكل..

و اقترب منها إلى أن جلس وراءها فوق ركبتيه..

رفع يده الحرة ليلكزها في مرفقها برفق..فالتفتت بسرعة لتلمحه جالساً بجانبها تماماً..قبل أن تمتد يده دون أن تلمحها الفتاة و تضع ذلك الدب فوق راحتها..

أشار لها برأسه بعدها في حركة ذات مغزى.. فأخفضت أنظارها تنظر للدمية اللطيفة في راحتها بابتسامة ازدادت إشرافاً.. ثم رفعت رأسها ناحية الفتاة لتمده لها قائلة بمراوغة لم تخلو من هذه البراءة التي اكتنفتها فجأة.. وكأنها طفلة مثلهم !

_ انظري ماذا أحضرت لك !!

سرعان ما تبدلت نظرات الفتاة التي كانت تجلس في مقابلها إلى انبهار طفولي و هي تقترب زاحفة بسرعة لتمسك بها.. وقالت و عيناها تبرقان سعادة بينما تتأمل الدمية في يدها و تقلبها ؛

_ هل هذا الشيء الجميل لي ؟!!

أومأت لها سجي و هي تهمس بصوتها الخافت ؛

_ إنه ليس شيء.. اسمه " دب " .. دب صغير لطيف مثلك !!

هتفت الطفلة بسعادة و هي تقترب إلى أن اندست في حضنها.. فاستقبلتها سجي بالقليل من التردد.. والكثير من الحب.. بينما هتف واحد آخر من بينهم بتمرد ؛

_ هذا ليس عدلاً.. أنا من طلبت الدُب لا هي !!

هاله ذلك الشحوب الذي عاد يراه في ملامحها بعد هذا السؤال.. فالتفت ينظر للطفل راغباً في خنقه بشدة بلا أيّ سبب.. لكنه بدلاً عن ذلك قال يدعي الإستنكار محاولاً تمويمه ؛

_ دب ؟!! هل أنت من تقول دُب ؟!!

نظر له الطفل عابساً و هو يقول ؛

_ و ما بها دُمية الدب ؟!!

وقف لؤي مقرباً منه بكل هدوءٍ إلى أن انحنى متخذاً مكاناً بجانبه الآن.. ثم قال يدعي الحماس بينما عيناها تختلسان النظر إلى سجي التي أصبحت في مقابله ؛

_ بل ما بك أنت ؟!! ألا ترى بأن دمية الدب شيءٌ تافه جداً مقارنة بك.. كم عمرك ؟!!!

ردّ الطفل عابساً بفتور ؛

_ إحدى عشر سنة..

فأردف لؤي فوراً بنفس نبرته ؛

_ هل أقول لك شيئاً ؟!! لماذا لا تتركُ الدب السخيف لها و سأحضر لك في المرة القادمة عدة

كاملة من طاقم الشرطة.. ها.. ماذا قلت ؟!!

امتلات أنظار الطفل الذكي باللهفة للحظة.. لكنه قال رغم ذلك بتشكيك ؛

_ وكيف أثق بك ؟!! أنت لم تأتِ إلى هنا من قبل !!

عقد حاجبيه و هو يرى نظرات لؤي التي امتلأت غرورًا فجأة..ثم قال بينما يرفع يده ليعدل شيئًا وهميًا في ياقة قميصه..بينما بالأخرى كان قد أشار إلى سجي حريصًا على أن لا يلفت انتباهها ؛
_أنا.....زوجها !

قالها ببطءٍ متعمدًا..متلذذًا بنطق كل حرفٍ من هذه الحقيقة الجميلة..الجميلة جدًا!
_حقًا؟؟

انتفض فجأة على صوت الطفل المرتفع..فالتفتت جميع الوجوه إليهما بما فهم سجي التي نقلت أنظارها بينهما بتوتر و عدم فهم..
إلى أن قال الطفل يسألها بوجه متهمك مندهش ؛
_هل هذا زوجك بالفعل ؟!!!

تلقائيًا كانت عيناها تلتقيان بعيني لؤي المبتسمتين بشيء يشبه اللفه..و صمتت للحظات كانت أنظار كل طفل هناك تر اقب هذا الوضع الغريب بينهما بفضول..
إلى أن همست ناظرة في عينيه بنبرة ذات مغزى عميق جدًا..أعمق بكثير من معناها الظاهري ؛
_نعم...إنه كذلك !

هل تعرفون ما يسمى ب...لحظة الوقوع بالحُب ؟!!!
هو شعر في هذه اللحظة بالذات..بينما ينظر في أعماق عينيها..مباشرة بعد سماعه لتلك الجملة الغالية تنطق بصوتها..بأنه وقع في حُبها..
لقد وقع في حُبها حرفيًا و تمنى لو كانت قد استبدلت جملتها تلك بأخرى أجمل..
لو قالت :نعم..إنه زوجي !!!
لأنه كذلك بالفعل..هو زوجها رسميًا و روحياً و يومًا ما سيصبح فعليًا !!!!

هل تعرفون ما الأجمل في الوقوع في الحُب ؟!!! أنك لن تشعر بألم الوقوع أبدًا..
بل بنشوة..نشوة لذيذة ستنقلك من عالم الواقع إلى الخيال..خيال صاحب لن يمتلأ إلا
بأثنين.....أنت..و هو !!!
لكن الألم الحقيقي يأتي لاحقًا..مع أول محاولة لك للنهوض من تلك القوقعة ستألم.. في كل مرة تحاول فيها الابتعاد عن دائرة الخيال تلك ستجد نفسك تفشل..
و في اللحظة التي ستمكن فيها من النجاح..ستدرك أنك خاسر لا محاولة..أكبر خاسر على الإطلاق !!!

انتفضت فجأة من نومها المُرهِق فوق تلك الأريكة الجانبية في بهو هذا المنزل..فهي منذ أن

بدأت تعيش هنا لم تنم ليلية واحدة في ذلك السرير..

و لن تنام فيه..ببساطة لأنها لن تحتمل !!

كان نومها متعباً..متقطعاً..مليئاً بنفس الكوابيس التي لطالما تهربت منها..لكن الفرق بين

كو ابيسها القديمة و الآن هي أنها سابقاً كانت ترى نفسها..أمه...يتراءى لها ذلك الموقف الصعب الذي

عاشته بسببها..

تحلم كل ليلة بذلك اليوم..لتستيقظ مع شعور جديد يكتسحها بالألم الشديد..و كأنما تم

فصلها عن نصفها الثاني للتو..و حرق معصمها بمجرد قطعة حديد فاجمة !!

أما الآن..فهي تدرك بأنها نجت من ماضيها..لقد استطاعت التخلص بجدارة من ذلك الكابوس

المرعب..لكن حل محله كوابيس أخرى أشد رعباً..

كو ابيس تحمل صورته فقط..بدموعه..و نظراته تلك..و صوته المبحوح المرتفع..و يده

الممتدة في الهواء تطالها بالتقاطها عبثاً..و خطواتها ناحية طريق هلاكها المحتم..

ثم رحيلها.....ببساطة !!

رفعت يدها لتمسح دمعة عالقة بين رموشها و هي تعلم أنها ليست الأخيرة..فسيل دموعها لا

ينتهي منذ ذلك اليوم..حتى بعد أن مرَّ عليه شهر كامل..بل أكثر..

شهر كامل مليء بالأحداث السخيفة الفارقة للمعنى..شهر كامل بدونه..و ستليه شهور أخرى

إلى أن تعتاد تمامًا...و ترضى !!!

دفعت الغطاء الخفيف جانباً بتعب لتقف و تبدأ في روتينها الصباحي الممل..الذي يبدأ بغسل

وجهها إلى وقوفها أمام المرأة بعد تناول بضعة لقيماتٍ تجبر نفسها على أكلها بالغصب..حتى لا تموت

فقط !!!..

و كما العادة توقفت أمام المرأة لدقائق كانت فيها تمارس طقسها اليومي..الشروود و الغرق

حتى النخاع في ذكرياتٍ حُبها المستحيل أثناء تجديد شعرها..

قبل أن تلتفت لتلتقط حقيبتها الصغيرة و تتوجه إلى تلك المكتبة..إلى أن دلفت بخطواتٍ

بطيئة تحمل نفس شرودها..و وضعت أغراضها جانباً شارعة في ترتيب المكان بكسل غريب عليها..

الحقيقة أنها تشعر بإرهاق غريب منذ أيام..و ترجح هذا الأمر طبعاً لكثرة شرودها و تفكيرها..

لكنها أحياناً..أحياناً قليلة كانت تشعر بأن ما تفكر فيه محض وهم..و ربما هي مُصابة بمرضٍ

خطير..

كتلك التي قرأت عنها في إحدى الروايات التي أدمنت قراءتها مؤخراً.. لكنها تعود و تهز رأسها
يأساً من تفكيرها الغي..و عقلها الذي يستميلها إلى فكرة خبيثة..

ماذا لو كان الواقع مُشابه لتلك الرواية ؟!!! و عاد البطل للبطللة بعد أن يعلم بأنها مريضة
؟؟ ثم لا يتركها أبداً إلى أن تموت بين ذراعيه ذات ليلة شتوية حزينة ؟!!!..

أو تتعافى بين ذراعيه ؟!! أي نهاية ستكون أفضل ؟!

إنها لا تمنع في الحقيقة أن تموت..المهم أن تموت بين ذراعيه !!!

مرّ الوقت هادئاً مثلها في هذا المكان..إلى أن وصلت الساعة إلى الثانية بالضبط.. موعد ذهابها
للجامعة..فهي بدأت تلتحق بها منذ يوم واحد فقط..و هذه تعد حصّتها الثانية هناك..

_هل تأخرت عليك ؟!!

كان هذا صوت رجوى اللطيف و هي تدلف إلى الداخل..فابتسمت شهد ببساطتها المعهودة
لتقول بنبرة امتنان خالصة ؛

_بالعكس..لقد جنّت قبل الوقتِ بدقيقتين..

بادلتها رجوى الابتسامة و هي تلتفت لتحتل مكانها..ثم قالت بنفسٍ لطافتها ؛

_هيا إذا..الدراسة لا تحتل تأخيراً..

اتسعت ابتسامة شهد أكثر براءة..و أمسكت بحقيبتها تهم بالخروج..لكنها عادت لتتوقف..ثم
قالت تقابل نظرات رجوى المتسائلة ؛

_أعدكِ بأنني لن أتأخر أبداً..سوف أعود إلى هنا فوراً بعد انتهاء الحصّة !

هزت رجوى رأسها قليلاً بيأسٍ و هي تفتح فمها تنتوي إجابتها..لكن ذلك الصوت الذي جلجل
من أمام الباب قاطعها..كان لأمل المجنونة التي هتفت بشهد بسرعة ؛

_ألا تزالين تقفين هناك..تعالى بسرعة !!

التفتت إليها شهد بسرعة..بينما ضحكت رجوى بلا فائدة و هي تقول لشهد ؛

_صديقتكِ الحمقاء وصلت..أسرعي !

منحتها شهد ابتسامة أخرى مليئة بالامتنان أيضاً..قبل أن تقترب شبه راکضة من أمل إلى أن
توقفت بجانبها و تعلقّت أمل بذراعها قائلة بصوتٍ خافتٍ الآن أثناء ابتعادهما ؛

_احزري من وجدتُ معي في الصّف !!

نظرت لها شهد باهتمام و هي تهمس ؛

_من ؟!!!

قالت أمل بعينين حالمتين شريرتين ؛

_أمجد المجنون أخ رجوى !! أقسم أنني سأنتقم لك منه على ظرافته السخيفة.. انتظري

فقط !!!

جلست في المساء فوق نفس الأريكة..متدثرة بالغطاء السّميك بينما في يدها كان ذلك الكتاب

الذي اقترضته من المكتبة على أن تعيده غدًا...

كانت رواية في غاية الرومانسية..وحدها من كانت تخرجها من حالتها الكئيبة تلك.. خاصة و
هذا المنزل المتواضع لا يحتوي على تلفاز و لا أي أداة للتسلية..فقط بعض الأثاث القديم جدًا لكنه
يفي بالغرض رغم ذلك..

جلست شبه مستلقية تنتقل بين السطور بعينها الناعستين المرهقتين..إلى أن توقفت فجأة
عند جملة معينة..كانت الرواية من هذا النوع التي يتم سرد كل أحداثها بلسان بطلتها..و قد كانت
الجملة عبارة عن ؛

" كنتُ قد انفصلت عنه لمدة فاقت الشهر..ظننت فيها أن كل الحكاية قد انتهت.. لكنني كنت
مخطأة..فبعد فترة من ذلك علمت بأني حامل ف....."

كانت تقرأ السطور مضيقه عينها بتوجسٍ أقرب إلى القلق و الحيرة..إلى أن توقفت فجأة
ملقية بالكتاب و الغطاء جانبًا..لتنجّه بسرعة إلى الحمام إلى أن استندت إلى طرف مغسلته بيديها
الاثنين و انحنت مستفرغة كل ما كان في معدتها هناك..

تسارعت أنفاسها بدرجة كبيرة و هي تمد يدها لتفتح صنبور المياه و تغسل وجهها لمراتٍ
عديدة مزيجة أثناء ذلك خصلات شعرها المنسدلة بحرية إلى الجانب..قبل أن تنزل يديها و استمرت
تحقق بصورتها الشاحبة بنفس التوجس للحظاتٍ..

همست بعدها لنفسها بحيرة ؛

_هل يعقل ؟!!!!

لم تشعر بيدها التي تسَلّت تلقائيًا تربّت فوق بطنها المسطح..بينما تاهت أنظارها أكثر..و
استقر عقلها يردّد بدون توقف نفس السؤال الغريب...هل يعقل ؟!!!!!!

#هادي

أضواء..طبيعة..فراغ قاتل..حبيبتي شهد..و أحلامي المؤجلة !!! كان هذا هو محور حياتي الجديدة !

فغياب شهد عني يعني فراغ قاتم...

و هذا الفراغ القاتم دفعني إلى الركض خلف حلمي القديم مجددًا !!

كنتُ أظن أنني ما إن أندمج في هذا العالم المميز سأستطيع نسيانها و لو ليوم..

لساعة..للحظة..لكنني لم أستطع..لم أستطع أبدًا !!

فما كان مني إلا أن توقفت عن محاولة الخروج من دائرتها..

شهر كامل مرَّ سريعًا..و بطيئًا جدًّا في نفس الوقت..شهر و بضعة أيام أمضيتهم ما بين

الانتقال من مكان لآخر..

كان أول شيء فعلته أن عدت لأفتح كل حساباتي القديمة على مواقع التواصل

الإجتماعي..لأبدأ في رحلتي في -التصوير الفوتوغرافي-..كل صورة جديدة..تعادل محاولة أخرى بئسة

للهرب..ألم أقل لكم أنها محاولة بئسة ؟!!

أنا أعلم أنني أمتلك سحرًا خاصًا يجعلني ملفنًا للنظر..هذا ما استشعرته في أول خطوة

خطوتها نحو تلك الشركة الخاصة بمجالي..

التحقتُ بمجموعة محترفين و مبتدئين في نفس الوقت..لكنني بينهم بقيت منفردًا..

انطوائيًا..صامتًا على عكس طبيعتي القديمة..

في هذا الشهر ذهبت لأماكن كثيرة..حتى أنني سافرت لأكثر من مرة..خاصة و قد نالت موهبتي

استحسان كل المجموعة..

كنتُ أشعر بأنني قاربت على تحقيق حلمي..لكن بين لحظة و أخرى كان اتصال مفاجئ

منها..أمي !..يلهيني عنه...

لكن ما فاجئني فعلاً هو اتصال غريب من رقم كنت قد حذفته من قائمة اتصالاتي منذ زمن

بعيد..

كان زوجها السيد أكرم الشاذلي..هل تعرفون ماذا قال ؟!!! طلب مني بكل وقاحة بأن أعود

للمنزل..لا و ألتحق بالعمل معهم..نفس الرغبات القذرة القديمة في استغلال..

لكنني لم أعد في المتناول و لم أكن أساسًا..فقابلته بمجرد كلماتٍ مقتضبة كان مغزاها

جميعها...فقط الرفض !!

أغلقتُ بعدها الخط في وجهه..لأغلق عليه كل فرصة أخرى للإتصال بي مجددًا !!

طوال هذه الفترة حاولتُ باستماتة أن أصنع و لو ابتسامة صغيرة على وجهي..لكنني لم أستطع..كنت أشعر بالإستنزاف..بأنني لست إلا جثة..

مجرد جثة تمشي و تتحرك و تدرك و تستوعب...و تحب !!

كان الشيء الوحيد الذي دفعني لأن لا أهب إليها و أستعيدها و لو قسرًا هو تيقني التام بأنها لن تحتمل..

كنت أنتظر فقط اللحظة التي ستبادر هي فيها بنفسها في استعادة هذه العلاقة كما بادرت برضاها في الابتعاد !!

_هادي..

انتهت فجأة على هذا الصوت "المائع" لتلك الفتاة التي كانت تحسب نفسها " عارضة أزياء
"..عارضة أزياء ملتصقة !!!

رمقتها بنظرة استخفاف..فقالت و هي ترسم أسوء ابتساماتها على وجهها ؛

_إنهم يستدعونك للإفطار !

أومأت لها بغير اهتمام بدون أن أكلف نفسي حتى عناء النظر صوبها و أنا أرفع الكاميرا خاصتي و أتجول بعيناي حول المكان باحثًا عن وضعية مناسبة لالتقاط بضعة صور إضافية لهذا اليوم..فلمحتها و هي تمط شفيتها بتفاهة..

ثم سرعان ما ابتعدت حينما لم أبدأها اهتمامًا..

و حينها فقط كنت أرفع عدسة الكاميرا لأثبتها أمام عيناى ملتقطًا بضعة صور جديدة

لمجموعة المناظر الطبيعية الجميلة أمامي في هذا المكان الخاص بالتخييم..

التحقتُ بهم بعدها بدقيقة لأجلس كما عادتي بينهم بكل ثقة..أبادل أطراف الحديث

العشوائي مع بعض الشبان الذين استطعت تكوين صداقة بعيدة معهم..قبل أن أتركهم مجددًا بعد

الانتهاء الإفطار لأنفرد بنفسي..

لم أدر كم استغرقت من الوقت بعدها في التجول بهدوء و التقاط الصور لكل ما يلفت

انتباهي أحيانًا بعشوائية و أحيانًا بشرود ينال مني و أحيانًا..باحترافية..

أكانت ساعتان..أم ثلاث !!!..

لكنني ما إن وضعتُ الكاميرا جانبًا لأرتمي في أحد المقاعد ببعض الإرهاق شارعًا في تفقد هاتفي

بشكل عفوي..تفاجئت..بل صُعقت برسالة غريبة..في قمة الغرابة لكنها جعلت من كل نبضات قلبي

تتدافع كالرياح العاتية التي كانت تتسلل من الباب الصغير لخيمتي متسربة بنسماتها الباردة إلى
عظامي..

كانت رسالة منها..من صاحبة خدود الورد ! تلك التي كنتُ قد بدأتُ أياس من فكرة أنني قد
أحظى بفرصة أخرى للقائها..أو للتواصل معها حتى !
لكن هل تعلمون ما كان فحوى الرسالة ؟! نقطة واحدة !! مجرد نقطة و أرسلتها لي في رسالة
!!!

شعرتُ بالقلق يجتاحني تلقائيًا بمجرد رؤيتي لتلك الرسالة الغريبة منها..هل هي إشارة ما ؟!!
هل تحاول إخباري بدون كلماتٍ بأنها اشتاقت لي ؟!!
تراها عجزت عن التعبير ؟!!! ألا يجدر بي أن أجيها بشيء الآن ؟!!
أو ربما أتصل بها ؟!!
أو الأفضل من كلا الخيارين هو.....الذهاب إليها !! لمقابلتها شخصيًا و سماع الإجابة منها
مباشرة !!!

" 29 :لقاء "

#شهد

هل تعتقدون أنني كنتُ سأستطيع إرسال رسالة عادية له ؟!! لأخبره بالخطِّ العريض

بأنني.....حامل !!

" أنا أحمل في أحشائي طفلاً منك يا هادي !"

كيف ؟!! كيف كنتُ سأستطيع قولها بينما أنا نفسي لا أزال عاجزة عن استيعابها حتى الآن !!

هل تسألون كيف مضت ليلتي ؟!! طويلة..طويلة جداً..

كنت قد تركتُ كل شيء..نسيت ما كنت أفعله و اكتفيت بالجلوس فوق أريكتي..أفكر و أفكر

لساعاتٍ طالت..

راودتني خلالها كل خاطرة مزعجة و جميلة..ما بين خوفي من المستقبل..أن يكون مشابهاً

للماضي الأليم..

و حماسي الشديد الذي خالطه توتر قوي أثناء انتظاري لطلوع الشمس..

كل ما يتلقف عقلي سؤال واحد..لا يحتاج إلا لإجابة واحدة.. "هل يعقل ؟!!"

إلى أن أشرقت الشمس و انطفأ معها كل حماسي..بل تحول إلى خوفٍ أكبر..لكنني رغم ذلك

وقفت عازمة على تنفيذ ما في ذهني..

فسارعتُ في تجهيز نفسي و اتجهت إلى منزل أمل المقابل لمنزلي لأقف هناك أمام بابه بارتباكٍ..

ترددتُ كثيراً..و حاولت لأكثر من مرة أن أعود أدراجي أو أذهب بمفردي فهي لا تعرف حتى الآن

أي شيء عن حياتي السابقة..سوى أنني يتيمة الأبوين..

لقد كانت هذه أكثر كذبة صادقة سمعتها في حياتي !!

استطعتُ أن أرفع يدي أخيراً لأطرق الباب عدة طرقاتٍ خافتة..ثم بقيت و اقفة هناك أنتظر

خروجها..فعادة ما تخرج فوراً كلما أتيت إليها..لكن هذه المرة من فتحت الباب كانت والدتها..

كانت امرأة بسيطة في الأربعينيات من عمرها..تحمل ملامح ناعمة بتجاعيد خفيفة جداً

خلفها الزمن..و تشبه أمل كثيراً..في كل شيء تقريباً !!!

و بما أنني علمتُ لاحقاً من أمل بحقيقة وفاة والدها قبل بضعة سنواتٍ فقد كانتا هاتين

السيدتين الجميلتين تعيشان بمفردهما في هذا المنزل..

ما إن رأيتني حتى تهللت ملامحها سعادة و قالت تزيع نفسها عن الباب بترحاب ؛

_شهد..لقد جئت في وقتك تمامًا حبيبتي..ادخلي لتفطري معي..

ألم أخبركم بأنها تشبه أمل تمامًا ؟!!

شعرتُ بالإحراج الشديد بعد طلبها هذا..خاصة و هي تقوله بهذا الحبور و السعادة.. لكنني لم

أستطع رغم ذلك أن ألي رغبتها فقلت أتعثر في كلماتي و أنا أرسم ابتسامة ساذجة فوق وجهي ؛

_في الحقيقة كنت أريد أمل ل...لغرضٍ مهم..هل هي موجودة ؟!!

شعرتُ بالإحباط و أنا أراها تهز رأسها بالنفي مجيبة باهتمام ؛

_لقد ذهبت للجامعة قبل دقائق..هي لم تتناول إفطارها حتى..أليس لديك جامعة اليوم أنتِ

أيضًا ؟!!

حركتُ رأسي بالإيجاب و أنا أردُّ دون رغبة في الإطالة في الكلام أكثر..فضجيج أفكاري كافٍ حتى

الآن ؛

_بلى..لدي..لكنني متعبة قليلًا..سأذهب في المساء.....

_متعبة ؟!! خير حبيبتي..أهذا هو الغرض الذي أردتِ أمل لأجله ؟!! ما الخطب ؟!!!

ما الخطب ؟!! ألا تظنون أنه سؤال بسيط جدًا بالنسبة لما يحدث معي !!

لكنني لم أكن لأضيع الفرصة رغم ذلك..فتحنحت لأجلي صوتي..ثم قلت بنبرة مبحوحة توترًا

لا إعياء ؛

_أنا بخير..كنت أريد أن أسألك فقط..هل توجد أيُّ صيدلية قريبة من هنا ؟!!!

غادرتُ ما إن أخذت الإجابة منها..بعد أن ودعتها ببضع كلماتٍ لم أميزها..كانت الصيدلية

قريبة جدًا من المنزل الذي أقطن فيه..و رغم ذلك التحفظ الذي لا يزال يستوطن شخصيتي إلا أنني

استطعت أن أجدها بسرعة..

إلى أن توقفتُ أمام فتاة جميلة سألتني عن حاجتي بكل أدب..و أنا وصفت لها حاجتي

بمُنتهى...الغباء !!

كنتُ أشعر بالخجل بشدة و أنا أهمس لها بصوتٍ لا يكاد أن يسمع ؛

_أريد.....كاشف.....حمل !!

لكنها كانت أكثر من متفهمة رغم تلك النظرة المندهشة التقييمية التي رمقتني بها فور أن

نطقت بطلبي..فابتسمت و هي تختفي عن أنظاري للحظاتٍ إلى أن عادت و أحضرت لي معها وسيلة

الإنقاذ الوحيدة التي أمتلكها الآن..

لم أكن أظن أن الأمر سهل إلى تلك الدرجة.. أن يستطيع المرء التحقق من شيء مصيري كهذا
بمجرد جهاز صغير.. إلى أن توقفت في مُنتصف منزلي أحرق به ما بين رهبة و رغبة.. و دعوة صريحة
تجلجل بقلبي أن يكون ما أفكر فيه صحيحًا..

لا يهمني المنطق.. لا تهمني عفاف.. أنا لم أكنُ المح في تلك اللحظة سوى وجهه.. ملامحه التي
اشتقتها بشدة و أحترق لهفة لرؤيتها و ملامستها !!!
دقائق معدودة كان قلبي يخفق فيها بقوة تفوق طاقتي.. و فجأة.. تباطئت تلك الخفقات.. و
توقفت أنفاسي.....

أنا... أنا حامل !! يا الهي أنا حامل بالفعل !!!!
لم أشعر بنفسي إلّا و أنا أجهش في بكاءٍ هستيري لشدة انفعالي.. بعد أن تسمرت لعدة لحظاتٍ
أنظر إلى الجهاز الصغير في يدي بصدمة..
و لأول مرة منذ أن جنّت لهذا المنزل جلست فوق ذلك السرير لا أزال أحرق بذلك الجهاز من
بين دموعي التي لم تتوقف عن الإنسياب بسعادة لم أدري أم حزن !!
كنتُ خائفة.. متوترة.. مرتعشة.. و سعيدة !!!
مشاعر متضاربة لفت بي لتلقيني في دوامة شاهقة تخيلتُ فيها كل ردود الفعل المُمكنة التي
سأنالها منه بعد أن يعلم.. يجب أن يعلم.. أليس كذلك ؟ !!
نظرتُ لذلك الهاتف المحفوظ فوق المنضدة هناك منذ لا أدري كم من الوقت.. فأنا لا أحمله
إلّا نادرًا لأرى صورته.. و لا أخرجه معي أبدًا..

حتى أنني حينما سألتني أمل عن رقم هاتفي أخبرتها بأني لا أعلم.. و أنا لا أعلم بالفعل !!
أمسكتُ به بين أناملي المرتجفة لأفتح على الرقم الوحيد الذي لدي.. لكنني حينما حاولت أن
أكتب له رسالة عجزت تمامًا.. كنت متوترة لدرجة جعلتني أمسح كل حرفٍ قبل أن أكمل كتابته حتى..
الحقيقة أنني و هادي لا نحتاج إلى الكلمات لتتواصل.. علاقتنا أكثر قوة من أن يكون محورها
بعض جمل الغزل الواهية..

لقد اعتدتُ دائمًا الصمت.. و حتى هذا اليوم أثرت الصمت.. فاخترت أسخف رمز بين كل
الرموز هناك.. و أرسلت له... مجرد نقطة !!
نقطة ربما تبدو لا معنى لها.. لكنها كافية لتشعل فتيل الإشتياق و القلق بقلبه.. ذلك الإشتياق
الذي لمحتة دائمًا حتى و أنا قريبة منه !!!

أعدتُ الهاتف مكانه بعدها لأعود لنفسي جلستي.. واحتضنت جسدي و أنا أضُم ركبتي إلى صدري جالسة في طرف السرير أحرق بالهاتف بعينين جاحظتين خاليتين من التعابير.. ومفعمتين بشتى الأحاسيس..

لم أحسب حساب منطق.. أو ربما أنه قد يكون لا يعرف عنوان منزلي هذا.. رغم أنني أستبعد الأمر.. فهادي الذي أعرفه لن يرتاح له بالاً إلا بعد أن يعرف مكاني و يطمئن.. هذه الأفكار فقط من كانت تجعلني صامدة مكاني..

بقيتُ هكذا لوقتٍ طال لم أعلمه.. قبل أن أقف لأتجه مجدداً لهاتفتي.. ورأيت تلك العلامة التي تدل على أنه قرأ الرسالة الفارغة.. لكن لم يكن هناك أي رد !!!

لم أدر لما انتابني هذا الحزن المفاجئ رغم أنني لم أكن أتوقع أن أحصل منه على رد.. قبل أن تقع عيناى على الساعة بهاتفى و وجدتها تقارب الواحدة زوالاً..

لحُسن حظي فقد كان هذا اليوم هو يوم إجازتي الوحيد من العمل.. رغم أنني كنت مُصرة على أن لا أحصل عليه.. إلا أن الأنسة رجوى كانت أكثر إصراراً و أرغمتني على عدم المجيء إلى العمل اليوم..

لكن الأمر كان مختلفاً بالنسبة للجامعة.. هذا ما فكرت فيه و أنا أترك الهاتف على مضضٍ لأرتدي حذائي البسيط و أحمل حقيبتي الدراسية متجهة للجامعة.. فأنا أهملتُ دراستي بما فيه الكفاية.. لدرجة أنني تغيبت لمدة ثلاثة ساعاتٍ متتالية صباحاً.. كله بسببه..... لا.. ليس بسببه.. بل بسبب هذه الروح الصغيرة التي أكاد أستشعر وجودها بداخلي فعلاً..

لكن.. ألا ترون أن الفكرة مضحكة للغاية ؟! أن أصبح أنا...شهد الجبانة الصغيرة..... أمّا !!!

ماذا لو ورثت ابنتي أو ابني هذا الجبن مني ؟!!!

و ماذا لو ورث وسامة هادي ؟!! سأفقد عقلي لا مُحالة حينها !!!

دلفتُ إلى الجامعة لا أزال مُصرة على عدم إهمال دراستي.. إلا أن عقلي الأحمق هذا لم يبدو مستعداً اليوم للإصغاء لأيّ شيء أو استيعابه..

فجلستُ بين الصفوف شاردة الذهن.. تائهة تماماً بين كل فكرة تسحبني إليها و أخرى تعيدني للتي قبلها..

و أخيراً انتهت هذه الحصّة الطويلة جداً.....

خرجتُ لأصطدم بوجه أمل المُبتسمة كما العادة و هي تقف في انتظاري في الساحة..فاقتربت
مني بسرعة لتقول لي باعتذار ؛

_أسفة..لقد استيقظتُ في الصباح متأخرة و لم أستطع أن أمر عليك..خمنت أنك قد تكونين
ذهبت قبلي..

حركتُ رأسي عشوائيًا و أنا أجيها تلقائيًا ؛
_لم أكن لأذهب بدونك..

نظرت لي أمل في هذه اللحظة بعدم فهم..ثم قالت تضيق عينها توجسًا ؛
_مهلاً..متى أتيت أنت بالضبط ؟!! لقد بحثت عنك في كل مكان هنا في الصباح و لم أرك !
شعرتُ بأنني لست مستعدة أبدًا لخوض هذا الحديث الفاقد للمعنى..فقلت أتهد بإرهاق ؛
_هل نذهب ؟!!!

نظرت لي أمل باستغراب قليلًا من سرعة تغييره للموضوع..لكنها لم تعلق رغم ذلك و هي ترى
القلق و الشرود الذي يحتل ملامحي..قبل أن تر افقي السير ناحية الباب..
كنا نسير في سلام تام لولا أن هبت عاصفة فجأة أوقفتنا..فقالت أمل تهتف قبل أن تسمح له
بالكلام ؛

_أنت مجددًا ؟! ألم أخبرك أن لا تلحق بي ؟!!!
كان أمجد الذي ترك جبهة ليمشي في جبتي مرسلاً كل مشاعر الارتباك و التوتر و الضيق إليّ و
هو يقول مغيظًا إياها ؛

_و من قال أنني ألحق بك ؟!! أنا أريد التكلم مع شهد..
رمقته أمل بحنق و هي تشيح بوجهها جانبًا..بينما بقيت أنا أكمل سيري دون أن أبدي أي ردة
فعل..إلى أن قال هو بذات لطفه ؛
_كيف حالك يا شهد ؟!!

لم أشعر أبدًا بأن هذا السؤال موجه لي..بل لتلك الحانقة بجاني..أساسًا هو معجب بها..و
الجميع يدرك ذلك بالطبع إلا صاحبة الشأن !!
أرغمت نفسي على إجابته..فهمست دون أن أنظر له ؛
_أنا ب.....

و فجأة هكذا..قبل أن أتم جملي..توقف الزمن..لقد توقف حرفيًا..
هكذا شعرتُ تمامًا و أنا.....أراه !!!!

نعم..لقد كان هو.....

يقف على بعد مسافة جيدة مني..يحدق بي تمامًا بعينين قاسيتين لسبب لم أفهمه..و لم أهتم
في الحقيقة فقد جحظت بعيناي بصدمة و تجمدت مكاني غير قادرة على التقدم خطوة واحدة
أخرى..

لقد كان يستند بظهره إلى سيارته لكنه رغم ذلك كان يقف باستقامة..بدون عكاز !!
يرتدي قميصًا صيفيًا فاره الثمن بالطبع..فوقه سترة سوداء رجالية لاقت له تمامًا..و بنطالًا
بلون الزيت..تصميمه يشبه تلك البذل التي يرتديها ضباط الجيش..و حذاءً أسودًا بعنق زاد من طوله
الفاره أساسًا بضعة سنتيمترات..

كان مختلفًا..شعره الناعم أصبحت خصلاته أقصر طولًا من آخر مرة قابلته فيها.. يرفعه إلى
الوراء كاملاً..

و ذقنه بالكاد لمحته من مكاني..كان خفيفًا جدًا و كأنه لم يعد موجودًا..
يا إلهي..هل يستطيع الإنسان أن يلفت كل هذا الإنتباه بمجرد وقوفه هناك بهذا الشكل ! لأنني
لا أرى سوى معظم العيون التفتت له !

يحدقون به بانهار ممتزج بتساءل عن هوية هذا الشاب المجهول الذي لم يلمحه أيُّ أحدٍ في
الجامعة من قبل ؟!!!..

كان أسوء شعور في العالم ذلك الإنقباض الذي اجتاحني لحظتها..أردتُ أن أصرخ بكل عين
تتطلع به بأن ذلك الشاب هناك ملكي أنا..لقد أتى لأجلي أساسًا..أليس كذلك ؟!!!..
بينما لم يبدو هو مباليًا بأيِّ أحد..عيناه كانتا تحدقان بي فقط..

لا..ليس باشتياق..بل.....بقسوة !!!

نظرته تلك بعثت مشاعر الخوف إلى قلبي و جعلتني أتساءل..هل هذا هو هادي خاصتي
بالفعل ؟!!! لماذا ينظر لي بكل هذا الغضب إذا ؟!!

لماذا أرى بؤبؤي عينيه يهتزان بين كل لحظة و أخرى ليُشيع النظر عني و ينتقل إلى.....
_شهد...ما الخطب ؟!!

حمقاء..أكبر حمقاء على الإطلاق !!! كان ذلك صوت أمجد تلاه صوت أمل التي قالت تناديني
بقلق ؛

_شهد !!!

لكنني لم أعرها أيَّ انتباه..كنت قد استطعتُ استعادة تركيزي قليلاً فقط وأدركت للتو سبب

ذلك الغضب المرتسم في ملامحه !! يا إلهي..أنا هالكة لا محالة !!..

لم أشعر بنفسي بعدها إلّا و أنا أدفع نفسي..بل هي من دفعتني لأقترب منه بسرعة.. بعد أن

استعادت حواسي كل نشاطها إلّا عينايا..

تاركة خلفي شخصان يحدقان بي بفم مفتوح و عيون مذهولة..

و استمر هذا الذهول إلى أن سمعت صوت أمل تهتف بي و قد كانت تنتوي اللحاق بي على ما

يبدو ؛

_أيّتها المعتوهة..أين.....

لكنني سمعت بعدها تمامًا صوت ذلك المزعج ينهرها ؛

_توقفي..أظن أنها تعرفه !

توقفتُ أمامه تمامًا..أواجه صدره العريض بعد أن استقام في وقفته أكثر..لم أدري لما انتابني

خوف مفاجئ في تلك اللحظة..لقد كنت خائفة منه بشدة لسببٍ لا أعلمه..أو أعلمه !!..

خائفة و متوترة لدرجة أنني عجزت عن رفع رأسي للحظاتٍ طالت..لم يلفظ فيها هو حرفاً

واحدًا..و لا حرف..

قبل أن أرفع رأسي ببطءٍ شديد إلى أن نظرت له..و يا ليتني لم أنظر !!!

قابلتني ملامحه الغاضبة بشدة..عينان غاضبتان مقابل عينيّن بريئتين خائفتين

مشتاقتين..عاشقتان بشدة !!..

أنفاسه الغاضبة التي لم تداري شوقه مقابل أنفاسي المتسارعة الخائفة..بقيت هكذا أحرق

به لوقتٍ..و قد أقسمتُ أنه لو فتح فمه و قال كلمة واحدة الآن..فسأفقد وعبي حتمًا !!

و كأنما كان يقرأ كل أفكاري..فاختار الصّمت هو الآخر..و استمر ينظر لي بحاجبيه

المنعدين..يقطع أحدهما ذلك الجرح الذي لن يخفيه الزمن يومًا..و لا أنا أريده أن يختفي !!

و مجددًا يلوح نفس السؤال في ذهني..هل يعقل ؟!!!

أن يكون الإنسان جميلًا لهذا الحد ؟!!! أم أنا فقط المعتوهة هنا كما نادتني أمل..لدرجة

تجعلني أقع في غرام ذلك الجرح..مجرد أثر جرح ..!!!!

و أخيرًا بدرت عنه حركة..حركة مقتضبة مخيفة أيضًا..راقبت يده و هي تمتد إلى مقبض

السيارة الحمراء الفارهة إلى أن فتح لي الباب و أشار لي بدقنه فقط أن أصعد..و أنا صعدت

بالطبع..هل أستطيع أن لا أصعد أساسًا ؟!!!

انتفضت بقوة على صوت إغلاق الباب..لا..هو لم يغلقه..بل صفقه في وجهي حرفيًا..قبل أن يدور حول السيارة ليصعد في مكانه و يشغلها..هل تظنون أنني التزمت الصمت ؟!!!
فغرت شفتاي انبهارًا و سعادة انتابتي داخليًا..و دمعت عيناى لسبب مجهول و أنا أراه يقود..في تلك اللحظة بالذات استوعبت بأن هادي القديم عاد..

لكن لما يبدو أشد قسوة و غضبًا ؟!!!

ساد الصمت بيننا للحظات..ثم فتحت فمي لأهمس بتلعثم أحرق ؛

_أنا.....

_شش..و لا كلمة !

يا إلهي..إنه لا يمزح أبدًا !!!

شعرت بارتعاشة قوية تحتل أناملي فأطبقتها بشدة و أنا أطرق رأسي بصمتٍ بالفعل..ثم أجبرت نفسي على أن لا أرمقه بأي نظرة أخرى بعدها..
إلى أن توقفت السيارة التي كانت سرعتها أقل من المسموح بها..لا تعكس أبدًا أيّ تعبير بوجهه المقتضب..لا بد أنه لم يبدأ السياقة إلّا مؤخرًا..هذا يجعله لا يجازف بالقيادة بسرعة لأجل وضع قدميه..

تمنيّت بشدة لو أسأله عن وضع قدميه !!! لكنني بدلًا عن ذلك فتحت عيناى على اتساعهما و أنا أراه يتوقف أمام...منزله !! هل أقول منزلنا ؟!!!!..
لا يهم..المهم أنني لن أدخل..يا إلهي إلّا هذا المنزل..أنا لا أستطيع أن أخطو خطوة واحدة إلى الداخل..

ستقتلني فكرة أنني لم أعد أمتلك مكانًا فيه..سأموت و أنا أحرق بأثائه مجددًا..حيث تختبئ في كل ركن هناك ذكرى مميزة لنا..سواءً سيئة أو سعيدة تبقى مميزة !!!..
لكنه لم يبدو كمن سيلقي بالآ باعتراضي..فقد فتح الباب من جهته لينزل و يصفق الباب مجددًا بعده..ثم دار حول السيارة أمام أنظاري التائهة..ليتوقف أمامي و يفتح الباب قائلاً باقتضاب ؛
_انزلي..

لكنني لم أنزل..بل أغمضت عيناى بقوة..و ابتلعت ريقى الجاف و أنا أهمس بارتجافة

استكانت بكل جسدي ؛

_لا أريد أن أدخل لهذا المنزل..رجاء..رجاء !!

بقيتُ هكذا مغمضة عيناى عن ملامحه ببرودها المرعب..قبل أن يأتيني صوته في

منتهى.....البرود أيضًا !!

_كما تريدن إذاً..ابقي هنا..

فتحتُ عيناى بسرعة لأجده قد التفت بالفعل..يقترّب من ذلك المنزل دون أيّ تردّد.. إلى أن

توقف أمامه ليخرج المفتاح و يفتحه و يدخل تاركًا الباب مواربًا خلفه ..!!!

بقيتُ هكذا متجمدة مكاني أرى كل شيءٍ بشكلٍ ضبابي..هل كان يقصد ما قاله بالفعل ؟!!

ماذا أفعل الآن ؟ هل أرحل بصمت ؟!!..

أم ربما عليّ أن أستسلم للأمر الواقع و أدخل !!

لم يكن لديّ الخيار أساسًا..أنا حيث يقودني قلبي موجودة..و قلبي قاذني إليه..هذا القلب

الأحمق المتؤامر معه ضدي..

استجمعتُ كل قواى الخائرة أساسًا و دفعت نفسي قسرًا للوقوف و الاقتراب من ذلك

المنزل..بل ذلك الكابوس !!!

إنه كابوسي الأجل على الإطلاق..بل الكابوس الوحيد الجميل في هذا العالم !

دلفتُ إلى المنزل بتردّد..خطوة وحيدة..ثم تليها أخرى و عيناى تتقفيان أثره..لكن أيّ أثر له لم

يكن موجودًا..طرفت بعيناى بحيرة و أنا لا ألمح أيّ أثرٍ له بالفعل..

قبل أن أنتفض فجأة على صوت إغلاق الباب بقوة من ورائي..ثم ما إن التفتُ وجدته يقف

هناك..لا تزال ملامحه تنضح جفاءً و قسوة..ثم قال بدون مقدمات ؛

_الآن أخبريني..من هو ذلك الشاب ؟!!!

زفرتُ في هذه اللحظة داخليًا..زفرة بلا صوت..هل كان ينقصني ضغط فوق الذي أعاني منه

أساسًا أنا ؟!!!!..

ابتلعتُ ريتي للمرة التي لا أدري كم و أنا أجيب بتلعثم ؛

_أنا.....أنا.....

لكنه لم يسمح لي حتى بإتمام جملي الغبية..بل اقترب مني بضعة خطواتٍ ليقول بنبرة أكثر

انفعاليًا و جنونيًا ؛

_أريد جوابًا واضحًا..من هو ذلك الشاب ؟! و متى تعرفت عليه ؟!! لماذا كان يقف معك و ما

الذي كان يقوله أساسًا ؟!!!! تكلمي !!!

أنهى كلامه و هو يقف أمامي تماماً..على بعد خطوة واحدة صغيرة..كان يبدو غاضباً
بشدة..لدرجة لم أتصورها حتى..

لكن ملامحه لانت قليلاً ما إن فتحتُ في لأردف بضعفٍ و أنا أشعر بأنفاسي تتسارع و
تتسارع ؛

_إنه..إنه ليس أيّ شيء..هو..هو.....

لم أشعر بنفسي و أنا أصمتُ فجأة تاركة الجملة في منتصفها..ثم قلت بدون تخطيط..
بصوتي الخافت الذي ازداد وهناً بشكل واضح ؛

_أنا حامل !!!!!

و فجأة..تلاشت كل الإنفعالات من وجهه..اختفى صوته تماماً و حلّ الصمت كل المكان..رأيتُ
عينيه و هما تتسعان ببطءٍ شديد..بينما فغر شفتيه و ارتعشت رموشه و هو يخفض عينيه ببطءٍ إلى
أن تسمرتا على بطني..

بدا كشخصٍ فاقد للقدرة على الكلام أو التحرك..غباء مفاجئٍ استفحله و احتلني مثله..و
استمر هذا الوضع لعدة لحظاتٍ..إلى أن أعاد أنظاره لعيناى و قال بنبرة تائهة فاقدة للإدراك ؛

_ما..ماذا ؟!!! ماذا...قلت ؟!!!!

دمعت عيناى بشدة و أنا أعيد همستي بنبرة أكثر قوة..و أكثر اختناقاً !

_أنا...حامل...حامل !!!!!

امتألت عيناى بالدهشة أكثر..دهشة مختلطة بمشاعر أخرى غير مفهومة..ثم قال بعد بعض
الصمتِ بضياح تام و طيف يشبه ابتسامة يكاد أن يرتسم فوق شفتيه ؛

_حامل ؟!! حامل كيف..أقصد...متى...أقصد..لماذا لم تخبريني ؟!!!

زفرتُ بإرهاق أكبر و أنا أقول بغصّة..أكاد أن ألتهم تلك الابتسامة التي بالكاد لامست عينيه

بعيناى الدامعتين بشدة !

_أنا أخبرك الآن..لقد علمت في الصباح لذا.....

لم أشعر بنفسي إلا و أنا أجهش في البكاء فجأة بشكل هستيري للمرة الثانية هذا

اليوم..فاقترب مني بسرعة ليهمس لي بوجه ممتقع ؛

_ما الخطب الآن ؟!!!

رفعتُ يداى لأحجب بهما وجهي المبلل أكاد لا أفهم بنفسي هذه النبوة من التقلبات التي

أطاحت بي..ثم قلت بصوتي المتحشرج ما أشعر به بالفعل ؛

_لقد تخيلتُ هذا الموقف كثيرًا لكنك.....لكنك أخفتني..لقد أخفتني بشدة !!!
لم أشعر بعد جملي تلك إلا بذراعيه تلتفان من حولي بقوة جبارة شهقت لها..و بعطره الأثير
لديّ يتسلل عبر أنفي المغرق في صدره..
يا إلهي..الآن فقط أدركتُ كم كنت مشتاقة إليه !
مشتاقة إلى درجة جعلتني لا أتساءل..لا أعلق..فقد أغمضت عيني بقوة و أنا ألتصق به
أكثر..أتشبثُ بكل ما أمتلكه من حُب بتلك الفرصة الثمينة التي منحها الحياة لي..
بينما تتسللت يدي من تحت سترته لتتمسكَ بقماش قميصه تعتصره بقوة..أستشعر هذا
الدفع الذي حرمت منه لمدة أيام و ليالٍ قاحلة كئيبة..أحاول أن أقحم في عقلي الأحرق بأن ما أعيشه
حقيقي !

سمعتُ صوته يأتيني مختلفًا عن ما كان عليه قبل لحظاتٍ بينما أصابعه تتحرك فوق ظهري
مربّطة صعدًا و نزولًا..و كأنما قد سكبت بدموعي على غضبه ماءً باردًا جعله يتخلص من كل
الاقتضاب و يتشح بحنانٍ مفاجئ أثناء همسه بخفوتٍ ؛
_ششش..يكفي..لا أظن أن الأمر يستحق كل هذا البكاء..أنا فقط.....
فتحتُ عيني المتورمتان أنظر إلى السراب بصمتٍ و أنا أستشعر مضخة أنفاسه العنيفة
تضرب وجنتي..بينما ساد صمت قصير جدًا ثم وجدته يدفعني مجددًا متمسكًا بكتفائي أثناء قوله
بحدة ؛

_لكنك لم تخبريني حتى الآن..من هو ذلك المعتوه ؟!!!
رباه..ألم يكن يستطيع أن ينتظر لحظة أخرى بعد ! ألن تتغير طباعه أبدًا..ألن يتوقف عن كل
تذبذباته !

تارة يرفعني نحو السماء بتريئة حنونة من أنامله على ظهري..و تارة يسقطني على الأرض
بتساؤلاتٍ لا يجدر بها أن تطرق عقله حتى !
لم أجب على سؤاله ذاك..بل قلت أنقل عيني بين عينيهِ و صوتي لا يزال مبحوحاً بعد نوبة
بكائي الحمقاء تلك ؛

_أنت تخيفني مجددًا !!
رأيتُ جبينه و هو يتجعد قليلاً بمشاعره المكبوتة..بينما انحنى حاجباه قليلاً حنانًا دون أن
تزلزل العقدة التي بينهما..و قبل أن أفرح بانتصاري الوحيد هذا وجدته يترك كتفائي فجأة ليقول بنبرة
حانقة تحمل في طياتها اعتذارًا خفيًا ؛

_ماذا عساي أن أفعل ؟!!! ذنب العاشق الوحيد غيرته..و أنا.....

صمت فجأة و هو ينظر لي بيأس..فأكملت عنه بحذر و بطء ؛

_أنت.....تغار...بشدة ؟!!!

كان واضحًا بأنه يحاول كتم أعصابه بشق الطرق..لكنه في النهاية قال يرفع أصبعه في وجهي

بانفعال ؛

_ أقسم لولا ثقتي بكِ لكنتُ قد حطمت أسنانه في تلك اللحظة بالذات التي رأيته يقف معكِ

فيها..ثم.....

ثم صمت..مجددًا..هل أصبحت لديه عادة أن يبدأ الكلام و يتوقف في منتصفه ؟!!!

لم أدرِ في تلك اللحظة ما الذي دهاني..أو ربّما كنت أكذب في موضوع خوفي منه.. فأنا لست

متأكدة فقط..بل واثقة تمام الثقة في أنه لا يمكن أن يؤذيني..أبدًا..مهما قسى !!..

لكنني رغم ذلك..ضيقْتُ عيناى قليلاً أحاول تخمين ما كان سيقوله..ثم حينما لم أجد شيئاً

قلت بتوجس ؛

_ثم...تحطم أسناني أنا أيضاً..هل...هذا ما كنت ستقوله ؟!!!

أجفَلْتُ بقوة حينما التفت إلي بسرعة كصاروخ كان يستعد لإطلاق قذيفته..لمهتف بي

باستنكار غاضب ؛

_هل أنتِ مجنونة ؟!!!

لم أستطع أن ألفظ كلمة أخرى بعد..أطرقت برأسي أنقل عيناى حولي بتوتر..و كم تصرفت

بسذاجة بحيث حرمت نفسي فرصة التشبع أكثر بتأمل تعاقب نظراته تلك بكل الإشتياق و الألم

المنصهر فيها..

ثم هتف بنبرة عنيفة تخالف معنى ما سيقوله..هتف ببؤس ؛

_لتكسر يدي أولاً !!!!

ألم أقل بأنه لا يستطيع أذيتي..أنا أثق بذلك !

جملته تلك دغدغت قلبي بسحر خاص لتعيد إحياء جزءٍ من شهد الواجهة التي لم تظهر يوماً

إلاّ معه..و جعلتني أهمس من تحت أسناني رافة بقلبه المسكين الذي أكاد أستشعر خفقاته

المتضاربة من مكاني ؛

_إنه...زميل صديقتي في الصّف..و...و.....

_و ماذا ؟!!

رفعتُ أنظاري إليه برهبة و أنا أقول جملي التالية بتردد..فربما قد لا يعجبه أمر عملي أبدًا..

_و أخ الأنسة رجوى...مديرتي في العمل..أخوها الصغير..

صمتُ بعدها أنقل أنظاري بين عينيهِ بتوتر أكبر..لكن أيّ ردة فعل توقعتها لم تبذر منه..بل

كان هادئًا و هو يسألني ببعض التفاجئ ؛

_صديقة ؟! هل أصبح لديكِ صديقة ؟!!!

وجدتُ نفسي أبتسم تلقائيًا ابتسامة لمست عيناي فقط و أنا أرد ؛

_فتاة تقطن في المنزل المقابل لمنزلي..لقد ساعدتني كثيرًا طيلة هذه المدة..اظن أنك رأيتها..لقد

كانت تقف معنا هي أيضًا حينما.....

صمتُ فجأةً أبتلع بقية جملي الغبية..و ساد صمت جديد..ثم سمعته يهمس بصوتٍ شاحب

تمامًا ؛

_يبدو أنك لم تعود في حاجة لي أبدًا..

و كأنما قام باختراق قلبي بسكين حاد لا فقط ألقى بتلك الجملة القاسية في وجهي..قلت

بتهدج و أنا أنظر في عينيهِ بألم ؛

_أنا بحاجتك..بشدة...أنت تعلم ذلك !

رأيتُ كيف أن الانفعال عاد ليستوطن عينيهِ بسماعه لإجابتي التي من المفترض أن تهدئه..ثم

هتف بي في نفس اللحظة ؛

_إذا كنتِ كذلك بالفعل فلما وقعتِ تلك الورقة في ذلك اليوم..لما أنهيتِ كل ما بيننا بمجرد

توقيع ؟!!! لما ؟!!!!

ماذا أقول الآن ؟!!!

أيّ عذرٍ سأنتقيه من بين -أعذاري- لأبدّد تلك الحسرة المتألّمة في عينيهِ ؟!! هل أقول أنني كنت

مضطرة ؟!! بأن أملك جعلتني أوقع قبل زواجنا على عقد نهايتي ؟!!!!..

بأنها قامت بكل صفاقة باستغلالك ضدي ؟!!! بترهيب من فكرة أنك قد تخسر كل أحلامك

بسببي ؟!!! ماذا.....أقول ؟!!!!

_أنا.....أنا.....

و كأنما قرّر القدر أن يرأف بي في تلك اللحظة..فلم أكد ألفظ حرفًا واحدًا صحيحًا حتى كنتُ

أطرف برموشي التي تناقلت بشدة..و شعرت بذلك الدوار الذي كان يداهمني يعود ليذاهمني بقوة

أكبر الآن..

لحظة واحدة فقط..تحولت صورته إلى ضبابية..وفقدت قدماي كل التوازن المنشود..وما
كان مني إلا أن استسلمت..استسلمتُ تمامًا بكامل إرادتي لذراعيه اللتين التفتا حولي من كل جهة

لتسنداني إلى موطني...صدره !!!

بينما تسلل صوته القلق إلى أذناي ؛

_شهد ؟!!!!

هل تتذكرون ذلك الوعد القديم الذي قطعه علي..حينما قال بكل وقاحة آنذاك..

"..سيأتي اليوم الذي سأسألك فيه أنا نفس السؤال..لكن بصيغة أخرى...

- سيكون السؤال حينذاك على هذا النحو..هل أحملك بين ذراعي أم تفضلين أن تمشي

بمفردك ؟!!! -

.وقبل أن امنحك الفرصة لقول كلمة أو منحي الإذن سأكون قد حملتك بالفعل !."

ها قد أوفى به !!

سرعان ما شعرتُ بي مرفوعة بين ذراعيه اللتين اندست إحداهما خلف ظهري و الأخرى تحت

ركبتي..كنت شبه واعية بكل شيء..لكنني لم استطع أن ألفظ كلمة واحدة حتى..

إلى أن شعرتُ به ينحني ليضعني فوق الأريكة..أو السرير..لا أعلم بالضبط..

و سمعت صوته يهتف بجزع متضاعف..بينما يداه تحاوطان يدي تفركان ظاهرها و باطنها

بقوة ؛

_شهد..شهد..يا إلهي..هل أنت بخير ؟!!!! شهد !!!

بصعوبة تمكنتُ من فتح عينائي..و حينها فقط أدركت حينما استقرت عينائي في السقف أنني

مستلقية في الغرفة..فوق السرير..

ذلك الذي كنت قد اعتدتُ التدثر بدفء صاحبه..

قبل أن ألتفت قليلاً لأنظر له..و قد كان يجلس على ركبتيه بجانب السرير..يتمسك بيدي

بقوة بينما ينظر لي بلهفة ممتزجة بقلقه المبالغ به..

قلت أتحامل على نبرة الإعياء في صوتي ؛

_هادي أنا حامل..هل نسيت ؟!!!! هذا أمر عادي..

بدا لي في تلك اللحظة كطفلٍ تائه و هو ينقل أنظاره بين وجهي و بطني الذي ارتاحت فوقها

راحته..ثم أغمض عينيهِ للحظة التقط فيها أنفاسه المتهدجة..

و همس بصوتٍ مجهد ؛

_يومًا ما سأموت قلقًا عليك !

لم أستطع أن لا أبتسم بحُبِّ يسكن بعيناي..لكن ذلك القلق الذي عاد يسيطر عليّ شتت ابتسامتي قبل أن تكتمل..فهمست بوهنٍ و أنا أرفع أناملي المرتعشة لأغطي يده التي فوق بطني ؛

_ماذا...سنفعل الآن ؟!!!!

نظر لي كمن تلقى أقبح شتيمة على الإطلاق..لا مجرد سؤال منطقي..ثم قال بصوته الخشن
بنبرة قاطعة لا رجعة فيها ؛

_و هل هذا سؤال حتى ؟!! سنتزوج بالطبع !!!

مهلاً..هل قال...نتزوج للتو ؟!!!! إنه يبدو مستعدًا للأمر قبل حتى أن نتقابل !
طرفتُ بعيناي لعدة مراتٍ بضياح..ثم قلت أنتقل بهما بين عينيهِ بلهفة مسكينة..و خوف من
أن يكون كل ما أعيشه الآن محض حلم ؛

_نـ...نتزوج ؟!!!!

أومأ لي بلا أيّ ترددٍ..ثم اقترب مني قليلاً ليمس بينما يتكوّ بمرفقه إلى المخدة تحت رأسي..بنبرة
كانت أبلغ من كل الكلام..بعد أن زالت الحدة من عينيهِ ؛
_هذه المرة زواج حقيقي يكمله الحُب لا الضغوط..ستكونين زوجتي لأنكِ ترغبين و أنا نفس
الشيء..

ثم أكمل و هو يرفع أصبعه أمام وجهي بجدية تامة ؛

_و إياك..إياك أن تحاولي حتى الاعتراض !!

حركتُ رأسي بالنفي قطعاً و دموعي التي لم تجف أساساً تعود لتلكز عيناَي بإصرار..ثم
همست بأنفاسٍ متقطعة..غير قادرة على إبعاد هذا القلق عني ؛

_و...و والديك ؟!!!!

رفع يده فوراً ليغطي بها وجنتي برفق..ثم قال يحدق في جوف عيناَي..و نبرته الخشنة تزداد
خشونة..لكن بحنانٍ اكتسح كل تقاسيم وجهه ؛

_أمر والداي ستدسينه تمامًا..أنا سأتكفل به...مفهوم ؟!!!!

لسبب ما شعرت بأن هذا المشهد مألوف..مألوف جداً..ذكرني بذلك اليوم الذي جلسنا فيه في
وضعية تشبه هذه..لكن الفرق الوحيد أننا جلسنا يومها بخلاف لليوم..كان هو في مكاني..و أنا في
مكانه !!..

يومها طبع قبلة عميقة المعنى فوق وجنتي..ليلقي ببعض من كلماته الساحرة في أذناي..و كأنما
كتبه الله في قدري ليرمم كل جروحي..و يزرع بذور الأمل في قلبي كلما ذبلت !! كما اليوم تمامًا !
أليس الله سبحانه و تعالى من كتبه في قدري..فمن أنا إذا لأعارض حكمه و أتمرد على مشيئته
..!!!؟

" 30 ؛ بجانبك "

#الكاتبة

" و هل هذا سؤال حتى ؟!! ستتزوج بالطبع !!! "

كم كانت ردة الفعل تلك ذات تأثير قوي على قلبها..تأثير جميل و مُميز بشكل غريب..الحقيقة أنها لم تكن تتوقع أقل من أن يقبل هادي بطفله..

لكنها لم تتوقع أبدًا أن يقابل الخبر بكل تلك الحرارة و الحب !

اليوم فقط تشعر بأنها قادرة على أن تحبه أكثر ممّا كانت..بعد أن لم تستطع قبلاً أن تضع درجة أعلى من درجة الحُب الذي تكنه له..الآن تجد حياء ذاك و قد ازداد درجات لا تعد و لا تحصى ! منذ أن خرجا من المنزل بعد أن اطمئن على صحتها و تلك الجملة..و تعايره البالغة المعاني لم تبارح ذهنها..يتخللها حزن تولد من رحم فكرة أنها لا تزال مضطرة للعيش بعيداً عنه لأيام أخرى بعد ! توقفت السيارة بعد وقتٍ أمام المنزل حيث تقطن وحيدة..فالتفتت إليه متنبهة من أفكارها..و التفت إليها هو الآخر ليمنحها نظرة احتوت كل الشوق و الاحتواء في العالم..

قبل أن تبتلع ريقها ببطء..و تلتفت هامة بالترجل على مضض..لكن صوته الذي جاء من

جانبيها أوقفها ؛

_شهد !!

رسمت شبح ابتسامة ضئيلة جداً على شفثيها و هي تلتفت نحوه بصمتٍ..فتهد بخفوت..ثم

قال ينظر في عينيها بحزم ؛

_إذا سألك أيُّ أحد عني فقلولي بأنني زوجك..لا تذكرني أمر الطلاق أبداً..اتفقنا ؟!!

و هل تستطيع أن تصفه بكلمة غير ذلك ؟!

أومأت له بطاعة و ابتسامتها تتلاشى ببطء..قبل أن تطرف بعينيها بتوتر و هي ترأق يده التي

امتدت لتلامس وجنتها لمسة حانية جداً أثناء همسه برفق ؛

_جيد..سأمر عليك غداً صباحاً لأصطحبك في مشوار مهم..كوني مستعدة..

لكنها لم تبدو مستعدة..بل اتسعت عيناها قليلاً بشكلٍ غير مرئي..و قالت تجلي ريقها و تنظر

له بحذر ؛

_لكنني..سأكون..أقصد لدي...دوام في..العمل.....غداً !!

كانت تلفظ كل كلمة بتلعثم أمام عينيه الهادئتين..لا تستطيع أن تتنبأ بردة فعله حيال الأمر بعد..وقد كانت ردة فعله عبارة عن نظرة هادئة و كأن الأمر لم يفاجئه إطلاقاً..

ثم قال بصوته الرخيم برصانة ؛

_تعلمين رأيي جيداً في هذا الموضوع !

مالته عيناه حنائاً و هو يراها تنقل أنظارها بارتباكٍ حولها..فترك المقود الذي كانت فوقه يده

الحرّة لتنضم للأخرى و تحاوط وجنتها بينما يهمس بليونته و رفق أمام عينها ؛

_لكنني رغم ذلك لن أجبرك على أي شيء..أنا فقط سأطلب منك أن تتركي العمل.. أولاً..لأجل

دراستك..و ثانياً و الأهم..أنتِ لم تعودتي بحاجة له الآن !

تلكأت شهيد قليلاً و هي تنقل عينها بين عينيه..قبل أن تهمس بنفسٍ نبرتها المتلعثمة الخرقاء ؛

_الأمر ليس كذلك..أنا...فقط...السيدة رجوى ساعدتني كثيراً و أنا.....

_أنا سأهتم بأمر السيدة رجوى..

قاطعها هادي بنفسٍ نبرته الخافتة الهادئة..فتراجعت قليلاً ناظرة له بشيءٍ من الدهشة من

طريقة نطقه لاسم مديرتها و كأنه كان يعرفه قبل اليوم..همست بنبرة خلت من كل الإرتباك السابق ؛

_هل أنت.....تعرفها ؟!!!

لكن هادي لم يمنحها جواباً..فقد تضاعفت حيرتها أكثر و هي ترى تلك الابتسامة

الدافئة..المهمة قليلاً التي احتلت عينيه فقط..

قبل أن يحرك إحدى يديه المطوقتين لوجهها ليلاصق بعضاً من خصلاتها الهاربة من ضفيرتها

الطويلة..و همس بنبرة مُميّزة بينما يقترب منها قليلاً ؛

_ظننت بأنك لم تفهمي كلامي ذلك اليوم !

" لا تسدلي شعركِ أمام أيٍّ أحدٍ غيري !"

تلقائياً وجدت هذه الجملة تخترق عقلها..فارتعش فكها بشكلٍ ملحوظ لأنامله التي استقرت

هناك..و قالت بنبرة ذائبة في سحر هذا الاقتراب ؛

_في الحقيقة لم...أفهمه...جيداً..لكن..لكن.....

صمتت لوهلة و هي تسدل رموشها الطويلة عنه توتراً..قبل أن تعيد أنظارها لعينيه لتهمس و

قد اكتسبت نبرتها بعض الثبات ؛

_أنت من طلبتَ مني أن لا أسدله مجدداً !

اتسعت ابتسامته الحنونة أكثر..لكنه رغم ذلك هز رأسه بالنفي قائلاً بهدوء ؛

_خطأ!!..لقد طلبت منك أن لا تسدليه أمام أيٍّ أحدٍ غيري !

كان يتكلم ببساطة غير عابٍ بخفقاتها التي تضاعفت بشكل مؤلم..بينما ابتسامته تلك

ألهمت مفاصلها عشقًا..و همست غير قادرة على إخفاء ملامح الإنهار في عينيها ؛

_و فعلت !

و كأنما كان يتعمد أن يعزف فوق أوتار قلبها بعذوبة جميع تعايره اليوم..أهمها تلك

الابتسامة..فزاغت عيناها أكثر و هما تلاحقان ابتسامته التي أخذت تتسع و تتسع بسعادة كادت أن

تدرف الدموع تأثرًا بها..

و فجأة..تفاجئت به و قد أبعد يديه الدافنتين عن وجهها..ثم رفع رأسه ينظر لهذه البناية

الشاهقة حيث تقطن..و قال يهدد مشاعرها المتيمة به ؛

_أين تقبع الشقة التي تسكنين بها بالضبط ؟!!!

بصعوبة استطاعت إشاحة أنظارها عنه لتشاركه النظر حيث ينظر..ثم قالت و هي ترفع

يدها مشيرة إلى مكانٍ معين ؛

_هناك...في الطابق الثاني !

أوماً هادي و حاجباه ينقدان قليلاً ببعض القلق..قبل أن يعيد أنظاره إليها سائلاً ؛

_هل ستستطيعين الصعود بمفردك ؟!!

أخفض أنظاره قليلاً مستأنفًا بنبرة ذات مغزى..بريء جدًا..و دافئ جدًا كابتسامته !

_أقصد.....

_أنا...سأكون على ما يرام !

قاطعته شهد برقة..مأسورة بنبرته و اهتمامه..فصمت للحظاتٍ ناظرًا لها بغير اقتناع..ثم عاد

يفتح فمه هامسًا باهتمام ؛

_متأكدة ؟!!!

أومات له شهد برصانة الآن..بدون أن تتوقف عيناها للحظة واحدة عن تتبع كل حركات

ملامحه و سكناتها..فساد صمت آخر قصير جدًا..لم يلبث بعده أن تنهد بقوة قائلاً باستسلام ؛

_حسنًا..لكنني سأنتظرك هنا..ما إن تصعدي قفي في النافذة لأراك..اتفقنا !

و نفس الجواب..إيماءة هادئة وديعة..قبل أن تمسك بمقبض الباب لتفتحه بتردد بعد أن

منحته آخر نظرة تودعه بها..ثم نزلت مغلقة إياه خلفها بنفس التردد..

تنهد هادي باستسلام و هو يراقب أثرها باشتياقٍ لن ينطفئ في عينيه أبداً إلى أن ابتلعها ظلام
البنية..و حينها فقط رفع رأسه ينظر للنافذة الخاصة بشقتها بذات القلق..
نفسه الذي تلاشى ما إن تراءت له و اقفة هناك بعد لحظاتٍ..تحقق به كما عادتها بحُبِّ
يصرخ بحدقتيها..

رأى يدها التي ارتفعت تلامس بها زجاج النافذة كوداعٍ صامتٍ مؤقتٍ حزين..
و كم تمنى في تلك اللحظة لو يهبُ إليها معانقاً بقوة لعله ينجح في طرد ذلك الحزن
بعينيها..لكنه اضطر في النهاية لأن يرفع يده في حركة مشابهة..
قبل أن يشرع في تشغيل سيارته و الإنطلاق بها بعيداً..بعيداً عن عينيها..
لكن قلبها ظل معه يراقبه في وداعه المؤقت..
كما ترك قلبه معها..حارساً و مسانداً لوحدها !!!

ظلت و اقفة هناك لثواني أخرى حتى بعد أن رحل..
كانت تحقق في نقطة إنطلاقه بأمل خلق من أعماق حزنها..بينما كلماته..و نظراته..و
ابتسامته..و وعده الخالص يتكرر و يتكرر في عقلها..
ليزرع في قلبها ألف رغبة في الابتسام..و ابتسمت بالفعل..ابتسامة شاردة حاملة كان يشاركها
إياها من البعيد..قبل أن تنتفض فجأة على صوت طرقات مرتفعة فوق الباب..
فالتفتت بسرعة..قبل أن تقترب من الباب بتوجسٍ قلق..فمن قد يطرق بابها في هذا الوقت
من الليل ؟!!! لقد قاربت على العاشرة بالفعل و هي لا تعرف أيَّ أحدٍ غير.....
_افتحي يا شهد..هذه أنا أمل !
أمل المجنونة !!..

طرحت أنفاسها بارتياح و هي تقترب من الباب لتفتحه على ملامحها التي اتخذت شكل المحقق
اليوم و هي تنظر لها بحاجيها المرتفع..و نظراتها الحادة.....اللطيفة !!
فعلمت شهد قطعاً بأنها رأتها برفقة هادي في سيارته قبل دقائق..لهذا و تجنباً لجلسة
الإستجواب المرهقة هذه..قالت و هي تفتح الباب أكثر متنهدة باستسلام ؛
_دعينا نتكلم في الداخل !

توقفت أمام مرآتها تطالع شكلها بغير رضا تام..كانت كما العادة ترتدي زياً بسيطة.. قميصاً
قطنياً أصفرًا بأكمامٍ تتخطى مرفقيها..و تحته تنورتها الزرقاء الطويلة..بينما شعرها لا يزال منسدلاً
كليلٍ كثيفٍ..

كانت تشعر بالتردد من فكره تجديله أو تركه هكذا كما هو..فهي ستخرج اليوم مع هادي على
أية حال !

لكن هادي أخبرها بأن لا تسدله أمام أيٍّ أحدٍ غيره..هل هذا يعني.....
انتهت فجأة على صوتِ رنة هاتفها القصيرة بجانبها..فاقتربت بسرعة لتمسك به و تفتح
رسالته بلهفة..

" أنا أنتظركِ أمام الباب..لا تتأخري ! "

ابتسمت تلقائياً و عيناها تتجولان فوق الحُرُوف الحبيبة لمراتٍ متتالية..كانت جملة
عادية..أليس كذلك ؟!!! لماذا تشعر بقلبي يرتجف ارتجافاً في مكانه إذاً !!!..
أعادت الهاتف مكانه بارتباكٍ بريء و كأنه يراها بالفعل..ثم التفتت تهم بسرعة بتعديل
شعرها و النزول إليه فوراً..لكن صوت رنة أخرى قصيرة جعلتها تتوقف و تمسكُ بالهاتف لتفتحه على
رسالته التالية..

" و اتركي شعركِ منسدلاً ! "

بدت كمُراهقة عاشقة تتسلل بسرية لتقابل حبيبها الشقي بعيداً عن أنظار البشر و هي تقترب
من سيارته بارتباكها المعهود..

إلى أن فتحت الباب و جلست في المقعد الأمامي..أمام أنظاره التي تطلعت بها بحبٍ برز في
عينيه الغائرتين..

كاد أن يفقد أنفاسه و هو يحدق بشعرها الذي كان منسدلاً بسحرٍ يخص حبيبته فقط.. قبل
أن تنحدر أنظاره منه لعينها الواسعتين المتوترتين..ثم لأناملها التي كانت تشابكُ بينها بنفس التوتر..
إلى أن همست تحاول أن تضيف بعض الثبات إلى صوتها ؛

_هل.....نذهب ؟!!!

لكنه لم يرد فوراً..بل تاهت عيناه في نظراتٍ بالغة المعاني..الحقيقة أنه لطالما عشق الكثير من
الأشياء بها..كالطريقة التي تثق به بها..نظراتها المختلطة الممتلئة باللهفة نحوه..

إنها مستعدة أن تمنحه كل حياتها بكامل الرضا.. واثقة تمامًا أنه الأحق بها.. وهو بقدر ما كان
يتلذذ باختبار هذا الشعور في كل مرة كان يستغرب... بشدة !!..
فعلاً.. كيف تستطيع أن تبقى هادئة بهذا الشكل ؟!! بل أي شخص قد يستطيع أن يمنح كل
هذه الثقة و المكانة لشخص آخر ؟!!! إلا إذا كان هذا الشخص يشغل كل مكانٍ بحياته !!
إلا إذا كان هذا الشخص هو نفسه... هادي !!!!!..
امتدت يده في حركة بطيئة نحوها لتغطي يديها الاثنتين محتوية تلك الرعدة التي لا
تفارقها.. فأطرقت شهيد ترأب تلك اللمسة التي دغدغت روحها بدفء..
قبل أن تسمع صوته يهمس بخفوتٍ بينما يرسم شبح ابتسامة فوق شفثيه ؛
_ أليس من المفترض أن تقولي " صباح الخير " أولاً !!
رفعت أنظارها إليه بملامح اكتست إحراجاً و هي تهمس بنبرة خرقاء ؛
_ آ... آسفة..... نسيت !
ثم صمتت لوهلة تحاول عدم التأثر و الإنصهار حالاً بلمسته تلك و أكملت ؛
_ أ.. أقصد..... صباح الخير.. كيف حالك ؟!!!
هل وصفها بحبيبته قبل لحظاتٍ.. إذاً فقد كان ساذجاً !
إنه ليست أكبر من طفلة.. طفلة الأعلى على الإطلاق !!
طفلة تحمل بين أحشائها..... طفلة !!!
حنان مفاجئ اكتسح قلبه مع هذه الفكرة.. أحياناً يشعر بالفعل أنه لم يكن عادلاً معها.. حتى
لو كان قرار الانفصال بدر منها هي إلا أنه ليس بريئاً تماماً.. هو أيضاً لم يمنحها أي أمل.. لم يهتف بها
أن لا ترحل و لم يهمس لها في أذنها و لو لمرة بأنه..... يحبها !!!..
لقد تصرف بمنتهى الأنانية.. كان يستقبل فيض مشاعرها و اهتمامها بسعادة و صمت.. و هي
في المقابل كانت تتحمل جفاءه منذ البداية بصمتٍ أيضاً..
كانت بسيطة.. راضية بكل ما يمنحها لها حتى و لو كان أطناناً من القسوة !!!
ربما يبدو الأمر بأنه نسي.. لكن بداخله عميقاً.. كان الندم لا يزال يفترس صدره في كل مرة تمر
صورتها الدامعة المأ و خوفاً منه في ذهنه !!
هو لم تعد تهمه الأسباب و لا المنطق.. فما تبوح به عيناها كافٍ تماماً ليشبع كل نهمه من
سماع أسبابها بصوتها هي !!!..

استطاع أخيرًا أن يتمالك نفسه و يخرج من أفكاره فهمس لها بنبرة ذات مغزى.. بينما يده

تنتقل من وضعية اللمس إلى التمسك بيديها ؛

_صباح " الورد"..أنا بألف خير..و أنتِ ؟!!

كان يتكلم في منتهى الرقة و الهدوء...بشكلٍ جعلها تطرف بعينها الواسعتين بغرابة و هي تنقلهما بين عينيه المبتسمتين..مصمّمتان على قتل كل الصمود بقلبيها المسكين..إلى أن همست تتلعثم

في جميع الحروف ؛

_أنا.....بخير...شكرًا لك !

ظل هادي ينظر لارتباكها للحظاتٍ أخرى و كأنما ينظر إلى معجزته الأجل..و لم يستطع أن لا يضحك تلقائيًا..ضحكة قصيرة خافتة بالنسبة له..

أمّا بالنسبة لشهد..فقد كانت رائعة لدرجة أن فغرت فمها و هي تتأملها تكاد أن تفقد وعيها انهارًا بها !

يا إلهي..لطالما كانت تنبذ حظها التعيس..لكنها الآن و هي ترى ابتسامته و ملامحه تلك..بينما تشعر بأنامله تتمسكُ بها بكل هذا الذقئ..تدرك لأول مرة كم أنها كانت منذ البداية محظوظة

بالفعل..ربما هي الفتاة الوحيدة المحظوظة في العالم !!!..

و كأنما كل هذه المعاناة النفسية و الجسدية و الحسية التي تعانها لم تكفي..فاتسعت عيناها و هي تراه يقترب منها بجذعه في حركة جعلتها تتراجع تلقائيًا بفزع..

لكنها سرعان ما شتمت تفكيرها الأحق و هي تراه يمسكُ بطرف حزام الأمان ليغلقه بإحكام حولها و يعود لمكانه ليشغل السيارة..

غير مباليًا تمامًا بهذه الحرب التي اندلعت في داخلها بسببه !!!

سألها بعد دقائق من انطلاق السيارة ؛

_هل تناولت طعام الإفطار ؟!!!

بالطبع لم تتناول شيئًا..كان يعلم ذلك و تأكد و هو يراها تحركُ رأسها بالنفي بتردد.. فتهد و هو يتوقف بجانب الطريق..أمام مطعم يقدم طلبياته من النافذة..

ألقي بطلباته عليه دون أن يسألها..قبل أن يستلم الأكياس و يدفع له..و بالطبع كانت

الأكياس من نصيب شهد التي نظرت له بغباء..

لكنها استطاعت رغم ذلك أن تمُد يدها لتأخذها منه و تضعها بينهما فوق محرك

السيارة..فقال هادي فورًا بذهول ؛

_ألن تفتحها؟؟ إنه إفطارك !

لم ينتظر جوابها..فقد امتدت يده فوراً لتقوم بمهمتها و تفتحها..بينما انعقد حاجبا شهد
قليلاً و هي تنظر لأنواع الأكل التي لم ترها من قبل بدهشة كعادتها..
إلى أن انتهت له و هو يمسكُ بشطيرة ملفولة كانت تبدو شهية جداً..و كأس بلاستيكي مغلف
فتحه ليرتشف منه رشفة صغيرة..هو من ارتشف منه !
اتسعت عيناها قليلاً و هي تراه يبدأ في الأكل بالفعل..بعد أن ظنت أنه اشترى كل شيء لها !!!..
لاحظ هادي نظراتها فتوقف عن الأكل للحظة و هو يقول بحاجبٍ مرتفع :

_لم تنظرين لي بهذا الشكل..نصيبك في الكيس الآخر!!

انتهت شهد لنظراتها الحمقاء..فابتلعت ريقها و هي تبعد أنظارها عنه لتنقلها حولها

عشوائياً..قبل أن تهمس ناظرة بعيداً بتلغثم :

_ل..ليس الأمر أنني كنتُ أنظر للأكل..أنا فقط.....

شتمت نفسها و معدتها الفارغة تلك التي يبدو أن هذا الادعاء الكاذب لم يرق لها فقررت أن
تضعها في هذا الموقف الغبي جداً مصدرة ذلك الصوت المقرز الذي يدل على شعورها بالجوع..
بينما بدا هادي أكثر من مستمتع و هو يضيق عينيه قليلاً هامساً بينما لا يزال يحمل في يده
الشطيرة الشهية و الكوب :

_أنتِ فقط.....ماذا!!!!?

عادت تحركُ رأسها بالنفي و هي تهمس بدون أن تنظر له الآن :

_أنا...أنا فقط.....

_شهد !

قال يقاطعها بجدية الآن..فنظرت له بسرعة..لهمس لها بنفسِ الجدية الصارمة :

_تناولي إفطارك !

حينها فقط كانت تومئ له بطاعة..ثم لم تلبث أن مدت يدها بتردد لتمسكُ بالكيس الآخر بتردد
و تفتحه أمام عينيه المبتسمتين خلسة..

أحياناً لا يصدق بالفعل أنها لا تزال تخجل منه !!!

توقفت السيارة بعد وقتٍ..فرفعت شهد عينيها لتنظر إلى واجهة ذلك المتجر العريض حيث

توقفا..هل هذه هي وجهتهما بالفعل ؟!

سمعت صوت انغلاق الباب بجانبها..فسحبت نفساً هادئاً..قبل أن تبعد حزام الأمان عنها
لتفتح الباب من جهتها و تنزل هي الأخرى تزامناً مع توقف هادي بجانبها..
كانت لا تزال تنظر للمحل الفاخر بانشداه حينما شعرت بيده تمتد برفق لتتمسك بيدها..ثم
و بدون أن ينطق كلمة واحدة..كان يسحبها معه نحو ذلك المحل..
وفجأة...وجدت نفسها تقف بين مجموعة فساتين بيضاء ناعمة و فارهة الثمن لم تعقل منها
شيء..يا إلهي..هل هذا كله لأجلها؟!!..

لوهلة شعرت بأنها في حلم غريب..أو ربما هو محض خيال جميل من خيالاتها التي لا تنتهي
بشأنه !

لكنه كان حقيقة..تأكدت من ذلك و هي تنظر برهبة ليده التي لم تفارق يدها أبداً..
قبل أن ترفع عينها إلى تلك الموظفة التي كانت تشتغل على إخراج كل الفساتين التي يقع
اختيار هادي عليها..

لكن هادي بطبعه المخيف أحياناً كان يستمر بالتحديق بالفستان باهتمام شديد إلى أن يجد
عيباً ما به فيطلب منها إخراج واحدٍ آخر..
فقد كان الأول قصيراً أكثر من اللازم بشكل يجعله غير صالح أساساً لحفلة زفاف..و الثاني
ضيق بشكل مزعج..و الثالث ملفت بشكلٍ مبالغ به..و الرابع بدون أكمام..و الخامس سيء
التصميم.....

إلى أن ابتسم برضا و هو يعلن أخيراً عن اختياره لواحد منهم..كان فستاناً أبيضاً كذلك..لكنه
بدا أكثر بساطة و جمالاً و رقياً من كل التي رأتها قبله..
نظر لها هادي بعد أن لانت نبرته و ملامحه ليمس لها أخيراً باهتمام ؛
هل أعجبك ؟!!

اوووه..الحمدلله أنه تذكر أن يسألها أخيراً !!!..
هزت رأسها تلقائياً كشخصٍ فاقد لسلطانه على حواسه..فانعقد حاجباه قليلاً و هو يعيد
سؤاله باهتمام أكبر ؛

حقاً ؟!!!
رمقت شهد الفستان بنظرة متفحصة أخرى أمام عينيه المرّاقبتين..قبل أن تعيد أنظارها
إليه لتومئ له و هي ترسم ابتسامة صغيرة جداً كتأكيد على إجابتها..لكنها سرعان ما تلاشت حينما
قال بحزم ؛

_جيد..ادخلي لتجربيه إذا !

حركت رأسها بالنفي بسرعة و هي تقول بتوتر ؛

_لا..لا داعي لهذا..لقد أعجبني !

الحقيقة أنها كانت تشعر بالخجل..عقلها أرسل لها تلقائيًا صورتها الحمقاء و هي ترتدي
الفستان و تقف عاجزة في غرفة التبدل غير قادرة على الخروج أمامه به..و حتى لو خرجت فكيف
ستحمل نظراته حينها ؟! ستفقد وعيها لا محالة !!!

لكن هادي بدا مصرًا و هو يقول ؛

_حتى و لو...يجب أن نعرف ما إذا كان سيناسب مقاسك أو لا !

كان يتكلم بحزمٍ أمام أنظار الموظفة التي كانت ترمقهما بحيرة ممتزجة بإعجاب خفيّ بهذا
العاشق الغيور..

لم تدر..أو لم يدرِ كلاهما بأن نظراتها تلك كانت واضحة المعنى لشهد..تلك الغيرة الصغيرة
التي لم يلحظ تضايقها أحد..و هذا سبب آخر يدفعها للرحيل بسرعة !!

همست مجددًا لهادي بعنادٍ بريء ؛

_إنه مناسب تمامًا أقسم لك...أنا أعلم !

نقل هادي عينيه بين عينيها بتشكيكٍ..فأحنت حاجبيها برجاءٍ و هي تهمس مجددًا ؛

_أنا أعلم مقاسي جيدًا..دعنا نذهب الآن رجاء !

زفرت بارتياح حينما أوما لها هادي بغير اقتناع تام..هل تظن بأنه لا يعرف مقاسها ؟! لقد
كانت أقصى آمانياته اليوم أن يراها بذلك الفستان ! لكن لا بأس..بضعة أيام قليلة أخرى و تعود
حبيبته لتستكين بين أحضانه كأجمل زوجة في العالم !!

التفت للموظفة المزعجة بنظراتها تلك ليضع الفستان في يدها برفق مُحفّرًا كي تقوم

بتجميعه..و بعد لحظات قصيرة أخرى شعرت بها طويلة..كانا قد غادرا المحل..

لكن على عكس تلك اللحظات..فقد مرّت الوقت بعدها سريعًا فقط لشدة السعادة التي

كانت تغمرها و تتضاعف في كل لحظة إضافية تعيشها إلى جانبه..

أخذها لنفسِ المطعم الذي كانا قد زاراه مرة حيث تناولا طعام الغداء..و هناك جلسا في نفسِ

الطاولة الأثيرة..لكن الفرق اليوم أنه هو من كان يسندها..

كانت تمشي محتمية بذراعه..متشبثة بيده التي عجزت عن التشبث بها ذلك اليوم..و ما إن

وصلا لوجهتهما وجدته يدفع لها الكرسي كرجلٍ نبيل..بينما هي بدت كطفلة حمقاء و هي تهمس بغباء ؛

_هل.....أجلس؟؟

حينها منحها هادي ابتسامة أخرى في غاية الجمال و الرصانة و هو يقول بجذل ؛

_ لا أظن بأنني دفعتُ الكرسي لي..و ليس هناك سيدة جميلة أخرى غيركِ هنا !..

حسنًا..هي ستبكي حتمًا..لقد وصفها ب.....ب " السيدة الجميلة " !!!

كل هذا فوق احتمالها..هي لم تتعود على هذه الحياة..لطالما كانت وحيدة..اعتادت أن تدلل

نفسها بنفسها و تهتم بكل أمورها وحيدة !!..

استطاعت في لحظتها بصُعوبة من أن تقترب خطوة لتجلس مبتلعة ريقها الجاف

باختناق..لتنظر له و هو يدفع الكرسي الآخر ليجلس في مقابلها..بكل اتزان و ثقة..

ليتها تمتلك من ثقته هذه و لو القليل !!

هي تمتلك القليل بالفعل..القدر الذي جعلها تتجاوب معه في الحديث..ترد على مزحاته

بكلماتٍ مختصرة خجولة..تقابل ابتساماته بابتساماتٍ حقيقية خجولة..استحالت لضحكاتٍ لم

تملك أمر كبحها في بعض الأحيان..

كانا كشخصين مختلفين عن هادي و شهد الحقيقيين..بدا و كأن كل ذلك الماضي بكل آلامه

مجرد وهم..و هما مجرد شخصين جمعت بينهما الحياة.....صدفة !!

لتقيد قلوبهما برباط.....العشق ! ذلك العشق الذي لن ينقص.....أبدًا !!

إلى أن انتهى ذلك الغذاء الجميل..فراقبت النادل و هو يقترب ليأخذ حسابه بعينين

حزينتين..تتمنى لو لا تنتهي هذه الساعات أبدًا..

كانت تظن بأن هذا اليوم انتهى بالفعل..لكنها تفاجئت بسيارته تنعطف في طريقٍ آخر يناقض

طريق منزلها..

إلى أن وجدت نفسها تمشي بجواره في هذا المكان الذي يشبه.....المُتَزه !!

كانت تحرق في كل متجر أو بائع متجول تمر من أمامه فاعرة فمها بدهشة و انهيار..تبدو

كطفلة صغيرة تخرج للعالم لأول مرة..

لدرجة أنه شعر بالإشفاق عليها و هو يفكر بأنها تشبه الأطفال بالفعل..في برائتهم..و

طيبتهم..و انهيارهم..إلا في هدوءها و رصانتها !!!

لمح بعض الشباب يقتربون من جهتها فقبض على كتفها ليدفعها إلى جهته برفق و يقف هو

حيث كانت لا يزال يحاوط كتفها بذراعه..كانت حركة واضحة المعاني جدًا..جعلت من عينيها

تنشغلان عن التطلع بكل شيءٍ جديد أمامها و تحدقان به..بجانب وجهه..

بتلك الجدية المترسّخة في ملامحه و هو يكمل سيره و كأن شيئاً لم يكن !!!

هل هذا هو ذلك الشعور إذن ؟!!

حينما تشعر بأنك محط اهتمام..بأنك شيءٌ ثمين جداً لدى شخصٍ ما..كأمانة غالية تم

وضعها في حصانته و مكلف هو بحمايتها بجميع جوارحه.....

_اممم..هذا ما كنت أبحث عنه منذ البداية !

أخرجها من شرودها صوته الرائق و هو يحدق في نقطة معينة..فنظرت لتجد بائع ورود

متجول يحمل مجموعة من باقاتٍ ورودٍ مختلفة الألوان..

اقترب منه هادي ليختار وردة واحدة من بين الورد -الحمراء- و يدفع له..و ما إن غادر حتى

التفت إليها ينظر في عينيها متبسّمًا بغموضٍ لوهلة..

بينما انشغل عقلها هي بعددٍ عدد المرات التي رأت فيها ابتسامته اليوم !!

إنها لا تتذكر حتى !!

راقبت بتركيزٍ مفقود يده التي امتدت لتدس تلك الوردة بين خصلاتٍ شعرها برفقٍ.. ففغرت

شفتيها قليلاً غير قادرة على إشاحة أنظارها عن ابتسامته التي أقسمت أن لا تفارق وجهه بعد الآن..

و ما إن حاولت أن ترفع يدها الحرة لتلمس تلك الوردة في حركة عفوية تفاجئت به يتمسكُ بها

بقوة مانعاً إياها..

قبل أن يتركها لوهلة واحدة كان قد دسّ خلالها يده في جيب سترته الداخلي مخرجاً تلك

العلبة الحمراء الجميلة التي انسابت عيناها عليها..

فتحتها بهدوءٍ ليخرج ذلك الخاتم أمام عينيها المذهولتين..و قبل أن تستوعب أيّ شيء..كان

يداهمها فجأة بأن رفع يدها القابضة بين يده الأخرى..ثم قال مردفاً صوته العميق و هو يدس الخاتم

في بنصرها ضاغطاً على أناملها برفق..

قال ينظر في عينيها تماماً عن قرب..بنبرة بطيئة جداً..جادة تماماً..حنونة جداً ؛

_أعلم أنني أقولها بعد فواتِ الأوان..لكن...هل تقبلين الزواج مني شهد ؟!!!!

لم تدرك لما دمعت عيناها رغم تفاهة السؤال..فهي كانت زوجته بالفعل..و ستعود لتحتل

مكانها الطبيعي قريباً بين أحضانه..حتى أنها تحمل طفله في بطنها..

لكنها شعرت بالفعل و كأنها تقف أمام حبيبها..ذلك الذي خطط لكل هذا ليمهد رغبته في

طلب يدها فقط..

لقد كان هذا المشهد مألوفاً جداً..فلطالما راودتها نفس الرؤيا في الأحلام !!

لم تشعر بنفسِها و هي تهز رأسها بالإيجاب لعدة مراتٍ متتالية.. فأحاط هادي وجهها بيديه
الإننتين هامسًا ببطءٍ لعينها الدامعتين بشدة ؛
_ ليس هكذا...أريد أن أسمعها بصوتك !
و لم تكن لتبخل..همست بحرارة بصوتها المختنق المتحشرج دون أن تزيع عينها عن عينيه ؛
_ أنا.....مو افقة ، بالطبع.....مو افقة !!!
قبل أن تسدل ستار عينها باستسلامٍ ما إن شعرت بشفتيه على جبهتها تعزفان لحن الثقة و
الأمان !!!

#لؤي

هل تدركون معنى أن يتمنى الإنسان لو كان شاعرًا ؟ فقط ليستطيع أن يمنح الوصف الدقيق
لمشاعر اختزلت كل معاني التميز في قلبه !
لو كان الأمر بين يداي..لقلّلت في وصفها أشد الكلمات شاعرية و حبًا..لو كان الأمر بين
يديا..لَقُمْتُ بتشيمها بالشمس..
بل هي تشيمها بالفعل..سجى تشيمها في هدوءها..و دفئها..غروبها و شروقها !
كل تلك التناقضات الجميلة هي سجى !
هل أقول بأنني استعديتها ؟ !!! نسبيًا فعلت !!!
سجى..سجاي..غاليتي !!! مهما كان الاسم الذي قرّر قلبي أن يناديها به..فأنا لن أبالغ لو
اعترفتُ قطعًا بأنني أصبحت مهووسًا بتأملها في كل حين !
لقد كنتُ خائفًا في البداية من أن لا أنجح في إخراجها و لو قليلًا من دوامة معضلاتنا..لكن
تلك الـقليلًا- أصبحت كثيرًا بعد ذلك اليوم..
هل يملك أولئك الأطفال كل ذلك التأثير على سجى بالفعل ؟ !!! أم أن الأمر يتعدى ذلك بكثير
!

بعد ذلك اليوم أنا بدأتُ بالتعرف على سجى أخرى..أو بالأحرى بدأتُ أستعيد سجى
خاصّتي..شيئًا فشيئًا كنت أرى ذلك الشحوب يندثر و يندثر و يندثر..
عظام وجهها الشديدة الإصفرار أصبحت تكتسب بعض ألوان الحياة..تلك الارتجافة
برموشها و يديها و جسدها بدأت تتراجع تدريجيًا ببطء..

ابتسامتها التي كنتُ أتحرق شوقاً لرؤيتها و لو مرة واحدة أصبحت الآن أستمتع برؤيتها في أوقاتٍ متفرقة..

صوتها المبحوح الواهن بدأ يكتسب بعضاً من ثقة سجي القديمة..
لم تعد سجي تجلس شاردة لساعاتٍ طويلة فوق مصطبة الحديقة.. بل أصبحت تجلس معي.. تشاركني في كثير من الأحيان الطبخ أو التجول في أرجاء المزرعة العريضة.. أو مشاهدة الأفلام المسلية..

و أحياناً بعض الأحاديث الطريفة و الابتسامات الشبه مكتملة.. و أحياناً.. بل كثيراً ما كنت أستيقظ في الصباح على صوتٍ بعض الجلبة في المطبخ..

و حينما أذهب إليه أتفاجئ بها و قد همّت بتجهيز الإفطار أو انتهت منه !!

لا تدركون كمّ الفرح الذي كان يجتاحني حينها !

حتى خصلات شعرها الذابلة بدأت تستعيد بريقها القديم.. أدركتُ ذلك في كل مرة كنت أراها تمشطها.. أو تصففها بطريقة معينة رغم بساطة كل إطلاقاتها.. و الأهم من كل ذلك أنني تمكنت و أخيراً من تخليصها من حبوب المسكنات !

كان الأمر مقلقاً في البداية.. لكنني عزمْتُ على تنفيذ كلام الطبيبة التي تواصلت معها في الهاتف.. فأصبحت أعطيها بدل الحبة الواحدة النصف.. ثم الربع..

إلى أن تخلصت منها قبل أيام قليلة..

لكنني لم أتوقف عن عادتي الأجل بتأملها لساعاتٍ طويلة في الليل.. و لم أتوقف عن جعلها تشرب كأس العصير كل ليلة..

و كإنني أوهمها أن لا شيء قد تغير.. رغم أنني أشعر عميقاً بأنها تدرك كل شيء يحدث من حولها.. لكنها فقط تلتزم الصمت تاركة إياي أتولى كل زمام أمورها !

و هي أيضاً أصبحت لا تستغني عن تلك العادة.. فما إن تمتد يدي لتمسك بيدها تاركاً الأخرى تمشط خصلات شعرها حتى تسدل ستار عينيها باستسلام.. و كأنها ترسل لي في كل مرة رسالة مشفرة عنوانها..

" أنتَ هنا.. إذن أنا بخير ! "

لتنام بعدها في سكون يبدده أحياناً صوت بعض تأوهاتٍها التي تنهار أمام صوتي الحنون.. إلى

أن تستيقظ في الصباح لتجد نفسها بمفردها..

ثم يبدأ نشاطنا اليومي المعهود... الجميل !!

رأيتها و هي تقف أمام إحدى النوافذ الزجاجية المفتوحة على الحديقة..تعقد ذراعها أمام صدرها بينما عيناها هادئتان و هي تحديق أمامها في سكون..
كان شعرها بخصلاته الكستنائية ذات اللمعة الفطرية منسدلاً براحة تامة..ترتدي فستاناً بلون الأبيض المدخن بأكمّام طويلة..و طول يتعدى ركبتيها قليلاً..و تحته تمامًا حذاء أسود بدون كعب..

بسيطة..و جذابة حتى بدون أن تكلف نفسها عناء محاولة لفت الانتباه !!!
حركت رأسي عشوائياً لأحرّر عقلي من سحرها..ثم اقتربت منها إلى أن توففت بجانبها تمامًا أشاركها التأمل..كانت شاردة لدرجة أنها لم تنتبه لوقوفي بجانبها حتى..
أو ربما انتهت لكنها أثرت التمسك بهذا السكون اللذيذ فقط !
بقينا و اقفين هكذا لبضعة دقائق..قبل أن ألتفت إليها متأملًا خط جانب وجهها الهادئ..
الجميل..و قلتُ أسألها بعد لحظة واحدة و أنا أرمق تلك السهول المكسوة بالمساحات الخضراء التي تتأملها ؛

_هل تريدان الذهاب إلى هناك ؟!!!
هنا فقط وجدتها تطرف بعينها قليلاً و كأنها استيقظت من شرودها للتو..و ما إن استدارت إليّ تنظر لي بعدم فهم..قلت بنفس الهدوء ؛
_هناك بحيرة جميلة جدًا تقبع في الضفة الأخرى من الجبل..هل نذهب إليها ؟!!!!..
في الوهلة الأولى لمحت ذلك الانعقاد الطفيف الذي ظهر بين حاجبيها..قبل أن تنظر أمامها لوهلة سريعة..لتعيد أنظارها نحوي مجددًا..و همست بعد لحظات بارتباك ؛
_أ..أنا.....

شعرتُ برغبتها في الرفض من أول حرف..فقاطعتها فورًا برجاء ؛
_دعينا نذهب...رجاء !!
لطالما كانت تلك الكلمة الصغيرة هي نقطة ضعفها الوحيدة معي..ما إن أقولها حتى أجد ملامحها تتخذ منحى آخر..و تتشعح حنانًا مفاجئًا غالبًا ما ترضخ بعده باستسلام لكل طلباتي..و اليوم أيضًا...رضخت !!!
_حسنًا !!

همست متنهدة باستسلام..فاقتربت منها بسرعة لأقطع الخطوة التي بيننا..قبل أن تمتد يدي
لتمسك بيدها الرقيقة بقوة..ثم فارقت عينها مضطراً لأسحبها معي ناحية الباب الداخلي..ثم
الخارجي إلى أن توقفنا بجانب سيارتي حيث فتحت لها الباب لتصعد..
سارت السيارة بعدها في هدوء..كنتُ أنا أراقبها..بينما هي تراقب بعينين ساهمتين الطريق
الجبلي الخالي تماماً من البشر..تستند بمرفقها إلى حافة النافذة بينما شعرها حر يتطاير بفعل
النسيم..

إلى أن توقفتُ بالسيارة في مكانٍ بدا منعزلاً جداً..فتحت الباب من جهتي لأدور حول السيارة
إلى أن وقفت بجانب سجي التي كانت قد فتحت الباب من جهتها و توشكُ على النزول..
تمسكتُ بيدها بين أناملي برفق لأساعدنها على النزول..قبل أن نتجه بصمتٍ إلى الشاطئ الذي
كان فارغاً تماماً..
كان المكان في غاية السكون و الروقان..هادئٍ بشكلٍ يخطف الأنظار و الأنفاس..و هذه كانت
غايتي تماماً..أن أغرقها في هذا العالم المنعزل الآمن لكليتنا..
رمقتها بنظرة خاطفة أخرى لأجدها و قد عادت لشرودها..لكن هذه المرة كانت شاردة في
الأفق..في تلك الشمس التي أخذت تطفو فوق البحر ببطءٍ مضيئة هذه الأجواء السحرية لهذا المكان..
اقتربتُ أكثر أتجاوزها متعمداً باتجاه الضفة إلى أن جلست متربعاً فوق الرمال الدافئة..تاركا
إياها تحديق بي ما بين حيرة و توتر..

لكنني لم ألبث أن رفعت رأسي إليها مجدداً..و همست أرسم ابتسامة لطيفة هادئة فوق
شفتاي ؛

_اجلسي !

ثواني من الصمت استغرقتها..قبل أن تنخفض ببطءٍ إلى أن جلست بجانبني تحاوط ركبتيها
بذراعيها برفق..

كانت عيناها منصبتان أمامها بعكس عيناها اللتان لم تفارقا النظر لملامحها الهادئة.. لدرجة
أنني فوتُ ذلك المشهد الأكثر من رائع لغروب الشمس..تلك الظاهرة التي لم تكن تحبها سابقاً..لكنها
تصالحت معها بسبيبي !

و اكتفيت بالاستمتاع بهذا المشهد الأجمل منه بكثير..قبل أن أطرف بعيناي بارتباكٍ حينما
تفاجئت بها تستدير إليّ فجأة..تنظر في عيناها تماماً بعينها الواسعتين الخضراوين..

كان الموقف غريبًا جدًا..و لأول مرة أنا من يصيبني الارتباك بدلاً عنها..بينما هي بدت صامدة..
ساكنة..نظراتها ثابتة بشكلٍ غريب و كأنها تهمس لي خلسة..
" كشفتك ! "

قبل أن تفتح فمها هامسة بخفوتٍ ؛
_ أنا.....أتيت لهذا المكان من قبل..أليس كذلك ؟!!!
لم أستوعب سؤالها في اللحظة الأولى..قبل أن أوما لها ببطءٍ مردفًا بنفس الخفوت ؛
_ نعم..كنا نأتي إلى هنا أحيانًا حينما كنا صغارًا..ألا تتذكرين ؟!!
و قبل أن تجيب ابتسمتُ بجذل و أنا أتمتم ؛
_ يا لي من أحقق..كيف عساك أن تتذكري..لقد كنتِ صغيرة جدًا حينذاك !
استغربتُ ردة فعلها حينما قالت بحاجيين منعقدين قليلًا ؛
_ جميعنا كنا صغارًا..أنت لا تكبرني بالكثير !
لم أستطع أن أكبح ابتسامتي من الإتساع أكثر في هذه اللحظة..ثم همست متنهدًا بنبرة غير
عابرة ؛

_ معك حق !
تراجعتُ بعدها فورًا لأستلقي فوق الرمال أقابل السماء التي بدأ الظلام يبتلع نورها..و ساد
بعض الصمت ظلت فيه سجي جالسة على نفس وضعها..إلى أن قطعتة أنا بصوتي الذي خرج محملاً
ببعض الحنين ؛

_ هل تتذكرين عادتنا هذه ؟!! حينما كنا نتسطح فوق الرمال أنا و أنت و هادي..و تبقى أُمي
تصرخ بنا طوال الوقت أن نتصرف بأدبٍ و نجلس باعتدالٍ فوق الكراسي مثلها ؟!!..
تعمدتُ ألا أذكر اسم شهاب الذي لم يكن يفعل شيئاً سوى إزعاجنا..حتى في طفولتنا!
و بقيتُ أصدق بها..أراقب بإخلاص ابتسامتها التي بدأت تزين شفيتها ببطءٍ شديد لتتوقف
عند حدود غمازتها دون أن تكتمل..

و همست بشروودٍ و ذلك الحنين الذي قرأته في عينيها قد جرفها على ما يبدو نحو الماضي
الأجمل مثلي ؛

_ كنا نتحدى بعضنا البعض..من يستطيع أن يكمل تعداد كل النجوم يفوز !!

ابتسامة مشابهة لاحت على شفتي و أنا أعقب ؛

_ و انتهى بخسارة ثلاثتنا في كل مرة !!

فرأيتهما و هي تحركُ رأسها بالنفي يهدوء..ثم نظرت لي مردفة بابتسامتها الأسرة تلك ؛

_ انتهى بفوزي دائماً !!

عجباً..لقد كدت أنسى هذا التفصيل !

لم أشعر بابتسامتي التي تحولت إلى ضحكة بينما أقول مصدقاً على كلامها ببعض الغيظ

الزائف ؛

_ نعم..لقد كنتِ طفلة مزعجة جداً و كنتِ لا تنفكين عن العد إلا بعد أن نعلن أنا و هادي

استسلامنا فتفوزين..

_ عبتاً ؟!!

همستها بحاجٍ مرتفع قليلاً..فضحكت بقوة و أنا أهمس مؤكداً ببساطة ؛

_ عبتاً !!!..

ثم نظرتُ للسماء بنجومها التي بدأت تتلألأ بخجلٍ و قلت ؛

_ إذا أيتها الطفلة المزعجة..هل تقبلين التحدي اليوم أيضاً ؟!!

رمقت السماء بنظرة خاطفة طالت للحظة..ثم أعادت أنظارها إليَّ و همست بتردد ؛

_ ماذا لو.....مرَّ أحدهم من هنا ؟!!!

نظرتُ لها بنظرة مُهمّة لم تفهمها للحظاتٍ..قبل أن أهمس بنبرة ذات مغزى أمام عينيها

المشوشتين ؛

_ و منذ متى كانت تكثرت " سجي الشاذلي " لأيِّ أحد ؟!!

تعمدتُ أن أذكر اسمها و أقرنه بلقبِي أنا و ليس لقبها الحقيقي..ليس بقصد أن أذكرها بسجي

القديمة بقدر ما كنت متلذذاً بنطق اسمها الثاني..

لكي أستشعر و أذكر نفسي للمرة الأف بأنها.....زوجتي !

و يبدو بأنها لاحظت هذا..أو ربما لم تلاحظ أيَّ شيء !!

فتاهت أنظارها قليلاً..و بهتت ملامحها لوهلة و كأنني ناديتها باسم غير اسمها..ثم أطرقت

برأسها و همست ؛

_ و منذ متى كنت أتشاركُ نفس اللقب معكم..أنا سجي..سجي كمال السيوفي..ذلك اللقب ليس

ملكي !!..

" بل هو ملكك..أنا ذاتاً أصبحت ملكك !! "

أردتُ أن أهمس لها بهذه الجملة بحرارة.. لكنني تمكنت من قمع إرادتي تلك بعناءٍ شديد.. و
همست أتصنع البساطة ؛

_نعم.. هو ليس ملكك.. كان الأخرى بي أن أقول " سجي لؤي الشاذلي " ..أليس كذلك ؟!!!!..
صمتُ فجأةً أنقل أنظاري بين عينيها اللتين تلاشت منهما كل الانفعالات فجأةً.. فعلمتُ قطعاً
بأنني فاجئتها.. بل ربما كانت هذه هي أول مرة أتطرق في الكلام عنا !
عني..و عنها..كزوجين !!

استطاعت أن تستجمع نفسها قليلاً.. لكنها لم تجب رغم ذلك.. بل تراجعت مثلي إلى أن
أصبحت مستلقية على ظهرها فوق الرمال..مُحدقة بالسماء مثلي..
و اكتنف الصمت الأرجاء مجدداً..إلى أن قطعتة قائلاً و عقلي يسرح مجدداً بعيداً ؛
_هل تتذكرين ؟!!

التفتت إليّ سجي ببطءٍ..و التفتُ أنا الآخر لأقابل نظرات الاستفهام في عينيها..قبل أن
أسترسل مبتسماً بهدوء ؛
_عندما كنت في الثانوية..كنت دائماً على شجار مع زميلتك الذي كان اسمها.....
صمتُ فجأةً بحيرة و أنا أحاول تذكر الاسم لكنه هرب من عقلي تماماً..إلى أن سمعتها تهمس
لي بحذر ؛

_ملك ؟!!!!
أومأت لها بالإيجاب تلقائياً..قبل أن أكمل غير قادراً على كبح ابتسامتي من التألق أكثر ؛
_أتذكرين تلك المرة التي عدت فيها للمنزل تتدمرين بسبب شجار جديد !
رغم أنني كنت مندهشاً قليلاً من فكرة تجاوبها معي..لكنني كنت سعيداً و أنا أراها تعقب على
ما قلته بهدوء ؛

_ليس من أجل الشجار ذاتاً..لقد وقعت في ذلك اليوم في ساحة الرياضة و أصبتُ في ركبتي..و
كأن كل ذلك لم يكفي فما إن اقترين الفتيات ليطمئنن عليّ وجدتها تلقي اللوم عليّ في خسارتنا أمام
الفريق المنافس..هل كنت تتوقع مني أن أبقى صامتة حينها ؟!!

هل لكم أن تتوقعوا مشاعري الآن و أنا أسمعها تنطق سؤالها الأخير بنبرة بديهية !
تسألني إذا ما كنتُ أتوقع منها أن تبقى صامتة أمام لوم صديقتها..و أنا من كنت أحترق شوقاً
لسماع صوتها الطبيعي حتى قبل فترة !!!

تعمدتُ أن أحرك رأسي بالنفي قطعاً.. أخفي دهشتي و سعادتي بسماعها.. فأكملت تتأمل
السماء فوقنا بشرود ؛

_ثم جئت أنت لتزيد الوضع سوءاً..

في هذه اللحظة بالذات.. وجدت نفسي عاجزاً عن كبح ضحكة طويلة شقت شفاهي عنوة.. ثم
عدت لأقابل السماء التي بدت كشاشة عرض يتراءى لي الموقف فيها.. و قلت ؛
_ لا يزال صوت تدمرك في أذناي.. بينما أنا أحاول معالجة جرحك و تضميده و أنت تهتفين بي
بأن أتمهل حتى لا أولئك أكثر !!

لم أتوقع أن يقابلني منها صمتٌ قصير بعد كلماتي تلك.. إلى سمعتها تهمس بنفس الشرود.. بنبرة
شاهها بعض... الحزن !

_لم يكن مؤلماً لذلك الحد !

لكنني رفضتُ أن أسمح لها أو لنفسي بأن نغوص في هذا الوحل مجدداً.. فنظرت لها لأقول
بضيق ؛

_نعم.. فقد كان أكبر همك وقتها هو شكل ركبتك الذي سيمنعك من ارتداء فستانك الأصفر و
الحضور لحفلة عروض الأزياء التي كنت مولعة بها آنذاك !!..

الآن كانت هي من تشيح وجهها عني لتتنظر للسماء مجدداً قائلة بنبرة غريبة ؛

_نعم.. كنتُ كذلك !

_و لا تزالين !!

شعرتُ لأول مرة بأنني غير قادر على غوص تفكيرها.. كانت ببساطة تبدو مهمة.. نظراتها رغم
هدوءها إلا أنها ساهمة في مكان بعيد عني.. وبالطبع لم تجبني!..

قبل أن أتنحج لأجلي صوتي.. ثم قلت بعد تردد ؛

_المهم.. كنت أريد أن أتكلم معك في موضوع ما !

و أخيراً استطعت جذب انتباهها مجدداً.. التفتت تنظر لي من مكانها بلا أيّ تعبير

تقريباً.. فقلت بحذرٍ و أنا أنقل عيناي بين عينيها ببعض القلق ؛

_دراستك !!!

"31؛ إياب"

#الكاتبة

_دراستك !!

دراسة ؟!! تساوي خروج من البيت كل يوم..تساوي ابتعادها عنه..تساوي الـاصطدام بآلاف

الوجوه و مقابلة ما لا يستطيع عقلها عده من الأشخاص !!..

تساوي الخروج من قوقعتها الساكنة التي اعتادتها..و الأهم من كل ذلك فهي تعني

رؤيته.....أشرف !!..

لم يستغرق الأمر ثانيتين..فقط و كانت عيناها الهادئتان اليوم تكتسبان بعض الضيق..ثم لم

تلبث أن وقفت بسرعة لتلتفت عنه متجهة إلى السيارة المركونة بعيداً..

لكنها اضطرت للتوقف بفعل يده التي قبضت على ذراعها فجأة..فأغمضت عينيها المتألمتين

لوهلة..قبل أن تعيد فتحها و النظر له..

قال لؤي و هو ينقل عينيه بين عينيها بهدوء..بصوتٍ خافتٍ متفهم جداً..

بينما يده التي تمسكُ بذراعها كانت سعيدة بإنجازها..كونها لم تجفل أبداً من قوة إمساكه لها

في اللحظة الأولى..و لم تحاول ابعاده أبداً..أو ربما كان عقلها مشوشاً لدرجة أنها لم تنتبه لها !!

_أنا أعلم أن الأمر صعب عليك جداً..لكنني معكِ...أنا أواجه الصعوبة ذاتها لكن هذا لا يعني

أن نستسلم..أنظري إليك الآن..في اللحظة التي عزمِ فيها على المحاولة أنتِ استطعتِ..لقد ماتت

سجى الضعيفة الخائفة تلك..لتركِ لسجى القوية الفرصة في العيش مجدداً..ألا تتذكرين ما قلته

ذلك اليوم ؟! أنتِ ستحققين كل أحلامكِ..ستكملين دراستكِ حتى النهاية..صدقيني لا أحد يمتلكُ

الحق في تقييد طموحاتكِ إلا أنتِ..و إذا كان.....

صمت للحظة..قبل أن يبتلع ريقه مستطرداً ؛

_إذا كان الأمر متعلقاً بأشرف فأنا.....

_أنتَ لا تفهم شيئاً !

قاطعته بهذه الجملة اليائسة بصوتها الضعيف و الذي يشبه الطريقة التي كانت تحركُ رأسها

بها بالنفي..فصمت لؤي تماماً شاعراً بالقلق من جملتها تلك..قبل أن تكمل بعد لحظاتٍ و قد تهدج

صوتها أكثر بفعل دموع قميئة انسابت بسلاسة ؛

_أشرف يعلم كل شيء..هو يعرف بأنني.....

صمتت فجأة تكتم غصتها..تاركة للوئى مهمة استيعاب كلامها ذاك..هي لم تستغرب حينما رأت الصدمة الشديدة تنتشر في ملامحه..و لا حينما شعرت بضغط يده يخف قليلاً على ذراعها..تلك

كانت ردة فعله المتوقعة أمام إنسانة -غبية- مثلها !!!

و قد ضاعفت من صدمته و هي استرسل أمام عينيه تهز رأسها باليم ؛

_لقد أخبرتُ أشرف بكل شيء..شهاب أخذني إليه في ذلك اليوم..سجى القوة التي تتكلم عنها

ارتضت لنفسها أن تقف أمام ذلك الرجل الخائن متوسلة له أن ينقذها.....

أطرقت قليلاً بإرهاق و هي تستأنف بقهر ؛

_ماذا لو أخبر الجميع عني ؟!! ماذا سأفعل ؟!!! كيف سأستطيع التظاهر بالقوة أمام أناسٍ

يطالعونني بشفقة..كيف ؟!!!!..

ظل لؤي صامتاً تماماً يسمع تساؤلاتها بقلب يفيض..لا ليس قلقاً من ما قالت..بل قهراً و المأ

عليها! خاصة حينما رفعت رأسها نحوه مجدداً هامسة بأسى ؛

_أنا لستُ قوية إلى هذا الحدِّ يا لؤي..ربما لم أكن قوية منذ البداية..أنا فقط.....بقيت طوال

حياتي أوارى ضعفي المخزي خلف قناع القوة الواهي !!

بدا لؤي في تلك اللحظة في أقصى الدرجاتِ انفعالاً..اشتدت أنامله بداخل قبضته المضمومة

كمن يقاوم رغبة قوية في لكم شخصٍ ما..و هذا الشخص معلوم طبعاً !..

لكنه رغم كل ذلك..لأجلها فقط هو تمكن من أن يكتم كل ذلك الإنفعال بصعوبة بالغة !!

قبل أن ترتفع يده بعد أن تحررت أنامله من تشنجها لتحاوِطان وجهها برفق..ثم قال بصوتٍ

عميقٍ بطيء أمام عينيها القريبتين بينما جبينه يكاد أن يلامس جبينها ؛

_بل أنتِ كذلك..أنتِ أكثر إنسانة قوية قابليتها في حياتي !

صمتت لوهلة ثم استطرده بصدقٍ..منافياً لنظراتِ الرفض في حدقتها ؛

_أنتِ قوية..قوية للحد الذي يجعلك قادرة على الوقوف أمام كل شخصٍ تسبب لك بالأذى

برأسٍ مرفوع و كبرياءٍ شامخ..أنتِ تستطيعين..صدقيني !!!

لكن كل كلامه ذاك لم يبدو ذا قيمة لها على ما يبدو..فقد هزت رأسها بالنفي بضعفٍ هامسة

؛

_لن أستطيع..أرجوك أن تفهمني !! أنا لم تعد تروقني حياة الرفاه تلك..لقد صرفت نظراً عن

الجامعة..لا أطمح الآن سوى لأن أعيش في سلام..هذا فقط !!

طرفت بعينها ببعض التوتر و هي ترى ملامح لؤي التي سكنت فجأة..بعد أن توقعته أن يكمل محاولاته في إقناعها بالحاح..لكنه صمت تمامًا..و ساد هذا الصمت الخانق بينهما لوقتٍ..

إلى أن همس لها بصوتٍ جاد..غريب..غريب جدًا ؛

_نحن يجب أن نكمل حياتنا يا سجي..لا يمكن أن نعيش ما تبقى من حياتنا بهذا

الشكل..تذكري...نحن لم نخلق في هذا العالم لنموت..بل لنحيا..و سنحيا..

صمت للحظة ثم أكمل بحرارة و كأنه يريد أن يقحم درسًا مهمة في عقل طفلة عنيدة بأيّ

طريقة كانت ؛

_بعد كل شيءٍ مررنا به نحن لا نزال على قيد الحياة..أنا و أنتِ..لا نزال.....على قيد الحياة !!!

ذلك الرنين الملح بهاتفه قطع هذا السكون الذي كان يطوف بالمكان..فطرف بعينيه كمن كان

غارقًا في بحر عميق لا قرار له..

و ارتجفت يده التي كانت تحاوط وجهها لوهلة..قبل أن يتراجع خطوة بترددٍ ليدس يده في جيب

بنطاله و يخرج الهاتف..

_هادي ؟!!

قالها ببعض القلق..بينما رفعت سجي ذراعها لتتخذان مهمة يديه في إرسال بعض الدفء إلى

أطرافها..ضمت جسدها الهزيل و هي تنظر له بعينها المشوشتين بعد كلماته..تزيد خصلات شعرها

التي كانت تتطاير بفعل تدافع الرياح من تشويشهما..

هي أيضًا انتابها بعض القلق و هي تسمع ندائه باسم هادي..كانت أول مرة تشعر فيها بأنها

مشتاقة لهادي حقًا !! هادي.....و شهد !!

_ماذا ؟!!!

انتهت على هتافه المذهول بهذا السؤال غير المكتمل..فانعقد حاجباها أكثر بقلقٍ بدأ

يتزايد..لكنها رغم ذلك ظلت صامته..تنتظره في توجسٍ إلى أن قطع مكالمته تلك بتهيدة ليلتفت إليها و

لا تزال ملامح الدهشة تحتل تقاسيمه..

همست تسأله بخفوتٍ ؛

_ما.....ما الخطب ؟!!!..

كان عقلها قد هرب إلى نحو سلمي..و قد أصابها الفرع من صوته المندesh القلق أثناء تحدّثه

مع هادي..لكن ذلك القلق تبدّد تمامًا..و حل محله دهشة تشبه التي على ملامح لؤي و هي ترى شبح

الابتسامة الذي لاح على شفّتيه بينما يقول ؛

_هادي و شهيد.....

صمت ينظر لها بفاهٍ مفتوح بغير تصديق..فقالت سجي تحته بترقب ؛

_هادي و شهيد...ما.....خطيها !!!؟

رأت كيف أن شبح الابتسامة تلك اتسع أكثر ليتحول إلى ابتسامة حقيقية مذهولة بينما

يجيها بذهول ؛

_سيتزوجان غدًا !

ثم اتسعت ابتسامته أكثر بسعادة حقيقية لم تزر قلبه منذ وقتٍ طويل..لكن سجي لم تشاركه

سعادته تلك..فقد همست بتلعثم غير قادرة على فهم أي شيء ؛

_لكن.....كيف ؟! ألم تقل ذلك اليوم.....

_نعم قلت..و لهذا أنا مصدوم مثلك الآن..

قاطعها لؤي بنفس النبرة المذهولة و الابتسامة التي ارتجفت لها أنفاسها اشتياقًا..ثم عاد يهزّ

رأسه بقلّة حيلة محدثًا نفسه بغير تصديق ؛

_هادي المجنون !

لم تدرِ سجي أي ردة فعل عليها أن تبدي..لطالما كانت تعلم بجنون هادي..تدركُ بأنه قادر على

اتخاذ أيّ قرار مهما كانت صعوبته لو كان يو افق إرادته..

الحقيقة أنها..سعيدة لأجله..لأجلها !

و بطريقة ما..لأول مرة بعد وقتٍ طويل يلفح قلبها بعض الأمل بسماعها لهذا الخبر..تستطيع

أن تتخيل كم السعادة التي تملأ قلوبهما اليوم..هادي و شهيد..

لو كان هناك تجسيد حقيقي للحُب الحقيقي الذي لم تتذوقه قبلاً قط...لكان هذين الإثنين !

كانت شاردة تمامًا في أفكارها..حينما سمعت صوت لؤي يسألها بقلق بعد أن انتبه لحركة

ذراعيها اللتين كانت تحتضن نفسها بهما بقوة بدون أن تشعر ؛

_هل تشعرين بالبرد ؟!!!

فانتفضت بسرعة ناظرة له..قبل أن تفض تشابك ذراعيها بنفس السرعة مردفة بنبرة لم

تقنعه أبدًا ؛

_لا...أنا بخير !

أخفض لؤي أنظاره ليرمق قميصه الأزرق الوحيد بضيق و كأنه لم يسمع إجابتها..ليته أحضر

سترته معه فقط..أو تذكر أن يجلب وشاحًا ما لأجلها..

شعر بالإمتعاض من نفسه و هو يرفع عينيه إليها بنظرة اعتذارٍ صادقة في نفس الوقت الذي
تمتد يده لتمسك بيدها هامسًا بحزم بينما و قد همّ بسحبها معه باتجاه السيارة ؛
_لا بأس..دعينا نعود للمنزل بسرعة !

توقفت أمام المرأة بمنزل هادي..ترتدي فستانها الأبيض الطويل..تنظر إلى انعكاسها القلق
بعينين واسعتين..تكاد أن لا تصدق من شدة رهبتها و حماسها في نفس الوقت ما تحياه..
لا تصدق بأنها بعد قليل.....ستصبح زوجته !! بل ستعود زوجته !!!
مشاعر شتى كانت تتلألأ في عينيها اللامعتين..لكن أقواها التوتر..توتر لذيذ تضاعف أكثر ما
إن تنأى إلى مسامعها صوت حركة مقبض الباب يليه صوت خطواته الرصينة التي اقتربت منها
بهدهوء.....مخيف ! هل هو مخيف حقًا ؟!!!..
كانت قد جهزت نفسها مسبقًا..فاكتفت بالقليل جدًا جدًا من مساحيق التجميل التي لم
تنقص..بل زادت من نعومة ملامحها الملائكية..
و لأول مرة يرى هذه التسريحة الغريبة..مهلاً..لا توجد تسريحة !!
كان قد اشترى مسبقًا مجموعة مشابك شعر و أغراض أنثوية عشوائيًا بخبرته المتواضعة
جدًا لأجلها..لكنه لم يتخيل أنها ستستعملها بهذا الشكل..
فقد كانت تتركُ جهة واحدة من شعرها المنسدل خالية تمامًا..بينما في الجهة الأخرى كانت
تجمع خصلتين من جانب صدغها بمشبكين من نفس النوع بشكل لطيف جدًا..
هكذا فقط !..

لم يستطع أن يكتم ابتسامته الحنونة الرصينة و هو يقترب منها أكثر إلى أن وقف
وراءها..حبيبته التي لم يتبقى سوى القليل لتعود زوجته من جديد..طفلته البرينة التي عادت لها
إشرافها في آخر أونة..
همس في أذنها بخفوتٍ..بينما عيناه تر اقبان حركة جفניה و هي تسدلها في حياءٍ ؛
_مستعدة ؟!!!..

راقبت عيناه بإخلاص تلك العرشة الضئيلة بحنجرتها و هي تبتلع ريقها باختناق بينما تهز
رأسها إيجابًا بدون أن ترفع رأسها في البداية..لكنها لم تلبث أن رفعت عينيها الزائغتين قليلًا لتلتقيان
بعينيها للحظة واحدة..

فقط و كانت تعود لتشيهما في توتر..ففي لم تعتد بعد على النظر في جوف عينيه الثاقبتين
مباشرة !

لفت انتباهها صوته الذي عاد يهمس بنفس النبرة الساحرة ؛

_تبقى شيء واحد فحسب !

لم تفهم مغزى جملته في البداية..قبل أن تتسع عيناها قليلاً و هي ترى تلك القلادة التي تدلت

من تحت أنامله التي كانت تتمسك بها..قلادة فارهة الثمن و القيمة !!

و قبل أن تستوعب كانت يده تعمل على إزاحة شعرها قليلاً إلى كتف واحد..قبل أن تنضم

للأخرى لتحاطب عنقها بتلك القلادة الغالية..

ارتجف قلبها بشدة حينما تلامست أطراف أنامله الحانية في خشونتها للحظة عابرة مع بشرة

عنقها في حركة غير مُدبرة منه..فهو رغم كل شيء..لم تكن لتخول له نفسه لمسها إلا و هي

امرأته..زوجته التي سيدفع كل عمره قرباناً لإسعادها !..

أنزل يده أخيراً بعد أن أغلقها لينظر إلى إنجازها بابتسامة راضية احتلت ثغره..

بينما لم تستطع شهد أن تمنع يدها من الإرتفاع إلى أن لمست تلك القلادة ناضرة بعينين

متسعتين انهاراً و ذهولاً لانعكاسها..

و قبل أن تستطيع تجميع بعض من حروفها المبعثرة لتكون كلمة تقولها له..كان قد رنَّ هاتفه

فجأة..جاءها رنينه كوسيلة إنقاذ فورية جعلت من هادي ينشغل عن التحديق بها لوهلة برفع هاتفه و

الردّ عليه..و سرعان ما سمعت صوته يهتف باستنكار ؛

_ماذا ؟!!!!..

كان يتحدث مع لؤي..أدركت ذلك و هي تسمع جملته التالية ؛

_مستحيل..لن أقبل بأيّ عذرٍ هذه المرة..إنه يوم زواجي..هل تستوعب ؟!! كيف سيمر بدونك

أنت و سجي ؟!!!!

صمت للحظة يستمع بحاجبين منعقدين بتركيز شديد..ثم قال بحزم و إصرار ؛

_لا بأس إذا..دعني أتكلم مع سجي..أنا سأقنعها !

كان لؤي يقف في بهو المنزل..على بعد خطواتٍ من سجي التي جلست في أحد المقاعد هناك

تنظر جانباً بعناد..عازمة على معانقة وحدتها أكثر..

هي..هي تحب هادي و تتمنى له كل السعادة المتاحة في العالم..لكنها لا تريد مفارقة هذا السلام

الذي بصعوبة ما وجدته...لما لا يفهمون ؟!!!!..

التقت عيناها بعيني لؤي الحانيتين الناظرتين لها برجاءٍ قوي لوهلة.. فابتلعت ريقها الجاف
مجبرة نفسها على إشاحة عينها عنه.. لكن لؤي لم يبدو كمن سيتخذ الإستسلام ذريعة اليوم.. بل
اقترب منها عدة خطواتٍ لتمتد يده بالهاتف نحوها قائلاً بنفسٍ رجاءه ؛

_هادي يريد التحدث معك !

هو لم يرجوها.. هو وضعها أمام الأمر الواقع فعلاً.. وقد تعمد ذلك !..
فهو وإن لم يبالغ في الوصف قد فاض كيـله.. يشعر بالفعل أنه لم يعد قادراً على رؤيتها بهذا
الشكل.. هو لا يستطيع أن يبقى صامداً أكثر بحجة إرضاءها و الرضوخ لكل رغباتها..
لذا أهون عليه نظرة العتاب تلك التي ظهرت في عينها الشبه الدامعتين بعد تلك الحركة على
أن يسمح للوضع بأن يستمر على هذا المنوال الغبي أكثر..

هو يريد لها أقوى.. مثلما استطاعت أن تطرد كوابيسها تلك يريد لها أن تتخلص الآن من
هواجسها التي تقف حائلة بينها وبين إتمام خطِّ حياتها بشكلٍ طبيعي !!
و هو يعلم.. يعلم بأن هذه هي الطريقة المثلى لإقناعها.. ربما تستطيع صدّه و تجاهل كل
رجاءاته.. لكنها لن تستطيع حتماً أن تفعل نفس الشيء مع هادي !..
هادي الذي لا يعرف أيَّ شيءٍ حتى الآن.. و لن يعرف.. ما إن تسمع صوته العاتب سترضخ
مرغمة.. إنه يكاد و منذ الآن أن يلمح بواد الرضا لما آلت إليه حياة هادي و شهد في جوف عينها..
يلمح رغبتها المكبوتة في العودة إلى عالمها القديم و لو ليومٍ واحد تقابل فيه كل الوجوه التي
ألقتها.. و يلمح أيضاً نظرات الرفض و العناد تلك التي كبلت بها كل أمنياتها..
رفعت يداً مرتجفة نحو الهاتف.. ما إن توشكُ على الإمساك به حتى تعود لتراجع.. إلى أن
أطبقت يدها حول نفسها بشدة لتطبق معها عينها الحزینتين..
هي تعلم بأنها ضعيفة أمام هادي.. و هذا الضعف إما سيقودها نحو هواجسٍ دُفنت تحت
وطأة الحزم الذي غلفها به لؤي..

أو نحو حاضر لا يحمل سوى نظراته الحانية و ذراعيه الدافنتين !
لا يحوي سوى ابتسامات هادي و شهد التي ستكون في قمة سعادتها الآن.. عائلتها التي تتكون
من أربعة أفراد فقط.. تشملها هي فقط و هادي و شهد و..... و لؤي !!!
_سجى !!

ندائه الرفيق جعلها تخرج من دائرة أفكارها لتفتح عينها و تنظر له باستجداء.. و هو كما
-العادة- لم يكن ليردها خائبة فأوماً برأسه في حركة حانية جداً مليئة بالتشجيع..

قبل أن تفتّر شفتاه عن ابتسامة واهنة و هو يراها تفتح يدها الممتشجة لتقرّبها أكثر من يده
إلى أن أمسكت بالهاتف أخيراً.. نظرت له للحظة بترددٍ عميق.. ووجلٍ عميقٍ..

قبل أن ترفعه إلى أذنها ببطءٍ شديدٍ.. ليأتيها الصوت الحبيب من الجهة الأخرى ؛

_سجى ؟!!!

تدافعت دموعها أمام أنظار لؤي التي اتشحت حناناً و هي تهمس بصوتها المرتجف بنبرة
خفيفة جداً تكاد أن لا تكون مسموعة ؛

_هادي !!

ساد صمت قصير من جهة هادي الذي كان ينظر أمامه بحاجبيه المنعقدين بقلبي متضاعف..
فقد كان صوتها خافتاً جداً.. ضعيفاً.. مرتعشاً.. متهدجاً ربما...

هل هي مريضة ؟!!!..

لم يستطع سوى أن يقول بصوته الذي لم يرتفع عن الهمس بما يشبه العتاب ؛

_قال لؤي بأنك متعبة قليلاً.. ألن تأتي..... لعقد قراني ؟!!!..

رفعت سجي عينها إلى لؤي في نظرة شملت كل المعاني التي استوعبها و لم يستوعبها.. فقد
تسللت دموعها أكثر لتلامس جفنها في حيرة قرأها بداخل عينها..

و ارتجفت شفتاه و كأنها تطلب استشارته حول معضلة حياتها الأعظم.. لكنه لم يفعل..

فهمست بدون أن تزيع عينها عن عينيه.. بصوتها المتلعثم المتقطع ؛

_أنا..... أنا سأتي بالطبع... سأتي !

شعر لؤي في تلك اللحظة بالذات و كأنه امتلك العالم بأسره بين كفيه.. و منحها أجمل

ابتسامة في الكون..

لا.. لم تكن مجرد ابتسامة.....

بل كانت تربيطة ناعمة داعبت صحراء قلبها القاحلة بتأثير خاص.. لتوقض فيها زهوراً من حبٍ

كان قد بدأ يتولد من رحم المواساة !!!

دقائق أخرى مضت في هدوءٍ.. امتدت إلى ساعة أو أكثر استغرقها لؤي طوال طريقه نحو منزل

هادي.. إلى أن توقف أمام الباب تماماً..

كان لؤي يبدو أكثر من سعيداً بابتسامته الواسعة تلك التي أخفت بعض القلق الذي كان قد

انتابه في الطريق.. بينما كانت سجي تقف بجانبه متوترة.. مرتبكة !!!..

إنها المرة الأولى التي سترى فيها هادي بعد حادثها الشنيع ذاك.. المرة الأولى التي تقابل فيها بشراً
غير لؤي باستثناء تلك المرة التي أخذها فيها لؤي إلى الميتم..
هي مجبرة على أن ترسم ابتسامتها الواثقة التي تمثل سجي القديمة.. مضطرة لأن تنظر في
عيون الجميع بدون أن تطرف بهما بخوفٍ استكان في قلبها رافضاً الرحيل عنه إلى الأبد..
هي... ستستطيع حتماً.....

كل ما عليها فعله أن تبقى ملتصقة بلؤي و لن يدنو منها أيُّ مكروه أبداً.. ولؤي لن يفارقها
للحظة كما وعدها..

_هل نطرق الباب ؟!!

سمعت صوته يأتيها متمهلاً حذراً من جانبها.. فأخذت نفساً عميقاً تطرد به ذلك الندم الذي
اجتاحها بعد خطوتها المتهورة هذه.. قبل أن تلتفت إليه ببطء.. ثم تومئ له في حركة مترددة.. حينها فقط
كان لؤي يرفع يده الحرة ليطرق الباب لهدوء..

لحظات قليلة انتظراها قبل أن يفتح الباب أمامهما ليطل وجهه.....شهد !!..

كانت شهد متمسكة بطرف الباب بقوة.. ذكرته حركتها تلك بذلك اليوم الذي زار فيه منزل
هادي لأول مرة بعد زواجه منها.. كانت تمسكُ الباب بنفسِ الطريقة.. لكنها لم تنظر له بنفسِ الطريقة
آنذاك !!

الحقيقة أنها بدت اليوم في أشدِّ توهجها وإشراقها.. عكس ذلك اليوم الذي اعتمر فيه قلبه
بالشفقة على وضعها..

تناسى لوهلة وهو ينظر لها سجي التي رفعت يديها في حركتها - الأثرة - القريبة من قلبه لتمسكُ
بذراعه.. وكما العادة وجد نفسه يستقبل حركتها تلك برحابة شديدة.. مبادراً بحركته الأثرة هو
الأخر..

رأى ابتسامتها التي خرجت شاحبة بعد أن كانت تعزم على رسم ابتسامة واثقة تقنع نفسها بها
بأن كل ما عاشته محض وهم.. وأنها لم تتغير.. هي لا تزال سجي القوية نفسها كما أخبرها
لؤي.. ينقصها فقط بعض الإصرار ثم تعود مياه حياتها إلى مجاريها !

بينما همست شهد و هي تزح نفسها عن الباب بمُنتهى الرقة و الأدب ؛

_تفضلاً !

كانت تشعر بالدهشة برؤيتهما بهذا الشكل.. فرغم أن هادي أخبرها مسبقاً بأنهما تزوجا.. وهي
لم ترهما من قبل يقفان سوياً أبداً..

إلا أن شعورًا غريبًا اكتنفها حيا لهما.. غريبًا.. و دافئًا... !
إنهما يشبهانها هي و هادي.. تكاد أن تلمح نفسها مكان سجي.. و تلمح هادي باحتواءه الجميل
مكان لؤي !!..
كاد لؤي أن يخطو خطوته الأولى حينما انضم لهم هادي الذي كان يخوض مكاملة أخرى لم
تدري مع من.. برقت عيناه بشدة و هو ينقل عينيه بتفحصٍ دقيق بينهما..
نفسه البريق الذي ظهر في عيني لؤي و هو يرمق قدميه بنظرة منيرة سعيدة.. لكن سجي لم
تشاركه سعادته.. بل بدت مرتبكة و هي تترك ذراع لؤي ببطءٍ بعد أن كانت تتمسكُ بها باستماتة قبل
لحظات..

اقترب هادي ليعانق لؤي بقوة بادلله الآخر إياها بينما يقول بمرح ؛
_ الحمد لله على سلامتك يا -زرافة- !
كان قد تعمد أن يطلق عليه لقب زرافة لطوله الفاره.. رغم أنهما كانا في نفس الطول
تقريبًا.. بل تمامًا.. إلا أن هادي كان الأخ الأصغر.. و قد طال بسرعة غير متوقعة !..
بينما قال هادي يبادلله مزاحه ؛
_ أنا من يجدر بي أن أقول الحمد لله على سلامتكما.. أشكُ بأن شهر العسل الغريب هذا طال
أكثر من اللازم !
لم يدركم من الممرارة أرسلت جملة تلك إلى قلب سجي !!..
قبل أن يقترب و في نيته معانقها كما العادة بالطبع.. لكن هذا الأمر لم يعد متاحًا على ما
يبدو.. فما كاد أن يتحرك خطوة نحوها وجد كفَّ لؤي الخشنة تعترض طريقه.. ثم قال فورًا يرفع
حاجبيه بهكم إزاء نظرة الاستنكار في عيني أخيه ؛
_ إلى أين ؟!!!!..

نقلت سجي عينيها بينهما بعدم فهم بينما استطاعت شهد التنبأ بجملة التالية فورًا.. و
بالفعل فقد قال يجيب نظرات هادي الممتعة بكل جدية ؛
_ مسموح لك بالمصافحة و الكلام الودي معها منذ هذه اللحظة فقط.. خاصية العناق هذه و
ما شابه هي من حقي أنا فقط !..

عضت شهد باطن شفتيها و هي تكتم ابتسامتها بصعوبة.. بينما امتنعت أنظار هادي
تمامًا.. ونظر في احتجاج لسجي التي هزت كتفيها و زمت شفتيها في استسلامٍ للأمر الواقع..

رغم أنها بداخلها..كانت تشعر بدهشة حقيقية..فقد كان لؤي يبدو جادًا تمامًا في كلامه

ذاك..أم أنه استطاع إتقان دوره لدرجة أن ينطلي عليها أيضًا ؟!!!..

تراجع هادي عند تلك اللحظة ليقول متذمرًا عابسًا بشدة في وجه كلاهما ؛

_لن أضافح حتى !

قبل أن يمسك بيد شهد ليكمل تدمره بفضاظة ؛

_و لا داعي لأن ترخي بهما..عودا أدراجكما أفضل !

كان مغتاظًا جدًّا..و لم يتوقع ردة فعل لؤي حينما هز رأسه و رفع حاجبيه قائلاً بكل تفهم ؛

_حسنًا..لأعانق أنا شهد أولًا و عانق أنت سجي !

همَّ بأن يقترب بالفعل متعمدًا لكن يد هادي التي امتدت إلى صدره وقفت له بالمرصاد أثناء

قوله بتهديد صريح ؛

_إذا كنت مستغنيًا عن ذراعيك الإثنتين فتقدم !

لم يستوعب موقفه إلَّا بعد أن قال ما قاله أمام أنظار شهد و سجي التي لم تستطع أن تكتم

ابتسامة واهنة..خاصة حينما ظهر في عيني هادي ما يشبه الإحراج..

ثم قال و هو يتراجع خطوة بغير رضا تام ؛

_دعك من ذلك..هل تعلم آخر الأخبار ؟!!

كان واضحًا أنه يحاول تلافي إحراجة و تغيير الموضوع..لكن لؤي بدا أكثر من متجاذبًا

معه..فقال باعتيادية و هو يتجاوز سجي و شهد ليرافقه إلى الداخل ؛

_ماذا ؟!!!..

قال هادي بسخرية باردة ؛

_والدك يريدني أن أشتغل معه..لقد أزعجني باتصالاته !

أصدر لؤي صوتًا ممتعضًا و هو يجيب ؛

_لقد اتصل بي أنا أيضًا لكنني لا أستطيع العودة الآن ف.....

_فشهر عسلك الثمين لم ينتهي بعد..أليس كذلك ؟!!

قالها هادي رافعًا أحد حاجبيه باستفزاز و هو يرتاح في مقعد وثير في الهمو..و لم يجد لؤي بدا

من أن يرفع مخدة صغيرة من جانبه ليلقيها على وجه أخيه الذي التقطها بسرعة تدعو للإعجاب

تزامنًا مع صوته الذي هتف زاجرًا بصوتٍ خافتٍ حانق ؛

_اخرس..سجي ستزعج لو سمعتك !

..تفضلي !

قالت شهد بنفس صوتها الرقيق الخافت لسجى..

كانت سجي تبدو مختلفة اليوم..غريبة..شعرت شهد بذلك لكنها رغم كل شيء نجحت في إخفاء فضولها و اهتمامها في السؤال عن حالها و اكتفت بأن قالت ما قالت بابتسامتها الصادقة التي لطالما ظللها الحزن..

لكن للعجب فسجى لم ترى أي حزنٍ فيها اليوم..بل نفس الحزن..كان يظلل ابتسامتها هي !
عجبًا !..

كم أن القدر بارع في نقلنا من أشدّ مواضعنا قوة إلى أكثرها ضعفًا في لمح البصر.. في آخر مرة قابلتها كانت هي في أشدّ أوقاتها قوة و بأسًا..كان شعور الشفقة من نصيبها ناحية شهد..
اليوم هي لم تعد تشفق على أحد..تشكُّ بأن الشفقة قد تليق بأحد بعد سواها !..
و كأنما حدثت معجزة ما جعلتهما تتبادلان الأدوار فيما بينهما..

فها هي شهد من تقف راسمة تلك الابتسامة المتألّئة فوق شفّتها..سعيدة..راضية..فهي على وشكٍ بدء حياتها الجديدة بجانب من تحب..

تلك الحياة التي كانت تحلم بأن تعيش مثلها في الماضي..أما الآن فهي لا تتمنى شيئاً سوى أن تعيش في سلام...هذا فقط !

تموت كل مظاهر ألوان الحياة الزائفة حينما نزهد فيها...

حينما تصبح أقصى طموحاتنا هو مخدة و سرير و غطاء..و حضن آمن ناوي إليه بحثًا عن راحة البال !

ندركُ كم كنا تافهين بركضنا خلف كل الأحلام الباهتة..التي حتى لو حققناها الآن فهي لن تغير شيئًا من مشاعرنا هذه..لقد فات الأوان بالفعل !!..

هي مجرد جثة حية..تتنفس..تنام..و تبتسم أحيانًا !

استطاعت بمشقة من أن ترسم ابتسامة ضعيفة جدًا فوق شفّتها..همست بعدها ككل مرة..ذلك السؤال الذي يشمل معاني أعمق ممّا يبدو عليه ؛

..كيف حالك يا.....شهد !

طرفت شهد بعينيها ببعضِ القلق و ذلكَ الشعور الغريب يتعاظم أكثر بداخلها..قبل أن تستجمع نفسها لتجيب بارتباكٍ ؛

_أنا...أنا بخير..و أنتِ ؟!!!

انتظرت بعدها لثوانٍ عديدة..قبل أن يأتيها الجواب في منتهى الهدوء من سجي التي قالت

بصوتٍ عميق ساهم في اللا شيء ؛

_أنا...بأفضل حال..شكرًا لك !

كان يبدو جليًا عليها بأنها تكذب ! إنها ليست بخير حتمًا..لا يمكن أن يكون شعورها هذا

خاطئًا..ربما هي متعبة بالفعل كما قال لؤي !..

أرجحت كل الأسباب لهذه النتيجة..قبل أن تعود لتردف بحرارة بينما تفسح لها الطريق

للدخول أكثر ؛

_تفضلي رجاء !

جلس أربعتهم حول تلك الطاولة المستديرة التي تقبع بصالة المنزل..بينما أمامهم جلس موظف

الزواج..كان هادي و لؤي يتبادلان بعض أطراف الحديث بهدوء حينما رنَّ جرس الباب بشكلٍ مفاجئ..

فوقف هادي فورًا ليقترّب منه أمام عيني شهد المراقبتين و يفتح الباب..إلى أن اختفى عن

أنظارها و سمعت بعد لحظة صوته الرائق يهتف ببعض كلمات الترحيب..

كان هناك بضعة شبان لم ترهم من قبل يدخلون برفقته..في البداية كانت نظراتها هادئة تميل

إلى الحيرة فقط..لكنها سرعان ما تحولت إلى بركان انفعالاتٍ مكتومة حينما وقعت على.....فتاة !!

مهلاً..مجرد فتاة ؟!!

لقد كانت تبدو كلوحة فنية متناسقة بثيابها الفارهة..و حذاءها ذي الكعب الطويل..تقاسيم

وجهاها الحقيقية تبدو مختلفة تحت مجموعة مساحيق التجميل التي انطلت به..

شعرت شهد بأنها سيغمى عليها في أي لحظة..و كتمت رغبته في الإستفراغ و هي تحديق بها

بقلبٍ يحترق.....

مهلاً..هل هذا ما يسمونه بالغيرة ؟!! إنها تحترق من الغيرة إذا !!

تلك الفتاة كانت أجمل منها بكثير..هذا ما بدا لها و هي تراقيها بينما تقترب أكثر برفقة كل

أولئك الشبان..و قد استنتج عقلها بأنهم ربما يكونون أصدقائه من عمله الجديد الذي أخبرها عنه..

لكن تلك الفتاة..هل هي زميلته أيضًا ؟!!..

ضاقت عينها و اشتدت أنفاسها باختناق و هي تخفض رأسها محدقة بيديها المنتشابكتين

المتوترتين..بينما كان هادي يبحث بين ملامحها عن أية ردة فعل..

هو كان ينتظر أن يلمح بوادر ابتسامة أو ما شابه ! بعد أن فعل كل هذا لأجلها !
نعم..هو تعمد أن لا يمر عقد قرانهما في منزل شبه خالٍ..أراد أن يبدي و لو القليل من وحدتها
و حزنها..

لكن محاولته بائت بالفشل على ما يبدو..فها هو يراها تجلس وحيدة منفردة بنفسها عن
الجميع حتى و هي بينهم..و للعجب الشديد فقد كانت سجي تبدو مثلها !
تلك الأخيرة التي تمكنت بصعوبة بالغة من أن ترسم ابتسامة في وجوه زملائه كنوع من
التحية..دون أن تقف أو أن تكلف نفسها مصافحة أيٍّ أحدٍ منهم..فقد كان لؤي من تولى مهمتها و هو
يستقبلهم بابتسامته البشوشة الوقورة..

شعر ببعض القلق و هو ينظر ليدها اليمنى التي كانت ترتجف في حضنها بشكلٍ
ملحوظ..بينما ارتفعت الأخرى تعدل شيئاً وهمياً في شعرها الناعم في حركة متوترة بعض الشيء..قبل
أن يمدَّ يده ليغطي يدها في لمسة لطيفة جعلتها ترفع رأسها ناحيته ناظرة له بشبح ابتسامة لامست
ملامحها بتردد..

تلك الابتسامة التي تنقلت أنظاره عليها يكاد أن يلتهمها بعينه تزامناً مع يده التي تحركت
يتخلل أناملها متمسكاً بها أكثر..

كانت ترتدي فستاناً قماشياً أزرقاً..بأكمام تتخطى مرفقيها قليلاً..بينما شعرها عكس العادة
كانت ترفع من جانبيه خصلتين ناعمتين تجتمعان بمشبكٍ أنيق خلف رأسها تاركة غرة جميلة تحيط
بجانِب وجهها البهي تكاد أن تلامس فكها المُحدد برقة..

و الباقي منه حرّاً طليقاً بعد أن لم تبذل جهداً كبيراً في تصفيفه..و ملامحها النقية تكاد أن
تكون خالية من كل مساحيق التجميل إلا كمية قليلة أضافت لمسة لذيذة إلى شكلها..

ثوانٍ أخرى معدودة و كان هادي ينضم إلى شهد ليجلس بجانبها..نظر لارتباكها بحاجبين
منعقدين..قبل أن يميل على أذنها ليمس لها بما يشبه العتاب ؛

_الن تلقي التحية على أصدقائي ؟!!!

ارتجفت رموشها و هي ترفعها ببطءٍ لتنظر لهذا التجمع الذي لم تعتده..لما دعاهم فقط ؟!!
لماذا هو فقط يستطيع أن يدعو كل أصدقائه بينما هي لا ؟!!..

لقد تمنيت بالفعل لو يكون هناك شخصٌ واحد من طرفها..لكن أمل تحسبها متزوجة أساساً
و هي لم تخبر أيٍّ أحد امتثالاً لأمره..

لما هو فقط يستطيع أن يهتف بها معلناً عن غيرته الأسطورية بينما هي لا ؟!!..

كان وضعها سيكون أفضل لو لم تقابل تلك الفتاة الجذابة التي قالت توجه حديثها لها بنبرة

لطيفة تخللها شيء يشبه شعورها بالحسد المكبوت ؛

_تشرفت بلقائك.....شهد !

نظرت لها شهد بنظرة لم تحمل من الودّ بقدر ما حملت من الفتور..قبل أن تحرك رأسها كردّ

لا معنى له على جملتها تلك..لم تدري أن هادي كان مغتاظاً أكثر منها.. فهو لم يدعو تلك الغبية إلى

هنا..

لكنها جزء لا يتجزء من المجموعة و هو لم يستطع أن يخبر زميله الذي تواصل معه عبر

الهاتف بأن لا يحضرها معهم هي تحديداً..كانت لتكون حركة في غاية انعدام الذوق منه..

الآن يتمنى لو لم يدعو أي أحد منهم !

دقائق أخرى قليلة و كانت تبدأ المراسم بهدوء..تناست شهد كل غيظها في لحظة واحدة و

ارتسمت ابتسامة عريضة على وجهه..

كلاهما تغاضيا عن كل شيء..و كأنما كل الوجوه اختفت من حولهما و لم يتبقى سواهما و

ذلك الرجل الموقر الذي سينقذ قلوبهما من بياق الفراق الذي أوهنهما..

لكن هل تعلمون ما كان الجزء الأجمل في كل هذا ؟!!!..

كانت تلك اللحظة التي أمسك فيها القلم ليخطّ إمضاءه بحماسٍ غريب..و يضع القلم في يدِ

شهد التي نظرت له برهبة لوهلة..فحثتها عيناه الحنونتان بإيمائتهما الرفيقة..لتخفض رأسها في

ارتباكٍ مشوبٍ بسعادتها المطلقة و توقع ذلك العقد..

لا..لم تكن تلك اللحظة هي الأجمل..بل الأخرى التي تلتها..حينما أعلن "المأذون" أمامهما

بصوته الرخيم بهدوء ؛

" أنتما زوج و زوجة ! "

كانت تلك اللحظة تشبه خلاصها البعيد..فأغمضت عينها سامحة لأنفاسها التي كانت تختنق

طوال هذه المدة بداخل صدرها بالتحرّر من سجنها الوهمي بحرارة..و لم تكثرت أبداً لأصوات السعادة

و التهاني التي انتشرت حولها..

كان قلبها منشغلاً باستشعار هذه اللحظة و عقلها باستيعابها..قبل أن تعود لتفتحها

مستقبلة عدد التهنئات بابتسامتها المرتجفة المهتزة قليلاً بدموع محتجزة..

إلى أن غادر الجميع ليبقى أربعتهم فقط..شهد و هادي و سجي و لؤي اللذان كانا آخر من

يهنئهما..تقدم لؤي أولاً ليعانق هادي بسعادة هاتفاً ؛

_لا أعلم هل أقول مبارك لكما أم الحمد لله على سلامتكما !

كان يصافح شهد حينما أجابه هادي بفضاطة مُحببة ؛

_قل ما شئت لكن غادر بسرعة رجاء !

ثم نظر لسجى التي كانت تقف بجانب لؤي صامتة..لهمس محاولاً تزييف الاعتيادية و إخفاء

قلقه حيال مزاجها الغريب و شكلها المختلف اليوم ؛

_ألن تهنئينا ؟!!..

اقتربت سجي منه خطوة هادئة..لتهمس له بصديق و هي تندسّ في حضنه محاولطة جذعه

القوي بذراعيها غير عابئة بكلام لؤي الذي ألقاه على مسامع هادي قبل دقائق ؛

_الحمد لله على سلامتكَ !

كانت نبرتها مرحة بعض الشيء..دفعت هادي للابتسام بإخلاصٍ و هو يرفع يديه ليحاوطها هو

الأخر برفق أمام لؤي الذي احتقنت عيناه بنظرة مغتاطة و هو يشيح بأنظاره جانباً عنهما..

هو لم يكن يداري غيظه فقط..بل سعادته أيضاً..هو يعترف بأن كلامه ذاك الذي ألقاه على

مسامع هادي كان حقيقياً..

إنه يكاد ان يستغرب من نفسه حتى..و من هذا الشعور الخانق الذي احتل قلبه برؤيتها

تلتمس هذا الأمان من ذراعي غيره..حتى لو كان أخيه !!!

لكنه كان سعيداً في نفس الوقت..سجى لا تنفكُ تتحسن كل يوم عن الذي قبله..و خير دليل

هذا الإقتراب الذي بادرت بنفسها به..بعد أن كان خائفاً من أن يضعف صمودها برؤية هادي الذي

كان في وقتٍ ما أقرب لها منه !!..

رأها و هي تقترب من شهد لتهمس لها بنفس نبرتها الهادئة الصادقة بينما تربت على ذراعها

برفق ؛

_أهلاً بكِ بيننا مجدداً !

أومأت لها شهد و ذلك البريق الدامع بعينها يبرز أكثر أثناء همسها بصوتٍ أجش يخالطه

بعض...الإمتنان !

لم تكن تعلم فعلاً سبب شعورها بالامتنان نحو سجي بالضبط..ربما بسبب طريقة تعاملها

اللطيفة معها منذ أول يوم قابلتها فيه..أو تلك الابتسامة الصادقة الخالية من نظرة التكبر التي لطالما

لمحتها في عيني والدة هادي..

أو مجيئها اليوم رغم التعب البادي على ملامحها..و تلك اللمسة التي بدت لها كعناق دافئ من

صديقة أو أخت تمننت أن تحظى بها يومًا !

_شكرًا لكِ !

#الكاتبة

نزل هادي الصغير من السيارة الفارحة برفقة أمه.. ليتبعها بطاعة إلى أن تجاوزا الباب العريض لدار الأيتام.. وما إن توقفت أمام مكتبها.. حتى كانت تلتفت نحوه لتقول بحزم بينما تضع سماعتي أذنيه اللتين كانتا معلقتان حول عنقه في أذنيه ؛
_أنا لذيّ بعض العمل..لا تتحرك من هنا إلى أن أخرج..مفهوم؟!
أوما لها هادي الصغير بهدوء..قبل أن تراقبها عيناه المشاكستان إلى أن اختفت خلف مكتبها..
كانت تلك اللحظة تشبه تلقيه لهدية فائقة الروعة..
هديته الأجل كانت تلك الفرصة التي تمنحها له أمه دون علمها حتى في جعله ينظر إلى -صاحبة الظفيرتين- و الحدود الوردية قدر ما يشاء !
و بالفعل اتجه من فوره إلى تلك الساحة الكبيرة..ليتوقف مستنداً إلى أحد جدرانها المزينة بعدة رسوم لا معنى لها..لكنها تبدو جميلة الشكل رغم ذلك..
مرت عدة لحظات التزم فيها الصبر و الهدوء..قبل أن تتراءى له و هي تخرج من أحد الغرف هنا..تبدو كدمية متحركة صغيرة و هي تقترب كعادة غريبة إلى أن جلست فوق تلك الدرجة القصيرة تمسكُ بكتاها و قلمها لتبدأ في كتابة شيءٍ ما غير عابئة أبداً بالأطفال الذين كانوا يلعبون ببهجة من حولها..
إنها نابغة ! لقد كان يعلم ذلك منذ صغره حتى !
لكنه لم يكن قد تحدث معها مرة من قبل حتى تلك اللحظة..دائماً هو يجيد دور الحارس السري المتفاني في حراستها و إن كان بعينه فقط..كذلك اليوم تماماً..
ظل يراقبها لدقائق و دقائق..يعلم بأن عمل أمه السريع سيمتد لساعاتٍ كما العادة.. لكنه لا يكثر أبداً..فهو لديه وسائله الخاصة بالفعل في تمضية الوقت..
راها عن بعد و هي ترفع رأسها فجأة لتتأمل لفتاتين توقفتا أمامها بعينها اللتين تمزجان ما بين دعر فطري لطالما توطد بهما و غموض يجعل كل من ينظر لهما يجزم بوحدتها..فعقد حاجبيه و هو يراقب الموقف بتحفز كبير..

كان الأمر يبدو جلياً أنهما تحاولان التنمر عليها..من تلك الحركة الحقيبة التي افتعلتها الأولى حينما اختطفتم منها كتابها من بين يديها ملقياً عليها كلمة قبيحة لم يسمعها.. بينما مدت الأخرى يدها بكل صلف لتلكم جيبتها..

كانت هي الأصغر بينهما..كلتاها تكادان أن تتجاوزان سنَّ العاشرة بينما هي في السابعة فقط..ورغم ذلك لمحها بقلق و هي تقف محاولة بكل طريقة أن تستعيد كتابها منهما..لكن قوتها الضعيفة لم تكفي على ما يبدو..وبدلاً عن ذلك نالت ضربة قاسية من إحداها جعلتها تقع أرضاً.. في تلك اللحظة بالذات وجد نفسه عاجزاً عن الوقوف بصمتٍ..فلتذهب كل أوامر أمه أدراج الرياح..هو لا يستطيع أن يقف هادئاً أمام موقف كهذا..

خاصة إن كانت ضحيته هي تلك الدمية الصغيرة الوقورة التي لا تشاكس أحداً..إنه يشعر بأنها تنتهي له حصراً..حتى لو لم تكن تعرفه يكفي أن جوارحه تعرفها بالفطرة !
_ أعطني الكتاب !

قال أمراً بصرامة و هو يقف بينها وبينهما..بينما كانت شهد لا تزال قابضة فوق الأرض..مطرقة الرأس تبكي بلا صوتٍ كعادتها حتى بعد أن سمعت صوته..
و بالطبع لم تستطيعا الفتاتان معارضة أمره و هما تنظران له برهبة..فهما تعرفانه مسبقاً..إنه ابن المديرة الوسيم..ذلك الفتى المحايد الذي لم يخض مع أيٍّ أحدٍ منهم أيَّ حديثٍ عابر حتى في يوم ما..

أخذ الكتاب منها ليقول مجدداً بنفس صرامته التي لا تناسب طفلاً في الثانية عشر من عمره ؛

_ واعتذرا منها..هيا !

رمقتا الفتاتان شهد -التي كانت لا تزال مطرقة الرأس- بنظرة مغتاظة سريعة..قبل أن تهمسان سويًا بغير رضا تام ؛
_ نعتذر !

لكن هادي لم يكتفي حتى بهذا القدر..انحنى برفق إلى مستوى شهد إلى أن أطبق على ذراعيها بذات الرفق ليساعدها في الوقوف..قبل أن ينخفض قليلاً ليبعد أثر بعض الغبار عن ركبتيها الظاهرتين من فستانها الرقيق مثلها..

لم تكن شهد قد رفعت رأسها نحوه..و لم تعترض أبداً حركته تلك..إلى أن عاد ليستقيم هاتفاً بنبرة قاطعة..يوجه كلامه للجميع الآن ؛

_كلامي هنا موجه لجميعكم..إذا رأيت أيّ أحدٍ منكم يضايقها مجددًا فسأشي به لأمي..و أنا

أعني حرفيًا ما أقوله..هل تفهمون ؟!

لم يلقى منهم أيّ ردة فعل..مجرد أن استدارت الفتاتان المشاكستان لتغادران في صمت..قبل

أن يلتفت إلى شهد مجددًا ليمد لها الكتاب..فترددت للحظة..

لكنها لم تلبث أن رفعت يدها الصغيرة لتأخذه منه بتردد تحتضنه تحت ذراعها في حركة

تلقائية بدون أن ترفع رأسها..و ما إن التفتت توشك على الهروب من هنا بصمتٍ.. قال يوجه كلامه

إليها باهتمام ؛

_ألن تشكريني ؟!

توقفت شهد تبتلع ريقها بتعثر طفلة..قبل أن تهمس متلعثمة بكل براءة و هي تستدير إليه ؛

_شكرًا.....سيدي !

ربما يبدو الوضع مضحكًا..أن تنعت طفلة طفلًا آخر بسيدي !

لكن الوضع كان ها هنا يتم بهذا الشكل..السيدة عفاف بصرامتها المخيفة لم تكن تسمح لابنها

بالتكلم مع أيّ أحد منهم..

لطالما اعتادوا على نظام الأسياذ و الأيتام..هذا جعلهم يقتنعون قطعًا بأنهم أقل قيمة من

غيرهم من الأطفال..خاصة شهد التي كانت تعامل بشكلٍ خاص من عفاف !

لم تكن هناك أيّ طفلة تتعرض لما تتعرض إليه..عقابات متتالية و مباشرة إذا ما اشتكى أيّ

أحدٍ منها..حتى و لو كان هو المذنب كان كل اللوم يقع على تلك الصغيرة الهشة فقط..

كانت تكرهها بشدة..لطالما أعلنت ذلك بنظراتها قبل تصرفاتها معها أمام الجميع..رغم أنها لا

تهتم بهذه التفاصيل الصغيرة التي تخص طريقة حياة الأطفال هنا..فهي تشغل منصب الإدارة و إلقاء

الأوامر فقط..

إلا أنها لم تكن تضيع أيّ فرصة في التقليل من شأنها و قذفها بأسوء أنواع الشتائم على مجرد

هفواتٍ صغيرة قد يرتكب الجميع مثلها..هذا دفع الجميع لأن يتنمروا عليها بدون خوف أو حرج..و

جعلها تنكمش على نفسها في ركن بعيد عنهم خوفًا من بطشٍ جديد..أو عقاب جديد لن يتحملة

جسدها الهزيل..

ذلك اليوم كانت أول مرة يدافع عنها أحد ما..أول مرة تشعر بأنها كيان حقيقي.. مجرد طفلة

لم تفقه من الحياة إلا الظلم..طفلة تحتاج للرعاية أكثر من النبذ..طفلة بعقل شبه ناضج !

اتسعت عينها الصغيرتان رهبة و دهشة معًا حينما همس لها هادي بنبرة لينة رطبة ؛

_اجلسي قليلاً..

و جلست بالفعل..جلست كمجرد طفلة صغيرة لا تملك من أمر حياتها سوى الإنصياع لكل الأوامر التي تفيد مصالحها أو لا تفيد..جلس هادي بجانبها فوق تلك الدرجة التي تكاد أن تكون مُدونة باسمها..

و ساد صمتٌ قصير جداً قبل أن يقطعه قائلاً بنفس نبرته الهادئة الخافتة ؛

_اسمي هادي..و أنتِ ؟!

رمقته شهد المطرقة بنظرة صغيرة متحفظة و هي تهمس بصوتها المرتجف ؛

_ش...ش.....شهد !

ثم أردفت فوراً بتلعثم بريء ؛

_أ...أرجوك لا تخبر المديرية عن شجارنا..أنا أسامحهما..

كان جلياً خوفها و هي تقول ما قالت..بينما لم يفكر هادي كثيراً و هو يهمس ؛

_حسناً..لكن بشرط !

نظرت له شهد بعينها الواسعتين..مستعدة لأن تنفذ أي شرط كان إلا أن تضطر لتحمل

عقاب جديد..فهمس هادي بابتسامة صغيرة رصينة ؛

_أن تدافعي عن نفسك في المرة القادمة..

ثم أكمل فوراً قبل أن يسمح لها بالردّ عليه ؛

_رغم أنني لا أظن بأن أيّ أحدٍ قد يتجرأ و يزعجك بعد اليوم..

أمال رأسه قليلاً نحوها..ثم همس ؛

_لكن هل تعدينني بأن تدافعي عن نفسك في المرة القادمة ؟!

ترددت شهد قليلاً و هي تنظر له فاعرة شفقتها ذهولاً و ارتياحاً..لكنها سرعان ما أومأت له

عدة مراتٍ بدون أن تتكلم..و قبل أن يستطيع هادي لفظ كلمة أخرى جاء صوت أمه قاصفاً من

البعيد ؛

_هادي !

مجرد سماع تلك النبذة..جعل شهد تنتفض جزعاً..قبل أن تقف بسرعة لتركض باتجاه

الغرفة التي كانت بداخلها قبل دقائق مختفية بداخلها في لمح البصر..

بينما شعر هادي بالحيرة و هو ينقل عينيه ما بينها و بين أمه..إلى أن وقف ليقترّب من أمّه

بجسده..تاركاً عقله يسرح في شتى الأفكار..

أقواها كانت رغبته في التحدث معها مجددًا !
و قد تحققت هذه الرغبة بشكلٍ سريع أكثر ممّا توقع..
إلى أن صار لقاءهما شيءً بديهي..ما إن يصل إلى هنا حتى يهرع إليها..و ما إن توشكُ أمه على
الخروج يودعها و يعود ليحتل مكانه أمام مكتبها..
تاركًا صغيرته تجلس في تلك الدرجة مُهمكة في الدراسة..بعد أن أصبح الوضع من حولها آمنًا
بفضله..و تمكن على الأقل من حمايتها من تنمر الأطفال..
و إن لم يكن من المُشرفات و المدرّاء أنفسهم !
لكن خوفها المبالغ به من أمه..كان لغزًا كبيرًا و لا يزال..هل كانت أمه مرعبة إلى ذلك الحد..و
لماذا معها هي بالضبط ؟!!!
لم تكن لدى شهد الصغيرة أيّ إجابات..لكن الكبيرة تستطيع إجابته بالتأكيد !

#شهد

تسلّلت تلك الذكريات إلى قلبي لتخبرني قطعًا بأن الأمل كان موجودًا منذ البداية.. تلك
الذكريات لطالما كانت تشبه -المرهم- لجروحي..في غفوتي..و صحوتي..و بكائي..و ضحكتي..في أوقاتِ ألمي
أو انتصاري كانت ترافقني..
بدا لي مشهد أول تعارف لنا كحلْمٍ جميل..كم أتمنى في هذه اللحظة بالذات أن ألتقي تلك
الفتاتين لأشكرهما..فلولا تنمرهما رُبما ما كنت أنا هي أنا اليوم..
لما وقفت في هذا المكان..بهذا الفستان..أبتسم ملأ قلبي المرتجف سعادة...و نشوة !
تناهى إلى مسامعي صوت إنغلاق الباب خلف سجي و لؤي اللذان غادرا لتوهما..يليه صوت
خطواته الرصينة من ورائي..
كان يمشي بهدوءٍ شديد..كشخصٍ أخذ من العالم كفايته..فلم تعد تغريه جميع المستجدات
عن سلامه النفسي الذي وجده بعد دهر من الزمن !!
كان يقترب..و يقترب..إلى أن توقفت الخطوات فجأة..و توقفت أنفاسي حينما شعرت بذراعيه
تتسللان ببطءٍ شديد من حولي إلى أن حاوطتا خصري..بينما اندس أنفه بين ثنايا عنقي جاعلاً من
نبضات قلبي ترتجف..
قبل أن يأتيني صوته خافتًا..خافتًا جدًا..في أقصى درجات الإسترخاء ؛
_رائحتكِ !!

ابتلعتُ ريقِي ببطءٍ و أنا أشعر بالحرارة تنبعث إلى وجهي بسرعة..بينما تسلل نفس ثقيل بلا صوتٍ من بين شفتاي أغمضت بعدها عيناَي بشدة و أنا أهمس ؛

_ما...ما خطيها ؟!!

شعرتُ بذراعيه تشتدان من حولي أكثر..بينما صوته المكتوم صداه بين خصلات شعري و تجويف عنقي يهمس ببطءٍ شديد هناك ؛

_تذكرني بالورد !

يا إلهي..أنا على حافة الإنهيار بالفعل..إن لم أفقد عقلي فسأسقط مغشية عليَّ في أيِّ لحظة لا محالة !..

لم أستطع أن أجيبه..مجرد أن أطبقت رموشي أكثر مستشعرة أنفاسه التي ما انفكت تلفح بشرتي بقبلاتٍ لها نكهة الحب..

إلى أن رفع رأسه قليلاً تزامنا مع يديه اللتين أمسكتا بكتفائي إلى أن جعلني أستدير نحوه..فأطرقت برأسي حياءً و توترًا..

كان صوت أنفاسي يخرج ثقيلًا مرتعشًا..وحده يتردد إلى مسامعي ليزيد من شعوري بالغثيان..لكنني لا أريد أن أفقد وعي..أنا لن أسمح لهذه اللحظات بأن تضيع مني..

لن أسمح لسعادته بأن تندثر خلف أمواج القلق البالغ الذي سيحتله نحوي ! لحظة أخرى..و شعرتُ بيده تمتد هذه المرة إلى ذقني..فرفعت رأسي ملبية لرغبة عينيه الدافئتين..و نظرت في جوفهما تمامًا بينما أسمع ههمس بصوتٍ ساحر ذا مغزى عميق ؛
_ألا تزالين تتذكرين كلمات أغنيتنا ؟!

أغنيتنا ؟! أنا لا أتذكرها فقط..بل أنا أحفظ كلماتها كلمة كلمة عن ظهر قلب !

لم أستطع سوى أن أهمس بينما أحاول التماسك أكثر ؛

_القليل فحسب !

لم أتفاجئ أبدًا حينما رأيتُ ابتسامته الهادئة ترتسم فوق وجهه بينما يهمس محتفظًا بخفوتِ صوته و لمسة أنامله الدافئة على ذقني ؛

_أيُّ مقطع ؟!!!

كل المقاطع..كلها كانت تذكرني بمأساتي الطويلة معك !

أردتُ أن أجيبه بهذا الشكل.. لكن عقلي الذي قام بترجيح مقطع واحد.. ذلك الذي احتل قلبي
بشكلٍ مريع.. الذي بقيت أذرف الدموع طيلة فترة ابتعادنا متمنية لو اقتبست حروفه و ألقيتها في
وجهه.. جعلني أتراجع عن إرادتي تلك..

و همستُ أنظر في عينيه بعد وقتٍ.. بصوتٍ مختنق.. بعد أن عادت دموع الأمل و الشوق معًا
تلامس جفناي ؛

_ حبيبي لا تفارقني.. أخاف توقف العمر.. أخاف لحُبنا وجعًا.. أخاف بأن يعرقله.. بكل الكره
مجتمعي.....

لم أشعر بنفسي بعدها إلّا و أنا أغمض عيناي لأجهش في البكاء ألمًا على ما فات.. بعد أن
ألقيت كل ما في جعبي أمامه..

حتى دموعي لم أجد لها ملجأ سوى صدره.. فارتيمتُ بداخله أكمل بكائي هناك.. أتشبث
بقماش قميصه بمخالب قطة تخشى الابتعاد عن صاحبها !

أستشعر بعد كل دمة جديدة نبضة جديدة تحمل معها أطنانًا من الأمل و السعادة..
أنا لم أكن أعانقه لوحدي.. بل كانت ذراعاه أيضًا تقيدان ضلوعي بقبضة من حديد.. كان يضمني بقوة
شعرت معها بأنه لن يحرّرني بعد.. و ليته لا يفعل !

لكن لحظات الألفة و الارتياح هذه سرعان ما انتهت ما إن شعرتُ بأنني على وشكِ
الإستفراغ.. فتركته مرغمة بسرعة.. و استطعت بقدره قادر أن أفلت من بين ذراعيه بعد أن تلاشت
قوته قلقًا علي لأتجه إلى الحمام بسرعة..

اعتصرتُ بطني براحة يدي بقوة و أنا أحني جذعي مستندة بالأخرى لطرف المغسلة لأطرح كل
ما كان في معدتي..

لقد كان الوضع غريبًا بالنسبة لي في الحقيقة.. هذا الشعور بالغثيان.. و الدوار.. كل هذه
الدوامات التي تلفّ رأسي و التي لم أشعر بها بهذه القوة من قبل..
رفعتُ يداي المرتجفتين لأغسل وجهي عدة مرات.. قبل أن تقع عيناي على انعكاس ملامحي في
المرآة.. و هالني هذا الشحوب الذي اكتسح وجهي فجأة.. حتى ورود وجنتاي اختفت.. و حل محلها لون
أصفر سرق نظارة ملامحي..

_شهد.. هل أنتِ بخير !!؟

سمعتُ صوت هادي الحاني يتسلل بخفوتٍ من خلف الباب.. فأغمضت عيناي لوهلة و أنا
أشعر بالأسى يحتلني.. كيف سأخرج بهذا الشكل.. أنا أبعدوا..... كشبح هزيل بالفعل !

#هادي

للحظات طالت بقيت و اقفًا في نفس المكان أستند بكتفي إلى الباب المغلق بكتفي.. أنتظر
خروجها بفارغ الصبر..بينما عقلي كان يتساءل بفرع..هل سينتكرز الأمر كثيرًا؟! أنا.....قلق بالفعل !
انتفضتُ فجأة و تراجعت خطوة غير مرئية حينما أتاني صوت دوران القفل من الداخل
ليطل من خلفه وجهها شاحبًا..شاحبًا بشدة...و جميلًا !
اندفعتُ إليها بسرعة لأحاط ووجهها البارد بين يداي سائلًا بقلق ؛
_ما الخطب ؟ هل أنت بخير ؟!!!
هي لم تكن تبدو بخير في الحقيقة..لكن هذه شهد !..حبيبي الصبورة الهادئة..و التي تجيد رسم
الابتسامات حتى في أشد الأوقات صعوبة..كما اليوم.....
رأيتُ محاولاتها المتكررة في رسم ابتسامة شاحبة إلى أن نجحت بالفعل..و همست لي بصوتها
الخافت الضعيف ؛
_لقد قرأت في بعض الكتب..يقولون بأن كل هذه الأمور.....التي تحدث معي.....أمر عادي..لا
تقلق رجاء !
رجاء ؟!!!..
طرفتُ بعيناي لعدة مراتٍ أمام رجاءها الغريب ذاك..هل كان قلقي مبالغًا به بالفعل ؟!..
تركتُ وجهها بترددٍ..قبل أن تمتد يدي هذه المرة إلى يدها إلى أن أمسكت بها بشدة لأسحبها
ورائي نحو السرير..دفعتها برفقٍ لأجعلها تستلقي بينما أهمس تلقائيًا بنفس الرفق ؛
_لا بأس..لا بأس حبيبي..أنت نامي قليلًا فحسب و ستكونين بخير..
أنهيتُ آخر كلمة و أنا أندس بجانبها لأحاط جسدها بذراعي بشدة مخفيًا رأسها المتعب بين
ثنايا صدري..قريبًا من موضع قلبي الذي اشتاق لهذا التقارب..
بينما لم أستطع أن أمنع يدي الأخرى من أن تمتد إلى شعرها تتخلله برفق ؟!
يا إلهي..أحيانًا أشعر بأنني شخص مهووس !..
و إلا ما هذه الرغبة التي تجتاحني في ضمها إليَّ أكثر و أكثر و كأن كل هذا الالتصاق لا
يكفي..حتى أن أناملي لم تكتفي من عذوبة خصلات شعرها الحريري..
و هي لم تبدو ممتنعة..بل على العكس تمامًا..شعرت بيديها الإثنتين تتمسكان بقميصي
بشدة..و بقينا هكذا للحظات..

أنا أصدق أمامي بحيرة.. ما بين رغبتني في طرح كل تلك التساؤلات التي لا تزال مخترنة بعقلي حتى

هذا اليوم.. ورغبتني الأخرى في تأجيلها خوفاً على صحتها..

و من بين كل ذلك.. سمعتها ندائها الرقيق ينبهي ؛

_هادي !

شعرتُ بقلبي يرتعش بشدة تحت وطأة هذا الضعف الذي يغزو جسدها و صوتها.. لكنني رغم

ذلك استطعت أن أهمس بهدوء بدون أن أنظر لها ؛

_هممم ؟!

لكنني لم أتوقع جملتها التالية إطلاقاً.. حينما قالت بعد صمتٍ قصير بنبرة غريبة ؛

_لقد ناديتني.....حبيبتي !!

قالتها بدهشة بالفعل.. كشخصٍ انتظرها طويلاً دون أن يسمعها.. و ما إن قرّر التوقف عن

انتظارها...سمعها !..

لم أستطع سوى أن أهمس بينما أطرق رأسي قليلاً لأنظر في عينيها تماماً.. عينيها الواسعتين

الجميلتين و اللتين تطلعتا بي بحيرة ؛

_و ما الغريب في الأمر ؟! ألسن حبيبتي بالفعل ؟!

رأيتها بحنانٍ و هي تفغر فمها لوهلة.. قبل أن تعود لتزمه لوهلة أخرى.. ثم عادت لتفتحه

هامسة بتوتر ؛

_لكن...لكنك لم تقلها لي من قبل..أقصد...أنا لست معتادة على سماعها...منك...

أقصد.....

صممت فجأة تنقل عينيها بين عيناى بنفسي برائتها المهلكة التي ستفقدني عقلي يوماً

ما..فرسمتُ شبه ابتسامة فوق شفتاي و أنا أهمس لها بهدوء..بينما يدي التي كانت تتخلل خصلات

شعرها تتمرد قليلاً لتتجول فوق ملامحها الجميلة..الجميلة جداً...

_عليك البدء في التعود عليها إذاً..فأنا سأكررها كثيراً في المستقبل !

ثم عدتُ لأضمها إلى صدري مستأنفاً بخفوتٍ..أحاول أن أقاوم رغبة تحثني على إغداق

صاحبة تلك الملامح البهية في عاطفة هوجاء..لولا قلقي الشديد عليها و شحوبها الذي يقهرني !

_و الآن نامي..أنت لا تزالين شاحبة..

ساد الصمت طويلاً بعدها..و سكنت أنفاسها حتى ظننتُ بأنها نامت بالفعل..لكنني

مجدداً..سمعت صوتها الناعم يأتيني في نفس درجة الخفوت...و الرقة !

_هادي !

_همممممم ؟

همستُ بصبر و أنا أنتظر استفسارها الثاني..لكنها لم تستفسرنى عن أي شيء هذه المرة..بل

همست لي بأسى ؛

_أنا آسفة !

في هذه اللحظة بالذات انعقد حاجباي بشدة..ثم لم ألبث أن دفعتها قليلاً لأنظر لوجهها سائلاً

بعدم فهم ؛

_على ماذا ؟!!!

لكن ردها جعلني مصدوماً..مشدوهاً تماماً..و أنا أراها و أسمعها تهمس لي بصوتٍ مختنق ؛

_لقد كنت تصرخ بي ذلك اليوم عن ذلك الشاب الذي وقف معي أمام الجامعة لكنني لم

أتفهمك جيداً..لكنني اليوم بعد أن رأيت تلك الفتاة استطعت أن أضع نفسي مكانك و.....و.....

طوال لحظات تحدثها..كنت أنظر لها بدهشة كبيرة أقرب إلى عدم التصديق..إلى أن صمتت

تبتلع ريقها بصعوبة..و طال الصمت مجدداً لثوانٍ..قبل أن تكمل جملتها الناقصة... بتردد ؛

_هل هي.....أجمل مني ؟!!!

يا إلهي ! لقد تأكدت في هذه اللحظة بالذات بأنني لم أتزوج من طفلة فقط..بل من

حمقاء..أجمل حمقاء على الإطلاق !..

كانت تسألني بجدية..رغم أنني تمنيتُ بشدة لو أنها كانت تمزح..لكن نبرتها..و ملامحها..و

عينها الشبيهتين بعيني هرة صغيرة مذعورة جعلتا قلبي يرفرف في مكانه..

الحقيقة أن تأمل ملامحها المتوترة الخجولة..و وجنتاها اللتان تشبهان حبتي طماطم طريتين

كلما تعمدت إحراجها شيء في منتهى الجمال..

لكنني اليوم بالذات..لم أكن في مزاج مناسب لذلك...

فتأوهتُ بقوة و أنا أهمس بينما أشدد من ضغط ذراعاي اللتان كانتا تضمانيها أساساً من

حولها..و لم أستطع أن أكبح رغبتى في الغرق بين خصلات شعرها الفاحمة..

_لم أدقق النظر بها في الحقيقة..لذا لا أستطيع إجابتك !

الحقيقة أنني حتى لو لم أكثرت يوماً لتلك الفتاة المزعجة..إلا أنني كنتُ أستطيع إجابتها

ببساطة..لكن سؤالها الخالي من بؤادر الثقة بنفسها أو بي أزعجني نوعاً ما..

و يبدو أن إجابتي أيضًا أزعجتها.. فسمعتها من بين هذا النعيم الذي ألفته أنفاسي تهمس لي
بحزن ؛

_ هذه ليست إجابة بالمناسبة !

كان صوتها مختنقًا أكثر.. و قد شعرتُ برغبتها في البكاء.. فرفعت رأسي لأنظر لوجهها بذهول.. و

قد كانت على وشك البكاء بالفعل !

هتفتُ بها بصوتٍ خافتٍ لم يخفي دهشتي ؛

_ أيتها الحمقاء.. هل أنتِ جادة ؟!!!

صمتُ للحظة.. ثم أكملت أنقل عيناى بين عينيها اللامعتين بانفعال حار ؛

_ أنتِ.. أنتِ زوجتي.. حبيبتي.. لماذا تضعين نفسك في هذه المقارنات التافهة أساسًا ؟!!!

انتفض قلبي عدة انتفاضاتٍ صامتة و أنا أرى تلك الدموع التي أخذت تتسلل من تحت

جفنيها بلا سبب مقنع.. ثم همست بعد عدة لحظاتٍ.. برجاءٍ لم أفهمه ؛

_ أنا..... طلبتُ منك أن تجيبني على سؤالى فقط.. لكنك... لكنك تحاول المُماطلة بلا فائدة

للتجنب الإجابة !

يا إلهي.. هل بدأنا ؟!!! لقد كنتُ أسمع دائمًا بكل التقلبات المزاجية التي تطرأ مع النساء في

فتراتِ الحمل.. لكن..... إلى هذا الحد !

أنا أشعر بالفعل و كأنني لا أنظر لشهد التي أعرفها.. إمّا أن هذا الإرهاق الذي يكتنف جسدها

الضئيل قد داهم عقلها أيضًا ليسرق توازنه أو أنه مجرد رد فعل طبيعي لزوجته..... غيرة جدًا !

تبلدت ملامحي.. و فغرت شفطاي قليلًا محاولًا التكلم.. لكنني عدت لأزعمها لا أدري ما الذي عليّ

أن أقوله بالضبط.. ماذا عساي أن أقول !!..

و ما إن استطعت تمالك نفسي همستُ باستنكار ضعيف ؛

_ أماطل بلا فائدة لأتهرب من إجابتك..... أنا ؟!!!!

لم ترد.. لكنها أسبلت جفنيها.. و هذا كان تأكيدًا قاطعًا على جملتها تلك.. فضأقت عيناى

قليلاً.. قبل أن أقول بضيق ؛

_ حسنًا.. بما أن هذا هو رأيك فنعم.. أنا أماطل عمدًا لأتهرب من إجابتك.. هل تعلمين لما ؟! لأن

سؤالك كان في قمة التفاهة و أنا أشعر بالإهانة لمجرد التفكير فيه...

شعرتُ بانتفاضتها الضئيلة تحت ذراعاى اللتان لم تبارحا كتفهما.. فأخذتُ نفسًا عميقًا أهدء

به نفسي.. إلى أن سمعتها تهمس بصوتٍ متراجع.. ضعيف.. حزين ؛

_لقد كادت أن تلتهمك بنظراتها و أنا.....

رفعتَ عينها نحوي..و قد أسعدتني تلك النظرة التي لم ألمح بها أيَّ بوادر خوف و هي تكمل

باختناق ؛

_و أنا غرت..لقد غرتُ بشدة...أليس من حقي ؟!

بقيتُ أنظر لها بصمتٍ للحظاتٍ..و قد كانت تلك اللحظات كافية لتطرد ذلك الضيق من

عيناى..إلى أن وجدت نفسي أبتسم..شبه ابتسامة لم تكتمل همستُ لها بعدها برفق ؛

_بلى من حقلك..من حقلك أن تغاري عليَّ أنا...لا منها هي !

كانت تستمع لي بإنصاتٍ شديد كطفلة مطيعة تستمع إلى نصائح والدها بإمعان..فاتسعت

ابتسامتي قليلاً و أنا أستطرد بينما أرفع يدي قليلاً لأغطي وجنتها المتوردة الناعمة ؛

_لكن بما أنك ملحة بشدة على معرفة رأيي فاسمعي.....

اقتربت منها أكثر لأهمس قريباً من وجهها..بصوتٍ خافتٍ جاد تماماً ؛

_أنتِ أجمل منها بآلاف الدرجات..تلك الفتاة لا تستطيع أن تصل لربع جمالك في

عيناى..أقول في عيناى لأنني فقط من يحق له تأملك بهذا الشكل..هذا الجمال الأخاذ هو ملكي أنا

فقط..كما أنا ملكك تماماً..هل هذا مفهوم ؟!

رأيتُ بعض الدموع الماسية و هي تتحجر بعينها حبيبتاي قلبي..قبل أن يتحرّر قيدها لتنساب

بحرارة ملائمة في طريقها أنا ملي المحاولة لوجنتها..فلم أستطع أن أمنع نفسي من أن أقرب أكثر لألثم

دمعة جديدة قبل أن تلمس أنا ملي التي لم تبارح وجهها..

قبل أن أبتعد قليلاً لأقابل عيناى المغلقتين بعينين تنطقان بالكثير..

أحياناً أكره نفسي بالفعل..في لحظاتٍ غضبي..و انفعالي..أنا أغدو شخصاً آخر لا

أعرفه..أنصاع لنوبة جنون تتحملها هي فقط.....

ثم ما إن أتمالك نفسي لا أشعر سوى بالندم..و برغبة عنيفة في توبيخ نفسي و الاعتذار لها

بكل الطرق الممكنة..كما اليوم...أردتُ بشدة أن أهمس لها بكلمة " آسف " ..

لكنني بدلاً عنها..همستُ أداعيها بحنان ؛

_أم هل كنتِ تظنين بأنني أفضل حالاً منك ! لقد كنتُ مشوشاً لدرجة أنني بقيت أنقل أنظاري

بين كل أصدقائي..خوفاً من أن ألمح أيَّ نظرة يقصدونك بها...و لا تروق لي !

هدأت دموعها قليلاً..و تلكأت شفتها على ابتسامة صغيرة لم تكتمل..ثم همست لي فجأة

بترقب ؛

_و لو لمحتها..ماذا كنت ستفعل ؟!

حسنًا..هذا سؤال وجيه جدًا..الحقيقة أن هذا لم يكن مرجحًا أن يحدث..لكن لو حدث
بالفعل فأنا كنت.....

_كنتُ سأكسر أنفه و أسنانه و أطرده خارج البيت بعد أن أنتزع بؤبؤتي عينيه الإثنتين !
قلتها بصرامة مغلفة ببعض المرح..فاتسعت ابتسامتها الخجولة أكثر..و اتسعت ابتسامتي
أيضًا برضا تام..

لكن ابتسامتي لم تكن تشبه ابتسامتها..

كانت ابتسامتها بريئة..خجولة..سعيدة..أما أنا فقد ظللت ابتسامتي شرود عميق..و تضاعف و
أنا أتركُ وجهها لأتمسك بيدها التي كانت مستقرة فوق صدري..

لكن ليست أناملها من كانت وجهتي هذه المرة..بل تلك العلامة التي تشطر قلبي إلى أنصاف في
كل مرة ألمسها أو أراها..كاليوم تمامًا...

انخفضت أناملي ببطءٍ إلى أن أمسكتُ بمعصمها..بينما أخذت تلقائيًا أمرر إبهامي فوق تلك
العلامة لمراتٍ عديدة..و التزمت بعض الصّمت الثقيل..قبل أن أهمس فجأة غير قادر على منع نفسي

من سؤالها ؛

_ألا تظنين بأن الوقت قد حان لمُصارحتي بكل شيء !

كان صوتي جادًا تمامًا..يختلف كل الإختلاف عنه قبل قليل..لقد كنت أريد أن أعرف سبب
ذلك الجرح..يحق لي أن أعرف كل تفاصيل أحتاج لمعرفة عن حبيبتي..

لكن التعبير في عينيها اللتين تلاشت منهما الابتسامة نهائيًا ليحل محلها شحوب كبير لم تكن
تساعد..و رغم ذلك فقد أستأنفتُ بنبرة زادت جدية و أنا أرفع معصمها قليلًا مشيرًا إلى الأثر الذي لا

أزال ألمسه بإبهامي ؛

_بحقيقة هذه !!!

#الكاتبة

تلك الليلة..بدت سجي مختلفة..بدت مختلفة لدرجة أنها لأول مرة اليوم لم تتكأ على زجاج
النافذة و تغفو..بل ظلت مستيقظة تستمع بإنصاتٍ لتلك الأغنية بألحانها الساحرة التي اندلعت من
مذياع السيارة..و التي تسلفت كلماتها إلى أعماقها بتأثير خاص..

يا حبيبي كلما هبَّ الهوى وشداً البلبل نجوى حُبه
لفني الوجد وأضناني الهوى كفراش ليس يدري ما به
صغ لقلبي يا حبيبي حلمًا من سنا الصبح وغدو الغلس
لمني من وحشة العمر كما لمت النسمة عطر النرجس

.....

الليل..و أنغام فيروز...و ملامحها التي تشبه قصيدة تفتن صاحبها في التلاعب بكل حروفها و
قواعدھا لتغدو بهذه المثالية و الجمال..كل ذلك كان يزيد من افتنانه بها..
و كما العادة كان ير اقبھا بنهم..تكاد عيناه أن لا تكتفیان من تشرب كل تفاصيلها الصغيرة أو
الكبيرة..

شفتاھا اللتان كانت تزمهما بهدوءٍ..وجنتاھا الورديتين..أنفھا الرفيع..عينھا الزيتونيتين..و
رموشھا السوداء الطويلة..ثم تعود عيناه منهكتان حُبًا إلى خصلات شعرھا المتطايرة بخفة تكاد أن
تجيب وجھھا الحبيب عنه..

كان ير اقبھا بنهم..يستغل فرصته الأثمن في كونھا شاردة عنه..شاردة في عالم يبدو بأنه يختاله
خلسة دون أن يدري أو تدرك هي حتى..بأن عقلها و بعد كل مقطع جديد من الأغنية الكلاسيكية
الدافئة...كان ينقل لها صورته تلقائيًا !

و ما إن تجاوزا الباب الداخلي العريض للمزرعة..وجدها تتجه لغرفتها في صمتٍ..فما كان منه
إلا أن تنهد بقوة و هو يتجه لغرفته أيضًا ليغير ثيابه..لكنه لم يلبث أن اتجه إلى المطبخ ليبدأ في تجهيز
كأس العصير المعتاد من أجلها..

اقترب من غرفتها بهدوءٍ إلى أن أمسك بالمقبض يديره متقدمًا نحو الداخل بنفس الهدوء..
كانت سحى مستلقية كما عاداتها..تنظر للظلام القاتم خلف نافذتها بصمتٍ..لكنها اضطرت
لنقل أنظارها إليه فور دخوله..قبل أن تستقيم بهدوء إلى أن أصبحت جالسة تزامنًا مع اقتراب لؤي
منها إلى أن جلس في طرف السرير بجانبها..

دون أن ينال أيَّ انتفاضة أو نظرة متوجسة منها..بل ما ناله كان النقيض تمامًا..فقد كانت
عينها تحملان أطنانًا من الثقة و الإطمئنان..لكن يبقى الحزن رفيقهما الأولي يغلف كل تلك
المشاعر...

استطاع بحزم أن يرسم ابتسامة بسيطة بينما يهمس و هو يمد لها الكأس ؛

_مشروبك اليومي !

لكنها اليوم بالذات لم تأخذ الكأس منه.. بل ظلت نظراتها الساكنة الغريبة مُنصبّة نحو عينيه
هو فقط لثوان بصمتٍ..و في لحظة خاطفة..

قبل أن يتمكن من فتح فمه لسؤالها مجدداً أو حثها على استلام الكأس منه وجدها
تقترب..نعم..هي اقتربت منه لأول مرة بمحض إرادتها..انخفضت ببطءٍ شديد إلى أن أراحت رأسها
المتععب فوق ركبتيه !!!!

تاركة لؤي الذي لاحقها بنظراته المذهولة يحدق فيها ببلاهة..فغر شفتيه بصدمة تامة..و
توقفت أنفاسه للحظة..كما استكانت نبضات قلبه كمن تمّ وضع قطعة حجر ثقيلة جداً فوق صدره
لتمنعه عن التنفس لهنيهة..

و تسمرت يده التي تحمل الكأس في الهواء..هو لم يكن يدركُ بالفعل ما الذي يحدث !!!
استمر ينظر لها للحظاتٍ تكاد أن لا تعد بعينيهِ المتسعيتين..قبل أن يبتلع ريقه ببطءٍ و يلتفت
قليلاً إلى أن وضع الكأس بحرص شديد فوق المنضدة القريبة منهما..
ثم عاد لينظر لها محاولاً استجماع كل تركيزه لتمالك نفسه..إلى تلك التي كانت قد أغمضت
عينها بسلام و كأن تلك الوضعية هي كل ما كانت تحتاج إليه..

للمرة الثانية..كان يبتلع ريقه الجاف ببطءٍ..قبل أن يرفع يديه المرتعشتين ليقربهما من شعرها
إلى أن ارتاحت إحداها فوق جبهتها بينما أخذت الأخرى المبادرة في تمشيط خصلاته الناعمة بحركاتٍ
رقيقة و هادئة...

انتظرها لوقتٍ طويل أن تقول شيئاً..أن تفتح حواراً ما..أي شيء..لكنها ظلت صامتة تماماً..و
بالتالي وجد نفسه هو من يفتح فمه هامساً بصوتٍ شديد الخفوت و كأنه فقط يحاول أن يتأكد ما إن
كانت قد غفت بالفعل أم لا ؛

_سجى ؟!

صمت تام هو ما قابل ندائه..و جعله شبه يجزم بأنها قد غفت..فتهد بلا صوتٍ و هو مستمر
في تربيتاته الحانية على شعرها و جبينها..إلى أن رآها بعد دقائق..تفتح عينها..
و لم يتفاجئ من حقيقة أنها كانت مستيقظة و هو يسمعها تهمس بصوتٍ يشبه صوته في
خفوته..لكنه كان صافياً..خالٍ من أيّ بوادر توتر أو قلق..همست عن اقتناع و رضا تام ؛
_سأعود للجامعة !

لم يستطع أن يستوعب عبارتها هذه فوراً..فضاقت عيناه قليلاً بتشوشٍ..و انعقد حاجباه

بحيرة تخللها شيءٌ يشبه...بوادٍ سعادة لم تكتمل !

إلى أن استدارت برأسها نحوه لتنظر له من مكانها..بينما هو مقبل عليها بعينيه

المدققتين..همست تضيف بحرارة بينما عيناهما تلتمعان ببريق لم تغفله عيناه ؛

_ أنا سأعود للجامعة..سأدرس جيداً..و سأنال شهادتي باستحسان..سأفعل ذلك..أنا... أنا

أستطيع فعل ذلك !

كانت تلفظ كل كلماتها بصيغة السؤال..هي كانت تسأله لا تخبره..تستنجد دعمه الذي

اعتادته..و اليوم أيضاً هو لم يبخل..هزَّ رأسه بقوة بينما يهمس بحرارة مثلها غير قادر على إخفاء

ارتجافته و سعادته بها ؛

_تستطيعين..أنتِ تستطيعين بالطبع..ثقي بي !

تثق به ؟! أكثر من هذه الثقة التي تكنها له !!

إنها تشكّ حتى أن تكون هناكَ درجة أعلى من الدرجة التي تثق -به- بها..هي لا تثق به فقط..هي

أصبحت تعتبره جزءاً لا يتجزء من نفسها..و كأنه قبص من روحها الكسيرة..يكاد العالم أن يتجسد

كله بعينيه...عينيه الحنونتين !

عادت لتغمض عينها بسلام تاركة ليديه صلاحية إرسال هذا الأمان و الدفء إلى قلبها

بتربيتاتهما الحانية..و توالى الدقائق بعدها و هو مستمر في تمشيظ شعرها بصمتٍ..

و شيئاً فشيئاً..شعر بأنفاسها تتناقل و تتناقل..إلى أن كادت تنتظم..لكنها و قبل أن تستسلم

تماماً لدوامة النوم سمعها تعود لتهمس من بين تلايب و عيها الغائب ؛

_هل ستبقى هنا طيلة الليل.....كما العادة ؟!

شعر لؤي و كأنها لكمته فجأة بسؤالها الشبه واعى هذا..هل كانت تعلم بالفعل بأنه يبقى هنا

لساعاتٍ طويلة بعد نومها ؟! كيف علمت ؟!

فتح فمه لعدة مراتٍ ينتوي إجابتها حتى لو لم تكن ستسمعه..لكنه في كل مرة كان يعود

ليغلقه عاجزاً عن التحدث..إلى أن تنهد باستسلام ليمس بصوتٍ مبحوح ؛

_سأبقى.....كما العادة !

لكنها لم تجبه..أو لم تسمعه كما توقع تماماً..فعاد يتنهد بقوة دون أن تتوقف يداها عن ما

تفعلانه..ظل يتأمل ملامحها باشتياقٍ..ذلكَ الإشتياق الذي جسّدته أنامله التي انخفضت ببطءٍ

لتستقر فوق وجنتها..ثم فكها.....

يلامس موضع تلك الغمازة التي يعشقها.. يطوف بإبهامه هناك بشروء.. إنه يعشقها حرفياً.. و
هو مسموح له بالطبع بأن يتأملها كيفما يشاء... فهي زوجته !!!
شعر بنزعة تحته على أن يقترب أكثر.. فمال عليها ببطء ليتأمل وجهها عن قرب شديد.. تكاد
شفته أن ترفعان راية الإستسلام لتلتهمان كل ملامحها بشوقٍ أضنى فؤاده المتيماً بها..
لكنه لم يستطع.. هو يفضل أن يقتل نفسه على أن يلمح نظرة خذلان واحدة في عينيها.. حتى
لو كانت زوجته.. فما سيناله يوماً ما سيكون برضاها بالطبع..
لذا و في آخر لحظة.. كانت شفته تحيدان عن طريقهما لتستقران فوق جبهتها.. قبل أن يطبق
جفنيه متجاهلاً أنين قلبه المستميت لقرينها..
و ظل هكذا للحظاتٍ بدا فيها كمن خاض طريقاً طويلاً.. طويلاً جداً و هو على مشارف
الموت.. ليصطدم في نهاية ذلك الطريق المُرهِق ببحيرة صغيرة جداً.. تطلب منه أن يقترب ليستمد منها
مياه الحياة و لو مؤقتاً !
رفع رأسه بعد لحظاتٍ ليدفعها برفق إلى أن جعلها مستلقية في مكانها.. و استلقى هو فوق
الوسادة الأخرى بجانبها.. على بعد مسافة صغيرة منها.. لا يزال حتى هذه اللحظة يتأملها بدون
ملل.. قبل أن تمتد يده إلى وجنتها مربتة برفق..
ليت الزمان يتوقف عند هذه اللحظة فقط.. هو لا يمانع بالفعل من إمضاء كل ما تبقى من
حياته يتأملها بهذا الشكل.. يحرسها و يحميها بعينه قبل قلبه..
كان يخطط لأن يبقى مستيقظاً لساعاتٍ أخرى.. لكن عينيه كان لهما رأي آخر..
كان و كأنما يخوض حرباً طاحنة مع جسده المُرهِق.. ما إن يوشكُ النوم على أن يأخذه إلى تلايبه حتى
يعود ليفتح عينيه بإصرار.. ثم يعود لمر اقبتهما بتفانٍ و كأنما يخشى أن يغفل عنها اللحظة فتختفي..
لكنه بعد دقائق ليست بالطويلة كثيراً.. وجد نفسه غير قادر بعد على المقاومة.. فانسدلت
جفونه باستسلام.. ليسرقه النوم من بين براتين وعيه في لمح البصر..
و قد كانت آخر حركة قام بها.. أن احتضن يدها بشدة بين أنامله.. لتتجسد صورة حية رائعة
الجمال.. لو رآها أحد الرسامين.. لما تردّد في تشكيلها في إحدى لوحاته !

" 33 : حقيقة "

#الكاتبة

كان سؤاله غاية في القسوة..علم ذلك و هو يرى عينيها اللتين جحظتا قليلاً رعباً.. بينما شحب وجهها تماماً و هي تتحركُ بضعفٍ إلى أن أصبحت جالسة تنظر للقماش الأبيض لغطاء السرير بصمتٍ..

استقام هادي هو الآخر ناظرًا لها بترقب حانٍ بدون أن يضيف حرفاً آخر لعدة لحظاتٍ أم دقائق لا يدري..لكن أيَّ جوابٍ لم يأتَه منها..
كان ردّها الوحيد حركتها تلكَ ثم يداها اللتان شابكت بينهما بتوتر كطفلة صغيرة تنتظر عقاب أستاذها لها بعد خطأ غير مقصود منها..
_شهد !!!

همس بعد عدة لحظاتٍ يحثها بحزم..فأجفلت بشكلٍ غريب و هي ترفع رأسها لتنظر له بعجز
تمكن من عينيها..همس هادي ببطءٍ ؛
_أخبريني !

نقلت شهد عينيها بين عينيهِ بضياح..ثم لم تلبث أن عادت لتطرق برأسها شاعرة بأنفاسها على وشكِ التوقف بالفعل جزعاً و تردّداً..
ساد الصمت من جهتها لعدة لحظاتٍ أخرى..لكن هادي لم ينطق و لا حرفاً واحداً.. ظل ينتظرها بصبر شديد..إلى أن لمح بلهفة شفيتها تنفرجان ببطءٍ شديد..إلى أن همست من بينهما بصوتها المتهدج المرتعش ؛

_أنا.....أنا.....تلكَ العلامة..أقصد.....

أغمضت عينيها بقوة شاعرة بأن لا كلمة في العالم قد تسعفها لتخبره الحقيقة بدون أن تؤذيه..كانت مخاوفها كثيرة للحقيقة..تخاف أن يصدقها و ينهار..و أن لا يصدقها فتنهار -هي- !!!
ابتلعت ريقها ببطءٍ و هي تهمس في محاولة أخرى ضعيفة للتملص من هذا السؤال المزعج و المؤلم في نفس الآن..و قالت تجر حروفها بمشقة ؛
_أقصد..أنا أخبرتكَ من قبل بأنه كان حا.....
_أنا أعلم بأنه ليس حادثاً !

قاطعها بنبرة صارمة واضحة..قبل أن تمتد يده إلى معصمها يتمسك به بقوة ليكشف عن ذلك الأثر مجدداً مضيقاً بصلاية أمام عينيها ؛

_ هذا الأثر لا يمكن أن يكون أثرًا عاديًا لحادثٍ بسيط تعرضت له أثناء اللعب ! المعنى...أنا أعلم بأن أحداً ما قد تسبب لك بهذا..هذا الأحد أيّ كان أنتِ لم تعودي مضطرة لإخفاء الأمر عني بعد !.....أخبريني...من فعل هذا بك ؟!!!!

نطق سؤاله الأخير بنبرة بطيئة لكنها أشد انفعالاً من السابقة..لكن شهد لم تجب..و لم تبدو كمن سيجيب حتى و هي تنظر له بعينيها الدامعتين تكاد أن تتوسله أن يعفيها من هذا السؤال.. لا تدري أيّ دافع ذاك الذي جعله يترك يدها لوهلة ليحاوّل وجهها بدفء هامساً أمام حدقتها بعد أن تلاشت كل الإنفعالات الصارمة من وجهه و نبرته ؛

_ أنا زوجك يا شهد..أنتِ تستطيعين أن تخبريني بالطبع..هل تعلمين ما هو أهم شيء في الزواج ؟!

صمت للحظة ثم أكمل بنفس نبرته البطيئة و التي تخللتها لفحة حنان كانت لتأسر قلبها في وضع آخر ؛

_الثقة ! ستكون الثقة هي أول وعد نقطعه على بعضنا البعض..بعد هذه الليلة لن يبقى هناك أيّ أسرارٍ بيننا..هل تفهميني يا شهد !

نعم..هي تفهمه..و تفهمه جيداً..لكن هو.....هل سيفهمها ؟!
وجدت نفسها تهمس غير قادرة على إزاحة عينيها عن عينيهِ القريبتين جداً..حينما قالت بينما دموعها التي كانت ترقد على أعتاب جفניה..تتحرّر من سجنها الخانق..
_و إذا أخبرتك..هل.....ستصدقني ؟!!!!

ارتجف قلبه عدة ارتجافاتٍ مؤلمة و هو يرى ذلك الخوف الذي اكتسح عينيها فجأة..و قد انتقل إليه فوراً بشكل تلقائي..لكنه همس رغم ذلك..بصدق تام ؛
_ سأصدقك بالطبع.....تكلمي !

جالت شهد بأنظارها بين ملامحه بخوفٍ متزايد..هي تثق به حتمًا..و تعلم أنه يثق بها..لكن...لكن بأيّ جرأة ستخبره بأن أمه من فعلت بها ذلك !
لقد كانت أمه من اغتصبت أمان طفولتها لتغدو اليوم بهذه الشخصية الضعيفة المخزية..هي لا تحمّلها الذنب كاملاً..لكنها كانت جزءاً لا يتجزء من مأساتها..لكن أن تفصح عن كل ذلك أمامه.....أيّ رجل قد يتقبل هذا ؟!

حتى و لو كانت علاقته سيئة بأمه فهذا لن يغير شيئاً من حقيقة انتمائه لها !!!..
كان قلبها يخفق بشدة..تكاد نبضاته أن تقتحم جدارها الصدري لتتشكل أمام عينيه..و كان
هادي يشعر بها..فامتدت يده ببطءٍ لتستقر فوق موضع قلبها تماماً..
و كأنما كانت تلك التريئة كافية فقط لتهده من كل روعها..خاصة و صوته يأتيها حانيًا..حنونًا
جدًا ؛

_اهدئي...و أخبريني !

ابتلعت ريقها الجاف بصعوبة..و سرعان ما وجدت نفسها تهمس بخفوتٍ شديد مرتجف ؛
_هل.....تتذكر تلك الفترة ما بعد رحيلك ؟! حينما اختفيت فجأة و لم تعد تأتي مرة في كل
أسبوع كما العادة !

أوما هادي ببطءٍ و هو يردف ؛

_نعم..كانت تأخذني أُمي معها إلى الدار في أيام الإجازة..
لم تعلق شهد على كلامه..أكملت بصوتٍ مرتعش و عينين زائغتين..بينما كان عقلها فاقداً
لكل تركيزه..عالقة أطر افه في ذلك الماضي البعيد الأليم..
_بعد أن اختفيت..لم أعلم ما الذي أصابني..و لا لما.....وجدت نفسي كالمجنونة تماماً أبكي
بشدة في كل مرة انتظرتك و لم تأتي..كنت لا أنفك أذكر اسمك و أنا أقضم أظافري في كل حين..حتى
أنني لأكثر من مرة تسببت لنفسي بالأذى..كنت أسأل كل شخصٍ هناك عن موعد قدومك لعل
أحدهم يجيبني و يهدأ من لوعة قلبي المنفطر آنذاك..توقفت عن الأكل و أهملت دراستي..جلستُ
طويلاً على مرأى من الجميع فوق تلك الدرجة..و لم أكن أقبل بأن أتركها أبداً رغم إلحاح المشرفات و
صراخهم بي..كنت خائفة من أن تأتي فجأة و لا أراك..كانوا يقولون بأنني فقدت عقلي..و كانوا على
حق..أنا كنت قد فقدت شيئاً ما بالفعل.....فقدت قلبي !
كانت دموعها تنساب بحرارة في تلك اللحظة و هي تستطرد..و كأنما عاد بها الزمن كل تلك
السنوات نحو الوراء و ها هي تعيش نفس المشاعر مجدداً..
تعيشها بقلبيها النازف فقط !..

بينما بدا هادي كشخصٍ تم تجريده من كل حواسه..ليغدو مجرد جسد..بلا عقل أو

روح..فقط عينين جاحظتين صدمة..هل عانت كل ذلك بالفعل ؟!!!! بدون علمه !

لوهلة تناسى عقله سؤاله الأول و وجد نفسه يغرق في سيل كلماتها التي أتت في وقع قاسٍ على قلبه..ربما لو لم تستطرد بنفسها لما كان قد حثها أكثر على البوح..لكنها كانت قد انخرطت في ذلك الماضي..و أكملت تستأنف بنفس النبرة ؛

_كانوا عاجزين تمامًا عن قمع تصرفاتي تلك..و حينما فاض بهم الكيل لجئوا كردّ فعل طبيعي للمديرة التي كانت تعلم بكل ما يحدث مسبقًا..

ارتجفت أوصالها و تلك الذكرى تمر في عقلها مجددًا أثناء استرسالها ؛
_وقع خطواتها ذلك اليوم كان غريبًا على أذناي..شعرتُ قبل أن تصل إليّ حتى بأن شيئًا سيئًا سيحدث...و قد حدث الأسوء !

أطرقت قليلًا تنظر للأثر البشع في معصمها بينما دموعها تنساب أكثر و أكثر أمام عيني هادي اللتين اتسعتا بإدراكٍ ضئيل جدًا..و قد أصبح يقينًا و هو يراها و يسمعها تهمس بألم ؛

_لقد.....أحرق يدي و.....و جعلتني أعدها بأنني لن أفكر فيك مجددًا..كانت أملك من فعلت ذلك بي يا هادي..أنا آسفة...أتوسل إليك أن تسامحني !

كانت قد رفعت أنظارها لتستقر في عينيه في تلك اللحظة..عيناه اللتان أصبحتا خاليتين من كل المشاعر..بينما هي كانت و كأنما غادرت هذا العالم و استقرت بعالمها الخاص و هي تنشج بضعفٍ مسترسلة ؛

_سامحني لأنني خفت منها..لأنني قطعتُ ذلك الوعد رغمًا عني..لقد كنت مجرد طفلة و خفت..كان وقع ذلك مؤلمًا جدًا..و لم أكد أبتلع ألمه حتى وجدتها توشكُ على أن تحرق معصمي الآخر..لذا استسلمت..استسلمتُ بلساني فقط و ليس بقلبي...ليس بقلبي !
كان هادي لا يزال صامتًا..حتى بعد أن انتهت هو لم يستطع أن يلفظ حرفًا واحدًا..ظل متسمرًا ينظر لها بملامح ميتة فاقدة لكل التعابير الأدمية..فما كان منها إلا أن همست من بين دموعها الغزيرة..تذكره بعبارة السابقة قبل قليل !

_ها أنا ذا أخبرتك..هل تصدقني ؟!!!!

صوتها الضعيف..اخترق قلبه مجددًا ليعيد له القليل من تركيزه..لكنه لم يتكلم رغم ذلك..أغمض عينيه بقوة لا يريد لكلامها أن يكون حقيقيًا..

هو يصدقها بالطبع..لكن...كيف يستوعب بأن أمه خلف كل هذا ؟! كيف ؟!!!

كيف استطاعت أن تنحدر إلى هذا المستوى ؟! أن تؤذي طفلة صغيرة يتيمة لا تفقه من

العالم إلا جانبه الأبيض..لتفتحم أحلامها الوردية و تحيلها إلى سواد قاتم...كيف !!!!!!!

شعر بقبضة هائلة تعتصر قلبه و ذلك الأثر لا يفارق عقله..الآن فقط أدرك سبب ذلك
الذعر الذي لطالما لمح به عينها في كل مرة قابلت أمه بها..و الحقيقة أنه يشبه أمه نوعاً ما..
نعم..لقد كان يشبهها.....

تذكر خوفها الغريب منه..تذكر تلك اللحظات التي صرخ بها في وجهها و عنفها بأسوء
الألفاظ..تذكر ذلك اليوم الذي تجرأت فيه يده لتتسبب لها بالضرر..حينما ألقى بتهديداته المرعبة
أمام عينيها...

ليتها أخبرته منذ البداية فحسب...ليتها !
صوت شهقاتها الخافتة المتقطعة أخرجه من دوامة أفكاره التي لا تنتهي..ففتح عينيه بسرعة
لينظر لها..و كما توقع..وجدها تغطي وجهها بيديها المرتجفتين..تبكي بصوتٍ ناعم مكتوم..
لحظة واحدة أخرى تجمدها و هو يشعر بقلبه ينصهر بضعفها..سرعان ما كانت تمتد يداها
لتجذبها إلى حضنه الدافئ بقوة..بينما همس صوته في أذنها بلهفة شديدة..بنبرة شملت كل احتواء
هذا العالم ؛

_أصدقك بالطبع..أصدقك حبيبي...أصدقك !
عاد ليغمض عينيه بشدة و هو يستشعر حركة ذراعها و هي تلفهما من حول جذعه بقوة..و
قد بدأ صوت شهقاتها يهدء إلى أن أوشك على التلاشي تماماً لشدة التعب الذي أنهك جسدها
النحيل..بدون أن تبتعد أو تلفظ كلمة..هي فقط انصاعت لكل تربيئة منه كان هدفها مواساتها و
تهديتها لا أكثر..

كانت لمساته الدافئة على شعرها على النقيض تماماً من نظرات عينيه التي احتدت فجأة و
قسّت بشكل ملحوظ..كانت تشبه شرارة نار توشك على أن تشتعل في أي لحظة.. لكنها لن تشتعل بها
بالطبع..بل بكل من تسببوا لها بالأذى يوماً !

أشرقت شمس الصباح التالي جالبة معها أملاً جديدة بعد أن اقتنص الليل كل دموعهما و
أحزانهما..تمطّلت شهد في مكانها القدر الذي سمحت به لها ذراعيه المطوقتين.. قبل أن تفتح عينيها
الناعستين بعد عدة محاولاتٍ فاشلة..

كانت يداها مستقرتان فوق ذراعه المحاوطة لعنقها تكاد أن تمنعها من التنفس حتى..
فابتسمت كفراشة تمّ ترميم جناحيها يوم الأمس لتغدو اليوم قادرة على الطيران بكل راحة !!

نظرت لتقاسيمه الحادة..حاجباه الداكنان المعقودان..أنفه الرفيع..شفته المزمومتان بحزم
حتى في نومه..و كأنما يرسل عبر تعابيرهِ هذه رسالة خاصة مشفرة..

" تحذير ، لا تقترب من مُمتلكاتي الخاصة ! "

رفعت يدها ببطءٍ شديدٍ لتمرّرها فوق تقاسيمه تلكَ بدون أن تلمسه فعلاً..لكنها توقفت
لوهلة فوق ذلكَ الأثر بحاجبه..لا تزال حتى هذه اللحظة تعجز عن تفسير مشاعرها تلك..
إنها تعشق هذا الأثر بالفعل بدون سبب ! أو ربما هناك سبب !

ذلكَ الحنان الذي يكتسح قلبها بمجرد رؤية ذلكَ الخدش..و تذكرها لذلكَ الحادث الشنيع
الذي كان من الممكن أن ينهي حياته..لكنه في الحقيقة كان كنقطة بداية لحياتهما سوياً..
هي لم تتمنى له السوء يوماً..و تقتلها فكرة أنه تعرض لكل ذلكَ بدونها..لكنها لا تستطيع أن
تنكر امتنانها لتدابير القدر..فلولا كل ذلكَ لما كانت هنا..لما وطئت يوماً بهذا البيت..و لما التقت به
مجدداً..

كانت لتبقى مشاعرها متوارية دائماً خلف قناع الضعف و التردد..إلى أن تموت يوماً ما و
تموت معها !

أبعدت يدها عن وجهه على مضضٍ لتمسكَ بذراعه القوية مجدداً في محاولة لإبعادها قليلاً
بكل حذر خشية أن تعكر صفو نومه منذ الصباح الباكر..إلى أن استطاعت بصعوبة أن تنسل من
بين أسره الجميل و تقف على قدميها بخفة..

لم تستطع أن لا ترمقه بنظرة عاشقة أخرى و ذكرى ليلة الأمس تحتل عقلها أكثر.. اليوم
فقط تشعر بأنها أزاحت حملاً ثقيلاً جداً من فوق كتفيها..

اقتربت من الخزانة تنوي أن تختار قطعة مُميّزة من ثيابها لهذا اليوم..لكن عينها اتسعتا
بشيءٍ من الإنهار و هما تقعان على ذلكَ الصّف العريض من الفساتين التي لم ترها من قبل..
كانت ثيابها لا تزال في مكانها..لكن الجهة الأخرى الفارغة أصبحت ممتلئة اليوم بأرق
الفساتين..كانت فساتيناً تبدو متشابهة نوعاً ما..في قماشها الرقيق و ألوانها الفاتحة و أكمامها
الطويلة..

لم تشعر بنفسها و هي تمد يدها ببطءٍ لتخرج من بينها فستاناً أبيضاً كان في منتهى
النعومة..انخفض خط حاجبيها السوداءين كشرعها قليلاً و هي تتلمس قماشه الناعم بين أناملها في
دهشة متزايدة..

قبل أن ترمق هادي النائم بنظرة خالصة المشاعر و عقلها يستنتج فوراً بأنها جميعها من ذوقه الخاص..

رغم أنها لم تطلب منه أي شيء.. إلا أنه مُصر على أن يوفر لها كل ما تحتاجه.. غير مدركٍ بعد بأن كل احتياجاتها تنتهي عنده... ولا يهمها أي شيء آخر !!
" شكراً ! "

همست بصوتٍ خافتٍ جداً لعينيهِ النائمتين.. قبل أن تتمسكَ بالثوب الجديد محتضنة إياه بقوة و كأنها تقبض على قطعة ثمينة ستضيع بضياها لتغلق باب الخزانة و تتجه إلى الحمام..
فتحت الباب بعد عدة دقائق لتطل برأسها فقط في غاية التأكد من أنه لا يزال نائماً.. و قد كان لا يزال غارقاً في النوم تماماً.. فخرجت كفأرة متلصصة بحذر شديد لتغلق الباب خلفها بنفسٍ الحذر..

كانت تبدو كطفلة على وشك ارتكاب كارثة عظيمة تحاول إخفاءها عن والدها النائم و هي تتجه إلى المرأة لتقابل بأنفاسٍ مضطربة انعكاسها المختلف اليوم..
نظرت لذلك الفستان الواسع الذي يكاد أن يبتلعها بعينين تحملان من الشقاوة ما تحملانه من البراءة..

كان الفستان طويلاً يكاد أن يلامس مرفقيها.. و قد شعرت بنفسها كأمية هاربة من إحدى كتب الروايات و هي تدور حول نفسها مبتسمة لعدة مراتٍ بينما شعرها الحريري الطويل يلتفّ معها في حلقات لا متناهية شديدة النعومة..

يا إلهي.. ما هذه المشاعر التي تحتل قلبها اليوم بشكل خاص ! إنها سعيدة جداً.. تشعر و كأنها حمامة طليقة بالفعل و جناحها متمثلان في عينيهِ !
حمامة خجولة... جداً !

قبل أن ترفع يديها إلى شعرها متسائلة داخلياً بحيرة.. هل تقوم بتجديله ؟ !!! لكن لم ؟ ! إنها تشعر بالراحة به بهذا الشكل.. هل تتركه منسدلاً إذا ؟ !!! لا.. سيزعجها حتماً ! لكن هادي يجبه منسدلاً !!

لم تكن تدري بأنها كانت مر اقبة بالفعل من طرف هادي.. هادي الذي تمنى لو يلفظ كلمة يساعدها بها.. لكن قلبه الخائن و عيناها اللتان استرسلتا في تأملها بتمعن كانتا تمنعانه من تخريب جمالية هذه اللحظة بالذات..

ظل يتأملها خلسة بنهم جميل..بينما كانت هي في عالمها الخاص..ما إن توشكُ على تجديد
شعرها حتى تعود لتحرّره بغيظ..مرة تزم شفّتها عابسة بحيرة و أخرى تعقد حاجبها بضيق..
و أمام كل ذلك كان هادي يشعر بالانهار فقط..تكاد عيناه أن تذرفان دموع الإنتصار و
السعادة لا الألم..و هو يرى شهد...طفلته الصغيرة المليئة بالشقاوة رغم كل شيء توشكُ على العودة !
رأها و هي تمسكُ بشعرها أخيرًا لترفعه على شكل ذيل حصان بنفاذ صبر..فهمس فجأة يقطع
سكون الغرفة ؛

_اتركيه منسدلاً !

و بالفعل تركته..بل لم تتركه..فقد انسابت يداها تلقائيًا..بينما اتسعت عينها بشدة و خفق
قلبها بقوة مع انطلاق صوته..هل كان مستيقظًا؟! منذ متى ؟!!
يا إلهي هل كان يراقبها منذ البداية؟! لا بد أنه يظنها حمقاءً إذًا !
ابتلعت ريقها كطفلة صغيرة و اقعة في مُصيبة بالفعل و هي تلتفت إليه ببطءٍ شديد لتتنظر في
عينيه المبتسمتين ب.....بشر !

هكذا تمامًا بدت لها ابتسامته في تلك اللحظة..خاصة و هي تراه يستقيم جالسًا بهدوءٍ
تام..ليردف بنفس الهدوء بينما يفرد يده في اتجاهها بكل ثبات ؛
_اقتربي !

طرفت شهد بعينها بارتباكٍ دون أن تتحركَ من مكانها خطوة واحدة..و صمنت لعدة لحظاتٍ
قبل أن تهمس بتلعثم مسكين لا يزال يسيطر عليها معه ؛
_أنا.....لم.....أقصد.....كنت.....متى استيقظت ؟!!!
مطّ هادي شفّته بتفكير مزيفٍ بينما يقول ببساطة ؛
_ليس منذ وقتٍ طويل...اقتربي !

لكنها لم تقترب..هزت رأسها بالنفي بارتباكٍ أكبر جعله يشفق عليها بينما تشابكُ بين يديها و
تقول مقلبة عينها في الأرجاء لتتجنب عينيه ؛
_أنا.....لا...أستطيع..عليّ أن.....أجهز طعام الإفطار و.....و.....
_و.....!!؟

أعاد همستها بتركيز شديد مُزيف و قد بدا في كامل استعدادده لسماع تنمة جملتها..لكنها لم
تضف كلمة..بل عقدت حاجبها أكثر و قد بدا عليها الضيق أكثر..

و قبل أن يعيد طلبه للمرة الثالثة وجدها تتحركُ ببطءٍ باتجاهه لتقترب منه عدة خطواتٍ إلى
أن جلست بجانبه على طرف السرير...بدون أن تنظر له !

لم يستطع هادي أن يكتم ابتسامته المتسلية التي اكتسبت حناناً كبيراً الآن..خاصة و هو
يتجول بعينه فوق ملامحها الناعمة الشديدة البراءة..و ذلك الفستان الذي كاد أن يبتلعها كلها
برقة..

لو كان يعلم بأنه سيلانمها إلى هذا الحد لانتقى كل الفساتين في اللون الأبيض..لكن عزاء قلبه
الوحيد معها هو إدراكه التام بأن أيّ فستان سترتيديه..في أيّ لونٍ كان سيليق بها تماماً...بل هي من
ستليق به !

قال بهدوءٍ و هو ينظر لشعرها الذي يكاد أن يخفي ملامحها الحبيبة عنه..خاصة و هي مطرقة
برأسها ترفض منحه لذته الأجمل في تأملها..

_أسف لأنني لم أطلب رأيك في الفساتين..أردتُ أن أفاجئك !

شعرت بقلبيها ينصهر انصهاراً تحت وطأة هذا اللطف الذي يكتنف صوته..فهزت رأسها

بسرعة و هي تهمس بسرعة..و تلعثم خجول ؛

_لقد أحببتها.....جداً !

حركَ هادي رأسه في حركة شبه مرئية..قبل أن تنحدر أنظاره بحزن ليديها المتشابكتين..و
مجدداً وجد قلبه يرتجف ألماً و هو ينظر لذلك الأثر الذي لن تمحيه السنين أبداً من معصمها..لكنه
هو كفيل بأن يمحيه من قلبها !!

امتدت يده ببطءٍ لتفكَّ اشتباكَ يديها..إلى أن قبض على يدها التي تحمل الأثر بدون أدنى

اعتراضٍ من شهد التي كانت ترتجف مثله ربما أو أكثر..

لكن الفرق أنها كانت ترتجف سعادة و حُباً..و ارتباكاً.....

كانت لا تزال مطرقة برأسها..و حينما وجدته صامتاً تماماً رفعت عينها ببطءٍ إليه لتقابل

عينيه اللامعتين ببريق غريب..قبل أن تطرف برموشها شاعرة بشيءٍ من الرهبة يحتل قلبها من نظرتها
تلك..

لقد كانت نظرتها مختلفة..استطاعت أن تجزم بأنه لم ينظر لها من قبل بهذا الشكل أبداً..هي

لا تعلم بالضبط ما الذي تغير..لكن شيئاً ما تغير في نظرتها إليها..شيءٌ جميل..شيءٌ لطيف..شيءٌ

أحبته...بشدة !!!

راقبته برهبة أكبر و هو يرفع يدها إلى فمه ببطء.. إلى أن ارتاحت شفاهه فوق معصمها
تمامًا.. فوق ذلك الأثر.. فأغمضت عينها بشدة و هي تشعر بغصة مكتومة تختنق بحنجرتها..
إلى أن جاءها صوته حانيًا.. دافئًا.. يهمس بينما يده الأخرى تستقر فوق وجنتها ؛
_ صباح الخير.....شهد !

كعادته دائمًا يتعمد أن ينطق اسمها منفردًا.. بطريقته الخاصة المميزة.. وكأنه يخبرها في كل
مرة يناديها به عن كمّ تأثره بكل ما يخصّها.. حتى اسمها !
لكنها اليوم لم تدري لما لمحت بعض الحزن.. بل الكثير من الحزن في نبرته.. فطرفت بعينها
ببطءٍ لتفتحها ناظرة له باستغراب.. لكنها و للعجب لم تجد أيّ بوادر للحزن في وجهه..
بل كانت هناك.. ابتسامة جميلة هادئة جدًا قابلها بها و جعلت قلبها يقرع طبول الحب..... لا
الحرب !

ثم بكل بساطة قال ؛
_ هذا ما كنتُ أريد أن أقوله لك منذ البداية !
شعرت شهد بالغباء يتصاعد إلى تركيزها بشكل قوي.. ففغرت شفيتها تنتوي أن تردّ له تحية
الصباح.. لكنها عجزت تمامًا لوقتٍ.. قبل أن تطرح أنفاسها داخليًا لتهمس أخيرًا برقة خجولة ؛
_ صباح الورد !

" بل صباحك أنتِ ، فلا ورود هنا غيرك ! "
كان هذا هو جواب قلبه التلقائي لهمستها.. جواب كتّمه بقلبه بدون سبب منطقي.. قبل أن
يقول فجأة مغيرًا كل منحنى الموضوع ؛
_ كنتِ تقولين شيئًا !

نظرت له شهد بدهشة.. ها هو يحاول إحراجها بخبثٍ مجددًا !! اتسعت عيناها قليلًا قبل أن
تقف فجأة لتقول كشخصٍ ارتطم رأسه بصخرة صلبة جدًا أدّت إلى فقدانه الذاكرة بشكل جزئي !
_ نـ.. نعم.. كنت..... أنا..... سأجهز الإفطار !

لم تكد تكمل جملتها حتى كانت تلتفتُ عنه بسرعة لتتجه إلى الباب و تفتحه و تخرج في لمح
البصر.. أمام أنظار هادي الذي هز رأسه ضاحكًا بيأس.. ضحكة شاردة محملة بتهيدة طويلة.. ثم
وقف بعدها أخيرًا ليتجه إلى الحمام الذي يحمل عبق رائحتها الزكية ككل مكانٍ في الغرفة..

شهد أيضًا عجزت عن كتم ابتسامتها ما إن خرجت..فما إن أغلقت الباب وجدت نفسها تلقي بظهرها مستندة إليه..في نفس الوقت الذي ترتفع يدها لتلمس موضع فؤادها النابض..تكاد خفقاته أن تحطم قفصها الصدري لشدة سرعتها و اضطرابها..

و بعد دقائق معدودة..جلسا متقابلين حول مائدة الإفطار..كان الهدوء مسيطرًا على المكان..شهد تبدو صامته كما العادة رغم ملامح الارتياح و الاسترخاء التي تغزو وجهها..بينما هادي يمارس عاداته الأجمل في مر اقيها..

كم كانت تبدو خلاصة هذا اليوم بشكل فريد..إنه لا يتعب حقًا من تأملها و وصفها..بهذا الفستان..و بتسريحة شعرها الذي أصرت حتى بعد طلبه قبل قليل لها بأن لا تتركه منسدلاً..وجدها ما إن غادر غرفته ترفعه بهذا الشكل الجميل..على شكل ذيل حصان طويل جدًا..أطول من سنوات حياته التي أمضاها معها و بدونها حتى !

همس أخيرًا يقطع الصمت بهدوء ؛

_هل لديكِ جامعة اليوم ؟!!!!

رفعت شهد رأسها إليه لتومئ ببطء بينما تردف ؛

_لديّ محاضرة بعد نصف ساعة !

لم تفهم تلك الابتسامة التي ظهرت فوق شفثيه..كانت لطيفة نوعًا ما..لكنها بدت غامضة

بشكل غريب أيضًا..قبل أن يقف فجأة مردفًا بحزم ؛

_جيد..جهزي نفسك لأقلبك إذا !

و جهزت نفسها بالفعل..رغم خيبة الأمل التي اجتاحت قلبها بردة الفعل هذه..كانت تتمنى و

تتوقع أن يطلب منها أن تتغيب اليوم..هي لم تكن ستستطيع التغيب حتمًا فهي لديها امتحان

اليوم..لكن لو قالها فقط..كان سيكون أمرًا جميلًا قد يصنع يومها !

كانت قد راهنت نفسها على لفت انتباهه..فعادت لتسدل شعرها عمدًا..قبل أن تمسك بدفتر

صغير أخذته معها عشوائيًا فهي تركت كل أدواتها الدراسية في منزلها القديم..

جلست بجانبه في السيارة برهبة..لقد سمح لها بأن تسدل شعرها قبل يومين..فلماذا

سيعترض اليوم ؟!..لكن هذه هي غايتها..هي تريده أن يعترض..بل إذا صح القول هي تعشق غيرته تلك

التي يعجز عن التحكم بها في كل أمر يخصها !!!

لكنها اليوم لم تنل منه سوى الصمت المصاحب لشرود لم ينفك عن التهام ملامحه التي بدت لها متباعدة طوال الطريق..و لم ينقطع إلا بتوقفهما أمام الجامعة..حينها فقط كان يلتفت إليها ليمس لها بنصف ابتسامة لم تبدد ذلك الشرود النسي الذي يحتل عينيه ؛

_متى موعد انتهاء محاضرتك ؟!!!

همسها بخفوت..فأردفت شهد تبتلع شعورها بالإحباط من تصرفاته اليوم ؛

_في الواحدة و النصف !

أوما هادي بتفهم و هو يقول ؛

_جيد...سأمر عليك حينها..

ظلت شهد تنظر له لعدة لحظات كمن يرغب في قول شيء ما..لكنها اضطرت في النهاية لأن تستدير عنه لتمسك بالمقبض تهم النزول..لولا أن سمعت صوته الهادئ ينادي من خلفها مانعاً إياها ؛

_شهد !

انتظرت لحظة..ثم استدارت تنظر إليه بهدوء و ترقب..فقال هادي يدقق النظر بعينها ؛

_إذا تأخرت عليك عودي للمنزل.....لمنزلك أنت !

نظرت له شهد بعدم فهم..فأكمل برفق ؛

_أنا لن أتأخر في الغالب..لكن لو حدث فلا أريد أن أقلق عليك..اتفقنا ؟!

لا..لم يتفقا !

إنها تشعر بعقلها يكاد أن ينفجر لشدة الحيرة التي احتقن بها بعد كلامه و أسلوبه اليوم !..
كتمت كل ذلك بصبر و اكتفت بأن أومأت له مجدداً بطاعة..فاتسعت ابتسامة هادي بدفء جعل من أطر افها ترتعش..خاصة هي تراه يقترب منها قليلاً ليحررها من حزام الأمان..ويمسك بوجهها بين يديه ليطبع شفتيه فوق جبهتها مطولاً..

وجدت نفسها تطبق عينها كردة فعل طبيعية لزوجة تستقبل قبلة من زوجها أعلى جبينها..لكنها لم تكن تشبه أي زوجة..هي مجرد فتاة بلهاء عاجزة عن التحكم بكل أحاسيسها الفائضة أمامه !

شعرت بتخدر طفيف في أطر افها فأطبقت أناملها المرتجفة حول نفسها..قبل أن تفتح عينها

الزائغتين قليلاً ببطء ما إن ابتعد لتنظر له بينما يقول بحزم ؛

_انتبهي لنفسك جيداً..

اكتفت بإيماءة أخرى صغيرة كرد على عبارته..قبل أن تلتفت هذه المرة لتفتح الباب دون أدنى اعتراض منه..و سرعان ما وجدته ينطلق بسيارته بعيداً عنها..دون أن يمنحها نظرة أخرى حتى..فقد كان مشوش الذهن..فاقدًا لكامل تركيزه..

فما كان منها إلا أن زمت شفتيها بحزم لترغم نفسها على الإقتراب من ذلك الباب العريض للجامعة..ربما لو أنها علمت وجهته التالية لكانت قد عذرتة تمامًا !

لقد كانت وجهته محدّدة و واضحة..فبمجرد أن أوصلها إلى الجامعة..كان يتوجه إلى الشركة الخاصة بأبيه..إلى توقف أمام السكرتيرة التابعة له ليقول باقتضاب حادّ نافذ الصبر..يحرّر كل غضب مكبوت كان يتراكم في قلبه منذ ليلة الأمس ؛
هل السيّد أكرم موجود ؟!!!

رفعت السكرتيرة رأسها بذهول إليه..لكنها سرعان ما احتوت ذهولها و هي تتعرف إليه فقالت
باحترام بالغ لكن برسمية ؛

_نعم سيد هادي..لكنه في اجتماع الآن لذا ربما لن.....
لم تستطع أن تكمل فقد كان هادي قد تجاوزها بدون أيّ مبالاة ليقترّب من الباب يهيم باقتحام المكتب بكل همجية..اتسعت عيناها رعبًا و هي تقترب منه بسرعة هاتفة ؛
سيد هادي رجاء لا.....

لكنها صمتت للمرة الثانية و هي تراه يدفع الباب بالفعل ليقترحم هذا الإجتماع الذي كان مهمًا
كما وصف لها السيد أكرم..

كان السيد أكرم يجلس خلف مكتبه..يخوض نقاشًا في غاية الأهمية مع رجلين يبدو عليهما من هيئتهما و طريقة جلوسهما في الكرسيين المقابلين لمقعده الوقار و الثراء..لكنه رفع رأسه شبه منتفضًا..و قبل حتى أن يفتح فمه يهيم بتوبيخ أيّ كان من اقتحم مكتبه بهذه الهمجية..كان يتسمر مكانه و هو يرى ابنه الأصغر..هادي بأم عينه يقف أمامه !

كان يبدو في حالة يرثى لها بالفعل من الانفعال..و قد ظهر هذا على ملامحه و هو يقول موجّهًا كلامه للرجلين بنبرة خلت من كل مظاهر الأدب و الاحترام ؛
_هلا سمحتم لي بدقيقة واحدة على انفراد مع.....أبي !

نطق اسمه بسخرية كانت واضحة جدًا للجميع..و جعلت من مشاعر الاحراج تتصاعد إلى وجه أكرم الذي احمر بشدة و هو يومئ للرجلين إشارة لتنفيذ طلب هادي..قبل أن تقع أنظاره على

السكرتيرة التي قالت بارتباكٍ مثير للشفقة ؛

_أنا آسفة سيدي..لقد حاولت أن أوقفه لكنه لم.....

_عودي إلى عملك !

قاطعها أكرم بنبرة حادة صارمة..فأطرقت بسرعة لتتجه إلى الباب و تخرج مغلفة إياه

خلفها..حينها فقط كان أكرم يزفر أنفاسه بقوة لينظر إلى هادي الذي لم يتحرك من مكانه إنشأ

واحدًا..

_ما الأمر ؟!!!!!!

سأل بتجهم أقرب منه إلى الغيظ و عقله يحاول تخمين أيُّ كارثة قد أتى له بها هذه المرة..رغم

أنه عمليًا لم يتسبب له بأيِّ كارثة من قبل !

قبل أن يرتفع حاجباه بعدم فهم و هو يرى تلك الابتسامة الباردة..القاسية..التي ارتسمت

فوق شفتي هادي فجأة..بعد أن تلاشت كل الانفعالات من ملامحه دفعة واحدة..ثم همس بعد ثانية

واحدة بصوتٍ جليدي..بنبرة خرجت قاسية..قاسية جدًا حتى في هدوئها ؛

_بارك لي..أنا و شهد تزوجنا ليلة الأمس!

" 34 :تهديد "

_بارك لي..أنا و شهد تزوجنا ليلة أمس !

كان أول شيءٍ لاحظته والده منذ دخوله..هو شكله المختلف تمامًا..كان يبدو مختلفًا عن هادي القديم الذي يعرفه..يبدو كمن كان يقف على شفا حفرة من الضياع...لولا أن تم انقاذه في آخر لحظة !

و عن آخر مرة رآه فيها..ذلك اليوم الذي لا يزال يتذكره جيدًا..
حينما توقف مشرفًا عليه في المشفى..ينظر إليه بلامح يكسوها الاقتضاب..نظرة لا تشبه نظرة -أب- طبيعى يقف أمام ابنه الأصغر الذي كاد أن يفقده نهائياً في غمرة غضب و جنون..
رغم أنه داخلياً كان يتألم...
لقد شعر بانتفاضة داخلية تكاد أن تقسم ظهره و تجرده من قوته و هو يتلقى اتصالاً مفاجئاً من رقم ابنه..يخبرونه فيه بأن صاحب هذا الهاتف تعرض لحادثٍ شنيع..
كانت تلك الأيام التي أمضاها ما بين العمل و المنزل و المشفى في إنتظار استيقاظه من غيبوبته المؤقتة قاهرة و مرهقة بالفعل..و أكثر ما كان يرهقه عقله..
كان عقله يبدو هائجاً..مستمراً في تذكيره بنفس الفكرة..لقد أمضى نصف حياته محاولاً تذكيره في كل مرة بأنه لم يكن يريد إنجابه !
ثم يأتي ذلك اليوم الذي يقف فيه على بعد خطوة واحدة من فقدانه..لكنه للعجب لم يحبد فكرة فقدانه !!..

بل كان قلقاً..كان قلقاً جداً.....

لكن كل ذلك القلق..و الخوف..تبخر بمجرد أن قابل عينيه..عيناه اللتان بالكاد كانتا منفثتان في ذلك اليوم..بينما جسده مُحاط بالأسلاك و الأدوية من كل مكان..و وجهه ممتلاً بالكدمات التي كادت أن تحجب ملامحه و تجعلها غريبة لكل من يعرفه..
و رغم ذلك فقد لمح بداخلهما قسوة لم يرها من قبل و لم يتقبلها عقله..كان ينظر له بقسوة حقيقية بالفعل..يتمنى منه أن يغادر فقط..و ليته كان يمتلك من القوة ذلك اليوم و لو القليل ليهتفها في وجهه..لكنه وجد نفسه عاجزاً..مجهداً..
و هو يسمع صوت والده يقول.....بدون مشاعر !!..

الحمد لله على سلامتك..كيف تشعر الآن ؟!!!

لكن هادي لم يجب و لو بإيماءة صغيرة..بل التفت عنه يحدق بالسقف بدون أية تعابير..تاركًا

للصمت شرف إجابته..و تاركًا إياه و اقفًا مكانه كشيء مضاف لا قيمة له في حياته !

و هو كذلك بالفعل !!

لطالما كانت علاقته فاشلة جدًا مع أبيه منذ يوم ولادته و بداية نشأته..و قد كان يتضاعف

ذلك التباعد و التوتر بينهما بعد كل سنة أخرى يكبرها..

إلى أن ماتت كل صلة تجمع بينهما سويًا و بات لا يتبادل معه سوى الشجارات المتعددة و

ألفاظ التقليل من الشأن التي اعتاد والده أن ينعت بها !

الحقيقة أن علاقته لم تكن جيدة جدًا مع أمه أيضًا..لكنها كانت أفضل نوعًا ما.. صحيح

بأنهما يتشاركان نفس الشراهة المتعلقة بالمال و السمعة و المكانة..

لكن بالإضافة إلى هوس أمه بالمال فهي كانت مهووسة بعائلتها بشكل مُخيف..إنها مهووسة

لدرجة أنها قد تحتمل كل شيء..و تفعل كل شيء في سبيل إرضاء رغبة صغيرة لأحد أبنائها..لكن

بشرط.....

أن لا تتجاوز هذه الرغبة حدود ما تريده هي !

و قد رأى بنفسه ما حدث في المرة الوحيدة التي وضع عينه على شيء لا يعجبها.. كان أن نالت

شهد..حبيبته..أقصى العقوبات ظلمًا..بينما عاش هو حياة مثالية مليئة بجميع أنواع الرفاهية !!

عاد بعقله إلى والده الذي تسمر تمامًا يحدق به بصدمة تكاد أن تتحول إلى استنكار.. ظل

صامتًا للحظات ينظر له بتشوش..قبل أن يهتف فجأة بغير تركيز..بعد أن تما لك عقله بالكاد معنى

الجملة و استوعبها..

ما...ماذا ؟!!! بماذا تهذي أنت ؟!!!!

لم تتغير ملامح هادي أبدًا..رغم ذلك الشرود الذي كان لا يزال يجتاح عينيه نسيبًا.. و الذي

طرده الآن بهزة غير مرئية من رأسه..ثم همس ببساطة ساخرة مستفزة تخفي خلفها غضبًا همجيًا قد

يحرق المكان بما فيه..

_حسنًا..لا شيء يدعوني للتفاجئ فهذه هي نفس ردة الفعل التي كنت أتوقعها منك !

اقترب أكثر الى أن وقف على مقربة من مكتب والده بينما يكمل بجدية باردة ؛

_لكن ليس هذا هو موضوعنا على أية حال..

تضاعفت الحيرة في وجه أكرم.. لكنه استطاع رغم ذلك أن يقول مضيقاً عينيه بعد لحظة بعد
أن تجاوز عقله الصدمة الأولى ؛

ماذا تريد ؟!!!!

و كأنما أعطاه الإذن في تحرير كل أعصابه المكبوتة منذ أن جاء إلى هنا.. بل منذ الأمس.. منذ
تلك اللحظة التي سمع فيها الحقيقة المرة جداً من بين شفتي شهد..
و في كل مرة بعدها وقعت عيناه على ذلك الأثر.. كان يشعر بالإحترق.. كان الأمر أشبه بنزيف
دموي قوي يستهدف قلبه فقط.. قست عيناه أكثر.. واشتد فكه بنفس القسوة.. لكنه حين تكلم.. قال
بصوتٍ خافت.. بالغ الخطورة..

_لا شيء.. أريدك أن تبلغ عني رسالة هامة جداً إلى -أمي المصون- !

قال اسمها في النهاية بنبرة خاصة بدت ساخرة جداً.. بينما انعقد حاجبا أكرم بعجز عن
الفهم.. قبل أن يقول ببطءٍ.. بحذر.. بجمود !

المغزى ؟!!!!

حينها اقترب هادي منه ثم انخفض قليلاً بجذعه ليستند براحتيه على سطح المكتب.. و قال
ينظر في عينيه تماماً بثباتٍ لم ير مثيله في عينيه يوماً.. بصوتٍ قاطع.. به نبرة تهديد واضحة..
_أخبرها بأنني أصبحتُ أعلم عن كل تاريخها -غير- المشرف مع شهد.. من ذلك الأثر في
معصمها.. إلى كل الأذى الذي تسببت به لها طوال حياتها..
صمت للحظة قبل أن يكمل بصوتٍ بدا مكبوتاً جداً.. كشخصٍ يحارب نفسه ليحافظ على
القليل فقط من هدوءه دون أن يستطيع.. و قال بصوتٍ مشد كالوتر.. غاضب..
_أخبرها أيضاً بأنها هذه المرة.. لو حاولت أن تتدخل بيننا بأي طريقة.. أو أن تمتد يدها بالأذى لزوجتي
ف.....

فماذا ستفعل ؟!!!!

قاطعه أكرم بصوتٍ حذر متصلب.. بينما كانت عيناه ترسلان قذائفاً نارية صامتة لابنه.. ذلك
الذي يتجرء لأول مرة لأن يقف أمامه ليهده بكل هذا الصلف !
لكن هادي بدا في غاية الثبات.. حتى أن شبه ابتسامة صغيرة قاسية ظهرت فوق شفثيه و هو
يرد بوضوح ؛

_فسأفتح دفاتر الماضي مجدداً و أفضحكما..

صمت للحظة كانت ابتسامته تتسع فيها أكثر من بين براكين الغضب التي أفحمت عينيه و جعلت من لونهما أشد قتامة..ثم قال بعدها بهدوء شديد..بنبرة ذات مغزى ؛

هل تتذكر.....نرمين ؟!!!

حينها فقط كانت تنفجر كل أقنعة الهدوء بينهما..فاتسعت عينا أكرم بشدة الغضب و الدهول..بينما تراجع هادي إلى أن استقام تمامًا ناظرًا له بصلاية.. بعد أن اختفت ابتسامته تمامًا لتؤكد لذلك الذي يجلس أمامه بأنه لم يكن يمزح على الإطلاق !

إلى أن قال أكرم مضيقًا عينيه بصدمة ؛

لحظة..هل كنت تهددني للتو ؟!!!

ارتفع حاجبا هادي ببساطة و هو يقول محتفظًا بهدوءه و قوته ؛

_لا على الإطلاق..أساسًا الرسالة لم تكن موجّهة لك أنت حصراً..إنها لأمي..... لكن لو كان الأمر يهمك..فاعتبره تهديدًا...لست أمانع !

و قبل أن يسمح لوالده بالاستيعاب و الرد حتى..كان يرفع ساعة معصمه إلى عينيه ليلقي نظرة عابرة عليها..ثم قال ببساطة ؛

_أنا أظن بأن عليّ الذهاب الآن..فهذا أوان انتهاء دوام -زوجتي- في الجامعة..وقد وعدتها أن أقلها بنفسني !

كانت قد ارتسمت ابتسامة جديدة فوق شفثيه..ابتسامة بدت مستفزة لأقصى حد مع نهاية كلامه..قال بعدها و هو يقترب من الباب في نية الخروج ؛

_أراك لاحقًا.....أبي !

ثم غادر في هدوء..ليطفو نفس الهدوء في المكان و كأنه لم يكن هنا..لكنه كان هنا..و ألقى بكل تلك الكلمات الوقحة أمام وجه أبيه..ذلك الذي زم شفثيه بقوة كشخص يعجز عن التصرف.. بينما تقلصت يده فوق تلك الأوراق التي كانت بداخل ملف كان يناقشه مع أولئك الرجال في ذلك الاجتماع الذي اقترحته هادي بكل وقاحة..

و النتيجة أن أصبحت الأوراق المهمة كومة مجمعة ألقى بها إلى نهاية مكتبه !

إنه نفس التهديد..نفسه الذي سمعه من بين شفثي لؤي ذات مرة اليوم يسمعه من هادي..الآن أصبح أبناءه يهدّدونه بأخطاء لم يكن هو نفسه من ارتكبها فقط ليقيدوا معصميه عن

التدخل بحياتهم بأيّ طريقة !!

و كل ذلك بسبب ابنه الأغبي بينهم..

ذلك الذي لطالما منحه مكانة خاصة لم يمنحها لأيّ أحد منهما..ذلك الذي لطالما افتخر به و
بذكائه و انتماءه..الذي لطالما اعتبره السند الأقرب...شهاب !
كيف انقلب الحال بهذا الشكل إذًا ؟!!! كيف خسر ثلاثتهم في نفس الوقت ؟!!!!
كيف ؟!!!!!!!

لم يدرك بأن الفكرة نفسها من كانت تطرأ بعقل زوجته..ليس اليوم فقط..بل منذ فترة طويلة
جدًا..لكن الفرق الوحيد أنها كانت تسأل نفسها في كل مرة تقف في منتصف ذلك القصر الكبير
الفارغ كليًا..

" كيف خسرت أربعتهم ؟!!!!!! "

نزلت السيدة عفاف من سيارتها بشموخ كما اعتادت طويلاً..للتقدم باتجاه قصر الشاذلي
الضخم بخطواتٍ أنيقة صارمة..إلى أن اجتازت بابه العريض لا تزال تنظر أمامها بجمود يخطّ
ملامحها الشديدة الجاذبية بإتقان..

استقبلتها الخادمة فورًا بارتباكٍ لتلتقط منها باحترام ذلك المعطف الخاص بها الذي كانت
تعلقه فوق كتفها..

همّت بأن تسألها شيئًا لكن السيدة عفاف كانت قد تجاوزتها لتصعد السلالم مخلفة أصوات
كعبها الأسود المحدث..

بينما الخادمة تلحق بها مطرقة رأسها بنفس الاحترام..قالت عفاف و هي تفتح باب غرفتها و
تدلف ؛

_هل عاد أكرم من العمل ؟!!!

هزت الخادمة رأسها بالنفي بسرعة مردفة بينما تقترب من خزانة السيدة عفاف لترتب
معطفها هناك بين مجموعة معاطفٍ مشابهة ؛

_ليس بعد !

توقفت أمامها أخيرًا بينما عفاف تجلس فوق كرسي الزينة عشوائيًا تهم بنزع حذاءها

الغالي..لتهمس بخفوت ؛

_هل تحتاجين لأيّ شيءٍ سيدتي ؟!!!

لم ترمقها عفاف بأيّ نظرة..بل رفعت عينيها لترمق انعكاسها في المرآة بينما تردف بغير مبالاة ؛

_لا شيء..عودي إلى عملي !

أومأت لها الخادمة بطاعة و هي تخرج بالفعل تاركة عفاف بمفردها في هذه الغرفة.. بل في المنزل بأكمله !

منذ فترة طويلة و هي قد بدأت تعتاد هذا الصمت القاتم الذي غلف قصر الشاذلي.. بعد أن كان يضج ذات يوم بعيد بأصوات أبنائها الأربعة بما فيهم سجي !
أو هذا ما يخيله عقلها لها..و الحقيقة أن هذا القصر كان دائماً مكاناً كئيباً و صامتاً.. خاصة بالنسبة لهادي و لؤي و سجي !

كانت تتطلع إلى انعكاسها.....القوي ؟!!!..

بل -الشاحب- نوعاً ما بعينين شبه مظلمتين..بهما من الذبول و الضعف المكتوم ما خجلت من أن تدعه يظهر للعيان فيحيل مكانتها بين الجميع إلى سراب..و هذا ما لا تريده !
لم تكن تعلم بالفعل بأن جزءاً منها..جزءاً مخبئ بداخلها..جزءاً لا تعرفه و لا تعترف به كان قد بدأ ينهار ببطء..ينتحب بصمتٍ في مكان وحيد كئيب..
لم تدرك ذلك..و ربما لن تدركه !

فإنسانة مثلها..لطالما أتقنت كل أدوار القوة و الجمود و الصلابة حتى حينما يتعلق الأمر بعائلتها لا يمكن أن تسمح و لو للقليل من الضعف بأن ينال منها و يقتل جزءها الأقوى !
صحيح بأنها فقدت أبنائها..لكن كل هذا الوضع مؤقت ليس إلا !!
المهم أن لا تفقد قوتها المنشودة..هذا الصمت..و هذا الفراغ لا يغير شيئاً من حقيقة حياتها و هويتها..هي أقوى من كل ذلك حتماً..و تستطيع الصمود أكثر...و أكثر !
على الأقل حتى يستعيد كل فرد من هذه العائلة رشده و يعودوا بمحض إرادتهم..أو أنها ستتخذ سبيلاً آخر لاستعادتهم !

خاصة هادي..لطالما كان هادي يشبه لغزاً معقداً بالنسبة لها..إنه طفلها الأصغر.. لكنه نوعاً ما أكثر أبنائها تمرداً و قسوة..

على الأقل هي تستطيع التواصل مع لؤي..حتى مع كل ذلك الجفاء و البرود الذي يغلف كلامه معها إلا أنه ليس منيعاً كلياً اتجاهها..

على عكس هادي الذي لم يحاول التواصل معها قط طيلة هذه المدة التي مضت..منذ ذلك اليوم الذي وقفت بينه و بين تلك -اللقطة- لتشرف على انفصالهما بنفسها !
و هو يتجاهل كل رسائلها و مكالماتها..حتى في تلك المرات القليلة التي زارت فيها منزله لم تجده !

و كأنما يعاقبها على انفصاله الذي كان محتمًا و مقرّرًا منذ بداية زواجه من تلك الطفيلية كما
تلقيها بداخلها أحيانًا !

لكن لا بأس..هي ستتركه لغضبه و انفعالاته..موقنة بأن الوقت وحده كفيل بجعله ينساها
كليًا...و سينساها !

كانت هذه أفكارها..أفكارها التي قدر لها أن تتبخر بعد ساعة واحدة بالضبط..حينما وجدت
نفسها تهتف فجأة بذهول مجنون في وجه زوجها الذي لم يقصّر في إبلاغ كل الرسالة بالتفاصيل إليها..
_تزوج بها ؟!!!!!

كانت عيناها جاحظتان بشدة في تلك اللحظة و كأنها تلقت خبر موتها المُحتم..تنظر إلى أكرم
الذي كانت يده قد شرعت في تحرير رقبتة من ربطة عنقه الرسمية قبل أن يلقي بها عشوائيًا فوق
كرسي الزينة..

التفت إليها بعدها بينما عفاف تقف بثوبها الطويل البيتي الشديد الفخامة ككل ثيابها ناظرة
له بعدم قدرة على التصديق..قال بصوتٍ غلبه الإنهاك و التفكير المطول ؛
_نعم..كم ساكّرُها من مرة بعد ؟!!!!

خلع سترته بسرعة ليلقي بها هي الأخرى بإهمال فوق السرير..بينما يقول بصوتٍ مكبوت ؛
_لقد كان قرارك منذ البداية فاشلاً..كان يجب أن تعلني بأن جمعهما تحت سقف واحد هو
أمر لن يفلح..أساسًا لقد استنزفت..ألا تتذكرين في المرة الأولى كم لزمنا من وقتٍ لنجعله يمحوها من
عقله تمامًا..ثم تعودين لتجمعيهما تحت سقف واحد برباط شرعي..بماذا كنتِ تفكرين بالله
عليك ؟!!!!

كانت نبرته مشبعة بالإتهام و هو يهتف بكلماته أمام عيني عفاف اللتين تحولتا إلى بركتين
شاهقتين من الجنون..و ما إن أنهى كلامه حتى كانت تهز رأسها هاتفة بغضب أكبر منه ؛
_لقد كانت هي السبيل الوحيد أمامي لإنقاذه..بعد أن تخلّيت عنه أنت تمامًا ليس و كأنه
ابنك..هل كنت تتوقع مني أن أقف عاجزة أراقب ابني ينهار ببطء ؟!..لقد كانت الملاذ الوحيد..لم يكن
ليتمكن من الإصغاء لأيّ أحد غيرها..كل مُمرضة أحضرتها كانت تقدم استقالتها في اليوم التالي متعللة
بمزاجه السيئ و صراخه الدائم بهن و رفضه للعلاج..ماذا كنت سأفعل ؟!!!!!!!
هتفت سؤالها الأخير بصوتٍ مرتفع أكثر و قد فقدت كل أعصابها..فصمت أكرم للحظة
واحدة..ثم قال يهز رأسه بنبرة ساخرة عصبية مستندًا بإحدى يديه إلى جانبه و يشير بالأخرى في حركة
ذات مغزى ؛

_جيد..و ها هي ذي النتيجة أمامك..لقد تعافى ابنك و أصبح أقوى من ذي قبل حتى..حتى أنه
لم يبارح عيناى و هو يلقي بتهديداته الوقحة أمامى..

صمت للحظة ينفث أنفاسه الغاضبة و قد عاد يسند يديه الاثنتين إلى خصره يدور حول
نفسه كشخصٍ يقامر على إيجاد وسيلة جديدة بعد فوات الأوان..لكن عفاف لم تكن مثله..لم يكن
للإستسلام مكاناً في عينها و هي تقول فجأة من بين أسنانها ؛
_حسناً..أنا أعترف بأنه كان خطي أنا..لكن تلك اللقيطة.....

نظرت له ترفع حاجبها بحيرة شديدة و هي تقول باستنكار مجنون ؛
_تلك اللقيطة التي أعطيتها من مالي ما لم تحلم برؤيته حتى..كيف استطاعت ؟!!!!!!
توقف أكرم ينظر لها بحزم حاد..ثم لم يلبث أن قال بنبرة تحذيرية واضحة..و كأنه يقطع كل
سبيل للجدال أكثر بينهما حول هذا الموضوع الذي لم يكن يشغل عقله كأولوية منذ البداية ؛
_لقد فات الأوان بالفعل على طرح كل هذه التساؤلات..لقد أصبحت زوجته بالفعل و انتهى
الأمر هنا !

لكن عفاف لم تكثرت لكلامه ذاك و هي تعود لتهتف بنفسِ الجنون الذي بدا هysteria بينما
ترفع أصابعها لتتخلل بأظافرها الطويلة شعرها المُصفف بعناية ؛
_لا يمكن أن يكون قد فات الأوان..لا يمكن..هل تفهم ؟!!!!..أقسم بأننى س.....
لم تكذ تكمل كلامها حتى كان صوت أكرم يقاطعها بقوة ؛
_أنتِ لن تفعلين لها أي شيء !

توقفت عفاف ناظرة له من بين أنفاسها الغاضبة بعينين متسعيتين بعدم فهم..فأكمل بصوتٍ
أقل حدة..لكن أكثر إصراراً و صرامة..بينما يرفع أصبعه أمام وجهها بتحذير جاد جداً ؛
_ستبتعدين عنها تماماً و لن تحاولي التدخل في أي شيء..
أشاح بأنظاره عن ملامحها الغاضبة بينما يكمل ؛
_لقد خسرت الكثير أساساً و لستُ مستعداً لخسارة أي شيء آخر بعد !
ظلت عفاف تنظر له بوجه ممتقع عاجز عن الاستيعاب..بينما هو مصر على النظر
جانباً..مصر على التمسك بكلامه و أفكاره..
هو لا تهمة علاقتهما فعلاً..أو بالأحرى فإن أكثر ما يهيمه هنا هو نفسه..كل هذا النفوذ..كل تلك
المكانة التي بناها لسنين طويلة لا يمكن أن تتبخر هكذا ببساطة !..

لقد كان يجب أن تستوعب كلامه منذ البداية..فهذا هو أكرم الشاذلي..ذلك الرجل
الأرستقراطي الذي ينظر لأولاده كعدة مشاريع لا يعتمد فشلها أو نجاحها عليه !
قالت عفاف بتشوش حقيقي..بصوتٍ غامضٍ باهتٍ ؛
_هل تقصد...بأن عليّ أن أتقبلها برحابة صدر ؟!!!
زفر أكرم بقوة..إنه يعرف هادي جيداً..هادي لا يشبه لؤي المتسامح..و لا شهاب العابث الذي
لطالما انصاع لأوامره رغم كل شيء..
هادي لا يتكلم من فراغ..و هو يعلم بأنه لو اضطر فسيجعلها به بدون أن يكثر لأيّ
شيء..لقد كان هادي هو -مشروعه- الأكثر فشلاً في هذا العالم !
نظر لها أخيراً ليقول من بين أسنانه بجدية قاطعة ؛
_لم أطلب منك تقبلها و لا رفضها..اتركيها و شأنهما فحسب..هل هذا مفهوم ؟!!!!
ظلت عفاف تنظر له بطريقة غريبة..كان من الواضح تماماً بأنها لم تقتنع بكلمة واحدة
قالها..ربما هي تكره شهد أكثر من حُبها لسمعتها و مكانتها..و ربما تكرهها لحد الهوس الذي يجعلها
تتخلى عن هذا الأمان الذي يكتنف أرجاء منزلها.....ربما !
ظل أكرم ينظر لها و كأنما ينتظر منها ردّاً واضحاً تخمد به قلقه..لكنها لم تمنح ردّاً..مجرد
إيماءة لا ترى من رأسها..لكنها مع ملامح وجهها الجامدة الصلبة..لم تبدو كافية أبداً !

#شهد

كنتُ لا أزال أجلس برفقة أمل في بيتها منذ أن خرجت من الجامعة قبل دقائق طويلة لأتفاجأ
بأن هادي لم يأتي ليصطحبني..رغم جملته التي نبهني بها في الصباح بضرورة عودتي للمنزل لو لم يصل
في الوقت المناسب...لكنني تفاجأت !
الحقيقة أن شعوري كان يفوق ذلك..الكثير الكثير من الإحباط و الحزن الذي احتلني و أنا لا
أراه..ذلك الإحباط الذي جعلني أتساءل بجدية بداخلي...
أين ذهبت كل تلك اللمحة التي كنت أراها يوم الأمس في عينيه و التي تخصني لوحدي ؟!!!! أين
قلقه الكبير و خوفه غير الطبيعي علي ؟!!!!..
بل أين كل تلك السعادة التي كنت أتمناها و أتخيلها عن هذا اليوم ؟!!!! هل من المُنصف أن
يمر أول يوم لنا بعد الزواج بهذه الروتينية و الملل ؟!!!!
بل أين غيرته التي تخيفني أحياناً و تروق لي في نفس الوقت ؟!!!!

_ لكنني عاتبة عليك يا شهيد.. كل هذه الفترة متزوجة و لا تدعيننا نعلم إلا الآن !!
سمعت صوت والددة أمل تقول لي بملامة لطيفة بينما تقترب لتضع العديد من أصناف
الحلويات الشهية فوق الطاولة..
فنظرت لها باعتذار أنوي الرد.. لكن صوت أمل قاطعني بسرعة و هي تقول بنبرة اتهام و عتاب
في آن واحد ؛
_ ليست متزوجة فحسب.. الأنسة.. آه.. نسيت... السيدة شهيد حامل أيضاً !
يا إلهي.. ما كل هذا الإحراج ؟!!!!
شعرت بحرارة الخجل و التوتر تلامس وجنتاي و أنا أنظر لأمل قائلة بتذمر ضعيف ؛
_ لقد طلبت منك الإعتذار بالفعل.. ظننت بأنك سامحتني !!
زمت أمل شفيتها قليلاً بغير رضا تام و هي تقول لي ؛
_ سأسامحك بشرط واحد !
نظرتُ لها بإصغاء شديد و كأن حياتي تتوقف على مسامحتها لي.. فلمحت حاجبها و هو يرتفع
قليلاً بضفر..
بينما برزت بعينها ابتسامة بدت شريرة نوعاً ما و هي تهمس على مسامع من والدتها التي كانت
تراقب الوضع بيننا بدهشة غلفها الترقب لما ستقوله أمل.. إلى أن تكلمت أمل بالفعل.. قالت تنظر لي
بتحدي ؛
_ أنا من سأختار الاسم له !
لوهلة تسمرتُ أنظر لها ببلاهة.. ثم لم أشعر بنفسي و أنا أفتح فمي أهم بقول شيء ما.. لكنني
عدت لأغلقه بتوتر و أنا أفكر بأنها الآن بعد لحظة ستضحك معلنة بأنها كانت تمزح.. لكنها لم
تضحك.. بل ظلت تنظر لي رافعة ذقنها بتصميم جاد..
نظرتُ للخالة "سلوى" باستجداء.. لكنني و للعجب اصطدمت بابتسامتها البسيطة.. بينما
رفعت حاجباً واحداً لي دليلاً على انسحابها من الموضوع..
حينها طرفتُ بعيناي و أنا أعيد انظاري لأمل التي لم تتغير ملامحها أبداً.. ضغطت على أسناني
بقوة و أنا أبتلع ريقى.. قبل أن أفتح فمي مجدداً لأهمس بتلعثم مسكين ؛
_ حسناً.. أ..... ألا يمكنك أن تطلبي شيئاً آخر... رجاء !
لكنها هزت رأسها بالنفي بدون ذرة رحمة.. فقلتُ فوراً باعتراض ضعيف ؛
_ تعلمين بأنني لا أستطيع.. هادي سيفضب مني !

نظرتُ لها بتعجب و هي تعقد حاجبها بملامة أكبر بينما تقول لي ؛
_جيد..إذا احتفظي بهذه الميزة لنفسك و هادي خاصتك..و أنا لن أسامحك إطلاقاً..
يا إلهي..هل هي جادة بالفعل ؟!! أليس من المفترض أن يكون هذا مزاحاً ؟!!!!
نظرتُ لها برجاءٍ مسكين بريء..فزمت شفيتها أكثر دليلاً على غضبها الداخلي مني..و قبل أن
أتمكن من الاستيعاب جذبي صوت ضحكة خالتي المرتفعة..
تليها ضحكة أمل التي جعلت من عيناى تتسعان بعدم فهم و أنا انقل أنظاري بينهما.. لكن
صوت الخالة سلوى سرعان ما تسلل الى مسامعي و أنا أراها تقول مخاطبة ابنتها من بين ضحكتها
العفوية ؛

_توقفي يا أمل..لقد أزعبتها !
بقيتُ أنظر لهما بغباء تام للحظة أخرى..ثم سرعان ما اختفى الغباء ليحل محله شيء من
الإرتياح و أنا أستوعب الآن فقط بأنها كانت مزحة لا غير..مزحة ثقيلة جداً في الحقيقة !
قالت أمل و هي تدفعني من كتفي بيدها برفق ؛
_أيها المجنونة..لقد كنت أمزح...ألم تستوعي ذلك ؟!
شبه ابتسامة ضئيلة جداً ظهرت فوق شفتي زفرت بعدها بارتياح حقيقي..قبل أن أنتفض
فجأة على صوتِ رنين هاتفي فأطرقت بسرعة أنظر له بين يدي..
و كما توقعت كان.....هادي !!
شعرتُ بأنفاسي تتسارع ببطءٍ و خفقات قلبي تتدافع بنفسٍ البطء..إنها أول مرة يتصل بي
فيها..أخذت نفساً عميقاً قبل أن أرفع رأسي لأمل و أقول بنبرة استئذان ؛
_سأعود في الحال !

وقفتُ بعدها بسرعة لأقف في جانب معين بعيداً عنهما..لكنني استغرقت ثانيتين أخرتين في
النظر إلى الاسم الحبيب بتوتر..قبل أن أضغط على زر معين و أرفع الهاتف إلى أذناي ؛
_شهد !

خفق قلبي بقوة و أنا أستشعر الكثير الكثير من القلق يتخلل نبرته تلك..فهمست بصوتٍ
شديد الخفوت ؛
_نعم !

ساد صمت قصير من جهته..لم يكن يصلني فيه شيء سوى صوت أنفاسه التي بدت متسارعة
قليلاً..ثم قال لي بصوتٍ خافتٍ حادٍ بعض الشيء ؛

أنا في بيتك الآن.. أين أنتِ ؟!!!

اتسعت عيناى بقوة و أنا أدركُ الآن سبب ذلك القلق الذي لمحتة في صوته فور اتصاله..لقد

نسيْتُ تمامًا بأنه لا يعرف مكانة إقامة أمل !..

قلتُ بعد لحظة واحدة ؛

_أنا..أنا في الشقة المقابلة س.....سأعود حالاً !

ثم أغلقتُ الخط و أنا أحمد الله ألف مرة لأنني مررت إلى البيت قبله و أحضرت هاتفي

تحسبًا..و ما هي إلا لحظات قليلة حتى كنت أخرج بعد أن أطلعت أمل و أمها على رغبتى في الذهاب

بأدب..

لكنني ما إن فتحتُ باب المنزل و دفعته أهم بالدخول حتى كنت أشهق بقوة و أنا أشعر بقوة

هائلة تجذبني من الداخل بيدٍ..بينما اليد الأخرى أغلقت الباب في لمح البصر..

و قبل أن أستوعب أيّ شيءٍ..وجدت نفسي أقف مستندة إلى الباب بظهري..محاطة بيديه

اللتين استقرتا فوق سطح الباب الخشبي كحاجز منيع..أنظر لوجهه القريب مني بفزع كبير..

تلاحقت أنفاسي أكثر و أنا أنظر له أحاول تمالك نفسي..بينما كان هو هادئًا تمامًا.. إلى أن

تمكنتُ بصعوبة من أن أسترجع القليل من ثباتي لأهمس بخفوتٍ شديد أمام عينيه النافذتين

بجاذبيتهما الشرسة إلى أعماقي ؛

_أنا...كنتُ مع صديقتي..إنها تقطن في الشقة المقابلة !

لمحتُ تلك الحركة الشبه مرئية التي تمثلت في هزة صغيرة جدًا من رأسه..قبل أن ترتفع عيناى

قليلاً لتستقران فوق ذلك الحاجب الذي ارتفع بجذلٍ لشيءٍ لا أعرفه..

و استمر الوضع على هذا المنوال لثوانٍ عديدة..أنا أحرق به ما بين توتر كبير و شوق أكبر..و

هو يلاحق كل حركة صغيرة مني بعينه.....بشغفٍ..يا إلهي !

كدتُ أن أطلب منه بكل أدب أن يسمح لي بالإنسحاب للحظة واحدة فقط أركض فيها للمطبخ

لأرتشف القليل من الماء لعلي أسترد به بعض طاقتي لمُجابهة نظراته ثم أعود لنكمل هذا التواصل

العجيب !

لكنه سبقني و هو يهمس لي فجأة ؛

_هل بدأتِ تتعودين على حمل الهاتف معكِ إلى الخارج أخيرًا !

كانت عيناه قد انخفضتا قليلاً لترمقان هاتفي الذي كان طرفه ظاهرًا من ذلك الجيب

اللطيف الذي يتوسط خصر هذا الفستان..

بينما أنا وجدت نفسي عالقة في تلك الابتسامة الغريبة التي احتلت شفتيه في نهاية كلامه..و
ما إن أعاد أنظاره لي باهتمام همست بتلعثم غير قادرة على إبعاد عيناى عن ابتسامته تلك ؛

_لا.....أقصد..لقد حملته معى اليوم تحسباً لمجيئكَ قبلى !

زم شفتيه قليلاً بتفكير عميق قبل أن يهمس لي بجدية رأيها مزيفة تماماً ؛

_لماذا ؟!! هل كنتِ تنوين التأخر كثيراً لو لم أتصل بكِ !

حركتُ رأسى بالنفي بسرعة لكنني قبل أن أستطيع إجابته..حتى كان هو يقول مسترسلاً

ببساطة ؛

_عموماً لا بأس في تأخركِ..هل نسيتِ بأن لَدَيَّ مفتاح المنزل..أنتِ من أعطيتهِ لي !

قالها و هو يرفع مفتاح منزلي الذي سلمته نسخة منه بنفسى فى وقتٍ سابق..فأومأتُ برأسى

تلقائياً..لكنه لم يتحرك رغم ذلك..

و بقيتُ أنا محاصرة بين يديه و وجهه القريب منى...الأقرب إلى قلبى !

غريبة تلك المشاعر التى تحتلنى بقربه..و تحتل عينيه الدافئتين أيضاً..و اللتين لا تصبحان

بهذا الدفء إلا حينما ينظر لى..نظراته لى..تلك الطريقة التى يخاطبنى بها.. ابتسامته..إنه يبدو

كشخص يمارس أجمل هو اياته على الإطلاق..

يكاد أن يستمتع و يتسلى بكل لحظة نكون فيها سوياً..و كأنها طريقته لإقناع قلبه و عقله معه

بأننى هنا..و بأن كل أيام الفراق و الألم تلك قد ولت للأبد و لن تعود...بإذن الله !

شعرتُ بعد لحظاتٍ بأننى عاجزة عن الصمود أكثر على هذا الوضع المربك..... جداً !

فأشحتُ بأنظارى عنه قليلاً و أنا أهمس غير قادرة على إخفاء توتوى ؛

_حسنًا..هل.....ندخل ؟!!!!

نظرتُ له بعدم فهم و أنا أراه يحركُ رأسه بالنفى..ثم قال بعدها فوراً ؛

_ليس قبل أن تجيبى على سؤالى الأخير !

لا أدري لما لمحتُ فى نبرته ما جعلنى أشعر بالقلق..لكننى رغم ذلك نظرت له بإصغاء و كأننى

مستعدة بالفعل لسماع سؤاله و الإجابة عليه..

رأيتُ ملامحه و هى تغرق فى شرود غريب..بينما اختفت ابتسامته ليحل محلها نظرة جادة

تماماً..ثم قال فجأة ؛

_ما هى نقطة ضعفكِ المُميزة التى استعملتها أُمى ضدكِ لتدفعكِ للزواج بى ثم الإنفصال لاحقاً

!

يا إلهي...

كان هذا هو الرد الوحيد الذي امتلكته في البداية و لم يغادر شفتاي..قبل أن أبتلع ريقى

ببطء.. لكنني ما إن أردت التكلم وجدته يقاطعني فجأة بنفس الجدية ؛

_ولا تخبريني بأنك تزوجتني خوفاً منها..لن أصدقك حينذاك !

عدتُ لأبتلع ريقى بصعوبة أمام أنظاره..لم يكن ذلك هو الجواب الذي أنتوي قوله على أية

حال..لكن عموماً..نظرت في عينيه تماماً مردفة بصدق تام..بصوتٍ خافتٍ عميق جداً ؛

_لقد تزوجتُ بكَ بمحض إرادتي..ذلك كان الشيء الوحيد الذي أردته أنا !

و كأنما سكبتُ نهرًا دافئًا من الود على ملامحه..فرأيت رموشه و هي ترتجف قليلاً..ثم شيئًا

فشيئًا كانت تلك العقدة بين حاجبيه تنفكُ ببطءٍ شديد..

ظل بعدها ينظر لي للحظاتٍ..عيناه تتلكان على كل ملامحي بشوقٍ لن ينضب أبدًا.. لكنه

أعادهما بإصرار لعيناى بيننا يقول بصوتٍ أجش..شاحب !

_فهمت..لكنني...لا أزال ملحًا على سؤالي..بماذا هدّدتك ؟!

هل يجب أن يكون ملحًا بهذا الشكل ؟!! هل أنا مضطرة الآن بالفعل لأن أخبره بكل الحقائق

المطلقة التي ستؤذيه حتمًا !

كنتُ أنظر لذلك القلق و الإصرار بعينيه بمشاعر لا تصور..قلق كبير و تردّد..لكن.....بنشوة

أيضًا !

يأسرني ذلك الإهتمام و اللهفة التي لا تنفكُ تلتصق بعينيه كلما تعلق الأمر بي..و كأنني محور

كونه الوحيد..

و كأنني الهدف الأسمى..و مهمته الوحيدة في هذا الكون حمايتي...و إسعادي !..

لوهلة وجدتُ نفسي عاجزة عن الرد..أو أنني تمنيت بشدة لو أستطيع تغيير هذا الموضوع..لو

أغلق صفحة الماضي نهائيًا حتى لا يتسنى لي أو له الالتفات إليها مجددًا..

لكنها كانت مجرد أمنياتٍ لحظية..فذلك الحزم بعينيه لم يختفي و لم يتلاشى منه و لو

القليل..فهمست أدق في عينيه اللتين أعشقهما..بصدق !

_بك أنت !

و كما توقعتُ تمامًا..رأيت عينيه و هما تتسعان قليلًا..بينما عادت تلك العقدة لتتشكل بين

حاجبيه بعدم فهم..ثم لم يلبث أن أبتلع ريقه باختناق ليمس لي بصوتٍ شاحب ؛

_بي.....أنا ؟!!!!!!

شعرتُ بأنني مُلزمة بالفعل على قول الحقيقة..حتى و أنا أشاهد بأسى ذلكَ الخوف

المستحدث الذي احتلِ حدقتيه و هو ينتظر إجابتي..

ذلكَ الخوف الذي جعل من ذراعي ترتجفان رغبة في معانقة رأسه إلى صدري بقوة..فقط

لأخبره بأنني هنا...أنا أشعر به !

ربما أكون فتاة يتيمة لم تختبر شعور أن يكون لديك أحد..يستلم عنكَ كل مسؤولياتك منذ

الصغر..شخص تحبه و تثق به أكثر من كل من في العالم..

لكنني أستطيع أن أفهمه حتمًا !

أنا تفهمتُ ذلكَ الضياع و الإحباط الذي رأيته بداخل عينيه يوم الأمس..كما أتفهم هذا

الخوف الذي شطر قلبي اليوم إلى أنصافٍ عدة..لقد ارتكبت السيدة عفاف من الأخطاء ما لا

يحصى..

لا بد أنه يتمنى الآن لو يمتلكُ قدرة سحرية تجعله يتراجع بالزمن دقيقة واحدة..ربما لكان

سيحتفظ بسؤاله و لا يطرحه في وجهي..

كما يتمنى لولا يكتشف أيَّ شيءٍ جديد يدفعه لأن ينفر من والدته أكثر..لكن هذه هي

الحقيقة..و أنا لا أستطيع أن أخفي الحقيقة...خاصة عنه !

لذا قلتُ أكمل ما بدأته بصوتٍ ضعيف تخلله بعض الأسى لأجله..و لأجلنا سويًا !

_لقد وضعت حُبي لك في كفة..و أحلامك أنت في كفة..خيرتني بينك و بين أحلامك..هي لم تكن

تستطيع أن تؤذيك جسديًا بالطبع لأنك ابنها..لكنها تستطيع أن تؤذيك نفسيًا و معنويًا بتجريدك من

كل طموحاتك و أحلامك...هذا ما قالت لي !

صمتُ للحظة واحدة كنت أحاول فيها أن أستجمع البعض من الصمود الذي لا أملكه

أساسًا..ثم أكملت ؛

_و نعم..لقد كان خوفي منها أحد الأسباب...لكن ليس جميعها !

الغريب في الأمر أنه لم يتزحزح..حتى أن ملامحه فجأة عادت لتتخلص من ذلكَ القلق و

الخوف الذي كان ينالها لتستحيل إلى جمود تام للحظاتٍ..للحظاتٍ لم يترك فيها عيناى و لم يتراجع

خطوة واحدة بعيدًا..

قبل أن ألمح بتشوشٍ تلكَ الابتسامة التي أخذت تشق شفثيه ببطءٍ إلى أن توقفت بدون أن

تكتمل تمامًا..تلميها زفرة طويلة منه جعلتني أتساءل...ألم يتفاجئ !!!؟

لكن عقلي أرسل لي الإجابة فورًا..ربما كانت الحقيقة أهون بكثير ممّا كان يتوقعه !

نظرتُ له فجأةً و هو يقول أخيراً بينما يرفع يديه من فوق سطح الباب و يستقيم في طريقة وقوفه ؛

_دعينا ندخل الآن !

لكنني لم أتحرك..بقيتُ و اقفة مكاني أنظر له كشخصٍ يحاول أن يحل معادلة شديدة التعقيد دون أن يستطيع..وشردت تماماً..لكنني عدت لأنتفض حينما ارتفعت يده لتمر في الهواء أمام عيني بينما صوته الخشن يهتف بصوتٍ أعلى الآن ؛

_شهد !!!

حينها فقط كنتُ أنظر له شبه مجفلة..فقال ببساطة ؛

_دعينا ندخل !

بقيتُ متسمةً لثانية أخرى أحرق به كالبلهاء..ثم سرعان ما وجدت قدمي تتحركان ببطءٍ نحو الداخل...يا لي من بلهاءٍ بالفعل !

كان المنزل متواضعاً جداً..متواضعاً لدرجة أنه يبدو منفراً و كنيباً مقارنةً بمنزله الواسع و المجهز بأحدث و أفخر الأثاث والديكور..

رغم أنه فعلياً لم يكن هو من جهزه..بل والدته..فهادي على حدِّ علمي لم يكن يوماً ممّن يولون اهتماماً بهذه الشؤون النسائية..إلا حينما يخصني الأمر...فهو يهتم حتماً !

لا أكاد أصدق حتى هذه اللحظة بأنه هو من اختار لي هذا الثوب الجميل الذي ارتديه..بلونه الرقيق..و ذلك الإنتفاخ البسيط الذي يبدأ من منطقة الخصر إلى أن ينتهي بانتهاء طوله عند مرفقي..

و تلك الورود الدخانية اللون التي ارتسمت بشكل بسيط جداً و لطيف فوق أكمامه التي تشكلت من الشيفون..كل شيءٍ كان مثالي..حتى أنني أقسمت بداخلي أنني لو كنت قد اخترت الفستان بنفسني لما اخترت واحداً بهذا الجمال !

شعرتُ بشيءٍ من الخجل و الإحراج و أنا ألتفت إليه لأنظر له بينما أشير للأريكة المهيترئة محاولة بكل ما أستطيعه أن أرسم ابتسامة هادئة أقابل بها عينيه المبتسمتين خلسة..بدون أن تلامس الابتسامة ملامحه..برزت في جوف عينيه فقط لتعزز من بريقهما الفطري و تلامس قلبي ! رأيتُه و هو يقترب بكل رحابة إلى أن جلس بارتياح تام..لا بد أنها محاولة جديدة أخرى منه لإضفاء الكثير من المرح لحياتي و الثقة لنفسني..قال و هو يشمل المنزل كله بنظرة مُميزة ؛

_هذا هو منزلكِ إذن !

ابتلعتُ ريقِي ببطءٍ و أنا أوماً له بدون أن أجلس أو أتحرَّك من مكاني..ثم همست ؛

_إنه منزل والدتك في الحقيقة..لكنها.....

_لا تقولي ذلك !

صمتُ أنظر لملامح الجدية و الصرامة التي احتلت وجهه فجأة..ثم قال و كأنه يؤنبني ؛

_هذا المنزل منزلك أنتِ فقط..إنه من عرق جبينك أنتِ..لقد اهتممتِ بي لمدة شهرين بدون

شروط و كانت هذه هي مكافئتك التي تستحقينها...مفهوم !

فغرثُ شفطاي قليلاً أهدق به ما بين غباء و حُب..فارتفع حاجبه قليلاً في حركة مميزة..فقلت

بعد لحظة بجرأة منبعها مشاعري ؛

_أنا لم أفعل كل ذلك رغبة في المقابل..لقد فعلته بمحض إرادتي..لأنني.....

صمتُ للحظة كانت عيناه قد امتلأتا فيها بترقب لذيذ و قد بدأ عقله يتخيل الكلمة التالية

التي كنت أريد قولها كما يبدو..نظراته تلك جعلت بعض التردد الخجول ينتابني.. فأطرقت برأسي

قليلاً لأهمس بصوتٍ خافتٍ جداً..أشكُ بأنه سمعه أساساً..

_لأنني.....أحبك !

صمت تام طاف بالمكان بعد عبارتي هذه..لم أستطع فيه أبداً أن أرفع رأسي و أقابل عينيه

مجدداً..لكن عقلي كان يتساءل بفضول كاد أن يقتلني..لماذا لا يقول أي شيء ؟!!!هل تجمد ؟!!!!..

استطعتُ بعد عدة ثوانٍ أن أرفع رأسي قليلاً بترددٍ لأنظر لوجهه..فطرقت بعيناي و أنا أرى

مجدداً..تلك الابتسامة العريضة التي احتلت وجهه لا أدري متى..

لكنه لم يتكلم..و لم يبدو بأنه ينتوي التحدث بأي شيءٍ أساساً..ظل فقط يحدق بي

ب...ب.....لقد تجمد بالفعل !

لا..لم يتجمد..فقد تفاجأتُ بيده ترتفع فجأة ناحيتي إلى أن قبض على يدي ليحتويها كاملة بين

أنامله الحنونة..قبل أن يسحبني ببطءٍ إلى أن أصبحت جالسة بجانبه..لا أزال أنظر جانباً بتوتر..

تباً فقط..لماذا ينتابني كل هذا التوتر معه..و كأنني لا أجلس الآن بجانب أقرب شخصٍ

لي..بجانب.....زوجي..إنه زوجي !!!!

حسنًا..وقع هذه الكلمة لوحده يبدو مربكاً جداً..

شعرتُ بيدي ترتفع ببطءٍ بين يده إلى أن استقرت فوق قلبه تماماً..بينما امتدت ذراعه الأخرى

لتحاوط كتفائي بدون أن يضمني فعلاً..حينها فقط كنت أرفع رأسي ببطءٍ لأضع عيناي في عينيه..

شعرتُ بأنفاسي تتناقل و تتناقل و أنا أستشعر حركة يده التي استقرت فوق كتفي تدلكه

برفق..برفقٍ مؤلم...مهلاً..هل هذا هو الوصف المناسب ؟!!!..برفق.....مرهق لأعصابي !!

نعم..ذراعاه الدافئتان..و أنامله التي لم تفارق يدي..وعيناه..كل تلك التفاصيل كانت مرهقة بشدة لي..كشخصٍ تمَّ حقنه بدواءٍ مخدر..لكن هذا المخدر لا يفقده الوعي..هو فقط ليمنحه بعض

الاسترخاء اللذيذ !!

انتقلت أنظاري بدون أن أشعر لشفتيه حينما وجدته يفتحهما ليهمس لي أخيراً ببريقٍ

مختلف ؛

هل تحبينني إلى هذا القدر حقاً ؟!!!!

لم أشعر بنفسي و أنا أنظر له شبه مجفلة..ثم أومأت بسرعة و أنا أقول بلهفة لم أفهمها أنا

ذاتاً ؛

_و أكثر !

عدتُ لأغلق فمي بعدها كمن ألقى بثيمة قبيحة جداً ينتظر التوبيخ عليها..على ذكر كلمة "

توبيخ"..شعرت بحرارة الخوف ترتفع إلى قلبي و أنا أرى عينيه تركان وجهي..لترمقان شعري المفرد

بكل انطلاق !

كانت تعايره و هو يحرق بشعري عبارة عن تناقضات..ابتسامة صغيرة..حاجبان

معقودان..شفتان مزمومتان بجدية تامة..كشخصٍ يقوم بتقييم شيءٍ ما..لكن هذا الشيء هو شعري

أنا !

و ما إن انخفضت عيناه مستعيدة تواصلها السابق مع عيناى حتى كنتُ أهمس بسرعة ؛

أنا..أنا.....

صمتُ فجأة و أنا أشعر بأنني أهذي..ثم سرعان ما عدت لأهمس ملازمة خصلة عشوائية

من شعري ب...ببراءة !

_ما...رأيتك في تسريحة شعري ؟!! هل هي.....جميلة ؟!

" لا تسدلي شعركِ أمام أيِّ أحدٍ غيري ! "

لم أدرِ لما شعرتُ بأن نفس العبارة مرت في عقله في هذه اللحظة بالذات..لكنه لم يعقب عليها

رغم ذلك..بل وجدت حاجبيه ينعدان قليلاً..بينما اكتنف عينيه بعض الضيق..و قال فجأة ؛

هل قابلتِ ذلك الشاب مجدداً اليوم ؟!!! هل رأيتِ ؟!!!

لم يكده يكمل سؤاله حتى كنتُ أحركُ رأسي لعدة مراتٍ دليلاً على النفي بينما أقول فوراً ؛

_لا !!

لكن ذلك الضيق لم يبارح عينيه لثوانٍ أخرى.. قبل أن يزفر أنفاسه بتعبٍ.. ويطرق برأسه
محددًا بيدي التي كانت لا تزال محتجزة بين أنامله..
كانت أنامله تتحرك ببطءٍ فوق ظاهر كفي.. فأخفضت رأسي أشاركه النظر.. لكن عيناى
الخائنتين لم تلبثا أن حادتا عن مسارهما لتعودان و ترتفعان إلى ملامحه..
كانت ملامحه قريبة منى.. قريبة جدًا.. صوت أنفاسه الهادئة المنتظمة يمر في مسامعي كلحن
أغنية هادئة جميلة.. وجدت نفسي أغرق تمامًا في تفاصيله ككل مرة..
لقد بدأت ذقنه تنمو قليلًا.. تنمو بقدر بسيط جدًا.. لكن ذلك القدر البسيط كان كافيًا
ليضيف الكثير من الجاذبية إلى شكله الجذاب بالفطرة !
لم يدرو هو منسجم في نشوته الخاصة بالتلاعب بأناملى بتلك الرجفة التي سيطرت عليها.. بل
على كل جسدي..
هل من العادل أن أكون جالسة بجانب -زوجي- و لا أستطيع ملامسته كيفما أشاء؟! لا.. ليس
عادلاً أبدًا !

لقد تمنيتُ بشدة لو أستطيع أن أرفع يدي قليلًا فقط لألامس ذقنه !!..
و لم أدري أنا أيضًا أنني في غمرة شرودي المنحرف أنه كان قد رفع رأسه ليلمح نظراتي
الحمقاء تلك.. إلى أن اصطدمتُ بابتسامته المتوجسة و الماكرة في نفس الآن..
حينها فقط كنتُ أنتفض انتفاضة داخلية ضئيلة.. قلت بعدها بسرعة محاولة إنقاذ الموقف ؛
_أنا.....كنتُ سأذهب للمطبخ.. هل تشرب..... شيئًا ؟!!!
هل تظنون بالفعل بأنه تجاوز الأمر ؟!! إنه هادي !
استمر ينظر لي للحظاتٍ بجذلٍ.. بسعادة غامرة تحجبها ابتسامته الهادئة.. الخبيثة !.. لكنه لم
ينفك أن قال أخيرًا ببساطة ؛

_نعم..أريد أن أشرب فنجانًا من القهوة الذائبة في العسل..هل لديك.....-العسل- !!!؟
العسل !!!؟..هل كانت تبدو هذه الكلمة مُميزة جدًا من قبل أم أنه هو من.....
قلتُ بصوتٍ خافتٍ..فاقد للتركيز و أنا أغرق أكثر في أنهار عينيه ؛
_لا..ليس لديَّ عسل !

بقيتُ أحرق به بغباءٍ و أنا أرى تلك الدهشة المُصطنعة التي ارتسمت فوق وجهه..ثم سرعان
ما كان يزعم شفتيه قليلًا ليقول بتفكير عميق زائف ؛

_اممم..مشكلة عظيمة بالفعل..ماذا سنفعل الآن ؟!!!!
كدتُ أن أرد لكن عيناى غامتا فجأة و أنا أشاهد اقترابه البطيء منى..فأغمضتُ عيناى و أنا
أظنه سيقبلنى !!..
لكن شفتيه توقفتا على بعد مسافة صغيرة جداً من وجنتى ليهمس لى فى أذنى بنبرة ذائبة
فى.....العسل !!!
_هل تسمحين لى بارتشافك أنتِ بدل العسل ؟!!!..يا.....شهد العسل !
أسمح ؟!! و من أنا لأسمح ؟!!!
أطبقتُ جفونى أكثر و أنا أشعر بأنامله التى كانت لا تزال متمسكة بىدى تتخلل أناملى
ببطء..بينما ارتاحت شفاهه على وجنتى برقة شديدة..
لكنه لم يكن ليكتفى بهذا القدر!
شعرتُ بأننى على شفا لحظة واحدة من الإنصهار به و له و أنا أشعر بشفتيه تسافران على
بشرتى بكل حرية..بنعومة شديدة..برقة العسل !!
فى نفس الوقت الذى ترتفع فيه يده لتقبض على كتفى بقوة لا تتناسب مع تلك الأنهار الدافئة
التي ما انفكت تنسكب على قلبي..
خاصة و قد أخذت يده الأخرى المبادرة فى التسلل بين خصلات شعري برقة ألهمت أطرافى !
و كان المقابل أن ارتفعت يدي لتحقيق أمنيّتي الأجل و تلامس ذقنه الملتحي قليلاً..مُستسلمة
لقربه المهلك..و لتلك الأشواق التي ما انفكت تؤرق قلبينا لزمنٍ طويل..
مستسلمة لأنفاسه..و لقلبه...مستسلمة بكل جوارحي !

#سجى

كنتُ أراقب الطريق بعينين لا تميزان العالم..رغم أنني دربت نفسي طويلاً لأجل هذه اللحظة..
إلا أن ذلك الخوف لم ينفك يلهيهم كل ذرة منى...
نعم..أنا خائفة لكنني لست مترددة !
خائفة من نظرات الناس..و من تلك التجمعات التي كانت تروق لى فى الماضى فى الجامعة..
خائفة من كل تلميح قد لا يكون يخصني حتماً لكنه كفيل بإعادتي إلى نفس النقطة..خائفة من سجى
القديمة !!

ماذا لو خائني طيفها اليوم و عجزت عن تأذية الدور كما يجب ؟! ماذا لو وقفت أمام الجميع أراقهم بضغفٍ مخز لم ينل مني يومًا ؟! ماذا لو غرقت في نوبة شرود أخرى أغيب فيها عن كل العالم الذي يحيط بي ؟! و الذي لن يشعر بي ؟!..

ماذا لو فقدتُ وعيي فجأة كالكثير من المرات التي تعرضت فيها لنفسي الشيء ! ماذا لو فتحت عيني لأجد بأن الذراعين اللتين التقطتا جسدي من وقوعه ليست ذراعيه ؟!..
بل ماذا لو قابلت ذلك الماضي المخزي الملقب ب.....أشرف ؟!
ماذا سأفعل آنذاك ؟!!!

شعرتُ فجأةً بيدٍ دافئة تحتوي يدي بهدوءٍ..فالتفتُ لأنظر للوئي..و أخيرًا رأيت ابتسامة لؤي
!..لقد استوعبتُ الآن فقط بأني كنت مشتاقة لها بالفعل !
تلك الابتسامة اللطيفة و البشوشة..السعيدة بحق...مثل التي قابلني بها الآن !
ابتسامته تلك جعلت قلبي يرتجف بشدة خوفًا من أن أكون السبب مجددًا في محوها عن شفتيه..فابتلعتُ رقي ببطءٍ و ابتلعت معه كل مخاوفي و أرغمت نفسي على مبادلتها ابتسامته
بأخرى...مرتجفة !

ثم عدتُ لأشبح بأنظاري عنه أحرق في الفراغ..لكن ذلك الفراغ امتلأ بصورته.. بذلك المشهد الذي استيقظت عليه يوم الأمس !
لقد كان شيئًا جنونيًا و غريبًا جدًا..حينما فتحتُ عيني فجأةً لأصطدم بوجهه القريب مني..كان نائمًا بجاني..أو بصيغة أخرى..لقد أمضى كل الليلة بجاني !
الجميل في الأمر أنني لم أخف أبدًا..لم أنفاجئ حتى..كان الهدوء فقط ما انتابني..و شيءٌ من الدهشة و أنا أنقل عيني لأرملق بغرابة يده التي كانت تتمسكُ بكلتا يداي بقوة شديدة...حتى أثناء نومه !

لقد كان الأجدر بي في تلك اللحظة أن أوقظه..أو أنهض أنا على الأقل لأجهز الإفطار أو ألتهمي بأي شيءٍ آخر عداه..لكن عقلي في الحقيقة بدا خاملًا..فكان يحثني على البقاء مكاني..
بينما قلبي كان عالقًا تمامًا في ذلك المشهد..مشهد يداي المخفيتان بين يديه..فوجدتُ نفسي رغمًا عني..أتأمله بشرود غريب..نعم...لقد كنت أشعر بالغرابة في نفسي !!
هل...هل هذا هو لؤي الذي عرفته طوال حياتي ؟!! هل هذا الرجل الذي ينام بجاني الآن..يتمسكُ بيدي باستماته شديدة...نفسه الذي غفوت فوق ركبتيه ليلة الأمس..هو -صديقي-
لؤي ؟!! يبدو مختلفًا اليوم نوعًا ما !

نعم..لقد كان مختلفًا...شعرتُ بذلكَ و أنا أحرق به بتمعن بينما هو نائم بعمق.. كشخصٍ
أزاح كل همومه جانبًا..ليتسنى له أخيرًا أخذ قسطٍ صغير من الراحة التامة..
بقيتُ أنظر له و أنا أتوقع أن يستيقظ في أي لحظة..لكنه لم يستيقظ..بل حدث أن استمر
الوضع لأكثر من ساعة..كان عقلي فيها قد تشاطر مع قلبي كل الأفكار و التساؤلات..
متى أصبح لؤي وسيماً لهذا الحد ؟!!..
هل تصدقون بأنني لم ألاحظ يوماً..
بل متى أصبح هذا الوضع بيننا عادي..أن أشارك أنا و لؤي سريرًا واحدًا..أو غرفة واحدة...أو
حتى منزلًا واحدًا لا يعيش فيه أي أحد سوانا...متى ؟!!!!
في غمرة كل تلك التساؤلات الغريبة..لمحتُ رموشه و هي ترتجف قليلًا دليلاً على استيقاظه
القريب..فاتسعت عيناى قليلًا و أنا أنقلها بين يدينا و وجهه..أنا لن أستطيع مواجهته الآن حتمًا..حتى
و لو لم أكن أنا من تسللت إلى سريره في الأمس و نمت بجانبه !
لذا و بدون أن أفكر..كنتُ أغلق عيناى بسرعة قبل أن يفتح هو عينية..و استكنت تمامًا و أنا
استشعر استيقاظه من تحركاته بجانبى فقط..
بدءًا من يديه اللتين ارتعشتا فوق يداى..لا بد أنه يشاركنى نفس الدهشة الآن..ربما الدهشة
خوفًا من احتمال لو كنت قد استيقظت قبله !!
لم يدرك..و لن يدرك أبدًا أيُّ فراغ جعلنى أعيشه و هو يتسلل ببطءٍ من جانبي..أنامله تكاد أن
تترك أناملى برفق شديد خشية من استيقاظى الذى حدث أساسًا..بقيتُ مغمضة عيناى لثوانٍ
أخرى..كنت أحاول التأكد فيها بأنه غادر !
لكن فجأة..شعرتُ بأنفاسى تخر متدافعة بشدة و أنا أشعر بشفتيه ترتاحان على جبھتي في ما
يسمى...بقبله !
طالت قبلته لثوانٍ قليلة قبل أن يعاود ذلك الفراغ ليحتلني مع ابتعاده بشكل مفاجئ..ثم
سمعت همسته الحانية الخافتة جدًا..و كأنما يوجهها لروحي فقط..و يتكلم بخفوتٍ خشية من نفس
الفكرة السابقة !
" صباح الورد.....غاليتي !"
_سجى !
صوته الذى قصف بهدوء بجانبى جعلنى أخرج من تلك الذكرى الغريبة و أنظر له.. فقال
ينظر لي بهدوء يشوبه قلق خفي ؛

لقد وصلنا !

" 35 : بين أرفف النسيان "

#سجى

_لقد وصلنا !

طرفتُ بعيناي قليلاً قبل أن ألتفتَ ببطءٍ لأنقل عيناي حولي..و قد كان المكان مكتظاً كما
العادة..فأمام ذلك الباب الرئيسي الواسع بالجامعة..
توقف مجموعة من الطلاب لا أستطيع عدّهم في مجموعاتٍ متفرقة..ما بين خروج البعض و
دخول البعض..لكن كل ذلك لم يكن بالمهم بالنسبة لي..
بل كان صوت خطواتهم..و ضحكاتهم..و أصواتهم حتى..كل تلك التفاصيل الطبيعية التي
كانت تبدو عادية بالنسبة لي في الماضي و تفاجئت بأنها لم تعد تبدو كذلك !
الآن أنا أستطيع ملاحظة كل شيءٍ على حدا..عيناي تجريان على كل التفاصيل الصغيرة حتى !
استمررتُ أنقل عيناي بين الجميع...أتساءل لما لم تعد تبدو كل تلك المشاهد طبيعية كما الماضي !..
تلك الضجة التي كانت مألوفة بالنسبة لي..اليوم أشعر بها تطبق على قلبي بقوة..كل الصور
تتداخل في عقلي بفوضى..و صوت أنفاسي يرتفع تدريجياً مخترقاً ذلك الضجيج و مدمراً لإدراكي !
و كأني لم أعد أنتهي لهذا العالم..بل و كأني لم أكن أنتهي له منذ البداية !
ثم فجأة..من بين كل ذلك..شعرتُ بلمسة حانية جداً فوق كتفي..فانتفضتُ بذعر للوهلة
الأولى و أنا ألتفت بسرعة لتقع عيناي على لؤي.....
نعم..لؤي معي هنا... قد أوشكتُ على نسيانه !
اقترب مني لؤي قليلاً ليمس مدققاً النظر في عيناي الزائغتين قليلاً بقلبي مغلفٍ بنبرة صوته
الحانية في خشونتها..و المتفهمة لأقصى حد..
_هل أنت بخير ؟!!!!

كان سؤاله متوقعاً جداً في هذه اللحظة..فلا بدّ بأنني أبدوا كمخلوقٍ فضائي يقابل البشر لأول
مرة..لكن استيعاب سؤاله البسيط حتى بدا أمراً شاقاً جداً بالنسبة لعقلي الذي كان قد توقف عن
العمل لفترة وجيزة..
قبل أن أبتلع ريقى بصعوبة..و أرغمتُ نفسي على أن أهز رأسي في حركة بطيئة بالإيجاب..لكنه
لم يبدو مقتنعاً تماماً...

جالت عيناه فوق ملامحي كلها للحظة بقلبي متضاعف..و لسبب ما توقفت على جبيني الذي كان قد بدأ يتفصد بقطرات عرق ندية..قبل أن تمتد يده لتغطي وجنتي أثناء همسه مجددًا بتوجسٍ ؛

_متأكدة ؟!!!

" لا...لست متأكدة ! "

لكنني مضطرة لأن أتحدى بقوة لست أملكها بعد..فأنا لن أراجع بعد كل هذا بالطبع..لا يمكن أن أراجع !..لذا أغمضت عيناى لبرهة حاولت فيها أن أستعيد توازن أنفاسي..قبل أن أعود لأفتحها و أوماً له مجددًا عن اقتناع هذه المرة !

لكنه لم يتراجع رغم ذلك..ظل ينظر لي بطريقة غريبة لم أفهمها..لكنني شعرتُ من خلالها بأنه يتفهمني تمامًا..لقد أخذ الإجابة من عيناى..و لم يعد ردي ذا قيمة بعد الآن !
ثم ترك وجنتي على مضضٍ ليفتح صندوقًا متوسط الحجم أمامه..و يخرج منه علبة علمتُ ما تحتويه بداخلها تلقائيًا..لكنني اكتفيت بالصمت التام و أنا أراه يفتحها ليخرج ذلك الهاتف من داخلها..

بقيت أراقبه بتوتر و أنا أراه يبدأ في تشغيله..لتندمج أنامله في الضغط على عدة أزرار..قبل أن يرفع رأسه نحوي تزامنًا مع يده التي امتدت بالهاتف إليّ..و همس بنبرة اعتذار ؛
_أنا آسف لأنني لم أطلب رأيك في الأمر قبلاً..لكنني خشيتُ أن ترفضى الفكرة بعد أن لاحظتُ منذ مدة أنك أضعت هاتفك !

تلقائيًا كان عقلي يستعيد تلك اللحظة التي فقدتُ فيها هاتفي...تلك اللحظة !!!
أغمضتُ عيناى بقوة عازمة على طرد هذه الذكرى قبل أن أسمح لها بأن تمر كاملة بذهني..ثم عدت لأفتحها و أنا أسمع لؤي يكمل بهدوء ؛

_عمومًا أنتِ تستطيعين أن تغيريه متى تشائين لو لم يعجبك..لكن يجب أن تأخذه الآن !
صمت فجأة ناظرًا لي بتشجيع..فأخفضتُ عيناى قليلًا لأرمق الهاتف في يده..ثم و بدون أن أتردد طويلًا فتحت يدي في حركة ذات مغزى..فابتسم لؤي بوهن و هو يضعه في راحة يدي..
حينها كنت أمسكُ به بشدة و كأنما أتمسكُ بشيء ثمين للغاية..و هو ثمين بالفعل..فهو هدية من لؤي..هدية مكلفة باهتمام لؤي.....

و رقم لؤي الذي هو أكثر ما سأحتاجه بعد أن أصبح بعيدة عنه !
لكن...بغضِ النظر عن كونها أول مرة أبتعد فيها عن عينيه منذ زواجنا..متى أصبح الابتعاد عنه أمرًا شاقًا و مؤلمًا لهذا الحد ؟!!

تمسكتُ بالهاتف أكثر لأدسه بداخل جيب معطفي و أغلق سحابه الصغير من فوقه.. تاركة عيناى رهينتان لعيني لؤي للحظاتٍ أخرى.. الحقيقة أنني لم أرد أبداً أن أنزل من السيارة رغم ضرورة ذلك !

بل أنا لن أكذب أبداً لو اعترفتُ الآن بأنني تمنيت بشدة لو أستطيع أن أندسّ بين ذراعيه للحظة واحدة فقط.. أثق بأنها كفيلة بأن تمنحني القوة لأمضي كل هذا اليوم بدونه ! لكنني اضطررتُ أخيراً لأن أرسم ابتسامة شاحبة فوق شفتاي أردتها أن تكون قوية.. قبل أن ألتفت ببطءٍ لأمسكُ بالمقبض أهم بفتح السيارة.. لكنني عدت لأتوقف بتأثير من صوته..
_سجى !!!!

همس اسمي بخفوتٍ شديد.. فتركْتُ المقبض لوهلة.. قبل أن ألتفت إليه لأقابل عينيه القلقتين بنظرة تساؤلٍ.. لكنه لم يتكلم.. بل شعرت بارتجافة قوية تغزو أطرافي حينما وجدته يقترب مني ملبياً لرغبتى العزيزة قبل لحظات..
التفت ذراعاه من حولي بهدوءٍ مشكلة عناقاً دافئاً نسف الكثير من مخاوفي.. و نتيجة لذلك بقيتُ ساكنة لعدة لحظاتٍ أنظر أمامي بصمتٍ..
قبل أن أرفع ذراعي ببطءٍ لأحاط جذعه مغمضة عيناى بسلامٍ نسبي.. إلى أن تسلل صوته إلى مسامعي حيث همس في جوفِ أذني تزامناً مع يده اليمنى التي ارتفعت تلمس لي شعري برفقٍ شديد ؛

_اليوم... لا أريدك أن تشعرى بالخوف أبداً.. لا تحاولي أن تتصنعي نفسك القديمة.. و لا أن تخضعي لنفسك الجديدة.. تذكرى بأنك فتاة أخرى مختلفة عن كلاهما.. الحقيقة أنك بشخصيتك الجديدة هذه تشكّلين مزيجاً مذهلاً من كلاهما !!
هل سمعتم من قبل بقصة ذلك البستاني الذي اشترى وردة ذابلة.. قام بزرعها في حديقته ليواضب على سقيها في كل يوم.. متجاهلاً آراء العالم.. متجاهلاً المنطق الذي يقر بأن "وردته الذابلة" قد ضاعت للأبد..

رافضاً لكل فكرة تطرأ في عقله مخبرة إياه بأن الأمل بات مُنعدمًا.. و بأن الوردة التي تموت لا تحيى مجدداً.. متمسكاً في ذلك الأمل الضئيل بقلبه.. عازماً ملحاً على المحاولة مراراً و تكراراً..
فهو مهما طال به الصبر مستعد للتضحية بحياته في سبيل إحيائها مجدداً !!

إلى أن استيقظ ذات صباح ليتفاجأ بأن آماله الضئيلة قد زرعت وردة أخرى بجانبها..وردة
تشبه وردته الذابلة..بل إنها هي في هيئة جديدة مشرقة..تخبره بأن معجزته تحققت..و بأن وردته لم
تمت...بل أنجبت !

هل تعرفون ما كانت النهاية ؟!!! أن تعلقت الوردة الجديدة بالبستاني إلى الأبد.. فلم تعد تحيي
إلا بمرآه..و لا تستقبل السقي إلا بمياهه !!

إن هذا البستاني يشبه نوعًا ما لؤي..و أنا تلك الوردة الذابلة التي أنجبت جذورها
وردة.....ترغب بالحياة !

شعرتُ بذراعيه تتركانني ببطء..لكنه لم يبتعد..بل كان أن ارتفعت يداه لتحاوِطان
وجهي..بينما استقرت شفاهه فوق جبتي الباردة...فأغمضت عيني بشدة مستسلمة لهذا الدفء
الفائض !

قبل أن أبتعد أخيرًا لأفتح الباب و أنزل مُمسكة بحقيبتَي المعلقة فوق كتفي..خرج لؤي هو
التالي ليدور حول السيارة و يقف أمامي محدقًا بي برغبة لمحتها في مر افقتي..أو مر افقته لا
أعلم..المهم أن لا يغيب أحدنا عن عيون الآخر !

لكن صوتًا مرتفعًا تسلل برقته و سعادته إلى مسامعي قاطع هذا التواصل السري
بيننا..فأدرت رأسي فورًا و لم أكد استوعب حتى أو أميز هذا الشخص الذي نادى باسمي قبل
لحظة..حتى كانت صاحِبته قد انقضت علي لتعانقني بقوة هاتفة ؛

_سجى..يا إلهي...أين كنتِ مختفية كل هذه المدة !!!

لم أستطع أن أعانقها أبدًا..ليس لأنني لا أريد..بل لأن عقلي الذي من المفترض أن يمنح الأوامر
ليداي لأجل معانقتها كان محتجزًا عند لؤي...كعيناَي تمامًا !

إلى أن ابتعدت عني " لينا " لتنظر لوجهي بابتسامة أقرب إلى ضحكة مشعة سعيدة..لكن
ضحكتها تلاشت بعض الشيء حينما وقعت عيناها على لؤي..

هي كانت تعرفُ لؤي بالطبع..فمن يعرف سجى الشاذلي شخصيًا سيتعرف إلى ملامح كل عائلة
الشاذلي المشهورة..كما أنه لطالما اعتاد على المجيء إلى هنا لزيارتي أو لاصطحابي للمنزل في كثير من
الأحيان..

لم أدرِ أيَّ قوة امتلكتها جعلتني أرسم ابتسامة بدت هادئة جدًا..و ربما مثالية لأقصى
حد..خالية من الضعف..و من العواطف حتى...و كأنما ظهور سجى القديمة أصبح مقترنًا بماهية
الشخص الذي يقف أمامها !

إما قريب أبوح له بكل ما يؤرق خاطري..و إما غريب أجيد تمثيل القوة الزائفة أمامه بمهارة !
قلتُ و أنا أرمق لؤي بنظرة لم تكن عادية أبدًا ؛

_هذا لؤي.....زوجي !

زوجي !!!

هل تصدقون بالفعل بأنها المرة الأولى التي أناديه فيها بهذا اللقب ؟!! المرة الأولى التي أستشعر
معناه حرفيًا فيها...

لكنني لسببٍ ما لم أشعر بأن اللقب غريبًا بين شفتاي..بل شعرتُ و كأنني قلته آلاف المرات
من قبل !

و أمامي اتسعت عينا لينا بذهول تام محدقة بي بغير تصديق و كأنها تسألني..كيف ؟!!..و متى
!!؟

رغم أنها لم تكن بالصديقة المقربة كثيرًا مني في الماضي..هي مجرد زميلة لطيفة في الدراسة
اعتدنا أن نتبادل أنا و هي أحاديثًا عشوائية !

لكنني بقيت صامتة إلى أن امتدت يدُ لؤي إلها..و امتدت يدها هي الأخرى إليه لتصافحه
مردفة بدون أن يتلاشى الدهول من عينيها ؛

_تشرفتُ بمعرفتك سيد لؤي..أنا لينا زميلة سجي في الصّف !

أومأ لها لؤي بكل أدب..بينما استقرت عيناها أنا بينهما..على يديهما المتشابكتين..دون أن
أستطيع تمييز ذلك الشعور الذي انتابني داخليًا...

لا أعلم سوى بأنه كان شعورًا مزعجًا.....جداً !

قبل أن يرفع لؤي نفس اليد ليلامس بها وجنتي تزامنًا مع همسه بتأني ؛

_سأغادر الآن..اعتني بنفسك !

كم بدا هذا الموقف غريبًا..أنا و هو نقف وسط مجموعة من الناس بعد أن كان عالمنا لمدة
طويلة منعزلًا...خاليًا من البشر !

أومأتُ له في حركة شبه مرئية..ثم راقبته و هو يبتعد بتردد إلى أن فتح باب سيارته و خلال
بضعة ثوانٍ معدودة كان قد نطلق بها في اتجاه معاكسٍ..مبتعدًا عن مجال بصري أكثر و أكثر..تاركًا
إياي أقف مكاني أواجه صراعًا داخليًا شديدًا..

ما بين رغبتني في اللحاق به و يقيني بأن كل ذلك الخواء الذي خلفه ابتعاده هو محض شعور
طبيعي..بحكم أنني أمضيتُ فترة طويلة كنت فيها لا أرى أيَّ بشر سواه..أشاركه بكل تفاصيل حياتي..

بل إنني حتى أوليته مسؤولية حياتي فلم أعد أعلم الطريقة الصحيحة لقيادتها بنفسي !

_سجى !!!!

صوت ليلى أيقظني من شرودي..فاستدرتُ لأنظر لها بعد أن رسمت ابتسامة سجى
الدبلوماسية الواثقة..وكم أجدت رسمها بحيث أنني بنفسى...لم أتعرف على نفسى و أنا أتجه إلى
الجامعة برفقتها !

و بالطبع لم تكن عودتي عادية..ذلك المشهد الذي ما لبث يتكرّر كل صباحٍ في الماضي..و الذي
كنتُ قد نسيتَه تمامًا..تكرر اليوم...

فهو ليس أيّ يوم..اليوم تعود " سجى الشاذلي " تلك الفتاة الأنيقة المدللة ذات الشعبية
الواسعة بالجامعة !

لا بد أن لا يخلو دخولها من نظراتٍ تختلفُ ما بين الفضولية و السعيدة و الحاقدة..و
للحقيقة فأنا لم أقصر اليوم في اختيار حلي رغم كل شيء !

تلك النظرات..و ذلك الاهتمام الذي أحاط بي من كل صوب ما لبث أن عزز من ثقتي
بنفسى..حتى أنني و لوهلة شعرتُ بأنّ الزمن قد عاد بي نحو الوراء..و كم تمنيت لو كان هذا ممكناً !
لكن أفكارى ظلت حبيسة عقلي..و أنا أكملتُ طريقي رافعة ذقني..قاطعة كل خطوة و أخرى
بثقة كنت قد افتقدتها منذ زمن..لكن صوت كعبِ حذائي الأنيق الذي كان يتناهى إلى مسامعي كان
يحفزني على أن أكمل طريقي حتى النهاية !

و كانت النهاية أن جلست في أحد المقاعد بداخل قاعة عريضة كبيرة تحمل مئات الطلاب..
عدد هائل جداً..وحده كفيل بأن يبعث بالتوتر لأيّ شخصٍ كان..

إنها محاولة جيدة بالفعل لإضفاء المزيد من القوة لي و تبرير توتري المزعج هذا..
ركزتُ أنظاري أمامي متجاهلة كل العالم..فقد أغمضت عيناى بشدة و أنا أستدرج صورته إلى
عقلي..تلك الملامح وحدها كفيلة بأن تمنحني كل صمود العالم و قوته..
لكن صورة دخيلة مرت بشكلٍ خاطفٍ شوشت عليّ تلك النشوة الخاصة..ففتحتُ عيناى على
اتساعهما لأنظر حولي كشخصٍ تمّ صعبه بجهاز قاتل للتو...

و رغمًا عني وجدتي أجول بعيناى من حولي خشية من أن تتجسد تلك الصورة في واقعي..و
هذا احتمال وارد في الحقيقة..فهو جزء لا يتجزء من هذه الجامعة !

_هل قابلتِ أشرف في آخر فترة ؟!!!!

يا إلهي ..!!!!

هذه الهمسة وحدها من تسلفت إلى عقلي و أنا أسمع صوت لينا يأتي خافتاً متسائلاً من
جانبي..فنظرتُ لها بدهشة تخللها الكثير من شحوبٍ روحي..
لكنها ظلت عاقدة حاجبها تنتظر إجابتي فحركتُ رأسي بالنفي عدة مراتٍ و أنا لا أكاد أفهم أيَّ
شيءٍ ممّا تقوله..إلى أن أكملت تهز رأسها بأسى ؛
_المسكين..لقد كان يسأل عنك كل يوم في فترة غيابك..لكن وفاة والده دمرته تمامًا.....
اتسعت عيناى بصدمة و فغرتُ شفطاي قليلاً بغاية التحدث..لكنني عدتُ لأطبقيهما
للحظة...ثم فتحت فمي سائلة بتلعثم ؛
_و...وفاة...والده.....متى ؟!!!!
عقدتُ حاجباى قليلاً باستغراب و أنا أرى تلك الدهشة التي غلفت وجهها بينما تقول
باستنكار ؛
_ألا تعلمين حقاً ؟!!!!
ثم أكملت فوراً بشفقة ؛
_لقد توفي والده قبل فترة قصيرة..و اضطر أشرف لترك الجامعة لتولي مكان أبيه في المتجر
الخاص بهم !
تجمدتُ مكاني و كأنما تمَّ صعقي بمُوصل كهربائي شتت كل حواسي و أبطل عملها..و من بين
أمواج وعي الذي ضاع مني سمعتُ صوتها يتمتم بأسى ؛
_كان عليك أن تري حالته..أنا لم أشاهده في حياتي منكسراً إلى ذلك الحد..و في النهاية رحل و
ترك لك هذه !
أخفضتُ عيناى ببطءٍ و أنا أشعر بأطرافي ترتجف..لألمح ذلك الظرف في يدها..مهلاً..هل
هذه.....رسالة ؟!!!!
تجمدتُ لعدة لحظاتٍ أنظر له و كأنه ثعبان بين يديها يوشكُ على لسعي في أيِّ لحظة..قبل أن
أمد يدي ببطءٍ شديد و ترددٍ أشد إلى أن أخذت الظرف..
أطرقْتُ برأسي بعدها أحرق به بين يداى و عقلي يتساءل بالحاح عن فحوى هذه الرسالة التي
ستكون بداخله..و الأهم من ذلك لما تركها لي من الأساس ؟!!!!
كنتُ قد أوشكت بالفعل على فتحه لولا أن سمعت صوت اندفاع الباب فجأة و هذه المرة
ساد الهدوء في القاعة..

فرفعتُ عيناى لأنظر للأستاذ العجوز الذي اقترب من مكتبه ليضع حقيبته الجلدية السوداء فوقه و بعض الأشياء الأخرى الخاصة به التي جلبها معه..

حينها فقط كنتُ أزم فمي قليلاً متراجعة..فوضعت الظرف في جيب معطفي الآخر الفارغ قبل أن أرفع رأسي مجدداً محدقةً بذلك الأستاذ الذي كان قد شرع في شرح شيءٍ ما عجزت عن سماعه أو فهمه..

فقد كان تركيزي مشتتاً تماماً..وعقلي متوقف عن العمل..لدرجة أنني في كثير من الأحيان كان ينتابني شعور بأنني بمفردي هنا..إلى أن يخرجني من شرودي حركة ما تصدر من أحد الجوانب..ثم أعود لأغرق فيه...

و بعد عدة دقائق..وجدتُ نفسي عاجزة تماماً عن الانتظار أكثر..فأمسكت بذلك الدفتر الوحيد الذي كان فوق الطاولة أمامي..لأدسه في حركة سريعة نافذة الصبر في حقيبتي..و أقف متجهة إلى الباب متجاهلة نظرات الطلاب التي توجهت إليّ أغلبها بدافع الفضول..بما فهم الأستاذ الذي لم يعلق بكلمة واحدة سوى من نظرة جانبية عابرة أكمل بعدها فلسفته..فهو حتى لو أراد لا يملك الحق في إيقافني عن رغبتى في الخروج !

خرجتُ بسرعة أتسابق مع الرياح التي تدافعت بقوة مطيرة خصلات شعري عشوائياً لكل مكان..و لم أستطع أن أصمد أكثر فتوقفت بجانب مقعد خشبي كان قد توسط الحديقة الملاصقة للجامعة..

جلستُ هناك لأفتح الظرف بسرعة ثم الرسالة هامة بقراءة ما تحتويه.....
" سحى..أو...حبيبتي سحى !..أنا أعلم بأنني ربما لم أعد أملك الحق في قولها..لكن من أنا لأقاوم هذه الرغبة في نطقها بها لمرة أخيرة ؟!

أنا لن أكذب..و لن أجامل و أقول بأنني كنت لأمسك بيدك في ذلك اليوم لو عاد بي الزمن للوراء !..أو أنني كنت لأقف أمام ابن خالتك ذلك اليوم عازماً على تحريرك منه حتى لو كان الثمن حياتي...

لأنني ببساطة لو عدتُ بالزمان لكنت ردة فعلي مشابهة و دائماً ستكون مشابهة..
هل تعلمين لما ؟!! لأنني شخص جبان !! و مأل كل جبان أن يصادق الوحدة في النهاية !!!
لكنني سأعترف حتماً بأنني لو استطعتُ إرجاع الزمن للوراء كنت لأبتعد عن طريقك منذ البداية..كنت لأصنع ألف حاجز بيني وبينك..كنت لأتركك لحياتك الهانئة و أتعايش مع مشاعري مهما كانت بعيداً عنك...

كنتُ لأؤمن و أصدق بأنني و أنتِ لا يمكن أن تجمع بيننا أيُّ علاقة سوى أن نكون غرباء تمامًا
! أو كنت ببساطة لأقف أمام عائلتكِ مصرحًا بحُبي قبل أن يحدث كل ذلك !!!

حبيبتي سجي !..قبل يومين مات أبي بين ذراعاي..مات و هو ينظر إلى عيني و يرجح كل
مسؤولية عائلتي إلي..مات مفكرًا بأنه تركَ رجلًا خلفه..

لكني في الحقيقة لستُ إلّا سرابًا مُخلّفًا من علاقة لم أَمْنَح فيها إلّا الأذى و الخذلان !!
في ذلك اليوم بعد وفاة أبي..كان طيفك هو الشيء الوحيد الذي مرَّ أمامي..في أحلك لحظاتي و
أصعبها كان خيال ابتسامتك هو مصدر مواساتي الوحيدة..

كلماتك المُشجعة بثت في قلبي كل الأمل..و من قوتك التي عهدتها طويلًا استمديتُ جزءًا من
صمودي أمام ما تبقى من عائلتي الصغيرة..

حينها تيقنتُ تمامًا بأن ذلك الجزء الذي ظننته تلاشى من حياتي لم و لن يتلاشى !
و قبل أن أنام..استعاد عقلي ذلك اليوم..و لا تتخيلين كم شعرتُ بالاشمئزاز من نفسي للمرة
الألف على فعلتي..لكن عزائي الوحيد كان إدراكي التام بأنني لم أكن أستحقك.. أنا بالفعل لم
أستحقك يومًا !

لكني رغم ذلك لن أعتذر منك..هل تعلمين لما ؟!..لأنني لو استجمعتُ كل كلمات الاعتذار
المستهلكة في العالم فلن تكون كافية أبدًا..

لكني سأعتذر حتمًا من نفسي..سأعتذر منها على جنبها و على تردّدها..سأعتذر على غياب
رجل قابلك..و أحبك...و سمح لنفسه بأن يفقدك !
حبيبتي سجي !..

حينما تقرئين رسالتي هذه سأكون قد ابتعدت بما فيه الكفاية عنك..أنا لم أستلم عمل أبي في
المتجر..بل قمتُ ببيع المتجر و سافرت إلى مدينة أخرى مع أسرتي !
سافرتُ رغبة في إعفاءك من مقابلة رجل بمثل سفالتي و لو بالصدفة يومًا..رحلت لأترك لك
المجال في إتمام حياتك كما تستحقين..

مع الشخص الذي تستحقين..الذي سيحبك بالفعل..و سيداويك كما لم أكن لأفعل حتى لو
أمسكت بيدك ذلك اليوم...و أنا أثق بأنك ستقابلين هذا الشخص مهما طال بك الصبر !
حبيبتي سجي...ثقي بأن اسمك سيعيش دائمًا في قلبي..و ربما قد أحكي يومًا ما لأبنائي عن فتاة
كنت أعرفها في الماضي..

فتاة أخذت من طهارة الملائكة جل الطهارة..و من رقة النسيم كل الرقة..و من ضوء الشمس كل النور..فتاة أحببتها.....لكنني لم أستحقها !!! "

كانت عيناى تمران على كل تلك السطور بدقة شديدة..رغم تشوشهما بدموعي التي لم تتوقف أبداً..إلا أنني لم أغفل حرفاً واحداً..بل الأحرى أنني تخيلت وجهه في كل كلمة..
و لم أكن أدركُ فعلاً بأنني كنتُ قد بدأتُ أبكِ بالفعل إلا حينما انتهيت من قراءة هذه الرسالة التي بدت طويلة و قصيرة في نفس الآن..

طويلة بحيث استنزفت كل طاقتي في قراءتها..و قصيرة لأنها انتهت قبل أن أتمكن من استيعاب كل كلماتها تماماً !

لكنني استوعبتُ شيئاً واحداً..أن كل ذلك الحُب الذي كان يجمعني بصاحب هذه الرسالة يوماً..كل تلك المشاعر التي كننتها له من قلبي في الماضي..تلاشت تماماً...
الآن حينما يمرُّ في عقلي وجهه أو صوته لا أشعر إلا ببرودٍ غريب..لا ألم..لا حزن..لا ندم و لا حسرة..لأنني لو كنت سأتحسر على شيءٍ بالفعل فسيكون على ذلك الوقت الذي أضعته من حياتي معه..على سلامي و حُرِّي التي أردت بسببه !!

سأتحسر على انجرافي الغبي في هواه..و ثقتي العمياء برجلٍ لم يكن لي منذ البداية..و لم يستحقني كما قال !

و لن أتحسر على فقدانه..لأنني سأعتبر كل ذكرياتي معه منذ الآن مثل صفحة و انزوت بين أرفف النسيان..

سأعتبره مجرد صديق عابرٍ مرَّ في حياتي ليلقني درساً فاصلاً و يرحل !
لكن ليس قبل أن أسمح لعيناى بتوديعه بأفضل طريقة..بأن أسمح لتلك الشبهات التي اختزنتها ذلك اليوم أمامه بأن تتحرَّر الآن بدون قيود...و سأبكِ للمرة الأخيرة لأجله !
بعد أن أمنحه السلام الذي يتمناه بمسامحتي له..ليس لأنه يستحقه..بل لأنني أنا أستحق أن أكمل ما تبقى من حياتي بسلام !!

لذا و دون أن أفكر أو أشعر كنتُ أرفع يداى المرتعشتان لأبث تلك السطور بعضاً من دموعي..عازمة أن أمنحني و أمنحه الخلاص الآن..لكنني و قبل أن أمزقها بنية تمزيق كل الماضي معها...

شعرتُ بأنامل حانية تحطُّ على كتفي..فانتفضت بقوة رغم أنني داخلياً كنت قد أدركتُ لمن تكون..لكن دهشتي آنذاك جعلتني ألتفت بسرعة لأقابل لؤي بعينين مجفلتين مغرقتين بالعبرات..

_لم أستطع أن أذهب و أتركك بمفردك !

همس لي بصوته الحنون الدافئ الذي تخللته مشاعر عجز واضحة..لكن عينيه سرعان ما اتسعتا قليلاً مع انعقاد حاجبيه و هو ينقلهما بين ملامحي المحتقنة بالدموع..
لكنه لم يكد يفتح فمه ليكون جملة يستفسر بها عن حالتي هذه..حتى كنتُ أسبقه أنا هامسة
من بين أنفاسي اللاهثة ؛

_لؤي !!!!

وقفتُ بعدها بسرعة لأقترب منه ناظرة له بعينين متسعيتين كشخصٍ وجد ملاذه أخيراً..كمن أمضى كل حياته تائهاً قبل أن يرسو في النهاية على وجهة محدّدة..و قد كانت وجهتي أنا هي.....لؤي !
كانت نظراتي مفضوحة المعاني رغم شحوبها و غرابتها..لكنني رغم ذلك وجدتُ ذلك القلق الذي ألفته يملأ عينيه..بينما امتدت يده إليّ لتلتقط دمعة كانت توشكُ على ملامسة خدي و همس
بتشوش شديد و قلقٍ شديد ؛

_ما...ما ال.....

_أنا بخير...كل شيء.....مرّ بخير !

قاطعته بصوتي المختنق قليلاً..قبل أن أبتلع ريتي ببطء..لأرسم ابتسامة بدت واهنة جداً أمام عينيه..همستُ بعدها كشخصٍ خرج من مصحة المجانين للتو..فما سأقوله حتماً هو على النقيض
تماماً ممّا توضحه ملامحي !

_لقد...نجحت..لقد نجحنا سوياً..أنا...تخطيتُ تلك النقطة..أنا...نجحت..لقد نجحت يا
لؤي..أنا.....

لم أستطع أن أكمل كلماتي المبعثرة تلك فقد قاطعني لؤي فجأة و هو يجذبني بين ذراعيه..مخفياً رأسي بين ثنايا صدره..و مغرقاً وجهه بين وديان شعري..
و كانت النتيجة أن انفتحت يدي على تلك الرسالة التي كنت أعتصرها قبل لحظاتٍ..لأتركها تسقط فوق الأرض كريشة حرة..إلى أن حطت فوق الأرض برقعة شديدة..
تاركة كامل الصلاحية ليدي أن تستقبلان برحابة هذا الأمان الذي استحقته..مع الرجل الذي يستحقني و.....أستحقه !!!

لكنني لم ألبث أن رفعت أبصاري لأنظر لتلك السماء التي حجبت ضوءها غيوم قاتمة تشكلت في كل مكان..و كأنما كل الكون تواطءٌ معي في هذه اللحظة رغبة في تخليدها..

فأغمضتُ عيناى باستسلامٍ لتلك القطرات التي سقطت من جوف السماء تمامًا لا

لتبيلني...بل لتحول تلك الرسالة إلى سراب !

و كأنها لم تكتب من الأساس..و كأن صاحبها لم يدخل حياتي يومًا..و كأن تلك الأيام و المشاعر

كانت مجرد هفواتٍ أصلحها القدر !

إلى أن همستُ أخيرًا و أنا أغمض عيناى بهدوءٍ..ذلك السؤال الذي طرأ في عقلي الآن فقط !

هل كنت تعلم ؟!!!

نطقتُ سؤالى هكذا فقط بدونِ مقدمات..و لم أشعر بحاجتى أبدًا لتوضيح مقصدي

أكثر..فأنا و هو قد تخطينا هذه المرحلة منذ زمن...بحيث أصبح يستطيع أن يقتحم كل أسراري بقلبه

فقط !

و كما توقعْتُ تمامًا فقد سمعته يهمس لي بصديق تام ؛

_أجل !

قبل أن أبتعد قليلًا لأنظر لوجهه..و همستُ غير عابئة بتدهور الطقس من حولنا و لا

بقطراتِ المطر التي كانت تغسل قلبي قبل أن تبلل ثيابي و شعري ؛

لماذا لم تخبرني ؟!!!

تلك النظرة التي تسللت إلى عينيه بعد طرحي لهذا السؤال بالضبط جعلت من حاجبائي

ينعقدان قليلًا باستغراب...

قبل أن تمتد يداه لتعززان من شعوري و تحاوطان وجهي برفقٍ..لكن هذه المرة لمستته كانت

مختلفة..لم تكن بدافع تلقيني درسًا مهمًا حول أهمية حياتي..و لا بغاية تهدئتي من نوبة هذيان أو بكاء

هستيري..و لا لمواساتي أو تشجيعي..

بل كانت لأنه أراد فقط..لأنه يستطيع فعل ذلك بالطبع..و لأنني لم أمانع..

و لم أكن لأمانع !

ثم همس و هو ينظر في عيناى بحزم..قال ما جعل الدماء تتكتل في عروقي فجأة ؛

_لأنني لا أريد لاسمه أن يذكر مجددًا -بيننا- !

صمت للحظة ثم أضاف بصوتٍ شبه مشتدٍ كشخصٍ يكتم غيظه بصُعوبة ؛

_لأنني في كل مرة أسمع اسمه فيها أشعر بطاقة هائلة تأمرني بالذهاب إليه في أي مكان قد

يكون فيه و تحطيم أسنانه !

هز رأسه قليلًا بالنفي و هو يسترسل بخفوتٍ مُعذب ؛

_و أنا لا أريد أن أنجرف لتلك الطاقة..لا أريد أن أكون ذلك الشخص..لا يمكنني أن أنصب نفسي أمرًا ناهيًا على البشر..و لا أن أعاقب إنسانًا على قرار هو له كامل الحرية في اتخاذه..أنا لم أكن هكذا يومًا...هل تفهميني؟؟

اختلج قلبي بذلك الحزن و العجز الذي غلفَ حدقتيه..و لم أشعر بنفسي إلا و أنا أومأ له إيجابًا بدون أن ألفظ حرفًا واحدًا..لكنني لم أستطع أن لا أهمس بعد لحظة واحدة ؛
_إنه...نادم بالفعل..لقد ترك لي رسالة اعتذار طويلة...جداً !

و مع نهاية جمليتي..انعقد حاجباه بشدة و احدثت عيناه ببعض الانفعال و قال بدون تردد ؛
_أين هي ؟!!!!..

ثم قال يستدرك موقفه بسرعة ؛

_أقصد هل.....هل سامحته ؟!!!

طرفت بعيناي و أنا أرى ذلك القلق المشوب بخوفٍ غريبٍ ظهر في عينيه..هل هو خائف من إجابتي بالفعل ؟! أم أنه خائف من ما قد تخلفه إجابتي من أثر عليه...و علينا !
بقيت أنظر له بتدقيق و كأنني أحاول اقتحام نظرتة تلك و تحليلها بالطريقة التي أريد..و لم أظن بأن أفكاري تلك كانت قد تشكلت على شكل نظرة غامضة استفحلت ملامحي..كلها شيء يشبه ابتسامة لم أدري إذا كان قد لمحها أو لا لكنني استشعرتها داخليًا..لقد كان شبح ابتسامة تعجبٍ و إدراكٍ جديد... !

طال بعدها صمتي إلى درجة جعلت من حاجبيه ينعقدان أكثر..بينما ذلك الخوف تضاعف في عينيه..إلى أن قلتُ بصوتٍ خافتٍ جدًا..معبر !
_لقد سامحت.....نفسي !

لكن مشاعره تلك لم تنقشع من حدقتيه رغم الدهشة التي برزت بداخلهما..بل فتح فمه يهم بقول شيء ما..لولا أن قاطعته بأن رفعتُ يدي أنا هذه المرة لألمس ذقنه..و قلتُ بتعقل ؛
_ألم نتفق على أن لا نسمح لاسمه بالمرور بيننا مجددًا ؟!!

هذا السؤال الخافت الواضح المعاني تمامًا جعل من عينيه تتسعان قليلًا جدًا في حركة غير مرئية تقريبًا..

و كأنني لم أكرّر جملة هو من قالها قبل لحظات...

بل و كأنني زرعْتُ وردة في قلبه..و كأنني أنبتُ له أملاً جديداً..و كأنني استبدلتُ مخاوفه
بطمأنينة لذيذة..و كأنني اختصرتُ كل تلك الأفكار التي حاصرت عقلي و أنا أقرأ رسالة أشرف في هذه
الجملة !!

إلى أن طرف بعينه فجأة لعدة مراتٍ و هو يرفع رأسه لينظر للسماء التي كانت قد جفت
تماماً مخلفة بعض القطرات التي ستتلاشى بعد لحظاتٍ هي الأخرى..
و قال بذعر و هو يرفع يده ليحاوط وجهي ملامساً خصلات شعري التي تبللتُ معظمها..و كأنه
لم يستوعب إلا الآن بأننا كنا نقف طوال هذه الدقائق تحت المطر !!
_يا إلهي..لقد تبللتُ تماماً..أنا آسف...لم.....
_أنا بخير !!

قاطعته برصانة غير قادرة على منع ابتسامة ضعيفة خائنة من ملامسة شفاتي..بينما عقلي
ضجّ بأفكار مشتتة مختلفة...

إنها المرة الأولى التي أبتسم فيها حقاً بدون أن أقصد ذلك بعد زمن..بل كان أن شعرت
بالابتسامة هي من تستدرجني لأحررها !..

المرة الأولى التي تنتابني مثل هذه المشاعر الغريبة...نحو لؤي !
بينما ارتفع حاجبا لؤي قليلاً بدهشة و هو ينقلهما بين عيناى و كأنه لمح ابتسامتي تلك
بالفعل..لكن تلك الدهشة لم تستغرق سوى ثانية واحدة..
لم يلبث بعدها أن زفر أنفاسه المتعبه ليقترّب منى مغمض العينين إلى أن استند بجهته فوق
جبهتي لمجرد لحظة خاطفة !

و كعادته لم يولي أيّ اهتمام لنفسه..بل ارتفعت يده تزامناً مع ابتعاده لتعيد خصلات شعره
القصيرة الناعمة إلى الوراء..قبل أن تمتد نفس اليد لتمسك بيدي بشدة أثناء قوله ؛
_دعينا نذهب بسرعة قبل أن يسوء الطقس أكثر و تمرضين !
و كالعادة استسلمتُ تماماً لأسريده..كما استسلمت عيناى لرغبة أنانية في رمق تلك الرسالة
بنظرة أخيرة..نظرة خلت من كل المشاعر.....إلا الهدوء...و السلام !

#الكاتبة

على متن تلك الطائرة..كان يجلس بأناقته المهلكة..تلك الأناقة الخادعة التي تحجب وحشاً
همجياً كاسحاً خلفها..يجلس في أحد الكراسي الفارهة بدرجة رجال الأعمال..وبجانبه تجلس تلك
الفتاة التي يطلق عليها "سكرتيرته الخاصة" ..

ساعات أخرى أمضاها في هدوء..يتأمل الأفق بعينيه الشبهيتين بعيونٍ ذئبٍ جائعٍ..
نعم..هو كان جائعاً لرؤيتها مجدداً..بعد كل هذه الفترة التي قضاها في بلادٍ غريبة انصياً
لوالده..ها هو ذا يعود بدون إذنٍ من والده حتى !
كانت أيامه هناك رتيبة..ملينة بالملل..قابل كل أصناف الفتيات و لكن و لا واحدة..و لا واحدة
منهن استطاعت أن تنسيه إياها و لو للحظة..
و لا حتى هذه الغيبة التي تجلس بجانبه !

صورتها كانت تتراءى له في وجه كل فتاة جديدة..ليشعر في كل مرة بانتصار مؤقتٍ سرعان ما
ينقلب إلى خسارة كاسحة حينما يستفيق على الواقع الصريح..
و يكتشف بأنه محض حلم و تلك الفتاة الفاسقة بجانبه ليست هي !!..
سمع نداء الطائرة للركاب بالنزول بعد توقف الطائرة في وجهتها المحددة..فوقف ليغادر تاركاً
سكرتيرته تتولى مهمة إحضار حقائبه و اللحاق به..

قال ما إن لمحها و هي تقترب منه راكضة بينما تجر حقيبته بصعوبة ورائها ؛
_ لا تنسي..هذه الرحلة ستبقى سرية..لا أريد لأيٍّ أحدٍ أن يعرف بأني عدت.....و لا أيُّ أحد !
أومأت له الفتاة فوراً بطاعة..قبل أن تقول بصوتها المتملق بميوعة ؛
_ لقد أمرتهم بأن يستقبلونك بالسيارة أمام باب المحطة..لا بدَّ أنها هناك !
منحها شهاب ابتسامة عابثة مغرورة و هو يعقب باستحسانٍ و كأنه يثني على ذكاء قطته
الأليفة ؛

_ جيد !

قبل أن يفتح باب تلك السيارة التي أحضرت لأجله و يصعد في المقعد الخلفي و هي بجانبه..
كان طوال الطريق يراقب بلا هدفٍ حركة الشارع الهادئة...بل بهدفٍ واحدٍ يتراءى أمام عينيه !..
هو يعلم منذ البداية بأن زواجهما ذاك لم يكن سوى تمثيلية بائسة لإبعادها عنه..فسحى و
لؤي لا يمكن أن يجتمعا تحت سقفٍ واحدٍ إلّا و طفت بينهما حواجز الصداقة و الأخوة..
هذا الأمر فقط ما كان يبقيه صامداً طيلة هذه المدة..رغم غيظه بفكرة عيشها معه..و
اقتراابه منها الذي هو أكثر ما كان يفقده أعصابه في الماضي...و لا يزال !..

لكنه سيستعيدها..بطريقة أو بأخرى سيفعل..

حتى لو كان الثمن هو حريتها وكرامتها..هو سيدهس على كبرائها المستفز ذاك و سيحصل

عليها مرة و اثنتين...و ألف !!..

و كما خطَّط دائماً و تمنى سيجعلها زوجته بعد أن ينهي ذلك الرباط الغبي الذي يجمعها

بلؤي !!

_لقد وصلنا.....سيدي !

رفع رأسه لينظر للسائق الذي فتح له الباب باحترام..قبل أن ينزل بلا مبالاة و يتجه إلى منزله

الذي اشتاقه بشدة..و تلك الحمقاء لا تزال تلحق به..

إلى أن دخلا سوياً ليغلق الباب خلفهما..يعلم الله فقط أيَّ مهزلة ستحدث خلف ذلك السجن

الذي كانت أول فتاة تطئه قدماها.....سجى !!..

#الكاتبة

خرج من الحمام يرتدي روبه الأبيض الفاخر.. لينظر إلى تلك الراقدة في سريريه تحت الأغشية بكل راحة.. ولم يستطع أن يكبح شفثيه من أن ترسم تلك الابتسامة السخيفة الساخرة و هو يتأملها للحظات..

قبل أن يرن هاتفها فجأة فانتفضت من نومها.. قبل أن تستقيم بسرعة و تمد يدها لترفع الهاتف في هلع دون حتى أن تنتبه له.. و ما إن رأت الاسم المنير بشاشتها.. حتى كانت ترفع رأسها نحوه لتهمس مبتلعة ريقها باختناق ؛

_إنه.....زوجي !

لم تتغير ملامح شهاب أبداً.. و لم يبدو متأثراً بصوتها الخائف و هو يقول بلا مبالاة ؛
_ أخبريه بأن هناك عمل مهم طراً معك فجأة و أخرجك عن المنزل !
ثم اقترب من الخزانة ليفتح أحد أدراجها.. توقف هناك ينقل أنظاره باهتمام بين ثيابه الغالية.. إلى أن استقر اختياره في النهاية على قميص قطني أسود و بنطال في نفس اللون..
أخرجهما.. ثم التفت يرمق تلك الجالسة هناك لا تزال تحديقها بشحوب بنظرة عابرة لم ينفك بعدها أن اقترب من باب هذه الغرفة التي يستعملها لأول مرة بعد أن كانت خالية كباقي الغرف هنا.. فهو لم يكن ليسمح لأي امرأة بعدها بأن تطأ حدود غرفته..

تلك الغرفة ختمت باسم سجي منذ ذلك اليوم.. و هو مستعد لأن يتركها مغلقة إلى الأبد حتى

على أن يسمح لغيرها بالدخول إليها !!

كان قد غادر مغلقاً الباب خلفه بكل هدوء..

تاركاً خلفه امرأة لم تنفك تنقل عينها بين الباب و هاتفها بارتجاف.. تمكنت بصعوبة بالغة من أن تتمالك نفسها لتفتح الخط و ترفع الهاتف إلى أذنها هامسة بخفوت ؛

_نعم !

كان زوجها رجلاً تقليدياً صارماً.. ارتبطت به في زواج مدبر من كلا عائلتهما.. و لحظها السعيد فقد كان من هؤلاء الرجال ذوي العقول المتفتحة قليلاً و الذين يسمحون لزوجاتهم بالعمل..

لكنه رغم ذلك لم يكن منفتحًا بالكامل..أو ربما طبيعة عمله جعلت منه شخصًا متسلطًا
قاسيًا...فهو شرطي !..

كان لا ينفكُ يعدّد أنفاسها حينما تكون بقربه..و يخنقها بأسئلته و تحقيقاته بعد كل مرة
تذهب فيها للعمل و تعود متأخرة و لو حتى بدقيقة واحدة !..
هذا جعلها تزهد فيه و بحياتها معه و تلتمس عاطفة مُحرمة من الخارج..
و كان شهاب من أمن لها كل هذا..ذلك الرجل المخادع الذي حطم حصونها بأكاذيبه الرائعة
الاتقان..

رغم أنه لم يعترف لها من قبل بكونه يشعر بأيّ شيءٍ ناحيتها إلا أنه أشبعها دفنًا و احتوائًا إلى
أن سقطت من أعلى قمة المنطق..و وقعت في حُبّه !..
طبع المرأة المهانة أن تعتكف الغباء..و غباؤها الكبير من دفعها لخيانة زوجها و ملاحقة رجل
كشهاب !!!

خرجت بعد دقائقٍ لتلمحه فورًا و هو يجلس في صالة المنزل يتسلى بتقليب قنوات التلفاز بلا
هدف..فاقتربت تعانق حقيبتها لتهمس بكل لطف ؛
_أنا عليّ العودة للمنزل الآن !

لم يكلف شهاب نفسه عناء النظر لها..قال ببرود و هو مستمر فيما يفعله ؛
_حسنًا..و أطلعيني بالمستجدات فيما يخصّ موضوعنا عبر الهاتف !
بمجرد أن قال جملته تبدلت ملامحها للضيق و هي تقول فورًا ؛
_فقط لأفهم ما الذي يجعلك مصرًا للبحث عنها...لقد تزوجت !
_و أنتِ متزوجة أيضًا !

شحبت ملامحها تمامًا حينما داهمها بهذه الجملة الباردة التي ذكرتها للمرة الألف بحقيقة
وضعها المزري هنا..قبل أن يعيد أنظاره أمامه قائلاً بينما يهز رأسه بسخرية ؛
_و كأن هذا سيحدث فرقًا !

ظلت -يسرا- و اقفة مكانها للحظاتٍ تنظر لجانب وجهه بغيظٍ نال منها..قبل أن تقترب منه
عدة خطواتٍ إلى أن جلست بجانبه لتهمس ؛
_لا تنسى بأنك وعدتني بأنك ستزوج بي ما إن يحين الوقت المناسب !
نظر لها شهاب بنظرة تخالف تمامًا معنى ما سيقوله..و قال بفتور ؛
_و سأفعل !

كانت وعوده هذه هي مصدر قوتها..هي من تدعمها أكثر بعقلها الساذج لأن تستمر بالسير في

هذه الطريق الشائكة..قالت بحذر ؛

هل أطلب الطلاق إذن؟!

الآن ترك شهاب جهاز التحكم في حركة غاضبة و زفر أنفاسه هاتفاً بنفاذ صبر ؛

_هل سنعيد الكلام مرتين؟!..أخبرتكَ سأفعل لكن ليس الآن !

عاد يزفر بقوة و هو يرى ذلك العبوس الذي غزا ملامحها..قبل أن يكمل بهدوء كاذب أجاد

إتقانه ؛

_يجب أن تفهمي الفرق بينكما يا حمقاء..إنها بالنسبة لي مجرد رهان أسعى للفوز به..أما

أنتِ.....أنتِ جائزتي التي لم أتوقع الحصول عليها أبداً في يومٍ من الأيام..فهل أنا أحمق لأتخلى عن

جائزتي في سبيل الحصول على رهان ؟!!!..

شعر بالرضا من نفسه و هو يرى ابتسامتها الغبية تلك..ابتسامتها تثير اشمئزازه..و لولا

رغباته العابثة الدنيئة لألقى بها خارج منزله في أقرب وقتٍ دون أن يبالي..

شخص مثله لا يمكن أن تناسبه امرأة خنوعة مثلها..هو يستحق واحدة مثل سجي.. من تتعبه

و تتحداه..يريد...سجي بنفسها !

اقتربت منه يسرا لتطبع قبلة سريعة فوق وجنته..لتقف بعدها بسرعة و تقول بينما تهم

بالرحيل ؛

_حسنًا..أقنعتني...سأطلعك على كلِّ المستجدات في الهاتف..

ثم خرجت بعدها بينما تسمرت عينا شهاب للحظاتٍ معدودة يحدق في الباب الخشبي المقابل

و الذي كان يخصّ غرفته الأصلية هنا نفسها..تلك التي حدث فيها كل شيء..تلك التي أحضر إليها

سجي و قد قرر منذ ذلك اليوم بأن لا يسمح لأي فتاة بعدها أن تدخل تلك الغرفة..

وجد نفس المشهد المشؤوم الذي ما لبث أن تكرر عدة مراتٍ في ذهنه خلال أشهر يتردّد

اليوم..لكنه فقط..هز رأسه مطبقاً عينيه لثانية من الزمن...

قبل أن يقرّر أن يتراجع بهدوء إلى أن استرخى في مقعده ناظرًا للسقف و أحلامه تتلأل أمام

عينيه لتزيد من تصميمه و رغبته في العثور على مكانيهما..

أين سيختبآن عموماً ؟!!! إنه يعرف كل الأماكن التي يستطيع لأي اللجوء لها..و سيجدهما

حتمًا...اليوم قبل الغد !..

#هادي

أيُّ كلماتٍ قد تصِف مشاعري الآن ؟!!

تلك السعادة النابعة من عينيها..و المنعكسة في عيناى..أناملها الرقيقة المتمسكة بأناملى..
شرودها الجميل في تلك السماء التي أخذت من هدوئها الكثير..وشعرها المُصَفف بعناية غير محترفة
و المنسدل على كتفيها..

إنَّ مجرد تأملها بهذا السحر لهيَ نشوة لا يدركها إلَّا من كان في موقفى !
رغم انزعاجي الضئيل بسبب ذلك الشحوب و الإرهاق الذي ما عاد يفارق ملامحها أبدًا..إلَّا
أنى كلما تذكرت أسبابه أشعر برغبتين على النقيض تمامًا من بعضهما..
الأولى...أن أجذبها إلى ذراعاى بقوة بعد أن أُملى عليها أمرًا صارمًا..أن تقتحم قلبي و تقطن
فيه..هناك حيث لا أذى قد يهدِّد ذلك البريق المشع الذي أراه في عينيها..
و الأخرى هي هذا الجنون الذي ينتابني بحيث بت أنتظر بشدة اليوم الذي ستلتقي عيناى فيه
بنسخة صغيرة تشبهها..لا لأسعد بها..بل لأهتف بهذا العنيد أو العنيدة و أوبخه بشدة على هذا
الإرهاق الذي يسببه لوالدته !

رغم أن وصف والدته يبدو غريبًا جدًّا و مبتذلًا حينما تكون المقصودة شهد !
توقفت السيارة أخيرًا بعد طريق طويل قطعته ببطءٍ متعمد من منزل شهد إلى منزلنا..و حينها
فقط كانت شهد السَّاهمة في أحلامها الخاصة تلتفت إليَّ لتلقي نظرة غير عادية على أناملنا المتشابكة
مع بعضها البعض..و المرتاحة فوق ركبتي..

فشاركتها النظر لوهلة قبل أن أخفِّفَ من ضغطِ أناملى إلى أن حرَّرتها على مضضٍ و تراجلتُ
بسرعة لأدور حول السيارة و أفتح لها الباب كشريكِ حياة نبيل قبل حتى أن تستوعب !
راقبتُ ابتسامتها الخجولة و المخرجة في نفسِ الآن و هي تكتسح شفيتها..لكنها لم تلبث أن
رفعت يدها لتريحها فوق باطن كفى مترجلة من السيارة إلى أن أصبحت و اقفة أمامى..مطرقة برأسها
قليلاً كعادة ترافقها منذ زمنٍ بعيد..

تلك البراءة و الخجل المبالغ به حتى..و الذي يجعلني أرغب في احتضانها في كل لحظة..لكننى
اكتفيت الآن بأن رفعت يدي الحرة لألمس فكها برقة إلى أن جعلتها تنظر لي بعينيها الواسعتين..
تنهيدة قوية زفرتها داخليًا و أنا أتأمل كل تفاصيلها بتركيز موقنًا بأننى مهما فعلت فلن أشبع..و
لن يكفي..خاصة و قد انعكست أشعة الشمس على عينيها لتسلط الضوء على بريقهما الخفى الذي
أحبه...و تزيد من جماليتهما الأسرة في عيناى !

رفعت أناملي قليلاً ببطءٍ لأدعها تستقر فوق وجنتها المتوردة بينما أهمس شاعراً بطاقة هائلة

تحثني على الاستمتاع بدفء ابتسامتها اليوم !

_لديّ مفاجئة لك !

و لم أكد أتم جملي حتى لمحتُ تلكَ التقطيبة التي انعقد بها حاجباها..بينما فغرت شفيتها

قليلاً و كأنها ستسألني السؤال المعتاد في هذه الحالة و تقول " ما هي ؟ "

لكنها بدلاً عن ذلك عادت لتزمهما قليلاً على ابتسامة صغيرة جعلت قلبي يخفق لها..لكنها لم

تبدو كافية لي بعد..فتركت وجنتها لأشبح بأنظاري عنها فجأة لا لشيء..فقط كي أستطيع سحبيها معي

ناحية المنزل الذي يضم مفاجئتي..

عازم تماماً على رؤية الابتسامة التي أهفوا إلى رؤيتها الآن و حالاً !

الحقيقة أن المفاجئة لم تكن تخصها هي بالذات..بل كانت لي حصراً أنا..لكن بما أنني أنا من

فعلت كل ذلك فسأتنحى جانباً قليلاً عن هذا المنصب و أستمتع برؤية ردة فعلها !

أغلقتُ الباب بهدوءٍ لأتجه دون أن أتركَ يدها إلى غرفتنا..و حينها فقط كنت أحرر أناملها..إلى

أن وقفتُ ورائها أقبض على كتفها برفقٍ قبل أن أميل على أذنها هامساً بخفوتٍ شديد ؛

_أغمضي عينيك !

أغلقتُ شهد عينيها بترددٍ..و قد شعرت بتوترها و حماسها من خلال حركات جسدها

فقط..قبل أن أدفع الباب لأتقدم خطوة برفقتها..و أردف مجدداً بنبرة مماثلة للسابقة ؛

_افتحهما الآن !

و فتحتهما بالفعل...

فتحتهما بترقبٍ شديدٍ سرعان ما استحال إلى دهشة بالغة غلفها انهار قوي و هي تنقل عينيها

حول الغرفة..ربما لم يعد يجدر بنا أن نطلق عليها اسم غرفة.....

فقد كانت تبدو كقاعة معرضٍ لا تحتوي إلا على اللوحات الفارهة و الشديدة الجمال بشكلٍ

فاتن !

و قد كانت هذه اللوحات هي صورها التي انتشرت في كل مكانٍ هنا..فوق المنضدة الملاصقة

للسرير..على الحائط الأبيض العريض..فوق السرير..بجانب الساعة المعلقة في جدار آخر.....

كانت نفس الصور التي لطالما التقطتها لها في الحديقة..حينما كنتُ أجلس وراء النافذة

أراقبها كطفلٍ صغير يتأمل القمر البعيد..كلما زادت لهفته إلى لمسه..زاد تيقناً من استحالة ذلك !

دون أن يدركَ بأن كل تلك الحواجز التي كانت تتراءى أمامه هي مجرد أوهامٍ صنعها ربما بنفسه ! و بأن ذلك القمر كان طوال الوقت قريبًا.. لكنه لا يملكُ فقط طريقة للتواصل معه.. !
كانت شهد قد توقفت عن تأملها المذهول لكل الصور.. لتستقر عيناها على واحدة من بينهم.. تلك التي اجتاحت المساحة الأكبر في الغرفة.. و في قلبي !

كانت صورة لنا سوياً... صورتنا الأولى !

تلك الصورة التي لم أدري بالتقاطها حينها فقد كنت متشاغلاً بالفعل بأشياءٍ أهم في يوم زفافنا.. لدرجة أنستني كل المنطق الذي يحتم عليّ التقاط صورة واحدة على الأقل أخلد بها ذلك اليوم الأكثر تميزاً في حياتي !

إلى أن تفاجئتُ برسالة من لؤي يوم الأمس.. حيث أرسلها لي معلقاً تحتها..

" أعذر عن هذا العطب الذي حدث بهاتفني.. لقد كنتُ أعزم على التقاط صورة لسجى.. لكن قدرتي السخيف جعلني ألتقط هذه الصورة لكما بالخطأ.. بما أنني و بدون إهانة لكائك لاحظتُ جلياً بأن حفلة الزفاف البسيطة تفتقد مصوراً فوتوغرافياً.. عموماً لو لم تنل إعجابك تستطيع أن تحذفها من مذكرة هاتفك كما فعلت أنا... لا تحاول أن تتصل بي فقد حذفها بالفعل ! "

وجدتُ نفسي حينها أبتسم مرغماً بئاسٍ و بامتنانٍ في نفس الآن.. و قد تخيل عقلي فوراً تلك اللحظة التي نظرت لي فيها شهد بتوتر يشوبه الكثير من سعادتها..

في تلك اللحظة بالذات التي سبقت توقيعها على عقد زواجنا.. و ما كان مني إلا أن منحتها نظرة لم أكن لأميز كل تلك الأحاسيس بداخلها لولا تجسدها أمامي الآن..

حينها طرأت في عقلي جملة واحدة...

" توقيت جيد يا لؤي ! "

لقد كان بارعاً بالفعل.. و أشكُّ أن الندم كان سيبقى يتأكل بداخلي طيلة حياتي لو لم يلتقط هو هذه الصورة عني..

كانت يداي لا تزالان مستقرتان فوق كتفي شهد.. و لسببٍ ما شعرت بأنها تجمدت تماماً في مكانها.. بعد أن تجاهلت عيناها كل شيءٍ ما عدا تلك الصورة !

و حينما طال بها الصمت أكثر من المتوقع.. كنتُ أنا من أتركُ كتفها لأنحني عليها لأضمها من الخلف محاولاً خصرها بذراعي.. ثم همستُ أتأمل نفس الصورة معها.. همست في جوف أذنها بنبرة ساحرة بددت هذا السكون الذي أحاط بنا..

هل أعجبتك ؟!!!

لم أتفاجئ أبدًا من ردة فعلها التي كانت عبارة عن انتفاضة شعرتُ بها.. قبل أن تطرف بعينيها الدامعتين.. لا تسألوني كيف علمت بأنهما دامتني فهذه هي ردة الفعل الوحيدة التي تبديها شهد على

كل المواقف السعيدة منها و الحزينة !

سمعتُ صوتها يأتي خافتًا.. متحشرجًا قليلًا ؛

_إنها.. إنها جميلة جدًا لكن.....

صمتت فجأة بشكل جعل من حاجبائي ينعقدان قليلًا ترقبًا و اهتمامًا.. دون أن أبتعد عنها.. بل كان أن استشعرت بقلبي يخفق حركة يديها اللتين تمسكتا برقبة بيدي.. كشخصٍ يتشبث بمصدر

أمانه الوحيد ضدَّ كل قسوة العالم !

و رغم ذلك لم أستطع أن لا أسألها بتوجسٍ حانٍ ؛

_لكن ؟!!!!

أغمضتُ عيني و أنا أريح ذقني فوق كتفها لوهلة قصيرة كنت قد يئست فيها من سماع

ردها.. إلى أن قالت أخيرًا بصوتٍ مرتبكٍ.. يشوبه بعض الخجل ؛

_لكن جميع الصور تقريبًا لي فقط.. أقصد.....

صمتت لوهلة أخرى ثم أكملت فجأة بنبرة أقوى من سابقتها ؛

_لما لا توجد صورتك أنت أيضًا ؟!!!

لم أستطع أن أكتفِ ابتسامتي في هذه اللحظة بالذات.. فاستقممتُ في وقفتي قليلًا بقدرٍ سمح

لها بأن تلتفت لي.. و ما إن فعلت كنت أرفع يداي لأحاط وجهها الجميل محددًا بعينيها البراقتين

بينما أهمس بهدوء جاد ؛

_ها أنا ذا أقف أمامكِ بنفسي.. ما حاجتك للصور ؟!!!

لمحتُ ذلك التوتر الذي غزا عينيها بقوة.. بينما انحرفت عيناها قليلًا لتحديق في كل مكانٍ ما

عدا عيني.. قبل أن تسدلها بخجلٍ أكبر و هي ترد ؛

_و أنا أيضًا أمامك و مع ذلك..... صوري في كل مكان !

حسنًا.. إنها وجهة نظر سديدة بالفعل !

لكنني لا أستطيع الاعتراف بصوابها في الحقيقة.. و ربما هذا يعد هوسًا أو تملكًا أو جنونًا

لكنني لا أرى أيَّ ضرورة بالفعل لأن يتمَّ تعليق صوري في كل مكانٍ كصورها..

في نفسي الوقت الذي أوقن تمامًا بأن الغرفة كانت قبل اليوم تشبه كهفًا قاتمًا لم يلامس النور

أطرافه من قبل !..

بقيتُ أنظر لها للحظاتٍ بصمتٍ.. إلى أن رفعت أنظارها هي إليّ بترددٍ.. و حينها قلت أعقد
حاجباي قليلاً متصنعاً بعض الضيق ؛

_هل أفهم من كلامك هذا بأن مفاجئتي لم ترق لك ؟!!!!
لم أكد أكمل جملي حتى كانت عيناها تتسعان بقوة.. ثم لم تلبث أن هزت رأسها بالنفي كردّ
تلقائي سريع.. فقلت أرفع حاجباً واحداً بحذر ؛
_إِذَا ؟!!!!

و لم تتردّد شهد كثيراً و هي تبتلع ريقها لتهمس لي بصديق ؛
_لقد أحببتها لدرجة لا يمكنك أبداً تصورها !
ثم أضافت فوراً و هي تنظر بقلقٍ نسبي لحاجبي الذي لم ينخفض أبداً ؛
_أقسم لك !

هل أخبرتكم من قبل كم أحب ردود فعلها ؟!!!! و كم تخلف براءتها المهلكة هذه في انتقاء كل
كلماتها من آثار في قلبي ؟! لقد أخبرتكم بالفعل !
لكن لا ضرر من إعادتها.. فأنا أشعر بأني عاجز بالفعل عن وصف كل ما يختلجني في كل مرة
ناحيها.. و كأن حُيها لم يزرع في قلبي إلّا ليسد كل الفجوات.. و ينسف من قلبي كل الآفات.. و يلقني
الطريقة المثلى لعيش الحياة !

اقتربتُ منها ببطءٍ لأطبع قبلة حانية طالت جداً فوق جبينها.. و كأنني أقر لها بالفعل بكل ما
يعتريني عبرها.. قبل أن أبتعد قليلاً إلى أن عدت أنظر لوجهها مردفاً ؛
_عندما يأتي طفلنا أو طفلتنا إلى هذا العالم.. سألتقط له الكثير الكثير من الصور و أعلقها
في كل مكان في أجمل غرفة هنا لأجعلها غرفته !
كانت هذه المرة الأولى حرفياً التي أفتح فيها أنا الموضوع بعد المرة الأولى التي أطلعتني فيها على
الخبر.. و قد تفاجئت بشدة و أنا أرى نظرة الاستغراب و السعادة اللامعة التي استفحلت عيني
شهد.. ثم قالت ما جعل من حاجباي يرتفعان دهشة ؛
_حقاً ؟!!!!

قالتها باستنكار و كأنني لا أخاطبها حول موضوع عادي جداً و متوقع في حالتنا.. فضيقتُ
عيناي قليلاً و أنا أجيب بحذر ؛
_و ما الغريب في الأمر ؟!!!!

ارتبكت عينا شهد بشكلٍ واضحٍ أمامي..لكن ليس هذا ما لفت انتباهي..بل ذلك الحزن الذي
لامس عينيها فجأة..لاحقتُ عينيها و هما تنسدلان ببطءٍ إلى أن استقرتا في الأرض..بينما ارتاحت
أناملها فوق بطنها و هي تهمس ؛

_لقد ظننت بأنك لا تهتم به..أقصد.....

رفعت عينيها إليّ لترمقني بنظرة غير مكتملة بينما تكمل ؛

_أنت لم تتكلم عنه من قبل أبداً !

الآن كانت عينايا أنا من تتسعان بصدمة شديدة..كيف يمكنها أن تأخذ مثل هذه الفكرة عني
!!!؟ هل كنت أبدا مستهيناً بالأمر بالفعل ؟!!

أم ربما لشدة اشتياقي لها هي حصراً تناسيتُ أن أمنحها ردة الفعل الطبيعية التي يجب أن

تكون لدى أيّ رجلٍ علم بأنه سيصبح أباً عن قريب !

زفرتُ أنفاسي بإرهاقٍ و أنا أردف بتعقل ؛

_حتى و لو..هذا ليس معناه أنني لست مهتماً به...ألا تدركين مدى سعادتي بكِ !

عادت شهد لتنظر لي بطريقة جعلتني أراجع قليلاً و أشكُ فيما تفوهت به..و لم أكد

أستوعب حتى كان لساني ينجرف مبرّراً تلقائياً ؛

_و به بالطبع !

لكن نظراتها لم تتغير..بل شعرتُ و كأني لأول مرة محاصراً أمامها و مرتبكاً..فقد كانت عيناها

شبه جامدتين رغم هدوءهما..

و حاجباها لم ينفكا عن الارتفاع و كأنها لا ترغب في تصديقي بالفعل..فقلت مندفعاً و أنا

أدقق النظر بعينيها باستنكار ؛

_ألا تصدقينني ؟!!!

و نفس التعابير التي جعلتني أزفر راسماً ابتسامة خالية من المرح..همستُ بعدها باستسلام

؛

_حسنًا...أنا أعترف بأن سعادتي بعودتكِ لأحضاني أنستني كل العالم..لكن هذا لا يعني بأنني لا

أحبه..هذا الطفل منكِ !!!!

ما إن أنهيتُ جملي..حتى أدركتُ بأنها كانت محقة بالفعل..لما كان عليّ أن أربط كل شيءٍ بها..و

كأن كل سبل السلام في حياتي تنتهي بها..لما لم أكتفي بكلمة " طفلي " بدلاً من " هذا الطفل منكِ " !

لكنها تداركت الأمر و هي تزم شفرتها قليلاً كطفلة صغيرة تخشى من التذمر و هي تردف بنبرة

لطيفة رغم كل شيء ؛

_ هذا الطفل.....طفلك !

و لم أفكر كثيرًا و أنا أجيب ؛

_ بالطبع هو كذلك !

قبل أن أستجمع أنفاسي لأهمس مجددًا برفقٍ هذه المرة بدون أن أترك وجهها ؛

_ لكن أمه أولى بي منه..لذا مهما أحببته فلن يكون بقدر حبي لك !

صمتُ للحظة ثم عدتُ أهمس ببطءٍ و أنا أحرّز إحدى يداي لأريحها فوق بطنها..و قد تهيا لي

ربما بأنني شعرت بانتفاخ بسيطٍ يدل على وجوده هنا.. بيننا !

_ هل تفهماني سويًا ؟!!!

لكنها لم تمنحني أيَّ ردِّ فعل..باستثناء ذلك البريق الذي زاد لمعانًا في عينيها..و كأنها تسمع هذه

الكلمات لأول مرة مني..بل إنها أول مرة بالفعل !

قبل أن تمتد نفس اليد لتحاوطها هي بالكامل الآن مقربة إياها من صدري..و ما هي إلّا

لحظتان..حتى شعرتُ بذراعيها تلتفان من حول عنقي بقوة...

بعد أن استطالت تلك القصيرة على أطراف أصابعها !

حينها تيقنتُ بأن المقولة التي تفيد بأن القمر هو شيءٌ بعيد المنال خاطئة..فها أنا ذا أعانق

قمري بعد ليالٍ طويلة أظنت قلبي شوقًا إلى ملمسه !

#لؤي

كنتُ قد خرجت من الحمام للتو..بعد أن اغتسلتُ و غيرت ثيابي في نية الإتجاه للمطبخ

لإعداد طعام الإفطار..لكنني توقفت و أنا أسمع صوت رنين هاتفي الملقى فوق السرير بإهمالٍ..

اقتربتُ قليلًا لألقي نظرة عليه و كما توقعت كان اتصالًا جديدًا من أبي..رغم أنني لا أرد عليه

إلّا نادرًا..

و لأكثر من مرة أخبرته بأنني لا أرغب في العودة للعمل معه..خاصة في هذه الفترة التي لا تزال

سعى تحتاجني فيها إلّا أنه لا ينفكُ عن الإتصال بي في كل حين !

زفرتُ بقوة و أنا أرفع الهاتف قليلًا بين يدي..مترددًا ما بين أن أجيب أو أتجاهله تمامًا كما

أصبحت أفعل هذه الأيام..و هذا ما فعلته بالضبط...

زفرت أنفاسي بتعب و أنا أعود لألقي بالهاتف في نفس المكان..قبل أن أضع تلك المنشفة التي كانت لا تزال تقبع بين يدي بعد أن جففت بها شعري فوق المنضدة عشوائيًا فلا رغبة لي في ترتيب أي شيء في هذه اللحظة..

فتحتُ الباب بعدها و خرجت متجولًا في المنزل الذي كما العادة بدا فارغًا و كأنني أعيش بمفردي هنا..كنت سأتجه للمطبخ من فوري..لكن فضولًا قاتلاً دافعه اهتمامي دفعني لأن أتجه إلى غرفة سجي أولًا رغبة في التأكد من وجودها بالداخل..

لكن مسامعي لم تلتقط أيَّ جوابٍ بعد عدة طرقاتٍ خافتة فوق الباب..فأمسكتُ بالمقبض لأدفع الباب و أقابل السرير المرتب و الخالي منها..تهددت مطولًا و أنا أقترّب من الحمام هاتفًا بخفوتٍ ؛ _سجي..هل أنتِ هنا ؟!!!

و نفس الصّمت فدفعتُ الباب بتردد لأجد المكان فارغًا كحال الغرفة..و رغم أن وضع سجي أصبح أفضل بكثير عن قبل إلّا أن ذلك القلق و الخوف الذي أكنه في قلبي لا يزال كما هو..حيث لا أستطيع الشعور بالراحة أبدًا إلا حينما تكون أمامي !..

خرجتُ من الغرفة لأفتح الشرفة باحثًا عنها..لكنني توقفت بدلًا عن ذلك أمام تلك الطاولة التي امتلأت بكل أصناف المأكولات الصباحية الشهية..

ارتفع حاجباي قليلًا و عينايا تمران على كل ما تحتويه بدهشة تغلفها حيرة قوية.. فليس من عادة سجي أن تجهز كل هذا !

كما أنني غالبًا ما أستيقظ قبلها و حتى لو فعلتُ هي أجدها لا تزال منهكة في المطبخ محاولة أن تجهز أيَّ شيء بمهارتها المتواضعة نسبيًا من أجلي !

لكن أين ذهبت هي الآن بعد أن جهزت كل هذا ؟!!!

تساءلتُ بداخلي و أنا ألقى نظرة شاملة حولي..لتلك الحديقة الظاهرة من مكاني و التي اعتادت أن تجلس في كراسيها سجي في كثير من الأحيان..

و ذلك الجو الصغير القريب من المسبح..لكنها لم تكن في أيِّ مكانٍ ممّا جعل ذلك القلق بداخلي يتزايد أضعافًا..

خرجتُ من الشرفة بسرعة ثم من المنزل بأكمله باحثًا عنها..إلى أن توقفت فجأة و أنا أراها في الساحة الخلفية للمزرعة..حيث كانت عبارة عن مساحة كبيرة مسطحة لم يتم استغلالها بأي شكل من الأشكال..

كانت تجلس القرفصاء بينما يدها ممتدة أمامها بشيء ما ربما.. وهذا فقط ما استطعتُ أن أميزه و أنا أقف خلفها على بعد أمتار معدودة..

طرفتُ بعيناي قليلاً و أنا أقترّب منها أكثر.. إلى أن توقفت بجانبها أنظر بتفاجئ لذلك التجمع الصغير من العصافير التي انتشرت حولها..

بينما كانت سحى تبدو منسجمة تماماً و هي تلقي بحبوب الذرة أمامهم ليتنافس عليها جميعهم في ترتيب مُهمش..

لوهلة وجدتُ نفسي أتسمر تماماً.. شاعراً برجفة لذيدة من الدهول و الانبهار تلامس قلبي.. خاصة و أنا أنظر لملامحها الجميلة و التي بدت اليوم هادئة أكثر من أي مرة رأيتها فيها.. لحظاتٍ أخرى اغتنمتها في تأملها.. قبل أن أتحامل على قلبي الذي يأمرني بأن أستمر بمرأيتها فقط دون تبديد جمالية هذا المشهد الذي يأسر العيان جميعها.. لكن لا عيون أخرى هنا سواي.. و هذا من حظي السعيد بالفعل !!.. لأهمس منادياً بخفوتٍ ؛

_سحى !!!!

حينها فقط كانت سحى تلتفت نحوي بسرعة.. و تسمرت عيناها للحظة سريعة قبل أن تقف ناظرة لي ببعض الإندهاش..

إلى أن همستُ أنا بينما أنقل أنظاري بين وجهها الأسر و تلك العصافير التي ما انفكت تغرد بأصواتٍ تبعث على الأمل !

_لقد كنت أبحث عنك !

لم تخلو نبرتي من القلق رغم كل شيء.. لكن سعادتي اليوم كانت تفوق قلقي و أنا أرى عيني سحى تنتقلان مني إلى العصافير.. و شردت هناك لوهلة.. إلا أنني قلت أقطع تلك اللحظة الصامتة بصوتٍ خافتٍ هادئ ؛

_لماذا لم توقظيني ؟!..

رفعت سحى نظراتها إليّ دون أن يتبدد هدوئها الجميل أبداً.. فقلتُ مجدداً أتدارك موقعي ؛

_أقصد.. متى استيقظت ؟!!!!

فغرت شفتاي قليلاً على نفسي لاهت و أنا أراقب ذلك الإهتزاز الطفيف بطرف

شفتيها.. مشكّلة ابتسامة صغيرة جداً.. و كأنها لم تسمح لها بالبروز إلا رغبة في تعذيبي ببطءٍ

شديد.. عالمة بأنني في كل مرة أرى ابتسامتها و غمازتها...

أشعر بأنها مرتي الأولى بعد زمن طويل !..

ثم همست بصوتٍ عميقٍ جدًا و هي تعيد أنظارها إلى نفس النقطة..متأملة ذلك التجمع

اللطيف كشخصٍ يتابع شريط مستقبله المزهر !

_لم أكن أدري قبل اليوم أنني أعشق العصفير إلى هذا الحد !

ارتفع حاجبائي قليلاً بدهشة مغلقة بحيرة رافقت عينايا..لكن سجي لم تلبث أن أكملت بنفسِ

نبرتها دون أن تنظر لي ؛

_إلى أن أدركت بأنني أشبههم !

كانت قد التقت عيناها بعينايا المشتتين في آخر كلمة قالتها..فابتلعتُ ريتي ببطءٍ و أنا أرى

تلك الابتسامة تشحب قليلاً لا حزنًا..بل كانت نظراتها أعمق من ذلك بكثير..

يكاد لون الزيتون أن يتألق في عينيها ليستحيل إلى بركة صافية لا تموجات أو رتوش فيها..بينما

انفرجت شفاتها لتتم سيل كلماتها بشرود أكبر ؛

_جميعنا حينما كنا أطفالاً..كنا نعشق ملاحقة العصفير و الإمساك بها..و سجنها حتى..كان

ذلك يشبه نشوة خاصة نحتفي بها..أنك و برغم كل شيء تمتلك دهاءً مميزاً و سرعة عالية خولت لك

سجن كيانٍ و الحصول عليه !

هزت رأسها قليلاً في حركة شبه مرئية و هي تسترسل ناظرة لي بثباتٍ تعجبتُ منه ؛

_متجاهلين تمامًا حقيقة بأن كل كائن خلق في هذا العالم..خلقت معه ميزته الخاصة..و أكبر

ميزة لديهم كانت أنهم لم يخلقوا إلّا ليكونوا أحراراً..ليرفروا بعيداً مضيفين إلى سمائنا الخاوية أفضل

الألوان و الأشكال..و إلّا ما المغزى من أجنحتهم ؟!

لم تكذ تنهي جملتها حتى كنتُ أرفع رأسي لأنظر لتلك العصفير التي حلقت بعيداً بعد أن

أشبع جوعها..و كأنها تؤكد على كلام سجي بالفعل...بل و كأنها كانت تسمع و تستوعب ما تقوله !

نظرتُ لسجي التي عادت ابتسامتها لتتألق بشكلٍ غريب فوق شفتها..بينما هي استمرت تنظر

للسماء أثناء استرسالها بصوتها العذب الناعم ؛

_الآن أنا فقط أشعر بأنني مثلهم..أشعر بأنني حمامة حرة طليقة..حمامة اختبرت معنى

الحرية طويلاً..لكنها لم تدرك قيمتها الحقيقية إلّا بعد أن تم انتزاعها منها عنوة..

صمتت للحظاتٍ قبل أن تلتفت إليَّ ببطءٍ لتمنحني أغرب نظرة رأيتها منها و هي تسترسل ؛

_لكن القدر كان حليماً بها بحيث ما إن ظنت بأنها فقدت قدرتها على الطيران..حتى فاجئها بأن

أرسل لها جناحين جديدين على هيئة.....إنسان !

شعرتُ بغباء قوي يداهمني في هذه اللحظة..بحيث بقيت صامتاً أدق النظر بها بعينين
متسعيتين قليلاً و حاجب شبه مرتفع..لكن هل تعلمون ما الذي جعلني أتسمر مشدوهاً بكلماتها و
بها..كانت عيناها.....

عيناها اللتان لم ترتجفا اليوم و لم تتذبذب النظرة بهما..بل كانت تحديق بي بعمقٍ شديد..و
ربما هذه المرة الأولى التي ننظر لبعضنا فيها بهذا التركيز !..
قبل أن تستأنف هامسة بما جعل من قلبي المأخوذ لها يفقد المتبقي من صوابه و تركيزه
اليوم..

_على...هيئتكَ أنت !..لقد كنتُ قبلكَ مجرد حمامة خائفة القوى..أنت من حفزتي على
الطيران !

يا إلهي..هل ما أعيشه حقيقي بالفعل !
لا بد أنه محض حلم..حلم جميل جداً..و إلا هل كانت سجي لتقول مثل هذه الكلمات لي حتى
في الحلم نفسه !..
تضاعف ذلك الغباء بوجهي..و تجمدتُ أكثر مكاني و كأنها صفعتني بقوة..بل و كأنها دفعتني في
غاية إغراقي في نهر سحيق الارتفاع..
لكنني بدلاً من الوقوع و الموت..وجدتني أسترخي بداخله باستسلام..أغرق في تفاصيله الناعمة
و المريحة..أغمض عينايا بخضوع كشخصٍ وجد المنفى بعد أمدٍ طويل من التشرد و الضياع !
لم أستطع أن أجيها أبداً و أنا أشعر بعقلي يتوقف عن العمل لوهلة..و ما إن فتحتُ فهي
محاولاً انتقاء الكلمات للرد..وجدت نفسي أقول فجأة مغيراً كل منحنى الموضوع بغباءٍ شديد..و توتر
أشد !

_أنا...أنا كنتُ أريد أن أسألكِ عن...عن إمكانية خروجنا اليوم !
زفرتُ أنفاسي كشخصٍ يعاني صعوبة في التقاطها و أنا أردف ؛
_ربما نتناول طعام الغداء في الخارج.....ما...رأيكِ !!؟
نطقْتُ سُؤالي الأخير بنبرة تردّد بينما أرسم ابتسامة عريضة فوق شففتاي..بعد أن نجحت
بمهارة في تجاهل كلماتها السابقة..متجنباً إبداء أيّ ردة فعل عليه..لأنني أعلم بأنني لو حاولت الآن
مجرد المحاولة فسينتهي بي الأمر أسجنها هي بين ذراعي في عناق روعي أبدي !

و جوابًا على سؤالي... رأيتُ سحى و هي تزم شفتيها قليلاً بحيرة بانث في عينيها فقط..ثم سرعان
ما كانت تلتفت عني لتتنظر جانبًا سامحة لابتسامتها بأن تتألق بشكل مبهٍر..ثم قالت و عيناها
تستقران في نقطة معينة بعيدة ؛
_دعنا نذهب إلى هناك !
نظرتُ إلى حيث تشير عيناها و يدها في نفس الآن..و قد كانت تقصد ذلك السهل الممتد أمام
مزرعتنا بمساحته الخضراء إلى مستوى ارتفاع متوسطٍ نسبيًا..و لم أكد أستوعب طلبها هذا حتى
سمعت صوتها يرتفع مجددًا بنبرة هادئة للغاية ؛
_لا بد أن مشهد غروب الشمس سيبدو فريدًا جدًّا من هناك !
لم يكن هذا اقتراحًا بقدر ما كانت محاولة أخرى استشعرتها منها لإقناعي بالأمر..ربما بعد أن
مال عقلها إلى فكرة أنني قد أرفض !
ابتسامة أشد اتساعًا من التي قبلها منحتمها لها..و قلتُ غير قادر على مقاومة رغبتى في إمساك
يدها و تخلل أناملها كما استطعت أن أتخلل حصون قلبها و لو بقدر ضئيل !
_سنذهب بعد أن نتناول طعام الغداء..لكن الآن دعينا نفطر أولًا !
لم أكد أكمل جملي حتى كنتُ أسحبها معي ناحية الطاولة التي جهزتها هي..و كأى زوج مُحب و
عاشق دفعت لها الكرسي لتجلس عليه..و جلست أمامها رغبة في التهام تفاصيلها هي بعيناي..لا
بالتهام الأكل الذي يعد شيئًا مهملاً بالنسبة لي في هذه اللحظة !
ليس و قد أشبعتُ جوعي أساسًا..و أخذت تحليلتي اليوم من ابتسامة عينيها..و انبثاق
غمازتها !

#شهد

عندما فتحتُ عيناى صباحًا كانت أول فكرة طرأت في عقلى و أزعجتني نوعًا ما..هي صوري
المنتشرة في كل مكان..
فما إن تسلفتُ من السرير الوثير تاركة هادي غارقًا في النوم..أو غارقًا في تمثيليته المتقنة التي
تنجح معي دائمًا...بحيث أصبحت مقتنعة بأننى من المستحيل أبدًا أن أستيقظ قبله يومًا !
حتى وقعت عيناى على تلك الصورة التي تشملى و المرتاحة فوق المنضدة..ثم بجانبها هاتف
هادي الذي تحتل صورتي خلفيته..

و على بعد سنتيمتر واحد فقط الكاميرا الخاصة به..و هذه أشك أنه ينتوي تغيير اسمها
المعتاد ليطلق عليها اسمي كونها تمتلأ هي الأخرى بالكثير من صوري...ثم الغرفة بأكملها !
حقًا..من قال بأن الهوس هو شيء سيء كان مخطئًا..فها أنا ذا متزوجة من رجل تكاد أن تصل
مشاعره إلى حد الهوس بي..لكنه هوس لطيف و مختلف..هوس يجعلني أرغب في الهتاف بسعادة
حمقاء...ما أجمل الهوس !

حسنًا إنها أفكار حمقاء بالفعل..لكن ألا يكفي؟!..هل يجب أن أقف أمام انعكاسي في المرأة و
الذي يبرز نفس الوجه الذي يملأ كل الأرجاء !
شعرتُ اليوم بالذات بأنني لست راغبة أبدًا في بدل جهد كبير في تسريح شعري الذي يزعجني
أحيانًا بطوله...مع العلم أنني لا أقف أمام المرأة إلا لتسريحه..فأنا لا أحب مساحيق التجميل كثيرًا و
لا أستعملها إلا لو اضطررت !

لذا و ببساطة رفعت يداي شارعة في تعديل شعري الذي هو أكثر شيء أبرع فيه..
إلى أن تركته منسدلاً على شكل ضفيرتين طويلتين مرتاحة كل واحدة منهما على كتفائي من
الجهتين..

خرجتُ بعدها أهم بتجهيز طعام الإفطار..قبل أن أتجه مباشرة إلى أزھاري المسكينة التي
أهملتها طويلاً...

جلستُ مهدوء تام على حافة ذلك السطح الرخامي الذي يفصل بيني و بين حوض الورود
أمامي..لأرفع الإبريق الذي ملأته بالمياه بغاية إضفاء بعض الرونق المفقود منها إليها..إلى أن وضعته
جانبًا و تراجعت قليلاً متأملة بنظراتي الهادئة حركة أناملي التي شرعت تداعب أغصانها بحرية..
لكنني فجأة...شعرتُ بضوءٍ قوي يسלט عليّ للحظة واحدة فقط !

لكنه كان كافٍ ليحرم عني متعتي و يجعلني أغلق عيني تفاجئًا و ذعرًا في الوهلة الأولى..لكنني
ما إن عدت لأفتحها ملتفتة قليلاً علمت مصدره..و قد كان هذا المصدر كما توقعت تمامًا هو..
هادي !

كان هادي يقف على بعد خطواتٍ مني يحمل في يده الكاميرا الخاصة به التي رفعها إلى عينيه
متأملًا صورتي بتركيز متعمد..

شعرتُ بالخجل يسري في أوردتي..و هذا دفعني لأن أكتفي بمرآقبته ملتزمة الصمت تمامًا إلى
أن رفع هو أنظاره لي..حينها و قبل أن يستطيع التعليق بأي شيء..همست أنا بينما أرمق ثيابه الأنيقة
أكثر من المعتاد ببعض التردد أو...القلق !

_هل...هل ستخرج ؟!!!!

بدا هادي في غاية الثبات و الاتزان و هو يومئ لي مجيبًا بجدية ؛

_نعم...لديّ بعض العمل !

عمل ؟!!!!...تسمرتُ تمامًا للحظة أنظر له بلا تعابير و كأنه قد ألقى بشتيمة قبيحة علي..و لم

أستطع أن لا أطرق برأسي قليلاً لأهمس بصوتٍ خافتٍ لم يكن بديهيًا تمامًا ؛

_هل...هل نفس العمل الذي تشتغل به الفتاة الجذابة تلك ؟!

حسنًا..ربما أبدوا غبية جدًا في نظره..و ربما يكون سؤالي غاية في التسلط و السذاجة..كوننا

خضنا هذا الموضوع و انتهينا منه قبلاً !

لكنني نوعًا ما مثله..أنا ربما أصبحت مهووسة به مثلما هو مهووس بي..ربما تلك المشاعر التي

تنتابه ما إن يذكر اسم شخصٍ آخر معي ليس في موقف واحد..بل في جملة واحدة فقط هي نفس

مشاعري..

لذا مثلما هو يحق له أن يحاسبني و يسألني القدر الذي يشاء أنا أيضًا أمتلكُ نفس

الحق...أليس كذلك ؟!!

_نعم...نفس العمل !

قالها بنفسٍ نبرته الهادئة و الثابتة..بشكل جعل من تساؤلاتي تلك تندحر خلف هدوءه..و بدلًا

من أن أماطل..كنتُ أحركُ رأسي لعدة مراتٍ في حركة لم تبدو ذات مغزى دون أن أنظر له..

و كأنني أخبره بمدى تضايقي من هذا الأمر عبر حركتي المستسلمة هذه !

قبل أن يتسلل إلى مسامعي صوت خطواتٍ تبتعد أم تقترب لم أهتم..أنا فقط بقيتُ مطرقة

برأسي إلى أن شعرت بهادي يجلس بجانبني...

حينها فقط كنتُ أرفع عينايا قليلاً لأنظر له حينما قال باهتمام ؛

_أليس لديكِ جامعة اليوم ؟!!

حركتُ رأسي بالنفي دون أن ألفظ حرفًا واحدًا..فزم هادي شفتيه و هو يهز رأسه قليلاً

بتفكير..لكنه لم يلبث أن مدَّ يده ليمسكَ بيدي أثناء همسه ؛

_هل تعلمين لما عليّ الذهاب اليوم للعمل ؟!!

حركتُ رأسي بالنفي بنفسِ الطريقة بدون أن أتكلم..فتهد هادي بقوة و هو يشيح أنظاره قليلاً

ليسقطها فوق يدينا المتشابكتين مسترسلًا ؛

_لقد تلقيتُ اتصالاً قبل قليل من أحد أصدقائي الذين رأيتهم ذلك اليوم.. يخبرونني فيه
بوجوب سفري معهم إلى مدينة أخرى لحضور المعرض الأول الذي سيضم صورنا الفوتوغرافية !
نظرتُ له بدهشة حقيقية.. غلفها خوف غريب و قلق جعلني أسأل بغير تركيز بعد أن التقط
عقلي فكرة واحدة من بين كل ما قاله !

_هل...هل ستسافر ؟!!!

و يبدو بأن مشاعري كانت واضحة جداً بحيث لمحتُ ابتسامة هادي التي شقت شفثيه
بتأني..ثم قال بنبرة لمحت فيها بوادر حزنٍ حاول إخفاءه عني ؛

_لا...لقد رفضت !

شعرتُ بذلك الإحباط و الحُزن المخفي في صوته ينتقل إليّ تدريجياً...فقلت أعقد حاجباي
قليلاً بحذر ؛

_لماذا ؟!!

لقد كان الجواب واضحاً في الحقيقة..لكن رغبتني الأنانية في سماعه منه منعني من كتم
تساؤلي هذا..إلى أن قال هادي محتفظاً بابتسامته..و نبرته ؛

_لأجلك...تعلمين أنني لا أستطيع أن أتركك بمفردك هنا و أذهب !

قالها ببساطة تامة جعلت من عينايت تسعان قليلاً..بينما امتلأ قلبي بالأسى و الحزن بشكل
جعل سعادتي برده هذا تتبدد تماماً..ثم همست أبتلع ريتي بصعوبة...مناقضة نفسي !
_لكن...هذا كان حلمك !

لكن هادي بدا في غاية التعقل و الجدية و هو يهز رأسه قليلاً..قبل أن تمتد يده الأخرى إلى
خصلة كانت هاربة من شعري المرتب لتزيحها قليلاً و تحتل مكانها فوق وجنتي هامساً ؛

_خطأ...جميع أحلامي تجلس أمامي الآن !

حسنًا..ماذا أستطيع أن أقول بعد كل هذا ؟!!!..

شعرتُ بأنفاسي تتناقل تأثراً..فعدت أطرق برأسي غير قادرة لا على إنكار سعادتي بكل هذه

المكانة التي يخصصني بها..أو نسف حزني الكبير لأجله...بل لأجلنا سوياً !

و عندما طال الصمت لعدة ثوانٍ..قلتُ فجأة بنبرة غير واثقة تماماً..و قد كان هذا هو

الإقتراح الوحيد الذي طرأ في عقلي في هذه اللحظة !

_لماذا لا...تأخذني معك إذًا !

لم يتردد هادي كثيراً و هو يهز رأسه رافضاً التفكير باقتراحي حتى بينما يردف بتعقيب ؛

_لا...هذا الإحتمال غير وارد أبدًا..نحن نسافر غالبًا في الحافلة الخاصة بنا و التي تشملنا

جميعًا..لا أستطيع أن أعرضك لكل هذا الإرهاق خاصة في هذا الوضع...أبدًا !

صمت للحظة ثم أكمل متهدًا بنبرة جعلت من عصافير قلبي ترفرف جميعها و هو يدقق

النظر بملامحي بقلبي حقيقي لم أفهمه ؛

_أساسًا هذا الشحوب الذي أصبح لا يفارق تقاسيم وجهك يكاد أن يفقدني عقلي !

لم أستطع أن أجيب بكلمة واحدة..بل وجدت نفسي عاجزة عن التركيز حتى و أنا أنظر له

فاغرة شفطي قليلًا أكاد لا أستوعب أو أفهم ما سمعته قبل قليل..لكن.....هل أبدوا شاحبة حقًا ؟!!

تجاهلتُ هذا السؤال المزعج و الملح الذي طرأ في عقلي بقوة لأعيد انتباهي لهادي.. ذلك الذي

اقترب مني قليلًا بوجهه ليمس مداعبًا روحي لا وجنتي فقط بأنامله المستقرة هناك و بنظرة عينيه

المغلفة بحنان هائل..و صوته الذي خرج في غاية الرفق ؛

_أنا سأذهب لأنني معهم بعض الإجراءات و أودعهم ثم أعود إليك سريعًا !

بدا و كأنه لا يخبرني فقط..بل يسألني أن أخفف من قلقه المبالغ به هذا و أسمح له بالذهاب..

و أنا بدوري حركتُ رأسي قليلًا في حركة مفادها الإيجاب..لكنه لم يتزحزح من جانبي رغم ذلك...

بل رأيتُ حاجبيه و هما ينعقدان قليلًا كشخصٍ يحارب نفسه بمشقة لدفعها بعيدًا عن

أجمل هو اياته..ألم أخبركم بأنه كان يتأملني و كأنه يمارس أجمل هو اياته على الإطلاق !

إلى أن عاد يهمس تاركًا أنامله تتجول فوق وجنتي برقة لا متناهية ؛

_انتبهي لنفسك ريثما أعود و أستلم هذه المهمة بنفسني !

أومأتُ له بطاعة كشخصٍ منومٍ مغناطيسيًا..قبل أن أغلق عيني ما إن اقترب قليلًا مني

ليقطع المسافة القصيرة أساسًا بيننا و يقبل جبتي..تلك الحركة التي يبدو بأنها ستصبح سبيل

التواصل بيننا للأبد !

و قبل أن يبتعد..شعرتُ بأنامله المتمسكة بيدي تلامس ذلك الأثر فوق معصمي في حركة

بدأت أعتادها..

إلى أن تركَ يدي أخيرًا على مضض و وقف ليلتفت مبتعدًا أمام أنظاري الزائغة قليلًا..لحظات

استغرقتها في مر اقبة ابتعاده بتشوش..لم تنتهي إلا بذلك الصوت القوي الذي تسلل إلى مسامعي بعد

ثوانٍ قليلة..كان صوت انغلاق الباب هو من أيقظني من غفوتي الغريبة هذه..

تهددتُ بقوة بعدها و أنا أهزُ رأسي قليلًا لأعيد انتباهي قسرًا لتلك الورد التي شهدت ذلك

المشهد الغريب بيني و بين هادي قبل لحظات..

ثم لم ألبث أن أمسكت بالإبريق لأقف عائدة إلى المنزل لكنني و قبل أن أصل للمطبخ أوقفني صوت جرس الباب..

و لم أفكر أبداً و أنا أضع الإبريق عشوائياً فوق المنضدة و أتجه إلى الباب مفكرة بأن هادي سيكون قد نسي شيئاً ما دفعه للعودة سريعاً...و غالباً سيكون هذا الشيء هو مفاتيح المنزل كونه يقرع الجرس !

أمسكتُ بالمقبض لأدفع الباب ناحيتي و أفتحه على مصراعيه في نفس الوقت الذي تنفرج فيه شفتاي على اسمه...

_هادي هل.....

لكنني لم أكد أكمل عبارتي هذه حتى كنتُ أتجمد مكاني ناظرة أمامي بعينين اتسعتا فجأة بذعر حقيقي لتلك الملامح التي أعرفها حق المعرفة..و التي لطالما شكلت مصدر رعبٍ و قلق لي منذ طفولتي...

تلك الملامح و العيون شديدة التنمق و التبجح..و التي امتلأت بالغضب اليوم!.. غضب جنوني حقيقي جعل من قلبي يهفو رغبة في الهتاف باسم هادي الذي سيكون قد ابتعد بالقدر الكافي الذي لن يخول له سماعي !

رغم أنني لا أظن بأنها فعلياً قد تجرأ على أذيتي..لكن مجرد رؤيتها هنا..و مقابلتها بعد كل شيء جعلت من أنفاسي تتدافع بجزع حقيقي..

في نفس الوقت الذي ارتجفت فيها أنا ملي المتمسكة بطرف الباب و قد كرهتُ اندفاعي الأحمق الذي جعلني أفتحه هكذا دون تفكير !

نعم..لقد كانت نفس المرأة..تلك التي كانت يوماً ما مجرد مديرة في دار الأيتام حيث عشتُ طويلاً..لكنها أصبحت جزءاً لا يتجزأ من حياتي الآن..كانت.....عفاف الشاذلي !

"37 : احتدام"

#الكاتبة

_ اووووه..أنظروا من هنا..اللقطة الصغيرة شهد بأم عينها !
كانت هذه أول جملة تقولها عفاف..و قد خرجت مغلفة بكل أنواع السخرية و الإزدراء !..هل
تذكرون ذلك الشحوب الذي وصفها هادي به ؟!! لقد تزايد أضعافاً الآن !
تسمرت مكانها تنظر بعينين متسعيتين لتلك العينين اللتين تشبهان عيني نمره جائعة على
وشك التهام فريستها التي هي شهد بالطبع !..
و عجزت تماماً من أن تلفظ حرفاً واحداً تبدد به هذا الصمت المرعب الذي غزا المكان بعد
جملة..و ما إن وجدت صوتها كانت تهمس بصوتٍ مرتجفٍ حاولت أن تضم إليه بعض القوة
الزائفة ؛

_ها...هادي ليس هنا !
لمحت ذلك الارتفاع الملحوظ بحاجب عفاف..و قد نجحت في رسم ملامح الدهشة بشكل جعل
من خوفها يتصاعد بداخلها بدون سبب..
خاصة و هي ترى تلك الابتسامة القاسية التي شقت شفيتها ببطءٍ بينما تردف ؛
_و من قال بأنني أريد هادي..أنا جئت لأجلك أنتِ خصيصاً !
هي تعلم بأنها أتت لأجلها بالطبع..فملاحها التي لم تتفاجئ و لم تنصدم برؤيتها ما إن فتحت
الباب أعلمتها مسبقاً بأن هذه المرأة على إطلاع بكل شيء..
الحقيقة أنها تشكُّ بأن هادي هو من أخبرها..بعد أن انسحبت هي خارج الأمر تماثلاً لأمره و
تركته هو يتكفل به عوضاً عنها..

لكن ها هي ذي تقف بمفردها هنا..أمام هذه المرأة..هذه المرأة التي دمرت طفولتها و مراهقتها
بكل وحشية و أنانية !!..
ابتلعت ريقها بصُعوبة شديدة و يدها تشتد بقوة عنيفة فوق طرف الباب..تكاد أن تعصره
بأناملها النحيلة و المرتجفة لشدة توترها..
ظلت متمسمة مكانها ناظرة لها بعينين ترتعشان بشدة..لكن عقلها الذي وجدته يغرق في ذلك
الماضي البعيد فجأة..

استطاع أن يعيد تنبيهها و تذكيرها مجدداً و مجدداً بهوية هذه المرأة أمامها..و بهويتها هي

بنفسها..هل يجب أن تحمل كل هذا القدر من الخوف في قلبها بالفعل؟؟!!

ألم يكن من المفترض أن يُطمس ذلك الخوف حيث طُمس ذلك الماضي؟؟!!..

ألم تكن هي بنفسها من وقفت ندًا لها ذات مرة أمام هادي و سجي؟؟!! و التي اتخذت قرار

العودة إلى هذا البيت...بنفسها !

إنها نفس الفتاة التي كادت أن تقفز فرحاً مع هادي يوم أمس!!..متناسية أمه و أبوه..متناسية

أحكام العالم و نظرات الناس..نابذة لكل الفوارق الهائلة بينهما..غارقة في ملامحه التي كانت و لا تزال

و ستبقى ملكاً لها!!!!

" أفريقي يا شهد..أفريقي!..أنتِ لم تعودِي تلك الفتاة اللقيطة الصغيرة المرتعدة..أنتِ الآن

امرأة متزوجة و حامل..أنتِ أقوى من كل هذا..أقوى بكثير..أنتِ شهد هادي الشاذلي..زوجة هادي

الشاذلي!!! "

كانت تلك الأصوات التي انتفضت صارخة بداخلها مصدر الدعم الوحيد لها في تلك

اللحظة..و الذي جعل من ملامحها تفقد الكثير من تشنجها فجأة...

كما أناملها التي انفتحت ببطءٍ لتخفف من ضغطها على الباب حتى تركته تماماً..

قبل أن ترفع ذقنها قليلاً تحثها قوة داخلية غريبة لم تعيدها في نفسها قبلاً..وقالت و هي ترفع

يدها اليسرى لتريحها فوق بطنها و كأنها تستمد القوة من هناك بالفعل..من تلك الروح الصغيرة التي

تكاد أن تستشعر وجودها الفعلي بداخلها في بعض الأحيان !

تكلمت بصوتٍ بدا ثابتاً إلى حد ما..خالٍ من بوارد توتر احتلها داخلياً..لكنها كتمته داخلياً

أيضاً!..تاركة إياه يتجسد على شكل حبيباتٍ عرقٍ طفيفة تالأت فوق جبينها..

_و لما لا..تفضلي!!

بدت عفاف مجفلة لوهلة و هي تميل برأسها ناظرة لها بتشوشٍ حقيقي..لكن شهد لم تتزحزح

من مكانها..و لم تفقد شجاعته رغم كل شيء..

بل صنعت ابتسامة مهتزة و هي تتراجع خطوة أخرى نحو الداخل..لتقول رافعة ذراعها في

دعوة صريحة لها بالدخول ؛

_تفضلي رجاءً..المنزل منزلك !

طرفت عفاف بعينها بحيرة مغلقة بذهول غير طبيعي..و قد انتابها غياب مفاجئ جعلها تتقدم
عدة خطواتٍ و كأنها انصاعت لها بالفعل بغير هدى..إلى أن استقرت فوق أريكة معينة بالداخل..لا
تزال تنظر لها بتوجس...

أغلقت شهد الباب و هي تأخذ نفسًا عميقًا جدًا..قبل أن تزيد من بروز تلك الابتسامة
ببطء..ثم التفتت إلى تلك المرأة هناك قائلة بهدوء..

و كأنها تتعرف عليها الآن فقط..بل و كأنها كانت تعرفها منذ زمن..لكن ما جمع بينهما مجرد
علاقة سطحية لا معنى لها !

_أنا.....سأعود فورًا !

اتجهت إلى المطبخ بسرعة..و ما إن اختفت بداخله حتى كانت تنخفض قليلاً مستندة إلى طرفي
المغسلة بيديها..و أطبقت رموشها ببعض الارهاق و هي تنحني أكثر تحاول أن تلتقط أنفاسها
المتسارعة بشدة..

لحظات استغرقتها في الوقوف في نفس المكان و بنفس الوضع..

ثم كانت ترفع يدها المرتعشة قليلاً تربت على جبهتها المتفصدة..قبل أن تستقيم أخيراً شارعة
في تجهيز فنجان قهوة بأصابع خرقاء..

خرجت بعد عدة دقائق لتجد عفاف لا تزال تجلس في مكانها..لكن مع تغيير بسيط.. أن
ملامحها التي كانت تحديق بها بتوجس ضائع قبل لحظات..تخللها الآن نظرة غاضبة سرقت من الحجر
جموده و صلابته المخيفة..

وضعت شهد الفنجان أمامها..قبل أن تستقر في أريكة مقابلة بعد أن همست باعتيادية بدت
مستفزة للغاية..لعفاف..لا لها!

_أنا أسفة لأنني لم أسألك كيف تفضلينها..أتمنى أن تحبها على طريقي !

ظلت عفاف تنظر لها بطريقة غريبة..بتعابير حادة مشتدة القسمات..بصمتٍ تشابه مع ذلك
الصمت الذي يسبق عاصفة كاسحة..و قد حدثت العاصفة بالفعل !

فانتفضت شهد لا إرادياً حينما رفعت عفاف يدها في لحظة خاطفة لتدفع الفنجان إلى أن
استقر فوق الأرض بعد أن تكسر زجاجه إلى شظايا صغيرة جدًا..

هتفت بعدها في نفس اللحظة بعينين عميقتين لشدة الجنون بهما ؛

_هل تظنينني غبية ؟!!!!..لا بجدية هل تحاولين أن تتذاكي علي ؟!!!!

كانت قد وقفت بالفعل تنظر لها بعينين متسعيتين نافرتين..لتقول بعدها و هي ترمقها بنظرة

ذات مغزى مُهين ؛

_أيّها اللقيطة الجاهلة !!!!!

شعرت شهيد بالحرارة كلها تنسحب من جسدها..لتحيل اطار افها إلى قطع من الثلج جعلتها تتجمد مكانها بطريقة مرعبة..لكنها و بصعوبة بالغة..تمكنت من أن تحفز قدمها إلى أن وقفت تقابل عينيها المجنونتين..

و قالت تزم فمها قليلاً بصوتٍ ثابتٍ بدا غريباً عليها هي ذاتاً ؛

_هلاً أخفضتِ صوتكِ قليلاً من فضلكِ..الموقف لا يتطلب كل هذا الانفعال !

كانت يدها لا تزال تحتضن بطنها بطريقة جعلت من عيني عفاف تستقران عليها بنظراتٍ باهتة نوعاً ما..ثم رفعتهما إلى عينيها قليلاً..قبل أن تقول من بين أسنانها و كأنها قد فجرت كل طاقتها على البرود اليوم ؛

_لستِ أنتِ من ستخبريني بالطريقة المثلى التي عليّ التحدث بها معكِ أنتِ بالذات.....

رمقت يدها بنظرة أخرى و هي تكمل مضيقه عينيها قليلاً بنبرة متسلطة خافتة تستعر غضباً ؛

_ثم ما المغزى من حركتكِ تلك..ماذا تحاولين أن تفعلي ؟!!!

كانت قد تحركت بعدها مباشرة لتدور حول الطاولة الصغيرة بالفعل مقترية منها.. ممّا جعل شهيد تخفض يدها في لحظة خاطفة..في نفس الوقت الذي فقدت ملامحها كل الشجاعة الزائفة ليبقى الشحوب و الشحوب فقط..

و وجدت نفسها بدون أن تعي ذلك حتى تتحرك متراجعة نحو الورا مع كل خطوة جديدة تقترتها عفاف نحوها..لكن الأريكة من خلفها أعاقت طريق هروبها حينما اصطدمت ركبتيها بها في الخطوة الثانية لتسقط عليها ناظرة لعفاف التي توقفت أخيراً مشرفة عليها بملامح لا تبشر بالخير أبداً..

حتى أن عينيها برققتا بشدة بذلك الضعف الذي عاد يحتل تقاسيم شهيد..و لم تتردد للحظة واحدة حتى حينما امتدت يدها أخيراً ل..لتمسك بذراع شهيد تهزها بغضبٍ أسود هاتفة و قد تجردت من كل أعباء المقدمات الآن ؛

_هل كنتِ تظنين بالفعل بأنكِ قادرة على خداعي ؟!! هل صور لكِ عقلكِ الصغير هذا بأنني قد

أُتسامح معكِ في هذا الأمر بالذات ؟! أو أن وجود هادي بجانبكِ سيحميكِ مني!!!ها ؟!!!..

هزتها بقوة أكبر و هي تهتف بها بغضب مستعر إلى درجة أن يجعل أيّ كان من يجلس أمامها
ينتفض مرتعّباً..فماذا لو كان هذا الشخص هو...شهد ؟!

_ألم يكن الإتفاق واضحاً بيننا منذ البداية أيتها الغبية اللقيطة ؟!!! تكلمي..أين اختفى

لسانك الآن !

صمتت أخيراً لاهثة الأنفاس..و توقفت قليلاً تنقل أنظارها بين عيني شهد اللتين تحولتا في
لحظة واحدة خاطفة من ثباتها السابق إلى عيني هرة صغيرة مذعورة..لكن تلك الهرة الصغيرة حتى
رغم كل ضعفها كانت لا تزال تمتلك روحاً منتفضة جعلتها تهمس ناظرة في عينيها بصوتٍ مرتعش ؛
_لا...أسمح لكِ بمناداتي بهذا اللقب ثانية..أنا.....لستُ لقيطة !!!!

قالت آخر كلمة بصوتٍ مشدد يحوي الكثير خلفه..و كأنها قد تعبت بالفعل من الاستسلام
للقب لم يكن لها من الأساس..

و كأن روحها الجبانة التي لطالما كرهتها قرّرت أن تثبت لها اليوم فقط بأنها لم تعد كذلك بعد
الآن...و لن تعود !

أما عفاف فقد بدت كامرأة مجنونة بالفعل..بعينيها المتسعيتين..و حاجبيها المرتفعين..و
أنفاسها المتسارعة الغاضبة..لا تزال حتى هذه اللحظة عاجزة عن التصديق..
تتساءل متى فقدت كل تأثيرها على هذه الفتاة ؟!!!..

بل كيف استطاعت أن تتجاوب معها في الكلام بهذه الوقاحة و هي التي كانت ترتعد لمجرد
سماع صوتٍ خطواتها تقترب !!!!

أكملت شهد بعينين زائغتين تكادان أن تغلقان لشدة التعب بهما ؛

_أنا...لم أكن لقيطة يوماً..أنا.....لديّ أم و أب و...عائلة...عائلة تخلت عني !

هزت رأسها قليلاً و كأنها تنفي شيئاً مجهولاً لا وجود له و هي تستأنف بصوتٍ اختنق بغصة
تشبه البكاء ؛

_كلانا نعلم ذلك..بأنني كنت أمتلك لقباً ذات يوم..لكن أحداً ما...تلاعب بأوراقٍ و حولني إلى
مجرد.....لقيطة !!

كانت أنفاسها قد بدأت تتباطئ بشكلٍ غريب..بينما تحول صوتها في آخر كلماتها إلى نشيج
ضعيف..أطربت بعدها برأسها و هي تشعر بجسدها يميل و يميل محفزاً إياها على الاستسلام..

و قد فاقم من وضعها ذلك الألم الغريب الذي اجتاحتها فجأة..و جعلها ترفع ذراعها الحرة
لتحاوط خصرها منحنية على نفسها بقوة..بينما ذراعها الآخر لا يزال محتجزاً بين أنامل عفاف التي
تجمدت تماماً مع هذا الوضع..

لكن شهد لم تتوقف رغم ذلك..بل عادت لتهمز رأسها بالنفي..سامحة لدموعها بأن تناسب
بحرارة على ذلك الألم الذي لم تتحكم به..و همست بصوتٍ لاهثٍ ذاهب الأنفاس ؛
_أنا..أنا لم أعد أخاف منك بعد..هذه المرة..مهما...حاولت لن...تستطيعي..أنت لن تستطيعي
أذيتي لأن هادي...معي !..تلك المرة أحرقت معصمي فقط..أما هذه المرة لو حاولت مجرد المحاولة أن
تؤذيني فستحرقين قلب هادي.....

أغمضت عينها الحمراروين و المُحتقنتين بشتى أنواع الألم لوهلة..قبل أن ترفع رأسها مجدداً
تنظر في عيني عفاف من موضعها..و أظلمت عيناها ضد كل ضعف و حزن اجتاحتها يوماً و هي تفتح
فمها هامسة هذه المرة بوضوح شديد ؛

_أنا...لن...أترك هادي مهما فعلت..تستطيعين أن تقتليني الآن..أو تحرقني معصمي
الآخر.....لا أهتم..لا أهتم !!!!!

وجدت عفاف نفسها تترك ذراعها بدون أن تشعر بحركتها تلك بالفعل..بينما انعقد حاجباها
أكثر بتركيز ضائع تماماً و انسحبت كل الدماء الأدمية من وجهها و هي تتراجع قليلاً بعينها فقط
تراقب هذا الوضع كمتفرج من بعيد..

خاصة و قد استطاعت تمييز من خلف غمامة تشوشها و صدمتها شهد التي انحنت تاركة
الأريكة لتستقر بركبتها فوق الأرض الباردة و تنحني أكثر مستفرغة كل ما كان في معدتها فوق الأرض
تماماً..

شعرت عفاف بأن هذا الموقف مألوف جداً بدون سبب..ذكرها بشابة صغيرة..جميلة
الملامح..كانت تعرفها قبل زمن بعيد..

أو بمعنى أدق..كانت تكرهها بنفس الطريقة التي تكره بها -ابنتها- اليوم !
نعم..هناك من تلاعب بأوراق شهد بالفعل..و هذا الشخص كان هي بالطبع..من سيكون
غيرها ؟!..

لكنها اليوم بالذات..شعرت بطاقة غريبة بداخلها..جعلت يدها تمتد في حركة بدت غريبة
عليها هي بنفسها باتجاه شهد التي كان رأسها لا يزال مطرقاً إلى الأرض..

و قد كادت أن تلمسها لولا أن سمعت صوت طرق هادئ فوق الباب..فتسمرت مكانها و عقلها يرسل لها هوية صاحبه تلقائياً..لكن الطرق الهادئ سرعان ما تحول إلى هجوم ضاري قلق بمجرد أن لم يجد الطارق ذاك استجابة من الداخل..

قبل أن يصل إلى مسامعها صوت قرقرة المفاتيح..ليندفع الباب في لحظة خاطفة..و يطل وجه...هادي !!..

كانت ملامح هادي هادئة رغم القلق الذي نشأ بها بعد أن طرق لعدة مرات بدون أن يأتيه أي ردّ من شهد..لكنهما اتسعتا بقوة غير طبيعية و هما تقعان بمجرد تقدمه الخطوة الأولى أولاً على أمه التي كانت تقف في بهو بيته..تنظر له ككائن قادم من أبعد كوكب عن الأرض.. ثم إلى شهد التي كانت قد عجزت تمامًا عن تمييزه بشكل صحيح و هي تنظر له بعينها الزائغتين..

وجد نفسه يتجمد مكانه تمامًا..في لحظة كان عقله قد توقف فيها عن التقاط أي صورة سوى هذا المشهد الغريب جدًا..بل المخيف...جداً !!

ظل متجمداً مكانه كشخص يعجز عن الإستيعاب أو التحرك بالفعل..يشعر بأن قدميه قد التصقتا بالأرض رافضتين الاستجابة لأيّ من أوامر عقله الذي يحاول أن يهرب من قوقعة داكنة من الأفكار..

قبل أن يلمح ببطء يد شهد التي ارتفعت نحوه في حركة ضعيفة قتلته..لقد قتلته تمامًا..قتلت قلبه المتيم بها و أحيت حواسه التي عادت لتتنشط فجأة..

فاندفع إليها يقطع المسافة بينهما بخطوات كان لها صدى مسموع الى أذني عفاف التي ظلت تر اقب كل شيء بعينين فارغتين..إلى أن التقط يد شهد الباردة بين يديه..

و جثى بجانبها ينظر إلى ملامحها التي فقدت كل أثر للحياة تركه بها صباحاً..و قد كانت تلك هي اللحظة التي اختار جسدها فيها الاستسلام..

فسقط رأسها فوق صدره كغصن مكسور..و ما إن امتدت يده بذعر لتمسك بذقنها و ترفع رأسها نحوه هاتفاً بجزع ؛

_شهد !!!!!

حتى كانت عيناه تتسعان أكثر و هو يقابل عينها الشبه مفتوحتين بضعفٍ شديد.. بينما وجهها بدا شاحباً لدرجة الموت..و رغم ذلك..فقد شعر بيدها التي ارتفعت بثقلٍ لا لشيءٍ إلا لتمسك بياقة قميصه..هامسة في أذنه بنشيجٍ ضعيفٍ مختنق ؛

_هـ..هادي..طفلنا..رجاءً..رجاءً.....سأفقدته..هادي..أنا.....

لكنها لم تستطع أن تكمل هذيانها الغريب ذاك..فقد اختفى صوتها تمامًا..وتلاشت
أنفاسها..في نفس الوقت الذي انزلت أناملها بوهنٍ تاركة قميصه..لكنه أمسكها قبل أن تسقط
كليًا..واشتد ضغط أنامله فوق معصمها وهو يرفع رأسه لأمه يقابل عينيها بنظراتٍ باهتة مصدومة
تمامًا..همس بعدها بأنفاسٍ متحشجة حملت صدمته وذهوله ؛
_ماذا فعلتِ لها ؟!!!

لم يستطع أن يتركها للحظة واحدة..منذ أن أتى الطبيب إلى هنا بناءً على طلبه ليفحصها
مخبرًا إياها بكلماتٍ مهذبة رسمية بأنها أعراض عادية بالنسبة لامرأة حامل..ليدون له بعض الأدوية و
يرحل..وهو يجلس بجانبها متمسكًا بيدها بشدة..
كان الوضع بعد إيجاده إياها في حالتها تلك غريبًا جدًا..
بدءًا من أمه التي اتسعت عيناها بصدمة شديدة وهي تسمع جملة شهد بوضوح..قبل أن
تنقلهما إلى هادي الذي كانت عيناها تحملان تعبيرًا غريبًا..
يعاتيا بصمتٍ على خذلانها المستمر له..على تلك النزعة الشيطانية التي لم يظن بأنها تمتلكها
يومًا..لكنها تمتلكها للأسف..ولا تظهر عواقبها إلا على شهد !!!
تلك التي بدت كطفلة صغيرة شاحبة الروح..مرفوعة بين ذراعيه اللذين احتواها بكل
إخلاصٍ..إلى أن وضعها بحرصٍ شديد فوق السرير..
ليرفع هاتفه ويتصل بالدكتور..ثم يقترب منها إلى أن جلس بجانبها متمسكًا بيدها..وقد رفع
أناملها بين يديه يطبع قبلاّت متفرقة فوق ذلك الجرح في معصمها وكأنه بذلك يقبل موضع كل
الأمها..

غير عابٍ بوالدته التي لم تستطع أن تمنع نفسها من اللحاق به إلى أن توقفت في جانب
الغرفة..لا تزال ترأبها كشخصٍ لا دخل له بالأمر..هو فقط أتى ليحضر هذا العرض الغريب بدعوى
الفضول !

وما إن طال به الصمت..حتى كان يصله صوتها الذي خرج مختلفًا عن المألوف..همست تلقي
السؤال الوحيد المنطقي الذي احنل عقلها في تلك اللحظة ؛
_هل..هل هي.....حامل ؟!!!!

حينها فقط..كان هادي يلتفت إليها ليرمقها بنظرة قامت بتلخيص كل الأجوبة..و جعلت من
عينها ترتعشان داخليًا و هي تميز ذلك الكره و الجمود الطاغي الذي سيطر عليها..
بينما يداه تتمسكان بشهد و كأنما كل حياته لا تتوقف إلا على وجودها..و سلامتها..ربما كانت
شهد محقة حينما اخبرتها بثقة..بأنها لو حاولت أذيتها هذه المرة..فستحرق قلب هادي !..
الآن تصدق كلامها..الآن باتت شبه متيقنة بعجزها..الآن تلك الفتاة التي لطالما نادتها
باللقب تحمل حفيدها -هي- في أحشائها !!!!!!!

تلك الحقيقة جعلتها تتقرب جواب هادي بفارغ الصبر..لكن هادي لم يمنحها أي جواب..بل
قال و هو يشيح بأنظاره عنها..ببرود ؛
_ارحلي من هنا !

لم تستطع عفاف أن تستوعب جملته هذه الواضحة المعاني أبدأ..فضاقت عيناها قليلاً..و
فغرت شفيتها على حروف اختنقت بداخل حنجرتها غير قادرة على الخروج اليوم..
فلم يصدر عنها إلا بعض التأتأة التي لا معنى لها..أغلقت بعدها فمها بقوة..قبل أن تفتح
حقيبتها لتخرج ورقة كانت مطوية هناك..

اقتربت منه لتضعها فوق المنضدة الملاصقة للسرير..نفس المنضدة التي ترتاح فوقها صورة
شهد..كما تضح صورها بالمكان..لدرجة جعلت الغرفة تبدو غامضة بشكلٍ مرعب..خاصة و صاحبة
تلك الصور راقدة بلا أنفاس !

كان قد همَّ بفتح تلك الورقة بعد رحيلها فوراً..فهي لم تكلف نفسها اليوم عناء لفظ كلمة
أخرى..بل خرجت بهدوءٍ جعله يتوهم للحظة بأنها لم تكن هنا من الأساس..
لكن قلقه تفوق على فضوله في تلك اللحظة..فالتفت بسرعة لينظر للطبيب الذي دلف
تزامناً مع خروج عفاف..

و يبدو بأنه اصطدم بها في طريقه و ربما ألقى عليها التحية بحكم أنها تعرفه قبله.. فهو يعتبر
واحد من معارف العائلة..تلك العائلة التي لا تنتهي لها شهد..شهد تنتهي له هو فقط !
حينها كان يترك الورقة في مكانها بعد أن تناسى أمرها تماماً..ليتحنى جانباً قليلاً و هو يسمح
للطبيب بالجلوس بجانب شهد..

لكنه لم يستطع أن يحتمل الوضع أكثر حينما أمسك الطبيب بمعصم شهد يهيم برفع الأكمام
عنه قليلاً ليفحصها..

فاقترب بسرعة ليمسكه عنه سائلاً بنبرة مشتدة قليلاً رغم خفوتها ؛

_هل هذا ضروري؟؟!

نظر له الطبيب بتفاجئ و هو يردف ؛

_بالطبع سيد هادي..يجب أن أفحصها !

طرف هادي بعينه في حركة متوترة و هو ينظر لكفّ شهد المفرد بضعفٍ..و كأنها تستعطفه

أن يتمسك بها هو فقط..قبل أن يفعل ما لم يتوقع من نفسه فعله يومًا..

فرقع الأكمام عنها أكثر ليسمح للطبيب الذي نظر له باستغرابٍ بتثبيت ذلك الجهاز الذي

يسمى جهاز الضغط حول معصمها..بدون أن يلمسها أبدًا إلا في مصادفاتٍ قليلة لم يقصدها..

إلى أن نزعه أخيرًا ليضعه في مكانه المخصص بحقيبتة..

و ما إن انتهى أخرج ورقة من جيبه و قلمًا ليبدأ في تدوين شيءٍ ما..موجهًا كلامه لهادي الذي

أعاد تغطية معصم شهد دون أن يتخلى عن التحديق بها..

_لقد دونت لها بعض الأدوية و الفيتامينات الضرورية..أتمنى منك أن تحضرها لها في أقرب

وقت !

أومأ له هادي بامتنان..قبل أن يأخذ الورقة منه متفقدًا إياها في يده لوهلة.. فأضاف الطبيب

بجدية ؛

_و لا تنسى أن تحضرها قريبًا لعيادتي الخاصة لتقوم بفحصٍ كامل !

نظر له هادي باهتمام بدا مبالغًا به و هو يقول ؛

_فحص طبي...لأيّ سبب ؟!! هل الجنين بخير ؟!!!

أومأ له الطبيب برصانة..ثم لم يلبث أن قال مفسرًا بجدية ؛

_لكننا على أية حال يجب أن نقوم بفحص الأمواج فوق الصوتية لتتأكد من صحة الجنين !

تلقائيًا كان عقل هادي يتخيل نوعية ذلك الفحص الذي سمع عنه من قبل في الكثير من

المناسبات..حيث تستلقي المرأة فوق سرير مسطح..ثم يقوم الطبيب بالكشف عن بطنها

قليلاً.....ماذا ؟!!!!

_هل توجد طيبة في عيادتكَ سيد عاصم ؟!!!

نظر له الطبيب باستغرابٍ أكبر..لكنه لم يلبث أن أومأ له بتوجسٍ..فهز هادي رأسه برضا دون

أن تظهر مشاعره الحقيقية على ملامحه الجادة تمامًا..ثم قال و هو يقف أخيرًا ليصافح الدكتور ؛

_جيد إذًا..سأتصل بك قريبًا لتحدد لنا موعدًا معها !

بدا الطبيب كشخصٍ فائق الغباء و هو يصافحه مو افقًا على طلبه..قبل أن يحمل حقيبتَه
ليغادر في صمتٍ مغلقًا الباب خلفه..

حينها فقط كان هادي يزفر أنفاسه بإرهاق قليلًا و هو يعود ليتخذ مكانه بجانب شَهد..لكن
عينيه وقعتا مجددًا أثناء تحديقَه بها على تلك الورقة..

فطرف بهما قليلًا قبل أن يمد يده ليلتقطها و يفتحها رافعًا إياها إلى عينيه..و سرعان ما
كانت نفس العينين..تتسعان بـ...بانفعال !

ثوان استغرقها في التنقل بين تلك السطور هناك بلا أيِّ هدف معين..كان ذلك الانفعال
الصامت في عينيه يتضاغف ببطءٍ..قبل أن يزعم فمه قليلًا و يرفع أنظاره نحو شَهد..و قد تاهت عيناه
الغاضبتان قليلًا يتأملها لوقتٍ بشرود..

بدون أن يعي غالبًا الطريقة التي انغلقت بها أنامله حول تلك الورقة..و قد طرح عقله سؤالًا
وجيهاً..

حقًا..متى ستتوقف أمه عن إثارة دهشته بقرارتها و أفعالها الـ...القذرة !

_هل نجلس هنا ؟!!!

قالها لؤي بابتسامة هادئة جدًا و هما يتوقفان أخيرًا في قمة ذلك السهل الأخضر
الخلاب..فأومات سجي التي استقرت أنظارها أمامها بشرود بالإيجاب..
قبل أن تنخفض ببطءٍ تزامنًا مع لؤي إلى أن جلست تفرد ساقيها في نفس الحركة هي و لؤي
بحكم أن الإمتداد أمامهما كان بدرجة منخفضة من موضع جلوسهما..
و كما قالت سابقًا..فقد كان المشهد من هنا مختلفًا تمامًا..بل بدا فائق الروعة بشكل لا
يصدق..بحيث شعرا بأنهما يتأملان المدينة بأكملها من هنا..
رغم أن حدود رؤيتهما لم تتجاوز بضعة كيلومترات من موضع سكنهما!..
لكن منظر البحر الخلاب..نفسه الذي ذهبا إليه ذات مرة..بدا رائعًا من هذا المكان..و تلك
البنائات البعيدة التي أنارت أضوائها البعيدة أيضًا و الدافئة شحوب الغروب..جعلتهما يشعران
بأنهما إبتعدا كثيرًا عن المزرعة..مع العلم أنها لا تزال تقبع ورائهما تمامًا !
لم تستطع سجي أن تمنع ابتسامة باهتة من ملامسة عينيهما و هي ترى أضواء الشمس التي
تسلطت على البحر لتضيف شيئًا جميلًا إلى لونه..محيلة كل العالم من حولهما إلى لوحة حمراء
مرسومة بدقة رسام يعشق الطبيعة...و السلام النفسي !

حتى الأمواج..تردد صوتها في أذنها كمعزوفة هادئة رائعة..رغم أنها لم تكن تسمع صوتها فعلياً..لكن عقلها الحالم في هذه اللحظة..جعلها تستشعر الدفء الذي افتقدته طويلاً في كل شيء !
لم تدري أبداً أثناء انشغالها بتأمل كل شيء..بأن هناك رجلاً يجلس بجانبها..كان يتأملها هي بنفس طريقة تأملها لأشياء غيره..متجاهلاً ذلك السلام الذي دفعها للابتسام.. متجاهلاً منظر البحر الخلاب كما وصفه عقلها..

متجاهلاً تلك الأضواء الدافئة و الأجواء الهادئة من حولهما و هائماً بها...بشمسه الوحيدة !
إنهما يعانيان نفس المشكلة في الحقيقة..كلاهما يتأمل منظره الخلاب..و كلاهما عاجز عن احتضانه !!!

ظل ير اقبها و كأنما يحاول أن يقتحم كل أسرارها التي بات يعرفها جميعها..و كأنه يحاول أن يبحث عن الخلل في قصيدة غزلية رائعة الإتقان...فلا يجد !
و كأنه يحاول أن يرغم نفسه على عشقها أكثر..مدرئاً هو بأنه لن يصل إلى درجة أكثر من التي وصل إليها في عشقه لها !

بينما ير اقبها..كان عقله و قلبه يقران في وصلة اتحاد و اعتراف غريبة.....إنها جميلة جداً..جميلة للحد الذي يجعله يتساءل عن حياته السابقة...
هل كان يعرف بعض النساء قبلها فعلاً ؟!..

هو يشعر بأنها أول امرأة تقع عيناه عليها منذ ولادته..بل إنه لم يخلق ربما إلا ليقابلها..و ليكتشف في أولى سنين طفولته..بأنها ابنة خالته..ليصادقها...ثم يحبها !
كانت سجي ترتدي معطفاً ثقيلاً جداً..أجبرها بقوة الرفق على إرتدائه خوفاً عليها من نزلة برد ترددها الى فراش المرض..تضع فوق رأسها قبعة خضراء داكنة من الفراء تماثل لون معطفها..تاركة شعرها ينساب من تحتها طويلاً..

ملاحمها صافية ساكنة للغاية..و نظراتها عميقة بعمق غمازتها التي لا تتعب عيناه من التغزل بها !

ظل جالساً بجانبها لعدة دقائق..يتمنى بعجز أن يمتلك الشجاعة و لو قليلاً ليحاوطها كلها بذراعيه مخفياً وجهها الحبيب بين ثنايا صدره..

لكن روحه تأبى إلا أن تراها راضية..مرتاحة..لتستقبل منها كل ما تقدمه لها بلطفٍ بالغ !!
قال بعد وقتٍ بصوتٍ هادئٍ تماماً..و هو يترك ملامحها بمشقة ليشاركها التأمل :

_هل أحببت تأمل الطبيعة من هنا أكثر من نافذة منزلنا ؟!!!

كان وقع كلمة " منزلنا " مميزًا جدًا على فؤاد سجي..بحيث طرقت برموشها لوهلة..ثم لم تلبث
أن تنهدت بهدوء..لتهمس بعدها بصوتٍ خافتٍ و كأنها تخشى أن يرتفع صوتهما قليلاً...فبيدّد جمالية
ما تراه !

_في الحقيقة.....نعم !

التفتت بعدها قليلاً لتنظر لوجه لؤي القريب منها..و الذي شاركها النظر بهدوءٍ مُماثل
لهدوءها..ثم همست تسأله بنفس النبرة ؛

_هل تتذكر ؟! كم كنتُ أبغض مثل هذه اللحظات في الماضي ؟!!!..لقد كنت أنتقدك دائماً على
وقوفك مطوّلاً أمام النافذة..على هدوءك و لطفك المبالغ به..على صوتك المنخفض في بعض الأحيان !
ظل لؤي ينظر لها بصمتٍ بدون أن يجيبها أبداً و لو بعينيه..فأكملت سجي و هي تعيد عينيها
أمامها ؛

_كل تلك الصّفات التي كنت أنتقدها..أصبحت أحبها اليوم !

" ليتك تحبين صاحبيها أيضاً ! "

حنق لؤي تلك الهمسة بقوة بداخله..قبل أن يرسم ابتسامة لطيفة جداً قال بعدها بنبرة
ودودة ؛

_هل تعترفين إذاً بأنك أصبحت مثلي ؟!!!

رأى بقلبٍ خافق ابتسامتها و هي تعود لتخطّ شفتيها بوقار هذه المرة..ثم همست و هي تنظر
لعينيه...باستسلام !

_أعترف !

نبرتها اللطيفة المُستسلمة..و نظرتها الساكنة الصافية..دغدغت مشاعره بسحر خاص..دفع
الكثير من التردّد الذي كان ينتابه بعيداً..بعيداً..

أبعد من طول ذلك البحر الذي بدا و كأنه هو من يراقبهما شاهداً على هذه اللحظة المميّزة
الآن !..

إلى أن قال محتفظاً بابتسامته..بنبرة غريبة فاجئتها ؛

_أظن بأن الموقف يحتاج إلى عناقٍ إقرار كي أقنع..هل تو افقيني الرأي ؟!!!!

لطالما كانت سجي هي أكثر شخصٍ يعرفه عن قرب..رغم أنه لم يكن الأقرب تماماً إلها في
الماضي..إلا أنها كانت الأقرب إليه من بين الجميع...

كان مثل الكتاب المفتوح أمامها..تستطيع أن تقرأ الصفحة التي يقع اختيارها عليها بدون استئذان..و بدون تعقيدات !

لكنه كان قد بدأ يجزم بأن ذلك التواصل الروحي بينهما اختفى بعد أن حدث ما حدث..حتى هذه اللحظة !!!..

كانت تلك النظرة التي رمقته بها بعد اقتراحه ذاك كافية لتخبره بأنها كشفتها !!! ببساطة فإن الهدف الوحيد من كل هذا اللّف و الدوران في كلامه هو معانقتها فقط !..
و هي قد فهمت ذلك..لكنها اليوم لم تمنع..بل ابتسمت بياسٍ و هي ترفع رأسها نحو السماء التي دثرها الظلام..فقال لؤي يرفع حاجبًا واحدًا بحذر ؛
_إِذَا؟!!!!

لكنه لم ينل أيّ جوابٍ منها..بل ظلت على نفسِ حركتها متجاهلة إياه..مما جعله يزم شفّيته قليلاً و يحني حاجبيه بإحباطٍ..لكنها فاجتته بعد عدة لحظاتٍ..بأن أعادت أنظارها إليه في صمت..
و قد وقعت عيناه لوهج الزيتون في عينيها !..
قبل أن تنحدر أبصاره ببطءٍ مترقب متوتر لتنظر لأناملها التي امتدت على مهلٍ إلى أن تمسكت بذراعه في حركتها المعهودة الجميلة..
و التي اكتشف الآن فقط بأنه اشتاقها.....بشدة !

امتدت اليد الأخرى أيضاً لتنضم للأولى متمسكة بكم معطفه..تاركة عينيها هناك..و كأنها لا تعرفه هو..و كأن هذه الحركة هي سبيل التواصل الوحيد بينهما !
راقبها بعدها بلمهفة شديدة و هي تميل على كتفه لتريح رأسها فوقه..مانحة إياه عناقاً ليس كاملاً..لكنه بدا أكثر من كافٍ في تلك اللحظة ليشبع بعضاً من شوقه الرجولي إليها !!!
وجد نفسه عاجزاً تماماً عن الحركة..أو عن الترييت على كتفها كما يجب أن يفعل..فقد كان ذراعه محتجز بالفعل بين كفيها..

و يبدو بأنها لن تتحرّر قبل وقتٍ طويل..و هذا الوضع يبدو مرضياً تماماً له !!!
إلا أنه وجد نفسه مضطراً لأن ينهي هذه اللحظة الثمينة بالفعل بعد لحظاتٍ قليلة أخرى..فاندست يده الحرة في جيب معطفه..قبل أن يخرج تذكرتين مدهما ناحية سجي التي طرفت برموشها ناظرة لهما بإستغرابٍ..

قبل أن تتحرك ببطءٍ رافعة أنظارها إليه..فقال لؤي يبتسم بحنان ؛

_لقد علمت قبل فترة ليست بالطويلة بأن المجموعة الجديدة قد اكتملت..و سيتم عرضها
بعد عدة أيام..لذا فكرت بأن عليك الذهاب للحفل هذا العام.....ككل سنة !
نقلت سجي عينيها بين وجهه و بين التذكريتين بتوتر لوهلة..لكن ذلك الرفض الضعيف الذي
ظهر بعينيها هو ما جعله يعقد حاجبيه قليلاً بقلق..

لهذا..و قبل حتى أن تفتح فمها لتعترض كان هو يقاطعها متعمداً بأن وضع يده فوق
شفتها..و قال يخاطب عينيها المندھشتين قليلاً من حركته تلك باستعطافٍ ؛
_رجاءً لا ترفضني..لأجلي !

ما إن قال جملته..و خاصة كلمة " لأجلي " حتى كانت ملامح سجي تتعقد بأسى..ثم رفعت يدها
لتلمس يده محررة فمها بهدوء..و قالت تميل برأسها قليلاً متهددة بياسٍ ؛
_أنت تعلم كيف تستغل نقاط ضعفي..أليس كذلك ؟!!!
منحها لؤي ابتسامة كانت وحدها كفيلاً بإنهاء تدمرها..لكنها قالت رغم ذلك و هي تطرق
برأسها قليلاً...بحزن !

_لا أظن بأنني أستطيع الذهاب هذه المرة بالفعل..تلك الأجواء لم تعد تلائمني !
حرك لؤي رأسه بالنفي قطعاً معقّباً باستنكار هادئ ؛
_لقد كان هذا شغفك !

همست سجي تهز كتفها قليلاً باستسلام حزين بدون أن ترفع رأسها ؛
_كان !

شعر لؤي بقلبه يختلج بمشاعر لا توصف..و لم يتردد من أن يرفع يديه ليحاوط وجهها
برفق..إلى أن نظر في عينيها البراقتين..و ارتفع صوته هامساً ببطءٍ شديد ؛
_و لا يزال !

صمت لوهلة ثم أضاف بنفس النبرة الحانية بشكل مبالغ به ؛
_هل تتذكرين ذلك الوعد الذي قطعت عليه قبل فترة ؟!!!..

صمت لوهلة قصيرة قبل أن يستأنف بنبرة تضاعف الحنان بها ؛

_لقد وعدتك بأنني سأستعيدك حتى و لو رغماً عنك..سأعيد إحياء كل شغفك الضائع من جديد
!..ما لا تعرفينه بأن هذا الوعد لم يكن لك أنت فقط..لقد وعدت نفسي أيضاً بذلك حينها..هل
تريديني أن أخلف بوعدني -لنفسي- ؟!!!

كان يتحدث بجدية حقيقية..لكن لفحة من..مرح لامست صوته في آخر جملة..بينما مالت
ابتسامته الحنونة إلى نحو جديد..تاركًا أنامله تداعب بشرة وجهها الدافء الجميل..و كما توقع..رأى
حاجبها الذي ارتفع بدهشة..ثم همست تضيق عينها قليلاً ؛

_هل أفهم بأنك تفعل كل هذا لأجلك ؟!!!!

لكن لؤي بدا في قمة الجدية و هو يجيها بخفوتٍ..مصممًا على سبر أغوار عينها و كأنه يوجه
كلامه لهما فقط ؛

_لأجلنا سويًا..أنا و أنتِ أصبحنا نشبه روحًا واحدة..ما يسعدك هو يسعدني أنا أيضًا..و

العكس صحيح..أليس كذلك ؟!!!!

كانت عينها أيضًا مستقرتان في عينيه أثناء تحدّثه..لكنهما انحدرتا ببطءٍ لتستقرا للحظة
فوق شفّتيه..و استمرت تخفضهما أكثر إلى أن استقرتا تتأملان بلا سبب وجيه ذلك التجويف العميق
بعنقه بشرود كبير..

تاركة لؤي ينظر لها بابتسامة ظللها حزن مزعج..إلى أن هزت رأسها في حركة بدت شبه

مرئية..لتهمس بعدها بدون أن ترفع عينها بصوتٍ خافتٍ...بنبرة إقرار !

_نعم !

حينها فقط..كانت ابتسامته تتخلص من ذلك الحزن..ثم همس برجاءٍ دون أن يرتفع صوته

عن الهمس ؛

_إِذَا ؟!!!!

ذلك العجز الذي لون حدقتيها..أسر قلبه..كونه لم يكن عجزًا حقيقيًا بالفعل..لقد كان عجزًا

مرتبطًا به..نفس العجز الذي ينتابه كلما تعلق الأمر بها !..أصبح ينتابها هي أيضًا..

و دفعها لأن تومئ له كشخصٍ مخدر بالفعل..قبل أن تتهد هامسة بقلّة حيلة ؛

_حسنًا..سنذهب.....سويًا !

انتشرت السعادة في عيني لؤي دون أن تفقد ملامحه هدوءها و جديتها أبدًا..فقط ذلك البريق

اللامع الذي استطاعت تمييزه في عينيه جعل أنفاسها ترتعش..قبل أن يقترب منها قليلًا بدون أن يحزّر

وجهها إلى أن طبع قبلة عميقة المعنى فوق جبينها..

و همس يقابل عينها مجددًا بحرارة ؛

_كل ما سنفعله في المستقبل..و ما سنعيشه..سنعيشه سويًا!

ثم ابتعد قليلاً ليستبدل شفثيه بجبهته التي ارتاحت فوق جبينها المتعب..في تلك الحركة التي أصبحت تحبها فعلاً !..

و همس مشدداً من تمسكه بوجهها..غير تارك لها فرصة لالتقاط أنفاسها حتى دون أن يستشعرها معها..

_أنا و أنتِ فقط !.....للأبد !

كانت جملته بمثابة اعترافٍ غامضٍ منه على شيءٍ مجهول جعلها تعكف حاجبها قليلاً بحيرة..لكن تلك الحيرة لم تستغرق سوى لحظتين..

و كانت يداها ترتفعان ضدَّ إرادتها لتلامس بأناملها ذلك التجويف الذي لفت انتباهها منذ ثوانٍ طويلة..

مغمضة عينيها..سامحة لذلك الأمان بأن يطفو إلى صحراء قلبها التي لم تعد قاحلة بعد..لقد امتلأت بمياه دفئه !!!

جالس بمكانه منذ ساعاتٍ طالت..لم يتركها فيها إلا دقيقة واحدة استغرقها في تنظيف

الفوضى التي ملأت اليهو..

يده تتمسكُ بأناملها بشدة..بينما ملامحه غاضبة قليلاً لا يظهر فيها أيُّ أثر للدفع الذي كان يملأها قبل ساعات..

لكن ذلك الانزعاج الذي غلف قلبه رغم قوته و إلحاحه..لم يستطع أن يبدد قلقه و لهفته لاستيقاظها..

إلى أن لمح رموشها بقلبٍ يرتعش و هي ترتجف قليلاً دليلاً على استيقاظها الوشيك..

مال عليها قليلاً ليراقب تلك الحركة الضئيلة عن قرب..بينما ظلت شهد تتململ لعدة

لحظاتٍ قبل أن تفتح عينيها فجأة لتقع على عينيهِ فوراً..

لم يستطع أن يمنع أنامله من الاقتراب منها ببطءٍ ملائماً تلك الخصلة المنفلتة من شعرها

الذي لم يفقد ترتيبه حتى أثناء نومها بشكلٍ بدا مزعجاً له..فهو لطالما عشق العبث بخصلاتها الناعمة..

لفَّ تلك الخصلة حول اصبعه ليعيد ترتيبها كما كانت بجانب وجهها..إلى أن همست هي

بصوتٍ ذاهب الأنفاس ؛

_هادي !!!!

ندائها هذا و كأنما أيقظه من سحر هذه اللحظة.. فأبعد يده عنها فجأة.. و عاد الجفاء ليغلف
عينيه بشكلٍ بدا مقلقًا لها..

أشاح بأنظاره عنها بصمتٍ.. بينما ظلت شَهد متسمرةً في مكانها للحظاتٍ.. قبل أن تستند بيديها
فوق السرير إلى أن استقامت نصف جالسة..

تشوشت عيناها بحيرة و هي تنظر لجانب وجهه بمشاعر لا تفسر.. هل هو غاضب منها ؟!!!.. ما
ردة الفعل هذه إذا ؟!!!.. هل يعقل بأن تكون أمه قد قالت له شيئًا عنها ؟!!!..

ابتلعت ريقها ببطءٍ.. قبل أن تمتد يدها بترددٍ لتغطي يده الموضوععة فوق السرير.. ثم همست
بحيرة مغلغة ببراءتها و شحوبها الذي يعد نقطة ضعفه الأكبر ؛

_هادي !!!!!!!

ظل هادي مشيحًا بأنظاره عنها لعدة ثوانٍ أخرى.. يستشعر يدها الرقيقة التي كانت ترتجف
فوق يده.. مرسلة إليه قشعريرة لذيذة اقتحمت قلبه كما اقتحمت صاحبها كل حياته..
لكنه رغم ذلك لم يلتفت إليها.. بل ظل ينظر أمامه لبرهة.. كان يشعر فيها بأنامل يده تتشنج
بشدة تحت يدها..

قبل أن تمتد يده الحرة لترفع تلك الورقة من فوق المنضدة أمام أنظار شَهد.. ثم قال فجأة و
هو يرمقها بنظرة جامدة.. بها غضب مكبوت عجز عن إجماعه ؛

_لماذا لم تخبريني بأن أُمي جعلتك توقعين عقدًا رسميًا تقرين فيه بوجوب التزامك بكل بنود
الاتفاق الذي دار بينكما علي.. و من ضمنها انفصالك عني !

اتسعت عينا شَهد بشدة و هي تنقلها بينه و بين الورقة بين يده.. فأكمل هادي بنبرة ذات مغزى
؛

_و أنك رضختِ بمُنتهى البساطة و وقعتِ !

نظرته التي تلت كلامه ذاك.. جعلت من عينيها ترتعشان كباقي جسدها.. و قد شعرت بأنه
يتهمها حصرًا.. لا يسألها فقط !..

لكنها رغم ذلك لم تضعف.. فقد تركت يده ببطءٍ لا لشيءٍ إلا لترفعها إلى الأخرى تشابكُ بين
أناملها ببعض التوتر.. و استقامت في طريقة جلوسها أكثر هامسة بتلثم ؛

_أنا.....

صمتت فجأة.. فقال هادي و هو يرفع حاجبًا واحدًا.. بنفس نبرته الخالية من حنانه الذي

أغذقها به في اليومين السابقين ؛

_أنتِ ماذا ؟!!!

نظرتُ شهد لعينيهِ بتردُّدٍ ابتلع شجاعته المزيّفة..و ساد صمت قصير من طرفها..لم تلبث أن

ابتلعت ريقها ببطءٍ بعده..لتهمس بصدقٍ ؛

_لقد سألتني حرفياً عن السبب الذي جعلني أتزوج بك..ثم أنفصل عنك لاحقاً..و أنا قلت

الحقيقة تماماً..لقد كنت أنت السبب في كلا المرتين !..أنا لم أكن لأقبل بالزواج بأيٍّ أحد غيرك..حتى في

أحلك أوقاتي و أصعبها أنا لم أتخيل نفسي إلّا معك أنت !..ذلك العقد...لم يكن سوى ورقة رابحة

بالنسبة لي..خولت لي العيش معك تحت سقفٍ واحد..و غرفة واحدة...كروح واحدة !..

بدا هادي غير مقتنعاً تماماً بكلماتها..فأملت شهد رأسها قليلاً ناظرة له بعينيها الجاحظتين

تعباً برجاء..

لكنه لم يتراجع رغم ذلك !..

أو بصيغة أخرى فذلك الإرهاق و العجز و الرجاء بملاحمها لم ينجح في تبديد موقفه..فقال

ينظر في عينيها بنبرة عتاب لم يحاول إخفاءها ؛

_لكننا اتفقنا أن لا نخفي أيّ أسرار عن بعضنا البعض..ألم نفعل ؟!!

لم يستطع أن ينظر لها أكثر..فوقف مولياً إياها ظهره..يستند بيديه إلى خصره ناظراً أمامه

بيأسٍ غلفه بعض الاستياء..

شعرت شهد و كأنه صفعها بحركته هذه بالفعل..هي غير معتادة على غضبه هذا..و لا تعلم

حتى هذه اللحظة كيف يجب عليها التعامل معه !

الحقيقة أن تقلباته المزاجية أصبحت تشكل مصدر قلقٍ قوي بالنسبة لها..أحياناً تشعر بأنه

أقرب إلها من أنفاسها..و في أحيان أخرى أبعد ما يكون منها..كهذه اللحظة تماماً !

لكنها لا تستطيع تحمل غضبه منها رغم ذلك..تكاد أن تستشعر نبضات قلبها التي تزجرها

ناهرة إياها عن الجلوس بصمتٍ هكذا..

هي..هي يجب أن تفعل شيئاً ما بالطبع !..

لذا و بدون أن تفكر أمسكت بطرف الغطاء لتبعده بإهمال..و هتفت بصوتها المجهد تلقائياً و

هي تهتم بالوقوف ؛

_أنا.....أسفة..لم أكن.....

صمتت حينما التفت إلها هادي بسرعة الصاروخ..ليجدها كما توقع تقف وراءه..أو بالأحرى

لم تكن قد وقفت بعد..

فهي ما إن أوشكت على الاستقام حتى وجدت قدميها تخونانها في نفس اللحظة فكادت أن تسقط..و كانت لتسقط فعلاً لولا أن التقطها هادي بذراعيه بسرعة فتمسكت به بشدة و هو يقترب من السرير إلى أن أعادها إلى السرير برفق شديد..

كل هذا بدون أن ينظر في عينيها و كأنها طريقته المبتكرة و الفعالة في معاقبتها.. لكنها استطاعت بطريقة ما أن تستقيم بسرعة..و ما كاد هادي أن يتعد متمسكاً بموقفه.. حتى كان يتفاجئ بيديها اللتين ارتفعتا فجأة تحاوط وجهه بهما بشدة..و قالت بينما تنظر في عينيها القريبتين منها..بعد أن تنازلا أخيراً بمنحهما لها..قالت برجاءٍ حقيقي و عينيّن توشكان على ذرف الدموع ؛

_أقسم..أقسم لك بأنها ستكون المرة الأخيرة التي أخفي عنك فيها أيّ شيء..أنا..... لم أجد أيّ ضرورة لإخبارك بهذا الأمر بالفعل..لم أكن أظن بأنك ستغضب لهذا الحد لو علمت..لكنني.....أسفة..أنا لن أخفي عنك أيّ شيء بعد الآن...أيّ شيء !!

كانت تتمسكُ به باستماتة..أناملها الرفيعة تحاوط وجهه بقوة غير طبيعية أبداً..تلك الحركة التي لم يألّفها منها من قبل..دغدغت قلبه بطريقة خاصة..

و جعلت من ذلك الغضب بعينيّه ينصهر تماماً و كأنه لم يكن..و ما حل محله كان.. نظرة حانية جداً..همس بعدها و هو يتطلع بعينيها بجدية ؛

_أيّ شيء ؟!!!!

حركت شهاد رأسها بالنفي بقوة و هي تهمس مكررة بحرارة ؛

_أيّ شيء ؟!!!!

ظل هادي ينظر لها بطريقة غريبة..لكن أنظارها تعلقت بشفتيه حيث رأت ذلك الارتفاع الطفيف الذي ظهر بزوايتهما..مشكلاً شبه ابتسامة تمنّت لو تكتمل لأجلها فقط !..

قبل أن تعيد رفعهما إلى عينيّه حينما همس هادي يرفع حاجباً واحداً ؛

_ألا تريدان أن تسمعي أسبابي أنا أيضاً ؟!!!

طرفت شهاد بعينيها قليلاً بدون أن تترك وجهه..بل كان أن اقتربت منه أكثر إلى أن أصبحت تستند بجيّمها فوق جيّمته..و همست لأنفاسه بصوتٍ مضطرب في غاية الرقة ؛

_لا أريد..لا أريد أن أسمع أيّ شيء..أنا أعلم بأنك ما تخلّيت عني إلّا رغبة في حماية حُبنا من عائلتك..و أحياناً منك !..غير مدرّكاً بأن خلاصي الوحيد هو بين يديك..... أنت !

فغر هادي شفتيه على نفسٍ لاهث..عاجز تماماً عن استيعاب كمّ الثقة و الحُب الذي تكنه له هذه الفتاة الحمقاء بين يديه !..شاهده الصغيرة..قمره الحبيب !..

رفع يده ليطوق وجهها في حركة بدت متماثلة جدًّا لحركتها..يلمس بشرتها عن قرب و قد تاهت
عيناه مجددًا على ملامحها التي لا يتعب من تأملها..لكنه اليوم لم يرغب في اقتناصٍ أشواقه منها

بنفسه..فهمس لعينها بنبرة غامضة ؛

_افعلي شيئًا ما من أجلي إذا !

نظرت له شهد بإصغاء..و قد بدت مستعدة لفعل كل شيء يطلبه بالفعل !..فاتسعت ابتسامه

هادي قليلًا..و قال بجديّة تامّة ؛

_هناك حركة فعلتها ذات يوم أثناء نومي.....

صمت لوهلة ثم قال يتدارك موقفه ببطء ؛

_أقصد...أثناء تظاهري بالنوم !

انعقد حاجبا شهد باستغراب..و قد ظهر خوف غريب بعينها جعلها تتراجع قليلًا مبتعدة

عنه..ثم همست بتوتر ؛

_ماذا.....فعلت ؟!!!!

شعر هادي بتوترها..فشدد من احتضانه لوجهها..ثم لم يلبث أن اقترب منها ببطء.. إلى أن

طبع شفثيه مطوّلًا فوق حاجبها الأيسر..و قد كان ذلك هو الجواب الذي طلبته شهد.. فاتسعت

عينها بذهول..و تصاعد الإحراج و الخجل إلى وجهها بقوة..

خاصة حينما ابتعد هادي ليقابل عينها بعينه المترصدين..الماكرتين و المتلاعبتين

و..الجذابتين إلى حد مرهق!..

زمت شفثيها قليلًا متذمرة بصوتٍ ضعيف ؛

_هذا ليس عدلًا..لقد ظننتك نائمًا يومها !!!!

مطّ هادي شفثيه و هو همس و كأنه يويخ طفلة صغيرة على خطأ شنيع ارتكبته عن قصد تام

و كامل !

_أتفق معك في هذه النقطة في الحقيقة..ليس من العدل أن تقبلي رجلًا أثناء نومه.. هذا

التصرف نطلق عليه لفظ...قلة أدب!...يا قليلة الأدب !!

ابتسم برضا و هو يرى ذلك الخجل الذي تصاعد أكثر إلى وجنتها..قبل أن تترك وجهه لتطرق

برأسها بإحباط..فقال و هو يضرب جبهتها بجبهته بمداعبة ؛

_لكني سأسامحك لو نفذتِ طلبي اليوم !

رمقته شهد بنظرة جانبية مترددة..فهمس بصوتٍ ساحر غلف وعيها بجدار وهمي ؛

_ أن تكرّري حركتك اليوم..و أنا مستيقظ و أنظر في عينيك !
ارتبكت شهد أمام عينيه بشكل يثير الشفقة..و الحُب في نفس الآن !..لكنها قالت رغم ذلك
بينما تصنع وجهًا عابسًا طفوليًا ؛
_ لكنك كنت مستيقظًا في ذلك اليوم بالفعل !
قال هادي بكل بساطة ؛
_ لكنني لم أكن أنظر في عينيك !
كانت عيناها شبه دامتتين..يبدو عليهما التعب بشكلٍ مضاعفٍ عن ما كان عليهما في
الصباح..و قد بدت في أوج ضعفها و هي تعود لتطرق برأسها بصمتٍ..فهمس هادي بنبرة حاول أن
تكون حزينة لأقصى حد ؛
_ هل أعتبر حركتك هذه بمثابة الرفض على طلبي !
رفعت عينيها إليه بترددٍ..فتصنع الدهشة بمهارة و هو يردف ؛
_ هل ترفضين طلبي ؟!!!!
ظلت شهد تنظر له لعدة لحظاتٍ بغير رضا..لكن عينيها انجرفت بعد ثانية واحدة لتسقطا
على ذلك الأثر بحاجبه..ذلك الأثر هو نقطة ضعفها !..
في كل مرة تنظر له تشعر بقلبي يُعتصر بداخلها اعتصارًا على...حبيب قلبي!
الحقيقة أن لكل واحد منهما نقطة ضعفٍ متشابهة..و كأنما القدر أبى إلا أن تتمثل تلك
النقطة على شكل أثر لن يزول إلا بزوال حياتهما !
ظلت جالسة مكانها لعدة ثوانٍ أخرى..يدها تنقبضان و تنفتحان على غطاء السرير..بينما
عيناها تدققان النظر بنفس النقطة و كأنها على وشك الإقدام على خطوة شديدة الصعوبة !
و في لحظة خاطفة كاد أن يفقد فيها هادي الأمل..وجدها ترتفع قليلًا على ركبتيها حيث كانت
تجلس عليهما فوق السرير..إلى أن عادت تطوق وجهه بأناملها الرقيقة..ملامسة ذقنه الخفيف جدًا..
و أمام عينيه اللتين فقدتا كل إدراكهما بالعالم..كانت تقترب منه إلى أن..طبعت شفتيها فوق
ذلك الخط الرفيع الذي يشق حاجبه..مشكلة شيئًا يشبهه...قبلة !
أغمض هادي عينيه بقوة و هو يشعر بالنعيم على وجه الأرض..إنه نفس النعيم الذي جعلها
تغمض عينيها هي أيضًا بسلام شديد !..
هي لم تكن قبلة بالفعل..بل كانت تشبه إكسير الحياة لكليهما !..

و ما إن ابتعدت قليلاً حتى كانت تعود لتلصق جبينها بجبينه..و همست بصوتها الشاحب
بخفوتٍ شديد ؛

ألن تقولها لمرة واحدة على الأقل ؟!!!!

فهم هادي مقصدها قبل أن تردف سؤالها الذي خرج على شكلٍ توسلٍ ضعيفٍ اخترق قلبه
حتى..فرفع يديه ليتمسك بيديها غير سامحاً لها بانتزاع ذلك الدفء الذي انتشر بكل أطرافه بفعل
أناملها..و أنفاسها..

و قال بصوتٍ شبه مختنق..بينما يرسم ابتسامة كبيرة..تكاد أن تكون دامعة لشدة البريق
الأخاذ بعينه ؛

_أحبك..أحبك يا شهد العسل..يا وجه القمر..يا شهدي أنا..شهدي أنا فقط !
ضحكت شهد برقة رغم خفقات قلبها التي كانت قد بدأت تتدافع بقوة غير طبيعية.. قبل أن
تهمس بينما وجنتاها تتوردان خجلاً بشكلٍ مبالغٍ به ؛
_هششش..اخفض صوتك قليلاً...سيسمعنا !
همس هادي يرفع حاجباً واحداً بتوجس ؛
_أكثر من هذا !

ثم أضاف فجأةً ويده تعود لتداعب تلك الخصلة الناعمة على جانب وجهها برقة ؛
هل تشعرين بالخجل منه أيضاً ؟!!!!
أسبلت شهد جفونها بصمتٍ..فهز هادي رأسه بدون أن يبتعد عنها هامساً بضحكة يائسة ؛
_نعم..نسيت بأنك تخجلين من كل شيءٍ في هذا العالم !
حركت شهد رأسها بالنفي ببطء..ثم همست بابتسامة متألقة تشع خجلاً ؛
_خطأ..أنا لم أعد أخجل منك !

هنا فقط..كان هادي يتراجع برأسه قليلاً فقط ناظرًا لها بتوجسٍ..همس و هو يرفع أحد
حاجبيه بتشكيك ؛
حقاً ؟!!!!

لكن نظرته التي مالت إلى شيءٍ يشبه المكر جعلتها تتراجع هي الأخرى بخوفٍ و ارتياب من
نفسها..قالت تبتلع ريقها بتلعثم ؛
_أقصد.....قليلاً !

ظل هادي ينظر لها بنفس الطريقة المربكة.. فعبست شهد قليلاً.. ثم لم تلبث أن نظرت حولها
لتهمس و كأنها تكلم نفسها بصوتٍ مكبوت ؛

_ربما عليّ أخذ قسطٍ من الراحة بالفعل.. لقد أصبحت أهذي !
لم تدري بالفعل.. أو ربما تقصدت أن تجعل جملتها مسموعة إلى هادي الذي استفاق للتو
لشحوبها الذي كان قد بدأ يتناساه.. فقال فجأة وبدون مقدمات ؛
_ماذا قالت لك أمي ؟!!!

تلقائياً كانت شهد تسترجع كلام عفاف.. بذلك اللقب الذي رنّ في أذنها بشكلٍ مزعج.. لكنها رغم
ذلك.. قالت و هي ترسم أكثر ملامح طبيعية في العالم ؛
_ليس بالشيء الكثير.. لقد... لقد كنت متعبة بشدة لدرجة أنني لم أستطع أن أقطع الطريق
كاملاً نحو الحمام فاستفرغت هناك.....
صمتت تتجنب عينيه بإحراج قبل أن تكمل ؛
_ثم جئت أنت !

ثم قالت و هي تعيد أنظارها إليه برجاء ؛
_هل نستطيع النوم الآن ؟!!!.. أنا لا أشعر بأني على ما يرام !
سرعان ما كانت تنقلب نظرات هادي من التوجس الذي سكنها قبل لحظات.. إلى قلق كبير
يكاد أن يتحول إلى فزع..

ثم لم يلبث أن تمسك بكتفها يدفعها برفقٍ إلى أن أصبحت مستلقية تنظر له بعينيها
الوديعتين و المشرقتين في نفس الوقت.. همس برفق و هو يدثرها جيداً ؛
_لقد كتب لك الطبيب بعض الأدوية.. هل ستخافين لو بقيت بمفردك قليلاً ريثما أذهب
لأحضرها و أعود بسرعة !

بدا الرفض جلياً على ملامح شهد.. و همست و هي تتمسك بيده التي على وجنتها بإلحاح واهن
؛

_لما لا تبقى معي اليوم.. و تذهب لاحقاً لاشترائه.. أنا... أستطيع الصمود بدونها حتى المساء.. أو
حتى الغد ربما !

مالت عيناه بحنانٍ و هو يطرف بهما قليلاً.. تاركاً يده بين يديها اللتين أحكمتا من تمسكهما بها
بشدة.. مانعة إياه من التحرك بالفعل و كأنها لم تكن تطلب منه بلباقة منذ لحظة أن يبقى معها... بل
تأمره أمراً !

تهد بقوة و هو يقترب قليلاً ليستلقي بجانبها..فالتفتت إليه شهد تلقائياً لتقابله بعينها اللتين
بدتا هادئتين و ساكنتين إلى أقصى حد..

كانت يده لا تزال تحت وجنتها..و يبدو أنها استساعت الأمر بالفعل فتمسكت بها بقوة أكثر
مما يتمسكُ المرء بوسادته الناعمة بُغية النوم !

لكن عينها انحرفت قليلاً بعد لحظاتٍ تتأملان نفس المكان..ذلك الأثر بحاجبه.. فهمس و هو
يتتبع تلك النظرات الزائغة باهتمام ؛

_ ما مشكلتك بالضبط مع هذا الأثر ؟!!!

لمح ابتسامتها الغريبة الناعسة و هي تؤطر خطَّ عينها الدقيق..ثم همست بصوتٍ صادق شرع
يتلاشى بنفس الطريقة التي انسدت بها تلك العينين الجميلتين بضعفٍ ؛

_ مشكلتي الوحيدة معه هي أنني.....

اختفى صوتها في آخر كلمة تماماً تاركة إياه ينتظر تنمة جملتها بوجه مُمتع..لكنها صمتت
تماماً..بل و تفاجأ بأنفاسها التي انتظمت تماماً..مما جعله يعقد حاجبيه باستياء..ثم همس و يقترب
منها أكثر ملامساً جبينها بجبينه ؛

_ هي أنك...ماذا ؟!!!!

تهد بقوة حينما تلقى سؤاله الصمت التام..لكن عينيه سرعان ما عادتا لتتسعان بدهشة و
هو يسمعها..بعد لحظاتٍ أخرى من الصمت..تستأنف بصوتٍ خافتٍ جداً ؛
_ أحبّه !

تجمد هادي مكانه تماماً..هل كانت هذه همستها المقتطعة بالفعل ؟!!..وجد نفسه يبتسم
مرغماً..ابتسامة واسعة سعيدة بما سمعه..

لكنه اضطر في النهاية لأن يتركها على مضضٍ..فسحب يده بحذر شديد و رفقٍ أشد من تحتِ
رأسها..قبل أن يرفع الغطاء فوق جسدها أكثر..

تربيتة أخيرة و قبلة على وجنتها المتوردة منحها لها..ثم كان يقف أخيراً متجهاً إلى الباب..إلى أن
أغلقه بهدوءٍ من خلفه..ثم رفع هاتفه يطلب رقم سائقه الخاص الذي نادراً ما يحتاجه أمراً ؛
_ هناك بعض الأدوية..سأخبرك بأسماءها على الهاتف..أريدك أن تحضرها لي في الحال !

" 38 :قبلة الحياة "

#الكاتبة

" ارحلي من هنا ! "

تلك الجملة لم تنفك تتردد في عقلها بالحاح شديد لعدة مرات..لتشعل النيران بعينيها اللتين
فقدتا اليوم كل الإتيان و القوة..لتتحولان إلى مجرد مُستعمرتين من الجنون و الصدمة..
إنها حامل..تلك الفتاة اللقطة حامل !

هل على الماضي أن يكرّر نفسه بهذا الشكل السيء كل مرة ؟!!..
لكن هذه المرة يبدو الأمر أشد سوءاً..فذلك الطفل يكون ابن هادي..حفيدها هي..من لحمها
و دمه..و هي لا يمكن أن تتخلى عن أي شيء ينتهي لها في هذا العالم !
حتى و لو كان جنيناً صغيراً لم تحلم أو تتوقع مجيئه للحياة يوماً..لكن السؤال الأقوى الذي
لم يلبث أن تأرجح في عقلها طوال الطريق...متى ؟!!..
ألم يكن من المفترض أن يكون ذلك الزواج مجرد عرضٍ صوري يرضي مصالحها هي
حصراً..ألم تعمل بكل جهد على أن تقطع كل سبل الصلح بينهما حتى كادت أن تفلح..لقد وقفت على
إجراءات طلاقهما بنفسها..فمتى حدث كل ذلك تباً ؟!!..
توقفت السيارة أمام القصر..فتحت الباب الخلفي قبل حتى أن يستطيع السائق أن يخرج
بغاية فتحه لها كما العادة..

للتقدم بدون أن ترمقه بأي نظرة بخطواتٍ ساخطة نحو ذلك الكهف..لا المنزل..فالمنازل لا
تسمى منازلًا إلا بوجود عائلة حقيقية تحتويها بداخلها !
و ما إن فتحت الباب كانت تتجه إلى السلالم الطويلة لتصعدا بخطواتٍ مجنونة
كلامحها..متجهة إلى غرفتها العريضة إلى أن دفعت الباب بقوة و دلفت..
حينها فقط كانت ترفع يدها إلى شعرها تشعر بالحيرة تستنزف عقلها..حيرة ترافقها كل
مشاهد اليوم..ترافقها تلك الحقيقة..و ذلك العجز الذي أصبحت يدها مكبله بأصفاده..
هي لن تستطيع أن تفعل أي شيء بعد..لقد خسرت كل الفرص بالفعل..الآن لا تجبرها قد
يفيد فتلك الخرقاء لم تعد تخاف منها..

و لا تهديداتها قد تنفع..فماذا عساها تستطيع أن تهدد أيّ منهما ؟!!

و لا حتى تستطيع أن تؤذيها فهي تحمل حفيدها بين أحشائها..لقد فقدت كل حيلها.. لقد
فقدت عفاف الشاذلي كل حيلها أمام مجرد لقيطة صغيرة لم تكن تفقه من الحياة شيئاً حتى قبل
شهور عديدة !!!!

شعرت بالاختناق..ذلك الشعور يخنقها..فكرة عجزها تقتلها..
فاقتربت من المنضدة الملاصقة لسريرها الفاره هنا لتفتح أول درج و تخرج علبة بيضاء تخص
بعض المسكنات..و بدون تردد كانت تفتحها لتخرج واحدة منها و تدفعها إلى فمها بعد أن سكبت
لنفسها كأساً من الماء المحفوظ في قنينة مغلقة فوق المنضدة..
اكتسحت الكأس كاملاً قبل أن تعيده إلى مكانه و تهاوى جالسة فوق السرير لا تزال تنقل
عينها حولها بغضب أهوج مصدره شعور الإنهزام الذي لم تتقبله جميع حواسها..
و قد كانت تلك خطوة جديدة تقطعها في طريق انهيارها المحتم الذي لا تدري به هي بعد !!
أو ربما تدري..أي حياة تلك التي أصبحت تعيشها؟! أين عائلتها التي منحت كل حياتها فداءً
للحظة واحدة تجمعهم سوياً بدون أن يكون أي فرد منهم ناقصاً...و لا مضافاً !
أين إمبراطورية عفاف الشاذلي التي سعت إلى بنائها حجرة بحجرة لسنين طويلة حتى قاربت
على ملامسة كل أحلام الازدهار !!!

إنها ليست سوى امرأة فقدت كل فرصها في إعادة لمّ شمل عائلتها المفقود..أمّ استنزفت كل
الطرق الجيدة و الرخيصة حتى تتمكن من حماية عَشَّها الذي اعتبرته كبيراً و سعيداً يوماً ما !
امرأة جابهت الحق بالباطل..و وقفت بهمة ذات يوم أمام فتاة ليست أكبر من طفلة لتلقي
بوسيلتها الدفاعية الوحيدة أمام وجهها...المال !
أمرأة إياها بكل عنجهية أن تتخلى عن حقوقها..و أن تسقط قضية الإغتصاب التي رُفعت ضدَّ
ابنها !

لكن الفتاة أبت إلا أن تعاند..و في النهاية لم تحظى سوى بوصمة عار جديدة.. فضيحة على
مرأى من الأعين..فالطرف الظالم انسل من حبل المشنقة بمُنْتَهى اليسر..
ليطلق عليه أمام العلن لقب الشاب المظلوم الذي حاولت خادمتها الصغيرة توريطه في جريمة
لم يرتكها..

و بالتالي بات الظالم مظلوماً..و سقطت الفتاة المسكينة خلف منصّة الاتهام تنتحب زهرة
شبابها التي ذبلت قبل أن تزهر أوراقيها !
و ما كانت النتيجة ؟!!

أن ذاع خبر انتحارها في اليوم التالي..و كأنها أبت إلا أن تنال العقاب على ما لا ذنب لها
به..فلفت نفس الحبل الذي انسل منه هو حول رقبتها و ماتت...ببساطة !
لم تتخيل عفاف الشاذلي حينها بأن نفس المشهد قد يتكرّر أمامها بعد سنواتٍ قليلة
جدًا..لكن مع تغيير بسيطٍ في الأدوار و الأحداث..
و لم تتخيل بأنها ستقف عاجزة مكان تلك الأم التي عجزت عن حماية ابنتها و لو بكلمة..
مثلما عجزت هي عن حماية ابنتها...سجى !..و عقاب ابنها شهاب..ليس خوفًا من نفوذه..بل من
قلبي الذي لن يرضى بفقدانه مهما حدث...فهو ابنها في النهاية !
الحقيقة أن حياتها تشبه شريطًا يكرّر نفسه..مقدر لكل حدث مرّ في حياتها و وقفت هي فيه
مكان المتجبرة المنتصرة..أن يتكرّر مجددًا بطريقة أخرى..
لتجد نفسها بطريقة ما...خاسرة !
رفعت يديها اللتين كانتا شبه مرتعشتين لجبينها..بينما استقرت عينها بنظرة غامضة متبلدة
كالغيوم نحو ذلك الصندوق الحديدي الصغير نسبيًا المحفوظ في جانبٍ معين بجانب طاولة الزينة..و
الذي يشبه خزانة تغلق بأرقام سرية..
و قد استذكر عقلها جملة سمعتها قبل زمن طويل..جملة أتها من امرأة بسيطة الملامح و
المُستوى..رغم أن ملامحها لم تمر في عقلها بالوضوح المناسب..لكن صوته كان واضحًا جدًا..
" هذه الرسالة ، أريدك أن تعطيها لها في عيد ميلادها العاشر..و سأعمل على إرسال رسالة
جديدة لك كل سنة في نفس التاريخ على أمل أن تقدمينها لشهد بدلًا عني..هل أستطيع أن أثق بك ؟!!
"
ليتها كانت عند حُسن الثقة بالفعل..ليتها لم تختارها زوجة لابنها حتى رغبة في إنقاذه من
الضياع الذي كان فيه..ليتها لم تأخذه معها يومًا إلى دار الأيتام..بل ليها قطعت كل سبيل للوصول
بينهما منذ البداية..
لقد كان أكرم محقًا..لو لم تُمهّد طريقًا عريضًا لذلك الحب القديم لما عادت جذوره لتثبت
غرسها مجددًا حيث تمّ اقتلاعها..هذه المرة بطريقة أبدية..
فمن ذا الذي سيستطيع اقتلاع تلك الروح التي سترتبط بينهما إلى الأبد حتى لو حدث فراق..هي
لن تفعلها طبعًا..و لا ستسمح لأيّ أحد غيرها بفعلها..
فهو في النهاية حفيدها هي...ابن هادي !!!

_حسناً لا عليك..دقائق قليلة و أكون عندك !

كان هذا صوت يسرا الذي خاطبت به شهاب عبر الهاتف..لكنها لم تكذ تغلق الخط و تنزل الهاتف لتضعه فوق المنضدة الخاصة بها..

حتى كانت تسمع بجزع ذلك الصوت الصارم الذي أتى من خلفها يسألها بوقار رغم كل شيء..
_مع من كنتِ تتكلمين ؟!!!..

كان ذلك صوت زوجها الذي دلف للتو للغرفة بحيث لم يلتقط عقله إلا حرفاً واحداً من جملتها الأخيرة..

ارتبكت يسرا بشكلٍ واضح أمام عينيه..لكنها تمكنت بعد لحظة واحدة من أن تخفي ارتباكها بنجاح و هي تقول بينما تضيف بعض اللمسات على ملامحها ؛

_إنه اتصال من العمل..عليّ الذهاب الآن !

جلس زوجها -علي- في طرف السرير قائلاً بصوته المقتضب بينما يرتدي حذائه الأسود الناصع ناظرًا لها من خلفها عبر انعكاسها في المرأة التي تجلس أمامها ؛

_في أيّ ساعة ستعودين ؟!!

_السادسة و النصف !

قالتها بدون أيّ توتر أو تعقيب على نبرته التي تبدو كنبرة شرطي يجري تحقيقاً في غاية الجدية بالفعل..فقال بدون أن ينظر لها و هو يعدل شيئاً ما في حذائه ؛

_جيد..سأتي لأقلّك..

لكنه لم يتوقع إجابتها..بحيث شحب وجهها قليلاً بقدر ليس كافياً ليزرع بدور شكٍ قوية في عقله و هي تجيب متلكنة ؛

_لا..لا أظن بأن هنالك داعي..سيارة الشركة ستقلني حتى باب البيت..

نظر لها علي بتوجسٍ للحظة..قبل أن يقول بينما يرفع حاجباً واحداً بنبرة حملت أعمق من معناها الظاهر ؛

_متأكدة ؟!!

أومأت له يسرا بسرعة و الرهبة تنهش حواسها..فعاد يكمل ما كان يفعله مردفًا بصوتٍ

مقتضب يحمل نوعاً مزيّفاً من اللا مبالة ؛

_جيد..اتصلي بي فور عودتك..

عادت تومئ له بطاعة..ثم راقبته بينما يقف ليمسكَ بذلك المُسدس الذي يخصّ العمل
حيث قام بتثبيته في مكانه في خاصرته في حركة تتبعتها عيناها..
قبل أن ينظر لها مجدداً..نظر لها بعينيه العميقتين اللتين تناسبان مهنته كرجل قانون فعلاً
ليضيف بنبرة أشدّ خطورة ؛
_مكالمة فيديو !

و نفس الإجابة بالطبع..هي لا تملكُ قرار معارضته أساساً..الحقيقة أنها لولا إصرار شهاب
عليها بأن تبقى في هذه العلاقة أكثر إلى أن يكون على أتمّ الاستعداد للزواج بها لطلبت الطلاق و
تخلصت منه في أقرب فرصة..

لا تدري بأن ذلك الرجل الصارم ورائها..و الذي لطالما اتصف بصفتِ رجال الشرطة
الحقيقيين..كان عقله قد بدأ يقرع جرس تنبيه خطير..
فتلك السيدة التي تجلس أمامه الآن..و المُسماة بزوجته..تخفي عنه شيئاً ما لا ريب..هو
يستطيع تخمين ذلك بالطبع..
من حركات عينيها..و ارتباك أنامل يديها بينما تجيبه..و اهتزاز نبرات صوتها في كل مرة اتصل
بها أثناء رحلة سفرها التي طالت بشكل مزعج..
و غموض عملها الذي يعرف مقرّه بالتحديد..لكنه لم يزرها هناك إلاّ لعدة مراتٍ قليلة لا
يتذكر عددها..فهي دائماً ما تعود بسيارة العمل كما تقول !
راقبها و هي تقف لتمسكَ بحقيبتها و تتجه نحو الباب بهدوء..لكنها ما كادت تفتحه و تخرج
حتى كان يأتيها صوته موقفاً إياها..
_يسرا !

توقفت للحظة و استدارت له بحاجبين منعقدين تسائلاً لم يحجب ارتباكها عنه.. فانخفضت
عيناه في نظرة تفحوصية دقيقة شملتها من أخمص قدميها حتى رأسها..حيث كانت ترتدي أبهى حلة
لديها ربما!..

ثم قال ينظر في عينيها بصوتٍ شعرت به يحمل تهديداً خفياً ؛
_تذكري بأنني سمحت لكِ بالعمل امتثالاً لرجاء والدتك فقط..أنا لا أزال صامداً حتى هذه
اللحظة فقط لأنني لم أرى ما يزعجني أو يثير ارتياحي..في اللحظة التي سأجد بها ضالتي فلن تكوني
بخير..صدقيني !

شحبت ملامحها أكثر بشكل بدا واضحًا هذه المرة لعينيه..فهي تعلم كل العلم ما هو قادر على فعله..هي لن تكون بخير حتمًا لو لم تتخلص منه قبل أن يعلم أي شيء عنها و عن شهاب.. لا تزال تتذكر حتى هذه اللحظة تلك المرة التي رفع يده عليها بدون تردد ليمنحها صفعه لم تفقد أثرها حتى اليوم..بدون سبب وجيه بالفعل.. سوى أنه أمرها بأن لا تخرج..و خرجت متعللة بظرفٍ مهم..بدون أن تأخذ إذنه !..و قد كان هناك ظرف بالفعل..ظرف أتفه من ذكره ! حيث أنها في غمرة حرصها على تنفيذ طلبه..وجدت شهاب يتصل بها ليأمرها هو الآخر بأن تأتي إليه في منزله الذي يقبع في منطقته بعيدة قليلًا عن منزله الحالي.. و الذي ستذهب إليه اليوم..و لم تستطع أن ترفض بالطبع فخرجت على أمل أن تعود بسرعة..لكنها تأخرت..و نالت عقابًا لم تتخيله ! ظلت تنظر له لعدة ثوانٍ و كأن عقلها فقد التركيز تمامًا..لكنها في النهاية استطاعت أن تهز رأسها قليلًا مشكلة إيماءة لا معنى لها..لكنها أيضًا لا تملك أي رد فعل غيرها !

كان شهاب يجلس أمام التلفاز بملل كما العادة..فهو لا يفعل شيئًا هذه الفترة سوى الجلوس في المنزل و انتظار تلك الحمقاء أن تحضر له أي خبر عن مكان سجي.. تبًا..إنه يكره هذا الوضع..و لولا خوفه الشديد من ردة فعل والده و والدته لو علموا بعودته الآن لظهر للعيان و بحث عنهما بنفسه حتى يجدهما.. لكن ذلك التهديد الصريح الذي ألقاه والده في وجهه في آخر مرة كان يتكرّر في ذهنه مرارًا..ليحفز رغبته في إيجادهما أكثر..و في الاختفاء عن العيان أكثر..فهو يعرف والده جيدًا..هو كفيل بمعاقبته..

حتى و لو كان جزءًا منه متأكدًا بأنه لن يستطيع تسليمه للشرطة كما قال..لكنه يستطيع بالطبع أن يقطع عنه كل سبل الرفاهية في حياته.. أو أن يقوم بنفيه قسرًا عن إرادته إلى مدينة لا يعرفها..ثم يمنعه بقوة النفوذ عن العودة حتى يقرّر هو !

كما أنه يشك في احتمالية قدرة والدته على مسامحته حتى أمد بعيد..فسجي لم تكن يومًا تمتلك مكانة أقل من مكانتهم لدى أمه..لذا كان حريصًا على إخفاء الأمر...فقط لو لم يقرّر لؤي الغبي التدخل !

لكن لا بأس.. هو لن يكرّر ذات الخطأ الغبي الذي ارتكبه من قبل.. هذه المرة لن يحاول إقناعها
لا بقوة الغضب أو الرفق..

هو فقط سيجدها أولاً.. ثم سيستغل فرصته المتاحة الأولى ليختطفها بعيداً عن
الجميع.. سيأخذها معه إلى مكانٍ لا يجدهما به أيُّ مخلوق في العالم !
سمع صوت طرق هادئ فوق الباب فتأقّف بانزعاج و هو يقف ليقترّب منه إلى أن فتحه لتقع
عيناه فوراً و كما توقع على تلك الحمقاء التي خطرت في باله قبل دقائق..
و بالطبع لم يكلف نفسه عناء إلقاء تحية مختصرة حتى.. بل ترك الباب بغير مبالاة ليلتفت
عائداً إلى مكانه فتقدمت يسرا خطوة نحو الداخل مغلقة الباب خلفها بهدوء..
و ما إن اقتربت منه رمقها شهاب بنظرة لا تعابير فيها و هو يقول ؛
هل وجدتِها ؟!!!

قالت يسرا بينما تضع حقيبتها فوق الأريكة الجانبية ؛
_ليس بعد..

نظر لها شهاب بنفاذ صبر مردفاً ؛

و ما الذي يؤخركِ إلى الآن ؟!!!!

تجاهلت يسرا سؤاله تماماً و هي تقترب بسرعة إلى أن جلست بجانبه قائلة بقلق ؛

_دعنا من ذلك الآن.. لقد بدأ زوجي يشكُّ بنا !

و إذا كانت تنتظر منه ردة فعل ترضي قلقها فهي مخطأة.. فقد رمقها شهاب بنظرة جانبية

بالغة البرود.. قبل أن يعيد أنظاره أمامه مصححاً بكل بساطة ؛

_خطأ.. يشكُّ بك أنتِ ، لا بنا !

تراجعت يسرا قليلاً ناظرة له بوجه شاحب لوهلة.. فقال شهاب يضيف بدون أن يكلف نفسه

عناء تغيير زاوية نظره ؛

_تستطيعين العودة إلى المنزل.. و و افيني بكل المُستجدات عبر الهاتف..

ظلت يسرا متسمرة مكانها تنظر له بطريقة غريبة و كأنه صفعها للتو.. صفعه تشبه تلك

الصفعة التي منحها لها زوجها ذات مرة بسببه..

لكن شهاب لم يبدو كمن سيتراجع عن كلامه أبداً.. و ربما الشيء الوحيد الذي جعله يتنازل

بالنظر لها مجدداً هو ذلك الصمت الذي ساد من طرفها.. قال ينهيها بفضاظة ؛

ألم تسمعي ؟!!!

قالت يسرا بتلعثم و هي تبتلع ريقها و تدمرها في أن واحد ؛

هل...قصدت ما قلته للتو ؟!!!!

رفع شهاب أحد حاجبيه بحيرة مفتعلة..ثم لم يلبث أن هز رأسه قليلاً و كأنه استوعب سؤالها

للتو..زفر ضحكة لا معنى لها و هو يردف و كأنه يخاطب طفلة صغيرة ؛

_هل أنتِ حمقاء ؟!! هل تظنين بالفعل بأن أمر زوجكِ يخيفني ؟!! أنا أستطيع أن أحذف

اسمه من قائمة رجال الشرطة باتصال واحد..اذهي و لا تخافي !

لكنها ظلت متجمدة رغم ذلك تنظر له بوجوم..قبل أن تهز رأسها قليلاً بتركيز مفقود..لتقف

بعدها و تتجه نحو حقيبتها إلى أن أمسكت بها و التفتت متجهة إلى الباب..لكن صوت شهاب أوقفها

في منتصف الطريق ؛

_يسرا..

نظرت له باهتمام رغم الشحوب الذي لا يزال يطوف بملامحها..فقال بجدية تامة ؛

_لا تتأخري طويلاً..أريد أخباراً جديدة عن سجي في أقرب وقتٍ !

أومأت له ببطء..ثم استدارت تنوي الرحيل..لكنها عادت لتتوقف و هي ترفع معصمها لترmq

الساعة بنظرة خاطفة..قبل أن تعود لتلتفت إليه..و ما إن رفع شهاب رأسه إليها بتساؤل نافذ

الصبر..قالت برجاء ؛

_لقد أخبرته بأنني سأعود في السادسة و النصف ،هل أستطيع أن أبقى هنا قليلاً بعد... ؟!!

شعرت بالسعادة حينما أوما لها شهاب بنفسِ اللا مبالة المعتادة في تصرفاته معها..و لم

تردد في الاقتراب مجدداً لتلقي بحقيبتها بنفسِ الطريقة فوق الأريكة و تجلس بجانبه..

#هادي

أربعة أيام..كلها لم أخرج فيها من المنزل إلّا في مراتٍ معدودة و لغاية واحدة..أخذ شهد

لجامعتها ثم العودة لاصطحابها للمنزل..لم ألتقى أيّ اتصال و حتى لو تلقيت لا أرد..و لولا إصرار شهد

على الذهاب للجامعة لما سمحت لها..

تلك السعادة الجديدة التي ما لبثت تزرع في قلبي كانت تغنيني عن كل العالم..لهذا كنت

حريصاً على اقتناص أكبر قدر منها و استغلال كل لحظة تمر في حياتي لعيشها بمثالية مع...زوجتي !

حتى شهد كانت النعومة و الرقة تغدقها من كل صوب..أكاد أستشعر حرارة مشاعرها كلما

اقتربت منها إنشأ واحداً و لو بالصدفة..

تجذبني عينها النجلوتين الجاحظتين على الدوام بحُبٍ و خجل..و أناملها في كل مرة تنام
فوق صدري و نحن نتأمل السقف و كأننا نشاهد شريط حياتنا القديمة في العرض البطيء..
و ارتعاشة أطر افها كلما وضعت يدي فوق بطنها رغبة في خلق تواصل صغير بيني و بين تلك
الروح التي تنتمي لنا كلانا !

بل إذا صح القول فأنا أكاد أن أكون مغرمًا بكل تفاصيلها !
رأيتها كما العادة تجلس في الحديقة..لكنها اليوم لم تكن تجلس قرب الحوض لتهتم بالأزهار..
بل وقفت مكاني أراقبها بحيرة ممتزجة بدهشة و أنا أراها تجلس على ركبتيها فوق الأرض..
بينما يدها تمسكُ بمجرفة صغيرة شكلت بها حفرة صغيرة فوق التراب المتناثر حولها..لتضع
بداخلها تلك الوردة الجديدة الوحيدة و تشرع في دفن جذعها العاري بذرات التراب..
ترتدي فقايزن بنين عريضين..بينما شعرها منسدل بارتياحية فوق ظهرها لتلامس بعض من
خصلاته الأرض لشدة طولها..لكن صاحبة ذلك النهر الناعم غير مهتمة أبدًا..فهي غارقة في متعة
خاصة بها !

اقتربتُ منها بهدوءٍ إلى أن توقفت بجانبها..كانت السماء قد بدأت تفقد البعض من نورها قبيل
الغروب..فانخفضت ببطءٍ إلى أن أصبحت أجلس مثلها مُستندًا إلى الأرض بركبتي..
و همستُ بينما أرفع يدي لأبعد خصلات شعرها عن وجهها حتى أستطيع التحديق بها كما
أشاء ؛

ماذا تفعلين ؟!!!

أجفلتُ شهد للوهلة الأولى..لكنها سرعان ما كانت ترسم ابتسامة وديعة و هي تهمس لي بينما
تشير إلى صنع يدها بتألق ؛

_لقد قمتُ بزراعة وردة جديدة !

نظرتُ إلى ما تشير إليه بهدوء..فاتسعت ابتسامتي برصانة و أنا أرى تلك الوردة الغريبة
الشكل..وردة حمراء اللون مائلة قليلة إلى جانب مُعين و كأنها على وشك السقوط..
لكن احتمال سقوطها بعيد جدًا..لأن صاحبة خدود الورد المحترفة في صنع الورد هي من
صنعتها ! ثم أعدت أنظاري إليها فهمست و كأنها تحاول إقناعي بفكرة ما ؛
_لقد قرأت ذلك في مواقع التواصل الإجتماعي..إنها تحتاج إلى العناية بشدة لمدة أسابيع حتى
تزهو بشكل أفضل !

تاهت عيناى عليها و أنا أراقب عفويتها بصمتٍ..لا تزال تُبهرنى حركاتها و براءتها فى الوصف
لحدِّ لا أفهمه..

فأكملت تطرف بعينها بترقبٍ بدون أن تبدي أيَّ ردِّ فعل على يدي التي لم تنفك تداعب وجنتها
فى حركتي المفضلة ؛

هل...أعجبتك ؟!!!!

قالت سؤالها بتوتر و بثقة غير كاملة تمامًا..و كأنما مصير تلك الوردة يعتمد على جوابي

أنا..فقلت بصوتٍ بالغ الهدوء..بدون أن أزيح عيناى من عليها ؛

_أعجبتني...بشدة !

أنا لم أكن أقصد الوردة فى هذه اللحظة بالطبع..لكن لو قصدها فستكون الاجابة نفسها

صحيحة..لأن كل ما تصنعه حبيبتي ينال إعجابي بلا تفكير..

رأيتُ عينها و هما تمتلآن بالحيرة أكثر و هي تنقلهما بين عيناى..بينما احمرت وجنتها بشدة

و هي تدركُ فحوى عبارتي الحقيقي..

لكنها و قبل أن تستطيع إجابتي كنت أنا أقف لأسحبها من يدها معي إلى أن وقفت

أمامي..فانحنيتُ قليلًا لأنفض الغبار عن بنطالي..

لكن عيناى تاهتا مجددًا..عليها!..

يا الله..كيف يمكن لشخصٍ واحد فى هذا العالم أن يتميز بكل هذا السحر و النعومة و

الجازبية و البساطة و الرقة فى نفسِ الوقت !

كانت ترتدي تنورة سوداءً طويلة كُلى مثيلاتها التي ترتديها..بينما فوقها قميص قطني أبيض

دست طرفه السفلي بداخل التنورة كما تفعل فى الغالب..

فهي و قبل أن أشتري لها أنا من الفساتين ما عجزتُ عن إزاحة عيناى عنها كلما ارتدتها كانت

تمتلكُ جميع الثياب بنفسِ التصميم تقريبًا..

لكن باختلاف فى الألوان و نمط القماش و طول التنورة أحيانًا..لكنها بأيِّ منها تبدو

رقيقة..رقيقة إلى أقصى حد !

تجاهلتُ شكلها..و أرغمت نفسي بقوة على عدم التعليق عليه..فقلت أحاول التظاهر

بالإعتيادية ؛

_تعالى معي..أريد أن أتكلم معك قليلًا !

لم تمنع شهد.. لكنها تركت يدي مؤقتًا لتبعد القفازات عن يديها.. أَلقت بهما بهدوء بجانب الوردة و كأنها تخطط للعودة إلى هنا قريبًا وإتمام عملها..

فتمسكتُ بيدها مجددًا لأسحبها معي بهدوء.. لكنها أوقفتني في منتصف الطريق.. و ما إن نظرت لها همست بنبرة استئذان لطيفة ؛

_لما لا نجلس في الحديقة قليلًا؟! و أنا أيضًا أريد قول شيئًا ما !

نظرتُ لها بإستغرابٍ قبل أن أرمق العشب الأخضر تحت قدمي بنظرة سريعة قلت بعدها بعدم فهم ؛

_هنا؟!!!!

و تفاجأتُ أكثر و أنا أراها تحركُ رأسها بالإيجاب مُجيبية ؛

_نعم.. الأمر لا يبدو جميلًا عند تخيله.. لكنك ما إن تجلس و تنظر للسماء ستفهم لما اقترحتُ ذلك..

بقيتُ أنظر لها بلا تعابير محدّدة للحظاتٍ.. ثم بدون أن أشعر قلت بغباء ؛

_لما؟!!!!

رفعت شهد حاجبها بعدم فهم.. فقلتُ أوضح سُؤالي بنفس النبرة ؛

_لما اقترحتِ ذلك؟! أنا لا أرى أيّ تميز في هذا الأمر سوى أن برودة الأرض و الجو ستبتلع كل

القوة المُتبقية لديك و قد ترديكِ صريعة آلام في البطن منذ الصباح الباكر... دعينا ندخل !

لكن شهد لم تتحرك.. بل ظلت و اقفة مكانها تنظر لي برجاءٍ كطفلة صغيرة وديعة و عنيدة.. ثم

همست تحاول إقناعي بشئ الطرق ؛

_لن يحدث لي أيُّ شيء.. أنظر حتى نستطيع أن نبسط وشاحًا فوق الأرض و نتدثر كالنا معًا

بنفس الغطاء.. هكذا لن أمرض أبدًا..

الآن كان حاجبائي ينعقدان بغباءٍ حقيقي.. فأكملت شهد و هي تطرق برأسها تنظر للعشب

الأخضر الاصطناعي بإحباط ؛

_رغم أنني أفضل الجلوس فوق العشب مباشرة لكن لا بأس !

لا بأس.. لا بأس بماذا؟!!!!

حركتُ رأسي لعدة مراتٍ بغير تصديق و أنا أقول بينما ألكز جيبتها بيدي الحرة ؛

_لا بأس؟!..هل تدركين بعد بأن هذا الحمل ذهب بعقلك و صوابك..و الأهم من كل هذا أنه يدفعك نحو طريق الإنحراف رويدًا رويدًا..اصبري قليلاً بعد و سأؤكد من جملتك ذلك اليوم حينما قلت بأنك لم تعودى تخجلين !

كان جلياً عليّ بأنني أحاول إخراجها مجدداً رغم جديتي و دهشتي الحقيقية من طلبها..فقالت مصححة و هي تطرق برأسها قليلاً ؛

_قلت..لم أعد أخجل منك...أنت !

شعرتُ بالابتسامة الخبيثة تتصارع بخبثٍ معي لتدسف لحظة الصرامة هذه و تظهر..خاصة و أنا أراها ترفع رأسها قليلاً مضيفة ؛

_قليلاً !

حينها عجزتُ عن كتم ابتسامتي أكثر..فقلتُ أحرّكُ رأسي مجدداً بقلة حيلة ؛

_أمري لله..انتظريني هنا..

تركتُ يدها لأتجه إلى المنزل بسرعة و أعود بعد لحظتين أحمل وشاحاً صوفياً في يدي..و ما

كدت أصل إليها حتى انحنيت متهدداً باستسلام لأجلس..

لكن تلك الحمقاء الصغيرة ظلت و اقفة في مكانها..فرفعتُ رأسي نحوها لأهمس بنبرة رفيقة

لكنها لا تخلو من أمر ؛

_تعالى إلى هنا !

ظلت شهد و اقفة مكانها للحظة أخرى تقلب عينها بلا هدف و كأنها تراجع عن رغبتها في

الجلوس بالفعل..

فتنهدتُ مجدداً بقلة حيلة و أنا أرفع يدي نحوها لأمسك بيدها هذه المرة و أسحبها نحوي

برفق إلى أن جلست بين أحضاني..ظهرها مُلتصق بصدري..

استساغ قلبي رائحة الورد التي تفوح من خصلات شعرها الخلابة..لكنني رغم ذلك رفعت

يдаى لأدثر كتفيها بالوشاح السميك..

فأنا قد تهون عليّ نفسي..لكن لا يهون عليّ أن أواجه لحظات ضعفها حتى و لو بسبب نزلة برد

!

لكن شهد التي انعقد حاجباها قليلاً بحيرة و هي ترمق الوشاح بنظرة استغراب..ربما كان لديها

نفس النظرية..أو أنها باتت تميل إلى طريق الانحراف كما أخبرتها !

فغرت شفيتها قليلاً و كأنها تود التعقيب على شيء ما لم يعجبها.. لكنها لم تتكلم.. بل أمسكت بالوشاح لتزيحه عن كتفها أمام عيناها.. ثم لم تلبث أن استدارت إليّ تستند بركبتها إلى الأرض كطفلة تمضي الوقت عبثاً في اللعب..

و بدون أن تسألني وجدتها ترفع الوشاح عالياً بعد أن حاصرتني بذراعيها من حولي في حركة لم تقصدها أبداً.. لتدثر كتفاي بالوشاح و تعود لتتخذ مكانها بين أحضانها تاركة الوشاح يغطيها هي أيضاً !

تسمرت مكاني أنظر لها ببلاهة.. لكن البلاهة سرعان ما تحولت إلى ابتسامة متعجبة.. قبل أن ألفت يداي من حولها لأكمل ما بدأت به..

فدثرتها جيداً غير مبدئياً أيّ اعتراضٍ على حركتها و تركت يدي هناك تمسكُ بطرفي الوشاح الذي يلفّها بالكامل.. لكنني أبقي أقرب إليها منه !

شعرتُ بها و هي تتراجع برأسها قليلاً مغمضة عينيها و كأنها أحبت هذا الدفء لتستند برأسها إلى كتفي.. بينما يداها الصغيرتان تتحركان من تحت الوشاح لا أدري ما غاية حركتهما هذه بالضبط.. قلت بينما أشدّد من احتضاني إياها و أغرس أنفاسي بين خصلات شعرها ؛

ماذا كنت تريد أن تقول ؟!!!

همست شهد و هي تفتح عينيها ناظرة أمامها بهدوء ؛

صديقتي أمل..

هممم.. ما خطبها ؟!!!!

همستُ بين خصلات شعرها أكاد أن أكون مُمتناً لها على هذا الصنيع الذي فعلته معي بأن تركتها حرة طليقة اليوم.. فقالت بحذر بينما يداها تتحركان أكثر و كأنهما تبحثان عن يداي المستقرتين فوق بطنها.. لكن من فوق الوشاح..

_لقد دعتنا إلى الغداء يوم غد.. أنا و أنت !

فتحتُ عيناها فجأة أنظر أمامي بوجه مُمتقع بعد أن ابتعدت قليلاً.. ثم قلت بدون أيّ ذرة من حماس ؛

و ماذا كان ردك لها ؟!!!

شعرتُ بتوترها الواضح من تحركات جسدها.. ثم همست تبتلع ريقها بأنفاسٍ سمعت صدى تسارعها ؛

_وافقت !

تلك الجبانة..إنها خائفة من ردة فعلي !

رغم أن ردة فعلي المتوقعة منها كانت هي نفسها..فقد زفرتُ أنفاسي بضيق فأنا لا أحيد
الإختلاط بالناس كثيرًا..أو بصيغة أفضل تروقني هذه الحياة بشدة..
أن أنام و أستيقظ بجانب حبيبتي..أن أتناول كل وجبات اليوم معها..أن نخرج سويًا و نعود
سويًا..أن تغدو محور حياتي و أنا المثل..

لكن المزعج جدًّا في الأمر هو تلك الفكرة..أو ذلك الكيان !

_و من مدعو أيضًا إلى الغذاء ؟!!!

لم تحتج شهد لإجابتي..فصمتت تاركة إياي أستخلصها من ارتباك جسدها و رموشها..ثم
همست بعد عدة لحظات ما لم يفاجئني ؛
_حسنًا..هناك السيدة والدة أمل..إنها صاحبة البيت..و...و السيدة نجوى التي كنت أشتغل
عندها و...و غيرهما...أقصد.....

_و من ؟!!! لماذا تتلعثمين ؟!!!!

صمتُ آخر ساد من جهتها..ثم همست تتهد باستسلام ؛

_و أخوها الصغير...أمجد...!

لم تكذ تنطق جميع حروف الاسم المقيت حتى وجدت نفسي أقاطعها بقوة بدون أن أشعر ؛
_ما شاء الله..و تحفظين اسمه عن ظهر قلب أيضًا !

شعرتُ بذلك الارتباك بجسدها يتضاعف بوضوح..حتى أنني ندمت على صراخي غير المبرر بها
و أنا أراها ترفع رأسها نحوي شبه مجفلة..

ثم همست بتلعثم..بعتاب خفي في صوتها و بارز في عينيها!..

_إنه...مجرد اسم !

حركتُ رأسي بالنفي كطفل متذمر و أنا أردف ؛

_حتى و لو..لا أحب أن أسمعك تلفظين اسم ذلك الرجل بكل هذه الاعتيادية مجددًا..
شعرتُ بالندم مجددًا و أنا أراها تهز رأسها بطاعة على أمري الغبي..ثم همست تطرق برأسها
قليلاً بحزن ؛

_هل سنذهب إذًا ؟!!!

_لا !

قلتُ بصوتٍ قاطعٍ لا يقبل النقاش..فعادت ترفع عينها إليّ برجاء..لكنني استمررت على رفضي
و أنا أشيح بوجهي قليلاً بصرامة..

لكنني تفاجأتُ بيدها التي تحركت لتتحرّر من سجن الوشاح و تمتد نحوي إلى أن لامست
ذقني برقّة..و ما إن استدرت إلّها منصاعاً لرغبة أناملها همست أمام عيناى باستعطافٍ بريء بينما
عيناها تبرقان بشدة ؛

_رجاءً..دعنا نذهب لأجل خاطري أنا فقط !

هل تتوقعون أن يظل مزاجي على حاله بعد جملتها هذه ؟!..

انصهرت كل أطرافي بدفء نبرتها و صوتهها و يدها على خدي..و ماتت كل الانفعالات بعيناى و
أنا أرفع يدي لأمسك بيدها..أغمضت عيناى بشدة و أنا أنزلها قليلاً إلى في لأقبل ذلك الأثر
ببطءٍ..إلى أن همست و أنا أعود لأفتحهما ناظرًا لعيناها برقّة الآن ؛

_لقد كنت أريد أن أقول لك شيئاً ما..ألن تصغي إليّ ؟!!!!

نقلت عيناها بهدوءٍ بين عيناى..قبل أن تومئ بهدوء بدون أن يتلاشى الحزن من عيناها..فقلتُ
بحنان على مقربة من وجهها..بينما يدي لا تزال تغطي يدها على وجنتي..

_كنتُ أريد أن أخبرك بأنني جهزت لك مفاجئة غداً..هل تتذكرين ذلك المكان الذي أخذتك
إليه ذات مرة..حينما وعدتك بأننا سنعود إليه في يومٍ ما..لكن الفرق أننا سندخل إليه يدًا بيدٍ..خطوة
بخطوة !

من ارتعاشة رموشها..و شرود عيناها علمت الإجابة مسبقاً..لكنها رغم ذلك أومأت لي
ببطءٍ..إيماءة صغيرة مستكينة كاستكانة كل شيءٍ فيها..

لكنني لم أتكلم..فهمست هي تحاول استعطاف أحاسيسي أكثر ؛

_نستطيع أن نذهب إلى هناك في يومٍ آخر..أليس كذلك ؟

زَمَمْتُ شفّتي قليلاً و أنا أقول بنفسِ النبرة..بكل رفق ؛

_و نستطيع أن نذهب إلى منزل صديقتك في يومٍ آخر !

تحركَ بؤبؤ عيناها يميناً و شمالاً بغير رضا تام و هي تردف معقبة ؛

_لكنني...وعدتها !

الآن تركتُ يدها بهدوءٍ لأطوق أنا وجنتها بينما أهمس مقترّباً منها قليلاً ؛

_و أنا وعدتك أنتِ..و لا أغلى عندي من وعدي إليك في هذا العالم..هل تريدني أن أخلف

به ؟!!!!

ظلت صامته تنظر لعيناى بضياى..بعينها العاصفتين المُشتتين بي..و كأنها تعجز عن الرفض
و عن الموافقة فى نفس الآن..و كأنها تعجز عن إيجاد التعبير المناسب لإقناعى أكثر..

بل و كأنها تعجز عن تحمل كمّ الضغوط الدافئة التى يحدثها قربى بقلها!

و حينما طال بيننا الصمت..أسدلت جفنها بحزن أكبر و هى تعود لتلتفت عنى ناظرة
أمامها..بدون أن تبعد عنى..بل على العكس تمامًا فما إن أنزلت يدها التى كانت على وجهى وجدها
تغطي يدي بها متمسكة بها بقوة !

حينها لم أجد بدا من استغلال فرصتى الثمينة..فرفعت يدي الحرة لأزيع خصلات شعرها
قليلاً برفقٍ..لأستبدلها بأنفاسى التى لفحت بشرتها بينما أقبل ذلك النبض النائر بعنقها..برقة شديدة
متعمدة..و كأننى أمنحها رشوة من نوعية رفيعة المستوى!..

ثم همستُ فى أذنها و أنا أشعر بأنفاسها تهاوى ببطء ؛

_ لا تخبرينى بأنك لم تنتظري هذا اليوم طويلاً..أن نخرج أنا و أنتِ بمفردنا..لنذهب إلى أكثر
مكان نجبه كلانا..بينما أناملك الرقيقة ترقد بين أناملى..و عيناكِ سليلتى شجرة الزيتون تقبعان بين
عيناي..لنقف بكل فخر أمام العالم..بدون خوفٍ من مستقبل مجهول..و لا ماضٍ يعكر صفو
سعادتنا..هل يهون عليكِ هذا الحُلم أن يتبدّد بكل هذه البساطة لأجل مجرد وجبة غذاء مُملة فى بيتِ
صديقتكِ !

صمتٌ جديد ساد بعد كلامى ذاك..رأيتُ فيه عيني شهد و هما تنغلقان بشدة..ثم ما إن
فتحتهما و استدارت إليّ ببطءٍ..رأيت عاصفة تندلع بداخلها منددة بغيومٍ براقة..
زاغت عيناي و أنا أنقلهما بين عينها الحزینتين..ثم عادت نفس اليد لتمتد نحوى إلى أن
لامست ذقنى..و قالت تنظر لى باستعطافٍ مسكين..بعتابٍ تتخلله غصة لم أفهمها..
_و هل أهون عليكِ أنا تكسر رجائى بكل هذه البساطة !..إنها ليست مجرد صديقة..لقد
ساعدتني فى وقتٍ كنت فيه وحيدة تمامًا..و لولاها لرُبما كنت متُّ من الجوع و الوحدة فى تلك الفترة و
أنا بعيدة عنك !

رغم الحُزن الذى انتقل منها إليّ و ملأ قلبي بمجرد تذكر تلك الفترة العصبية التى افترقنا
فيها..إلا أن عقلى توقف عند نقطة ما..
لقد زال تحفظ شهدي بعض الشيء ناحيتى !..و أبسط دليل يدها التى ما لبثت تتحرك فوق
ذقنى بنعومة !..

فتحتُ في أنوي إجابتها لكنني فجأة لمحت انعقاداً غريباً بين حاجبيها..ثم يدها التي تركت
وجنتي فجأة لتعود و تستقر فوق بطنها..فهمست أضيق عيناى بقلقي ؛

_ما الخطب ؟!!!!

ابتلعت ريقها ببطءٍ أمام أنظاري..ثم همست و الغصة تستوطن صوتها أكثر ؛

_هناك...بعض الألم !

هنا كانت عيناى تتسعان بقلقي أكبر..و قلتُ بسرعة و أنا أعطي يدها بيدي ؛

_أين ؟!!!!

زاغت عيناها قليلاً و هي تطرق برأسها هامسة لي بخفوتٍ ؛

_هنا...

أطرفتُ قليلاً أشاركها النظر حيث أشارت فانتقلت يدي إلى موضع الألم مرثئة بلطفٍ..قبل
أن أسمع صوتها يهمس ببراءة شديدة بينما ترفع أنظارها نحوي مجدداً بتساؤلٍ قلق ؛

_هل يعقل بأنه بدأ يتحرك ؟!!!! أنا لا أعلم بهذا الشأن !

لم أجبها..بل انعقد حاجباى أكثر بقلقي و أنا أتمسكُ بيدها التي تتمسكُ بدورها بموضع الألم

بقوة..ثم لم ألبث أن قلت برفقي و أنا أتحركُ بغاية الوقوف ؛

_لا بأس..لقد أخبرني الطبيب بأنها أعراض طبيعية..ستشربين الدواء و سيخف الألم بعد

قليل..

انحنيتُ عليها مع نهاية كلامي لأدسّ ذراعي الأيسر تحت ركبتيها و الآخر خلف ظهرها إلى أن

حملتها مقرباً إياها إلى صدري برفق..

فشعرتُ بذراعيها ترتفعان فوراً لتتمسكان بي بكل رحابة..بينما رأسها يرتاح فوق صدري و

كأنها أحبت هذا الأمان الذي يجتاحها هناك !

إلى أن دفعتُ باب غرفتنا لأفتحه ببعض الصعوبة و أقترب من السرير حيث وضعتها برفقي

شديد هناك..

ثم ابتعدتُ قليلاً لأفتح أحد الأدراج في الخزانة القريبة و أخرج علبة دواء صغيرة أخرجت منها

مسكناً و أعود لأقرب منها بينما أحمل في يدي كأساً من الماء الذي كان محفوظاً فوق المنضدة..

جلستُ بجانبها أسندها بحنان رغم أنها لم تكن تبدو بذلك الإرهاق الشديد الذي يدفعني لأن

أعاملها بهذا الحذر..إلا أنني لا أستطيع إلا أن أقلق عليها...و أهتم بها !

دَسَسْتُ الحبة في فمها قبل أن أساعدها على احتساء الكأس حتى أفرغته بالكامل..و ما إن

أعدته إلى مكانه همست أنظر بعينها القريبتين باهتمام ؛

_هل زال الألم قليلاً ؟!!! يمكنني أن أتصل بالطبيب لو.....

_أنا...بخير !

قاطعتني مطمئنة بصوتها الناعم..لكنني عجزتُ عن منع نفسي من تتبع حركة يدها التي

استقرت فوق صدري أثناء همسها برجاء..مُصرة على خوضِ نفسِ الحوار العقيم السابق..

_إذا..هل سنذهب إلى منزل صديقتي ؟!!

رغم الحنان الذي اكتسح قلبي محفزاً إيايَ على الانصياع لرجاء عينها هذه المرة.. إلا أنني

حركتُ رأسي بالنفي بحزم لا يمثل مشاعري في تلك اللحظة..و قلت بصرامة بينما أمد يدي لأمشط لها

خصلات شعرها الحريرية بهدوء ؛

_لن نذهب لا لمنزل صديقتكِ و لا لموعدنا المنشود..سنذهب للفحص الطبي !

رأيتُ حاحبها و هما يرتفعان قليلاً بدهشة..ثم لاحت بوادِر الرفض في عينها و هي تهمس ؛

_لكن.....

لكنني قاطعتها مجدداً بصرامة أكبر ؛

_ششش..لا نقاش في هذا يا شهد !

ثم همستُ متجاهلاً تذمرها و إحباطها البادي في عينها و أنا أدفعها برفقٍ لتستلقي و أرفع

الغطاء فوق جسدها أكثر ؛

_نامي قليلاً الآن..أنتِ تحتاجين للراحة..

لكنها لم تنم..بل ظلت تنظر لي بعناد و حزنٍ كطفلة صغيرة..ثم همست تزم شفيتها قليلاً في

آخر محاولة لإقناعي ؛

_حسنًا ما رأيك أن نذهب للغذاء أولاً..ثم ما إن ننتهي نذهب إلى ساحة التزلج..و بعدها إلى

الفحص الطبي..و هذا الأخير لن يأخذ وقتاً طويلاً و بهذا الشكل جميع الأطراف تبقى سعيدة..أليس

كذلك ؟!

نظرتُ لها مضيقاً عينايَ قليلاً ببلاهة شديدة..كشخصٍ يحاول أن يستوعب كلمة واحدة ممّا

قاله الشخص المقابل له و لا ينجح..

ثم أخيراً كنتُ أحركُ رأسي عشوائياً بلا هدف و أنا أفتح في أريد إجابتها..لكنها منعتني

بأناملها التي استقرت فوق فمي..ثم همست تكاد أن تبكي برجاءٍ مسكين ؛

_لا ترفض رجاء..فكر في الأمر لأجلي !

تهدأت بقله حيلة و أنا أرفع يدي لأمسك بيدها مبعداً إياها عن في بدون أن أتركها.. ثم

همستُ أنظر في عينيها الواسعتين بشرود ؛

_لأجلك ؟!!!!

أومأت لي ببطءٍ و عيناها تلمعان داخلياً..لمعة لا أدري ماهيتها الحقيقية..هل هي لمعة دموع..أم

عشق !..

ثم زفرتُ بقوة و أنا أهمس لها برفقٍ شديد الآن..ببطءٍ خالٍ من كل الحزم و الصرامة

السابقة..و صوتٍ يغمره الثبات و الرجاء ؛

_لا نستطيع أن نفعل كل ذلك في يوم واحد يا شهدي..سترهقين نفسك بهذا الشكل !

هزت رأسها بالنفي قليلاً و هي تهمس بالحاج ضعيف ؛

_لا..لن يحدث هذا..أنا أقوى من ذلك !

نعم..أنتِ أقوى من ذلك بالطبع..لكن.....

_أعلم..لكن الطفل ليس قوياً بما فيه الكفاية !

قلتُ و أنا أضع يدي فوق موضع الألم حيث أخبرتني قبل قليل..ثم استرسلت بحزم رقيق جداً

غير قادر على تحطيم رجاءها بهذا الشكل ؛

_علينا أن نذهب إلى مكانٍ واحد فقط..أنا لا أستطيع التهاون في أمر صحتك أكثر !

امتلاأت عيناها بالحزن و هي تردف بنفس النبرة ؛

_و أنا لا أستطيع أن أرفض طلبها بعد أن وافقت..إنها صديقتي الوحيدة !

شعرتُ بضيق غريب ينتابني من هذا الإصرار القوي الذي أقابله منها لأول مرة.. فهمستُ أرفع

أصبعاً واحداً أمام عينيها و كأنني أعددت هفواتها ؛

_صديقتك الوحيدة ؟! تذكرني بأني كنتُ في يوم ما صديقك الوحيد..هل أصبحت تفضلينيها

عليّ الآن ؟!!!

و كما توقعت..اتسعت عيناها بما يشبه الجزع..ثم قالت بحزن و هي تهز رأسها لعدة مراتٍ

بالنفي و كأنها تحاول أن تتخلص من جريمة خطيرة جداً أدنتها بها ؛

_أنت استثناء..مكانتك في قلبي هي شيء مفروغ منه..لا أحد في العالم يستطيع أن ينافسك فيها

لأنك.....

صمتت فجأة فقلتُ أحنها بلهفة حاولت إخفاءها ؛

لأنني...ماذا !!؟

أسدلت رموشها عني بارتباكٍ و حزنٍ في نفسِ الوقت.. ثم عادت لترفع عينها نحوي لتهمس
بعاطفة تكتسح حدقتها..و صوتها ؛

_لأنك تخطيت كل مراحل الصداقة و الحب..أنت...أنت جزء مني..قطعة من روحي..أنتَ
خفقات قلبي التي أعجز عن التنفس لدقيقة واحدة بدونها.....

رفعت كلتا يديها لتطوق وجهي من مكانها..ثم أكملت محدقة بي بعيون دامعة و نبرة لائمة ؛
_لا يمكنك أن تقارن بينك و بين أيٍّ أحد..لأن ذلك الأحد بغص النظر عن هويته... سيفشل
أمامك فشلاً ذريعاً !

شعرتُ بأنني طفل صغير يتلذذ بأنامل أمه التي تحاول جلب النعاس لجفنيه بحركاتٍ أناملها
اللطيفة..و صوتها العذب الذي يجيد إلقاء الأناشيد الدافئة بدفءٍ يشبهها..
و قد كان ذلك أغرب شعورٍ اختبره في حياتي !

شعور دفع ابتسامة باهتة حانية جداً لأن ترتسم على شففتاي..همستُ بعدها و أنا أقرب
وجهي من شهد حتى كدت أن ألامس جبينها ؛

_هل تعلمين ماذا ؟!..لقد زادكِ الحمل جمالاً و نضجاً عن قبل..أشعر بأنني لا أخاطب شهد
حبيبتي الصغيرة..بل امرأة ناضجة على وشكِ أن تستقبل طفلها الجديد..لكن ذلك الطفل مهما بلغت
مكانته في قلبها لا يمكن لها أن تتخطى مكانة طفلها الأول.....

انعقد حاجباها بتشوشٍ أمام جملي الأخيرة المهمة..بدون أن تتركَ وجهي و كأن يدها وجدت
مُسقرها أخيراً فقررت أن تلتصق به إلى الأبد !..

فمالت ابتسامتي لتصبح أكبر و أكثر مرحاً بينما أهمس بدون أن يرتفع صوتي... بمُداعبة !..
_طفلك الأول هو...أنا !

قلتُ جملي بجدية رغم ابتسامتي الهادئة و المازحة في نفسِ الآن..لكن شهد لم تأخذها على
محمل الجد على ما يبدو..فرأيت أحد حاجبيها يرتفع قليلاً تاركاً الآخر معتكفاً مكانه..

ثم لم تلبث أن فغرت شففتها بذهول على ضحكة ناعمة مندهشة..ضحكة بصوتٍ طفولي
رقيق جعل ابتسامتي تتحول إلى ضحكة عريضة بلا صوت..لكنني رغم ذلك قلت أنهرها بجدية ؛
_ششش..لا تضحكي...أنا أتكلم بجدية !

أطبقت شفتيها بطاعة و كأنها تحاول أن تتوقف عن الضحك..لكن عينها اللتين لم يبارحهما
بريق السعادة و الابتسامة العريضة كشفتها..جعلتا كل محاولاتها تلك تتداعى عبثاً..فهمست و أنا
أمرّر أناملتي فوق ملامحها الهية و كأنني أحدها بهدوء ؛

_إن الأمر يبدو في غاية التعقيد بالفعل..لكنه شعور حقيقي..أنا أكاد أن أستشعر ذلك
الدفع الذي افتقدته طويلاً بين أحضان والدتي..بين أحضانك أنت!..و لا تسأليني كيف.. لكنني أشعر
بالأمان معك و كأنك من تتولين مسؤولية حمايتي لا العكس !
زمت شفتيها مجدداً..لكن هذه المرة لا لتخفي ضحكتها..بل برزت ابتسامتها الخالصة عريضة
جداً..ثم انحدرت يداها لترتاحان فوق صدري الخافق باسمها..
و همست بينما أناملها تتلاعب بأنفاسي لا بتلك الخيوط الوهمية التي تنتشر فوق قميصي
الأسود الرياضي ؛

_لن أسألك كيف...بشرط !
قالت كلمة " شرط " و هي تعيد أنظارها إليّ بترقب..أنا أعلم ما هو الشرط بالفعل.. لكنني رغم
ذلك رفعت حاجبائي باهتمام أحثها على الإتمام..فقالت ؛
_بأن توافق على دعوة صديقتي..و نذهب غداً...أنا و أنت !
حسناً..أنا أستسلم..يبدو بأنني أصبحت من هذا النوع من الأزواج الذين يضطرون للإنصياع
لطلبات زوجاتهم الملحة بعد حوار ساعاتٍ طويلة تتفوق فيه الزوجة بامتياز..
لكن الفرق الوحيد بين زوجاتهم و زوجتي..أن لا واحدة منهم تمتلك ربع جمال و رقة و براءة
زوجتي أنا !
تهدأت بتعبٍ و أنا أنظر لها باستسلام أخبرها برأيي بوضوح..لكنني رغم ذلك لم أرغب في أن
أمنحها سعادة الفوز بهذه البساطة..فقلتُ بصوتٍ ماكر و شيءٍ من بؤادرات ابتسامة جديدة يلوح في
عيناي ؛

_سأوافق..لو فعلت شيئاً من أجلي !
شعرتُ بأناملها ترتبكُ فوق صدري..بينما طرقت بعينها بعدم فهم و هي تنتظر تتمّة كلامي
بصمتٍ..إلا أنني لم أتكلم..بل اقتربت منها ببطءٍ شديد..
فأغمضتُ شهد عينها باستسلامٍ و كأنها تخبرني بكل بساطة بأنني لن أكن سوى أتكبد العناء
لنفسي بإلقاء الشروط..فهي فعلياً مستعدة لتفعل أي شيءٍ من أجلي !..و لتستقبل برحابة أي شيءٍ
يبذر مني !

اقتربتُ منها أكثر و أكثر حتى اضطرت يداها لأن تتركنا صدري و تحاوطان عنقي مُتمسكة
بكتفائي بقوة!..

و ما إن لامستُ ثغرها بشفتائي..أتخطى للمرة التي لم أعد أتذكر كم تلك الحدود التي كانت
محظورة بيننا ذات يوم بعيد..

أغمضتُ عيني بقوة شاعرًا بأنني أتذوق الرحيق لأول مرة في الحياة..أو أن حياتي من قبلها لم
تكن مؤهلة ليطلق عليها اسم حياة !

"39 :نقطة ضعفي الأولى"

#الكاتبة

_أنا...عليّ الذهاب الآن..

قالت يسرا فجأة و هي تنظر للساعة و تهّب و اقفة..فرفع شهاب رأسه نحوها ليرمقها بنظرة عابرة..قبل أن يعيد أنظاره أمامه حيث امتدت يده تلتقط من ذلك الصحن الذي يحتوي بعض المكسرات..

فمطّت يسرا شفّتها ببعض الضيق قبل أن تلتفت تهم بالاتجاه إلى الباب..لكن هاتفها رن فجأة فأخرجته من جيب حقيبتها الصغيرة لترفعه إلى عينها..
و لم تكد تفعل حتى كانتا عيناها تتسعان قليلاً بنفس الذعر المُقترن بذلك الاسم..ثم لم تلبث أن فتحت الخط بسرعة ليأتيها الصوت المقتضب من الجهة الأخرى ؛
_أنا أمام مقر عملك..انزلي حالاً لأفلك !

اتسعت عيناها بجزع أكبر..و نظرت لشهاب الذي رفع حاجباً واحداً كرّدة فعل لم تبدو بتلك الجدية التي يتصورها عقلها..ابتلعت ريقها بصعوبة..قبل أن تحث لسانها على الهمس بتلعثم ؛
_أنا...أنا خرجت قبل قليل بالفعل و أنا في طريقي نحو المنزل !
صمت قصير تلقته من الجهة الأخرى..ثم كانت تسمع صوته يقول بنبرة هادئة لكنها تحمل نفس الاقتضاب و الصرامة المخيفة ؛

_لكنك أخبرتي أنك ستنتهين على الساعة السادسة والنصف..الساعة الآن لم تتخطى السادسة و الربع حتى !

تلكأت يسرا أكثر بتوتر و هي تردف ؛

_نعم..لقد ظننت ذلك لكنني...خرجت باكراً.....

نفس الصمت المخيف الذي لا ينبي بالخير أبداً..ثم قال باختصار ؛

_حسناً..نلتقي في المنزل إذا..

كان عليّ في تلك اللحظة يجلس في سيارته أمام مقر شركة الشاذلي الرئيسي..رمق البناية الشاهقة بنظرة عابرة..قبل أن يشغل السيارة لينطلق في طريق العودة للمنزل..

و في الجهة الأخرى كانت تنظر للنافذة بتوتر أفقدها كامل الثبات..فرفعت يدها إلى فمها
تقضم أطرافها ناظرة حولها بتوتر..

لكنها لم تستطع أن تلتزم نفس الهدوء بعد عدة دقائق فقالت توجه الكلام للسائق الذي
يشتغل تحت إمرة شهاب بعصبية ؛
_هلاً أسرع قليلاً من فضلك !

لم يمنحها السائق أي رد فقد دهس المكايح منطلقاً بسرعة أكبر..يشعر بالضيق من صوت
الزفرات المتتالية للحمقاء خلفه..

لا يدري حتى ما علاقتها بالسيد شهاب..و ما الذي يدفعها للتوافد في أوقاتٍ متقاربة إلى
منزله..ثم ما إن تنتهي يضطر لاصطحابها إلى منزلها تماثلاً لأمر السيد شهاب..
توقفت السيارة في المكان المحدد المعتاد ففتحت الباب بدون إلقاء كلمة واحدة تفصح فيها
عن امتنانها أو شكره حتى لتتجه إلى تلك البناية الشاهقة إلى أن اختفت خلف الباب الرئيسي لها
لتصعد الدرجات الطويلة بسرعة فائقة..

أخرجت المفتاح بسرعة لتفتح الباب بأنامل ترتعش بشدة..قبل أن تدلف و حمدت الله ألف
مرة و هي تجد المنزل فارغاً منه..

قبل أن تتجه إلى غرفتها تهتم بتغيير ثيابها في سرعة البرق قبل وصوله..
لكنها لم تدري بأنه كان قد وصل بالفعل..و وقعت عيناه فور وصوله على السيارة التي تحركت
لتوها بعد أن صعدت هي بثنائيتين لتنطلق بعيداً..ليخمن عقله دون ذكاء بأنها نفس السيارة التي
تخصّ العمل و التي قالت عنها..

و قد تأكدت شكوكه بالفعل ما إن فتح الباب ليغط في السكون..اقترب من غرفتهما بهدوء يهم
بفتحها..لكنها كانت مغلقة من الداخل فرفع يده ليطرق الباب لكنه انفتح قبل أن يفعل..
جالت عيناه عليها ببطءٍ و هو يرى البيجامة المنزلية التي ترتديها..أو التي ارتدتها للتو فارتباكها
الظاهر في عينيها يفصح عن كل ما تحاول إخفاءه عنه..

أنزل يده بنفس الهدوء سائلاً ؛

_متى عدتِ ؟!!

ضاقت عيناه قليلاً بشكل غير مرئي و هو يلحظ ذلك التوتر الذي تضاعف في عينيها..ثم
همست ترسم ابتسامة عادية ؛

_ قبل عدة دقائق..لقد كنت مُتعبة قليلاً ففكرت أن أرتاح قليلاً قبل أن أبدأ في تجهيز

الطعام...

هزت رأسها باقية على نفس الابتسامة و هي تكمل بينما تضرب جبهتها بخفة متظاهرة

بالتفاجئ ؛

_يا إلهي كيف لم أشعر بنفسي و أنا أقفل الباب !

ابتسامتها و تظاهرها الذي ظننته متقناً لم يحركا أي شيء في ملامحه..بل ساد صمت قصير من

جبهته جعل ابتسامتها تتلاشى ببطء..

ثم قال ينظر لعينها باعتيادية غير مريحة ؛

_ لا بأس..كيف تشعرين الآن ؟!

نظرت له يسرا لوهلة باستغراب..لكنها سرعان ما هزت رأسها قليلاً و هي تردُّ بخفوت ؛

_أفضل !

أشاحت بعينها عنه و هي تضيف بنفس النبرة ؛

_ ما رأيك أن تدخل لتغتسل و ترتاح قليلاً ريثما أجهز لك الطعام..

أوماً لها علي في حركة لا معنى لها بدون أن تتغير نظرتة الغريبة و الهادئة لأقصى حد..فعادت

تهز رأسها لعدة مراتٍ كإجابة صامتة على شيءٍ مجهول قبل أن تتجاوزه بسرعة متجهة إلى المطبخ..

و لم تكذب تفعل حتى كان يسمع زفرة طويلة منها إن دلت على شيءٍ فهي أكدت بأنها تكذب..كما

العادة...إنه يشعر دائماً بأنها تكذب !

تكاد علاقتهما أن تكون سطحية لا تمت لعلاقة الأزواج بصلة..و يزداد هذا التباعد من جبهتها

خاصة و تلك الفجوة مع مرور الوقت بسرعة تشبه سرعة انتشار وباء فتاكٍ بالجسد..و هذا الوضع

بالطبع لا يرضيه !

ثوان أخرى استغرقها في النظر في أثرها بعينين تشبهان عيني صقر يحاول ابتكار خطة متقنة

يقتحم فيها قفص فريسته..

قبل أن يلتفت ليدلف للغرفة بهدف تغيير ثيابه..ما إن يكاد أن يتخلى عن شكوكه لوهلة من

الثانية حتى تعود الأفكار المجنونة للتسرب إلى عقله بقوة أكبر..

#سجى

هل تتسائلون كيف مضت هذه الأربعة أيام ؟!!!

هادئة..هادئة جدًا في مُنتهى الهدوء و...السعادة !؟

نعم ربما تكون سعادة غير مكتملة لكنني بكل الأحوال أصبحت أستطيع احتضان البعض منها على الأقل..كل ابتسامة ابتسمتها كانت حقيقية..حتى تلك التي زيفتها لأجل لؤي في بعض اللحظات بطريقة ما كانت حقيقية تمامًا !

خلال هذه الأيام..ذهبتُ للجامعة لمرة بعد تلك المرة..وقد كانت المرة الثانية كارثية نوعًا ما بحيث داهمني كسل غريب و مزعج..و نفسُ الرغبة في الهروب ما إن وطأتُ الخطوة الأولى داخل الجامعة و بعيدًا عن لؤي..

لكنني تفاجأتُ أيضًا من سرعة انسجامي مع كل الأجواء هناك..

كنتُ أشعر بأنني تخلصت من عبءٍ ثقيل جدًا..و ربما يعود الفضل في هذا لأشرف..فرسالته تلك و كأنما كانت صفعه جعلتني أستفيق نسبيًا من أوهام الماضي ليتسنى لي لأول مرة رؤية لؤي !.. ستقولون بأن لؤي متواجد معي في كل حين..لكنني فعليًا أشعر لأول مرة بأنني أميزه..أميزه كزوجي..كرفيقي في الحياة..كشريكٍ ثابتٍ مع انعدام احتمالية تخليه عني..و هذا الواقع لوحده كان يشعرني بأمان لا مثيل له !

أما المرة الثالثة فقد كانت شبه طبيعية..بحيث تمكنتُ من إلقاء تحية الوداع المؤقت على لؤي بكل هدوء و تقبل للحياة الواقعية..و بادلني هو التحية بطريقته..بأن أمسكَ بيدي بشدة و لثم جبتي بكل رفق..

ليمضي اليوم الطويل في سلام و أخرج لأقبله أمام الباب..موقنة بأنه سيكون في انتظاري..فهي عادته أن يصل قبل موعد خروجي بدقائق حتى لا يدعي أقف وحيدة تائهة أبحث عنه كالحمقاء أمام بوابة الجامعة..و أنا أصبح حمقاء بالفعل حينما لا أجده حولي !..

و ما إن يراني يستقيم في وقفته محدقًا بي بابتسامة ذات بريق جميل أصبحتُ أميزه في عينيه..بريق يشعرني بأن لا أحد هنا غيري أنا ليراه..أو أن رؤيتي هي هبة عظيمة قُدمت له بعد تفانٍ طويل و سبيل قطعه للحصول على هذه اللذة !

حتى أنني عجزتُ في آخر مرة عن التحركِ نحوه إنشًا واحدًا و بقيت أنظر لعينيه بغرابة..إلى أن بدأ هو يقترب مني فتحركت لا إراديًا لأدنو منه أنا الأخرى..

و ما إن توقفنا أمام بعضنا البعض..كانت أول جملة قالها بهمسٍ حنون هادئ ؛

_هل...كل شيءٍ على ما يرام !!؟

كانت هذه طريقته..أن يسألني ببساطة بدون أن يشعرني بعجزني أو قلقه الذي دائماً ما شعرتُ به غير طبيعياً علي..و أنا في المقابل أومأت له بابتسامة ثابتة متزنة مجيبة ؛
_بالطبع !

قبل أن أشعر بيده على يدي تتخلل أناملي باحتواء..ربما ذلك الاحتواء و الدفئ هو ما يجعلني عاجزة تماماً عن منع يدي الأخرى من أن تمتد لتمسك بذراعيه..
و كأنها لغتنا الخاصة..حيث أفضي إليه بكل مشاعري بلا كلمات..لِيُطمئنني بلمسة ناعمة كالورد فوق ظاهر كفي..و قد كانت تلك الطريقة ناجحة تماماً..
أما غداً..فأنا لن أذهب للجامعة..ليس لأنني لا أريد..بل لأن لؤي طلب مني..بل توسلني حرفياً مستخدماً الطريقة الفعالة في إقحام مكانته لديّ ليقنعني بالخروج معه..و أنا بدون أن أعلم إلى أيّ وجهة سيأخذني...وافقت !

كنتُ في طريقي إلى غرفتي..بعد أن تركت لؤي في المطبخ يعد شيئاً ما للعشاء ربما..شيئاً سرياً على ما يبدو فهو لم يسمح لي حتى بالدخول للمطبخ اليوم أو مساعدته بأيّ شيء..
و ما إن توقفتُ أمام الباب و دفعته ببساطة حتى كانت تقع عيناى على صندوقين مغلفين بعناية شديدة جداً فوق سريري..رمقت الباب بنظرة حائرة قبل أن أبتلع ريقى ببطءٍ لأقترب من السرير بتردد..

لمستُ بيدي غلاف الصندوق الأول الذي بدا كهدية غامضة..و لم أستطع أن أمنع نفسي بعد تردد كبير من أن أمسكه بين يداى لأسحب الشريط الخاص بغلافه بحذر..
فتحتُ الصندوق الورقي بعدها بتأني..قبل أن تتسع عيناى بذهول تام و أنا أرى ذلك القماش البنفسجي الناعم..كانت يدي معلقة في الهواء على مقربة منه فقربتُها ببطءٍ لألمسه و قد كان...ناعماً ؟!
بل شديد النعومة !

أمسكته برفق بين يدي لأخرجه من مكانه و أرفعه أمام أنظاري..و قد كان كما توقعته..فستان بنفسجي شديد الرقة و السحر لدرجة أنني فغرت شفّتي بدون أن أشعر بانبهار و أنا أتركُ الصندوق غير عابئة بالمكان الذي وضعته به..

ثم رفعتُه بكلتا يداى لا أزال غير قادرة على إغلاق في أو التخلص من ذهولي..أو حتى كبح تلك الهمة التي تحرّرت تلقائياً من بين شفّتي محملة بنفس الانبهار ؛
_كم هو رائع !

نعم..كم هو رائع و يخبرني بوضوح بأن الشخص الذي إشتراه لي وضع كل حُبه بداخله..هو شخص يعرفني حق المعرفة و يعلم بأنني لست سأحب فقط..بل سأعشق هذا الفستان !
لكن إذا كان هذا ما يحتويه الصندوق الأول فماذا عن الصندوق الثاني ؟!
نقلت عيناى حينها بسرعة و فضول قاتل لذلك الصندوق الذي لا يزال مغلفًا بشكل مستفز..لكن فضولي لم ينسني رغم ذلك أن أعيد طيّ الفستان في يدي بعناية و أضعه فوق السرير..
لأفتح الصندوق الآخر في ظرف ثانية لا أكثر..هل يجوز بأن أعيد نفس الصياغة لمشاعري السابقة مجددًا ؟!! فالآن و أنا أرى هذا الحذاء الأسود ذي الكعب العالي و المُصمم بدقة لا متناهية لا أشعر سوى...بنفسي ما شعرت به قبل قليل !
لكن لحظة..هل ما أشعر به حقيقي ؟! هل عاد هذا الجانب مني ؟!! ذلك الجانب الذي يجعلني ضعيفة أمام مثل هذه الهدايا !..
و الذي يجعلني ككل فتاة طبيعية في هذا العالم أنزع رغبتى في البكاء امتنانًا لمن أحضر لي كل هذا !

حسنًا..هل تعرفون ذلك المثل الذي يقول "ذكر الشيطان يحضره"..حسنًا هو ليس بشيطان بالفعل لكن القدر أراد له أن يأتي في هذه اللحظة بالذات..
و يطرق طريقة صغيرة لم أتدرك نفسي كفاية للرد عليها قبل أن أتفاجأ به و قد دفع الباب ليضبطني متلبسة و أنا أهم بإغراق قدمي في فردة الحذاء التي وضعتها أرضًا قبل لحظة واحدة..
لكنني تراجعْتُ و أنا أراه بل و أبعدت قدمي بسرعة لأرتدي الخفّ المنزلي بسرعة أكبر..انحنيتُ بعدها لأحمل الحذاء إلى أن أعدته إلى مكانه بكل أدب..حسنًا يا سحى ها قد تحقّق أحد كوابيسك المُستبعدة و أنتِ تبدين كالخرقاء أمامه الآن !
رمى لؤي الفستان و الحذاء الأنيق بنظرة غير عابرة أبدًا..قبل أن يرفع عينيه مجددًا ليقابل عيناى و ما إن فعل حتى قال باهتمام و ترقب شديد و هو يتمسك بمقبض الباب بدون أن يدخل بالكامل ؛

هل أعجبك ؟!!!

نظرتُ له بغباءٍ و عقلي يستوعب ببطءٍ سؤاله..ثم استدرت قليلًا لأنظر للفستان و الحذاء مجددًا و كأنني أحاول إعطائه رأيي بعد يقين..قبل أن أرفع رأسي مجددًا إليه..لأهمس بخفوتٍ و أنا أرفع أحد حاجبائي و أرسم شبه ابتسامة لم تكتمل فوق شففتاي ؛

الفستان..أو الحذاء ؟!!!

قال لؤي يبادلني ابتسامه عريضة لطيفة ؛

_كلاهما !

فهمست سامحة لابتسامتي بأن تتسع قليلاً فقط ؛

_كلاهما..رائعان لكن...لم يكن عليك أن تكلف نفسك إلى هذا الحد..أقصد...ليست هناك

أي مناسبة مُعينة ل.....

_بل هناك !

قاطعني بحكمة..فعقدت حاجباي قليلاً بحيرة..إلى أن أكمل بنفسِ النبرة ؛

_بمناسبة مجموعة الأزياء الجديدة التي سنذهب لمشاهدتها بعد ثلاثة أيام..هل نسيت بهذه

السرعة !!؟

الحقيقة أنني لم أنسى..لكنني حتماً تعمدت أن...أتناسى !

أطبقتُ فهي قليلاً بهدوء و أنا أحركُ رأسي بشكل شبه مرئي دون جواب..و لم يكن يحتاج لؤي

لجواب..بما أن هذه كانت ميزتنا دائماً..أن نتواصل بدون كلمات..

إلى أن تنحنج قليلاً قائلاً ؛

_عموماً لقد أتيتُ لأناديك لأجل العشاء..

ابتسمتُ حينها بجذل و أنا أقول ؛

_هل انتهيت !!؟

الآن كان دوره لمز رأسه بلا صوتٍ..ثم عاد يهمس بدفء ؛

_تعالى !

كانت يده قد ارتفعت لتمتد نحوي الآن و كأنها تؤكد على طلبه أو أمره الذي لا يشبه

الأوامر..فنظرت لها لوهلة..قبل أن أقرب تدفعني طاقة سحرية هائلة إلى أن وضعت يدي فوق يده

بدون أن أبعد عيني عن عينيه..

أشعر بأن بداخل عينيه مُنوم مغناطيسي سحري يجعلني أراقب حركة بؤبؤيها بهذا التفاني !

سرتُ منصاعة ليده التي كانت تدلني على هذا المكان المجهول الذي سنتناول فيه العشاء

اليوم..و قد علمت بأنه مجهول فعلاً ما إن تجاوزنا الطاولة القابعة في الشرفة و التي كانت فارغة

تماماً..

إلى أن توقفنا بجانب ذلك الجو الصغير الذي يقبع بجانب المسبح..و تحت الهواء الطلق

المنعش..و وقعت عيني على أصناف المأكولات البحرية العديدة التي لا تحصى..

كان المكان مزينًا بشكل جميل..و تلك الشموع التي أحاطت بالمسبح في خطوط متوازية تحيط
كل جانب منه أضفت النور و الدفء للمكان..

بينما تكلف ذلك المصباح الدائري المرتاح فوق تلك الطاولة الصغيرة الملتصقة بالأريكة و
الذي كان يصدر منه صوت لحن شاعري جدًا بإضفاء طابع رومانسي خلاب للمكان..
نظرت للوئي مُنبهرة تمامًا و أنا أهمس ؛

_يا إلهي..كيف تفعل كل هذا بدون أن تخرج من المنزل !

قال لوئي مبتسمًا بكل بساطة ؛

_لا أظن بأن هناك داع للخروج من المنزل..هناك أنترنت..و هناك خدمات توصيل تعفينا من
كل ذلك..

بقيتُ أنظر له بصمتٍ و كأنني أعجز عن انتقاء الكلمات لوصفه..و لشكره..ثم و بدون أيّ
تخطيط مني..وجدتني أهمس في وجهه بخفوتٍ..بصوتٍ أجش شبه مسموع ؛
_أنت...رائع !

من الصدمة التي احتلت عينيه علمتُ بأنه سمع همستي بوضوح..فطرف بعينه ناظرًا لي
بتركيز و بتوتر..قبل أن تشق ابتسامة بديعة شفتيه..و قال بنبرة مزاح لطيفة ؛
_اممم..أظن بأن خطتي الشريرة في لفت انتباهك نجحت !

حينها لم أمنع نفسي من الضحك بلا صوتٍ على جملته..و قلتُ بصدق فما أشعر به يفوق
الوصف حقًا ؛

_أنت لا تحتاج لفعل كل ذلك لتلفت انتباهي !

لم أدري لما لمحت نفس الدهول و التوتر و كأنه لم يتوقع سماع هذا الكلام مني.. فظل يحدق
بي بغير تصديق لثواني..يفتح فمه بين اللحظة و الأخرى و كأنه سيرد..إلى أن ارتفع صوته في النهاية
سائلًا بغير تركيز ؛

_ح...حقًا ؟!!!

هل...ما أراه حقيقي بالفعل ؟! هل تلك النظرة التي تغزو حدقتيه حقيقية ؟!

إنه يبدو كطفل صغير يتوسم الإهتمام من أحد والديه..و كلما حصل على بعضٍ منه شعر
بأنه امتلك العالم بين قبضتيه..

فما الذي أعنيه أنا له ؟!! و أيُّ قلب يمتلكه يدفعه للخوض معي كل هذا الطريق الوعر بغير
انتظار مقابل ! إلا لو كان ذلك القلب قد.....

لم أعلم بأنني أثناء شرودي كنت قد أومأتُ له بالفعل..إيماءة صغيرة لكنها جعلت عينيه
تبرقان بشكل أكبر..تنافسان نجوم السماء و تسرقان من نور البدر كل الهباء..
إلى أن شعرتُ بنفسي أسحب مجددًا بفعل يده..إلى أن جعلني أجلس في طرف معين فوق
الأريكة الأثيرة و جلس في مقابلي..لتبدأ يده على الفور في نقل كل ما قد أشتهيه من طعام إلى صحنِي..و
أنا بالطبع استقبلتُ كل شيءٍ منه برحابة صدر..

تناولنا الطعام في هدوء..هدوء مليء بالابتسامات الصادقة..و صوت اللحن الخافت
الجميل..و ما إن انتهينا كان أول شيءٍ تمنيته و حققه لي بكل لطف أن طلبت منه الجلوس بجانب
المسبح..

و النتيجة أن قام بسرعة البرق ليبعد بعض الشموع من جهة معينة حيث جلسنا متقاربين
نتأمل انعكاس صورتنا الضبابية في المياه الباردة حيث أغرقنا قدمينا..لكنني للعجب لم أشعر
ببرودتها..

فذلك السلام الذي نشرته يده التي حطت على يدي في كل أنحاء جسدي كان كفيلاً ليبعد كل
رعدة تخصُّ البرد..و يجلب رعدة أخرى ساخنة..لذيذة بشكل مدهش..
_شهد...حامل !

سمعتُ هذه الهمسة الهادئة منه..فطرفت قليلاً و أنا ألتفت إليه لأنظر له بتفاجئ..فأستأنف
مبتسماً بياسٍ ؛

_لقد تكلمتُ مع أمي عبر الهاتف صباحاً و علمت منها..إنها تكاد أن تصاب بالجنون !
ارتفع حاجبائي معاً الآن بنفس التفاجئ..لكنني لم ألبث أن تهتت مشاركة إياه الابتسامة
اليائسة الباهتة..إلى أن همستُ و أنا أنظر أمامي ببعض الشرود ؛
_إنهما يستحقان هذا الاستقرار الذي يعيشانه..أنا...سعيدة لأجلهما !

قلتُ آخر كلمة و أنا أعود لأستدير نحوه ناظرة في عينيه اللتين التمعتا بنظرة مهمة..ثم همس
لي باقياً على ابتسامته الصادقة الساهمة قليلاً في عيناَي ؛
_و أنا سعيد لأجلكِ أنتِ..سعيد لأنكِ...سعيدة !

تلاشت ابتسامتي قليلاً بدون أن تختفي تماماً و أنا أغرق في ابتسامته هو..و نظرت هو..ثم
سرعان ما وجدتُ نفسي أطرق برأسي قليلاً لأنظر لأنامله التي تحركت برقة فوق يدي متخللة أناملي
باحتواء بالغ..

و ربما كانت تلك الحركة من دفعت عني القليل من التوتر الذي داهمني بعد جملته تلك..

فطرفت بعيناي قليلاً شاعرة ببعض الحرارة تكتسح وجنتاي..

قبل أن أعود لأتطلع أمامي بصمتٍ..و ساد نفس الصمت من جهته لدقائق طالت.. إلى أن شعرت بدهاليس النوم تسحبني ببطء.. فلم أشعر بنفسي إلا و أنا أميل على كتفه لأريح رأسي عليه شاعرة بمغناطيس النوم يجذبني إليه أكثر و أكثر..

و كانت النتيجة المتوقعة أن أغمضت عيناى دون أن أفكر..دون أن أقلق..فأنا الآن بين

يدي...لؤي ! هذا الاسم لوحده قادر على أن ينسف كل ذرة قلق و جزع انتابتني يوماً !

حينما استيقظت صباحاً..وجدت نفسي ككل مرة أغفوا فيها في الخارج مستلقية فوق

سريري..مدثرة بغطائي الأثير بينما تلك النافذة التي تقبع بيني و بين العالم الخارجي تحجب ستائرها ضوء الشمس عني..

لكنني ما كدت أستقيم حتى نظرت بذهول للؤي الذي دخل فجأة يحمل بين يديه مجموعة

كتب تخصني..وقعت عيناه عليّ فوراً فقال يبتسم ببلاهة ؛

_لقد...تركها في الأمس فوق الرفّ في الهو فجلبتها لك..

نظرتُ له بتشوش قليلاً..لكنني أومأت له بغير تركيز فدلف بهدوء ليضع الكتب فوق ذلك

المكتب الخشبي الصغير الذي يقبع في جانب معين من الغرفة..و ما إن نفّض يديه منها مستقيماً حتى

كان يعود ليلتفت إليّ أمراً بحزم ؛

_انهضي بسرعة لتجهزي نفسك..سنخرج حالاً..

الآن أصبح التشوش غباءً و قلقاً..و قلتُ بتعقيب ضعيف ؛

_لكن.....

لكن همستي لم تصل حدود أذنيه..و اقترب لؤي من الباب ليضيف بنفس حزمه ؛

_سأنتظرك في الخارج..لا تتأخري !

ثم غادر و أغلق الباب من خلفه تاركاً إيائي أنظر في أثره بعدم فهم..قبل أن أزر أنفاسي بقوة

لأبعد الغطاء و أقف..

كنتُ أعلم بأن وجهتنا ستكون المطعم..و ربما يكون مطعماً بحرياً فالجو هذا اليوم يبدو

جميلاً رغم بعض البرودة التي لسعتني منذ الآن..

ارتديتُ فستاناً أزرقاً شاحباً وجدته مناسباً تماماً لهذا الجو..و معطفاً قطنياً خفيفاً في الأزرق

الغامق..و وشاحاً خفيفاً أسوداً..أما شعري فقد تركته منسدلاً طليقاً..

و رغم أنني نسبيًا تصالحتُ مع صورتِي في المرأة..و مع مساحيق التجميل التي كنت أحِبها في الماضي.. إلّا أنني اكتفيتُ بالقليل جدًّا منها و الذي قد لا يظهر أثره على ملامحي و خرجت..
و مجددًا..وجدتُ نظرات لؤي عليّ تفرسني حرفيًّا بشكل بات واضحًا الآن..و لسبب ما..كنت مدركة بأنه لا يعتمد هذا..بل هو في الحقيقة بات يعجز عن منع نفسه من التظاهر بالاعتيادية و اللا مبالة أمامي..

لكنني لم أكن عاجزة مثله..و استطعتُ أن أظهار بأن كل شيءٍ طبيعي و بأنني لم ألاحظ شيئًا..حتى أنني تعمدت عدم النظر له في السيارة رغم أنني كنت أشعر بعينيه عليّ طوال الوقت..
فأغمضتُ عيناَي تاركة نسيم الصباح يلفحني بحُب..إلى أن جاءني صوته لطيفًا حانيًا ؛
_سجى !

نظرتُ له باهتمام..فقال بابتسامة ؛

_لقد وصلنا..

التفتُ تلقائيًّا لألقي نظرة على المكان..و هالتي أعداد الناس التي اجتمعت بجانب

البحر..هل...هل سنجلس بين كل هؤلاء الناس بالفعل !

كتمتُ سُؤالي بتعقل و أنا أرفع عيناَي للؤي الذي كان قد دار حول السيارة ليفتح الباب لي محفزًا إياي على النزول بكل أدب و حماس رأيته يلمع بحدقتيه..فمنحته ابتسامة وقورة و أنا أنزل قدماي في الأرض..

لكنني عجزتُ رغم ذلكَ عن حجب القلق بعيناَي اللتين زاغتا قليلًا و هما تتجولان بين الوجوه البعيدة..إلى أن شعرت بكفه يتمسكُ بيدي مجددًا..و صوته يقول بلطف ؛

_سنذهب للمطعم أولًا لنتناول طعام الإفطار ثم بعدها نأخذ جولة في القارب..هل تحبين

ذلك ؟!!!!

و كيف عساي أن لا أحب أو لا أقبل أيّ شيءٍ منك ؟!!

أومأتُ له مجددًا كشخصٍ فاقد للإدراك..و رفعت يدي للمرة الألف لأتمسكُ بذراعه فأنا لا أشعر بالأمان إلّا حينما أشعر بيده تغطي يدي التي تنهش ذراعه بينما الأخرى تحتضن كفي بإخلاص..
و ما إن دخلنا للمطعم..لم أستطع أن أمنع عيناَي من التجول على تصميمه المريح للنظر..كانت الألوان كلها فاتحة يغلب عليها اللون الأبيض بشكل مبهج للقلب..

و ما إن بدأنا في الأكل شعرتُ بأنني أجلس فوق الغيوم لشدة الصفاء الذي ينتشر في كل مكان تقع أنظاري عليه..الشيء الوحيد الذي كان يزعجني هو نظرات الناس بين الحينة و الأخرى..

و هذه استطاع لؤي أن يحلها بأن نقل مكان كرسيه قليلاً ليصبح في مقابلي تمامًا.. فلم أعد أرى سواه بعيناي..و لا أميز إلا يده التي تمسكت بيدي مجددًا..

لكن هل تعلمون ما هو أفضل جزء ؟!! حينما جلسنا في أحد أطراف القارب المفتوح و المتوسط الحجم..حينها شعرتُ بأنني أطفوا في السماء بالفعل..

تلك التي امتزجت شمسها الصفراء بغيوم بيضاء خالية من البرد..

في لحظة من الثانية..كنت أشعر بالزهو لأجل نفسي و أنا أشعر بذراع لؤي تحتوي

كتفائي..كزوجين طبيعيين..

و أنا كأني زوجة طبيعية استسغْتُ ذلك الأمان فاستجبت له برضا و أنا أسند رأسي إلى

صدره..بينما كل حواسي أقرتُ بأن هذا كان أكثر الأيام التي عشتها دافئًا في حياتي..

لكن هل هو كذلك بالفعل ؟!

فما إن نزلنا من القارب لنعود و نسير بين الناس افترقت أيدينا بدون أن نخطط لذلك حينما

رأينا تجمعًا صغيرًا يقبع على بعد مسافة منا..فقال لؤي برفق ؛

_ أنا سأرى ما الخطب هناك..انتظريني هنا !

أومأتُ له بالإيجاب فأنا لم أجد أي معنى للرفض..رغم أنني لم أستسغ فكرة الوقوف بمفردي

و لو لثانية واحدة بدونه..لكن الزحام هناك لم يكن محفزًا لي للإقتراب..فعقدت ذراعي فوق صدري

و أنا أراقب ظهره المبتعد بقلق..

كنتُ في البداية أراقبه بتفانٍ..لكنني لم أعلم كيف و لا متى كان الزحام يصبح أشد.. فبدأت

صورته تختلط عليّ قليلاً بأصناف الناس حوله..

فعكفتُ حاجبائي بقلق أشد و أنا أبحث عنه بعيناي فقط رافضة أن أتحرك من مكاني خشية

من أن يلتفت ليبحث عني فلا يجدني..

لكن أي أثر لم يظهر له..و ما كان مني إلا أن حفزتُ قدمي بقوة لأقترب من مكانه متفادية

الإرتطام بأي من المارة..لكنني لم أستطع رغم ذلك أن أتجنب الجميع فما إن كنت أرتطم مع أحد ما

حتى أنتفض بجزع لا أملكُ أمر التخلص منه بعد..خاصة و أنا أفقد أثره أكثر..خاصة و أنا أتوقف في

المكان حيث يجب أن يكون و لا أراه !!

لم أشعر بنفسي و أنا أتخطى الناس بنفس الحذر إلى أن علمت سبب التجمع و الذي لم يكن

سوى شابًا صغيرًا يعزف الجيتار هنا و يضع أمامه قبعة سوداء يأمل من الناس أن يتصدقوا عليه

ببضع ورقات نقدية..

لكن كل ذلك لم يكن همي..أنا فقط رُحت أنقل عيني في كل مكان هنا..و بين كل الوجوه
بخوفٍ لم يلبث أن اشتد وطأة..لكنه لم يكن موجودًا في أيِّ مكان..

بل أنا واثقة بأنه ليس موجودًا !!

شعرتُ بالجنون يملكني و ذلك الضياع الذي أخبرتكم بأنه يلزمي حينما لا أراه يستوطن
قلبي و عقلي بقوة..بينما ارتعشت أنفاسي و حواسي و أنا أخرج من التجمع لأدخل في تجمعاتٍ أخرى
أصغر باحثة عنه..

إلى أن توقفتُ في النهاية أشعر بأن العالم كله يدور بي..أشعر بأنني طفلة صغيرة تائهة عن
أبيها..أشعر بأن مصير حياتي مرهون برؤيتي إياه..

أشعر بأن قدماي تصبحان هلاميتين لدرجة تعجزهما عن تحمل ثقلي..و بأن أعداد الناس و
خطواتهم المسموعة تطبق على قلبي..و بأنني وحيدة في هذا العالم بينهم..مُعرضة لخطر جسيم قد
يكون سببه أيُّ أحد منهم..و سبيل خلاصي الوحيد...مفقود !

لا لا..هذا ليس أفضل يوم في حياتي بالطبع..بل إنه الأسوء..أنا..أنا أكاد أن أبكي.. بل أنا أبكي
بالفعل..هل أصبحتُ ضعيفة إلى هذا الحد ؟!!

هل هذه هي سجي الجديدة التي أحياها كما قال ؟! سجي التي تعجز عن التنفس و الابتسام و
النوم بدونه ؟! هل هذه هي ؟!

يا إلهي هل تخلصتُ من ضعفٍ قديم لأحصل على نقطة ضعف جديدة ؟!
هل أصبح لؤي هو -نقطة ضعفي- الآن ؟! منذ متى كانت نقطة ضعفي مشكلة في -إنسان- ؟!
لكنه...ليس أيِّ إنسان...إنه..إنه نقطة ضعفي !!!!

لم أكن قادرة على فعل أيِّ شيء..شعرتُ بأن العالم توقف و أنا توقفت معه..لا أستطيع
الذهاب لسيارته فأنا نسيت مكانها..لا لم أنسى..أنا فقط لا أستطيع تحمل فكرة الرحيل بدونه..أنا لن
أستطيع القيادة الآن بالفعل و هو سيفقد عقله مثلي لو لم يجدني..
فأنا الأخرى أعتبر...نقطة ضعفه الكبرى ! إنني أعلم ذلك !

أنا لا أستطيع أيضًا التحرك من مكاني..إنهما حرفيًا لا تتحركان..لقد فقدت الشعور بقدماي
!..لكنني أستطيع بالطبع الشعور بأنفاسي..و سماع صوتها المتناقل بوضوح بينما أجاهد على سحبها..
رفعتُ يداي لأضعها فوق صدري مُمسدة بصعوبة لعلي أستطيع استعادة التحكم بها لكن
عبثًا..أنا لا أستطيع التحكم بدموعي أيضًا..أنا لم أبكي من قبل بهذا الشكل !

كنتُ أنهار ببطءٍ..كنتُ على وشك السقوط أرضاً بيأسٍ و لا يهمني أن يشهد ضعفي كل العالم..و قد ظننت لأول مرة بأنه خذلني...مضخة الأمان التي يستحيل أن أرفع رأسي و لا أراها خذلتي..

لكنه مجرد ظن..لقد.....ظننت !

إلى أن شعرتُ فجأةً بثقل فوق كتفي..كان الثقل مصدره يد...يده !
التفتُ مجفلةً بسرعة البرق لأتفقد مصدر هذا الثقل..لتقع عيناَيَ عليها...إنها مضخة الأمان خاصتي !

كان لؤي يقف ورائي تمامًا..ينقل عينيه بقلبي يفترس كل إنشٍ من وجهه بين ملامحي..ألم أخبركم بأنه سيفقد عقله لو لم يجدني !
بدا الموقف أشبه بمشهد بطيءٍ لا ألوان فيه سوى الأبيض و الأسود..لكن فجأةً..انتشرت الألوان من كل مكان و اتسعت عيناَيَ بغير إدراكٍ مني..
شهقة تشبه شهقة الخلاص تحرّرت من بين شفتاي و تحرّرت بها أنفاسي التي كانت تختنق حتى قبل لحظات..و لم أشعر بدموعي التي شرعت تتساقط أكثر كبحر غزير يشبه الذي نقف على بعد مسافة منه..

و لم أفكر أبدًا و أنا أقرب منه أكثر رغم أنه كان يقف في مقابلي تمامًا لأطوق عنقه بذراعي بقوة لم أعهدني أمتلكها من قبل..بل أنا ظننتُ بأنني على وشك السقوط قبل لحظاتٍ فقط خائرة القوى..

احتضنته بشدة و كأني أحتضن كل الكون..و هو مرادف للكون بالنسبة لي..و أغمضتُ عيناَيَ بقوة تاركة دموعي و أنفاسي تتحرّر أكثر من سجنها الخانق..
و ما إن شعرتُ بذراعيه على خصري تبادلاني هذا العناق بقوة تفوق قوتي..همست عاتبة بنشيج ضعيف ؛

_لقد...لقد أضعتني !!

شعرتُ بضغط ذراعيه يشد من حولي..بينما أخذ نفسًا عميقًا من بين خصلات شعري قال بعده بصوتٍ مكتوم في تلك الخصلات ؛

_لأنني غبي..أنا أسف حبيبي..الخطأ خطئي أنا..أسف..أسف..... !

كان يتكلم بنبرة اعتذار شديد..و قد شعرتُ من صوته و أنفاسه أنه أيضًا كان يبحث عني منذ وقتٍ بنفس الجزع..لكنني لم أملك القوة لإجابته..

فشددتُ من احتضاني له بقوة أكبر..و أطبقت عيناى بنفسي القوة عازمة على سحب العديد
من الأنفاس إلى صدري لعلني أستوعب فقط بأن تلك اللحظات انتهت..لكنها حتى لو انتهت فسيبقى
عقلي يصنف هذا الشعور على أنه أكثر شعور مرعب اختبرته في حياتي !

" 40 :مشاحنات قلبية "

#شهد

كنتُ أقف أمام المرأة أقوم بتقييم ثيابي التي اخترتها بعناية اليوم للمرة الأخيرة..و لأنني أعلم بأن احتمال ذهابي للفحص مرجح اليوم فلم أختَر فستانًا..بل ارتديت من ثيابي القديمة..الأفضل من بينها..

ارتديتُ قميصًا بلون أخضر عشبي و تنورة سوداء طويلة و سترة قطنية في نفس اللون..و رغم أنني لست ماهرة أبدًا و أعلم ذلك في تنسيق الألوان إلّا أنني و أنا أرى نفسي في المرأة الآن شعرت بذهول و سعادة يرافقها رضا تام عن نفسي..

كان هذا قبل أن أسمع صوت انفتاح باب الغرفة و دخول هادي..حينها تسمرتُ كما العادة لثانية واحدة..ثم التفتُ إليه بتردد لأقابل عينيه اللتين جالتا عليّ باهتمام.. رأيتُ ذلك البريق العاشق و الشديد الانبهار الذي احتلها..و هذا كان كافيًا لجعلي أطرق برأسي قليلًا بحياءٍ..إلى أن سمعت صوته يقول بهدوءٍ شديد :

_هل أنتِ جاهزة ؟!!!!

رفعتُ رأسي بسرعة شبه مجفلة..ثم و بدون أن أجيب اتجهت إلى السرير لأجلس في طرفه..لكن شعورًا بات يبدو مألوفًا من الغثيان احتلني بمجرد جلوسي..فأغمضت عيني قليلًا مستجيبة لذلك الارهاق الذي لفّ رأسي..

بينما جاء صوت هادي مُحملًا بالقلق و هو يقترب مني مسرعًا ؛

_ما الخطب ؟!! هل أنتِ بخير ؟!!!

شعرتُ بذراعه يلتفّ من حول كتفائي في نفس اللحظة..ففتحت عيني لأهمس دون أن أرفع رأسي نحوه ؛

_أنا بخير..لقد جلستُ بسرعة لذا.....

صمتُ فجأة..فزفر هادي بقوة و هو يقول بما يشبه التذمر ؛

_ما الذي دهاني أنا لأوافق على هذه الدعوة الغبية بدل الذهاب إلى الفحص الطبي !

رفعتُ رأسي نحوه بقلق..و قلت بتفهم شديد يحتوي بعض الرجاء مخاطبة عينيه القريبتين

مني ؛

_لا بأس..سنذهب إليه بعد الغذاء مباشرة !

ظل هادي صامتًا ينظر لي بغير رضا..فهمستُ بخفوتٍ غير قادرة على إخفاء قلقي ؛

_هل...غيرت رأيك الآن ؟!!!!

كان سؤالي غاية في الإحباط..و مع الإرهاق البادي على وجهي و صوتي فلا بد أنني أبدوا مثيرة

للشفقة !..إنه شعور لا أحبه أبدًا !

بقيتُ أنظر له منتظرة جوابه بصمتٍ و صبر و رجاء..فرفع يده ليلا مس وجنتي بتلك الطريقة

التي تدغدغ مفاصلي و تعجبني..

حينما يترك راحة يده فوق خدي..بينما أنامله الأخرى تتحركُ على وجهي بمنتهى الرقة..و

همس لي بحنان ؛

_لم أفعل..و لن أفعل !

ردُّه الحاني جعل ابتسامة شاحبة مليئة بالعشق تحتل عينا ي..لكنني لم ألبث أن تهدتُ

بخفوتٍ و همست بهدوء بينما ألتفت عنه قليلًا ؛

_حسنًا..سأرتدي حذائي سريعًا و نذهب..

انحنيتُ قليلًا من موضعي أهمّ بامساكٍ حذائي..لكنني توقفتُ بفعل صوت هادي و يده التي

امتدت قبلي لتمسكَ بالحذاء بينما هو ينحني ليجلس أمامي على ركبتيه ؛

_أنا سأفعل ذلك !

يفعل...ماذا ؟!!!!

نظرتُ له بذهول تام يتخلله شعور مفاجئ بالإحراج جعلني أهز رأسي بالنفي قطعًا قائلة ؛

_لا لا...هذا لا يصح !

كان هادي في هذه اللحظة يمسكُ بفردة واحدة من الحذاء عازمًا على الإمساكِ بقدمي

ليلبسني إياها ببساطة..لكن يده توقفت في الهواء و رفع عينيه ناظرًا لي باستغراب حقيقي..

_و لماذا لا يصح ؟!! لقد كنتِ تفعلين نفس الشيء كل يوم لي !

نقلتُ عينا ي بتوتر بين عينيه و أنا أهمس بتلعثم شاعرة بالإحراج يتصاعد إلى وجنتاي بقوة ؛

_أجل..لكن الأمر مختلف..أنت.....

_أنا ماذا ؟!!

قاطعني بصوتٍ هادئ لكن تشوبه بعض الحدة و الحزم..فأطبقتُ فهي بصمتٍ كطفلة

معاقبة و أنا أسمعها يكمل بنفس النبرة ؛

_أنا و أنتِ روح واحدة..لا مكان بيننا لعبارة يصح و لا يصح..مفهوم !
رغم السعادة التي اختلجت قلبي..و التي دائماً ما تختلجه كلما رأيتُ اهتمامه أو عشته و اقعاً
إلا أن ملامحي ظلت ساكنة..و اكتفيت بإيماءة بطيئة من رأسي بدون أن أرفعه نحوه..
لكنها لم تكن كافية على ما يبدو..فقد شعرتُ بأنامله التي ارتفعت ببطءٍ حيث لامس رموشي
بإبهامه إلى أن اضطررت لأن أرفع عيناى إليه..و حينها همس بصوتٍ أقل حدة و أكثر ليونة و رقة ؛
_لقد اعتنيت بي لفترة طويلة..لم تترددي خلالها للحظة واحدة..لم تشعرني بالملل أو بالقرف
حتى في أكثر المواقف حساسية و التي لم تتخلي عني خلالها..لم تفكري في الانسحاب أبداً حتى و أنا
أؤمرك بقوة الضغط و الترهيب أن تبتعدي..حتى و أنا أعرض عليكِ مبالغاً طائلة ما يفوق ما قدمته
أمي...

انصهر قلبي بنار الألم و أنا أرى ذلك الحزن الذي لامس عينيه بينما يستأنف ؛
_ربما لم يتسنى لي قولها من قبل ، لكنني سأقولها الآن بلا تحفظ.....
صمت للحظة ثم أكمل بحرارة و بنبرة تخللها شعور واضح من...ندم !
_أنا آسف على كل ما مضى..أعتذر لأنني تأخرتُ طويلاً في الفهم..لأنني لم أميز الحُب في عينيكِ
منذ البداية..و لأنني تغاضيت بسخافة عن ألمكِ أثناء انشغالي بألمي..آسف لأنني تصرفت معكِ بمُنتهى
الأنانية و التسلط..آسف على كل دمة ساهمت أنا في انسيابها من عينيكِ..على نظراتي الخالية من
الود و العشق رغم أن ما بداخلي لا يحتمل الوصف..آسف على صوتي المرتفع و كلماتي البذيئة..
انحدرت أنامله ببطءٍ لتلامس ذقني بنعومة تشبه القطن بينما يسترسل ؛
_على تلك اللحظة السخيفة التي نظرت فيها لعينيكِ لألقيّ بسهام الحقد في جوفهما بدون أن
يرف لي جفن...سامحيني حبيبتي !

بقيتُ أنظر له مأخوذة تماماً و كأنه ألقى بسحر ما علي..و عجزت تماماً عن إجابته فأنا لستُ
معتادة أبداً على سماع الإعتذار من أيٍّ أحد..ببساطة كل من آذوني في حياتي لم يروا بأنني أستحق
سماع نصف كلمة اعتذار حتى !
ابتلعتُ ريقى ببطءٍ..قبل أن أدفع نفسي بقوة لأن أهمس بخفوتٍ بغية التخفيف من وطأة
الألم و الندم البارز في عينيه ؛

_لا عليك ، لقد كانت...أياماً قليلة فحسب و...نسيتها !
الحقيقة أنني لم أنسها..لكنني نفيتها إلى مكانٍ مجهول تماماً..الآن بات وقع تلك الكلمات التي
كانت تنخر قلبي كما يتفنن المسمار في نخر خشبة مسكينة مُهملاً تماماً في عقلي..

الآن كلما أتذكرها لا أشعر سوى بالامتنان و السعادة..فتلك الأيام العصبية الضئيلة لم تكن
إلا تمهيداً لقدر مضيء مغمور بدفءٍ و حنان لا مثيل له..

علمتُ بأن جملي تلك لن تفي بالغرض الذي أودّه تمامًا..فقد وجدت هادي يهز رأسه بالنفي
قطعاً..و همس لي بعينين تحتقنان بلمعة غريبة ؛
_حتى و لو..هذا لا ينكر بأنني أذيتكِ بشدة..

اجتاحني شعور قوي بالأسى و أنا أنظر له بما يشبه العجز غير قادرة على تخفيف حزنه..ثم
همستُ بخفوتٍ ؛

_لا تقل ذلك..أنت كل شيءٍ بالنسبة لي !

تهيدة طويلة محملة بكل...العشق ! هربت من بين شفتيه و هو يهمس بانصهار ؛

_و هل تعلمين ماذا تكونين أنتِ بالنسبة لي ؟! هل تعلمين كيف أراكِ أنا !

أنا...ربما أعلم ! و ربما لا !!

لكن حتى لو كنتُ أعلم فأنا أحتاج لأن أسمعها كاملة من بين شفتيك..أحتاج لأن أستلقي في

بحر عينيك براحة تامة..بذهن خال من قلق مستقبلي مرهون بنا..

أحتاج لأن أغمض عيني بسلام بعد أن أتوسد صدركِ كل ليلة..أمنة مطمئنة بأن إمكانية

فقداني لذلك الأمان هي بعيدة جداً...بل مستحيلة !

لم أمنحه أيّ رد فعل فقد كانت مشاعري التي ارتسمت على وجهي عاصفة كفاية لأن تمنحه

تحفيزاً أقوى من صوتي على الإتمام..و قد أكمل فعلاً..بنبرة ساحرة ؛

_أراكِ كأميرة تعيش في مملكة قلبي الخالية..وحدتها تمثل دور الحاكم و المحكوم و

الشعب..حتى الشوارع و الأرضية هي أنتِ..أنتِ النسيم العليل و قطرات المطر و تغاريد

العصافير..أنتِ مصابيح الليل التي تمنح المملكة ضوءاً و بهجة..و أنتِ الموسيقى و الألحان الصاخبة

نهاراً و الهادئة ليلاً..أنتِ كل شيء...وحدكِ أنتِ !

هل...تتوقعون بأنني أستطيع أن أبقى صامدة بعد سماعي لكل ذلك ! بل هل تستطيع أيّ فتاة

في العالم أن تبقى صامدة هادئة بعد سماعها لكل هذا الكلام الشعاري و العاطفي من حبيبها الوحيد

! فماذا إذا كان هذا الحبيب هو...هادي !

شعرتُ بحرارة دافئة تتأرجح على طول أطرافي لتغزو وجنتاي كما يغزو العدو مملكة بعيدة

المنال..بينما تجمعت كتلة دموع لم أتحكم بها بداخل جفناي سرعان ما تحرّرت لتنسب كزخات المطر

الهادئة..و عجزت تماماً عن إجابته..

فأطرفتُ برأسي أكثر و رفعت يدي في نية مسح دمعة وحيدة كانت في طريقها إلى ملامسة خدي..لولا أن وقفت يده بالمرصاد لي..حينما ارتفعت لتمسك بيدي بقوة..فرفعت عيناى اللتين أشكُ بأن لونهما أصبح أحمرًا لشدة احتقانهما تأثرًا و سعادة لأنظر له..
لكنني لم ألبث أن أسدلتهما بسلام حينما اقترب هادي مني ببطءٍ ..ليقبل تلك الدمعة في منتصف الطريق..قبلة ناعمة طويلة..

و ما إن ابتعد قليلاً حتى كانت هناك ابتسامة جميلة جدًا تحتل شفثيه..ابتسامة مُميزة لم أرى مثلها من قبل..و كانت النتيجة أن ارتسمت واحدة أخرى مثلها فوق شفثاي..
إلا أنني ما إن شعرتُ بيده على بشرة قدمي تتمسكُ بها برفق لتدسها بداخل الحذاء بفراشه الناعم عجزت عن منع يدي من الارتفاع قليلاً لأغطي عيناى..ثم قلت و أنا أغمضهما بشدة شاعرة بالدغدغة في جميع أطرافي ؛

رغم ذلك يبقى هذا محرّجًا !
كان صوتي منخفضًا لكنه مسموع في نفس الوقت..لكن ضحكة هادئة جدًا و جذابة لأقصى حد تسللت من هادي إلى مسامعي..جعلت ذلك الاحراج يختفي نوعًا ما..
ثم أبعدتُ يدي ببطءٍ لأنظر له..إلا أنه كان مطرق الرأس يكمل عمله بإتقان..إلى أن أغلق ذلك الحزام الرقيق الذي يلتفّ حول ساقاي بارتفاع بسيط..ورفع رأسه نحوي تاركًا نفس الضحكة تحتل وجهه الوسيم..وسيم جدًا...أتذكرون ؟!!!
هل زال الشعور بالغثيان ؟!!

قالها باهتمام بدون أن يتحرك من مكانه أبدًا..و أنا لم أستطع أن أبعد عيناى عن يده التي كانت مرتاحة فوق ركبتى حتى و أنا أهز رأسي بالإيجاب كإجابة على سؤاله..قبل أن أعيد أنظاري إليه بتردد..و حينها لم أستطع أن أمنع نفسي من الهمس بخفوتٍ ؛
هل تعلم ؟! لطالما شعرتُ بأنني أشبه بطلة تلك الحكاية " سندريلا " من ناحية الحظ السيء و الشقاء فقط..لم أعلم بأنني سأعيش قصتها بالكامل على أجزاء !
رأيتُ حاجبيه و هما ينعدان قليلاً بحيرة..بينما غلف الغباء وجهه فجأة..ثم قال بنبرة استفهام ؛

ما قصتها بالضبط ؟!!!
ألا يعرف قصتها بالفعل ؟!! لقد ظننتُ بأن الجميع يعرفها !
همستُ بخفوتٍ و أنا أتجنب عينيه ناظرة للأسفل ؛

_سندريلا كانت فتاة فقيرة يتيمة الوالدين..التقت يومًا ما في ظروف خاصة بأمير كان في غاية اللطف و الوسامة..و مثل كل فتاة تقع عينها عليه وقعت في حُبه..لكنها لم تعلم بأن الأمير بادلها نفس المشاعر منذ أول نظرة..كانت رقصتهما الأولى غاية في الشاعرية و السحر لكنها اختفت قبل منتصف الليل تاركة وراءها فردة حذاء مسكينة..لكن الفردة وقعت في يد الأمير و بالتالي قرّر أن يبحث عنها...

صمتُ فجأة..فهمس هادي ناظرًا لي باهتمام ؛

_و هل وجدها ؟!!!!

رفعتُ رأسي قليلًا لأعاود مقابلة عينيه الهادئتين..ثم أومأت بهدوء و قلت و أنا أصنع ابتسامة جديدة بسيطة ؛

_نعم...بعد أن جعل كل فتاة في المدينة تقيس فردة الحذاء..فلم تناسب غيرها !

_ثم ؟!!!

قال مجددًا بترقب شديد و اهتمام أشد..فصمتُ لعدة لحظاتٍ..ثم همست محتفظة بنفسِ الابتسامة..لكن بشرود غريب ظلل نبرتي و لم أفهمه أنا ذاتًا ؛

_ثم تزوجا و عاشا في سعادة أبدية !

لم أتوقع سؤاله التالي..حينما امتدت يده لتلامس بطني..و قال بصوتٍ دافئ بينما الحنان يكتسح عينيه ؛

_و هل أنجبت له طفلًا جميلًا ؟!!!!

نظرتُ له بدهشة لوهلة..قبل أن أومأ له بالنفي مردفة ؛

_لا أعلم..لقد انتهت القصة بزواجهما !

رأيتُ نفس اليد و هي ترتفع لترتفع فوق وجنتي ملامسة خصلات شعري التي فقدت ترتيبها بعض الشيء مع انخفاض رأسي..ثم قال بحزم ؛

_رأيت كيف ! جميع قصص الحب في الخيال تنتهي بالزواج ! لكن الجميع أيضًا يغفلون

حقيقة أن الزواج أحيانًا يكون نقطة النهاية..و في أحيانٍ أخرى مثل حالتنا يكون بداية..بداية لسعادة أبدية و طريق طويل سنخوضه أنا و أنت و طفلنا...

صمت للحظة و كأنه يتردد في قول شيءٍ ما ثم أردف بنبرة خاصة عميقة ؛

_و أطفالنا !!

بدا وكأنه يسألني عن إمكانية أن يكون لدينا أطفال لا مجرد طفل واحد نحتضنه بكل الدفء طوال حياتنا..و أنا لم أبخل بالطبع بأن أومأت له عن اقتناع تام..

فماذا قد يكون أحبُّ إلى نفسي من أن يكون لديّ أطفال من أكثر شخصٍ أحبه في الحياة..بل من الشخص الوحيد الذي أملكه في الحياة !

شعرتُ بيده تتحركُ أكثر متخللة خصلات شعري بنعومة شديدة..بينما همس لي صوته بسحر ؛

_أنا أشكُ بأنني أشبه ذلك الأمير الساحر الذي تكلمت عنه..لكنك تستطيعين أن تكوني سندريلا بالفعل..أنتِ...سندريلا الخاصة بي !

شعرتُ برغبة جديدة في البكاء تجتاحني..حتى أن عيناَي دمعتا بشدة..ثم همست باعتراضٍ ضعيف جداً ؛

_لا..أنا شهد خاصتك أنت..شهدك...أنت فقط !

هل...ذلك الشيء الذي أراه في عينيه هو بريق دموع أيضاً؟! هل يشاركني نفس الشعور؟! هل يستوعب قلبه و عقله معاً مجدداً بأننا نجلس هنا معاً..تحت سقفٍ واحد برفقة أحلامنا القديمة المؤجلة..هل يستوعب؟!!

أوما لي لعدة مراتٍ سريعة متتالية كجواب..ثم همس محدقاً في جوف عيناَي تماماً ؛
_شهدي أنا فقط !

ثم أضاف بدون أن يفارق عيناَي بنبرة تخللها عتاب مزيف لطيف ؛
_إذا...ألا أستحق أيّ هدية مميزة منك بعد كل ما تكبدته من تعب لأجلك؟! أيُّ تعب بالتحديد؟! هل يقصد مجهود الكلام أم تلك الضحكة الرائعة الجمال التي صنعت يومي؟! أم إلحاحه المستميت لاستلام مهمة ارتداء الحذاء عني و إلباسه لي !
هل هذا هو التعب الجبار الذي يقصده؟!!

حسنًا..لا يمكننا تسميته تعب..لكنه يستحق هدية حتمًا..يستحق هدية في كل لحظة و كل دقيقة..يستحق أن أضع كل هدايا العالم بين يديه !
ارتفع أحد حاجبائي بتساءل حقيقي رغم أن عقلي كان قد خمن ما يقصده..فلم يكلف نفسه عناء الرد و هو يرفع يده لينقر بأصبعه فوق الأثر الحبيب بحاجبه..
حينها لم أجد ما يمنعني من الاقتراب قليلاً و منحه الهدية التي يريد..و احتضان الهدية التي أريد أيضاً..و قد كانت مجرد لمسة رقيقة فوق وجنته..

و كأنني أصنع دعماً وهمياً بتلك الحركة..و ما إن ابتعدت قليلاً لأنظر لعينيهِ..همس على إثر قبلي و هو يقبض على يدي برفق ؛

_لأكون صادقاً فأنا أريد لهذه الهدية أن تكون دائمة..أريدها أن تكون مميزة عن كل هدايا العالم..أن لا يتلاشى شعورها أو أتوقف عن الإنهار و اللهفة لاستلامها في كل مرة.. لذا قرّرت منذ الآن أنني في كل ليلة بدلاً من أن أتمنى لك ليلة سعيدة فحسب..سأقبلك هنا... طبع شفتيه بقوة فوق موضع الأثر بمِعصمي..قبل أن يعود ليدقّ النظر في عيناَي بدون أن يترك يدي و يكمل ؛

_و أنتِ في المقابل ستوثقين عقد الحُب بيننا بهدية مُماثلة كل ليلة ! هل تعلمون ما الذي خطر في بالي الآن ؟! أن أتصل بأمل و أعتذر عن هذا الغداء الغي كما وصفه...زوجي ! إنها الحقيقة..لقد شعرتُ بندم هائل مفاجئ و شعور جميل من النشوة حين تخيلي لفكرة تحقيق ما خطر في بالي بالفعل !

لكنني...لا أستطيع ! فأنا لست إنسانة أنانية تميل إلى تحقيق رغباتها على حساب غيري ! و لا أستطيع أيضاً أن أخذل أمل بعد أن منحتها وعدي بالمجيء.. كما أنني سأبدوا أشبهه بمجنونة و أنا أراجع بعد أن استخدمتُ كل سبل العالم في الإقناع لإقناع هادي بالموافقة !

لذا و كفتاة مؤدبة مطيعة..أومأتُ له بهدوء راسمة ابتسامة مطمئنة فوق شفّتي.. مترددة بعض الشيء..ثم قلت بنبرة استئذان يشوبها بعض التوتر ؛
_هل...أتركُ شعري منسدلاً إذا ؟!

زَمّ هادي شفّتيه على ابتسامة مُميزة..ثم همس لي برفق شديد ؛
_ماذا تريدان أنتِ ؟!!

أطرقت برأسي قليلاً مشيخة عيناَي عنه..و قلتُ بتردد ؛

_أنا أريده اليوم منسدلاً..لكن لو.....

قطعتُ كلماتي هنا و أنا أنظر له بتساؤل..و قد توقعت لسبب ما بأنه سيقسو و يرفض..فأنا أكثر من أعلم بغيرته المبالغ بها..لكنه فاجئني تماماً حينما وجدته يقول باقياً على ابتسامته ؛
_اتركيه منسدلاً إذا..و لنرى من هذا الغي الذي سيتجراً على النظر لزوجتي أمامي !

قال آخر كلماته بنبرة متوعدة مزيفة..بينما اتسعت ابتسامته بوضوح أمام عيناى..و عجزتُ
أنا عن منع ضحكة خجولة خافتة من تزيين شفَتَاى..إلى أن قال و هو يقف أخيراً و يمسكُ بيدي
ليجعلني أقف أنا الأخرى ؛
_دعينا نذهب إذًا..لقد تأخرنا كثيرًا كثيرًا..

طوال الطريق كنتُ حريصة على مراقبة كل تعابير هادى..و كأننى أحاول الإطمئنان فقط من
أنه بالفعل لا يزال متمسكًا بالهدوء الذي كان يظهره فى المنزل و لن ينقض على أمجد فور رؤيته..
و للحقيقة لم يبدو فى المزاج المطلوب..فقد كانت عيناه بجدية على الطريق أمامه.. حاجباه
معقودان كالعادة و جبينه مقتضب لكننى لا أعلم لما ألمح بعض القلق على وجهه..أو ربما عقلى يهوى
لى رؤية ذلك !

إلى أن توقفنا أمام الباب..و شعرتُ بيده المتمسكة بيدي أساسًا تتخلل أناملى بسيطرة
مستترة..بينما اليد الأخرى ضغطت زر الجرس بهدوء..و لم يستغرق انتظارنا أكثر من دقيقة حتى
وجدنا الباب يُفتح على مصراعيه و خلفه يقف زوجان من العيون..
أمجد و أمل ! و الإثنين بديا و كأنهما كانا يخوضان سباقًا حاسمًا يفوز فيه من يفتح الباب
أولًا..و من تكون ابتسامته أكثر بروزًا من الآخر..
لم تتردد أمل و هى تقترب منى بلهفة لتطوقنى بذراعها بشدة مرحبة بمجيئى المتأخر بكل
حُبور..

_و أخيرًا..لقد انتظرنا طويلاً..
رَبْتُ على ظهرها بيدي الحُرّة فقط فيدي الأخرى ظلت مختزنة بين يدي هادى الذي وقعت
عيناى عليه بنظرة مُميّزة ذات شعاع خاص بيننا بعد عبارتها..و ما إن ابتعدت لتلتقي عينها بهادى
رأيتُ نظرة لم تعجبني أبدًا تلوح فى عينيها..
كانت نظرة...دهشة..أو...اندهاش..أم تراها...إعجاب !
ابتلعتُ ريقى ببطءٍ و أنا أقول مشيرة إلى هادى ببعض الارتباك و قد أرسلت تلك النظرات
شعورًا غير مريحًا إلى قلبى ؛
_هادى...زوجى !

خرجت كلمة "زوجى" مشتدة مُميّزة عن التى قبلها بدون أن أشعر..بينما لم أستطع أن أُمْنع
بعض القلق الدخيل من التسلل إلى عيناى و قلبى حينما قالت أمل مبتسمة ابتسامة عريضة ؛

_سعيدة بمقابلتك سيد هادي..

صدقوا أو لا تصدقوا..كان هناك قلق مشابه في عيني أمجد..لكنه قلق مقترن بتلك الواقفة بجانبه..قلق لا أستغربه..

فأنا أعلم بأنه هائم بها..و هي هائمة به في الخفاء حتى عن نفسها !

بينما اكتفى هادي بإيماءة ير افقها شبح ابتسامة صبغت ملامحه الجادة..قبل أن يصافح أمجد الذي امتدت يده نحوه ناظرًا له بنظرة تشاركها سويًا..نظرة تنم عن تضايق خفيّ كل منهما يحجبه عن الآخر بطريقته..أو واحد منهما فقط من يحجبه !

فزوجي هادي..ذلك الشاب الصارم كانت عيناه حادثان تمامًا..وكأنهما جاهزتان لإشهار معدات الحرب في أي لحظة ضدّ المسكين الآخر الذي لا يعي شيئًا..
و قد أشهرها...نسبيًا !

فما إن امتدت يد أمجد إليّ و همّمت أنا بمصافحته كتحية خالصة أخوية وجدت كفّ هادي تطبق على يدي التي بين يده بينما الأخرى..تستلم المهمة عني و تصافحه...مجددًا !!!
امتقع وجه الآخر قليلًا ناظرًا لهادي باستغراب..لكن هادي صنع أكثر ابتسامة سخيفة خالية من الود و هو يردف ؛

_تشرفتُ بمقابلتك سيد أمجد !

يا إلهي..ما الذي أفعله أنا ؟! كان يجب أن أعلم أن هادي لا يمكنه تحمل الجلوس برفقة رجل غريب عنه هو بالذات..و يعتبر من طرفي أنا !..
خاصة لو كان رجلًا لطيفًا -جداً- مثل أمجد !

لم نكد نتقدم خطوة واحدة حتى كنتُ أنسحب بأكثر الطرق ذكاءً في العالم..تمسكت بيد أمل و أنا أقول بصوتٍ خافت ظهرت به ذبذبات توتري بوضوح ؛
_أنا سأساعدك في تحضير الأطباق !

اتجهتُ معها نحو المطبخ بصمتٍ..لكنها بدت ملتفة بشدة و هي تهمس لي بحماسٍ شديد و عينين تبرقان في منتصف الطريق ؛

_يا إلهي يا إلهي لم أكن أعلم بأن زوجك وسيم إلى هذا الحد !

توقفتُ فجأة كآلة تمّ ضغط جهاز الإنذار بالتوقف عن الحركة لها..ثم التفت إليها أنظر لها بعينين متسعيتين لبعض الوقت..قبل أن أهمس محاولة التظاهر بالاعتيادية..بينما بداخلي و لأول مرة..

أردتُ أن أرفع يدي و أصفع أحدهم على مضايقته لي..لكن الشيء المخزي في الأمر..أن

الشخص الذي أردت صفعه هو صديقتي اللطيفة التي تتكلم بعفوية تامة !

_إنكِ تبالغين كثيرًا..دعيني ألقى التحية على خالتي..

تجاوزتها على الفور لأكمل طريقي..لكنها لحقت بي على الفور و أوقفتني مجددًا قائلة بمكر و

بعينين تبرقان أكثر ؛

_مهلاً مهلاً لماذا أصبحت وجنتاك متوهجتان لهذا الحد..هل ضايقتك وصفي له بالوسيم !

زَمَمْتُ شفتاي بقوة و أنا أشعر الغيظ يفترسني من الداخل..ثم أجبتها محاولة التصرف

بنفس الاعتيادية ؛

_و لماذا سأتضايق من مدحك لـزوجي..إنه وسيم بالفعل !

تعمدتُ أن أضغط بقوة على وصف "زوجي" و كأنني أنهرها..و لأول مرة أعترف أمام نفسي بأنها

مزعجة جدًا..خاصة و أنا أسمعها تقول في نفس اللحظة كشخص يتعمد مضايقتي ؛

_هذا يعني بأنني لم أكن أبالغ !

_أمل !

نهرتها بعصبية و أنا أنظر لها بحاجبين معتكفين فوق عينين تحملان من الضيق كله !

رغم أنني كنتُ أحاول بكل قوتي أن لا أظهر لها أيَّ من مشاعري..إلا إنها بذكاؤها المتواضع

لاحظت ذلك..فرايت حاجبها الأيمن يرتفع ببطءٍ متمهلٍ شرير..ثم اكتسحت التسلية عينها في الخفاء

و هي تقول فجأة بانهار ؛

_اووووه..فهمت الآن..أنتِ تشعرين بالغيرة !

زَمَمْتُ شفتاي أكثر و أنا أنظر جانبًا شاعرة بالحرارة تكتسح وجنتاي بقوة..فأكملت بانشداه و

ذهول..و ابتسامة شريرة متألقة تخطُ شفتها و ملامحها المستفزة ؛

_يا إلهي..إنكِ تعرفين شعور الغيرة حقًا !

في تلك اللحظة..عجزت عن منع نفسي..و لم أعرف من أنا بالفعل و أنا أستدير إليها مجددًا

لأهتف بصوتٍ خافت لكنه مليء بالشراسة و التشفي ؛

_نعم أعرفها بالطبع فلقد رأيتها تشتعل في عينيك في كل مرة رأيتُ فيها أمجد يغازل فتاة ما أو

يقف معها !

يا إلهي..إن -الغيرة- تنقلنا من الوضع الآمن المعهود إلى منطقة خطيرة جدًا من الجنون ! و أنا

كنتُ أشعر الجنون بالفعل !!

لكنني إضافة إلى ذلك شعرتُ بارتياح كبير يملأ قلبي و أنا أرى عينها تتسعان باستنكار..بينما
تأثأت شفتاها اللتان هربت الابتسامة منهما بعدة حروف لم تغادرهما..فقلت مدعية التفاجئ و البراءة
الكاذبة ؛

_اووه يا للهول..نسيْتُ بأنكِ تكرهين أمجد بجنون..أسفة...رُبما اختلطت الأسماء في ذهني..هل
لديكِ شاب آخر معجبة به ؟!

كنت أنظر لعينها اللتين لم تتغير نظرة الاستنكار و الدهول و الاحراج المختلط بخجل مدفون
بداخلهما مضيقه عيناى قليلاً باهتمام و كأنني أحنها على إجابة سؤالي الذي لا إجابة له في الحقيقة !
و لم أستطع أن أمنع نفسي من التلذذ بتوترها حينما همست بتضايق انتقل مني إليها ؛
_مزحة سخيصة جداً بالمناسبة !

رفعتُ ذقني قليلاً أمامها كشخصٍ شرير و أنا أقول بتحدٍ ؛

_خطأ..عقلكِ هو الشيء السخيف الوحيد ها هنا !

لم أكلف نفسي عناء النظر لها أكثر أو سماع إجابتها فاستدرتُ عنها لأكمل طريقي بخطواتٍ
صارمة سريعة..و مجدداً كما توقعت لحقت بي بعد لحظة هاتفة بغباء و غيظٍ شديد مني ؛
_لحظة لحظة ماذا قلتِ عن عقلي ؟!!! أنتِ الشخص السخيف الوحيد هنا بالمناسبة !
وصلت إليّ سريعاً لتلكز كتفي بكتفها و هي تضيف عابسة بشدة في وجهي ؛

_لا أعلم ما الذي جعلني أنا بالذات أصادق فتاة سخيصة مثلك !

حسنًا أنا لم أصبح سخيصة إلا بعد أن تعرفتُ عليكِ ! أجابها عقلي تلقائياً بهذه الجملة..لكن
شفتاي كانتا تكتمان ابتسامة صادقة مُحبة !!

في المطبخ..قابلتُ والدَةَ أمل..تلك السيدة البشوشة التي تمتلكُ هيئة أم بالفطرة..و برفقتها
الآنسة رجوى..كانتا كلتاها منشغلتان في إضفاء بعض اللمسات الاضافية على الأكل..ألقيت تحية
ودودة جداً عليهما قابلتاها بواحدة أكثر ودًا..

قبل أن أمسك بطبقٍ معين أمرتُ بنقله أولاً إلى الطاولة..و بالطبع تصالحت مع أمل بعد أقل
من دقيقة قضيناها في المطبخ..

اقتربتُ من غرفة الجلوس حيث كان يجلس هادي برفقة أمجد و لا أعلم أيّ طاقاتٍ سلبية
ستكون منتشرة في الهواء بينهما..

لكنني أعلم بأنني ما إن أوشكتُ على الوصول حتى تنأى إلى مسامعي سؤال لطيف خرج من
بين شفاه أمجد ؛

ـيراودني الفضول لمعرفة كيفية تعارفكما !

كنتُ أقف في مكان يسمح لي برؤية هادي الذي يجلس في مقابلي دون أن تدسني له نفس
الامكانية للأسف..فرأيته و هو يستدير بحاجبين معتكفين حدة إلى أمجد..

إلى أن قال الآخر مفسرًا ؛

ـأنت و شهد !

ضاقت عيناه أكثر و شعرتُ لسببٍ ما بأن الاعتيادية الرائعة التي نطق بها اسمي ربما ستدفع

هادي للإندفاع إليه بغضبه المعبود غير المسيطر عليه و لكمه..

لكنني رأيتُ نظرة مليئة بالفضاظة و البغض المكتوم تحتل عينيه..ثم قال بابتسامة باردة لا

معنى لها سوى كونها تحمل نوعًا من الاستفزاز ؛

ـاحزر ماذا ! لقد كنتُ أعرفها منذ الأزل !

ثم استدار عنه بغير اهتمام به..بدون أن يبذل أيَّ جهد في إخفاء مشاعره الواضحة

نحوه..فجاء الصوت الهادئ يقول مجددًا بنبرة يشوبها بعض التوتر ؛

ـأستميحك عذرًا لا أقصد التطفل..لكنني سمعتُ بأن أقرب طريقة للوصول إلى قلب فتاة

هو صديقتها المقربة.....

اهتز الصحن بين يداي بدون أن أشعر و التفتَ إليه هادي كالقذيفة فقال الآخر متداركًا

للمرة الثانية ؛

ـأنا أقصد بالفتاة هنا أمل..و صديقتها هي السيدة الموقرة زوجتك شهد !

زفرتُ أنفاسي براحة تزامنًا مع ارتخاء ملامح هادي قليلًا..ثم قال بعد صمتٍ قصير بحذر ؛

ـهل أنت معجب بصديقة زوجتي ؟!

يقال بأن تصرفات العشاق دائمًا ما تكون متشابهة إلى حد ما ! صدقتُ تلك الحكمة الآن و أنا

أراه يضغط على وصف "زوجتي" بنفسِ طريقي قبل قليل تمامًا !

بينما ردَّ الآخر متنهدًا ببساطة ؛

ـللأسف نعم ! لكنني لا أعلم حتى الآن كيف أستميلها إلي..الحقيقة أن علاقتنا قريبة جدًا من

علاقة القط و الفأر في سلسلة الرسوم المتحركة !

لم أكن أستطيع رؤية ملامحه من مكاني..لكن نبرته أخبرتني بابتسامته اليائسة التي ستكون

مستوطنة عينيه الآن..ابتسامة انعكس تأثيرها على وجه هادي رُبما..فرأيت البريق اللامع يتخللهما..ثم

همس بنبرة متوجسة هادئة ؛

_أفهم بأنك تريد الاستفادة من خبرتي !

إنه...يملك خبرة كبيرة بالفعل ! لدرجة أنني كدت أن أموت قهراً منتظرة بصبر لحظة اعتراف الحُب الأثيرة منه ! لحظة رغم روعنها الشديدة إلا أنني لم أشعر بأنها ثمينة جداً بقدر لحظاتٍ أخرى تكفلت عيناه فيها فقط بإغداقي عشقاً !

حينها أدركتُ بأن الكلمات قد تصنع فارقاً كبيراً..لكن الأفعال هي ما تكللها في قلوبنا..فما قيمة اعتراف باهتٍ بالحُب من شخصٍ لا يَكُنْه لك صدقاً !

لذا فوقع الكلمة رهين بهوية الشخص الذي نسمعها منه !
لم أسمع أيّ رد من أمجد..لكنني علمتُ من ملامح هادي الجادة بأن ذلك هو مراده بالفعل..و لم أتفاجئ و أنا أرى و أسمع هادي يقول بلا أيّ تردد..يمنحه الحل الأمثل..
إنه الحل الأمثل بالفعل !

_ لا تفكر طويلاً..تقدم لطلب يدها !

انحرفت عيناه في تلك اللحظة لتقع عليّ فور تقديمي خطوة أخرى..فتوجهتُ إلى طاولة الأكل القريبة أمام أنظاره التي تحاصرني لأضع الطبق فوقها..و ما إن استدرت نحوه رأيت في عينيه نظرة أخبرتني بأنه يعلم بأنني سمعت كل ما دار بينهما..
اقتربتُ منه مأخوذة الأنفاس و التركيز لأجلس بجانبه..و لم أكد أفعل حتى شعرت بيده على خصري تحتضنه بشدة..أما عينايا..فقد تاهتا تماماً بداخل عينيه و تناسينا لوهلة ذلك الشخص الدخيل بيننا..

_هل أنت متأكد ؟!!

أجفلتُ بقوة و أنا أسمع هذا السؤال..فرمقت ملقيه بنظرة محايدة بينما هادي يقول بتأكيد جاد ؛

_بالطبع...

عاد ليحدق بي بطريقة جعلتني أرفع عينايا نحوه مرغمة..فأكمل غير قادر..هو لم يكن قادراً بالفعل على مفارقة عينايا..

_أقرب طريق إلى قلب فتاة تحبها هو الإعتراف بالحُب نفسه !

نظرتُه إليّ و هو يقول ما قال..كانت أكثر دفئاً من الشمس..و أكثر تألقاً من القمر..و أكثر صفاءً من السماء..و أكثر ألفة من نجوم الليل !

فلم أشعر بأطرافي التي ارتخت..و كدتُ أن أنصهر تمامًا به و له..لكن صوتًا مشاكسًا...أنقذني
! بل أنقذنا من هذا الإحراج !

كان صوتُ أمل بالطبع..من سيكون غيرها !
جلسنا جميعًا ملتفين حول الطاولة المتوسطة الحجم بعد أن عرّفت هادي على أم أمل و
الآنسة رجوى..و هذه المرة كانت ابتسامته متألفة مليئة بمشاعر الإمتنان الصادق و هو يلقي التحية
عليهما..

كان الصّمت يهيمن على المكان..كل الأيادي منشغلة في الأكل في هدوء..إلا يداي ! الحقيقة أنني
كنتُ أشعر بأنهما ترتعشان كقلبي..فأنا لا أزال حتى هذه اللحظة تحت تأثير نظرته تلك و كلماته !
كنتُ مطرقة برأسي أتناول بصمتٍ..ببطءٍ..بقلب يخفق و نبضاتٍ غير منتظمة..يا إلهي..ألا
حل لهذا الضياع الذي يتلقفني بعد كل كلمة..و نظرة..و إيماءة حتى منه !
لم أشعر بنفسِي و أنا أغصّ في حنجرة فارغة من الأكل..فسعلتُ لعدة مراتٍ قبل أن أشعر
بطرف كأس الماء يلامس فمي و صوت هادي يهمس لي برفق تزامنًا مع يده التي أخذت ترتب صعيدًا و
نزولًا فوق ظهري ؛

_هل أنت بخير ؟!

أومأتُ له بهدوء و أنا أمسكُ بالكأس عنه لأعيد له مكانه..فسمعت صوت تهيدة خافتة منه عاد
بعدها ليستأنف الأكل بهدوء..و ببعض القلق علي..
و ما إن رفعتُ عيناَي رأيتُ أنظار الجميع بلا استثناء علينا..فرسمتُ ابتسامة هادئة مطمئنة
رغم الارتباك الطفيف الذي ساد الأجواء..

حينها لمحت ذبذبات الكره الزائف التي تعكر صفو الأجواء بين أمل و أمجد..و تساءلت..هل
يمكن أن تتحول تلك النظرات ذات يوم إلى نظراتٍ لهفة عاشقة كنظراتٍ هادي إلي و نظراتي إليه !
لكن علاقتنا كانت غاية في الهدوء منذ البداية..باستثناء المشاكل التي حالت بيننا في فترة من
الزمن فلطالما كنا على وفاق تام..عيوننا تنبض بالحُب و الألفة منذ أول نظرة و كأنه ليس أول لقاء..و
كأننا نعرف بعضنا منذ الأزل كما قال !

بعد أن انتهينا من الأكل..بل لم نكد ننتهي حتى وجدت هادي يميل على أذني ليمس لي بسرية ؛
_هل نذهب ؟!

طرفتُ بعيناي قليلاً و أنا أنظر له بدهشة..فقد انتبهنا من الغذاء للتو و كنا على وشك الجلوس في غرفة المعيشة لتبادل بعض أطراف الحديث و احتساء الشاي مع بعض التحلية..لكنني و بدون أن أفكر وجدت نفسي أهز رأسي بالموافقة..

فمنحني ابتسامة خاطفة هادئة قبل أن يتهدد ليقف فجأة و يستنذن من الجميع متعللاً بعمل هام لديه..و أنا و افقته الرأي تمامًا رغم إلحاح أمل و أم أمل على ضرورة الجلوس معهم لوقتٍ أطول..

اتجهنا على الفور إلى العيادة حيث يجب أن أقوم بالفحص -المزعج-..نعم إنه مزعج لأنه حرم عني راحة الجلوس أكثر مع أكثر الأشخاص لطفاً الذين قابلتهم في حياتي.. أعداد قليلة لكنهم لوحدهم يشكلون عائلة صغيرة جميلة..و أنا بطريقة ما..أصبحتُ ضمن تلك العائلة..صدقوني إن هذا لشعور جميل !

الحقيقة أنني كنتُ مزعجة لسببٍ آخر أيضاً..مزعجة لشدة توتري من هذا الفحص..أخشى أن تكون صحة طفلي غير جيدة تمامًا..فمن الإعياء الذي يفترسني كل يوم أستطيع أن أعلم بأن جسدي ضعيف مقارنة بمجهود الحمل !

وصلنا أخيراً و كانت من استقبلتنا طبيبة امرأة كما توقعت..إذا كان هادي لم يسمح لأمجد بمصافحتي فقط فكيف سيسمح لطبيب بأن يفحصني !
هل تعلمون بماذا أفكر ؟! أن غيرة هادي أحياناً تصبح خانقة..لكنها في نفس الوقت تبقى جميلة جداً و دافئة..

تشعرتني بدون قصد بأنني شيءٌ ثمين جداً..مثل قطعة كريستال صغيرة يأبى صانعها أن تلوثها أيدي البشر !

كنتُ أراقبه بإخلاصٍ متماثلة لعادة قديمة جداً..لطالما كانت هذه هي لغتنا الخاصة.. مراقبته بالخفاء و المثل بالنسبة له..

أرى ملامحه التي تغضنت قليلاً بقلق رجولي و هو يقف معي في نفس الغرفة حيث استلقيتُ تاركة إياي بين يدي الطبيبة المبتسمة بلطف..

لكنني لم أهتم بابتسامتها أبداً..فقد سقطت عيناى بدون نية الإرتفاع مجدداً على يد هادي التي كانت متمسكة بيدي..أنامله تمسد ظاهر كفي برفق..و عيناه على عيناى المنشغلتين بالتهام حركته تلك..

إلى أن رفع رأسه و رفعتُ رأسي لننظر لتلك الشاشة الصغيرة التي تظهر نبضات قلب
الجنين.. طفلنا !

كانت نبضاته رتيبة.. رغم أن الصورة مشوشة تمامًا لكن صوت خفقات قلبه يخترق مسامعي
بقوة ليرسل إلى قلبي شيئًا من الرهبة اللذيذة التي أعلم بأن هادي شاركني إياها..
شعرتُ بخفقات قلبي تتسارع بشدة تجاوبًا مع ذلك الصوت.. بين التمتع عيناى بعبراتٍ ندية
تتخللها ابتسامة دهشة و انبهار كبير.. نظرتُ فجأة لهادي فاتسعت عيناى قليلًا و أنا أرى في ملامحه
نظرة...تشبه نظرتي ! بل أكثر !!

بقيتُ أنظر له بصدمة غير مصدقة لما أراه.. و رأيت حاجبيه يميلان للأسفل قليلًا تأثرًا بينما
شفتاه فاغرتان قليلًا و هناك دموع متجمعة بجوف عينيه.. دموع رجل يقف أمام أجمل أحلامه
المنتظرة..

_هادي !

همستُ اسمه بصوتٍ خافتٍ لاهتُ فالتفت إليّ شبه مجفلاً.. إلى أن همس لي بتشتتٍ بينما
حاجبيه ينعقدان قليلًا على ابتسامة شاحبة غير مكتملة ؛
_لا... أعلم.. هل...تشعرين بذلك ؟!!

أومأتُ له بدون أن أعلم حتى ما يقصده بسؤاله.. لكن إن كان يقصد تلك الرعدة اللذيذة التي
تغزو أطرافى.. و ذلك الانتماء اللطيف الذي أشعر به و يجعلني أرغب في أن أقتحم صورته غير المرئية و
احتضانه بعظامه الهشة الصغيرة التي لا تزال في طور النمو..
أو تلك الفكرة التي اكتسحت عقلي بمجرد رؤيته.. أن تلك الروح الصغيرة التي تنمو ببطءٍ
بداخل رحمي هي جزء مني و منه !

إن كان هذا ما يقصده.. فهذا ما أشعر به أنا بالذات !
هل كنتُ حمقاء بالفعل و أنا أفكر بأنه ربما لا يهتم و لا يحب طفلنا بقدرى ! الآن أشعر بأنه
ربما يحبه أكثر منى !

_هل نستطيع معرفة جنس الجنين ؟!

سمعتُ صوته يخاطب الدكتور بجدية.. فعدتُ لأدقق النظر في وجهه و أنا أسمع الجواب
المتوقع..ربما الجميع في العالم باستثناءه يعلم بأننا لا نستطيع معرفة جنس الجنين إلا بعد اكتمال
فترة جيدة من الحمل..

و هذا الترقب و الجدية البرينة التي على وجهه تجعلني أقع في حبه و أهيم به أكثر..

_ليس بعد...أظن بأن عليكما الإنتظار لأسابيع قليلة بعد !

قالتها الطبيعة محافظة على ابتسامتها اللطيفة..ثم طمئننتنا بنفسِ أسلوبها المحبب للقلب
على صحة الجنين..و ما إن غادرت..حتى أعاد هادي أنظاره إليّ مجدداً..ثم همس لي بخفوتٍ حانٍ بينما
يمسح على جانب وجهي وشعري ؛

_لم تخبريني من قبل..ماذا تتمنين أن يكون جنس طفلنا !

حركتُ يدي لأتمسك بيده بينما أستقيم قليلاً في وضعية الجلوس..قبل أن أجيب هامسة
بابتسامة باهتة قليلاً حاملة ؛

_أريد طفلة جميلة و سأسميها ورد...

صمتُ للحظة أنظر له بتردد قبل أن أستأنف ؛

_لو وافقت !

لم أدري لما لمحتُ بعض الدهشة تغلف وجهه القريب المبتسم..أو ربما هو المثل يشعر

بالمفاجأة من آخر همسة..و يفكر بأنني في غاية السذاجة أو...اللفظ !

أليست من صفات العشاق الحقيقيين أن يصنعوا من عيوب أحبائهم سمات مميزة !

قال ببطءٍ أمام عيناى ؛

_لا أظن بأن هناك اسم آخر قد يليق بها أكثر من الذي انتقته لها صاحبة خدود الورد

شخصياً !

ابتسمتُ بحياء مغلف بالسعادة..ثم قلت برضا و صدق ؛

_لكن حتى لو كان ولداً فأنا لن أمانع و سأحب ذلك !

رأيتُ شفتيه و هي تلتوي قليلاً على ابتسامته الحنونة..مهلاً..لم تعد حنونة بالكامل ! يا

إلهي..إنها الابتسامة الثابتة التي تحمل مكرًا معهودًا أصبحتُ أعرفه جيداً..همس لي بنبرة خاصة ؛

_تقصدين ولداً...يشبهني !

لم أشعر بنفسي و أنا أجيبه تلقائياً بدون تفكير ؛

_جميع أطفالنا سيشبهونك !

حينها تحولت الابتسامة إلى اندهاش..و تراجع قليلاً ناظرًا لي بعدم فهم..حسنًا ألا يقولون بأن

أكثر شخصٍ تراه و ترأقه المرأة الحامل يكون طفلها يشبهه !..

و أنا لا أرى غيره و لا أفكر بغيره و لا أمتلكُ غيره..و أشكُ بأنني سأنجب نسخة جديدة منه

سواءً كانت فتاة أم ولد !

ظل ينظر لي بحاجب مرتفع و كأنه ينتظر إجابتي على جملي نفسها.. فأطرقْتُ قليلاً بتوتر.. ثم

همست بتلعثم ؛

_أقصد...إنك والدهم !

لكن ملامحه ظلت كما هي..و قال بتعقيب..لكنني لسببٍ ما شعرت بأنه يدرك مقصدي منذ

البداية إلا أنه يتظاهر بالجهل..

و هو يمتلك مهارة كبيرة بالفعل في التظاهر !

_ليس بالضرورة !

من بين نظرة الجدية و التساؤل و التعقيب على وجهه..كانت هناك ابتسامة مضمورة تنتظر

فرصتها للتحرُّر..تلك الابتسامة أعلمتني بأنه فهم ما قصدته فعلاً !

فنقلتُ عيناى حولي لوهلة قبل أن أقول فجأة ؛

_أظن بأن علينا الذهاب..ثانية أخرى و ستعود الطيبة لتطردنا بنفسها..

حركَ هادي رأسه بالنفي بتصميم و هو يقول ؛

_ليس قبل أن أفهم مقصدك من تلك الجملة !

شعرتُ بالارتباكِ يجتاحني مجدداً..فقلت برجاء خافت ؛

_بعد أن نخرج من هنا !

ظل هادي ينظر لي لعدة ثوان أخرى..ثم تنهد فجأة و هو يعود لينحني و يمسكُ بحذائي بغاية

تكرار نفس الحركة السابقة !

بقيتُ أنظر له من مكاني بصمتٍ..قبل أن أفتح في لأهمس بهدوء ؛

_هل ستفعل نفس الشيء دائماً !

كان هادي قد انتهى مع جملي تلك فوقف ليمسكُ بخصري و يحملني برفق إلى أن أصبحتُ

واقفة أمامه..أشعر بأني طفلة صغيرة جداً..رفعت عيناى الزائغتين إليه أنظر له بغير استيعاب

لحركته تلك..لقد حملني بين يديه كطفلة بالفعل !

_هذا مرهون !

طرفتُ بعيناى بغباء و أنا أسمع هذه الهمسة منه..بعد أن تناسى عقلي تماماً سؤالي الذي

قلته قبل لحظاتٍ له..قبل أن ينعقد حاجباى ببعض التركيز المفقود و عجزت تماماً أن أرد عليه بأيِّ

كلمة..

إلى أن شعرتُ بيده تتمدّد بيدي لتسحبني نحو الخارج.. لكننا و بمجرد تقدمنا الخطوة الأولى

خارج المكان..حتى قال بإلحاح ؛

_ها قد خرجنا..أخبريني !

نظرتُ له بتوتر..ثم قلت بحروف متلكأة ؛

_بعد أن نصعد إلى السيارة..

أوما لي هادي بكل ثباتٍ و صبر و نحن نكمل طريقنا نحو السيارة..حينها وجدتُ نفسي

محاصرة تمامًا ما إن اتخذنا مقعدينا..

_إِذَا ؟!

نظرتُ إلى أناملي المتشابكة بارتباكٍ في حجري و أنا أقول بصوتٍ أخرق ؛

_حسنًا..كنتُ أقصد بأننا لو أنجبنا طفلًا بإذن الله فأنا أريده أن يكون وسيماً مثلك..و إذا

كانت فتاة.....

صمتُ فجأة فنظر لي هادي رافعاً أحد حاجبيه باهتمام..إلى أن أكملت بينما أرمقه بنظرة

جانبية متممة بغياء ؛

_فأريدها أن تكون جميلة...مثلكَ أيضاً !

كانت السيارة تسير بهدوءٍ..فنظر لي هادي نظرة أطول من سابقاتها الآن..نظرة مليئة بالتفاجئ

و الدهشة..ثم قال و هو يرفع حاجبه أكثر ؛

_مهلاً..هل تتهمين زوجتي بالبشاعة الآن !

اتسعت عيناى قليلاً..و قلتُ بسرعة و كأنني أنفي تهمة شنيعة عني ؛

_لم أفعل ذلك !

تراجعتُ بعدها فوراً و أنا أداركُ أيّ حماقة أتفوه بها..بينما بدا هادي في غاية الجدية و هو

يقول ؛

_بلى..لقد قلتُ ذلكَ للتو..ما معنى بأنك تريدان لأطفالنا أن يشبهوني أنا فقط !

كانت نبرته خشنة شبه صارمة رغم أن ملامحه هادئة جداً..و عيناى رائقتان بشكل

مريح..فزمتُ شفّتي قليلاً..ثم قلتُ ما طرأ في عقلي فوراً ؛

_لأنني..أحب النظر لك..و لأنك...وسيم جداً !

شعرتُ بالدهشة و أنا أراه يرفع حاجبه أكثر باستغراب و يقول بينما يهز رأسه باعتراضٍ ؛

_إنكِ تبالغين كثيراً !

إنها نفس جملتي لأمل ! قلتُ بنفسِ نبرته و في نفسِ اللحظة ؛

_ لا و الله لا أبالغ..إنك أوسم رجل رأيته في حياتي !

تراجعتُ قليلاً فور إنهائي لجملتي و أنا أستم نفسي ألف مرة على اندفاعي في الكلام بغير

تفكير..و لم أتوقع ردة فعله حينما قال يعقد حاجبيه قليلاً بجذل ؛

_حقاً ! كم رجلاً رأيت في حياتك !

اتسعت عيناى بعض الشيء بدهشة و أنا أسمع هذا السؤال الغريب..ثم قلتُ بصدق ؛

_لم أرى غيرك !

و أنا بالفعل لم أرى غيره..إنني أتكلم حرفياً هنا و ليس مجازاً..فهو يعتبر أول رجل أمعن

النظر في وجهه لهذا الحد..أول رجل يتسلل إلى قلبي..أول رجل يقترب مني إلى حد لم يعد قابلاً

للوصف..إنه حُبِّي الأول و الأخير و الوحيد و الملحى !

رمقني بنظرة خاطفة عبر المرأة الصغيرة الأمامية..ثم همس مبتسماً بدفء ؛

_كَأَنَّكَ تتغزلين بي !

يا إلهي ! لقد أصبحت موقنة الآن بأنه يعتمد انتقاء تلك الكلمات المخرجة !

اتسعت عيناى أكثر بجزع..و حركتُ رأسي بالنفي لعدة مراتٍ قائلة ؛

_لا أفعل ذلك !

_شهد !

رمقني بنظرة أخرى مفادها " أنتِ مكشوفة يا شهد ..فعقدت حاجباى بالقليل من العبوس و

أنا أطرق برأسي لأهمس من تحتِ أسناني و كأني لا أريد لصوتي أن يصل إلى مسامعه ؛

_حسناً..حتى ولو..إن هذا أمر مسموح في الزواج..أنتِ أخبرتي...!

قلتُ آخر كلمة و أنا أنظر له بتساؤل متعمد و كأني أتهمه بشيء مجهول..فاتسعت ابتسامته

حتى شملت وجهه كله و هو يردف ؛

_مسموح بالطبع..

ثم التفت إليّ فجأة ليقول بما يشبه الصرامة ؛

_لكن الأمر غير المسموح هنا هو قولكِ بأنكِ تتمنين أن يكون أطفالنا جميلون مثلي فقط..

بينما أقصى متمنياي أن أحظى بنسخة صغيرة مثلكِ..و لن تكون أجمل منكِ بالطبع !

تلكأت شفتاي على حروف لم يحددها عقلي..بينما انعقد حاجباى أكثر و فتحتُ فمي أريد أن

أقول شيئاً..لكنني عدت أغلقه قليلاً..

ثم فتحته مجددًا لأقول الكلمة التي أجد قولها دائمًا ؛

_آ...آسف.....

_إياك !

أجفلت بقوة حينما قاطعتني بصوته الخشن قليلًا و الذي يجمع بين كل مشاعر الصرامة و

الجدية و...و الهزل ! تزامناً مع توقف السيارة بشكل مفاجئ..

و لم أكد أستوعب توقفها حتى وجدته يقترب مني بسرعة شبه مندفعًا بشكل جعلني أراجع

بفزع كقطعة صغيرة خائفة..

اقترب مني أكثر بينما أنا أراجع لأستند إلى الباب المغلق بظهري منكمشة قليلًا ناظرة له

بعينين واسعتين متفاجئتين..فقال بحزم صارم أمام وجهي ؛

_و عقابًا لك سأحرص منذ هذه اللحظة على أن أجعلك تقفين كل يوم لمدة عشر دقائق أمام

صورتك في المرآة..و لن تتوقفي عن ذلك إلا بعد أن نلد طفلنا أو طفلتنا و أتأكد بنفسني من أنه أو أنها

أخذت ملامحك !

طرفت بعيناي ببطءٍ غير قادرة على إبعاد تعابير الخوف من وجهي..ثم نطقتُ بصوتٍ هامسٍ

متلعثم ؛

_و إذا لم...ينجح الأمر !

_حينها سأعاقبك مجددًا !!

قالها فورًا بصرامة أكبر جعلت عينايا ترتعشان أكثر شاعرة بخوفٍ لا سبب له.. فصمتُ

لوهلة..ثم همست من بين أنفاسي ؛

_ك...كيف !

قال هادي بكل جدية ؛

_سأنفذ نفس الطريقة معك حينما تحملين طفلنا الثاني لكن تلك المرة مع مضاعفة المدة

الزمنية !

شهقتُ بضعفٍ و أنا أنقل عينايا بين عينيهِ القريبتين جدًا بتوجسٍ و غير تصديق.. هل يتكلم

بجدية بالفعل ؟! ليتني لم أتغزل به إذًا !

تأتأت بعدة حروف قبل أن أهمس شاعرة بالتركيز يسلب مني إلى عينيهِ قسرًا ؛

_طف..طفلنا الثاني ! م...متى !!

ابتسامته التي شقت شفاهه بتمهل سلس أعلمتني بأن عقله يتر اقص في أعلى مستويات
التسلية الآن..

ثم قال ببساطة بدت مستفزة..مستفزة جدًا لأعصابي التي لا يمكن أن تنفلت أمامه..و حتى
لو حدث فماذا عساي أن أفعل ! إنني مجرد فتاة صغيرة مسكينة تسمع الأوامر !
_هذا مرهون !

إنها نفس العبارة التي أجابني بها منذ قليل..هل سيكررها كثيرًا بتتابع الزمن ! همسة خافتة
غير متوازنة غادرت شفتاي على شكل ؛
_لكن.....

لكنه قاطعني و هو يضيق بين حاجبيه الكثيفين بصرامة ؛
_و لا كلمة..هذا أمر و ليس طلب !
يا إلهي..هل هناك مأزق في العالم أو موقف محرج لم أقع بداخله و أنا برفقته ! أو مأت له بغير
تفكير و أنا أشعر بأطرافي ترتعش بلا سبب..أو هناك سبب..
كانت أنفاسه القريبة الدافئة التي ما انفكت تداعب وجهي و قلبي..بينما عيناه ترفضان قطع
اتصالهما بعيناي !

و قد كنتُ سألتزم الصمت بعدها..إلا أنني في آخر لحظة همست بلا أنفاس ؛
_س...أفعل لكن بشرط !

ارتفع حاجبه بجذل بدون أن يرد..فاستأنفتُ بنفسٍ نبرتي ؛
_أن تقف بجاني كل يوم !

نظرة التبلد التي قابلني بها بعد جملتي..كانت...مضحكة ! ثم قال مضيقًا عينيه بتوجس ؛
_هل هذه محاولة غريبة لإفشال خطتي !

اتسعت عيناى قليلاً بطريقة أعلمته بأنني بريئة تمامًا..فاستأنف بخبثٍ خفي ؛
_هل تظنين بأنني لا أعرفك جيدًا ! أنتِ لا تستطيعين الوقوف بجاني لثانية واحدة بدون أن
تنظرين لي فيها مئة مرة..أساسًا أنتِ لا تزيحين عينيك عني إلا لأجل الضرورة..
اتسعت عيناى أكثر بجزع و شعرتُ بأنه لكمي للتو..فقال يرفع نفس الحاجب المزعج ؛
_ماذا ؟! هل ستحاولين الإنكار !

لن أحاول بالطبع ! في النهاية ذلك أيضًا شيءٌ مسموح به في الزواج و أنا أعترف بأنني أكون
حمقاء مستسلمة هائمة في عشقه ! و هذا الأمر -الجميل- ليس بيدي !

قابله بصمتٍ تام مرفق بتهيدة خافتة مرهقة.. فابتسم ببطءٍ و هو يردف برضا تام عن

نفسه ؛

_جيد جداً.. دعينا نزل الآن..

نزل... إلى أين ؟!! هل وصلنا للمنزل بالفعل !!!!

كان قد ابتعد بالفعل و فتح السيارة ليدور من حولها إلى جهتي و ذلك خول لي رفع عيناى قليلاً

و نقلها حولي بدهشة.. لقد وصلنا بالفعل !

رفعتُ رأسي فور انفتاح الباب لأنظر له.. قبل أن أمسك بيده الممتدة نحوي بأناقة و ترفق كما

العادة.. لقد أصبحت تلك عادته بالفعل لدرجة أنني صرت أخاف على نفسي من أن أتمادى لشدة

تدليله لي في آخر فترة !

و ما إن توقفتُ أمامه.. قال بنفسٍ ابتسامته و بنبرة مهمة ؛

_هل تتذكرين ليلة زواجنا ؟!

لم أرد.. فقال يكمل ببطءٍ ؛

_الثاني !

حينها أومأتُ له بصمت.. فقال محتفظاً بابتسامته ؛

_في ذلك اليوم تمنيتُ بشدة أن أحملك بين ذراعي لأطير بك من الفرحة و أنا أدلك إلى

غرفتنا بأكثر طريقة رومانسية متواجدة في العالم.. لكنك كنتِ مرهقة للغاية فاتجهتِ مهرولة للحمام

و ضاعت فرصتي..

صمت للحظة ثم همس بنبرة ساحرة خافتة ؛

_أما اليوم فأنا أشعر بأن كل شيء من حولنا يشيّع رغبتى هذه...

رفع رأسه ليرمق السماء بنظرة طويلة مميزة و هو يردف ؛

_انظري بنفسك حتى !

لم أفهم تلميحه ذاك.. فرفعتُ رأسي بتردد لأقابل السماء مثله.. كانت السماء صافية

بشدة.. لونها الأزرق يلمع بقوة.. يخالطه بعض البياض الساحر.. بينما الشمس متألقة و كأنها تبتسم

لنا !

أخفضتُ عيناى قليلاً عنها لأنظر لهادي بصمتٍ.. فتألفت ابتسامته أكثر و هو يهمس سائلاً ؛

_هل رأيتها ؟!

نظرتُ له بعدم فهم.. فأكمل بهدوء ؛

_السَّماءُ تبتسِّمُ لنا !

حينها عجزتُ عن منع ابتسامةٍ غير مكتملة من ملاسمة شفّتاَي.. وقبل أن أستوعب..
تقاجئت بهادي ينخفض بهدوء لـ..يحملني بين ذراعيه..
نظرتُ لعينيهِ البرّ اقتين عن قرب..أشعر بأنني في كل مرة أنظر لهما أقع في الحُب مجددًا..قبل
أن أرفع ذراعاي لأطوق عنقه بغير تحفّظ..
و ما إن تقدمنا بضع خطواتٍ نحو المنزل..همست بخفوت ؛

_لقد حملتني لأكثر من خمسٍ مراتٍ في ظرفٍ أيام قليلة جدًا..ما السبب ؟!!!
نظر لي هادي بنفس الهدوء الذي بات يغلف كل حياتنا في هذه الآونة..و أجاب ببساطة ؛
_لأنني أحب الشعور بجسدك بين ذراعاي..و أنفاسك على رقبتَي..و ذراعاك حول عنقي..
أناملُك بين خصلات شعري..و وجنتك الناعمة على صدري..و عينيكَ في جوفِ عيناَي بهذا القرب..
لأنني أعلم بأن هذا الأمر بالذات يروق لك...أليس كذلك ؟!
قال سؤاله الأخير بنبرة مُميّزة عن سابقتها..ناظرًا لي بتساؤل جدي و حقيقي..لكنني لم أرد
فورًا..فقد حركتُ ذراعاي لأضمه أكثر إلى أن أصبح وجهي مدفونًا في كتفه و تسنّت القدرة لعيناَي
بالنظر لما خلف ظهره..ثم همست بابتسامة بسيطة متألفة ؛
_حسنًا..هذا مرهون !!!

#الكاتبة

_هل ستسافر ؟!!

هتفت بها يسرا بحماسٍ لم تستطع التحكم به و هي تجلس في طاولة الأكل في مقابل زوجها..
فرفع رأسه عن صحنه ناظرًا لها ببعض الدهشة قبل أن يقول رافعًا أحد حاجبيه بنبرة غير مريحة ؛
_تبددين متحمّسة !

شحب وجهها قليلًا أمام هذه العبارة التي تصّف وضعها بالضبط..فابتلعت ريقها في الخفاء..
ثم همست تصنع ابتسامتها الزائفة التي تنقذ نفسها بها دائمًا ؛
_لا...أنا...شعرت بالتفاجئ فقط..هل هو عمل مهم ؟!

تظاهرت بالإهتمام و ببعض الحزن الذي لا تشعر به و هي تسأل سؤالها الأخير.. فظل علي
صامتًا لوهلة يرمقها بنفسٍ نظراته المليئة بالجفاء الذي هو شيء معهود في تصرفاته معها..قبل أن
يعود ليكمل أكله باعتيادية أثناء قوله ؛

_نعم..لكنني لن أتأخر طويلاً..يومان فحسب !

لم يرفع رأسه نحوها أثناء كلامه..فساد صمت قصير منها كانت فيه عيناها تناظرانه بمقبتٍ

خفي و رغبة حقيقية في أن تطول سفرته إلى أقصى حد..

لكن لا بأس..على الأقل سيتسنى لها التخلص من أسره الخانق و أسئلته الملحة لمدة يومين !

رفع عينيه فجأة إليها فارتفع حاجبه ببعض التوجس و هو يراها تنظر له بنظرة شاردة

مبهمة..و كأن عقلها يكيد ألف مكيدة من خلف ظهره..و ما إن انتهت له..حتى كان ارتباكها يستوطن

عينها أمامه..ثم منحته ابتسامة باهتة و هي تهمس ؛

_في أمان الله و حفظه !

أوماً لها بفتور..فتلاشت ابتسامتها قليلاً و هي تشاركه الأكل بصمتٍ عاد صوته ليقطعه بعد

عدة دقائق ؛

_سأذهب الآن..

أومأت له بهدوء بدون أن تتحرك من مكانها و هي تراه يمسح طرفي شفثيه بالمنديل الورقي..قبل

أن يقف ليتجه إلى الباب أمام عينها بخطواتٍ هادئة..

و ما إن غادر مغلقاً إياه خلفه..حتى وجدت نفسها تنتفض من مكانها لتتجه إلى هاتفها و

تطلب رقمًا ما رافعة إياه إلى أذنها منتظرة الصوت العزيز بعينين تبرقان..لكن الصوت العزيز أتاها

متأففاً قائلاً بإيجاز ؛

_هل وجدتها ؟!!!

شعور الغيظ تأرجح بداخلها و هي تسمع هذا السؤال الغبي الذي اعتادت سماعه منه في كل

مرة يتحدثان أو يلتقيان..

إنها نوعاً ما..تكره تلك -السجى- رغم أنها لم تقابلها قبلاً..إلا أنها تسيطر على عقله بشكل

ميؤوس منه..

لدرجة تجعلها أحياناً تشعر بأنها ليست سوى انعكاساً للآخرى في عينيه..لكن كلماته و نظرات

الوله التي تراها في أحيانٍ نادرة جداً و غالباً تكون مرتبطة بلحظاتها الحميمية حيث يغادران العالم

و كأنه لا وجود لغيرهما..كانت تدفعها نحو الصبر و الصمود..

لكنها رغم ذلك لا تستطيع أن تتحمل على نفسها لهذا الحد..و لن تكون غبية لو أضاعت

فرصتها لهذين اليومين و أخبرته بمكانها الذي عرفته اليوم صباحاً !!!

لذا قالت بهدوء و عيناها تستقران في الجدار المقابل لها ؛

_ ليس بعد.. لكن لا عليك.. لقد استعملت كل الوسائل و سأجدها قريباً..

صمتت للحظة واحدة ثم قالت بحماس ؛

_ المهم.. لقد اتصلت بك لأخبرك بأن زوجي سيسافر لمدة يومين..

صمت قصير ساد من طرفه أعلمها بأن به خطباً ما.. ثم قال باختصار بدون أن يلقي بالاً

لجملتها المشبعة باللهفة ؛

_ جيد.. ستكون هذه هي مهلتك التي سأمنحها لك أنا.. بعد يومين و قبل أن يعود زوجك أريد أن

يكون عنوان المنزل حيث يقطنان لدي !

كان صوته جامداً.. جاداً تماماً بشكل جعل حاجبها ينعقدان قليلاً بضيق خفي.. لكنها و قبل

أن ترد جاءها صوته يضيف بهدوء ؛

_ و لا داعي لأن تجلسي بمفردك في المنزل هذه الفترة.. تعالي إلي..

برقت عينها بشدة و كأنه منحها هدية عظيمة المكانة جداً.. ثم لم تتردد أبداً و هي تقول

بلهفة ؛

_ بالطبع بالطبع.. ليغادر فقط و أنا معك !

أغلقت الخط أخيراً لتنزل يدها و تفتح الهاتف على صفحة معينة.. كانت صفحة تخص رسالة

ما تحمل عنواناً مفصلاً.. عنوان المزرعة حيث يقطن سجي و لؤي !

خرجت من الصفحة لتفتح خانة الصور فظهرت لها صورة عريضة للؤي و سجي حيث كانا

يسيران جنباً إلى جنب على بعد خطوات معدودة من منزلهما و يدها في يده.. و قد كانت صورة تم

التقاطها لهما هذا الصباح بعد عودتهما من نزهتهما الكارثية..

غامت عينها قليلاً و هي تهمس مخاطبة صورة سجي.. تلك التي كانت تسير ساهمة في تشابك

أنامل يدها مع خاصة زوجها.. و هذا الأخير يتأملها هي بتفان حتى أثناء سيرهما..

إنها تعلم بأنها متزوجة.. لكن منذ متى كان هوس شهاب يقتصر على غير المتزوجات فقط !

هي لا تعلم ما علاقته بها بالضبط باستثناء كونها ابنة خالته التي أوشك على الزواج بها في

الماضي.. و قد أخبرها بأنه يحتاج لأن يقابلها فقط لغاية مهمة في نفسه لكنها رغم ذلك لا تشعر

بالراحة..

و في نفس الوقت لا تملك الجرأة للتفصيل في الأمر أكثر و سؤاله عن شيء تعلم بأنه لن يجيبها

عليه.. و قد يفقد أعصابه التي لا يفقدها إلا نادراً عليها و هذا ما لا تريده.. لهذا ستعتبرها نزوته

السخيفة العابرة و تتجاهل الأمر !

همست ببطءٍ و شبح ابتسامة هادئة يلامس شفتيها ؛
_أما أنتِ..فستضطرين للانتظار قليلاً بعد !

"4: انعكاس قلوبنا"

#الكاتبة

"و عقابًا لك سأحرص منذ هذه اللحظة على أن أجعلك تقفين كل يوم لمدة عشر دقائق أمام صورتك في المرأة..و لن تتوقفي عن ذلك إلا بعد أن نلد طفلنا أو طفلتنا و أتأكد بنفسي من أنه أو أنها أخذت ملامحك!"

هل كان يتكلم بجدية بالفعل؟! لقد كانت تظن بأنها مجرد مزحة من مزحاته التي تكون غايته الوحيدة من خلالها إحراجها و الشعور ببعض التسلية على حسابها..

لكنها و هي تقف أمام المرأة الآن..بينما هو يقف وراءها قابضًا على كتفها أدركت بأن السيد هادي لا يمكن أن لا ينفذ شيئًا قاله لها حتى في لحظة سهو!

انحنى جانب شفيتها بأسى و هي تهمس باستعطاف؛

_هل سأقف هنا لمدة عشر دقائق كاملة!

أوماً لها هادي بكل تأكيد و في عينيه بريق ابتسامة شفاف..فقالت تخفض جفونها قليلًا

بصوت مسكين؛

_و لن تقف معي!

كتم ابتسامته العريضة المحبة و التي كادت أن تتحول لضحكة واسعة و هو يقول بصرامة؛

_لا..هيا ارفعي رأسك و انظري لنفسك..

نفذت شهد بغير رضا تام..بينما كان هو يشعر بما يفوق الرضا..بالنهاية هو لا يعاقبها..فمن

قد يرفض تأمل هذا الوجه الجميل لمدة عشر دقائق..حتى لو كانت صاحبته نفسها!!..إنه يستغرب من

قدرتها على تأمل ملامحها بدون الوقوع في حُب نفسها!

سمح لابتسامته بملامسة شفتيه قليلًا فقط و هو يقول بجدية؛

_جيد..أنا سأذهب لأتفقد النافذة المطلة على الحديقة..لقد كنت أفكر بأن أتركها مفتوحة

لكن البرد تحرك فجأة في الخارج لذا سأغلقها..

لم يدري لما شعر من الاحباط الذي كسى عينها بأنها على وشك البكاء..فهمس و هو يترك

كتفها و يرفع أصبعه محذرًا أمام انعكاسها؛

_إياك أن تغشي!

ظلت شهد صامتة بدون أن تجيبه..و انعقد بين حاجبيها ببطءٍ في حركة أخبرته بأنها ليست راضية تمامًا عن عقابه هذا..إلا أنه تظاهر بعدم الانتباه رغم أن تعابيرها كانت شفافة واضحة إليه..أضاف بابتسامة مداعبة و هو يتراجع خطوة ؛
_و لا تقلقي..سأتفقد وردتك أيضًا..

لم يكد يخطو خطوته الثانية حتى كانت شهد تفتح فمها لتهمس له بنبرة مزجت ما بين الرجاء و التذمر ؛

_أبقى معي قليلًا..دقيقة واحدة فقط و سأكمل المدة كاملة كما تريد..
أمال هادي رأسه قليلًا بصرامة و كأنه يوبخها..فهمست من تحت أسنانها بصوتٍ مكتوم ؛
_حسنًا..كما تريد !

ظل هادي و اقفاً مكانه للحظة..ثم اقترب منها ببطءٍ ليحاوط كتفيها من الخلف بذراعيه..و قال بينما يسند ذقنه إلى قمة رأسها ؛

_ما هو الشيء المستعصي بالذات فيما أطلبه منك !
ظلت شهد صامتة قليلًا..ثم قالت تاركة نفس النظرة المسكينة على ملامحها ؛
_كله..الأمر مُمل جدًا..كما أنني.....

صمتت فجأة..فهمس يرفع أحد حاجبيه باهتمام ؛
_كما أنك...ماذا !!؟

أسبلت رموشها قليلًا و هي تردّ بخفوت ؛
_الغرفة كلها مليئة بصوري..أي أنني حرفيًا كلما دخلتُ إليها لا أرى سوى نفسي..و فوق كل ذلك تطلب مني بأن أقف أمام نفسي في المرأة لمدة عشر دقائق ، هذا.....ظلم !
قالت آخر كلمة بصوتٍ أكثر خفوتًا و كأن عقلها يأبى التمرد على رغباته الحبيبة..فضل هادي يراقبها قليلًا بحنان..ثم لم تلبث أن ارتسمت ابتسامة حانية فوق شفتيه..و همس بتفكير عميق ؛
_اممم..وجهة نظر سديدة جدًا من فتاة صغيرة جدًا !

قالت شهد بانزعاج مكتوم في صوتها المسالم الهادئ ؛
_لستُ صغيرة..أنا سأصبح أمًا عما قريب !
اتسعت ابتسامة هادي بقدر ضئيل جدًا و هو يردف بصوتٍ متألق..بينما عيناه لا تكتفیان من التهام ملامحها الناعمة الخالية من كل مساحيق التجميل ؛
_رغم ذلك..ستبقين دائمًا شهد حبيبتي الصغيرة الوديدة !

لم تجب شهد..فقد أخفضت عينها أكثر عنه و كأنها تأبى النظر له..فتنهذ مطولاً.. قبل أن
يحرر ذراعه الأيمن إلى أن لفّه حول خصرها ببطءٍ سامحاً لأنامله بأن ترتاح هناك..فوق بطنها
المسطح..و همس بصوتٍ عطوف ؛

_حسناً إذا..ما رأيك بأنني وافقت على شرطك و سأقف معك كل يوم أمام المرأة !
رفعت عينها في نفس اللحظة إليه بلهفة..محاولة بكل صمودها غير الموجود أن تتجاهل
أنامله الدافئة على خصرها..فقابلها بابتسامته اللامعة الهادئة و هو يستأنف ؛
_لكن بشرطٍ واحد.....

رفعت حاجبها باهتمام بدون أن ترد..و قد بدت لشدة لهفتها مستعدة للموافقة على أيِّ
كانت شروطه..فقال هادي بهدوء ؛

_خمس دقائق لك..و خمس دقائق لي !
فتحت فمها تريد الموافقة فوراً فقال يقاطعها بحزم ؛
_و لو حاولت أن تقومي بالغش و تسرقي بعض النظرات غير الزهية لي خلسة فسأغير رأيي
مجدداً !

برقت عيناها بشدة فبدتا كنجمتين صغيرتين متوهجتين في سماء سوداء واسعة خلابة..و لم
تفكر أبداً و هي تهز رأسها بالإيجاب..فاستغل هادي فرصته و هو يهمس لها مجدداً بنفس نبرته ؛
_شرط آخر !

نظرت له بإصغاء كبير..فزم شفثيه قليلاً على ابتسامته الرائعة و هو يميل عليها ليغرق
أنفاسه الدافئة في خصلات شعرها هامساً ؛

_خلال تلك المدة التي نقف فيها هنا سأفعل ما أشاء...

رفع عينيه إليها ليكمل بوضوح و جدية تدعو للخوف ؛

_و أنت لن تعترضي !

فغرت شهد شفثها قليلاً بتوتر بدون أن ترد..فتلقف حركتها البسيطة تلك بعينيه و هو
يضيف بصوتٍ رخيم ؛

_بالطبع لن يكون هناك أيُّ تجاوز..

تاهت عيناها تماماً و فغرت شفثها أكثر بتركيز مسلوب..ثم همست بصوتٍ ذاهب الأنفاس و
الاستيعاب ؛

_حقاً ؟!!!!

رفع هادي كلتا يديه دليلاً على الاستسلام و هو همس :

_ اعتبريه وعدًا قابلاً للزوال !

بدت شهد كمن تم تجريده من قدرته على الفهم و التفكير..و عجزت تمامًا عن إجابته لوقتٍ
ظلت فيه عيناها الواسعتان أسيريتان لعينيه العابثتين..حتى أنها نسيت فاهها مفتوحًا إلا حينما
أتاها صوته يقول بترقب زائف :

_ هممم..ما رأيك ؟!!!

أجفلت قليلاً بلا أي سبب..ثم أطبقت فمها لتهمس بصوتٍ شبه مسموع :

_ ح...حسنًا !

عادت الابتسامة الأسرة لتشمل كل وجهه..ثم لم يلبث أن عاد ليحاوط خصرها بذراعه..بينما
اليد الأخرى ارتفعت لتبعد خصلاتها قليلاً عن جانب وجهها إلى أن همس في جوف أذنها بسحر :

_ جيد..و أحبك !

ضاعت أنفاسها تمامًا و هي تراقب انعكاسه الأسر في المرأة..و أرادت بشدة أن تسأله "هل
ستكرّرها دائماً ؟!" لكنها خافت أن يجيبها بعبارة "هذا مرهون" فأثرت ابتلاع السؤال و سعادة سماع
الكلمة للمرة الثانية بداخلها..و همست لعينيه المبتسمتين بدفء :

_ أنا...أحبك أكثر !

ثم أغمضت عينها بسلام و هي تركّ يدها تنساب على يده المرتاحة فوق خصرها..تشعر
بأنفاسه الدافئة تلفح بشرتها عبر شفثيه المستكينتين فوق جانب وجهها..لكن صوته جاءها خافتًا
منهياً :

_ هل بدأنا بالغش من الآن سيدة شهد..افتحي عينيك !

لكنها لم تفتح عينها..بل بالأحرى لم تستطع..إن تلك المشاعر العاصفة التي تحملها أنفاسه و
عيناه قوية كفاية لأن تجعل قواها تضعف و تخور منصاعة لعاطفة كاسحة قد تدفعها للسقوط
فاقدة لوعيمها ! و هذا ليس بالشيء المبالغ به فمشاعرها تفوق كل الوصف !

هزت رأسها بالنفي في حركة بطيئة تكاد أن تكون غير مرئية..و همست بسلام و هي تريح رأسها
و ظهرها فوق صدره الأمن :

_ أنا أحفظ ملامحك و ملامحي عن ظهر قلب..أستطيع فعلها و أنا مغمضة !

نظر لها هادي ببعض الدهشة..و همّ بالرفض..لكن ذلك الاسترخاء و الهدوء الذي سكّن
ملامحها جعل من عينيه تطرفان باندهاش أكبر بدلاً من أن يصر على رأيه..

لم يدري بأن أنامله كانت قد شرعت تمسّد كتفها في حركاتٍ رقيقة ناعمة..و الأخرى ما برحت
تحاوط خصرها و كأنه يقي ابنهما برودة الجو..إلى أن همست تعقد حاجبها قليلاً برجاءٍ بدون أن تفتح
عينها ؛

_لا تتوقف عن ذلك..رجاء !

لم يفهم هادي في الوهلة الأولى جملتها..قبل أن يخفض عينيه قليلاً لينظر ليدّه المُستقرة فوق
كتفها..نقل أنظاره بين وجهها و كفه للحظة..ثم لم يلبث أن تنهد تنهداً مرهقة صغيرة و هو يعود
ليمسّد كتفها تاركاً يده تتحركُ صعوداً و نزولاً منه إلى ذراعها..
و حينها لمح تلكَ العقدة التي أخذت تنفكُ ببطءٍ عن حاجبها..بينما شرعت يدها تتمسكُ بيده
التي على خصرها بشدة إلى أن أصبحت أناملها مختفية بين أنامله..و عاد أنفه ليستنشق رائحة الورد
الأحمر بين خصلاتِ شعرها الطليقة بحرية..

إلى أن همس بعد لحظاتٍ فجأة حينما قفزت فكرة غريبة إلى عقله ؛

_شهد !

لم تفتح شهد عينها أبداً..فقد اكتفت بأن همست بوداعة ؛

_نعم ؟!!

ظهر بعض القلق غير المفسّر على ملامح هادي..ثم قال بحذرو هو ينظر لعينها المغمضتين
عبر انعكاسها ؛

_لم تتحدثي من قبل عن عائلتك !

صمت قاتم..ثم فتحت عينها ببطءٍ لتستقر في عينيه بنظرة مذهولة..فتحت فمها قليلاً و
كأنها ستقول شيئاً ثم عادت لتغلقه مترددة..قبل أن تهمس بغير تركيز ؛
_أنا.....

فقط..هذا ما استطاعت أن تقوله قبل أن تعود لتزم فمها بقنوط..فهمس هادي مسترسلاً
بنفس نبرته ؛

_ألا تتذكرين أيّ شيءٍ عنهم ؟!

لمح ذلك الضياع الذي غزا عينها قليلاً..ثم قالت بحيرة ؛

_حسناً..أتذكر بأنه كانت هناك امرأة جميلة الشكل..و طفل صغير لطالما هيّ لي عقلي بأنه
ربما يكون...أخي ! و.....

صمتت مجددًا شاعرة بالضيق.. فقال هادي يحثها بدون أن يترك يدها أو يبعد كفه الأخرى
عن كتفها ؛

_و...؟؟!!!!

تاهت عيناها في السراب.. و ساد صمت قصير من جهتها شعر هادي خلاله بأن عقلها غارق في
قاعٍ سحيق من الحزن.. إلى أن همست بشرود حزين بالفعل ؛
_أتذكر بأنها... تلك المرأة.. دلفت إلى مكتب الإدارة الخاص بدار الرعاية.. بعد أن طلبت مني
انتظارها أمام الباب.. كنت أظن بأنها مجرد نزهة صغيرة و سنعود بعدها إلى المنزل لكنها.....
تاهت عيناها أكثر و ساد بعض الصمت الكئيب منها ثم أكملت ؛
_لكنها تركتني هناك... ببساطة !

شعر هادي بحزنها يخترق قلبه بقوة ليغرس به ألمًا ماثلاً.. ثم قال يعقد حاجبيه قليلًا باهتمام
بالغ ؛

_ثم؟؟!!!!

شعر بأنها لم تسمعه في البداية.. فقد بدت عيناها الواسعتان فاقدتان للإستيعاب لوهلة.. ثم
لم تلبث أن هزت رأسها قليلًا ببعض التشوش و هي تهمس باستسلام ؛
_ثم... لا شيء.. مجرد صور مشوشة لا تفيدني بأي شيء !
استوطنت عينيه نظرة حانية و هو يتمسك بيدها و يمسح على كتفها ملامسًا خصلات
شعرها الحريري المنسدلة عليه.. ثم قال بخفوت ؛
_ألم تفكري بالبحث عنها أبدًا من قبل ؟!!
شحبت عيناها قليلًا بشكل واضح.. ثم هزت كتفها في حركة يائسة و هي تردف بدت غريبة
مقارنة بنبرتها المعهودة ؛

_لم أكن لأفعل.. لا يمكنني أن أبحث عن إنسانة تخلت عني بمحض إرادتها !
إجابتها هذه.. جعلت هادي يعقد حاجبيه شاعرًا ببعض الغرابة فعلاً.. ثم قال بصوتٍ حذر ؛
_هل أنتِ ناقمة عليها ؟!!

نظرت له شهد شبه مجفلة.. ثم لم تلبث أن قالت تنفي بجديّة ؛
_لستُ كذلك بالطبع !

أطرفت قليلًا برأسها لتستأنف بصوتٍ مسّ قلبه ؛

_لكنني لا أنكر رغبتني في لقاءها يومًا ما..فقط لأنظر في عينيها و أسألها.. "لماذا؟" ..لماذا تخلت

عني بكل تلك السهولة؟..أيُّ ذنبٍ اقترفته في حقها جعلها تتركني !..

ثم عادت لتتنظر إلى عينيهِ مسترسلة بصدق ؛

_و لو كان هناك سببٌ وجيه ف...فربما أسامحها ! رغم أن لا عذر في العالم قد يدفع أمّا

حقيقية للتخلي عن طفلها !

شعر بيدها القابعة فوق يده المحاولة لخصرها تتقلص و كأنها تؤكد على جملتها الأخيرة..و

كأنها تقطع وعدًا بالغ الصدق على طفلها الذي لم يأتي إلى العالم بعد بأن لا تتخلي عنه أبدًا..حركاتها

تلك..جعلت عينيهِ تعصفان بمشاعر يصعب تفسيرها..

ثم همس ببطء ؛

_حسنًا..ماذا لو.....

لكنه لم يستطع أن يكمل سؤاله..فقد قاطعته شهد فجأة و هي تلتفت نحوه و تضع يدها

فوق فمه..ثم قالت تحديق في عينيهِ تمامًا..بعينيها الواسعتين الصّادقتين لأقصى حد ؛

_ماذا لو قمنا بتأجيل هذا الموضوع إلى وقتٍ لاحق !

تركت فمه ببطءٍ لتحتوي بدلًا عن ذلك وجنته حيث ارتاحت أناملها الرفيعة..ثم أكملت

بخفوتٍ..لكن بعاطفة جعلته يقف أمامها مذهولًا متفاجئًا يتساءل متى كبرت حبيبته الصغيرة شهد

إلى هذا الحد !

_أنت العائلة الوحيدة التي أمتلكها الآن..أنا لا أريد و لا أحتاج لغيرك !

شعر بأنه فقد كل قدرته على ابتكار الأسئلة و طرحها عليها أكثر..فاكتفى بأن هزّ رأسه قليلًا

مانحًا إياها شبح ابتسامة ضئيلة لم تكتمل..

قبل أن تنزل يدها و تقترب منه هي بنفسها لتحاوط جذعه بذراعيها مريحة وجنتها فوق موضع

قلبه الخافق..حينها لم يجد بدءًا من أن يبادلها العناق باحتواء..

قبل أن يهمس بينما يترك أنامله تنساب بين خصلاتها ؛

_العشر دقائق لم تنتهي بعد بالمناسبة !

لم تبتعد شهد أبدًا..و لم تتغير نظرتها الهادئة بحيث كانت عيناها مستقرتان على الصورة

الوحيدة التي تجمعهما سويًا..إلى أن همست باستكانة ؛

_أخبرتكَ بأنني أحفظ ملامحك و ملامحي عن ظهر قلب..يمكنني فعلها !

شعر بقوة هائلة تحته لأن يرمق المكان حيث تحديق خلسة عنه..رغم أنه لم يكن يراها فعليًا
فهي تكاد أن تكون مندسة في جوف قلبه الذي يتسع لها بالطبع..فالتفت قليلًا لتقع عيناه مباشرة على
صورتها..

حينها وجد نفسه يتهدد مبتسمًا بإرهاقٍ..إرهاق لذيذ يقترن بالعشق فقط !

كان يقف أمام المرأة الخاصة بحمامه الفاره..ينظر إلى انعكاسه بغرور تم توريثه له
بالفطرة..رغم أن نظرتة كانت تحمل بريقًا مخيفًا الآن..
لقد طال صبره أكثر من اللازم لدرجة يشعر معها أحيانًا برغبة في اختراق هذا السجن الخانق
المتمثل في جدران بيته و البحث عنها بنفسه حتى يجدها و يعيدها إلى مكانها الحقيقي..بين أحضانها
هو..بين ذراعيه و ملأ عينيه الخبيرتين..

لكن لا بأس..لا بأس بالقليل من الانتظار بعد..فتلك الحمقاء التي جاءت امتثالًا لطلبه
لتقطن معه طيلة هذين اليومين لا تستطيع أن ترفض له أمرًا حتى لو كان على حساب حياتها..و بما
أنها لم تعترض على المهلة التي حددها لها فلا بد أنها اقتربت من إيجادها..
رفع أنامله ليغرقها بين خصلات شعره القصيرة المبللة..قبل أن يتجه إلى الباب ليفتحه و
يخرج..لمحها فورًا تقف أمام النافذة الزجاجية تحمل الهاتف في يدها..فانعقد حاجباه قليلًا و هو
ينتظرها إلى أن أنزلته و التفتت صوبه تنظر له بهدوء..

لكنها ما كادت أن تفعل..حتى كان يفتح فمه سائلًا بحاجب مرتفع ؛

_مع من كنتِ تتكلمين ؟!

أخفض عينيه ليرمق ثيابها الرسمية التي لم يعلم متى ارتدتها و هو يكمل ؛

_و إلى أين أنتِ ذاهبة ؟!

قالت يسرا بينما تقترب منه ببطءٍ و تدسُّ الهاتف في جيب حقيبتها الصغيرة ؛
_لقد اتصل زوجي..إنه عائد الليلة لذا عليّ الذهاب الآن لتجهيز المنزل و التظاهر بأن كل شيءٍ
لا يزال كما هو...أنت تعلم !

كانت قد وصلت إليه في آخر جملة فرفعت ذراعها ببطءٍ لتحاطب كتفيه و قالت بينما ترسم

أكثر ابتسامة عابثة و ملتوية موجودة في العالم ؛

_لكنني قبل ذلك..لديّ خبر جديد لك !

برقت عينا شهاب تلقائياً و كأنه توقع تتمة جملتها..فاقتربت منه ببطءٍ لتهمس في أذنه
بميوعة ؛

_سأطلعك عليه لو دللتني قليلاً !

ابتسامة مُماثلة لامست ثغره..بينما ارتفعت يداه لتحاوِطان خصرها و هو يهمس بهدوءٍ و قد
شرعت عيناه تبرقان أكثر و أكثر بشر مُستتر ؛
_هذا يعتمد على جودة الخبر..

ابتعد قليلاً لينظر لوجهها بدون أن يتخلى عن ابتسامته الجانبية..ثم قال بينما يرفع يده
ليبعد خصلة شاردة من شعرها الأسود إلى خلف أذنها ؛
_هممم..أخبريني !

بدت يسرا مترددة بعض الشيء رغم ابتسامتها التي لم تفارق شفيتها..لكنها لم تلبث أن قالت
أخيراً بهدوء..كل غايتها نيل القليل من الرضا منه..
_لقد وجدتها !

للحظات ظل شهاب متجمداً ينظر لها بعينين تلمعان خلسة..ثم همس باستيعاب بطيء ؛
_حقاً...؟؟

لم ترق لها أبداً تلك اللفظة الواضحة التي اكتسحت عينيه بينما يلقي بهذا السؤال..إنها رغمًا
عنها تكره لهفته على تلك الفتاة..و تعلم بأنها تقبع في موقف مُهين جداً..لكنها تأبى إلا أن تتمسك بهذا
الحلم المتمثل في ملامحه إلى الأبد !
همست مبتسمة بينما ترفع أحد حاجبيها بجذل ؛
_بالطبع !

حينها لمحت حركة فمه و هو يبتلع ريقه بطريقة أخبرتها كم أن هذا الأمر يشكل أهمية لديه..ثم
منحها نظرة طويلة شملت من أخمص قدميها حتى رأسها..و قال بتفكير مزيف عابث و هو يشدد من
احتضانه لخصرها يقربها أكثر منه ؛

_اممم..هل تعلمين ماذا ؟! هذا الطقم لم يعجبني كثيراً..لما لا أختار لكِ واحدًا آخر بدلاً عنه و
أحبذ أن يكون في اللون الأحمر فهو يليق بكِ جداً..

الآن كان دورها هي لتبرق عيناها بقوة..فهمس شهاب بهدوء ؛

_لكن لو كنتِ على عجلة من أمركِ فلا.....

_لا يزال...لديّ بعض الوقت !

قاطعته بلهفة امرأة...رخيصة !

فاتسعت ابتسامته أكثر حتى شملت كل أنحاء وجهه..ثم لم يتردد و هو يقترب منها ليغرقها في عاطفة مُحرمَة كاسحة..لحظات سيعيشها لآخر مرة مع امرأة أخرى..
فهو ينوي هذه الليلة اختطاف امرأة قلبه الوحيدة بعيداً..بعيداً جداً !

هل كان العالم وردياً من قبل ؟! لا لا هي تقصد قبل بمعنى قبل كل شيء..قبل أن تغرق في أنهار الألم السحيقة..قبل أن ينطفئ وهج النور من حياتها..حينما كانت لا تزال سجي..تلك الفتاة ذات الشخصية الواثقة من نفسها و الكيان الحر المُستقل..

هل كان العالم وردياً قبل أن يحدث كل شيء ؟!.. لأنها لا تتذكر ماهية لونه الحقيقي !
هل...بدأت تتعافى بالفعل ؟ هل كل ما تشعر به هو مجرد مشاعر قديمة كانت قد افتقدتها منذ زمن !
لكن ذلك البريق المتوهج بعينها الزيتونيتين..غير مألوف ! نظرتها التي لم تكن تشمل الاعجاب المتردد بنفسها فقط..بل تشمل شعوراً آخر من الحياء و التوتر و التشوق لرؤية ردّة فعله ما إن يراها...لم تكن مألوفة !

و كأن عينيه تمثّلان الحبكة في رواية بطلتها هي...و هو !
و كأنها دمية صغيرة لا تتألق أضواءها إلّا حينما تكون بين أيدي صانعيها..و كأنها لحن دافئ تعزفه أنامله الخيرة بإتقان..و كأنها جزء متصّل به !

و كأنها...مشاعر جديدة لم تختبرها قبلاً رغم أنها وقعت في الحب مرة واحدة من قبل ! لكن لحظة..ماذا قالت ؟! حُب ؟!! هل تستطيع أن تطلق عليها لقب حُب ؟!!!!
توهج قلبها كما توهجت وجنتاها و هي تقف أمام انعكاسها في المرأة تنظر إلى ملامحها المزينة ببعض مساحيق التجميل التي كانت قد نسيت كيف تستعملها..ترتدي الفستان الكلاسيكي الطويل الذي جلبه لها لؤي كما تمنى..و ترتدي الحذاء الأسود اللامع لأول مرة..

صوت الطرقات الهادئة فوق الباب جعل كل حواسها تتنبه فجأة..فاتسعت عينها قليلاً بشكل ضئيل و هي تقاوم نفس الرغبة السابقة في التقاط أحد المناديل الورقية و تنظيف وجهها البهي من مساحيق التجميل..

لكنها أخيراً زفرت نفساً عميقاً و هي تلتفت تزامناً مع انفتاح الباب و دخول...لؤي ! إنه...إنه يبدو أنيقاً ! بل...وسيماً إلى درجة تخطف الأنفاس قبل الأنظار !

كان يرتدي حلة كاملة..من بدلة و بنطال رسميين في اللون الرمادي الفاتح..وقميص أبيض..لكن بدون ربطة عنق..لماذا؟! كانت عيناها تحملقان به حرفيًا بغير تحفظ أو إدراكٍ منها..و توقفت عند حدود شعره الذي كان مرتبًا بعناية تفوق عنايته بثيابه..

هل كلمة "وسيم" تفي بغرض وصفه بالفعل !

هل...كلمة "جميلة" تكفي لوصفها بالفعل؟!!!!

لم تعلم بأنه كان قد فقد أنفاسه قبلها..هو من فقد أنفاسه فور وقوع نظره عليها..لم يكن

يعلم بأن الفستان الذي اختاره بنفسه سيليق بها لهذا الحد..أم هي من تليق به !

هل تعلمون ما أول ما خطر في باله في تلك اللحظة؟! أنه بغباءه المعهود القديم كان موشگًا

على فقدانها بكل بساطة فعل قبل أن يحصل عليها حتى !

كان سيمناها لرجل آخر لا يستحقها حتى !!

إنه لا يستطيع أن يكون شاكراً لهذا القدر الظالم الذي وضعها بين يديه..لكن تلك

المرة..كانت المرة الأولى التي يشعر فيها بأنه رجل محظوظ بالفعل...محظوظ بها !

محظوظ بصاحبة الفستان البنفسجي و الحذاء الرفيع و الخصلات الكستنائية الدافئة التي

تلتف حول فؤاده المتيم بسحر..خاصة و قد اعتمدت هذه التسريحة التي تشبه تسريحة

العرائس..ترفع شعرها الناعم بالكامل في عقدة أنيقة تاركة خصلة رقيقة تناسب على جانب وجهها..

كم تمنى و هو يقف الآن أمامها على بعد أقل من ثلاث خطوات أن تتاح له إمكانية إغراق

أصابعه بين تلك الخصلات و لا يهमे لو أهدر ترتيبيها فهي تبدو خلاصة في جميع الأحوال..

لو يستطيع الاقتراب بغير تردّد ليحملها بين ذراعيه و يدور بها كل الأنحاء هاتفاً بكل مرادفات

الحُب الموجودة في العالم..لو يسمع صوت ضحكاتهما المرححة التي افتقدها..و لو تبادله العشق بالوله و

الشغف بما يفوقه !

لكنه في النهاية لا يمتلك إلا تلك الابتسامة السخية التي منحها لها بينما يهمس ؛

هل أنت جاهزة؟!

السؤال وحده يبدو سخيًا لدرجة الضحك عليه ! لكن سجي أجابت بهدوء جاد رغم صوتها

الخافت ؛

_نعم !

لم تتلاشى ابتسامته المحببة للقلب و هو يهمس لها كاتماً رغبة قوية في الافصاح عن البعض

ممّا يختلجه الآن ؛

_جيد..دعينا نذهب إذن !

اقتربت منه سجي بخطواتٍ بطيئة متأنية إلى أن توقفت أمامه تمامًا..تنظر لعينييه بعمق و كأن
لا شيء في العالم يستحق عناء الاستعجال..و يبدو بأنها كانت أكثر شجاعة منه فقالت ما جعل
حاجبيه يرتفعان دهشة ؛

_ألن...ترتدي ربطة العنق !

فغر فمه كطفل صغير تمّ وضعه في مدينة الملاهي لأول مرة..و عجز عن التقاط أنفاسه لعدة
لحظاتٍ أمام عينيها الصافيتين و اللتين ترفضان الانزياح عن عينييه بإصرار.. إلى أن ابتلع ريقه ليقول
فجأة كشخصٍ أبله بينما ينزل رأسه و يغرق يده في جيب بنطاله ؛
_نعم...لقد..لقد كانت هنا..أقصد..لقد نسيتها.....

كان قد أخرجها فرفعها أمام عينيها و هو يعقب بنفسٍ البلاهة ؛

_ها هي ذي !

رفعها إلى عنقه ليعلقها هناك بغاية ارتدائها كما يجب..لكن صوتها عاد ليتسلل إلى قلبه
ناعماً..هادئاً..عميقاً !

_دعني أفعل ذلك !

يا إلهي..هل هي تتعمّد فعل ذلك به ؟!! لماذا تبدو ثابتة لهذا الحد و في هذه اللحظة التي يشعر
بنفسه على وشك الانقضاض عليها و إغراقها حباً !
كيف تستطيع أن تبقى صامدة بهذا الشكل بينما هو يشعر بالنيران الدافئة تلتهم كل أطرافه
؟!..بينما حواسّه تتشنج و عيناه ترتعشان و قلبه يخفق كالمضخة التي لا تمتلك حُرية التوقف !
كيف ؟!!

أنزل يديه المرتعشتين بقوة..و كأنه يمنحها نفسه بلا شروط..فلتفعل به ما شاءت و ما تشاء
هو راضٍ تمامًا ! بل أكثر من راضٍ !
و أمامه..رفعت سجي يديها بعد ترددٍ قصير لتتخذ مكان يديه..بدون أن تزح عينيها عن عينييه
إلا لغاية تفقد ما تفعله فقط..

كان يشعر بالدغدغة..أناملها تكاد أن تلامس تجويف عنقه الذي يحجب حنجرة متشنجة
بشدة..و كم تمنى لو تلامسه و لو بالخطأ !

ظل يحرق بها بصمتٍ..بكل حرية..بينما عيناها مثبتتان في عنقه حيث كانت تكمل آخر عقدة
بتركيز..بثقة و جدية ذكرته بسجي القديمة !..

و لم تكمل ما تفعله حتى كان صوته ينطلق فجأة هاتفاً بغير تخطيطٍ منه ؛

_تبدین جميلة جدًا !

قالها بصوتٍ خفيضٍ شبه متحشرج..و كان دورها الآن لتتنظر له كالبلهاء تمامًا.. لكنها بلهاء

بعقلٍ يجيد التصرف في مثل تلك المواقف !..

أبعدت يديها ببطءٍ ما إن انتهت..و ساد صمت قصيرٍ من طرفها..قبل أن تهمس بينما ترسم

شبح ابتسامة لم تخفي توهج خديها ؛

_و أنت أيضًا...تبدو وسيماً جدًا هذا اليوم !

هذا اليوم فقط ؟! ما كان الداعي لقول ذلك تباً !

استطاع لؤي أن يتحكم في نفسه بعد جملتها هذه..فترك لابتسامته الحرية في الاتساع..ثم

استدار قليلاً ليقول بينما يثني ذراعه في حركة ذات مغزى لها ؛

_ما رأيك !

لمح وجنتها تتوهجان أكثر بقدر خفيف..و لم تتردد من أن ترفع يدها ببطءٍ لتتأبط ذراعه

الممتدة نحوها بسخاء..لكن بدون أن تتخلى عن حركتها الأثيرة..بأن رفعت اليد الأخرى أيضاً لتنشب

أناملها بذراعه من فوق السترة الأنيقة..و انسابت يده امتثالاً لحركتها لتغطي ظاهر كفها

مجدداً..للمرة الألف ربما !

ما إن خطت خطواتها الأولى بداخل تلك القاعة العريضة الواسعة التي ضمت وجوهاً عديدة

لأناس أغلبهم من الطبقة المخملية كحالهم حتى شعر بأناملها كما العادة تشتد فوق ذراعه قابضة

بقوة..

دلها بعدها إلى مقعديهما الذي كان قد حرص أثناء حجه أن يكونا في الصف الأول..إلى أن

جلسا بهدوء..

أعداد الناس الهائلة رغم أنها جلبت توترًا معهودًا إليها..لم تؤثر بها بأي طريقة اليوم..رغم أنها

بداخلها تعلم السبب الذي يجعلها تشعر بتلك الثقة التي كانت قد فقدتها..و تعلم بأن تعلقها به و

احتياجها له أصبح أمرًا شبه مرضيًا لكنها لا تملك رفاهية التحرر من سطوة وجوده معها..و ذلك

الأمان الذي لم يعد يخالجها إلا معه !

بدأ الحفل وبدأت العروض بالتوافد على التوالي..و تألقت عينها أكثر و كأنها في كل مرة

تشهد دخول عارضة جديدة و خروج الأخرى تشهد إشرقة سحابة جديدة أكثر..

لظالما كان عليماً بها أكثر من أيّ أحد آخر..و يعلم عشقها و ولعها بهذه العروض.. و تأثيرها الكبير على نفسيّتها كل ما حضرت واحداً منها..

رغم أنه في الحقيقة لا يعلم موضع التميز في دخول عارضة بطقم غريب غير مألوف و خروجها لتتيح للأخرى فرصة الدخول بنفس الطريقة..لكن ذلك اللحن الهادئ الذي كان مندلعاً من مكان ما هنا..كان يخلد شعوره الخلاب نحوها أكثر..الحقيقة أنها الشيء الوحيد هنا الذي يستحق التأمل...لكن لا أحد يحق له تأملها غيره هو !

كان شبه مغيباً بتركيزه عن ما يحدث حوله..إلى أن أجفل بشكل مفاجئ و هو يسمع صوت التصفيق الحار يخترق أذنيه..بينما هي رفعت يديها لتشاركهم التصفيق مبتسمة ملاً عينها الجميلتين..

حينها رفع رأسه لينظر لتلك المرأة التي توقفت بجانب العارضة الرئيسية تلقي بعض الكلمات المُنمقة التي تفصح من خلالها عن سعادتها بتقديم مجموعتها الجديدة..فرفع يده ليشاركهم التصفيق بغير تركيز..

رَنّ هاتفه أثناء نزولهما الدرجات القصيرة الخاصة بمدخل هذه القاعة العريضة.. فأخرجه ليلقي نظرة عابرة مُمتعة على رقم أبيه..

قبل أن يغلق الخط بغير اهتمام ليعيد دسّه في جيب بنطاله..كل هذا أمام أنظار سجي التي قد لاحظت حركته تلك بل و قرأت اسم والده..لكنها تغاضت عن التعليق في الأمر و سارت بهدوء مستجيبة إلى يده و هي تقودها إلى السيارة..

خلال الطريق نحو المنزل رَنّ هاتفه مجدداً بنفس الرقم..و تجاهله بنفس الطريقة.. إلى أن توقف أمام المنزل و ما كاد يفتح باب السيارة لينزل حتى...الرنين المزعج مجدداً !
أخرجه بقوة ينظر إلى الاسم بتذمر..فنقلت سجي الجالسة في المقعد المجاور له عينها بينه و بين الهاتف..و لم تستطع أن تمنع نفسها من الهمس بخفوت ؛
_لماذا...لا تجيبه !!؟

رفع لؤي رأسه فجأة نحوها شبه مجفلاً..ثم قال بضيق ؛
_لقد تكلمت معه في الصباح بالفعل..إنه يريدني أن أعود للعمل..و هذه الفترة قرّر أن يتنازل كما قام عقله بصياغة الكلمة طالباً مني أن أستلم الملفات منه و أشتغل من المنزل ريثما أقتنع بالعودة..

نظرت له سجي بصُعوبة في الفهم للحظة..ثم قالت بحيرة ؛

و لماذا لا تفعل ؟!

لم يشعر لؤي بنفسه و هو يهتف مجيبًا باندفاع ؛

_لأنني.....

لم يجد ما يقوله بالفعل فأطبق فمه يشاركها حيرتها..إلى أن قالت سجي بهدوء ؛

_ليس هناك ما يمنعك من العمل في المنزل !

ظل لؤي صامتًا ينظر لها و كأنه يريد الرفض..و كأنه يبحث عن أي عذر يبرّر به رغبته بعدم

مقابلة والده الآن فقط..و الانخراط في عمل قد يشغله عنها و لو لثانية واحدة !

فامتدت يدها ببطءٍ لتمسك بيده..بطريقة جعلته يخفض عينيه قليلًا يتأمل ذلك التلامس

بما يشبه الإنشده..قبل أن يعيد أنظاره إليها..فهمست بصوتٍ خافتٍ شديد العمق.. ناظرة لعينيه

البرقتين في ضوء السيارة الخافت ؛

_افعل ذلك لأجلي..ربما لم أخبرك بذلك من قبل لكنني...لا أحب أن أكون همك الوحيد في

الحياة..لا أريدك أن تفقد استقرار حياتك لأجلي..لقد توقفت حياتك لفترة بسببي و لا أريدها أن

تتوقف أكثر..كفاك كل ما فعلته لي حتى الآن..دعني أفعل شيئًا واحدًا من أجلك و أخفف عنك وطأة

القلق الذي أراه يفترس عينيك و قلبك نحوي..أنا بخير يا لؤي.. بل إنني في الحقيقة لم أشعر بأنني

كنت بخير أكثر من الآن من قبل...

صمتت للحظات تتأمل به..بطريقة مختلفة..قبل أن تفتح فمها مجددًا لتهمس بنبرة أكثر

خفوتًا..و كأنها تهمس الكلمات إلى قلبه مباشرة لا أذنيه ؛

_لقد تأملتُ هذا المكان جيدًا كما طلبت مني..و استوعبت بأنه ملكنا بالكامل..إنه لنا

فقط..هذا الهدوء..و السكون..كله لنا..لا أحد هنا غيري أنا و أنت..أنا و أنت فحسب!..كل ما كنت

أشعر به هو محضُ أوهام فقط..و الحقيقة الوحيدة ها هنا هي أنك أصبحت -زوجي- ! هو

لن...يلاحقني بعد الآن..لن يلاحقني أيُّ أذى بعد الآن لأنك هنا..مثلما حميتني دائمًا حتى من نفسي..أنت

ستفعل دائمًا!!..لقد خلصتني من أوهامي..و ضعفي..و ياسي..أنا لم أعد أظن بأنني انتهيت..بل إنها

مجرد البداية فحسب..بداية أجمل لحياة خالية من الخوف ،لقد.....استعدتني !

كان هناك جدار هشٍّ من الدموع قد غزا عينها في نهاية كلامها..و ظهر مثله في عينيه بدون أن

يرجف برمليه حتى..فقد كان...مصدومًا !

خاصة و قد استعاد عقله تلقائياً كلماته التي همسها لها بحرارة ذات يوم أصبح يبدو بعيداً
جداً اليوم.. خاصة و هو يسمع عبارتها الأخيرة بصوتها المتحشرج الرقيق.. خاصة و هو يلمح تلك

الابتسامة المغصوبة التي ارتسمت لأجله فوق شفيتها !

إلى أن فتح فمه بعد وقتٍ ليمس بدون أن يشعر ؛

_الحقيقة الوحيدة ها هنا هي أنني...زوجك ؟!

أعاد نفس الجملة التي قالتها لكن بصيغة سؤال متردد.. فهمست سجي أمام عينيه الحانيتين

ببطء.. بإقرار !

_أنت كذلك !

شعور التوتر اجتاحتها مثلما اجتاحه في تلك اللحظة.. و أخفضت عينها قليلاً ناظرة إلى حدود

يديهما المتشابكتين.. بينما ظل لؤي يتأملها و كأن حياته تتوقف على ذلك..

يتجول بأنظاره ببطءٍ فوق شعرها الناعم في تصفيفته الخلابه.. حاجبها الرفيعين.. رموشها

السوداء الطويلة و التي تخفي عنه بركة عينها الدافئتين.. شفيتها الورديتين حيث كانت تزمّهما قليلاً و

كأنها حركة تحاول تلافي ذلك التوتر من خلالها.. و... و غمازتها !

شعر بنفسه غير قادرًا على الصمود أكثر من ذلك.. فهمس ينصاع لرغبة عميقة كانت مدفونة

بداخله منذ وقتٍ طويل.. طويل جداً !

_هل...يمكنني.....

رفعت سجي عينها نحوه بصمتٍ.. تنتظره أن يكمل بقية سؤاله.. لكنه لم يكمل.. و ظل صامتاً

ينظر لها بترددٍ ظهر في جوف عينيه.. و كأنه على وشكٍ قطع خطوة عريضة كبيرة قد تقربه إليها... أو

تنسفه من حياتها للأبد !

ثم و بدون أن يسألها رفع يده ليلاصق تلك الخصلة المنسابة على جانب وجهها مُلامسة فكها

برقة.. و على وشكٍ أن تلامس غمازتها... حبيبة قلبه !

تلكأت أنامله هناك لوهلة و عجز تمامًا عن أن يمنع إبهامه من ملامسة تلك الحفرة الصغيرة

الناعمة.. لمسة خفيفة ربما لم تستشعرها فعلاً.. لكنها جعلت مفاصلها تنصهر لوهلة كما عينها

المتسائلتين..

لم يكن ينظر لها حينها.. عيناه و كأنهما فقدتا التواصل مع العالم و استكانتا على يده التي لم

تبارح جزئه المفضل و الحبيب من وجهها.. قبل أن يرفعهما إليها ببطء.. و حينها شعرت بوتيرة أنفاسها

تدهور و هي تقابل الأنهار العميقة و الحزينة في عينيه !

ثم...و بدون أن ينتظر إجابتها التي ربما لن يسمعها..أخذ كفايته من نظرتها تلك.. فاقترب منها
ببطء..ببطء شديد..شديد..عيناه تلتهمان عينها و قد بان الشوق واضحاً بهما لأول مرة إليها بهذا
الشكل..مما جعلها ترفع أحد حاجبيها قليلاً ناظرة له بحيرة..أو برهبة !
كان يقترب بتمهل..أذناه تلتقطان الصمت فقط..صمت مرفق بلحن نسجته الطبيعة في عقل
كليهما و تلائم مع تلك اللحظة !..

إلى أن ارتاحت شفتاه فوق ذلك التجويف الرقيق الجذاب...غمازتها الحبيبة !
شعرت بأن الزمن توقف..خفقاتها توقفت..أنفاسها توقفت..حواسها و إدراكها..كل شيء
يتسرب منها بسحر ما..ليسحبها نحو دائرته..هل ما...تشعر به حقيقي ؟!
هل ما تعيشه حقيقي ؟! هل...اقترب منها لهذا الحد ؟!
أغمضت شراع عينها على شهقة غير مسموعة تحرّرت من بين شفتيها قسراً عن إرادتها..بينما
ارتفعت يداها بينهما و كأنها ستدفعه..لكنها...عجزت ! فأغلقت قبضتيها على بعد مسافة تكاد أن
تكون منعدمة من صدره..

تشعر بأن ما يحدث هو شيء خاطئ..حتى لو كانت تعد قبلة بريئة لكنها بالنسبة لها لا تبدو
كذلك..لؤي...لؤي هو أخيها !

لطالما نظرت له نظرة الأخ و الصديق المخلص فقط..أما الآن..أما الآن فهي تجزم بأنها تكاد أن
تنصهر به..تريد أن تبعد الأفكار الدخيلة..تريد أن ترفع يديها و تحاوطه بشدة لتخبره عن كمّ المشاعر
التي بات يجعلها تختبرها بتناقض..لكنها عجزت و ظلت يداها معلقتان في نفس المكان..ما بين أن
تدفعه أو...تتمسك به باستماتة !

كانت قبلة متعطشة..أخبرتها كمّ الضغوط التي كان يمارسها على نفسه طوال فترة طويلة و
هو يجلس معها..ينظر لها..يمسك بيدها..يدرك بأن كل ذلك من حقه لكن لا يسعه سوى الانتظار
بيأس أن تمنحه و لو القليل من الاهتمام الذي سيكون محفزه الوحيد لنسف القليل من الحواجز
بينهما..

كان كشخص مصاب بداء قاتل لا ترياق له سواها !
و هو لا يريد حتماً أن يتوقف عند هذا الحد..لا يريد أن يفقد هذا الشعور الـ..خلاف بعد أن
تذوقه لأول مرة في حياته...مع امرأة حياته !
لكنه...مضطر..إنه...مُضطر !!!

ابتعد ببطء لينظر لوجهها عن قرب.. يبحث في عينيها عن بؤادر رفضٍ أو امتناع ضئيل و لو
وجدها فسيكون عهده التالي إلى نفسه بعد عهده بأن يحمها أن يتوقف عن التمسك بآمال زائفة
بشأنهما بعد ! لكنه... لم يجد !

لم يكن هناك أيُّ علامات رفض.. أو خوف.. أو تقزز.. كانت هناك فقط.. ارتجافة ! رعشة
استوطنت أعماق عينيها.. رعشة تخص... الحب ؟! إنه لا يستبعد ذلك !
طال الصمت لعدة لحظاتٍ بينهما.. و قد استطاعت سجي اختراق كل أفكاره في تلك
اللحظة.. ففتحت فمها لتهمس ببطء.. تلك الكلمة التي توجب أن ينتظر سماعها قبل أن... يلهب
أنفاسها !

يمكنك... !

اتسعت عيناه قليلاً و هو ينقلهما بين عينيها و كأنه يحاول التأكد من أنها قالت ذلك
بالفعل.. ما سمعه صحيح تماماً..

لقد قالت "يمكنك" و تلك إجابة على سؤال غير مكتمل صدر منه قبل قليل !
هل يمكن أن تكون قد لمحت تلك العاصفة الهوجاء المنتشرة في عينيهِ ؟! هل تشعر به ؟! بل
السؤال الأدق... هل تشعر بما يشعر به ؟!
هل تعلم بأنه يعشقها حدّ الجنون و الموت ! بأنه هائم في حبها !
هل تعلم... ؟!!!

وقعت عيناه على قبضتيها المنغلقتين القريبتين من صدره.. فلم يمنع نفسه من أن يرفع يديه
إلى أن تمسك بهما.. و مباشرة.. شعر بأناملها المتشنجة ترتخي تدريجياً بين يديه.. إلى أن أصبحت تفرد
كفيها فوق صدره الخافق.. غالباً.. تحقق جزءاً كانت قد أمنية اجتاحتها قبل قليل.. حينها ابتلع لؤي
ريقه ليمس بصوتٍ خافتٍ متحشرج أمام عينيها ؛
_ سجي ، أنا.....

لم يستطع أن يكمل فقد قاطعه صوت الهاتف الذي عاد ليصدر صوت رنين صغير
الآن.. فانتفض كلاهما بقوة و كأن الزمن كان متوقفاً بهما بالفعل و الآن عاد ليسيير بشكله الريب..
صرّ بأسنانه و هو يترك يديها فجأة ليلتفت ليرفع الهاتف.. و نفس الرقم المزعج.. رفعت سجي
يدها لترتب شيئاً مجهولاً بشعرها.. قبل أن تبتلع ريقها في محاولة لاستعادة وعيها الذي سلب منها
بسببه..

ثم همست ما إن لمحت تعايره المتضايقة بصوتٍ لا يزال شبه مرتعشاً ؛

_ما...الخطب ؟!

نظر لها لؤي بعينين تحملان الكثير من الانزعاج..يتمنى لو لم يكن ذلك الشخص الذي قاطع
أجمل لحظة عاشها في حياته والده..لكان قد علمه درسًا لن ينساه في حياته..ثم قال يحاول أن يلتزم
بأكبر قدر من الهدوء ؛

_إنه أبي..يقول بأنه سيسافر صباح الغد لهذا يريدني أن أذهب إليه خلال وقتٍ وجيزٍ لأستلم
منه الأوراق التي سأشتغل عليها...

زفر بقوة و هو ينظر جانبًا مضيقًا بغضب ؛

_هذا وقد رفضت و لا يزال يعاملني بهذا التسلط القبيح !

سمع صوتها تسأل بتردد ؛

_و هل...ستذهب ؟!

فنظر لها بعجز يخالطه نفس الضيق قبل أن يهمس بخفوت ؛

_هل تريدني أن أذهب ؟!

لم تجب سجي فورًا..ظلت صامتة قليلًا قبل أن تحرك رأسها بالإيجاب ببطء..فقال بغير

اقتناع و بعدم رغبة في الذهاب ؛

_و تبقيين بمفردك في المنزل !

بدت سجي مترددة أكثر منه لوهلة..ثم قالت بإرهاق ؛

_أنا بخير يا لؤي..توقف عن القلق عليّ رجاء !

نظرة غريبة اعتلت عينيه بعد طلبها ال-مستحيل-..ابتسامة حملت كل معاني العجز و

الاستسلام و العشق غلفت حدقتيه فقط بدون أن تلامس شفثيه..ثم قال ببساطة مهلكة ؛

_لا أستطيع..لا أستطيع التوقف عن الاهتمام بكِ و القلق عليك...هذا شيء لا أملكُ أمر

تغييره و لا أريد تغييره !

تمهدت سجي بإرهاق بدون أن ترد..فقط من لمعة خفية لامست عينها..قبل أن يطرح أنفاسه

بإرهاق مشابه..ثم قال باستسلام ؛

_لا بأس إذًا..دعيني أوصلكِ إلى المنزل و أذهب إليه سريعًا..

تألفت عينها و كأنه ألقى عليها خبرًا سعيدًا..لكن السبب الحقيقي لتألقها كان شعور الارتياح

الذي انتابها مع فكرة أنها لن تكون همّة الوحيد بعد الآن..و رغم ترددها الداخلي من فكرة الجلوس

وحيدة في المنزل بعد فترة طويلة..هي ستسعى بكل جهد للتخلص من تعلقها -المرضي- به..

لهفتها تلك..بقدر ما أسعدته..أحزنته !

فهو لا يحبذ فكرة تركها بمفردها أبدًا..و لا يجب أن تكون لديه أشياء أخرى تشغله عنها..كما لا يحبذ فكرة تخلّيها عنه بهذه البساطة..بعد أن كانت تتمسكُ به بشراسة عاطفية كلما أوشك على الإبتعاد خطوة واحدة عنها..!

رافقها إلى المنزل بصمتٍ..هذه المرة كان يغرق يديه في جيوبه يحدق في الأرض شاردًا تمامًا..إلى أن توقف أمام الباب حيث فتحه لها..و ما إن تقدمت سحى خطوة نحو الداخل التفتت إليه لتمنحه ابتسامة مشجعة رغم التردّد الطفيف الذي نالها..إلا أنه قال بقلبي :

_هل أنت متأكدة من أنكِ تستطيعين الجلوس بمفردكِ ريثما أعود !

أومأت له سحى عن اقتناع تام..فبادلها ابتسامتها الهادئة بابتسامة حانية..ثم همس بينما

يقترب قليلًا ليمسكُ بمقبض الباب ؛

_جيد..أنا لن أتأخر طويلًا...أعدكِ !

منحته نفس الرد المختصر اللطيف..تاركة ابتسامتها تشحب قليلًا أمام أنظاره..قبل أن تراجع خطوة أخرى ما إن أوشك على إغلاق الباب..لكنه لم ينسى أن يضيف بحزم قبل أن يغلقه تمامًا ؛

_لا تنسي أن تغلقي الباب جيدًا من الداخل..

أغلقه بهدوء قبل أن يتوقف مكانه لا يشعر برغبة أبدًا في الإبتعاد خطوة واحدة عنها..كان هناك شيءٌ ما..شعور يسحبه قسرًا إليها لكنه يقاومه باستماتة مقنعة نفسه بأنه قلق وهمي و طبيعي في نفس الوقت..

قبل أن يلتفت ببطءٍ عائدًا إلى سيارته إلى أن استقل مكانه منطلقًا بسرعة مناسبة..فهو لا يحبذ أن يعود إليها مُحطّمًا إلى عشر أجزاء لو انصاع لجنونه الداخلي بها و قاد بسرعة فائقة كسرعة خفقات قلبه..

و في المنزل..توقفت سحى أمام مرآتها..نفس المرأة التي وقفت أمامها قبل ساعاتٍ..عينها

شاردتان تمامًا بينما عقلها لا ينفكُ عالقًا في تلك اللحظة..تلك اللمسة...مجرد لمسة !

رفعت يدها ببطءٍ لتلامس ذلك التجويف الذي يُذهب عقله بذلك الشكل..و تاهت عينها

أكثر و عقلها يتساءل بجدية حقيقية عن السبب..إنها حتى لا تلاحظ تميزًا في غمازتها تلك رغم أنها لطالما أحببتها لكن...كم فتاة غيرها تمتلكُ غمازة في العالم ؟! هل تنتابه نفس المشاعر كلما رأى فتاة

تمتلكُ غمازة !

لم تدرك بأنها أثناء تفكيرها كانت هناك شبه ابتسامة شاحبة قد شقت شفقتها..و لم تلحظها
أبدًا..قبل أن تهز رأسها قليلاً لتجلي تفكيرها و ترفع نفس اليد تسحب ذلك المشبك الأسود تاركة
خصلات شعرها تنساب بحرية مطلقة..

فتحت أحد الأدراج أمامها لتخرج الفرشاة و تغرقها في خصلات شعرها مُمشطة إياها برفق
رغم أنها لا تحتاج إلى ترتيب فعلي..فلو كان لؤي هنا لوقع في حُما مجدداً ما إن يراها بهذا الشكل..
كانت مستمرة في ذلك بشروء حتى لفت انتباهها صوت رنين جرس الباب..فرفعت رأسها
بسرعة..قبل أن تعقد حاجبها قليلاً و تترك الفرشاة من يدها متجهة إليه..

لا بد أنه سيكون لؤي..لكن..هل عاد بهذه السرعة؟! تراه نسي شيئاً ما هنا..او لم يستطع أن
يذهب و يتركها! إنها لا تتمنى أن يكون هذا الاحتمال صحيحاً بالفعل!

كان الرنين يرتفع و يتزايد مع اقترابها..بشكل لم يسمح لها في التفكير حتى و هي تفتح القفل
الذي أغلقته للتو و تمسك بالمقبض إلى أن فتحت الباب على مصراعيه و...ليتها ما فعلت!!!!
فذلك الرجل الذي كان يقف هناك لم يكن لؤي..إنه ليس لؤي..بل كان...شهاب! جحظت
عينها بقوة و هي تنظر لتلك الملامح التي تعرفها جيداً منذ نعومة أظافرها..الآن تستطيع أن تقول
بأن الوقت و العالم توقف بها!

هل هو يقف أمامها حقاً؟! هل عاد؟! متى عاد؟! كيف عاد؟! ماذا يفعل هنا؟! و
ماذا.....

لا لا..ما الذي يحدث معها؟! هي تعافت منه! لقد تعافت..لقد نجت..تلك الذكريات و هذا
الوجه بات شيئاً من الماضي..شيئاً مهماً..

تلك الذكريات..تلك اللحظات..لماذا تنقض على عقلها من جديد بعد أن ظنت بأنها نسيته؟!
لماذا تتردد بتفاصيلها المؤلمة لتعيدها إلى نفس النقطة..لماذا تشعر بأنها تعيشها
مجدداً..هل...ستعيشها مجدداً!!

كان عقلها يحاول بشدة أن يهرب من موجات الماضي..يهتف بها أن تهرب..أن تدفع الباب في
وجهه بقوة..لكن عبثاً..فقد كانت أناملها قد بدأت ترتجف حرفياً..أطرافها تتشنج و تتشنج و أصابع
قدميها الحافيتين تتكور تحتها مُحفزة على الهروب دون أن تهرب..

إلى أن فتح فمه..و سمعت الصوت المقيت المرعب يقول بنبرة مُميزة بينما يشملها بالكامل في
نظرة تقييمية ذات مغزى؛

_هل ارتديت هذا اللون من قبل؟! عجباً...! كيف لم ألاحظ بأنه يليق بك لهذه الدرجة!

و كأنما جملته تلكَ أيقظتها من موتها المحتم فتحرّكت يدها المتّمسكة بطرف الباب تدفعه بقوة في وجهه..لكن يده وقفت لها بالمرصاد..و قال بينما ابتسامته تتسع بشكل مرعب أمام عينيها
الجاحظتين ؛

_و أنا أيضًا اشتقت لكِ بشدة حبيبي ! دعينا نتفاهم في الداخل !

" 42 :موت محتم "

#الكاتبة

كان يقود السيارة بذهن غائب.. تلك الغصّة المستوطنة في قلبه منذ تركها لا تنفكُ تتضاعف و تتضاعف.. يشعر بأن هناك شيئاً ما ليس كما يرام.. و لا يعلم هل هذا الشعور حقيقي أم أن قلقه غير الطبيعي عليها يصور له ذلك..

كان قد قطع ربع المسافة تقريباً نحو المكان الذي ينوي الذهاب إليه.. حينما توقف بالسيارة عشوائياً فجأة و هو يشتم بعنفٍ.. إنه لا يستطيع.. ليس اليوم... لا يريد أن يتركها بمفردها لكنها تصر عليه بالذهاب !!!

اشتد ضغط أنامله حول المقود و هو ينظر إلى السراب الحالك بانفعال مكبوتٍ غاضب يحمل كل قلقه.. و همّ بالقيادة مجدداً لكنه عاد ليتوقف هامساً من تحت أسنانه ؛

_تبّاً ما الذي يحدث لي ؟!!!!

أغمض عينيه لوهلة طويلة و هو يحاول أن يهدئ من روع قلبه الخافق بعنف.. لكن عبثاً.. فقد شعر و كأن قبضة عنيفة تعصره بقوة..

فما كان منه إلا أن زفر بقوة و هو يخرج هاتفه ليفتح الرسالة المزعجة ناظراً لها للحظة قصيرة..

تبّاً هل كان يجب على والده أن يرسل له هذه الرسالة في هذا اليوم بالتحديد ؟! و هل كان

عليه أن يخبرها عنها بكل تلك السذاجة التي تكتسحها برفقتها !

عاد يزفر نفساً طويلاً.. ثم بدون أن يستغرق في التفكير أكثر شرعت أنامله المتشنجة في

الضغط على الأزرار بقوة..

" أنا مشغول قليلاً.. لن أستطيع القدوم الآن.. أتركهم فوق سطح مكتبك أو في أمانة أمي ريثما

أمر غداً و أستلمهم... "

ضغط زر الإرسال بقوة قبل أن يعيد الهاتف بحزم إلى جيب بنطاله و يغير طريقه عائداً إلى

المزرعة... إليها !

و لا يهمه أيُّ عذر سيقوله لها بعد الآن.. المهم أن يتخلص من هذا الانقباض الغبي الذي

يعتصر قلبه !

و أنا أيضًا اشتقت لك بشدة حبيبي..دعينا نتفاهم في الداخل !

شعرت بأن العالم كله قد أطبق على قلبها في تلك اللحظة..بأنها النهاية الحقيقية..

نعم..هذه هي نهايتها الحقيقية..إن ما حدث معها من قبل إلّا بداية لهذه النهاية التي تتجسد في

عينيه... !

ارتعشت عينها بقوة و هي تخفضهما لترمق حذائه اللامع بمشاعر فاقت حدود الفزع..تراه و

هو يتقدم خطوة..يقطع الخطوة الوحيدة التي تفصله عن المنزل..عن منزلها الآمن هي و لؤي..يدنسه

بخطوة شعرت و كأنها مرت فوق قلبها تمامًا..

هو سيدنس منزلها الآمن..سيقتل ما تبقى لها من أمل و سيدهس كل تعب الشهور و الأيام

الماضية..كل ما عانته حتى وصلت لهذه اللحظة..حتى تمكنت من الوقوف على قدميها مجددًا و

الابتسام..

خطوة أخرى بطيئة جدًا..أو ربما عقلها من توقف عن العمل فأصبح يصور لها كل ما تراه

بالعرض البطيء...قطعها نحوها !

و لم يكد يقطع الخطوة الثالثة حتى وجدت حواسها تتنشط فجأة..فتراجعت بسرعة..لتقع

عينها فورًا على قنينة الماء الزجاجية المحفوظة فوق الطاولة التي تتوسط البهو..و التي تقبع على بعد

أقل من ثلاثة خطواتٍ من حيث تقف !

كان جبينها قد بدأ يتفصّد بقطراتٍ عرق غزير مرسلاً حرارة الذعر إلى قلبها..ذلك الشعور

الذي تلاشى منها منذ فترة..و عاد ليدهم قلبها اليوم بكل سوداويته..

بينما غامت عينها ناظرة لنفس المكان..تخشى أن تندفع في لحظة خاطفة فيدركها قبل أن

تقبض على مبتغاها و...تفشّل !

ذلك السيناريو القصير الذي ألفه عقلها المنهك بالأفكار جعل شعورًا من الاستسلام

يكتنفها..لم يكن شعورًا..بل رغبة...

رغبة هائلة تحثها على الاستسلام فقط..على إغماض عينيها المُرهقتين و السقوط مغشيًا

عليها و لا يهتمها ما سيحدث ما دامت لن تشعر بأيّ شيء..

إلّا أن قوة غريبة داهمتها..صوت لؤي داهمها..سجى القديمة توسلت إليها أن تتحرك..أن لا

تسقط و ترضخ بكل هذه البساطة منذ البداية..

فلم تشعر بنفسها و هي تقترب بلمح البصر متحاملة على ارتعاشة قدميها و جسدها..
بخطواتٍ راکضة إلى أن أمسكت بالقنينة و رفعتها في وجهه..و هتفت بلا أنفاسٍ تقريبًا ؛
_ أقسم بأنني سأقتلك لو حاولت أن تلمسني..سأقتلك هل تسمعي سأقتلك...!!!!
تسمر شهاب مكانه قليلًا..و من نظرات عينيه القاسيتين الحازمتين بشكل غريب علمت بأنه
لا ينتوي التراجع أبدًا..همس لها ببطءٍ و هو يحركُ إحدى قدميه هامًا بالإقتراب بتأني و كأنه يتعامل
مع مجنونة ؛

_ اهدئي..أنا لن أؤذيكَ..سنتكلم فحسب يا سجي..ضعي القنينة و لا.....
كانت عيناها طيلة الوقت على قدميه..و يدها ترتعش أكثر و أكثر..و ما إن همَّ بقطع الخطوة
الأولى نحوها حتى كانت ترفع يدها لتلقي بالقنينة في لحظة خاطفة سريعة بدون أن تفكر و هي تهتف
بعينين متسعيتين تحملان من الجزع غيرالطبيعي أطنانًا ؛
_ لقد أخبرتك لا تقترب مني...لا تقترب...!!!!
هتفت جملتها تزامنًا مع إلقاءها للقنينة الزجاجية عليه..لكنها لم تصبه لحسن حظه..و لسوء
حظها..فقد نجح بمهارة بالغة في تفاديها..ثم ما إن رفع رأسه إليها مجددًا ينتوي أن ينسف الخطوات
اللعينة بينهما..

تفاجأ بها و قد ابتعدت في لمح البصر إلى أن دخلت لواحدة من الغرف و التي كانت غرفتها
تحديدًا مغلقة الباب خلفها بعنف..
تدافعت أنفاسها كما تتدافع الرياح العاتية في فصل الشتاء القارص و هي تهاوى أرضًا بعد
أن أغلقت الباب..رافعة يديها المرتجفتين بشدة إلى شعرها و مطلقة العنان لدمعاتها..
لا تعلم حتى أيُّ قوة تلك التي تملكها حتى استطاعت أن تهتف بما هتفت و تلقي بسلاحها
الوحيد الذي وجدته متاحًا أمامها بغير تردُّد..

خفقات قلبها تسارعت بقوة غير طبيعية و كأنها تنذرها باحتمالية توقف قلبها عن النبض في
أيِّ لحظة..و تمنّت لو تستيقظ من هذا الكابوس الحقيقي...
لكن صوت الطرقات العنيفة التي داهمت باب غرفتها جعلتها تغرق في دهاليسه المظلمة
أكثر..فانتفضت بقوة و هي تسمع صوت هتافه المرتفع المجنون ؛
_ افتحي هذا الباب حاليًا يا سجي..افتحي و إلّا كسرته فوق رأسك و تعلمين بأنني أستطيع فعلها

!!!!

عدة شهقات متتالية هربت من بين شففتها و هي تطبق براحتي يديها على أذنها بقوة..تحاول
أن تهرب من صوته..من قوقعته..

تحاول أن تستنجد بقلها فقط بلؤي...لؤي !!!

اتسعت عيناها فجأة حينما اهتدى عقلها لشيء ما..فتحاملت بقوة على نفسها لتقف بقدمين
هلاميتين تشعر بأنهما تعجزان عن حملها و تقترب من السرير..
أمسكت بحقيبتها لتفتحها بأنامل خرقاء و تخرج هاتفها..و لم تفكر و هي تطلب أول رقم جاء
أمامها و الذي كان رقم لؤي بالطبع فهي لا تملك غيره حاليًا..قبل أن ترفع الهاتف إلى أذنها و هي تسمع
صوته يهتف بجنون أكبر ؛

_افتحي الباب !!!!!

تزامن صوت صراخه مع صوت اصطدام قدمه بالباب بقوة..فانتفضت بقوة..و أغمضت
عينها بشدة تنتظر أن تسمع صوته..فقط لتسمع صوته..تشعر بالندم لأنها طلبت منه الذهاب..تبًا
لها كيف كانت تفكر !!!

كان لؤي يقود سيارته بسرعة نسبية عائدًا إلى المنزل..يفكر بعذر يفسر عودته به..حينما رن
هاتفه فجأة..

فنظر له عاقدًا حاجبيه بانزعاج و هو يظنه والده.. لكنه سرعان ما تحول إلى قلق و هو يرى
الاسم الحبيب ينير شاشته..أمسك به ليفتح الخط بسرعة هامسًا اسمها بحيرة ؛

_سجى.....!؟

لم يستطع أن يلفظ الاسم كاملاً حتى..فقد منعه أنفاسها المجنونة و صوتها الذي هتف
مقاطعًا..مرتعشًا..مستنجدًا..يمتزج بصوت ضجة عنيفة توغلت بأذنيه..

_لؤي...لؤي إنه هنا..إنه هنا...لؤي...لؤي أنا.....

كانت تتكلم بوعي شبه غائب..جعلها تهتف بعدة كلمات متقاطعة لم يفهم منها شيئًا.. لكن
عقله تنبه تلقائيًا و دق ناقوس الخطر قلبه و هو يقول بقوة محاولاً أن يهدئ من روعها حتى يستطيع
أن يفهم ؛

_لحظة لحظة سجى..اهديني ما الخطب... !!!

كان صوت اصطدام قدميه بالباب يصلها متتاليًا ليجعلها تنتفض في كل لحظة..و يجعله
ينتفض معها بجنون و هو يقابل صمتها المرفق بصوت أنفاسها المتلاحق المرتجف..

و قد أوشك شهاب بالفعل على اقتلاع الباب من مكانه بصوته المجنون الهادر فقط.. شعر
لؤي بأن كل حدود صبره انتهت فهتف بقوة ينهها بينما يزيد من سرعة قيادته ؛

_سجى!!!!!!

لكن سجى كانت كمن انسحب وعيه من الحياة و هي تنظر للباب بعينين متسعيتين تنتظر أن
ينكسر أمام عينيها في أي لحظة..همست من بين أنفاسها المفقودة بصوت يكاد أن لا يكون مسموعاً ؛
_ش..شهاب.....

و قد كانت تلك آخر همسة وصلت إليه منها..تجمدت بعدها تماماً و هي تشاهد الباب يسقط
أمام عينيها المذعورتين مرتطماً بالأرض..بينما أخذ صوت لؤي يعلو و يعلو بجزع مجنون ؛

_ماذا؟!..سجى..سجى قولي شيئاً...هل أنت بخير؟! سجى..سجى!!!!!!

لكن أي جواب لم يصله..فأبعد الهاتف ينظر له بعينيه المتسعيتين..قبل أن يتركه من يده
بعنف ليضغط مكابح سيارته منطلقاً بسرعة فاقت حدود السرعة..

لكنها رغم ذلك لم تكن كافية له فكانت ترتفع قبضته بين الحينة و الأخرى لتصطدم بالمقود
بقوة بينما لسانه لا ينفك عن إطلاق الشتائم..كلها شتائم موجهة نحو نفسه حصراً..

هذه المرة لو أصابها مكروه فلن يسامح نفسه..هذه المرة لو تأذت فلن يستطيع العيش..هو
سيصل في الوقت المناسب..يستطيع الوصول..

نعم يستطيع الوصول..أنامل أخيه القدرة لن تمتد إليها بسوء هذه المرة..هو سيقته هذه
المرة..سيقته بدون أن يرف له جفن!!!

ثقل جسيم استوطن بقلبه و هو يفتح فمه مجدداً ليمس هذه المرة متضرعاً..يرجو الله أن لا
تصاب بأذى..فلتحمها يا الله...

هذه المرة لو حدث لها أي شيء فلن يستطيع العيش..لن يستطيع!!!

شعرت بقوةها تتلاشى كما تتلاشى الريشة في مهب الريح..و بدون أن تدرك حتى..سقط منها
الهاتف في حركة لم تكن مسؤولة عنها..و هي تراه يقترب منها بسرعة هذه المرة..فتراجعت بقوة فقدت
على إثرها توازنها لتسقط أرضاً..

تعلقت نظراتها في دعر شديد لم تتحكم به بعينيه المشرفتين عليها..بينما هو يقف أمامها
ناظراً لها من علو...بغل!

يا إلهي إنه نفس المشهد تمامًا.. لكنها لا تستطيع اليوم أن تتوسّله بصفتها ابنة خالته.. فقد أوضح لها من قبل بأن تلك الصلة لا تعني له شيئًا !!!

شعرت بقدرتها على الوقوف تخور و تخور فتراجعت بعيدًا عنه بالقدر الذي استطاعت بدون أن تقف.. رغم أنه لم يتحرك من مكانه..

و ما إن اصطدم ظهرها بالجدار الصلب ورائها وجدت نفسها تحاوط ركبتها بقوة مغرقة رأسها بداخلهما و كأنها تحاول الهرب من هذا المشهد.. لكن عقلها أرسل لها فكرة مرعبة.. حتى ردود فعل جسدها متشابهة ما بين ذلك اليوم و اليوم !..

إنها تحاول أن تغادر هذه القوقعة و كأنها تستطيع !

كان صوت أنفاسها يتردد في أذنيها بوضوح.. لاهثًا بشدة.. يمتزج مع صوت خطواته التي اقتربت أكثر بهدوء..

إلى أن انحنى على ركبتيه أمامها.. فارتجفت أكثر منتظرة حركته التالية.. و قد كانت أن امتدت يده إلى شعرها فجأة.. بغاية واحدة... أن يدفعها للنظر له !!!

تخللت أنامله خصلات شعرها بعنفٍ جعلها ترفع رأسها نحوه قسرًا عن إرادتها.. و ما إن قابل عينيها الجاحظتين.. تشبهان في شحوبهما عيني شخصٍ يحتضر فوق فراش الموت.. قال يقبض بيده الأخرى على ذقنها أيضًا بصوتٍ يشبه الفحيح ؛

_ حتى يوم أمس.. كنت موقنًا بأن ما يحدث هنا مجرد مسرحية هزلية الهدف الوحيد منها حمايتك مني...

انخفضت عيناه ترمقان فستانها في نظرة ذات مغزى عميق جدًا أخافها قبل أن يعود ليقابل عينيها هامسًا بصوتٍ متشنج و أنفاسٍ هادرة بينما ضغط أنامله على شعرها و ذقنها يزداد عنفًا ؛

_ لكن بعدما رأيته اليوم لم أعد مقتنعًا بذلك !

احتدت عيناه فجأة فبدا لها كشخصٍ مختل بالفعل و هو يهتف ؛

_ هل تحول هذا الزواج إلى حقيقي يا ترى ؟!! هل مكّنته منك ؟!! هل سمحتَ لذلك الأبله بلمسك ؟!! تكلمي...!!!!!!

هل تفاجئت ؟!! قطعًا لا !!

الرجل الذي استباح جسدها بدون وجه حقٍّ أو رابط شرعي يجمع بينهما يسألها بكل تطرف و وقاحة هل مكّنت -زوجها- هي منها ؟!!!

كان قد هتف آخر كلمة بصوتٍ مرتفعٍ شق أذنيها.. فأغمضت عينها بقوة لا تزال تحاول الهرب
من ما تعيشه.. لؤي سيأتي.. سيأتي..

هو لن يتأخر هذه المرة.. لقد وعدنا بأنه سيحميها و سيفعل... سيفعل !
سمعت صوته يهتف بينما أنامله التي على ذقنها و شعرها تهزها بجنون أكبر ؛
_أيُّ عقابٍ عليّ أن أنشأه بكِ هذه المرة حتى تفهمين ؟!!! كم مرة عليّ أن أحذركِ بعد !!!!!!!
أطبقت عينها أكثر عنه.. و ارتعشت كل أطرافها بشكل واضح أمام عينيه.. بينما تلك
القطرات التي تالأت بجبينها أكثر جعلته يشعر بالرضا نوعاً ما..
على الأقل هي لا تزال تخاف منه !

لكنها ظلت صامته.. صامدة لوقتٍ طويل.. صدرها يرتفع و ينخفض في وتيرة لا متناهية.. و
خفقات قلبها متهدجة متسارعة بشكل مؤلم..
طال صمته بشكلٍ جعلها ترتعب أكثر.. ففتحت عينها ببطءٍ لتقابل عينيه مرغمة للمرة
الثانية.. و أجبرت نفسها بقوة على أن تهمس بصوتٍ خرج من حنجرتها المتشنجة بصعوبة شديدة ؛
_سيقتلك لؤي لو..... حاولت أن تؤذيني !

ابتسامة مربعة لامست شفتيه بقسوة.. ذكرتها بابتسامته المقيتة في ذلك اليوم.. ثم همس
يقترّب بعينه من عينها قليلاً بصوتٍ مظلّم ؛
_أتشوق لرؤية ذلك بالفعل...

اقترّب منها قليلاً فعادت تطبق عينها على شفتيها الضعيفة رغم أن عينها كانتا جافتين في
تلك اللحظة.. بلا دموع.. شعرت بالتقزز.. رغبت بشدة في الاستفراغ و هي تسمع صوته يهمس في أذنها
مسترسلاً ببطء ؛

_لولا أنني لا أخطط للإكتفاء بالمحاولة !!
تضاعف شعورها بالغثيان.. و تناقلت أنفاسها شاعرة بجسدها يتداعى و يتداعى رغبة في
فقدان الوعي.. لكنها أرغمت نفسها بالقوة على استدعاء بعض القوة الواهية.. لا يمكنها أن تفقد وعيها
الآن.. ليس الآن !!

شعرت بضغط أنامله على شعرها يخفُّ بعض الشيء و هو يكمل بنبرته المقيتة المستفزة
المرعبة إليها رغم هدوءها ؛

_كما أن هناك رحلة تنتظرني لألحق بها بعد ساعة واحدة من الآن.. و أنا لا أنتوي أن أغادر
هذه المرة بدونك !!

ابتعد قليلاً ليقابل عينيها المجهدتين.. الكارهتين رغم الألم و الخوف المستعر بهما مجدداً..و
همس يسترسل ببطءٍ ؛

_و سأكون عادلاً معك كما العادة و أمنحك خيارين اثنين..الأول...أن تر افقينني بكل هدوء
إلى حيث أشاء..و الثاني أن ترفضني بغباء و حينها...
لمعت عيناه بشكل غريب..رفع رأسه قليلاً بنقل عينيه عشوائياً حول الغرفة الأنيقة قبل أن
يعاود النظر لعينيها مجدداً هامساً ببطءٍ ؛

_و حينها ستكون هذه الغرفة هي الشاهد الوحيد على ما سأفعله بك !!
في تلك اللحظة فقط..و منذ أن أتى..لمح بحاجبين منعقدين تلك الدمعة التي انزلقت من تحت
جفنها ببطءٍ..دمعة لم تترك أي أثر يذكر بداخله..فقد وقف بمنتهى البساطة..ليقول بصيغة الأمر
بينما صوته يرتفع فجأة بسطوة ؛
_قفي..... !

لم يعلم بأن لؤي كان قد وصل أساساً..و انتشر الرعب بأعماقه و هو يتخطى الباب المفتوح
لتقع عيناه فوراً على قنينة الزجاج المكسورة أرضاً ثم...غرفة سحى التي أصبحت بلا باب !!!
كل تلك الأشياء لمحها فور دخوله..قبل أن يقترب بسرعة ليقطع الخطوات الفاصلة بينه و
بين غرفتها ركضاً و لم يكد يتوقف مستوعباً هذا المنظر الغريب الذي يراه أمامه..
منظر شهاب الذي كان يقف مولياً إياه ظهره..عيناه في الأرض تناظران شيئاً ما..
بل شخصاً ما...سحى !!!!

حتى كان يتناهى إلى مسامعه صوت صرخته الأخيرة الأمرة..لم يشعر بنفسه و هو يقطع الثلاث
خطوات المتبقية أمامه بسرعة إلى أن وصل إليه فدفعه بقوة هاتفاً بدون أن يشعر ؛
_ابتعد عنها أيها النذل !!!!!

صوته رغم ارتفاعه..اخترق كل جوارحها و خفقاتها التي كادت تستقبل الموت برحابة حتى قبل
لحظة واحدة..ليبيد القليل فقط..من ارتجافتها...
فتحررت أنفاسها من سجنها الخانق..و أغمضت عينيها مستقبلة دموعاً جديدة و كأنها لا
تصدق بأنه وصل..

لقد وصل بالفعل و ها هو ذا يقف أمامها كجبل شامخ سيدفع عنها كل الأذى..
بينما تسمر شهاب مكانه تماماً و هو ينظر له بعينين تلمعان بالشر و التوعد ظاهرياً..لكن
بداخله..كان يشعر بالتفاجئ و الغضب و الغيظ من نفسه..

لقد كانت كل غايته اليوم أن يستغل فرصة غيابه عن المنزل و يأخذها معه بكل سلاسة حتى و لو رغمًا عنها..لكن ها هي ذي خطته تفشل أمام عينيه..

لقد تكلم مع والده عبر البريد الإلكتروني الخاص به قبل ساعاتٍ عديدة..بعد أن منحه عذرًا سخيًّا عن كونه أضاع هاتفه بعد أن أخبره والده بأنه اتصل به لعدة مراتٍ لكن رقمه الخارجي لم يكن مفعلاً..

كانت من عادته أن يتكلم معه أحيانًا بخصوصِ العمل..لكنه اليوم كان هو من يبادر بالحديث بغاية واحدة..أن يجد سبيلًا عبر والده يخرج به هذا الغبي الذي يقف أمامه الآن من المنزل..
و قد كانت تلكَ فرصته فما إن أخبره والده بأنه سيسافر يوم غد إلى مدينة أخرى لأجل عمل هام..معبّرًا عن قلقه الكبير من ضغوط العمل التي أصبحت تثقل كاهله بمفرده.. خاصة و قد رفض لؤي العودة للعمل معه متجاهلاً كل محاولاته المتكررة لإقناعه..
فما كان منه إلّا أن اقترح عليه بكل تعاطفٍ مصبوغ بمكره الداخلي أن يقترح عليه العمل من المنزل..

حتى و لو لأيام قليلة ريثما يعود من السفر..و وافق أكرم الشاذلي بالطبع !
ليجد نفسه يتوقف بسيارته أمام المزرعة الكبيرة..ينتظر إما عودته أو أيّ دليل يثبت له بأنه بداخل المنزل..

و قد كان يتوقع أن يكون في المنزل..فأين عساه قد يذهب ذلكَ الجبان ؟!!
لكن المفاجأة الكبرى..كانت حينما رأى سيارته تتوقف على بعد مسافة أمتار معدودة منه..ليلمح من بين أطياف الظلام المحيطة بالكون في هذا الوقت المتأخر نسبيًا ذلكَ الكيان الذي يحتل المقعد الملاصق لمقعده..

تحفزت ملامحه في لحظتها..و شعر بالجنون يستعر بداخله و هو يحاول التأكد من أنها سجي بالفعل..عاجزًا عن تمييزهما بشكل واضح و عن استشفاء ما يحدث طيلة تلكَ الدقائق العسيرة بداخل السيارة..

إلى أن زفر أنفاسه بغل و هو يراهما يغادران السيارة ليتوجهان بخطواتٍ رتيبة و أناقة شديدة استنكرها نحو المنزل..

تسارعت أنفاسه بغضب و انفعال و هو يفكر بأن خطته قد فشلت..لكنه عاد ليعقد حاجبيه بترقب و هو يرى لؤي يقف في حاجز الباب هامسًا لتلكَ الخائنة كما أصبح يلقيها عقله بضع كلمات قبل أن يغلق الباب و...يرحل !!!

انتظره بلهفة أن يبتعد قليلاً بسيارته..و ما إن تأكد من ابتعاده بالفعل فتح الباب الأمامي ليترجل من السيارة رأساً أكثر ابتسامة منتصرة و متحفزة على شفتيه..لكنه الآن و هو يقف أمامه..يشعر بخسارة شنيعة تحتل كيانه..خسارة و ليس استسلام !

كل تلك الأفكار مرت في ذهنه في غضون أقل من ثوانٍ معدودة..عادت بعدها زوايا شفتيه لترتفعان بابتسامة ذهول زائفة همس بعدها يدعي التفاجئ باستخفافٍ يداري به غيظه الداخلي ؛
_اوووه..انظروا من هنا..أخي الصغير الجبان الذي تزوج بحبيبته.....

صمت فجأة و ارتفع حاجبته معاً و كأنه قد استدرك نقطة هامة تفوته و هو يردف مصححاً ؛
_لحظة..ليس هذا هو الوصف الصحيح..كنت أريد أن أقول -حبيبتنا- سج.....

لم يستطع أن يكمل بقية كلامه المستفز..فقد كانت قبضة لؤي قد ارتفعت لتصعق وجهه بلكمة قوية جعلته يرتد قليلاً لا يزال لا يشعر سوى بالذهول من كل ما يحدث..

بينما كانت سجي لا تزال جالسة مكانها..غير قادرة على الوقوف أو التحرك حتى..شاهدت بعينين غائرتين وجه شهاب و هو يرتد قليلاً متلقيًا لكمة عنيفة أرضت القليل من كرامتها المهدورة..

و ما إن ارتفعت قبضة لؤي الذي لم يبدو في تمام تحكمه بأعصابه اليوم لتسقط فوق وجه شهاب مشكلة اللكمة تلو الأخرى..وجدت نفسها تعود لتطبق على أذنيها بيديها و تغمض عينيها بقوة منزوية في قوقعتها بعيداً عن كل ما يحدث..

كانت تلك المرة الأولى حرفياً التي يرفع فيها لؤي يده على شهاب..طوال حياته كان ملتزماً..صامتاً..يتجرع وقاحته و تسلطه أحياناً بصبر و حكمة..

لكنه اليوم..بدا و كأنه قد تخلص عن كل الحكمة و الصبر و هو ينقض عليه بهذا الشكل العنيف..خاصة و قد استنتج بعقله بأن هذا الرجل الفاسد الذي يقف أمامه ثمل..حتى و لو لم يكن ثملاً بالقدر الذي يجعل توازنه يختل و إدراكه يتلاشى فقد كان ثملاً كعادته..

و رغم ذلك فقد وجد ذراعه تقف له بالمرصاد في لحظة ما..لترتفع يده و تسدد له لكمة قوية لم تؤثر كثيراً و لم تجعل ذلك الغضب الذي يملأ قلبه و عقله منذ ذلك اليوم المشؤوم الذي عاد فيه من رحلة عمل قصيرة ليجد نجمته المزدهرة انطفأت..-ينطفئ- !

و كم تركت حقيقة جبنه و عجزه عن الدفاع عنها بحق أمامه من أثرٍ في نفسه !!

لكنها اليوم أصبحت زوجته..تلك زوجته التي تهجم عليها هذا السافل مقتحمًا موطن اطمئنانهما..كان كل شيءٍ فيه ينتفض..مشاعره تتأجج و النيران تلسع أطرافه و هو يستذكر صوته المرتعش في الهاتف..لا يستطيع حتى الاطمئنان عليها لشدة الجنون الذي يعصف برأسه..

ارتفعت قبضته للمرة العاشرة ربما لتسقط و ابلاً من اللكمات الجديدة فوق وجه الآخر..إلى
أن اختل توازنه بالفعل فسقط شاعراً بالمكان يدور من حوله..

و رغم ذلك لم يكتفي لؤي..بل اعتلاه بقوة ليقبض على ياقة قميصه هاتفاً بجنون أمام وجه
أخيه الأكبر الذي لا يتشرف بأخوته ؛

_لقد حذرتك..حذرتك من الاقتراب منها مجدداً لكنك لم تفهم...لماذا لا تفهم لماذا !!!!!
صمت لوهلة يلهث أنفاسه المتسارعة بغضب و جنون و هو يهتف مقابلاً وجه شهاب المكدم
الدامي و ابتسامته المستفزة التي تخطّ ملامحه رغم وضعه المزري أمامه ؛
_تلك المرة كانت بمفردها..لم يكن هناك أي رابط بيني و بينها..أما هذه المرة فأنت تجرأت بكل
وقاحة و تهجّمت على زوجتي..تهجّمت على زوجتي...!!!!

لكمة أخرى سدّدها إلى فكه جعلت وجه شهاب يرتد جانباً..بدون أن تختفي ابتسامته أبداً..بل
اتسعت بازدياء و سخرية مثيرة للأعصاب..

ثم همس من بين شفثيه الداميتين..ينظر لعيني لؤي المتسعيتين بجنون..تاركاً ابتسامته
الخاملة المقيتة مرتسمة فوق وجهه ؛

_أسف..اعذرني يا أخي فقد تناسيت نفسي لوهلة و اقتحمت عش زوجيتك السعيد مع
زوجتك -العدراء- !!!!

قال آخر كلمة بنبرة بطيئة مميزة عن ما سبقها..فارتفع صوت أنفاس لؤي التي بات يجرها
بمشقة أساساً..و تشنّجت خفقات قلبه انفعالاً شاعراً بأنه سيفقد التحكم بها في أي لحظة..
إنه يدرك مخطّطه..يعلم غايته من كلماته هذا جيداً..إنه يريد أن يفقده أعصابه..يريد أن
يصيبه بالجنون مستفزاً إياه بتلك الكلمة التي ربما تعني الكثير للبعض لكن بالنسبة له... لم تكن
تعني له أي شيء..

يريد أن ينكأ الجرح القديم إلى حد التقيح بقوة..و أن يفقده الثقة بنفسه للحظة..يريد أن
يبّد كل التعب الذي تكبده في سبيل إخراج حبيبته من مستنقع اليأس الذي كانت تنغرس فيه..أن
يقتل شعور الأمان و الثقة بينهما و يززع توازن علاقتهما !!!

تدريجياً كانت أنفاسه تعود لتتباطئ مستعيدة وتيرتها الطبيعية..و هدأت خفقات قلبه بعد
فورة من الشقاء العاطفي و العصبي الذي ألمّ به..و انغلقت قبضته المرتفعة بدون أن تصطدم به
حول نفسها و كأنه يعلن نهاية كل انفعالاته لهذا اليوم..

التفت قليلاً لينظر لسجى فوجدها لا تزال منكمشة على نفسها بنفس الوضع..تغرق أنفاسها
بداخل ركبتها و تحاوط نفسها بالكامل بذراعيها..تحتضن جسدها المرتعش بتشنج و ضغط عصيب و

كأنها تحاول أن تقي نفسها شرور العالم عبثاً !

شعر بالدموع تلسع عينيه..و بتزييف صامت يستوطن قلبه..و اعتذر لها بعينه فقط على

ذلك الوعد الذي أصبح بدون قيمة..

حينما وعدها بأنها لن تبكي مجدداً إلا فرحاً..و بأنه سيحميها حتى من نفسه لو اضطر و لن

يسمح لشهاب بالاقتراب منها و لو بعينه !

أطبق عينيه للحظة سريعة يستعيد ثباته و تعقله..ثم فتحهما ليقف سريعاً لا يزال يمسكُ

بياقي قميص شهاب إلى أن جعله يقف هو الآخر و قبل أن يتمكن من الاستيعاب أو الاعتراض حتى..

سحبه بقوة إلى أن وصل إلى الباب المفتوح على مصراعيه أساساً و ألقى به في الخارج مغلقاً

الباب خلفه بعنفٍ..

استند بظهره إلى الباب ما إن أغلقه مغمض العينين..مستنزفاً..مرهقاً..غاضباً..متألماً..كلها

مشاعر امتزجت في قلبه و كبجها بإصرار ليحفز نفسه على الاستقامة ثم على الاقتراب من نفسِ

الغرفة بخطواتٍ منهكة الآن..

توقف لثانية واحدة في حاجز الباب..قبل أن يحث الخطوات ناحيتها مجدداً..إلى أن انخفض

ليجلس على ركبتها أمامها..يناظرها بقهر..بألم...

مدرئٌ هو بأن ما حدث اليوم قد يتكرر في أي لحظة..و ربما طوال حياتهما سيظلان مطاردان

من قبَل تلك الهلاوس التي لا تنفكُ تتفاقم في عقل ذلك الرجل الذي لم يعد يقوى على لفظ اسمه

حتى بينه و بين نفسه لشدة المشاعر السلبية و المظلمة التي تنتابه..

لم يدرك ماذا عليه أن يفعل في اللحظة الأولى..خائف بشدة..و لا يعلم أي سجي ستقابله بعد أن

ترفع رأسها إليه..خائف من أن يكون قد خسرها مجدداً..

أن تتحطم كل آماله التي بُنيت برخام قويم منذ أول نبضة عشق استشعرها بفؤاده

ناحياتها..أن يعود لنقطة الصفر معها و هذا ما لن يتحمله..

رفع يده ببطءٍ شديد..بتردُّدٍ..بارتجافٍ ليلمس شعرها و انتفضت يده حتى قبل أن ترفع رأسها

إليه مجفلة..حركة ذكرته بيوم بات يبدو بعيداً جداً..جداً...

هدأت عينها قليلاً بعد أن رآته.. وتلاشت ارتجافتها قليلاً فقط و هي تتعرف على هويته.. لكن
عينيه ظلتا متجمدتين لا تلمحان سوى ذلك الاحمرار العنيف الذي أطر حدقتها يدل على إرهاق
شديد و خوفٍ أشد..

ثم ارتعشت شفيتها و رموشها أمام عينيه.. و همست بصوتٍ مبجوح قضت على قوته
مشاعرها المُستنزفة ؛

_ خفت أن... لا تأتي !!

احتقنت عيناه بدموع القهر و هو يرفع يديه معاً ليطوق وجهها ببطء.. و همس أمام عينها
المتسعيتين بنبرة اعتذار خالصة لها بعد صمتٍ دام لثانية واحدة فقط ؛
_ آسف.. لقد تأخرت قليلاً لكنني... أتيت !!!

لم يستطع أن يتمالك نفسه أكثر بعدها فترك وجهها ليجذبها إلى صدره يحاوطها بالكامل
بذراعيه محتوياً ارتجافتها بقلبه.. بروحه...
بينما تراجع هو ليستند بظهره إلى الجدار و هو يشعر بأناملها تتشبث بقميصه بقوة لم تكن
طبيعية أبداً..

لتستفرغ كل مشاعرها في صدره.. محررة العبرات المختنقة..
و بكت بقوة.. بشهقاتٍ مرتفعة اخترقت قلبه كالسهم النافذ لتحيل كل الصمود المتبقي إلى
ضعف.. لكنه لم يتحرك رغم ذلك.. تركها تخرج كل ما في جعبتها من ألم في صدره..
و رفع رأسه إلى السماء في رجاءٍ صامت.. يرجو الله أن تكون تلك المرة هي الأخيرة.. أن يخلصهما
من ابتلاء اسمه -شهاب- بأيّ طريقة !!

طالت الدقائق بعدها بينهما.. ظل فيها هو على وضعه و هي على نفس الوضع.. ثم بدأ صوت
شهقاتها ينخفض و ينخفض تدريجياً إلى أن اختفى.. و حينها سمعها تهمس بنبرة لا تحمل أيّ تعابير
أدمية.. بينما على وجهها.. برزت نظرة غامضة بشكل مُريب ؛

_ لقد أخبرتك يا لؤي.. أخبرتك بأنه لن يتركني و شأني.. حذرتك من أن تنخرط في عالمي المظلم
فتنال العقاب مثلي.. بأنني لو حاولت النفاذ هذه المرة فسيكون العقاب أقسى.. و قد كاد أن يتم عقابه
القاسي بي اليوم.. كاد لو لم... تأتي !!!

و سيأتي دائماً.. سيكون متواجداً معها في كل مرة.. مهما تطلبه الأمر من حرصٍ سيفعل..
سيحميها بروحه لو استطاع و لن يتردد لو كان الثمن حياته أو أن يعيشا مغتربين في بلد و مكان
مجهول لا يعرفهما أحد فيه !!

لم يستطع أن يجيها بعد كلامها ذاك.. استمع إليها في صمتٍ و هو يحبس الدموع المتألّمة
عبيثاً.. لا تعلم بأن أقسى عقاب قد يناله في حياته هو الابتعاد عنها !
شعر بأنفاسها تنتظم ببطءٍ بعد وقتٍ طال.. فأدركَ بأن النوم الرحيم قد سحّبها إلى عالمه
قسراً بعد كل التعب النفسي الذي عانياه سوياً اليوم..
ظل جالساً لدقائق أخرى.. يطوقها مُمسداً كتفها و ذراعها برفق.. إلى أن تنهد أخيراً.. ثم وقف
يحملها بين ذراعيه بتأني إلى أن وضعها فوق السرير برفق شديد.. ورفع الغطاء يدثر جسدها الهزيل
جيداً..

لم يستطع أن يبتعد عنها في الوهلة الأولى.. ظل مشرقاً عليها بعينه يدقق النظر بكل إنشٍ من
وجهها الشاحب..

ثم ما إن همّ بالاستقامة قليلاً بغية الخروج.. تفاجأ بأناملها التي ارتفعت تتمسكُ بقميصه
بشدة.. و همست من بين أنفاسٍ مفقودة بدون أن تفتح عينها ؛
_ لا تذهب.. ! هذه الليلة... لا تذهب... !!!!!

لاحظ بأن جسدها لا يزال يرتجف.. و صوتها خرج محملاً بخوفٍ لم يغادرها حتى أثناء هذه
الغفوة الكاذبة التي يحاول عقلها أن يقنع نفسها بها بأنها في أمان..
و بالفعل لم يذهب.. لم يطاوعه قلبه على الذهاب بل طاوعه بشدة على احتضانها.. فاحتضنها
مستلقياً بجانبها.. احتضنها برهبة كما تحتضن الأم رضيعها الصغير بعد نوبة بكاء حادة..
و أطبق عينيه لا ينوي استقبال النوم هذه الليلة.. بل يتوسله أن لا يداهمه حتى يستطيع
حراستها كما يجب !!!

بصعوبة تمكن شهاب من ملمة شتاتٍ نفسه الغاضبة.. يشعر بالمهانة حتى و هو يدركُ صحة
كل كلمة نطقها أخيه..

يعلم بأنه لا يستحقها.. و يدركُ جيداً نوع الأذى الذي أنشأها بها لكنه يرفض الاعتراف.. يرفض
الإستسلام و الخنوع متخلياً عن ما يعتبره أقصى حقوقه..

أليس هذا هو السيناريو المبتكر الذي لطالما كرّره المجتمع ؟!!!..

أن يتخلى كل الناس عن الفتاة المغتصبة منسحبين من حياتها بمنتهى السلاسة.. أن ينفر منها
كل رجل و يرفضها جميع البشر.. باعتبارها سلعة معطوبة و بقايا جثة تم انتزاع الروح منها من قبل !
ثم في نهاية المطاف لا تجد من يحتويها إلّا من تسبّب لها بكل ذلك !

فلماذا لا يحدث نفس الشيء معه ! لماذا يكابد كل هذه التعقيدات في قصته..لماذا لا يتخلى

عنها الجميع و لماذا لا تعود إليه محطمة النفس كما اعتقد ! لماذا !!!!!

تمكن بصعوبة من أن يستقل سيارته ليدير المحرك بحذر..يشعر برغبة في اقتحام هذا البيت مجدداً لكنه يعلم بأن فرصته معدومة بوجود ذلك الجبان الذي و للعجب تخلى عن هذه الخاصية منذ زمن !

لذا أجل التفكير في الأمر إلى وقتٍ آخر..و انطلق نحو شقته مجدداً شاعراً بالغیظ و هو يلمح صورته غير المكتملة في المرآة الأمامية لسيارته..

فكرة أن يكون لؤي قد فعل به كل هذا تغضبه..تغضبه بشدة..لكن لا بأس..ليست نهاية المطاف يا شهاب..ليست نهاية المطاف !

كان يشعر بالإرهاق الشديد..الألم يفتك برأسه و كدمات وجهه تضاعف من الألم و من انفعاله..أمسك بهاتفه الذي تركه منذ البداية في السيارة ليطلب الرقم المتوقع فلا أحد يعلم بعد بعودته..

و لا طاقة لديه لإطلاع أي أحد على الأمر رغم أنه يدرك بأنهم سيعلمون غداً حتماً..فلؤي لن يقصّر !

جاءه صوتها مرتبكاً قليلاً عبر الهاتف فقال بسرعة بصيغة الأمر ؛
_أريدك في منزلي حالاً..

كانت يسرا تقف في المطبخ تجهز طعام العشاء..فزوجها سيصل بعد دقائق معدودة من الآن و لا بد لها من أن تستقبله باعتيادية..جحظت عيناها استنكاراً و هي تسمع جملته..و قالت تحاول الإعتراض ؛

_م...ماذا ؟!!! لكن زوجي سيعود بعد قليل و لا يمكنني أن.....

_لا يهمني..لا يهمني..أريدك في المنزل حالا و لا أريد نقاشاً...حالا !!!

قاطعها بهتافٍ متسلط اعتادته منه في بعض الأحيان حينما يكون في أوج غضبه..فاتسعت عيناها أكثر و فتحت فمها تحاول أن تعترض مجدداً أو تستفهم الأمر على الأقل إلا أنه كان قد أغلق الخط بالفعل..

فأبعدت الهاتف تنظر له بذهول..شعرت بالإرتباك الشديد و هي تنزل الهاتف ناظرة حولها للحظة بضيق..ثم عادت ترفعه لتطلب رقماً..إلى أن أتاها صوت زوجها مقتضباً كما العادة ؛

_نعم ؟!!

فتململت قليلاً قبل أن تهمس محاولة أن تضيف القليل من الاهتمام و الثبات إلى صوتها ؛

_لقد...لقد جهزت طعام العشاء بالفعل..هل ستصل عما قريب ؟!!

ساد صمت غامض من جهته..ثم سمعته يتنحى بخفة قبل أن يجيبها باتزان ؛

_ساعة على الأكثر و أكون في البيت..

عادت بعض الدماء إلى وجهها الذي شحب قليلاً منذ اتصال شهاب و قالت تحاول أن تداري

ارتباكها الملحوظ إليه ؛

_جيد...سأكون في انتظارك..

شعرت بالراحة نسبياً و هي تدرك بأنه سيتأخر قليلاً عما ظنت..و بدون أن تفكر كثيراً اتجهت

لغرفتها تجهز نفسها سريعاً و تنزل بغاية طلب سيارة أجرة و الذهاب إليه سريعاً مقنعة نفسها بأنها

تستطيع العودة قبل أن يصل..

لم تدرك بأنه كان قد وصل بالفعل..لكن صوتها الباهت المتوتر و الذي فضح كذبتها بوضوح و

هي تسأله عن احتمالية وصوله عما قريب رغم أنها لا تحمل كل هذا الاهتمام نحوه في العادة..و رغم

أنها تعلم بأنه سيكون على وصول الآن..

جعله يتراجع عن إخبارها..و توقف على بعد مسافة تعد بالعين عن المنزل ناظراً أمامه و كأنه

يتجشّم أن تكون شكوكه صحيحة بشأنها..و لو ثبتت صحتها..فلن يرحمها !!!

لمحها بعد أقل من لحظتين تخرج من البناية مسرعة..لتستقل سيارة الأجرة التي توقفت أمام

الباب و تنطلق بعيداً..

فانعقد حاجباه بشدة..و احتدت عيناه بعزم باطني مجنون..ثم أدار محرك سيارته ليلحق

بها..

كانت عيناه غائمتان طوال الطريق..لا تفصحان عن أيّ مشاعر واضحة سوى الجمود..و

الذي تضاعف و هو يراها تخرج من السيارة بعد أن توقفت بها أمام منزل واسع أرضي..لتقترب

بسرعة من الباب و تطرق على استعجال..

انعقد حاجباه أكثر و تجعد جبينه و هو يراقب الوضع بتركيز شديد..إلى أن انفتح الباب..و

صدق شكوكه !!

كان هناك رجلاً طويلاً القامة يقف خلف الباب..لمحها و هي تحرك شفاهها متممة بضع

كلمات بذهول..لكنه لم يجيبها فقد ترك الباب و دلف لتدخل وراءه و تغلق الباب...بكل اعتيادية !!

و قد كان فحوى الكلام الذي لم يصل مسامعه..أن قالت يسرا فاغرة الفاه بجزع و ذهول و
هي ترى وجه شهاب المكدوم بشكل مأساوي ؛

_يا إلهي !! ماذا حدث ؟!!!

و قد كان جوابه ارتفاعا باردة بأحد حاجبيه قبل أن يترك الباب ليتجه إلى الأريكة الجانبية و
يجلس بمنتهى انعدام المبالاة رغم كل الفوضى التي تعتمره داخلياً..

اقتربت يسرا بسرعة لتجلس بجانبه سائلة بنفس الجزع ؛

_من فعل بك كل هذا ؟!!!!

كانت قد امتدت يدها بالفعل مع سؤالها لتلمس كدمة واضحة بجانب فمه فالتفت شهاب
ينظر لها بحدة جعلتها تتراجع قليلاً و تبعد يدها كالمسوعة..قبل أن تقف لتتجه إلى غرفته و تعود بعد
ثوان قليلة تحمل في يدها علبة الإسعافات الأولية..

شرعت يدها بعدها بتعقيم جروح وجهه و معالجتها فلم يعترض هذه المرة..إلى أن قال يسألها
بنفس النبرة الخالية من الاهتمام ؛

_هل وصل زوجك ؟!!

توقفت يدها للحظة فوق وجهه..قبل أن تعود لتكمل ما تفعله و هي ترد ؛
_لقد اتصلت به و أخبرني بأنه سيصل عما قريب..عليّ أن أعود بسرعة قبل أن أقع في مشكلة
ما..

صمتت للحظة..ثم رفعت أنظارها له لتقول بتوجس ؛

_ألم تكن ستسافر هذه الليلة ؟!!!

غامت عيناه قليلاً فعلمت بأن أمر هذه الكدمات معقد بالفعل..إلى أن قال ببرود ؛

_لقد أجلت الأمر إلى ما بعد يومين أو ثلاثة أيام من الآن..

قالت يسرا بنفس الترقب و التوجس لا تتجراً على الخوض في أمر كدماته أكثر ؛

_هل أحجز لك تذكرة جديدة إلى مكان معين ؟!!

هز شهاب رأسه بالنفي و هو يقول بعينين غامضتين ؛

_لا داعي..سأسافر إلى خارج المدينة بسيارتي..ثم ما إن أصل إلى هناك سأحجز تذكرتين إلى
خارج البلد مباشرة..

المهم أن يجد طريقة أخرى يصل من خلالها إلى سجي !!

كانت تلك التتمة التي أكملها في عقله بدون أن ينطقها.. قبل أن يسمع صوت يسرا تقول فجأة
بعدم فهم و قد نال منها الفضول و الشك ؛

_تذكرتان ؟!! ألم تكن ستذهب بمفردك لمدة أيام وجيزة ؟!! من سيسافر معك ؟!!!!

انتفضت فجأة حينما نظر لها شهاب ليقول بفضاظة مألوفة ؛

_ليس من شأنك !!!

فهمت عيناها بشكل واضح و هي تراجع قليلاً تنظر له بإدراكٍ خائر.. ثم بصمت أبعدت يديها

عن وجهه لتهمس بصوتٍ باهت و هي تهم بالوقوف ؛

_عليّ الذهاب سريعاً قبل أن يصل زوجي..

همت بالوقوف لكنها تجمدت مكانها و هي تسمع صوت جرس الباب يرن.. فنظرت لشهاب

الذي شاركها نفس الدهشة بتساؤل..

هل من الممكن أن يكون خبر تواجده هنا قد وصل إلى والده بهذه السرعة ؟!!

ظلت يسرا تنظر له و كأنها تنتظر منه أن يفسر لها شيئاً مجهولاً.. فابتلع ريقه و عقله

يتر اقص حول نفس الفكرة.. بأن لؤي اتصل بأبيه و أخبره بعودته.. و ربما قد يكون اشتكى له فعلته

اليوم..

شعر ببعض التردد و هو يومئ لها بالإيجاب.. فوقفت تشاركه نفس التردد لتتجه إلى الباب إلى

أن أمسكت بمقبضه و فتحته.. و حينها تحول التردد إلى ذهول.. و الشحوب إلى صدمة.. و انتقلت نفس

الارتعاشة التي كانت تشعر بها سحى إليها بشكل عجيب..

تحركت عيناها ببطءٍ حول تلك الملامح المقتضبة التي تعرفها حق المعرفة.. لكنها في النهاية

استقرت على فوهة المسدس المسلط عليها تماماً..

قبل أن تراجع عدة خطواتٍ و كأنها تحاول أن تبتعد عن فوهة المسدس التي ظلت مسلطة

عليها.. على بعد أقل من سنتيمتر واحد منها..

كان علي قد دلف بالفعل.. و توقف في منتصف الهول لا يزال يدقق النظر في عينيها

مباشرة.. فأتسعت عينا شهاب بعدم فهم.. و وقف بسرعة هاتفاً ؛

_من أنت ؟!!!!

و أخيراً ترك عينيها لينظر لشهاب الذي ظل يحقق به بغير استيعاب.. قابله صمت مرفق

بنظراتٍ حادة غاضبة منه فنظر ليسرا هاتفاً بنفاذ صبر ؛

_هل تعرفين هذا الرجل ؟!!

لم تستطع أن تنظر له..عجزت عن تحريك رقبتها و هي تشعر بالتشنج يسيطر على كل عظام جسدها..فهمست بخفوتٍ شديد..بتلعثم ؛

_إنه...زوجي...علي !

ارتفع حاجباه معًا بإدراكٍ في تلك اللحظة..و نقل عينيه إلى علي يشمله في نظرة تقييمية طويلة بعض الشيء..إلى أن قال يهز رأسه قليلاً باستهانة غير شاعر بذرة خوفٍ من المسدس المصوب عليها ؛
_هذا هو إذًا !

ثم صمت لوهلة و أضاف بنفس النبرة المستهينة باستخفاف ؛

_عجبًا..لا تبدو عليه هيئة الضابط الصارم الذي وصفته لي !

كان شبه متأكدًا من أن ذلك الرجل الواقف أمامه ينظر بينهما بجمود لن يستطيع إطلاق النار أبدًا..إنها مجرد جولة استعراض لا تهمه..

فهو " شهاب الشاذلي " الذي يتسلل من كل مصيبة تقتربها يداها بمنتهى السهولة و البساطة !
لكن علي بدا عازمًا..يده تتمسك بالمسدس بثباتٍ..إلى أن قال يوجه الكلام ليسرا.. بنبرة ذات مغزى..

_على أساس أنك كنت في انتظاري !

استطاعت يسرا بصعوبة أن تستجمع القليل من قوتها..فابتلعت ريقها محاولة تخطي

الموقف بتعقل..فهي تعلم بأنه قادر على فعلها !!!

_كلانا نعلم بأن هذا الزواج كان منته منذ فترة طويلة !

لم يظهر أيُّ انفعال على وجهه..بل قال بنبرة ذات بأسٍ شديد ؛

_لماذا لم تطلي الطلاق إذن ؟!!!

ابتلعت غصةً جديدة مسننة و لم تستطع أن تجيبه..فارتفع جانب شفثيه مشكلاً ابتسامة

ساخرة بمرارة و هو يجيب نفسه بنفسه ؛

_كنتِ تنتظرين أن أبادر أنا أولاً ! أردتِ أن تستنزفيني حتى آخر لحظة !!!

كتلة من الدموع تجمعت بداخل عينيها و هي تنظر له بئسٍ..و كأنها قد أقرت بأن نهايتها قد

حانت..ثم قالت بصوت متهدج و نفس الشحوب يفترس وجهها ؛

_أنت لم تحبني يومًا..فما يضرك لو أحببتُ رجلاً غيرك !!!

بدت تلك الكلمة مستفزة إلى أقصى حد..خاصة لرجل مثله اعتاد أن يعيش حياته بشكل

مستقيم..حياة طبيعية كريمة لا تشوبها شائبة..قال و قد احتقنت عيناه بنظرة غريبة ؛

_و ما أدراكِ بمشاعري ! ربما أكون قد أحببتكِ بالفعل ! لكن الكلمات و الأسلوب خانني في التعبير !!! ربما أكون قد أحببتكِ بطريقتي الخاصة ما أدراكِ أنتِ ! لكنكِ بتجاهلكِ و انطوائكِ و أسلوبكِ الذي تعمدتِ أن تذكيريني من خلاله منذ البداية بأنكِ تزوجتِ بي بناء على رغبة أهلكِ فقط لم يحفزني على التمادي في مشاعري و الاعتراف !!

اعتلت عينيها نظرة استنكار واضحة و هي تقول باعتراض رغم صوتها الخافت و المرتعش..رغم ما خلفته كلماته التي تسمعها لأول مرة بهذا الشكل من مشاعر متذبذبة بداخلها..
_هراء ! الرجل الذي يجب لا يؤذي..لا يرتاب...و لا يرفع يده على المرأة التي يحبها !!!!
اتسعت ابتسامته الساخرة بقدر ضئيل غير ملحوظ و هو يقول بنبرة ذات مغزى ؛
_إذا كانت المرأة التي يحبها مثلك..فهي تستحق حتمًا !
كان شهاب ير اقب الوضع بتحفز طيلة الوقت..ورغم فكرته المريضة عن كون أيّ ضرر لا يمكن أن يناله مهما حدث فقد كان ينتظر فرصة صغيرة لانتزاع المسدس من هذا الرجل الذي يتباهى به أمامه..

همّ بالاقتراب فجأة لكن علي الذي انتبه له فورًا رفع المسدس أمام وجهه ناظرًا له بتنبيه خطير..فضغط على أسنانه بانفعال داخلي و هو يتسمر مكانه..
و ما إن أعاد علي أنظاره ليسرا بدون أن يبعد المسدس عن شهاب..همست بحذر في محاولة لردع ذلك الحقد و العزم المخيف الذي يحتل عينيه ؛
_لقد قتلها..امرأة مثلي ! امرأة مثلي لا تستحق تهورك..لا تستحق أن تقدم نفسك و وظيفتك و حياتك قريبًا لفورة غضب ستنقشع لاحقًا مخلفة الندم فقط !!
احتدت عيناه و كأنها شتمته لا توسلته بأسلوب ركيك مكشوف أن لا...يقتلها !!!
و غامت عيناه بشدة و كأنه قد غادر هذا العالم فأصبحت كلماتها تمر في مسامعه كشريط مبتذل قديم..بصوت متباعد..متباعد جدًا..

بينما عقله تحتله فكرة واحدة..أن تلك الخائنة التي تقف أمامه تتبجح بخيانتها و كأن ما اقترفته ليس ذنبًا عظيمًا في حق نفسها قبل أن يكون في حقه..لا تستحق العيش !
لا تهمه الوظيفة..لا يهمه المستقبل..لا تهمه النتائج و العواقب..هو لم يعد يرى إلا هذه اللحظة..

يلمح كرامته و هي تسحق تحت أقدامهما..شرفه الذي لا يمكن أن يقبل التهاون فيه و الذي طعنته تلك المرأة الواقفة أمامه تحاول أن تظهر بمظهر الإنسانة المسالمة..

بينما زَمَّ شهاب شفّتيه شاعرًا بالغضب السحيق يتأرجح بداخله من هذا العجز..و ساد
صمت قصير من جهة الثلاثة..

قبل أن تبتلع يسرا ريقها للمرة التي لا تدري كم اليوم و تهمس مسترسلة ببطءٍ أمام عينيه
الخاليتين من التعابير ؛

_ألقي عليّ يمين الطلاق و أنا أعدك بأنني لن.....

لم تستطع أن تكمل..اختفى صوتها فجأة كما اختفت كل معالم الأمل من حياتها بكبسة زر!
نعم..لقد كانت كبسة زر ضغطه بمنتهى السهولة لتفتحم الرصاصة الغادرة قلبها فوراً !!!
فسقطت جاحظة العينين إلى أن استقر جسدها في الأرض..بينما ظل علي ينظر أمامه بنفس
الطريقة..عيناه لم ترتعشا..و لم تتزعزعا عن المهمة التي جاء لتنفيذها هنا..

صمت مربع احتل المكان..ظل فيه شهاب ينظر إلى جثتها الهامدة عاجزاً عن الفهم..عن
التصديق..عن الاستيعاب..ثم فجأة رفع رأسه ليهتف به بجزع ؛

_ماذا فعلت أيها المعتوه ؟!!!! لقد قتلتها !! هل تستوعب ما فعلت لقد قتلتها !!!!!
شعر بدرجة الخوف ترتفع بقلبه إلى حد مهول حينما عادت فوهة المسدس الذي انطلقت منه
رصاصة قاتلة للتو لتتوجه نحوه..

فجن جنونه و هو يهتف بصوتٍ شاحب الجملة الوحيدة التي كرّرها طويلاً خلال سنوات
حياته..

_إياك..إياك أن تتجرأ حتى..أنت لا تعرف بعد أمام من تقف..أنت تقف أمام شهاب

الشاذلي..أنا شهاب الشاذلي الإبن البكر لأكرم الشاذلي..

بدا كشخص مجنون يهذي أمام ذلك الرجل الذي ظل متصنماً بدون أن يلامس التأثير
وجهه..فتحولت نبرته فجأة لليونة و هو يقول في محاولة جديدة لتجنب النتيجة المتوقعة..

_اسمع..لما لا تهدأ و تدعنا نتفاوض بالعقل..أنا سأساعدك على الهرب و أؤمن لك العيش

الكريم بنفوذ في بلد آخر و أنت ستنزل هذا المسدس الآن..اتفقنا !

أكمل بجنون و هو يشير إليها بيده..

_عمومًا هي من خانتك لا أنا..أنا لا أعرفك حتى !!!

نفس الجمود قابله و كأنه تحول إلى تمثال شمع لا يسمع و لا يرى و لا يتحرك..فأسند يديه

إلى جانبيه شاعرًا بالارهاق و هو يهمس بخفوتٍ الآن ؛

_رجاءً !!!

كانت تلكَ ربما أول كلمة رجاء ينطقها في حياته..و لم تكن ذات فائدة تذكر..فقد زادت ذلكَ
الرجل إصرارًا فوق إصراره..وبرقت عيناه في لحظة سريعة قبل أن يكبس نفس الزر..
لتخترق تلكَ الرصاصة روحه و رغبتة المُميتة في الحياة لا جسده..إلى أن سقط هو الآخر بلا
حول و لا قوة..كان آخر وجه تمثل أمامه قبل أن يغمض عينيه وجه سجي..
و استعداد جملة قالها قبل قليل..

" ستكون هذه الغرفة هي الشاهد الوحيد على ما سأفعله بكِ ! "
لم يعلم و هو يقول ما قال بأنه بعد عدة دقائق سيسقط مغشيًا عليه إثر اختراق رصاصة
قاتلة صدره..و سيكون الشاهد الوحيد جدران شقته التي ارتكب جريمته الشنيعة بحقها بداخلها !
ذلكَ السكون الذي حَكَم المكان بعد سقوط كلاهما..كان مخيفًا بقدر أكبر..و ظل علي ينقل
عينيه بين الجثتين الهامدتين للحظاتٍ طالت..
قبل أن ترتخي يده حول ذلكَ المسدس..ليسقط بينهما على ركبتيه أرضًا..التفت بعدها بهدوء
ليخرج هاتفه حيث دون رقمًا معينًا..

و ما إن أتاه الرد المتوقع..همس بنبرة إقرار لا حياة فيها ؛
_أريد أن أبلغ عن جريمة قتل...
صمت لوهلة يبتلع غصة خانقة و هو يرمى الجثتين بنظرة بطيئة..ثم همس مستدرغًا بنفس
النبرة ؛

_جريمتان..جريمتا قتل !!!

" 43 : حياة او موت "

#هادي

كنتُ أقفُ أمام النافذة الزجاجية العريضة و القابعة في منتصف البيت..تطل على الحديقة الصغيرة التي لم تنفكْ شهدي تضيئي عليها من أنوثتها و روحها المتوردة حتى غدت أكثر جمالاً..رغم أن الظلام كان في أوج ظهوره..

سمعتُ صوت أحد أصدقائي من المجموعة التي سافرت قبل أيام عديدة يقول باهتمام ؛
_ماذا قررت إذا ؟! هل ستعود غداً أم تنتوي تمديد إجازة شهر العسل الذي أشكُ بأنها قد تنتهي !

إجازة شهر العسل !

ما تلك الجرأة في التحدث معي و عن شيء خاص مثل...شهر العسل !
عقدتُ حاجباي قليلاً شاعراً بالضيق و أنا أجيبه منيهاً بصوت جاد ؛
_احترم نفسك يا طارق..تعلم بأنني لا أحبذ هذا النوع من المزاح..
لكن ذلك الغبي على الهاتف لم يأخذ تنبيهي على محمل الجد ربما..فقد سمعت صوت ضحكته التي أزعجتني أكثر..ثم تليها تنهيدة طويلة قال بعدها بهدوء ؛
_حسناً يا سيدي..ها أنا ذا قد احترمت نفسي..متى ستعود ؟!
لم أتمكن من إجابته فوراً..الحقيقة أنني اعتدتُ هذا الروتين البالغ الروعة..بحيث يبدأ يومي بوجهها و ينتهي به..رغم إدراكي بأنه وضع لا يمكن أن يستمر إلى الأبد..إلا أنني كنت جشعاً في رغبتني بالبقاء معها..في إمضاء كل يوم و لحظة بجانبها..
لكنني أخيراً..تهددتُ بقلة حيلة و أنا أردّ باقتضاب ؛
_غداً...بإذن الله..

أنزلتُ الهاتف بعد أن أغلقت الخط لأتجه إلى غرفتنا..إلى أن توقفت في حاجز الباب أنظر لشهد..تلك التي كانت تجلس خلف المكتب الصغير القابع في جانب معين من الغرفة..منهمكة في كتابة شيءٍ ما..لا أرى سوى ظهرها الذي توليه للباب..و شعرها الطويل المربوط في ذيل حصان..
كانت قد أطلعتني على اضطرارها إلى السهر هذه الليلة..فهي مداهمة بعدة واجبات دراسية عليها أن تنتهي منها خلال هذين اليومين حسب ما قالت..

لهذا السبب بالذات هي لا تمنع من التغيب عن بعض الحصص بالجامعة على أن تستغل وقتها في المراجعة و الحفظ فهي في فترة امتحانات..
منظرها ذاك.. جعل عقلي يستعيد ذكرى بعيدة جدًا.. بل قريبة في الحقيقة.. قريبة من قلبي
ككل شيء يخصها..

لم أشعر بنفسي و أنا أعقد ذراعاي و أتراجع قليلاً مستنداً إلى طرف الباب متطلعاً بها
بابتسامة شاردة.. تاركاً عقلي يغوص في الذكرى الحبيبة بكل حرية..
كنتُ في ذلك اليوم غاضباً جداً.. فقد خضت شجاراً جديداً مع أبي أرغمني فيه على خذلان
أصدقائي الذين وعدتهم بأن نسافر ليوم واحد في رحلة إلى منطقة جبلية مع طموح جميل بأن ألتقط
أجمل الصور لأحتفظ بها عندي..

و ما كان مني حينذاك إلا أن رضختُ على مضض.. كنت غاضباً بشدة.. أكاد أن أتفتت من
الغيظ.. فأمرتني أمي أن أرافقها إلى دار الرعاية..

و كم تفاجئتُ حينها بحيث كنا في منتصف الأسبوع و هي غالباً تأخذني في يوم إجازتي..
شعرتُ و كأن كل الغضب انقشع من داخلي.. و حلت سعادة كبيرة على قلبي و أنا أرافقها
بطاعة.. أعد الدقائق التي طالت قبل أن أصل إلى شهدي الصغيرة.. تلك التي ستفاجئ بشدة اليوم
حينما تراني..

توقفتُ في مكاني المعتاد بعد اختفت أمي بداخل المكتب.. أبحث عنها بلهفة.. إلى أن
لمحتها.. تجلس في مكانها المعتاد.. فوق الدرجة القصيرة أمام الغرفة الجماعية حيث تعيش..
لكنها كانت منشغلة هذا اليوم.. فلم يتسن لي رؤيتها و هي مُهمكة في كتابة شيء ما في دفترها
القابع فوق ركبتيها.. وحيدة كما العادة.. ضئيلة و صغيرة بشكل يجعلني أحتار متسائلاً إن كانت هناك
طفلة واحدة أصغر منها هنا..

حزينة و هادئة بشكل يجعل القلب يرق لها تلقائياً.. قلبي أنا فقط ! أما كومة البشر الملتفين
من حولها.. فلا أحد يكثر.. لا أحد يرى أو يهتم بفتاة صغيرة تتعرض لأشد الظلم في هذا المكان !
اقتربتُ منها ببطءٍ يدفعني قلبي المشتاق و المتألم لأجلها.. إلى أن جلست بجانبها بهدوء و حينها
فقط.. وجدتُها تجفل رافعة رأسها بسرعة نحوي..

إلا أن ملامحها البيضاء المتوهجة بحمرة لطيفة سرعان ما استعادت هدوءها.. بل و اكتسبت
عينها بريق سعادة لا توصف و هي تراني.. همست لي بصوتها الرقيق الطفولي بدهشة :

_لكن... اليوم ليس.....

فأومأت لها بثباتٍ و أنا أهمس بهدوء و خفوت ؛

_لقد فكرت بأنها ستكون مفاجئة جميلة لك..هل سعدتِ برؤيتي ؟!

لم تتردد أبدًا و هي تهز رأسها لعدة مرات مبتسمة ملأ روحها النقية..لكن سرعان ما تلاشت الابتسامة البريئة و عادت تولي اهتمامها للأوراق أمامها بشكل جعلني أسألها بقلق ؛

_ماذا تفعلين ؟! هل تذاكرين ؟!!

لم ترفع رأسها نحوي و هي تستمر في الكتابة بتفان..فاقتربتُ قليلًا لأنظر إلى ما تكتب..و

وجدتها تعود لتدون جملة كتبها كثيرًا في نفس الصفحة..قلت بقلق أكبر ؛

_هل هذه عقوبة ؟ ماذا فعلتِ ؟!

توقفت أناملها الصغيرة عن الكتابة لوهلة..و شعرتُ بقلبي ينتفض مرتعشًا حينما سمعتها

تهمس لي بصوتٍ مختنق بدون أن تنظر لي..و كأنها تستنكر أن أسألها ذلك السؤال الغريب..

_لم أفعل أيَّ شيء..أقسم بالله هم من.....

صمتت فجأة و زمت شففتها و كأنها تمنع نفسها من الكلام..ثم بهدوء..عادت لتدون نفس

الجملة..و التي كان فحواها...

" أنا أعتذر بشدة..لن أفعل شجارًا مع أيِّ زميلة لي بعد الآن !"

كانت تكتب بسرعة..و بتوتر جعل من حاجباي ينعقدان أكثر..ثم قلتُ أحاول أن أبقى هادئًا ؛

_كم مرة عليك أن تكتبها ؟!

أجابتنني بهمسٍ محبطٍ بدون أن ترفع رأسها ؛

_مئة و عشرون مرة..

صمتُ للحظة أراقبها عن كثب بينما هي مستمرة في الكتابة..ثم قلت فجأة بجدية ؛

_ألن تخبريني ؟!

لم تجب..و لم يبدو بأنها ستجيبني و كأنها ليست في عالمي هذا..ففتحتُ فمي منادياً هذه المرة

ببعض الحدة ؛

_شهد !!!

حينها فقط كانت ترفع رأسها نحوي مجدداً..فقلت بنبرة لانت قليلاً ؛

_ماذا حدث ؟! هل ضايقتُ أيُّ أحد مجدداً ؟!!

شعرتُ بارتباكها واضحاً..و فغرت فمها بشكل سمح لي برؤية صف أسنانها الصغيرة المكسور

معظمها بشكل يجعل منظرها الطفولي لطيفاً و مضحكاً..

ثم عظمت فوق شفتيها و هي تنقل عينيها حولها بحيرة طفلة في التاسعة..تخشى من أن
تخبرني..و تريد أن تخبرني..

إلا أنني لم أسمح لها بالتفكير مطلقاً..فقلتُ أرفع أحد حاجبائي بتحفز ؛

_هل نفس الفتاتين اللتين كانتا تزعجاني في الماضي؟! هل عادتا لتزعجاني!!؟

فتحت فمها وكأنها تريد النفي..إلا أنها تراجعت واكتفت بأن حركت رأسها كإجابة صامتة

بالنفي..ثم أخفضت عينيها تنظر للأرض للحظاتٍ بضياء و خوف..

حينها تحركت بغضب أهم بالذهاب إليهما حالاً لألقنهما درساً تلك المزعجتين..لكن صوتها

الخائف أوقفني بحيث قالت بسرعة قبل أن أنجح بالوقوف ؛

_لا لا أتوسل إليك لا تتشاجر بسببي..هما لم تفعلوا أي شيء لي هذه المرة..

نظرتُ لها برفض و اعتراض و غضب تفاقم في عيناها..فهمست بصوتٍ مكتوم شبه مسموع ؛

_لقد توقفتا عن إزعاجي منذ أن نيهتهما..

بقيتُ أحرق بها غير مقتنعاً..ثم قلت بحدة و أنا أعود لأجلس على مضض ؛

_أخبريني ما حدث..

ابتلعت ريقها بخوفٍ شديد أمام أنظاري..ثم همست بصعوبة ؛

_أنا...في الحقيقة.....

إنه نفس الارتباك و الخوف الذي يسكنها منذ الأزل!..

ترددت للحظة أخرى فقلتُ أحثها بقوة ؛

_لن تتكلمي..أنا ذاهب لأعرف بنفسي إذا..

أوشكتُ على الوقوف..لكنني عدت أراجع حينما امتدت يدها الصغيرة تتمسكُ

بذراعي..فرمقتها بنظرة حانقة..و جلست مضطراً مجدداً أنتظرها أن تتكلم ؛

و تكلمت بالفعل..همست مخفضة عينيها بخفوتٍ شديد ؛

_لقد..لقد استلمنا نتائج الإختبار الأخير اليوم.....

نظرت لي سائلة بعينين توشكان على البكاء ؛

_الذي أخبرتك عنه...تتذكر؟!

أومأتُ لها بسرعة و أنا أرغم نفسي على البقاء هادئاً أكثر..فعادت تبتلع ريقها بتشنج و هي

تهمس لي هذه المرة بغصة زادت من رغبتها في البكاء ؛

_أنا لم أفعل شيئاً..تلك الفتاة التي تجلس أمامي في الصف غارت بشدة لأنني حصلت على نقطة تفوق ما حصلت عليه هي في الامتحان..فاستدارت لي و شتمتني بأني...بأنني حصلت على نتيجة بالغش..و أنك أنت من راجعت معي كل دروسي و ساعدتني على عكس باقي التلاميذ الذين يراجعون بأنفسهم !

صمتت للحظة أمام عيناى اللتين احتدتا أكثر و أكملت تهز كتفها بحزن أكبر ؛

_حاولت الدفاع عن نفسي فسمعت المعلمة حديثنا و...عاقبتني !

الحنق انتابني..و قلتُ بتحفز أكبر و غضب ؛

_و هي ؟!!!

انحنى حاجباها قليلاً..و دمعت عيناها مطرقة برأسها و هي تهمس بإحباط ؛

_لم تعاقبها..

لم أشعر بنفسي و أنا أهتف بغير تصديق ؛

_و لماذا ؟!! أيُّ ظلم هذا !!!!!!!

لمحتُ الخوف الذي سكن عينيها و هي تنظر حولها و كأنها تخشى من أن يعرف أحدهم بما

باحته لي..

لكن حتى لو فعلت ماذا قد تستفيد..فأنا ابن المديرية..التي تزيد في ظلمها !

هزت رأسها بالنفي و هي تهمس لي بأنفاسٍ متقطعة بتوسل ؛

_لا لا ليس ظلماً..لقد كان صوتي هو ما سمعته قبل أن تأتي إلينا..لهذا تبثت التهمة علي..رجاء

لا تصرخ..إذا علمت الأستاذة رجاء بأني أخبرتك فستضاعف عقوبتي..

كنتُ أشعر بالعجز في كل لحظة من تلك اللحظات..و أنا أجلس بجانبها..أستمع إلى قصص

ظلمها من طرف كل شخصٍ تحامل عليها فقط لأن المديرية كانت تميز في تعاملها معها عن بقية أطفال

الدار رغم أن أوضاعهم لم تكن أفضل بكثير منها..

بينما أنا لستُ إلا طفلاً صغيراً..أعجز حتى عن أخذ مستحقاتي بالقوة..فكيف عنها !

نفس العجز شعرت به لحظتها..و الذي جعلني أزفر بقوة لأقول بينما أفرد راحتي نحوها أمراً ؛

_دعيني أساعدك..

_لكن...لكن خطك مختلف عن خطي..

همست لي ترتجف بتلعثم..إلا أنني كررت أمري بحدة جعلتها تنفذ متنازلة مستسلمة ؛

_حتى و لو!..أنا أستطيع أن أقلد خطك الركيك بمنتهى السهولة..أعطني !

كانت ابتسامتي قد تألقت أكثر و أنا أعود من تلك الذكرى التي لم تعد تبدو لي محزنة كما كانت.. بل ذكرى مميزة جمالها ينسّف كل الحسرة من قلبي كلما تطرق عقلي للتفكير بحياتها المريّة هناك..

حفزت نفسي على التقدم منها ببطء.. وكذلك اليوم لم تنتبه لاقترابي أبدًا.. إلّا حينما توقفت ورائها.. و أرحت يدي فوق سطح المكتب بينما أميل عليها ببطءٍ لأطبع قبلة عميقة طويلة فوق وجنتها الناعمة..

ثم رفعت يدي لألمس خصلة هاربة من ربطة شعرها هامسًا بدفءٍ في أذنها ؛

_هل تحتاج حبيبتي الصغيرة إلى مساعدة ؟!!

كنتُ قريبًا جدًا منها.. واستطعت أن أشعر بارتباكها و خجلها و هي ترفع رأسها نحوي القدر

الذي سمح لها اقترابي منها إلى أن نظرت في عيني..

و حينها همستُ على مقربة من وجهها البهي ببطءٍ ؛

_أعترف بأن خبرتي تعتبر محدودة نوعًا ما في مجال الإقتصاد.. لكنني أفي بالغرض رغم

ذلك.. همممم.. ما رأيك ؟!!

شعرتُ بأنفاسها تهاوى ببطءٍ.. فأشاحت بوجهها بسرعة لتهمس لي بينما تقف باندهاش ؛

_أنا.. أنا سأجلب لك كرسيًا لتجلس عليه..

كانت قد وقفت بالفعل و استقمّت أنا الآخر قاطعًا عليها أيّ سبيل للهرب الذي هو منشودها

الوحيد.. ثم همست أرفع حاجبائي بدهشة ؛

_لماذا تجلبين كرسيًا آخر بينما هناك كرسي بالفعل ؟!

طرفت بعينيها قليلًا بغباء.. ثم همست لي بتعثر ؛

_نعم.. لكن... أنت.....

لم يتغير التعبير المندهش على وجهي و أنا أقول ؛

_لو أردت أنا كرسيًا لكنت جلبته بنفسني بالفعل !

تجاوزتها بخفة لأجلس فوق الكرسي حيث كانت تجلس قبل لحظة.. فتسمرت مكانها تنظر لي

بعدم قدرة على الفهم أو الاستيعاب..

إلّا أنني قلت بكل بساطة و أنا أفرد يدي نحوها ؛

_تعالى !!

نقلتَ عينها الواسعتين بغباء شديد بين وجهي و يدي..ثم لم تلبث أن ابتلعت ريقها بطريقة جعلتني أشعر بأنني أنظر إلى شهد الصغيرة بالفعل..
قبل أن ترفع يدها ببطء..بتردد..إلى أن استقرت فوق يدي..فقبضت عليها برفق و أنا أسحبها ناحيتي إلى أن جعلتها تجلس بكل هدوء فوق ركبتي..
عادت لتطرق برأسها كفتاة صغيرة مُطبعة..ضئيلة كتلك الطفلة تمامًا..فابتسمت بحنان و أنا ألف ذراعي الآخر حول خصرها لأقربها مني..ثم همست بهدوء ؛
_دعينا نرى..

رفعت رأسها نحوي مجفلة..فاتسعت ابتسامتي بحنان أكبر أمام عينها..و همست بينما أشدد من ضغط يدي على أصابعها الرقيقة بداخلها ؛
_فيما أستطيع مساعدتكِ !!؟
تضاعف ارتباكها..و غارت عيناها قليلاً..ثم التفتت بتوتر لتنقل عينها بين الأوراق العديدة فوق المكتب..قبل أن تمتد يدها لتختار ورقة من بينهم..
و رفعتها أمام عينها قليلاً و هي تهمس لي بصوتٍ خافت ؛
_هذه المعادلة..منذ أكثر من نصف ساعة و أنا أحاول أن أصل إلى حلها...
" الحقيقة أن لا معادلة يستصعب الوصول إلى حلها هنا باستثناءك..أنت..و عينيك
الزيتونيتين..و شعركِ الخلاب !"
يا الله كم تمنيت أن أقول ذلك في وجهها..لكنني أخشى عليها من نوبة قلبية تهز جسدها
المضطرب أكثر..

تلك الخجولة التي تأبى إلا أن تتمسكَ بجانبها هذا الذي أعشقه..رغم أن كلمة الخجل نفسها باتت مبتذلة فاقدة للمعنى بيننا..

أجبرتُ نفسي على النظر إلى حيث تنظر..و قد كانت هناك معادلة معقدة طويلة بالفعل..
الكثير الكثير من الحلول المبتكرة مدونة في كل ركن من الصفحة التي لم يبق مكاناً فارغاً منها..
زمنتُ شفطاي قليلاً بتفكير..ثم تركت يدها ببطءٍ لأختطف الورقة منها هامساً بتفكير و صدق ؛

_اممم..أظن بأنني أستطيع مساعدتكِ في إيجاد الحل..

رفعتُ عيناى لأرقم الساعة الجانبية و التي تشير إلى الثانية عشر والنصف بعد منتصف الليل..ثم عدت لأنظر لها..و وجدتھا مطرقة برأسھا بالطبع..فمددت يدي إلى ذقنها متمسكاً برفق إلى أن نظرت في عيناى..

بطريقة ما..كنت أنا من أبتلع ريقى الآن باضطراب و أنا أستشعر نعومة بشرتها بين يداى..و أصدق في جوف عيناى الهادئتين..

كانت عيناى تتجولان فوق كل ملامحها الآن أثناء همسى بصوتٍ ثقيل ؛
_ لكننى فكرت بأننا ربما..نؤجل التفكير في الأمر إلى الصباح..فلقد تأخر الوقت كثيراً..ما رأيك
!!؟

كانت أمارات التعب واضحة على ملامحها..فأملت رأسها قليلاً في حركة أتت بمثابة مساندة لكلامى..فهمست بنفسى النبوة الخافتة شاعراً بدفعٍ عيناى يصيب أطرافى بالشلل ؛
_ هل نخلد للنوم إذاً ؟!!

هزت رأسها قليلاً ببطءٍ..ثم همست و هي ترفع يدها لتمسك بيدي التي على ذقنها..و تريح وجنتها عليها مغمضة عيناى باستكانة ؛
_ بعد قليل..

بعد قليل...ماذا ؟!

شعرتُ ببعض الدهشة تتسلل إلي و أنا أسمع همستها تلك..أنظر إلى ملامحها الهادئة لأقصى حد..رأسها المائل قليلاً بينما تريح وجنتها على يدي..
بدون توتر..بدون اضطراب الآن..و كأنها تناست بأنها لا تزال تجلس فوق ركبتاي..و قد زال حرجها بالفعل..

عادت لتفتح عيناى تاركة يدها النحيلة تغطي يدي التي على وجنتها..و نظرت لي و كأنها تنتظر منى إجابة غير متوقعة عن همستها قبل قليل..

حينها تهمدت..و هزرتُ رأسى بالإيجاب..لكن ما لم أتوقعه هو ظهور تلك الابتسامة الجميلة التي شملت كل ملامحها..

قبل أن أراقبها بنفسى الدهشة و أنا أراها تميل قليلاً بجسدها إلى الوراء..فتمسكت بها أكثر شاعراً بالقلق الشديد..

لكنها بدت هادئة..بل أكثر من هادئة و هي تهمس لي بينما تعقد ذراعيها..مغمضة عيناى..تاركة رأسها مرتاح إلى الوراء..تتوسد الهواء فقط بينما ذراعاى تتمسكان بخصرها بقوة خوفاً من أن تقع..

همست بنبرة بدت غريبة على مسامعي ؛

_هل تعلم بأني تمنيت أن أعيش هذه اللحظة طويلاً ! كنت أحلم بها..أن أتوسد الهواء
بظهري..عاقدة ذراعي مطبقة عيناى بغير خوفٍ من السقوط..عالمة بأن هناك ذراعين موثوقيتين
تتمسكان بي باستماتة.....

فتحت عينيها ببطء..لكن لا لتقابل عيناى..بل قابلت السقف و هي تهمس بنبرة مُميزة..أكثر
غرابة ؛

_ذراعيك أنت ! فقط ذراعيك هما كل شيءٍ حلمت به !!!!
اتسعت عيناى قليلاً..و انعقد حاجباى أكثر بغير تركيز..ثم ما إن شعرتُ بها تتراجع أكثر..و
ذراعاى تكادان أن تفقدان تحكمهما..جذبتها إلى صدري بقوة لم أشعر بها..
حركتي تلك..جعلت من شهقة بلا صوتٍ تهرب من بين شفثيها..لكنني لم أهتم..كل ما شعرتُ به
هو وجهها الذي اصطدم بصدري..و يداها اللتان ارتفعتا في لحظة واحدة لتمسكان بياقة قميصي
الرياضي..

ثم ما إن إبتعدتُ قليلاً لأنظر للامحها القريبة مني..يكاد جبينها أن يلامس جبيني..همست لي
بحرارة و كأنها قرّرت اليوم فجأة أن تتخلى عن الصّمت المرتبك ؛
_أن يتحقق حلمي بهذا الشكل..لهو أكبر معجزة حصلت لي على الإطلاق..أنا لا أعرف ما الذي
يحدث لي يا هادي..لكنني الليلة فقط..أريد أن أستفيض بالكلام عني..و عنك..لا أريد أن أنام الآن رغم
احتياجي الشديد له..كل ما أريده هو أن أهمس لك مراراً بتلك الكلمة..حتى لو شعرت بالملل مني..
كنتُ أعرف ماهية تلك الكلمة التي تود قولها..فقد قالتها من قبل لأكثر من مرة..لكنني
همست أقطب حاجباى أكثر بنبرة محتدة بعض الشيء..

بينما إحدى يداى ارتاحت فوق بطنها و كأنها حركة غير محسوبة أطمئن بها على طفلنا ؛
_لا بأس..لا بأس..أنا أعرف ما الذي يحدث لك بالضبط..
نظرت لي بتساؤل بدون أن تحرّر قميصي من ضغط أصابعها..و قد كانت تلك أول مرة أشعر
بأنها هي من تلتصق بي لا العكس..و يا ليتها تبقى على هذا المزاج طوال العمر..لكنها للأسف خدعة..أنا
أعلم ذلك..إنها فورة مشاعر أنثوية خادعة و ستزول..
همستُ لها باضطراب أحاول إجابة التساؤلات في عينيها ؛
_على الأرجح...تلك الهرمونات تتلاعب بك..

بدت الكلمة غريبة و أنا أنطقها بصوتي..فتنحنتُ و كأني أراجع فيما قلت..هل أنا سأشرح

لها مثل تلك الأمور الآن !

همست شهد بإصرار و اعتراض ؛

_لكني أشعر بذلك فعلاً !

اكتسح بعض الحنان حدقتاي بعد هذه اللحظة..و همستُ أسألها بخفوت و أنا أرفع يدي

التي على خصرها لأحاوطها بالكامل ظهرها الآن ؛

_حقاً ! أخبريني بما تشعرين !

تلکأت شفتها قليلاً..و زاغت عيناها بعيداً عني..ثم همست بتردد لكن بصدق و انفعال حار ؛

_بأنني...أحبك اليوم أكثر من ذي قبل..و بأن...الكلمة عالقة على طرف شفاهي مهما

كررتها...إلا أنني...لا أكتفي !!!

اتسعت ابتسامتي أكثر..و تلونت عيناها ببعض الخبث و أنا أهمس بنبرة مميزة مداعبة ؛

_و بأن كل الخجل الذي كان يتلفك طيلة الوقت اختفى بلمح البصر..و ها أنتِ ذا تلتصقين

بي كهرة صغيرة !

شعرتُ بها تتسمر تماماً..حتى أنفاسها اختفى صوتها لوهلة..و بدلاً من أن يخفّ ضغط يديها

إحراجاً..تشبثت أكثر بي..ثم رفعت عينيها إليّ بتردد إلى أن قابلت عيناها..و همست بترقب ؛

_هل يضايقك الأمر ؟!

ابتلعت ريقها للمرة التي لا أتذكر كم و هي تضيف ببطء ؛

_التصاقي بك !

ارتفع حاجبائي على الفور باستنكار شديد..و قبل أن تتمكن من إبعاد يديها تمسكتُ بهما

بشدة لأبقيهما على صدري..و قلتُ بتشديد و إصرار أمام عينيها ؛

_يضايقني ؟! ما ذلك السؤال البائس الغريب الذي خطر بعقلك ؟!! متى كان الإنسان

يستطيع التضايق من انتماء نفسه...لنفسه !

ها قد عاد خجلها ليطفو بيننا...تبّاً لي !

أسبلت جفنيها ببطءٍ بعد كلامي ذاك..بدون أن تتحرك..و شعرتُ بأنها لم تقتنع تماماً بما

قلته..فهمست بخفوت ؛

_ماذا لو أطبقت بيدي على أنفك و فمك الآن ؟! كيف ستشعرين ؟!!

لوهلة لم تجب..و لم ترفع رأسها و كأنها لم تسمعي..ثم نظرت لي بتردد و دهشة.. فرفعتُ

حاجباي أحثها على الجواب..حينها همست بارتعاش و حيرة ؛

_س...سأختنق !

أومأت برأسي في حركة هادئة و كأن إجابتها منحتني كل الرضا..ثم عدت أقول بذات نبرتي

السابقة ؛

_و لو سحبتها !!؟

انعقد حاجباها قليلاً و هي تقول بعدم فهم ؛

_سأستعيد قدرتي على التنفس !

عدتُ أحرّكُ رأسي لعدة مراتٍ في حركة ذات مغزى..قبل أن أهمس لها بتشديد و أنا ألامس

فكها الرقيق بأناملي..محددًا في عينيها الواسعتين بالفطرة..

_هذا هو شعوري تماماً كلما بتعدت عني..أشعر بأنني أختنق..و ما إن تقتربي مجدداً..حتى

تعود قدرتي على التنفس لتتنشط من جديد..و كأنني ما أعيش إلا بك و لك.. تصبح الجدران الواسعة

خانقة و كأنني في وسط سجن..و يطبق الظلام الدامس على روحي و كأنني أتوسد قبراً !!!

مع نهاية كلامي..و انتشار الصمت التام حولنا..وجدتُ عينيها تفقدان اتساعهما..و ترتعشان

بشدة بشكل يوضح تأثرها بكل ما قلته..بينما أناملها لم تعد تتمسك فقط..بل أصبحت تعصر

قميصي ملامسة صدري..

فتحت فمها تريد أن تجيب بكلمة..إلا أنها بدت غير قادرة..و قد نالها العجز الذي أراه كلما

سمعت مثل هذه الكلمات مني..و كأنها لا تصدق أن تكون موجهة لها !!!

لهذا..فقد عادت تسبل جفونها بصمتٍ..و ساد بعض الصمت..إلى أن همستُ أنا شاعراً

بالشفقة عليها ؛

_شهد !

ترددت قليلاً..ثم نظرت لي بصمتٍ..فقلتُ بنبرة ذات مغزى مبطن ؛

_هل أنت متعبة !!؟

بدا عليها أنها لم تفهم سؤالي في البداية..و قد احتل عينيها نفس الغباء الذي رأيته قبل

قليل..لكنها رغم ذلك هزت رأسها في حركة لا معنى لها و هي تهمس باضطراب ؛

_ل..لماذا تسأل !!؟

نقلتُ عيناها بين عينيها للحظاتٍ..ثم قلتُ مباشرة بهدوء ؛

_لأنني أريد أن...أقبلك ! هل أفعل !!?

ألوان الطيف الحمراء هي تلك التي لونت خديها و هي تفتح فمها ناظرة لي ببلاهة شديدة..ربما

تستنكر أن أطلب شيئاً كهذا !

بقيتُ منتظراً بصبر..أعرف الإجابة المتوقعة لكنني أريد سماعها لأول مرة من شففتها لا من

عينها فقط..لكنها لم ترد فوراً..بل رأيتها تزم شففتها لوهلة قصيرة..

ثم أشاحت بأنظارها بعيداً عن عيناى المحاصرتين..و همست تهز كتفها أخيراً بصوتٍ خافتٍ

جداً..بوداعة ؛

_افعل !

تسللت همستها إلى عقلي كلحن ناعم شديد الدفء..فتركتُ يديها أخيراً..لأحاط ووجهها في

حركتي المعتادة كلما أردت أن أنظر لعينيها..عينها المتهربتان على الدوام..

اقتربتُ منها ببطء..و كأنني في كل مرة أقرب أشعر بأنها المرة الأولى..أحظى بهديتي الثمينة مراراً

و تكراراً..لكن الشعور العجيب الذي يملأ قلبي بالألفة اللذيذة نفسه..لا يتغير..لا يتلاشى أو يذبل...

إلى أن قبلتها...ببطء..قبلة ناعمة لكنها احتضنت مشاعري المتوهجة الجائعة إلها على

الدوام..

و سرعان ما شعرتُ بذراعيها تلتفان من حول عنقي بقوة..فتركتُ وجهها لأحاط خصرها

مقرباً إياها أكثر منى بدون أن أحررها من حصاري الدافء..

بل كان أن تركتُ أنا ملي ترتفع أكثر إلى شعرها لأحرره من عقدته المستفزة..متخللاً خصلاتها

الفاحمة كحاجبيها و رموشها بجنون..

لا أشعر بالشبع مهما ارتشفتُ من أنهارها العسلية...شهد العسل !

#لؤي

طوال الليل..كان هناك انقباض غريب في صدري..يمنعني بقسوة عن النوم رغم أنه كاد أن

يسحبني لفخه لمراتٍ عديدة متتالية..

إلا أن خوفي في كل مرة وقف حائلاً..و بقيتُ مستلقياً بجانبها أتأملها لساعاتٍ طويلة مرّاقباً..

بين دقيقة و أخرى..أنظر للساعة الجانبية لأجد أن الوقت يرفض المرور..تبّاً لما يأتي الصباح !!

لساعاتٍ طويلة بقيتُ أحتضنها بقوة كما طلبت..إلى أن ابتعدت ببطءٍ حينما شعرت

بدهاليس النوم تسحبني أقوى لأدس يداى تحت رأسي مقابلاً السقف بعينين لا تنظران..

و بقيتُ على وضعي لوقتٍ طال..أفكر..و أفكر..أحارب..و أحارب إغراءات النوم عازماً على البقاء متيقظاً منتبهاً لحبيبي التي لا أعلم حتى الآن أيُّ تأثير حقيقي قد يكون قد خلفه عندها مقابلتها لذلك النذل المُسمى بأخي..

إلا أن النوم رفض أن يتركني..هو أيضاً كان يحاربني لأغفو..فطرفتُ لعدة مراتٍ و أنا أشعر بتعب سحيق يداهم جسدي..و عينايا المتسعتين برغبة مني ترتعشان متوسلتين مني أن أمنحهما راحة إسدال الستار عنهما..

و في لحظة ما..لم أعرف كيف...لكنني وجدت وعيي ينسحب تدريجياً..و إرادتي تتكاسل عن المقاومة أكثر رغم أنني كنت أقاوم النوم فعلياً.. إلى أن غفوت..و يا ليتني ما فعلت !

كانت غفوة مرهقة..فقد ظل عقلي يتأرجح بين الواقع و الحلم..و كأنني مستيقظ و نائم في نفس الوقت..جسدي يتفتت إلى أجزاء و كأنني أتعرض للضرب..و هناك صور غير واضحة تتدافع في عقلي...

مهلاً...هل تلك أقدام ؟!

نعم...لقد كانت هناك أقدام امرأة تركض مبتعدة عني بسرعة البرق..شعرها الكستنائي الطويل يتطاير من حولها و هو الشيء الوحيد الذي أستطيع رؤيته.. بينما أنا أركض مثلها...

لكن شعوراً من العجز يملكني..أحاول الركض بشكل أقوى لأصل إليها..لكنني ما إن أقارب على الوصول حتى أجدها و قد ابتعدت أكثر..و أكثر..و أكثر.. شعرتُ بالغضب الشديد..و الخوف الأشد منه..فعددت الحزم على الوصول إليها.. لولا أنها...توقفت فجأة !!!

فتوقفتُ أنا الآخر أنظر لها..أنتظرها أن تلتفت إليّ بصبر في حين أن الصوت الوحيد الذي أسمعُه هو صوت لهاثي الشديد..

لكن ما رأيته..كان تلك الحافة التي توقفت عندها قدميها.. لا أعلم..هل حافة جبل ما..أم حافة سطحنا..المهم أن ارتفاعها كان شاهقاً بشكل مخيف.. عدتُ أرفع أنظاري نحوها بجزع..و هذه المرة التفتت نحوي..و رأيته..كانت تبسم لي بلطفٍ..بجمال..بأمل و سعادة جعلت حاجباي ينعقدان بشدة..

لكن كان هناك شيء يشبه المرارة في عينيها المبتسمتين.. شيء لمحتة و جعل من العقدة بين

حاجبائي تعود لترتخي ببطء.. إلى أن سمعتها تهمس لي بنبرة اعتذار رقيقة ؛

" آسفة.. لكن هذا هو الصواب الوحيد الذي أصبحت أراه الآن !"

لم أفهم جملتها.. أو ربما فهمتها...

عقلي الباطن استوعبها فجحظت عيناى بقوة شاعرًا بخفقات قلبي تضطرب.. و اقتربت

بسرعة أنتوي إثناءها عن ما تريد فعله تلك الحمقاء.. إلّا أنها سبقتي.. و قبل أن أخطوا الخطوة الأولى

نحوها حتى... سقطت !!!!

نعم.. لقد ألفت نفسها من تلك الحافة الشاهقة في لحظة خاطفة لم أستوعبها.. أنا لم

أستوعب أو أسمع سوى صوتي الذي ارتفع هاتفاً بصرخة شقت عنان السماء و دمرت هدوء الظلام

المرعب..

" سجي !!!!!!! "

فتحتُ عيناى على اتساعهما و أنا أنتفض بقوة من مكاني شاعرًا بالعرق الغزير يملأ

جبهتي.. قبل أن أرفع يدي لاهتًا بشدة لأمسد موضع قلبي الذي كان ينتفض بشدة..

و كأن قبضة من حديد تطبق عليه مانعة عني التنفس !

إنه كابوس.. نعم.. كابوس سيء.. كابوس غبي لا محل له من الواقع فسجى هنا بالفعل.. لقد

تركتها مستلقية بجاني و لا تزا.....

وجدتُ عقلي يتنبه فجأة مقاطعًا محاولاتي الحثيثة لتهدئة نفسي.. و بطريقة ما.. شعرت بأني

أجلس بمفردي في الغرفة.. بل في المنزل بأكمله ربما... كذلك اليوم !!!

ابتلعتُ ريقى باختناق شديد و أنا أشعر بغصة حارقة تستوطن حلقي.. ثم بمشقة

شديدة.. أدرت رأسي لأنظر في جهتها.. و لم تكن هناك !

سجى ليست بجاني !!! أين ذهبت ؟!!!!

شعرتُ بالشلل يصيب أطرافي و أنا أتجمد مكاني تمامًا و كأن عقلي تنبه بكل ما حدث أثناء

غفوتي.. أتخيلها و هي تستيقظ بتمهل.. لتقف ببطء مبتعدة عني.. عن ذلك الرجل الغبي الذي هزمه

النوم في غمرة حرصه على حراستها !!!

لتغادر الغرفة بكل هدوء مصممة على ما تنتوي عليه.. ثم... ثم ماذا !!!!!

أبعدتُ الغطاء في حركة عنيفة و أنا أقف بسرعة متحاملًا على أطرافي المتشنجة.. اتجهت إلى

الحمام أولاً لأدفع بابه بعنفٍ رغم إدراكي بأنها ليست هناك..

و هي بالفعل لم تكن هناك..

قبل أن أتجه إلى الباب المخلوع من مكانه لأخرج باحثًا في كل مكان.. في المطبخ.. في الشرفة.. في الحديقة و في الساحة الخلفية للمزرعة.. كل تلك الأماكن التي قد تكون بها ما عدا الغرف..

رغم أن شيئًا ما بداخلي.. كان يخبرني بأنها هناك.. في غرفة معينة.. لكنني كنتُ أهرب من

الذهاب إليها.. أوجل مهمة تفتيشها خوفًا مما قد أراه !!!

فتحتُ كل غرفة في المنزل العريض باحثًا عنها عبثًا.. إلى أن وجدت نفسي أتوقف أمام الغرفة المنشودة.. الخوف يتأكلني من الداخل.. و الوهن يتملكُ مني بطريقة تجعلني أريد الهرب.. أريد الهرب من كل ما قد أراه و أصادفه في الداخل..

لكنني في النهاية.. زفرتُ نفسًا مرتجفًا بشدة.. قبل أن أمسك بمقبض الباب ببطءٍ هذه المرة.. و فتحته لأدلف بخطواتٍ بطيئة و قوى واهنة ضعيفة..

كانت الغرفة مرتبة تمامًا كما العادة.. السرير كما هو و الستائر البيضاء المتطايرة بفعل نسيم الصباح ترسل رهبة غريبة إلى قلبي.. تخبرني بأن كل شيء على ما يرام.. لكن في نفس الوقت.. لا شيء على ما يرام !

نظرتُ لباب الحمام بعينين غائرتين.. إنها بالداخل.. أنا أعرف هذا.. سجي بالداخل.. حبيبتي هناك.. لكن بأيّ شكل و ما هو وضعها.. لا أعلم.. عليّ أن أعلم.. شعرتُ بالدموع تلسع عيناى حتى قبل أن أتحرك.. إلى أن توقفت أمام الباب تخالجي نفس المشاعر المخيفة..

و ربما هي ما جعلتني أرفع يدي كالمعتوه لأطرق الباب مناديًا بخفوتٍ ؛

_سجي..سجي هل أنتِ بالداخل ؟! رجاءً قل لي كلمة...

إلا أن الصمت هو الشيء الوحيد الذي أجابني.. الصمت التام المتوقع.. فأمسكت بالمقبض بأصابع ترتجف بعنف.. و ترددت طويلاً.. طويلاً...

قبل أن أغمض عيناى بشدة لأفتح الباب دفعة واحدة.. و أتقدم خطوة واحدة إلى الداخل.. كانت هناك.. لقد صدق شعوري.. كانت هناك تقبع أمام أنظاري.. المنظر يشبه نوعًا ما ذلك اليوم.. يشبه المنظر الذي تصور عقلي رؤيته اليوم !!

فسجي لم تكن و اقفة على قدميها تناظر المرأة بضياع.. لم تكن تحمل الأقراص المهدئة بين راحتيها.. بل كانت بعض الأقراص ملقاة على الأرض البيضاء بجانبها..

بينما هي... فاقدة للوعي !!

مغشي عليها فوق الأرض الباردة..و بين يدها المفتوحة باستسلام مربع..تقبع القنينة

البيضاء الصغيرة و التي...تجرعت منها السموم أعدادًا..

لما؟!...لتقتل نفسها!!!

كنتُ أشعر بأنني مجرد متفرج..و كأنني أشاهد عرضًا هزليًا لا يخصني..أدقق النظر بكل

تفصيلا بعيناي الغائرتين بشدة و كأنني على وشك أن أفقد وعيي أنا الآخر.. لكنني لم أكن على وشك

فقدان وعيي..بل كنت على وشك فقدان صوابي!!!

إلى أن وصلت بعيناي إلى وجهها..و حينها فقط..اتسعت عيناى رعبًا و شهقت بقوة و كأنني لم

ألقى الصدمة برؤيتها بهذا الشكل إلا الآن..

اقتربتُ بسرعة أنسف الخطوات القليلة بجزع إلى أن سقطت إلى جانبها على ركبتي..و مددت

يدي المرتعشة بشدة إلى وجهها الشاحب شحوب الأموات...

هل هي ميتة...؟!!!

لم أتمالك أمر دموعي التي انسابت بحرارة لتلسع وجنتاي كالنيران و أنا أرفع جسدها الميت إلى

صدري محاولاً ظهرها بذراعي..ألمس ملامحها بيدي الأخرى بجزع هائفاً بصوتٍ متحشرج ذاهب

الأنفاس ؛

_سجى!!!! يا إلهي..لا لا لا لا..سجى..ماذا فعلتِ بنفسكِ!! ماذا فعلتِ بالله عليكِ!!! ما الذي

فعلته تَبًا..تَبًا هذا بسببي..كله بسببي..سجى..سجى.....

كنتُ أرتجف حرفيًا..شعور الرعب يتأجج بداخلي بقوة حتى كدت أن أفقد قدرتي على الشعور

بأيِّ شيءٍ آخر..و رغم ذلك..فقد وجدت عقلي الزائع عن الفهم يأمرني فجأة بأن أطمئن على نبضها..

تلك اللحظة و أنا أقرب يدي من رقبتها أحاول استشعار النبض هناك بدت بطيئة

جداً..تشابهت مشاعري مع ما أحسسته في ذلك الحلم و أنا أراها تقف على بعد خطوة واحدة من

الرحيل..أملكُ القدرة على إيقافها لكنني فقط...عاجز!!!

في الوهلة الأولى لم أستشعر أيَّ شيء..قبل أن ينتفض جسدي بأكمله و أزفر نفساً طويلاً

مجهداً هامساً بحرارة بعد أن استشعرت بعض النبض..

_ستكونين بخير..ستكونين بخير..

وقفت بسرعة متحاملاً على ساقي الهلاميتين لأرفعها بين ذراعي ناظرًا إلى وجهها الأصفر..و

كأن الدماء كلها قد غادرت جسدها..

بمشقة شديدة تمكنتُ من إبعاد كل الأفكار المرعبة عن عقلي.. كل التخيلات التي قد تجعلني أسقط مستسلمًا لحقيقة فقدانها و اتجهت إلى الباب أقطع المسافة التي رفضت أن تنتهي نحو سيارتي..

لم أعلم بعدها كيف.. لم أكن متحكمًا في أي شيء.. حتى عقلي كان مغيبًا تمامًا و أنا أقود كشخصٍ لا يعرف وجهة محدّدة.. لكنني أخيرًا تمكنت من الوصول إلى المشفى.. دخلتُ بخطواتٍ واسعة تمثل كل فزعي.. وتردّدت للحظة قبل أن أضع جسدها الهش الميت فوق الناقله التي تم إحضارها إليّ بسرعة.. لأتركها بين يدي الأطباء.. و بين يدي الله قبل جميعهم... ثم وقفتُ متجمدًا مكاني أمام الغرفة التي أدخلت إليها.. أشعر بأن قلبي تحول إلى صقيع بارد.. و أنفاسي كالصفيح المحموم تخرج متهدجة مرتعشة..

تراجعتُ بعدها ببطءٍ لأرتقي فوق أول مقعد وجدته أمامي أنظر للأرض بعينين زائغتين.. تلك المربعات البيضاء أمامي تبدو لي كمتاهات معقدة..

كنتُ خائفًا بطريقة لم أعدها في نفسي طوال حياتي.. حتى حينما تعرض هادي لحادثٍ خطير كاد أن يودي بحياته لم أكن خائفًا إلى هذا الحد... خائف و مرتعب بطريقة جعلتني أتساءل..

متى أحببتها إلى هذا الحد؟! للحد الذي يجعل المستقبل بدونها يبدو منعدمًا لي.. الحياة في عالم خال منها هو احتمال مستبعد..

و ربما أنا من سأقتل نفسي لو فقدتها اليوم... الآن !

أنا لم أعترف لها بخبي حتى.. لم أنطق تلك الكلمة أمامها و لو لمرة واحدة !!! كيف بقيتُ صامتًا طوال تلك الفترة و لم أنطقها... كيف !!!

كيف استطعتُ الصمود طوال حياتي.. و أنا أنظر لها.. أقابلها كل يوم و ليلة.. أشاركها كل وجبة.. غافلاً عنها تمامًا.. غافلاً عن تلك المشاعر التي لا يمكن أن تكون حديثة..

التفسير الوحيد لما يحدث لي هو أنني كنت أحبها منذ زمن بعيد..

نعم.. ربما لم ألاحظ ذلك من قبل.. ربما تغاضيت و تغايبت.. إلا أنني الآن أستطيع أن

أعرف.. قادر على الاعتراف و الفهم و التفسير...

لقد كنتُ أحبها... لقد أحببتها دائمًا !!!

تلك النزعة الغريبة التي لطالما تملكنتني في حمايتها.. إضحاكها.. لا يمكن أن يطلق عليها إلا اسم حُب..

خوفي المبالغ به عليها...حنقي المستمر المكتوم من شهاب كلما تجرأ على أذيتها..و الرغبة في تحدي كل أوامره الحصرية بالابتعاد عنها..

لا يمكن أن يطلق على كل ذلك إلا اسم.....حُب !!!

الآن أنا أشعر بأنني كنتُ أحبها منذ زمن بعيد..و لا أعلم باطن هذا الشعور..لكنني أعجز تمامًا عن نسفه من قلبي..

كل لحظة تتراءى لي من الماضي..كل نظرة تمر بعقلي ألقيتها عليها بشكل عابر..

لم تعد تبدو عابرة !!!

بقيتُ جالسًا مكاني لدقائق طالت و طالت..ساقاي تهتزان باضطراب و توتر شديد..عينايا

جاحتان و رموشي ترتجف بقوة..إلى أن انتفضت بقوة على صوت رنين هاتفي..

و ترددتُ طويلاً قبل أن أخرجها من جيب بنطالي في حركة آلية لأنظر إلى ذلك الرقم..و قد كان رقمًا غريبًا..

زفرتُ بقوة و أنا أقبض على الهاتف أهم بإغلاق الخط..إلا أن يداي تسمرتا بعجز غير قادر على إغلاقه..و فتحت الخط في حركة عنيفة و كأني مضطر للرد عليه..و ما إن رفعته إلى أذني هامسًا بصوتٍ يرتجف من فرط ما أعيشه..

_نعم !!!!!

حتى تسمرتُ تمامًا مكاني و جحظت بعينايا بصدمة كادت تفوق صدمة ما أعيشه.. فقد كان هناك صوت أنثوي..يخبرني بأسف بأن شهاب..شهاب.....

_ما...ماذا ؟ !!!

هذا كان الشيء الوحيد الذي استطعتُ نطقه..و هتفتُ بالسؤال بصوتٍ مرتفع جدًا.. قبل أن أبتلع ريتي بصعوبة هامسًا بتلعثم شديد ؛

_أنا...أنا في المشفى..في...أي غرفة هو ؟ !!!!!

أنزلتُ الهاتف ببطءٍ ما إن سمعت الرد الرسمي المؤدب من الجهة الأخرى..إلا أنني رغم ذلك لم أقف..لم أستطع الوقوف..كيف أترك سجي بهذا الحال هنا و أذهب إلى.....شهاب !! الشخص الذي تسبب في كل هذا !!!!

حتى و لو كان أخي..حتى و لو كان يحتاجني..حتى و لو كانت تلك اللحظات التي أمضيها جالسًا

هنا في انتظار الطبيب..هي آخر لحظات في حياته !!!!

كان الضعف ينهل من جسدي و أنا أنقل عيناى بين الغرفة المغلقة منذ وقتٍ طال..و الممر المؤذى إلى غرفته..لا أريد سوى أن أعرف ما حدث..كيف..و من...
من هو هذا الشخص الذي تسبب له شهاب بالأذى ليفكر في...قتله !! بل هو نفذ بالفعل و ربما تكون روحه الأثمة قد انتقلت إلى رحمة خالقها بحلول الآن !!!
و أخيراً خرج الطبيب..رفعتُ عيناى بسرعة أنظر له من مكاني غير قادر على الوقوف و أنا أراه يغلق الباب الذي يحجبني عن حبيبتي بهدوء أحسده عليه..
إلى أن اقترب مني و وقف أمامي..و حينها فقط كنتُ أتحامل على نفسي للوقوف أنا الآخر..متهدل الكتفين..
_ أرجوك..أرجوك أخبرني بأنها بخير...
رأيتُ ملامح العطف ترسم على وجه الطبيب..ثم قال لي مطمئناً بصوتٍ وقور ؛
_ الحمد لله لأنك أحضرتها في الوقت المناسب..لقد أجرينا لها عملية غسيل معدة لكنها لا تزال تحتاج للمزيد من الراحة قبل أن تستيقظ..
صمت للحظة..و رأيتُ بعض الحزم يرسم في عينيه و هو يقول متسائلاً ؛
_ أنت زوجها..أليس كذلك ؟!!
أومأتُ له ببطءٍ غير قادر على نطق حرف واحد..فاحتدت عيناه أكثر لكنه قال بصوتٍ هادئ وقور ؛
_ إذاً من المفترض أن تكون على دراية بالسبب الذي جعل زوجتك تقدم على خطوة متهورة كتلك !
شعرتُ بأنه دفعني من نفس الحافة التي رأيت سحى تسقط منها في الحلم البائس..ففتحت في لعدة مراتٍ أحاول منحه جواباً مقنعاً..لكن كل ما خرج مني كان صوت تأتأة قلت بعدها بتلعثم شديد يرثى له ؛
_ إنها...لقد كانت...كنا نمر بضائقة نفسية...
لم تبدو إجابتي مقنعة له أبداً..بل قال بصوتٍ مشدد ؛
_ و هل هذا سبب كافٍ للانتحار ؟!! هل كل من يمر بضائقة نفسية يلجأ لهذا الحل المبثذل !!!
لم أستطع أن أجيبه..شعرتُ بالخجل من نفسي..فأطرفت برأسي قليلاً و قلبي الممزق يهتف ملتاعاً متأماً بعذاب..

" ليتها كانت ضائقة نفسية يا دكتور..ليت الأمر كان بتلك البساطة..لكن حبيبتي..ما عانته حبيبتي لا يمكن لأي كلمة حزينة في العالم التعبير عنه..ليتني أستطيع أن أخبرك فقط..بأن تلك الفتاة الراقدة بضعفٍ في تلك الغرفة..كانت في يوم ما أقوى مني...و منك !"

سمعتُ تهيدة طويلة يائسة منه..ثم قال و هو يمد يده ليربت بها فوق كتفي و كأن منظري البائس ذاك أثر فيه و جعله يتراجع عن تقريره السابق ؛

_أظن بأن زوجتك تحتاج إلى أن يتم عرضها على طبيب نفسي..هذه المرة تمكنا من إنقاذها لكن في المرة القادمة لو تكرر الأمر..لا أعلم أي نتائج مهولة قد تضطر لتحملها..

لم أرد..شعرتُ بأن قدرتي على الكلام قد نفذت تمامًا فكتمت أنفاسي و بقيت و اقفًا مكاني مطرق الرأس..إلى أن غادر بصمت..و حينها فقط..رفعت رأسي لأنظر إلى الباب المغلق في وجهي..

لكنني لم أتوجه إليه..التفتُ بسرعة لأرمق الممر الطويل بنظرة سريعة..قبل أن أحث قدماي بقوة و أركض باتجاه تلك الغرفة التي وصفتها لي السيدة عبر الهاتف قبل دقائق..

و للعجب..فقد كان المكان هادئًا تمامًا..غرفة الجراحة مغلقة كغرفة سجن..و الصمت يغلف المكان و كأن لا شيء يحدث..أردت أن أصرخ في الرواق مندهشًا بأن من في الداخل يكون "شهاب أكرم الشاذلي"..

ذلك الذي تعرض لطلق ناري في قلب منزله..من طرف رجل مجهول لا أستطيع أن أنعته بـ "

المجرم " حتى بيني و بين نفسي !!!

فكيف يمكن أن يبدو الأمر طبيعيًا لدى الجميع !!!

هل يمكن أن يكون هذا هو تدير القدر الرحيم بعد كل شيء ؟..

موت شهاب...مقابل حياة سجن !!!

توقفتُ هناك بصمتٍ..هذه المرة كانت أنفاسي هادئة شبه منتظمة بلا مشاعر..كنت فقط

أشعر بالحيرة..أتساءل بخوف مرعب...إنه أخي !!

أنا أقف أمام غرفة أخي الذي تعرض لطلق ناري..فلما أنا هادئ بهذا الشكل !! لما لست أصرخ

و أنتحب باحثًا عن أحد يطمئنني بأنه سيكون بخير !!

لأنني ببساطة...لا أريده أن يكون بخير !!!!

ذلك الإدراك جعل عيناى تتسعان بقدر أكبر..لقد تمنيتُ له الموت يوم الأمس بيني و بين

نفسي..فلما قد أحزن عليه الآن ؟!

هو لا يستحق أن أحزن عليه..لا يستحق دمة واحدة أذرفها خوفاً من فقدانه الذي هو
مرادف العيش بأمان بالنسبة لسجى !! لا يستحق قاتل حبيبتي أن أشفق عليه !!!!
نعم..نعم أنا محق..كل ما عليّ فعله الآن هو الوقوف مكاني و انتظار الخبر المتوقع..خبر "
موته " المحتم..لأن تلك الحادثة لا يمكن أن تكون من فراغ..مهمتي الوحيدة الآن تركز على الدعاء
عليه...لا له !!!!

شعرتُ بانقباض قوي في صدري..و لمعة من الدموع تحرق عينايا..بينما اشتدت قبضة يدي
بانفعال حار داخلي..

يا الله كيف يمكنني أن أخاف على حياته بعد كل ما حدث..بعد كل ما فعله !!!
كيف يمكنني أن أتمنى له الموت لكنني في أعماقي لا أزال خائفاً من سماع كلمة "الموت" مقترنة
به !!

و كيف يمكن لحب سجي أن يكون بتلك القوة !..
بحيث أنني أجد نفسي تلقائياً كلما تذكرتها..و وضعت حياتها مع حياة شهاب في كفتين..أختار
كفتها مغمض العينين !! ما كل تلك التناقضات... !!
سمعتُ صوت خطواتٍ تنهب الأرض راکضة نحوي بهلع..تختلط مع خطوات أخرى تحمل
نفس الفزع معها..فأغمضت عينايا بقوة و عقلي يخمن تلقائياً صاحبها..
و بقيتُ على نفي الوضع لأكثر من لحظتين..قبل أن أفتح عينايا مجدداً و أرفع رأسي مباشرة
أقابل وجه أمي الشاحب بشدة..تلك التي توقفت أمامي لاهثة بعينين متسعيتين و ملامح باهتة فاقدة
لكل بادرة حياة...كلها مواصفات لا تليق بها..أليس كذلك !
كانت عيناها جاحظتان بشكل مرعب..و كأنها استيقظت من كابوس مخيف للتو..تنظر له
بتوسل منتظرة مني أن أطمئنها..أن أربت على صدرها و أخبرها بكل رفق..بأنه مجرد كابوس لعين و
انتهى..

لكنه ليس كابوساً يا أمي..إنها حقيقة تعيشينها..نعيشها جميعاً..لكن الفرق بيننا أن ما عشته
من كوابيس و صدمات قبل اليوم منحني مناعة..
فقد توقفتُ عن التفاجئ بأي شيء منذ أن عدت من السفر ذات مرة..لأجد صديقتي
سجى..حبيبتي قد تم قصف روحها البريئة بكل سادية..أمام أنظار الجميع...و أنت من ضمن "الجميع"
الذين توقفوا مكانهم ير اقبون موتها البطيء كالمترجين !!!
تركتُ عينيها بتردد لأنظر ل...أبي !!!

و للعجب فقد كانت حالته تبدو أسوء من حالتها..عيناه غائرتان رغم ملامح الحزم الزائف
التي يحاول التمسك بها..و ملامحه تفوق شحوب الجميع..

لقد كان على وشك السقوط بالفعل !!

بالطبع..إنه ابنه البكر شهاب...الأقرب إلى قلبه !!

كنتُ أود أن أسأله..تري يا أبي..لو كنت أنا مكانه الآن هل كان كل ذلك الخوف سيكتسح
وجهك خوفًا علي!..و لو أنني أعرف الجواب القاطع..فقد سبق و تعرض هادي لحادث خطير كاد
يسرقه منا..

و قد كانت ملامحه في ذلك اليوم و نحن نقف أمام غرفة الجراحة ننتظر بأمل ضئيل خبر
نجاته..تحمل القلق..نعم لن أنكر هذا لقد شعر بالقلق الشديد عليه..

لكن ذلك القلق الشديد لا يمثل ربع القلق..بل الجزع الذي يحتضن كل وجهه الآن !!
لكنني بطريقة ما أتأمل أن تكون مكاني لديه أكبر قليلاً من مكانة هادي الذي لم يحظى بمكانة
أساسًا !!!

_ك...كيف..حدث...من.....من فعلها ؟!!!

رأيتُه و هو يجاهد نفسه لاستجماع ذلك السؤال بصعوبة بالغة..فخرج صوته متلعثمًا به
بحة ضعف واضحة..أما أمي..

فقد بدت و كأنها فقدت القدرة على النطق أو السمع أو الاستيعاب حتى..
فقد كانت نظراتها فارغة زائغة بلا تعابير..تستند إلى الجدار بعد أن عجزت عن الجلوس أو
الوقوف باستقامة..تبدو كجثة هزيلة لامرأة اعتكفت القوة و الجبروت رفقاء طوال حياتها..
حركتُ رأسي في كل الإتجاهات بلا معنى و أنا أهمس بصوتٍ واهن ضائع ؛
_لا أعلم..لقد تلقيت اتصالاً و منذ أن أتيت لم يخرج أحد..لا أعرف أي شيء..
و أخيرًا سمعت صوتها..السيدة عفاف..و التي همست بعينها الزائغتين و اللتين تحملان
نفس الضياع..بدون أن ترفع رأسها فقد كانت عيناها في الأرض طوال الوقت..و ذلك وضع لم أرها
عليه طوال حياتي..

_م...متى عاد...لقد كان..لقد كان فد...ألم يكن...مسافرًا !!!!

رفعت رأسها فجأة لتهتف و قد انهار كل صمودها موجهة كلامها إلى أبي الذي و لأول مرة أرى
تجاعيد الزمن مرتسمة بوضوح فوق ملامحه و كأنه لم يتقدم بالعمر إلا اليوم !

_ألم تخبرني بأنه خارج البلد !! ألم يكن مسافرًا !!! كيف عاد..متى عاد ؟!!!!!!

لم أنبت بنصف كلمة..عقدت ذراعاي و أنا ألتصق في مكاني محدقاً بينهما بفراغ..لكن ذلك الفراغ سرعان ما استحال إلى اندهاش شديد أقرب إلى الصدمة و أنا أرى...دموع !! مهلاً..هل ذلك بريق دموع في عيني أبي !! بل...هل أكرم الشاذلي يمتلك أي دموع !!! ظننت بأنه معصوم عن البكاء !!!

بينما همس صوته بيأس و هو يهز رأسه لعدة مرات ؛
_لقد كان في الخارج بالفعل..لم أعرف متى عاد..لم أعرف...
لم يكذب يلفظ كلمته الأخيرة حتى وجدتُ أمي تهتف مجدداً بانهايار تام و قد فقدت كل أعصابها ؛
_كيف يمكنك أن لا تعلم..كيف أمكنك أن تكون بذلك الإهمال..كيف..كيف.....
لم تستطع أن تكمل هتافها فقد اختنق صوتها بشدة و قذفت عينها الدموع بقوة مفاجئة..فرفعت يديها إلى جبهتها و شعرها ناظرة لكل مكان بجنون..
و كأنها تبحث عن مأوى..تبحث عن ملاذ..عن أمل..أو ربما تتمنى لو تتمكن من إعادة الزمن ليلة واحدة لتنقذ ابنها الأعلى !!!!

بقيت أنظر لها شاعراً بالصدمة تملكني بقدر أكبر..خاصة و أنا أراها تعود لترفع رأسها نحو أبي هاتفة بصوت يرتجف من هول الشعور بفقدان السيطرة ؛
_أقسم بالله..أقسم بالله لو حدث لابني أي شيء فلن أسامحك !! هل تسمعي..الذنب ذنبك أنت..الذنب يقع على عاتق عملك التافه الذي يجعلك فاقداً للبصيرة عاجزاً عن تمييز أبنائك... شعرتُ بالخوف الحقيقي عليها و أنا أرى يديها ترتجفان أكثر لحد مرعب..بينما هي ترفعهما إلى وجهها الخالي من الدماء البشرية..

تاركة أبي ينظر حوله باختناق..نظرة علمت من خلالها بأنه مثلها..يحمل نفسه الذنب !!!
لماذا..هل كان شهاب طفلاً صغيراً يحتاج إلى رعاية ؟!!

جذب انتباهي خطوات أخرى..و هذه المرة كانت لامرأة متوسطة العمر..بسيطة الملبس و الهيئة..تركض في الممر بهلع يشبه هلع والدتي..

في الوهلة الأولى عقدت حاجباي بتشوش و أنا أراها تقترب منا تماماً..لكننا لم نكن وجهتها..
فقد تجاوزتني بنفس الخطوات الراكضة إلى أن توقفت أمام الغرفة الملاصقة لغرفة شهاب !!!
بقيتُ أراقبها شاعراً بتشوش أكبر..ربما تكون قريبة لمريض آخر يرقد بتلك الغرفة..لكن لما عساهم يقومون باستدعائها في نفس الوقت الذي تم استدعائنا فيه..

هل يمكن أن يكون قريبها أصيب بطلق نارى أيضاً..أو ربما حادث سير !!
فلو كانت مجرد عملية جراحية عادية لكانت متواجدة هنا منذ البداية..يبدو أنني بدأت أهذي
لأشغل عقلي عن ما يحدث حولي بأي شيء !!
لذا هزئت رأسي بلا فائدة..و عدت أشيح بعيناي عنها ناظرًا إلى الغرفة أمامي..قبل أن تخطر في
عقلي فكرة ما..فكرة جعلتني أرمش بعيناي و أخفض رأسي لأخرج هاتفي.. طلبت رقمًا محددًا..و ما إن
وصلني صوت هادي يسأل بقلق شديد ؛

_لؤي !! لماذا تتصل في هذا الوقت الباكر ؟!! هل كل شيء بخير ؟!!!
كنتُ فاقداً للقدرة على الشرح..فهمست بصوت ميت بلا تعابير ؛
_أنا في المشفى التابع لعائلتنا..عليك أن تأتي في الحال !
لم أكد أتم كلامي حتى كنتُ أرفع رأسي متأهبًا حينما انفتح باب الغرفة التي أمامي.. و خرج
الطبيب بملامح مجهدة ليقف أمامنا..ملامحه كانت مرهقة لا تبشر بالخير أبدًا..
إلا أنني رغم ذلك قلتُ أتخذ المبادرة نيابة عن الإثنين الواقفين بجانبني..و العاجزين عن
الكلام..

_هل استطعتم إنقاذه ؟!!
ذلك هو السؤال الوحيد و الأول الذي طرأ في عقلي..و الذي جعلني أخاف من نفسي
أكثر..فقد كان سؤالاً لا يحمل معنى واحداً..و ربما كانت العبارة الغريبة التي أراد عقلي نطقها هي..
" رجاء..لا تنقذوه..دعوه يموت..حياته توازن موت حبيبتي..و أنا لا غنى لي عن حبيبتي !"
رأيتُ الطبيب و هو يهز رأسه متأسفًا..ثم قال بصراحة متعاطفًا ؛
_لقد فعلنا كل ما بوسعنا..لكن...الأمل في النجاة لا يزال ضعيفًا جدًا..
لم يظهر أيُّ تعبير على وجهي المهم الشاحب..و هذا لأن مشاعري كانت متبلدة حينها..لكنني
رغم ذلك عدت لأنقل أنظاري بين أمي و أبي و كأن ردة فعلهما تهمني بشدة..
و رأيتُ رموش أمي التي ارتجفت بشدة كشفتهما و يديها تمامًا..بينما صرخ أبي محتدًا فجأة ؛
_الأمل في النجاة ضعيف !! ألا تعرف من هو ذلك الرجل الذي في الداخل..إنه ابني..هذا

شهاب الشاذلي هل تفهم !!!!!
زم الطبيب شفتيه بصبر و هو يسمع تلك الكلمات التي لا بد و أنه سمعها آلاف المرات من
قبل..بينما قال أبي يهز رأسه لعدة مراتٍ ساخرًا بغير تصديق..و قد بدا لي كشخصٍ مجنون
بالفعل..أو على وشك الجنون !

_الأمل في النجاة ضعيف قال !!!!

ثم نظر له ليهتف به من بين أسنانه بنبرة غير متوازنة تمامًا ؛

_أقسم بالله أن أقتصّ الثمن من وظيفتك لو حصل له أي شيء !!!!

أغمض الطبيب عينيه زافرًا نفسًا مكتومًا..و شعرتُ بأنه يعدد حتى الثلاثة..قبل أن يعود
ليفتح عينيه محدقًا بي أنا هذه المرة..و لأول أشعر بأن صوت أبي الذي لطالما جعل الرعب يدب
بأوصالي بأوامره التي لا نهاية لها.....لا قيمة له !!

فقد قال الطبيب متجاهلاً إياه بهدوء بينما يربت على كتفي بنفس الطريقة التي فعل بها
الطبيب الذي خرج من عند سجي قبل دقائق طالت..

_سنضعه تحت المراقبة خلال الساعات المقبلة..ادعوا له بالسر..ذلك قد يفيد..

تجاوزني بعدها بهدوء بهم بالذهاب..إلا أنني أوقفته بسرعة و أنا أهتف ؛

_لو سمحت..

نظر لي الطبيب بنفس التعاطف الممتزج ببعض الحزم..فترددتُ لوهلة..ثم همست أسأله

بتوتر على مرأى و مسمع من أمي و أبي ؛

_هل...يمكنك أن تخبرني من أحضره إلى هنا ؟!!

قال الطبيب محتفظًا بصوته الرصين الخافت ؛

_لا أعرف الكثير من التفاصيل في الحقيقة..لقد تم الإتصال بالمشفى من طرف بعض عناصر

الشرطة..بعد أن اتصل بهم الجاني بنفسه ليبلغ عن جريمته بحق الضحيتين..

_ضحيتان ؟!!!!

همستها ببطءٍ غير مستوعب لما يقوله..فارتفع حاجبا الطبيب معًا و هو يجيب مشيرًا إلى

الغرفة الملاصقة لغرفة شهاب..هناك حيث تقف تلك المرأة المسكينة التي أشفقت عليها حتى بدون أن

أعرف هويتها..

_نعم..لقد تم إحضار السيد شهاب برفقة شابة أخرى تماثله في السن تقريبًا..و التي تعرضت

لطلق ناري من طرف نفس الشخص..إنها في تلك الغرفة..

كنتُ فاقداً للتركيز تمامًا..فلم أستطع سوى أن أهز رأسي في حركة شبه مرئية كجواب..و لم

يكد أي واحد منا يلفظ كلمة واحدة..حتى كانت أنظار جميعنا تتوجه للبواب الذي عاد لينفتح مجددًا..

و تلك المرة خرجت عدة ممرضات يسحبن السرير حيث يرقد.....شهاب !! مهلاً..هل يمكنني

أن أنادي ذلك الشخص هناك بشهاب !!!

كحالي منذ أن وصلتُ إلى هنا لم أتحرك و بقيت متصنمًا أر اقبهم يجرونه إلى غرفة أخرى ربما..
لأول مرة أرى تلك النسخة الضعيفة منه..بعينيه المغمضتين بشكل قد يجعل شخصًا يقف
مكاني يجزم بأنه ميت..أو ربما على أعتاب الموت !..

و جسده الذي بدا نحيلًا لأول مرة بذلك الشكل من تحت الغطاء الأبيض المسدل من فوقه..
و رغمًا عني شعرتُ بشيءٍ من...العدالة !!! حتى أنني تمنيت بشدة لو كانت سجي معي هنا لتراه
بهذا الشكل !!!!

لتعلم بأن القدر كفيل بأخذ القصاص بنفسه عن كل عذاب عشناه على أيدي من ظنوا بأنهم
أقوى منه !!

لتدرك بأن ذلك الرجل الذي استقوى عليها ذات يوم..يرقد اليوم بلا حيلة و لا قوة.. خيط
واحد..خطوة واحدة هي ما تفصله عن الموت !!!

و ربما الدعوات قد تفيد كما قال الطبيب..و رغم ذلك فمع الأسف لا أرى لدعوات أمي و أبي
أيّ سبيل لوصولها عنان السماء..حتى تفيد كما يتوسّمان !!!
كان أبي لا يزال يمتلكُ بعض القوة التي سمحت له بملاحقة سريريه بلهفة..على عكس أمي التي
كانت خائرة القوى..متهدلة الكتفين..

و رغم ذلك فقد سمعتُ صوتها اللاهث الذي ارتفع ينادي بضعفٍ..و كأنها تود أن تصرخ لكن
حباليها الصوتية تخونها للأسف متحاملة عليها هي الأخرى..
_شهاب... !!!!

كادت أن تخطو نحوه إلا أنها ترنحت في مكانها بشكل جعلني أقترّب منها مسرعًا لأطوقها بين
ذراعي مساندًا..

و بقيتُ أحاطُ كتفها بينما عيناها اللتان تجمدتا على نفسِ الإتساع تر اقبان سرير شهاب
حتى ابتعد..و رغم ذلك فقد ظلت تحديق في نفسِ المكان و كأن العالم توقف بالنسبة لها عند تلك
اللحظة..

لولا أن لفت انتباهنا صوت انفتاح الغرفة الملاصقة لغرفة شهاب حيث تقف تلك المرأة
المسكينة..تلك التي اقتربت بترنج تنتظر خبرًا بائسًا يطمئنها عن الشابة التي تعرضت لنفسِ ما تعرض
له شهاب !!

إلا أن الطبيب لمس كتفها بنفسِ الطريقة..و كأنها حركة معتمدة بينهم في مواساة أقرباء
المرضى !..و قال لها بخفوتٍ و نبرة اعتذار خالصة ؛

_البقاء لله..

ثم سحب يده و غادر تاركًا إياها تنظر أمامها بعينين متجمدتين بلا تعابير..و استمر ذلك

الوضع للحظة واحدة..

قبل أن تنهار ساقطة على ركبتيها..ليرتفع صوت هتافها و نحيبها المفزع مخترقًا هدوء المكان..و

مدمرًا كل ذرة أمل ضئيلة جدًا كانت في قلب...أمي !!

شعرتُ بها ترتجف أكثر..جسدها ينتفض بقوة و كأنها تشارك تلك المرأة حرارة الفقد..

فشددت من ضغط ذراعي حولها بدون أن أشعر..الأمس جبهتها المتعرقة بضي شاعرًا بطعم العلقم

المر في حنجرتي..

و كأن كل ما نعيشه هين..فقد تفاجئت بثلاثة رجال من عناصر الشرطة يقتربون منا..و على

ما يبدو ثلاثهم يعلمون بهوية عائلة الضحية الشهيرة..فلم يضطروا للسؤال و هم يتوقفون

أمامي..لهمس أحدهم ناظرًا لي بجدية ؛

_سيد لؤي..هل يمكنك أن تأتي معنا قليلًا..لديّ ما أقوله لك..

أومأت له ببطء و أنا أبتعد قليلًا عن أمي لأنظر لعينها بتعابيرها الميتة الضائعة.. بدون أن

أتركها فقد دفعتها برفق إلى أن جلست فوق أحد الكراسي فانصاعت بقوى خائفة..

لا تملكُ القوة و الجبروت لتسأل عن هوية الشخص الذي تجرأ و جنى على ابنها !!!

_أنا سأعود حاليًا..

همستُ أمام عينها فلم تجبني..بل ظلت أنظارها منصبة أمامها بنفس الطريقة و نفس الفراغ

الذي يرسل قشعريرة إلى النفس..خاصة لشخصٍ مثلي اعتادها في نسختها المعهودة القديمة..

قبل أن أقرب من عناصر الشرطة لأقف برفقتهم في مكان بعيد نسبيًا بحيث لا يخول لصوتنا

الوصول إلى أمي..و حينها قال نفس الرجل بنبرة جادة تحمل بعض الأسى ؛

_لقد أخذنا أقوال الجاني..يقول بأنه وجد السيد شهاب برفقة زوجته في حالة خيانة زوجية

متلبسة..و ذلك كان دافعه الوحيد الذي أدى إلى ارتكابه الجريمتين..إنه مستعد لنيل أيِّ عقاب

تصدره المحكمة في حقه..

حالة خيانة زوجية متلبسة !!! حسنًا..ماذا عساي أقول !!!! بقيت صامتًا متجمدًا أنظر في كل

مكان شاعرًا بالإرهاق الشديد يكتنف أطرافي..و كل ما استطعت أن أهمسه هو ؛

_م...من...من يكون !!!

ظهر الأسى بشكل أكثر وضوحًا على ملامح الضابط..و قال بهدوء ؛

_ضابط شرطة مخضرم..اسمه " علي الأحمدى "..و قد علمنا بأن زوجته كانت تشتغل

لحساب السيد شهاب..كمساعدة خاصة..

يا الله..متى يأتي هادي..عليّ أن أذهب من هنا..أريد العودة إلى سجي..لعلني أجد في عينيها

مستقري و ملاذي الأمن..

حتى و أنا لا أحيط علمًا بساعة استيقاظها..لكن الجلوس بجانبها لوحده..و التمسك بأناملها

هو أمان لا يوصف !

_كيف حال السيد شهاب الآن ؟!!

أجفلتُ فجأة على صوت نفس الرجل يسألني بجدية..رفعت كفاي باستسلام و أنا أهمس

باجهاد ؛

_إنه تحت العناية المركزة..لكن حالته مستعصية جدًا و لا أظن بأنه قد...ينجو !!

زَمّ الضابط فمه قليلاً في حركة فهمت بأنها تعبر عن مواساة ظاهرية..ثم عاد يسأل ببطء ؛

_و السيدة التي أتت معه ؟!!

" السيد " .. " السيدة " !!!

نظرة ساخرة مرت في عيناى بدون أن أظهرها فعلاً أمامهم..ثم أشرتُ إلى السيدة التي كانت لا

تزال جالسة مكانها فوق الأرض..مجهدة تبكي بحرقة..

و قد كان منظرها ذاك و نظرتي اليائسة أكثر من كافية لتمنح الجواب للضابط الذي حرك

رأسه بالإيجاب عدة مراتٍ على شيءٍ مهم..

قبل أن أسمع صوتها المرتفع بينما تهتف متوسلة لإحدى الممرضات التي خرجت من غرفة

ابنتها للتو ؛

_هل يمكنني أن أراها !! دعيني أرى ابنتي لآخر مرة أتوسل إليك..

أومأت لها تلك الممرضة بإشفاق..فوققت بلهفة لتفتح باب الغرفة و تدخل بسرعة بهدف

رؤيتها لآخر مرة...و كأن ذلك قد يفيد !!!

ما أعلمه حقيقة بأن أمي لن ترغب برؤية شهاب لآخر مرة..لن تستطيع أن تجلس بجانبه و

تتطلع بملامحه مع شعور بأنها عاجزة لأول مرة عن إنقاذ ابنها..

عاجزة عن مجابهة الموت الذي ربما لم يطرأ في ذهنها المشغول بأشياء مختلفة لأكثر من مرة أو

مرتين خلال حياتها الزهيدة..

هي فقط ستجلس مكانها صامتة..ر افضة أن تتقبل حكم القدر الذي لا يخضع لسلطتها..
كحالتها الآن !!

و هي لا تزال متجمدة مكانها..و كأنها تنتظر أن تصلها البشرية في أي لحظة بأنه استفاق..أو
رحل...لترحل روحها معه !!

دقيقة..اثنتان..عدة منها و كنت ألمح هادي أخيراً..لم يكن بمفرده..كانت معه شهد الصغيرة
التي بدت شاحبة بشدة و كأن من يرقد خلف النافذة الزجاجية الو اقف أنا أمامها قريبها هي..لا
نحن...رغم أنها لم تتعرف إليه قبلاً حتى..

هادي أيضاً بدا مثلي..صامتاً..هادئاً..مستسلماً للأمر الو اقع..و كأنه و اقع في معضلة تحليل
مشاعره نحو...أخيها !!

رأيته و هو يقترب متمسكاً بيد شهد..إلى أن جعلها تجلس في أحد الكراسي هناك..بعيدة عن
أمي و أبي الجالسين باستسلام..لقد انقلب المثل بالفعل..هذا هو الهدوء الذي يلي العاصفة...لا
يسبقها !!

همس لها بشيء ما لم أسمعه قبل أن يرفع أنظاره لي..و أشار لي بذقنه على غرفة شهاب في
حركة ذات مغزى..و قد كان جوابي هو هزة بالنفي من رأسي أعلمته بها بأنه لا جديد سوى الإنتظار..
انتقلت أنظاره فوراً بعدها لأبي..ثم أمي..و ظل و اقفاً مكانه لعدة لحظات محتاراً في
الاقتراب..قبل أن يجر قدميه مرغماً إياهما على التحرك..

إلى أن جلس بجانب أمي..تلك التي ما إن شعرت باقترابه حتى دبّت فيها بعض المشاعر جعلت
من عينيها تذرّفان الدموع مجدداً بدون تعابير..بعد وقت طويل اكتنفت فيه الصمت الشاحب..
و حينها..لم يجد هادي بداً من أن يحاوطها بذراعيه..و قال بينما يهددها برفق ؛
_هشششش..لا بأس لا بأس..كل شيء سيكون بخير..اهدئي...

رفع أنظاره لي فجأة ليسألني بدون أن تتوقف يداه عن التريبت على كتفيها و ظهرها ؛
_أين سجي ؟!!

عجباً..و أخيراً أحد من أفراد عائلة سجي...يسأل عنها !!
شحبت أنظاري قليلاً..و لم أستطع أن أخلق كذبة أكثر إقناعاً..فقلتُ و أنا ألتفت إليه
بكليتي ؛

_سجي..سجي راقدة بأحد الغرف هنا في المشفى..لقد تعرضت لتسمم غذائي يوم أمس و
أحضرتها بسرعة..لأعلم بأمر شهاب الصادم...

لم تكن هناك أي ردة فعل واضحة من أبي الذي استمر ينظر للأرض مستندًا بمرفقيه إلى
ركبتيه بلا حياة..و لا من أمي التي بدت وكأنها لم تسمع ما قلته أساسًا و قد عادت حالة التجمد
لتتلبسها من جديد..

الحقيقة أنني عذرتها هذه المرة..إنها أم في النهاية..و طبيعة الأم..أن تؤثر أبنائها على حساب
الجميع..بدون استثناء !

شخصان فقط أبديا ردة فعل طبيعية..كانت شهد التي رفعت رأسها بسرعة ناظرة لي بقلق..و
هادي الذي قال بسرعة :

_و كيف هي الآن ؟!! يجب أن أذهب لرؤيتها..

كانت تلك فرصتي للذهاب إليها..فقلتُ بخفوتٍ مهدئًا :

_لا عليك..إنها بخير الآن..تحتاج فقط لبعض الراحة كما قال الطبيب..

صمتُ للحظة ثم عدتُ أهمس بهدوء :

_أنت ابقى هنا و أنا سأذهب إليها..و عندما تستيقظ سأعلمك فورًا..

_هل يمكنني أن أذهب معك لرؤيتها ؟!!

كان ذلك صوت شهد التي سألت بقلق..فنقلتُ عيناى منها لهادي الذي أومأ لي بالإيجاب..ثم

تهدت بقوة و أنا أهمس باستسلام :

_تعالى..

وقفت بسرعة لتقترب مني..إلى أن توقفت بجانبى..لكنها لم تتحرك فورًا..بل نظرت لهادي نظرة

استئذان..أساسًا هي تستأذنه في كل شيء تلك الصغيرة التي تحمل بين أحشائها جنين أخي..فمنحها

ابتسامة لم تصل إلى شفتيه كانت بمثابة موافقة..

ما إن توقفتُ أمام غرفة سجي حتى تسمرت للحظة واحدة..أذكر نفسي بأن تلك القابعة

هناك لم تنجو من حالة تسمم غذائي بسيط...بل من محاولة انتحار !!!

قبل أن أمسك بالمقود لأدفع الباب و أدخل تر افقني شهد التي امتلأت عيناها بالحزن و هي

تقابل ملامح سجي الشاحبة..قبل أن تنظر لي هامسة بخفوتٍ :

_متى...ستستيقظ ؟!!!

أرغمتُ نفسي بالقوة على أن أبعد عيناى عن وجه حبيبتي التي بدت ضعيفة جدًا في رداء

المشفى الأزرق..ضئيلة و هي مستلقية فوق السرير الطبي..مغمضة عينيها بينما الأجهزة تحيط بها من

كل مكان..

زيفتُ ابتسامة لم تبدو مقنعة أبدًا و أنا أجيب سؤال شهد بهدوء ؛

_قريبًا..قريبًا جدًا..

ثم تنهدتُ بقوة و قلت بنفسي نبرتي ؛

_دعينا نذهب لننتفد حالة شهاب ريثما تستيقظ..

بدت و كأنها رافضة للفكرة في الوهلة الأولى..و علمتُ بأنها لا تحبذ التواجد بين أفراد عائلتي و

أعذرها..إلا أنها رغم ذلك..هزت رأسها بطاعة..قبل أن نخرج و نغلق الباب بهدوء..

مرّ الوقت بعدها بطيئًا..رتيبًا..أخبرنا الطبيب بأن الساعات القادمة هي ما ستحدّد وضع

شهاب..كان التوتر ينتشر بطاقاته السلبية بين الجميع..بينما كنت أنا أنتقل بين الحين و الآخر من

غرفة شهاب إلى غرفة سجي لأرى إن كانت قد استيقظت أو لا..

جميعنا جلسنا في مقاعد متقاربة..و بعد ساعاتٍ كانت أمي تريح رأسها الذي لم يعد جسدها

يستطيع حمله فوق صدري أنا..

بينما هادي يجلس برفقة شهد الذي كانت تقوم بنفس الحركة..تتشبت ب صدره حيث يرتاح

رأسها بينما أصابعه تمشط خصلات شعرها بشرود..و قد بدا الإثنين مرهقان أكثر من بعضهما

البعض..

أما أبي..فقد كان لا يزال مكانه..يجلس وحيدًا..بعد أن لم يلقي على مسامعه أيّ واحد منا

كلمة حتى !!

كنتُ أدركُ في أعماقي بأن انتظارنا ما هو إلّا مضيعة وقت..فقد حانت ساعته و لا مفر

منها..لكنني رغم ذلك بقيت متشبثًا باحتمال ضئيل..أحاول أن أجسد دور الأخ القلق رغم كل ألم

كابده بسبب أخيه..

و قد كنتُ محقًا..لقد كنت محقًا تمامًا !!

فجأة..انتفض جميعنا على منظر جسد شهاب الذي كان قد بدأ يرتج بدون حتى أن يفتح

عينيه..بينما ذلك الجهاز المثبت بجسده يصدر أصواتًا مزعجة و تلك الخطوط غير مستقيمة

تتحركُ بسرعة شديدة جعلت من أحداقنا تتسع..

سمعتُ صوت أبي يهتف يجزع و هو يقف من مكانه مترنحًا ؛

_ما الذي يحدث ؟!! أين هو الدكتور !!!!!!!

لم يكد يتم صرخته حتى رأيتُ الدكتور يقترب بسرعة من الغرفة ليقتحمها بقوة تتبعه

ممرضتان..فتركتُ أمي التي وقفت بدورها لتقترب من الجدار الزجاجي حيث وقفت خلفه مثلي..

أرى الدكتور يتحرك بتوتر..يمسكُ بجهاز الصدمات الكهربائية بأنامل ترتعد..يثبته فوق صدر شهاب..يضغط بقوة كبيرة تجعل جسده يرتج أكثر وأكثر..لعدة مراتٍ متتالية بينما صوته يهتف بالممرضتين بكلماتٍ لم أهتم بسماعها أو فهمها..

ملاحمه تتعقد و العرق الغزير يسيل من جبهته..ثم فجأة يتوقف عن الضغط و يخفض رأسه مستسلمًا..وقد كان سبب استسلامه معلومًا..تلك الخطوط التي استقامت أخيرًا رافضة أن تنعطف مجددًا !!!

قبل أن يضع الجهاز في أيد الممرضة التي فصلته عن الكهرباء بحركة بسيطة..و يمد يديه ليبعد كل جهاز يلتصق بجسده الذي...أعلن عن استسلامه !!

لكن أكثر حركة مخيفة فعلها..كانت حينما أمسك بطرف الغطاء الأبيض ليرفعه فوق وجهه مسدلًا الستار عن هذه المسرحية الهزلية التي كنا نحن الجمهور فيها..تلك الحركة كانت كفيلة بأن توقظ أُمي من سباتها الطويل..فوجدتها تهتف فجأة بجنون ؛

_ماذا ؟!! ما الذي يحدث..ما الذي يفعله هذا المجنون هل ترى !!! إنه يسدل الغطاء فوق وجه ابني..ما معنى ذلك تبًا !! أوقفه..أوقفه حالًا..أنا أمرك أن توقفه في الحال هل تسمعي..هل تسمعوني !! أوقفوه..رجاءً أوقفوه..لقد أزال الأجهزة..لقد أزالها..كيف سيتنفس ابني الآن ؟!! كيف سيتنفس شهاب !!! لقد ترك ابني للموت..تركه للموت.....

كانت تهتف بدون توقف..هتافها يبدو كهذيان غير محسوب..وقد شعرتُ بالوجل فجأة من أن تكون قد فقدت عقلها..ونظرت لأبي الذي بدا مثلها..فاقدًا لعقله لكن بطريقة مختلفة..

فقد كان مطرق الرأس يستند إلى الجدار الزجاجي بيديه..يلهث بشكل واضح..مشعث الشعر و الملابس لأول مرة بهذا الشكل..بينما قبضته تتشنج و تتشنج فوق الزجاج..

لم أستطع أن أصمد أمام هذيان أُمي الذي لم يتوقف..فاحتضنتها بقوة مخفيًا رأسها بين ثنايا صدري حتى لا أسمع لها بالنظر إلى نفس النقطة أكثر..إلا أن هذيانها لم يتوقف رغم ذلك..

و بعد لحظاتٍ قليلة جدًا..شعرتُ بجسدها يخور أكثر بين ذراعاي..فأطبقت جفوني بشدة و أنا أهمس لهادي الذي كانت ملاحمه لا تنم عن أيّ تعابير واضحة باستثناء الصدمة الشديدة ؛

_إنها تفقد الوعي..ساعدني لندعها تجلس..

لم أكد أتم أمري ذاك..حتى رأيتُ الممرضة المسؤولة عن سجي تقترب مني مهرولة..لتهتف بنبرة مرتفعة اخترقت كل حواسي..نبرة لن أنساها مطلقًا ما حييت..

_سيد لؤي..لقد استيقظت زوجتك للتو و طلبت رؤيتك !

غامت عيناى و كأننى أنا من على وشك السقوط و أنا أتحرك مع هادى لأحفز أمى على
الجلوس برفق فوق أحد الكراسى بينما شهد ذات الملامح الشاحبة الجزعة تكلفت بمهمة مناداة
الطبيب...مجددًا !

أبهذه البساطة ؟!! مات شهاب و استيقظت سحى !! عادت سحى و غادر شهاب للأبد..حياة
حبيبتي مقابل موته...

و قد أعلن القدر عن طرفه و اختار لأول مرة...حبيبتي !!!!

" 44 ؛ تفتت قلب "

#الكاتبة

لأول مرة...تخرج الأمور عن سيطرة "أكرم الشاذلي" و "عفاف الشاذلي"..لأول مرة يقف هذان الإثنان عاجزان حتى عن ضبط مشاعرهما !!

لأول مرة...ينجح العالم في تسليط ضوئه الساطع على هذه العائلة التي عاشت بسمعة طيبة لعمر طويل..صورة مثالية تحجب خلفها أسراراً دنيئة ارتكبتها أفرادها..

لأول مرة...يقف أفراد عائلة الشاذلي في الخانة الأضعف..بينما الصحافة و الإعلام تستقطب كل الأنظار و السلطة..

لأول مرة...يجد نفسه محاصراً بهذا الشكل في أمر لا يخصه..مُطالب بالدفاع عن أخ لم يحمل له في قلبه يوماً إلا الكره..

و يجد نفسه مجبراً على الصمت..أو الإدلاء بتفاهاتٍ لن تغير من حقيقة هذه "الفضيحة" شيئاً !!

لم يصدق عينيه و هو ينظر إلى الأعداد الهائلة من الصحفيين الذين كانوا يقفون جميعهم أمام باب المشفى الرئيسي..يتصارعون للدخول بينما الحراس يقفون لهم بالمرصاد..فالموضوع ها هنا لا يخصّ عائلة بسيطة..بل عائلة الشاذلي الشهيرة !!

كان وجهه شاحباً بشكل غريب..و استطاعت شهد -التي جعلها الخوف من الأنظار و عدد الكاميرات المصوبة عليهما تلتصق به..تنشب أظافرها في لحم ذراعه و كأنها تحاول أن تستمد منه كل الحماية حتى بدون أن تطلب-..أن تقرأ الضياع القاتل في عينيه !!

هذا المنظر..بدا له مألوفاً..ذكره بمنظر مشابه..بجريمة حدثت قبل ما يقارب الأربع سنوات.. لكنه آنذاك لم يقف وحده أمام هذا الكم..آنذاك..تسمر بعد خروجه من المحكمة حيث أدلى بشهادة لن تزيد أو تنقص شيئاً في هذه القضية المعقدة..

و كان بجانبه..كل من لؤي و سجي..و الإثنان الآخران مثله لم تساهم شهادتهما -الصادقة- تماماً في تغيير مسار هذه القضية المتوقع..

كاليوم...كانت أنظاره حادة يومها و هو يتخطى الصحافة بقلة ذوق بدون أن يمنحهم كلمة واحدة ترضي فضولهم القاتل..و لؤي و سجي خلفه لا يصدر منهما إلّا اعتذارات متتالية تفيد بأنهما لا يمتلكان ما يقولانه..

لكن الأكثر وقاحة..كان أخاه شهاب..ذلك الذي خرج متباهياً بعد أن حكمت المحكمة بالإفراج عنه حتى موعد المرافعة القادمة..
إنها شيمة أولاد الأكابر..أن تتم محاكمتهم بينما يجولون و يستمتعون في الخارج بكل حرية..مع الحرص على حضور كل محاكمة..

و كأنها مجرد زيارة لا تتطلب منهم سوى ارتداء بدلة أنيقة..و انتظار سماع الحكم الأخير..المتوقع طبعاً..قبل أن تستعيد حياتهم رونقها المعتاد و كأن شيئاً لم يكن !!
كان وقحاً في نظراته..المكر الخبيث يتطاير من عينيه..لكن لا أحد يلمحه...
سوى الأقرب إليه !!

لقد لمحوا تلك النظرة..ثلاثتهم..نظرة ظفر كبير و سعادة مثالية و كأنه لا يأبه..نظرة مستترة غلفها بملامح رصينة بريئة بينما يصرح ببرائته للمرة الألف أمام الصحافة..قائلاً بكل صفاقة أخلاق و قسوة قلب..

" كل ما أستطيع أن أؤكداه الآن هو أنني بريء تماماً من كل تهمة قدرة تم نسبها لي..تلك الفتاة ما هي إلّا خادمة صغيرة في منزلنا لطالما اعتبرتها كأختٍ لي..لكنها برهنت لي أن هذه الحياة لا تستحق من الإنسان أن يكون كريماً مع أيّ شخص كان..حتى و لو كانت مجرد فتاة مراهقة صغيرة نفذت مخطّطها بمساعدة عقل أمها العبقري..لكنها و مع أول بادرة رفض مني..أنظروا ماذا كان العقاب !"
لم يكلف نفسه عناء الوقوف أكثر..رفع نظراته الشمسية إلى عينيه بينما يتجاوزهم بثقة لا مثيل لها ليصعد بسيارته الفاخرة..

و خلفه تماماً زوجين من العيون الأكثر وقاحة و تجبراً منه..زوجين من العيون هما مصدر كل تفاخره و تكبره و ثقته...أمه...و أبيه !!!

هذان الإثنان..اللذان تجاوزا الصحافة بمساعدة حارسين شخصيين مثال في القوة..
كبرياءهما يكاد أن يلامس عنان السماء..
و ملامحهما تحمل إصراراً مخيفاً على التدمير..تدمير كل من خولت لهم أنفسهم المطالبة بأخذ القصاص عن كل ظلم تعرضوا له من طرفهم !!

و المطلوب منهم حرفيًا..أن يتعرضوا للأذى..و يتقبلوه بصمتٍ..لأنهم في اللحظة التي

سيحاولون فيها التحدي..سيسقطون ضحية لألم جديد..

و أذى و ظلم أكبر بكثير من الذي قبله !!!

لم يرَ أحد تلك النظرة التي لامست عينيه يومها بينما يقف بجانب سيارته يهم بفتحها..نظرة
اشمئزاز كبير..نظرة كره و خزي لحسن الحظ لم تلتقطها أعين العدسات المسلطة عليهم جميعاً بدون
استثناء..

فقد قام بتحريك سيارته لينطلق مصدراً صريراً مرتفعاً مبتعداً عن هذا المكان الممتلئ

بالقذارة..قذارة لشدة سوادها تكاد أن تطبق على أنفاسه و تمنعه عن التقاطها..

اليوم أيضاً..لم يكلف نفسه عناء قول كلمة واحدة..كل ما فعله أن رفع يده ليحجب وجهه و
وجه شهد عن العدسات المسلطة عليهما..بينما يحتضنها بقوة و هو يستشعر رجفة جسدها بوضوح..
إلى أن تمكن من الوصول إلى سيارته بعناء ليفتح الباب و يدخل شهد بسرعة ثم يدور حولها
إلى أن استقر في مكانه..

لكنه ما كاد أن يبدأ في تشغيل سيارته عازماً على الإبتعاد بحبيبته عن هنا..حتى تسمر للحظة
و أذناه تلتقطان سؤالاً واحداً من بين الأسئلة الكثيرة المتداخلة في بعضها..

" لماذا كل هذا التهرب سيد هادي؟! هل ما تداولته الأخبار كان صحيحاً؟! "

" لقد سمعنا بأن السيد شهاب تم ضبطه في حالة خيانة متلبسة مع موظفة تعمل لديه... "

" هل صحيح بأن المتهم هو عنصر من الشرطة..هل هذا صحيح حقاً؟! "

كل تلك الأسئلة لم تهمة..لم تشكل فارقاً أمام أكثر سؤال وقح و مستفز سمعه في حياته..

" هل يمكنك أن تخبرنا على الأقل من تكون تلك الفتاة المراهقة معك؟! الإعلام ليس لديه أي

معلومة تفيد بأنك متزوج!! فهل يمكن أن تتكرر المأساة القديمة مجدداً مع الإبن الأصغر لعائلة

الشاذلي..أم ربما تكون مجرد نزوة عابرة..أخبرنا أرجوك سيدي... "

اشتعلت عيناه بنيران متقدة..و اعتصر المقود للحظة بين يديه و ذلك السؤال الأخير يخرق

عقله بسرعة البرق..

و لم يشعر بنفسه إلا و هو يلتفت كالقذيفة لينظر في وجه ذلك الصحفي الذي كان يقف

ملتصقاً بسيارته ينتظر بترقب سماع الجواب بعد أسئلته الوقحة التي نجحت في جذب انتباه الإبن

الأصغر لعائلة الشاذلي..

لكنه لم يتوقع أن تكون ردة فعل هذا "الإبن الأصغر" شرسة إلى حد صادم..إلا حينما رفع يده في لمح البصر ليقبض على مقدمة قميصه جاذبًا إياه إليه في مكانه إلى أن كاد رأسه أن يرتطم بطرف النافذة المفتوحة نسبيًا..

ثم قال مشددًا على كل كلمة بغضب شديد مخيف من بين أسنانه..أمام عيني شهد اللتين اتسعتا رعبًا..

إليك معلومة جديدة قد تلهيك عن فضيحة الأخ الأكبر..تلك "المراهقة" بجاني تكون زوجتي أيها النذل صاحب الأسئلة الغبية التي لا تمثل وظيفتك بأي شكل..احرص على أن تكتبها في مقال كبير لصالح جريدتك الغبية لأنك قريبًا جدًا ستفقد الحق في إمساك هذا المكبر في يدك و إلقاء الأسئلة المعتومة كعقلك...

كان ضغط يده يشتد عنفًا مع كل كلمة جديدة يقولها..بينما الشاب المسكين ينظر له متسع العينين غير مصدق لما يعيشه..إلى أن دفعه بإهمال في حركة كادت أن تسقطه أرضًا لولا أن اصطدم ببعض زملائه المتمركزين خلفه..

بينما شهقت شهد بصوت مكتوم و هي ترفع يدها إلى فمها..تنظر إلى جانب وجه هادي المتصلب بشكل مخيف..قبل أن تنطلق السيارة مصدرة صريرًا مرتفعًا جعلها تنتفض في مكانها..

توقف أمام غرفتها منهك القوى..متهدل الكتفين..وجهه شاحب بشدة رغم بصيص الأمل الضئيل الذي يحتل عينيه..

لم يستطع أن يفتح الباب فورًا..كان العجز يكبل أطرافه..العجز عن فهم الواقع الذي أصبح يحيا في خضمه..

العجز عن رسم شبح ابتسامة يقابلها بها..العجز عن ابتكار كلمة واحدة مناسبة لهذا الوضع ليلقيها على مسامعها..أو حتى عن قمع رغبة داخلية في لومها على ما اقترفت في حق نفسها و حقه !!
العجز عن منحها العذر..و عن عدم منحها العذر !!

كل ما يريده..يتمناه..أن يحتضنها بين ذراعيه بقوة..أن يحتويها أو العكس تمامًا.. يتمنى أن يجد هو بعض الأمان في حضنها !!!!

زفر نفسًا طويلًا محملاً بانفعالاتٍ تكاد أن ترديه ضحية الضعف..قبل أن يشدد من ضغط أنامله على المقبض إلى أن أداره ببطءٍ و دفع الباب يفتحه بهدوء خادع ..

لكنه ما كاد أن يخطو خطواته الأولى نحو الداخل..حتى كان يتسمر و هو يراها تلتفت بسرعة
شبه منتفضة على صوت انفتاح الباب..

التفت عيناه بعينيهما في تواصل بدا غريبًا جدًا..ربما كانت أغرب نظرة يتلقاها منها تلك الفارغة
التي رمقته بها..قبل أن تعود لتبعد أنظارها عنه محدقة في السراب المتمثل في النافذة الزجاجية
العريضة المقابلة لها..

أخذ لؤي نفسًا عميقًا قبل أن يتقدم نحو الداخل مغلقًا الباب خلفه بهدوء..ثم اقترب عدة
خطواتٍ أخرى منها إلى أن وقف بجانبها..

تكاد ركبتاه أن تلامسان طرف السرير حيث ترقد حبيبته..هادئة..مستسلمة..ضعيفة..ميتة
المشاعر رغم خفقات قلبها التي لا تزال تشتغل بطريقة تثير العجب..

أحيانًا...كان يشعر بالفعل بأنه يشارك نفس السقف مع فتاة متوفية..و ربما روحها المتضررة
من قسوة العالم هي من تسير بين الأروقة باحثة عن السلام المنعدم !!

لكنه يطرد شعوره هذا و يخفّف من وطأة الخوف الذي يستحوذ على قلبه بتأملها.. يتأملها
باحثًا عن أطياف من روح سجي القديمة..أحيانًا يجدها...و أحيانًا لا تلقى محاولاته سوى الفشل

الذريع !!

الفشل الذريع !!!

هذه الكلمة التي لم يتذوق طعمها المؤلم حقيقة إلا بعد أن كاد يخسرها..بعد أن...عجز عن
حمايتها!

إذا صح التعبير..فهو في كل مرة كان يعجز عن حمايتها..كان لا يشعر سوى بالنبذ نحو

نفسه..و الفشل الذريع يستولي على قلبه و كل كيانه !!!

ظل و اقفًا مكانه لعدة لحظاتٍ بصمتٍ تام..ربما ينتظرها بأمل لا جدوى منه أن تقطع

الصّمت !!

إلى أن قال بصوتٍ خافتٍ..يخاطبها بدون أن يتمكن من النظر لها..فهي لم تكلف نفسها أبدًا

تعب منحه نظرة أخرى بعد نظرتها الغريبة الأولى..

_كيف تشعرين الآن ؟!!

هل كان هذا هو السؤال المناسب لمثل هذا الوضع ؟! تبًا له هل هذا ما استطاع قوله بعد كل

التردد و الحيرة التي انتابته عن كيفية مواجهتها !!!!

قابله صمت تام..و هذه المرة..طال الصمت أكثر ممّا يستطيع تحمله..ففتح فمه يحاول أن يستجمع بعض الحروف الأخرى في جملة ربما تكون أفضل من التي سبقت..لولا أنها اختارت تلك اللحظة بالذات لتلتفت إليه..

ابتلع ريقه ببطءٍ للمرة الثانية و هو ينظر إلى ملامحها و عينيها الزائغتين بتعب شديد..و فراغ شديد..لكن ما جعل الخوف يتسلل إلى قلبه بالفعل..هو ذلك الإرتفاع البسيط الذي رآه يرتسم بشكل شبه مرئي على جانب شفيتها !!

ما كل تلك السخرية في عينيها ؟! هل تلك ابتسامة حقًا ؟! لا...إنه مجرد طيف ابتسامة غير مكتمل..طيف ابتسامة لم تحمل سوى..السخرية !! سخرية مظلمة مؤلمة !!!
همست تجيب سؤاله الأول بنبرة ميتة بدّت أغرب من نظراتها إليه و من طيف ابتسامتها غير المكتمل ؛

_كيف أشعر ؟!! دعني أخبرك بما أشعر فعلاً !!
شعر لؤي بالدموع تلسع عينيه قبل حتى أن تتم كلامها الغريب..و ارتعشت جوارحه و هو يرى كل ذلك البرود الذي احتل عينيها..برود شديد يمتزج بقهر شديد..و ألم أشد احتل صوتها الهامس بنبرة تنزف ألماً باردًا ؛

_الظلم..القهر..الإمتهان..العجز.....النبذ !!
رمقت النافذة المغلقة بنظرة طويلة بعض الشيء..قبل أن تعود لتهمس بصوتها الخافت المجهد..بنفس النبرة الميتة..لكنها تحمل انفعالاً شديداً مكتومًا..تحمل رغبة قوية في الصراخ و التكسير و الموت ربما !!

_حتى الموت الرحيم الذي يعتق قلوب أشد الناس قساوة...نبذني !!
التفتت ببطءٍ لتمنحه عينيها مجددًا..تمنحه نظراتها غير المتوازنة..الميتة..التي توحى لكل من يراها بأنها مغيبة عن هذا العالم..

لكن هذه المرة..كان هناك شيء مختلف..كانت هناك..طبقة دموع محتجزة بجوفهما..تلك الطبقة المحتجزة قسرًا هناك..هي من جعلت ذلك الإحمرار الخفيف يطوق عينيها..يخبره بأنها تحتاج إليه..لكنها تعجز عن التعبير عن احتياجها...كما العادة !!!

قالت و هي تمز رأسها بالنفي بشكل غير مرئي..بدون أن يرتفع صوتها أبدًا أو يلامسه انفعال حقيقي..كل ما كان يتخلله..هو شعور...اللوم !! لقد كانت تلومه على شيء لم يفهمه..أو ربما هو أكثر من يستطيع الفهم !!!

_ لا الموت يريدني..و لا الحياة تريدني..السعادة لم تعد تليق بي..و الألم أصبح أشد و أقسى من

أن أستطيع التعايش معه بعد...فأين أذهب ؟!!!

و أخيراً لمح ردة فعل ملموسة في صوتها الذي تهدج في آخر سؤال..و تهدج أكثر و هي

تستأنف..تسأله بقهر حقيقي بينما طبقة الدموع الماسية..تزداد كثافة و كثافة..

_ أين أذهب بهذا الظلام الذي يقطن بي يا لؤي ؟! أيّ مكان قد يتسع لي بعد الآن ؟!!!

شعر بقلبه يتمزق..و كأنما تم وصل جسده بسلكٍ كهربائي لا يرسل إليه إلا ترددات الألم التي

تجعل كل خلية به تنن و ترتعد..

و حينما ساد الصمت مجدداً..وجد نفسه يهمس بتهديج مثلها..يقول بصدق بينما يقترب

خطوة غير ملحوظة ؛

_ حضني !!! حضني هو أكبر مكان يتسع لك في هذا العالم..لك فقط !!!

لقد ظن بحماقة بأن هذا الإعراف قد يكون نصف كافياً على الأقل كإجابة لسؤالها.. ظن بأنه

ربما قد يلح بعض المشاعر المألوفة في عينيها..كأن تطلب منه أن يحتضنها !!

أن يمنحها هذا الحضن الذي أخبرها بأنه يتسع لها فقط..و لكل آلامها و تعقيداتها !!

لكن كل ما قدمته له..نظرة أشد سخرية..و أشد بروداً..و أشد ألماً و ضياعاً و وحدة..ثم صمت

كئيب..قبل أن تعود لتهز رأسها و كأنها تنفي شيئاً مجهولاً..متجاهلة جوابه و كأنها لم تسمعه..

_ هل أخبرتك من قبل بأنني لم أستحق هذه الحياة ؟!!! لم أخبرك..صحيح !!!

صمتت للحظة سامحة أخيراً لبعض من دموعها بالإنسياب بحرية..ثم همست بقسوة و هي

تنظر إلى عينيهِ..بصوتٍ مشدّد بقوة و كأنها تعاقبه على ذنب لا يعرفه..

ذنب لم يرتكبه هو..بل ارتكبته الحياة في حقها !!!

_ ها أنا ذا أخبرك إذاً!..أنا لم أستحق هذه الحياة يا لؤي..لم أستحق كل هذا الألم..كل هذا

الظلم..كل هذا العجز..كل هذا...الإمتهان !! لم أستحقه..أنا..أنا لم أؤذ أحداً في حياتي قط..لم أؤذي

أيّ أحد..لقد أحببت الجميع..لطالما أحببت الجميع..كل ما أردته..أن أكون ذكرى جميلة في قلب كل

شخصٍ يمر في حياتي و لو بالصدفة..ثم ماذا فعلت بي هذه الحياة ؟!.....انتهكتني !!!

أغمضت عينيها بقوة على دموع جديدة أخذت تتساقط بكثافة كأنهار جدول تتحرّر بعد أن

عانت جفافاً طويلاً..هل كان يشعر بالعجز قبل قليل ؟! بماذا قد يصف مشاعره الآن ؟!! بالعجز

الشديد ربما !!!

عجز لعين تملكه جعله يبقى مكانه متسمرًا.. يشاركها الدموع بدون أن يقترب.. لا يجرأ حتى
على مواساتها بكلمة..

ربما لأن عقله قد استوعب أخيرًا بأن قيمة الكلمات تتداعى تمامًا أمام ما أقف كهذه...

معضلات كهذه !!!!

سمعتها تستأنف من بين أسنانها.. بحقد شديد.. و ضعف شديد.. وأخيرًا تبوح له بالقليل من
مشاعرها التي ظن بأنها تجاوزتها ربما... و كم خاب ظنه !!!

_ لقد انتهكتني بكل قسوة.. فقط لأجل غلطة واحدة.. لا أستطيع أن أطلق عليها اسم غلطة
حتى !! فقط لأنني تجاهلت تهديد رجل لا أحبه.. واستهنت به.. فقط لأنني أردت اختيار مصير حياتي
التي لا يمتلكها أي أحد غيري بنفسه.. فقط لأنني... أحببت !! هل أصبح الوقوع في الحب ذنبًا يستوجب
العقاب !!

رفعت يدها المتصلة بأنبوب بلاستيكي طويل يمدّها بالطاقة الواهية لتمسح القليل فقط من
دموعها مفسحة المجال للكثير منها بالتحزّر.. ثم همست ترفع حاجبها بحيرة حقيقية ؛
_ أم ربما... كان الذنب ذنب خالتي.. ربما لو لم تصنع خيرًا بي و تحمّني بينكم.. لما حدث كل
هذا.. لما تعلق بي شها..... لما تعلق بي بطريقته السادية.. و لما اضطرت أنت لتحمل كل هذا الضياع
الذي أنشأته بك !!

قست عينها الباكيتان أكثر و هي تردف بصوتٍ لولا إرهاقها و ضعفها الجسدي الكبير.. لشق
جدران الغرفة المغلقة لشدة انفعاله المكتوم..

_ ليتها تخلت عني.. ليتها تركتني في واحدة من ديار الأيتام لأعيش بين أمثالي من اليتامى.. أولئك
الذين لا يمتلكون شخصًا واحدًا في هذه الحياة يدافع عنهم.. لكنهم في المقابل لا يمتلكون من يؤذيهم
أيضًا.. وحيدون تمامًا.. ليتها تركتني يا لؤي... ليتها تخلت عني !!!

تساقطت دموعه بحرارة شديدة و هو يقترب منها غير قادر على الوقوف مكانه أكثر.. ثم همس
بينما يجلس على طرف السرير.. يهتف بصوتٍ هامس حار بينما يلامس وجنتها.. يمسح العبرات
المتساقطة عبتًا..

_ لقد كان قدرًا محتمًا سحي.. لا يمكننا تغيير القدر حبيبي.. لا يمكننا تغيير القدر مهما
فعلنا.. اهدئي..

أجفل بقوة حينما ارتفعت يدها لتدفع يده مبعدة إياه عنها بعنف.. ثم هتفت بأنفاس متقطعة
على وشك فقدان وعيها و تعقلها ؛

_من سمح لك بتغييره إذا ؟!! من سمح لك بإقحام نفسك في حياتي المشوهة..في معضلاتي
التي نسجها القدر..من سمح لك بزرع الابتسامة الغبية فوق شفتاي..من سمح لك بمنحي الأمل
الأحمق..من سمح لك بمنحي وعود الحماية الكاذبة !! من سمح لك بالوقوف ضدّ قراراتي..من سمح
لك بإنقاذي..بل بقتلي..لقد كنت على وشك إنقاذ نفسي...كنت سأموت..كنت سأنقذ نفسي من هذه
الحياة المشوهة غير العادلة..كل شيء كان سينتهي تبّاً لك..تبّاً لك...!!!!
كان صوتها يرتفع أكثر مع كل كلمة تنطق بها باختناق..الألم الشديد أصبح لا يطاق و عيناها
جاحظتان و كأنها على وشك الموت..

بينما يداها لم تنفكا تصطدما بصدرة و هي تمنحه عدة لكمات لم تكن بالقوة الكافية
لصدّه..بل كان هو من استطاع صدها..
و بدون أن يشعر وجد نفسه يقبض على مرفقها بقوة ليقيد حركتها ملصقاً إياهما فوق
السريّر بجانب وجهها..ثم هتف هامساً و هو ينظر لعينها بعذاب ؛
_توقفي أرجوك..أرجوك..لقد كان هذا خطي أنا..لقد كنت أنا من أذنبت في حقك قبل
الجميع..لقد أذنبت في حقك حينما عجزت عن حمايتك..أنت محقة تماماً..اهدي..اهدي أرجوك..
كانت أنفاسها تخرج كنشيج ضعيف..تتسارع و تتسارع بشدة و هي تسمع تلك الكلمات التي لم
تؤثر بأيّ شكل في ملامحها أو مشاعرها..
إلى أن هتفت بعد لحظة واحدة من صمته..هتفت من بين دموعها بصوتها الميت المختنق بينما
تحاول تحرير يديها عبثاً ؛

_ابتعد عني..لا تلمسني بعد الآن..لا تلمسني..ابتعدوا عني جميعاً..لا تلمسوني بعد
الآن..توقفوا عن لمسي بالله عليكم..توقفوا عن أذيتي..توقفوا..توقفوا.....
بدت له كشخص يهذي و هي تهمس كل كلمة على حدا بصوتها الذي لم يلبث أن صار أضعف
و أضعف..فما كان منه إلّا أن حرّرها مرغماً بتردد و عيناه عليها لا تفارقان عينها بألم..
ظل يراقبها بينما هي تنظر للسقف بعينها المتسعيتين بفراغ..لا تزال الدموع الصامتة تنساب
بهدوء..بصمت..إلى أن عادت تهمس بنفس النبرة..

و لأول مرة تبدو له كإنسانة ليست سوية على الإطلاق !!!
إنسانة ربما كل ما كانت تحتاج إليه..أن يتم عرضها على طبيب نفسي حقيقي منذ البداية..لا
أن يحتل هو هذا الدور الذي ظن بأنه جدير به..لكن كل ظنونه تبخرت و هو يسمعها تسترسل
بعذاب...لا تكتفي من تعذيب نفسها أو تعذيبه !!!

_اليوم...خفت من الدكتور و هو يفحصني..كنت أرى ابتسامته اللطيفة و كأنها ابتسامة وحش متربص بي..كل لمسة بريئة كانت غاية في القذارة بالنسبة لي..كل ايماءة..بدت لي و كأنها تمهيد لكل سوء قد يحدث لي..

صمتت قليلاً..ثم نظرت له مبتسمة ابتسامة غير طبيعية..ابتسامة تحمل الإعتذار في أعماقها..ثم همست بإنهاك و هي تلامس طرف جبهتها بأصابعها النحيلة المرتجفة ؛
_لقد ضاع كل تعبك معي هباءً يا لؤي..كل الابتسامات..كل اللحظات التي ظننت فيها بأنني تجاوزت..نسيت..كانت عبثاً..و الحقيقة أنني لم أنسى..كيف يمكنني أن أنسى ؟!
أخفضت يدها مسترسلة بنفس نبرتها..بعينين متسعيتين جذلاً و قد استنزفت الانفعالات السابقة كل طاقتها..

_هل ينسى الإنسان لحظات احتضاره الأخيرة ؟!! هل ينسى ؟!!!
أطرق لؤي برأسه مطبقاً جفنيه بقلب منشطر..متمزق..يدعو من كل قلبه أن تصمت فقط..لعلها تؤجل كل تلك الكلمات المكتومة في قلبها الى وقت لاحق لا يكون فيه ضعيفاً بهذا الشكل..
لكنها رفضت أن ترحمه..و بدلاً عن الصمت..سمعتها تهمس مستأنفة بنبرة إقرار..مسلمة بالواقع المرير و مستسلمة له ؛

_كان علينا أن ندرك منذ البداية بأن الحياة لا تمنح الإنسان فرصة بعد الموت !! و أنا...متُّ في ذلك اليوم لؤي..كل ما حدث ما بعد تلك اللحظات..كانت مجرد محاولات واهية لإنقاذ من مصير محتم..الآن...حان وقت إسقاط كل أسلحة الأمل و التسليم بموتي..أساساً حتى لو أردت الحياة هو...لن يسمح لي بالعيش..أنت لم تنقذني لؤي..بل قتلتنى مجدداً..إنك بهذا الشكل تمنحه ألف فرصة أخرى لتدنيسي..لاستزافي..لإرضاء هوسه المريض عبر أذيتي..لم تنقذني يا لؤي...لا يمكنك أن تمنح الحياة لجسد قد غادرته الروح فعلاً !!!!

فتح لؤي عينيه ناظراً أمامه بنظرة بدت كانعكاس لنظرتهما و هو يسمع صوتها المتباعد..و ظل صامتاً..صامتاً على نفس التعبير الفارغ و كأن عقله يحاول تحليل كلماتها و التصديق بها بالفعل..
إلى أن سمعها تقول بصوت خافت يشبه الهذيان و كأنها تخاطب نفسها..بعد أن عادت عيناها لتنظران بعيداً..بعيداً جداً عنه..

_لم يعد هنالك أي سبب يدفعني للعيش بعد الآن..لقد فقدت كل أسبابي بالفعل...
هنا فقط..وجد نفسه ينتفض ناظراً لها باستنكار مصدوم..ثم بدون أن يشعر وجد نفسه يهتف بصوت متألم لم يعلو عن الهمس بتحشرج من بين دموع وجعه عليها ؛

_أنا أحبكِ !!!!

تسمرت سحى للحظة و هي تسمع تلك الكلمة التي سمعتها لمراتٍ عديدة قبلاً..من رجلين..لكنها

للأسف...كلاهما لم تكن بالنسبة إليهما سوى...كلمة !!

قبل أن تلتفت إليه مجدداً ببطءٍ لتقابل عينيه المعذبتين..و حينها عاد يهمس باختناق ؛

_أليس هذا.....سبباً كافياً للعيش ؟!!!!

لم يفهم ردة فعلها في البداية..كان هناك تعبير يشبه الصدمة في عينيها..تعبير تلاشى بعد أقل

من لحظة واحدة..

و سرعان ما...وجدها تستبدله ب...ابتسامة !! ابتسامة أليمة لم يستطع أن يلمح لها أي صدى

في نفسه !!

ثم قالت ببساطة مؤلمة ؛

_تلك الكلمة.....هي أكبر سبب يدفعني للموت !!!

شحبت ملامحه تماماً أكثر ممّا كانت عليه..و توقفت عيناه عن ذرف الدموع فجأة و هو

يتجمد تماماً..إلى أن أكملت تهز رأسها قليلاً بأسف..بأسفٍ شديد..

_أنت أيضاً لم تستحق هذه الحياة لؤي !! لقد ارتكبتُ جرماً فادحاً لا يُغفر في حقك حين

سمحت لك بأن تشاركني هذا السواد الذي يبتلعني..بعد هذه اللحظة..إن كنت سأعيش..فسأعيش

على شيء واحد...الندم !!!

صمتت لبرهة..ثم عادت تهمس بهدوء خادع..بينما لؤي يسمعها بقلب يرجف و ملامح باهتة لا

تعاير واضحة فيها ؛

_الندم لأنني استبدلت حب رجل سيء لم أحبه يوماً برجل جبان أحببته من كل قلبي..الندم

لأنني أقحمت رجلاً مثلك في حياتي السوداء..الندم على كل لحظة ضاعت من حياتك الثمينة

بجانبي..الندم على كل تلك المشاعر المؤلمة التي كانت لي أنا فقط..و جعلتك تتقاسمها معي..الندم لأنني

بقيت...على قيد الحياة...لأنني لم أمت ليلة أمس !!

صمتت لوهلة ثم أكملت تتابع أمام عينيه اللتين تكللتا بخيبة أمل قوية..رغبة في تكميم فمها

و إيقافها عن ما تقوله من تفاهة..إيقافها عن إيلاام نفسها...و إيلاامه !!

_ربما...منعتني أناانيتي سابقاً من الإعتراف بالحقيقة..لكنني الآن...أستطيع أن أعترف..لقد

كان أخاك محقاً في كلمة واحدة قالها..أنا لستُ عذراء يا لؤي..لست كذلك..لم أعد كذلك!..بينما

أنت..أنت رجل كامل..شاب مثالي لا يستحق أن يرتبط إلا بفتاة تكون على نفس القدر من المثالية..لا

أن تضيع سنوات عمره هباءً مع "حطام" امرأة مثلي !!

كانت كل كلمة تنطقها من بين شفاهها تخترق قلبه كسهام نافذة ترديه..مرة بعد مرة..تقتله

ببطءٍ خبيث..

من منحها الحق في أن تقرّر مصير حياته عنه ؟!! في أن تصف نفسها بمجرد "حطام امرأة" !!

من منحها الحق بأن تبدي رأيها في هذا الأمر..تخبره بأنه يستحق امرأة كاملة مثالية مثله..ماذا

لو اعترف لها إذًا..بأنه طيلة حياته القصيرة..لم و -لن- يقابل امرأة بقدر الكمال و المثالية التي يراها

عليها !!!!

وجد نفسه يهمس بغير تصديق..ينظر لها باستهجان شديد ؛

_لست عذراء !!! كيف تستطيعين أن تتكلي بهذا الشكل عن نفسك ؟! منذ متى ... أصبحت

إنسانة سطحية إلى هذا الحد !!!!!

لوهلة..توسّم بأن تنجح أسئلته في إخراجها من هذه الحالة الغريبة..إلا أن كل ما ناله منها..هو

همسة ضعيفة..و ابتسامة باهتة لا تمّت للمرح بصلة ؛

_منذ اليوم..منذ الآن !!

كان يظن بأنها قالت الأسوء..لكن الأسوء بالفعل من كل كلمة قالتها سابقًا..هو أنها لم تتوقف

أبدًا !!

بدت له و كأنها تحاول متعمدة أن تقتله رُبما..أن تؤذيه و تؤلمه مستخدمة أكثر الأسلحة

الفتاكة المجدية...حُبّه لها !!!

تلك كانت مشاعره و هو يسمعها و يراها تهمس برفضٍ لتقبل ما يراه الجميع واضحًا تمام

الوضوح !!

_أنت لا تحبني يا لؤي..لا يمكنك أن تحبني..ذلك الحب الذي تتحدث عنه ليس إلاّ مشاعرًا

عابرة...ستزول ما إن...أزول !!!

اتسعت عيناه بقوة و هو ينظر لها متفاجئًا..مصدومًا..ثم لم يشعر بنفسه و هو ينتفض

فجأة و اقفًا بينما يهتف ؛

_لا أسمح لك..لا أسمح لك بتأويل مشاعري و تحليلها بهذا الشكل المُهين..لا يحق لك أن

تصفي ذلك الشعور الحقيقي الوحيد في حياتي..أجمل شعور اختبرته و أشدهم ألمًا بمجرد مشاعر

عابرة !! تلك مشاعري أنا..ما أدراك بمشاعري أنا !!!!

زفرت سجي نفسًا مكتومًا مجهدًا من بين شفيتها..و ازدادت ابتسامتها مرارة..و ألتأ و

عذابًا..لكنها في النهاية..همست باستسلام محطم ؛

_حسنًا..هذا خيارك !!

صمتت للحظة..ثم همست باقية على ابتسامتها الفاقدة للمعنى ؛

_هل تعلم؟! و أنا أمتلك بعض الخيارات..أفضلها.....الرحيل !!

بهتت عيناه تمامًا و عقله يؤول كلمة "الرحيل" التي همستها ببساطة إلى معنى واحد لا بديل

له..قبل أن يهتف مجددًا باعتراض..بجزع ؛

_قطعًا لن أسمح لكِ بأذية نفسك مجددًا..لن ترحلي لأيّ مكان بعد الآن..هل تسمعينني؟!!

لم يظهر أيّ تأثير على ملامحها و هي تسمع صوته الهاتف بها بحدة نادرًا جدًّا ما تسمعها

مقتربة به..بل قالت بنبرة منكسرة..تحمل سخرية مستترة مريرة..

_من قال لكِ بأنني سأؤذي نفسي؟! ألم أخبرك بأنك و بدون أن تشعر منحتني سببًا أعيش

عليه ما تبقى من حياتي السخيفة!!! أنا لن أقتل نفسي يا لؤي..لن أحاول أن أؤذي نفسي مجددًا..كل

ما سأفعله هو أنني..سأغادر..إلى مدينة أخرى..إلى بلد آخر..إلى مكان بعيد جدًّا عنكم..حيث سأختار

أصغر غرفة هناك لأحيا فيها بمفردي..

هتف لؤي و هو يقترب منها مجددًا بحدة أكبر ؛

_لن أسمح لكِ..لن أسمح لكِ بأذية نفسك..و لن أدعك تغادرين لأيّ مكان..

زفر بقوة و هو يجلس بجانبها..لمهمس بحرارة بينما ينظر إلى انطباعها الباهت..لا يزال يرفض

فكرة أن يطلعها على خبر موت شهاب الآن خوفًا من ردة فعلها..

_لن تذهبي لأيّ مكان سجي..ستبقين معي..ستعيشين معي..في بيتنا...

اقتربت يده بتردد من وجهها..إلى أن ارتاحت فوق وجنتها بحذر..و ظل يتعقب ردة فعلها خوفًا

من أن ينال منها نفس الرفض الذي ناله قبل قليل..

إلا أنها ظلت صامتة..هادئة بنفس التعابير و كأنها لم تهتم..و قد حفزته ردة فعلها تلك على

الإقتراب منها قليلًا..

إلى أن همس بخفوتٍ شديد و هو ينظر في عينيها عن قرب..ما يفصل بينهما..أقل من إنشٍ

واحد..

_ألا تتذكرين؟! بعد كل شيء..رغم كل شيء..نحن لا نزال على قيد الحياة سجي..أنا..و

أنت...لا نزال على قيد الحياة!!!

كل ما كان يتوسمه.. أن تنقش تلك النظرة من عينيها.. أن يلمح وميضاً صغيراً جداً من الأمل في عينيها كما عودته في كل مرة نطق هذه الجملة.. لكن أنى لها بكل هذا الصمود الذي ينشده منها !!
إنها مجرد إنسانة بطاقة محدودة.. تلك الطاقة التي تم استنزافها منها مرة بعد مرة.. بكل قسوة قدرة !!

ظل يبحث بداخل عينيها عن نقطة أمل واحدة.. لكنه لم يجد.. لم يجد سوى أطناناً من الألم المبرح.. والاستسلام الجارح.. ثم جاءه الجواب صادمًا.. مقنعًا بشكل مؤذٍ..

_ أنت... لا تزال على قيد الحياة.. لا أنا !!!

همس بحرارة أكبر بدون أن يترك وجنتها أو يتوقف عن محاولة منحها أسباباً جديدة للتمسك بالحياة ؛

_ بل نحن.. نحن على قيد الحياة... نحن !!!!

أطبق عينيهِ يأسًا و هو يشعر بيدها ترتفع لتقبض على يده إلى أن أنزلتها عن وجهها
ببطءٍ.. مجددًا تبعده عنها..

ما الذي دهاها اليوم ؟!! هل هو في طريق فقدانها ؟! هل سيفقدوها بالفعل ؟! هل ضاع كل
تعب الشهور هباءً فعلاً كما قالت ؟!!!!

سمعها تقول بنبرة مزجت ما بين الألم و الحقد و القهر و الظلم و النبذ تجاه نفسها.. كل تلك
المشاعر التي أفصحت عنها قبل قليل له..

_ تقول هذا لأنك لست في مكاني !! طبعًا.. كم من السهل إلقاء الماضي الأليم خلف ظهرك و

المضي قدمًا في هذه الحياة الجميلة رغم كل شيء.. جميلة بالنسبة لك -رغم كل شيء- !!
و أخيرًا لمحت أطياف اليأس تحتل عينيهِ.. وكأنه يكاد أن يسلم و يصدق بكل كلمة قالتها.. بينما
استرسلت هي بصوتها المتحشرج الذي يحمل قسوة لم تعيدها في نفسها.. و لم يعيدها هو فيها..

_ لا تقلق.. أنا لا ألومك.. فأنت في النهاية لم تعيش ما عشته!.. أنت لم تتذوق ربع مرارة ما تذوقته
أنا حتى.. أنت لم تجرب من قبل شعور أن يتم سحب روحك منك قسرًا مرارًا و تكرارًا.. لم تتذوق شعور
العجز.. الإجمار.. أن تجد مصيرك بين ليلة و ضحاها يقبع تحت إمرة قلب أثم لم يختبر شعور العطف
سابقًا.. أن تنظر إلى صاحب ذلك القلب.. إلى عينيهِ بتوسل.. تستنجد به بمذلة و خنوع مجرد أن يتحلى
بالقليل من... الرحمة !! ثم يأتيك الجواب بكل قسوة.. جواب لا يحتاج لأن تنطقه الحروف.. تلك
العينين.. تخبر أنك بصمتٍ بأن معنى تلك الكلمة في مثل تلك المواقف يصبح... بائدًا !!

مجرد أن يسمعها تستفيض في الكلام بهذه الطريقة.. جعل أنامله ترتجف بشدة وكأنه يختبر معها كل شعور تصفه بجوارحه..

لكنه رغم ذلك ظل صامتًا.. اليوم فقط لم يحاول أن يقاطعها ليبيثها بعضًا من روحه المتفائلة.. إلى أن استأنفت و هي تقابل السقف مجددًا بعينيها اللتين تحولتا إلى بركتين حمراوتين مشكلتين من الدموع والألم..

_أنت لم تتذوق شعور... أن تضطر لتوسل.. تريد أن تقبل يد شخص لا يمتلك أدنى حق عليك.. لم يمنحك في حياته التافهة سوى الأذى.. كل ما يميزه عنك.. بنيته الجسدية التي تفوق بنيته بأضعاف عدة!.. أن تقف في موقف تجبر فيه على الدفاع عن نفسك.. عن شيء تمتلكه أنت فقط.. عن جسدك وروحك!!! ورغم استيعابك للحقيقة المريرة.. واقع كونك أضعف من أن تستطيع النجاة بنفسك.. إلا أنك لا تزال مصرًا على المقاومة باستماتة.. تقاوم بكل ما تمتلكه من قوة.. تقاوم.. تقاوم.. لكن عبثًا... تتوسل قاتلك بألم متخليًا عن آخر ذرة كبرياء تمتلكها.. بينما الأمل الباهت لا يزال يداعب قلبك حتى آخر لحظة من احتمالية انتهاء الكابوس.. تصرخ مستنجدًا بكل شخص يخطر في بالك.. لكن لا أحد.. لا أحد يسمع صوتك سوى الجدران الباردة.. بينما العيان الأثمتان.. تناظرانك بإصرار.. بظفر وتحدي وكأنك مجرد... حق مكتسب لديه.. يحق له امتلاكه متى ما أراد!! أما أنت.. فلا يسمح لك.. سوى بالخضوع.. بالاستسلام.. والأسوء من كل هذا هو تلك الرغبة التي تناشد قلبك محفزة على الاستسلام فعلاً.. تريد التخلي فقط.. وكأن الأمر لم يعد يخص.....

_لقد توفي شهاب ليلة أمس!!!!

لم يشعر بشفتيه و هما تنفرجان.. و لا بلسانه الذي نطق تلك الجملة يقاطعها بصوت شبه مرتفع بينما قلبه ينتفض كالطائر الذبيح..

قبل أن يزعم فمه وكأنه يشعر بالندم.. تاركًا الصمت التام يهيمن بعد جملته تلك.. صمت تام ساد من طرفه.. و من طرفها.. جعله يرمش بعينيهِ و يلتفت إليها بتردد.. و كما توقع.. وجد عينيها متسعيتين بشدة.. و ملامحها شاحبة فاقدة للإدراك.. فعاد يهمس ناظرًا لعينيها الآن.. يؤكد لها حقيقة ما قاله قبل لحظة..

_شهاب تعرض لطلق ناري في قلب منزله من طرف أحد رجال الشرطة بعد أن تم ضبطه متلبسًا في حالة خيانة زوجية!!

تسمرت سجي على نفس ملامحها الفارغة الشاحبة شحوب الأموات و كأنها لم تسمعه..و
ظلت صامتة..صامتة..للحظات طالت لم يحاول فيها لؤي أن يضغط عليها نهائياً..إلى أن همست أخيراً
بتلعثم شديد ؛

_أنا...أنا لا أفهم شيئاً !!!

امتدت يده لتلامس جانب وجهها برفق..بينما الأخرى احتضنت يدها المرتجفة التي كانت ترتاح
فوق بطنها من فوق الغطاء الأبيض..ثم همس ببطءٍ..برفق و ثباتٍ لم يعرف من أين حصل عليه ؛
_ما الذي لا تفهمينه بالضبط ؟! شهاب "مات" يا سجي..ذلك الرجل الذي كنتِ تتكلمين عنه
بمنتهى الحرقه للتو..لم يعد بيننا الآن !!

سحب نفساً عميقاً..ثم قال يضيف متخلياً عن دور الأخ الحزين ها هنا..و كأن ما يهمه..بثها
بعض الأمان الذي انتزعه منها ليلة أمس بكل قساوة !!

_كل شيءٍ انتهى..لم يعد هناك سبب للهرب و الاختفاء..لم يعد هناك سبب للخوف أو

الرحيل..بينما لا يزال هناك أسباب كثيرة..لا تحصى...للعيش !!!

كانت طيلة الوقت تنقل عينها بضياح بين عينيه و شفثيه..عاقدة حاجبها بتركيز و كأنها
تحاول أن تستوعب بصعوبة كل كلمة يقولها..

إلى أن عاد الصمت ليحكم الغرفة البيضاء حيث لا يوجد غيرهما..

و مجدداً..سمحا له بالتسديد طويلاً..طويلاً..إلى أن صدرت عنها ردة فعل غريبة جداً..كانت
شهقة...شهقة قوية جعلت من قلبه ينتفض مجفلاً و هو يتراجع قليلاً بدون أن يتحرك من مكانه..
لم تكن تلك شهقة عادية..كانت مثل شهقة ظلت مكتومة طويلاً في أعماقها..كلما حاولت
إخراجها...فشلت...

لكنها اليوم..تحرّرت خالصة محملة بشيءٍ يشبه الرهبة الشديدة و الصدمة الشديدة جداً..

و...الشعور الشديد بالخلاص...بالتحرّر !!!!

شهقة انتهت بها مغمضة عينها بقوة لعدة لحظات..و تلتها شهقات أخرى أقل حدة و كأنها
تحاول أن تستمد القليل من الأمل المفقود من كل كلمة قالها للتو..

إلى أن فتحت عينها فجأة..فرمش لؤي و هو يراقبها باهتمام و قلق..لكن كل ما سمعه
منها..كان همسة تائمه محملة بقلق كبير..قلق فاق قلقه عليها ربما..

_خالتي !!! يا إلهي كيف سيكون وضعها الآن !!!!!

كان صوتها يحمل نبرة التساؤل و الإدراك معًا..تعلم ما قد تكون حالة خالتها الآن.. تستطيع أن تتخيل على الأقل..لكن لؤي لم يمنحها جوابًا..كل ما فعله أن تنهد بتعب و عيناه تتقدان بالألم..و قد كانت تهيدته تلك جوابًا كافيًا لها..

فقالت بجزع أكبر و هي تعتمد على يديها لتستقيم جالسة ؛

_أريد أن أراها...

قال لؤي باعتراض و هو يرفع رأسه إليها بسرعة ؛

_لا يمكنكِ الآن يا سجي..إنها منهارة تمامًا منذ أن سمعت الخبر..لقد فقدت الوعي لعدة مراتٍ خلال أقل من ساعة و لم تهدأ إلا بعد أن تمّ حقنها بالكثير من المهدئات..ربما لن تستطيع تمييزك حتى لو رأتكِ في حالتها تلك !!!

إلا أنها بدت مصرة تمامًا و هي تنزل قدميها فوق الأرض مردفة بقلق و رجاء.. بينما الضياع المائل في حدقتها يخبره بأنها لا تزال حتى اللحظة تلك عاجزة عن استيعاب ما يحدث تمامًا..

_سأراها من البعيد يا لؤي..أريد أن أراها فقط لمدة دقيقة واحدة فقط..عليّ أن أراها.. زفر لؤي بيأسٍ عاجزًا عن إثناءها أو رفض رجاءها.. قبل أن ينتفض و هو يراها توشك على الوقوف..لولا أن القوة لم تسعفها فعادت تسقط في مكانها بإعياء..

حينها لم يستطع إلا أن يهمس برفق بينما يقف منحنياً عليها بغاية حملها بين ذراعيه ؛

_تعالى..سأخذك إليها..

إلا أنها منعتة تمامًا و هي تضع يدها على صدره تدفعه برفق..ثم همست و هي تتمسك بذراعه بضعف ؛

_أنا أستطيع الوقوف على قدمي..ساعدني فقط..

لا تعلم أيّ فوضى من المشاعر التي أحدثتها في قلبه بحركتها تلك و همستها التي تجسد كل

الضعف في العالم..كم يقتله ضعفها !! و كم يشق إلى قوتها !!!

و كم تثير عيناها بنظرتها الزائغة كشخصٍ تم تخديره بمادة منومة من هواجس في

قلبه..أكبر هاجس كان...هاجس رغبته في استهلاك كل قوته في سبيل حمايتها..و الهاجس الثاني...

تخليصها من كل ذرة ألم مخزنة في قلبها..ليعيشها هو بدلاً عنها !!!

كانت عيناه على يدها الملامسة لبشرته الآن..ينظر لها بطريقة غريبة جعلت من رموشها

ترتجف قليلاً..بينما عقلها الأحمق..قام بتأويل نظراته تلك إلى نقطة غاية في الخطورة..فكرة لا يمكن

لعقله تصورها أو تقبلها..

فارتجفت أناملها بشكل ملحوظ فوق ذراعه و عقلها يردّد كلماتها التي باحت بها إليه بإخلاص
قبل لحظات..

هل كان من الصواب فعل ما فعلته؟! مشاركته مشاعر ربما لن يتمكن من فهمها أو عيشها
معها كما كانت تنشد !!!

لقد اعترف لها قبل دقائق بحبه.. تلك الكلمة التي تحمل معاني كبيرة جدًا تجعل الإنسان لا
يستعين بالبوح بها..

هل ربما.. كلماتها... استهدفت جانبًا حساسًا بالنسبة لكل رجل !!
هي لم تكن تعي فعلًا ما تقوله.. مجرد أن.. وجدت نفسها تستفيض في الشرح و البوح بغير
تحفظ.. بدون خوف من أن تنظر إلى وجهه في النهاية لتقابلها نظرة...
أو أطياف نظرة تحمل شعورًا لطالما بحثت عنه في جوف عينيه لشدة خوفها من أن تلمحه في
يوم ما !!!

إنها تستطيع تذكر نظرة أشرف بعد أن أطلعته على الأمر.. كانت نظرات تتماوج ما بين
الصدمة.. و الضعف.. و الشفقة !! لا تدري هل كان يشفق على نفسه أم عليها !!!
كل ما تعلمه.. بأنها ظلت تتوسله كالحمقاء.. تتمسك بيده بينما هو عاجز عن التمسك بيدها و
كأنه بفعلته تلك.. يدهس كرامته كرجل تحت قدميه..
و كأن التمسك بها و لمسها.. قد... يذنسه ربما.. و كأنها.. لم تعد صالحة للحب أو للزواج.. لقد
انتهت صلاحيتها بالنسبة له !!

كل تلك الأفكار.. لم تنفك تفترس عقلها.. ترهقها لفترة من الزمن.. كل تلك الأفكار.. لم تلبث أن
تداخلت مع أفكار أخرى كادت أن تخنقها..

لا يعلم أيّ حرب شعواء كانت تخوضها بينها و بين نفسها كل يوم.. كلما واجهت نظراته
لها.. كلما ضبطته متلبسًا ير اقيها بعينين تفيضان بالألم.. كلما غرقت ملامحه في لحظة شرود.. تجد
التساؤلات المعقدة تتسلل إلى عقلها...

هل يعقل... بأن يزور الندم قلبه ذات يوم على تلك الخطوة المتهورة التي خاضها لأجلها !!!
هل يمكن أن يتخلى عنها لؤي في يوم ما كما فعل الجميع؟! ربما تكون تلك أكبر أمنياته الآن
لكنه يعجز عن الإفصاح كي لا يجرحها !!

ماذا لو زار الحب الحقيقي قلبه في يوم ما ؟!..

لو وقع لفتاة أخرى تناسبه أكثر منها !!!

ثم يجد نفسه محاصراً في هذه العلاقة.. مضطراً لتحمل توابع ذنب لم يرتكبه !!! ماذا ستفعل

حينها؟! كيف ستستطيع الإتمام بدونه؟!!!!

الأسوء من ذلك..ماذا لو تغير لؤي؟! ماذا لو طفت مشاعر الأنانية الطبيعية لأيّ إنسان

بينهما و قرّر التخلي عنها بمحض إرادته !!!

لم تشعر بأناملها التي كانت قد بدأت ترتعش بشكل أصبح ملحوظاً للؤي بينما هي لا تزال

غارقة في شرودها..في هذا العالم حيث قرّرت الإنفراد بنفسها..

لم تشعر حتى بنفسها وهي تبعد يدها فجأة..تترك ذراعه و كأنها تخاف بالفعل من أن تتحقق

فكرة واحدة من أفكارها بشأنه...حينها ستموت لا محالة !!!

لكنها انتفضت حينما امتدت يده لتمسك بيدها فوراً قبل أن تنجح في تركه تماماً..ثم رفعت

عينها بسرعة إليه..لتقابل عينيه اللتين اشتعلتا بنظرة غير مقروءة..

لكنها عنيفة بعد الشيء..تحمل استنكاراً كبيراً جعلها تشكّ في قدرته على قراءة أفكارها بكل

سلاسة..و ربما شاركها كل فكرة طرأت في ذهنها للتو !!

قبل أن تسدل ستار رموشها عنه بصمت..مستسلمة تماماً وهي تشعر بأنامله التي تحركت

تمسك بيدها بقوة أكبر كادت أن تؤلمها للمرة الأولى..و كأنه يحاول إقحام فكرة ذات معاني عميقة في

عقلها..يزرعها بين أفكارها الحمقاء لتستوطن مكانها..

امتدت يده الأخرى لتحاول خصرها برفق..إلى أن وقفت على قدميها الرخوتين تستند به..

لم تدرك لما لمحت بعض القسوة تتلقّف نظراته إليها بعد أن كانت تعصف بالحنان قبل لحظة

واحدة..قسوة جعلتها تبتلع ريقها بصعوبة و تسير بمساعدته عدة خطواتٍ بطيئة بالكاد استطاعت

أن تتعدها..

فما إن تجاوزت الباب الخاص بغرفتها..حتى وجدها تتوقف فجأة..فتوقف هو الآخر شاعراً

بالقلق..و قد تأكد قلقه و هو يشعر برأسها يسقط بإعياء على صدره..

قال بقلق و هو يحتضن وجنتها ليجعلها تنظر له :

_هل أنت بخير؟!!!!

شعرت بالأمان يكتسح قلبها وهي ترى نفس الحنان الذي اعتاد أن يملأ نظراته إليها يعود

ليحتلها الآن و هو ينظر لها و كأن قدرته على الحياة نفسها تتوقف على إجابتها..و كم كانت إجابتها

غريبة..لم تخطّط لقولها..و لم يستوعبها عقلها إلا حينما قالت :

_أنا..أنا ربما...أحتاج لرؤيته أولاً...

نظر لها لؤي بغير استيعاب و هو يهمس بصوتٍ باهت ؛

_سجى !!!!

إلا أنها بدت جادة تمامًا في طلبها..فهمست برجاء مسّ قلبه ؛

_أرجوك..أحتاج لرؤيته لكي أصدق حقيقة ما قلته..لكي..أستوعب...أنا أعجز عن الاستيعاب

!!!

أطبق لؤي عينيه شاعرًا بالأرض تميد به إرهاقًا..يتمنى فقط أن ينتهي هذا اليوم..أسوء يوم في

حياته حرفيًا..لكن ما حيلته و الوقت يأبى أن يمر إلا ثقیلاً جدًّا و كأن الكون تأمر على هدمه..

همس بصوتٍ مشتد حاول أن يجعله هادئًا و هو يعود ليفتح عينيه المرهقتين ؛

_حسنًا..لكن بشرط...أن تتماكي نفسك..

أومأت له سجى بسرعة..فتنهذ بقوة..ثم عاد يردف بقلق ؛

_هل تستطيعين السير حقًا ؟! دعيني أحملك !

هزت سجى رأسها باعتراض..فتنهذ بقلّة حيلة و هو يعود ليرافقها بصمتٍ إلى تلك الغرفة

الحزينة حيث يقبع أخاه..إلى أن توقف أمامها بالفعل..لكنه لم يدخل فورًا..بل تسمر للحظة..ثم نظر

لسجى سائلًا بخفوت ؛

_هل أنت مستعدة حقًا ؟!!

لمح الرهبة و التردد في عينها..لكنها قمعتها بإصرار ضعيف و هي تهز رأسها بتأكيد..فترك لؤي

عينها مرغمًا ليقبض على المقبض و يدفع الباب بهدوء..

كانت الغرفة خالية إلا من رجل واحد..يرتدي الرداء الأبيض الخاص بمهنته و يحمل في يده

كتابًا ما لبث يدون فيه شيئًا لم يهتم لؤي بمعرفته..

هو فقط..قال بحزم ما إن رفع الرجل رأسه بحيرة نحوهما ؛

_لو سمحت..

ظل الرجل ينقل عينيه بينهما للحظة..قبل أن يقترب بصمتٍ ليبعد الغطاء الأبيض عن وجه

شهاب..

كانت لحظة سريعة جدًا بالنسبة له و للؤي..لكن بالنسبة لسجى التي ظلت تتبع بعينها كل

حركة برهبة تتضاعف إلحاحًا في قلبها..بدت طويلة جدًا..جدًّا..

و لا تدري لما راودتها رغبة مفاجئة في التراجع..و الخوف..شعرت و كأنها ستقابل ابتسامته

المخيفة المقيتة ما إن يرفع عنه الغطاء..

خافت أن يكون مجرد حلم تستيقظ منه على و اقع أسود مرعب..و خافت أيضًا أن يكون
الشخص الذي تحته ليس هو !!!

إنها مشاعر يعجز الإنسان عن التحكم بها !! يعجز عن التخلص منها حتى لو كره نفسه
بسببها !!!

إنها مشاعر تملكنا رغمًا عنا..تجعلنا نبدو أسوء من الأسوء في نظر أنفسنا رغم أننا في
أعماقنا نجزم بالأسباب التي دفعتنا لاحتضان كل ذلك "الكره" نحو إنسان في أعماقنا !!
و هو كره مسموح لنا بالفعل..مهما استهلكنا طاقاته السلبية..إنها تلك النوع من المشاعر
التي لا تنطفئ إلا بانطفاء مُحدثها !!

فإما أن ينطفئ بمشاعر الندم المؤذية..لكن تلك المشاعر هي منعدمة في قلب مثل قلب ذلك
الرجل الذي قتلها لعدة مراتٍ بدون شفقة..

و إما أن يتولى القدر مهمة تحريرنا منها بأحكامه العادلة أحيانًا..و غير المنصفة في أحيانٍ
أخرى !!!

لم تصدق عينيها و هي ترى وجهه بعد أن تمت إزاحة الغطاء الساتر عنه..وجدت نفسها
تراجع خطوة مترنحة نحو الورا لتصطدم فورًا بصدر لؤي الملتصق بها حرفيًا..
كان يبدو...غير مألوفًا !!!

غريبًا جدًا..و كأنه شخص آخر..و كأنه ليس نفس الشخص الذي عاشت معه تحت سقف
واحد منذ طفولتها..

نفسه الذي حملها آلاف المرات ربما بين ذراعيه..الذي كانت تكن له بعض الحب الأخوي ذات
يوم !!

و كأنه ليس نفس الرجل الذي أحياها بجنون و هوس..الذي أراد...بل لطالما سعى لامتلاكها بكل
الطرق الممكنة و غير الممكنة..

و كأنه ليس نفس الشخص..صاحب ذلك الصوت الخشن الذي لا يزال يتردد في عقلها
مهددًا..

و كأنه ليس صاحب تلك الخطوات التي دبّت الرعب في قلبها ليلة أمس..و الذي نظر في عينيها
و تحدّاها بكل تجبر أن تعترض على أمر يمليه !!!

ارتجفت أطر افها بشدة و هي تشعر بيدي لؤي الو اقف خلفها تتمسكان بذراعيها..و شعرت بحبيبات من العرق الطفيف تلامس جبينها و هي تنظر له بعينها الجاحظتين و كأن قلبها يعجز عن تبني شعور واضح بين كل المشاعر المتباعدة بداخلها..

خاصة و قد شرع عقلها يضحج بالأفكار مجدداً..كلماته تتداخل بكل الأذى الذي تكتنفه مع كلمات لؤي قبل دقائق و هو يطلعها على خبر موته..

بينما صورته الخبيثة في عقلها تناقض صورته الضعيفة الآن !!

كم يصبح الإنسان ضعيفاً أمام تدابير القدر !!!

بعد كل تجبر..يأتي انكسار قاتل..و بعد كل قسوة..يأتي ضعف مهيم..مسافة السقوط لا تكون مؤلمة ما لم يكن الإرتفاع شاهقاً جداً..لهذا يبدو لها هذا المنظر غريباً..لا منطقياً..و منطقي في نفس الوقت !!

شعرت بنفسها غير قادرة على النظر له بعد..فالتفتت فجأة تشبثت بقميص لؤي حيث اندس وجهها في صدره الذي احتواها بكل رحابة..

لم تسقط و لا دمعة واحدة من عينها..كل ما فعلته..أن أطبقتهما على أنفاسٍ ساخنة و شهقات لا صوت لها و هي تشعر بذراعي لؤي من حولها تحاوطانها بقوة رقيقة..

همست بعد ثوانٍ فوق صدره بصوتٍ خافت مكتوم..و مرتعش بشدة ؛

يكفي..يكفي...دعنا نخرج من هنا..أريد أن أخرج من...هنا !!!

كان صوتها يتلاشى ببطء..يصبح أكثر خفوئاً و ضعفاً كضغط يديها المتمسكتين به.. فعقد لؤي حاجبيه قليلاً بحذر بدون أن يبتعد إنشأ واحداً..

قبل أن ينخفض بصمت تام ليحملها بين ذراعيه و هو يعلم تماماً بأنها لن تستطيع الإعتراض الآن..فقد عانت ما يكفي هذا اليوم..ما يجعلها تستسلم طوعاً لفقدان وعيها !!!

" 45 :مغبة تراكمات "

#الكاتبة

لم تتجراً على قول كلمة واحدة طوال الطريق..كل ما فعلته أن تركت يدها على فمها و كأنها تحاول أن تكتم صوت أنفاسها حتى خوفاً في هذه اللحظة..
و التفتت عنه تر اقب السراب بعينها المتسعيتين..لقد كانت تلك أول مرة تراه منفعلاً بهذا الشكل..و كم بدا لها مخيفاً !!!!
كانت خفقات قلبها تتضارب بقوة..بينما الدموع الماسية تحجرت بعينها و هي تشعر بخوف مجهول ينتابها لا تدري سببه..
كل ما تعلمه بأنها لن تنسى هذا اليوم في حياتها..اليوم الذي شهدت فيه انهيار أكثر امرأة كانت تشكل لديها رعباً في حياتها..
اليوم الذي توقفت فيه أمام من كانت تظنها عدوة تر اقب خسارتها من مكانها البعيد..دون أن تلامس قلبها ذرة تعاطف..أو ذرة شماتة !!!!
هي لم تكن يوماً من هؤلاء الناس..لم تختبر شعور الحقد الحقيقي من قبل..لم تحمل في قلبها كرهاً حقيقياً لأي شخص..حتى من أذوها..
كل ما كانت تتمناه..أن يتركوها و شأنها لتعيش بسلام..و لو فعلوا فستكون أكثر من ممتنة لهم على صنيع سيمنحها الراحة ما تبقى من حياتها !!
لكنها رغم ذلك كانت تنتظر لحظة ما..لطالما تمنّت أن تقرأ ندماً حقيقياً في عيني تلك المرأة..تمنّت أن تسمع اعتذاراً صادقاً يداوي القليل من الأذى الجسدي و النفسي الذي اختبرته طوال حياتها بسببها..
كانت تظن بأنها تكرهها بالفعل..و لو قليلاً...لكن كل ما شعرت به اليوم..فراغ كامل ابتلع قلبها و عينها..و كأنها تمثال حجري لا يحمل أدنى مشاعر..
و كأنها تشاهد عرض سينمائياً غير متقن الأداء بالشكل الكافي ليؤثر فيها..و ليحفز دموعها المنتظرة دائماً على أعتاب جفنها على الانسياب..
الحقيقة أنهما شعوران..فراغ كبير..و امتنان كبير لذلك الفراغ..لقد أرسل إدراكها ذاك فكرة..بأنها ربما كتّت الكثير من الكره لها في طفولتها..لكنه لم يكن قوياً بما يكفي ليبتلع براءتها..

أن يملك الإنسان قلبًا نظيفًا في زمن كهذا..لهو أكبر إنجاز يستطيع فعله في حياته !!!
و هي كانت تمتلك قلبًا يشبه الملائكة..قلبًا لا يمطر إلا مشاعراً طيبة تختزنها لكل من حصل
على مكانة في حياتها..

ثم فراغ كبير و تسليم بأحكام القدر العادلة حينما يصل الأمر لشخصٍ تسبب لها
بالأذى...كعفاف الشاذلي !!!

الحقيقة أنها لم تستطع أن تتعاطف مع ابنها حتى..ذلك الشاب الذي قابلته مرة واحدة تمنى
خلالها بأن لا يكتب لها القدر لقاء آخر به..الأخ الأكبر لهادي صاحب المأساة القديمة التي لا تعرف
عنها شيئاً..

ذلك الرجل الذي حذرها هادي من الإقتراب منه أو التواصل معه حتى و كأنه يتكلم عن قاطع
طرق همجي لا أخيه !!

منذ الوهلة الأولى..كان كل ما شعرت به نحوه..نفور كبير..و اليوم و هي تسمع عن سبب كل ما
أصابه..شعرت بذلك الشعور و قد تعزز في قلبها..فلم تستطع أن تستشعر أيّ تعاطف ملموس
نحوه..حتى في آخر لحظات حياته..

و كأن الله قد وضع حجاباً بينه و بين قلوب البشر..كل من يراه..يكن له شعور الحذر و النفور
تلقائياً !

لكنها بعد كل شيء تستطيع أن تطلب له الرحمة ككل إنسان فارق الحياة..هذا فقط ما
تستطيع فعله لأجله !!!

انتهت للسيارة التي توقفت أمام المنزل أخيراً..ثم هادي الذي فتح الباب لينزل صافقاً إياه
خلفه حيث اتجه إلى المنزل بدون أن يرمقها بنظرة واحدة و كأنها غير موجودة على الإطلاق..
لكنها رغم حركته تلك..لم تشعر بأيّ تضايق منه..لقد كانت تمتلك قدرة هائلة على تفهمه
بدون أن يحتاج للشرح أو الكلام..و اليوم أيضاً..كان التفهم هو سلاحها الوحيد ضدّ جفاءه الذي كان
ليكسرها في وضع آخر..

فتحت الباب من جهتها لتنزل قدميها فوق الأرض..لكنها كادت أن تترنح للحظة و هي تستشعر
بعض الدوار يلفّ رأسها..

فاستندت إلى الباب المفتوح للحظة..قبل أن تتمالك نفسها و تغلقه بهدوء متجهة للمنزل
بخطواتٍ حملت شيئاً من إحباطها و حزنها..

اتجهت إلى غرفتهما على الفور لتدخل بعد دخوله فوراً..و ما إن فعلت حتى توقفت تنظر له
برهبة و هي ترى أنامله تمتد إلى قميصه الرمادي يفتح أزراره واحداً تلو الآخر إلى أن خلعه تماماً ملقياً
به فوق الأرض بإهمال..

اتجه بعدها إلى الخزانة ليفتحها ينقل عينيه بين الثياب هناك و كأنه ينتقي ثيابه باعتيادية
رغم أن ملامحه كانت بعيدة كل البعد عن الاعتيادية..
_هل...أساعدك !!؟

همست بخفوتٍ شديد و أناملها ترتعش خلسة..و قد توقعت أن يهتف بها مستاءً ربما..و ربما
أيضاً يسمعها من سموم كلماته مثلما أسمع الصحفي المسكين..فهو يتحول إلى شخصٍ آخر عند
الغضب..

لطالما كانت تلك سمته الأساسية..لطالما كان إنساناً عصبياً..قد تنقله كلمة واحدة غير
مقصودة من قمة المرح..إلى قمة الغضب..

إلا أنه معها هي..كان مختلفاً..و كأنما يترك كل جوانبه المعقدة تلك في أبعد مكان ليقابل
عينها بابتسامة لامعة خلابة و حنونة للغاية..حتى في عاطفته الكاسحة..كان حنوناً متمهلاً أكثر من
المتوقع..

و رغم ذلك لا تستطيع أن تنكر طباعه الصعبة قليلاً مقارنة مع أخيه لؤي..
لقد كان الأخ الأصغر نعم..لكنه كان أكثرهم شراسة و حدة و انفعالاً..بشكل يجعله يبدو أكبر
من عمره بقليل رغم ملامحه الوسيمة و التي تجعل كل شخص يتغاضى عن طباعه و شخصيته يخمن
عدد سنوات عمره..لكن من يمتلك قدرة التغاضي أمامه !؟

رمقها بنظرة طويلة بعض الشيء..نظرة لم تحمل الغضب..نظرة لم تستطع فهمها أو
قراءتها..و كأن عقله يعيش صراعاً مرعباً في تلك اللحظة...
ثم بدون أن يجيب سؤالها أو يهمس كلمة أغلق الخزانة و اتجه من فوره للحمام إلى أن اختفى
بداخله و أغلقه كذلك..

و ظلت هي متسمة مكانها..حاجبها مائلان للأسفل في خطين حزينين..و عيناها ذابلتين أماً
عليه..و قلبها يملأه الإحباط من فكرة أن لا يسمح لها هادي في مشاركته و لو القليل من مشاعره
المعقدة التي استطاعت تمييزها في عينيه..

نتيجة لكل ذلك..وجدت نفسها تنخفض ببطءٍ إلى أن جلست فوق الأرض الباردة ترأب
الغرفة بصمتٍ حزين..لكن عينيها وقعتا في طريق تجولهما..على قميصه الملقى أرضاً
بإهمال..فتحاملت على إرهاب قلبها لتقف مقربة منه..
انخفضت بهدوء لتحمله بين يديها و تقترب من السرير إلى أن جلست في طرفه متهدلة
الكفين..تنتظره أن يخرج من سجن مشاعره بدون أن تتجراً على الإقتراب هي و طرق هذا الباب
المزعج..

أو ربما فقط..تفتحه لتفتح خلوته التي تعلم كم ستكون خانقة مؤلمة إليه الآن !!
احتضنت قميصه بين يديها بقوة و عقلها يستعيد حواراتٍ بريئة و بسيطة خاضتها معه أيام
الطفولة..

لطا لماحت الكره و النفور في صوته كلما ذكر اسم أبيه بالصدفة.. رغم أنه لم يكن ممن يتكلمون عن آلامهم إلا نادرًا..

إلا أنها كانت تستطيع رؤية ذلك.. رؤية الألم الكامن في عينيه و تحليله بخبرتها المتواضعة كطفلة صغيرة لا تفقه من الحياة إلا الكثير من الظلم..

لطالما كانت علاقته مختلفة بتلك العائلة..و لم تظن من قبل بأن يكون على وفاق مع أي فرد منهم..إلا حينما تعرفت على سجي ولؤي ورأت مدى النقاء الذي تحمله علاقته بهما..

لقد كانت عائلته الحقيقية قبل دخولها إلى حياته بعد كل تلك السنوات..متمثلة في شخصين اثنين فقط..أما الباقي..فمجرد لقب يتشاركونه بدون أن يعني شيئاً إليه ربما..

تاھت عیناھا تماماً حینما استعداد عقلھا ذکری قدیمۃ لھما.. کان یوماً من بین آیام الإجازۃ.. و کعادتھ کان فی الموعد.. فلم تشعر إلاّ بکیان تعرفھ حق المعرّفۃ یجلس بجانبھا فوق الدرجۃ الصغیرۃ..

لكنه اليوم بدا مختلفًا عن ما اعتادت..فقد ظل جالسًا بدون أن يحاول لفظ حرفٍ واحد يخصّها به..و حينما رفعت رأسها نحوه..تفاجئت به مطرق الرأس..

كان منحني الكتفين و هو يستند بمرفقيه إلى ركبتيه محدقاً في الأرض بعينين باهتتين.. شعرت بالفزع و انتفض قلبها الصغير خوفاً و هي تمد يدها لتمس ذراعه..

لكنه لم يرفع رأسه نحوها فوراً.. بل ظل على حاله للحظاتٍ أخرى.. قبل أن يرفعه ببطءٍ لينظر

لها.. قابل عينيها بعينين حمراوين مرهقتين.. فارفع حاجباها بدهشة وقلق.. وهمست تبتلع ريقها

بيطء و خوف ؛

!!_ع...عيناك...هادى

لم تصدق أن يومئ لها بكل استسلام..ثم همس بصوتٍ مرهق..شبه متحشرج ؛
_أعلم..لقد كنت أبك..

مجرد هذا الإعتراف..جعل عينيها تدمعان بدون سبب..و همست بحزن و تعثر ؛
_هل...تشاجرت مع والدك !!؟

أظلمت عيناه للحظة بعد هذا السؤال..فأشاح بهما عنها ناظرًا إلى السراب أمامه بدون أن
يلمح أي شيء..

عيناه تتلقفان بعض الخطوات الصغيرة للأطفال الذين كانوا منسجمين في اللهو في هذه
الساحة الكبيرة..لولا أن أنت واحدة من المشرفات ذات الملامح المقتضبة الغاضبة لتهتف بهم أمرة أن
يتوقفوا و يعود كل منهم إلى غرفته..

رمقها هادي بعينه الخاليتين بدون أن يتحرك من مكانه..و رأى عينيها اللتين تسمرت على
شهد الجالسة بجانبه..

لكنها لم تجرأ على فتح فمها لتهتف بها بإحدى جملها الكريمة..فظلت تنظر لها للحظة بعينين
تقذفان شرر الرغبة في تفرغ بعض من الغضب الكامن بداخلها على كل شخصٍ تراه..و من بينهم هذه
الطفلة التي لا يهتم لها أو يسأل عنها أحد غيره..

قبل أن تستدير أخيرًا لتختفي هي الأخرى في إحدى الغرف..و يبقى هادي جالسًا في الساحة
الكبيرة وحيدًا مع شهد..الصمت فقط مهيمن على الأرجاء و عيناها الجاحظتين تنظران إلى أثر
المشرفة و كأنها بداخلها تجهز نفسها للعقاب الذي قد تناله منها بعد رحيله..

_لقد أمر أبي بأن ينقلني إلى مدرسة داخلية !!

سمعت هذه الجملة تخرج بصوته الجامد محملة بحقد كامن في كل حرف منها.. فطرفت
لتخرج من سيل أفكارها عن المشرفة..و رفعت عينيها إليه مجددًا..تنظر له بعجز عن الفهم لوهلة..
بينما التزم هادي بعض الصمت..ثم قال يستأنف متهدًا بثقل يرتكز على صدره..همس
ينسف خوفًا كبيرًا طوق كل ملامحها مع فكرة داهمت عقلها..

_لا تخافي..لن يتغير أي شيء بيننا..سأزورك في نفس الموعد كل أسبوع..لكنني خلال أيامه
الأخرى..سأعيش محتجزًا بين جدران المدرسة الداخلية..

كان هناك شبح ابتسامة على طرفي شفتيه في بداية كلامه..لكنه تلاشى تمامًا مع نهايتها..و
ظهرت طبقة دموع شفافة في عينيه..ذكرتها بعد زمن من التناسي بأن صديقها هادي الذي يمتلك
العقل الأكثر فطنة ليس إلا طفلًا...مثلها !!!

لكنها لم تتوقع أن ترى دمعة حقيقية منه..إلا حينما لمحتها تنساب ببطءٍ شديد و حارق
لأعصابها هي لا لبشرته فقط..ثم همس من بين أسنانه و هو يعود لينظر الأرض.. يشتهي لها آلام قلبه
و كأنه لا يملك غيرها ليسمعه في هذه الحياة..

_أكره هذا الضعف الذي أنا فيه..أكره حقيقة أنني الإبن الأصغر و الذي كتب له القدر أن
يولد في الوقت الخطأ..بغير تخطيط من أبيه الذي يعاني هوسًا مجنونًا بالسيطرة.. أكره هذا اللقب
الذي يجزم بانتمائي لرجل مثله..و أكره ذلك اللقب السخيف الذي يعايرني به بكل صلف و كأنني
خلقت نفسي..و كأنني لست كيانًا بقلب و روح..مجرد...حلولى فاسدة !!!

التفت إليها بسرعة ليهتف مكرّرًا بصوتٍ منفعِل و كأنه على وشك الإصابة بالجنون ؛
_هل تسمعين ؟! هل تدركين اللقب السخيف الذي يعايرني به !!! إنه يشبهني بالهدية المغلقة
التي تأتي بدون استعداد أو توقع..ثم ما إن يفتحها الإنسان متأملًا أن يجد بداخلها ما يرضي..كل ما
يجده..مجرد حلولى فاسدة!..ربما تبدو مبهرة حين النظر لها..رائعة الجمال.. لكن مع أول قطعة
يتذوقها..حتى يبصقها بمنتهى القرف..ليكتشف بأنها مجرد حلولى فاسدة...!!
هز رأسه ساخرًا و هو يهمس مبتسمًا بقهر ؛

_أنا لا أعرف من أيّ سلة مهملات قدرة انتقاه حتى !!!
زم شفثيه بقوة و عيناه تتقدان عنفًا و غضبًا محتجزًا في قلب طفل لم يتعدى الثالثة عشر..
بينما ارتجفت رموشها قليلًا و عيناهما تذرفان الدموع مثله بسخاء و كأنها تشعر به.. تعيش ما
يعيشه...كلاهما كتب لهما القدر أن يصل عقلاهما إلى مرحلة النضج المؤذي في سن صغير..صغير
جدًا..

سمعته يردف مستأنفًا بسخرية قاسية ؛
_ثم يأتي و يتذكر الآن بأني ابنه..ليأمرني بصفته الأب الأكثر شرًا و جفاءً في هذا العالم أن
ألتحق بسجن يطلقون عليه اسم مدرسة داخلية..و أنا بطبيعة الحال مجبر على تنفيذ ما يأمر
به..فإما أن ألتحق بالمدرسة التي يريد أو أسافر إلى بلد آخر حيث لن يتسنى لي رؤيتك مجددًا...و كأن
كل المشكلة تقتصر على وجودي معه تحت سقف واحد..هذا فقط !!!

صمت أخيرًا يشيح بوجهه بعيدًا..بعيدًا عنها..بينما ظلت هي..تنظر له..ترقبه بعينها
الباكيتين رغم البراءة الأقرب إلى السذاجة المتجسدة بهما..ثم همست تسأله بصوتٍ متحشرج ؛
_ماذا...ستفعل إذا ؟!!!

ساد بعض الصمت منه..ثم التفت إليها لينظر لها بشيء من الصمود الآن بعد نوبة تشبه
الإنهيار أمامها..و قال و هو يهز رأسه و كأنه يمنحها وعدًا غير قابل للزوال ؛
_سألتحق بها مؤقتًا إلى أن أجد طريقة تخرجني من هناك..ربما..أفتعل بعض المشاكل غير
القابلة للتجاوز حتى يتم طردي منها..و أعود لحياتي الطبيعية..
صمت للحظة..ثم همس بنبرة لا تحمل سوى الحقد و الكره لرجل من المفترض أن يكون
الأقرب إلى قلبه ؛

_لن أسافر أبدًا..لكنني سأجعله يندم على هذا القرار السخيف..سترين..
بدت شهد غير مقتنعة بكل ما يقوله..فظلت تتطلع به بخوفٍ يبتلع قلبها قبل عينيها..ثم
همست بخوفٍ ؛

_ماذا لو تأذيت ؟!
عاد شبح الابتسامة غير المكتملة و التي لا تحمل أيّ بريق أمل أو سعادة ليكتسح شفثيه..ثم
أجابها بصوتٍ ذات مغزى مرير ؛
_لا أحد في هذا العالم قادر على أذيتي مثلما فعل هو...لا أحد !!

ثم تنهد بقوة..و قال و هو يهم بالوقوف ؛
_سأذهب الآن قبل أن تعود أُمي..لقد أمرتني بأن أبتعد عنك تمامًا بعد أن أخبرتها واحدة من
المشرفات الكريهات بجلوسنا معًا..
بدت شهد غير مستعدة لهذا الوداع بعد..لكنها رغم ذلك أومأت على مضض..قبل أن ترفع
رأسها تزامناً مع وقوفه أمامها بطوله الفاره الذي يكاد أن يتجاوز الأطفال في سنه..
لكنه لم يذهب فوراً..فرد يده ناحيتها بهدوء..فتمسكت بها بلا ترددٍ لتقف بحجمها الضئيل
أمامه..

حينها فقط..كانت تلمح ابتسامة حقيقية تحتل عينيه..ثم انخفض قليلاً ليقبل وجنتها
بخفة..و همس لها بهدوء و هو ينظر لعينيها الواسعتين ؛
_اعتني بنفسك يا شهد..
أومأت له شهد بطاعة رغم إدراكها و إدراكه بأنها أضعف من أن تستطيع الاعتناء بنفسها في
منتصف مكان كهذا..فصمت للحظة واحدة ثم عاد يهمس بنبرة ساهمة لم تنسها على الإطلاق ؛
_يا شهد العسل !!!

طرفت شهد بعينها بحيرة و كأنها لا تفهم طبيعة هذا اللقب الذي سمعته منه لمراتٍ قليلة..و
هو لم يتنازل ليمنحها تفسيرًا..

فقد كان ينتظر أن تكبر قليلاً بعد لتستوعب بنفسها ماهية ما يعنيه..فالتفت عنها مغادراً
بهدوء..إلا أنها هتفت من وراءه بخوفٍ لا تستطيع التحكم به ؛
_ماذا لو أخبرتك تلك المشرفة السيدة عفاف عن تحدثنا اليوم ؟!!
تسمر هادي للحظة..ثم التفت إليها بهدوء مردفًا بنبرة ثابتة ؛
_سأنكر !!

ثم أكمل طريقه بهدوء..و عادت هي لتجلس فوق الدرجة الصغيرة تر اقبه بغير ارتياح..بدون
أن تطرأ في عقلها فكرة..أن ذلك اللقاء قد يكون..اللقاء ما قبل الأخير بينهما..
و كم كان الأخير جميلاً و مُميزًا !!!

عادت من تلك الذكرى التي لا تعلم هل تصنفها سعيدة أم أليمة !!
كل ما تدركه..بأنها في هذه اللحظة..تعجز تمامًا عن كبح مشاعر الخوف التي بدأت تلتهم
روحها و هي تنظر إلى الباب المغلق في مقابلها..عقلها يستعيد الأسئلة الحمقاء التي ألقاها
الصحفي..ثم ردة فعل هادي..

لقد طال اختفائه بداخل الحمام..طال بشكل جعل القلق يعصف بقلبيها أكثر..ظلت جالسة
مكانها للحظاتٍ أخرى..تنتظر قليلاً لعله يخرج قريباً أو تصدر حركة من الداخل تنهي هذا الصمت و
تريحها عليه..

لكن لا شيء سوى صوت جريان الماء الذي لم يتوقف منذ دخوله و كأنها حركة يحاول بها
التمويه عن ألمه..

ارتعشت أنفاسها و أغمضت عينها لوهلة..قبل أن تقف فجأة و تتجه إلى الباب المغلق بعد
أن وضعت القميص بعناية لا تناسب الموقف فوق السرير..
توقفت أمام الباب تشعر بالتردد..ثم رفعت يدها تريد أن تطرقه..لكنها عادت لتغلقها و تغلق
عينها معها مترددة أكثر..

تخشى أن تواجه إحدى نوبات غضبه التي واجهتها لمراتٍ تعد بالأصابع في بداية زواجهما..لكن
خوفها و قلقها عليه يتعدى كل تلك المشاعر الدخيلة..

لهذا..أخذت نفساً عميقاً حاولت أن تستمد به بعض القوة..قبل أن تعود لترفع يدها و تطرق
الباب بخفوتٍ منادية بصوتٍ يرتعش ؛

_هادي...هل أنت بخير ؟!!

لم يصلها أي رد منه..فأطرقت بوجهها بإرهاق حتى لامس جبينها سطح الباب الأملس..
و ظلت و اقفة مكانها مغمضة عينيها بنفس الإرهاق للحظات..قبل أن تفتح قبضتها
بحزم..لكن هذه المرة لم تكلف نفسها عناء طرق الباب..بل تمسكت بالمقبض مباشرة..و ترددت
للمحة قبل أن تبتلع ريقها و تديره ببطءٍ إلى أن فتحتة بالكامل..
تقدمت خطوة مرتجفة نحو الداخل..و كما توقعت..وجدته يقف هناك..عاري
الصدر..يستند براحته إلى الجدار الأبيض تاركًا المياه الجارية تنساب لتبلل الأرض فقط بدون أن
تلمسه..

فقد كان ظهره ملتصقًا بالجدار وراءه..بينما رأسه و كتفاه متهلّان نحو الأسفل و هو يناظر
الأرض بملامح لم تنجح بأن ترى انطباعها من مكانها..
لكن شكله..جعلها تتذكر ذلك اليوم مجددًا..تشعر و كأن كل مشهد عاشاه في
الطفولة..يتكرّر في الحاضر بطريقة أخرى..
لم يرفع رأسه إليها..و لم تصدر عنه أي حركة أو رد فعل و كأنه لا يسمع و لا يشعر..لأول مرة
تراه بهذا الشكل..لأول مرة تشعر بالخوف الحقيقي من الإقتراب منه في أشد حالاته ضعفًا...
لأول مرة...تراه ضخمًا بهذا الشكل رغم أنه بشهادة الجميع كان شابًا نحيلًا !!!
لكن خوفها و ترددها و قلقها..لم ينجح في أن يثنى عن الإقتراب منه..فتحركت ببطءٍ تجر
قدميها الرخوتين نحوه..

إلى أن وصلت إليه و امتدت يدها تغلق صنبور المياه فورًا..ثم رفعت رأسها تنظر إليه أخيرًا..و
هالها أن ترى منظر الألم المرعب الذي كان يملأ عينيها الجاحظتين كشخصٍ ميت..قبل أن يطبق
جفونه بقوة و كأنها محاولة لكبح هذا الضعف عنها..
لقد شعرت به..كان يحاول جاهدًا أن يمد نفسه بالقوة..ليرفع رأسه..ليقف مستقيمًا على
الأقل..أو ليستجمع بعض الحروف التي قد تكوّن كلمة يطمئن بها..
إلا أن كل ما استطاع فعله..أن انخفض أكثر إلى أن جلس فوق الأرض خائر القوى..كذلك
اليوم تمامًا يستند إلى ركبتيه بمرفقيه..و بعض الخصلات من شعره الناعم الذي لامسه القليل من
التبلل تلامس جبينه..تساعده في إخفاء هذا الضعف عنها عبثًا..
توقفت مكانها للمحة تشعر بالعجز..العجز عن انتقاء كلماتٍ ملائمة لهذا الوضع..العجز
عن التخفيف عنه..العجز عن احتضانه بأمله هذا إلى قلبها..

لا تعلم هل هو ألم ناتج عن فراق أخ..أو ربما محض ردود فعل معقدة لشخصٍ مثله..يعجز
عن الشعور بذرة حزن لفقد أخيه !!

لم تتردد أبدًا من الإنخفاض مثله ببطءٍ إلى أن جلست على ركبتيها أمامه..و امتدت يدها بتردد
كبير لتلمس يده الباردة هامسة بلوعة ؛

_هادي...!!!!

ظل على نفس الوضع و كأنه لم يسمعها..حتى أنه لم يتفاعل مع لمسة يدها الحانية على يده..و
ساد الصمت طويلاً..طويلاً بدون أن تحاول قطعه..تمنحه كل الوقت الذي يحتاج و كل العزلة التي
يريد بدون أن تتركه أو تبتعد عنه إنشأً واحدًا..

تنتظره بصبر "امرأة عاشقة" لا مجرد مراهقة كما وصفها ذلك الصحفي أن يبدأ في

الكلام..أن يسرد لها القليل و يبوح بما لا يستطيع أن يبوح به لغيرها !!!

إلى أن تكلم بالفعل..همس بصوتٍ ضعيفٍ لا يشبه صوته أبدًا..بدون أن يرفع رأسه إليها..

_لقد كنت أكرهه...!!!!

أغمضت شهد عينها ببطءٍ شاعرة بقلها يتمزق لأشلاء صغيرة حزناً..قبل أن تسمع صوته

يهمس مصححًا بغصة مختنقة خارت لها كل قوته ؛

_لقد كنت و لا زلت...أكرهه !!!

صمت جديد لم تتجرأ على قطعه..صمت جديد مظلم..كئيب..مليء بالألم و الحزن عمّ

الأرجاء..ثم وجدته يعود ليتكلم و كأن هذا كل ما يحتاج إليه...الكلام !

_لقد كان أكثر شخصٍ حملت له الكره في قلبي بعد أكرم الشاذلي..كانا أكثر شخصين..كرهتهما

في حياتي...و تمنيت لهما الموت بأسوء الطرق..

لمحت تلك الارتعاشة التي اكتسحت شفثيه بينما هو يستأنف يهمس شجي معذب..صوته

بالكاد يصل إلى أذنها رغم مسافتها القريبة منه..

بالكاد يصل إلى أذنها..لكنه فور أن يصل يخترق قلبها كالصاعقة...كالرصاص تمامًا !!

_لقد كرهتهما من كل أعماق قلبي شهد !! و تلك المشاعر ظلت تثقل كاهلي لسنواتٍ طويلة لم

أستطع خلالها التخلي عنها أبدًا..لم أستطع تبديد حرارة ما أشعر به و لو قليلاً..فاستسلمت و سلّمت

نفسي لعذاب الحقد و الكره نحو أشخاصٍ لن أستطيع في يوم ما أن أؤذيهم...!!

لم يرفع رأسه نحوها و هو يسترسل بصوتٍ غريب بعد لحظاتٍ أخرى من

الصمت..صوت..حمل عاطفة مختلفة..

_ إلى أن قابلتك أنت مجدداً!!.. حينها فقط... شعرت بذلك الثقل يخف تدريجياً.. و تلاشى بعض الغضب من داخلي.. وجدت نفسي أتماطل عن مآسي الماضي لأنشغل بك فقط بغير تعمد مني.. هز رأسه بالنفي و كأنه ينفي عنه تهمة شنيعة و هو يهمس مجدداً بضياح ؛

_ لكن ذلك الكره لم يرحل عني رغم ذلك... شعرت به في كل مرة نظرت إلى بطاقة هويتي التي تربطني بشخص كهذا.. بشخصين مثلهما..

تعقدت ملامحه و هو ينظر للأسفل بعينيه الفارغتين.. و تشنجت أصابعه تحت يدها بشكل واضح لها.. لكنها لم تترك يده رغم ذلك.. بل أطبقت عليها برفق تضغط عليها بأناملها الرقيقة و كأنها حركة تحاول من خلالها منحه بعض المواساة..

و أخيراً رفع رأسه.. و أخيراً منحها فرصة النظر له.. فرصة منحه القليل من حنان عينيه الفائضتين حباً.. لكن مشاعر عينيه لم تصل إليه.. ربما.. بل ربما لم يرها حتى.. فقد كانت ملامحه ضائعة تماماً و كأنه قد انعزل الآن في عالم يخصه وحده.. و قد انتقل ذلك الضياح إلى صوته بينما يهمس عاقداً حاجبيه قليلاً بحيرة ؛

_ أليس الأمر يبدو غريباً؟! هل ما أشعر به طبيعي حقاً؟! هل يعقل... أن يشعر المرء بالتشفي لرؤية عذاب أبيه؟! أن لا تلامس قلبه ذرة حزن لفقد أخ!! حتى و لو كان هذا الأخ لا يستحق معنى الصلة حتى لكن... ألا يقولون بأن رابطة الدم هي أقوى رابطة في العالم!!! لماذا لا أشعر بأي شيء إذا؟! كيف يمكن أن أتعامل مع حدث كهذا بمنتهى البرود و... اللآ شيء!! و كأنني سقطت في فوهة مغمض العينين.. مستعد لأن ألقى ضربة مميتة قد تنهي حياتي.. لكن مدة وصولي طالت جداً.. جداً... ففتحت عيناى أفتقد نفسي لأتفاجأ بأنني سقطت بالفعل.. أنا ألامس ظلام الفوهة.. لكن أي ألم... غير موجود!!!!

صمت للحظة أخرى.. ثم نظر في عينيهما المعذبتين أخيراً ليمس بصوته المختنق ضائعاً.. يبدو كطفل صغير تلقى صدمة غير متوقعة..

_ أليست هذه هي طبيعة البشر؟! أن يشعروا بالألم لفقدان أحباءهم بغض النظر عن كل ما يسوءهم.. لما لا أستطيع أنا إذاً غض البصر عن كل مساوئهم؟! لما لا أشعر بالحزن على أخي كباقي البشر.. ما كل ذلك البرود الذي استهلكني حتى بقيت و اقفاً بدون أن ألقى كلمة واحدة على مسامع أبي المنهار؟! مهما كانت أفعاله سيئة في حقي!!! هل أنا شخص حقوق شهد؟! هل أنا بهذا السوء حقاً؟! كيف يمكن أن يصل الإنسان إلى هذه المرحلة من تبلد المشاعر؟!... لدرجة أن أجد نفسي و قد استهلكت كل الحب الذي كان بداخلي حتى فقدت القدرة على منحه... أو تقبله! كيف!!!!

كان صوته قد ارتفع في آخر كلماته..و اشتدت نبرته بشكل جعل عينها تتسعان خوفاً عليه من نوبة انهيار مثل تلك..و قبل أن تتمكن من أن تقول شيئاً وجدته يستأنف هاتفاً الآن بعذاب شديد بينما الإحمرار الذي توهجت له عيناه يخبرها أيّ انفعالاتٍ داخلية مجنونة يكابدها..
_لقد تمنيت له الموت نعم..طلبت من الله أن لا تكون نهايته لينة..أردته أن ينال العقاب الذي يستحقه إنسان مثله..لكنها كانت مجرد أفكار مكتومة لطفل صغير تعرض للإضطهاد من كلا أبويه..
لم تستطع أن تتمالك نفسها بعد هذه اللحظة..فوجدت نفسها تندفع بغير تخطيط لتطوق وجهه بكلتا يديها..و همست بحرارة و توسل ؛

_اهدأ..أرجوك اهدأ !!!

لكنه لم يهدأ..بل تضاعفت الانفعالات في وجهه..و استأنف بصوتٍ يتفتت من الألم.. ينظر لعينها و كأنها الشخص الوحيد الجدير بالتبرير..

_ذلك الطفل لا يزال حيّاً في داخلي شهد..ذلك الطفل الضائع الذي تم حرمانه من أبسط أمنياته..مجرد بضع دقائق يقضيها كل أسبوع مع صديقه..مجرد أن يلتحق بكلية الفنون بدل الأعمال..مجرد أن يتملص من لقب لم يشعره يوماً سوى بالخزي..مجرد أن يختار مسار حياته بمفرده..بينما تحت نفس السقف..كان الأخ الأكبر..ذلك الذي عاش ملكاً.. كل ما عليه فعله هو الإستمتاع..ثم يأتي والداه من خلفه لينظفا كل قذاراته بصمتٍ تام..لا مجال للعتاب ها هنا فذلك شهاب الشاذلي..يحق له فعل ما يشاء ما دام ما يفعله لن يتعارض مع إرادة أبيه..بينما أنا..أحرم من مزاوله شغف بريء..مهنة شريفة..يتم منعي من الإرتباط بالفتاة التي أريد...كيف يمكنني أن أحبه بعد كل هذا شهد ؟!!!!

هتف السؤال الأخير باستنكار شديد و قد تحجرت بعيني لمعة دموع لمحتها بقلبيها..و سألت دموعها تجاوباً معها..خاصة و هي تسمعه يستأنف بعذاب و ضياع أكبر..كمن يحرر أسراراً دفينه سئم من كتّمها في قلبه طوال سنوات..

_كيف يمكنني أن أحمل بعض المشاعر الطيبة لإنسان لم يتسبب سوى بالأذى لكل شخصٍ دخل إلى حياته ؟! كيف يمكنني أن أتوقف عن كرهه و أن لا أمقت الشخص الذي حقق أحلامه الفاسقة على حساب أحلامي البريئة ؟! ذلك الشخص الذي لم يمنحني لحظة واحدة خلال حياته المريضة ليعبر لي عن حبه كأخ كبير..كسند..الشخص الذي لم يرف له جفن بينما ينظر إلى ألمي.. الشخص الذي لطالما حفز أبي ضدي و كأنني عدو لذود له..هذا الشخص الذي لم يرني كفرد من عائلته يوماً حتى..شخص عاش كالعبد المُسير خلف شهواته !! كيف لا أكرهه..كيف لا أكرهه !!!!!

رأت بقلب يرتجف و يخفق بسرعة القطرات الساخنة التي تحرّرت أخيراً من عينيه..بينما
همس باستنجاد يكرّر السؤال السابق و هو يتشبّث بها..يتمسكُ بمعصمها بقوة بدت مؤلمة بينما
ينظر إلى عينيها بجنون ؛

_هل أنا شخص سيء شهد؟! هل ما أشعر به طبيعي؟! أخبريني شهد...كم تبلغ درجة القسوة
التي حملتها كلماتي؟! ربما..ربما كل ما عليك فعله هو أن تشعرني بالمقت الشديد تجاه رجل مثلي..رجل
وقف أمام جثة أخيه بملامح فارغة..لا يشعر سوى بالهدوء..و بعض التشفي!!! لا تخافي أبداً و
أخبريني..أنا شخص سيء...أليس كذلك!!!

هتفت شهد بصوتٍ مختنق لم يرتفع عن الهمس و هي تطوق وجهه أكثر..تخاطب عينيه بلوعة
غير عابئة بالألم الذي ترسله قبضته إلى معصمها..

_توقف أرجوك...توقف عن تعذيب نفسك بهذا الشكل..إن ما قلته الآن إن دل على شيء..
فعلى كونك إنساناً جيداً بالفعل..كل ما قلته...كل اعتراف هو تأكيد حقيقي على كونك قد شعرت
بالحزن فعلاً لفراق أخيك..هذا الألم و الخوف الذي يكتسح عينيك من فكرة أنك لم تستطع الحزن
على وفاة أخيك..هو إثبات على حزنك..لقد شعرت بالحزن عليه..و لم تكن مشاعرك بالهينة أبداً..
ربما قلبك يرفض أن يسلم بتصديق مشاعرك تلك..ربما بأعماقه يستنكرها..لهذا يحاول باستماتة أن
يمنحها اسماً آخر...

اقتربت منه إلى أن لامس جبينها جبينه هامسة من بين دموع سخية بحرارة ؛
_أنت لست سيئاً..أنت أكثر شخصٍ جيد قابلته في حياتي..لا يمكنك أن تكون عاجزاً عن
الشعور بالحب بعد أن منحني كل الحب المتواجد في هذا العالم..و أنت لا تعجز عن تقبله أيضاً لأنك
نفس الشخص الذي ما إن لمح ذرة حُب واحدة في عيناى حتى نسف كل خطط الشهور و قرّر في لحظة
واحدة التمسك بذرة الحب تلك..بي..حتى آخر نفس..إنك نفس الشخص الذي تقبلني للمرة الثانية
بدون أن يسألني عن سبب افتراقى عنه..الذي عقد قرانه عليّ مسلماً بصدقي..بدون شروط...بدون
تردد!!!

صمتت فجأة تنظر لعينه من بين غمامة دموعها التي رفضت التوقف عن السقوط بقوة
كزخات المطر..و بدا لها في تلك اللحظة و هو ينقل عينيه بين عينيها و كأنه يحاول أن يصدق كلماتها
كطفل بالفعل..

لا يشبه هادي الصارم..الغاضب و المخيف في بعض الأحيان..همس بصوتٍ متحشرج ضعيف
مسّ قلبها..بعد لحظاتٍ طالت من الصمت..

هل أنا كذلك بالفعل؟؟

هزت رأسها لعدة مراتٍ و هي تهمس بصوتها المختنق بصدق ؛

_أنت كذلك..أقسم لك..أقسم لك...لا يمكنك أن تكون شخصًا سيئًا أبدًا..

جذبتة بعدها إلى صدرها تحتضنه بقوة شديدة..فتشبث بها هادي مغمضًا عينيه على أنفاسٍ مرتجفة و كأن عقله عجز للوهلة الأولى أن يستوعب قدر الدفء الذي اكتنف روحه خلال لحظة واحدة..

بينما أحاطت ذراعاه بخصرها بقوة حتى شعرت في لحظة ما بأنه على وشكٍ سحق تلك الروح الصغيرة التي تعيش هناك..

لكنها لم تهتم اليوم..بل وجدت نفسها تضمه أكثر..ذقنها يلامس شعره..و ركبتيها اللتان تركز بهما فوق الأرض الباردة قد لامسهما التبلل أيضًا من فوق تنورتها الخضراء الداكنة..همست بصوت خافت جدًا ربما لم يسمعه أحد غيرها بينما تغمض عينها بشدة.. تتخلل شعره الناعم بأناملها بدفءٍ لا مثيل له..

_ "توقف عن تعذيبي بألمك..توقف أرجوك !!! "

طال هذا العناق لدقائق لم يشعر بها أحدهما..فقد كان لا يشبه أيّ عناق آخر..كانت و كأنها تعانق روحه المهشمة..آلامه و وجعه الذي لطالما حجّبه بنظرة مقتضبة عن الجميع..تحتضن ذلك الطفل المقهور الذي أخبرها عنه..تحتضنه بصفتهما شهد الكبيرة التي تستطيع أن تفهم و تستوعب..و تشاركه كل ألمه..

كما احتضن تلك الطفلة المهشمة بداخلها ليلال و أيام طويلة..إلى أن منحها الأمان ضدّ كل الندوب التي لا تموت !!

لقد أحسن القدر جمعهما..إنهما كشخصين اجتماعا لمهمة واحدة محدّدة..أن يداوي كل منهما الآخر..أن يصبح للآخر -المأوى- الذي احتاجه و تمناه طوال حياته !!

سمعت صوته بعد دقائق طالت يهمس فجأة و هو يبتعد و كأن عقله قد تنبه لشيءٍ مهم ؛

_أنا..أنا على الأرجح عليّ أن أستعد الآن لحضور مراسم الدفن..لقد تأخرت كثيرًا..

ظلت يدها معلقة في الهواء و هي تر اقبه بينما يستند إلى الجدار و كأنه قد فقد كل قوته دفعة واحدة الى أن وقف أخيرًا..

قبل أن يرفع يده ليبعد شعره إلى الوراء ناظرًا للسقف للحظة سريعة..ثم أخفض عينيه لها مجددًا..و قد كانت لا تزال تجلس مكانها..وجهاها شاحب بشدة كوجهه..

بدا وكأنه قد تذكرها للتو رغم أنها كانت بجانبه..تسانده و تحتضنه طوال الوقت.. إلا أنه كان عاجزاً عن ملاحظة كل الانفعالات المؤذية التي جعلها تعيشها معه اليوم..

كيف يمكنه أن يكون أنانياً لهذا الحد ؟!

لدرجة التي تجعله ينشغل بمشاعره غير عابء بتواجدها من حوله ؟! برغبتها الصادقة في أن تكون جزءاً من ألمه !!!!

فرد يده ناحيتها بهدوء..أنامله لا تزال ترتعش بعد نوبة انهيار غريبة يعايش شبيبتها لأول مرة في حياته..لكن عينيه صامدتين..يتلقفهما شيء من الحنان المنسوب إليها فقط..
وكذلك اليوم..بل كمراتٍ عديدة..رفعت يدها بغير تردد لتريحها فوق يده..فأطبق عليها فوراً باحتواء قبل أن يسحبها برفق رغم الوهن الذي كان لا يزال يلتهم ملامحه إلى أن وقفت على قدميها أمامه..لا يزال القلق يعصف بعينيها و قلبها عليه..

امتدت يده إلى وجهها تلامس ذلك الإحمرار الخفيف الذي يؤطر جفونها..و ظل يتأملها للحظاتٍ بعينه الحزینتين..قبل أن يجذبها إلى حضنه بخفة ليطبّع شفّتيه بقوة على وجنتها بينما يحتضنها برفق..

يمنحها عناقاً مشابهاً للذي منحته له قبل قليل..لكنه أشد هدوءاً و أقل انفعالاً..و كأنه عناق...امتنان شديد لوجودها بجانبه !!

شعر بذراعها تطوقان خصره بقوة..فهمس باختناق و هو يغرق أنفاسه في خصلات شعرها الحالكة و المنسدلة بحرية مطلقة..يتخللها بيديه الإثنتين و كأن حياته بأكملها تتوقف على تلك الحركة..

_لقد ارتكب ذلك الصحفي غلطة عمره حينما نعتك بالمراهقة..أنتِ لستِ مراهقة..لا يمكنكِ أن تكوني مراهقة..أنتِ..لستِ أقل من امرأة مكتملة النضج..ناضجة للحد الذي يجعلك كفيّلة بنقل

إنسان من حالة اليأس الشديد..إلى الأمل الشديد..لهذا الحد و أكثر !!

كانت ترتجف مثله..استطاع أن يشعر بارتجافتها بل و يعيشها معها..فشدد من احتضانها بقوة..يشتم نفسه على نوبة انهيار لم يكن يستطيع الخروج منها لولاها..

ساد بعض الصمت الكئيب..ثم عاد صوته ليرتفع هامساً بصدق..يضمها إلى قلبه أكثر و أكثر بينما يفضي إليها بكل مشاعره ؛

_هل تظنين بأن مجيئك لهذا العالم كان من فراغ ؟! قطعاً لا...لقد جنّت إلى هذا العالم

المظلم لتتبعي للبشر بأنه لا يزال هناك قلة قليلة منهم ممّن يمتلكون قلباً من ذهب كقلبك

حبيبتي..رغم أنني متأكد بأنني لو بحثت في جميع أنحاء الكون..لن أعثر على شبيهتك..أنت...أجمل

شيء حدث في حياتي شهد!!!!

أطبقت شهد عينيها على دمعة جديدة انسابت بنعومة على وجنتها..دائمًا يجيد انتقاء كلماته

ليصهر قلبها المتعطش للحب..و للتقدير بها..

خاصة لو جاء هذا الحب و التقدير من أغلى شخص على هذا القلب..منه هو !!!

تهيدة طويلة هربت من بين شفثيه قبل أن يبتعد فجأة ليمس بنبرة متعثرة بينما يمسح عينيها

هو الآخر و كأنه يحاول إخفاء تأثره الواضح عنها ؛

_أنا...سأبدأ بتجهيز نفسي لحضور المراسم..

تجاوزها بسرعة بعد أن ربت على كتفها..ليقف أمام المرأة يبحث في أحد الأدراج الخاصة

بالخزانة الصغيرة المعلقة بجانبها بحركات خرقاء..

بينما ظلت شهد ترأقبه من مكانها..كالعادة ترأقبه بصمتٍ إلى أن أخرج "ماكينة حلاقة"

فتحها سريعاً.. ثم ارتفعت يده الأخرى يغمر بشرته بصابون الحلاقة قبل أن يهم بالحلاقة فعلاً..

لكنه لشدة الضياع الذي كان يسيطر عليه..صدر منه تأوه مكتوم مع أول محاولة و هو يبعد

رأس الماكينة الحاد عن ذقنه حيث أحدث جرحاً صغيراً بدأ ينزف..

ثم لم يشعر إلا بشهد تقترب منه بسرعة تنظر إلى ذلك الخدش الصغير بذقنه بجزع كبير..

صدر صوت تأوه صغير منها و هي ترفع يدها لتلامس نقطة الدماء الصغيرة بطرف أصبعها..

فهمس هادي بصوتٍ حاول أن يكون هادئاً..إلا أن العكس تماماً ما حدث..فقد خرج صوته

ضائعاً تماماً مثله..فاقدًا للتركيز بينما يلتقط أحد المنااديل الورقية التي رفعها بين يده يمسح أثر

الدماء برفق..

_إنه مجرد خدش..لا تقلقي..

كيف يمكنها أن لا تقلق؟؟!!!

ظهر الاستنكار جلياً على ملامحها و كأن جملته ضاعفت من قلقها..ثم ما إن أبعد المنديل

ملقياً به في سلة المهملات و همّ بإتمام ما كان قد بدأه..

قالت بقوة و هي تقف بجانبه ؛

_أنا سأفعل!!!

نظر لها هادي باستغراب لوهلة.. لكن عينيه سرعان ما انحرفتا إلى صورتها في المرأة.. وارتفع حاجباه قليلاً وهو يرى انعكاسها الصغير بينما تسحب المنشفة البيضاء المعلقة بعناية و تقترب منه أكثر لتمسح كل أثر للمسحوق على وجهه..

يا الله... هل هو حُلْم تحقق؟! إنه لا يزال يتذكر تلك اللحظة !!

حينما توقف هنا.. في نفس المكان بعد ساعاتٍ من رحيلها.. يقابل انعكاسه الوحيد متمنياً لو يراها بمعجزة ما تقف وراءه مبتسمة ابتسامتها البريئة الحزينة..
حسنًا.. ربما هي لا تبتسم اليوم.. وربما.. بدت صورتها باهتة.. مختلفة عن ما تمناه يومها..
لكن... ألا تكفيه حقيقة كونها هنا.. موجودة معه.. برفقته.. لأجله.. تقف أمامه.. تنظر لعينيه الهاربتين منها.. غايتها الوحيدة.. تضميد جراحه حرفياً و مجازياً !!

شعر بأناملها الرقيقة تتمسكُ بمعصمه لتسحبه معها خارج الحمام.. وكأنها قد تخلت عن دور الصغيرة شهيد و قرّرت أن تتقمص دور أمه ربما..

فانصاع إليها بصمتٍ.. إلى أن دفعته برفق لتجعله يجلس فوق الأريكة الوثيرة و كأن كل مهمتها في هذه الحياة تقتصر في الحرص على تأمين كل سبل الراحة المتاحة له..

ثم ابتعدت تختفي بداخل الحمام لحظة واحدة قبل أن تعود حاملة في يدها إناء دائرياً صغيراً ممتلئاً بالماء حيث وضعت بداخله ماكينة الحلاقة.. والمسحوق الخاص به..

وضعتهم مهدوء فوق الطاولة القريبة جداً من الأريكة.. قبل أن تبتعد مجدداً أمام أنظاره.. هذه المرة لتدفع كرسيّاً مغلفاً بغطاء صوفي ناعم كان محفوظ في جانب معين من الغرفة.. فعلم هادي غايتها منه..

و قبل أن تتمكن من الجلوس.. همس لها بخفوتٍ أمراً :

_ لا تجلسي هناك !!

تسمرت شهيد للحظة على وضعيتها حيث كانت على وشك الجلوس للتو.. ثم همست بينما

تستقيم ناظرة إليه بحيرة :

_ أين أجلس ؟!!

لم يمنحها هادي جواباً واضحاً.. فقد اكتفى بأن رفع حاجبه في إشارة واضحة جعلت وجنتها تحتقنان بخجلها اللذيذ..

لكنها رغم ذلك لم ترفض طلبه.. اقتربت ببطءٍ منه إلى أن جلست فوق ركبتيه كيوم أمس..

فامتدت يده تلقائياً لتطوق خصرها كما يفعل دائماً.. و شرعت هي بصمتٍ في حلاقة ذقنه الخفيف..

كان هادي يراقبها بعينه الحزینتین بشغف..حدقتاه تتحرکان مع کل حركة تقوم بها بشكل
جعل حرارة التوتر بداخلها تتضاعف بعض الشيء..

إلا أنها ظلت هادئة رغم ذلك..کل ما كانت تفعله..أن تبقى حريصة على تجنب عينيه خوفاً من
أن تفقد ثباتها المزعوم وربما تفقد الوعي أيضاً استجابة لنظراته..
لكنه رفض أن يبقى على هذا الصمت..فسمعته يهمس بعد لحظاتٍ مبتسماً نصف ابتسامة
باهتة ؛

_و أخيراً حققت حلمك !!!

توقفت يدها فجأة عن ما تفعله..قبل أن تعود لتستأنف بهدوء بينما تهمس بصوتٍ
مضطرب..لا تزال مصرة على تجنب عينيه أكثر ؛

_لم يكن...حلماً...لقد...كنت أبدي رأيي فحسب...

شعرت بيده على وجنتها فجأة..فتسمرت للحظة..ثم رفعت عينها لتقابل عينيه أخيراً..و حينها
همس و هو يصنع دوائرًا وهمية بإبهامه على وجنتها ؛

_والآن ؟!!!

طرفت مجدداً بغباء..و فتحت فمها لتهمس بعد عدة محاولاتٍ بئسة لإيجاد صوتها ؛

_الآن ماذا ؟!!!

ظل هادي صامتاً للحظة يتأملها..ثم قال بصوته الخافت المبحوح بعد كل انفعالاته المتتالية
اليوم ؛

_لما لم تعودي تبدين رأيك على شكلي ؟!!

رفعت حاجبها بدهشة و هي تشعر بأنها تعاني خللاً في قدرتها على السمع..ثم همست تلقائياً
كالمنومة مغناطيسياً ؛

_ش...شكلك !! شكلك لا يعلى عليه !!!

أطبقت عينها للحظة..بينما ارتفع جانبها شفتي هادي في ابتسامة تحمل فيضاً من حنانه..إلى
أن عادت تهمس بتوتر ؛

_أ..أقصد..أقصد...أنت...كلما نظرت إلى وجهك لا يطرأ في ذهني أي شيء سوى فكرة

أنك.....

عادت تصمت شاعرة بالإختناق..فهمس هادي يحثها برفق و يده تتحرك بنعومة على ملامحها
إلى أن لامس ذقنها يقبض عليه برفق ؛

_أنني...ماذا ؟!!!

أسدلت جفونها ببطءٍ مخفية عنه تعابير عينيها الشفافة إليه..و ظلت صامتة لعدة

ثوان..قبل أن تهمس بخفوتٍ شديد..بصوتٍ سمعه بصعوبة ؛

_أنك...رائع...جداً..أقصد...تبدو وسيماً في جميع حالاتك !!

لم تتغير تعابيرها أبداً..لكن عينيها برققتا بشدة..و تحفز قلبه و هو يتأملها بكل ثباته الذي

يأسرها..و يربكها..حينما تأكدت بأنه لن يمنحها أي جواب باستثناء لمساته الدافئة التي تصهرها..

رفعت عينيها إليه ببطءٍ..و حينها..ابتلعت ريقها ببطءٍ أكبر و هي تنظر لابتسامته غير

المكتملة..ابتسامته جميلة جداً..يا الله كم اشتاقت إليها..

هل يعقل أن تشاق إليها في ظرف ساعاتٍ قليلة ؟! أم ربما خوفها من عدم إمكانية رؤيتها قريباً

كان السبب !!!

لم تشعر بذلك الارتفاع الضئيل جداً الذي ظهر في جانب شفتيها..لكن هادي لمح..و و

تحركت أنامله على وجهها يلامس بإبهامه طيف الابتسامة البريئة التي اشتاقها مثلها.. متأملاً إياها و

كأنه يعتمد أن يفقدها كامل تركيزها المفقود نصفه أساساً..

طرفت بعينيها لعدة مراتٍ و كأنها تحاول أن تنفذ نفسها من هذا الوضع الذي تراه كارثي..قبل

أن تغرق الماكينة في الماء مخلصه سكينها الصغير من البقايا الشبه ملحوظة لشعر ذقنه..و ترفع يدها

مستأنفة فيما كانت تفعله..

و مجدداً..لا تستطيع التحرك إلا و هي مبعدة عينيها عن عينيها..

بينما تراجع هادي قليلاً يتأمل تلك البساطة و الهدوء في ملامحها بنهم أكبر..

أساساً لطالما كانت بسيطة و هادئة..إلا في أحيان قليلة جداً قد لا تذكر..مثل ليلة أمس..ليته

استطاع أن يقتنص تلك اللحظات الثمينة لها ليلة أمس !

تلك اللحظات النادرة التي يراها تتكلم باستفاضة معبرة عن مكنونات قلبها..حيث يقطن

هو..متربعا على عرشه كالمملك...

لكن ما حيلته و هو يحيا في جميع حالاتها !!

يعشق هدوءها و انطلاقها بنفسٍ القدر..براءتها و نضجها..لطفها و تدمير عينيها

اللطيف..تفهمها و حُبها غير المشروط له..حتى تلك الهرمونات التي ظنّها مزعجة..يجب ما تفعله بها و

بمزاجها !!!

_لقد انتهيت !!

سمع صوتها يأتيه هادئاً مجدداً.. خافتاً مستكيناً و هي ترفع المنشفة بين يدها لتمسح ذقنه برفق..

فامتدت يده للمرة الثانية اليوم لتقبض على ذقنها برفق لا لشيءٍ إلا ليقابل عينيها.. كلما أشاحت بهما عنه.. افتقدتهما !! و كلما منحته إحدى نظراتها الوديدة الجميلة.. تنهد مشتاقاً أكثر !!

هذه المرة لم تسمح للتوتر بأن يهزمها.. وضعت المنشفة جانباً لتحتل مكانها يدها التي لامست وجهه برفق.. و همست مبتسمة بنبرة حملت تلك الوداعة في عينيها ؛
هل نجحت ؟!!!

للحظة عجز هادي عن استيعاب سؤالها.. قبل أن يهز رأسه في حركة غير ملحوظة.. ثم همس و هو يرفع أحد حاجبيه ببساطة ؛
لما لا تتأكدين بنفسك !!

فغرت شفيتها كالبلهاء أمام هذا السؤال الماكر..
ماذا يريد أن تفعل ؟! عموماً هي ستفعل كل ما يريده أي كان !!!
كيف أتأكد ؟!!!

همست ببرائتها الجميلة.. لولا أنها هذه المرة لم تكن براءة حقيقية.. فارتفع حاجبه أكثر.. و آمال رأسه في حركة ذات مغزى تاركاً شبح الابتسامة الباهتة يتلاعب على شفيتها..
فما كان منها إلا أن تنهدت.. تنهدت باستسلام تنهيدة خافتة.. قبل أن تقترب ببطءٍ منه إلى أن طبعت شفيتها برقة على ذقنه.. ثم نظرت له...

لكنه كان مغمض العينين الآن كشخصٍ يمارس رياضة التأمل.. لقد كانت تلك رياضته المفضلة بالفعل.. تأمل عينيها.. وجهها.. شفيتها.. صوتها حتى و ابتسامتها..
الفرق الوحيد بين رياضته و تلك الرياضة الحقيقية.. أنه كان يستطيع التكلم بكل ارتياحية بينما يتأملها.. لهذا سمعته يهمس بصوتٍ رخيم بدون أن يفتح عينيهِ ؛
الجهة الأخرى !!

فغرت شهد فمها أكثر.. و امتلأت عيناها غباء.. و ظلت تنتظره بصبر أن يفتح عينيهِ.. إلى أن فتحها بالفعل.. لمهمس بجذل بينما يرفع حاجبه أكثر و أكثر حتى شكّت بأنه سيلامس منابت شعره ربما..

لمزيد من التأكد... من سيضمن لي بأنكِ قمت بنفسِ الأداء البارع في كلتا الجهتين !!!

عقدت شهد حاجبها قليلاً بشكّ و ذلك الغباء يتضاعف أكثر و أكثر.. فعاد يهمس بينما يزم
شفتيه بصبر نافذ ؛

_شهد.. لا تدعيني أفسر صمتك على أنه خوف من ردة فعلي إذا ما اكتشفت بأن هذا الجانب
الذي قبلته بمنتهى الرحابة أكثر نعومة من الآخر !!!
كان و كأنه يخاطب نفسه.. أو ربما كل كلمة تقتحم عقلها على شكل شتيمة.. فلم يلبث أن رأى
غباءها يتضاعف و شفاهها تنفج أكثر بشكل استفزه..
إلى أن ابتلعت ريقها.. لتهمس أخيراً بصوتٍ ضائع ؛
_أكثر...نعومة ؟!!

عاد نفس الحاجب ليرتفع بصرامة.. فعادت تبتلع ريقها ببطء.. ثم اقتربت قليلاً لتمنحه أرق
قبلة على ذقنه الآخر.. قبلة كانت بتأثير الأولى.. و جعلته يغمض عينيه متأماً كما فعل قبل قليل..
إلى أن شعر بها تبتعد قليلاً.. ففتح عينيه مبتسماً بحنان.. ابتسامته لا يزال يتلقفها الحزن رغم
أنها تشكّ بأنه قد تناسى كل معضلات اليوم برفقتها..
همست و هي تعود لتلمس ذقنه بعد أن نجحت برسم ابتسامة ضئيلة ؛
_ناعم جداً.. أظن بأنني نجحت..

أوماً هادي ببطء و عيناه تعودان لتغرقان ببعض الشرود.. قبل أن يحتضن خصرها برفق.. ثم
همس بينما ابتسامته تتلاشى قليلاً ؛
_هل شعرت بالخوف مني اليوم ؟!!

كان صوته خافتاً حنوناً و هو يلقي بالسؤال الذي طرأ في عقله للتو.. خاصة و هو يرى قميصه
المطوي بعناية فوق السرير..
و كم أراحه جوابها.. بحيث هزت رأسها بالنفي هامسة له بكل ثبات.. تثبت له صحة كلامه قبل
دقائق..

_منك... ؟! قطعاً لا !!

صمتت للحظة.. ثم عادت تردف بصوتٍ حزين يحمل أنهار عشق جارف يحتوي قلبها ؛
_الحقيقة بأنني خفت كثيراً.. خفت عليك !!!

شبح ابتسامة جديدة شق شفتيه.. قبل أن يقربها منه برفق إلى أن استكان رأسها فوق
صدره.. محتضناً إياها بقوة حانية.. بينما شفتاه على شعرها تتنعمان بشذى عبقة الساحر..

كانت عيناها تطالعان الجدار المقابل لهما الآن..بينما يدها كراسها ترتاح فوق صدره..تلامس بشرته تمامًا بهدوء..و بدت مترددة بعض الشيء و هي تفتح فمها لعدة مراتٍ بغاية نطق سؤال قفز في عقلها للتو عبثًا..

قبل أن تأخذ نفسًا عميقًا مكتومًا..ثم همست فجأة ما جعل ذلك الغضب المخيف يحتل عينيه في لحظة خاطفة ؛

_هل...ستؤذيه حقًا ؟!!

لم تسمع منه أي رد..لكنها شعرت بضغط ذراعه يزداد على كتفها بدرجة غير مؤذية أبدًا..فسكنت لثوان أخرى..ثم ابتعدت بهدوء لتقابل عينيه مجددًا..و همست بنفس التردد..بينما الأمل في عينيها..الأمل في أن تسمع جوابًا تريده يملأ قلبها..
_ذلك الصحفي..هل ستقطع رزقه بالفعل ؟!!

قست عيناه قليلًا بشكل ملحوظ حتى بدتا كقطعتين من حجر صلب قادر على كسر أمل أي شخص ذكرها بسوء بدون أن يرف له جفن..لكنه همس لها رغم ذلك برفق.. بصوت هادئ ناقض القسوة في عينيه ؛

_لقد تحدثت عنك بالسوء !!!

قالت شهاد تهز كتفها بتسامح ؛

_كانت..غلطة غير مقصودة..

رفعت يدها فورًا لتغطي وجنته مضيفة برجاء ؛

_إنه مجرد صحفي أخطأ..ذاتًا أنا لم أهتم بكلامه..

تهادى هادي بتعب و هو يتأمل كل تعابيرها الشفافة..قبل أن يرفع يده ليمسك بيدها التي على

وجنته برفق..و همس بينما يقبض عليها بحنان بدون أن ينزلها ؛

_ماذا تريدني أن أفعل ؟!

قالت فورًا بغير تردد..و بنفس نبرتها المترجبة الخافتة ؛

_لا تؤذه !!

لم يدرك لما شعر ببعض الغيرة تجتاح قلبه و هو يسمع نبرة الرجاء في صوتها..يعلم بأنه شعور لا

منطقي..لكنه لا يملك أمر إيقافه أو تحمله !..

لهذا قال بهدوء ينهي هذا الحوار المزعج بالنسبة له ؛

_لم أكن لأؤذيه أساسًا..لقد كانت مجرد ردة فعل استحقها بدافع غضبي..

ابتسامتها التي اكتسحت وجهها بعد هذا الرد... جعلت قلبه يختلج بجمالها.. لكنه فجأة انتفض
و هو يسمع صوت تأوه خافتٍ منها تزامناً مع يدها التي تركت يده تحاوط خصرها.. فقال بقلق ؛
_ ما الخطب ؟!!!

أغمضت شهاد عينيها للحظة تستعيد خلالها أنفاسها.. قبل أن تعود لتفتحها ناظرة له
بابتسامة مندهشة و هي تشعر بالألم يتلاشى في لمح البصر ليعود و يجفلها في اللحظة التالية..
_ لقد شعرت بشيءٍ للتو.. أظن بأنه ركلي !!!

تأوهت مجدداً و هي تنحني على نفسها قليلاً هامسة بنفس نبرتها التي تحتضن سعادة بهذا
الشعور اللا مثيل له بالنسبة لها ؛
_ لقد ركلي لمرة متتاليتين... لا أصدق !!!

هل كانت تتوقع أن تحصل على ردة فعل طبيعية منه ؟! لقد خاب توقعها إذاً !!!
فقد وجدت عينيها تتسعان بقوة.. ثم هتف بنبرة هجوم بينما يده تحتل مكان يدها باحثاً عن
موضع ألمها ؛
_ ركلك !! كيف يتجرأ ؟!!!!

بهتت ابتسامتها قليلاً و هي تراه ينخفض بسرعة مقرباً أذنه من بطنها.. قبل أن تعود و تتألق و
هي تسمع صوته يهمس بنفس نبرته الحمائية ؛
_ لا أشعر بشيء.. هل تتألمين ؟!!!!

كانت تلك أول مرة.. تراه بهذه الهيئة الطفولية رغم سنة الذي يعتبر في أوج شقاوته و
تهوره.. لأول مرة تشعر بأنها امرأة ناضجة بالفعل.. ناضجة أكثر من هذا الرجل الذي هتف للتو رغبة
في صفع طفله ربما عقاباً على ركلة طبيعية من حقه..
و رغم إدراكها الداخلي بأن هذا الأمر يكاد أن يكون شبه مستحيلاً خلال الشهور الأولى.. إلا
أنها أحببت أن تفكر بأن ذلك الألم الذي شعرت به منذ قليل هو ناتج عن ركلة حقيقية من
طفليهما.. أول ركلة...

كما أحببت وضع هادي الآن و ردة فعله.. و هذا كفيل بأن يحفزها على أن تتمسك بقرارها
أكثر.. و بالتالي فلن تخبره إطلاقاً بما تعرفه..

همست و هي تعض على طرف شفيتها محاولة كبح ابتسامتها ؛
_ ربما... خاف من تهديدك !!!

رفع هادي رأسه ناظرًا لها مضيقًا عينيه.. فأطرقت برأسها محاولة بكل الطرق إخفاء ابتسامتها
التي لا تناسب الوضع بتاتًا..

لكنه لمحها.. فقال باعتراض و هو يمسك بذقنها ليرفع وجهها مجددًا نحوه ؛
_هل هذه ابتسامة ؟! دعيني أرى..

جالت عيناه على وجهها للحظة.. إلى أن استقرت فوق شفيتها و شعر بالضيق و هو يراها
تطبق على شفيتها السفلى بأسنانها كل غايتها أن تخفي تلك الضحكة الواضحة تمامًا عنه.. فهمس
بشيء من الإنزعاج و هو يعقد حاجبيه قليلًا ؛
_توقفي عن ذلك !!

فهمت شهد مغزى أمره فورًا فأطبقت شفيتها على أسنانها بأدب.. لكن العقدة بين حاجبيه لم
ترتخي.. و ظل ينظر لها عابسًا للحظة.. قبل أن يمد يده ليمسح على شفيتها بإبهامه برفق قائلاً ؛
_كيف تؤذين نفسك بهذا الشكل !!!

رفع أنظاره قليلًا إلى عينها و هو يسمع صوتها المستكين يهمس بخفوت ؛
_لم أفعل !!

لكنها عادت لتراجع مسدلة جفنها ما إن نظر لها بصرامة لم تكن حقيقية تمامًا.. قبل أن
تسمع تهديدته الهادئة.. ثم صوته يقول فجأة ؛

_لقد وعدتك أن أساعدك في حل تلك المعادلة المعقدة !

رفعت شهد عينها إليه ببطء.. فقال بينما يبعد خصلة من شعرها إلى خلف أذنها ؛

_لا تقلقي.. أنا على وعدي.. ما إن أعود حتى أساعدك في حلها..

لم تبدو شهد مهتمة حتى بتلك المعادلة التي تكلم عنها.. فقد لاح بعض القلق الذي يخصه هو
على ملامحها.. و همست فجأة ؛

_لقد كنت ستعود إلى العمل اليوم !!

شعرت بالندم فورًا بعد إلقاءها لهذه الجملة و هي ترى شبح الابتسامة يهت تمامًا على

ملامحه و كأنه قد كان غارقًا في عالم خيالي مبهرو قد عاد ليسقط فجأة مرتطمًا بالحقيقة القاسية
بعد تعليقها.. قبل أن يتنهد بتعب هامسًا بصوتٍ ساهم ؛

_كنت !!

شعرت بيده تتركُ وجهها لتندس تحت ركبتيها إلى أن حملها برفق فتعلقت بعنقه تلقائياً و هي تسمع صوت خطواته تقودها نحو السرير..و ما إن وضعها هناك برفق..همس و هو يربت على جانب وجهها بحنان ؛

_لن أتأخر طويلاً..عديني بأنك لن تجهدي نفسك أبداً في عمل البيت إلى أن أعود..
أومأت له شهد بطاعة..فعاد يهمس لها بدون أن يفارق بشرتها برفق ؛
_سأحضر معي طعام العشاء جاهزاً من الخارج..لا تقلقي بشأنه أيضاً..
عادت تهز رأسها بطاعة و عيناها الواسعتان تناظرانه بحزن التصق بهما بالفطرة.. لكنه لم يكتفي بإجابتها تلك..فقال يأمرها بنبرته الحنونة ؛
_لا تقلقي على وضع أزهارك أيضاً..أنا سأهتم بسقايتها اليوم ما إن أعود..
لم تستطع أن تهز رأسها بالإيجاب هذه المرة..اكتفت بأن أسبلت رموشها قليلاً..فقال هادي مؤكداً بهدوء و أنامله تتحركُ مربتة على جانب وجهها برقة ؛
_لا تخرجي للحديقة اليوم يا شهد..الجو ليس ملائماً تماماً و قد يهطل المطر في أي وقتٍ و تمرضين..اتفقنا حبيبتى !؟

عادت شهد لتقابل عينيه الحبيبتين بنظراتها الخالصة للحظة..ثم لم تلبث بعدها أن همست بطاعة ؛

_حاضر..

منحها هادي شبح ابتسامة دافئة و هو يميل عليها بهدوء ليطبع قبلة حانية فوق وجنتها..ثم ما إن همَّ بأن يرفع رأسه..تفاجأ بذراعيها الاثنتين اللتين ارتفعتا فجأة تطوقان عنقه بشدة..ثم همست بصوتٍ أجش و هي تضمه بقوة ؛

_عدني بأنك...ستتمالكُ نفسك و لن...تسمح لتلك الأفكار الغبية بالسيطرة على ذهنك !!!
أغمض هادي عينيه بقوة و هو يهمس متأوهاً بينما يحتضنها برفق ؛
_أعدك حبيبتى..لا تقلقي أبداً..

شعر بضغط ذراعيها يخف تدريجياً من حوله و كأنها تحاول أن ترغم نفسها على فصل هذا العناق بمشقة..إلى أن ابتعد قليلاً ليقابل ملامحها المتوردة رغم تعيها..
لكنه لم يقف فوراً..فقد عادت يده لتعزف ألحاناً ناعمة على وجنتها..قبل أن تصدر عنه تهيدة مكتومة كانت وحدها من ساعدته على الوقوف بحزم..

اتجه بعدها بهدوء إلى الخزانة ليفتحها منتقيًا بعض الثياب الرسمية..بينما استقامت شهد
جالسة على السرير..تراقبه بقلق لا يزال حيًا بداخلها إلى أن اختفى بداخل الحمام..
و مجدداً..تنتظر خروجه بصبر..لكنه هذه المرة لم يتأخر لحسن حظها..فلم يطل الأمر لأكثر
من دقائق معدودة حتى وجدته يخرج في حلة بدت غريبة جدًا عليها..

فغرت شهد شفتيها تمامًا كالبلهاء..لقد كان يرتدي بدلة رسمية كاملة..ببنطال أسود و قميص

أبيض و سترة سوداء !!! لأول مرة في حياته ربما !!!!

_شهد..أين حذائي الأسود ؟ ألم تريه ؟!

انتفضت فجأة على صوته من شرودها الأحمق به..قبل أن تقف بسرعة لتتجه إليه بحيث
كان يقف بجانب الخزانة المفتوحة التي فتحها للتو بنفسه بحثًا عن حذائه لكنه للعجب لم يجد
الحذاء الذي وضعته بنفسها هناك..

انخفضت قليلًا لتخرجه من مكانه في الأسفل حيث وضعته سابقًا..ثم وضعته بهدوء في

الأرض..فقال هادي رافعًا حاجبيه بدهشة ؛

_كيف وجدته هناك ؟! لقد كنت أبحث عنه للتو و لم أجد !!

همست شهد مبتسمة نصف ابتسامة صغيرة..غير قادرة على منع عينيها من التدقيق بشكله

المختلف...الوسيم !! بينما هتف عقلها موبخًا في نفس اللحظة..

" يا لك من وقحة عديمة الإحساس !! لقد مات أخوه للتو يا حمقاء !! "

_أسرار فتيات..

همست بخفوتٍ شديد..فانخفض هادي ليحمل الحذاء و يجلس فوق الأريكة الوثيرة هامًا

بارتدائه..بينما ظلت شهد و اقفة مكانها لعدة لحظاتٍ تراقبه..قبل أن تهمس فجأة غير قادرة على منع

نفسها ؛

_لما لا تضع ربطة عنق ؟!!

رفع هادي رأسه نحوها بدهشة..لكنه لم يلبث أن هز كتفيه مردفًا بغير مبالاة ؛

_لا أعرف كيف يتم عقدها..

عاد ليخفض رأسه نحو حذائه مستمرًا فيما يفعله بينما يضيف بهدوء ؛

_هل تعرفين أنت ؟!

تلكأت شهد للحظة قبل أن تقول بأسى ؛

_لا أعرف..

لكنها نظرت حولها فجأة لتقع عيناها على هاتفها المحفوظ فوق المنضدة..فاقتربت منه
لتحمله شارعة في ضغط مجموعة أزرار بسرعة..

إلى أن هتفت فجأة تزامناً مع وقوف هادي ؛
_أظن بأنني أصبحت أعرف..

نظر لها هادي بتساؤل و هو ينقل عينيه بينها و بين الهاتف في يدها..فاقتربت منه مبتسمة
كطفلة صغيرة بينما تهمس ؛
_الطريقة سهلة جداً...أنظر !!

نظر هادي لشاشة الهاتف الذي رفعته نحوه لذلك الفيديو الذي شغلته للتو من أحد
مواقع التواصل..و قد كان يوضح الطريقة بالفعل..بالنسبة لها فقد فهمت فوراً..
أما هو..فقد عقد حاجبيه بتركيز و هو يشاهد المقطع بتمعن..لكنه للأسف عجز عن الفهم
من المرة الأولى..فارتفعت يده يضغط زر إعادة التشغيل ليشاهده مجدداً بنفس تقطيعه الحاجبين..
ثم في النهاية..نظر لها هامساً بتشوش ؛
_لا بأس..لا أظن بأنها مهمة إلى هذا الحد..

فغرت شهد شفيتها بنفس البلاهة للمرة التي لا تذكر كم اليوم..قبل أن تنزل الهاتف بيأسٍ و
هي تراه يتجاوزها بكل بساطة مقترباً من محفظته و هاتفه..
ظلت على نفس النظرة للحظة..قبل أن تتجه بسرعة إلى الخزانة العريضة لتفتحها و تخرج
ربطة عنق سوداء..

ثم و قبل أن ينجح في الخروج..كانت قد وصلت إليه و وقفت أمامه كحاجز..نظر هادي إلى
ربطة العنق في يدها بيأس و هو يردف ؛
_لا بأس يا شهد..أنا لست ذاهباً إلى مناسبة خاصة..أنا.....

صمت فجأة و كأن لسانه يعجز عن تشكيل الحروف لينطق بكلمة " الموت و الجنازة " ..لكن
شهد بدت مصرة جداً..فقالت و هي ترتفع على أطراف أصابع قدميها لتصل إلى عنقه عبثاً..
_رجاءً..دعني أعقدها سريعاً..

نظر لها هادي بيأسٍ..لكنه لم يلبث أن انخفض قليلاً سامحاً لها بوضع الربطة في مكانها
المخصص حول عنقه..لكنه لم يستطع أن يعود ليستقيم حتى بعد أن وضعتها..

كل ما فعله أن قبض على كتفها ليجعلها هي من تقف باعتدال و ظل منحنيًا إليها قليلاً..ير اقيها و هي تشرع في تنفيذ ما تعلمته بإتقان..لطالما كانت تتمتع بذكاء مبهٍر..إنه لا يستغرب

سرعة تعلمها حقًا !!

حسنًا..يبدو بأنه قد حسد ذكائها الفتاك !!

فقد وجد يديها فجأة تتوقفان عن ما تفعلانه..ثم عقدت حاجبيها و كأنها تحاول أن تتذكر

الخطوة التالية..لكنها عجزت على ما يبدو..

فنظرت له برجاء فهمه فورًا..و ما كان منه إلا أن تهد متنازلًا..فتركته لتتجه إلى هاتفها و

تفتحه على نفس المقطع..قبل أن تعود إليه بسرعة لتشرع في إتمام ما بداته..

_سأنتهي فورًا..

كانت قريبة منه جدًا..بدون أن تدري حتى..و قد وجد نفسه مرغماً ينحني أكثر و أكثر إليها و

كأنه يحاول استنشاقها..

استنشاق وردته الجميلة المزهرة حتى بدون أن يلمسها..

إلى أن انتهت بالفعل..و حينها فقط..استوعبت هذا الاقتراب و هي تراه يمسكُ بخصلة من

شعرها..يكاد أن يلصقها بأنفه مستنشقا عيبرها بنهم..مغمضًا عينيه بشجن..و كأنه للمرة

الألف...يمارس أجمل هو اياته على الإطلاق !!!

لم تستطع أن تقطع هذه اللحظة أبدًا..فابتلعت ريقها ببطءٍ و هي تراقبه بصمتٍ لوقتٍ

طال..لكنها في النهاية اضطرت لإنهاءها..فهمست بصوتٍ متخاذل خافت جدًا..جدًا..

_هادي !!!

لم يفتح عينيه فورًا..ظل على نفس الوضع للحظة أخرى..قبل أن يفتحهما ببطءٍ لينظر لها

تمامًا بعينه المحتقتين بشتى المشاعر..

فهمست و هي تشعر بقليلها يكاد أن يتهاوى تأثرًا ؛

_لقد انتهيت..

طرف هادي بعينه ببطءٍ و هو يستقيم أخيرًا مخفضًا عينيه إلى ربطة عنقه..ثم رفع يده

يتفحص عملها المتقن..قبل أن يلوح على شفثيه نصف ابتسامة باهتة و هو ينظر إلى نفس

النقطة..عيناه تحملان بريق حُبٍ يمتزج مع بريق حزنه و ألمه..و بريق آخر...يشبه السخرية !!

لقد كانت سخرية لا تخصها..بل تخص القدر غير الرحيم..عجيب أن يجد الإنسان نفسه

ملزمًا على تجهيز نفسه لحضور مراسم دفن !!!

عاد لينظر لها بهدوء.. حريص على أن لا تحمل نظرتة شيئاً باستثناء الود و الحنان الذي تحتاجه.. تحتاجه بشدة في الحقيقة.. لهذا وجد نفسه يمسك بيدها برفق ليرفعها إلى شفثيه مقبلاً
ظاهرها..

هذا كان الجواب الوحيد الذي أَرْضَى به الترقب في عينها رغبة في سماع ردة فعله عن طريقة تنفيذها لما تعلمته..

قبل أن يمنحها آخر تربية على كتفها حيث اتجه بعدها مباشرة إلى باب الغرفة ليفتحه و يخرج بهدوء بدون أن يغلقه..

و كان دور شهد الآن لتتهد بتعب.. قبل أن تمسك بنفس خصلة الشعر التي كانت بين يده قبل قليل.. بنفس اليد التي قبّلها قبل لحظة.. بينما يدها الأخرى... ارتفعت تلامس ظاهر كفها تتفقد قبلته بشرود..

نفسه الشرود الذي كان يهيمن على كل حواس هادي بينما يفتح الباب الرئيسي و يخرج.. لكنه ما كاد أن يغلقه حتى كان يتسمر و هو يرى سيارة لؤي تتوقف أمام منزله..

ثم خرج هذا الأخير بسرعة ليدور حول السيارة إلى أن فتح الباب من الجهة الأخرى.. و

انخفض ليحمل سجي بين ذراعيه.. سجي التي بدت رُبما... فاقدة لوعيا !!

ظل واقفاً مكانه ير اقبه بصمتٍ بينما يقترب.. إلى أن وقف أمامه بالفعل.. و حينها فقط قال لؤي متهدداً و هو ينقل عينيه منه إلى سجي..

يتأملها بعينين تخفيان الكثير من الأسرار الحزينة..

_ لقد غفت أثناء الطريق.. كانت مرهقة جداً ففكرت أن أتركها مع شهد لتهتم بها إذا ما

احتاجت لأي شيء..

" 46 :نسمة من الماضي "

#شهد

كان الصمت الكئيب يخيم على كل أرجاء المنزل..فمنذ أن غادر هادي برفقة لؤي بعد أن وضع هذا الأخير سجي التي كانت تبدو مغيبة عن هذا العالم فوق السرير الوثير بإحدى الغرف التي دلتته عليها أنا..ليهمس لي بنبرته الهادئة المتفهمة لأقصى حد ؛

رجاءً اعتني بها لو احتاجت شيئاً..

حينها نظرتُ لهادي الذي كان يقف بجانبه بعض القلق يلتف بعينيه و هو ينظر إلى سجي النائمة..قبل أن أهز رأسي بالإيجاب كموافقة على طلبه..

كانت نظراته لها..لشخصٍ يتركُ مضطراً قطعة من روحه لساعاتٍ فقط في وصاية شخصٍ يثق به..و شعرتُ بعد إجابتي تلك..بأنني لمحت بعض التخاذل يلامس ملامحه..

و كأني بايمائتي الهادئة..منحته الإذن ليفارقها..رغم أن عينيه كانتا ترفضان بشكل قاطع

تركها !!!

منذ تلك اللحظة..و هي لم تستيقظ بعد..كنتُ أذهب إلى غرفتها بين كل عدة دقائق لأطرق الباب بخفوتٍ آملة أن أسمع صوتها..لكن الصمت ما كان يقابلني في كل مرة..فلا أجد بداً من فتح الباب بخفوتٍ كل غاييتي أن أطمئن عليها..

كهذه اللحظة تماماً..توقفتُ أمام الباب لأطرقه بنفسٍ الخفوت..و ما إن قابلني الصمت من الداخل..أمسكت بالمقبض لأدفعه برفق متقدمة نحو الداخل بتردد..

لكنها هذه المرة لم تكن نائمة كالمرات السابقة..بل تفاجئتُ قليلاً و أنا أراها تجلس فوق

السرير..تحتضن ركبتيها بين ذراعيها و تستند برأسها إليهما..

تتأمل بعينين متسعيتين قليلاً النافذة المقابلة لها و المفتوحة على الحديقة كأغلب النوافذ في منزلنا أنا و هادي..

ما فاجئتني حقاً ليس وضعية جلوسها..و لا الحزن الفارغ المرتسم على ملامحها..بل حقيقة

كونها مستيقظة..و رغم ذلك لم تصدر صوتاً..لم تسأل عن مكانها..و لم تجبني حينما طرقتُ الباب !!

حسناً..أستطيع أن أمنحها العذر نوعاً ما..فقد توفي ابن خالتها يوم أمس فقط..و بطريقة

شنيعة جداً خلفت خلفها فضيحة أشد شناعة من موته !!

تقدمتُ عدة خطوات نحو الداخل بتوتر و أنا أشعر بشيءٍ من الإحراج ينتابني من فكرة أنني دخلت بدون إذن..

لكن رغبتى الصادقة في الإطمئنان عليها كانت أسمى من شعوري ذاك..
لكنها رغم ذلك لم ترفع رأسها و لم تغير من وضعيتها و كأنها لم ترني..على الأرجح كانت شاردة جداً..شاردة إلى درجة تمنعها من استيعاب أو سماع دخولي..أو حتى سماع صوت طرقات الباب قبل قليل !

توقفتُ مكاني للحظة أشعر بالتردد من أن أقاطع شرودها ذاك أو أغادر بصمتٍ حتى لا أزعجها ربما..

الحقيقة أن علاقتي معها كانت بعيدة جداً..سطحية بقدر ما هي صادقة..رغم ذلك لا أنكر بأنها دائماً ما عاملتني بود شديد لم أعهد مثله في حياتي..
أنا حتى أنذكر ابتسامتها النقية التي منحتها لي في أول لقاء لي معها..يوم عقد قراني الأول مع هادي...

لكن كل ذلك الود و اللطف لم ينجح في نزع قشرة صلبة لا تزال تحول بيني و بين قدرتي على التعامل معها ببديهية مثلما تفعل..

لقد كنتُ أشعر كلما نظرتُ لها...بالنقص !!

لطالما كانت تمتلك هالة تجعلها تبدو شديدة الأرسقراطية حتى في لحظات الحزن.. أنيقة إلى حد يجعلني أستصغر صورتي في المرأة لو قارنت نفسي بها..
و رغم ذلك فأسلوبها اللطيف الهادئ في مخاطبتي على الدوام لا يمكنه إلا أن يجعلني أكن كل الإحترام لها..

كانت أنيقة..هادئة..و واثقة..لولا نظرة الانكسار التي أَلَمَّتْ بملامحها حديثاً!
كانت نظرة لمحتها لأول مرة في جوف عينيها الباسميتين في يوم عقد قراني الثاني بهادي...و كم أَلَمَّتني رغم أنني لم أفهم سببها !!

أليست تحب لؤي ؟! ألم يكن زواجهما عن حُب كما يبدو !!
هل يمكن لأي امرأة مرتبطة برجل في مثل أخلاقه و تفهمه أن يلامس عينيها نظرة...انكسار !!!
لا أعلم هل كانت تلك النظرة حقيقية أم ربما مجرد توهم من عقلي الأحمق الذي لطالما احترق تمييز أطياف الحزن المندثرة خلف الابتسامات الزائفة..

لكنها فقط...أَلَمَّتني لدرجة تمنيت أن تكون مجرد وهم بالفعل !!

فإنسانة مثلها..تمتلك ابتسامة دافئة تجعل كل الأشخاص من حولها يبتسمون تلقائياً

لرؤيتها..لا تستحق أن يشوب قلبها أو يهز ابتسامتها تلك ذرة حزن !!!

بطريقة ما..و أنا أنظر لها اليوم..شعرتُ بأن كل تلك الأناقة ليست إلّا وهمًا..

كانت اليوم بسيطة أكثر من المتوقع حتى لإنسانة خرجت من وعكة صحية للتو.. بسيطة

بشكل...حزين !

مجرد قميص قطني أبيض و بنطال في نفس اللون..و شعر ناعم منسدل عشوائيًا.. أظافر

غير مقلمة تجعل شخصًا رآها لعدة مراتٍ من قبل يتفاجئ...و يحزن بدون سبب !!!

اقتربتُ خطوة أخرى منها إلى أن وقفت على بعد مسافة قصيرة من طرف السرير.. و حينها

فقط..قبل أن أهمس شيئًا..كنت أرى عينيها ترمشان ببطءٍ و كأنها قد انتهت أخيرًا لذلك الظل الذي

وقف أمامها..

ثم حرّرت ذراعها ببطءٍ و هي ترفع عينيها إليّ بصمتٍ..نظراتها خالية تمامًا من

التفاجئ..انتظرتها للحظة أن تقول شيئًا..لكنها أبقت على صمتها..فهمستُ بصوت خافت ؛

_لقد...أحضركِ لؤي إلى هنا حينما كنتِ نائمة..و طلب مني أن أعطني بكِ..

ظلت نظراتها هادئة على حالها..تنظر لي و كأنها لا تميزني ربما..مجرد نظرة هادئة جعلتني أشعر

ببعض القلق..لكنني رغم ذلك استطعت أن أهمس أسألها باهتمام و أنا أنظر إلى شحوب وجهها ؛

_كيف تشعرين الآن ؟! هل تحتاجين لأي شيء ؟!!

لم يظهر أي تعبير آدمي على ملامحها سوى نظرة عينيها الفارغة التي لا تنم عن شيء..و كان

جواب أسئلتني صمت مطبق للحظات..

قبل أن تفتح فمها أخيرًا..و قد تأملتُ أن تطلب مني شيئًا ما لأنفذه لها بكل رحابة..إلا أن كل

ما فعلته..أن سألتني بصوتٍ خافتٍ به بحة واضحة من التعب ؛

_أين ذهب لؤي ؟!

شعرتُ بأنها فاجئتني بهذا السؤال..فتوقفت مكاني أنظر لها لوهلة بتردد..هي تعلم بما حدث

لابن خالتها بالطبع..على الأرجح هذا هو سبب حالتها تلك و شحوب ملامحها و عينيها..

لكن..لماذا أشعر بالتردد ينتابني حيال فكرة تذكيرها بالأمر الآن !! و كأنها ستكون قد نسته

بحلول الآن !!!

_لقد...لقد...لقد..تعلمين بأن السيد شهاب قد.....

صمتُ فجأةً أنظر لها بنفسي الإحراج الذي لا سبب له..قبل أن أبتلع ريقى و أنا أشتَم نفسي
شاعرة بأنني ذكرتها بالفعل..

فارتجافة رموشها و اختناق أنفاسها قليلاً فقط..حتى تلك النظرة التي لفحت عينيها.. نظرة
زائغة تماماً..كانت توضح لي مدى التأثير الذي خلفه ذكر اسم "شهاب" أمامها !!!
هل كانت علاقتها به جيدة ؟!

لم أشعر بهذا أبداً حينما زارنا ذات يوم..إذا صح القول فقد كانت تبدو يومها حانقة..قائنة
و متضايقة منه !!

تبّاً لي من حمقاء..إنه ابن خالتها بعد كل شيء !!! لا بد أن موته أحنّنها كما فعل بهادي !
لم استطع أن أمنع نفسي بعد أن فتحتُ الموضوع من أن أردف بنبرة تشبه الاعتذار على شيءٍ
مجهول ؛

_أنا..أسفة لمصابه...البقية لله !

هل قلتُ شيئاً خاطئاً ؟! أو غريباً ؟!! لماذا أشعر من ملامحها التي تخلصت من فراغها فجأةً بأنني
قلت شيئاً غير صائباً ؟! كانت ملامحها ملامح شخص تمت أذيته للتو بكلمة عابرة لا معنى لها !!
بدا و كأنني لا أقوم بتعزيّتها لفقدان شخص قريب و لو بالدم..بل و كأنني شتمتها أو ضغطت
على جرح قديم متقيح..

و كأنني...اعتذرتُ لموت شخصٍ لا يستحق الرثاء عليه أساساً !!

هذا ما كانت ترسله تعابيرها الضائعة من مشاعر لي..و مجدداً..وجدتُ نفسي كالبلهاء
أتحدث..لكنني هذه المرة لم أقل شيئاً باستثناء أن أجبت سؤالها السابق ؛
_قصدت أن أقول..لؤي و هادي ذهباً ليحضرنا مراسم الدفن..

راقبتُ يدها التي ارتفعت ببطءٍ لتلامس جبهتها و كأنها تمسح قطرات عرق عالقة هناك..و
رأيت كيف كانت أناملها ترتجف قليلاً..و كيف أن ملامحها اكتسبت القليل فقط من الهدوء مع ذكر
اسم "لؤي"..

لكنها رغم ذلك عادت لتتنظر لي..ثم همست هذه المرة بصوتها الذي تتوسطه غصة هادئة ؛

_هل...هل يمكنك أن تحضري لي فقط كأس ماء..رجاءً !

لم أتردد أبداً من الإيماء لها برأسي بسرعة..ثم استدرت على الفور لأتجه إلى المطبخ و أعود في
لمح البصر حاملة بين يدي كأس الماء كما طلبت..

وجدتها تجلس على نفس الوضع..لا تزال تتأمل النافذة المفتوحة بعينين متسعيتين لا
تفصحان عن أيّ شعور محدّد..

_تفضلي..

همستُ بخفوتٍ و أنا أفرد يداي نحوها بالصينية الصغيرة التي تحتوي كأس الماء.. فرفعت
أنظارها إليّ مهدوء..قبل أن ترفع يديها لتمسك الكأس بطريقة جعلتني أعقد حاجباي خوفاً من أن
يسقط من بين يديها المرتجفتين بشكل ملحوظ الآن و ينكسر..
لكنه لم يسقط لحسن الحظ..فقد كان أن رفعته بين يديها الإثنتين لترتشفه دفعة واحدة و
كانها تحاول بالفعل أن تملأ غصّة قوية تستوطن حنجرتها..
قبل أن تبعد الكأس و تغمض عينيها ساحبة نفساً طويلاً مرتجفاً..ثم أعادته لي هامسة
بصوتٍ شبه مسموع ؛

_شكراً لكِ شهيد..

أومأتُ لها بصمتٍ و أنا أستلم الكأس منها لأضعه في الصينية الصغيرة..ثم قلت محتفظة بنبرة
صوتي الخافتة الهادئة..بينما في اعماقي..كنت أشعر بتعاطفٍ لا أعلم سببه..
_هل تحتاجين لشيءٍ آخر؟! هل أحضر لكِ شيئاً لتأكلينه؟!
هزت رأسها بالنفي بصمتٍ..لكنني رغم ذلك لم أخرج فوراً..كنتُ أشعر بأنها في حاجة لشيءٍ
ما..شيء جعلها تنظر لي بتردد للحظة..
ثم طرفت بعينها و هي تشيح بهما عني تراقب النافذة مجدداً..و كأنها فقط تحاول أن تتأكد
من أنني لن اخرج بالفعل..و ما إن تأكدت..عادت تنظر لي بتردد أكبر..
نظرتها تلك..جعلت ذلك التعاطف الغريب يتضاعف في قلبي..و بالتالي بقيتُ واقفة مكاني
متأهبة لتنفيذ أيّ كان ما ستطلبه مني..

إلى أن فتحت فمها مجدداً..و حينها قالت بصوتها الهامس شيئاً جعلني أفغر فمي بغباء تام ؛
_هل ربما...يمكنني أن...أستلقي على ركبتيك قليلاً؟!

لم أستطع أن أجيها فوراً..فقد كان سؤالها صادماً جداً لي..فبقيتُ متسمة مكاني أنظر لها
بذهول للحظاتٍ..و حينها وجدتُها هي من تضيف بنبرة مهتزة جعلت رعشة ألم تنغز قلبي بدون سبب
واضح ؛

_أنا...أحتاج لهذا بشدة..لو لم يكن في الأمر أيّ إزعاج لكِ !

تسمرتُ للحظة أخرى..ثم لم أشعر بنفسي إلّا و أنا أهز رأسي بالنفي بقوة..ثم قلت و أنا أقترّب
من المنضدة الملاصقة للسرير حيث وضعت الصينية من يدي بسرعة ؛
_بالطبع...لا يوجد أيّ إزعاج في الأمر..

كنتُ لا أزال منحنية قليلاً حتى بعد أن وضعت الصينية من يدي..فسحبت نفساً طويلاً
مرتجفاً محملاً بدهشتي الكبيرة من كل الموقف..
قبل أن ألتفتَ نحوها مجدداً بتوتر..ثم اقتربت لأجلس على طرف السرير و كأنني أمنحها الإذن
و أحثها في نفس الوقت على الإعتماد علي..

لولا أنها لم تكن تحتاج لأيّ تحفيز مني..فقد وجدتها على عكسي..تنخفض بدون تردّد إلى أن
أراحت رأسها ببطءٍ فوق ركبتيّ مغمضمة عينيها بهدوء خادع..
شعرتُ بذلك التوتر يصبح أشد في داخلي و أنا أشهد هذا الموقف الغريب..بل أكثر من
غريب..فرفعت يدي المرتجفة قليلاً لأبعد خصلة من شعري خلف أذني..
لكن ما جعلني أتجراً قليلاً على مد نفسي اليد و القيام بالحركة التي يتوجب على أيّ أحد مكاني
فعلها..هو رؤية ملامحها الساكنة تماماً و التي تدل على كونها قد نامت بالفعل..
قربتُ أناملتي من شعرها الناعم لأربت هناك بتردد كبير جداً..لكنها لم تتحرك..بل بدت
ملامحها مسترخية تماماً..فزفرت نفساً خافتاً و أنا أرفع يدي الأخرى أيضاً مربّطة فوق خصلات شعرها
برفق..

و سرعان ما وجدتُ بأنني أستسيغ الحركة..فلم أنفكّ عن تمشيّط تلك الخصلات الناعمة
بسلاسة و رفق..و كم شعرتُ بالسعادة حينما تأكدت بأنها قد غفت بالفعل..
و بأنني..أخيراً نجحتُ في ردّ معروف تعاملها معي اللطيف بأن ألبّي لها رغبة "مؤلمة" كذلك...
أن تجد ركبتيّ توضع رأسها عليهما و تغفو...هذا ما كانت تحتاجه فقط !!!!
صوت حفيف أوراق الشجر لفت انتباهي..فالتفتُ قليلاً لأنظر إلى ما يحجبه زجاج النافذة
القريبة من طقسٍ غائم..

كان النسيم البارد يحركُ أوراق الأشجار في الحديقة بخفة..السماء رمادية تنبئ بسقوط
أمطار وشيك..لقد كان صائباً هادي حينما طلب مني أن لا أخرج للحديقة اليوم..
تهدأتُ بخفوت و أنا أعود لأنظر إلى سحبي..و كانت تلك الأخيرة نائمة بهدوء..و كأنها لم تمضي
اليوم كله في النوم لتغفو بهذا العمق ما إن استلقت على ركبتيّ الآن !!!

على الرغم من أن النافذة كانت مغلقة بالفعل..إلا أنني استطعتُ أن أشعر بارتجافة شبه ملحوظة تحتل جسدها الساكن..فأمسكت بالغطاء لأرفعه عليها ناظرة لها بأسى..
كيف يصدق الإنسان بأن تلك الفتاة ذات الأناقة الخلابة و البسمة الواسعة المشرقة.. و
الثقة المفرطة...

هي نفسها من طلبت مني أن أسمح لها بأن تستلقي على ركبتي قبل قليل !!
بل و هي نفسها من تنام الآن بهذا التعب و الاستسلام !!
ما ينافس تأثير ابتسامتها الإيجابي على القلب..هو تأثير شحوبها المحزن على نفس القلب !!

#هادي

كنتُ أقف مشدود الأعصاب..باطن حذائي يلامس الأرض الترابية و عيناى على جثمان أخي و
أنا أراقبهم بينما ينثرون ذرات التراب عليه..لا أزال لا أصدق حتى اللحظة بأن ذلك الشاب المغرور
المبتسم بتكبر على الدوام قد فارق الحياة بالفعل !!
هل يمكن منح الحياة وصفًا أعمق من مجرد وهم ؟! وهم كبير جدًا في الحقيقة !!
أظن بأن أكبر إنجاز يستطيع الإنسان تحقيقه خلال سنوات "وهمه" هو أن يموت بكرامة و
شرف..لكن ماذا عن من أمضى حياته بأكملها يسخر من الشرف..فهل يستحق أن يموت بـشرف-!!!؟
ربما كانت شهد على حق بعد كل شيء..لقد كنتُ أشعر بالأسى عليه..الآن لم يعد هناك داع
لإخفاء ذلك عن نفسي أو التظاهر بالعكس..لقد شعرت بالأسى و الحزن عليه..
و تمنيتُ لو كانت لديه فرصة أخرى في الحياة على الأقل لتصحيح أخطاء كبيرة يصعب
تصحيحها !!

كنتُ أقف ببذلتي السوداء بجانب لؤي..هذا الأخير يبدو هادئًا بشكل غريب..ملاحظه هادئة
فقط بدون تعابير..و من حركات يديه التي ما انفكت ترتفع بين كل لحظاتٍ و أخرى لتخلل خصلات
شعره أو ليرمق ساعته كان يبدو مشغول الذهن..قلقًا بشكل مبالغ به..
أنا أعلم سبب قلقه بالفعل و أعذره..لا بد بأن سجي في أمس الحاجة إليه الآن !!
سجي تحتاجه أكثر من أخيه الذي ابتلعه التراب بعد أن عاش في ظلمات الشر لسنين طويلة !
و بجانبه تمامًا ،كان.....والدنا !!!

وحده من كانت ملامحه تفصح عن ألم مرير لم أره يحتلها هذا الشكل قبلاً..كانت عيناه
مؤطرتان بالأحمر..يبدو و كأن هناك دموع لا تزال محتجزة بجوفهما بعد أن سقط منها الكثير
بالفعل..

لأول مرة يبكي بهذه الحرقه..يبدو كمن يقف أمام جسر نهايته..حيث طريق العودة بات غير
متاحاً..كل خطوة قد يخطوها بتهور..لن تدفعه إلا نحو نهايته التي يحاول الهروب منها !
لقد تلى عنه الجميع..أقصد بال"جميع"..جميع من كان السيد أكرم الشاذلي ينشد قريهم في
الماضي !!

جميع شركائه في العمل و رقي المكانة..جميع أصدقائه الذين هم أصدقاء مصلحة و
استعراض..بالطبع...لا أحد يريد أن تلتقط له الصحافة صورة أو يظهر اسمه و لو بالصدفة في
منتصف مقال يتم التحدث فيه عن فضيحة عائلتنا !
" رجل يخفي خلف جدار الأخلاق الناصع مستنقعات من القذارة ! "
لا أستبعد أن يكون هذا عنوان المقال الأول الذي سيكتب عنا..ثم تليه بالطبع آلاف المقالات
التي ستملأ الجرائد في غضون ساعاتٍ معدودة..ربما يتم تجهيزها الآن بينما نحن نقف في منتصف
حدث مأساوي..

لا أستبعد أيضاً أن يكون هناك على الأقل بضعة أشخاص يقفون في مكان بعيد عنا و عن
الحراس الآن و يلتقطون صورنا ليتم وضعها في الصفحات الأساسية للخبر اللافت للأنظار..
كان عدد الأشخاص الذين يقفون هنا..لا يتجاوز السبعة عشر..مجرد بعض الموظفين الذين
يشتغلون تحت أمره..و أربعة من أصدقاء لؤي القدامى..و بعض أصدقائي من العمل.....فقط !!
هل ترون السخرية في الأمر ؟!

شهاب الشاذلي الذي اعتاد أن يمشي بين الأزقة مزهواً بنفسه..الجميع على الأرجح من
الراكضين خلف مصالحهم يتمنون لحظة اهتمام منه..
لا يحضر مراسم دفنه إلا سبعة عشر شخص !!!
معظمهم لا يعرفونه و لم يقابلوه حتى..و الباقي مجرد استعراض و رغبة في التملق لمديرهم
الذي هو أبي !!!

هنا تكمن قيمة المرء الحقيقية..هل تظنون بأن هذا العدد كان ليكون أكثر لو أن هذا
الشخص الذي تم دفنه هنا كان شخصاً آخر غير "شهاب الشاذلي" الذي ظلم و تكبر و اغتر و تسبب
بالأذى ؟!

حتى هؤلاء الأشخاص بدوا متسرعين للذهاب.. فرأيتُ معظمهم أو جميعهم يقتربون منا
واحدًا تلو الآخر ليقدموا واجب العزاء عن طريق مصافحة أيدينا وإلقاء بعض الكلمات الحزينة التي
تحمل الأسف الزائف من معظمهم..

كنا ثلاثتنا.. نكتفي بإيماءة امتنان من رؤوسنا كلما وقف أمام أي أحد منا أحد ليصافحه.. و
كأن قدرتنا على ابتكار بعض العبارات الإمتنانية قد تداعت منا تمامًا..
إلى أن غادر الجميع لنبقى هنا نحن فقط الثلاثة.. لا نزال نقف بنفس الطريقة.. جميع العيون
مستقرة في الأرض و كأنها طريقة للتحسر أو لتوديع مجرد جثة شخصٍ صعدت روحه نحو السماء
مسبقًا... كنا نمنحه النظرة الأخيرة !

تلك التي يظن الإنسان غالبًا بأنه لن يبتسم بعدها و لن يعيش.. لكن الحياة سرعان ما تستمر
و كأن شيئًا لم يكن.. تلك هي الحياة و تلك طبيعية البشر..
لا أحد منا يملك تغيير ذلك !

استطعتُ أن أرفع رأسي بعد لحظاتٍ كما فعل لؤي حينما استدار أكرم الشاذلي.. أو أبي.. لا
زلت محتارًا في أي اسم عليّ أن أناديه به اليوم بالذات..
كان الانكسار في عينيه واضحًا.. ملامحه شاحبة تبدو لشخصٍ لم يتذوق طعم الراحة لمدة
أيام طويلة.. و نظراته مهتزة كمن ضاعت منه كل سبل الهدى..
رأيت عينيه كيف عادتا لترمقان شاهد القبر و كأنه ستركُ روحه هنا و يذهب.. مضطر أن
يذهب... ألم أخبركم ؟!

حسنًا.. حينما نتكلم عن استمرار الحياة بشكل طبيعي و اضطراري فربما هناك استثناء فيما
يخصّ أبي و أمي.. لاسيما أمي التي كانت طوال حياتها "شبه" مهووسة بكل ما يخصها..
إذا كنتم تتساءلون.. فنعم... أنا أقصد بما يخصها نحن أيضًا.. كل شخص ينحدر من دماء
أمي... يخصها ! بما فهم أبناءها !!!

رفع رأسه مجددًا لنا.. و كانت تلك أول مرة أنظر في عينيه مباشرة بعد سنين طويلة.. لم تكن
نظرة عادية أبدًا تلك التي نظرت لي بها و بادلتها إياها.. كانت نظرة عميقة جدًا.. غامضة و جوفاء..
كانت نظرة تخفي خلفها الكثير الكثير ممّا استطعتُ قراءته بدون جهد.. بالنسبة له خسارتي
أو خسارة لؤي حتى تساوي خسارة ابن واحد.. لكنه بخسارة شهاب قد خسر الجميع بالفعل ! بما
معناه أنا و لؤي الإثنين وجودنا يستحيل أن يملأ مكان شهاب !!!

بالنسبة له..كان وجودي مثل إضافة زائدة لا معنى لها..كل ما أراده من القدر قبلي كان طفلين
يربهما على الطريقة التي يريد..

الآن تحققت أمنيته بطريقة معاكسة..

الآن أصبح لديه ولدان فقط..لكن كلاهما لا يرتقيان لتعويض مكانة ولد واحد فقده !! ترون
سخرية القدر و طريقته في تصفية الحسابات !!!!

صوت الرعد في السماء جعلني أرفع رأسي لأنظر إلى السحابات التي تجمعت مستعدة
للبيكاء..أم ربما للضحك سخرية !!!!

و بالفعل..فلم تكد تمر لحظة واحدة..حتى كانت الأمطار تتحرّر غزيرة لتبلل كل ما هو
مكشوف..و مجددًا عاد -أبي- ليخفف رأسه يناظر بوجع ابنه المفضل الذي يرقد في العراء..
لأول مرة..شعرتُ بوميض من الشفقة نحوه و أنا أبعد كل الأفكار من عقلي محتفظًا بفكرة
واحدة و أنا أنظر له..أرى أبا لطالما ناشد الفوز في كل سباق خاضه خلال حياته..يجابه أقوى و أقسى
خسارة من الممكن أن يتحملها قلبه...خسارة ابنه !!

كانت خطوط العجز ترسم نفسها فوق كل ملامحه..ينظر لتراب قبره المبللة برغبة عاجزة
مقهورة في حمايته من قطرات المطر..يريد أن يمنع عن جسده الميت هناك الأذى و البرد..
لكن عقله يعود ليفطن للحقيقة القاتلة..بأنه ما عاد يشعر بأي شيء..إنه مجرد جسد
"ميت"..بلا روح !!!

نظرتُ للسائق الذي كان يقف بجانب سيارته ينتظر مجيئه ليقله نحو المنزل الذي لم يعد
دافئًا و لا آمنًا..بالأحرى لم يكن يومًا دافئًا و لا آمنًا..هو فقط اكتسب برودة الوحدة القاسية بشكل
أكبر اليوم...وحدة إدراك النهاية و الوقوف على حافة الخسارة !!
و قبل أن أشير له ليقرب و يأخذه..كان يفتح الصندوق الخلفي للسيارة ليخرج مظلة و يقترب
بسرعة إلى أن وقف بجانب سيده رافعًا المظلة المفتوحة فوق رأسه يمنع القطرات الباردة من تبليل
ثيابه الغالية أكثر..

حينها فقط..كان "أبي" يرفع يده ليمسح عدة دموعٍ عالقة بين رموشه و يتحرك بدون أن
يرمقنا بنظرة أخرى..يتجه نحو سيارته بخطوات متخاذلة و أكتاف متهدلة و قلب منهك..
راقبته أنا و لؤي بتقاسيم وجه متشابهة إلى أن صعد بالسيارة لتنتقل في غضون لحظاتٍ
مبتعدة عنا أمتارًا عدة..

صمتٌ قصيرٌ ظلل وقوفنا هناكَ غيرَ عابئين أو ربما فقدنا الشعور بأيّ شيء حتى قطرات
المطر التي كانت تنزل من جوف السماء لتبلل ثيابنا و خصلات شعرنا.. إلى أن قطعتة أنا..
قلتُ بصوتٍ خافتٍ حاولت أن يكون ثابتاً ؛
_دعنا نذهب..

إلا أن لؤي لم يبدو وكأنه مستعد للذهاب.. فقد استدار لينظر لي للحظات بصمتٍ.. قبل أن
يتجاوزني متمسكاً بصمته ليتعمق في الدخول بين المقابر.. بينما أنا راقبته عاكداً حاجباي بعدم فهم
للوهلة الأولى..

إلى أن توقف بجانب مقبرة معينة.. و حينها فقط كنتُ أتهد بثقل و أنا أتذكرها و أتذكر
صاحبها بالفعل...أو صاحبها !
حفزتُ نفسي على الإقتراب منه قاطعاً المسافة التي باتت طويلة بيننا.. إلى أن وقفت بجانبه
تماماً..أراه كيف ينظر إلى شاهد القبر بعينين غائمتين..
قبل أن ينخفض يهدوء ليرتكز بركبتيه فوق الأرض.. ثم ظل صامتاً لعدة لحظاتٍ أخرى لم
ألبث أنا خلالها أنقل عيناى بينه و بين الاسم المكتوب بخط واضح هناك..
"نرمين عبد المهيمن !!!"

_هل تظن بأن الله قد يسامحنا على ما ارتكبناه في حقها يوماً ؟!
سمعتُ صوته يسألني بمرارة..نبرته تخدش ثباتها غصّة عبراتٍ واضحة..و رأسه المنكس نحو
الأسفل يخبرني عن كم الألم الذي يخامر قلبه في هذه اللحظة..
لم أرد..بقيتُ فقط أنظر له بعيناى الهادئتين ظاهرياً إلى أن رفع رأسه نحوي..ينظر لي
بحاجبيه المنعقدين بتساؤل حقيقي..
و حينها فقط..كنتُ أرغم نفسي على الردّ بثباتٍ رغم الأسى الذي ملأ صوتي و الذي دائماً ما
ملأه كلما تذكرت الصغيرة نرمين !!!

_يسامحنا على ماذا بالضبط ؟! الذنب لم يكن ذنبنا..هل نسيت ؟!!!
كنتُ أتكلم بوضوح و صدق..لست حمل أيّ عواطف حمقاء قد تقودني نحو طريق تأنيب
الضمير على شيءٍ لم يكن بيدي !
لكن لؤي بدا بائساً..حزيناً و هو يقول بنبرة تقطر حسرة..و كأنه لم يفقد أخاه للتو.. بل من
فقدتها..تلك الصغيرة الراقدة هناك..

تلك التي ماتت بسبب لحظة ثقة منها منحتها لرجل لم يعرف معنى الثقة يوماً !

_ لكننا كنا نعلم..جميعنا كنا نعلم بأنها بريئة..ندركُ ما تعرضت له..و مع ذلك التزمنا الصمت..لم ندافع عنها..كان الأجدر بنا أن نقف في صفها...كان يجدر بنا أن نكون أكثر حرارة في الدفاع عنها !!!

لم أستطع أن أتمالك نفسي من أن أقول بشيءٍ من الإنفعال الآن..أحاول أن أقحم الواقع المرير في ذهنه..و بأننا مهما حاولنا فلم يكن ليجدي !!!
_بأيّ طريقة ؟! ماذا كان بأيدينا لنفعله و لم نفعل !! نحن لم نكن في المنزل..هل تتذكر ؟! لقد كنا أنا و أنت و سجي في رحلة آنذاك و لم نعد إلّا بعد أن حدث ما حدث !!!
هز لؤي رأسه في كل الاتجاهات و كأن كل أعذاره لا تكفي..لا عذر يكفي !!!
قبل أن يعود ليطرق برأسه بيأسٍ شديد..و كأن كل قواه قد خارت بالجلوس هناك و استيعاب حقيقة الحياة..

شهاب الذي لطالما نظر إلى كل من هم أقل مستوى منه بترفع اليوم يرقد معهم في نفس المكان..يشاركهم نفس المصير و نفس النهاية..
لولا أن نهايات الأرواح تختلف عن نهايات الأجساد !!
تهدتُ بثقل و أنا أرفع يدي لأخفف من ضغط ربطة عنقي شاعرًا بالإختناق..و كدت أن أنتزعها تمامًا لولا أنني تذكرتها..أعلم بأن الوضع برمته لا يسمح..
لكنني وجدتُ نفسي أنظر إلى يدي الممتسكة بربطة عنقي متذكرًا حبيبتي..صاحبة خدود الورد التي تعلمت عقدها من أجلي بل و عقدتها بنفسها لي..
كيف أخلعها من عنقي بعد كل هذا !!!
لهذا تركتها مكانها بعد أن خففت من ضغطها على عنقي قليلًا..قبل أن أنزل على ركبتي بجانِب لؤي..ذلك الذي لم يرفع رأسه نحوي أبدًا..
و لسبب ما شعرتُ بأن حالته تلك ليست مقترنة بالصغيرة نرمين فقط..بل بأشياء أخرى أعظم !!!

رفعتُ يدي لأحطها بمواساة فوق كتفه..لكنه لم يتحرك أبدًا و لم تصدر عنه ردة فعل تريحي..فهمست بصوتٍ خافتٍ أحاول عبثًا أن أخرجه من هذه الحالة الغريبة..
_ الأمر لم يكن بيدنا لؤي..توقف عن تعذيب نفسك..لقد ظننت بأنك قد تجاوزت الأمر بالفعل !!!

لم أكد أكمل كلامي..حتى كنتُ أسمع صوته يخرج مكتومًا بينما يده الملتصقة بالأرض تتشنج
و تنغلق حول نفسها بعنفٍ و كأنه شخص يتمنى العودة بالوقت و تغيير العالم ؛
_لقد كانت تنظر في عيناى فى المحكمة..كانت تنظر فى عيناى بينما أنا أدلى بشهادتى الفارغة
تلك..كانت تتوسلنى بعينها أن أفعل أيّ شيءٍ من أجلها..بل ربما تأملت أن أفعل شيئًا ما...كانت
تستنجد بي..بك...بنا!!!!!!

كان صوته قد اختنق فى آخر كلماته و كأنه على وشك البكاء..الألم فى نبرته قوى جدًا..قوى
بطريقة جعلتني أزفر نفسًا طويلًا و أنا أشعر بأن ألمه بطريقة ما...انتقل إلى !!
و لوهلة..كنتُ سأستسلم للشعور بالندم مثله..الحسرة و الرغبة المستحيلة فى الرجوع
بالزمن إلى الوراء..كنت...لكنى لم أفعل..حتما لم أكن لاسمح لنفسى بأن أفعل..
أنا أدركُ الخطأ من الصواب..أعلم بأن أيّ محاولات حينها لم تكن لتجدي..لقد كنا مجرد
أطفال بالنسبة لمجابهة والدينا..

كيف كنا سنستطيع مجابهتهم أساسًا؟! بأي طريقة!! هل سنستخدم نفوذهم ضدهم!! أم
ربما فقط نقف أمام المحكمة لنصرخ بذنب أخينا!!
ثم ماذا...!؟

لن يأخذ أحد كلامنا بعين الاعتبار..ستلعننا الصحافة و الناس..و سيخرج شهاب من الأمر
كما الشعرة من العجين بكل سلاسة لا تدعو للقلق!!!
هذا لو استطعنا بالفعل أن نفعل كل ذلك..أبسط ما قد يفعله أبى لردعنا هو تجريدنا من
نفوذه..أو فقط إرسالنا إلى مكان بعيد خارج البلد!!!
أطبقتُ عيناى بقوة و أنا أسحب عدة أنفاس أحاول من خلالها استدراج بعض القوة إلى
صوتي و جسدي المرهق..

قبل أن أقول هذه المرة بهدوء..بثباتٍ..أحاول أن أقنعه بالمنطق..
_هل تظن بأن الأمر كان سيجدي بالفعل؟! هل تظن بأن أبى و أمى كانا ليقفان مكتوفى
الأيدي أمام تصدينا لهم! أم أن شهاب كان ليُسجن بشهادة كاذبة منا ندعي من خلالها بأننا كنا هناك
تلك الليلة رغم إدراك الجميع بأننا لم نكن!!!
صمتُ للحظة..ثم قلت بنفس النبرة و أنا أنظر لأنامله الذى كان قد بدأ ضغطها حول نفسها
يخفّ تدريجيًا..قليلاً فقط..

_لقد قلنا الحقيقة لؤي..فعلنا كل ما بوسعنا..نحن لم نقف ضدها..و لم نقف في صف
شهاب و لا أمي و أبي..كنا الطرف المحايد الوحيد في تلك القضية و المتعاطف مع الفتاة التي اتهمت
عائلتنا..و قد كنا سنفعل من أجلها أكثر من مجرد التعاطف لو لم يحدث ما حدث..لو لم...تمت !!!
صمتُ للحظة أخرى ثم قلت أحاول أن أهدئه أكثر..أن أثنيه عن محاولة إلقاء اللوم على
نفسه ؛

_نحن حتى لم نكن نمتلكُ دليلاً يؤكد لنا بأنه فعلها حينها و رغم ذلك.....
تفاجئتُ بشدة و أنا أراه يرفع رأسه فجأة مقاطعاً كلامي بانفعال عنيف ؛
_لقد فعلها !!!

لكنني رغم ذلك قلتُ أؤكد بجدية ؛
_أعلم..أعلم..لقد أصبح الأمر بدميياً في منزلنا بعد خروجه من محنته..جميعهم أثبتوا لنا بأننا
مجرد حمقى في أنظارهم لا نستحق حتى أن يتم إخفاء الأمر عنا خوفاً على مشاعرنا من إدراكِ أننا
نعيش تحت سقفٍ واحد مع مجرم !!!
شعرتُ ببعض الارتياح و أنا أرى ملامحه ترتخي قليلاً فقط..لكنه رغم ذلك..قال بصوتٍ مرهق
للغاية و هو يعدل من وضعية جلوسه ليتكأ بظهره على طرف قبر آخر ملاصق للذي جاء إلى هنا
معتذراً من صاحبتة ؛

_لقد قابلت أمها بعد وفاتها..كانت منهارة تماماً..و رغم ذلك فهي لم تطردني من منزلها..تحدثت
معه قليلاً..كانت تعلم عن قلة حيلتي..تمنيت بشدة أن أساعدها على الأقل لتحسين وضعها المادي
الذي كان يبدو سيئاً للغاية..لكنها رفضت تماماً..لقد اختارت بيع كل شيء هنا و السفر إلى مدينة
أخرى...غادرت مسلمة بظلم ابنتها بدون أن تطرأ فكرة الإنتقام عقلاً حتى !!!
صمت للحظة..ثم التفت ببطءٍ لينظر لي مردفاً بنبرة ميتة فارغة ؛
_يومها سألتها كالأبله..هل تريد أن نفتح القضية مجدداً ؟ شعرت بأنني مستعد لأن أحارب
في صفها مهما كلف الأمر ! هل تعلم ماذا كان جوابها لي !!

شبه ابتسامة مريرة شق جانب شفثيه و هو يستأنف بنفس النبرة الميتة المختنقة ؛
_نظرت في عيني و قالت بسخرية من هو على وشك الموت.. " ما الجدوى ؟ هل بفتح قضية تم
إلقاء الحكم الظالم فيها مسبقاً ستعود ابنتي من الموت ؟! و حتى لو عادت من الموت..ما الجدوى ؟!
هل ستقف ضد والديك ؟! هل ستسمح السيدة عفاف و السيد أكرم الشاذلي بأن يُسجن ابنيهما البكر
؟؟؟ "

تهيدة محملة بالإرهاق حرّرها..قبل أن يهز رأسه بأسى هامساً بصوتٍ مشدّد قليلاً ؛
_يومها...كانت أول مرة أشعر فيها بأنني أكره نفسي..كرهت ذلك الضعف الذي كنت
عليه..كرهت فكرة أن أكون متواطئاً بغير تعمد أو ذنب في جريمة مثل تلك..فكرة أنني مضطر للعودة
لنفس المنزل و العيش بطبيعية بعد أن دمرّت عائلتي حياة عائلة كاملة !!
عاد ينظر لي مستأنفاً بشيءٍ من القهر الذي تلقف صوته الخافت ؛

_أنت لم تكن على معرفة وطيدة بها هادي..لقد كنت دائماً تعيش في عالم منعزل تخص
نفسك به عنا حتى و أنت تحت سقف واحد معنا..لا أتذكر حتى أنك خضت حديثاً عابراً معها..لكنني
كنت أعرفها جيداً تلك الصغيرة..لقد رأيتهما و راقبتها و هي تكبر أمامي سنة بعد الأخرى..كنت ألقى
عليها تحية الصباح و المساء كل يوم..كانت تلجأ لي في كثير من الأحيان لأساعدها حول كل ما
يستصعب عليها بخصوص الدراسة..و كنت أساعدها رغم إحراجها..لقد كانت تعتبرني أخاً كبيراً..من
بينكم جميعاً وثقت بي و أخبرتني بسذاجة بريئة عن إعجابها الطفولي بشهاب..و عن رغبتها في إخباره
رغم نهري لها عن الأمر الذي اعتبرته مجرد حماس أحرق لفتاة مراهقة !! و كنت أنا من أخلفت عهد
الأخوة غير الرسمي بأن وقفت عاجزاً..ضعيفاً أمام المهمل..لم أفعل شيئاً..لم أحارب من أجلها كما
يفترض للأخ بأن يفعل لأخته !!!

زم شفّتيه بقوة و كأنه يحاول أن يكتّم دموعاً تريد التحرّر من عينيه المحتقنتين بالكثير
منها..ثم قال بصوتٍ مشدّد..بنبرة إقرار و اعتراف ؛
_هل استوعبت الفرق بيننا هادي ؟! ما يجعلك لا تستشعر أيّ تأنيب ضمير نحو ما حدث..و
ما يجعلني أموت في اللحظة ألف مرة كل ما تذكرت ما حدث !!!
نعم..لقد أدركته جيداً !!

كان الفرق بيننا أنني رغم كل شيء..كنتُ رجلاً يجيد التغاضي..لست أناانياً..لكنني إنسان..و
طبيعة البشر أن يركعوا للضعف أحياناً..أن يرتكبوا بعض الأخطاء غير المقصودة خلال حياتهم
الزهيدة..

طبيعة البشر تحتم عليهم أن يتغاضوا و يتجاهلوا و يمنحوا أنفسهم العذر أحياناً !!
الحقيقة أنه لو استسلم الإنسان لتأنيب ضميره و لأخطاء الماضي فلن يستطيع العيش ليوم
آخر بعد..و ربما أثناء محاولاته الحثيثة لتصحيح أخطاء مضت يرتكب أخطاء أخرى جديدة..
العيش على أخطاء الماضي يسحبنا نحو هاوية نسيان حاضرنّا و مستقبلنا..تلك الهاوية التي
لا نستيقظ منها إلّا حينما يصبح ذلك الحاضر نفسه ماضياً...و هكذا دواليك !!!

قلتُ بحزم شديد و أنا أشعر بالأسى و الإنفعال برؤيته بهذا الشكل ؛

_حسناً و ما الجدوى من أن تخوض الموت مراراً على شيءٍ قد فات !! تلك المرأة كانت على حق

يا لؤي..لقد توفيت الفتاة بالفعل..الآن كل ما بيدنا لنفعله هو الدعاء لأجلها.. ربما لم تسعفها

الحياة..لقد تعرضت لظلم شديد أعترف بذلك..لكن أنظر حولك الآن...ذلك الرجل الذي عرضها

لهذا الظلم يرقد في نفس المكان حيث ترقد هي !!!

رفعتُ يداي لأمسك بوجهه لا لشيءٍ فقط لأجعله ينتبه لي من يأسه الأحمق الغريب.. و قلت

ببطء ؛

_ربما لم تستطع أن تنال العدل في حياتها..لكن القدر كان أكثر من كفيلاً بمنحها الإنصاف

حتى و لو بعد سنين..أكره أن أقول ذلك..لكن ما يجب عليك أن تشعر به الآن هو الإطمئنان..كونها

بعد كل تلك السنوات..و أخيراً تستطيع روحها أن ترقد بسلام !!!!

بدا و كأن كل كلمة قلتها قد اقتحمت عقله بمعناها الصحيح..و هذا أراحني نوعاً ما..

ظل صامتاً للحظات..قبل أن يطرف بعينه ببطء..ثم قال و هو ينظر حوله بنبرة مزجت ما

بين ضياع الحزن و إدراك الحقيقة التي قلتها ؛

_ربما...ربما معك حق في النهاية !!!

حركتُ رأسي بالإيجاب لعدة مراتٍ كتأكيد على كلامي السابق و على جملته..قبل أن أراجع

قليلاً مردفاً بجدية حازمة ؛

_جيد..الآن دعنا نذهب..لا بد أن سجي تحتاجك..

مع ذكر اسم سجي..رأيتُ كيف أن حاجبيه انعقدا فجأة بقلق..ثم لم ينتظر أبداً ليقف و كأن

الإسم وحده كافٍ لجعله يتنبه و يخرج من كل ضياعه الأحمق..

رفعتُ رأسي لأرمق السماء التي كانت لا تزال تمطر لكن بقدر ضئيل مقارنة مع ما كانت

عليه..ثم نظرت له لأجد عينيه على شاهد القبر تمنحان الإسم نظرة أخيرة..قربتُ على كتفه بحزم..و

حينها فقط كان يتهدد بقوة..

قبل أن نلتفت أخيراً عائدين إلى السيارة بهدوء..و بالطبع كنت أنا من أقودها نحو منزلي حيث

سيقضي لؤي و سجي ليلتهما هذا اليوم..لا يمكنني أن أسمح لهما بالرحيل في هذا الظرف مهما حدث..

#الكاتبة

ربما كان هادي محققاً في النهاية !!

كانت هذه هي الفكرة التي تتلاعب بعقله الآن..ربما هادي محق..هو يعلم بأنه حتى لو كان أشد شجاعة و أعاد فتح القضية حينها لما تغير شيء..كان الأمر فقط..سيفاقم من عذابات تلك الأم المسكينة حين تعريضها لنفس القلق و الترقب و الأمل هباءً !!

أما هو..فلن ينعتة العالم سوى...بالأبله !!
بالطبع..لا يمكن لهادي أن يشاركه مرارة مشاعره الشنيعة..فبالنسبة لهادي كانت تلك غلطة شهاب الوحيدة و الأكبر..هادي لا يعلم عن سجي..و لن يسمح له بأن يعلم !!!
لقد توفي ذلك السر مع شهاب..و هو أبدًا لن يسمع لتلك الواقعة المريرة بأن تحكم مرارتها على مستقبل حبيبته الذي هو مرتبط بمستقبله !
لقد كان غيبًا حينما راهن على حدود شهاب في المرة الأولى..و كان أغبى حينما راهن على مكانة سجي في الثانية..بل و أشد غباء حينما توقع بأن شهاب الذي ارتكب الجريمة بدم بارد لن يعود رغبة في استعادة سجي !!!

كان يجلس في المقعد الملاصق لمقعد السائق الذي يحتله هادي..يراقب حركة الشارع بعينين فارغتين و قلب مرهق..حينما تسلت تلك الذكرى التي كانت تبدو لطيفة في الماضي و لم تعد..تلك الذكرى التي لم و لن ينساها..

كان يومها يقف في منتصف غرفته..ينتقل ما بين الخزانة و حقيبته المفتوحة فوق السرير حيث ينقل أكثر أغراضه التي سيحتاجها في رحلتهم الثلاثية الجميلة..
حينما سمع صوت طرق خافت فوق الباب استطاع تكهن صاحبه بمنتهى السهولة..فمن غيرها يأتيه في أوقات عشوائية..بل و يطرق الباب بهذا الأدب منتظرًا الإذن !
_تفضلي !

قال بهدوء بدون أن يتوقف عن نقل الأغراض إلى حقيبته..قبل أن يسمع صوت اندفاع الباب بهدوء ثم اقتراب الخطوات المتلكئة نحوه..
شبح ابتسامة صادقة ارتسم على شفاهه و هو يرفع رأسه نحوها مباشرة..لكنها لم تكن تنظر له..كانت تنظر إلى حقيبته المريحة فوق السرير..قبل أن ترفع عينها إليه لتقول بشيء من الإحباط ؛
_هل ستسافر ؟!

اتسعت ابتسامة لؤي بقدر ضئيل جدًا..ثم قال بينما يغلق الحقيبة بهدوء ؛

_نعم..أنا و سجي و هادي سنسافر اليوم..

كان قد أغلق حقيبته بالفعل حينما رفع عينيه نحوها مستأنفًا ؛

_تستطيعين أن تقولي بأننا سنخوض رحلة شبابية شيقة..بما أن العطلة الصيفية قد بدأت للتو..

وقعت عيناه على يدها أثناء تحدّثه..فعقد حاجبيه قليلاً على ابتسامته و هو يسأل باهتمام ؛
_هل قرأته ؟!

كان يقصد بالطبع الكتاب التاريخي الذي في يدها..و الذي كان هو من اقترحه عليها و قدمه لها
لتقرأه كما يفعل معها دائماً..

بحكم أنها "الوحيدة" التي كانت تشاركه شغفه بكتب التاريخ..عكس هادي و سجي.. هذين
الاثنين لا يطيقان سماع الإسم حتى !!

أخفضت نرمين عينها تنظر للكتاب و كأنها كانت قد نسيتَه بالفعل..ثم قالت و هي تصنع
ابتسامة بريئة بينما ترفعه قليلاً تتلاعب به بين أناملها ؛

_نعم..لقد جئت لأعيدَه لك على أمل أن تعطيني واحداً بنفس المستوى..
برقت ابتسامة لؤي الهادئة تماماً بسعادة حقيقية و هو يردف رافعاً أحد حاجبيه باهتمام ؛
_أفهم بأنه أعجبك !!

فلم تتردّد تلك الفتاة الجميلة ذات الشعر الاسود الطويل و الفستان الأصفر الرقيق من أن
تهز رأسها بصدق تام..حينها كان لؤي يومئ برأسه مثلها..ثم لم يلبث أن إتجه إلى خزانته الكبيرة..تلك
التي تتكون من عدة رفوف جميعها تخص الكتب..

توقف هناك للحظة ينقل عينيه بين الصف العلوي الذي يخص كتب التاريخ..قبل أن يختار
واحداً من ضمنهم قلبه بين يده للحظة..

ثم اقترب ليمده لها مبتسماً ابتسامته المحببة للقلب ؛
_تفضلي إذا..

زمت نرمين فمها على ابتسامتها الهادئة و المتحمسة..قبل أن ترفع يدها لتأخذ الكتاب منه
تزامناً مع مدها للأخرى ناحيته تطلب منه أن يستعيد كتابه منها..لكن لؤي لم يأخذه..بل دفعه برفق
نحوها مردفاً بلطف ؛

_لا بأس أن تحتفظي بالإثنين..و إذا أردت أن أعيد قراءة أحدهما يوماً فسأطلب منك..
ظهر بعض الإحراج جلياً على ملامح الصغيرة و هي تنظر له بشيء من التفاحي للحظة..قبل أن
تهمس بتوتر ؛

_لكن سيد لؤي أنت.....

_ماذا قلنا عن كلمة "سيد" !!!

قاطعها لؤي بهذه الجملة الجادة تمامًا.. فابتلعت اعتراضها على أخذ الكتابين.. و بدلاً عن ذلك سمعها تهمس بخفوتٍ و هي تطرق برأسها قليلاً ناظرة إلى الكتابين في يديها بعينين تبرقان و كأنها حصلت على جائزة ذهبية..

_أقصد..شكراً لك يا...أخي لؤي !!

أوماً لها لؤي بكل رصانة بدون أن يتخلى عن ابتسامته..فالتفتت تهم بأن ترحل.. لكنها توقفت بعد خطوة واحدة..ثم عادت تنظر له هامسة بتلكى ؛
_كم...ستبقون إذا ؟!!

كانت تقصد مدة رحلتهم..و قد فهم لؤي مغزى سؤالها فوراً..فقال يجيها بكل رحابة ؛
_على الأغلب أربعة أيام..

صمت للحظة..ثم أضاف بينما يحكّ طرف جبهته بخفة ؛
_لا أحتاج لأن أذكرك بأن تتصلي بي لو احتجت أو استصعب عليك فهم أيّ شيء في الكتاب الذي ستقرئونه تالياً..

عادت الابتسامة النقية البريئة لتتشكل ببطءٍ فوق شفاة نرمين..ثم هزت رأسها بما يشبه الامتنان..و مجدداً كادت أن ترحل..لكن صوت لؤي كان هذه المرة من أوقفها ؛
_نرمين !

توقفت نرمين لوهلة على وشك الإمساك بطرف الباب المفتوح لتخرج..قبل أن تعود لتنظر له بتساؤل..

حينها قال لؤي بنبرة جادة تماماً..تختلف عن نبرته اللطيفة في حزمها و صرامتها..

_لا أحتاج لأن أنبهك أكثر..ابتعدي عن شهاب يا نرمين !

بهتت ملامحها أمام هذا التنبيه الذي لم تكن تزعجها أبداً حقيقة أنه منه..بل ما يزعجها بأن تنفيذه و الإيفاء به صعب عليها..أمالَت رأسها قليلاً نحو الجانب و كأنها تترجاه و تتذمر في نفس الوقت من طلبه..

لكن لؤي لم يتعاطف مع حركتها تلك و لا ملامحها اللطيفة البريئة..بل رفع أحد حاجبيه مؤكداً بنبرة ليّنة و ابتسامة شبه مكتملة تلوح على شفتيه ؛

_حينما تكبرين قليلاً..ستضحكين على نفسك حينما تستوعبين بأن ما ينتابك الآن ليس بإعجاب..بل هو مجرد حماس طبيعي أحق لمن هم في مثل سنك..

رغم أن كلماته اقتحمت عقلها جاعلة إياها تعقد حاجبها قليلاً و كأنها تستوعبها.. إلا أنها رغم ذلك همست تدافع عن موقفها بينما تنظر للكتابين بين ذراعها و كأن كل غايتها الهروب بإحراجها منه ؛

رغم ذلك.. أنا معجبة به !!

قبل أن يستطيع لؤي التعقيب.. رفعت رأسها لتضيف بنبرة ليست راضية تمامًا ؛
رغم ذلك... سأحاول أن أقنع نفسي بأن ما أشعر به ليس إلا حماسًا طبيعيًا كما قلت !!
تهند لؤي بيأس و هو يفتح فمه هامًا بقول شيء ما.. لكنها عادت لتقاطعها بنبرتها الخرقاء
مبتسمة ابتسامة عريضة بسرعة ؛
رحلة موفقة.. و سأتصل بك بالطبع في حال استصعب علي فهم أي شيء سيد لؤي.. أقصد
أخي.. أخي لؤي.....

لم يكد لؤي يستوعب حتى كلماتها المتداخلة تلك.. حتى كان يجد نفسه و قد أصبح يقف
بمفرده في الغرفة.. بينما هي اختفت في لمح البصر !!
حينها تهند بقوة و هو يهز رأسه مبتسمًا بيأس.. قبل أن يقترب من حقيبته لينزلها إلى الأرض و
ينطلق بعد أن ألقى بمعطفه على كتفه ينتوي أن يلحق بالموعد الهام بالنسبة له..
حيث سيلتقي هو و سجي و هادي أمام الباب بعد قليل ليتجهوا إلى رحلتهم الشيقة بسيارتهم
ذات الدفع الرباعي.. "

ليتها حاولت بالفعل.. ليتها !!!

لم يكن يعلم بالفعل بأن تلك الرحلة ستكون مختلفة عن سابقاتها.. و بأنه سيعود ليجد أخاه
قد ارتكب جريمة لم يتوقع أن يرتكبها في أشد أحلامه سوءًا..
لم يتوقع أن تكون ابتسامتها المشرقة تلك هي الأخيرة التي يراها في حياته.. و بأن يتداعى بريق
عينها كما تتداعى السحب مع بداية فصل الصيف.. و بأن ندائها ذلك اليوم له بـ "أخي" سيكون الأخير
أيضًا...

أو أنها... قد تموت قبل أن تكمل قراءة الكتاب الذي منحه لها !!!
لقد أودت حماسها النقية الطبيعية بها إلى هلاكها.. و ماتت على يدي شاب لطالما نظرت له
خلصة بإعجاب لم يعد متأكدًا بعد بأنه كان غير حقيقي !!
توقفت السيارة أخيرًا أمام وجهتها.. فنظر هادي للوئي الذي كان لا يزال شاردًا.. قبل أن يتهد
بقوة و يفتح الباب من جهته مترجلًا من السيارة..

تلك الحركة فقط كانت من نهبت لؤي..ذلك الذي رفع رأسه فجأة ليرمق واجهة المنزل بنظرة خاطفة..ثم فتح الباب لينزل هو الآخر لاحقًا بأخيه..

لحظات استغرقها هادي في فتح الباب قبل أن يدخل كلاهما...
كان الصمت يعم المنزل بشكل غريب..هدوء مهيمن كبير يجعل المرء يشك بأن هناك أحد متواجد من الأساس..

حتى شهد التي من المفترض أن تكون قد سمعت صوت دخولهما لا يبدو لها أثر..
رمق هادي لؤي بنظرة سريعة..قبل أن يتجه إلى غرفته تزامنًا مع ارتفاع صوته قائلاً بهدوء ؛
_عجبًا..هل يمكن أن تكون شهد نائمة !!

كان قد وصل إلى غرفته بالفعل فدفع الباب لينقل عينيه حول أرجاء الغرفة الفارغة تمامًا..لم يكن بحاجة لتفقد الحمام فهدوء الغرفة التام أخبره بأنها غير موجودة..
كان لؤي يقف في منتصف الشقة ينظر إلى هادي بهدوء..إلى أن عاد هذا الأخير ليقف بجانبه مردفًا باستغراب ؛

_شهد ليست في الغرفة !
عقد لؤي حاجبيه قليلًا و هو يهمس بتفكير ؛
_ربما تكون مع سجي..

لم تبدو هذه الفكرة مرجحة لهادي حتى..خاصة و هو يعلم بطبيعة شهد المتحفظة قليلًا و علاقتها المتباعدة تقريبًا مع سجي..

لكنه رغم ذلك اقترب ير افق لؤي..إلى أن فتح لؤي الباب بهدوء..و حينها...تسمر كلاهما و عيناها تقعان مباشرة على منظر غير مألوف..لكنه في نفس الوقت..لطيف جدًا..بل أكثر من لطيف...

كانت شهد تنام مستلقية برأسها على مسند السرير ورائها..مغمضة عينيها بسلام بينما رأسها مائل قليلًا كدليل على كونها لم تكن تخطط أبدًا للنوم..

لكن من يلومها..من منهم استطاع أن يتذوق لحظة راحة واحدة منذ الأمس !!
لكن ليس هذا ما جعلهما مستغربين..بل الغريب فعلاً كان رؤية سجي..و تلك الأخيرة كانت مستلقية فوق ركبتى شهد..نائمة هي الأخرى بهدوء من عثر على السلام أخيرًا..لقد وجدت السلام فوق ركبتى شهد !!!

تجمد لؤي و هادي على نظرات متفاجئة أمام هذا المشهد لعدة لحظات..قبل أن يطرف هادي ويستدير قليلاً فقط ناظرًا لأخيه الذي بادله النظر بملامح لا تزال تحمل الكثير من الإستغراب.. قبل أن يرتسم شبح ابتسامة كان له نفس الإنعكاس على ملامح الإثنين..ثم و بنفس الهدوء الذي فتح به الغرفة..كان هادي يغلق الباب..

اتجها بعدها إلى بهو المنزل الواسع ليتخذ كل منهما أريكة..و حينها ما إن عم الصمت للحظات..قال لؤي يقطعه بصوتٍ لا زال يحمل نبرة الإستغراب ؛

_ ألا يبدو الأمر غريبًا !! منذ متى تطورت علاقة شهد و سجي بهذا الشكل !!

قال هادي و هو يهز كتفيه ببساطة ؛

_ منذ اليوم...ربما!

صمت آخر هيمن على المكان لأقل من لحظة..قبل أن يقطعه لؤي مجددًا..هذه المرة قال

بملامح أكثر ارتياحًا ممّا كانت عليها طوال اليوم ؛

_ إذا...ألا واجب ضيافة لأجلي ؟!

كان هادي ينظر جانبًا بشيءٍ من الشرود حينما تسلل إلى مسامعه هذا السؤال الذي بدا له

غريبًا جدًا..بل مهيئًا في الحقيقة..

و بالتالي فقد عقد حاجبيه و كأنه يستنكر شيئًا ما بينما يقول بنبرة تساؤل مشيرًا إلى صدره

بيده ؛

_ عفوا..هل وجهت هذا السؤال لي ؟

كانت نبرته جادة بالفعل..لكن الغباء الذي اكتسح ردة فعله هو ما جعل شبح الابتسامة يعود

ليلوح على شفاه لؤي..ثم قال ببديهية ؛

_ بالطبع..و من غيرك !

ظل هادي ينظر له للحظة أخرى بعدم فهم..قبل أن تسقط ملامح الإستنكار كلها من

وجهه..ثم قال و هو يفتح يديه و كأنه يقر بحقيقة مريرة ؛

_ حسنًا ربما قد حدث معك التباس ما..بالتأكيد لا واجب ضيافة لك..هل نسيت بأني هادي ؟

أخاك الأصغر الذي لم يدخل المطبخ يومًا إلّا في أحيان نادرة جدًا لغاية التسلل من الباب الخلفي إذا

ما ارتكبت مصيبة ما !

حسنًا..عذره مقنع جدًا !!

رغم ذلك لم يستطع لؤي أن يمنع نفسه من مضايقته..فقال يمعن النظر به بتشكيك ؛

_هل ستقنعني الآن بأن الزواج من شهد -الحُلوة- لم يغير فيكَ أي شيء ! ألم تدخل للمطبخ

لمرة واحدة من قبل لأجلها على الأقل !!

نظرة بالغة الخطورة هي التي رمق بها هادي لؤي..قبل أن يقول بنبرة من يجهز الشخص

المقابل له لتلقي لكمة ستحطم فكه بضراوة إذا ما تجرأ على التماذي ؛

_ماذا قلت ؟!!

رفع لؤي حاجبيه ببراءة و هو يردف مكرراً ؛

_سألتك سؤالاً وجيهاً..ألم تدخل للمطبخ لمرة واحدة من قبل على الأقل لأجل شهد

الحُلوة.....

لم يكذب الكلمة حتى تفاجأ بهادي الذي امتدت يده يرفع الوسادة التي كانت ورائه إلى أن

ألقى بها إلى وجهه تماماً تزامناً مع صوته الذي هتف محذراً في نفس اللحظة ؛

_سأكسر أسنانك !!!

كانت تلك أول مرة خلال يومين كاملين أو ربما أكثر تصدر عن لؤي ضحكة حقيقية رغم

خفوتها..ثم قال و هو يبعد الوسادة التي سقطت أرضاً بعد أن اصطدمت بوجهه جانباً ؛

_ما بالك يا أحمرق !! لقد منحتها مجرد صفة بريئة تليق بها..هذه أول مرة أرى رجلاً أنانياً مثلك

يرفض أن يتم مدح زوجته الحُلوة فقط ل.....

للمرة الثانية..كانت هناك وسادة تصطدم بوجهه بقوة أكبر من السابقة قبل أن يكمل.. ثم

هتف صوت هادي غاضباً فوراً ؛

_توقف !!!

حينها فقط..كان لؤي يرفع يده دليلاً على الاستسلام بينما ضحكته التي شقت ملامحه

المرهقة تدل على استمتاعه بتعاير أخيه تلك..

قال بينما يرفع الوسادة الثانية التي وقعت أرضاً ليلقي بها فوق الأخرى ؛

_حسناً حسناً توقفت..على الأقل أحضر لي كأس ماء يا قليل الأدب..

تعهد أن يكون صوته متدمراً شبه أمر و هو ينطق آخر كلمتين..كل ما يريده أن يهرب من

الكآبة التي أملت بهم لساعات..

فرمقه هادي بنظرة أخيرة تدل على حنق شديد..قبل أن يرفع يده ليبعد خصلات شعره

الطويلة نسبياً إلى الوراء بانفعال..

ثم قال بينما يقف ليتوجه إلى المطبخ..لا يزال العبوس مرتسمًا على ملامحه حين استعادة أسلوبه المستفز..

_متحاذق مزعج..هل كنت ستحب أن أنادي زوجتك بالحُلوة..رغم أنني أستطيع أن أنادي

سجى باللقب الذي أريد !!!

كان قد اختفى بالفعل في المطبخ مع نهاية جملته..بينما هز لؤي رأسه متهدأ تنهيدة طويلة

سرقته بريق ضحكته التي بالكاد كانت قد شقت ملامحه..ثم عاد ليستند بظهره إلى الأريكة..ينظر

أمامه بشروء..يتخلله طيف الابتسامة الفاقدة لبريقها !

" 47 ؛ على قيدك أنت "

#الكاتبة

دلف إلى المنزل بعد ساعاتٍ طويلةٍ من الصدمات المتتالية منهك القوى..متهدل الكتفين و
الرأس و الهمة..

شاحب الملامح بشكل يثير الشفقة..لقد دفن ابنه اليوم بيديه الإثنتين..لقد دفن ابنه !
تلك الهالة التي ابتلعتة اليوم و هو يتخطى الباب العريض بدت غريبة جدًا على كل شخص
اعتاد أن يشهد دخوله المنزل أو خروجه منه..

كتلك الخادمة التي اقتربت بسرعة منه لتقول فورًا بنبرة متعاطفة ؛
_سيد أكرم..و أخيرًا عدت..لقد علمت بما حدث للسيد شهاب من الجرائد..أنا آسفة حقًا
لو.....

كانت نفس الخادمة التي استعان بها شهاب ذات مرة للتجسس على سجي..و قد توقعته
أنذاك أن يكون مصيرها الطرد منه بعد انتشار خبر زواجها بابن خالتها لؤي..لكن لحسن حظها فقد
أرسله والده إلى الخارج فلم تراه مجددًا بعدها..
مجرد أن تواصل معها بضع مراتٍ و كانت غايته نفسها..أن يسألها عن سجي و لؤي و عن ما
إذا قاما بزيارة القصر بعد رحيله..و كما هي العادة فقد اضطرت لأن تجيبه..و كان جوابها النفي طبعًا
بما أنهما اختفيا حرفيًا منذ ذلك اليوم..

لم تكن إنسانة شريرة..و لم تحب أبدًا السيد شهاب أو أي من أفعاله تجاه ابنة خالته..إنها
فقط إنسانة عملية تجيد إثارة مصلحتها على مصلحة كل من حولها..و هي أكثر من يعلم إلى أي حد
كان يستطيع السيد شهاب التمادي في عقابه لو رفضت أوامره آنذاك..

و لا تنكر بأن فكرة ترك العمل خطرت في عقلها..لكن...أي شخصٍ مجنون يتخذ قرار التخلي
عن العمل في منزل فاره كهذا بامتيازات لم تكن لتحظى بها في مكان آخر ؟!

كانت تتحدث بأسى..لكنها علمت بأنها لم تكن تخاطب سوى نفسها و هي ترى السيد أكرم
يتجاوزها بخطواته المتخاذلة و كأنه لم يسمعها..سار بلا هدى نحو مكتبه إلى أن دلف إليه تحت
نظراتها التي مزجت ما بين تعاطف غير حقيقي تمامًا و دهشة شديدة جدًا..

ثم أغلق الباب بقوة تناقض تعابير الإستسلام المرتسمة على ملامحه..قبل أن يقترب من مكتبه إلى أن جلس فوق ذلك الكرسي الأثير لا يشعر بأي شيء..
لا يتراد في ذهنه شيء عدا صورة ابنه البكر الذي فقدته اليوم..
ما معنى كلمة "فقدته" ؟ لقد فقدته إلى النهاية ! لن يراه بعد الآن !
الآن أصبحت كل امبراطوريته فاقدة للمعنى..لن سترك كل شيء الآن ؟ من سيتولى منصبه من بعده ؟

من سيكون خليفته و ذراعه الأيمن إذا ما لفت به الحياة و أوهنته ؟!!!
لقد كان شهاب الأقرب إليه بين كل أبناءه..الآن يدرك عظم مكانته في قلبه !!
الآن يشعر بأن كل همّة أكرم الشاذلي و قوته قد خارت إلى الأبد..لا مجال لعودتها.. لا مجال لأن يستأنف حياته بطبيعية بعد هذا الحدث..
لقد كان هذا الفقد الأعظم في حياته..الأقصى و الغير متوقع..أن يموت الابن قبل أبيه..أن يعاقبه القدر بفقد الابن الأقرب إلى قلبه..فقط لأنه كان الأقرب إلى قلبه من بين إخوته مهما أذنب أو تجبر !!!

ارتعشت عيناه و أنامله بقوة و هو ينظر إلى الشاشة المظلمة لحاسوبه الشخصي..لقد كانت آخر مرة تواصل معه فيها الأمس..

على هذا الحاسوب كتب له و تلقى منه رسالة لم يدرك حينها بأنها...الأخيرة !
امتدت أصابعه المرتعشة ككل شيء فيه بتردد لتشغل الحاسوب..ثم فتح البريد الخاص به على آخر رسالة تلقاها من ابنه البكر..وقد كانت عبارة عن جملة وحيدة.. نصيحة اقتدى بها..نصيحته الأخيرة !

" لما لا تقترح عليه أن يأتي الليلة ليأخذ الأوراق منك و يشتغل عليها في المنزل ؟ لا أظن بأنه سيمانع !"

فقط..تلك الجملة ما جعلته يتنازل متصلاً بلؤي ليطلب منه المجيء إليه هنا..و لو كان قد أخبره بأنه عاد بالفعل..لو كان يعلم بأنه هنا لما كان قد أصر كل ذلك الإصرار على الاستعانة بلؤي..
تردّدت في عقله تلك اللحظات الأخيرة التي قابله بها..ذلك اليوم الذي طرق فيه باب منزله بجنون ليدلف أمراً إياه بالرحيل من هنا لفترة غير محدّدة..لأجل من ؟ سجي ؟!!!

لا يصدق حتى اللحظة بأنه طرد ابنه البكر من كل البلد لأجل تلك الفتاة التي لم يحبها يوماً..حتى لو كانت زوجته من دفعته لاتخاذ القرار بموقفها إلا أنه كان يستطيع أن لا يفعل..لقد كان يمتلك خيار إنقاذه بالفعل لكنه لم يفعل ! وها هو ذا قد رحل للأبد !
لقد تصرف بقسوة شديدة معه لدرجة أنه و لأول مرة يتصرف بهذا الشكل و لا يخبره بعودته خوفاً من ردة فعله ! ما الذي فعله بابنه ؟! ما الذي فعله بنفسه ؟!!!!
كانت عيناه لا تزالان تنظران في نفس المكان إلى تلك الرسائل القليلة المتبادلة بينهما..و تراءت له الكثير من اللحظات التي وقف فيها شهاب أمامه في هذا المكتب..أو حتى في أحد الكراسي..
تراءت له صوره في طفولته التي كانت مميزة كل التميز..و صوته في ذلك اليوم بينما يتوسله أن لا يبعده عن هنا..

لقد كان ابنه من أكثر الأطفال ذكاء و ثقة في أنفسهم..لقد استثمر فيه كل مجهود ليصنع منه رجل أعمال ناجح يخلفه..ثم ماذا ؟ ضاعت سنين التعب تلك هباء !!!
لم يشعر بنفسه و هو يمسكُ بذلك الحاسوب ليرفعه عاليًا إلى أن ألقى به حتى نهاية الغرفة..ثم ألحق به كل الأغراض المحفوظة فوق المكتب ملقيًا إياها بانفعال مجهد..قبل أن ينحني مغرقًا وجهه في يديه منخرطاً في بكاء قوي بشهقاتٍ حقيقية و صوت مرتفع..بكاء لا يشبه بكاء رجل في سنه..

لقد بكى أكرم الشاذلي اليوم..للمرة الأولى يبكي بكاء حقيقياً مؤثماً إلى هذا الحد.. كانت المرة الأولى لكنها حتماً لن تكون الأخيرة !

كان يقف في منتصف المطبخ..يستند بظهره إلى طاولة الأكل الصغيرة..عاقداً ذراعيه أمام صدره بينما ينظر للوحي الذي كان يقف أمام الطباخ..يمسكُ بيده ذيل الملعقة الحديدية الطويلة بين يديه و هو يحركُ من خلالها طبق المعكرونة التي أعدها بنفسه..

قال هادي و هو يرفع أحد حاجبيه بملل :

_ما الذي تفعله بالله عليك ؟

ردّ لؤي و هو مستمر فيها يفعله بدون أن يلتفت إليه ؛

_أعد لنا شيئاً لنأكله بالطبع..ليس من اللائق أن ننتظر زوجتك المسكينة إلى أن تستيقظ حتى

تطهو لنا بينما نحن طول و عرض ما شاء الله..

" زوجتك المسكينة ! "

ما الذي يقوله هذا المعتوه ! إنه يخاطبه كرجل عديم المسؤولية ممّن يتحاملون على زوجاتهم

ليل نهار !..أو ليس هذا ما يفعله حقًا ؟!!

عقد حاجبيه بشدة عند هذه الخاطرة..ربما عليه أن يبدأ في تعلم الطبخ بالفعل
لأجلها..خاصة و هي تعاني كل تلك المضاعفات ممّا يخص الحمل و التي تجعلها شاحبة ضعيفة في
غالب الأحيان !

رمقه لؤي بنظرة خاطفة و هو يقول أمرًا ؛

_لماذا لا تساعدني و تحضر صحنًا لأفرغ الأكل فيه بدل الوقوف و مراقبتني !

رفع هادي حاجبيه بشيءٍ من الإنزعاج..لكنه لم يقل كلمة..فقد اقترب من خزانة زجاجية
معينة هناك ليفتحها و يخرج أحد الصحون إلى أن قربها من لؤي الذي شرع فورًا في صب الأكل اللذيذ
فوقه..

ثم وضعه فوق الطاولة ذات الأربع كراسي من كل جهة..قبل أن يضع الملاعق و يدفع أحد
الكراسي متخذًا مكانه..

كان منظر الأكل يبدو شهيا بالفعل..حتى لشخصٍ مثل هادي لا يشعر بأي شهية لتذوق أي
شيء..اقترب ليتخذ مكانًا مقابلًا..و لم يتردد و هو يرفع ملعقة ليبدأ في الأكل بدون أن يوجه كلمة شكر
للؤي الذي رفع حاجبيه بتعجب و يأسٍ منه و هو يشاركه الأكل..

لفت انتباههما بعد دقائق صوت خطوات هادئة تقترب من المطبخ..

كان هادي أول من رفع رأسه تلقائيًا لينظر لشهد التي توقفت في حاجز المطبخ تنظر بينهما
بشيءٍ من الإستغراب..قبل أن يرفع لؤي رأسه نحوها..و قال بينما يستدير في مقعده سائلًا بلهفة ؛
_شهد..هل استيقظت سجي ؟!

كانت عينا شهد متسمرتين على الطبق الذي قارب على الإنتهاء بينهما..قبل أن تطرف بعينها
لتنظر له مجيبة بخفوت ؛

_ليس بعد..لقد استيقظت قبل قليل و فضلت أن أغادر الغرفة لأتركها ترتاح أكثر..

ثم عادت تنظر للصحن بشيءٍ من الحرج هامسة ؛

_لا أصدق بأنك قد أشقيت نفسك و طهوت..

عقد هادي حاجبيه بتفاجئ و هو يراها توجه كلامها ببدئية إلى لؤي..و لم يستطع أن لا يقول
باستغراب و نبرة تشبه الإستنكار ؛

_كيف عرفتِ بأنه هو من أعده ؟!

كان لؤي يبدو شاردًا عنهما بعد سماعه لإجابة شهد..و كأن عقله قد عاد ليذكره بمأساة
حياته بعد تلك الدقائق التي تناسى فيها كل شيء..
بينما اتسعت عيناه شهد قليلًا و هي تهمس لهادي بنبرة تشبه الإعتذار رغم الدهشة المكتسحة
لعينها ؛

_هل أنت من أعده ؟! لا يعقل !
لم يستطع هادي أن يجيبها..فقد وقف لؤي فجأة ليقول بلطفٍ موجهًا كلامه لها ؛
_لا بأس يا شهد..هل نسيتَ بأنني في منزل أخي..على الأرجح أنتِ أيضًا لم تتناولِي أي شيء طيلة
اليوم..لقد تركت لكِ و لسجى نصيبكما من الأكل في الطنجرة..تفضلي..
لم ينتظر أكثر..اقترب فورًا من الباب ليغادر بخطواته السريعة..بينما ظلت شهد تقف
مكانها..إلى أن همس لها هادي بخفوتٍ ؛
_تعالِي..

نظرت له بتردد شاعرة بأنها أخطأت في شيءٍ ما لا تعلم ماهيته..قبل أن تتحرك مقتربة منه
بيطءً..إلى أن سحبت أقرب كرسي له و جلست تنظر له ببراءة..
قال هادي و هو يرفع أحد حاجبيه شاعرًا بالغيظ و الغيرة الشديدة من لؤي بدون سبب
واضح ؛

_هل مظهري يوحي بشخصٍ فاشل في الطبخ لهذا الحد ؟!
نظرت له شهد رافعة حاجبها بدهشة و كأنه شتمها..لكنها لم تلبث أن هزت رأسها بالنفي
بقوة..فرفع هادي نفس الحاجب الصارم قليلًا و هو يهمس ؛
_ماذا إذا ؟!

زمت شهد فمها قليلًا و كأنها لا تريد أبدًا أن تجرحه بأي كلمة..و حاولت أن تكذب..و الله
حاولت..لكن الحروف عجزت عن التجمع في لسانها..
فهمست تميل برأسها إلى الجانب قليلًا بوداعة و أسف ؛
_لا بالطبع..الأمر ليس كذلك..أنت فقط تبدو...كشخص لم يدخل المطبخ يومًا إلّا ليلقي
الأوامر على خادmatesه بأن يصنعن له الشاي !
رفع هادي حاجبيه ناظرًا لها بغير تصديق..فقالت و هي ترفع يديها الإثنتين متدركة ببراءة ؛
_لكن هذا لا يعني أبدًا بأنك لا تجيد الطبخ..أقصد...أنت..لست مضطرًا أبدًا للطبخ بينما أنا
معك !

كان على وشكِ فتح فمه ليحثها على الكلام أكثر بنبرته الجادة التي لا يمكنها أن تتوقف عن إرباكها.. حينما سمع همستها الأخيرة.. فلم يشعر بنفسه و هو يطبق فمه على شبح ابتسامة دافئة لاحت على شفتيه..

ظل ينظر لها للحظات.. قبل أن يمد يده في لحظة خاطفة ليمسك بطرف الكرسي حيث تجلس و يسحبه في اتجاهه مقرباً إياها منه بدون أن يطلب منها الوقوف.. إلى أن أصبحت بجانبه ملتصقة به حرفياً..

فغرت شهد شفتيها بغباء غير مستوعبة لحركته تلك..

لكنه أنهى دهشتها بأن رفع ذراعه ليطوق كتفيها هامساً على مقربة من عينيها النجلوتين.. المتسعيتين بالفطرة..

_حقاً؟! هل ستطبخين لي دائماً!!?

كانت الابتسامة لا تزال مرتسمة على ملامحه كطيف جميل.. بينما خرجت الهمسة من بين شفاهه بصوتٍ دافئٍ ساحرٍ لأقصى حد.. فهزت شهد رأسها مؤكدة ببطءٍ و هي تنقل عينيها بين كل إنشٍ من ملامحه الحبيبة تلك..

اتسعت ابتسامته أكثر أمام إجابتها رغم أن تلك لم تكن غايته من الأساس.. قبل أن يرفع يده ليلمس وجنتها بنعومة.. ثم همس على بعد مسافة قصيرة جداً من وجهها و ذراعه الملتف حول كتفيها يجعل لفحة البرد التي كانت ترسل الرجفة إلى أطرافها مجرد وهم ؛

_كيف أصبحت سجي ؟ لا بد أنكما تحدثتما قليلاً قبل أن يهزمكما النوم..

تلقائياً... كان عقل شهد يستعيد ذلك الطلب الغريب الذي سمعته بصوت سجي.. و شعرت بنفس النغزة من الألم تقبض لها قلبها.. لكنها رغم ذلك همست بخفوتٍ مطمئنة ؛
_لقد... أصبحت أفضل..

ثم رمقت الصحن بطرف عينيها.. فشاركها هادي النظر لوهلة.. قبل أن يهمس لها بنبرة مزجت ما بين الغيظ و اللطف ؛

_لا تقلقي.. بما أنني لم أكن أنا من طبخت فهي لذيذة جداً..

أحنت شهد حاجبيها إلى الأسفل بحزن.. قبل أن تهمس بتهيدة ناعمة بينما ترفع يدها لتلامس ربطة عنقه و ياقة قميصه الأبيض في حركة دغدغت قلبه ؛
_لم يكن هذا ما قصدته على الإطلاق هادي..

تجاهل هادي حركات أناملها بصعوبة..و تغاضى عن رغبته في نسف كل المسافة الضئيلة
بينهما و تقبيل تلك الملامح الناعمة و الإنتقاد الحزين بين حاجبيها..و اكتفى بالهمس بخفوتٍ ؛
_ ما الذي قصده إذن ؟!!

أطرقت شهد برأسها قليلاً تنظر إلى يديها المتلاعبتين بخفقاته لا مجرد ياقة قميص أبيض
بربطة عنق مرتخية تماماً..و صمتت للحظة قبل أن تهز كتفيها هامسة بنفس النبوة الخافتة الحزينة
على نحو غريب ؛

_عكس ما فهمته تماماً!

الآن كان دور هادي ليتهد بقوة..قبل أن يرفع يده ليمسك بذقنها برفق إلى أن جعلها تنظر
له..و حينها همس متأماً عينها الحزینتين بحنان ؛
_الحزن في عينيك يجعلني أشك بأن من توفي كان أخاك لا أخي !
نبرته جعلت ذلك الحزن يتضاعف أكثر في عينها..ثم رفعت إحدى يديها لتلامس ذقنه هامسة
بنبرة حزينة..حزينة جداً ؛

_و ابتسامتك المغتصبة هذه تجعل من قلبي ينقبض قلقاً على قلبك و أنا أعلم بأنها ليست
حقيقية تماماً !

همس هادي بدون أن يتخلى عن ابتسامته التي لا يظهر منها إلا شبح تراه شهد ؛
_من أخبرك بأنها غير حقيقية ؟!!

لم تردّد شهد أبداً من الرد فوراً بأسى و هي تنظر في عمق عينيه ؛
_عيناك...أنا أستطيع قراءتهما بكل سهولة !

لقد كانت صادقة..فقد بدت عيناه و كأنهما على النقيض تماماً من ما تحاول ملامحه إظهاره
من صمود و هدوء..كان حزيناً بطريقة غير مألوفة..

و رغم ذلك فهي عجزت عن لمح الصدق في ابتسامته التي كانت حقيقية تماماً..قلبي العاشق
لم يلمح سوى الأسى الذي يعتمر عيني حبيها..

إنها كأي عاشقة صغيرة لا يمكنها إلا أن تبالغ في قلقها عليه !

كانت أنامله لا تزال تقبض على ذقنها برقة..قبل أن يقترب منها قليلاً ليمنحها جواً
مختلفاً..مجرد قبلة دافئة على شفתיها..و كأنه يفصح عن استطابة قلبه لكل ما تفوهتا به قبل قليل..
كما استطاب قلبها هذا الإقتراب..فاستجابت بأن أسدلت رموشها الطويلة بسلام..تاركة
يديها عليه..الأولى بجوار قلبه..و الثانية حول عنقه..

لا نكتفي من عناقه أبداً مهما اقتربت..

حرّرها هادي أخيراً على مضض.. لهمس بنبرته الساحرة بينما يستند إلى جبينها بجبينه.. صوت

أنفاسها المتسارعة يبدو كلحن بديع في أذنيه..

_ ما أجملك !

فتحت شهد عينها ببطءٍ لتقابل ابتسامة عينيه التي بدت حقيقية هذه المرة حتى لها.. فلم

تشعر بنفسها و هي ترسم ابتسامة ضئيلة مطابقة لها..

قبل أن تشعر بأنامله ترتفع إلى أن أمسكت بيدها التي على ذقنه و مال على معصمها مقبلاً

ذلك الأثر هناك.. يكرّر تلك العادة الجميلة رغم أن الليل لا يزال بعيداً.. ثم همس بدون أن يبتعد إنشاً

واحداً عنها ؛

_ هل تناولتِ أيّ شيء اليوم ؟!

تردّدت شهد للحظة أمام سؤاله.. لكنها لم تستطع إلا أن تهز رأسها بالنفي ببطءٍ مجيبة

بالصدق.. و قد توقعت أن يلومها.. لكنه لم يفعل..

بل كان أن تنهد بتعب.. قبل أن يبتعد قليلاً هامساً بقلة حيلة ؛

_ توقعت ذلك..

ثم امتدت يده إلى أحد الملاعق النظيفة هناك ليملأها لها.. إلا أن شهد لم تأخذها منه.. بل

نظرت إلى جبهته من الصحن حيث تراح ملعقته هو على طرفه.. قبل أن تمد يدها لترفعها و تقرب

الصحن منها هامة بالأكل من ملعقته بالفعل..

ظل هادي متسماً للحظة ينظر لها بغير اندهاش.. قبل أن يعيد الملعقة النظيفة غير المفيدة

إلى مكانها.. و استمر ير اقيها بحب بينما تتذوق ممّا أعده أخاه.. ذلك المزعج.. لا بد أن يتعلم الطهو

قريباً !

ما إن تذوقت شهد أول ملعقة.. حتى كانت عيناها تتسعان قليلاً.. بينما عقدت حاجبها ببطءٍ

لم يدري أدهشة بمدى روعة ما تتذوقه.. أو ربما... لم يرق لها!

ليتها لا تحب طعمه !

حسنًا.. هذه أمنية شريرة بالنسبة لأخ يحب أخاه و يعيش زوجته التي لم تتناول شيئاً طيلة

اليوم..

تلك المهمة.. إنها عاداتها دائماً حينما يفرسها الحزن.. تغدو كالمنومة مغناطيسياً بشرودها

الدائم و انعدام رغبتها لأيّ شيء..

كتلك الأيام التي سبقت فراهما الأخير..لا يزال يتذكر حتى الآن كمية الألم و الشحوب الذي
أنشأ لنفسه موطنًا بكل ملامحها..حتى أنها و في غمرة شرودها الحزين تسببت لنفسها بالأذى ذات ليلة
مميزة..الليلة التي سبقت رحيلها عنه..

لولا أن القدر أقسم بحيمهما النقي..فاكتشف لاحقًا بأنها لم ترحل بمفردها..بل غادرت تحمل
في أحشائها قطعة من روحه و روحها !
_كيف وجدته ؟

سألها باهتمام و هو يراها لا تزال متسمرة على نفس الوضع..تبدو كشخصٍ يعجز عن ابتلاع
ما في جوفه..قبل أن تبتلع ريقها و تبتلع معه نظرة لاحت في عينها بشكل خاطف..نظرة
اشمئزاز...أيعقل !

و همست بينما تستبدلها بابتسامة علم قطعًا بأنها مصطنعة ؛
_لذيذ..لذيذ جدًا..

كان صوتها مختنقًا قليلًا..فعقد هادي حاجبيه بتوجس..لكنه رغم ذلك همس بهدوء ؛
_تناولي إذا..

هزت شهد رأسها بطاعة..ثم لم تلبث أن ملأت الملعقة ترفعها إلى فمها متناولة بملامح تشبه
ملامح طفلة صغيرة تم إرغامها على ابتلاع قرص دواء شديد المرارة..

ظل هادي يراقبها بنفس التوجس بينما تملأ الملعقة للمرة الثالثة و ترفعها إلى فمها..لكنها لم
تستطع حتى أن توصلها إلى فمها هذه المرة..فقد وقفت فجأة بسرعة بعد أن أسقطت الملعقة بقوة
لتغادر المطبخ بخطوات سريعة أمام عينيه اللتين اتسعتا بقلق..

كانت غايتها الحمام بالطبع..و استوعب هادي ذلك حتى قبل أن يقف لاحقًا بها..إلى أن توقفت
متمسكة بطرفي المغسلة و انحنى تستفرغ كل ما تناولته للتو و ليلة أمس ربما..

كان هادي قد وصل إليها..تسمر للحظة واحدة في حاجز الباب..قبل أن يتجاوزها مقتربًا منها
بسرعة إلى أن وقف بجانبها و ارتفعت يده تلقائيًا تربتُ على ظهرها برفق بينما هي لا تزال تستفرغ
بقوة..

ظل يكرر نفس الحركة و هو يراقبها بقلق ما لبث أن تضاعف في قلبه..إلى أن انتهت..و
حينها..كان هو من يفتح الصنبور حيث أغرق يده تحت المياه قبل أن برفعها قليلًا يغسل لها وجهها
لعدة مرات..

سحب أحد المناديل الورقية المعلقة بعناية هناك.. قبل أن يعود إليها تزامناً مع رفع شهد
لوجهها إليه و يمد يده يمسح وجهها المبلل برفق..
كانت شهد تنظر له بأسى طويلة الوقت..و كان هو منشغلاً عنها بها..
إلى أن أنزل يده ملقياً بالمنديل في سلة المهملات..ثم همس بقلق و هو يمد يده ليبعد خصلة
مبللة ملتصقة بوجنتها إلى خلف أذنها ؛
_هل أنت بخير ؟!
هزت شهد كتفها هامسة بنبرة اعتذار و عجز ؛
_أظن بأن لساني لم يعد يستطيب طعم المعكرونة..
لم يظهر أي انطباع جديد على ملامح هادي..ف قالت تستأنف فوراً بنبرة فاقت حدود اللطافة ؛
_لكنها لذيذة جداً أقسم لك !
اختلج قلب هادي بحزن و هو يشعر بأن أمنيته الخبيثة الداخلية تتحقق..و ها هي ذي حبيبته
بقت بلا أكل !
همس و هو يجذبها إلى حضنه مطوقاً إياها بقوة ؛
_ليست لذيذة إلى ذلك الحد..لقد قلت ذلك لأشجعك على الأكل ليس إلا..
ثم صمت لوهلة..قبل أن يهمس بخفوتٍ بينما يطبع قبلة حانية على جبينها..يشعر بذراعها
تلتفان حول جذعه بقوة..
_سأصل بمطعم قريب لأطلب منه بعض الأكل لأجلك..

منذ دقائق و هو يجلس بجانبها على طرف السرير..كان يتأملها بحزن..بينما أنامله تمشط
خصلات شعرها الناعمة برفق..ينتظر استيقاظها بصبر..
في نفس الوقت الذي يشعر فيه بالعجز عن مواجهتها بعد كلماتها الأخيرة..أو بالأحرى كلمة
واحدة و قرار واحد... "الرحيل" !
هل سترحل عنه حقاً ؟ هل خطّطت و عزمتم لتركه و التخلي عنه ؟! أم أنها كانت مجرد موجة
مشاعر مؤلمة جرفتها نحو قول أشياء لا تقصدها فعلياً !
تهيدة مرهقة هربت من بين شفثيه..قبل أن يهمس لها بصوتٍ أجش خافت..يدرك بأنها لن
تسمعه..

_هل هذا هو الحل إذا؟! ألا يمكنكِ لمرة واحدة فقط أن تتوقفي عن الهروب؟! أن تختارينني

أنا بدلاً عن الهروب !!

مال عليها ببطءٍ في نهاية كلامه إلى أن طبع شفثيه مطولاً فوق جبينها.. لا يزال هنالك خوف مبالغ به يكتسح قلبه بضراوة.. فشهاب الذي كانت الحسرة تغدق صوتهما بينما تتكلم عنه ليلة أمس

قد مات بالفعل !

السبب الفعلي لهروبها تداعى.. الآن باتت تستطيع اتخاذ قرارها بدون أن تضطر للهروب.. الآن

غدت مخيرة بين اعتكاف حبه أو التملص من الاسم ككل إلى الأبد..

الآن ما بينهما لم يعد أداء واجب و مهمة صادقة للحماية.. لقد تلاشت كل الأسباب التي كانت

تجعلها في حاجة إليه.. وكم هو سعيد بتلاشيها رغم كل التناقضات التي تلفح قلبه الخائف !

ابتعد عنها قليلاً فقط ليتأملها عن قرب.. قبل أن يهمس مجدداً بنبرة تخللها الكثير الكثير من

الحزن و الكثير من... التفهم !

_أعدكِ.. مهما كان قراركِ فيما يخصنا قاسياً أو مرضياً لي فسأحترمه بشرط.. أن لا تهربي !

كان صوته يرتجف و هو يمنحها الوعد القبيح.. كل ما فيه يئن و ينتحب لوعة و خوفاً من

فكرة الفراق المرجحة.. كل ما فيه.. يصرخ به باعتراض.. يطلب منه أن يتوقف فقط..

ليس عليه أن يكون متفهماً لهذا الحد.. إن ذلك الوعد ليس إلا قيداً سيلتف حول رغبته في

الحياة بعد لو ناشدت مخاوفه التحقق !

ابتعد بعدها على مضضٍ ليقترّب من تلك الأريكة السوداء الطويلة هناك.. إلى أن استلقى

فوقها مريحاً ذراعه فوق جبينه.. ناظراً للسقف بلا تعابير.. صوت الصمت هو الناطق الوحيد في

الغرفة.. بينما قلبه يعج بفوضى الحُب و الترقب و الخوف..

ثم بعد وقتٍ طويل.. دقائق أو ساعات لم يعرف.. شعر بشيءٍ ما يجذبه بقوة لأن يلتفت إليها و

كأن بينهما رباط شفاف أنبأه بقرب استيقاظها.. لم يتحرك من مكانه رغم ذلك.. و لم يحاول الوقوف

حتى و هو يرى تملل جسدها و هي على وشك الإستيقاظ..

إلى أن فتحت عينها فجأة لتقع أنظارها مباشرة عليه.. كان قريباً منها رغم ابتعاده

النسي.. حتى أنها في الوهلة الأولى طرفت بعينها و خيل إليها عقلها بأنه مستلق بجانبها..

قبل أن تستوعب شيئاً فشيئاً مكانه.. لكنها لم تتكلم مثله.. بل لم يظهر أيّ تعبير واضح على

ملاحظتها لعدة لحظات.. إلى أن همست بصوتٍ خافت بالكاد سمعه ؛

_متى أتيت ؟!

مجرد سماع صوتها.. جعل قلبه يعود لينتفض بفزع.. يلومه و يشتمه على التسرع بقطع ذلك
الوعد الذي لم تسمعه غاليته..

همس يجيها بصوتٍ لم يفصح عن أيّ من مشاعره ؛
_ليس منذ وقت طويل..

فتلكأت سحى للحظة أمامه.. ثم همست بخفوت ؛
_و خالتي ؟

طرف لؤي بعينه قليلاً و هو يسمع هذا السؤال منها.. ألا تزال حقاً تسأل عن أمه بعد كل ما
كان ؟!

همس بنفس النبذة التي لا تنم عن أيّ شيء محدّد ؛
_سندهب لرؤيتها غداً بإذن الله..

ثم صمت للحظة.. و عاد ليسألها بنبرة عادية ؛
_هل أنتِ بخير ؟ كيف أصبحت الآن ؟!!

تعهد أن لا ينطق بالسؤال المشؤوم.. "كيف تشعرين ؟!"

كيف يمكنه أن يسألها عن مشاعرها.. أيّ مشاعر تلك التي قادتها بإرادة حمقاء لتلقي بنفسها
في تهلكة عظيمة محاولة الانتحار !

سحى أيضاً بدت غير قادرة على تبادل أيّ حوارات مجيدة.. فقالت بعد لحظات من الصمت
بصوتٍ أشد خفوتاً ؛

_أفضل !

كان صوتها لا يؤكد إجابتها أبداً.. كملامحها النحيبة الشاحبة و التي لا تفصح سوى عن تعب
كبير.. شعر لؤي بأنه عاجز عن تحمل أفكاره المتناقضة بشأنها أكثر..

فاكتفى بأن هز رأسه في حركة لم تعني شيئاً في الحقيقة.. قبل أن يرفع عينيه مجدداً محدقاً في
السقف الأبيض..

حركة لم يفعلها من قبل إطلاقاً.. أن يكتفي بسؤال سطحي بديهي.. ثم ما إن يأخذ الجواب
الأكثر سطحية و بديهية منها.. يستدير عنها بصمت !

كانت أول مرة.. تشعر فيها سحى بالأم حقيقي مقترن به.. أول مرة يكون لؤي السبب في ألمها
بدون أن يقصد..

لقد ألمها انطباع عينيه الشبه فارغتين..كما تألمت و هي ترى الجفاء يرسم خطوطه الخفية
على ملامحه..هل يجراً على أن يعاملها بجفاء بعد ما كان ؟!
لم تقل كلمة..تحركت مثله لتستلقي على ظهرها ناضرة إلى نفس السقف المتجمد.. كلاهما
مستلقيان على بعد مسافة لا تجاوز المترين..في مكانين مختلفين..يتأملان نفس الفراغ..و الصمت
رفيقهما المخلص الوحيد !

كان يخشى أن ينجرّف إلى مشاعره..أن يفتح معها أيّ موضوع فتأتي على سيرة الرحيل
مجددًا..

يخشى أن تمنح قلبه لكمة الموت بمجرد قرار أهوج يمنحها الفرصة لطرحه !
و هي كانت تخشى..تخشى أن تكون قد تسببت له بالأذى بدون أن تريد بكلماتها المتهورة
تلك..تخشى أن يلامس اليأس قلبه ناحيتها..أن يتوقف عن اهتمامه و قلقه المبالغ عليها..
و هي بكل صدق..تجد في نفسها شعورًا غريبًا عليها..لقد استطابت اهتمامه و قلقه المبالغ
عليها !

شعرت بالدموع تلسع عينها فجأة..فطرفت بهما ببطء..و ابتلعت الغصة الحارقة المرتبطة
به..قبل أن تهمس بعد لحظات طويلة..طويلة جدًا..
_لؤي !

يا الله ! هل يمكنه أن لا يلي نداءها و لو لمرة واحدة في حياته..أن يتجاهلها فحسب و كأنها غير
موجودة معه !

شعر بنفس الخوف الأحمق يتسلل إلى قلبه بسماع نداءها..و أراد بشدة..بل عزم على عدم
إجابتها..لكن قلبه اللئيم لم يطاوعه..

فقد كانت نبرتها..شبه مختنقة..ضعيفة و متحشجة و كأنها على وشك البكاء !
_نعم..

همس بنفس درجة الخفوت بدون أن يستدير نحوها أو يغير من وضعية استلقاءه حتى..فساد
صمت جديد كئيب بينهما..

ثم سمعها تهمس بشيء غريب جعله يلتفت إليها مرغمًا ؛
_أظن بأنني..أنا..أنا غالبًا...أنا بحاجة ماسة للمساعدة !

نظر لها لؤي عاقداً حاجبيه فوق نظرة متألمة..فالتفتت سجي هي الأخرى لتمنحه عينها
الدامعتين..قبل أن تبتلع ريقها و تهمس موضحة أكثر بنبرة مختلفة..و كأنها ترغم كل حرف على
الخروج من جوف روحها المرهقة..

_أحتاج إلى.....طبيبة نفسية !

شعر لؤي بقلبه يتمزق بجملتها تلك..هل وصل بها الألم إلى هذا الحد؟! أن تطلب بنفسها أن
تذهب إلى طبيبة نفسية ! بعد أن كان يخشى أن يطلعها على الأمر سابقاً خوفاً من ردة فعلها !
ليس الأمر كونه يستنكر لجوء أيّ إنسان إلى مساعدة نفسية..بل على العكس تمامًا إنه
الشيء الأصح لكل إنسان غالبه الألم..

جميعنا تمر بنا لحظات ضعف نحتاج فيها لمن يسمعنا بحق..بدون أن ينظر لنا بعين
الإستنكار و السخرية..بدون أن يوقفنا أو يتذمر من مدى الوجع الذي تصفه كلماتنا !
و هو موقن بأن سجي مثله لا تستنكر الفكرة..لكنها فقط..موجعة حين التفكير بكل
المحاولات السابقة التي ضاعت هباء..

لقد ظنا بالفعل بأنها على وشك التعافي..كانت على وشك التعافي..لولا أن هبت صاعقة على
شكل إنسان نسفت كل الأمل منهما !
ظل صامتاً أمامها للحظات طالت..إلى أن همس أخيراً يشاركها لمعة عينها و احتقان صوتها
ألمًا ؛

_أعرف واحدة بالفعل..دعينا نذهب إليها بعد أن تصبح صحتك أفضل !
شعر بأن تلك الدموع التي في عينها تحارب للإنسياب..تقاوم كل ذرة صمود لا تمتلكها
حبيبته..كانت تحتاج إليه..شعر بذلك..خلف عينها..لا تزال هناك كلمات مكتومة تنتظر
التحرر..تريد أن تتكلم أكثر..لكن ملامحه و ردود فعله اليوم لا تشجع !
لهذا فقط..هزت رأسها في حركة شبه مرئية..ثم و بصمت تام..عادت لتطالع السقف..بينما
ظل لؤي ينظر لها لعدة لحظات..قبل أن يشيح بأنظاره مثلها..
و كأن الصمت قد بسط سيطرته اليوم على قلبين اعتادا البوح بكل شيء لبعضهما البعض !
تهد بقوة..قبل أن يغمض عينيه شاعرًا بالألم يشتد في قلبه أكثر..ألم تجاهله لما تسرده
عينها..و ألم التوقعات التي تلم بذهنه..
و لو كان قد نظر لها مجددًا لتفاقم ألمه برؤية تلك البحيرة الصغيرة التي تجمعت في عينها
المجروحتين !

ظلت صامتة لوقتٍ طويل..ترغم نفسها على الصمت خانقة صوتها الذي يريد المناداة باسمه
مجددًا..لكنها عجزت في النهاية..فوجدت نفسها تفتح فمها لتهمس تلقائيًا بصوتٍ أجش ؛
_لؤي...

أطبق لؤي عينيه أكثر بعنف..قبل أن يفتحها هامسًا بنبرة لا تمثل أيّ من مشاعره ؛
_نعم !

و مجددًا..كان يستشعر بعض الصمت منها..صمت كسير يدعوه للوقوف حالًا و
احتضانها..لا يهمه سماع قرار إعدامه منها..لا يهمه ما قد تكون ردة فعلها..كل ما يريده أن...يحتضنها !
سمع صوتها الضعيف بعد ثوانٍ أخرى تقول بنبرة اعتذار بدون أن تتوقف عن النظر إلى
السقف ؛

_ربما...انفعلت أكثر من اللازم سابقًا و آذيتك..أعتذر لو...فعلت!
هل هي تعتذر حقًا ؟ هل هذا تمهيد لجملّة أخرى ستقولها فورًا مرفقة بالكلمة التي يكرهها !
ابتلع ريقه ببطءٍ و هو يشعر بثقل قوي يجثم فوق قلبه كاتمًا أنفاسه..قبل أن يقول
بنبرة...عادية !

_لا بأس !
ثم صمت منتظرًا أن يسمع الجملة المتوقعة..لكنها لم تتكلم..عادت لتصمت و قد شعر لسبب
ما بأن ذلك النداء الذي يجعل قلبه يئن كطير يحتضر سيتكرّر..
و قد تكرّر بالفعل..تكرّر بطريقة..حسنًا لم تعد كلمة "ألم" جديرة بالوصف !
_لؤي..

هذه المرة كان أثر دموعها واضحًا جدًّا في صوتها..بينما وصله النداء الخافت يحمل نبرة توسل
خفية..فتلكأت الحروف في فمه..قبل أن يمنحها نفس الجواب المختصر..الموجع مجددًا..
_هممممم...

هذه المرة كان صمتها أطول من السابق و كأن ما ستقوله أقوى من أن يتم لفظه كله دفعة
واحدة..إلى أن همست بعد لحظاتٍ طالّت كاد فيها أن يفقد الأمل من سماعها..
همست بتردد..بنبرة فاقت حدود الغرابة ؛

_ألن...تنام بجاني اليوم !!?
لوهلة ظن بأنه لم يسمعها..أو ربما هو يتوهم وجودها بجانبه و سماع سؤالها ال... المتوسل !

هل طلبت منه بطريقة غير مباشرة أن ينام بجانبها؟! هل توسلته بحروفٍ تنطق بالاحتياج أن لا يتخلى عنها على الأقل اليوم!

أن يؤكد وجوده معها بنظرة عطوفة من نظراته التي افتقدتها في غضون ساعات.. و همسة دافئة ككل همساته الواعدة المطمئنة لقلبي..

و لمسة حنونة تخلصها من هواجس الوحدة التي تبتلعها!
الآن أصبح ذلك الثقل أقوى و أكثر تأثيراً.. لكنه رغم ذلك لم يمنعه من أن يلتفت إليها بسرعة لينظر إلى عينيها اللتين كانتا عليه..

تنظر له بدون أن ينظر لها.. الخوف من أن يقابل سؤالها بالنفي يقتلها..
لأنها حينها حتماً ستكون قد استسلمت لليأس.. ستدرك بأن شيئاً ما قد اهتز في علاقتهما.. و بأن اعترافه ليلة أمس كان زائفاً كاذباً ككل الاعترافات التي سمعتها قبله من رجلين.. كل منهما تسبب لها بالأذى بطريقة مختلفة!

لكنه لم يرد.. فقد هاله منظر الدموع الصامتة المناسبة من جوف عينيها.. و لم يفكر أكثر قبل أن يقف ليقطع المسافة القصيرة بينهما إلى أن وصل إليها.. و حينها رفعت سحى عينيها لتنظر له بينما هو يقف أمامها.. ركبته تلامسان طرف السرير..

ابتلعت ريقها ببطءٍ و هي تراه يقترب أكثر إلى أن جلس في ذلك الطرف الذي كان يقف بجانبه.. جلس فقط بدون أن يلي طلبها المشفر بين طيات سؤالها الصادق حد البرائة..

قبل أن يهمس و هو ينظر في عينيها بجدية ناقضت التهدج في صوته؛

_ ألا تزال فكرة الرحيل تدور في خلدك؟! _

لم تتفاجئ سحى من هذا السؤال أبداً.. هي تعلم بأنها آذته بفكرة الرحيل تلك.. لكن ماذا كان بيدها لتفعل و هي تقبع بين نار الرغبة في التجاوز و التناسي..

و نيران الخوف السحيق من أن يضعها القدر تحت رحمة قاتلها مجدداً!!!

انسابت دموعها أكثر ببطء.. لكنها رغم ذلك هزت رأسها بالنفي هامسة بصدق و هي تنظر إلى عينيها بأمل؛

_ لن أرحل أبداً.. لن أتخلى عنك أو عن... نفسي بعد الآن!

رغم الارتياح الذي لامس قلبه بعد ردها.. إلا أنه لم يستطع أن يكتفم سؤالاً جديداً.. فهمس

ببطءٍ و بصوتٍ مختنق و كأنه يأبى إيلاها أكثر بجلب سيرة الاسم الذي تمقته بشدة و يرعها؛

_ هل كان هذا ليكون ردك لو كان... لا يزال على قيد الحياة؟! _

تلقائياً كانت تلك اللحظة تمر في ذهنها..اللحظة التي وقفت أمام جثته تنظر إلى ملامحه التي
سكنت إلى الأبد..ملامحه التي تشوهها كدمات تلقاها من لؤي..بعد أن منح قلبها الكثير منها سابقاً!
مرت صورته في ذهنها بشكل خاطف لتذكرها للمرة الألف خلال أقل من يومين بأنه...رحل إلى
الأبد و لن يعود !

و رغم ذلك..فهي لم تحاول الكذب أو المراوغة أبداً في إجابتها..همست من بين دموعها بنبرة
خافتة جداً يجردھا العجز من قوتها ؛
_كنت سأرحل..لأجلك...و لأجلي !

حسناً..ألم يكن يتوقع هذا الرد ؟ لماذا يشعر بكل هذا اليأس إذن ؟! لماذا يشعر وكأنه
قد...تعرض للكلمة قوية استهدفت أكثر الأماكن حساسية في قلبه !
هل يمكنه أن يتمنى الأسوء ممّا آل إليه حال أخيه المتوفي فعلاً !
أطرق برأسه بصمتٍ و هو يجد في نفسه مشاعراً لا يحبها..و كانت ردة فعله غير المقصودة تلك
كفيلة بأن تجعل من تلك الهواجس تشتد وطأة على قلبها..
فلم تتردد من أن تمد يدها إلى أن تمسكت بيده المفرودة فوق السرير..و همست تشدد من
تمسكها بها بتحشرج و أسف ؛

_أعذر لؤي..لم يكن هدفي أن أولمك صدقي..لكنني فقط...شعرت في لحظة ما بأنني وصلت
إلى نهاية المطاف..و أردت أن أزيح عبء آلامي من فوق كاهلك !
لم يشعر بتلك الدموع التي تكاثفت في عينيه بقوة إلى أن سقطت واحدة تلو الأخرى بثقل و
هو يسمع صوتها بكل الأسى الذي يكتنفه..قبل أن يرفع عينيه مجدداً لينظر لها..
و حينها همست سامحة لدموع جديدة ساخنة بأن تحرق وجنتها ؛
_لا تتركني لوحدي لؤي..أرجوك..إياك أن تعتبر كلامي الذي قلته في لحظة انهيار صحيحاً..لقد
فكرت بالرحيل نعم..ذلك كان لأنني خفت..خفت من أن أقع بين يديه مجدداً.. ذلك الحمل كان
أصعب من أن تستطيع تحمله طيلة حياتك..أن تر اقبني طيلة الوقت خوفاً من أن يصل إلي..لقد كان
ذلك أشبه بالتشبث بأمال واهية..

صمتت للحظة..ثم همست تتشبث بيده أكثر بنبرة أشد ضعفاً و حزناً ؛
_أعلم بأنني ربما أكون قد...بالغت في انهياري..لكنك أكثر من تفهمني..أحتاج إليك بشدة لؤي..
أحتاج إلى أن تضميني بقوة بين ذراعيك لتهمس لي بصوتك فقط بأن كل شيء سيصبح على ما يرام..

صمتت للحظة أخرى..ثم استأنفت بنبرة ذات مغزى و الدموع في عينيها تجري كالأنهار

المتسربة ؛

_و بأننا...بعد كل شيء..أنا و أنت..لا نزال على قيد الحياة !

صمتت أخيراً تنظر له برجاء..تبدو كطفلة صغيرة تخشى من أن ترى نفس الحلم المظلم لو

تركت يد والدها الذي هو وسيلة الأمان الوحيدة لديها..

ظل ينظر لها للحظاتٍ من بين دموعه التي لم يذرف و لو ربعها على موت أخيه.. لكنه ذرف

الكثير الكثير منها لأجلها..حبيبته..الإنسانة الأعلى على قلبه !

شعرت بقلبي ينبض مجددًا حينما مد يده الحرة ليمسح اليسير من دموعها..قبل أن يرفع

الغطاء و يقترب منها بدون أن يفلت يده من يدها إلى أن أصبح مستلقيًا بجانبها..

و حينها فقط كان يترك يدها لا لشيءٍ إلا ليحتضنها بالكامل بكلتا ذراعيه..ثم همس و هو

يطوقها بشدة ملصقًا رأسها في صدره..و يطبع قبلة طويلة كالتي منحها لها و هي نائمة فوق جبينها ؛

_ليتكِ تدركين مكانتكِ لدي..أنتِ بالنسبة لي كل شيءٍ يا سجي..أنا لا أرى الحياة إلا بعينيكِ..و

لا أشعر بنفسي قادرًا على التنفس إلا حينما أضمكِ بهذا الشكل..أنا لست على قيد الحياة يا

سجي..أنا على قيدكِ أنتِ !

صمتت قليلًا..ثم همس بصوتٍ شبه مسموع بينما يفرق أنفاسه في خصلات شعرها مطبقًا

عينيها بشدة ؛

_لا ترحلي عني سجي..لا تسمحى لفكرة الرحيل بأن تدور في عقلكِ حتى بعد الآن...غاليتي!

كانت تضمه بقوة..مطبقة عينيها مثله بينما ذراعاها تطوقانه بطريقة غير طبيعية أبدًا و هي

تسمع صوته الهامس بارتعاش في أذنها..

ثم همست بنبرة تشبه نبرته و أنفاسها ترتجف كمن يشعر بالبرد في حضرة كل الدفء !

_لا أريد أن أنام لوحدي بعد الآن..أريد أن أنام بجانبكِ لؤي..دعني أنام بجانبكِ كالיום..كل

يوم !...أرجوكِ !!

صمتت أخيراً تلهث و كأنها كانت تخوض سباقًا صعبًا طالت مدته حتى أهدرت كل قوتها..بينما

شدّد لؤي من احتضانها إليه شاعرًا برغبة قوية في جعلها جزءًا متصلًا به..

و بعد لحظاتٍ طويلة من احتضانه لها..همس بصوتٍ أجش و هو يتذكر بأنها لم تتناول أيّ

شيءٍ طيلة اليوم ؛

_لقد جهزت بعض الطعام..لا بد أنكِ جائعة..دعيني أصبّ لكِ القليل منه..

حاول أن يتحرك..إلا أن سجي لم تسمح له أبداً..فقد تمسكت به أكثر و كأن كل حياتها تتوقف على وجوده..ثم همست في صدره بدون أن تفتح عينها و هي تشعر بالإرهاك يفترس كل خلية من جسدها..

و كأنها لم تغفو منذ ألف سنة..و الآن فقط يحين وقت راحتها!

_ ليس بعد..دعني أنام قليلاً بعد !

شخص آخر كان على وشك الإستعداد للنوم..كانت شهد التي خرجت من الحمام مغلقة الباب خلفها بهدوء..ترتدي إحدى فساتينها البيضاء الهفافة الخاصة بالنوم..
كان هادي مستلقياً في مكانه بالفعل..يستند برأسه إلى يده المريحة فوق الوسادة بينما ينظر للسقف بشرود..حينما التفت لينظر لها بينما تقترب منه..
إلى أن رفعت الغطاء و اندست بجانبه مريحة رأسها فوق موضع قلبه..فلم يمتنع و هو يرفع أنامله ليتخلل خصلات شعرها برفق هامساً لها باهتمام ؛

_كيف تشعرين الآن ؟!

همست شهد بصوتٍ مستكين و عيناها على صورتها الجميلة المعلقة في جانب معين من الجدار ؛

_أفضل بكثير..

شعرت بيده تتسلل بهدوء إلى أن ارتاحت فوق بطنها تلامس القماش الناعم لفستانها..ثم همس بنفسٍ الاهتمام و أنامل يده الأخرى مستمرة في التلاعب بنعومة خصلات شعرها التي يحبها ؛
_و هو ؟!

رفعت شهد عينها إليه معقبة بنبرتها الخافتة الودیعة كل الوداعة ؛

_أو هي ؟!

فمنحها هادي أجمل ابتسامة و هو يكرّر بهدوء ؛

_أو هي !

ابتسامة ضئيلة لونت عينها..قبل أن تهمس و هي تشعر بأنامله تربّت برفق على بطنها ؛
_حسناً..لا أعلم بهذا الشأن لكنه لا ينفكّ يجعلني أرغب في تقيء كل ما أتناوله بعد كل نصف ساعة..

رفع هادي حاجبه باهتمام و هو يردف محاولاً تجاهل لفحة القلق التي مرت في قلبه بتذكر تعيها ؛

هل تلومينه على هذا الشيء؟!

كانت يده قد تركت شعرها برفق لتطوق كتفها مدلكة عظامها الرقيقة في تلك الحركة التي

تستلطفها كل جوارحها الواقعة في حبه..

حينما همست و هي تهز رأسها بالنفي بصدق ؛

_قطعاً لا..بل على العكس تمامًا..أحب ما يفعله بي..أو تفعله !

لوهلة بدا هادي غير مستوعباً لإجابتها الغريبة تلك..لكنه لم يلبث أن همس بينما يرفع نفس

الحاجب أكثر ؛

_تحبين التعب و الألم الذي ينشأه بكِ الحمل..أيّ حمق هذا !

اتسعت ابتسامه شهيد ببطء..ثم همست باقية على هدوءها و ثبات ملامحها ؛

_على الأرجح هو حمق..لكنني فقط..كلما شعرت بالتعب ازدادت لهفتي لمجيئه..كما أحس بأن

كل الألم هين إذا كانت النتيجة أن أراه و أنظر لعينييه في النهاية..أظن بأنها طبيعة قلب الأم

المعقدة..تلك التي سمعت عنها كثيرًا من قبل !

نظرته التي تلت إجابتها تلك..جعلت ابتسامتها تكتسب بعض الحنان و هي ترى التعجب

يرتسم على ملامحه..إلى أن قال بنبرة بتوجس ؛

_حسنًا ماذا عن قلب الأب؟! أنا لا أشعر سوى بالرغبة في تأنيبه كلما رأيت شحوبك و

أملك..دعيه فقط يأتي و سأعاقبه على كل ما ألم بكِ بسببه !

كانت نبرته يتخللها مزاح خفي..تعلم بأنه غير جاد أبدًا في كل ما يقوله..بل على العكس تمامًا

ربما هو يشعر بالحماس لرؤيته أكثر منها..تستطيع أن تدرك ذلك بسهولة من بريق عينييه المختلف

كلما أتى على ذكره..

تعمدت أن تسأل بترقب بينما ترفع حاجبها المرسوم بدقة فطرية قليلاً فبدت كنسخة ناعمة

منه ؛

ماذا لو كانت فتاة؟!

رأت كيف أن ذلك البريق أصبح أشد بروزًا في عينييه المبتسمتين بثبات..ثم همس لها بعد

لحظة بنبرة ذات مغزى ؛

_سأدللها حتى تصرخ بي "كفى" من الدلال !

شعرت شهد بالغيرة تنهشها و هي تسمعه يتكلم بتلك الحرارة بدون أن يأتي على ذكر سيرتها في منتصف كلامه..غيرة غير مؤذية لكنها ليست في محلها تمامًا..كادت أن تفتح فمه لتسأله سؤالاً بريئاً جداً..

"و أنا...؟"

إلا أنه استأنف قبل أن تستطيع بنبرة خرجت أشد حرارة و دفئاً ؛

_لكنها أبداً لن تكون أعلى منك عندي !

الآن تلاشت كل الغيرة من قلبها..لكن الغريب تماماً أن ما حل محلها شيء يشبه الضيق !
لا تريده أبداً أن يحبها أكثر من حبه لأطفالهما رغم سعادتها باعترافه..أي تناقضات هذه ؟!

إنها حمقاء بالفعل !

_لقد فكرت قليلاً و اتخذت قراراً..

سمعت صوته يقول بجدية بعد أن تلاشت ابتسامته التي تحبها..فنظرت له باهتمام و

تركيز..قال هادي و هو يرفع يده ليلامس وجنتها برقة ؛

_سأعين خادمة لتساعدك في شؤون المنزل..

فغرت شهد فمها ناظرة له باستنكار أقرب إلى الرفض..قبل أن تهز رأسها هامسة بنبرة تشبه

العتاب ؛

_قررت ؟! بدون أن تسألني !!

همس هادي عاقداً حاجبيه بجذل ؛

_ألا تريد أن أحضر لك امرأة تخفف عنك أعباء البيت !

لم تردّد أبداً من الرد بكل رفض رغم خفوت صوتها و وداعته ؛

_بالطبع لا أريد..أنا أستطيع أن أهتم بكل شؤون منزلنا بمفردي..لا أحب أن يكون معي أي

أحد غيرك..

تهمد هادي بقوة و هو ينظر لها باستسلام..لكنه قال رغم ذلك بعد لحظة واحدة بجذل ؛

_ماذا عن سجي ؟ ألم تحبي وجودها معك اليوم ؟!!

بدت شهد و كأنها قد تذكرت أمر سجي الآن فقط بعد أن قالت جملتها التي لم تقصد بها أفراد

عائلته بالطبع..قالت بحرارة و بكل صدق ؛

_سجي تستطيع أن تبقى الوقت الذي تشاء بالطبع..ربما هي تمتلك الحق أكثر مني في هذا

المنزل..أنا أقصد الغرباء فقط..أما سجي.....

صمتت للحظة..فهمس هادي يحثها برفق ؛

_أكملي..ما خطب سجي ؟!

همست شهد بخفوتٍ و هي تصنع ابتسامة صغيرة صادقة ؛

_أحبها كجزء منك !

ابتسم هادي بعطف أمام نبرتها..و ظل صامتًا لوقتٍ يتأملها فقط بنهم..قبل أن يتنهد بقوة

هامسًا بنبرة لم تفهمها ؛

_إنه الخيار الوحيد المتبقي أمامي إذن !

غباء قوي استوطن ملامح شهد..ثم قالت تسأله بعدم فهم ؛

_أيّ خيار ؟!

فصمت للحظة..ثم عاد ليتنهد بتعب مردفًا ؛

_سأبدأ في تعلم الطبخ لأجلك !

للحظة عجزت عن استيعاب جملته تلك..فطرفت بعينها ببطءٍ و هي تنظر له بشكٍ و غباء

أكبر..ثم فجأة..أفلتت منها ضحكة ناعمة جعلت من حاجبي هادي ينعقدان بدهشة و هو ينظر لها

بجدية..

كانت ضحكتها جميلة جدًا..جعلت قلبه يختلج حبًا..و تمنى أن يتأملها أكثر..لكنه بدلًا عن

ذلك قال بصوتٍ بطيء و هو يكرّر الجملة مرارًا في ذهنه محاولًا البحث عن الشيء الغريب فيها ؛

_هل قلت شيئًا غريبًا ؟!

بصعوبة حتى تمكنت شهد من أن تكبح ضحكتها..لكنها أبقت على ابتسامة جميلة و هي تنظر

له..لكن ملامحه بدت جادة تمامًا و هو يدقق النظر بها منتظرًا جوابًا لسؤاله..حينها قالت بتوجس و

ابتسامتها تتداعى ببطءٍ ؛

_هل أنت جاد حقًا ؟!

قال هادي بصلافة و بدون تردد ؛

_بالطبع..

فاتسعت عيناها قليلًا بدهشة..و صمتت للحظاتٍ..قبل أن تستجمع الحروف مجددًا لتقول

بشيءٍ من التوتر ؛

_لكن...لكن...أأست تعمل ؟!

قال هادي و ملامحه تزداد صلابة و جدية أمام عينيها ؛

_عملي لا يتطلب أي قوة بدنية مقارنة بتحمل مسؤولية بيت كامل طول و عرض !

نظرت له شهد بتوتر أكبر..هل حقًا يريد تعلم الطبخ لأجلها؟! هادي !!

همست عاجزة تمامًا عن الاستيعاب ؛

_لكن...هذا أمر غير لائق !

نظر لها هادي باستنكار حقيقي و هو يقول رافعًا نفس الحاجب لكن بشيءٍ من الإنزعاج الآن

؛

_مجددًا تقولين تلك الكلمة بيننا يا شهد...غير لائق !!!

كان صوته حادًا قليلًا..فزمت شهد شفتيها ناظرة كطفلة تقرر بذنبها..وصمتت للحظة تنتظره

أن يضيف كلمة ربما..لكنه ظل ينظر لها بنفس الطريقة..فلم تجد بدا من أن تقول مقترحة بلطفٍ و

توتر ؛

_حسنًا..لماذا لا تترك أمر الطبخ و تساعدني في أشغال أخرى جانبية !

شعر هادي وكأنها أهانتة بشدة..حتى أن العقدة بين حاجبيه برزت أكثر..ثم قال فجأة

باقتضاب ؛

_لماذا لا تمنحيني قبلة ما قبل النوم و نؤجل هذا الموضوع إلى وقتٍ لاحق !

كان واضحًا من نبرته أنه يشعر بالاستياء ممّا قالتة بغض النظر عن طلبه..فانحنى حاجبا

شهد قليلًا شاعرة بالندم..و تلكأت للحظة قبل أن ترفع يدها لتلمس وجنته هامسة و كأنها تحاول

استمالة رضاه و الاعتذار بطريقة غير مباشرة ؛

_سأعلمك كيفية إعداد بعض الأطباق الأساسية..

إلا أن هادي لم يتنازل عن موقفه..بل رفع يده لينقر بخفة فوق الأثر الجذاب بحاجبه بينما

يردف بجدية ؛

_أنا أنتظر يا شهد !

الآن اكتسح الحزن ملامحها أكثر..لكنها لم تستسلم رغم ذلك..همست ببراءة شديدة تحاول أن

تجعل صوتها مغريًا لأقصى حد ؛

_غدًا بعد أن أعود من الجامعة سأصنع لك وجبة رائعة..ثم أعلمك كيفية إعدادها لو نالت

إعجابك..

شعر هادي بالابتسامة الحنونة تكاد أن تشق شفاهه بقوة و هو يسمع نبرتها و يتأمل براءة

ملامحها..لكنه كبجها بحزم شديد..و قال ببطءٍ و بنفس الصرامة ؛

_شهد !!

حينها زمت شهد شفتيها تتأمله للحظاتٍ بأسى.. قبل أن تهمس في محاولة أخيرة باستعطاف ؛

_شهدك... ؟!

حينها فقط.. كانت تسقط كل أقنعة الصلابة عن وجهه مع همستها.. ولم يشعر بنفسه إلا و هو يحرر ابتسامته الشبه ملحوظة بينما يهمس متجاوبًا معها.. عاشقًا و مأخوذًا بتفاصيل تلك الجملة الصغيرة ؛

_شهدي أنا فقط !

قبل حتى أن تتهد بارتياح.. كان يرفع يده لينقر فوق نفس المكان الأثير أمرًا ؛

_باشري الآن !

رمقت شهد يده بنظرة مطولة من نظراتها الحنونة الدافئة.. قبل أن تبتسم ببطء و تتحرك بخفة إلى أن أصبحت جالسة على ركبتها بجانبه.. ثم مالت عليه بكل طاعة لتطبع القبلة المعتادة فوق الشق بحاجبه مطبقة عينها لعدة لحظاتٍ بينما أناملها الرفيعة تحتوي جانب وجهه الوسيم بدفء.. حاولت أن تبتعد بعدها عائدة إلى وضعها السابق.. لكنه لم يسمح لها.. فقد ارتفعت أنامله لتقبض على ذراعها قبل أن تتحرك حتى..

ثم همس بخفوتٍ و هو يمد الأخرى ليبعد خصلات شعرها عن صفحة وجهها البهي القريب منه.. مقبلة عليه بلامحها التي تشبه القمر المتوهج..

_واحدة أخرى من فضلك سيدة شهد..

همس جملته ببطءٍ لا يشعر بالإكتفاء أبدًا من تأملها.. فعادت لتقترب منه مليية الرجاء العزيز برحابة.. لكنها هذه المرة لم تبتعد.. بل أطبقت عينها بسلام و هي تنخفض أكثر إلى أن لامس جبينها نفس الحاجب..

و انسدل شعرها كستار يغطيها سويًا.. و ارتاحت إحدى يديها على ذقنه.. بينما الأخرى التي يتمسكُ بها.. استقرت فوق صدره جاعلة من هذا المشهد الأجمل في حياته !

تسارعت خفقات قلبه بشدة أمام حركتها البديهة.. و عجز تمامًا عن التكلم لبضع

لحظاتٍ.. إلى أن همس لها بصوتٍ خافتٍ جدًا وصلها بوضوح ؛

_هل يمكننا أن نبقى على هذا الوضع إلى الأبد ؟!

بدا سؤاله معبرًا جدًا أمام الشوق الذي يكتنف كل حواسها.. فهمست تنهد على مقربة منه

بحرارة ؛

يا ليت !

قبل أن تبتسم ببطءٍ حينما شعرت بأنامله التي على شعرها تسحبه بعيداً عن وجنتها.. لا

لشيءٍ إلا ليقربها منه أكثر حيث طبع قبلة معبرة هناك..

ثم قربها أكثر منه و هو يضمها بقوة إلى أن عادت لترتاح فوق صدره..أنفاسها تكاد أن تكون

مغرقة في عنقه..قبل أن يهمس في أذنها الكلمة التي تعشق سماعها ؛

أحبك..

حينها همست شهد تتشبث به أكثر بنبرة شابها بعض الإختناق..لا تشعر سوى بشفتيه

تدغدغان موضع النبض في معصمها !

و أنا أحبك و الله..أحبك أكثر !

" 48 ؛كابوس أم حلم "

#سجى

هل ينسى الإنسان لحظات احتضاره الأخيرة؟! هل ينسى؟!
لقد كان هذا هو السؤال الذي رفض أن يتركني منذ أن تفوهتُ به في غمرة انهيار موحش
للؤي !
لقد كنتُ في حاجة شديدة لإجادة جواب ثابت لهذا السؤال..و لن أنكر كم تجشم قلبي أن
تكون الإجابة مرضية..إيجابية و باعثة على الأمل..
لقد أردتُ العيش..أقسم بالله كل ما أريده أن أعيش !
فلماذا عساها صورته لا تفارقني؟! هل سيلاحقني طيفه ما حييت؟!
من بين تلايب وعي مفقود..سمعتُ جملة غريبة جدًا تمر على مسامعي..بل و رأيت نفسي..
لقد رأيتها..كنت أقف في نفس الموقف..أمام نفس العينين بينما نفس الصوت الحقيق هو ما هتف
بي..
" أقسم بأنني سأجعلك تتوسليني لأتزوجك..و حينها سأكون كريمًا و أتزوجك.. أعدك!"
حينما تجمدتُ تمامًا على تساؤل نقر بعقلي..أليست هذه الكلمات مألوفة جدًا؟!
نعم..لقد كانت نفسها..نفسها التي سمعتها تنطق من بين شفيتين آثميتين مواجهتين لي بغل
شديد ذات يوم كئيب..لكن..لكن كل ذلك أصبح من الماضي..صاحب تلك الكلمات قد مات
بالفعل..بينما أنا..أنا نجوت بعد كل شيء!
هل يعقل أن يكون كابوسًا من نسج عقلي؟ لا بد بأن يكون مجرد كابوس..لكن... كيف عساي
أثبت لنفسي بأنه كابوس؟! ماذا لو كانت حقيقة؟!..
لو كانت فرصة التداوي التي ناشدتها بين احضان لؤي ليلة أمس هي الكابوس نفسه!!
كنتُ أشعر بالجنون..عقلي يتأكل و قلبي ينبض بخفقاتٍ أشعر بها جليًا و كأنها حقيقية..بينما
سؤال واحد يطرح نفسه بداخلي..
إذا كان ما أراه كابوس بالفعل..فلماذا أشعر بكل تلك التفاصيل؟! و كأنني أحياء بالفعل..
كأن شهاب الذي وقفت أمام جثمانه على بعد أمتار صغيرة أنظر إلى ملامحه الميتة المكدومة..لا يزال
على قيد الحياة!

هل تتذكرون ذلك المشهد المرعب الذي تعرضت بعده لانتهاك عظيم؟! لقد كنتُ أشعر بأنني
أحياء مجددًا بحذافيره!

كانت الأنامل القاسية الخشنة تقبض على معصبي بعنفٍ..تسحبني نحو نفس المكان بينما
عيناى جاحظتان و أنا أحاول الفهم لا التملص..
لا..لا يمكنني الوقوع في نفس الفخ مجددًا..هذا..هذا مجرد حلم..أنا لن أدخل لذلك المنزل..لن
أدخل..ربما كل ما عليّ أن أفعله هو أن أستيقظ..
نعم..سأحاول الإستيقاظ.....لكن كيف!

لقد كنتُ أشعر بأن جفوني حرفيًا تجثم فوق عيناى..جسدي و كأنه مقيد بالسرير بحبال
وهمية..كل ما فيّ يدرك بأنني نائمة في غرفة بمنزل شهد و هادي..

نعم..أتذكر ذلك..لكنني عاجزة تمامًا عن الهروب من ذلك الكابوس..منه!
كان الوضع برمته غريبًا..المنزل يبدو أشد غموضًا..الأضواء من حولي رغم سطوعها إلا أن
عيناى تغرقان في الظلام الحالِك..بينما تجريان على كل ما تمر عليهما من أثاثٍ و ألوان باهتة..
جميعها تقودني إلى تلك الغرفة المقيمة بينما كل ما فيّ يشمئز من الدخول إليها..من لمسة يده
التي أشعر بها حقيقية تمامًا..تدفعني للتأوه ألمًا بينما أحاول التحرر منها عبثًا..
إلى أن ألقت بي نفس اليد فوق السرير الوثير..و اتسعت عيناى بلا دموع و أنا أرى كيانه
المتجسد أمامي يذرع الغرفة بنفس الطريقة..شفته تهدران بنفس الكلمات الغاضبة و إحدى قدميه
تمتد لتركل كرسيًا بقوة غير قابلة لإفزاعي..

يخاطبني بجنون و كأنه لا يرى تعابير ملامحي التي كانت فارغة خالية تمامًا رغم أنفاسي
المتشنجة..كان يبدو كمجرد شريط يعرض نفسه أمامي..
يجسّد نفس الحركات و الإيماءات..يرفع يده إلى شعره ثم ينظر لي بشر..قبل أن يقترب عازمًا
على...على ماذا؟!

أطبقتُ عيناى بقوة حينما اقترب مني ذلك الطيف فجأة متخذًا وضعية الهجوم المرعبة..و لم
أشعر إلا بيديه تدفعان بجسدي الذي يستقبل كل لمسة و كأنها حقيقية إلى الوراء..
لكنني لم أكن لأسمح لذلك الموقف بأن يتكرر..فأغمضتُ عيناى بعنفٍ أكبر..ثم هتفت بأعلى
صوت أمتلكه مدركة بأن كل ما أحياء وهم..

حتى و لو كان وهمًا فأنا أرفض أن أتعرض لنفسي المعاناة و لو في الوهم! لقد انتهى الكابوس
المخيف يا سجي....انتهى!

"צ צ צ..צ צ צ צ צ צ"

و كأن صرختي تلك..قد شقت عنان المنزل و اخترقت السماء ربما..فجأة..تحول الصخب الذي كان يهيم على عقلي و أذناي إلى سكون شديد عمّ المكان..

و شعرتُ بالثقل الذي كان يقيدني حتى قبل لحظاتٍ ينجلي و كأنه لم يكن..حتى أنني سحبت نفسًا مرتعبًا طويلًا بدون أن أفتح عيناي لعدة لحظات..

قبل أن أبتلع ريقى ببطء..ثم فتحتهما بتردد أنظر حولي..أحاول فقط أن أتأكد من أن ذلك الصمت حقيقي بالفعل..و بأن كل أثر له قد اختفى من حياتي و تداعى بكل سلبياته..

و بالفعل..فقد طرفتُ برموشي بتناقل و أنا أستقيم جالسة ببطء..أنقل عيناي حولي و كأني أبحث عنه بضياح تام..كل ما هو حولي كان يبعث على الرهبة..و هي ما كنت أشعر به بالفعل و دفعتني لأن أتحرك متحاملة على قدماي إلى أن وقفت..

ثم اتجهتُ عاقدة حاجباي بشدة و بتوجسٍ أقرب إلى الخوف إلى الحمام..فتحتة و ألقيت نظرة طويلة على كل مكان هناك برأسي فقط..و قد كان فارغًا تمامًا..

لكنني لم أكتفي..فتركته مقترية من الباب المغلق لأفتحه بارتجافة..ثم خطوتُ عدة خطوات نحو الهمو الذي كان يغلفه نفس الصمت المريب..و كأنه قد طار مع ذرات النسيم التي تتسلل خلصة لتلفح وجهي من مكان مجهول..

تفقدتُ بحذر كل غرفة و مكان بالمنزل و كأن كل مهمني تقتصر على التأكد من عدم وجوده بدل الإتجاه مباشرة و الهروب الذي هو أكثر خطوة ذكية قد يفعلها شخص في مكاني..

لكنني كنتُ أعلم..بطريقة ما أنا مدركة بأنني أحلم بينما أعيش في الحلم ذاته..لقد كان اللاوعي هو من يقودني و يسيرني..

و إلا لما كنتُ هنا الآن..ما كان يجب أن أكون هنا الآن !

توقفتُ بعدها أمام الباب الرئيسي الذي دخلت منه..ذلك كان باب خلاصي علمت ذلك..لهذا و بغير أن أسمح للخوف المجهول بأن يكبلني أمسكت بالمقبض هامة بفتحه بسرعة متوقعة أن يستقبلني نسيم الهواء البارد في الخارج..

لكن ما رأيته جعلني أشهق بقوة و أنا أشعر بأنني قد تم حصري في دوامة غريبة.. ما رأيته كان سرير أبيض..و فوقه تمامًا..جسده الساكن الميت بوجهه المكدوم..

و كأن غرفة المشفى تجسدت هنا أمام عيناي..و كأن تلك الغرفة أصبحت متصلة بالمنزل بطريقة غير مفهومة !

شهقتُ بقوة و أنا أتقهقر برعب إلى الورااء..و مع أول التفاتة لي بغاية الهرب وجدت نفسي
اصطدم بصدر قوي و ذراعين احتوتا جسدي المرتعش بدون سؤال أو استفسار..
فانتفضتُ بفزع مجدداً و أنا أرفع رأسي بسرعة متأهبة للصراخ لو كان ما سيقابلني هو وجهه
الكريه مجدداً..لكن ما رأيته كان...لؤي !

_لؤي !!!

لم أشعر بتلك الهمسة التي غادرت شفاهي تزامناً مع فتحي لعيناي فجأة برعب.. كانت أنفاسي
متسارعة و كأنني كنت في خضم كل ذلك بالفعل..و كأنني عشت كل لحظة تجسدت في ذلك الكابوس
بقلبي و عقلي..

حركتُ أنا ملي المرتعشة قليلاً لأغرقها بين خصلات شعري مرجعة إياها إلى الورااء..ثم زفرت
أنفاسي لعدة مراتٍ محاولة استعادة تركيزي..محاولة استيعاب ذلك الكابوس و نسيانه..
و كم تمنيتُ أن يكون لؤي بجاني..لكنني علمت بأنه غير موجود..شعرت بغيابه قبل أن
ألتفت باحثة عنه بعيناي المرتعشتين..

بطريقة ما..وجوده من حولي يجعل المكان دافئاً و متوهجاً على نحو خاص..لهذا لم أحتج
لأتفقد الحمام لأتأكد كلياً من غيابه..

زفرتُ نفساً آخر مرتجفاً..ثم عدت لأحدق بالسقف الأبيض من فوق أحاول استعادة تفاصيل
ذلك الكابوس الغريب..لكن ما تذكرته فعلاً صورته الضعيفة التي لم تفارق ذهني أبداً..
لا..لم يكن الأمر متعلقاً بالشفقة هذه المرة و لا الخوف..الحقيقة أنني لم أشعر بذرة شفقة
في قلبي نحو صورته تلك..

بل كان الشعور الوحيد الذي لامسني بحق...السلام و العدل !

لقد شعرتُ بأنني...نجوت !

نعم..لقد تكبدتُ أضراراً جسيمة خلال تلك الرحلة المريرة لكنني في النهاية نجوت..
شعرتُ بأن تلك الحياة التي شتمت ظلمها بكل يأس قد أشفقت عليّ أخيراً بمنحي فرصة أخيرة
لترميم ما فقدته سابقاً..

حسنًا..لكم أن تنتقدوا القدر الذي تشاؤون الفتاة التي أمضت ساعات تشكر الله من
أعماقها..متضرعة ممتنة له من صميم قلبها على موت رجل حقيّر سرق منها أمانها..
أما أنا..فقد قررتُ منذ ليلة أمس التي أمضيتها ملتصقة بحضن لؤي بأنني سأتوقف..
نعم..سأتوقف عن التحامل على قلبي من بعد الآن..سأتوقف عن لوم نفسي و كرها..

منذ هذه اللحظة..كل ما سأفعله هو أن أستغل تلك الفرصة الجديدة التي منحت لي في محاولة بناء نفسي من جديد..في محاولة العيش من جديد..في محاولة إيجاد الجواب المثالي لذلك السؤال الملح..

هل ينسى الإنسان لحظات احتضاره الأخيرة؟! هل ينسى؟!..
لا..لا يمكنه أن ينسى..لكنه حتمًا يستطيع أن يتجاوز..أن يعيش..و سأعيش..لأنني أستحق أن أعيش...سأعيش!

زفرت أنفاسًا عديدة محاولة الترفيه عن عقلي و الخروج من مأساة ترفض التخلي عني منذ شهور عدة..قبل أن أتحرك مستندة ببداي إلى السرير إلى أن أصبحت جالسة..
كان الجو باردًا جدًا اليوم..و رغم أن النافذة الوحيدة في الغرفة كانت مغلقة إلا أنني كنت أشعر بنسماته الباعثة على الرجة تلفحني بقوة..

متسللة من بين ثنانيا ثيابي و الغطاء الذي لا يزال منسدلاً فوق جسدي المرهق..
لكنني رغم ذلك تحاملتُ على رغبتني في البقاء في الفراش و أمسكت بحافة الغطاء أبعد عشوائيًا قبل أن أنزل قدمي إلى الأرض..

لكنني تسمرتُ قبل أن أقف حينما وقعت عيناي على تلك الثياب التي كانت مطوية بعناية..محفوظة فوق كرسي المنضدة..

ثياب تتكون من بنطال رمادي من الجيزر الواسع..و كنزة صوفية سوداء بعنق طويل..و فوقهما معطف في نفس لون الكنزة و وشاح رمادي..

لقد كانت تلك القطع من ثيابي القديمة التي تركتُ جزءًا منها في بيت خالتي!
طرفتُ بعيناي و أنا أشيح بهما عن الثياب لأنظر لتلك الحقيبة السوداء الجلدية التي كانت بجانبها..قبل أن أقف مقتربه منها بخطوات متوجسة..ثم انخفضت يهدوء لأفتحها ناظرة إلى ما تحتويه غير متفاجئة..

لقد كانت كلها قطع من ثيابي التي بقيت في منزل خالتي..و يبدو أن لؤي قد استيقظ باكراً و ذهب إلى هناك لا لشيءٍ إلا ليحضرها لي..

كعادته حريص على أن لا ينقصني أي شيء!
عدتُ لأنظر إلى الثياب التي اختارها لي بنفسه..و لم أتردد كثيرًا قبل أن أقرب إلى أن حملتها ناظرة لها بتمعن للحظات..

أشعر و كأن كل بادرة جديدة منه تخلص في عقلي و قلبي..

و كأن تلك الثياب هي أجمل ما يمكن لعين تحبني انتقاءه من بين ثيابي..لأن لؤي من

انتقاها..فأنا لن أنظر لألوانها و أشكالها..فقط...سأرتديها كما أراد !

لهذا و بهدوء اتجهتُ إلى الحمام..لكنني ترنحت للحظة و أنا أستند بإحدى يداي إلى حاجز

الباب الخاص به متذكّرة بأنني لم أضع لقمة واحدة من الأكل في فمي منذ ساعاتٍ طويلة..حتى و

لو...أستطيع أن أتحمّل على نفسي لدقائق أخرى بعد !

لم أرتدي المعطف و الوشاح..فقد تركتهم فوق نفس المكان حيث وضعهم لؤي بنية الرجوع

إليهما ما إن يحين أوان رحيلنا الذي لا أريده أن يحين..فأنا...لم أظن أنني قد أستلطف دفء منزل

هادي و شهد لهذه الدرجة !

كنتُ على وشك الإقتراب من الباب حينما تفاجئت به يُفتح بهدوء بالفعل..و هناك.. رأيت

لؤي يقف متمسكاً بمقبضه ينظر لي بشيءٍ من الدهشة أولاً..

لكن الدهشة في عينيه سرعان ما اكتسبت بريقاً غريباً و هو يمر بهما على شكلي و كأنه فقط

يحاول أن يتأكد من أنني ارتديت ما اختاره لي..أو يحاول أن يمنح اختياره تقييماً عبري..

شعرتُ ببعض التوتر غير المبرر ينتابني و أنا أستعيد أحداث ليلة أمس..لكنه كان توتراً لحظياً

مؤقتاً..و زال بسرعة ما إن ترك لؤي الباب بدون أن يغلقه ليقترّب مني..

إلى أن توقف أمامي تماماً ينقل عينيه بتفحصٍ حول ملامحي و شعري المبلل..ثم همس بينما

يرفع يده ليمنحني أرق لمسة فوق وجنتي..

لمسة جعلتني راغبة بأن أتوسله مجدداً أن يضمّني...فقط !

_أعتذر..لقد اضطررت لأن أتركك في وقتٍ باكر بغاية الذهاب إلى القصر و إحضار بعض

الثياب لك..

هل هو يعتذر حقاً ؟ على اضطراره لقطع مسافة ليست بهينة و منذ الصباح الباكر لأجلي ؟!

لو كانت من تقف أمامه سحى بنسختها القديمة..لكانت قد لامته بشدة على اعتذاره ذاك حتى

تجعله يسحبه..هذا لو أعتذر منها أساساً لأجل شيءٍ بسيط كهذا !

لم أكن أنا فقط من تغيرت..بل لؤي أيضاً..الآن فقط أصبحتُ قادرة على الشعور بذلك..على

ملاحظة كل تلك الأشياء الجديدة التي انضافت في طريقة نظرنا لبعض..تصرفاتنا و ردود فعلنا حتى !

لكنني الآن..لم أستطع إلا أن أهمس بنبرة خافتة بينما عيناوي على عينيه اللتين و للعجب لأول

مرة يميز قلبي تلك اللمعة الجديدة التي لا أدري متى تسللت إليهما..

كانت لمعة نادرة تشع كما الشهاب في السماء..تتألق فقط حينما ينظر إلى عيناوي بهذا الشكل !

_لا بأس..

ثم صمتُ للحظة..و عدتُ أهمس بخفوتٍ بينما أرمق الباب الموارب قليلاً بنظرة تشمل مغزى

سؤالي..شاعرة بأنامله الدافئة على بشرتي ترفض التخلي عني للبرد ؛

_المنزل صامت تماماً..أين هادي وشهد ؟!

لم تتغير ملامح لؤي أبداً..مجرد أن ارتسم شبح ابتسامة على شفتيه و هو يجيبني بنفس نبرته

الدافئة الخفيفة ؛

_لقد ذهب هادي ليقل شهد إلى الجامعة بعد أن تناولوا إفطارهما..

لم أشعر بصوتي الذي خرج بنفس النبرة ؛

_و أنت ؟!

عقد لؤي حاجبيه بهدوء فوق عينيه المتطلعيتين بي باهتمام..فقلتُ أستاذف بشيء من الترقب

؛

_تناولت إفطارك معهما ؟

حينها رأيتُ ابتسامته التي خطفت أنظاري تتسع قليلاً فقط..ثم تركتُ وجنتي مخلقاً فراغاً

قبيحاً سرعان ما ملأه بنفس اليد التي انخفضت تتمسكُ بيدي أثناء همسه ؛

_ليس بعد...سأتناوله برفقتك..

ثم أضاف و هو يهم بسحبي معه خارج الغرفة بدون أن تترك عيناه عيناى ؛

_تعالى..

سرتُ وراءه بهدوء إلى أن توقفنا بجانب الطاولة التي تحتل منتصف الهو..و التي كانت ممتلأة

بمجموعة من الأطباق التي كنت أراها شهية في الماضي..

لكنني لاحقاً..صرتُ أبتلع كل ما يقدم لي بغصة..كل غايتي إمداد جسدي ببعض القوة للبقاء

على قيد الحياة !

هل يمكنني أن أستعيد في يوم ما تلك اللذة حقاً ؟!

أن أستعيد نظرة عيناى التي كانت تمنح كل الأشياء من حولي قيمتها الحقيقية و الملائمة..التي

كانت تميز النور من منتصف فوهة شديدة الظلام..

و تستمد الوهج من روحها المتفائلة المفعمة بالرغبة في اعتكاف كل الأحلام..أن أعود تلك

الفتاة التي كانت تقف أمام الصعاب بهمة لا تتداعى و ذقن مرتفع قوي !

ليتني..ليتني أعود..لأول مرة بعد وقتٍ طويل أشعر بأنني أرغب في ذلك..أريد أن أعود..أريد أن
أحرّر بعض الضحكات المختنقة ممّا كانت سحى القديمة..القابعة في مكان خفيّ بأعمالي تستحقها..
أتمنى أن أقف أمام المرأة و أدفع تلك الملامح التي باتت أشبه بلوحة غريبة عني للابتسام..و أن
أهمس لنفسي بكل مفردات الثقة و القوة..

أريد أن أقف أمام خزانتي بالدقائق أشد همومي انتقاء بعض الثياب الملائمة لأناقي..و أن
أنظر بشغفٍ لمساحيق التجميل بينما أضيف منها إلى وجهي..
و أن أتأمل السماء بإشراق..أتحدثُ إلى العصافير الصغيرة الحرة بعفوية..أن أمنحها القوت
كما فعلت ذات مرة ثم أراقبها برضا بينما ترفرف بأجنحتها الطليقة الحرة عاليًا و كأنها أنا..
و كأنها سحى..سحى التي أحب..و التي أشتاق..تلك الفراشة التي تم تجريدتها من جناحيها ذات
مرة..فكانت إرادة القدر أن يمنحها أجنحة بديلة على هيئة إنسان..أجمل إنسان !
_سحى !!

سمعتُ صوت لؤي الهامس ينبهني بخفوتٍ..فرفعت عيناى لأراه يقف بجاني.. يمسكُ بطرفي
الكرسي الذي دفعه للوراء قليلاً من أجلي..
قبل أن يهمس لي بنفس نبرته الخافتة ؛
_اجلسي..

استغرقتُ لحظاتٍ في النظر لملامحه القريبة منى بغير تركيز..قبل أن أبتلع ريقى و أشيح
بعيناى متخذة مكاني الذي انتقاه لي..
حينها رأيتُ تلك الابتسامة الشبه ملحوظة التي لامست شفثيه بينما يجلس في مقابلي..بينما
ظلت عيناه في عيناى..و قد بدا و كأنه يحثني على بدء الأكل أولاً..
كنتُ أشعر بتوتر غريب..هناك الكثير من الفراغ يتلقف المكان حولنا..فراغ يعود حصراً
لحقيقة أن ذلك الدافع الذي اتخذنا لأجله قرار الزواج سابقاً قد زال تماماً!
الآن من أجلس معه هو...زوجي فقط !

ليس ابنة خالتي الذي ضحى بالكثير في سبيلي إنقاذي..ليس صديقي الذي لطالما أبدى
استعداده التام لسماعي بغير تذمر أو رفض..ليس شخصاً وضع فوق كاهليه مسؤولية حمايتي
فأصبحت كل حياته قائمة على هذا الهدف..
إنه مجرد رجل يجبني حد النخاع..رجل نظر في عيناى و توسّلني بدموع أن أمتنع عن مجرد
التفكير في الرحيل بكل ألمي و تعقيداتي عنه..

مبدئياً استعداداً منقطع النظير بأن يمنحني كل لحظة و دقيقة من حياته القادمة !

إنه مجرد رجل همس في أذناي ليلة أمس بينما يضمني بقوة بجملته بالغة التعابير و

المشاعر.. تلك الجملة التي لن أنساها أبداً.. أبداً..

" أنا لست على قيد الحياة يا سجي.. أنا على قيدك أنت! "

إنه ليس مجرد رجل.. بل أجمل و أفضل رجل !

شعرتُ بأنني غير قادرة بعد على النظر له دون الغرق في ذلك الشعور الجديد.. غير

المألوف.. فأطرقت برأسي لأشعر في الأكل بصمتٍ.. و سرعان ما شرع هو الآخر يشاركني بنفس

الصمت..

و لأول مرة بعد زمن طويل.. أشعر بأنني أفعل شيئاً ما بهدف العيش أكثر.. لقد كنتُ أمد

جسدي بالطاقة التي يحتاجها للإستمرار في هذه الحياة التي لا تزال تحتوي أشياء تستحق المحاولة

من أجلها حقاً.. كابتسامة عينيه اللامعة التي أميزها لأول مرة !

لقد كانت وجهتنا بعد انتهاء وجبة الإفطار فوراً هي المشفى..

و هناك.. ما إن تقدمنا خطواتٍ قليلة في ذلك الممر الطويل المؤدي لغرفة خالتي.. رأينا زوجها

يجلس في أحد الكراسي..

كان يبدو غريباً تماماً.. و قد استوعبتُ و أنا أتوقف أمامه محدقة بحاله ذاك بأن هذه المرة

الأولى التي أراه فيها بعد وفاة ابنه المفضل..

بل إنها المرة الأولى التي أراه فيها منذ وقتٍ طويل جداً.. تحديداً منذ ذلك اليوم الذي وقف فيه

لؤي أمامه.. ليواجهه لأول مرة بكل ضراوة..

و كما توقعتُ.. الجميع يستطيع أن يتوقع حاله.. كان يجلس متهدل الكتفين منحني

الظهر.. يستند بجبينه إلى كفيه اللذين يحجبان ملامحه عن العيان بينما يحدق في الأرض..

يبدو و كأن كل هموم العالم قد تجمعت و تكدست فوق كتفيه لدرجة أنه ما عاد قادراً على

اعتكاف طبيعته المثالية التي تمليه رفع أنفه و ذقنه باعتزاز على الدوام..

كل ما فيه يصرخ بالألم و اليأس.. كل من ينظر له سيجزم بأنه مجرد والد مسكين انهارت

عائلته بين ليلة و ضحاها.. لكنني فقط أعلم أي نوع من الآباء هو..

ليست كلمة "المسكين" هي ما قد تصفه بالفعل !

كل ما فيّ كان هادئاً..هادئاً فقط..لا شفقة..لا تعاطف و لا أيّ شعور آخر استطاع قلبي أن
يحمّله ناحية ذلك الرجل..

و بدلاً من أن أستعين به لأسأله عن وضع خالتي..تجاهلته..تجاهلته تماماً كما فعل لؤي..
الفرق بيني و بين لؤي كان في نظر اتنا..فقد كانت نظراته هو عبارة عن تناقضاتٍ كبيرة..فراغ
و حزن و تعاطف و ضياع..لا يدركُ الإنسان أيّ شعور على قلبه أن يتبناه في مواقف كهذه !
توقفنا أمام الزجاج الذي يفصلنا عن غرفة خالتي..كانت حالتها تبدو أكثر صعوبة من حالة
زوجها بأضعاف..و على عكس الفراغ الذي تملكني بينما أنظر لوضع زوجها..
شعرتُ بالأسى يغمر قلبي و أنا أراها من مكاني..مستلقية فوق سرير طبي بغرفة
الإنعاش..فاقدة للوعي..محاطة بالأجهزة..

شاحبة و ضعيفة بشكل جعل من حاجباي ينعقدان ب...بتعاطف !
حسناً..إذا كان هناك شخص واحد أشعر بالحزن لأجله بعد كل ما حدث فهي خالتي..ببساطة
هذه أنا..لطالما تدمرتُ من أنانيتيها و تجبرها و ظلمها لغيري..
لكنني بعد كل تدمر اتي تلك..أتهجد مقرة بمدى حُبّي لها..باستثناء هادي و لؤي..كانت هي..هي
الشخص الوحيد الذي احتضن عجزتي يوم كنتُ لا أملكُ حيلة أمام نفسي..
إنها نفس الإنسانية التي ضمتني بقوة يوم وفاة والداي..التي رَممتني و قادتني بعطفٍ إلى
منزلها.. لتجهز لي غرفة كتبت باسمي و كأنني فرد مسلم بوجوده بين أبناءها..
لقد كانت نفس الإنسانية التي أنقذتني من مصير بائس مجهول..و التي منحني أشياء لا يمكن
أن يمنحها للمرء أيّ أحد في هذا العالم عدا...أمه !
حسناً..أعترف بأنني تعرضتُ للظلم منها أحياناً..لكنني لا أملكُ صلاحية لومها أبداً.. لن ألوم
شخصاً عشت معه معظم سنوات حياتي ملّمة بكل نقاط ضعفه و قوته..
لقد كان أبناءها زادها الوحيد من الدنيا و نقاط ضعفها الأولى و التي تخطت كل المبادئ و
ارتكبت كل الآثام لأجلها..

فكيف كنتُ أنتظر منها أن تنصفني أنا مهما بلغ تقديرها لي ضد واحد منهم ؟!
و الذي يكون بالمناسبة ابنها البكر..شهاب..المفضل لدى والديه !
شعرتُ بأنامل لؤي المتمسكة بيدي تتخلل أصابعي برفق و كأنه فقط يحاول تنبيهني أو ربما
بث بعض الدفء و الإطمئنان إليّ ضد نظراتي المليئة بالحزن..
فتمسكتُ به أنا الأخرى بقوة..

ثم طرقتُ بعيناي ببطء قبل أن أرفعهما إليه.. وحينها رأيت القلق يفترس عينيه بينما ينظر لي.. لا أعلم هل هو مرتبط بي أنا أو بأمه.. لكنني أرجح بأنه مثلي يشعر بالأسى على وضع خالتي!..
_ستكون بخير..

همس لي بخفوتٍ وبتأني و كأن ما يهمه فعلاً أن ينسف بهمسته تلكَ تعابير ملامحي القريبة منه و الشفافة إليه.. لكنني لم أستطع أن أجيب..
فقد وقعت عيناى على تلكَ الممرضة التي كانت تقترب منا بهدوء.. ثم ما إن همّت بالدخول إلى الغرفة الكئيبة ممسكة بمقبض الباب.. أوقفها صوت لؤي الذي التفت على إثر نظراتي ؛
_لحظة من فضلك..

نقلت الممرضة عينها بيننا باهتمام.. فقال لؤي يسألها ؛
_كيف حالها الآن ؟!

تركت الممرضة الباب لتقترب منا خطوة واحدة فقط.. قبل أن تهز رأسها سائلة بجديّة ؛
_هل تتناول أملك أيّ مسكنات من نوع ما ؟!
تلقائياً كنتُ أنا و لؤي نلتفت إلى والده الذي رفع رأسه أخيراً بعد سماع سؤال الممرضة.. قبل أن يومئ مؤكداً ببطءٍ غير قادر على الإجابة بكلمات.. حينها قالت الممرضة تعيد انتباهها إلينا.. بينما ظل والد لؤي ينظر لها بعينين بعيدتين كل البعد عن الأمل !
_لقد كانت تستيقظ لعدة مراتٍ متفرقة لتبدأ بالهذيان طوال يوم الأمس و ما قبله.. و لا تهدأ إلا بعد أن نحققها بمسكن من نوع ما.. لكنها منذ ساعاتٍ سكنت تماماً و لم تستيقظ حتى اللحظة.. و هذا إن لم أبالغ فهو ليس بالشيء الجيد لأجلها..

صمتت للحظة ثم قالت بنبرة تخللها الكثير من التعاطف ؛
_أقترح بأن تحضر لنا عينة من المسكنات التي كانت تتناولها..
أوماً لها لؤي بسرعة و أنامله تشدّد من تمسكها بيدي و كأنه فقط يحاول أن يستمد بعض الصمود مني... أنا!

قبل أن يردف بنبرة قلقة شعرتُ بأنها غادرت شفتيه بدون أن يخطط لها ؛
_هل ستكون بخير ؟!

ابتسامة أشد تعاطفاً رسمتها الممرضة على شفتيها بينما تجيبه بتفاؤل ؛
_نتمنى ذلك..

ثم استدارت عنا متجهة لنفسِ الغرفة..تاركة خلفها ثلاثة أشخاص..اثنان منهما ينظران في
أثرها بتعابير متشابهة..تحتوي الكثير من اليأس..و القليل جدًا من الأمل..
أما الثالث..والد لؤي...فقد ظلت عيناه متمسرتان في اللا شيء..يبدو ساهمًا..أو ضائعًا..أو
ربما فقط...ميثًا!

#شهد

ما إن توقفت سيارة هادي أمام جامعتي..حتى التفتُ إليه ناظرة له بقلق..قبل أن أهمس
بخفوتٍ و بشيءٍ من التردد ؛
_هل ستذهب لزيارة أمك اليوم ؟!
أومأ لي بكل هدوء رغم بعض الاضطراب الذي رأيته في عينيه..فترددتُ لوهلة أخرى..ثم
همست مقترحة بغياء ؛
_هل تحب أن أرافك ؟ أنا لا أمانع حقًا من أن أغيب اليوم لأجل أن.....
لم أستطع أن أكمل..فقد رفع يده يهدوء ليمنع كلماتي الباقية بلمسة من سبابته فوق
شفتاي..قبل أن يهمس لي بكل ثباتٍ و هو يقترب مني قليلًا بوجهه ؛
_لا داعي لأن تتغيي أبدًا..أنا مضطر لأن أذهب إلى أصدقائي لأشرح سبب تغيي المتكرر..ثم
بعدها فورًا سأذهب لرؤيتها و أعود إليك لأقلك نحو المنزل..
كانت سبابته لا تزال على فمي..و لم أستطع سوى أن أهز رأسي بطاعة رغم رغبتى الكبيرة في
عدم الافتراق عنه و لو للحظة..خاصة خلال هذه الفترة..و بعد انهياره الذي لا يزال حتى الآن يدفعني
للشعور بالقلق و الخوف عليه !
الغريب أنه لم يبعد اصبعه ذاك أبدًا..بل بدا و كأنه قد نسيه تمامًا و هو يردف بحزم رفيق ؛
_رغم ذلك..لو تأخرت قليلًا فقط فلا تترددي من الذهاب إلى منزلنا القريب برفقة صديقتك
أمل..اتفقنا ؟!
عدتُ لأهز رأسي بالإيجاب بصمتٍ..و حينها فقط..كان يحرّر فمي ليستبدل لمسته الباعثة على
الاضطراب تلك بأن احتوى وجنتي بيده الدافئة..
ثم اقترب أكثر ليطلع قبلة حانية جدًا على جبيني أثناء همسه برضا ؛
_جيد..اعتني بنفسك جيدًا..

كم كنتُ أعشق تلكَ القبله..بالنسبة لي..لكل قبله تعريف مختلف..كل قبله تحمل معنى
مبطنًا خاصًا..رسالة مشفرة يرسلها صاحبها..و لا يجيد قراءتها أو فهمها إلا متلقيها..
و من بين كل تلكَ القبل..كانت قبله الجبين الأسمى..إنها بمثابة وسيلة فعالة للتعبير عن
الحب المرفق بالإحترام و التقدير..و كأنه في كل مرة يمنحني قبله كتلك..يرفقا بهدية..و ثناء..و همسة
مميزة في أذناي..

" شكرًا على إضفاء شعاع الحياة لحياتي الخالية شهد.. شهدي !"
فألتقاها أنا بكل رحابة صدر..مانحة إياه الجواب الملائم الوحيد..بأن أطبق جفناي مستشعرة
تلكَ اللمسة بكل جوارحي !

ربما تبدو علاقتنا أنا و هادي عادية من البعيد..مجرد فتاة تقليدية صغيرة و شاب وسيم غني
كل الغنى يجمعهما رابط مقدس كالزواج..لكنها كانت أشد عمقًا من ذلك..
بالنسبة لي..كانت ملامحه تلكَ هي التجسيد الحي الوحيد لكل شيء جميل امتلكته في حياتي
الحزينة..وجوده من حولي يرادف أن يحيى الإنسان بين عائلة مكتملة الأفراد..
حينما أنظر إلى عينيه فجأة..أشعر بأنني لأول مرة ملحوظة..و كأن نظراته تلك..و ابتسامته
تنقلني من اللا وجود إلى الوجود..من الوعي إلى اللاوعي..
فلا أشعر بنفسي إلا و أنا أقطب حاجباي مستميلة كل ذرة تركيز في عقلي لتحليل تلك
النظرات الهادفة..غير النمطية !

كانت علاقتنا مختلفة على نحو جميل..كان لي أبي الذي أهرع إلى حضنه كلما شعرتُ بانعدام
الأمان..فيطمئنني بأرق همسة و لمسة على شعري !
و كنتُ له..أمه التي يلجأ إلى دعمها كلما خنقته الغصة و تدهور عالمه و اهتز سقف قوته
الذي يغدو غير متينًا أمامي..أمامي فقط !

هكذا كانت علاقتي بهادي..أعمق و أسمى من كل العلاقات الأخرى !
حينما خرجتُ من سيارة هادي بعد أن وعدته بأن لا أنتظره أبدًا ما لم يصل في الوقت
المناسب بعد انتهاء حصصي لليوم..اتجهت مباشرة إلى ذلكَ الباب الواسع الذي يقود إلى ساحة
الجامعة الواسعة..

لكنني ما كدتُ أخطوا خطوة واحدة هناك..حتى لمحت من مكاني أمل التي كانت تقف برفقة
إحدى الزميلات التي لا أعرفها عن كثب..

الحقيقة أنني لا أعرف أي صديقة سواها..لطالما كانت سميتي الأولى التحفظ و الخجل..لهذا يصعب عليّ تكوين صداقات حقيقية مع أيّ كان..

شعرتُ من ملامحها القلقة و طريقة مخاطبتها لها بأنها تسألها عني..لكنني لم أملك الفرصة لا لمناداتها أو الاقتراب أكثر..فقد وقعت أنظار الفتاة عليّ فجأة..و حينها فوراً رأيتهما تهمس بشيء ما لأمل..

فالتفتت هذه الأخيرة لتنظر لي مباشرة بلهفة..ثم لم تلبث أن قطعت المسافة بيننا مقترية مني بسرعة..فتحتُ فمي و كأنني سألقي التحية تزامناً مع وصولها إلي..
إلا أنني تسمرتُ تماماً حينما وجدتُها تضميني بقوة و بدون سابق إنذار..فغرت فمي تماماً غير مستوعبة لحركتها تلك في اللوهلة الأولى..

فأنا عملياً لم أنغيب عن الدراسة إلا ليوم واحد !
قبل أن تبتعد عني بحركة متهورة..ثم هتفت أمام عيناوي المندھشتين بنبرة مزجت ما بين القلق الشديد و الغيظ الشديد ؛

يا إلهي يا شھد..كيف تفعلين بي هذا ؟ لقد اتصلت بكِ لعدة مراتٍ بعد أن رأيت الخبر و لم تجيبي !!!

تلكأتُ أمام توبيخها غير قادرة على استيعاب أيّ شيء..لكنني رغم ذلك قلت بيأس و توتر بينما أرفع يدي إلى طرف جبتي مستذكرة ؛

هاتفني..لا بد أنه مغلق..أنا لا أتذكر حتى أين وضعته في آخر مرة !
تضاعف الغيظ في ملامحها من ردي..لكن ما جعلني أتنبه فجأة هو كلمة قالتها بين كلماتها الكثيرة المتتالية..فهمستُ أعقد حاجباي بغير ارتياح ؛

خبر؟؟!!!

الآن اختفى كل الغيظ من ملامحها..و حل محله بعض التردد..قبل أن تطرق برأسها متمسكة بحقيبتها المعلقة على كتفها..فتحتها مخرجة شيئاً جعل من حاجباي ينعقدان أكثر..
كانت تحمل في يدها جريدة مطوية فتحتها أمام عيناوي مردفة بشيء من التعاطف و القلق ؛
لقد تأكدت بأنه قريب زوجك حينما رأيت صورة زوجك مرفقة بالخبر أيضاً..
لم أكن قد استوعبتُ أيّ شيء من كلامها..أنا فقط نظرت إلى ما تحاول أن تريني إياه..و الذي جعل ملامحها تفقد مشاكستها و مرحها المعهود..و قد كان ذلك يستحق..

شعرتُ بالجزع ينتابني تلقائياً و أنا أنقل عيناى بغير تصديق بين كل الصور التى انتشرت و
ملأت صفحة كاملة من الجريدة..

كانت أول صورة لأخ هادى شهاب..صورة قديمة على ما يبدو..و ربما أيضاً تم التقاطها له قبل
سنواتٍ أمام المحكمة بعد تلك الفضيحة الأولى التى لم أكن أعرف عنها أي شيء..
يبدو أن كل هدفهم التشهير بسمعته مجدداً و استغلال أحداث الماضي لتأكيد مصداقية
الأخبار الجديدة !

كانت صورة ظهر فيها و هو يقف مرتدياً بدلة سوداء بالكامل باستثناء قميصه الأبيض..يضع
نظارات شمسية بينما يغادر باب المحكمة رافعاً كلتا يديه أمام الصحافة و كأنه فقط يحاول أن
يمنعهم من تصويره..و فوقها تماماً..كتبت جملة بالغة التعبير..صادمة..

" رصاصة شرفٍ من شرطي مخضرم تؤدي إلى مقتل نسل رجل الأعمال الشهير أكرم الشاذلي
"شهاب الشاذلي" بعد أن تم ضبطه في حالة خيانة مع زوجة المتهم ! "

كان مقالاً طويلاً جداً..و بدون حتى أن أقرأه كاملاً علمتُ بأن من كتبه قد خاض في سمعة
عائلة هادى حتى شبع..بدليل تلك الجمل الصغيرة التى وقعت عيناى عليها من بين مجموعة من
الجمل..

" فضيحة أخرى تضاف إلى فضيحة عائلة "الشاذلي" القديمة..في المرة الأولى كان الرأي العام
كله في صف شهاب الشاذلي الذي قدم دلالة مقنعة تثبت براءته من جريمة " اغتصاب " ابنة مدبرة
المنزل "نرمين"..لكن أي أحد لم يلتفت لموقف عائلة المدعية في القضية..ربما لأنها كانت تتألف من فرد
واحد و هو الأم الخالية من النفوذ !

السؤال الذي يستدعي إجابة صادقة هنا..هل كان الحكم بـ"البراءة" بعد جريمة شنيعة كتلك
مستحقاً في المرة الأولى ؟! "

اغتصاب ؟! هل كانت جريمة " اغتصاب " حقاً ؟!!!

كانت عيناى تمران فوق كل الأخبار و الكلمات بسرعة بينما عقلي لا يستوعب و لا يلتقط إلا
القليل منها..الجزع يملكني من مكان مجهول و أنفاسي تتناقل بتوتر و عدم استيعاب..

" أكرم الشاذلي ينهار أمام قبر ابنه البكر... "

" ردة فعل عنيفة لـ"هادى الشاذلي" ضد صحفي مبتدئ يزاول عمله..."

شعرتُ بانقباض غريب في قلبي عند هذا الخبر بالذات..انقباض لم أشعر به حتى و أنا أقرأ
الخبر الأول المرعب..

الفضيحة الأولى التي لأول مرة أعرف سببها!
فرفعتُ يدي لألمس بها موضع قلبي شاعرة بالتركيز ينسحب مني ببطءٍ..و بأنني ربما...سأفقد
وعيي..هل يعقل أن أفقد وعيي هنا ؟!
ماذا ستكون ردة فعل هادي بعد رؤية أخبار كتلك ؟!
كيف يمكنهم أن يتكلموا عنه بهذا الشكل ؟!
ألم ينتبه أيّ أحد لذلك السؤال المستفز الذي طرحه ذلك الصحفي عليه ؟! ليتني ما طلبتُ
منه أن يعفو عنه إذا !!!

" 49 : لحن و قبلة "

#لؤي

كانت ملامح سحى هادئة و صامته طوال الطريق الذي خضته بسيارتي بعد مغادرتنا المشفى..
قدتُ بدون أن أحدّد وجهة واضحة..فقد كان كل شغلي الشاغل هي..
كنتُ أرمقها بين كل لحظة و أخرى بطرف عيناى..فأراها جالسة بهدوء..تستند بمرفقيها إلى
النافذة المفتوحة مر اقية حركة الشارع بعينين "شبه" صافيتين..الآن فقط أستوعب كم أننى
افتقدت تلك الكلمة..بل ما افتقدته حقًا رؤية بريقها يلمع في عينيها !
بينما خصلات شعرها الكستنائية الناعمة تتطاير برقّة من حولها..تجذب عيناى و أصابعى
لتخللها..لكننى بإرادة حازمة و صرامة أشكر عليها أمنع تلك الأصابع المتمردة من تبديد هدوء حبيبتي
و إزعاجها ربما..
حتى و لو كان كل هدى في لمسها برقّة..فقط لأعيد تلك الخصلات إلى مكانها الصحيح حتى يتسنى
لي رؤية ملامحها بوضوح !
لقد ارتدت الثياب التي اخترتها لها..معطف أسود صوفي طويل و وشاح يتطاير مع قفازات
رمادية و حذاء بنفس لون المعطف..
هل سأبدو غريبًا لو اعترفت أمام نفسي فقط بأننى أحب رؤيتها بثياب البرد..خاصة الوشاح ؟!
لطالما كانت تلك الطلة تناسيها..الألوان الغامقة تضيف إلى ملامحها التي لطالما رأيته بأسمة
بالفطرة غموضًا و جاذبية مختلفة..بينما ذلك الوشاح الملتف حول عنقها و المتطاير من حولها
كخصلات شعرها يجعلها تبدو في عيناى كالأميرة أناستازيا..
ساحرة..خلاصة !
حتى تلك القلنسوة التي تخلت عنها قبل وصولنا للمشفى كانت تجعلها تبدو ألطف..و احمرار
وجنتيها و أنفها المرافق للبرد يجعل شفاهي تتحرق لتكليل تلك الملامح...بقبلة !
ربما فقط عليّ أن أشعر بالامتنان كوننا نعيش في مدينة لا تعترف بالحر حتى في فصل
الصيف !
هدوء ملامحها و صفاءها الذي لم أره منذ فترة طويلة..كان ما جعلني أعقد حاجباى على شبح
ابتسامة لاح في عيناى كلما لمحتُ غمازتها الكبيرة الرائعة تظهر فارضة نفسها..

تدعو حبيبي للابتسام..لكن حبيبي لا تزال تأبى الابتسام !
كان الجو باردًا جدًا..ورغم ذلك فلم أحاول أبدًا أن أغلق نافذتي..كما لم أحاول حثها على
إغلاق خاصتها و أنا أرى كل ذلك الانسجام يغمر ملامحها بينما تلفحها الرياح..
حتى أنها و لوهلة أغمضت عينها تستشعر ذلك النسيم و كأنها تمنح نفسها فرصة إبداء
اشتياقها الجارف لحرية تسمح لها بالتمتع ببرودته بدون أن تنسف لحظات استرخاءها تلك...فكرة
من الماضي !

لكنني بعد لحظاتٍ..وجدتُ نفسي عاجزًا عن الصمت أكثر..فقد كان البرد يشتد أكثر و أكثر
من حولنا..فهمست لها بخفوت أحاول تنبيهها ؛
_سجى !

فتحت عينها على الفور لتستدير إلي ناظرة لي بتمعن..و كأنها في كل لحظة كانت ملتفتة فيها
عني كنتُ موجودًا في ذهنها..و ربما ما كانت تنتظره ذلك النداء لتنظر لي !
_البرد قارص جدًا..دعيني أغلق النافذة !
لم تبدو بأنها موافقة أبدًا على اقتراحي..حتى أن حاجبيها قد انخفضا للأسفل قليلًا كطفلة
تريد الرفض..لكنها لا تجرء على إحزان قلب أبيها بقول كلمة "لا" !
و بالفعل..فهي لم ترفض..همست لي بجدية..لكن بنبرة بدت لأذناي لطيفة جدًا جدًا..مثل
نظرتها!

_دقيقة أخرى بعد و سأغلقها..
فتحتُ فمي بيأسٍ و كأنني سأرفض مجددًا..لكنها عادت تقاطعني بنبرة أشد...لطفًا! حتى أنني
تساءلت متى أصبحت سجى لطيفة و بريئة في التحدث إليّ إلى هذه الدرجة !
_دقيقة أخرى بعد..أعدك !
حسنًا..من قد يرفض رجاءً مثل هذا ؟!

لم أشعر بتلك الابتسامة التي شقت شفطاي رغمًا عني..و بدلًا من أن أصر على
موقفي..وجدتُ نفسي أهز رأسي خاضعًا لرغبتها كالأبله !
بقيتُ أنظر لها بنفس طريقي البلهاء أنتظر ربما أن تقابلني ب...بابتسامة !
لكنها لم تفعل..فقد هزت رأسها و كأنها تشعر بالامتنان نحوي ثم عادت تلتفت لتمارس
طقسها الغريب اليوم..

حينها زفرتُ بقوة و أنا أعود لأنتبه إلى الطريق أمامي..أصبر نفسي بأمل أنني قريباً جداً سألمح
ابتسامة جديدة..ابتسامة حقيقية واسعة جداً..

ابتسامة سأقف أمامها عاجزاً عن كبح نفسي أكثر من التهام غمازة خدها..و ستقف هي
أمامي..عاجزة مثلي عن صدي..لكن ما سيعجزها حتماً ليس التوتر أو الخوف..
بل الحب و العاطفة...فقط!

ظننتُ بأنها لن تتكلم بعد -بعد- أن تنازلت عند رغبتها..لكنني سمعتها بعد مرور دقيقة
حرفياً..تناديني فجأة بخفوتٍ ؛

_لؤي !

كم بدا ندائها اليوم مختلفاً عن ليلة أمس !
لقد كان ندائها حينذاك..مهتراً..يحمل نبرة توتر و تردد و خوف و انعدام ثقة..أما الآن..فقد
نطقت اسمي..نادتني بنبرة يمكن أن تفتقد كل شيء...إلا الثقة !
_نعم..

قلتُ باهتمام و هذه المرة بدون أن أبعد عيناى عن الطريق..فظلت صامتة قليلاً..ثم قالت
بشيءٍ من ... التردد!

_لماذا لا نذهب إلى المتنزه المقابل لجامعتي ؟!

كنتُ على وشك الانعطاف في طريق مغاير تماماً للمتنزه الذي ذكرته..حينما أوقفت السيارة في
جانب الطريق بهدوء ناظراً لها بحاجب مرتفع قليلاً بدهشة..
فقالت تضيف بنفس النبرة و هي تنظر لي بأمل..

كان الأمل مرتبطاً بها هي..بسجى القديمة..برغبتها في أن تتقمس شخصية نفسها سابقاً..تريد
أن تستعيد القليل من الذكريات السعيدة الغالية..لعلها باستعادتها تستعيد...سجى !
_ذلك الذي كنت أجلس فيه برفقتك أنت و هادي حينما كنتما تدرسان هناك...تذكره ؟!
و كيف لا أتذكره ؟ هل يمكن للإنسان أن ينسى اللحظة الأولى من أول قطرة غيث تلامس
روحه بعد دهر طويل من الإحراق ؟!

لقد كان ذلك المكان هو ما جلست فيه سجى وحيدة ذات مرة..لتقرأ رسالة تركت إلهما من رجل
تخلى عنها بسفالة..قبل أن تلقي بها في غياهب النسيان..و تحتضن حاضرها و مستقبلها مقرة لأول
مرة و لو بقليلها بأني أنا...أصبحت كلاهما!

كدت أن أفتح فمي لأهمس لها بحرارة..

" هل ينسى الإنسان يومًا ما المكان الذي لاحظته فيه أعين معشوقته لأول مرة ؟ لا..لا ينسى يا سجي..لا يمكنه أن ينسى!"

لكنني بدلًا عن ذلك..أومأتُ لها برفق و أنا أردف مرحبًا بالفكرة..و مرة أخرى غير عابئ بطبيعة الجو ؛

_بالطبع..دعينا نذهب إليه..

ثم شرعتُ فورًا في الدوران بالسيارة متجهًا إلى المكان الذي تريد..بينما هي..أغلقت النافذة كما وعدتني..رغم أنني فعليًا كنت قد تناسيت الأمر و لم أعلق عليه ثانيًا..و كأنها فقط..ملزمة أمام نفسها بالوفاء بكل وعد تقطعه لي..تحديدًا أنا !

لم أتوقع أبدًا أن أجد عددًا قليلًا من الناس يجلسون في المتنزه حتى برغم هذا الجو.. كان هناك بعض الشباب الذي يحتلون بعض المقاعد هنا و هناك..يحملون في أيديهم بعض الكتب..معظمهم منكبين على الدراسة..

بينما البعض الآخر..يتبادلون أطراف الحديث بهدوء و انسجام..أما ما جعلني أتفاجئ قليلًا..حينما رأيت مجموعة من الشباب..على الأرجح أربعة شباب يلعبون كرة القدم في منتصف المتنزه..أصوات لعيم وحدها ما تخترق الهدوء هنا..

كانت سجي ملتصقة بي..تتمسكُ بذراعي بكلتا يديها الرقيقتين كما العادة..و كأن كل العالم المنحصر هناك عازم على أذيتها لو لم تتمسك بي..

تلك العادة التي افتقدتها في غضون يومين فقط !

لمستُ ظاهر كفها برقة و أنا أقرب برفقتها من المتنزه..إلى أن وقفنا هناك..كانت هناك ابتسامة مرتسمة على شفتاي و أنا أراقب أولئك الشباب بينما يلعبون بصخب..بثياب جد عادية.. قبل أن أسمع صوت أحد الطلاب هناك يصرخ بهم بحنق من مقعده الذي يحتله بمفرده..و الذي يبدو على معرفة وثيقة بهم ؛

_هل يمكنكم أن تتوقفوا عن الصراخ قليلًا ؟ لقد صرعتم عقلي..لم أعد أستطيع التركيز !
كان الجواب عدة ضحكاتٍ مرحة من أصدقائه..ثم هتف أحدهم به ساخرًا و هو يلقي بالكرة بقوة إلى صديقه ؛

_هذا ذنب من يؤثر الدراسة حتى في أوقات الإستراحة..ألا ترى بأننا في عطلة اليوم !

بينما قال واحد آخر ضاحكًا مثله بسخرية أكبر بدون أن يتوقف عن اللعب ؛

_دعه..إنه يتذرع بالدراسة حتى لا ينضم إلينا و نسحقه شر سحق في اللعب..

بدا ذلك الشاب يائسًا تمامًا منهم..فهز رأسه مستسلمًا و هو يعود ليخفض رأسه موليًا كل التركيز للأوراق في يده..

بينما أنا...استدرتُ قليلًا لأنظر لسجى..كانت مثلي تراقب لعب الشباب بتمعن..لكن بدون ابتسامة !

لم أشعر بذراعي الذي تحرك برفق و كأنني سأحررها من يدها..لكنني لم أفعل..فقد كانت تلك مجرد حركة حاولت تنبيهها بها..و ما إن رفعت رأسها نحوي تنظر لي بتساؤل.. متمسكة بي أكثر و كأنها تهددني بالقتل لو حاولت تركها..همستُ لها بخفوت شديد ؛
_أريد أن أضمك !

بدت مترددة قليلًا رغم الهدوء الذي استكان في عينها بعد طلبي..لكنها في النهاية.. أثرت تحرير يدي سامحة لي باحتضانها إلى صدري برفق..
قبل أن أشعر بيدها اليمنى تعود لتلامس ذراعي الأخرى المطوقة لها..هذه المرة تمسكت بها برقة تاركة عينها على نفس النقطة..تراقب تدحرج الكرة من قدم إلى أخرى بخفة قبل أن تفارق أناملها ذراعي مجددًا لكن لا لشيءٍ إلا لتركز بها فوق صدري..
و كأنها محاولة خبيثة منها غايتها الوحيدة أن تضع تلك الخفقات المجنونة تحت يدها في مأزق متلاعب بعدادها الطبيعي..

بقينا و اقفين على وضعنا للحظاتٍ طالت..نراقبهم بصمت..إلى أن قذف أحد الشباب هناك الكرة بطريقة قوية فارتدت عن مكانها لتستقر أمامنا تمامًا..أو تحديدًا أمام قدمي..
أخفضتُ عيني فورًا أنظر إلى الكرة باندهاش..قبل أن أسمع صوت أحدهم يهتف بلطفٍ ؛
_هل يمكنك أن تمرر لنا الكرة يا صاح ؟!

كانت سجي تنظر للكرة مثلي..بدون أن تترك حضني أبدًا أو تبعد رأسها عن صدري..ترددتُ لوهلة و أنا أشعر بشيءٍ ما يحثني للإقتراب و مشاركتهم اللعب لعلني أتخلص من بعض المشاعر السلبية التي تجمعت في قلبي طيلة يومين..

فنقلتُ عيني إلى سجي التي رفعت عينها نحوي تلقائيًا هي الأخرى..كانت نظرتي مليئة باللطف و أنا أقول بنبرة استئذان بينما شبح الابتسامة يلوح على شفتي بخفة ؛
_هل تسمحين لي ببضع دقائق أختبر فيها مهاراتي المنسية بكرة القدم ؟!

رأيتُ نفس التردد يحتل عينيها..حتى أنني شعرت بأناملها تتمسكُ بي بقوة شديدة..و تلقائيًا
توقعت أنها سترفض..لكنها خيبت توقعي ذاك..حينما وجدتُها تفتح يدها فجأة..ثم استقامت هامسة
لي بغير اقتناع أو رضا تام ؛
_حسنًا..

منحتها ابتسامة حانية جدًا..لكنها لم تقابلها سوى بعينيها اللتين لم يلامسهما أي نوع من
الرضا..قبل أن أركل الكرة بخفة و أقرب من الشباب سائلًا بجدل ؛
_هل تحتاجون إلى لاعب محترف يحل مكان صديقكم ؟!
بدا الجميع منهم بدون استثناء مرحبًا بالفكرة..و سرعان ما وجدتُ نفسي أنسجم في اللعب
معهم بمهارة بالفعل..

حسنًا..نسيت أن أذكر بأنني كنت لاعب كرة قدم ماهر جدًا ايام الجامعة !
لكنني رغم ذلك..لم أغفل للحظة واحدة عن سجي..كنتُ أرمقها بين كل ثانية و أخرى و كأنني
فقط استمد منها الطاقة لألعب أكثر..لأبتسم أكثر..
و كانت هي تقف عاقدة ذراعها أمام صدرها تر اقبني بتركيز غريب..
كنتُ أنتظرها بصبر أن تبتسم..اليوم أنا فقط مصر على رؤية ابتسامتها..لا بد أن أراها قبل
أن ينتهي النهار !

دقائق أخرى استغرقتها في اللعب و تأملها باحثًا عن غايتي الأسمى..إلى أن توقف الزمن فجأة
حينما بدأت السماء تمطر..حينها فقط كنتُ أتوقف عن اللعب بعد أن ركلت الكرة لآخر مرة باتجاه
أحد الشباب..

ثم اقتربتُ بسرعة من سجي تزامنًا مع تحرك الجميع مغادرين المكان..هاربين من قطرات المطر
الندية..بما فهم أولئك الشباب..و صديقهم الذي نهض فجأة ليهتف بسخرية بينما يسبقهم مغادرًا ؛
_اللهم لا شماتة..لماذا توقفتُم عن اللعب يا ماهرون ؟ ألم تقولوا بأننا اليوم في عطلة ؟!!
كنتُ أهم عفوياً بحثها على الهروب مثلهم..لكنني توقفت للحظة مستغربًا و أنا أرى
شكلها..كانت لا تزال عاقدة ذراعها..لكن ليس بنفس الوضعية السابقة..
فقد كانت قد رفعت رأسها نحو السماء..تأملها بقلبي فقط..أما عينيها فقد كانتا مغمضتين
بهدهوء شديد..و أنفاسها تخرج بطيئة للغاية و كأنها تتعمد استشعار كل نفس جديد تسحبه إلى
داخلها..

تذكر نفسها للمرة الألف بأنها لا تزال على قيد الحياة..تسمح لتلك القطرات بتنظيف روحها

من كل خبايا الألم و الوجد و اليأس !

تسمرتُ مكاني تمامًا أنظر لها بما يفوق الدهشة أولًا..لكن الدهشة سرعان ما حل محلها

بقايا حزن سحيق لا يزال عالقًا بفؤادي من أجلها..وقد عذمت على السماح لها بتلك اللحظات

الثمينة من الإسترخاء..

تجولتُ بعيناي فوق كل إنش من ملامحها..كل قطرة تلامس وجهها الجميل بالفطرة و شعرها

المنسدل على كتفيها و ظهرها بنعومة تلامس روحي قبل أن تصل إليها..

لتتحول برودتها الصقيعية إلى شيءٍ أكثر دفئًا!..

لكنني ما إن شعرتُ بوتيرة تساقط المطر تزداد كثافة..حتى وجدت نفسي أرفع يدي مرغمًا

لأتمسكَ بيدها..

ثم همستُ لها بصوت أجش..مجبِر على مقاطعتها خوفًا عليها من المرض!

_دعينا نذهب سجي !

لم تتحرك أبدًا كما توقعت..بل شعرتُ بأناملها تتحركُ متمسكة بيدي برفق و تأني شديد..ثم

فتحت عينها لتتنظر لي بعينين لم أستطع قراءة أيّ تعابير سوى الهدوء بداخلهما..و همست بخفوت ؛

_دعنا نبقى لدقيقة أخرى تحت المطر !

ترددتُ لوهلة في أن أو افقها أو أرفض..ما أكثر طلباتها التي تفوق طاقتي اليوم! و رغم ذلك

فقد فتحتُ فمي بحيرة أهم بإجابتها..لولا أنها سبقتني هامسة برجاء ؛

_أرجوك !

اقتربتُ منها الخطوة الوحيدة التي كانت تفصل بيننا..قبل أن أمد يدي لألمس وجنتها المبللة

هامسًا بصوت أجش رقيق و متفهم ؛

_أخشى أن تمرضي !

بدت و كأنها قد تنهت إلى شيءٍ ما بعد تعليقي هذا..أو ربما فقط استعاد عقلها ذكرى بعيدة

استعادها عقلي معها حالما سمعتها تهمس بدون أن تشعر بينما ترفع يدها لتحتوي ذقني بقلق ؛

_أخشى أن تمرض أنت !

هل يمكنكم أن تتخيلوا ما التأثير الذي تركته عليّ لمستها العفوية على ذقني ؟ ثم يليها تلك

الجملة القلقة المعبرة..رباه !!

كم نسبة خوفك عليّ يا سجي؟! إلى درجة أن تتخلين عن كل رغبة كاسحة تراودك في الموت و
تتمسكين بالحياة لأجلي؟!!

لم أكن في حاجة لأجوبة ملموسة منها..فقد كانت عيناها فقط..تهتفان بي..تخبرني بكل صدق
و حرارة بأن ما يخالجهما نحوي..

ما أصبح يخالجهما نحوي أقوى و أعمق بكثير من كل ذلك !
لهذا..و بدون أن أشعر بنفسي..اقتربتُ منها أكثر هامساً بدون أن أحرر وجنتها.. بنبرة خرجت
تحمل ومضات لا تحصى من...الثقة!

_لو مرضت فأنتِ موجودة هنا لتعتني بي !
كنت قريباً منها جداً..حتى أنني استطعتُ أن أسمع صوت تنهيدة خافتة جداً و هي تغادر
شفتيها..ثم ظلت صامتة للحظاتٍ تنقل عينها بين عيناى..قبل أن أرفع حاجبى دهشة و أنا أرى
جانب شفتيها يهتز بابتسامة مرهقة...و أخيراً!

ثم همست لي ببأسٍ و ابتسامتها الشبه ملحوظة جعلت خفقات قلبي تهدج و ترتعش أكثر ممّا
فعلت بي لمستها تلك على وجنتي ؛

_تتكلم بثقة شديدة و كأنني قادرة على الإعتناء بكِ بمثالية..بينما أنا في الحقيقة لا أزال
عاجزة حتى اللحظة عن الإعتناء بنفسى !

لم يرضيني أبداً سماع هذا الكلام منها..همستُ بينما أقرب منها أكثر حتى كدت أن ألمس
جبينها بخاصتي ؛

_لقد اعتنيتِ بي ذات مرة..تتذكرين؟!
أومأت لي ببطءٍ و هي تطبق جفونها بصمتٍ..بينما القطرات الندية الباردة.. الدافئة..تسقط
ببطءٍ و نعومة لتتخلل خصلات شعري و شعرها..

كانت غمازتها بارزة بوضوح الآن..ابتسامتها غير المكتملة و التي أمضيتُ كل اليوم أخطط و
أنتظر رؤيتها لا تزال مرتسمة بخفة..

شعرتُ بأنني لن أستطيع التحمل بعد..فرفعت يدي الأخرى لأمرر إبهامي فوقها برقة..حينها
فقط..كانت سجي تعود لتفتح عينها ناظرة لي عن قرب بنظراتٍ لم تتخلى عن ضياعها منذ يوم
الأمس..

فقلتُ أبتلع ريقى بنبرة شبه مختنقة..أتجاوز الحدود مرغماً و أنا من أقسمت على كبح جماح
لهفتي عليها!

هل...يمكنني.....!!؟

كانت عيناى كيدي مستقرتان هناك أثناء إلقاءى لسؤالى..قبل أن أبعدهما بصعوبة مولياً
انتباهى لها.. لكن سجى لم ترد..نقلت عينها بين عيناى بضياى أكبر..
و من نظرتها تلك و ردة فعلها..استطعتُ التكهن برأىها..
فمنحتها آخر لمسة حانية فوق مكاني المفضل..قبل أن أبعد يدي و أميل عليها ببطءٍ شديدٍ إلى
أن طبعت شفّتي هناك..

بل غرقتُ تمامًا في قعر سحرها الطاغى..مجرد قبلة بريئة على وجنتها..لكنها بالنسبة لي كانت
تعادل أن يطفو الإنسان بكل حواسه و جوارحه في نهر غائر من العسل..
شعرتُ بارتجافتها واضحة من يدها التي انزلت ببطءٍ من ذقني لتستقر على كتفي بوهن..
بدون أن أراها...أطبقت عيناى موقناً بأنها مثلي فعلت !
أعلم أيضاً ما الذى تكرّر في ذهنها..ذلك اللحن الوهمي الذي زار مسامعنا تلك الليلة..لحن لا
يحتاج لأنامل عازفة و لا لآلات موسيقية مهيّرة..لحن نسج من تردّد خفقات قلبينا و اضطرابها..لحن
لا يسمعه غيرنا..لأنه يخصنا نحن فقط..أنا و هي!

و قد ساعدت القطرات المناسبة بسلاسة و ببطءٍ على جعل اللحن أكثر وضوحاً و كأننا نسمعه
فعالاً..شعرتُ بيدها تنزلق أكثر إلى أن استقرت فوق صدري الآن..
لا..ليس لتدفعني..بل على الأرجح كانت كل غايتها أن تستشعر اللحن بالإضافة إلى شبّحه في
أذنيها من هناك !

إلى أن فتحتُ عيناى الغائمتين أخيراً ببطءٍ..و كتلك الليلة..أرغمت نفسي بالقوة على
الابتعاد..إلى أن قابلت مجدداً غابات الزيتون الخضراء الساحرة في عينيها الزائغتين..
ظننتُ بأنها لن تتكلم أبداً..و لوهلة شعرت بانقباض غريب في قلبي من أن أكون قد اقتنصت
منها ما لا تريد منحي إياه على حين غرة !
لولا أن سمعتها تهمس لي بعد لحظاتٍ طالت..همست بصوتٍ أجش مضطرب..يشبه صوتها
تلك الليلة..لكنه أشد خفوئاً و ضعفاً..

و بدون أن تبعد يدها عن صدري و كأن تلك أصبحت حركتها المفضلة الاعتيادية !
_يمكنك !

لن أكذب حقاً لو قلتُ بأن تلك المرة كانت المرة الأولى التي أشعر فيها بأنني ملاحظ فعلياً من
قبل سجى..شعرت و كأنها لأول مرة قادرة على قراءة دواخلي..

و كأنها تشاركني نفس المشاعر و الحب الذي وصفته بالعابر القابل للزوال بزوالها حتى قبل
يومين !

و الحقيقة أنني أنا هو الشيء الوحيد المؤهل للزوال لو زالت ! لو زالت حبيبتي من حياتي
فسأعيش ما تبقى منها كالشريد الذي سلب منه مأواه عنوة !
ابتسامة مرتجفة شقت شفاهي ببطء و أنا أعود لأمرر إبهامي فوق نفس المكان.. قبل أن
أزحها من هناك لا لشيء إلا لأحتضن سحى بالكامل إلى صدري.. و همستُ بينما أمشط خصلات
شعرها بأناملي برفق.. أشعر بذراعيها تتمسكان بي بقوة ؛
_ لقد كنت أفكر أن نذهب إلى منزلي الليلة ؟ ما رأيك ؟!

صمت قصير استقبلته أذناي منها.. ثم همست لي بعد لحظات بصوتٍ مستكين ؛
_ لماذا لا نذهب إلى منزل شهد و هادي ؟!
عقدتُ حاجبائي قليلاً باستغراب من طلبها.. هل حقاً تريد العودة إلى منزل هادي و شهد ؟ هل
قررت أخيراً أن تتخلى عن قوقعتها الكاسحة.. أم أنها فقط استطابت كل الدفء و الطيبة التي يعبق
بها منزل أخي و زوجته !

كان هذا هو الخيار المرجح بشكل كبير كتفسير في عقلي.. فتحتُ فمي أود إجابتها بعد
ثوان.. لكنها قاطعتني مضيفة بخفوتٍ.. كالعادة تحاول أن تقنعني بطريقتها الهادئة ؛
_ دعنا نبقى معهما ليوم أو يومين.. لقد راقنا في كل الأجواء هناك بشدة !
صمتت للحظة أخرى.. ثم همست تتململ في حضني ببطء ؛
_ ما رأيك... لؤي ؟!

ما رأيي ؟ هل يمكنني أن أبدي رأيي في طلب كهذا ! هذا لو كان يمكنني تسميته بطلب !
تهيدة خافتة هربت من بين شفتائي.. ثم همستُ مطبقاً عيناى بينما أحتضنها أكثر و
أكثر.. أسبح خلصة بشفاهي بين خصلات شعرها الساحرة ؛
_ إذا كانت هذه هي إرادتك فأنا لا أمانع !

#الكاتبة

كان عقله شاردًا جدًا بينما يقود سيارته الحمراء متجهًا إلى منزل شهد.. لقد اتصل بها قبل
دقائق و أخبرته بأنها عادت إلى المنزل.. و ها هو ذا يسابق الطريق ككل يوم و كل حين للوصول إليها..

هدوء تام هو ما استفحل ملامحه الساهمة إلى حد كبير بعد يومين من الانفعالات الغريبة و المتضاربة..يومان شكلا فارقاً كبيراً في حياة كل فرد من أفراد عائلته..

خاصة أمه و أبيه...على ذكر أمه !

لا تزال حتى اللحظة صورتها الضعيفة التي رآها عليها في المشفى في ذهنه.. سيكذب لو ادعى بأنه لم يتأثر..بأن أي شيء في قلبه لم يتحرك و لم ينتفض وجعاً بشكل جعله يستغرب من نفسه.. فهو لم يتوقع يوماً أنه لا يزال يحمل بعض الحُب لأمه !

فماذا عن الكثير الذي يستشعره الآن !

لكن السؤال الأهم و الأكثر مدعاة لطرحه..هل كانت مشاعره لتكون نفسها لو كان والده

مكان أمه ؟ هل كان ليتعاطف معه إلى هذا الحد ؟! لا يظن أبداً!

ليس لأنه يكرهه إلى درجة أن يتمنى له حالاً كتلك الحال..بل لأنه يعلم علم اليقين بأن أي كانت المشاعر التي لا يزال يكنها لأبيه..فهي لا يمكنها أن تتجاوز أكثر من عاطفة محتمة بحكم رابطة الدم بينهما !

لحسن حظه أنه لم يقابله اليوم..و إلا فكان ليقف كعادته هناك عاجزاً عن إلقاء كلمة

مواساة واحدة عليه..حاله كحال لؤي..

كلاهما يعانيان من اضطرابات جفاء و تبعات إهمال و قسوة لا ذنب لهما فيها !

رمق الجريدة الملقاة بجانبه في السيارة..تلك الجريدة التي امتلأت اليوم بصورهم فقط..و كأن

كل مواضيع و أخبار العالم قد تلاشت اليوم و لم يبقى سوى عائلة الشاذلي العظيمة و فضائنها

لتداولها!

الحقيقة أنه لم يكن من اشتراها..فهو لا يحبذ قراءة الجرائد و لا تهمة حتى ماهية تلك

الأخبار..حتى ذلك الصحفي الذي تجرأ و كتب عنه مقالاً مزعجاً لم يكثر له بما أنه لم يذكر اسم

شهد و لو في لمحة عابرة في مقاله !

لقد كان أصدقائه هم السبب في وصول تلك الأخبار إلى يده..فما إن وصل إلى الاستوديو

الخاص حيث يشتغل منذ مدة برفقتهم..لم يتفاجئ أبداً بنظراتهم أو بكلماتهم التي ألقوها على

مسامعه..و التي كانت كلها عبارة عن تعاطف و حزن..

بدون أن يجرأ أي أحد منهم على الخوض في الفضيحة التي بين أيديهم..و التي كانوا يقرئونها و

يتحدثون عنها بذهول حتى قبل وصوله !

إلى أن مد يده هو بنفسه ليطلب بنبرة جادة ؛

ـناولني لأرى !

و بعد تردّد قصير جداً..وضع صديقه الجريدة في يده ناظرًا له بترقب..لكن كل ما فعله هادي
أن ضيق عينيه بتركيز و هو يتجول بها فوق تلك السطور..
ثم و بصمت تام..و بكل بساطة كان يلقي بها فوق منضدة صغيرة هناك و ينضم إليهم شارعًا
في مناقشة كل المستجدات حول العمل و كأن شيئًا لم يكن !
في البداية كانت نظراتهم إليه عبارة عن دهشة و ترقب و حذر..و كأنهم لا يصدقون جديته و
هدوئه في الكلام..أو ربما يحاولون اكتشاف ما إذا كانت الصدمة قد أفقدته البعض من راحة
عقله..

لكن أسلوبه الجاد الواثق و الذي لا تشوبه شائبة..هو ما شجعهم لأن يتغاضوا عن كل ما
تحتويه تلك الجريدة منسجمين معه..حتى أنهم في غمرة حماسهم لسرد كل ما حدث في غيابه و
إطلاعه على البومات الصور التي التقطوها..

تناسوا تمامًا أنه نفس الشخص الذي فقد أخاه قبل يومين !
صوت لحن مألوف جدًا لأذنيه لفت انتباهه..فطرف بعينه ببطء ليخرج من دوامة أفكاره..ثم
التفت مسحورًا بذلك اللحن لتقع عيناه مباشرة على ذلك المحل المميز هناك..
محل فريد من نوعه يبيع كل أنواع...الورود !
كان المحل كبيرًا بالفعل..يحتل مساحة شاسعة من هذا الشارع..و كان هناك رجل كبير في
السن استطاع أن يلمحه من خلف الزجاج الكاشف يقف منحني الدهر قليلًا..
و بين يديه المجدتين تقبع مجموعة من الورود البيضاء التي كان يرتبها بعناية في مزهرية
صغيرة أمامه..بينما اللحن الجميل الصادر من المذياع القديم قدم الزمن الجميل..يضيف هالة
جميلة و شاعرية لكل المحل !

" على وطن من العشق..

على ليل يغنيننا..

بصوت و نكهة الصبح..

لننسى كل أوطان الدمار ! "

كانت هذه هي الكلمات التي تسلفت إلى مسامعه..كلمات يعرفها و يحفظها عن ظهر قلب لأنها
تذكره بشهد العسل...شهبه !

ظل يتأمل المكان للحظاتٍ غير شاعر بتلك الابتسامة الشاردة التي ما انفكت تشق عينيه
بتأني.. قبل أن يمد يده ليفتح الباب بدون تفكير و يقترب من هناك بخطواتٍ رصينة و الحنين يتلقف
قلبه بضراوة..

يتذكر تلك الليلة.. أول ليلة لهما معاً.. أول مرة يستمعان لهذه الأغنية سوياً.. تلك الليلة التي
كانت بداية الوصال و نهاية مسار غريب من حياتهما..

الليلة التي طوقها بالكامل بقيد حبه الذي لا يقبل تحرراً..

التي بصمها باسمه إلى الأبد.. كما منحها هو اسمه قبلاً لتشاركه إياه كجزء من كيانه... إلى

الأبد ! ليته أحضرها معه.. متأكد بأنها كانت ستسعد كثيراً بهذا المكان !

دخل إلى المتجر الفارغ إلّا منه بهدوء.. كانت عيناه تتأملان كل جزء منه بانهار حرص على أن لا
يظهر في ملامحه فيحول شكله إلى أبله.. لكنه لم يستطع أن يمنع تسلله إلى قلبه و هو يستنشق عبق
رائحة حبيبته تفوح في المكان..

يرى طيفها في كل ركن هنا.. مكانها الروحي هنا.. أو ليست هي شهد صاحبة خدود الورد التي

غرست لنفسها مكاناً عميقاً في قلبه منذ الأزل.. واردة خلقت لتعيش بين قريناتها من الورد ؟!

توقف أخيراً ما إن لمحت عيناه نفس الرجل.. لكن هذا الأخير لم ينتبه له في البداية.. فقد بدا

منسجماً جداً بما في يديه.. إلى أن تنحنج هادي بخفة مردفاً :

_ عفواً !

رفع الرجل رأسه نحوه متنبهاً بدون أن يجفل.. قبل أن يضع الورد جانباً و يلتفت إليه بكليته

قائلاً ببشاشة شعر هادي بأنها سمته الفطرية التي ترافقه دائماً ؛

_ مرحباً أيها الشاب.. أي خدمة تريد ؟!!

شعر هادي ببعض التوتر يكتسحه من المجهول.. فأشاح بعينه عن الرجل المبتسم البشوش

ليمر بها فوق أصناف الورد غير القابلة للعد هناك.. أصناف كثيرة و ألوان كثيرة مبهرة..

بينما ظل الرجل يراقبه باهتمام و تفحص.. يرى الحيرة تكتسح عينيه اللتين يستطيع من

نظرتهما أن يدرك بأنه لم يدخل إلى محل ورود من قبل !

كانت الأغنية على وشك الانتهاء الآن ليحل محلها أغنية لم تقل جمالاً.. و رغمًا عنه فقد وجد

نفسه ينصت إليها بينما تتوقف أعينه على مجموعة من الورد الحمراء التي جذبتة خصيصاً..

" و يحسب الأزهار لوني..

و بسمتي نبع الصفاء..

و العطر إبحارًا بثوبي..

و نظرتي وجه الضياء..

يقول أن كل اللغات..

تحارّ دائمًا بوصفي..

و أنني له الحياة..

و الحب إمضائي و طيفي.."

هل يعقل أن كل الأغاني أصبحت تذكره بها؟! الآن يتساءل..ما قيمة الشعراء إن لم تحمل

قصائدهم لفحة من الورود...منها؟!

كانت أغنية ل-ماجدة الرومي- لأول مرة يسمعها في حياته..و رغم ذلك فقد شعر بأنه سَمِعَهَا

لمراتٍ عديدة قبل اليوم..فقط لأنها ذكرته بها!

تاقت عيناه أكثر و هو ينظر لنفس المكان بشروء لم يلبث أن تضاعف..إلى أن استطاع بعد

لحظاتٍ أن يتمالك نفسه قليلًا بصعوبة..

ففتح فمه بهم بطلب باقة من تلك الحمراء منهياً حيرته..

لكنه عاد ليتراجع و هو ينظر إلى تلك البيضاء هناك..هل يمكنه أن يحضر لزوجته ورودًا

بيضاء؟ ألن يبدو الأمر غريبًا؟! لماذا يريد أن يحضر لها الورود أساسًا؟!

هز رأسه بخفة ليطرد ذلك السؤال المزعج من عقله..منذ متى كان يحتاج لأيّ مناسبة ليحضر

لها كل ما يريد أو تريد؟!!

ثم نظر إلى الرجل مردفًا مباشرة؛

_أحتاج لشراء باقة ورد!

_لمن؟!

قال الرجل يسأله فورًا باهتمام..فتراجع هادي قليلًا ناظرًا له بشيءٍ من الاستنكار

الهادئ..حينها اتسعت ابتسامة الرجل أكثر..و قال شارحًا بهدوء و تفهم؛

_لا تستغرب سؤالي أمها الشاب..الورود كالأشخاص تمامًا..محتم على الإنسان اقتنائها بكل

عناية و حرص لأجل شخصه المفضل..

عقد هادي حاجبيه بغباء و هو يسمع تلك الكلمات التي بدت إليه غير مفهومة..و لم يستطع

أن لا يقول متسائلًا؛

_المعنى؟!

لم يبخل عليه الرجل بأن قال بكل بساطة مجيبًا ؛

_المعنى..لكل مناسبة أو علاقة صنف محدّد من الورود..

عقد هادي حاجبيه أكثر و كأنه ينظر إلى كائن غريب..و تردّد للحظاتٍ أخرى..إلى أن قال في

النهاية مستسلمًا ؛

_لزوجتي !

الآن كان استغرابه ينتقل إلى عيني الرجل..فقد نقل أنظاره حول وجهه و كأنه يشعر بالدهشة

من أن يكون شاب في مثل عمره متزوج بالفعل..

و لم يكن استغرابه بالمثير للتعجب بصدق !

قال يسأله للمرة الثانية مبتسمًا بطريقة مميزة ؛

_هل هناك مناسبة محدّدة ؟!

حرك هادي رأسه بالنفي ببطءٍ مجيبًا بحذر ؛

_بدون مناسبة !

هز الرجل رأسه مفكرًا و هو يلتفت عنه لينقل أنظاره بين أصناف الورود..ثم و بدون أن يتردّد

كثيرًا..قال ؛

_البيضاء هي أنسب اختيار..

مجددًا..كان هادي يعقد حاجبيه باستغراب..و ظل ينظر للرجل الذي سرح فجأةً محدّقًا

بنفس المكان..و قد بدا له من عينيه اللتين تغزوهما التجاعيد بكثافة و كأن عقله قد تاه في ذكرى

مميزة..أو ربما كانت ذكريات !

_ألا يفترض أن تكون الحمراء ؟!

مالت ابتسامة الرجل إلى شيءٍ أعمق بكثير..و بدلًا من أن يجيب سؤاله البديهي..وجده هادي

يعود ليغرق في شروءٍ آخر..إلى أن قال فجأةً بنبرة هادئة و عينيه اللتين غمرهما الحنين تنتقلان بعيدًا

عنه حول كل أرجاء هذا المكان الأنيق ؛

_هل تعلم بأنني لم أكن صاحب هذا المحل الأساسي ؟

لم تظهر تعابير محفزة على ملامح هادي..بل ظل هادئًا ينظر له و لا تزال في عينيه نظرة تنم

عن استغراب من كل تصرفات هذا الرجل..

لكن ما جعل ذلك الاستغراب يتحول إلى شيءٍ من التعاطف..هو ذلك الحزن الذي تخلل نبرة

الرجل و عينيه بينما يضيف ؛

_لقد توفيت زوجتي قبل أسابيع قليلة و تركته في أمانتي..

صمت للحظة..ثم رفع أنظاره مجددًا لهادي الذي كان يفوقه طولًا بشكل ملحوظ مستأنفًا ؛

_لقد كان هذا المحل يشبه الجنة بالنسبة لها..اشتغلت فيه بتفاني و إخلاص لمدة تزيد عن

ثلاثين سنة..لم يكن مجرد حلم مرسوم على ورق..بل كان حياتها..و لم تكن هي مجرد زوجة

عادية...كانت كل حياتي !

بطريقة ما..كلمات ذلك الرجل تخللت قلبه بسطوة..و لوهلة رأى نفسه بعين أخرى بعد دهر

من السنين..تلك السنين التي أقسم بأن يعيشها على المنهج الذي يريد و يتمنى..مع حبيبته الصغيرة و

عائلته المتواضعة المتبقية..و طفلهما المنتظر..

الأول قبل أطفال سيمنحهم من روحه ما لم يمنحه إياه والده !

كان قد ظهر الكثير من الحزن في نبرة الرجل و هو ينطق آخر جملة..و انعكس ذلك الحزن

خلسة في عيني هادي..جميعنا سنموت في يوم ما..تلك حقيقة يدركها الجميع..

لكنه فقط..يجد نفسه عاجزًا عن تخيل يوم يفقدها فيه..حبيبته شهد..صاحبة خدود الورد

الصغيرة و الابتسامة الشفافة البريئة !

شعر بغصّة تحرق حنجرتة من مجرد التخيل أن يفقدها في يوم ما..فأغمض عينيه و هو

يسحب نفسًا بطيئًا يخرجها من تأثير تلك الفكرة و هذه اللحظة..

قبل أن يفتحهما شاعرًا بالرغبة تكتسحه بضراوة للعودة إليها..لا شيءٍ إلا ليضمهما بقوة بين

ذراعيه..ثم يسرد لها هذه القصة المعبرة..مفصّلًا عن ما تختلج جوارحه به نحوها للمرة الألف..

ثم ينتظر بصبر أن تمنحه ابتسامتها المندهشة الدامعة..و كأنها تسمع كلماته لأول مرة..و كأنه

في كل مرة يهمس لها بحبه يمنحها حافزًا جديدًا للابتسام..و البكاء رهبة !

لم يستطع أن ينبس بكلمة يقاطع بها الرجل الذي بدا له و كأنه قد وجد أخيرًا شخصًا يبوح له

بالقليل ممّا يعترى قلبه..متخليًا عن بسمته و هدوءه بعد حين من الصمت !

تجولت عيناه ببطءٍ فوق أنامل الرجل التي تخللت الورد..بينما تاهت عيناه مجددًا

مستسلمًا لأنياب الحنين الضاربة و هو يضيف بنبرة ذات مغزى عميق ؛

_الورود الحمراء للتعبير عن الحب..و البيضاء للإفصاح عن استعدادنا التام للإيفاء بذلك

الحب !

طرف هادي بعينه ببطءٍ بدون أن يتحدث..و لم ينتظر الرجل سماع صوته..فقد استأنف

بعد بعض من الصّمت بدون أن يرفع رأسه ؛

_لقد كانت تعشق الورود البيضاء إلى حد تقديسها..و كنت أنا أستغرب في البداية.. إلا أنني ما إن سمعت وجهة نظرها هذه حول الأمر.....

ابتسامة شفافة شقت ملامحه ببطءٍ و هو يهز رأسه هامسًا بقلّة حيلة ؛

_اقتنعت !

كان قد رفع رأسه أخيرًا تزامنًا مع نطقه لآخر حرف من كلمته..و مجددًا عاد هادي يرمش

بعينه و كأنه يحاول أن ينبذ عنهما نظرة تأثر لاحت قسرًا هناك..

لكن الرجل أمامه لم ينجح مثله في نبذ الحسرة و الشوق من عينيه..ف رأى كيف أن بعض

الدموع تجمعت هناك بدون أن تسقط..قبل أن يهز رأسه مستعيدًا ابتسامته..

و قال يسأله بنبرة أقرب إلى العادية ؛

_أي لون ستختار لها إذا ؟!

لم يرد هادي فورًا..رمق أصناف الورود العديدة أمامه و حوله بنظرة طويلة غامضة..قبل أن

يهمس بغير ترددّ شاعرًا بالموسيقى الحاملة الصادرة من المذياع تتخلل قلبه مع كل كلمة جديدة ؛

_البيضاء !

حينها..رأى كيف أن ابتسامة الرجل العجوز برزت أكثر برضا..و لاحت في عينيه نظرة تشبه

الألفة نحو هادي..نظرة غريبة تمنى للحظة لو استطاع تفسيرها أو على الأقل التقاط صورة لها..قبل

أن يلتفت ليبدأ في تجهيز باقة الورد من أجله..

فاستدار هادي بدوره لينظر إلى ذلك المذياع العتيق الذي يزال يبث ذلك اللحن الراقي الذي

على وشك الانتهاء بسحر..لا يريد للأغنية أن تنتهي..لا يريد لأي أغنية في العالم أن تنتهي !

لم يدرك بعد كم أن نظراته كانت ملحوظة لعيني الرجل الخبيرتين أمامه..هو لم ينتبه له حتى

و هو يقترب منه مجددًا حاملاً بين يديه باقة الورد الخلابة الشكل بعد أن انتهى من تجهيزها..

إلى أن رمق الرجل المذياع بنظرة مترددة..ليقول فجأة مخرجًا هادي من شروده ؛

_ليس له ثمن !

أجفل هادي داخليًا و هو يلتفت إليه سريعًا..قبل أن يعقد حاجبيه بعدم فهم..فاستأنف

الرجل شارحًا بابتسامة ؛

_إذا كنت تفكر في طريقة تغريبي عن طريقها لأبيعه لك فأحب أن أخبرك بأنه أغلى عندي من

أيّ ثمن قد تدفعه !

عقد هادي حاجبيه بغباء أكبر..هل ذكر شيئًا عن شراء المذياع منه للتو و نسي ؟

صحيح..ربما لاحت الفكرة في ذهنه لكنه لم يفكر أبدًا في تنفيذها لإدراكه بأن مثل تلك الأشياء غالبًا يكون ثمنها الوحيد هو قيمتها العاطفية في قلب صاحبها !
بينما اتسعت ابتسامة الرجل أكثر..ثم أضاف و هو يرى نظرات هادي التي تدعو إلى الضحك ؛

_ لكنني أستطيع أن أمنحه لك كهدية بشرط !
طرف هادي بعينه ليس تعيد تركيزه فقط..لكنه لم ينجح تمامًا..ورغم ذلك فقد قال يسأله
بحذر ؛

_أي شرط !!؟
حينها هز الرجل رأسه بسماحة و هو يقترب من المذيع ليحضره بصمت..إلى أن عاد إلى هادي
يحملة بين يده..و حينها قال يملي عليه شرطه بنفس نبرته البسيطة الطيبة ؛
_ أن تعاود زيارتي برفقة زوجتك في المرة القادمة !
لم يفهم هادي قصده في البداية..فقال يسأله بنفس الحذر بدون أن يأخذ منه لا باقة الورد و
لا المذيع ؛

_ولماذا عليّ أن أحضر زوجتي ؟!
لم يتردد الرجل من الرد بنفس بساطته ؛
_لتهدئها جولة حول محل الورد خاصتنا..
صمت للحظة..ثم سأل باهتمام الآن ؛
_ ألا تحب الورد ؟!

و كأنما سؤاله جعل هادي يتخلى عن حذر ملامحه و جديتها مجددًا..فعادت عينيه لتتحرفان
ببطء عن ملامح الرجل..ثم قال و هو ينظر إلى الباقة في يده بنبرة شاردة تمامًا ؛
_تعشقها في الحقيقة !

تهمد الرجل بارتياح بعد إجابته هذه..فرفع هادي أنظاره نحوه مجددًا ليسمعه يردف بصوتٍ
رائق ؛

_جيد..غالبًا سأكون قد حصلت على زبونة جديدة عما قريب..
لم يرد هادي..الحقيقة أن كل شيء في هذا الرجل كان يشعره بالغرابة..بدءًا من ابتسامته
السمحة البشوشة التي لا تفارق وجهه..إلى عمله في هذا المحل و هو في هذا السن..إلى طريقته
السلسة في التحدث إليه..

سمع صوته يقول محفزاً بينما يمد يديه الإثنتين بالأشياء التي يحملها بها ؛
_هل ستبقى متجمداً بهذا الشكل ؟ ألا ترى بأنني رجل عجوز و أحمل عنك حاجياتك منذ
دقائق...خذ !!

مد هادي يده فوراً ليأخذ باقة الورد فقط...بينما تلكأت عيناه على المذياع الثمين..و قال
مجدداً في محاولة أخيرة ؛

_ألا يمكنني أن أدفع لك ثمنه على الأقل ؟!
عبس الرجل بشدة و كأنه تلقى شتيمة منه..ثم هتف منزعجاً و كأنه يخاطب ابنه أو حفيده
الصغير العنيد ؛

_الثلث الوحيد الذي قد تعطيني إياه هو أن تعاود زيارتك لهذا المحل..الآن هل ستأخذه مني
أو أتوقف عن كوني كريماً ؟!
الغريب في الأمر أن هادي لم ينزعج إطلاقاً من نبرته التي لم يكن ليسمح لأحد بأن يخاطبه
بها..لكنه الآن..

ضيق عينيه قليلاً و هو يرمق المذياع بتردد أكبر..
لكن ملامح الرجل التي كانت تحته على أخذه منعته من الاستمرار في رفضه..فتهد بيأس و هو
يمد يده أخيراً ليأخذه منه..
و لم يستطع إلا أن يمهد الطريق لشبح ابتسامة أشد شروداً شقت شفتيه بتمهل هو يتأمل ما
بين يديه !

بعد دقائق أخرى من القيادة..كان قد توقف بسيارته أمام البناية حيث يقبع منزل شهد..ذلك
المنزل الذي استغرب فعلاً أن يكون لأمه بعد أن دخل إليه أول مرة..لكنه عاد و تذكر بأنها ما اشترته
إلا لإتمام اتفاقها مع شهد..لتعيش فيه شهد التي تكرهها..
ما الذي يمكن للإنسان أن يتوقعه أكثر منها ؟!

توقف أمام الباب بعد لحظاتٍ ليخرج المفتاح الذي منحته إياه شهد ذات يوم و يدسه في
مكانه المخصص متقدماً نحو الداخل بهدوء..

كان المنزل صامتاً كما العادة..نفس الصمت يكتسحه سواء بوجود شهد أو غيابها..لكن
صمتاً عن صمتٍ يختلف..و هو وحده كان قادراً في كل مرة دخل إليه أن يلمح طيفها تجلس هنا أو

تقف هناك.. لكنها اليوم لم تكن متواجدة في الهوى ولا في المطبخ القريب.. أدرك ذلك بدون أن يتفقدته حتى..

فقد وجد نفسه يتجه بخطواتٍ متأنية إلى الغرفة الوحيدة الموجودة في هذا المنزل.. غرفة النوم التي لا يختلف أثاثها عن أثاث المنزل في قدمه و تشعته..

كانت شهد تقف أمام المرأة.. تنظر للجريدة في يديها بعينها اللتين لم تتلاشى منهما الصدمة بعد.. صدمة يخالطها توتر شديد و استياء.. لا يزال عقلها يستنكر ما فعله ذلك الصحفي بحق هادي.. كما تستنكر تلك الجريمة المخيفة التي ارتكها أخاه!

لم تكن قد شعرت بدخول هادي أبداً في غمرة شرودها.. إلا حينما انفتح الباب فجأة.. حينها فقط كانت عيناها تتسعان بجزع ثم و في حركة سريعة مرتبكة استطاعت أن تلقي بالجريدة في الدرج أمامها و تغلقه بسرعة..

لحظها السعيد.. هادي لم ينتبه لها.. فما إن توقف هناك يراها تقف أمام المرأة الصغيرة المهترئة الأجزاء..

كان أول ما لفت انتباهه... شعرها!

كانت ترفع شعرها الذي يسلب الصواب من وجدانه لأول مرة في عقدة عشوائية فوق رأسها.. و قد بدت كالعادة.. جميلة!

كيف يمكنها أن تبدو جميلة في كل الأوقات و بجميع الأشكال؟!

جالت عيناه فوق تلك الخصلات الناعمة.. قبل أن ينزلها ببطء بدون أن يقترب متأملاً

ملاحظتها التي تأهبت على نحو مفاجئ ما إن رفعت عينها لتقابل عينيه بشيء من الإرتباك!..

ثاني شيء لمحّه هو تلك الخصلات التي كانت منفلتة من عقدتها الغريبة.. البعض منها يلامس

جانبي وجهها برقة و البعض الآخر حبسته خلف أذنيها عنوة.. تبدو عفوية.. و لذيذة.. كل من يرى

شعرها سيدرك بأنها لم تخطط لرفعه أبداً.. مجرد أن عادت من الجامعة مرهقة فكوبته لكي لا

يزعجها..

ثم ثيابها التي كانت عبارة عن قميص بلون البندق و تنورة سوداء تشبه تنوراتها الكثيرة.. طويلة

كطول باله حينما تحرك ليقترب منها بتأني بتأني.. ينظر في عينها اللتين تضاعف الإرتباك بهما بشيء

من الحذر.. بينما يخفي إحدى يديه خلف ظهره..

إلى أن وقف وراءها تمامًا ينظر لانعكاسها المقابل له في المرأة..و للعجب فهي لم تتحدث..لم تفصح عن تفاجئها من وجوده و لم تنطق اسمه حتى كحروف بديهية تعود لسانها تشكيلها كلما رآته..و الأهم من كل ذلك أنها لم تلاحظ وضعية يده..

و هذا يؤكد له بالجزم أن حبيبته إما أن تكون قد ارتكبت مصيبة صغيرة تحاول أن تخفيها..أو تخفي عنه موضوعًا ما..لكن لا بأس..أي كانت المصيبة أو الموضوع فسينتظرها بضع لحظات لتبوح بنفسها...كعادتها !

لم يقف هناك طويلًا..فقد ارتفع جانب شفتيه مشكلاً ابتسامة مختلفة عما اعتادت.. ابتسامة دافئة سرعان ما رفع يده الحرة بعدها ليحاطط خصرها من الخلف..ثم همس بينما يرتكز بأصابعه الطويلة الخشنة على بطنها الذي بدأ يبرز بشكل ضئيل جدًا ؛
_اممم..أرى بأنك لا تزالين مواكبة على تنفيذ اتفاقنا..جيد جدًا !

كان يتحدث بالطبع عن اتفاقهما السابق بأن تقف أمام المرأة كل ليلة لمدة عشر دقائق متأملًا نفسها حتى يرث طفلها أو طفلتهما جمالها هي ! لا يدرك بأنها كانت قد تناست هذا الأمر في غمرة صدمتها اليوم..و هي التي لا تنسى أي تفصييلة تخصه !
كانت شهد لا تزال تنظر له بعينيها المتسعيتين..و رغم ذلك..فلم تخفى عليه أبدًا الارتجافة الضئيلة التي حلت بجسدها مع اقترابه..و لا اضطراب رموشها بينما تبتلع ريقها محاولة أن تبتلع معه قلقًا لم يفهمه من عينيها..

قبل أن تترك ملامحه لتعاود النظر لانعكاسها البائس و كأن جملة قد ذكرتها باتفاقهما..نظرت لنفسها للحظات فقط قبل أن تعود لتقع عيناها في عينيه..و استكانت قليلًا أمام ابتسامته و هي تزفر نفسًا خافتًا و كأنها تحاول به أن تمنع نفسها من فتح الدرج و سؤاله عن الجريدة..

قبل أن تنجرف عيناها قليلًا إلى حركة يده الحرة..و حينها فقط..كانت ملامحها تتجمد قليلًا..بينما اتسعت ابتسامة هادي ببطء..

و رغم تصميمه الداخلي على عدم التعليق على توترها..إلا أنه عجز تمامًا عن تجاهل الأمر..فهمس بدون أن يفارق عينيها رافضًا أن يريحها بتحرير يده من مخبئها ؛
_عندي لك هدية..لكن أولًا أخبريني ما خطب تلك التعابير البائسة على وجهك ؟

عادت شهد لتبتلع ريقها بقلق أكبر.. لكن حركتها تلك لم تمر هذه المرة بسلاسة.. فقد تجمدت مجددًا حينما انزلقت عينا هادي إلى حنجرتها و كأنه محلل نفسي يحاول أن ير اقب كل حركة ليتأكد من صحة إجابة مريضة لديه !

لولا أنها لا تشبه أولئك المرضى.. بل هي ربما أسوء منهم حينما يتعلق الأمر بضبط النفس و الكذب عليه هو بالذات.. و لا هادي كان يمتلك سمة المحللين النفسيين..
فمال عقله إلى فكرة وحيدة بين كل الأفكار.. فكرة جعلت بعض القلق يقفز إلى ملامحه.. بينما تحركت يده برفق على بطنها إلى أن لمس حافة قميصها البندقي و تسلفت يده من تحته لتلامس بشرة بطنها برقة سائلاً بقلق ؛

هل عانيتِ نوبة ألم جديدة في غيابي ؟!

لم يدِر ما فعلته بها لمستته تلك.. و لا أنامله التي شرعت تمسّد بشرتها برفق.. فقد كان سؤاله بديهياً عادياً جداً.. لكن شهد لم ترد فوراً..

بل ظلت تنظر له للحظاتٍ مستشعرة تلك اللمسات الحارقة على بشرتها.. و كأنه ينشئ تواصلاً سرّياً بينه و بين طفلها فقط.. حديث لا يتعلق بها و لا دخل لها به !

إلى أن هزت رأسها بالنفي ببطءٍ تزامناً مع يدها التي امتدت لتغطي يده من فوق قميصها.. لكن هادي لم يقتنع.. و لم تظهر على ملامحه أيّ بوادر ارتياح أو تصديق..

بل ظل ينتظرها أن تشرح له سبب توترها ذاك بصمتٍ.. حينها لم تجد شهد بداً من أن تتهدّ بتعب.. ثم عادت ترمق يده مردفة بشيء من الفضول ؛

هل... أحضرت لي هدية ؟!

لم تدِر سبب نطقها لهذا السؤال.. هي فقط شعرت بحاجة عينيها للابتسام لعلها حينما تفعل تندثر صدمتها و تهدأ.. قال هادي يرفع أحد حاجبيه بجدية ؛

لن تأخذها إلا بعد أن تخبريني ما خطبك !

جوابه هذا ضاعف من فضولها.. فتلكأت نظراتها على يده للحظاتٍ أخرى.. ثم عادت لتقابل ملامحه هامسة بخفوت ؛

سأخبرك.. أعطني إياها أولاً !

هز هادي رأسه بالنفي ببطءٍ و جدية.. فعادت شهد تهمس برجاء الآن ؛

لأراها فقط رجاء... هادي !!!

نطقت اسمه بنبرة استعطاف تخللت قلبه كالعسل..و لم يستطع أمامها إلا أن يتخلى عن
جدية ملامحه و صرامته..فاستقام قليلاً قبل أن يخرج كلتا يديه من مخبئهما..الأولى من خلف
ظهره..و الثانية من خصرها منهياً حديثه السري مع طفلها..

برقت عينا شهد تلقائياً و هي تنظر إلى باقة الورد التي كانت يده تحتضنها..باقة بيضاء جميلة
جداً جعلت من ملامحها تتحول إلى ملامح طفلة سعيدة بهدية العيد..
و كالعادة..كعادتها الجميلة..الحمقاء..دمعت عيناها قليلاً و هي تمنحه النظرة التي
توقع..نظرة تمزج ما بين دهشة عميقة...و حب كبير !

امتدت يدها لتستلمها منه غير قادرة على كتم انبهارها..قبل أن تسمع صوت هادي يقول برضا
و هو يعود ليلصق ظهرها بشدة ب صدره مطوقاً إياها بين ذراعيه..مستمتعاً و سعيداً بتعايرها تلك ؛
_لقد كنت سأشتري لك الحمراء..لولا أن رجلاً مزعجاً قال جملة ما غيرت موقفي !
كانت شهد لا تزال مطرقة برأسها تنظر للباقة بتأثر حقيقي..إلى أن رفعت عينيها نحو هادي
مع سماع جملته..و حينها لم تستطع أن تمنع نفسها من سؤاله بنفس التآثر ؛
_ماذا كانت الجملة ؟

ضيق هادي عينيه و كأنه يحاول أن يستعيد تلك الجملة التي بدت له طويلة..بينما ظلت هي
تنتظره بصبر و لهفة..إلى أن قال مستذكراً بذات ابتسامته بينما يستند بذقنه إلى قمة رأسها ؛
_الحمراء للتعبير عن الحب و البيضاء للإفصاح عن استعدادنا التام للإيفاء بذلك الحب !
هز رأسه بجذل و هو يضيف بخفوتٍ و كأنه يخاطب نفسه ؛
_أظن بأنها كانت هكذا !

الآن كان دور شهد لأن تضيق عينيها بعدم فهم تام..و قد بدت رغم كل ذكائها المزعوم في
الدراسة غبية الآن..و بالفعل فقد قالت تسأله بترقب ؛
_ما معنى ذلك ؟!

بدا هادي أكثر حكمة منها و هو يجيب بهدوء ؛
_المعنى..الحمراء لمن يود إطلاع حبيبته على مشاعره..و البيضاء لمن يمتلك زوجة لطيفة و
بريئة مثلك !

طرفت شهد بعينيها ببطءٍ و هي تشعر بعدم اقتناع بكل ما قاله..و رغم اختلاج قلبها بالكلمات
التي تلت وصف "زوجته"..إلا أنها عادت تسأله بالحاح ؛

_لكن الجملة لم تكن هكذا..لقد قلت بأن الحمراء للتعبير عن الحب و البيضاء للإفصاح عن

استعدادنا التام للإيفاء بذلك الحُب !

حينها فقط..رأت ابتسامة هادي و هي تتسع أكثر ببطء..ثم قال و هو يتمسكُ بها أكثر و أكثر و

كأنه لا يكتفي من عناقها ؛

_و هل هي غير مفهومة إلى هذا الحد ؟!

امتعتت ملامح شهد تلقائيًا بعد سؤاله..متى ستصبح قادرة على التمييز بين لحظاته الجادة و

تلك اللحظات الأخرى التي يتعمد فيها إحراجها..كهذه اللحظة بالذات!

كان جوابها عبارة عن همسة خفيفة جدًا بينما تخفض رأسها مجددًا ناظرة إلى الباقية

الخلاصة في يديها ؛

_بلى !

هذا الجواب..هو ما جعل ابتسامة هادي تكتسب حنانًا كبيرًا..ثم مال عليها برفق ليطلع قبلة

طويلة فوق فكها..و همس هناك فوق بشرتها..همس بنبرة ساحرة فقط ؟ أكثر من ساحرة !

_المعنى...بأنني لو أهديتك الحمراء فسيكون عليّ أن أرفقها بهمسة جميلة في أذنك..تلك

الهمسة التي قلتها لك من قبل لأكثر من مرة بالفعل..أما البيضاء..فهي لأمنحك صكّ الإطمئنان إذا ما

راودتك يومًا ما فكرة أنني قد أتخلى عنك و أنا أعلم بأنها تراودك في بعض الأحيان خلصة عني..فتأملي

فقط باقية الورد هذه التي تحمل وعدي لك بالأبدية !

كانت شهد مغمضة عينيها و هي تسمع كلماته تلك المرفقة بلحن شفتيه على بشرتها

الناعمة..إلى أن انتهى..و حينها رفع رأسه ليقابل انعكاسها مجددًا في المرأة..

انتظرها للحظاتٍ بصبر أن تفتح عينيها..إلى أن فتحتها بالفعل لتمنحه نظرة مسّت

قلبه..كانت نظرة هادئة ظاهريًا..لكنه فقط استطاع أن يلمح طيف الابتسامة الضعيفة المتأثرة التي

اكتسحت عينيها..

و ظلت صامتة للحظاتٍ و كأنها تقلب كلماته في ذهنها..قبل أن تفتح فمها لتسأله بتلك البراءة

التي يعشق ؛

_هل...تؤمن بال"أبدية" بالفعل !!!

كان ذقنه يرتاح الآن على كتفها..بينما لامس فكها الحاد وجنتها الناعمة و هو يتأملها في

المرأة..و همس بجديّة هادئة ؛

_هل تؤمنين بالحُب ؟!

شيء من الدهشة لامس عيني شهيد..ثم بدون تردد كانت تهز رأسها بقوة و إيجاب هامة
بحرارة ؛

_أؤمن به أكثر من إيماني بوجودي على هذه الأرض !

فأوما هادي ببطء مبقياً على نفس وضعه..ثم قال يمنحها إجابة بسيطة جداً لسؤالها ؛

_من يؤمن بالحُب..يؤمن بالأبدية !

طرفت شهيد برموشها الكثيفة ببطءٍ و هي تسمع جملته المعبرة تلك..جملة ما كانت لتصدق

بأن هادي قائلها لو لم تسمعها منه بنفسها اليوم..

شعرت بسؤال ما يلح في ذهنها لطرحه..فقالت و هي تتمسكُ بيديه المطوقتين لها بكلتا يديها ؛

_هل ستجيني إلى الأبد ؟!

منحها هادي أجمل ابتساماته التي كانت تشتاق إليها في الماضي..و لم يكلف نفسه أكثر من أن

يميل عليها ملامساً النبض الخافق في عنقها بشفتيه..ثم همس بتأكيد و صدق بدون أن يبارح بشرتها ؛

_إلى الأبد !

شعرت شهيد بأنفاسها تفقد رتابتها..فتراجعت قليلاً إلى أن أصبحت تستند إلى كتفه برأسها

مقتربة منه أكثر..

قبل أن تهمس مجدداً و هي تنظر إلى ملامحه الشبه مخفية في عنقها في المرأة.. تشعر بيديه

الملتفتين من حولها تتحركان إلى أن أصبح هو من يحتوي أصابعها النحيلة لا العكس ؛

_ماذا لو...زاد وزني بسبب الحمل !!؟

انحنى حاجبا هادي قليلاً بحنان أكبر..و تلقائياً عادت أنامله لترتاح فوق بطنها مستشعراً

بروزها الضئيل..ثم قال بدون أن يرفع رأسه بنبرة مشبعة بالحنان ؛

_سأحبك أكثر حينها..

كادت أن تتأوه بلا صوتٍ و هي تستشعر دفء أنفاسه المرفقة بقبلات بالكاد يمكن تصنيفها

كقبلات لشدة رقتها..لكن شيئاً ما في داخلها..حزناً عجبياً ينتابها اليوم جعلها تهمس غير مقتنعة

بإجابته ؛

_هل يمكن ؟!

الآن فقط...وجد هادي نفسه يفتح عينيه فجأة..ثم رفع رأسه شاعراً بالغرابة من

أسئلتها..هل تشكك في حبه لها حقاً ؟ أم أنها تظن تلك الحمقاء الصغيرة أن أكثر ما يجذبه إليها هو

شكلها !

ألا تعلم كم تبدو جميلة اليوم في عينيه ؟ كم أنها تزداد في كل يوم و لحظة جمالاً في عينيه ؟!
كم أضافت إليها خطوط الأمومة في ملامحها من جاذبية ! و كم يغريه بريق عينها كلما تحدثت
عن طفلهما و كأنه أجمل شيء حدث لهما في الوجود !

كم يحب اندفاعها النادر أحياناً و كم يعشق برائتها و هدوئها الفطري !
وجد ابتسامته تتداعى قليلاً فقط بعد سؤالها.. قبل أن يهمس مؤكداً بغير تردد أو تفكير ؛
_ لن أتوقف عن حبك ما حييت !

ابتلعت شهيد ريقها ببطء.. و بدت عيناها غير مقتنعتين حتى بعد إجابته هذه.. و بدلاً من أن
ترد على سؤاله الذي لا يحتاج إلى رد.. عادت تطرق برأسها للحظاتٍ أخرى.. إلى أن همست مجدداً بنبرة
خافتة جداً.. بجذل و تردد ؛
_ حسناً.. ماذا لو.....

_ سأحبك إلى الأبد شهيد.. هل تستوعبين ما تعنيه كلمة الأبد !!؟
قاطعها هادي بهذه الجملة الجادة التي خرجت بصوتٍ شبه حاد الآن.. حينها فقط.. كانت ترفع
عينها إلى انعكاسه في المرأة.. و كما توقع منها.. فقد تنهدت بخفوتٍ و هي تصمت تماماً بدون أن ترد على
سؤاله..

بل ما فعلته كان أن رسمت ابتسامة صغيرة جداً لم تساهم في نبذ القلق عن وجهها.. فتهد
هادي هو الآخر.. قبل أن يقول هذه المرة بجدية ؛

_ الآن أخبريني ما سبب كل هذا القلق في ملامحك ؟!
شحبت ملامحها تلقائياً و كأنها كانت قد تناست هذا الأمر الذي عكر صفو يومها منذ
الصباح.. و ترددت لوقتٍ أمام أنظار هادي المترقبة لها..
إلى أن تنهدت أخيراً باستسلام سائلة ؛

_ هل قرأت الجريدة اليوم ؟
ما إن نطقت بسؤالها هذا.. حتى كانت ملامح هادي تتخلى عن كل انعقادها و تشنجهما
عفوياً.. بينما ظهرت في عينيه نظرة ارتياح لم تفهمها شهيد التي ظلت تنتظر جوابه.. إلى أن قال بحذر ؛
_ نعم !

الآن انتقل كل الإستغراب إلى عينها.. و فغرت فمها محدقة به بغباء للحظاتٍ.. لكن هادي ظل
هادئاً ثابتاً إلى أن قالت بعدم فهم ؛
_ و... لا تزال هادئاً ؟!!

ثم عادت تردف متدراكة فوراً ؛

_أقصد...هل قرأتها بالكامل؟! كل الصفحات..كل الأخبار!!!

كرّر هادي محتفظاً بنفس الهدوء و الثبات في نبرته و ملامحه ؛

_نعم !

فتضاعف الإستغراب في ملامحها إلى أن تحول إلى ذهول..و تركت يده في لحظة خاطفة لتفتح الدرج و تخرج الجريدة البائسة..قبل أن تلتفت إليه القدر الذي سمحت به ذراعاها اللتان ترفضان تحريرها..

و حينها قالت بغباء أكبر و انعدام تركيز و هي تفتحها على الصفحة الرئيسية التي تضم فضيحة عائلته ؛

_قرأت كل هذه الأخبار و لا تزال هادئاً؟؟؟

كانت لا تزال فاعرة فمها تنظر له بغير تصديق..بينما تراجع هادي قليلاً و عقله يتساءل..هل الأمر يستدعي كل هذه الدهشة منها؟؟

_هل كنت تتوقعين مني أن أفقد أعصابي لأجل أخبار تافهة كهذه بعد كل ما كان؟! حقاً يا شهد!!!

قال بنبرة ثابتة تحتوي الاستنكار فقط لا الإنفعال..بينما فغرت شهد فمها أكثر و هي تنقل عينها بين عينيه و كأنها لا تصدق أن يكون كل قلقها ذاك في غير محله..
قالت و هي ترمق الصحيفة حيث الخبر الذي يحمل صورة أخاه بنظرة خاطفة عادت بعدها لتمنحه عينها ؛

_كلا..لكن الخبر الذي يخصّ أخاك.....

_لا يهمني !!

قاطعها هادي مجدداً بجدية أقرب إلى الصرامة..فعادت تقول بغير تصديق ؛

_ذلك الصحفي.....

و للمرة الثالثة كان هادي يقاطعها بأصبعه الذي امتد تلك المرة يغلق فمها تزامناً مع صوته الذي خرج جاداً واضحاً ؛

_لم يتجرء على كتابة اسمك في مقاله و لو سهواً !!

ترك فمها ببطء بعدها لا لشيءٍ إلا ليطوق وجنتها مبعداً خصلة سوداء ناعمة إلى شريكاتها خلف أذنها..بينما ظلت شهد متسمرة للحظاتٍ أخرى غير قادرة على الفهم..

إلى أن أنزلت الجريدة فجأة هامسة بغير قدرة على الفهم و هي ترى كل الهدوء المتلقف لملامحه ؛

_أنت تبدو مختلفًا جدًا اليوم !!

ابتسامة بطيئة شفت شفاه هادي بدون أن تكتمل..و قال بخفوتٍ و اهتمام ؛

_كيف ؟!!

همست شهد بنفس نبرتها..تحاول بكل ما تمتلكه من طاقة أن تتجاهل تأثير أنامله الدافئة

المتجولة فوق ملامحها على قلبها ؛

_تبدو...سعيدًا !!

لقد كان يبدو سعيدًا بالفعل..سعيدًا بطريقة جعلتها تتساءل ما إن كان هذا الشخص الذي

يقف أمامها الآن يتأملها ببريق في عينيه هو نفسه الذي بكى بانهييار في حضنها قبل يومين..

لولا أنها شهدت كل ذلك بنفسها لما استطاع عقلها إطلاقًا أن يربط الموقفين بشخصٍ

واحد...بهادي !

جاءها الجواب في منتهى الهدوء منه..في منتهى الرضا و منتهى الحب ؛

_و لماذا لن أكون سعيدًا ؟ أليست كل أحلامي تقف أمامي الآن ؟!!

الآن فقط تدبّل كلمة دهشة أمام التعابير البلهاء التي احتلت وجهها..بينما كوّن لسانها كلمة

واحدة قصيرة جدًا..و غبية جدًا!

_أنا ؟!!

حسنًا حسنًا حسنًا..أليس عليه أن يكون قد تعود بحلول الآن على ردود فعلها الغبية كلما

منحها كلمة مدح أو حُب !

همس لها مبتسمًا و هو يداعب وجنتها بيده ؛

_لا...صورتك البائسة في المرأة !

طرفت شهد بعينها بغباء كبير..لكن ما جعل ابتسامته تتسع بشكل ملحوظ..هو حركتها

التالية..فقد استدارت قليلًا فقط لترمق صورتها في المرأة و كأنها تحاول أن تتأكد من كلمة "البائسة"

تحديدًا..

و الحقيقة أنها بدت بائسة جدًا جدًا..هل كان عليها أن ترفع شعرها بهذا الشكل ؟ لماذا لم

تنتبه إلى شكلها المهمل إلا الآن ؟!

منذ متى كانت تنتبه أو تهتم بشكلها أساسًا !! يا للسخافة !!

عقدت حاجبها ببؤس حقيقي و هي تنظر لنفسها بإحباط..و تناست لوهلة تواجد هادي من حولها..إلى أن سمعت صوته يقول بنبرة غير بريئة تمامًا ؛

_كيف خطرت في بالكِ فكرة هذه التسريحة الجديدة ؟!!

نظرت له شهد عابسة بشكل طفيف و هي تسمع سؤاله الساخر..قبل أن تهمس بخفوتٍ و ذلك البؤس في ملامحها يتضاعف و يتضاعف ؛

_ليست تسريحة !

لم يجادلها هادي في ردّها هذا..قال و هو يتلذذ في تأمل كل إنشٍ من ملامحها الناعمة الجميلة ؛

_ليست تسريحة ؟ كيف سأمدح شكلكِ الجميل بها إذن ؟!!

كان صوته جادًا تمامًا..و عجزت هي عن إجابته و هي تنظر له باستنكار فاق الإستنكار..إلى أن أضاف بنبرة مميزة و هو يترك وجهها ليطوق خصرها مقربًا إياها منه أكثر..لأول مرة ترى جانبًا طفوليًا منه بهذا الشكل !

_قبل أن تمنحيني هذه النظرة الغريبة أكثر سأخبركِ بأحدث قرار اتخذته..

حاولت شهد بكل ما تملكُ أن ترسم ابتسامة مشابهة لخاصته..لكنها عجزت لوهلة فقالت بخفوتٍ ؛

_م...ما هو ؟!!

لم تتوقع جوابه التالي أبدًا..إلا حينما انخفض قليلاً ليرفعها من خصرها إلى أن أصبح وجهها موازيًا لوجهه..و حينها همس لها عن قرب بنبرته الساحرة..متجاهلاً التفاجئ اللحظي الذي اكتسح عينيها ؛

_أنني سأتوقف عن الإهتمام بالأشياء السخيفة على حساب ما يستحق كل اهتمامي !

تلقائيًا كان التفاجئ يتحول إلى نظرة عنوانها الحب..ثم حرّرت الجريدة من يدها بإهمال لا

لشيءٍ إلا لترفع يديها الإثنتين مطوقة وجهه القريب منها برفق..

و همست و هي تلامس جبهته بخاصتها..تصنع شبح ابتسامة حقيقية الآن على ملامحها..تتأمل

سعادته الحديثة هذه بقلب يخفق بهجة لأجله !

_ك..... ؟

كانت تعلم الجواب حتى قبل أن تسمعه بنبرته..حينما قال بصوتٍ أجش يشاركها ابتسامتها

الهادئة بدون أن يغمض عينيه ؛

_ك-أنت- مثلاً !

اتسعت ابتسامه شهد أكثر..و لم تستطع بعد إجابته تلك إلا أن تقترب منه أكثر حيث طوقت عنقه الذي أصبح في مستواها الآن تضمه بذراعيها النحيلتين بقوة..ثم همست بنبرة تشبه نبرته في صدقها و مشاعرها ؛

_أي كان السبب وراء مزاجك هذا...فأنا ممتنة له من كل قلبي !

كانت تضمه بقوة كبيرة..حتى أنه عجز لوهلة عن تحريك رأسه المقيد بذراعيها.. لكنه لم يعترض رغم ذلك و لم يعلق..

بل كل ما فعله أن بادلها الحزن بقوة فاقت قوتها بأضعاف مضاعفة..

قبل أن يهمس و هو يغرق أنفاسه في تجويف عنقها ؛

_ماذا لو كان أنتِ ؟!

حينها همست له شهد مطبقة عينها بنبرة حنونة جداً..دافئة كل الدفء..تشعر بقدميها اللتين

تطيران في الهواء بعد أن فارقتا الأرض منذ لحظات لكنها فقط...لا تهتم !

_ليتي أكون دائماً سبباً في سعادتك !

لم يجيبها هادي..فقد اكتفى بأن احتضنها بقوة أكبر للحظات أخرى..إلى أن سمعها تقول

شاهقة فجأة بنبرة من تذكر شيئاً مهماً جداً ؛

_لقد وعدتك أن أعلمك بعض الأطباق اليوم !

امتنعت ملامح هادي و هو يفتح عينيه على نظرة متبلدة..ما مفهوم الرومانسية لدى زوجته

حقاً ؟!!

همس لها بنفس النبرة الخافتة و هو ينزلها أخيراً برفق إلى أن وقفت على قدميها ؛

_لاحقاً يا شهدي..

ثم أضاف فوراً ببطء و هو يعود ليحتوي وجنتها بيده ؛

_لقد أحضرت لك هدية أخرى..

برقت عيناها بشكل جعل من فواده الخافق يرتجف قليلاً..و قبل أن تتمكن من سؤاله عن

مكانها أو ماهيتها..همس بخفوت ؛

_حسناً..بوصف أدق فهي ليست هدية لك فقط..بل شيء ثمين تم منحي إياه اليوم !

لوهلة نظرت شهد حولها بلهفة و كأنها تبحث عن هديتها المنشودة..لكنها لم تجد شيئاً كما هو

متوقع فهمست سائلة بترقب و هي تشعر بحماس كبير يكتسح قلبها ؛

_أين هي ؟!

ظل هادي صامتاً للحظاتٍ بدون سبب..قبل أن تمتد يده إلى شعرها لتفكّ تلك العقدة عنه
بتأني..إلى أن انسدل بنعومة سلبت صواب أنامله التي تخللته ترتبه حول وجهها مرسله ذبذبات من
الرجفة إلى فؤادها..

أغمضت عينها بسلام مستسلمة للدفع الذي تنشره نظراته و أنامله في أوردتها.. لكنها

سرعان ما سمعت صوته الحنون يهمس بعد ثوانٍ مجيباً سؤالها أخيراً ؛

_في السيارة..لم أحب أن أحضرها معي إلى هنا لكي لا ننساها ونحن عاندين..

لم تستطع أن تفتح عينها للحظاتٍ أخرى..و لم يبدو هادي وكأنه ينتظر جوابها..فقد جذبها

فجأة إلى حضنه بقوة..ثم قال بصوتٍ شديد الخفوت وهو يتجول بشفتيه بين خصلات

شعرها..يستنشق عطرها بعمق مقبلاً كل خصلة تلامس فمه و لو بالصدفة ؛

_أحب رائحة شعركِ جداً !

أطبقت شهاد عينها أكثر و هي تحتضنه بقوة..تشعر بأصابعه التي أخذت تمسد فروة شعرها

بلهفة..بينما أضاف صوته الأجلش بحرارة ؛

_حينما أتخلله بأصابعي..تخامرني أمنية شديدة حمقاء..بأن يكون ما في بطنكِ أنثى صغيرة

ترث نفس توهجه و بريقه و لونه..قطعة منك أتأملها في كل حين و كأنني أراكِ أنتِ..و كأنني أرى شهدي

الصغيرة التي حرموني حبها!

شعرت شهيد بالدموع تحتل عينها بدون سبب و هي تستشعر كل تلك الحرارة في صوته..و

ظنت بأنه انتهى..لكنه عاد يسترسل بحرارة أكبر..و بصوتٍ شرع في الإختناق تأثراً ؛

_لدي الكثير من الخطط و الأحلام لأجل أطفالنا شهيد..أولها أن أمنحهم كل ما حرمننا منه أنا و

أنتِ!..لو كان ما في بطنكِ طفلة..فلن أسمح لها على الإطلاق بأن تعتكف الدموع وحيدة فوق درجة

سلم صغيرة..لن تقع ابنتي في حيرة بين نار الزواج ممّن تخلى عنها و هي مجرد طفلة و بين أن تصفى في

الشارع بلا مأوى..سأكون أنا المأوى بالنسبة لها!.. سأؤمن لها كل ما تحتاج و تحب..و سأقتل كل

شخصٍ تخول له نفسه أذيها و لو بكلمة..لن تعاني طفلتنا نفس ما عانيتك شهدي..كل تلك النيران

التي اشتعلت في قلبي سابقاً و أنا أتخلى عنك مرغماً للقدر ستخدم عن طريقها..

كل تلك الدموع التي كانت تحتل عينها فقط بدون أن تسقط قبل لحظات..انسابت ببطءٍ

الآن لتلهب وجنتها..و لم تشعر بأناملها و هي تنغرس في قماش قميصه الرمادي بقوة شديدة..

لا تدركُ بأن نفس الدموع هي ما لامست عيني هادي..لكن الفرق بينهما كان أنه نجح بكبح

سقوطها بينما يستأنف همسه في أذنها ؛

_و إذا كان طفلاً..فلن أقبل بأقل من أن أكون صاحبه و رفيقه الأزلي و الأفضل.. سأعلمه

الكثير...لكن أول درس سيكون عن كيف يجب..و كيف يحافظ على ذلك الحب و لا يتخلى عنه تحت

أي ظرفٍ كان !

صمت للحظة واحدة..ثم قال بصوتٍ أشد اختناقاً و هو يحتضنها أكثر و أكثر و كأنه يتمنى أن

يغرسها وردة تضيف إلى حديقة قلبه الحياة ؛

_أساسًا لن يضطر للتخلي عن أي شيء..كل ما يتمناه سيكون في متناوله قبل أن يطلبه حتى !

طبع قبلة بالغة المعنى فوق موضع النبض في عنقها..قبلة جعلت قلبها يترنح أكثر.. و عينيها

تذرفان الدموع أكثر بسخاء..

بينما اشتد ضغط يديها من حوله و هي تتساءل عن كل تناقضاته اليوم..لقد أرغمها على

الابتسام سعادة قبل قليل..و الآن يجعلها تبكي الماء و نشوة !

ابتعد هادي أخيرًا..و حينها فقط كانت تفتح عينيها لتتنظر إلى وجهه القريب منها.. إلى أن همس

لعينيها الدامعتين بشدة بينما يطوق وجهها بيديه..كل ما فيه يرتعش لمجرد تخيل حياة تجمعهما

برفقة أطفالهما ؛

_كل ما لم نستطع تحقيقه في طفولتنا سنحققه عبر أطفالنا شهد..سيظفر أطفالنا بكل

السعادة و الحب و الأمان الذين نشدناهم طوال حياتنا..هل تستوعبين ما أقول حبيبي !

أومأت له شهد لعدة مراتٍ مشاركة إياه حرارة التخييل تلك..قبل أن تغمض عينيها بقوة حينما

اقترب منها ليطبع شفثيه على جبينها بحنان..

و ساد صمت طويل لم يقطعه أحدهما حتى بعد أن فصل تلك القبلة..فقد اكتفت شهد بأن

استندت إلى ذقنه بجبينها..بدون أن تبارح أناملها المطوقة لجذعه القوي احتضان قماش قميصه..

إلى أن همست بعد وقت..تحاول أن تسحب الثبات إلى صوتها ؛

_هل...سنعود إلى المنزل !!؟

كانت نبرتها حزينة بعض الشيء..لمح فيها هادي شيئاً من الإحباط..فهمس باهتمام بدون أن

يترك وجهها أو يجبرها على تغيير وضعيتها ؛

_هل تريدان أن نمضي الليلة هنا ؟!

لم ترد شهد.. ظلت هادئة على نفس وضعها.. عيناها اللتان تلاشت منهما الدموع أخيرًا تنظران
بتركيز لا يزال مفقودًا إلى اللا شيء.. و جبينها لا يزال يلامس ذقنه.. قربة منه لدرجة تخول لها الشعور
بأنفاسه و سماعها..

رمق هادي السرير المهترء القديم بنظرة خاطفة.. قبل أن يردف بخفوتٍ ؛

_هل كنتِ تنامين هنا خلال فترة فراقتنا ؟!!

كانت يدها ترتاح على صدره الآن.. تتحسس بأناملها موضع قلبه كما تحب أن تفعل

دائمًا.. حينما هزت رأسها فوق ذقنه هامسة بصدق ؛

_لم أنم هناك يومًا!

عقد هادي حاجبيه بعدم فهم و هو ينتظرها أن تستأنف كلامها.. لكنها لم تفعل.. فشدد من

تمسكه بوجهها برفق إلى أن جعلها تنظر له بعينها المرهقتين.. و همس ؛

_لماذا ؟!

رفعت شهد يدها الحرة لتغطي إحدى يديه المطوقتين لوجهها.. ثم همست بنبرة خالطها الحزن

و هي تميل قليلًا برأسها و كأنها تحاول أن تهمل القدر الذي تحتاج من دفء لمساته على وجهها ؛

_لم أستطع تحمل فكرة أن أستلقي في سرير لست فيه !

ارتجافة شبه ملحوظة غزت عيني هادي بسماع إجابتها.. لكنه رغم ذلك همس يسألها مجددًا

بتماسكٍ ؛

_و الآن ؟!

حينها ابتسمت.. ابتسمت ابتسامة صغيرة جدًا.. ردت بعدها بنفس الصدق و هي تنظر في

أعماق عينيه بعاطفة خالصة ؛

_الآن... لا أمانع أن يكون فراشي مصطبة من الحديد ما دمت أنت معي !

لم يشعر هادي بابتسامته التي بدأت تتسع ببطء.. و التزم الصمت لعدة ثوان لم ينفك فيها

عن تأمل كل إنشٍ في تلك الملامح التي يعشق..

إلى أن قال بنبرة مداعبة و هو يترك يده رهينة يدها ؛

_ما رأيك أننا لن ننام إلا عليه هذه الليلة !

ابتسامة مرهقة شقت شفاهها و هي تتأمله من مكانها بغير تحفظ.. إنها تلك اللحظات التي

تسمح لنفسها بأن تتأمله مستوعبة بأن كل تلك الملامح هي ملكها.. و بأن هذا حقها الطبيعي عليه.. كما

يمتلك هو كل الحقوق عليها!

ارتفعت عينيها ببطءٍ لتستقران فوق مكانها المفضل..ثم همست بعد لحظاتٍ بنبرة تشبه

ابتسامتها ؛

_أظن بأنه قد آن أوان تقبيله !

لوهلة بدا هادي مندهشاً بشدة..و قد ظهر انطباعه هذا على صوته حينما قال يرفع حاجبيه

معاً ؛

_ماذا قلتِ ؟!!

ظن بأنها ستراجع..أو ربما قد تتوهج وجنتيها خجلاً و تتظاهر بأنها لم تقل شيئاً.. لكنها

ضاعفت من دهشته بجوابها..همست بنفس النبرة بدون أن تغير وضعيتها أو تترك يده المحاوطة

بوجنتها ؛

_أليس من حقي أن...أقبله ؟!

كان صوتها متردداً قليلاً..لكن هادي رغم ذلك وجد نفسه يتجمد ناظرًا لها بحذر أقرب إلى

الصدمة..هل عليه أن يبدأ بالخوف من كم التقلبات التي أصبحت تطرأ عليها منذ أن أصبحت حامل

؟ أم يؤول الأمر كما يجب إلى الهرمونات الحمقاء !

همس لها تلقائياً كشخصٍ فقد إرادته ؛

_بلى..بالطبع يحق لك !

و مجدداً..لم يتوقع ردة فعلها التالية..فقد رمشت بعينيها الجميلتين ببعض التردد..قبل أن

تترك يده لا شيءٍ إلا لترفع على أطراف أصابع قدميها إلى أن تعلقت بعنقه..و اضطر هو لأن ينخفض

قليلاً لأجلها..

إلى أن منحته القبلة الأجمل هناك..فوق الأثر الذي تعشق فوق حاجبه..و هذه المرة..كان هو

من يغمض عينيهِ بشدة شاعراً بخفقات قلبه تترنح..قبل أن يطوق خصرها بذراعيه ليقربها منه أكثر..

إلى أن انتهت لكنها رغم ذلك لم تبتعد..فقد ظلت تسجنه في عناقها الجميل متمسكة به بقوة

للحظاتٍ أخرى..إلى أن همست في أذنه ما جعل القلوب تتألق في عينيهِ من المجهول..همست بصوتٍ

خافت جداً و كأنها تبوح بسرٍ خطيرٍ لأقرب شخصٍ إليها ؛

_و أنا أيضاً أحب شعرك بشدة !

لم يستوعب حتى اللحظة بأن أناملها كانت تلامس شعره طيلة مدة تقبيلها لجرحه..و لا تزال

تتخلله حتى الآن تلك الماكرة الصغيرة..متى أصبحت منحرفة إلى هذا الحد ؟ أم أنها بدأت تتعلم منه

فنون إذابة قلبه الذي ما خفق يوماً إلا لأجلها !

ابتسامة مذهولة افترت عنها ملامحه و هو يضمها أكثر يكاد أن يرفعها مجددًا عن الأرض
ليخول لها التمسك به كيفما تشاء..ثم فتح فمه يريد أن يهمس بتأثر..ليسألها فقط أن لا تندم بعد
لحظاتٍ على تلك الجرأة الحديثة..

على الأرجح لو كانت تصرفاتها هذه ناتجة عن تأثير هرموناتها فسيتداعى ذلك التأثير بعد
لحظات..

أما لو كانت واعية بكل ما تفعله..فهذا شأن آخر...ذلك شأن يرضيه جدًا !
لكن صوت رنة قصيرة بهاتفه منعه من التعليق..فدس يديه في جيبه بدون أن يترك
عناقها..ثم رفع الهاتف إلى عينيه يقرأ تلك الرسالة التي وصلته للتو باهتمام..
" لقد قررنا أنا و سجي أن نمضي الليلة في منزلكما..هل أنتما هناك ؟ "
كانت رسالة مختصرة من لؤي..رسالة جعلته يتنهد بقله حيلة..
و ما إن ابتعدت شهد قليلًا تنظر بينه و بين الهاتف باستفسار..همس لها يزم فمه
باستسلام..متنازلًا على مضضٍ عن كل خطئه الساحرة لهذه الليلة !
_أظن بأننا سنضطر لتغيير خطتنا لهذه الليلة !

"50 :لفحة من الحياة"

#الكاتبة

ذات مرة..سمعت مقولة مختصرة تقول بأن "الوقت كفيل بالنسيان"..لكنها لم تعد تؤمن
بعد بهوية النسيان..

الحقيقة بأن الإنسان بشكل عام عاجز تمامًا أمام مصطلح النسيان !
لا أحد منا قادر على النسيان..لا أحد منا يمتلك القوة للتغاضي عن لحظات عميقة غيرت
حياتنا بل و شكلت حياتنا من جديد..لكنها حتمًا غدت تؤمن بشيء اسمه "التجاوز" !
على عكس النسيان فجميعنا قادرين على التجاوز فقط لو أردنا..لو وجدنا شخصًا واحدًا
يتمسك بأناملنا المرتخية ليمنحها المحفز الصحيح..
ولما لا يكون هذا الشخص هو نحن بـ-أنفسنا-!!؟
لا تزال تتذكر جيدًا تلك الجملة التي همستها بألم تلك الليلة للوئي..
" أنا بحاجة ماسة للمساعدة ! "

تتذكر ردة فعله أيضًا..موقفه من استسلامها..من طلبها المشفر بين الكلمات..
لم يكن احتياجها يقتصر على كرسي مائل ترقد عليه بينما تسرد كل مآسي حياتها لامرأة
تجلس خلف مكتب أنيق في مقابلها..تنظر لها بتمعن شديد بينما تستمع لها و كأنها ما وجدت في هذه
الحياة إلا للإنصات لأشخاصٍ مثلها..
بل كان احتياجها مرتبطًا به هو قبل كل شيء..طبيبها النفسي الأول..و الأفضل.. أكثر شخصٍ
في العالم قادر على الإنصات لها بغير تحفظ أو استياء..و أكثر شخصٍ تريد أن تنظر في حدقتيه و
تبتسم بدموع..تسرد له كل ما يعترها بسلاسة..
أكثر شخصٍ تتمنى أن تطبق عينها كل ليلة بسكون تام بينما تستلقي على صدره.. آمنة
مرتاحة !

لولا أنها هي بالذات..باتت عاجزة بعد عن إيلاها بألمها..و عن اعتكاف دور المرأة العاجزة غير
القادرة..بل غير المهيئة حتى للعيش بعد..و التي توقفت حياتها عند حادثة واحدة أقرت بعدها بغير
وجه حق بأن روحها قد ماتت..و الحقيقة أنها لم تمت !

لقد وعدتها ذات مرة بأن لا يسمح لعينيها أن تذرفان شيئاً غير دموع الفرح..و هي وعدت

نفسها أن لا تسمح لقلبه بعد بأن يعانق الحزن و الوجد لأجلها!

لهذا كان الخيار الأمثل أن تستعين بالمرأة صاحبة المكتب الأنيق و النظرات التي تجعلها راغبة في السرد أكثر و أكثر..لتستعين بشخص غريب عنها لا يهتمها ألمه..كما يمتلك القدرة على دفن كلماتها خلف تلك الجدران الهادئة و العيش بمثالية كأنها مجرد عابرة سبيل..حالة من الحالات التي يتلقاها و ينصت لها كل يوم !

اليوم...كانت أول زيارة لها للطبيبة..المرة الأولى التي ستجلس أمام غيره لتبوح لغيره بمكنونات روحها..و تعلم بأن عقلها لن يتوقف عن التفكير به طيلة مدة حديثها..لأنها منه تستمد الأمل..و منه تستمد القوة على البوح و التداوي..

لأن وجودها أصبح منعماً بدونه..و لأنها لولاه لما استطاعت الوقوف على قدميها أبداً..فماذا عن السير بقدميها نحو الغرفة البيضاء التي تتمنى أن تكون آخر عهدها مع الماضي الأليم ؟! لتلقي كل أوجاعها خلف جدرانها الراقية و تخرج إنسانة أخرى تحب الحياة..مع العلم بأن الحياة بالنسبة لها هي شخص واحد...لؤي !

حينما توقفت السيارة أمام المشفى..بعد طريق ليس بالطويل..وجدت نفسها تلتفت إليه تلقائياً لتمنحه تلك النظرة التي لم تعد تفارق عينيها نحوه..نظرة تختلط بداخلها كل مشاعر...الحُب! مهما اختلف التعبير في عينيها حسب الموقف الذي يعيشانه ! نظرت له باحتياج لا تردّد..فمنحها ابتسامة مشجعة جعلت قلبها يرتجف من فرط الأمل الذي تحتويه عيناه لأجلها..و حينما فتحت السيارة لتنزل..وجدت يده تمتد إليها و كأنه يحقق تلك الفكرة التي طرأت في ذهنها..

يجب على الإنسان أن يساند نفسه بـنفسه-..و هو عندها و نفسها سواء ! لهذا لم تتردّد أبداً من أن ترفع يدها تمسك بيده بقوة و كأنها تتمسك بنفسها بالفعل.. إلى أن وقفت أمامه تنظر إلى انعكاس نفسها في عينيهِ..مستعدة هي لأن تبوح للعالم بما يخالجهـا..لأنها تدرك بأن كل هذا العالم الذي ميزته الأساسية التوحش..

غير قادر على أذيتها بينما هو معها!

كانت يدها لا تزال قابضة بين يده..و شعرت بأنامله تتحرك عليها برفق ليشدّد من إمساكه بها أكثر..جعلتها تنصهر داخلياً تلك الحركة..كل ما فيه يجعلها تود الإنصهار على صدره..تتمنى لو

تستطيع أن تقتحم حدود النظرة الدافئة في عينيه لتعيش هناك..لتغدو حدقتاه منفاها و مقرها و
مستقرها الوحيد !

قالت بعد لحظاتٍ من تأمله..أناملها تتحركُ بهدوء لا لسببٍ إلّا للتمسكِ به أكثر ؛

_يمكنك أن تذهب للتنزه و تعود لاحقاً لأجلي..

جوابه كان متوقعاً نوعاً ما..فقد رفع يده الأخرى ليلامس وجنتها بحنو..و همس يرسم شبح

ابتسامة حفزت رغبته أكثر للمكوث هناك إلى الأبد..في جوف عينيه !

_لن أذهب لأيّ مكان..سأنتظرك!

كان أول رد طراً في ذهنها هو المو افقة..ما الذي تحتاج إليه أكثر من فكرة بأنه يقف على بعد

مجرد أمتار منها ليصاحب قلبها كل الإطمئنان بينما تجلس في الداخل !

لكنها و بحزم قوي..طمست حاجتها تلك..و همست تحاول أن تخفّف عنه حمل القلق الزائد

ذاك عليها ؛

_ستنتظر طويلاً..إنها الحصّة الأولى و لا أعلم كم سيستغرق وقتها..

كانت نبرتها غير مقنعة بتاتاً..وكعاداته هو لا يقرأ الأجوبة إلّا من عينها مباشرة..فهمس بينما

يغرق بحدقتيه في قعر لونهما الزيتوني..و الذي يلمع منذ أيام لأسباب يعرفها و لا يعرفها..

منذ تلك الليلة التي نامت فيها لأول مرة بين أحضانها..ليقرّراً بعدها قضاء بعض الأيام في منزل

أخيه..و هي تبدو هادئة و مرتاحة على نحو مفرح..و هذا أمر مبرّر في الحقيقة بالتفكير بكل السكينة

و الدفء الذي يعم أرجاء منزل أخيه و زوجته..

على ذكر زوجته..لقد أصبحت هذه الأخيرة لا تفارق سجي إلّا نادراً طوال فترة مكوثهما

هناك..صحيح أن علاقتهما لا تزال هادئة يشوبها بعض التحفظ الطبيعي بالنسبة لشخصية شهد و

ما تطورت إليه شخصية حبيبته..

لكنها من وجهة نظره...

كانت شهد..بتفهمها و طيبتها و هدوءها الفطري..سبباً وحيماً يفسّر استماتة سجي هذه الفترة

للبقاء معهما تحت سقف واحد..

لقد كانت لديمها عادة غريبة..على مدى عدة أيام..و في كل صباح جديد كان يقف ير اقيهما

من خلف نافذة غرفته و أحياناً من وراء الجدار الزجاجي الذي يفصل الحديقة عن المنزل..بينما كل

واحدة منهما تحمل إبريقاً في يدها لسقي الورود..

حسناً..لقد كانت تلك عادة شهد التي بدأت تعلمها لسجي !

حتى في اللحظات التي تضطر فيها شهد للذهاب إلى الجامعة..كان ذلك الحوض هو مكانها
المفضل..يراها تجلس هناك تتأمل الأفق أو تمرر يديها بين الأزهار بشرود..
و في أحيان قليلة إذا أنصفه الحظ..يرى شبح ابتسامة يستوطن ملامحها المهيبة..فتشع عيناه
ببريق من اللهفة و هو يمنع نفسه بالقوة من الاقتراب منها و اكتساح مساحتها الخاصة !
يبدو أن هذا هو مصيره معها..أن ير اقيها من الورا بينما تختار في كل حديقة مقعدًا عزيزًا
للتخذه مقعدها!

لم يكن يدرك بأنه و على بعد مسافة أمتار..كان هناك شخص آخر مثله..يشاركه نفس البريق
و اللمعة في عينيه بينما ير اقب حبيبته من خلف الزجاج في كل صباح و قبل انشغال كل منهم
بمعضلاته !

_و لو استغرقت اليوم بأكمله..لن أبارح مكاني حتى تخرجين و آخذكِ معي..
همس تلك الجملة بنبرته التي تحتوي كل الحُب الموجود في هذا العالم..و لم تستطع أمامها أن
تعترض..أساسًا ذلك كان مبتغاها..لهذا فقط..همست بطاعة بينما ترفع يدها الحرة لتغطي يده ؛
_حسنًا..

شعرت من نظرات عينيه و كأنه غير راغب على الإطلاق في تركها..و لا هي بدت كأنها تريد
ذلك..لكنها و بحزم..

بنفس ذلك الحزم الخائر الذي طلبت منه به منذ قليل أن يذهب للتزده ريثما تنتهي حصتها
الأولى..تمسكت بيده أكثر لتنزله عن وجهها ببطءٍ لكن بدون أن تحررها..و قالت بخفوت ؛
_سأذهب الآن..

أومأ لها لؤي يحاول ارتياد نفس الحزم..يمنحها ابتسامته الجميلة التي اعتادت رؤيتها منه في
كل موقف مشابه..

تلك الابتسامة..هي ما جعلتها تتأخر لحظة أخرى في الابتعاد..
قبل أن تتراجع خطوة وحيدة بدون أن تترك عينيه أو يديه..لا تعلم بعد ما سبب كل هذا
الشوق الذي يكتنف قلبها و كأنها ستغادره لألف سنة..لا تعلم ما المستجد في مشاعرها نحوه..لكنها
فقط..غدت عاجزة كليًا عن الابتعاد عنه و لو لدقائق..

استطاعت أن تترك يديه أخيرًا ببطءٍ لتستدير هامة بالتوجه نحو الباب الكبير..تستبدل
أنامله بحزام حقيبتها الجلدية البيضاء الأنيقة..و التي ترتاح فوق كتفها ملامسة وشاحها الحريري
الذي يشاركها نفس اللون..

كان اللون الأبيض يطغى على ملابسها اليوم..ترتدي بنطالاً أبيضاً و معطفًا أبيضاً..الشيء الوحيد المختلف كان قميصها القطني الأسود الظاهر من تحت المعطف المفتوح..ثم حذاءها ذو الكعب القصير..

و مع ذلك...فقد كانت تبدو كتلك الحمامة الطليقة التي دائماً ما شجيت نفسها بها..و التي تم ترميم جناحيها الكسيرين حديثاً..و ها هي ذي تباشر بمحاولتها الأولى للطيران !
_سجى !

ذلك النداء الذي خرج خافتاً بصوته الأجلش..هو ما دفعها لتتوقف في منتصف الطريق..قبل أن تلتفت نحوه لتتنظر له من مكانها بتساؤل..

لكنه لم يرد بكلمة..بل كانت إجابته عبارة عن...نظرة !
لقد رمق ملامحها كلها بنظرة شاملة إلى أن استقرت عيناه على غمازتها الحبيبة لعدة لحظات و كأنه يستأذنها في شيء ما..و هي فهمت المغزى..و استوعبت سؤاله الذي لم يُنطق..
و كانت النتيجة أن ارتجفت رموشها و شفتيها على شيء يشبه ابتسامة حزينة..ثم همست بنبرة غير عادية أبداً..قالت الكلمة الوحيدة التي يود سماعها..
رغمًا عنها..تجِب ذلك العجز الذي يجعله غير قادر على الصمود أمامها في كل مرة..كما تجِب الطريقة التي يحاول كبح نفسه من خلالها عن اختراق حدوده التي لم تحدّها له..بل رسمها بنفسه و حدّها..و احترامها!

_ "يمكنك" !!

شعرت بخفقات قلبها ترتعش بشدة حينما وجدته يقترب منها بسرعة و كأن تلك الكلمة فقط هي كل ما كان يحتاج..و بدون سابق إنذار كان يجذبها إليه مطوقاً إياها بين ذراعيه بقوة غير طبيعية تسمرت لها للحظة..

قبل أن تطبق عينها بشدة و هي ترفع ذراعيها لتبادلها هذا العناق تلقائياً..شاكراً لهذه المبادرة التي كانت تحتاج إليها بشدة !

لم تدِر سبباً لذلك العناق..و لا سبباً لتسارع أنفاسه التي شعرت بها تلفحها بينما يغرق لؤي ملامحه كيديه في خصلات شعرها..

هي فقط...وجدت نفسها تغمض عينيها أكثر..تريد أن تهمل من هذا الحُضن الثمين لوقتٍ أطول..خاصة و هذا الشارع الذي يقفان في منتصفه فارغ تماماً إلا منهما..

لكنها أخيراً... شعرت بضغط ذراعيه يخف حولها قليلاً فقط.. فزادت من الضغط على رموشها
و هي تجهز نفسها لاستقبال الفراغ الذي سيغلفها فور ابتعاده..

لولا أن شعرت بشفتيه اللتين نفذتا الوعد غير المعلن.. وعد قرأته في حدقتيه يوم قبل ذلك
التجويف لأول مرة.. و كان أن لا يتوقف عن تقبيله يوماً!

لكن ما لم تتوقعه أبداً حتى بعد ابتعاده عنها قليلاً.. هو تلك الهمسة التي همسها في تجويف
أذنها.. يوجه كل حرف لقلبي حصراً.. يمنحها أجمل محفز للعيش أكثر و ينسف كل قلق أحاط قلبها
يوماً بصوته الذي خرج محملاً بحرارة مشاعره.. كتلك الحرارة التي غلفت ذراعيه و هما ترفضان
تحريرها ؛

_أحبك بشدة... بشدة !!

شهقة بلا صوتٍ غادرت شفاهها و هي تشعر بنبضات قلبها تنتفض مصطدمة بقفصها
الصدري تكاد أن تحطمه.. و تمننت... تمننت بشدة لو استطاعت أن تروض الحروف في فمها لتهمس له
بكلمة مشابهة.. لكنها لم تستطع.. و كم ألمها أن لا تستطيع !

هل هي تحبه ؟ ستكذب لو قالت بأنها تفعل.. و ستكذب حتماً لو قالت بأنها لا تفعل !
لأنها حتى اللحظة تعجز عن تحديد ما يخالجها نحوه.. ربما ما تكنه له يفوق الحب.. ما تشعر
به نحوه يتجاوز ما يطلق عليه الناس اسم "الهوس" و "العشق".. ما يستوطنها من أحاسيس لا يمكن
اختصارها في كلمة واحدة... أحبك !

و هي التي قالتها قبله مئات المرات لرجل لم يستحقها.. و هي التي نظرت في جوف أعين ذلك
الرجل مقرة جوارحها بأنها لن تحب غيره أحداً.. و هي التي عاشت طوال حياتها تظن بأنها لن تراه يوماً
أكثر من سند و أخ... و كم كانت مخطئة !

من قال بأننا لا نستطيع أن نجب مرتين ؟ من أطلق اسم الحب على كل شعور سعيد يخالجنا
نحو شخصٍ ما ؟!! من قال بأن الحب للحبيب الأول ؟!! من حصر مفهوم "الحب" بهذا الشكل حتماً
لم يتذوق طعم الحب الحقيقي بعد !

لكنها هي.. تذوقته... و واثقة بأنها في لحظة ما.. تلك اللحظة المناسبة التي لا تزال حتى الآن
تعجز عن الوصول إليها.. ستكون قادرة على أن تهمس الكلمة أمام وجهه.. تهمسها بصدق لأول مرة لأن
اعترافات الماضي كانت مجرد اعترافاتٍ لا معنى لها..

و لأن العشق الحقيقي هو ما تذوقته معه.. ستكون تلك المرة الأولى التي تنطق فيها تلك الكلمة
مقرة فعلاً بأنها لن تستطيع بعدها أن تهمسها لغيره.. لأن لا غيره يستحق سماعها.. و لأن لا رجل في

الوجود استطاع احتواءها كما فعل..و لا أحد استطاع اختراق أعماق قلبها و الوصول إلى روحها مثله..

هي لم تعد تراه سوى حُبها الأول و حبيبها الأول..و قد كان كذلك..هو حبيبها الأول الذي لم تستوعب حبه إلا متأخرًا..هو حبيبها الذي أمضت معه..بجواره أجمل أيام حياتها و أشدها سوادًا..و الذي لم تبارح يده يدها حتى و لو على حساب حياته..

و الذي حملها على ظهره حين كانت طفلة لا تفقه من العالم سواه..و الذي اعتادت أن تلجأ لحمايته و تستلذ بابتسامته حتى و هي توهم نفسها بحُبها لغيره !

ليتها ما تغاضت عنه يومًا..عن حبها الأول الأزلي..عن أول خفقة و أول ابتسامة و أول احساس بالأمان..ليت لسانها تمزق قبل أن تهمس الكلمة يومًا لغيره..ليت كان الرجل الأول الذي يسمعها منها..الآن فقط تتمنى لو عاد الوقت نحو الوراء..كانت لتختاره ألف مرة عن الجميع كما اختاره قلبها دائمًا!

شعرت به يحرقها منه أخيرًا ببطءٍ..ينتزعها من نعيمها المتجسّد به..لا لشيءٍ إلا ليمنحها عينيه مجددًا..ثم همس و هو يربت على كتفها..يلامس وشاحها الناعم و خصلات شعرها المنسابة هناك بحرية..

بينما نور الشمس التي أطلت على سماء مدينتهم بخجل اليوم ينعكس على وجهها مضيئًا إلى حديقة عينها الخضراء زهورًا في أوج تألقها !
_ اذهبي الآن !

طرفت برموشها ببطءٍ و هي تتجول بعينها فوق كل إنش من ملامحه بشيءٍ من الضياع..ثم هزت رأسها و هي تبتلع ريقها بنفس الضياع..
و مرة أخرى...استطاعت بصعوبة شديدة من أن تنتشل نفسها منه و تستدير عنه متجهة بخطواتٍ ثابتة ظاهريًا نحو المشفى..تاركة إياه يراقب ظهرها بعينين يفيض منهما الحُب و...الصبر !

حينما دلفت إلى المكتب حيث تقبع الدكتورة..أول ما لاحظته كان تلك الابتسامة البشوشة التي تحيط ملامحها بلطفٍ..و التي تبدو لامرأة في نهاية الثلاثينات من سنّها ربما..
قبل أن تنقل عينها حول الغرفة الأنيقة ببطءٍ..إلى أن توقفت على ذلك الكرسي الجلدي المائل..و الذي يفترض أن تجلس عليه..لكنها أبدًا لم تحب الجلوس عليه..

فاقتربت أكثر من الكرسيين القابعين أمام مكتب الدكتورة..و همست تستأذن بنبرة هادئة خافتة ؛

_هل يمكنني...الجلوس هنا !!؟

لم تمنع الدكتورة أبدًا..فقد قالت تحتفظ بابتسامتها الجادة و اللطيفة في نفس الوقت ؛
_تفضلي..

و بعد بضعة كلمات تبادلتها بما يشكل التحية و سؤالها عن حالها و ما إلى ذلك.. إلى أن ارتخت ملامح سجي قليلاً..سمعتها تهمس أول شيء تفتتح به هذه الحصة..بصوتٍ ثابتٍ هادئٍ و لطيف إلى أقصى حد ؛
_إذا ؟..

كانت سجي تشابكُ بين يديها فوق حجرها..و ظلت صامتة بدون أن تجيب السؤال الملقى نحوها..لكن ملامحها الهادئة نسبياً أبدت استعداداً للتحدث..فعادت الطيبة لتقول بينما تتلاعب بالقلم الذهبي الفاخر بين أناملها المريحة على سطح المكتب ؛
_أريد سماع القصة من بدايتها..

قبل أن تتحدث سجي..سمعتها تضيف بنبرة حازمة رغم هدوءها ؛
_و لا تغفلي أيّ تفصيل مهما بدا بسيطاً أو...صعباً!

ابتلعت سجي ريقها ببطءٍ و الذكريات تتوالى تباعاً في عقلها..تهاجم إدراكها و أنفاسها..لكنها رغم ذلك...سحبت نفساً عميقاً محملاً بصورة لؤي..تتذكر عناقه و قبلته البريئة و غير البريئة على غمازتها..

و شرعت في التحدث بنبرة ساهمة في اللا شيء..كعينها اللتين استقرتا بعيداً..بعيداً عن ملامح الدكتورة..لا تلمح الأفق الظاهر من الجدار الزجاجي و الذي يبدو بأنها تتأمله ؛
_لقد كان ش...شهاب..ابن خالتي البكر ،كان..قريبي بالاسم فقط..و الحقيقة أنه لي شخصياً..لطالما اعتبرته مثل عبءٍ كبير حملته فوق كاهلي منذ الطفولة..و رغم أنه كان يبدو سويًا لا مبالياً ناحيتي للجميع حينها..لكنني فقط...لطالما انزعجت من تجاوزه معي في الكلام و تدخله في تفاصيل لا يجدر به التدخل بها..إلى أن تحولت التجاوزات اللفظية إلى تطاولاتٍ حقيقية بالصراخ أو الأيدي في بعض الأحيان..ثم بين ليلة وضحاها..وجدت نفسي و قد حصرت في خانة الفتاة المحتجزة لأجله..كان مهووساً بإخضاعني..و كنت مهووسة بالتمرد عن تلك المحاولات..كنت له مثل التحدي الذي

يجدر به الفوز به..و كان لي..مثل الكابوس الذي دعوت الله طويلاً أن يمنحني فرصة للإستيقاظ
منه.....

كانت تتحدث بانسيابية غريبة عليها..و قد بدت و كأنها قد تناست لوهلة وجود أي شخص من
حولها..فاسترسل لسانها في سرد الذكريات التي ما انفكت تقتحم عقلها..
يخامرها شعور بالتحرّر كلما نبست كلمة جديدة عنه..كلما نطقت اسمه المجرد..
المقيت..بصوتٍ مرتفع واضح..

تخامرها رغبة في التحرّر جعلتها لا تتوقف عن السرد حتى و هي تستشعر ذبذبات من ذلك
الخوف المعهود و الذي لطالما ارتبط به في داخلها..
ستقتل ذلك الخوف من جذوره..ستعايش مع قرابته المحتملة عليها مرغمة..
ستنطق اسمه مرة و اثنين و ثلاثة و ألف إلى أن يغدو مجرد اسم..مجرد حروف ترددها
شفاهها بغير إحساس..
لكنها أبداً لن تصل يوماً إلى مرحلة تتمنى فيها له الرحمة..ستموت قبل أن تفعل !

هل..لو تم نعتها ب"المعتوهة" سيناسبها اللقب ؟ هل على أحد ما أن ينعتها بالمعتوهة لتستفيق
من حالتها المُسكرة التي لم تعد تغادرها معه أو بعيداً عنه..
و لما لا ؟ أليست معتوهة بالفعل ؟!

لقد آلفت الجنون منذ أن أحبته..منذ أن كان سنّها في السابعة حتى..لقد سقط قلبها صريع
حبه مع أول سنّ سقط من فمها..و أول مرة تمسكُ يدها الصغيرة بيد امتدت لها لتنتشلها من الظلم
كالماوى..لقد أتقنت حبه قبل حتى أن تتقن نطق الكلمة العزيزة..
لم تعرف عالماً غيره و لا هوية غيره..

لهذا الآن..و هي تجلس خلف الطاولة المريحة في الشرفة المفتوحة على الحديقة
الجميلة..تستند بذقنها إلى يديها الاثنتين بينما تتأمل المدياع القديم بعينين يكاد بريقهما أن ينافس
الشمس في توهجها...لم يبدو الأمر غريباً جداً !

كل ما في الأمر أنها لا تزال حتى الآن عاجزة عن منع نفسها من الانبهار بهدية قد تصنف على
أنها بسيطة عادية لدى العديد من الأشخاص..لكنها مع كل لحن جديد و أغنية جديدة تستمع إليها
عبره..تشعر بأن الحب في قلبها يتجدّد تلقائياً نحوه..

لقد كان هادي في العمل..و لؤي خارج المنزل..لا أحد في المنزل غيرها هي و سجي التي لم تغادر غرفتها منذ أن دخلت إليها بعد الإفطار..و لا تدركُ بعد ما الذي تفعله هناك أو يدفعها للبقاء بداخلها اليوم..لكنها أيضًا لا تستطيع أن تقتحم خصوصيتها..

حتى و هي تحمل لها رغبة بريئة كليًا في قلبها..أن تنتشلها من الشعور بالوحدة و تكون شخصًا جميلًا في حياتها!

رغم ذلك..لا يمكنها أن تنكر سعادتها بما آلت إليه الأمور بينهما منذ مجيئها للعيش معهم..لقد حدّدت منذ البداية هي و لؤي بأنهما لن يمضيا إلّا فترة قصيرة برفقتهما قبل العودة إلى منزلهما..و قد احترمت ذلك..

لكنها الآن..تشعر بالحزن في داخلها فقط لفكرة أن يغادرا في يوم ما..لقد ملأت سجي فراغًا كبيرًا في حياتها بدون أن تشعر..و لا تعلم كيف ستستحمل فكرة البقاء وحيدة في كل مرة يغادر فيها هادي للعمل كما السابق بعد رحيلهما..

كم تحبها و كم يألف قلبها فكرة الجلوس معها أو حتى التحدث إليها و لو بمواضيع عابرة لا معنى لها!

صوت خطواتٍ تقترب منها على مهل جذب انتباهها..فرفعت رأسها بسرعة لتنظر لسجي التي بدت و كأنها كانت تنصت على أفكارها ممّا دفعها لتأتي إلى هنا..

كانت ترتدي فستانًا رماديًا بدرجات لون متفاوتة..رقيق كرقعة ملامحها و شعرها الذي تجمع بعض الخصلات من جانبيه بمشبكٍ أنيق خلف رأسها..

وقعت عينها على المذيع القابع فوق الطاولة حيث كانت هناك أغنية شرقية قديمة يتم عرضها لأحد المطربين ذوي الشهرة الواسعة حتى يومنا هذا..لكن شهد لم تكن تستمع إليها على ما يبدو..فقد استطاعت أن تتكهن من ملامحها التي نظرت لها بتوتر أولاً كم من الشرود كانت غارقة به..
_المذيع مجددًا !

همست مبتسمة بخفوتٍ و هي تتخذ أحد المقاعد الأربعة الملتفة حول الطاولة..بينها و بين شهد كرسي واحد بينما هي في مقابلها تقريبًا..

شعرت شهد بالإحراج لفكرة أن يتم نعتها من طرف سجي بـ"المعتوهة"..فهمست تحاول أن ترمم الوضع بابتسامة مرتبكة قليلًا ؛

_هل تريدان أن أغير القناة لأجلكِ ؟ ربما تودين سماع أغنية أخرى !

همست سجي بثباتٍ يلامس صوتها بعد وقتٍ طويل من التبعض بدون أن تتخلى عن ابتسامتها
الباهتة قليلاً..الشبه ملحوظة ؛

_أود الجلوس معك قليلاً فقط..هل تمانعين ؟!!

و كما هو متوقع..فقد حركت شهاد رأسها بالنفي بقوة و هي تقول بحرارة ؛

_بالطبع لا..

ثم همست تضيف بتلك الطيبة المعهودة..يخالجها نفس الشعور القديم بالتوتر أمامها..لكنه

توتر ضئيل نوعاً ما مقارنة بما كانت تشعر به سابقاً ؛

_أساساً كنت أود أن أطرق باب غرفتك لأسالك الانضمام لي لكنني ترددت..

لم تتخلى سجي عن ابتسامتها و هي تقول بلطف ؛

_لا داعي للتردد..

ثم صمتت لوهلة و همست شارحة بهدوء و جدية..لا أحد غير لؤي قادر على ملاحظة التغير

الذي طرأ في نظرة عينها بعد جلستها الأولى و الثانية مع الطيبة..بحيث غدت أكثر رقة و هدوءاً و

كأنها أجرت لها مسحاً نسبياً لحزنها تلك الزيارتين ؛

_كنت أراجع بعض الدروس..كما تعلمين..الإمتحانات في جامعتي على الأبواب..

لا تدركُ شهاد بأن الإمتحانات التي تحدث عنها كانت قد مرت بالفعل قبل فترة..لكنها فقط

تحاول تدارك ما فاتها و التعويض لو استطاعت..لم تدرك ما السبب الذي جعل شهاد تنظر لها بعينين

متسعيتين و كأنها تشعر بالذنب..ثم قالت شاعرة بالذنب فعلاً ؛

_حقاً!..لماذا لم تخبريني ؟ كنت لأجهز لك فنجان قهوة على الأقل !

لقد أصبحت تتوقع كل ردود فعلها..لا يمكن لطيبتها أن تتضاءل على الإطلاق..إنها شهاد

حبيبة هادي..لا يمكنها إلا أن تكون نفسها..تلك الفتاة الصغيرة البسيطة الطباع..المحبة للجميع مع

بعض الاستثناءات..

و التي لا يمكن لأي إنسان جلس برفقتها أن لا يشعر بالاطمئنان و الألفة..

و كعادتها..فقد خلفت جملتها تأثيراً على قلب سجي قبل عينها..لكنها رغم ذلك همست لها

بنبرتها الرقيقة و التي تبدو واثقة ثابتة لكل من يسمعها ؛

_لو أردت فنجان قهوة كنت لأجهزه لنفسي بنفسي..لا داعي حقاً لشقائك شهاد..

كانت ألحان الأغنية لا تزال مسموعة بينهما..الصوت منخفض لكن الكلمات تكاد تكون

واضحة لمن يود الإنصات لها..لكن ليس هما..فقد أجابت شهاد بنبرة خافتة ؛

_على العكس تمامًا..أحب تقديم المساعدة..

_أعلم !

همست سجي بتلك الكلمة متهددة بلا صوتٍ..بينما تاهت عيناها في البعيد و هي تتراجع في

مقعدها ببطءٍ..تستعيد تفاصيل زيارتها لخالتها ليلة أمس..

لم يكن هناك أيّ مستجدات في حالتها..باستثناء خبر فتحها لأعينها قبل يومين..لن تقول بأنها

استيقظت..بل فقط فتحت عينيها..وليتها لم تفعل !

فقد بدت لها كجثة هامدة لا أنفاس و لا روح فيها و هي تجلس بجانبها على طرف السرير..تنظر

إلى ملامحها الشاحبة و عظام وجهها التي باتت بارزة بوضوح بعد أن فقدت الكثير من وزنها..

حتى أنها ارتعشت و هي تنظر لعظام رقبتها..تشعر بأنها لو فقدت القليل بعد من وزنها فقد

تتحول إلى مجرد هيكل عظمي لا حياة فيه..و ربما تعجز حتى عن الوقوف على قدميها بهذه الحال..

لكن هل تعلمون أسوء ما كان في الأمر ؟ عيناها!

عيناها كانتا فارغتين تمامًا..بؤبؤهما لا يتحرك إلّا حينما تسقط دمعة أو اثنتين بلا

حياة..تناظر النافذة المطلة على الشارع الكبير طوال الوقت..تبدو وكأنها مجرد شبح لا يرى..لا يسمع

أو يُحس..و لا يستوعب ما حوله !

لقد جلست بجانبها طويلاً بعد أن نادى اسمها لعدة مراتٍ تملكها بعدها اليأس من أن

تجيها..كما تملكها الدموع و انسابت بحرارة على وجنتيها و هي تتمسك بيدها تارة..لتلمس وجنتها

الباردة تارة أخرى..

لا تصدق أن يكون هذا هو وضع خالتها..لا تصدق بأن تلك المرأة الشبه ميتة هناك...تكون

عفاف سالم الشاذلي !

كانت تدركُ بأنها قادرة على سماعها..لقد تعرفت عليها منذ أن خطت أول خطوة داخل

مساحتها التي لم يعد أحد يتجرأ على اختراقها بدون أن يغرقه الألم و الحسرة..

لكنها فقط...أكثر ضعفًا من أن تجيها..لقد كانت من الوهن بحيث لم تستطع حتى أن ترمقها

و لو بنظرة واحدة..

هناك عاصفة تحدث في عقلها اسمها شهاب..هناك وجع يفترس روحها عنوانه فقدان

ابنها..هناك فكرة تدور في خلدتها تشجعها على الانغماس في صدمتها أكثر..على الاستسلام للموت

البطيء..لقد مات ابنها و لم تكن ميته رحيمة حتى..و فقدت هي وعيها للعالم قبل حتى أن تتمكن من

وداعه..

ابنها البكر شهاب..و الذي كانت الرغبة في الحياة تحاوط به من كل صوب..توفي على أيدي رجل شرطة..مخلّفًا وراءه دماءً كثيرة و دموعًا مريرة..و حسرة لن تستطيع يومًا طردها من قلبها..و أناسًا يتضرعون لله شكرًا كل ليلة على عقاب محتم أن أو انه !

لقد مات ابنها وحيدًا..منبوذًا من طرفها و من طرف أبيه..مات بفكرة واحدة تكتسح عقله..أن أمه التي كانت مستعدة لأن تدفع روحها مقابل روحه..لم تعد تريده بعد ! أين حبها غير المشروط إذن ؟ أين حب الأم غير المشروط !!؟

لقد تخلت عن ابنها نهائيًا عقابًا على ذنب ما كان ليتركبه لولا أن عودته منذ طفولته أن يرتكب كل الحماقات التي يشاء و يترك لهما أمر إصلاح ما نتج عن متعته من أضرار !
لقد أثرت ابنة أختها على ابنها! أيّ أم تكون هي ؟!! التي تطرد ابنها من رحمتها مهما كانت أخطاءه عويصة !

أيّ إنسانة تكونها هي ؟ و التي سمحت لنفسها بالتعدي على حقوق طفلتين لا تملكان من أمرهما شيئًا غير الدعاء عليهما..شهد..و نرمين ! ثم ابنة أختها...وصية أختها...سجى ! فقط لأجل مصلحتها و أنانيتها تجاه كل خطر يقترب من عائلتها!

ما الذي يجعل الظالم يضمن حياة سليمة من الظلم حقًا ؟ ألن يبدو الأمر غريبًا لو أمضى شخص مثلها كل حياته في ربيع من النعم بعد أن سرق نعمة الحياة بكرامة من أشخاص كل سمّهم كانت الصدق و البراءة و حسن النية !

لماذا الكذب على نفسها ؟ هي لم تكن أمًا جيدة يومًا ! ليست أمًا جيدة و لا زوجة جيدة و لا إنسانة جيدة !

إنها تستحق الألم الذي أصبح يلم بروحها..يمنعها من التنفس..يخنق شهقة حارقة تود تمزيق حنجرتها و الخروج عبثًا..يقتلها مرة بعد مرة ببطء..ببطء!

تستحق عفاف الشاذلي أن تختبر شعور الفقد الذي دفعت غيرها للشعور به..تستحق أن تمرض و يتم إلقاءها في غرفة بداخل المشفى..لقد كان خطأها الأكبر أنها استئنت نفسها من قائمة العقوبات الإنسانية..و اعتبرت نفسها أفضل من الناس !

و لا تستحق على الإطلاق..تلك اللمسات الحانية على جبينها..و لا تلك الأنامل الحنونة التي ما لبثت تربّت على يدها البيضاء النحيلة بشدة..و لا تلك الدموع الحارقة على وجنة طفلتها التي لو كانت طفلتها بحق لما تركت حقها في القصاص ممّن آذاها يضيع !

لهذا و في لحظة خاطفة..رفعت سحى حاجبها بغير فهم و هي تشعر بأنامل خالتها تتحرك
بوهن من تحت يدها لا لشيء إلا...لتركها! حسناً..هل عليها أن تفرح أم تحزن !
رغمًا عنها شعرت بالحزن يظل قلبها و هي لا تزال تتأمل ملامحها..تغلق يدها في قبضة متوترة
بدون أن تحاول التمسك بكف خالتها بعد..
و ظلت جالسة مكانها على نفس الوضع للحظات..إلى أن رفعت أنظارها للوي الذي كان يقف
في جانب معين من الغرفة..يستند بظهره إلى الجدار الأبيض..عاقداً ذراعيه..بينما يراقبها بمشاعر
اختلط فيها الحزن بكل أنواعه..

ثم وقفت ببطءٍ لتميل عليها هامسة في أذنها بتوسل ؛
_كوني قوية خالتي..لا يزال لديك ثلاثة أبناء في حاجتك بشدة..أنا..أحتاجك بشدة..ألا تعلمين
بأنك أُمي الثانية؟! أرجوك تماسكي لأجلي على الأقل..لقد فقدت أُمًا و لست قادرة على فقدان أخرى !
كانت الدموع تتساقط من عينيها بسلاسة مع تحدثها بصوتٍ متهدج مختنق..كلمات التقطتها
مسامع لوي جيداً..و جعلت من حاجبيه يميلان للأسفل و كأنه على وشك البكاء هو الآخر..
قبل أن يقترب من سحى تزامناً مع استقامتها..تنظر للملامح خالتها التي لم يتغير في تعبيرها شيء
و كأنها لم تسمعها..لكنها في الحقيقة سمعتها..بل و استوعبت كل ما سمعته..علمت بهذا و هي ترى
تلك الرعشة الطفيفة التي غزت رموشها..

قبل أن ترفع عينيها للوي مجدداً..و لم تستطع أن تتمالك أمر شهقة خرجت مرتفعة عنوة
أمام عينيهِ..و رفعت يدها لتكتمها عيئاً..
شعرت به يسحبها إلى أحضانهِ برفق..ثم همس بصوتٍ أجش في أذنها و هو يغرس أصابعه بين
خصلات شعرها..يمشطها برفق شديد..يشعر باهتزاز كتفها بكاء و يستشعر دموعها التي بللت
قميصه الأبيض من فوق كتفه..

كما يستشعر يدها التي كانت ترتعش بشكل ملحوظ و هي تلامس جانب عنقه برقة و كأنها
طريقتها في عناقه !

_هشش..ستكون بخير بإذن الله..ستكون بخير..لا تبكي رجاءً..اهديني !
لم تكن تعلم بأن هناك بعض الدموع قد بدأت تتجمع في عينيها بالفعل أثناء استرجاعها
لذكرى قريبة كتلك..و لم تشعر حتى بتلك الدمعة التي انسابت ببطءٍ على وجنتها..و لمحتها شهد
فهمتت تسألها بقلق ؛

_هل أنت بخير !!؟

طرفت سجي برموشها المبللة ببطء..ثم التفتت نحوها بدون أن تستقيم في طريقة جلوسها أو تترك أطراف الكرسي حيث تستند بيديها..نظرت لها بعينين عجزت شهد عن قراءة جواب واضح لسؤالها فيهما..

و رغم ذلك فقد استطاع عقلها أن يخمن سبب هذا الألم الذي أحاط بها فجأة..فابتلعت ريقها ببطء..و قالت ما تستطيع أن تقوله في هذا الموقف لتخفف عنها ؛
_أرجوك توقف عن القلق..هي...ستكون بخير بإذن الله !

شيء من الدهشة استوطن عيني سجي و هي تسمع منها تلك الكلمات..هل تمنى لخالتها أن تكون بخير حقًا ؟!

حسنًا هي لا تعلم أي تفاصيل واضحة عن حياتها في الميتم..لكنها تستطيع تخمين قدر الوجع الذي جعلتها خالتها تختبره هناك..فمع كرهها غير المبرر لها..و طريقة تعاملها معها حتى بعد زواجها من هادي..لا يمكن لعقلها إلا أن يرسم أسوء السيناريوهات!

اعتدلت في طريقة جلوسها بهدوء و هي تقول تلقائيًا بنبرة أجفلت شهد في البداية ؛

_هل تتمنين لخالتي الخير حقًا يا شهد !!؟

لولا نبرتها التي كانت محملة بالحزن و بالكثير من الدهشة لظنت شهد بأنها ما سألت إلا لتلومها أو تهاجمها بسبب تاريخها مع خالتها..شعرت بشيء من القلق يكتسحها من المجهول..

رغم أنها ليست المذنبة في الأمر و ليست الطرف الذي يجدر به أن يكون رحيماً!

لكن ملامح سجي تلونت بالحيرة أكثر..و همست مجددًا بجدية بينما تمسح تلك الدمعة

الوحيدة من على وجنتها ؛

_كيف كانت تعاملكِ خالتي يا شهد !!؟

شحبت ملامح شهد قليلاً و هي تسمع هذا السؤال..

يا الله..ما بال أفراد هذه العائلة..هل يجبون تعذيبها ؟ ما الذي عليها أن تقوله ؟!! هل تتكلم

عن خالتها بالسوء أمامها ؟ و هي في هذه الحالة !!

فتحت فمها و كأنها ستقول شيئاً..لكنها عادت لتطبقه و تطبق معه أي رغبة لديها في الرد..بل

كان أن أطرقت رأسها قليلاً تنظر إلى غطاء الطاولة الأبيض بينما الحزن و القلق يلتهم ملامحها..

و لو ظنت بأن سجي قد تحاسنها على صمتها فقد أخطأت..لأنها اقتربت قليلاً منها تستند إلى

سطح الطاولة بمرفقيها..و همست بصوتٍ خافتٍ رفيق كل الرفق ؛

_أعلم بأنها أذتك بشدة شهيد!..هذا واضح جدًا من انطباعاتك معها كلما كانت قريبة منك..و
أنا آسفة جدًا لهذا أقسم لك..لطالما كنت آسفة لك و لهادي على كل ضرر عشتماه لكنني فقط...لا
أريد منك أن تضغطي على نفسك لتجسيد شعور لا ينتابك نحوها فعلاً فقط لأجلي !
صمتت للحظة تشعر بغصة خانقة تقف في حنجرتها..ثم استرسلت بصدق و بصوتٍ قارب
على الاختناق ؛

_هذا حقك الطبيعي..يحق لك أن تكرهها..أن تعبري عن ذلك الكره بحرية..أن تتمني لها
السوء القدر الذي يشعرك بالرضا..لكن فقط.....
كانت شهيد قد رفعت عينها مجددًا إليها..و فغرت فمها بغير تصديق و هي تسمع كلامها..بينما
تهدج صوت سجي أكثر و بدت في أشد أوقاتها ضعفاً و هي تكمل بنبرة من يوشك على البكاء ؛
_لا تتمني لها الموت !..لأنها...أمي الثانية !
صمتت أخيراً تنظر لشهد بعينها الدامعتين و اللتين اعتادتتا النظر لها بابتسامة بشوشة في
وقتٍ سابق..بينما تجمدت شهيد لوقتٍ غير قادرة على استيعاب ما سمعته منها.. إلى أن قالت تنفي
عنها كل تلك الصّفات بحرارة ؛

_أنا لم أعد أكرهها فعلاً صدقيني..و لا أتمنى لها السّوء أبداً..فما بالك بالموت ؟!
صمتت قليلاً..ثم استأنفت أمام عيني سجي اللتين ترفض الدموع أن تتخلى عنهما اليوم
بصدق تام ؛
_للحقيقة لقد شعرت بذلك في بعض الأحيان..بأنني أكرهها بشدة بل و أتمنى لها السوء كما
قلت..لكنني منذ أن استعدت هادي و أنا لا أشعر نحوها سوى بالفراغ الشديد..و أحياناً...الشفقة !
نظرت ليد سجي المرتاحة فوق الطاولة..قبل أن تقرب يدها منها و كأنها تهتم بلمسها..لكن ذلك
التردد الذي لطالما انتابها ناحيتها منعها..و بدلاً عن ذلك وجدت نفسها تسألها بخفوتٍ ؛
_هل يمكنني ؟!!

رمقت سجي يدها بنظرة غير مقروءة من عينها الخاليتين من كل مساحيق التجميل
كملامحها اليوم..و المؤطرة بلون أحمر خفيف بعد دموعها..
ثم هزت رأسها تمنحها الإذن بدون تردد..فما كان من شهيد..إلا أن قربت يدها أكثر منها إلى أن
غطت يدها برفق..

و استطردت بجدية..متخيلة عن قناع تحفظها و توترها لأول مرة أمامها ؛

_لن أدعوا عليها بالسوء..بل سأدعوا لها بأن تشفى و تعود بصحة جيدة..ليس لأجلكِ

فقط..بل لأجل هادي أيضًا!

جواب سحى على كلماتها..كان غريبًا..يناقض تمامًا نظرة الامتنان في أعينها..فقد قالت بنبرة

تشبه الإعتذار ؛

_لم أستطع أن أكرهها يومًا !

همست شهيد بتفهم لطالما كان سمتها المميّزة ؛

_و لن تستطيعي أبدًا !!

بصعوبة تمكنت من رسم ابتسامة صغيرة جدًا بعد جوابها..و مثلها أرغمت سحى نفسها على

رسم واحدة مشابهة..و همست لها بدون أن تبعد يدها القابعة تحت يد شهيد ؛

_شكرًا لكِ حقًا شهيد..على كل شيء !

صمتت لوهلة قصيرة ثم تابعت بنبرة امتنان حقيقية ؛

_لقد جعلتني خلال بضعة أيام فقط أختبر الألفة التي لم أختبرها طوال حياتي !

هل قالت شيئًا غريبًا ؟! شعرت بأنها قالت شيئًا غريبًا و هي تسمع همسة شهيد التي خرجت

تحمل نفس التفاجئ الذي اكتسح عينيها ؛

_أنتِ ؟!!

قالت سحى بعدم فهم بينما تتراجع في مقعدها قليلًا تاركة يدها ؛

_لماذا التفاجئ ؟ هل قلت شيئًا غريبًا ؟!!

رأت كيف أن بعض التردد عاد ليستوطن ملامح شهيد..و كأنها حائرة بين فكرة أن ترد بصدق

أو تصمت فقط..لكنها في النهاية..قالت بتلكى ؛

_في الحقيقة..لطالما أخذت عنك فكرة الفتاة الغنية الأنيقة بشدة..و التي تحصل على كل ما

تتمناه قبل حتى أن تطلبه..

كانت تتحدث بتردد..إلى أن صمتت تشعر بالندم قلقًا من ردة فعل سحى..بينما تجمدت هذه

الأخيرة ناظرة لها بدون تعبير أولًا..قبل أن تفتّر شففتها عن شبه ابتسامة حملت نوعاً من السخرية

الحزينة جدًا..

و همست و هي تنظر جانبًا بنبرة تخللها شيءٌ من المرارة ؛

_أظن بأن الجميع يظن ذلك !

شعرت شهد من ملامحها و نبرتها بشعور من الذنب يكتسحها بقوة..و شتمت نفسها على
استرسالها في الكلام كالغبية..فتمتعت تحاول ابتلاع ذلك الشعور و رغبها العميقة في نبذ ذلك الحزن
الذي لا تفهم سببه من ملامح ابنة خالة هادي و زوجة أخيه ؛

_أعتذر لو...تجاوزت حدودي !

شعرت بالإرتياح نوعاً ما و هي ترى ذلك الحزن ينقشع تدريجياً من ملامح سجي.. و همست
متنهدة بخفوتٍ ؛

_لا عليك..

قبل أن تشيح بعينها عنها مجدداً ناظرة إلى حوض الورود للحظات..ثم قالت فجأة تقطع
الصمت ؛

_ألن نقوم اليوم بسقي الورود؟! أم أنك قد سبقتني حينما كنت في الغرفة!!؟

ابتسامة شفافة تخللت ملامح شهد و هي تهز رأسها بالنفي ؛

_لا..على الإطلاق..لقد كنت على وشك أن أقوم لإحضار الماء لأجل سقيها قبل مجيئك..

_جيد..دعيني أساعدك إذا..

همست سجي مجدداً بنبرتها اللطيفة الخافتة..ثم وقفت بهدوء لتر افق شهد نحو

الداخل..لكنها همست أثناء ذلك متذكرة شيئاً ما ؛

_لحظة..هل استوعبت للتو بأنك لم تناديني باسمي من قبل؟!

كانت تجب الحديث معها جداً..برفقتها..تشعر بأن العالم لا يزال على ما يرام..و بأنه لا يزال

هناك أشخاص ذوي قلوب بنقاء أفئدة الطيور..مثلها تماماً!

هذا يفسر ابتسامتها التلقائية و هي تتلقى الجواب من شهد..و التي قالت بنبرة مزجت ما بين

بعض الحرج و التردد ؛

_الحقيقة أنني...لا أعرف بماذا عليّ مناداتك !

حينها انعقد حاجباها قليلاً ببعض الاستغراب و هي ترد ؛

_كما يناديني الجميع...سجي !

لكن شهد الساذجة أردفت متسائلة بغير ثقة ؛

_هل أستطيع حقاً؟!

و جاءها الجواب قاطعاً بشكل فوري ؛

_بالطبع تستطيعين !

حينها..تردّدت للحظة أخرى و كأنها ستسأل عن شيء آخر مجدداً..لكنها لم تلبث أن همست

توافقها بخفوتٍ ؛

_حسناً..

ثم أضافت بنفس التردد..صوت خطواتهما و حديثهما هو الوحيد الذي يسمع في المنزل قاطعاً

سكونه ؛

_يا...سجى !

"51: آخر خطوة نحو التعافي"

#شهد

كيف يمر الوقت سريعًا بهذا الشكل ؟

عندما اكتشفتُ بأنني حامل لأول مرة..تفاجئت بشدة من الخبر..بل صُغت في الحقيقة.. شعور أن تكون هناك روح صغيرة منك تتكون في أحشائك..ثمرة حب..ثمرة حياة مع أقرب الناس إليك..هو ليس شعورًا يمكن للإنسان أن يتذوقه كل يوم !

لكن بالإضافة إلى ذلك التفاجئ...كان هناك حماس داخلي دحض تحرره قلقي من ردة فعل هادي..كان هناك حب تشكل في قلبي نحوه تلقائيًا..و مرّ أيضًا بشكل تلقائي عمر كامل لي معه..كل مراحل الحمل التي سمعت عنها أثناء دراستي..كل تغيرات قد تطرأ علي سواء في قلبي أو شكلي...أو حياتي !

لكنني لم أكن مستعدة بعد لاستقبال كل هذه السعادة التي ألمت بحياتي منذ أول ركلة استشعرتها منه و لم تؤلمني بقدر ما زادتني شوقًا إليه و رغبة في لقاءه..لم أكن مستعدة بعد لأن أقف أمام المرأة كل ليلة أراقب كل مستجد يطرأ على ملامحي..كل إنش يزداد من وزني.. و الآن..و بعد ثلاثة أشهر..أشعر بأن التفاجئ لم يعد كلمة تصف ما أشعر به نحو نفسي..كيف تغيرتُ إلى هذا الحد ؟ و كم سأغير بعد ؟!!!

كل ما كنتُ أخاف من حدوثه يومًا بات يحدث معي..لقد أصبح الشعور بالتعب يلفّ بي فلم يعد يفارقني إلا نادرًا..أعاني من الغثيان طوال الوقت تقريبًا..حتى أنني أصبحت أنسى الكثير من الأشياء في آخر فترة..

و الأهم من ذلك..أسوء شيء..أن وزني قد شرع يزداد عن ذي قبل !
و لا أزال حتى اللحظة أراقب تعابير هادي كل ما وقف خلفي هنا..أمام مكاننا المفضل محاولة البحث عن أمارات تدل بأن حبه قد نقص من ناحيتي..لكنني لا ألمح سوى لمعة..بريق حُب يجعلني أرعش من قدر العشق الذي يحتويه..و كأن ذلك الحُب يتضاعف في قلبه نحوي أضعافًا مضاعفة في كل يوم جديد !

من وجهة نظره..فهذا التغير زاد من جمالي..هذا ما يجعله يتغزل في كل وقتٍ بتوهج وجنتاي
الذي أصبح دائماً..وذلك الإنتفاخ البسيط الذي حل بهما..انتفاخ بسيط جداً كالبيض كيلوغرامات
التي أضيفت إلى جسدي..

بالنسبة للجميع لا أظن بأنهم يستطيعون أن يلمحوا سوى انتفاخ بطني الذي أصبح بارزاً
بوضوح..أما هو.. فقط من كان يستطيع أن يلاحظ كل تلك التفاصيل..كهوسي الجديد بال..عسل !
حسناً..ربما يبدو الأمر مبالغاً به..أو مضحكاً..لكنني بطريقة ما..أنا الآن امرأة حامل تتوخم
على العسل ! و هو كاد أن يفقد نفسه من الضحك عليّ في أول مرة يعلم بذلك !
لقد كانت تلك الليلة..الليلة التي تلت إحصاره الورود البيضاء لي..لا أعلم ما الذي دهاني و
جعلني أستيقظ في منتصف الليل لأتجه نحو المطبخ باحثة عن قنينة العسل المحفوظة في الخزانة
فوق..و التي تفوق طولي بعدة سنتيمترات..

هذا جعلني أتوقف هناك أنظر لبابها الصغير بحاجبين مائلين نحو الأسفل..لا أريد أن أوقظ
هادي..لا أريد أن يستيقظ أيّ أحد من الموجودين في المنزل..
لهذا اقتربت من الكرسي الأبيض القابع خلف الطاولة لأحمله و أضعه في المكان المناسب..قبل
أن أصعد فوقه بتأني و أمد يدي إلى الخزانة هامة بفتحها..لكنني و بغباء كبير ارتفعت أكثر على
أطراف أصابعي لأنسِف السنتيمترات التي لا تزال بيني و بينها إلى أن فتحتها بالفعل و لمست القنينة
ثم.....وقعت مني!

لقد وقعت بقوة لترطم بالأرض مصدرة صوتاً مرتفعاً لتكسرها..و بالطبع..ذلك الصوت كان
كفياً بإيقاظ كل من في المنزل..بما فيهم هادي الذي رفعت رأسي فوراً تزامناً مع دخوله إلى المطبخ
هاتفاً بقلق ما إن وقعت عيناه عليّ ؛

_شهد..ماذا تفعلين ؟!!

قبل أن يكمل سؤاله حتى..رأيتُ لؤي و سحى يقفان خلفه في حاجز المطبخ..الإثنان ينظران
إلى الوضع بعدم قدرة على الاستيعاب..تباً للإحراج..متى سأتوقف عن كوني غبية إلى هذا الحد ؟!!
همست بصوتٍ مبحوح و أنا أنقل عيناى بين الثلاثة..الحرج يلهم وجنتاي بقوة..و التوتر
يكتسح نبرتي ؛

_أنا..لقد شعرت بالجوع و...اشتيت العسل لذا.....

صمتُ تماماً لا أعلم ما الذي عليّ قوله بعد..بينما تسمر الثلاثة ناظرين لي بتبلد لعدة لحظاتٍ
و كأنهم ينتظرون إتمامي لجملتي المنقوصة..

ثم فجأة.. شعرتُ بخفقات قلبي تتدافع من الخجل حينما صدرت ضحكة كانت الأولى بعد كل
المعضلات التي حدثت في حياتنا.. ضحكة اكتسحت وجوه الثلاثة في نفس اللحظة..
حتى سجي التي لم أرى ابتسامتها إلا مرتين منذ أن قابلتها ابتسمت بيأسٍ.. و رأيتُ كيف
تسمرت عينا لؤي على ابتسامتها تلك و كأنهما تودان حفظها في أعماق أعماق قلبه !
حسنًا.. ربما يجدر بي الانزعاج هنا.. فهم يضحكون علي !
لكنني فقط كالبلهاء شرعتُ أحاول الابتسام مثلهم و كأنها فقط طريقة لترميم موقعي الغبي
أمامهم.. إلى أن التفت هادي الذي كان أكثرهم ضحكًا ليقول بينما يتنحج قليلًا بفضاظة غير حقيقية
تمامًا ؛

_هل... تسمحان لي و لزوجتي ببعض الخصوصية ؟ من بعد إذنكما!
رأيتُ كيف تلونت أنظار لؤي بقليل من الانزعاج الزائف و هو يقلب عينيه بامتعاض.. بينما
لم تمتنع سجي عن ترك المطبخ بلطف.. إلى أن غادرا.. و حينها تهدت بحسرة على القنينة التي كسرت و
العسل الذي أصبح من نصيب الأرض..
انخفضتُ قليلًا أهم بالنزول على قدمي بحذر.. لكنني سمعت صوت هادي يقول بصرامة
تليق بصوته ؛
_إياك أن تنزلي !

نفذتُ الأمر بطاعة.. و عدت لأستقيم بظهري قليلًا مانحة إياه نظرة تمزج ما بين نفس الإحراج
السابق و شيءٍ يشبه العجز أو الاعتذار.. لكنه لم يلتفت لنظرتي تلك.. فقد اقترب مني الخطوتين
الفاصلتين بيننا ليرفع يديه تلقائيًا و يقبض على خصري..
و أنا أيضًا استندتُ بيداى تلقائيًا على كتفيه.. قبل أن أشعر به يحملني كالريشة التي لا تزن
شيئًا لينزلي فوق الأرض و في مكان بعيد عن بقايا الزجاج..
كانت آثار البسمة لا تزال باقية في عينيه.. و رغم ذلك فقد قال يعاتبني بنبرته التي حاول أن
تكون صارمة ؛

_لماذا لم تحاولي إيقاظي ؟!!
لم أكن في مزاج لتأمل ابتسامته التي أعشق.. لم أكن في مزاج للتحدث حتى أو الرد على
سؤاله.. كان مزاجي سيء جدًّا و لا أعلم السبب حتى سوى تلك الهرمونات المزعجة ربما.. أو ربما كان
السبب فقداني لقنينة العسل الوحيدة الموجودة في المنزل !

لم أشعر بتلك الدموع التي احتلت عيناى فجأة..و قلت أوشكُ على البكاء بنبرة شعرت بها طفولية..بينما أنظر إلى بقايا العسل بحسرة ؛

_لقد اشتهيته بشدة..كيف سأستطيع العودة للنوم الآن بهذا الوضع ؟!!
رأيتُ كيف أن ابتسامته تخللها شيءٌ من المكر..و كادت أن تتحول إلى ضحكة أمامى لولا أن كبحها بقوة و هو يقول مفكرًا بنبرة جادة علمت بأنها مفتعلة ؛

_معضلة كبيرة فعلاً..ما الذي سنفعله الآن ؟!!

ثم أضاف قبل أن أستطيع الرد يتهد بقله حيلة ؛

_هل ستستطيعين الانتظار إلى الصباح ؟!!

حركتُ رأسى بالنفي قطعًا بينما أرد عاجزة عن منع نفسى من البكاء ؛

_أبدًا..ما أشعر به...ليست عطشًا عادية..إنه شيءٌ مرتبط بالحمل !

كان جليًا بأن وضعى هذا يرضيه..بل و يدفع سعادة غير طبيعية إلى قلبه و كأنه يتلذذ بحالى..لكنه فى الحقيقة لا يفعل..إنما هى تلك اللحظات التى يستمتع فيها بردود فعلى المزرية..
زم فمه قليلًا و هو ينظر لى بتفكير عميق..و استغرق لحظاتٍ جديدة فى النظر لى.. قبل أن

يهمس ملامسًا بيده التى ارتفعت يهدوء جانب وجهى و شعري المنسدل ؛

_اممم..ما رأيك أن نخرج الآن لنشتري لكِ العسل ؟!!

_الآن ؟!!

قلتُ عاقدة حاجباى قليلًا بدهشة..فأوماً هادى مكرًا ببساطة شديدة ؛

_الآن !

ترددتُ قليلًا فى إجابته..هل سنخرج حقًا فى منتصف الليل ؟! من ذا المجنون الذى قد يفعل ذلك ! لكن ما العمل و أنا أشعر بعطش غير طبيعى يحتل حنجرتى..و لا مجال للإرتواء إلا بتدوق

العسل !

همستُ بعد لحظاتٍ بغير اقتناع تام ؛

_حسنًا..

فهز هادى رأسه برضا..قبل أن يسقط يده عن وجهى يهدوء..ثم استدار بهم بمغادرة المطبخ أثناء إضافته ببساطة..و كأننى لم أتسبب بإيقاظه فى منتصف الليل بل و ها هو مضطر للخروج فى

هذا الوقت المتأخر فقط لأجلي !

_جيد..دعينا نجهز أنفسنا بسرعة !

رغمًا عني رمقتُ بقايا العسل المنسكب على الأرض بإحباط.. قبل أن أتحرّك لاحقة به
تلقائيًا.. لا بد لي أن أرتدي معطفًا دافئًا فوق هذا الفستان الأبيض الرقيق أكثر من اللازم.. و بما أنه
منتصف الليل فلست مضطرة لتغييره رغم أنه يعتبر خاصًا بالنوم !
كنتُ أعقد ذراعي أمام صدري بينما أنظر للأرض لاحقة به.. لا تزال الحسرة تلم بقلبي على
قنينة كاملة من العسل أوقعتها بغبائي..

لكننا لم نكد نقطع خطوتين اثنتين حتى شعرتُ بهادي يلتفت نحوي فجأة.. ثم قبل حتى أن
أرفع رأسي نحوه بالكامل أو أستطيع الفهم وجدته يطوق وجهي بيديه الإثنتين لا شيء إلا ليقتنص
شفاهي في قبلة كتم بها الشهقة التي خرجت تحمل ذهولي الشديد من حركته تلك..
تجمدتُ لوهلة أشعر بخفقات قلبي ترتجف لهذه اللحظة.. لكنها كانت مجرد وهلة و استطعت
بعدها أن أرفع يداي أنا الأخرى لأتمسك بقماش قميصه القطني الصيفي من فوق صدره..
و كما العادة فقد أغمضتُ عيني بسلام غير رافضة لهذا الدفء الذي أحاط بي من كل
صوب..

لم تكن قبلة عادية.. قبلي و كأنها المرة الأولى التي يفعل بها.. و كأن العالم كله يتوقف بالنسبة
له عند حدود شفاتي.. و كأنه سجين يتنفس الحرية بعد وقتٍ طويل.. و كأنه مريض بالربو و أنا بخاخ
الأكسجين الذي لو ضاع منه ضاع صوابه !

و لم يتعد إلا بعد ثوان عديدة سامحًا لي بالتقاط أنفاسي بعيدًا عن أنفاسه.. نظرتُ له لاهثة
قليلاً بعينين غائمتين بالمشاعر.. ضائعتان و مدهولتان.. و لم تكن نظراته لي مختلفة حينما همس
بصوته اللاهث مثلي بدون أن يحرّر وجهي بفضاظة غير حقيقية تمامًا ؛
_ماذا ؟ ألا أستحق أنا أيضًا أن أتذوق القليل من العسل !

كنتُ لا أزال فاعرة في ببلاهة.. حينما حركتُ رأسي مردفة بكل صدق و أنا أحركُ يداي على
قميصه متمسكة أكثر.. و كأنني أعجز عن الوقوف إلا به !
_بلى !

كان لا يزال الذهول يحتل عيني من فعلته.. و أضيف إليه شيء من الانهيار بابتسامته التي لم
تفارق وجهه و هو يحركُ يديه على وجهي.. يتأملني بسعادة و كأنه يتأمل أسطورة أو معجزة..
ثم همس بينما يميل على وجنتي بقبلة خاطفة.. و يحرّر وجهي لا شيء إلا ليمسك بيدي و
يسحبني باتجاه غرفتنا ؛

_جيد.. دعينا نجهز أنفسنا للخروج إذن..

و خرجنا بالفعل..و كانت نزهة جميلة تلك التي خضتها معه في السيارة..كانت أول مرة في حياتي أخرج في هذا الوقت من الليل..

الظلام مخيف جداً لمن هم فاقدون للمأوى..و السماء حالكة السواد بنجوم بيضاء لامعة تدعو لتأملها..و القمر في أوج تألقه هذه الليلة..الشوارع خالية إلا من بعض السيارات التي تمر نادراً بجانبنا..و كل المحلات مغلقة..

بينما يدي تقبع بين أنامل هادي الذي بدا منشغلاً عني الآن بالبحث عن مكان واحد يستطيع اشتراء العسل منه..أما عيناياي...فهما كانتا غافلتان عن كل ما حولي من تفاصيل.. عاجزتان عن رؤية غيره أو تمييز غيره..

لا يهمني في العالم سوى تأمل تفاصيله هو..خصلات شعره الغامقة الناعمة الفوضاوية و التي لم تنفك الرياح الخفيفة عن بعثرتها أكثر..تارة تلامس جبينه خصلة شاردة و تارة أخرى ترفعها الرياح لتنضم إلى خصلاته الأخرى الأشد نعومة..

تلك العقدة المتشكلة بين حاجبيه الكثيفين بينما ينظر بتركيز إلى الطريق أمامه..نظرة عينية لو كانت في عيناياي الآن لأذابت أطرافها..ذقنه الخفيف و الذي بدأ ينمو بشكل بسيط..ربما ينتظرني أن أقترح عليه مساعدته في حلقه كذلك اليوم ،ربما...سأفعل قريباً!

ثم أخيراً..قميصه الصوفي الأخضر الذي تلامس ياقته المرتفعة ذقنه..كل ما فيه يوحي بالجمال..كل تفاصيله صغيرة يضيفها إليه بقصد أو بغير قصد تزيده وسامة في عيناياي..و أنا وحدي...محظوظة بكل هذه الوسامة !

إلى أن توقفت السيارة أمام محل تجاري صغير نوعاً ما..و وجدنا غايتنا هناك..و كأنه قد استطاع فهمي بدون شرح..فوجدته يحضر لي مع القنينة الصغيرة ملعقة بلاستيكية..و بالطبع عجزتُ عن منع نفسي من فتحها بلهفة بمجرد انطلاق السيارة متذوقة العسل..

هل كان مذاقه حلوا لهذا الحد سابقاً ؟ لماذا شعرتُ حينها بأنها أول مرة لي لتذوقه ؟! و بأن لا طعام آخر في العالم قد ينافس في مذاقه ! أنا أتحوّل إلى فتاة أخرى بالفعل !

كان هادي بالطبع يراقبني طوال الوقت..بينما أنا تناسيتُ تواجدّه للحظاتٍ و أنا أغمض عيناياي مستريحة برأسي على المقعد..أشعر بأنني قد انتقلت إلى عالم آخر..عالم خيالي حيث أغرق بكليتي في ذلك الطعم الرائع..

لو كان هذا هو الشعور الذي يخالجه و يدفعه ليقبل شفتاي كلما ذكرتُ أمامه سيرة

العسل..فمن أنا لأستنكر عليه ما يحب !

كنتُ لا أزال مغمضة عيني بهدوء.. لا يناشدني سوى الاسترخاء.. حينما شعرت بأنامل حنونة
تلامس طرف في.. ففتحت عيني متذكّرة هادي مجدداً..
نظرتُ له من مكاني بدون أن أغير طريقي في الالتقاء على طرف المقعد.. أو حتى أسأله عن سبب
تلك اللمسة..

فكان هو من همس يمنحني ابتسامة مختلفة كلياً.. حانية وحنونة إلى أقصى حد.. بينما يشير
إلى سبابته التي لامس بها طرف في قبل قليل ؛

_لقد كانت هناك بعض بقايا العسل عالقة في طرف فمك !
ثم قرب نفس الأصبع من فمه يتذوق طعم شفتاي بغير تحفظ.. حينها.. ارتفع حاجباي بشكل
ضئيل جداً.. قبل أن أبتسم ببطء.. ابتسامة أشد حناناً من ابتسامته..
و بدون أن أحتاج للنظر إلى صورة عيني في المرأة شعرتُ بتلك اللمعة التي استوطنتهما..
همست بصوتٍ أجش ضعيف ؛
_أحبك جداً !

و لم أندesh حينما سمعته يهمس بنفس طريقي السابقة بينما يمد يده برفق ليبعد خصلة
ناعمة من شعري إلى خلف أذني.. بالكاد يوازن نظراته بيني وبين الطريق ؛
_و أنا أحبك أكثر يا شهد العسل.. أكثر والله !!
اتسعت ابتسامتي أكثر و أنا أهمس بخفوتٍ شديد.. أشعر بالنعاس الشديد ؛
_هل تقلدني ؟!!

و سمعتُ صوته يقول ببساطة بينما يخفض يده قليلاً ليلاصق جفوني التي توشكُ على
الإنغلاق ببطء ؛

_و لما لا أقلدك ؟ ألسن حبيبي وشهدي الصغيرة ؟!!
تلك المرة.. لم أعلق على كلمة "الصغيرة".. بل اكتفيتُ بالابتسام أكثر و أنا أرى يدي ترتفع بين
يده إلى أن طبع قبلة بالغة المعنى فوق الأثر على معصمي..
كنتُ أحاول بشدة أن أمنع نفسي من النوم هنا.. لا أريد أن أتركه بمفرده أو أتوقف عن
تأمله.. لكنني عجزت تماماً.. فاستسلمت سامحة لجفوني بإسدال الستار على هذه الليلة الجميلة
أخيراً.. لا أزال أمسكُ بالقنينة بيدي الحرة..

لكنني شعرتُ بعد لحظاتٍ بيده تسحبها مني برفق شديد..ثم نفس اليد تسدل الغطاء الرقيق الملقى فوق المقعد الخلفي فوقى..فسمحت له بذلك..وتركت النوم يقتنص مني فرصة الاستمتاع بتلك اللحظات الثمينة أكثر..

وها أنا ذا..بعد كل هذا الوقت..أقترب من حقيبي لأحملها بسرعة و أتجه إلى الباب..ثم إلى هادي الذي كان يقف متكئاً على سيارته..و الذي ابتسم لي بحب و هو يرمق شكلي الذي يعتبر بسيطاً بالنسبة للجميع و مضحكاً بالنسبة له ربما!

فقد كنتُ أرتدي الفستان الذي اشتراه لي هو قبل يومين..فستان وردي أنيق و جميل..كان يتخطى ركبتاي بعدة سنتيمترات..بياقة جميلة في رقبته..واسع و مريح يناسب تمامًا امرأة مثلي حامل في شهرها الخامس !

اقتربتُ أكثر لأتخذ المقعد الملاصق لمقعده بعد أن وضعت حقيبي في المقعد الخلفي..و سمعته يعلق بينما يغلق الباب خلفه بعد أن احتل مكانه هو الآخر ؛
_فستان جميل !

منحته ابتسامة مشابهة لكنها لا تحمل نفس الخبث و الرغبة في المشاكسة و أنا أرد بهدوء ؛
_شكراً..لكنك أنت من اشتريته لي !

قال بنفس النبرة و الابتسامة بينما يبدأ في تشغيل السيارة ؛
_لماذا ؟ ألا يحق لي أن أبدي رأيي فيه لو كنت أنا من اشتريته ؟!
لم أرد عليه..فقد اكتفيتُ الآن بالنظر لجانب وجهه المبتسم غير متخفية عن ابتسامتي ..قبل أن أتهد بلا صوتٍ و أنا ألتفت لأراقب حركة الشارع من خلف النافذة الملاصقة لمقعدي..بينما ارتاحت راحة يدي فوق بطني كحركة أصبحت دائمة فعلها منذ أن ازداد بروز بطني..
_كيف تشعرين الآن ؟

سمعتُ صوته يسألني باهتمام و قد زال العبث و الابتسامة عن وجهه..فاستدرت نحوه مردفة بهدوء ؛

_بخير..لقد ركلي مرتين فقط هذا الصباح !
كتمتُ ابتسامتي بصعوبة و أنا أرى بعض الإمتعاض الذي أصبحت أدرك زيفه يحتل ملامحه..و قال يمس شفتيه قليلاً بسخرية ؛
_فقط ؟!!

ثم أضاف فوراً بنبرة تخللها شيءٌ من الانزعاج بدون أن يبعد أنظاره عن الطريق ؛

_أنتِ فقط استمري بإضافة كلمة "فقط" لكل جملة تقولينها و أنا سأستمر بالتخطيط للطريقة التي عليّ أن ألقنه درسًا من خلالها بعد مجيئه بسبب هذه الـ"فقط" !!
شعرتُ بأن تلك الابتسامة قد تخونني في أي لحظة للظهور..فزمت في قليلًا أقاوم تحرّرها أكثر..لكن أثرها ظهر على صوتي رغمًا عني و أنا أقول بجذل ؛
_هذا -فقط- لو كان صبيًا !

كانت ابتسامتي قد تحرّرت كليًا الآن قسرًا عني..و لم أتوقع أن يرمقني بنظرة عابرة بعد أن هز رأسه مكرّرًا ورائي بيأس ؛
_فقط !!!

لكن النظرة العابرة..تحولت إلى أخرى غير عابرة حينما وقعت عيناه على ابتسامتي تلك..قبل أن أطبق في محاولة إخفاءها بمعجزة..لكنه رغم ذلك ظل ينظر لي مضيقًا عينيه قليلًا بتركيز..قبل أن يقول بنبرة بطيئة تشبه التهديد ؛

_مهلاً...هل لمحت للتو طيف ابتسامة ترتسم على وجهك ؟!!
اتسعت عيناى بقوة و أنا أحركُ رأسي بالنفي مردفة ببراءة ؛
_لا..لا بالطبع..لقد كنت أتحدث بجدية !
لكن هادي لم يلتفت لكذبتى على ما يبدو..فقد عاد يهز رأسه بنفس الطريقة و هو يكرّر بنبرة جعلتني أشعر بالتوجس بينما يعود ليولي انتباهه للطريق ؛
_بلى..رأيتها..

علمتُ كم كان شعوري صادقًا حينما وجدته يضيف بجدية ؛
_جهزي نفسك..غداً سنذهب إلى الطبيببة لنقوم بالفحص الخاص بمعرفة جنسه !
يا الله..ألن يكف عن فتح هذا الموضوع في كل مرة ؟ ألا يعلم كم يزعجني الذهاب إلى المشفى في كل مرة..و كم أرفض فكرة أن أعرف بهوية طفلي أو طفلي منذ الآن..لماذا عليّ أن أعرف هويته أساسًا ؟ ما الذي قد أستفيدُه ؟! بالنسبة لي سواء كان صبيًا أو صبية فأنا سأحبهما بنفس القدر !
لهذا فقد قلتُ بينما أنظر إلى الطريق و أعقد ذراعى فوق صدري برفض ؛
_لا أريد !

كما توقعتُ تمامًا..وجدت هادي يلتفت نحوي ناظرًا لي بدهشة و كأنه لا يصدق أن أرفض طلبه..لكنني لم أغير موقفى و لا حتى نظرت له..و كانت تلك من المرات القليلة جدًّا التي يظهر فيها جانبي العنيد هذا..و الذي لم يظهر أساسًا إلّا بعد حملى !

لكن كل عنادي ذهب أدراج الرياح حينما سمعته يقول بنبرة صارمة لا تقبل جدال ؛

_هل سألتك عن رأيك ؟ أتذكر بأنني أمرتك مباشرة بتجهيز نفسك !

شعرتُ من نبرته بأنه لن يتراجع على الإطلاق..حتى أن ملامحه بدت جادة يشوبها بعض

الانزعاج و هو يستمر بالقيادة..

فلم أتردد من الهمس برجا متخلية عن موقعي قبل قليل ؛

_لا أريد الذهاب يا هادي..لا أريد معرفة جنسه قبل الولادة..أرجوك !

شعرتُ بأنه لن يجيبني أبداً و أنا أرى نظراته تزداد صرامة..فعدت لأهمس اسمه برجا

أكبر..حينها فقط..كان يستدير نحوي..و رأيت كيف أن ملامحه ارتخت قليلاً فقط لكنه لم يتخلى عن

موقفه و هو يقول ؛

_لا تريدان الذهاب ؟!

حركتُ رأسي بالإيجاب مانحة إياه أكثر نظرة بريئة يمكن للملامي رسمها..فظل صامتاً ينظر لي

بحاجبه المرتفع ذاك للحظاتٍ أخرى..

قبل أن يقول بنبرة من تنازل عن شيءٍ ثمين متكرماً ؛

_حسنًا..لدي شرط !

نظرتُ له باهتمام و كأنني مستعدة لتنفيذ أيّ كان شرطه..و قد كان شرطه.....

_توقفي عن الدفاع عنه أمامي..و توقفي عن إضافة كلمة "فقط" في كل مرة أسألك عنه !

رباه..كم هو شرط صعب !!!

همستُ من تحت أسناني بنبرة غير راضية تماماً و أنا أطرق برأسي مشيخة بعيناي عنه ؛

_حسنًا..

_حسنًا ماذا ؟

سمعته يسأل بحذر بدون أن يحيد بعينه عن الطريق..فقلتُ شاعرة بأنه يتعمد إزعاجي و

مشاكستي..لولا أن ملامحه كانت تبدو جادة تماماً!

_حسنًا..سأتوقف عن الدفاع عنه أمامك..

لكنني سمعتُ صوته يقول مجددًا بنبرة بدت لي مستفزة إلى أقصى حد ؛

_و؟؟!!!

كانت هذه أول مرة أشعر فيها بتضايق حقيقي من هادي..همستُ على مضضٍ بدون أن أنظر

له و قد ظهر ذلك التضايق في صوتي الخافت ؛

_و سأتوقف عن إضافة كلمة فقط حينما تسألني عنه..

كنتُ أشعر بالضيق الشديد و أنا أنطق بكلماتي..و ساد صمت قصير من طرفه ظننت بأنه لن

يتحدث بعده..لكنني سمعته بعد قليل يقول و كأن أي شيء لم يحدث ؛

_الآن أخبريني..كم من مرة ركلك طفلنا الجميل اليوم ؟!

حسنًا..تلك محاولة استفزاز واضحة !

قلتُ عابسة بشدة و أنا أنظر أمامي إلى الطريق الخالي ؛

_ركلتان.....

و منعتُ نفسي بالقوة من أن أضيف الكلمة ذاتها..لكن ما جعلني أتسمر للحظة و أنا أشعر

بأن إحساسي السابق كان صحيحًا..و بأنه طيلة الوقت كان يتعمد استفزازي..حينما سمعته يهمس

سائلًا بدهشة مبالغ بها ؛

_فقط ؟!!!!

الآن..تسمرتُ تمامًا ناظرة أمامي..قبل أن ألتفت نحوه لأنظر له رافعة حاجبائي بغباء..كانت

ملامحه جادة تمامًا و هو ينظر لي بدهشة و كأنه ينتظر إجابتي..لكن من بين الجدية..استطعت أن

أميز طيف الابتسامة الذي استوطن عينيه فقط..

و لم أستطع تمالك نفسي من أن أحرّر ابتسامة مذهولة واسعة جدًا و أنا أستوعب بأنه كان

يمزح طيلة الوقت..و يا لها من طريقة في المزاح مزعجة..جميلة !

كان قد تناسى أمر الشارع لوهلة و هو ينظر لي..حينما تنهد بلا صوتٍ و هو يهز رأسه مبتسمًا

مثلي..لا..ليس مثلي..فقد كانت ابتسامته جميلة جدًا جدًا..ثم سألني بعدها بنبرة اختلفت كل

الاختلاف عن خاصته قبل قليل ؛

_تضحكين مجددًا ؟!!

لم يكن يسألني فعلاً..لقد احتوى صوته نوعًا من السعادة الخلابة..و لم أرد أنا على سؤاله

الذي لا يعتبر سؤالًا..فقد اكتفيتُ بأن تراجعته برأسي إلى أن استندت إلى طرف المقعد..أتأمله بينما

يعود لينتبه إلى الطريق بحب كذلك اليوم..

فارقته بعدها بدقائق ما إن وصلنا إلى الجامعة..توجه هو من فوره إلى العمل و أنا إلى

الدراسة على أمل اللقاء في آخر النهار كالعادة..لا يهم المكان منزلي أو منزله المهم أن نلتقي !

خاصة و أن سجي و لؤي أصبح لديهما مفتاح منزلنا الأم ممّا خول لنا فرصة الاطمئنان عليهما

إذا ما عجزنا عن العودة إلى المنزل في إحدى الليالي..

كان اليوم هادئاً جداً كالعادة.. قابلت صديقتي أمل و صديقها المجنون أمجد.. لا تزال علاقتهما
كما كانت بالمناسبة.. شجارات لا تحصى كلما تقابلا و كلها بسبب و من طرف أمل.. أما المسكين
الأخر.. فلا يزال عاجزاً عن الأخذ بنصيحة هادي حتى الآن !
ثم حضرت كل حصص و تابعت كل ما يقال داخل كل محاضرة بتركيز أمتاز به.. إلى أن انتهى
اليوم بي أقف أمام الجامعة أتفقد السيارات هناك بحثاً عن طيف هادي.. لكنه لم يكن
هناك.. فتهدت بإحباط و أنا أسير هامة بالذهاب إلى منزلي كالعادة.. و الذي سبقتني أمل إليه بحكم
أنها خرجت قبلي..
لكن شخصاً ما قاطع طريقي أوقفني.. فتراجعت خطوة شبه مرئية و أنا أرفع رأسي لأنظر
له.. كان رجلاً يبدو في أواخر الأربعينات.. يرتدي بدلة سوداء أنيقة.. نظرت له بعدم فهم و أنا أنتظره أن
يتحدث.. و لم يدعي أنتظر كثيراً حينما قال برسمية ؛
_ أنتِ السيدة شهد زوجة السيد هادي ؟ أليس كذلك ؟!
أومأت له ببطء و حذر و أنا أشعر بقلق مجهول ينتابني.. و قد عززت جملته التالية هذا
القلق.. و التي خرجت بنفس النبوة الرسمية الهادئة ؛
_ عفواً.. هل يمكنك الذهاب معي ؟ السيدة عفاف تطلب رؤيتك بشكل عاجل جداً !
_ السيدة عفاف ؟!!
همستُ أكرّر وراءه بعدم تركيز.. لقد علمت بأنه تم إخراجها من المشفى قبل فترة.. و حسب ما
سمعت من هادي و لؤي و سجي الذين قاموا بزيارتها بأن حالتها لا تزال لم تناشد أيّ تطور أو تحسن..
لا يزال الصمت عنوان نظراتها و الشحوب سيد ملامحها منذ أن فقدت ابنها..
لكنها الآن تريد رؤيتي.. هذا يعني بأنها تحدثت.. بأنها ربما... تحسنت عن ذي قبل ؟! ما الذي
تريده مني السيدة عفاف بعد يا ترى ؟!!

#سجي

عندما خطوتُ أول خطوة نحو هذا المكتب الأنيق.. لم أكن واثقة تماماً بأنني سأستطيع ذات
يوم أن أغادره مبتسمة.. أو أن أفكر بالمغادرة حتى مقررة بأن مدة علاجي قد أوشكت على
الإنهاء.. الحقيقة أن القرار كان قرار الدكتور.. و أنا فقط و افقتها الرأي !
و الآن.. أظن بأن كل منا يحتاج في أعماق قلبه إلى جلسة.. و شخص مثل الدكتورة "ليان"
للتداوي من أوجاعه و التخفيف من ثقلها!

عملياً..كانت هذه الحصّة هي ما قبل الأخيرة..لكن من يعلم ؟ ربما يجتاحني الاحتياج و تملكني

رغبة البوح أكثر فأضيف حصصاً أخرى !

لقد تحدثنا طويلاً طويلاً..عن كل شيء تقريباً..عني..عن حياتي..طفولتي..

مراهقتي..هو اياتي..معضلاتي و كل نقاط ضعفي..والداي و خالتي ثم...شهاب !

بماذا وعدت نفسي ذلك اليوم ؟ بأنني سأكون قادرة على نطق اسمه كمجرد اسم بدون أن

يرتعش بدني بشعور الاشمئزاز..أو تختنق الحروف في فمي لتتحرّر على شكل عبارات..و قد فعلت !

على أنني لا أحب ذكر اسمه و لا سيرته و لو بيني و بين نفسي..لا أحب حقيقة أنه سيبقى

مرتبطاً بماضي أو شكّت على تجاوزه للأبد..أو أنه سيظل دائماً الرجل الذي علمني كيف أكره..و كيف

أبكي..و كيف أخاف من طيف كل رجل آخر يمر أمامي..لكنني سعيدة بإنجازاتي البسيطة..

بالنسبة لي أن أكون قادرة بعد كل هذا الوقت على نطق اسمه بل و التحدث عنه و سرد كل ما

يعتريني نحوه بدون أن يهتز صوتي لهو إنجاز...أكبر إنجاز !

شخص واحد فقط لم أتكلم عنه بعمق...لؤي ! و قد علمتُ بأن فرصة الحديث عنه قد حانت

حينما سمعت الطيبية تقول فجأة تقاطع حديثنا السابق الذي يعتبر عابراً ؛

_حدثيني عن زوجك قليلاً..

شعرتُ بأنها لكمّنتني بهذه الجملة..فاجئتني بشدة..لؤي..ماذا أقول عنه ؟!!!

بأنني و هو لا نزال حتى الآن ننام بجانب بعضنا البعض كل ليلة..لكن كمجرد روحين تحتاج

كل منهما للآخرى...لا زوجين!

بأنني لا أزال حتى اللحظة أعجز عن منحه أبسط حقوقه نحوي..و التي بتّ أستطيع رؤيتها في

عينيه بوضوح..تقتلني نظراته..الفكرة نفسها تقتلني..

تلك الفكرة التي ما عادت تنفكّ تطراً في ذهني..و أعجز في كل مرة عن فتح الموضوع

أمامه..أريد أن أفتحه..أريد أن أقتل كل الحواجز بيننا لكنني فقط...جبانة !

_زوجي ؟! م...ماذا أقول عنه ؟!!

قلتُ بنبرة متلعثمة شكّكت بأن تكون قد حملت كل مشاعري السابقة و التي مرت في ذهني

فقط..فاستأنفت الدكتورة بلطف ؛

_أي شيء..مثلاً...كيف هي علاقتك معه ؟!!

يا الله..لماذا أشعر من نبرتها و نظراتها و كأنها تعلم بكل شيء عنا بالفعل ؟!

لقد استطعت أن أبوح لها بكل شيء... ما عدا هذا.. فكانت كلما تسألني عن لؤي أجيب بأننا على ما يرام..

و هي أيضًا لم تتطرق يومًا للحديث معي عن خصوصيتنا كزوجين.. لكن طريقة نظرها لي و إلقاءها الأسئلة اليوم بدت مختلفة كليًا عن أن تكون عادية !
قلتُ أحاول أن أدفع بعض الثبات إلى نبرتي عبثًا.. أستعيد كل الابتسامات الجميلة التي بات يجعلها لؤي تحتل وجهي كما قلبي في بعض الأحيان !
_ج..جيدة...جيدة جدًا !

شعرتُ لأول مرة بأنني أجلس أمام قاضي تحقيق و أنا أراها تهز رأسها بتفهم.. ثم طرحت سؤالًا لم أتوقعه ؛

_هل جيدة للقدر الذي تستطيعين فيه سرد كل ما سردته -لي- هنا بالتفصيل له ؟!! ما الذي يعرفه عدا عن كونك تعرضت للإعتداء من طرف أخيه ؟!
هل سألت ذلك السؤال حقًا ؟ عن لؤي !!

ألا تدركُ بعد بأنني ما اتخذتها سندًا إلا لوقايتها من ألم الإنصات بعد أن سردتُ له كل شيءٍ بالفعل ! بأن تلك الأحداث التي تسألني ما إذا كنت أستطيع سردها له كانت هي السبب في زواجه مني !
بأنه عاش و لا يزال يعيش معي كل تلك الأحداث !

هذه المرة كان صوتي ثابتًا بالفعل رغم التأثير الطفيف الذي لامسه و أنا أرد ؛

_إنه...يعرف كل شيء..لقد سردت له كل شيءٍ بالفعل !

لم يظهر أيّ تفاجئ على ملامحها و هي تسأل مجددًا باهتمام ؛

_و ما كانت ردة فعله ؟!!

ما كانت ردة فعله ؟ لا يمكنني حقًا أن أصف ردة فعله مهما استخدمت من حروف و كلمات و

قصائد حتى لوصفها!

أردتُ أن أخبرها بالكثير عن ردة فعله.. بدموعنا التي امتزجت ببعضها.. و عينيه اللتين اخترتا أول مرة الضعف بينما يسمعي.. و يداه اللتان تمسكتا بي باستماتة شديدة يمنحني وعودًا سخية و كأن وقت التفكير في أيّ عواقب قد ولى..

إلى أن وقفتُ على قدمي.. ثم سقطت.. ثم وقفت.. ثم سقطت و سقطت و وقفت و سقطت.. في

كل مرة يداه من توقفني مهما سقطت !

لكنني في النهاية اكتفيتُ بجملة واحدة..ثلاثة كلمات هي وحدها تفي بالوصف..و لا تفي به في

نفس الوقت !

_لم يتخلّى عني !

رأيتُ كيف أن ملامح الدكتوراة فقدت القليل من جديتها..و بدلاً عن ذلك حل محلها ابتسامة

لم تكتمل..

لكنها كانت ابتسامة غريبة جعلتني أطرف برموشي شاعرة بعدم الإرتياح..

إلى أن همست لي سائلة بينما تتلاعب بالقلم الذهبي على مكتبها بأناملها كعادة تفعلها دائماً ؛

_هل تحبينه ؟!!

يا إلهي ! أنا لم أخطأ في تساؤلي قبل قليل لأن حصّة اليوم هي عبارة عن جلسة سؤال و

جواب..شعرتُ بالأنفاس تختنق في صدري..و بنبضات قلبي تخفق بقوة غير طبيعية..كقطار تعطلت

مكابحه و فقد سكته الأساسية فشرع سائقه يحاول التحكم به عبثاً..

و ساد صمت طويل بقيتُ فيه أنظر في عيني الدكتوراة أو فقط -ليان- كما طلبت مني أن

أناديها ذات مرة..و اللتين كانتا تنتظران الجواب مني بتركيز و اهتمام شديد زاد من تدافع خفقات قلبي

و انتشار بعض حبيبات العرق على جبيني..

هذه أول مرة أسمع فيها هذا السؤال..حتى لؤي لم يتجرأ يوماً على المطالبة بحبي.. كان يجيد

سرد مشاعره هو نحوي باحترافية..عيناه تبوحان بكل الأسرار قبل أن ينطقها لسانه بصوته الذي

يختنق كلما همس لي بكلمة "أحبك" و التي لم ينطقها حتى الآن إلا مرتين بعد مرته الأولى..

كانت المرة الثانية التي نطقها بها هي في ذلك اليوم أمام المشفى حينما همسها في أذني مبعثراً

كل كياني بها..أما الثالثة فبعدها بفترة ليست بالطويلة جداً..

لقد بكيت بدون سبب في تلك الليلة...

بالنسبة له ربما بدون سبب..أما بالنسبة لي فقد كان ذلك اليوم الذي سردتُ فيه بعض

الأسرار الحساسة بداخل هذا المكتب..و لم أشعر بنفسي إلا و أنا أخضع بمجرد استلقائي في السرير

الوثير إلى جانبه..لرغبة البكاء التي ما لبثت تكتسحني طيلة اليوم..

فبكيتُ في أحضانه..فوق صدره و قلبه النابض..بكيت بصمت و بدون مقدمات !

فأنا لم أكن يوماً ممن يبوحون بأيّ من أسرارهم الحساسة إلى أيّ أحد..كنت أنا... تلك

الإنسانة التي تجيد تلوين ملامحها بالابتسامة و القوة و البأس حتى في أكثر لحظاتي الداخلية ألماً!

و هو أيضًا...لم يعلق و كأنه تفهمني تمامًا..فلم يسألني أبدًا عن سبب بكائي و لا حتى حاول أن
يثنييني عنه..فقد شعرتُ بذراعيه تطوقان جسدي بقوة..و ظلت أنامله تربت على ظهري صعودًا و
نزولًا..

يستعشر رجفة جسدي و يتحسس عظام ظهري كتحاياتٍ يحاول أن يحفظ معالم تلك اللحظة
حتى يجيد تجسيدها في تمثال فاخر سيكون المفضل لديه !
و خلال كل ذلك..كان صوته فقط من يتسلل إلى أذناي..يهدد حزني بهمساتٍ شديدة الرقة
لدرجة لا تناسب خشونة صوته ؛

_هششش..اهدئي..اهدئي سجي..أنا معكِ..أنا معكِ هنا..هل تسمعينني ؟!!
ثم بين كل ذلك..سمعتة يهمس بالكلمة العذبة بنبرة شعرت بأنها خرجت تلقائيًا منه..و كأنه لو
لم يحرر تلك الحروف الآن في أذني سيختنق بها ؛

_اهدئي رجاءً..أحبكِ جدًا سجي..هل تفهمين ما أقول ؟ لن أتخلى عنكِ أبدًا..أبدًا !!
لم أكن أنظر في وجهه حينها..و لا هو كان قادرًا على رؤية وجهي المغرق في صدره..و رغم أنني
تمنيتُ أن أرفع رأسي قليلًا لأحدق في عينيه..

أريد الاعتذار لأجل سبب مجهول..و أن أتوسله أن "لا يتخلى عني أبدًا" كما وعد..مهما
تهورت..مهما بكيتُ و مهما تأزمت أحوالي و طال انتظاره لي..فقط ليبقى معي..هذا كل ما أحتاج إليه
من الحياة !

لكنني اكتفيتُ بأن تمسكت به أكثر..أحتضنه أكثر كما لو أنني لم أتذوق طعم العناق
الحقيقي قبله..و بقدرة قادر..بسحر منه..كان صوت بكائي يتلاشى تدريجيًا..
كما لو أن اعترافه ذاك كان كل ما يلزمي لأهدأ..و لأنعم بالسلام الذي فقدته منذ أن فقدتُ
أثر نفسي السابقة !

و الآن أتساءل..ما هو تعريف الحب ؟!

إذا لم يكن تلك الرجفة التي تحتلني بضراوة كلما سمعت الكلمة منه..إذا لم يكن ذلك الأمان
الذي يكتسحني بقوة كلما شعرتُ بحضنه..إذا لم يكن هذا الشوق الذي يرديني حزينه كلما ابتعدت
عنه..

إذا لم يكن أنفاسي التي تفقد رتابتها في كل مرة تلامس شفثيه غمازة خدي..و تلك الهمسة التي
غدت سلسلة في لساني لكثرة المرات التي همستها له كلما لمحت نظراته الفصيححة المعاني..بدون حتى
أن يضطر لسؤالي..

"يمكنك !"

أيّ تعريف آخر قد يليق بمعنى مقدس كالحُب غير اسمه ؟ غير لؤي !
لهذا فقط..وجدتُ نفسي أسحب نفسًا عميقًا..همست بعده بينما أرفع ذقني قليلًا
بحزم..بأكثر نبرة واثقة خاطبتها بها ؛

_نعم !

_نعم...ماذا ؟!

قالت ترفع أحد حاجبيها بدون أن تتخلّى عن شبح الابتسامة الذي لا يفارق ملامحها إلّا
نادرًا..فلم أتردّد من الإجابة بنفس النبرة ؛
_أجبه...بشدة!

لم يظهر أيّ تعبير جديد على ملامحها بعد إجابتي..مجرد أن صمتت لوهلة تتطلع بي بشيء من
الجدل..قبل أن تفرد يديها نحوي و هي تطلب مني ؛
_أعطني يدك !

رغم استغرابي من طلبها..إلّا أنني لم أمانع من رفع يداي بتلقائية إلى أن وضعتهما فوق يديها
بالفعل..فتمسّكت بهما برفق ناظرة بينهما بتركيز لعدة لحظات بقيت أحرق بها خلالها بعدم فهم..
إلى أن رفعت عينيها نحوي سائلة ؛
_لما لا تضعين خاتم الزواج ؟!!

لم أعرف بماذا أرد..هل أخبرها بأنه لم يكن هناك زفاف بيننا أساسًا لأضع الخاتم ؟!
إنها تعرف كل شيء بالفعل ! لكنها لا تعلم أكثر من أنني تزوجتُ لؤي مباشرة بعد الحادث..و
كان هو من ساندني في محنتي !

سحبتُ يداي من بين يديها شاعرة بعدم الإرتياح..و همست أثناء ذلك بينما أتجنب عينيها
بنبرة غير مقنعة تمامًا ؛

_لم...نجد الفرصة المناسبة..تعلمين كيف كانت ظروف زواجنا !
تمنيّت بعد إجابتي هذه أن تكف عن أسئلتها التي بدأت تضايقني داخليًا..لتضغط زر
الإنصات و تصمت تاركة إياي أسرد لها ما أريد أنا انتقاءه من حياتي..ما أحتاج لتحريره و سرده
لغيري..لكنها لم تفعل أبدًا..سؤالها التالي...زاد الطين بلة بالفعل !
_و علاقتكما الجسدية ؟!!

شعرتُ بلون الدماء ينسحب من ملامحي بدلاً من أن يصيبني الخجل من السؤال..لقد أَلقت

بالسؤال الذي يطراً في ذهني فعلاً منذ فترة...و علاقتنا ال...جسدية !!؟

وجدتُ نفسي أفقد كل الثبات السابق دفعة واحدة..و عجزت عن إجابتها لوقتٍ طويل

بالطبع..إلى أن قلت رافضة إجابتها ؛

_هل سنتحدث بهذا الموضوع حقاً ؟!!

بدت أكثر من جادة و هي تقول مشددة على حروفها ؛

_لم تجيبي عن سُؤالي بعد يا سجي ؟

فقلتُ فوراً و بنفس النبذة التي ارتفعت قليلاً فقط تمزج ما بين الكثير من التوتر و الكثير من

الرفض ؛

_هل عليّ أن أجيب ؟!!

رباه..كم يؤرقني هذا الموضوع..كم يخيفني و يقلقني..خاصة حين التفكير أن الشخص المعني

بالأمر هنا هو لؤي ! أنا و لؤي !!

سأكذب لو قلتُ بأنني تعافيت تماماً..ربما أوشكت على التعافي..لكن تلك الارتجافة التي

تكتسحني كلما استعدت تلك اللحظات لا تزال تمنع الكلمات من التشكل في لساني بسلاسة كلما تعلق

الأمر بهذا الموضوع !

نظراتها التي تلت سُؤالي..كانت أعمق من العمق..و التزمت الصمت لوقتٍ تنظر لي فقط بنفسِ

الطريقة و كأنها فقط تحاول قراءة الجواب من ملامحي..

إلى أن تهتت بلا صوتٍ مردفة أخيراً ؛

_حسنًا..لا تجيبي..أنا أعرف الجواب بالفعل !

شعرتُ بتأهب في حواسي تلقائيًا مع جملتها..و لم استطع أن أرد أبدًا..فاستأنفت نيابة عني

بجدية هادئة ؛

_علاقتكما لا تزال على الورق..أليس كذلك ؟!!

لا..علاقتنا ليست مجرد علاقة على الورق..علاقتنا أسمى من أن يتم وصفها بهذا الشكل..ربما

ينقصنا الكثير لنغدو زوجين حقيقيين..لكن ليس كسائر الأزواج الآخرين..

فليس كل زواج فعلي هو زواج حقيقي..و ليس كل زواج يحتاج لعلاقة جسدية ليغدو زواجًا

حقيقيًا!

أردتُ أن أفتح في لأمنحها ذلكَ الجواب الذي طرأ في عقلي.. لكنني لم أملك الجرأة.. إلى أن سمعتها تهمس بنبرة ذات مغزى عميق عميق جدًا.. بينما تتكؤ بمرفقها إلى المكتب و تقترب قليلاً مني ؛ _هل تعلمين ما هي آخر خطوة بل و أهم خطوة تلزمك لتجاوز كل ما مضى بشكل كلي ؟ هي أن تصبحي مؤهلة لتخطي هذا الحاجز ! يجب أن تسمح لي لزوجك بالإقتراب منك سجي ! لا بد أن تمنحي لنفسك هذه الفرصة.. في اللحظة التي سيغدو زواجك حقيقياً فيها.. و تختبرين بنفسك قابلية العيش من جديد بشكل طبيعي.. كزوجة ! سيتداعى تأثير أي ألم عشته سابقاً.. ستتحوّل تلك اللحظات إلى مجرد وهم..

كنتُ أستمع لكلماتها بقلب يخفق قلقاً.. كل ما فيّ يصدق و يتفق معها.. عقلي و قلبي متفقان على فكرة واحدة.. يجب أن تتجاوزي هذا الحاجز يا سجي.. لا يستحق منك لؤي كل هذا القدر من الانتظار..

لا تستحقين أن تمضي بقية حياتك رهينة يوم واحد.. لحظة واحدة و شعور واحد.. لن تمضي ما تبقى من حياتك تعتكفين كل هذا الخوف.. و ممّن ؟ لؤي ! إنه الشخص الوحيد في العالم الذي لا يمكن لكلمة أذى حتى أن تقترب منك و هو بجانبك !

تاھت عيناى تماماً فى البعيد و عقلى يقرب كلماتها بتأني شديد.. و من بين كل تلك الدوامات التي أفحمتني بها صراحتها الفجة.. سمعتها تضيف بنبرة تشابهت مع السابقة.. حملت من الجدية و الحزم ما جعلني أرتعش بقوة داخلياً ؛

_لا بد أن تتجاوزي هذا الحاجز يا سجي.. لا يمكن لهذه العلاقة أن تعيش إلى الأبد بهذا الشكل.. إذا كنت تحبين زوجك بحق فدعيني أرى نتيجة واضحة حينما تأتين إليّ في المرة القادمة ! هل تفهمين ما أقول ؟!!

" 52 : كتمثال حزين "

#سجى

" لا بد أن تتجاوزى هذا الحاجز يا سجى..لا يمكن لهذه العلاقة أن تعيش إلى الأبد بهذا الشكل..إذا كنتِ تحبين زوجكِ بحق فدعيني أرى نتيجة واضحة حينما تأتين إليّ في المرة القادمة ! هل تفهمين ما أقول ؟!! "

تلك الكلمات..ما انفكت تتكرّر في ذهني..حتى بعد أن غادرتُ المشفى لأصطدم بوجه لؤي الذي كان ينتظرني كما العادة بجانب سيارته..عجزت عن طردها أو منعها من التكرّر مرارًا.. كما عجزتُ عن النظر في عينيه مباشرة و أنا أشعر بيده التي ارتاحت فوق وجنتي برقة..بينما خرج صوته حنونًا كما اعتدت منه و هو يسألني باهتمام ؛

_ما خطبك ؟ تبدين شاردة !!

أبدوا شاردة ؟!! أنا شاردة بالفعل !!

لم أستطع سوى أن أحرك رأسي بدون مغزى معين..و همستُ أحاول أن أستدعي كل ذرة تركيز متاحة لعقلي كي أخرج من كلمات الدكتورة...لكن عبثًا!
_أنا...أنا بخير..لا تقلق !

ثم حركتُ رأسي للمرة الثانية..و أرغمت نفسي بالقوة على أن أنظر في عينيه.. كيف سأستطيع ؟! أيّ جرأة تلك ؟!! كيف يمكنني أن أنظر لتلك العينين مباشرة و أفتح ذلك الموضوع الذي تهربت منه طويلاً ؟!

ابتلعتُ ريتي ببطءٍ و أنا أقول بصوتٍ خرج مبحوحاً قليلاً..أحاول أن أستعيد رباطة جأشي أمامه..أخشى أن تنجح عينيه كما العادة في سبر أغواري..

أن ألتقى منه سؤالاً يجعلني مضطرة أن أبوح بكل الحديث الذي دار في الداخل..فأنا أعلم جيداً..بأنه إن كان هناك شخص واحد أعجز تمامًا عن الكذب بينما أنظر في عينيه..فهو لؤي !
_دعنا نذهب إلى المنزل مباشرة اليوم !

لا تفهمون سبب هذا الطلب ؟ أليس كذلك ؟! ذلك لأن لؤي اعتاد بعد كل جلسة جديدة لي أن يأخذني إلى أماكن مختلفة من ذوقه الخاص..و غالبًا تروقني جدًا..

لقد أخذني بعد إحدى الجلسات إلى البحر.. واستقلينا نفس القارب الصغير الذي جلسنا فيه ذات مرة.. وكتلك المرة.. ككل مرة لم أنفك عن التمسك بذراعه.. لكن بدون أي قلق أو خوف.. بل تمسكت به بهدوء واطمئنان.. وأرخيت رأسي على كتفه الذي لطالما احتوى دموعي وألمي وأسراي.. بينما أتأمل الأمواج الهادئة والتي تشبه هذا الهدوء الجديد الذي أصبح يكتسحني.. واثقة بأنه لن يضيع مني بعد الآن !

كان يتعمد أن يضحكني بعد كل جلسة.. وكأنه يتعمد أن يساهم بلمسته الخاصة في علاجي.. يدفعني قسراً للإبتسام بعد دقائق أمضيها في سرد كل ما يخالجني من آلام.. نعم.. لقد أصبحت أبتسم.. وليست ابتسامة جثة قضت نحبا.. لا.. بل كانت ابتسامة أمل و فوز.. ابتسامة امرأة تنظر إلى... الرجل الذي تحب !

كان رجلاً جميلاً.. لا أقصد ملامحه حصراً.. فتلك مفروغ منها بالنسبة لي.. كان يمتلك جمالاً مختلفاً.. مميزاً.. كان رجلاً جميلاً قلباً و قالباً.. ذلك النوع من الرجال الذي يراود حلم كل فتاة في المنام.. حتى مع إيمانها بأن إيجاده على الأرض هو ضرب من المستحيل !

و أنا وجدته فعلاً.. لقد كان دائماً بجاني و من حولي !

أحياناً كان يأخذني إلى إحدى المطاعم التي يتعمد أن تكون بطابع مريح لتناول طعام العشاء بمفردنا.. وأحياناً نكتفي بالتجول في الشوارع ليلاً..

ذهبنا ذات مرة إلى أحد المتاحف الخاصة بالراقية التصميم في المدينة.. و توقفنا طويلاً نتأمل اللوحات هناك و التماثيل الرخامية المعبرة بأشكالها المختلفة.. كل تمثال متقن الصنع يحمل معنى و شعوراً عميقاً لصانعه..

حتى أنني وجدت نفسي أغرق في شرود تام أمام تمثال شعرت بأنه يمثلني..

كان تمثالاً لامرأة تنظر إلى السماء.. بشعر طويل و ملابس راقية فارهة.. لكن عينيها فارغتين تماماً.. تشبهان قعر بئر حالك السواد.. بلا مياه.. بلا أمل.. وهناك ابتسامة باهتة تلامس زوايا شفتيها.. ابتسامة جعلتني أرتجف داخلياً.. جعلت قلبي يرتعش.. و اختلجت عيناها بلمعة لم أشعر بها و أنا أميل برأسي شاردة أكثر..

كانت إحدى يديها تلامسان مقدمة شعرها الطويل.. بينما الأخرى مفرودة أمامها ب.. باحتياج !

بدت و كأنها تطلب من كل من يمر من أمامها بأن يحتضن تلك اليد.. لقد كانت تنشد من أحد ما أن يمسك بيدها و يخلص تلك العينين من فراغهما الأجوف.. لكن أحداً لم يفعل.. و تلك الفكرة جعلت من رموشي ترتعش باضطراب..

و أردتُ بشدة أن أمسكَ بيدها..أردت أن أقبض على تلكَ اليد و أطبق عليها باحتواء فقط
لأرى تلكَ الابتسامة الباهتة تختفي و تحل محلها واحدة أخرى..
حقيقية..جميلة..مفعمة بالأمل..

لكنني لم أتجرأ..شعرتُ بأن يداي غير كافيتين..إنهما أقصر من أن تستطيعان إبعاد الألم عن
عينها..إنني أضعف من أن أستطيع بث الأمل في قلب ما..
إنني مثلها..امرأة قصيرة اليدين..تنظر إلى السّماء بألم و عذاب..تبتسم بزيّف و تحاول أن لا
يكشف أيّ أحد زيف ابتسامتها..و تمد يدها ناشدة أن يمسكها أحد..ثم ماذا؟! هناك أحد!
لا..لم أكن مثلها إطلاقاً..

لقد استوعبتُ ذلكَ ما إن شعرتُ بتلكَ اللمسة الحنونة جدّاً على يدي التي كنت حتى قبل
لحظة أغلقها بتشنج..و كانت تلكَ اليد فقط من استطاعت أن تخلصها من ذلكَ التشنج..و أن
تحتويها و تحتوي معها كل فكرة كئيبة دارت في خلدي و أنا أنظر لها..
حينها فقط..كنتُ أرمش بعيناي باضطراب..ثم رفعت رأسي لأنظر لصاحب تلكَ اليد العطوفة
الدافئة على يدي..و كان كما العادة...لوي!

تذكرون؟ إنه مضخة الأمان خاصتي؟!

ما منحته إياه حينها..لم يكن مجرد نظرة عادية لإنسانة تنظر للشخص الوحيد القادرة على
أن تستلقي فوق بحر صدره و تسكب كل همومها على أمواجه..و اثقة بأنها قادرة على أن تحتويها كما
تحتوي أم طفلها المصاب بالحمى..

بل كانت أعمق و أقوى من كل ذلك..نظرتُ له من بين دموع محتجزة خلف أجفاني..بطريقة لا
يمكنني حتى أنا أن أصفها..لا أعلم ما الذي تنشأه بي عيناه..يداه..ابتسامته..نظراته..تواجده من
حولي ككل..

لا يعلم ما الذي تمثله لي تلكَ اللمسة التي قد تبدو بسيطة لأيّ إنسان يمر من جانبنا..وقد
مر من جانبنا الكثير..لا يعلم ما الذي يمثله لي هو ككل..

أحبه...إلى درجة تجعلني مستعدة لأن أدهس على كل ذرة خوف و حياء و تردّد في قلبي..فقط
لأمنحه كل شيء...و أكون معه!

أحبه إلى درجة تجعلني مستعدة لأن أتخلّى عن كل الحزن و اليأس السابق لأعانق إشعاع
الحياة في عينيه..

أنا لم أحب الحياة مجدداً إلا به..و لا أشعر بنفسي على قيد الحياة إلا به..

ربما...أستطيع أن أسرق تلك العبارة منه..بما أنها الجملة الوحيدة التي شعرتُ بأنها قد تكون

كفيلة قليلاً بوصفِ هذا السّكون الذي يخالجي و أنا أنظر له..

أنا لستُ على قيد الحياة..أنا على قيد عينيه !

سأخبره بذلك..قريباً سأفعل !

من بين كل ضياعي و تبعثري..سمعتُ صوته يهمس بنبرة ذات مغزى بينما ينظر إلى تشابك

أيدينا المثالي..و قد بدا مثلي..يكابد مجرات و بروج من الضياع و...الحُب !

_يوماً ما..ستجد هي أيضاً اليد التي ستلائم مقاس يدها..و التي ستتمسك بها إلى الأبد !

كان قد رفع رأسه ليرمق التمثال بنظرة أعمق من نبرته..ثم عاد ليضع عينيه اللامعتين كعيناى

في -عيناى-..و حينها..كنتُ أنا من أهمس بينما أطبق على أنامله أكثر.. أضم تلك الأصابع بقوة شديدة

بدون أن أفارق عينيه ؛

_مثلما وجدت أنا !!!

لم أفهم في البداية سبب تلك الابتسامة المهمة قليلاً التي احتلت نظرتي لي..ثم رفع يده الأخرى

ليطوق وجنتي برقة تشبه رقة أنامله..و همس بصوتٍ أجش بطيء ؛

_أنتِ لم تجديني..لقد كنت معكِ منذ البداية..أنتِ فقط..لم تكوني قادرة على النظر لي كما

يجب..و الآن بعد أن اختلفت زاوية تأملكِ لي..أصبحت عينيكِ قادرتين على تجسيد انعكاسي المعبر

بداخلهما..ذلك الإنعكاس الذي بحثت عنه لوقتٍ طويل جداً..

صمت لوهلة كانت ابتسامته فيها تتعمق أكثر بشكل سلب أنفاسي توازنها..و استأنف بنبرة

مميزة ؛

_لهذا أستطيع أن أقول بأنني أنا من وجدتكِ..عملياً يعني !

لم أفهم كلامه بوضوح تام..فبقيتُ أتأمله للحظاتٍ أخرى..أشعر بأنامله التي شرعت تدغدغ

بشرة خدي بنعومة شديدة..و كانت تلك الحركة التي جعلتني أتنبه قليلاً..

فرفعتُ يدي الحرة لأبادله نفس الحركة..ثم همست و أنا ألامس بشرة فكه برقة..أتجول

بعيناى بين عينيه و كأنني أحاول أن أجد الحلقة المفروغة في ما قاله ؛

_و أنا أصبحت قادرة على رؤية انعكاسي في عينيكَ بعد أن كنت عاجزة عن تمييزه سابقاً..هذا

يعني بأنني أيضاً وجدتكِ..عملياً يعني !

لم أعلم سبب ذلك الشعور الذي انتابني فجأة بعد كلماتي تلك..حزن كبير..لقد أردتُ بشدة

أن أسمع تأكيداً منه..شعرت بأن ذلك الحزن لن يتلاشى إلا إذا أكد لي مصداقية ما قلته للتو..

ذلك الإنعكاس.. تلك النيران المتأججة من المشاعر في عينيه.. والتي أستطيع أن أميزها بسهولة

الآن بمجرد النظر له.. لم تكن موجودة دائماً...أليس كذلك ؟!!

أنا أعلم بأنه يحبني..لقد كانت كلماته لي في المشفى ذلك اليوم أشد ألماً و وطأة على قلبي من أن

لا أستطيع تمييز الصدق المعذب فيها..لكن ذلك الحب العميق..متى بدأ ؟!

متى كانت المرة الأولى التي خفق فيها قلب لؤي لي..متى استوعب ذلك القلب بأنه يحبني فعلاً..لا

أدري..لن أدري !!!

لأن جوابه جاء عكس ما أردت..فقد همس لي بنبرة خافتة يشوبها شيء من الاختناق بدون أن

يترك وجهي أو يدي..بل اقترب أكثر محدقاً في عينايا..

و كأنه يحاول أن يتأكد من أن ذلك الإنعكاس موجود فعلاً هناك..و أنني أيضاً..

بإرادتي..أشاركه و أبادله كل عذابات الحب التي تزرع في قلبه..منذ وقتٍ طويل كما قال ؟!

_لقد قلتها للتو سجي..أنت من كنت -عاجزة- عن رؤيته..لكنه كان موجوداً منذ وقتٍ طويل

فعلاً..وقت لا أستطيع حتى أنا عده..أما أنا.....

صمت فجأة..و اختنق صوته أكثر بشكل جعل ذلك الحزن في قلبي يتضاعف..و انتقل تأثيره

إلى عينايا و صوتي..حينما قلتُ أسأله بنبرة حاولت أن تكون محايد.. لكنها خرجت متألمة مختنقة

قليلاً كخاصته ؛

_أما أنت ؟!!!

لم أدر لما لمحتُ طيفاً من الدموع في عينيه..هل تخالجه رغبة في البكاء ؟ هل يحبني إلى هذا

الحد ؟! أل هذه الدرجة كنت غارقة في ألمي فلم أستطع أن أميز ألمه ؟!!

_تعلمين !!!

هذا فقط..هذه الكلمة هي الوحيدة فقط التي قالها..و قد بدت لي معبرة أكثر من آلاف

الكلمات الأخرى..ثم أغمض عينيه بقوة و هو يسقط جبينه على جبيني كشخصٍ يشعر بالإرهاق

الشديد..

و بدا و كأنه قد تناسى مكان تواجدنا و هو يحزّر يدي لا لشيءٍ إلا ليطوق وجهي بالكامل بكلتا

يديه..و همس يكرّر بأنفاسٍ غير ثابتة على الإطلاق ؛

_تعلمين..أليس كذلك ؟!!

وجدتُ نفسي تلقائياً أرفع نفسي اليد التي تركها إلى أن طوقت وجهه بنفسِ الطريقة.. و همست

بينما أطبق عينايا مثله..بنبرة تشبه نبرته..أشعر بتناقضاتٍ قوية في قلبي..

ما بين تألمي لأجله..و سعادتي و امتناني لإدراك بأن كل ذلك الألم في نبرته و ملامحه..هو لي

أنا..من أجلي أنا!

_أعلم..أعلم!!!

كانت هذه الجهة حيث نقف فارغة نسبياً الآن..علمتُ ذلك من أصوات الخطوات التي كانت شبه منعدمة من حولنا..و لم أستطع أن أجزم بصواب تخميني و أنا أسمع صوت أنفاسه القريبة مني..

فأنا الآن أشعر بنفسي مشتتة بين جملتين..أنا جزء من هذا العالم..لكنني لست جزءاً منه في نفس الوقت!

إلى أن سمعنا صوتاً لطيفاً لفتاة توقفت بجانبنا فجأة..ذلك الصوت فقط ما جعلنا ننتفض في نفس اللحظة مبتعدان فوراً..و قد قالت شيئاً ما..غريباً..جميلاً!

_أنا أحتج..لقد أحببت هذا التمثال الحي أكثر من الذي خلفه!!

نظرنا لها..و كانت فتاة تبدو في مثل سني ربما أو أكبر بسنواتٍ قليلة..بشعر أسود ناعم يتخطى كتفها بعدة سنتيمترات..تحمل في ظهرها حقيبة سوداء صغيرة..و ترتدي قميصاً قطنياً أسوداً قصيراً فوق بنطال من الجينز يتخطى ركبتها بقليل..

و على شفيتها ابتسامة واسعة جداً..و قد رأيتهما تتسع أكثر بينما تنقل نظرها بيني و بين لؤي بشيءٍ من الإنهيار..و من نظرتها تلك..علمتُ بأنها كانت تتأملنا منذ وقتٍ طويل فعلاً!

يا لها من غريبة أطوار!

التفتُ ببطءٍ نحو لؤي..يكتسحني شعور داخلي بالإحراج من هذا الوضع لكنني رفضت تماماً أن يظهر أثره على ملامحي..فتمسكتُ بهدوئي الذي استعدته بالكاد..

بينما ابتسم لؤي ابتسامة تحمل نفس الشعور الذي انتابني و هو يسمع صوت الفتاة تقول مجدداً..عاجزة كلياً عن عدم إظهار الإنهيار في نبرتها؛

_أعتذر..لم أستطع مقاومة المنظر أمامي فالتقطت لكُما صورة..

كانت قد رفعت الهاتف الذي كان في يدها منذ البداية أمام أنظارنا..و ارتفع حاجبائي بدهشة كاملة و أنا أرى تلك الصورة الد..الفائقة الجمال!

من يلومها على انهيارها حتى؟! لقد كانت تبدو حرفياً..كإحدى التماثيل الموضوعة هنا!

و لم أستطع إطلاقاً..أن أستوعب قدر الألم الذي كانت تجسده ملامحنا و أعيننا المغمضة

للعيان..كيف نسينا أنفسنا إلى هذا الحد!!؟

نفس الحركة في حاجباي..هي ما تشككت بين حاجبي لؤي..و لانت نظرة عينيه بشكل بدا
خاطفًا للأنظار و هو يتأمل الصورة للحظات..و لم يستطع أن يمنع يده من أن تمتد و كأنه يريد أن
يأخذ الهاتف من يدها..

لكن الفتاة..المزعجة..للطيفة..و التي أرسلت نظراتها الباسمة المحملة بالإعجاب نحوي أنا و
لؤي شعورًا غريبًا من الضيق إلى قلبي..بما أن نظراتها شملت لؤي أيضًا!
قبضت على الهاتف مبعدة إياه فجأة بحركة جعلت من ملامح لؤي تتنبه..و تلاشت تلك
النظرة الخاطفة للأنفاس من عينيه حينما اختفى مصدرها من أمامه..و بدلًا عن ذلك نظر للفتاة
كما نظرت لها أنا بعدم فهم..

إلى أن قالت تحرك رأسها في كلا الاتجاهين بنفس اللطف ؛
_سأرسلها لكما..لكن بشرط !

عقدت حاجباي قليلاً شاعرة بذلك الضيق يبدأ في ابتلاع كل المشاعر السابقة من
عيناي..لكن ما قالته..جعلني أنا و لؤي نستدير إلى بعضنا بنظرة...استغراب شديد !
_أنا فنانة..أنحت تماثيل باستعمال مادة الجبس..و أريد أن أصنع واحدًا لكما..
رمقت الهاتف مبتسمة بتلك اللطافة و هي تستأنف ؛
_لهذه الصورة بالذات !

ثم نظرت بيننا سائلة باهتمام..رغم أنها لا تبدو من نوع الناس الذين قد يستشيرون شخصًا
ما قبل التصرف في شيء يخصه..

كما فعلت قبل قليل و التقطت صورة لنا بغير إذن !

_ما رأيكما أيها الثنائي الشعاري الجميل ؟!!

لم أستطع أن أبعد عيناى عن لؤي لثوان طالت..و لا هو فعل..حرفياً كنا نشعر بالدهشة
لكل ما يحدث..تريد أن أن تصنع لنا تماثلاً ؟

أليست فكرة...غريبة ؟! لكنها جميلة أيضًا..شديدة الجمال !!!

رأيت كيف أن ابتسامة لؤي المألوفة لدي و التي تجعل أي كان من ينظر لها يقع في حبها عادت
لتتشكل ببطء على شفتيه..و كان هو من استطاع أن ينظر لها قبلي..ليقول بنبرة إعجاب لم تخلو من
الدهشة ؛

_فكرة جميلة جدًا..أنا مو افق !

بالكاد استطعتُ أن أبعد عيناى عنه لأحدق بالفتاة مجدداً..و كانت هذه الأخيرة..تنظر للوي مبتسمةً باتساع..و مجدداً أشعر بالضيق الشديد من نظراتها..

ألم أخبركم كم هو مميز ؟ إنه يشبه ذلك الحلم الذي يراود حلم كل فتاة !!!
شعرتُ ببعض الإرتياح حينما رأيته تبعد عينيها المنهرتين بشكل مبالغ به عنه..ثم قالت و هي تنظر لي الآن بتمعن و مرح ؛

_جيد..ماذا عنك أنتِ أيتها الفتاة.....

ضيق عينيها قليلاً و هي تميل رأسها للجانب محدقة بي بطريقة جعلتني أشعر بالتوجس..لكنها في النهاية قالت تكمل بلطف ؛

_لديكِ غمازة جميلة فعلاً..لا بد لي أن لا أنسى تشكيّلها بدقة في لوحتي !
شعرتُ بأنني أقف أمام إنسانة مجنونة و أنا أراها تنقل عينيها اللتين تكادان أن تشكّلان قلوباً حمراء بيننا مجدداً..و قالت فجأة ؛

_ما رأيكما أن أصنع لكما تمثالاً لكل واحد منكما بعد أن أنتهي من الصورة !!؟
ثم تسمرت عيناها على لوي قليلاً معقبة بنبرة مميزة جداً..و عيناها تلمعان أكثر ؛
_خاصة أنت..لديكِ ملامح محدّدة ما شاء الله..أشعر بأنّها خلقت للرسم !
حسنًا حسنًا..ذلك الاختناق الذي شعرتُ به يكبل أنفاسي هو أمر طبيعي..أيضاً ذلك الضيق هو ردة فعل طبيعية لمشاعري بما أني لم أزر مكاناً مكتظاً كهذا منذ وقتٍ طويل..
حتى التشنج الذي احتل أناملي و جعلني أرفعها لأزج بعض الخصلات إلى الجانب بينما أنظر بعيداً عنهما طبيعي..

و هذا الشحوب الذي شعرتُ به يكتسح ملامحي بسبب الإرهاق ليس إلا !
تلك أعراض طبيعية..لا يمكن أن يكون السبب جملة الفتاة...المستفزة ! و لا ابتسامتها الواسعة...الغبية !

حتى رغبتى المفاجأة بشتمها حينما سمعتُ صوت لوي يقول برحابة صدر..هي شيء طبيعي تماماً..أنا فقط..أصبحت انطوائية أكثر من اللزوم فبات تواجد الناس من حولي يعكر راحتي !
_فكرة جيدة أيضاً..تفضلي..هذه بطاقتي...اتصلي لي في وقتٍ لاحق لنحدث في الأمر..
مهلاً..ماذا ؟! بطاقتي ؟!!!

أرغمتُ نفسي على أن ألتفت نحوهما مجدداً..و وقعت عيناى فوراً على يد لوي الممتدة نحو الفتاة..ثم ماذا ؟! أخذت البطاقة بيد..و صافحته باليد الأخرى و هي تهز يده بحرارة لعدة لحظات..

و بقيتُ أنا واقفة مكاني أنظر إلى ذلك التلامس بصمت...ب...إحباط !!
و أخيراً تذكرت الفنانة اللطيفة تواجدي..فرأيت كيف أن يدها التي تركت يد لؤي أخيراً
امتدت نحوي رغبة في مصافحتي أنا الأخرى..
لكني لم أفعل فوراً..فقد رفعت رأسي قليلاً لأنظر إلى لؤي بملامح لا تنم عن شيءٍ محدّد
ظاهرياً..لكن ما كنت أشعر به فعلاً كان شيئاً غريباً لم أختبره من قبل..
لماذا عليّ أن أصافحها ؟ الأولى بي أن...أضربها !! ما الذي يحدث لي فعلاً ؟!!
كان لؤي يحدّق بي أيضاً بنظرة هادئة جداً..لا تزال ابتسامته مرتسّمة بنفس الطريقة على
ملامحه..و قد اكتسبت الكثير من الدفء ما إن التقت عيناه بعيناي..
و لا أحتاج لأن أقول بأن نظرتَه تلك فقط كانت كافية لتخمد ذلك الشعور الدخيل نهائياً من
قلبي..

ثم...كسجى اللطيفة و المسالمة التي عهدتها في نفسي دائماً..أشحتُ بعيناي عنه و أنا أمد يدي
نحو الفتاة إلى أن صافحتها..و للعجب فقد وجدتُها تهز يدي أيضاً مبتسمة بحرارة كما فعلت مع لؤي
قبل قليل !..

أتساءل ما الذي يجعلها متحمّسة إلى هذا الحد بينما تنظر لنا ؟! لقد كانت تتأملنا و كأنها
تنظر إلى ثنائي خرج من إحدى المسرحيات الكلاسيكية القديمة..أو من إحدى تلك الكتب الشاعرية
التي تجسّد الحُب على أنه سيمفونية من الإبداع الخيالي !
_...ماذا كان اسمك بالمناسبة ؟!

همستُ بغير تركيز و أنا أسحب يدي أخيراً من يدها..فتبسّمت أكثر بانسراح و هي تقول بمزاح
ثقيل ؛

_أنا عصفورة الحُب التي ألقت عليكما القبض متلبسين في مكان عام..
تلك المرة..لم أستطع أن أمنع الإحراج من أن يلون وجهي قليلاً..لكني لم أرد و لا لؤي
فعل..فقد سادت لحظة صمتٍ اكتفين فيها بسّماع صوت ضحكتهما المرتفعة بمرح على نكتتهما
السادجة..

ثم صمتت فجأة تنظر لوجهينا باستغراب و كأنها تنتظرنا بالفعل أن نشاركها الضحك..ثم
احزروا ماذا ؟ وجدتُ ذلك الإحراج ينتقل إلها..

لكنها تنحنحت لتبعده بخفة..و قالت تبعد الضحكة أيضاً و تستقيم بأدب مبالغ به ؛

_أعتذر..انا اسمي ياسمين..

لوهلة صغيرة كدتُ أن أتعاطف معها و أنا أشعر بأنني و لؤي تسببنا لها بالحرج فعلاً..لكنها لم تسمح لي إطلاقاً..فقد عادت لتقول بفضول قاتل بينما تشير بأصبعها بيننا ؛
_و أنتما مرتبطان..أليس كذلك ؟ رجاءً لا تقولاً لي بأنكما مجرد أصدقاء و ما شابه من تلك الخزعبد.....

_نحن متزوجان !!

أجابها لؤي تلك المرة بنبرة حملت نفس الفخر الكبير الذي تحمله كلما عرف أحداً ما عليّ بصفتي زوجته..فتجمدت للحظة..قبل أن تتهد مبتسمة ابتسامة حقيقية و جادة الآن..
و قالت بنبرة مشرقة كابتسامتها..و قد بدت سعيدة جداً بإجابة لؤي ؛
_تليقان ببعضكما جداً..

ثم أردفت و هي تحرك البطاقة التي أعطاها لها لؤي في يدها اليسرى ؛
_و لا تقلقا..ما إن أنتهي من نحت تمثالكما سأتصل بكما لتكونا أول من يراه..
منحها لؤي ابتسامة مؤدبة و عيناه تلمعان بطريقة جعلتني أنسى كل شيء من حولنا لأنشغل بتلك اللمعة فقط..ثم استدار نحوي ليمنحني نظرة أخرى أشد دفئاً من كل السابقات..
قبل أن يمد يده ليحتضن يدي مجدداً بتأني..ثم قال يوجه سؤاله التالي للفتاة التي لم تنفك عن مر اقبتنا بإخلاص و صدق ؛

_و الصورة ؟ متى سترسلينها ؟!!

رأيتُ كيف تلاشت ابتسامتها قليلاً و هي تنظر لأناملنا المتشابكة بنفس النظرات المحملة بالإعجاب..فلم يقاطعها أحداً..إلى أن رفعت عينيها برغبتها لتقول بنبرة أقل مرحاً و أكثر لطفاً ؛
_بعد أن أعود لمنزلي فوراً..

ثم رفعت يدها التي تحمل البطاقة لتشكّل تحية مميزة بلمسة من أصابعها الوسطى و السبابة لجانب جبهتها أثناء قولها ؛

_لقد سررت بمقابلتكما..جعلتما يومي أكثر تميزاً..

ثم استدارت مغادرة..و بقينا أنا و لؤي و اقفين مكاننا ننظر في أثرها للحظاتٍ أخرى بغرابة..لا أعلم إن كانت تتحدث بجدية حينما عرضت بأن تقوم بنحت تمثال لنا..و لا أعلم إن كانت هناك احتمالية لأن نلتقي بها مجدداً حتى..

ما يهمني أنها أوفت بوعدها و أرسلت الصورة المنشودة للؤي..و أتمنى فعلاً أن يكون عرضها ذلك اليوم حقيقياً و صادقاً..

لأنني في الحقيقة منذ ذلك اليوم..لم ينفكّ عقلي عن تخيل شكل ذلك التمثال..و في كل مرة
أتخيله يبدو جميلاً جداً..ليتها تفي بوعدها فعلاً !
بعدها..و ككل يوم يمر استثنائي مع لؤي..عدنا إلى المنزل الوحيد الذي أصبح يشعرني
بالإنتماء..لدرجة أنني حتى الآن و بعد كل هذه الفترة..لا أزال لا أشعر برغبة في الانتقال منه...منزل
هادي و شهد !

لكنني بعد اليوم..أشكُّ بأنني أستطيع البقاء هناك أكثر..لا بد أن أفكر في كلام الطيبة
جيداً..لا بد أن أحظى بهذه الفرصة..
تلك باتت مهمتي الآن..عليّ أن أمهد الطريق لحياتنا بأن تعادل..لتصبح حياة طبيعية لزوجين
حقيقيين !

لم يعترض لؤي على طلبي بالطبع..لكنه رغم ذلك قال بقلق و هو يتركّ وجنتي ليمسك بيدي و
يفتح بالأخرى الباب من جهتي ؛
_لماذا ؟ هل أنت بخير ؟!!

اقتربتُ من السيارة لأصعد في مكاني..و قلت مُطمئنة و أنا أغلق حزام الأمان من حولي ؛
_مرهقة قليلاً فحسب..أشعر بأنني في حاجة إلى الإستلقاء..
لم يعلق لؤي بعد إجابتي..اكتفى بأن اتخذ مقعده القريب مني هو الآخر..و تزامناً مع انطلاق
السيارة..شعرتُ بيده التي امتدت نحوي لتقبض على يدي مجدداً..
ثم شعرتُ بكل توتر كان ينتابني ينقشع تماماً استجابة لتلك الحركة التي يفعلها دائماً..بحيث
يتركّ إبهامه يتجول على ظاهر كفي ممسداً برفق شديد..
بعدها ساد الهدوء التام..و سمحتُ لنفسي بأن أستند إلى الزجاج المغلق من جهتي..و مجدداً
لا يشغل ذهني سوى كلمات الطيبة..و أحداث ذلك اليوم الجميل..
تململتُ قليلاً حينما توقفت السيارة فجأة في منتصف الطريق..و نظرت إلى الإشارات المرورية
حيث كان يشتعل الضوء الأحمر..لكن ما لفت انتباهي فعلاً..و جعلني أرمش قليلاً بتفاجئ و أنا أرفع
رأسي لأتطلع من النافذة إلى السّماء المشرقة..هو تلك القطرات الدافئة التي شرعت تتساقط بهدوء
شديد منها..

لا أتذكر آخر مرة نزل فيها المطر..على الأرجح قبل سبعة عشر يوماً بما أن مدينتنا تعتبر
مدينة باردة و يتوقع نزول المطر فيها دائماً و في كل وقتٍ و فصل..

لكنني فرحتُ جدًّا حتى بهذا التساقط القليل..و وجدت نفسي بغير إرادة أستعيد تفاصيل

ذلك اليوم البعيد..حينما ذهبت برفقة لؤي إلى المتنزه القريب من جامعتي..

كل غايتنا اقتناء بعض الاطمئنان و الكثير من الأمل و الابتسامات !

على ذكر لؤي..فقد سمعتُ صوته الهادئ يقول من خلفي بنبرة رائقة ؛

_سأعود حالًا..انتظريني..

استدرتُ نحوه تلقائيًّا لأنظر له باستغراب..إلى أين ينتوي الذهاب الآن ؟!!

لم أمانع رغم ذلك..او مأْتُ له بغير اقتناع تام و أنا استريح قليلًا في مقعدي..ففتح الباب

ليترجل من السيارة..

راقبته بينما يتخطى الرصيف متجهًا بخطواتٍ سريعة إلى الشارع القريب هناك..و الذي

يظهر منه مجموعة من المحلات المتنوعة الملتصقة ببعضها البعض..

كانت محلات فاخرة..و رأيته من مكاني يدخل أحدها و الذي بدا لي و كأنه خاص ببيع

الحلويات الشرقية..فتنهدتُ مبتسمة بقلّة حيلة و أنا أعود لأرتاح في مكاني..

استغرق دقيقتين تقريبًا قبل أن ألتفت مجددًا إثر انفتاح الباب و دخول لؤي بخصلات شعر

مبللة قليلًا و ابتسامة واسعة على وجهه..

بدت لي ابتسامته ساحرة جدًّا كذلك اليوم تمامًا في المتحف..و لم أستطع و أنا أسمعهمهمس

لي بلطفٍ بينما يشرع في إخراج الصندوق الكارتوني الأبيض الصغير..و الذي يلتفّ حوله شريط أحمر

رقيق ينغلق بعقدة في مقدمته من الكيس..

_ألم تقولي بأنك مرهقة قليلًا ؟ فكرت أن أعدل مزاجك ببعض الحلويات بما أنك لا تريدين

الذهاب إلى أيّ مكان اليوم..

أن أمنع ابتسامة حقيقية من شقّ شفاهي..

ثم اعتدلتُ قليلًا تزامنًا مع فتحه للصندوق..و كم كان محقًا..فبمجرد أن وقعت عينا على

ما بداخله من حلويات متنوعة شهية..شعرت بمزاجي يتعدل تلقائيًّا..و ذلك الإرهاق السابق المرتبط

بالحديث الذي خضته مع الدكتورة يختفي نسبيًّا..

خاصة حينما امتدت يده ليلتقط واحدة منها يعلم مسبقًا بأنني أحبها جدًّا..ثم فرد يده نحوي

و كأنه يحثني أن أتناولها من يده..

_أول واحدة لكِ..

كان يتحدث بعفوية شديدة..و شعرتُ لأول مرة بعد وقتٍ طويل و كأنني لا أجلس إطلاقاً أمام
لؤي زوجي..بنسخته المختلفة بعد زواجنا..

بل صديقي لؤي المرح و المبتسم على الدوام ببشاشة..

و الذي لا يمكن للحرص أو الخجل أن يختلج أحداً بينما نجلس مع بعضنا البعض..و لن
أكذب إن قلتُ بأنني أحببت هذا جداً..كما أحببت فكرة أن أعود أنا سحى القديمة ذاتها.. أردت بشدة
أن أتقمص دور نفسي سابقاً..

و بالتالي فلم أمانع إطلاقاً من أن أفتح في لأتناولها منه..ثم أغمضتُ عيني أستهشعر ذلك
الطعم الحلو بشهية فتحت فجأة..

هل أعجبتكِ؟!

جاءني صوته رائعاً جداً..و استطعتُ بدون أن أفتح عيني أن أشعر بابتسامته الجميلة و هي
تتسع أكثر و أكثر..ففتحت عيني مجيبة بصدق تام و أنا لا أزال أبتلع طعمها اللذيذ ؛
_لذيذة جداً جداً..

شعرتُ بالقليل من التوتر يلفحني و أنا أرى ابتسامته تتلاشى قليلاً بعد إجابتي..و انهمكت
عيناه قليلاً في التحديق بعيني بطريقة مختلفة..بطريقة ما..شعرت بأن تلك الفكرة نفسها قفزت إلى
عقله..حتى أنه في هذه اللحظة يستعيد نفس لحظات صداقتنا الجميلة في ذهنه..
نظراته تمنج ما بين عشق قوي كبير..و صداقة عميقة مميزة..ما بين لؤي القديم صديقي..و
لؤي الجديد.....حبيبي!!?

ربما..سأبدأ في استطابة الكلمة قريباً..بما أنني أحببتها جداً !!

شعرتُ ببعض التوتر ينتابني مجدداً لتلك الفكرة.. فمددت يدي إلى اللعبة لأخرج قطعة ثانية
من الحلوى..و قلت بينما أمدّها نحوه بنبرة خافتة لطيفة ؛
_الآن دورك..

انخفضت أنظار لؤي إلى يدي باستغراب جعل من ابتسامتي تتسع قليلاً فقط..و قاومتُ كل
شعور بالتردد خالجي مستمرة في رغبتني بأن أضع تلك الحلوى في فمه كما فعل قبل قليل..
إلى أن عاد ليمنحني نظراته السخية في الحب..و اقترب قليلاً ليتناول تلك الحلوى من يدي
فعلاً..لكنه و قبل أن يستطيع إبداء رأيه..سمعنا صوت بوق السيارة التي تقف خلفنا..فأجفلنا بشدة
مستوعبين تغير لون الإشارات المرورية..

اعتدلتُ في طريقة جلوسي بسرعة و أنا أنظر إلى لؤي الذي فعل مثلي بابتسامه.. لكن حتى انشغاله بالتحرك أخيراً بالسيارة لم يمنعه من أن يعلق بلطفٍ بينما ملامح توضّح تلذذه بما يتناوله ؛
_سلمت أناملك..

منحته ابتسامته أخرى باهتة قليلاً..و صمتُ للحظاتٍ لم ينفكّ فيها عقلي عن تقليب فكرة ملحة..إلى أن قلت فجأة ؛
_دعنا نعود إلى منزلنا !

رمش لؤي بتفاجئ و هو يستدير نحوي لينظر لي بعدم فهم..لكنه لم يلبث أن سأل بهدوء ؛
_أيّ منزل ؟ تقصدين...المزرعة ؟!!
نطق الكلمة الأخيرة بتزدّد كبير..و قد كان يخشى ربما أن تصدر مني ردة فعل تبدّد هذا الهدوء المنتشر في الأجواء..لكن ذلك لم يحدث..

لقد مررتُ بما يكفي فعلاً..سردت الكثير و بحت بما لم أتوقع أن أبوح به يوماً إلى الطيبية..ليس ذكر سيرة المزرعة الآن ما سيفزعني !
ابتلعتُ ريقى ببطءٍ..و قلت أحاول أن أبقى صوتي ثابتاً و أن لا أسمح لأيّ تخاذل بأن يدفعني للتراجع عن هذا القرار ؛

_لا ، أقصد...منزلك أنت..تذكره ؟ الذي أخذتني إليه في الماضي لعدة مرات ؟!!
كنتُ أتحدث عن منزله الخاص هنا..ذلك المنزل الدافئ جداً كصاحبه..الباعث على الطمأنينة و السرور كابتسامته..و الذي زرته لأكثر من أربع مراتٍ سابقاً برفقته..
بدون أن تخطر في بالي أبداً في إحدى تلك المرات بأنني قد أعيش لحظة في المستقبل بحيث أطلب منه أن ننتقل للعيش فيه سوياً !

صمت قصير جاءني من طرف لؤي..و ظلت فيه تعابير الاستغراب مرتسمة في وجهه بشكل جلي..ثم في النهاية سمعته يطرح السؤال الذي توقعته ؛
_و هادي و شهد ؟!!

و هادي و شهد ؟ حسنًا و ماذا عنهما ؟! ما الذي أستطيع قوله سوى التعبير بكل أسفٍ عن هذا الحزن الذي استوطنني لفكرة الانتقال لمنزل غير منزلهما الذي احتكرناه لفترة طويلة !
حركتُ كتفائي بقلّة حيلة و أنا أهمس مبقية على ابتسامتي الهادئة ؛
_سنخبرهما..ما الذي سنفعله ؟!

لم أدر سبب تلك النظرة التي رمقني بها بعدها.. نظرة تفكير و توجس.. و قد بدا وكأنه يريد
إلقاء سؤال ما يستفسر من خلاله ربما عن سبب هذا القرار المفاجئ..
لكنه تخلى عن هذه الفكرة قبل أن ينفذها.. و بدلاً عن ذلك.. سمعت صوت زفرته الهادئة.. ثم
قال مبتسماً... برضا!
_حسناً..كما تريدن سيدتي..
الآن كان دوري أنا لأرمش بعيناي متطلعة به باستغراب..إنها المرة الأولى التي يناديني فيها
سيدتي !
و بطريقة ما..مناداته لي بهذا الشكل جعلت ذلك الإضطراب السابق يغزو قلبي مجدداً..و
نفس السؤال الذي أزعجني لدقائق سابقة يعود ليتكرر في عقلي بالحاح..
كيف سأستطيع ؟ بأي شجاعة سأفعل !!؟

#الكاتبة

" قبل دقائق طويلة... "

كان يجلس خلف مكتبه..نفس ذلك المكتب الذي شهد انهياره الأول قبل ما يقارب الثلاثة
أشهر..ثلاثة أشهر لم يشعر بها فعلياً..كل ما يتلقفه هو إحساس من الخواء العميق..
ذلك الشعور الذي ظهر في ملامحه بينما يجلس فوق الكرسي الذي ما عاد يفارقه إلا نادراً..و
تكون غايته الصعود لغرفته لسبب مجهول..
ربما للإطمئنان على زوجته التي أصبح يسكنها نفس الفراغ..أو فقط يحاول أن يقطع جولة
بمنزله الحزين الكئيب و كأنه يتأكد من أن طيف ابنه البكر لم يعد هناك !
كان يستند بظهره و رأسه إلى الكرسي..أنامله ملقاة على مسنديه بإهمال..و عيناه الخاويتين
تناظران السراب..بينما يسمع صوت أحد الموظفين لديه بالشركة الرئيسية التي لم يزرها و لو مرة
واحدة طويلة هذه الفترة..
كلماته تخلص ما تجسده مجموعة الجرائد الملقاة بإهمال على سطح المكتب من فضائح و
أخبار كارثية عنه..
لقد فقد أكرم الشاذلي زمام أمور حياته..فبات هدفاً سهلاً يخوض كل من هب و دب في
سمعته..بدون أن يطاله أي عقاب !

_سيدي..الموظفون متوقفون عن العمل..إنهم يهدّدون بالاستقالة لو لم يحصلوا على

رواتبهم..ما الذي عليّ أن أفعله ؟!!

لم يظهر أيّ تعبير جلي على ملامحه و كأن الأمر لا يعنيه فعلاً..إلى أن عاد الصّوت و الذي

يعود للمدير التنفيذي لشركته لمهتف منها ؛

_لم تجبني سيد أكرم !!! هل أستغل الأموال المتبقية في خزانة الشركة لأرد ديونهم ؟ لم يتبقى

منها سوى مبلغ صغير أساساً..جميع المستثمرين قد تخلوا عنا و لا أحد يريد العمل معنا من بعد

الأحداث الأخيرة..يجب أن نتصرف و إلّا توقع أن يتم إعلان إفلاس الشركة قريباً لو استمر الوضع

على هذا المنوال ! سيد أكرم..سيد أكرم هل تسمعي..سيد أكرم.....

لكن السيد أكرم كان و كأنما لا يسمع..فضّل يكرّر الاسم منادياً لعدة مراتٍ عبثاً بينما صوت

الضجيج من الجهة الأخرى يجعل صوته غير واضحاً تماماً لمن يستطيع سماعه..

أما هو..فقد كان لا يسمعه أساساً..و لم يلتفت انتباهه سوى صوت طرقاتٍ هادئة فوق

الباب..هي فقط ما تسبّبت في ظهور تعبير جديد في عينيه..

مجرد أن طرف ببطءٍ و هو يلتفت قليلاً لينظر لإحدى الخادومات التي باتت متعودة منذ فترة

على فتح الباب بمفردها بعد عدة طرقاتٍ متأكدة من أنه لن يجيها..

توقفت هناك تنظر له بارتباكٍ قليلاً..و لم يحاول أكرم أن يحثها على التكم..فقد كان معتاداً

أن يسمع منها بعض المستجدات فيما يخصّ عفاف و غالباً ما تكون ردة فعله مجرد هزة شبه مرئية

من رأسه..

اليوم قالت شيئاً مختلفاً..همست بما جعل حاجبيه ينعقدان قليلاً بدهشة شبه ملحوظة ؛

_السيدة عفاف..تريد رؤيتك !

ظل صامتاً للحظاتٍ..ينظر للخزانة الكبيرة المقابلة له بشرود ظاهري يجعلها تشكّ بأنه لم

يسمعيها..إلى أن طرف ببطءٍ و هو يعيد أنظاره لها..و قال بنبرته الفارغة و التي فقدت الكثير الكثير

من قوتها خلال هذه الفترة ؛

_هل تحدثت بنفسها ؟!!

أومأت له الخادمة ببطءٍ و هي تصنع شبح ابتسامة لم يرها فعلياً..

لقد كانت هذه المرة الأولى حرفياً التي تتحدث فيها عفاف منذ الحدث المؤلم..و هذا نوعاً ما

يدعو رجلاً مثله فقد تعايبه كلياً للشعور بالدهشة و أخيراً!

هز رأسه أمراً بنبرة متباعدة و عيناه تعودان للغرق في شرود بالكاد بات يستطيع الخروج منه ؛

_عودي إلى عملك..

لم تعترض الخادمة..فقد التفتت متجهة إلى الباب إلى أن أغلقته مغادرة بهدوء..بينما ظل أكرم جالسًا مكانه لحظة أخرى..قبل أن يقف ليقترّب من نفس الباب بهم بالصعود إليها بخطواتٍ لا تحمل الصّلاية الماضية و التي كانت تمتاز بها شخصيته..

طوال مسافة صعوده نحو غرفتهما..كان عقله المشوش يتساءل عن السّبب الذي جعلها تود رؤيته الآن..بعد أن لم ترمقه و لو بأيّ نظرة عابرة طيلة هذه الفترة..

كانت و كأنما تحمله ذنب موت ابنهما!

و الحقيقة أن هذا المآل الذي آلت إليه حياتهما كان نتاجًا عن استخفافٍ و طغيان و تكبر من كليهما..و تصرفاتٍ هوجاء لم يفكر أحدهما في عواقبها لاحقًا!

لم يشعر بذرة أمل أو سعادة لسماع هذا الخبر..فهو كان يعلم مسبقًا بأنها تعي كل ما يحدث حولها..حتى حينما يدخل إلى الغرفة في بعض الأحيان ليقف طويلًا ينظر لها من مكانه بصمتٍ كان يدركُ بأنها تشعر به..

لكنه مثلها..يكتفي بالصّمت كحديثٍ أشد تعبيرًا إلى أن يغادر تاركًا إيّاها إلى عزلتها مجددًا..توقف أخيرًا أمام الباب فدفعه ليتقدم نحو الداخل بهدوء..كانت كعادتها مستلقية فوق السرير..تستند إلى يدها المرتاحة فوق الوسادة بوجنتها..

تحديق بعينها الجاحظتين بفراغ في صورة قديمة ترتاح على المنضدة بجانبها..صورة تشمل كل أفراد عائلتها حينما كان يمكن تسميتهم بالعائلة و لو مُجاملة !

اقترب منها أكثر إلى أن جلس على طرف السرير..يشعر بأنه يجلس في غرفة غير غرفته..بجانب امرأة لا تشبه المرأة التي أمضى معها نصف حياته..و هو ليس مستغربًا من هذا الشعور في الحقيقة..بما أنه هو بنفسه لم يعد قادرًا على التعرف على نفسه !

_أردتِ رؤيتي ؟!

قال بصوتٍ خافتٍ لا ينم عن شيءٍ محدّد..و استغرقه الأمر لحظات طويلة -ظن فيها بأنها لن تجيبه- لسماع صوتها..و كم بدا صوتها غريبًا..شاحبًا و ضعيفًا بطريقة تثير الشفقة حتى في قلب شخصٍ مثله !

قالت جملة واحدة بدت إليه أغرب من صوتها الذي خرج و كأنه ينتمي لشخصٍ يجلس خلف جدار زجاجي يحجب كل شعور منه..جملة جعلت عينيه تعتكفان ردة فعل جلية للمرة الثانية اليوم ؛

_أريد رؤية شهد !

قالت بدون أن تنظر له أو تغير من وضعية استلقاءها..و وجد نفسه يتسمر تمامًا غير قادر على استيعاب ما طلبته..قبل أن يطرف بعينه ببطءٍ و يتراجع برأسه قليلاً ناظرًا لها بدهشة لا تساؤل..

و بدون أن يحتاج لسؤالها عن السبب..كان عقله قد نجح في تخمينه مسبقًا..
على الأرجح.....زوجته تريد إصلاح بعض الأخطاء العويصة التي تم ركنها منذ زمن طويل في أرفف الماضي البعيد ! و بالطبع لم يستطع الاعتراض تلك المرة أمامها !
لقد خسرا الكثير فعلاً..أكثر مما يمكن للإنسان العادي التحمل مستمرًا في الحياة بعد فقدانه..ربما بعض البوح قد ينجح في مداواة القليل من الشروخ التي خلفها القدر !

طوال الطريق كان عقلها يضحج بالأفكار و التساؤلات.. التردد يخالجها بعد أن لم تستطع رفض الذهاب مع الرجل الجالس في مقعد السائق أمامها لمقابلة عفاف..
لا تعلم إن كانت قد تنازلت لسبب في نفسها حثها على رؤيتها و هي تشعر بأن هذه الزيارة بالذات لن تكون بدون فائدة..

أو فقط رضوخًا لشعور دخيل انتابها من حيث لا تريد..
ربما...ربما تريد الاعتذار منها على كل ما سبق ؟!
ربما أن الألوان أن يعتكف قلبها بعض الراحة برؤية الندم الحقيقي في عينيها و سماع الاعتذار الذي انتظرت و تمننت بيأس سماعه طويلًا !

هي لم تعد تكرهها بعد..لا تتمنى لها السوء و لا تشعر بالتشفي بالطبع لما آلت إليه حياتها..لكنها فقط...لا تستطيع أن تنسِف تلك الأمنية من قلبها..
تشعر بأن ذلك الاعتذار سيحررها..سيداويها..حتى ذلك الأثر في معصمها لن تعود رؤيته مؤذية بالنسبة لها..سيتداعى تأثيره مع تداعي كل ذكريات الماضي الأليم !
توقفت السيارة أخيرًا أمام القصر الفاره الذي لم تزره من قبل أبدًا..فطرفت بמושها ناظرة لواجهته الفاخرة التي تدعو للإنهار و الرهبة فعلاً..

قبل أن ترفع رأسها لتتنظر لذلك السائق الذي كان قد دار حول السيارة بدون أن تنتبه له إلا حينما فتح الباب من جهتها يحثها على النزول..

حينها فقط...وجدت نفسها تبتلع ريقها بتردد و هي تنزل قدميها من السيارة تاركة حقيبتها الدراسية بداخلها..بينما عقلها يتساءل ما إن كان ما تفعله صائبًا..

ماذا لو كان إحساسها خاطئاً ؟ ماذا لو كانت السيدة عفاف لم تتغير عن دي قبل ؟! لو كان

كل هدف دعوتها اليوم غير الذي طرأ في عقلها ؟!!

هي لم تخبر هادي حتى ! لسبب ما عجزت لأول مرة عن إخباره قبل أن تقابلها و تفهم سبب

هذه الدعوة..و لا تعلم ما ستكون ردة فعله لو علم !

اقتربت من الباب العريض بخطواتٍ غير واثقة تمامًا..إلى أن توقفت هناك تداعب قلبها

مشاعر متناقضة..لحظات استغرقها في النظر للباب المزخرف بحرفية بلا هدى و كأنها تنتظر أن

يفتح بدون أن تطرقه..

لكنها في النهاية استطاعت أن تزفر نفساً عميقاً..رفعت يدها بعده لتكبس فوق زر الجرس..و

لم يستغرق الأمر أكثر من ثوانٍ قليلة قبل أن تسمع صوت دوران القفل من الداخل ليصطدم وجهها

مباشرة بالخادمة الأنيقة..

تلك التي نقلت عينيها بين وجهها باهتمام جعل من ذلك القلق يتضاعف في قلب شهد..و

الحقيقة أنها كانت تتساءل فقط عن ما إن كانت هذه هي حبيبة السيد هادي المشهورة في المنزل ؟!

_تفضلي..السيدة عفاف تنتظرك..

قالت و هي تراجع خطوة مفسحة لها المجال لتدخل..بدون أن تزح عينيها المتفحصتين

عنها..فتردّدت شهد للحظة أخرى..لكنها لم تلبث أن تقدمت ببطءٍ لتخطو خطواتها الأولى في هذا

القصر الواسع...منزل هادي !!

شعرت بذلك الانهيار يتضاعف أكثر و هي تجد نفسها تقف داخل مكان يصرخ بالفخامة و

الثراء..حتى أنها عجزت عن كبح عينيها من أن تتجولان فوق كل مكان هنا فاغرة الفم بذهول..

إن كان منزل هادي رائعاً و فاخراً فهذا القصر يبدو كالجنة تماماً!

هل هذا هو المكان الذي ولد فيه هادي و عاش فيه طوال حياته ؟ هل كان يعود إلى هنا بعد

كل مرة يلتقيها فيها في الميتم ؟!!

شعرت بخفقات قلبها تختلج بشعور غريب حينما أرسل لها عقلها صوراً وهمية تخيلت فيها

هادي يقف هنا أو هناك..حتى أنها عقدت حاجبها غارقة في تخيلاتها و عقلها يرسل لها صوته في

المرات النادرة التي سمعته يتحدث فيها عن هذا المنزل..

و تمنّت..تمنّت بشدة لو كانت هناك إمكانية لأن ترى غرفته هنا..لتتأمل كل إنش منها مشبعة

هذا الشعور الدافئ من الحنين الذي اكتسحها..تريد أن تتأمل صور طفولته و أن تلمس سريره و

تستلقي عليه ناظرة للسقف حيث كانت عيناه تسرحان في تخيلها أيام الطفولة الحزينة...الجميلة !

تريد أن تعانق ذلك الطفل بنسختها اليوم و أن تربت على كل آلامه حتى تزول..ربما تتملكها
الجرأة في يوم ما للنظر في عينيه و إلقاء هذا الطلب..

واثقة بأنه لن يرفضها مهما اكتسح قلبه من نفور ناحية هذا البيت !
_دعيني أدلك على غرفة السيدة عفاف..

لفت انتباهها هذا الصوت الهادئ مجدداً..فالتفتت نحو صاحبته مجفلة في البداية..قبل أن
تحرك رأسها بالإيجاب..فتقدمت تلك الأخرى عدة خطوات نحو السلالم الطويلة هناك..و التي
تشارك في تصميمها فخامة كل شيء هنا..

لحقت بها شهد بخطوات حاولت جعلها ثابتة هادئة..حتى و هي تستشعر كل ذلك التوتر
بداخلها..إلى أن توقفت أخيراً أمام غرفة محدّدة..و رفعت الخادمة يدها لتطرق الباب بهدوء شديد..
لكن أي صوت لم يصلهما من الداخل..فما كان منها إلا أن أمسكت بالمقبض لتفتح الباب
بنفس الهدوء..و بدون أن تدخل أو تلقي نظرة نحو الداخل استدارت نحو شهد مجدداً مشيرة لها بأن
تتقدم..

حينها فقط...كانت شهد تسحب نفساً طويلاً حاولت به أن تطرد شعور الندم الذي راودها
فجأة على هذه الخطوة غير المسبوقة..ثم تقدمت ببطء شديد نحو الداخل..
و قبل حتى أن تستوعب..سمعت صوت انغلاق الباب من خلفها و تلك الخطوات التي أكدت
لها بأن الخادمة ذهبت..

رغم أنها كنت مضطلة بحالها..إلا أنها لم تتوقع أبداً طوال الدقائق التي استغرقتها في
الطريق..أن ترى هذا المنظر أمامها..بطريقة ما..كان عقلها يفشل في كل مرة عن تخيل صورة لها حيث
يكون الضعف الذي حُكي عنها متسيداً على ملامحها..

لكنها الآن و هي تقف أمامها..شعرت بدهشة أقرب إلى الصدمة تحتلها..لقد كانت تبدوا
مختلفة جداً..كانت تجلس في طرف السرير..ترتدي فستاناً أبيضاً لا يشبه فساتينها الفاخرة المنتقاة
بعناية رغم قيمته المالية التي تبدو مرتفعة بينما شعرها مجموع بعشوائية..

لكن ما جعل شهد ترتعش لرؤيتها شاعرة بأنها تقف أمام شخصٍ آخر..هو ذلك الذبول
المخيف الذي كان يستوطن ملامحها..و كأن المدة الزمنية التي مرت بين ذلك اليوم في المشفى و اليوم
هي ألف سنة..

لقد فقدت الكثير من وزنها بشكل بدا ملحوظاً جداً..كانت هناك هالات تحت أعينها تخبر كل
من يراها بأن صاحبها لم تتذوق طعم النوم منذ فترة جيدة..

لأول مرة ترى ملامحها الخالية من مساحيق التجميل و التي كانت تبدو شاحبة لدرجة أن كل مساحيق التجميل في العالم لن تنجح في نسف شحوبها ذاك..

كيف يمكن للحزن أن يغير شكل الإنسان إلى هذا الحد؟! كيف يمكن أن يلامس قلبها شعور حقيقي بالشفقة نحوها؟!

لقد شعرت بالشفقة للتو نحوها فعلاً! شعرت بالشفقة نحو المرأة التي دمّرت طفولتها بقسوة شنيعة!!

هل دفعت ثمن سنواتها التي شيعتها بالألم و الحزن و الظلم؟! الآن تشعر بأن هذا العقاب كان أقسى بكثير ممّا يستحقه أيّ إنسان!

لم تكن قد رفعت رأسها في البداية و كأنها لم تشعر بدخولها..كانت عيناها تنظران في جهة واحدة..خزانة حديدية صغيرة محفوظة في مكان معين هنا..
و موصدة بقفل حديدي..

إلى أن طرقت برموشها و التفتت إلى شهد أخيراً..منحتها نظرة فارغة..لكن بالنسبة لشهد..فتلك النظرة جعلت من تلك العرشة تهيم على قلبها أكثر..

لأول مرة لا تحمل نظراتها نحوها الحقد و هي تنظر لها!!

لقد واجهتها من قبل مرتين..و في كلتا المرات كانت تشعر بأن ذلك الشعور المكبوت بداخلها من الضعف يتضاءل..لكنها رغم ذلك لا تزال تشعر بالرهبة كلما وقفت أمامها أو نظرت في عينيها..
و كأن تأثير الماضي البشع يرفض بتصميم أن يتداعى محرّراً إياها بشكل نهائي!

دائماً سيرتبط اسم عفاف الشاذلي بطفولتها الضائعة المفقودة..دائماً سيذكرها ذلك الأثر في معصمها بكم الظلم الذي تعرضت له عقاباً على...مجرد شعور بريء!

لكنه أيضاً سيظل مرتبطاً باسم هادي..حبيبها الوحيد و أقرب الناس إليها..تبقى هي..والدة الرجل الذي يمثل لها كل الحياة..و جزءاً من هذه الروح التي تقبع في أحشاءها..

لهذا فقط..مهما حاولت لا يمكنها التحرّر من هذا التأثير طوال حياتها!

رأت كيف انزلت نظرات عفاف إلى بطنها ببطء..و تجمّدت عيناها هناك للحظاتٍ و كأنها

تذكرت للتو بأنها حامل..و بأنها ستصبح جدة عما قريب!

ثم عادت لتنظر إلى شهد بنفس الطريقة التي تحفرها على الرحيل و البقاء في نفس الوقت..و

فتحت فمها أخيراً! لهمس بنبرة تشابهت مع ملامحها و عينيها ككل..فارغة..فارغة تماماً :

_اقتربي..

تقترب ؟ هل يجب عليها أن تقترب حقًا ؟! لماذا لا تقول ما تريد قوله من هناك فحسب !
أرغمت شهد نفسها بالقوة على سحب نفسٍ جديد ثابت..ثم اقتربت ببطءٍ إلى أن وقفت أمامها
تنظر في عينيها بنظرة خالية من التعابير..لكن عفاف فاجئتها بحركة غير متوقعة..
فقد رفعت يدها بثقل إلى أن وضعتها فوق بطنها البارز قليلاً فقط..و همست بدون أن تنظر
لها الآن بنفس الطريقة التي تبعث على الصدمة..همست بنبرة...محايدة فقط !
_في أي شهر أنت الآن ؟!!!

لم تسمع أي ردٍّ من شهد لوقت..فقد كانت هذه الأخيرة لا تزال تنظر لها فاعرة الفم بعجز تام
عن التصديق..فرفعت عفاف عينيها إليها ببطءٍ لتمنحها تلك النظرة الزائغة..و التي تبدو لشخصٍ قد
استيقظ من سباتٍ طويل بالكاد..

استطاعت شهد أن تتمالك نفسها بعد ثوان..فسحبت نفساً عميقاً تستعيد به تركيزها..قبل
أن تهمس بصوتٍ مضطرب لم يخلو من شعورها بالضياح ؛
_خ...خمسة أشهر..

تضاعفت الصدمة في ملامحها و هي ترى عفاف تهز رأسها ببطءٍ..بدون أن تبعد يدها للحظاتٍ
أخرى..وقد شردت عيناها مجدداً في اللا شيء..إلى أن أنزلت يدها أخيراً..و عادت تقول بصوتٍ
متباعد خافتٍ ؛
_اجلسي..

مجدداً وجدت شهد نفسها تستغرق لحظاتٍ في النظر لها بغباء..لكنها لم ترفض رغم
ذلك..اقتربت عاقدة حاجبها بحيرة شديدة من ذلك السرير لتجلس في طرفه بغير ارتياح..
و تعمدت أن تترك مسافة بينها و بين عفاف و كأنها تخشى أن تقترب أكثر فتصدر عنها حركة
مفاجئة تبدد كل دهشتها اليوم !

لكن عفاف لم تعلق على تلك الحركة..كان الضعف يلهم عينيها حرفياً..عيناها اللتان قدر
لهادي أن يرثهما منها..

لقد كان هادي يشبهها بشكل واضح..على عكس والده الذي لا يمكن لأي شخص أن يجزم بأنه
قريبه إذا رآهما سوياً..

و رغم ذلك فهو لم يذكرها بها و لو لمرة واحدة و هي تتأمله من قبل..بل كانت..تعشق تأمله في
الحقيقة..

تعشق كل تفاصيله الدقيقة بما فيها تفاصيل ملامحه التي دائماً ما راودها شعور واضح بأنها
مهملتا بحثت في كل بقاع العالم فلا يمكنها أن تجد ملامح أجمل منها!
ظلت عفاف ملتزمة الصمت لعدة لحظات أخرى لم تتوقف فيها عن النظر لها بطريقة بدت
غريبة لشهد كغرابة كل شيء اليوم.. كانت تتفحصها حرفياً.. عيناها تتجولان بين كل ملامحها.. و يبدو
من طريقة نظرها لها بأن عقلها غارق في دواماتٍ من الأفكار..

أما شهد.. فكانت طوال الوقت تطرف برموشها متجنية النظر لها.. تتلاعب بأناملها بخيوط
فستانها الرقيق.. تحاول أن ترغم نفسها على الجلوس و سماع ما في جعبتها.. إلى أن سمعت صوتها
السّاكن الباهت يقول بعد وقتٍ طويلٍ :

_ أَلن تسأليني عن سبب هذه الدعوة ؟!!

بالكاد استطاعت شهد أن تستوعب سؤالها ذاك.. رمتها بنظرة لا تنم عن شيءٍ محدّد.. لكنها
وحدها كانت كافية لأن تجعل عفاف تستأنف بنبرة ثابتة :

_ لقد دعوتكِ اليوم لأمنحك الإجابة على سؤال لطالما قرأته في عينيك..
مجدداً لم تسمع أي ردّ من شهد.. والحقيقة أنها لم تكن تنتظر ردّاً.. كل ما أرادته اليوم هو
البوح.. أرادت تعرية تلك الحقيقة التي كتمتها لوقتٍ طويل جداً خوفاً من دمار يهدّد أمن عائلتها..
الآن لم تعد هناك عائلة ؟! ممّا تخاف بعد ؟!!

_ لماذا... من بين كل فتيات الدار... كنت أكرهكِ أنتِ بالذات !

كانت تنظر في عيني شهد تماماً الآن.. و رأت تلك النظرة التي احتلتها بمجرد سماع هذا
السؤال..

نظرة مزجت لأول مرة منذ دخولها هنا بين لهفة شديدة... و حيرة أشد !
و قد انتظرت بالفعل أن تتم عفاف كلامها.. فلتشرح لها.. فلتمنحها الجواب الوحيد الذي
أمضت حياتها كلها تنتظر سماعه منها.. لكنها لم تتحدث.. فقد تحاملت على نفسها بالكاد لتقف
متجهة إلى حقيبتها المحفوظة فوق المنضدة..

أخرجت منها مفتاحاً صغيراً أمام عيني شهد.. ثم اتجهت إلى ذلك الصندوق هناك مباشرة.. و
انحنّت على ركبتيها لتدس المفتاح في مكانه المخصّص هامة بفتحه.. ففهمت شهد فوراً بأن كل الأجوبة
التي انتظرتها طويلاً ربما تكون هناك!

ظلت تنظر لها بترقب شديد..و لم تشعر بأصابع يدها التي كانت تشابكُ بينها بتوتر.. قبل أن تقطب حاجبها قليلاً بجهل أكبر حينما اصطدمت عيناها بمجموعة الأظرفة البيضاء التي أخرجتها عفاف من هناك..

و بدون أن تغلق الصندوق اقتربت منها لتتخذ نفس المكان.. فأطرقت شهد برأسها تنظر للأظرفة بقلق.. لكنها سمعت صوت عفاف تقول بعد صمتٍ جديدٍ طال لمدة فاقت كل ما سبق و هي تمد بتلك الأظرفة إليها ؛
_خذي..

نظرت لها شهد عاقدة حاجبها أكثر بدون أن تأخذ منها أي شيء.. فقالت عفاف مضيفة بنبرة هادئة ظاهرياً و شاحبة مرهقة داخلياً ؛

_ ألم تقولي ذلك اليوم بأنك لست -لقيطة- !

صمتت لوهلة قصيرة.. ثم أضافت بنبرة شبه مهتزة ؛

_ و بأن أحداً ما قد تلاعب بأوراقك و جردك من هويتك الحقيقية ؟!!

ظلت شهد صامتة تنظر لها بعينين متسعيتين رهبة.. لا تزال تحاول فهم المغزى الواضح جداً من سؤالها.. بينما ظهرت لفحة من الأمل في عينيها لمحتها عفاف..

فاستطردت هذه الأخيرة بنبرة بطيئة.. تشدد على كل حرفٍ بينما تقرب يدها منها أكثر بما تحمله ؛

_ كنت محقة تماماً..... أنت لست لقيطة !

نفس ثقيل هرب من بين شفتي شهد على شكل شهقة مرتعشة.. و اتسعت عيناها أكثر و هي تعود لترمق يدها بشيءٍ من اللهفة و... الرهبة !..

لقد اعترفت.. لقد اعترفت للتو بأنها ليست لقيطة !!

إنها تمتلك عائلة بالفعل.. لديها أم و أب و ربما... إخوة أيضاً !! لكن من هم ؟! أين يقطنون ؟

كيف يعيشون.. لماذا تخلوا عنها ؟!! لا تعلم أي شيء !!!

_ لن أخبرك بأكثر من هذا.. كل الأجوبة التي تريدينها فعلاً ستجدينها في هذه الرسائل..

شعرت شهد بالدموع تلسع عينيها بدون سبب.. حتى أنهما دمعنا بشدة و هي تنظر إلى نفس المكان.. أناملها و خفقات قلبها ترتجف.. بل كل ما فيها يرتجف.. إنها في منتصف حلم.. لا تفسير آخر لما تحياه !!

همست بصوتٍ متلعثم يرتجف أيضاً و هي ترفع عينيها أخيراً لعفاف ؛

_من...من أرسل.....!!!؟

لم تستطع أن تلفظ السؤال كاملاً.. شعرت بالحروف تختنق في حنجرتها رافضة التحرر..و كانت تلك المرة الأولى فعلياً..التي ترى في عيني السيدة عفاف ذات الجبروت و القوة..شعوراً حقيقياً من...من الألم !

رغم ذلك فقد استطاعت أن تجيب بثبات تحسد عليه في وضعها هذا ؛

_ستعرفين ما إن تفتحها !

ترقرقت عيناها بالدموع أكثر..و استطاعت أخيراً بعد جهد كبير أن تمد يديها الإثنتين لتستلم تلك الرسائل منها..و لم تستطع أن تمنع عينيها اللامعتين من أن تتجمدان عليها لعدة لحظات أخرى.. قبل أن تطبقهما بقوة على دمعة تسالت من تحت إحدى جفنيها و هي ترفع الرسائل لتضمها إلى صدرها و كأنها تضم تلك الحقيقة التي تحتويها..

و لم يتسنى لها أبداً رؤية تلك العقدة التي تشكلت بين حاجبي عفاف..عقدة بالكاد يمكن ملاحظتها..فقد كان كل ما فعلته بعدها..أن أجبرت نفسها على الوقوف و كأنها أخذت كفايتها اليوم و فهمت المغزى من كلمات عفاف..

ثم استدارت تهم بالذهاب بخطوات مضطربة..تعلم بأنها لن تتخلص من هذه الرجفة إلا بعد أن تفتح تلك الرسائل و تقرأ الحقيقة منها !

كانت لا تزال مغمضة عينيها بقوة..تتنفس بارتعاش..تشعر بالدوار يتلاعب برأسها.. حينما سمعت صوت عفاف يوقفها من خلفها ؛

_لحظة !

تسمرت شهد على بعد مسافة قريبة من الباب..قبل أن تفتح عينيها ببطء مرغمة نفسها على الالتفات إليها..نظرت لها بعينيها الدامعتين بصمتٍ..و قابلتها عفاف بعينين خاليتين من الدموع..مليئتين بالألم و اليأس و الاستسلام..

ثم قالت بنبرة تشبه السابقة في بأسها و ضعفها ؛

_حينما علمت بأنك حامل..كدت أن أصاب بالجنون..كل ما خطر في ذهني..أن أنتظر إلى أن تنجني..ثم أجد طريقة ما أنتزعه منك عبرها و أتخلص منك نهائياً..

ارتفاع ضئيل جداً ظهر في زاوية شفتها..ثم هزت رأسها في حركة ساخرة شبه مرئية..و استطردت بنبرة زادت من احتلال تلك الرجفة لقلب شهد و أنفاسها..قالت بنبرة ذات مغزى عميق جداً ؛

ربما تكهنَ القدر بنواياي..فاختار مُعاقبتي بنفسِ الطريقة !
تاهت عيناها تمامًا و هي تنزلهما لترمق بطن شهد مجدداً..و أضافت بنظرة متباعدة و صوتٍ
أجشٍ مختنق بلا دموع ؛

_الآن أصبحت أعلم ما معنى أن يؤذى الإنسان في أفلاذ كبده !
مع نطقها لآخر كلمة..كانت عيناها تحتقنان أخيراً بلمعة تشبه الدموع..فزمت فمها بقوة و
كأنها تحاول أن تبتلع طعاماً مريراً من الوجع..
لأول مرة تتذوق السيدة عفاف من نفس الكأس الذي جعلت غيرها يتذوقه لأكثر مرة..أن
يؤذى الإنسان في أطفاله...أفلاذ كبده !

بينما أمامها..لم تشعر شهد بتلك الحركة التي قامت بها تلقائياً بعد سماع تلك
الاعترافات..فقد وجدت نفسها تحرّر إحدى يديها لا لشيءٍ إلا ليريحها فوق بطنها..
و شرعت أناملها الرقيقة تتقلص هناك مربتة في حركة حمائية..و كأنها فقط تطمئن ما إن كان
طفلها في مأمن..تعهده بأنها لن تتخلى عنه أبداً و لن تسمح لأيّ كان بأن ينتزعه منها و لو اضطرت
للموت ألف مرة بدل ذلك !

فالإنسان لا يفقد هويته المسألة إلا إذا ارتبط الأمر بأعز المقربين له..حينها قد يتحول
الوديع إلى وحشٍ مستعد لأن يمزق بأنياابه اليد التي تمتد بسوء لما يخصّه !
لقد تصرفت بجبن ذات مرة و قرّرت التخلي عن هادي بعد ليلة سلمت فيها كل حصونها
له..لكن القدر الكريم أنصفها بتلك الروح الصغيرة هناك..و عادت شهد العسل لتحيا بين أحضان
حبيبها الوحيد !

لكنها تعلمت درسها جيداً..و الآن فقط أصبحت تستشعر في نفسها قوة هائلة تمنعها من
التخلي عن كل ما تحبه..
كما هتفت في وجهها ذلك اليوم بأنها لن تتخلى عن هادي و لو أعادت الكرة و أحرقتها..بنفس
الطريقة..لم تكن لتتخلى عن طفلها و لو ماتت في المقابل !

عادت لتنتبه لعفاف التي كانت قد استطاعت التماسك قليلاً..فقالت بنبرة أكثر قوة من التي
سبقها ؛

_لا أعرف طريقة للإعتذار..ربما لأنني لم أعتذر فعلياً لأيّ أحد من قبل..لكن.....
صمتت للحظة تزم فمها الشاحب بشدة ككل ملامحها..قبل أن تسحب نفساً عميقاً و
تستأنف بنبرة جعلت شهقة مختنقة أخرى تهرب من بين شفتي شهد ؛

_لو استطعتِ مُسامحتي في يوم ما..فأنا أتمنى.....أن تسامحيني !

كانت تتحدث بصدق رغم كل شيء..ملامحها توجي بامرأة قهرها الزمن فقررت الاستسلام..هي لم تكن لتندم لولا فقدان ابنها..لم تكن لتبوح بتلك الحقيقة أبدًا..و لا كان من المرجح أن تمنحها تلك النظرات المتأسفة بحق..

تعلم شهد هذا جيدًا و تفهمه..إلا أنها بطريقة ما..شعرت بسعادة غير مفسرة تملأ قلبها من المجهول..و قد تناست لوهلة الرسائل في يدها و هي تنظر لها بدون أن تمنحها أيّ تعبير واضح يجعل الأخرى تجزم بأنها ستسامحها في يوم ما..

مجرد أن سالت دموعها أكثر..ثم اكتفت بإيماءة شبه ملحوظة..
قبل أن تعود لتكمل طريقها نحو الباب..و هذه المرة لم تتوقف إلا بعد أن خرجت و أغلقته خلفها..حينها فقط كانت تستند عليه ناظرة أمامها بعينين لا تميزان أيّ شيء..
عقلها عالق بما سمعته في الداخل..و قلبها يخفق بقوة و كأنها المرة الأولى التي يتذوق فيها طعم انتصار صغير..بينما أنامل يدها المرتاحة فوق بطنها..تتقلص هناك أكثر.. و الأخرى تقبض على الرسائل باستماتة و تشنج..

تراجعت برأسها قليلًا مسندة إياه إلى الباب المغلق..و غرقت عيناها الباكيتين في شرود لحظي..إلى أن سمعت صوت خطواتٍ تقترب..و ما إن استدارت..وجدت نفس الخادمة تقف هناك..لكن هذه المرة كانت تحمل في يدها صينية صغيرة حيث وضعت كأسًا من الماء و بجانبه دواء معين..

_هل تسمحين لي بالدخول ؟ حان وقت تناول السيدة عفاف الدواء !
سألت مبتسمة بأدب..فابتعدت شهد عن الباب شبه مجفلة في البداية..قبل أن تحرك رأسها مرغمة نفسها على رسم ابتسامة صغيرة باهتة..فاقتربت الخادمة من الباب أكثر لتفتحه و تدخل مختفية في الداخل..

زفرت شهد نفسًا طويلًا تستعيد به القليل من رباطة جأشها..
ثم تحركت على قدمين رخوتين متجهة من فورها إلى السيارة التي ستقلها إلى المنزل كما وعدها السائق ما إن صعدت معه..

لا بد أن هذه الليلة ستكون طويلة جدًا..فهي أبدًا لن تنام إلا بعد أن تقرأ كل ما تحتويه تلك الرسائل..

لكن قبلاً...عليها أن تفكر في طريقة تخبر بها هادي بكل ما حدث !

حينما عادت إلى السيارة..كان أول ما فعلته أن دسّت الأظرفه بداخل حقيبتها الدراسية الصغيرة..تمنع نفسها بالقوة من أن تفتحها هنا لترضي فضولها بقراءتها..
كان القلق قد بدأ ينتابها من أن يكون هادي قد عاد قبلها..ولأول مرة تشعر بالندم لأنها لم تحمل هاتفها معها..ماذا لو اتصل بها ؟!!
كانت تشعر بأن الدقائق تمر ببطءٍ مطبقة على قلبها..فضلت تنقل عينها مرة بين الشارع ذو البنايات الراقية الطويلة و مرة بين حقيبتها بتوتر..
إلى أن توقفت السيارة أخيرًا أمام وجهتها المحددة..و كانت منزلها هي حيث من المفترض أن تقابل هادي بما أنه لم يأتي اليوم ليقبها..
_شكرًا لك..

همست بنبرة فاقدة للتركيز و هي تفتح الباب و تنزل بسرعة..و لم ترمق السيارة بأيّ نظرة أخرى أثناء اقترابها من البناية..فتحت الباب بحركاتٍ خرقاء..قبل أن تقترب من أول أريكة وصلت لها لتجلس بسرعة شارعة في فتح حقيبتها..
أخرجت جميع الرسائل لتلقي بها فوق الأريكة عشوائيًا..و كان أول ما لاحظته هو تلك الأرقام التي كانت مدونة على أغلفتها..كان هناك أرقام مدونة عليها من الرقم خمسة إلى ثمانية عشر..
و فهمت شهد بعد لحظاتٍ من النظر لها بأن المقصود بها عدد سنوات حياتها..أي أن لكل سنة رسالة ! أي أن هذه الرسائل ليست جديدة !!
و هي كانت تمتلك احتمالية أن تقرأها قبل زمن طويل و تتعرف على مرسلها الذي سيكون حتمًا فردًا من عائلتها!
هل يمكن أن تكون أمها هي المرسله ؟! لماذا لم ترزها من قبل إذًا ؟! لماذا لم تحاول التواصل معها مباشرة من قبل أبدًا ؟!!!

مدّت يدها التي كانت لا تزال تسكنها ارتعاشة طفيفة لتبعثر الأظرفه فوق الأريكة إلى أن وجدت أول رسالة بعثت لها..و حملتها ناظرة لها للحظاتٍ بعينين يملأهما الحزن و التردد..
قبل أن تفتحها و تخرج الورقة البيضاء التي بدأت تهالكُ أطرافها بمضي الزمن..و تلقائيًا وجدت عينها تجريان فوق السطور هناك بلهفة شديدة..
" صغيرتي شهد..اليوم تَمين سنّتك الخامسة..أعرف بأنك تتساءلين عن السبب الذي جعلني أترككِ هنا..لكنكِ أيضًا لن تستطيعي استيعابه في سنّكِ الصغير هذا لهذا سأؤجله إلى الوقت

المناسب..أريدك فقط أن تعلمي بأن خالتك لم تتخلي عنك أبدًا..لقد تركتك في هذا الميتم بالضبط
لأنني أعلم بأنه أكثر مكان ستكونين فيه بخير..كما أن السيدة عفاف وعدتني أن توصل كل رسائلي
إليك..سأراسلك دائمًا كلما سنحت لي الفرصة...

أحبك جدًّا صغيرتي !"

خالتك ؟!! كانت هذه أكثر كلمة التصقت بعقلها و ظل يرددها بجنون..خالتها ؟!
هل هذا يعني بأن تلك المرأة التي لطالما علقَت صورتها غير الواضحة بمخيلتها لم تكن
أمها...بل خالتها!

زاغت عيناها قليلاً و هي تركُ الورقة لترفع التي بعدها بلهفة أقل..لا تعلم ما سبب ذلك
الشعور الذي ينتابها بقوة..بأن هذا الحزن الذي شعرت به يلتهم قلبها من مكان مجهول لن ينفك عن
التزايد بعد كل رسالة جديدة تقرأها!

لكنها فقط..فتحت الطرف الثاني ببطء..و ما إن أدخلت يدها لتخرج الورقة شعرت بأن هناك
لملمس آخر بداخلها..و قد كان ملمس صورة قديمة..صورة جعلت من قلبها يرتجف بشدة و هي ترفعها
إلى عينها..و فغرت فمها بذهول تام حينما وقعت عيناها على تلك الملامح..
كانت الصورة لشابة صغيرة..ربما تكبرها بسنتين أو ثلاث..شابة بلامح ناعمة تبعث على
التأمل..

ترتدي فستانًا سماويًا بسيطًا جدًّا..و ترفع شعرها شديد السواد على شكل ذيل حصان
مهمل..ملامحها شاحبة قليلاً و رغم ذلك فقد كانت...هناك ابتسامة لطيفة على شفرتها!
شعرت شهد بالدوار يلف برأسها و عقلها يرسل إليها أفكارًا عشوائية متتابعة..هل هذه هي
خالتها ؟ أم ربما تكون أمها!

وجدت عقلها يميل للفكرة الثانية تلقائيًا..لقد كانت تلك الملامح تشبهها بشدة.. باختلاف
عينها البنيتين فهي تشبهها جدًّا..لا أحد ينظر إلى هذه الصورة و لها و لا يلاحظ ذلك !
ظلت تنظر لها بعينين تتخللهما رهبة شديدة لوقتٍ طويل..لا تعلم عدده..تلك المرأة هناك هي
أمها...إنها تشعر بذلك !

إلى أن سحبت نفسًا جديدًا مهتزًا..و أخرجت الرسالة الثانية لتفتحها بحركاتٍ خرقاءٍ شارعة
في قراءتها بسرعة..تريد أن تتأكد ما إن كان تخمينها صحيحًا..و لو تأكدت فتود أن تعلم أين هي
صاحبة تلك الملامح الآن..

و لماذا خالتها هي صاحبة الرسائل لا هي !

" لقد جعلتكِ ترين هذه الصورة ذات مرة..تتذكرين ؟! صحيح بأنني أنا من علمتكِ أن تناديني بأمي..لكنني لا أريد لملامح والدتكِ الحقيقية أن تغيب عن ذهنكِ و لو قليلاً..لهذا أرسل لكِ هذه الصورة لتبقى معكِ.. تستطيعين أن تتأملِها بين فترة و أخرى..ستذكركِ دائماً بأنكِ لستِ وحيدة أبداً في هذه الحياة.. "

رباه..ما الذي يفترض بها أن تفهمه من هذا الكلام ؟ هل أمها الحقيقية ميتة !!?
تركت الرسالة لترفع الصورة التي كانت لا تزال بين يديها ناظرة لها بعينها اللتين اكتسحهما خوف جديد..

ليس من العدل أن تكتشف بعد كل هذه السنوات بأن والدتها التي عاشت طوال حياتها تدركُ تخليها عنها لم تتخلى عنها من الأساس..بل كانت...ميتة !
لقد عاتبتها طويلاً بينها و بين نفسها..خاصةً في سنواتِ طفولتها الأولى التي أمضتها هناك ما بين ظلم و تعنيف نفسي و جسدي في الكثير من الأحيان..
كانت صورتها الضبابية تتراءى لها في كل مرة تجد نفسها مستلقية فوق السرير المهترء و الذي استقبل دموعها طويلاً بسخاء..لم تحاول من قبل..بل لم تطرأ في عقلها فكرة البحث عنها رغم رغبتهَا الداخلية في أن يكتب القدر لقاء لها ذات يوم معها..

لقد جزمت بتخليها عنها بدون حتى أن تمنحها الأسباب..
و هي التي لم تحكم على أيّ بشر من قبل حكمت على الإنسانية التي من المفترض أن تكون الأقرب لقلبِ كل شخصٍ عادي !

شعرت بتلك الدمعة السّخية و هي تتحرّر ببطءٍ لتنساب حارقة خدها..تليها دموعات أخرى صامتة..و تمنّت بيأسٍ أن يكون الخلل في طريقة تأويلها لتلك الكلمات..

تريد أن تقابلها..تريد أن تراها وجهاً لوجه..لأول مرة تشعر بأنها ترغب في رؤيتها حقاً! لعلها تحظى بعناق وحيد معها في هذه الحياة..

و أن تغفو على ركبتيها مستشعرة لأول مرة معنى أن يكون لديكِ شخص ما تتكوأ عليه بحق..رغم أنها استشعرت ذلك قبلاً مع هادي..لكنها تعلم بأن الأمر ليس سّيان !
بالكاد استطاعت أن تبعد عينيها عن الصّورة و تلتفت قليلاً لتنظر إلى الرسائل..و شرعت بتفقد الرّسالة التالية..لكنها كانت رسالة عادية جداً لم تحتوي أيّ شيءٍ يفيدُها باستثناء بعض

الكلمات الحانية التي سألتها فيها عن حالها..
فتركتهَا لتقرأ التي بعدها..و كان فحواها..

" لقد علمت من السيدة عفاف بأنكِ أصبحت أكثر هدوءًا عن ذي قبل و لم تعودى
تستيقطين في منتصف الليل لتصرخى باسم والدتك..سعيدة جدًا بأنكِ بدأتِ في التعود على حياتكِ
صغيرتي..لكن الحزن يخامرني بشدة كلما تذكرت عجزى الذي دفعني لترككِ في وصايتها..حتى و لو
كنت مضطرة..لكنني على الأقل..ترككتكِ في وصاية امرأة مهما بلغ بها التكبر فهي تظل فردًا من عائلتكِ
!"

الآن فقط..وجدت تلك الدموع تتوقف عن السيلان فجأة..بينما تجمدت عيناها على جملة
واحدة لم يتوقف عقلها عن ترديدها بصدمة كبيرة..
تظل فردًا من عائلتكِ !! السيدة عفاف ؟!!!
كانت تشعر بأنفاسها تتناقل بمضي الوقت..كل جملة جديدة تحمل مغزى مبطنًا يجعل من
فكرة قراءة كل تلك الرسائل مرهقة بحق و مقلقة..و مجددًا تشعر بأنها في حلم غريب.. لا تشعر سوى
بالعجز عن الفهم أو الاستيعاب..

فتحت الرسالة التالية..و التي تليها..و التي تليها..و قد كانت الرسائل الثلاثة تشبه تلك
السابقة..مجرد كلماتٍ أخرى يتخللها الكثير من الحنان و ألفاظ الإعتذار..
إلى أن وصلت للرسالة السادسة..و التي كان من المفترض أن تقرأها حينما كانت في سن
الحادية عشر..و قد كانت هذه هي منشودتها الأولى..
حيث بداخلها شرحت تلك المرأة التي يعجز عقلها عن استيعاب قرابتها بها حتى الآن عن
سبب تخليها عنها..

" لقد أخبرتكِ قبل وقتٍ طويل بأنني سأطلعكِ على سبب تركي إياكِ هناك حينما يحين الوقت
المناسب..الآن أظنه مناسبًا جدًا..لقد أتممت اليوم سنتكِ الحادية عشر..و أظن بأنكِ أصبحت قادرة
على الاستيعاب و التفهم نسبيًا..ربما يبدو عذري سخيًّا غير مقنعًا..و قد تعجزين عن منحي العذر و
أنا أتفهمكِ تمامًا صغيرتي..لكنني فقط أود أن أخبركِ مجددًا بأنني ما تركتكِ إلَّا بعد أن نفذت مني كل
الحلول..لا أعلم إن كنتِ تتذكرين حياتنا..تدركين كم أننا كنا عائلة بسيطة جدًا..لطالما كان وضعنا
المادي مخزئًا لكنني لم أركِ يومًا على أنكِ عبء علي..لقد كنتِ دائمًا بمثابة ابنتي التي لم أنجبها..و الله
يعلم كم أحببتكِ بقدر حُبِّي لأخيك "سند"..لقد تعرضنا لضائقة مالية كبيرة جدًا بعد فقدان رامز
لعمله في البناء..لشهور عديدة كتمت الألم في قلبي..كنت أدعو الله كل ليلة أن يخرجنا من هذا الضيق
إلى حال أفضل..و قد حدث فعلاً..فبعد تلك الفترة المرهقة نفسيًّا استطاع رامز بخبرته المتواضعة أن
يجد عملاً بمرتب لا بأس به..لكن المفارقة أنه وجده في مدينة أخرى..كان خبرًا مفرحًا رغم الأسى الذي

انتابني لفكرة الابتعاد عن مدينتي و بيتي.. لكنني و قبل حتى أن أهني به.. تفاجئت من قرار رامز.. كان أن نتركك في دار الأيتام أين المديرية هي السيدة عفاف.. رفضت بشدة.. كدت أن أصاب بالجنون.. تشاجرت معه.. لكنه كان أكثر من مصر.. و في النهاية وجدته يضعني بين خيارين.. إما أن أتركك هنا و نرحل سوياً.. أو أختارك أنت ليذهب بمفرده هو و سند.. كنت أستطيع أن أرفع دعوة طلاق لأحتفظ بك و بابي.. لكنني استوعبت بأنني في كلتا الحالتين سأكون خاسرة.. لو ذهبت معه فأنا مضطرة للتخلي عنك.. لو بقيت معك فسأخسر ابني.. لو بقي معي فكيف سأستطيع أن أتحمل مسؤوليتكما سوياً؟! و أنا التي لم تتم دراستها الجامعية حتى! كنت سأخسركما في جميع الأحوال.. كنت سأخسر كل شيء.. لهذا فقط... استسلمت! كأي أم تقليدية في هذا العالم استسلمت.. لك أن تمنحني الوصف الذي تريدين.. قولي عني جبانة أو سيئة.. أنا أستحق كل ذلك.. و أعلم بأنني خنت أمانة أختي حينما تركتك بين يدي الناس الذين آذوها أكثر شيء في العالم.. لكنني لا أزال عاجزة عن تصحيح ما ارتبكت من أخطاء.. و ربما تصدقين أو لا.. لقد آمنت بعد رحيلي بأن وضعنا المادي سيتحسن مع مرور الوقت.. و حينها سيتسنى لي أن أعيدك إلى أحضاني مجدداً.. لكنه لا ينفك أن يصبح أشد سوءاً عن ذي قبل بعد كل يوم.. و أنا حتى الآن عاجزة عن تلبية كل حاجيات البيت و سند.. لقد أصبحت أفكر حتى بأنني اتخذت القرار الصحيح حينما تركتك هناك!"

لا.. لم يكن بقرار صحيح أبداً.. يمكن لأي قرار في العالم أن يكون أفضل من هذا القرار.. هي لم تتخل عنها فقط.. لقد قتلتها حرفياً.. ألقت بها في جب الألم و انسحبت و كأن الموضوع لا يعنهما.. لا.. لم يكن بقرار صحيح أبداً.. لا يدرك هذا إلا إنسانة مثلها عاشت معظم سنوات حياتها مع أناس غرباء لا تجمعها بهم أي صلة.. أناس لم يمنحوها سوى ندوباً لا يزال أثرها حتى الآن حي في قلبها.. مهما كان المنزل كئيباً.. مهما اشتدت علينا ظروف الحياة أحياناً.. مهما بدت صفات عائلتنا غريبة منفرة.. و مهما عانينا من ظلم و استبداد و جوع في كثير من الأحيان.. أن تعاني كل تلك المشاعر و أنت في بيتك الثابت.. مع أسرتك الحقيقية و التي تحبك رغم كل الآفات و المعضلات.. أفضل من أن تعيشها بمفردك!

الحياة بدون عائلة.. بدون سند حقيقي.. هي حياة "مشوهة"!!

أرادت أن تخبرها بكل ذلك..

ليتها قرأت هذه الرسالة في أوانها الصحيح و استطاعت الرد عليها برسالة أخرى.. كانت لتتوسلها بين سطورها أن تأخذها إليها مجدداً.. و لا تمنع أن يكون سريرها الأرض الباردة و لا أن تتوسد ذراعها لو كان الثمن أن تحظى بعائلة حقيقية..

مأوى حقيقي تعود إليه كل ليلة لتلقي بتعبها على صدر تلك المرأة التي اعترفت في إحدى

رسائلها بأنها كانت لها بمثابة الابنة التي لم تنجها!

كانت العبرات تسقط بغير رادع من تحت جفنها.. ورغم ذلك فلم تتوقف عن القراءة

أبدًا.. بعض الرسائل تكون عابرة فتقرأها بسرعة لتفتح التالية.. إلى أن وصلت إلى الرسالة الحادية

عشر.. والتي أرسلت إليها حينما كانت في السادسة عشر من عمرها..

" لقد علمت بأنك جئت الأولى على دفعتك هذه السنة.. سعيدة بهذا الإنجاز حبيبتي.. لم أكن

لأتوقع منك أقل من هذا المستوى أساسًا..... لقد تحدثت لسند عنك كثيرًا و هو متشوق جدًا

لمقابلتك و التعرف عليك.. عندما يحين وقت خروجك سأرسل لك عنوان منزلي لتأتي إلي.. لا بد أن

تأتي.. لا أريد أن أحزنك حبيبتي.. لكنني قمت بفحص قبل ثلاثة أشهر و اكتشفت بأنني مصابة بداء

السكري.. الآن زادت رغبتني في مقابلتك عما قريب.. لقد أرسلت لي السيدة عفاف صورة لك بعد أن

صرعت رأسها بالطلب لمرات عديدة.. لم أصدق عينا في الوهلة الأولى و أنا أراك صغيرتي.. كم بدوت

جميلة.. كوالدتك تمامًا! على ذكر والدتك.. أعلم بأنك تتساءلين عن حياتها مرارًا.. مع من أنجبتك و

من هو والدك.. لقد كنت أخطئ لإخبارك منذ وقت طويل أساسًا.. لكنني عجزت عن إيجاد طريقة

أخط تلك الذكريات من خلالها بدون أن تخنقني رغبة في البكاء أو أتأثر حد العجز عن كل شيء.. و لا

تستغربي من موقف السيدة عفاف حيال هذا الموضوع فأنا من طلبت منها أن تترك أمر إطلاعك على

الحقيقة بنفسني.. لم أرد أن تعرفي هويتك من غيري.. الرسالة القادمة ستكون طويلة جدًا لأنني

سأسرد لك فيها كل شيء بدون زيادة أو نقصان.. اهتني بنفسك جيدًا حتى ذلك الحين.. و لا تنسي بأنني

أحبك رغم كل شيء!"

انتفض قلب شهد لفكرة أن تكون تلك الرسالة التالية تحتوي كل الحقيقة فعلاً.. تلك

الرسالة هي هويتها.. حقيقتها التي لم تحاول البحث عنها طوال حياتها !!

استغرقت لحظات في النظر للرسالتين المتبقيتين.. عيناها المحتقنتين و المؤطرتين بأثر

دموعها يكتسحهما تردد أقرب إلى الخوف.. و لا تعلم لما خطرت في بالها فجأة فكرة أن تؤجل قراءة تلك

الرسالة إلى وقت لاحق..

تمنت أن تستطيع تجاهلها بنفسها.. أو لعل هادي يعود فجأة فتضطر للتوقف ها هنا.. فهي

تشعر بأنفسها تكاد أن تخونها اليوم..

لقد استقبلت العديد من الصدمات اليوم و هذا يفوق حدود قدرتها على التحمل !

لكن أي شيء من ذلك لم يحدث..فهادي لم يعد فجأة و عقلها لم يتوقف عن الهتاف بها أمراً
بأن تتم ما بدأت به و تقرأها..لن تهرب من حقيقتها بعد..لن تهرب من ماضيها و هويتها..
تدرك الآن بأن والدتها الحقيقية متوفية..لكن لو كان هناك فرد واحد لا يزال على قيد الحياة
من عائلتها..من دمها..فهي تريد مقابلته وجهًا لوجه !
كان الصمت يحيط بالمكان باعثاً الرهبة إلى قلبها..و بدا وكأنها على وشك أن تقطع الخطوة
الأهم و الأصعب في حياتها حينما مدت يدها أخيراً لتحمل الرسالة ما قبل الأخيرة.. و أخيراً تفتحها
لتغوص في الكلمات التي خطت لأجلها خصيصاً مجدداً !!

" 53 :الحقيقة الكاملة "

#الكاتبة

بداخل غرفتها الصغيرة في هذا البيت الكبير حيث تشتغل منذ ما يزيد عن الثلاث سنوات..
كانا يقفان أمام بعضهما البعض..بعد أن أطلعتة على أكثر خبر صادم يمكن أن يتلقاه رجل في
وضعه...لقد أخبرته بأنها حامل !

بعد كل هذه الشهور التي ظلّا فيها يخفيان علاقتهما عن الجميع..زواجهما السري و الذي
يخشى حتى اليوم أن يصارح زوجته به...هي حامل منه !

لقد كانت على استعداد لتقبل أيّ كانت ردة فعله..تعلم بأن ما حدث لم يكن في الحُسبان..
تدركُ سطوة عائلة زوجته و مكانتها التي تجعله كالخاتم في إصبعها و إصبع أختها الأكبر..
تلك كانت معضلتها الأسوء في الحقيقة..

لو كان الأمر متعلق بزواجه فقط لكان الأمر أهون بالنسبة لهما..لكن أختها..تلك المرأة ذات
الذقن المرفوع دائماً بترفع و غرور..و التي قابلتها لمراتٍ لا تعد سابقاً..
كانت مصدر قلقهما الأكبر!

كانت تنظر له بياسٍ كامل..عينها الباكيتين تعتذران له بصمتٍ..بينما عيناه هو و اللتان
اتسعتا بشدة منذ سماعه للخبر خاليتان من أيّ تعبير سوى الصدمة التي تلبسته لدقائق طويلة..
كانت أكبر مخاوفها أن يطلب منها إجهاضه..لو طلب منها ذلك بالفعل فهي لن تستطيع..إنها
تؤثر الموت على ارتكاب ذنبٍ شنيع كهذا في حق جنينها..تفضل الطلاق و الرجيل بصمتٍ على أن تخسر
طفلها!

لكنه لم يفعل..لم يصرخ بها متسائلاً كما توقعت..لم يحاول تأنيبها أو لومها على خطأ يدركُ
بأنه غير مقصود..كل ما فعله أن استدار قليلاً ينقل عينيه بين كل مكان حوله بضياح كبير..بينما
ارتفعت يده تتخلل خصلات شعره القصيرة البنية إلى أن توقفت في مؤخرة عنقه بتشنج..
و ساد صمت طويل..كئيب..مرهق..لم تستطع خلاله أن تتوقف عن ذرف الدموع حزناً و
ألماً..شعرت بقدرتها على الوقوف تتداعى تماماً..فتراجعت بفشل إلى أن ارتمت فوق طرف السرير
البسيط..و رفعت يديها لتغطي وجهها الأحمر في محاولة لإخفاء تلك الدموع..تشاركه ضياحه و
حيrote..

إلى أن سمعت صوته بعد دقائق طالت..قال فجأة بينما يقترب منها و ينحني إلى

مستواها..هتف هامسًا بنبرة تخللها الكثير من اللفظة و الأمل الزائف ؛

_سأفعل شيئًا ما..سأجد حلًا...أعدك !

كان يضع يديه الإثنتين على ركبتيها..بينما ظلت "بلكيس" على حالها لثوان أخرى.. إلى أن

نَجَحَتْ في تمالكِ نفسها قليلًا فقط..فأسقطت يديها عن وجهها بتعب..

ثم همست بقهر و هي تنظر مباشرة إلى عينيه الزيتونيتين..تلك العينين اللتين لطالما تغزلت

بهما سواءً بلسانها أو بقلبيها..تلك العينين اللتين تجسّدان كل نقاط الأمان في الحياة لها..و كل نقاط

ضعفها أيضًا!

_ماذا ستفعل؟! ما الذي بيدك لتفعله؟! هل ستستطيع مواجهة زوجتك؟! ماذا عن

السيدة عفاف؟! ماذا عن ابنتك؟!!!!

نطقت حروف جملتها الأخيرة بألم أشد..كانت تذكره بكل مواطن ضعفه..و قد كانت أكبرها

ابنته سجي..يعلم جيدًا بأن احتمالية رؤيته لها لو قرّر في لحظة ما الانفصال عن زوجته هي منعدمة

كليًا..

لقد كان رجلًا عاديًا من الطبقة المتوسطة..بينما كانت هي...زوجته..فرد من أغنى العائلات في

البلد..

لقد كان يحبها ذات يوم..لا ينكر ذلك..و لا يزال حتى اللحظة يستشعر بقايا من ذلك الحب في

قلبه الذي باتت تسكنه امرأة واحدة فقط..و هي التي تجلس أمامه..

لكن حتى الحب نفسه لا يستطيع الصمود في بيئة خالية من الدفء أو التقدير أو الاهتمام !

الحُب نفسه يتلاشى و يضيع لو وضع في مقابله الجشع إلى السلطة و المال !

خلال حياته البسيطة كاملة..لم يشعر بنفسه مهانًا كما شعر في هذا المنزل..

كان يظن بأن الفوارق الاجتماعية هي مجرد خرافات..و أن الحب وحده قادر على تخطي كل

العقبات..

لكنه اكتشف لاحقًا بأن الحب هو الخرافة الوحيدة التي يتبناها القلب بسذاجة كبيرة..

يحملها معه أينما ذهب..ليتفاخر بها بين كل من هبّ و دبّ..يجزم بأن لا أحد في العالم محظوظ

لمشاركته ذلك الشعور الساحر المختلف..

غير مدركٍ بأن ذلك العالم الذي كان يحاول نثر الحب في أطر افه و تكليله بالورود.. هو عالم

لم ينظر للحُب يومًا إلا كعبء..

محاولة خبيثة من القلب لتخليص العقل من كل منطقته !

كانت تلك فكرته التي تبناها منذ وقتٍ طويل..و استمر فقط في العيش تحت سقفٍ واحد مع امرأة يمكن نعتها بالباردة غير المبالية..

لا ينكر بأن الذنب كان ذنبه منذ البداية..لقد كان يستطيع أن ينسحب قبل فوات الأوان..كان يمكنه الانفصال و العودة إلى حياته البسيطة..

لكن تلك الأنانية الخالصة و التي لا يخلو منها قلب أيّ إنسان في العالم..جعلته يقف أمام نفسه متسائلاً..لماذا عليه الانسحاب الآن ؟!

أيّ غبي في العالم سيكون في مكانه و سيختار أن يتخلى عن كل هذه الرفاهية التي لم يحلم بها يوماً و يعود لحياة الفقر المدقع ؟!!

هو ليس مضطراً للتخلي عن حياته المثالية..لن يفقد تلك المكانة التي بالكاد حصل عليها!.. لقد كان زواجهما في البداية عن حُب..كان يظن ذلك..لكنه بعد كل هذه السنوات.. يدركُ بأنها لم تحبه يوماً..ربما كان ما شعرت به نحوه انهيار..انجذاب أولي طبيعي من ابنة صاحب العمل لحارس الباب الذي لم ينظر لها على أنها مميزة كالجميع..

لقد كان الأمر أشبه بالنسبة لها بلعبة رهان خاضتها بينها و بين نفسها..و فازت بها.. لكنه ما إن أصبح في متناول أيديها..و بعد العديد من التعقيدات التي حدثت بينها و بين عائلتها التي رفضت زواجهما في البداية..

زال كل انهارها نحوه..و أصبح لها مجرد زوج تشاركه الفراش و بعض الأحاديث الجافة الخالية من الشعور!

أحياناً كان يشعر بالفعل بأنها نادمة على هذا الارتباط..حتى أنه استطاع أن يرى أطياف ذلك الندم في عينيها لعدة مراتٍ قبلاً..لكنها لم تعترف أمامه يوماً..كان من الصّعب عليها أن تعلن ذلك الشعور بعد حُب أسطوري انهير به كل من حولهما!

و في أحيانٍ قليلة أخرى..خلال لحظاتٍ نادرة..كان يشعر بأنها لا تزال تحبه..أو أن قلبها مثل قلبه..لا يزال يعتكف -بقايا- من ذلك الحُب..

و ذلك هو السبب الوحيد الذي يمنعها حتى الآن من التخلي عنه !
أو ربما...فقط لكي لا تفقد صورتها المثالية بين الناس..تلك المرأة التي واجهت والديها و حاربت باستماتة للحصول على حبها!

هز رأسه لعدة مراتٍ و هو يهمس بصوتٍ أجشٍ مختنقٍ..يحاول أن يمد نفسه بالأمل رغم

إدراكه الداخلي بانعدام الأمل !

_لن أتخلّى عنها أبداً..حتى لو اضطرّرت لأخذها معي و السفر بعيداً عن هنا..

رفع يديه ليطوق وجهها بقوة مستأنفاً بحرارة و عيناه تنبآن ببكاء وشيك ؛

_هذا هو الحل الوحيد..لديّ مبلغ جيد كنت أوفره منذ فترة طويلة في حسابي

البنكي..سأستغله و سندسافر نحن الأربعة..سنعيش سوياً في بلد آخر و لن أسمح لأيّ أحد بأن

يجدنا...لن نجدونا !!

صمت أخيراً ينقل عينيه بين عينها بأمل باهت..

ليت كل ذلك كان سهلاً..يتمنى بشدة أن يبدّد عنهما ذلك العجز و ذلك الألم..يتمنى أن ينتزع

تلك الدموع المريرة من عينها انتزاعاً..

الآن فقط يتمنى لو تحدث معجزة كونية بحيث يغدوا قادراً على العودة بالزمن..ليس نادماً

إطلاقاً على مجيء سجي إلى عالمه..ابنته الصغيرة التي لطالما شكلت بالنسبة إليه وميض النور في

ظلمات حياته..لكن الأمر كان ليكون أهون لو التقى بها قبل أن يصبح أباً.. قبل أن يختبر ذلك الشعور

الفائق الروعة و يدمنه !

لم تفعل كلماته شيئاً أكثر من أن تضاعف من يأسها و سيل دموعها..ثم هزت رأسها بالنفي و

هي تهمس بإحباط شديد ؛

_لن نستطيع..هل تظن بأن الأمر بهذه السهولة علي ؟ لن أهرب كالجبانة..لن أكون أنا هي تلك

المرأة التي خطفت زوجاً من زوجته و هربت بعارها..

تاھت عينھا في عينيه و هي تضيف بأسى..بإدراكٍ لحظي يائس ؛

_إنهم لا يعلمون حتى بأننا متزوجان !! زوجتك لو.....

قبل أن تستطيع الاتمام..كان كمال يقاطعها بنبرة أشد حرارة من السابقة..همس بدموع و هو

يشدّد من احتضانه لوجهها و يقترب قليلاً منها حتى كاد جبينه أن يلامس خاصّتها ؛

_أنتِ زوجتي!..أنتِ هي حبيبتي و زوجتي الوحيدة..لا أعرف غير هذا..لم أعد أعرف غير هذا !!!!

ظلت بلقيس تهز رأسها في كل الاتجاهات بنفس اليأس حتى بعد إجابته..و لم تشعر بنفسها و

هي تسقط جبينها على جبينه..قبل أن تطبق عينها هامسة ببكاء مرير ؛

_لقد ارتكبنا خطأ جسيماً..لقد أخبرتك منذ البداية بأن ما نفعله خطأ..لا شيء يبرّر لنا هذه

الخيانة..لا شيء..لا شيء !

سمعت صوته يجيها معترضاً بخفوتٍ شديدٍ..يطبق جفونه بقوة مثلها و كأنه يحاول أن
يستمد كل تركيزه ليشعر بها ؛

_لقد وقعنا في الحب ! هل أصبح الوقوع في الحب ذنباً الآن ؟!!

همست بلقيس بنفسي نبرتها الحزينة المتهدجة و هي تفتح عينيها لتقابل عينيه الدامعتين
بشدة..تقتلها دموعه..مثله تتمنى لو تمتلك القوة الكافية لامتنصص كل ذرة ألم في قلبه الذي احتوى
ألمها و حزنها طويلاً..

_ليس مبرراً..ليس مبرراً !!

تلك المرة لم يعترض كمال..بل قال بعد ثوان من الصمت بصوتٍ باهت و بدون أن يترك
وجهها..بل كان أن رفعت هي يديها لتتمسك بمعصميه بقوة ؛

_تعلمين بأنني كنت أفكر بالإنفصال منذ فترة طويلة.. لقد أحببتك في وقتٍ كنت فيه يائساً
من إمكانية أن أحب مجدداً..الشيء الوحيد الذي ظل يمنعني طيلة هذا الوقت هو خوفي من فقدان
سجى..لا أتحمّل فكرة أن أفقد سجى.....

في تلك اللحظة بالذات..و قبل حتى أن تتمكن بلقيس من إجابته..انتفض كلاهما على صوت
اندفاع الباب فجأة..

فتجمدت عينا بلقيس على نظرة فاقت حدود الصدمة و هي ترفعهما إلى الباب..و مثلها تجمد
كمال للحظاتٍ أخرى على نفس الوضع..حتى أنه لم يستطع أن يبعد يديه عن وجهها أو يستدير
للحظات..

إلى أن ابتلع ريقه بصعوبة مرغماً نفسه على الالتفات ببطءٍ..يدرك هوية من يقف وراءه حتى
قبل أن تقع عيناه عليه...كانت زوجته !

كانت تقف في حاجز الباب..لا تزال تتمسكُ بطرفه بأنامل متشنجة بشدة..ترتدي بدلة نسائية
رسمية بعد يوم طويل أمضته في العمل..و ترفع شعرها الكستنائي في تسريحة أنيقة جداً..
لكنه لم ينتبه لكل تلك التفاصيل..فقد وقعت عيناه مباشرة على ملامح وجهها التي بدت
شاحبة بشدة..خالية من كل التعابير الأدمية..ثم تلك العقدة التي تشكلت بين حاجبيها بقوة و هي
تنقل عينها بينهما ببطء..

و استطاع من كل تلك التعابير..أن يجزم بأنها سمعت كل حديثهما..و بأنه فقد ابنته فعلاً..أو
على وشك فقدانها!

ارتجفت شفتاه و هو يقف بسرعة بعد أن استطاع تمالك نفسه قليلاً..و همّ بقول شيء ما حتى هو لا يعلم ماهيته..لكنها لم تسمح له..فقد رفعت يدها فجأة كحاجز و كأنها تأمره أن يحتفظ بأكاذيبه لنفسه..

لكن عينيه اتسعتا قليلاً بصدمة و هو يرى لمعة الدموع القاسية التي كانت قد تشكلت في جوف عينها ببطءٍ بينما تنظر بينهما..

إلى أن استقرت عينها عليه هو..منحته نظرة لخصّت مشوار سنوات..
نظرة مزجت ما بين عتاب و صدمة و انكسار..ما بين شعور بالإهانة و الخداع و الخذلان..و وعد بتنفيذ أيّ كانت مخاوفه التي حكى لبلقيس عنها قبل لحظات !
قبل أن تزم فمها بقوة..و تترك المقبض لتلتفت بسرعة مبتعدة عنهما..عن تلك الغرفة القذرة حيث مارس زوجها طقوس خيانتها..

اتجهت من فورها لغرفة ابنتها الصغيرة..فتحت الباب باندفاع أولي..لكنها تسمرت و هي تراها في سريرها الناعم الوثير..

كانت مستيقظة..تجلس في منتصف السرير بينما مجموعة من الألعاب ملقاة بجانبها و أمامها..و التي كانت تحمل إحداها في يدها تهزها عشوائياً لتصدر صوتاً مرتفعاً يجعلها تضحك بحماس في كل مرة..

لكنها توقفت فجأة ما إن وقعت عينها على والدتها فجأة..و تلاشت ضحكتها البريئة مخلفة ابتسامة عريضة برقت لها عينها الشبيهتين بعيني والدها..

شعرت "أسيل" بالدموع تلسع عينها بقوة أكبر و هي تنظر لها من مكانها للحظات.. تلح عليها لتحريرها..تود أن تذرف الدموع..تود أن تبكي بشدة..تتمنى أن تستطيع العودة إلى تلك الغرفة لا شيء إلا لتصفعه بقوة حتى يخف هذا الوجع الذي يلتهم روحها..

كان عليها أن تصفعه !

لم تكن تشبه عفاف في أي شيء..لطالما رأت نفسها ضعيفة مقارنة بها..حساسة بشكل ميؤوس منه..مستهترة و متهورة في كثير من الأحيان..

ربما تشبهها في شيء واحد..هو تقديسها للعائلة..و لصورة العائلة بين المجتمع !
رغم أنها كانت قد ارتكبت هفوة بالوقوع في حُب رجل أقل مكانة منها..لكنها كانت هفوة غير مقصودة..هفوة ليست بيدها..و هي لم تعتبرها حتى هفوة من قبل..

حتى في اللحظات التي خالجهما فيها الندم..كانت عيناه تعيدان وضع نقاط الحُب على حروف
قلبيما بدقة !

لقد كانت تستشعر ذلك التآلف بينه و بين الخادمة منذ وقتٍ طويل..لكنها لم تسمح لفكرة
الخيانة بأن تلوث صورته في عينها يومًا..كانت تؤثر تأويل إحساسها ذاك إلى أي شيءٍ ما عدا هذا
الشيء..

مستعدة لأن تتغاضى عن الكثير من أخطاءه في سبيل الحياة معه..إلا الخيانة...كيف تغفر له
الخيانة !!؟

لقد أثبت لها الآن فقط بأنها كانت حمقاء فعلاً حينما اختارته..أختها كانت محقة..زوج
أختها..والداها محقان..الجميع محق ما عداها!

كيف تصرفت بهذا الغباء؟! كيف تنازلت إلى هذا الحد؟! كيف تهاونت و انسأقت خلف
شعور أهوج مجنون؟!!

لقد كانت كبيرة كفاية لتدرك بأن لهفة البدايات ما هي إلا وهم..خدعة من القلب..نساق لها
بأعين مفتوحة بلا وعي..فتنهار قبل حتى أن نستطيع تأويلها ما إن كانت حبًا حقيقيًا أم محض
اندفاعاتٍ حمقاء من القلب !

انتهيت على الصغيرة التي كانت قد أسقطت اللعبة من يدها لترفع نفس اليد معلقة في الهواء
ناحيتهما و كأنها تشير لها أن تحملها بين ذراعيها..فابتلعت ريقها بغصة مختنقة و هي تنظر بمرارة
لابتسامتها الواسعة البريئة..بينما الصوت الوحيد الذي يسمع في الغرفة الفاخرة هو تأتأتها بحروفٍ
غير مفهومة تمامًا..

رفعت يدها لتبعد دمعة عالقة بين رموشها و هي تنظر جانبًا للحظة و كأنها تحاول أن تحجب
ذلك الألم عنها..ثم حثت قدميها على الاقتراب منها بسرعة إلى أن حملتها بين ذراعيها..و احتضنتها بقوة
و هي تلثم وجنتها محاولة كبح دموعها بقوة..

قبل أن تبعدا قليلاً فقط لتنظر لوجهها البريء الجميل..و همست بصوتٍ متحشرج بينما
ترسم ابتسامتها باهتة على شفتيها و تمد إحدى يديها لتبعد خصلة ناعمة من شعرها القصير الناعم
إلى الجانب ؛

_هل اشتاقت لي الجنية الصغيرة !!؟

كان جوابها مجموعة من الحُرُوف غير المفهومة لكل من يسمعها..لكن لها هي..فقد كانت
تستطيع أن تفهمها بسهولة..و علمت الآن بأن غاية تحدثها هو أن تؤكد لها بأنها اشتاقت لها فعلاً..

فهمست بمداعبة و هي تربت على بشرتها الناعمة براحة يدها ؛

_ما رأيك إذا أن نذهب اليوم إلى منزل خالتي عفاف ؟!

مجرد نطقها للاسم..جعل من عيني سجي الصغيرة تبرقان أكثر بسعادة..وارتفعت يداها
الإثنتان مصفحة بحرارة أعلنت بها مو افقتها و حماسها..فاقتربت أسيل من السرير لتوقفها فوقه
برفق..قبل أن تفتح الخزانة مخرجة لها معطفًا ورديًا ألبيسته لها بسرعة..و شرعت تغلق الأزرار عليها
بأنامل ترتجف بشدة..

لكنها تجمدت على ياقته الأنيقة حينما استشعرت وجوده بالقرب منها..ثم سرعان ما كانت
تتخلص من نظرة الضعف تلك و تستدير لتتنظر له مباشرة حيث كان يقف في حاجز الباب..يتكؤ
عليه بكتفه بينما ينظر لها بملامح غير مفسرة..

لا تعلم إن كان ينظر لها بندم أو ببرود أو بقسوة..لا تعلم إن كان سبب شحوب ملامحه هو
اكتشافها لفعلة الشنيعة أو استيعابه لحقيقة أخرى مريرة..

فخسارتها..تعني خسارة كل شيء..بما فيهم هذه الرفاهية و الترف الذي بدأ يعتاد عليه..و
الأهم...ابنته سجي !

لم توجه له أي كلمة..مجرد أن عادت لتتقرب من نفس الخزانة لتفتح الدرج السفلي مخرجة
حذاء لطيفًا لسجي..و اقتربت لتلبسها إياه برفق..قبل أن تحملها مجددًا و تتجه إلى الباب هامة
بالرحيل بصمت..

لكنها و كما توقعت ما كادت أن تتجاوزه..حتى رأت يده تمتد إليها لتقبض على ذراعها..لكنها لم
تسمح له حتى بهذا القدر..فقد أبعدت يدها كالمسوسة قبل أن يلمسها حتى..و نظرت له من مكانها
بتلك الطريقة التي تجعله يخاف حقًا مما قد تستطيع فعله..

كانت نظرتها تحتوي الكثير من القسوة..شعر و هو يسمعها تقول من بين أسنانها و كأنها
ليست نفس المرأة التي كانت تقاوم رغبتها في البكاء قبل قليل ؛

_سأغادر المنزل لساعات..و حينما أعود لا أريد أن ألمح طيفك أو طيفها هنا..لقد ملأتم المنزل
بقذارتكم بما يكفي.....لن أحتمل أكثر !

تجاوزته بعدها متجهة نحو الباب..لكن صوته الذي انطلق من وراءها بينما يستدير نحوها
أوقفها مجددًا..حينما قال بنبرة إقرار ؛

_أنا لم أفعل أي شيء يدعو للخجل..نحن متزوجان !

شعرت و كأنه قد صفعها بتلك الجملة..الأولى و الثانية..لم يفعل أي شيء يدعو للخجل؟! ألا

يعتبر الأمر خيانة فقط لأنه تزوجها؟! لقد تزوج بغيرها !

تزوج بامرأة تعيش معها في نفس المنزل..كانا طوال الوقت يخدعانها بينما هي كالمغفلة بينهما لم

تشعر بأي شيء..

لقد اكتشفت للتو بأن الشخص الوحيد الغريب في منزلها...كان هي !!!

"...با..با !! "

صوت هذا النداء الذي خرج من بين شفتي سجي بينما تمد يدها من خلف كتفها نحو كمال و

كأنها تدعوه للإقتراب هو الآخر قاطع أفكارها..و جعل من أنفاسها التي كانت على وشك الاختناق قبل

لحظات تستعيد القليل من رتابتها..

بينما استقام كمال في وقفته ناظرًا لها بلهفة..و بالكاد استطاع أن يرسم ابتسامة صغيرة

زائفة و هو ينظر في عينيها الجميلتين..قبل أن يقترب عدة خطوات بسرعة إلى أن التقط تلك اليد

الصغيرة الناعمة يقبلها بحنو..

كان يقف خلف أسيل تمامًا..و لم يرى تلك النظرة التي احتلت عينيها حديثًا..نظرة أشد قسوة

من تلك السابقة التي منحتها له قبل قليل..و بدون أن تستدير نحوه..كانت ترفع يدها لتمسك بيد

سجي محررة إياها منه..

ثم أكملت طريقها نحو الباب بصمتٍ..لكن صوته عاد ليهتف للمرة الثانية مقاطعًا..

و هذه المرة..خرج بنبرة متوترة يشوبها بعض الحدة و هو لم يخرج من تأثير حركة ابنته بعد..

تلك التي ظلت تمد يدها نحوه حتى بعد أن ابتعدت بها والدتها..تبتسم له بسعادة لا تناسب

الموقف أبدًا !

_لن أتخلى عن ابنتي أبدًا !!

قال بصوته المتشنج و عيناه الضائعتين في عيني ابنته..و قد كانت هذه اللحظة الأولى التي

تظهر فيها ابتسامة على وجه زوجته الأولى..ابتسامة باردة قاسية..

قبل أن تلتفت نحوه لتنظر في عينيه مباشرة..و قالت مشددة على كل حرف..بنبرة بطيئة علم

بأنه لن ينساها أبدًا ؛

_نجوم السماء أقرب إليك منها !

ثم استدارت لتغادر مغلقة الباب خلفها بقوة..و هذه المرة لم يستطع إيقافها بل لم يحاول

إيقافها أبدًا..فقد ظل و اقفًا مكانه للحظات طالت..ينظر في أثرها بعينين يلفهما الضياع و الشرود..

قبل أن يلتفت ببطء لينظر إلى تلك التي توقفت في حاجز باب غرفتها القابعة في طرف بعيد
نسبيًا عن الغرف الأخرى.. لا تزال عاجزة عن منع نفسها من البكاء ألمًا و ندمًا..
و تبادلًا نظرات ذات معاني عميقة جدًا!

لم تستطع أن تكبح دموعها طوال الطريق إلى منزل أختها.. كانت تجلس في المقعد الخلفي
لسيارتها الفارحة.. تضم ابنتها التي كانت قد استسلمت للنوم أخيرًا فوق صدرها..
لم يتوقف السائق عن رمقها من المرأة الصغيرة أمامه بنظرات فضولية بين الحين و
الآخر.. لكنها لم تنبس بكلمة.. ظلت تراقب الشارع بعينيها الباكيتين و اللتين كانتا عاجزتين عن تمييز
أي شيء..

إلى أن توقفت السيارة أمام القصر.. ففتحت الباب بسرعة لتترجل منها تزامنًا مع استيقاظ
سجى أخيرًا.. اتجهت بخطوات سريعة تنم عن غضب و جرح مكبوت إلى الداخل.. و قد كانت غايتها
الذهاب مباشرة إلى غرفة عفاف..

لكنها غيرت وجهتها حينما وقعت عيناها على لؤي و هادي.. و هذان الإثنان كانا يلعبان في
الحديقة الجميلة بكرة القدم.. يمررانها من واحد لآخر بحماس..
اقتربت منهما بسرعة تهم بترك سجى للعب معهما.. و لم تكد تصل إليهما حتى كان الإثنان
يقتربان بسرعة حينما وقعت أعينهما على سجى..
و كان أول من تحدث هو لؤي ذو السبع سنوات.. قال بحماس كبير بينما ينظر إلى سجى التي
فردت يديها الإثنتين نحوه و هي تميل بجذعها و كأنها تسأله أن يحملها..
مرحبًا خالتي.. هل ستمضين الليلة معنا؟!

لكن أسيل لم تبدو اليوم في مزاج لا للضحك أو الرد على سؤاله.. فقد انحنت لتوقف سجى
فوق العشب الأخضر بحذر.. و قالت أثناء ذلك بحزم.. تحاول أن تضفي بعض القوة على صوتها
المختنق عبثًا ؛

_سأتركها لتلعب معكما.. انتبها لها جيدًا !

ثم مدت إصبعها في وجه لؤي بالذات و أضافت محذرة بنبرة صارمة حازمة ؛

_و أنت بالأخص إياك أن تحاول حملها !

زم لؤي فمه كطفل معاقب و هو يحرك رأسه بطاعة.. من حقها أن تلقي عليه مثل هذا الأمر
الآن بعد المرة السابقة التي أوقع فيها سجى و كاد أن يصيبها أذى لولا رحمة من الله..

رغم ذلك فقد كانت تبدو أكثر من مستعدة للوقوع مجدداً..فما لبثت تنشبث بقميصه و كأنها تستند عليه للتوازن بوقفها غير المستقيمة تماماً..لكنها في الحقيقة كانت تطلب منه بطريقتها أن يفعل أكثر شيء تحبه في الحياة...أن يحملها مجدداً!

بينما هزت والدتها رأسها برضا و هي تستدير أخيراً مستأنفة طريقها نحو المنزل..
و حينها فقط..كان هادي يلقي بالكرة التي كانت لا تزال بين يديه يرفعها عشوائياً ليركض رغبة في التقاطها قبل أن تقع..و بدلاً عن ذلك انحنى إلى مستوى سحى التي تتبعته بعينها الكرة بانها..
همس يحاول أن يستغل تلك اللفتة البريئة اللطيفة التي ظهرت في عينها للركض نحو تلك الكرة و اللعب بها ؛

هل تريدان الكرة ؟!!

رأى كيف اتسعت عيناها بلهفة أكبر..و حركت رأسها لعدة مرات ببراءة و هي ترفع إصبعها إلى فمها تمصّه كعادة تفعلها دائماً..فقال بلطف بينما يقرب وجنته منها ؛
_أعطني قبلة و سأدعك تلعبين بها..

لم تمنع سحى أبداً..فقد أخرجت إصبعها من فمها لتقترب منه تمنحه تلك القبلة التي بالكاد يمكن تصنيفها قبلة..مجرد أن تلمس بشفتيها خده و كان يعتبرها قبلة..
فاتسعت ابتسامة هادي بشقاوة..و رفع يده ليبعد الخصلات الناعمة الطويلة قليلاً عن مجال عينيه تزامناً مع وقوفه بغاية الوفاء بوعده..
اقترب من الكرة إلى أن وصل إليها و وضع قدمه اليمنى عليها ليثبتها في الأرض..ثم قال محتفظاً بابتسامته الشقية ؛
_أمسكي بها..

قبل حتى أن يكمل عبارته..كان قد ركل الكرة بقوة نحوها..لكن من تلقاها كان لؤي..و توقف هناك يثبتها بنفس الطريقة بإحدى قدميه..قبل أن يهتف بجزع ؛
هل تريد أن تقتلها أيها الأحمق ؟ ألم تسمع تحذير خالتي لنا ؟!!

أخفض رأسه قليلاً لينظر لسحى التي جثت على ركبتها في الأرض بغاية واحدة و هي أن تمسك بالكرة المحتجزة بين قدمه و الأرض..و ظلت تحاول باستماتة سحبها إليها..لكنها فشلت في كل مرة..حتى أنها سقطت في المرة الأخيرة جالسة فوق العشب الأخضر..

و كانت النتيجة المتوقعة أن شرعت في البكاء بشكل جعل عيني لؤي تتسعان بجزع أكبر من فكرة أن تسمعها خالته..لهذا ترك الكرة لينخفض إلى أن أمسك بها و مدها لسجى بينما يجلس أمامها على ركبتيه..

و للعجب فقد توقف بكاءها فوراً بمجرد أن نظرت للكرة..و امتدت يداها نحوه بغاية أخذها منه..لكنها كانت أثقل ممّا توقعت فوقعت على قدميها الصغيرتين المفرودتين فوق الأرض..حينها ابتسم لؤي..و همس لها بينما يقرب وجهه منها قليلاً برفق شديد ؛
_هل تريدان أن أعلمكِ طريقة اللعب بها ؟!!

برقت عينا الصغيرة بحماسٍ كبير جداً..فلم يتردد من أن يحمل الكرة منها..و بدون أن يقف كان يلتفت قليلاً ليغمز إلى هادي في إشارة فهمها الآخر بسهولة..و اقترب منصاعاً لها ليقف ورائه على بعد مسافة أمتار..

لمعت ابتسامة لؤي و هو يرفع الكرة ليلقي بها إلى أخيه الذي التقطها بمهارة..و قد كان في مقدور أي شخص بالغ مكان سجى أن يلاحظ تلك الحركة..
لكن تلك الصغيرة فقط لم تلاحظ سوى اختفاء الكرة فجأة من بين يدي لؤي..فنظرت حولها و كأنها تبحث عن الكرة بالفعل حينما فتح يديه أمامها مبتسماً ليربها بأنها اختفت فعلاً بحركة سحرية عجيبة..

و الحقيقة أن كل ما فعلاه لم يكن سوى خطة لإنقاذ الكرة التي يعلمان بأن سجى ستلتصق بها إلى أن تقرّر والديهما أن تعطيها لها لتأخذها معها كما العادة..
كان هادي قد انخفض بسرعة في نفس اللحظة متوارياً خلف أخيه بمسافة جيدة لكي لا تلمح سجى الكرة في يده..لكن هل انطلت عليها الخدعة الساذجة ؟!! بالطبع لا !!
فقد راقب لؤي بحاجبين معقودين بإحباطٍ كيف أمالت جانبي شفتيها مستعدة للبكاء مجدداً..لكنه لم يسمح لها هذه المرة..هتف لهادي بسرعة و هو يثبت يديه في وضعية التقاط الكرة ؛
_إنها على وشك البكاء..ارم الكرة بسرعة !

و بالطبع لم يتردد هادي في إلقاءها..و للمرة الثانية كان يمسكها لؤي بمهارة جعلت كل رغبة في البكاء تختفي من وجهها..و بدلاً عن ذلك فقد هتفت ضاحكة و هي تستقيم على ركبتيها لتقترب قليلاً و تسحب الكرة منه..

هذه المرة بدون أن تحملها..فقد اكتفت بأن أسقطتها بين قدميها لتشرع في اللعب بها بسعادة..بينما رمق لؤي هادي الذي كان لا يزال يجلس في مكانه بيأس..

إلى أن همس هذا الأخير و هو يسقط جالساً فوق العشب بتذمر ؛

_أبشر..لقد خسرنا الكرة الرقم عشرين !!

كانت تقف في غرفة العمل..أمام النافذة الزجاجية الكبيرة..و التي تطل على الحديقة مخولة

لها مراقبة ابنتها من مكانها..لكنها لم تكن تنظر لها الآن فعلياً..

فقد كانت عيناها المؤطرتين باحمرار بارز بعد نوبة بكاء استسلمت لها أمام أختها شاردتان في

اللا شيء..تعقد ذراعيها كحاجبيها لكن بدون أيّ تعابير محدّدة منذ دقائق ساد فيها صمت كئيب

غامض..

إلى أن سمعت صوت عفاف التي كانت تقف خلفها بمسافة قصيرة..تقول بنبرة حاسمة بعد

تفكير طويل ؛

_علينا أن نفعل شيئاً!

بالكاد استطاعت أسيل أن تتمالك نفسها قليلاً لتلتفت نحوها..كانت تدرك بأن أختها ليست

ممن يجيئون بالبكاء أو الضعف حتى في أشد المواقف التي تستدعي البكاء بحق..لهذا فقط ما لبثت

تجاهد نفسها لاستعادة ثبات ملامحها طوال الوقت..

قالت بينما تفكّ تلك العقدة من ذراعيها باستسلام ؛

_ما الذي تبقى لفعله؟! لقد تحدثت إلى المحامي أثناء الطريق إلى هنا..سيبدأ في إجراءات

الطلاق عما قريب..

لم تفهم سبب النظرة التي منحها لها أختها..فقد اتسعت عيناها بذهول..و ارتفع حاجباها

سويًا باستنكار..ثم قالت غير مصدقة ؛

_طلاق؟! هل أنت مجنونة؟!

الآن كان دور أسيل لترفع حاجبيها بعدم فهم..و همست مضيقّة عينها بحذر ؛

_ما الذي يجدر بي فعله برأيك؟! لا تتوقعين مني حقاً أن أستمّر في هذا الزواج !

لم تردّد عفاف من الرد بقسوة و هي تعقد ذراعيها بحسم ؛

_لقد كان هذا خطأك منذ البداية..كم مرة حذرتك ؟ لقد حاولت أن أمنعك بكل الطرق

الدينيّة و غير الدينيّة حتى أنني أمرت بفصل المعتوه من العمل و كنت سأرسل عائلته إلى مدينة أخرى

لكنه ظل ملتصقاً كالعلقة و أنتِ شجعته !

كانت تتحدث بقسوة بالغة..و ظهر تأثير كلماتها على وجه أختها الذي بهت لونه أكثر..لكنها رغم

ذلك قالت بجدية..بصوتٍ حاولت أن تغلفه بالقوة لكنه خرج باهتًا كلامحها ؛

_نعم..لقد كان هذا خطئي منذ البداية..أنا الوحيدة التي تستحق دفع ثمنه..و أنا الوحيدة

التي تمتلك قرار تصحيحه..و هذا ما أحاول فعله الآن تمامًا..

لم تتغير نظرة عفاف لها رغم كل الغضب الذي كان يظهر جليًا بجوف عينيها..قالت بنبرة ذات

مغزى أعمق من ظاهرها ؛

_و هل تظنين بأن هذه هي الطريقة المثلى لتصحيحه ؟!!

شعرت أسيل بالجنون من نبرتها التي أوحت لها بشيء واحد..فزفرت هاتفة بصوتها المبحوح

بغير تصديق ؛

_هل عليّ أن أذكرك للمرة الألف بأنني وجدته يخونني مع الخادمة ؟!! لقد كان يخدعني طوال

الوقت مع المرأة التي وضعت ابنتي في أمانتها..ألا تستوعبين ؟!! لقد توقعت منك كل شيء إلا ردة

الفعل هذه !!!!

لم تشعر عفاف بنفسها و هي تهتف بها مقترية منها قليلًا بنفس الطريقة ؛

_هل تستوعبين أنتِ ما الذي سيحدث لو تسرب هذا الأمر خارج جدران هذا المنزل ؟! لو

وصل إلى الصحافة ؟!! ما الذي سيقوله العالم عنا ؟! ما الذي ستكتبه الجرائد و الصحف عنا ؟!!

عنكِ و عنهما !!!

_سأفضحهما !!

هتفت أسيل في نفس اللحظة بانفعال..فهزت عفاف رأسها بيأسٍ مردفة بنبرة عملية خالية

من المجاملة ؛

_ستفضحين نفسك !

تراجعت أسيل برأسها قليلًا ناظرة لها بعجز عن الفهم..بينما شحبت ملامحها أكثر و عقلها

يضحج بالأفكار المتناقضة..ما الذي تحاول أختها الوصول إليه فعلاً ؟!

و أمامها..؟.زفرت عفاف بقوة و هي تقترب منها أكثر إلى أن أمسكت بذراعيها..ثم قالت تنظر في

عينيها تمامًا بنبرة استعادت الكثير من هدوءها..و اكتسبت حقدًا و شرًا كبيرًا..

_لا أحد سيمنحك العذر في هذا..الجميع سيتعاطف معه..الرجل الذي تخلى عن الجاه و

المال و المكانة لأجل الحب..الذي أثر الخادمة الفقيرة على زوجته المثالية الموصفات..و الذي ظل

يخفي هذا الأمر طوال الوقت خوفًا من فقدان ابنته !!

كانت أسيل تنظر لها بضياح شديد..لا تتصوّر فكرة أن تستمر في هذا الزواج بعد..ربما كانت
طريقتها خاطئة..ربما كانت هي فعلاً من دفعته للوقوع في حُب أخرى بأسلوبها الجاف..لكنها هي
هكذا..لطالما كانت هكذا..

هل كان عليها أن تكتب له رسالة غرامية تعترف فيها بالحُب نحوه كل يوم؟! ماذا إن كان ذلك
الحُب قد شرع في التداعي من قلبها هي الأخرى منذ زمن طويل!!؟
و ما كان يدفعها للصّمت و الاستمرار في تلك العلاقة هو خوفها من الناس كما قالت
أختها..كانت تخشى أن ينعتها العالم بالخاسرة..لقد عقدت رهاناً كبيراً و أشهدت العالم كله
عليه..كيف كانت تستطيع الانسحاب ببساطة!!؟

سمعت صوت أختها تهمس لها كشيطان ماكر بنبرة هادئة الآن..بطيئة و عميقة ؛
_ألا تستوعبين بأن هذه هي غايته!! إنك بهذا الشكل تمنحينه الفرصة لتوطيد علاقته بتلك
المرأة القذرة..بل و بإخراج زواجهما إلى النور..و ربما يتمادى به الأمر لدرجة رفع قضية عليك لأخذ
وصاية سجي!...

نظرت لها أسيل في هذه اللحظة بالذات بحدة..و فتحت فمها تهم بتكرار نفس الجملة التي
ألقتها على مسامعه قبل دقائق..لكن عفاف سبقتها بأن استأنفت بنفس نبرتها ؛
_أعلم بأن هذا الأمر مستحيل..نجوم السّماء أقرب إليه منها..لكنه يستطيع أن يستدر
تعاطف الناس من حولنا..الجميع سيَقِف في صفه..الجميع سيحاصرُك في خانة المتهمة..و إلّا من ذا
الغبي الذي يؤثر حياة الفقر المدقع على حياة الرفاهية المثالية!!؟
صمتت للحظة أخرى..ثم استطردت ببطءٍ أشد و هي ترى بنفسها تأثير كلماتها على ملامح
أختها التي تاهت تماماً في البعيد ؛

_لقد كان يخفي الأمر عنك طوال تلك المدة خوفاً من فقدان حياته الحالية..الآن بعد أن
أصبحتِ تعلمين ما الذي قد يخسره بعد!!؟

ارتسمت الحيرة بشكل واضح أكثر على ملامح أسيل..و ظلت تنظر لها لوقتٍ طويل بضياح
أكبر..بتخاذل و حيرة أكبر..ما الذي قد يخسره بعد!!؟

ابتلعت ريقها ببطءٍ و عقلها يقلب ذلك السؤال مراراً..و لم تشعر بنفسها حينما استدارت
لترشق سجي التي كانت لا تزال تلعب مع لؤي و هادي اللذين لا ينفكان عن مشاكستها بكل الطرق
لسماع ضحكتهما..رمقتها بنظرة طويلة ذات مغزى عميق..

لم تفكر يوماً في احتمالية فقدانها..لم تطرأ فكرة الانفصال عن كمال عقلها حتى في أكثر اللحظات التي غالبا فيها اليأس من علاقتهما..هي ليست إنسانة سيئة..لقد كانت تحبه بحق..لظالما أحبته..

و لم تتوقع منه إطلاقاً الخيانة..كما أنها لا تتصور أن تعيش ابنتها حياة كاملة لا تتعرف فيها إلى والدها أو تكون معه !

ليست أنانية إلى هذا الحد..كما أنها ليست طيبة إلى هذا الحد..إلى الحد الذي تتنازل فيه سامحة له بالاقتراب منها بعد لو حدث الانفصال !

لم تكن مقتنعة بأي كلمة مما قالته عفاف..فقد كانت هناك فكرة واحدة تملأ عقلها..أنها تود الانفصال!..لكنها الآن..و في هذه اللحظة..لم تشعر بنفسها و هي تزفر نفساً طويلاً بلا صوت..ثم التفتت لتهمس باستسلام ظهر في نبرتها و كتفها المتهديلين بتعب ؛

_ما الذي عليّ فعله ؟!!

رأت تلك الابتسامة الباردة التي تشكلت بصلاصة على شفاه أختها..و التي كادت أن ترسل شعوراً من الرهبة إلى قلبها لوهلة..ثم قالت ترفع أحد حاجبيها باسترخاء..بنبرة غامضة غير مريحة إطلاقاً ؛

_لا تفعلي أي شيء..أنا سأفعل !

ثم أضافت فوراً و تلك الابتسامة التي بالكاد يمكن تسميتها ابتسامة تزداد صلابة و قسوة ؛

_لا يمكن لأي أحد أذنب في حق أخت عفاف سالم الشاذلي أن ينجو بفعلته بتلك البساطة !

ربما كان ذلك أكبر خطأ ارتكبه في حق نفسها و حق الحب..ففي تلك اللحظة و هي تسمع رد

عفاف..شعرت برعشة باردة تمر على طول جسدها..

كانت رعشة ندم لا تدري...أم قلق !

الحقيقة أنه لم يكن هو..و لا هي..الشخصان الوحيدان اللذان جعلتهما السيدة عفاف

يدفعان الثمن..لم تدرك أبداً بأنها في غمرة انغماسها بأحقادها و جشعها...كانت قد جعلت أختها

أيضاً تدفع الثمن !!

كانت الخطة واضحة جداً..أن تقوم باستدعاء كمال إلى مكتبها..و كما هو متوقع لن تبخل في

إلقاء البعض مما تستطيع أن تفعله به عقاباً على ما ارتكب..

كان كمال يقف أمامها متظاهراً بالثبات..مصمم منذ أن أتى على أن لا يجعلها ترمق و لو نظرة

خوفٍ عابرة في عينيه..لكنها السيدة عفاف !!

لا يمكنها إلا أن تبلغ كل غاية تنشدتها بإحدى الطرق الدنيئة أو غير الدنيئة !!
علم من نبرتها التي خرجت غير مريحة بأن غاية دعوتها له إلى هنا أكبر من رغبتها
بتهديده..حينما همست تشير إلى أحد المقعدين الملاصقين للمكتب الضخم حيث تجلس بكل هدوء ؛
_اجلس..

لوهلة كاد كمال أن يفتح فمه ليعترض..حتى أنه فكر بأن يقترب من الباب ليفتحه و يغادر
بصمتٍ..لعله يتحاشى أيّ كان ما تكيده له تلك المرأة الخبيثة الطباع هناك..
لكن إدراكه التام بأن فكرة أن يُترك و شأنه بعد كل ما حدث هي غير متاحة..جعله ينفث
نفسًا طويلاً..ثم اقترب ليجلس فوق ذلك المقعد باستسلام..لا يزال يرفض أن يظهر أيّ تعبير على
ملامحه الصامدة الباردة..

نظرت له عفاف مطولاً..نظرة فاقت حدود الثقة و الخبث..قبل أن تفتح ملفًا كان محفوظًا
منذ أن دخل فوق المكتب..و أخرجت وثيقتين نظرت لهما قليلاً قبل أن تضعهما أمامه بصمتٍ..
تجمد كمال للحظة ينتظرها أن تمنحه تفسيرًا بدون أن يلقي نظرة على الورقتين..لكنها ظلت
صامتة تمامًا..فبذل شفاهه مردفًا بنبرة خالية من التعابير ؛

_ما هذا ؟!!

قالت عفاف رافعة أحد حاجبيها بثبات ؛

_تفقدتهما..

تشنجت ملامح كمال قليلاً و كأنه قد تكهن بمحتوى الورقتين قبل حتى أن يفعل..لكنه في
النهاية رفع يديه ليمسك بهما و يرفعهما إلى وجهه..و سرعان ما كانت عيناه تتسعان قليلاً بصدمة..و
تعقدت النظرة فيهما و هو يمرّرها على السطور هناك..

كانت ملامحه تزداد شحوبًا بعد كل لحظة..إلى أن انتهى من قراءتها و أعاد وضعها في مكانها
ناظرًا إلى عفاف بنظرة مزجت ما بين كره كبير و ضياع أكبر و أكبر..
حينها قالت عفاف بنبرة ثابتة شديدة الثقة بينما تشبّكُ بين أناملها فوق المكتب و ترفع أحد
حاجبيها بسيطرة ؛

_ماذا تختار إذا ؟!!

احتدت النظرة في عيني كمال أكثر..و زم فمه فوق فكّ حاد متشنج بشدة..قبل أن يقول من
بين شفثيه بصوتٍ قاطع ؛

_هل تظنين بأنكِ تحاصريني بهذا الشكل ؟!! أم أن كل الحلول قد نفذت من العالم ؟!!

لم يظهر أيّ انفعال على ملامح عفاف و هي تقول متسائلة ببساطة ؛

_تريد أن ترفع دعوة حضانة؟! تفضل و افعل !

قال كمال بنفسِ النبرة المتشنجة و هو ينظر لها بكره يصعب إخفاءه ؛

_ماذا لو اختطفتها!!؟

بدا و كأنه يهددها فعلاً..لكن عفاف لم تفقد موقفها..قالت ترفع نفس الحاجب المستفز و هي

تفتح يديها الإثنتين و كأنها تخاطب مجنوناً ؛

_حاول..من يلومك!!؟

كان يعلم بأن ذلك الاحتمال مستبعد تماما..هو عاجز تمامًا..هذا ما كان يخشاه طوال

الوقت..و الذي كان يجعله مصممًا على إخفاء الأمر لمدة أطول..كيف يمكنه أن يختار بين ابنته و

زوجته؟!!

ماذا عن طفله الآخر الذي تحمله في أحشاءها؟! أيّ فخ تم الإيقاع به فيه يا الله؟!!

كان يرفض تمامًا أن يستسلم..منذ أن قابلته عفاف لأول مرة و رأت الإصرار في عينيه اللتين

لم يهتز فيهما شيء و هو يقابل رفضها لانضمامه لعائلتهم العريقة..علمت بأنه لا يشبه أيّ شاب آخر

في نفس وضعه أو سنه !!

و بأنها ستتعب طويلاً قبل أن تجد طريقة لإخضاعه !!

كانت الطريقة المثلى..نقطة ضعفه الأكبر..ابنته سجي ! و هي رغم حُبها الكبير لها..لم تتردد

للحظة واحدة في استغلال مكانتها لديه لإخضاعه !

_سأجد طريقة ما !!

سمعت صوته يقول بانفعال مكتوم..أنامله تشتد حول نفسها بعنف..و حينها فقط..كانت

تسقط البرود من ملامحها..و اقتربت منه مستندة إلى سطح المكتب بمرفعيها..لتقول مباشرة الآن ؛

_توقف عن التحدث بالهراء ! كلانا يعلم بأنك عاجز..ما من طريقة أخرى للخلاص غير

هذه..إما أن تختار تلك المرأة الملعونة و تغرب عن وجهي كلياً..أو تؤثر ابنتك..

تعمدت أن تشملها بالكامل بنظرة مهينة و هي تضيف ؛

_مع إمكانية عدم فقدان حياة الرفاهية التي بالكاد لاقت بك !

نظر لها كمال عاقداً حاجبيه بانفعال أكبر..يريد أن يخنقها..يتمنى أن يخنقها..ليته يمتلك

الشجاعة ليخنقها في هذه اللحظة بالذات و يريح العالم من شرورها!

شعر و كأن كل أفكاره مقروءة لديها..و قد كانت مقروءة بالفعل..فرأى كيف ارتفع حاجباها
ببطء..و عادت الابتسامة الأرستقراطية المترفعة لتخط شفتيها بدقة..

ثم تراجعت في مقعدها بارتياح..قبل أن تمسك بالقلم الغالي الملقى على مكتبها..و مدته نحوه
هامسة و كأنها تخاطب طفلاً صغيراً ؛

_كل ما يحتاجه الأمر مجرد توقيع صغير منك..إما أن تتخلى عن حضانة ابنتك..و التي كنت
أظن بأن مكانتها عندك أعلى ممّا أظهرت اليوم..أو تطلق تلك المرأة الرخيصة..و في الحالتين أنت
مجبور على التضحية بشيء ما!

اتسعت ابتسامتها بقدر ضئيل جداً و هي تميل برأسها قليلاً مستأنفة بدون أن تبعد عينيها
عن عينيهِ اللتين تكادان أن تذرفا الدموع قهراً على وضعه ؛

_هكذا يكون العقاب المثالي لأيّ أحد يتجرأ على عض اليد التي امتدت له بالخير !
شعر كمال بأن تلك الدموع التي ما لبثت تلسع عينيهِ بقوة تصارعه للتحرّر..فأشاح بوجهه
قليلاً محاولاً كبجها بقوة..و غاص عقله في أفكار متداخلة..يدرك جيداً لعبتها..إنه ليس مجرد تهديد
بفقدان ابنته لو تجرأ و رفض..

لقد كان التهديد الحقيقي لا يستهدف ابنته فقط..بل كل شيء..التمرد يساوي خسارة كل
شيء..بما فيهم مستقبله و مستقبل عائلته و المرأة الوحيدة التي يحب !!
ستدمره تماماً..ستحيل حياته إلى جحيم قائم..ستقتل كل فرصة متاحة له في النجاة بعد..كل
فرصة متاحة للعمل..كل محاولة للتماسك..كل أمل في الحياة..
ستنسفه منه قطرة قطرة !

إلى أن يموت ببطء..إلى أن يغدو محض رجل هزيل لا يريد من هذه الحياة شيئاً سوى النوم
براحة بال !

لقد تصرف بسذاجة..لا يمكنه الإنكار بعد..لقد كان من الغباء إنجاب طفلة تجعله مقيداً
بهذه العائلة ما حيا..كان من الغباء أيضاً إقحام تلك الفتاة المتواضعة الحال في هذا العالم الذي لن
يسبب لها سوى الأذى..

هو لم يمنحها أيّ شيء سوى الأذى..و الآن...سواء تخلى عنها أو اختارها فالألم هو الشيء
الوحيد الذي لديه لمنحها إياه !

حينما غالبه اليأس التام..نظر إلى عفاف سائلاً في محاولة أخيرة ؛

_هل أسيل تعلم بهذا !!؟

كان جوابها واضحًا ومقنعًا..قالت و هي ترتاح في مقعدها أكثر باسترخاء ؛

_لقد أرادت أن تعاقبك..فاخترت العقاب المناسب الذي سيرضيني و يريحها !!

ظل كمال ينظر لها للحظاتٍ أخرى بعينيه المحتقنتين ألمًا..بينما كانت تلك الرغبة في قلبه تتضاعف..رغبة خنق أنفاسها حتى الموت..و قد شعر بأنه على شفا لحظة واحدة من فقدان نفسه و

هو يرى ابتسامتها الباردة تصبح أكثر عمقًا..ثم قالت بعملية زائفة ؛

_باللّٰه عليك ! ألم تكن تتوقع حدوث هذا حينما وقعت في حُب الخادمة الصغيرة كالأبله !!

لم يجب كمال على سؤالها..قال من بين أسنانه بصوتٍ متهدج يكاد أن يكون مختنقًا رغم

الغضب و الحقد الكامن به ؛

_لقد عرفتكَ لمدة أربع سنوات..لكنني اليوم فقط أشعر بأنني أتعرف إلى وجهك الحقيقي !

فتحت عفاف يديها باستسلام مردفة ؛

_هذا ذنبك..لم يكن عليك أن تستهين بي منذ البداية !

هل يمكن لهيئة الشيطان أن تتجسّد لإنسان في وجه إنسان آخر ؟! لقد شعر و هو ينظر لها

الآن بأنه ينظر إلى الشيطان !!!

صمت طويل ساد في الغرفة..لم يستطع أن يتكهن بعدد الثواني أو الدقائق التي أمضاها

جالسًا هناك ينظر في كل مكان بصمتٍ و ضياع..إلى أن وصله صوتها تقول بنفسٍ الرفع

المزعج..المريض !

_هل فكرت جيدًا ؟!! الآن..وقع إحدى الورقتين..لم يعد لديّ وقت لأضيعه معك !

حينها..وجد نفسه يغمض عينيه بقوة..لقد أخذ قراره..أخذ القرار الوحيد الذي ظن بأنهما

قد ينجوان فيه بأضرار أقل !

فأمسك بالقلم الذي كانت قد عادت لتمده نحوه مشجعة..و وقع إحدى الورقتين أمام عيني

عفاف اللتين برقتا بشعور مألوف من نشوة الانتصار..و قد تضاعف ذلك البريق و هي تراقبه بينما

يُسقط القلم و يسقط معه كل أقنعة القوة الزائفة..محررًا البعض من دموعه الحارقة..

لم تكن عيناه فقط من بكت..بل قلبه و روحه..كل جوارحه بكت !

كان قد أسقط رأسه بيأسٍ تام..حينما سمع صوتها السّام..تقول بينما تمسك بالورقة التي

وقعها ناظرة لها بظفر ؛

_جيد..لقد اخترت الصّواب..هذا هو كمال الذي أعرفه..لم تخيب ظني فيك !!!

نظر لها كمال بعينين حمراوتين يطوقهما الألم من كل جهة..فأضافت تسأله بهدوء ؛

_هل تحب أن تبلغ حبيبة القلب أنت بالقرار الجديد أم أتكفل أنا بالأمر !!؟
مجرد تذكرها..جعل كل خلية فيه تنتفض و ترتجف..نظر لها بعينين متسعيتين و كأنه قد
استوعب الآن فعلته..و في لحظة واحدة استعاد عقله كل الوعود الباهتة السابقة..
و لم يستطع إلا أن يهز رأسه بالنفي..هامسًا من بين دموع متأمة باستسلام موجع ؛
_لن أستطيع مواجهتها بعد..لن أستطيع !
كان و كأنما يخاطب نفسه..لكن عفاف أخذت كلامه على أنه إجابة..فأومأت بهدوء هامسة
بينما تتراجع في مقعدها..بنبرة تحمل معانٍ أكبر من ظاهرها ؛
_جيد..أنا سأتكفل بأمرها إذا !

لم يعلم ما كانت تقصده بـسأتكفل- بأمرها..هو فقط وجد نفسه يفقد تركيزه ناظرًا إلى
الفراغ..العالم كله يبدو مظلماً مكللاً بالضباب..كل أمل وليد انهار لديه اليوم !
و بعدها في نفس اليوم بساعاتٍ..كانت هي من تقف أمام منزل بسيط جدًا..رفعت يدها لتطرق
الباب بحذر بينما عيناها تتنقلان حول المكان بشيءٍ من النفور و القرف..
و ما إن فتح الباب على مصراعيه و ظهرت من خلفه امرأة تبدو في أواخر العشرينات..تشبه
لحد كبير بلقيس..لم تتعب عفاف نفسها بالتمهيد..قالت تجيب الدهشة الكبيرة التي غلفت نظرات
الأخرى إليها ؛

_أليس هذا...منزل بلقيس !!؟
قالت السيدة أمامها و التي كانت ترتدي ثيابًا بسيطة جدًا تفصح عن وضعها المادي المزري و
هي تتأملها برهبة ؛
_ن..نعم..
ثم أضافت بتلعثم ؛
_هل...جئت لرؤيتها !!؟

منحتها عفاف إيماءة جافة..فطرفت برموشها لعدة مراتٍ..قبل أن تتنحى جانبًا سامحة لها
بالدخول..تقدمت عفاف بخطواتٍ ثقيلة و هي تنقل عينيها حول كل مكان هنا بحذر..
و كان واضحًا تقززها من كل شيءٍ هنا حتى حينما اقتربت لتجلس فوق الأريكة التي دلتها عليها
أخت المعنية بمجيئها إلى هنا..ثم همست تبتلع ريقها ؛
_ماذا تحبين أن تشربي سيدتي !!؟

كان هناك تعبير يشبه الرهبة يحتل عينها فقط و هي تطرح سؤالها..و قد تفاقم ليحتل قلبها

أيضًا و هي تسمع عفاف تقول بإيجاز ؛

_لا شيء..نادها فقط من فضلك..

حينها لم تماطل لبني أكثر..اقتربت من غرفة كانت لأختها الصغيرة تهم بمناداتها.. لكنها قبل أن

تفعل حتى كان الباب يفتح من الداخل و كأنها قد سمعت و علمت بتواجد تلك المرأة هنا..

همست لها -لبنى- بنبرة خافتة كي لا تصل إلى مسامع عفاف ؛

_هل هذه هي زو.....

_إنها السيدة عفاف !

أجابت بلقيس بنفس النبرة الخافتة و التي نجحت رغم خفوتها في جذب انتباه عفاف التي

نظرت نحوها مباشرة..قبل أن تضيف بلقيس بنبرة فارغة و بدون أن تزيج عينها من عليها ؛

_سأتحدث معها على انفراد..

لم تعلق لبني..فقد التفتت لتتجه إلى المطبخ بعد أن رمقتها بنظرة شملت كل القلق الذي

انتابها من هذه الزيارة..و الذي انتاب أختها أيضًا..لكنها رغم ذلك أرغمت نفسها على الاقتراب من

عفاف..شعور من عدم الإرتياح يكتسحها بقوة..

توقفت أخيرًا أمامها..و بالكاد استطاعت أن ترسم ابتسامة شاحبة باهتة جدًا و هي تهمس

بنبرة بعيدة كل البعد عن الترحاب ؛

_أهلاً و سهلاً بك..

لم تتجاوب عفاف مع جملتها..قالت تنظر لها بنفس الطريقة التي تشعر من يقف أمامها بأن

وقتها أثنى من تضييعه في بعض العبارات الترحيبية المزيفة ؛

_هل يمكننا التحدث بوضوح ؟!!

نبرتها جعلت من عيني بلقيس تجفان للحظة..قبل أن تحرك رأسها و تقترب من الأريكة

المقابلة إلى أن جلست تنظر لها بدون تعابير..و أمامها..لم تضيق عفاف ثانية أخرى بعد و هي تقول ؛

_مليون ؟ اثنان..ثلاث..عشرون ؟!! كم تريدين بالضبط ؟!!

نظرت لها بلقيس بعينين متسعيتين بعدم فهم..لكن عفاف بدت و كأنها لم تفهم نظرتها

تلك..فرفعت حاجبها مستأنفة بلطف خادع ؛

_لا..إياك أن تخجلي..لقد أتيت اليوم و كل غايي أن أفرغ البعض من غضبي نحوك بأكثر من

طريقة..

رمقت المنزل البسيط جدًا بنظرة طويلة و هي تضيف بتعاطف غير حقيقي تمامًا ؛
_ لكن بعد أن رأيت هذا الوضع..أستطيع أن أقول بأنني أفهمك تمامًا!
ثم قالت و هي تعود لتحقق في عينيها الجاحظتين بصدمة و ذهول ؛
_ الحقيقة أن لا عذر في العالم قادر على تبرير الخيانة..لكنني لو كنت في مكانك كنت لأفعل
الكثير من الأشياء في مقابل التخلص من هذه الحياة البائسة..
مالت قليلًا في جلستها و هي تتكؤ على ركبتيها بمرفقها الأيمن حيث تحمل محفظة كبيرة راقية
التصميم..و أضافت بوضوح ؛

_ أكرّر سؤالِي..كم تحتاجين بالضبط لتخرجي من حياتنا بشكل نهائي؟!
ارتجفت شفاه بلقيس و كأنها ستقول شيئًا ما..لكنها عجزت عن التكلم لوقتٍ..و استغلت
عفاف صمتها و هي تتراجع قليلًا قائلة بهدوء ؛
_ فكري جيدًا قبل أن تجيبي..لأنك في كلتا الحالتين..سواء شئتِ أو أبيتِ..فستخرجين من
حياتنا !

لحظات أخرى ظلت فيها بلقيس تنظر لها بشفاه مفتوحة بذهول..و ملامح شاحبة بشدة
مخيفة..إلى أن استطاعت تكوين جملة واحدة..
همست بنبرة مختنقة رغم أنها لم تكن تبكي فعلاً ؛
_ ..لا شيء..لا أريد أي شيء منك..كمال س.....
قبل أن تستطيع إتمام كلامها حتى..كان صوت عفاف يقاطعها..أصدرت صوت نفي بطيء و
هي تهز رأسها بخفة..ثم قالت تخاطبها بنفس الأسلوب الساخر الذي كانت تخاطب به كمال قبلها..و
كأنها توجه كلامها إلى طفلة صغيرة ؛

_ إياك...لا تحاولي حتى أن تنطقي اسمه من بين شفتيك مجددًا..لقد اختار كمال طريقه
بالفعل...الآن حان دورك أنت !
الآن فقط...كانت تصل إلى هدفها..فقد رأت كيف ارتفع حاجبا بلقيس بحيرة في البداية..قبل
أن تعكفهما ببطءٍ و عقلها يقلب جملة قالتها لعدة مراتٍ..و لم تستطع أن تمنع نفسها من أن تسأل
بتوتر ؛

_ اختار طريقه ؟!! ماذا تقصدين بالضبط ؟!!

قالت عفاف بصوتٍ ثابتٍ هادئٍ جدًا ؛

_ ماذا كنتِ تتوقعين بالضبط ؟!!

شعرت بلقيس بالخوف يكتسح قلبها من مكان مجهول.. ما الذي تقصده هذه المرأة أمامها؟!!

ما تلك النظرة التي تحتل عينيها؟!!

لقد كانت تنظر لها بتشفي.. تستطيع أن تلاحظ ذلك.. حقد دفين.. برود ظاهري.. والكثير من

التشفي حين نطقت سؤالها الأخير!!!

و بدون أن تمهلها ثوانٍ أخرى للإستيعاب.. كانت تفتح حقيبتها الشديدة الأناقة لتخرج وثيقة

فتحتها بتمهل قبل أن تمدّها نحوها.. وتردّدت بلقيس طويلاً قبل أن تستلمها بأنامل ترتعش..

ابتلعت ريقها ببطءٍ و هي تقربها من عينيها متجولة فوق تلك السطور بترقب و خوفٍ

داخلي.. إلى أن اتسعت عيناها بشدة و هي تستوعب فحواها..

لقد طلقها! كمال طلقها!!!!

شعرت بأن العالم كله تدهور من حولها.. كل شيء يفقد قيمته و توازنه.. حتى أن رموشها

تناقلت و شعرت برأسها يميل و كأنها على وشك فقدان الوعي..

لا... لا يمكنه أن يفعل بها هذا!!

لا يمكنها أن تصدق و لو وضع في يدها ألف دليل يجزم بتخليه عنها.. كيف يتخلى عنها في هذا

الوقت بالذات؟! بعد كل ما كان؟!!

هما لم يعلننا زواجهما حتى.. لا أحد يعلم بزواجهما باستثناء أسرتهما الصغيرة المكوّنة من أختها

و زوجها و الآن زوجته و أختها أيضاً!!

يمكنني أن أتصل به الآن لأجعلك تسمعين قراره بنفسك لو أردت!

أنزلت بلقيس الورقة ناظرة لها بتركيز مفقود تماماً.. كل ما فيها يئن رافضاً للفكرة حتى.. بينما

قسّت عينا عفاف للمرة الأولى منذ أن وطأت عتبة هذا المنزل و هي تضيف بنبرة ذات مغزى :

كما يمكنني أن أنتظر أوان ولادتك بكل صبر.. ثم أستخدم نفوذي لانتزاع الطفل منك أيّ كان

جنسه!

تلقائياً.. وجدت بلقيس نفسها ترفع رأسها نحوها لتتنظر لها بجزع بينما يدها تستقر على

بطنها.. و استغرقت لحظاتٍ في النظر لها بنفس التعابير الشاحبة..

إلى أن همست بأنفاس غير ثابتة إطلاقاً :

م... ما مصلحتك من كل هذا؟!!

اقتربت منها عفاف قليلاً بوجهها قائلة بنبرة حادة رغم هدوءها الظاهري :

_أولاً..لنحك العقاب الذي تستحقينه على هذا الخطأ الغبي..و ثانياً..لأثبت لك بأن عفاف

الشاذلي لا تتساهل أبداً حينما يمس الأمر عائلتها..

عادت لترتاح في مكانها مستطردة ؛

_لكنني لن أفعل...بشرط !!

كانت بلقيس تشعر بنبضات قلبها تتدافع بقوة شديدة..مؤلمة إلى أقصى حد..و رغم ذلك فقد

ظلت صامتة و هي تسمعها تتم كلامها بنفس النبرة بينما تشير إلى الوثيقة التي لا تزال بيدها ؛

_أن توقعي تلك الأوراق بكامل رضاك..

وجدت نفسها تهز رأسها باعتراض شديد..بينما شرعت عيناها تذرفان الدموع بسخاء و هي

تهمس ؛

_لن أفعل..لن أفعل...أريد التحدث إلى كمال !!

حينها فقط..كانت عفاف تفقد كل هدوء أنت به إلى هنا..فهتفت بنبرة جعلت الأخرى تجفل

بقوة ؛

_أخبرتكَ بأن كمال لم يعد موجوداً..لقد اختار طريقه فعلاً و تخلى عنك..ما هو الشيء الغير

مفهوم في كلامي ؟!! ألا تمتلكين ذرة كرامة واحدة لتوقعي أوراق الطلاق التي وقعها قبلك بمنتهى

البساطة !!!

زمت بلقيس فمها كاتمة أنفاسها المتسارعة للحظة..و لم تستطع أن تكبح همسة خرجت

محملة بكره كبير ؛

_متأكدة بأنك هدّدته بسجى..إنها الشيء الوحيد الذي يستطيع التضحية بكل شيء من أجله

!!!

لقد ظنت لوهلة بأن عفاف قد تنفي..لكنها لم تفعل على الإطلاق..قالت بصدق و اختصار و

هي تعود لتستعيد هدوءها المثالي ؛

_نعم..جيد بأنك تعلمين هذا !!

ثم أضافت بينما ترفع قدمًا لتضعها فوق الأخرى بتقاطع أنيق ؛

_لقد هدّدته بسجى..و هو كأَيّ أب صالح أثر ابنته عليك بالطبع..

ثم رمقت بطنها حيث لا تزال ترتاح يدها و أضافت بنبرة ذات معنى ؛

_بالأحرى...عليكما !

ثم استرسلت بدون أن يهتز رمش في ملامحها ؛

_و أنتِ...كأيّ أم صالحة عليك أن تفعلي المثل..أيّ امرأة في هذا العالم تفضل أيّ شخص في العالم على أطفالها حتى ولو بدافع الحب ؟!!

تلك التعابير التي اكتسحت ملامح بلقيس..أشعرتها بالرضا..الأحرى أنها كانت تستلذ بكل ذرة ضياع لمحتها في وجهها..

و كما هو متوقع منها فقد ظلت ملتزمة الصمت لوقتٍ طويل..

عينها فقط من كانتا تنتقلان بين أماكن عدة..تارة تحديق بالورقة بضياع يرفض التخلي عن ملامحها..وتارة أخرى ترفع رأسها نحوها لتقابل عينها مجدداً رافضة أن تصدق كل ما قيل هنا.. إلى أن تنهدت عفاف بلا فائدة..و أطرقت قليلاً لتفتح حقيبتها الأنيقة مجدداً..هذه المرة لتخرج هاتفها..ثم ضغطت عدة أزرار مشكلة رقمًا معينًا..لكنه لم يرد فوراً..كان من الواضح أنه يرفض التحدث إليهما..حتى أنه أغلق الخط في وجهها في المرة الأخيرة..

لكنها لم تتوقف عن طلب رقمه إلى أن استسلم و فتح الخط..و حينها..ما إن سمعت صوته يأتها حائقًا كارهاً لكل شيء ؛

_ماذا تريد مني بعد ؟!

قالت بنبرة هادئة جداً..بدون أن تتخلى عن برودها المثالي..بينما خفق قلب بلقيس بقوة و انتفض جسدها انتفاضة شبه مرئية و هي تنظر للهاتف بلهفة و كأنها تنظر إلى وجه حبيبها بالفعل.. _تحدث إليهما !

للحظة...بدا و كأنه لم يستوعب أيّ شيء مما سمعه..فساد صمت قصير من جهته.. إلى أن قال فجأة بما جعل شهقة غادرة تهرب من بين شفطي بلقيس تأثراً به و بصوته ؛ _بلقيس ؟ هل أنتِ مع بلقيس ؟!!

لم ترد عفاف..و لم يكن في حاجة إلى رد..فقد سمعت بلقيس صوت أنفاسه المتسارعة واضحاً..و صمت للحظة أخرى..قبل أن يخرج صوته هذه المرة مختنقاً..ضعيفاً..يوجه حديثه إليهما هي فقط ؛

_بلقيس..بلقيس حبيبتي..أنا أسف..أسف بشدة..لا أعرف ما الذي أخبرتك به تلك المرأة لكنني...كنت مضطراً..صدقيني الأمر ليس بيدي..لقد هدّدتي بابتني سجي..تعلمين بأنني لا أستطيع أن أتخلى عن سجي..لكنني سأجد حلاً..أقسم بالله سأجد ح..... كان يتحدث بكلماتٍ شبه مفهومة..بصوتٍ متلعثم و أنفاس متدافعة و كأنها لشخصٍ يحتضر على وشك الموت..و كانت بلقيس تستمع له بلهفة داخلية..

لكن تلك اللفظة سرعان ما تداعت تدريجيًا بعد كل كلمة كانت تخترق مسامعها و قلبها بتأثير قاتل..ثم فجأة..في منتصف كلامه..و وعوده التي باتت بائدة بأنه سيجد حلا... بعد أن طلقها !! وجدت نفسها ترفع القلم لتوقع تلك الأوراق باندفاع يشبه اندفاع العبرات التي أغرقت وجهها و عينيها..حينها فقط..كانت عفاف تغلق الخط قاطعة كلماته غير المترابطة و المحملة باعتذارات يائسة..

ثم رفعت ذقنها بصلاية شديدة و هي تعيد الهاتف إلى مكانه بكل هدوء..ترى بلقيس بينما تلقي بالقلم باستسلام مؤلم..قبل أن تطبق جفنها بقوة على تلك الدموع التي رفضت التوقف..و انحنت على نفسها باكية بوجع شديد و كأنها تشاركه نفس الاحتضار..

لقد انتهت قصتهما قبل أن تبدأ..انتهت بيد القدر و الظلم و بعض من...الأنانية ! انتهت القصة التي بدأت بشكل خاطئ منذ البداية..ربما كان هذا عقابهما المثالي على ارتكاب ذنبٍ شنيع كالخيانة ؟ حتى و لو كانت بدافع الحب ! حتى و لو كان قوامها ألم و شعور بالنبذ و الوحدة..حتى و هما اختارا أسهل الطرق و تزوجا !!

من منا يستطيع أن يجزم بالطرف الظالم في القصة من المظلوم ؟!! لا أحد !! لأننا مجرد بشر..فكل منا يميل لمنح نفسه الصورة المثالية..حتى حينما ننظر إلى انعكاسنا في المرأة..لا يمكننا أن نلمح أخطائنا أو جانبنا السيء..

لأننا بشر..فقد اعتدنا على أن ننسب الشر إلى كل ما يحيط بنا..نقيم أخطاء غيرنا و نحصيها..و نتغافل بسذاجة غير مقصودة عن أخطائنا.. كل خطأ في العالم غير مبرر..لكن أخطائنا مبررة تمامًا..فالإنسان لا يختار الطريق الأعوج إلا حينما يكون مضطراً !!

و من يجعله مضطراً ؟ العالم السيء الذي لن يغفر له حتى أبسط أخطاءه غير المقصودة !! لم تجلس عفاف طويلاً هناك..فقد مدت يدها لتحمل الأوراق التي تم توقيعها كما أرادت..ثم وقفت بكل هدوء لتخرج قيمة مالية من نفس الحقيبة حيث وضعت وثيقة الطلاق..ألقت بحزمة المال المعقودة فوق الطاولة مردفة بنبرة مهينة ؛

ـ_ثمن خروجك من حياتنا !

لم تستطع بلقيس أن ترفع رأسها نحوها أبداً حتى بعد أن سمعت جملتها و سمعت وقع اصطدام الحزمة المالية بالطاولة الخشبية الصغيرة أمامها..كان عقلها و قلبها مغيبان تمامًا..

و ما كان من عفاف إلا أن استدارت متجهة نحو الباب بخطواتها الثابتة الهادئة.. لتغادر كما
أنت بعد أن رمقتها بنظرة أخيرة كانت غاية في القسوة و الرضا و...السخرية !
بدون أن تلمحها بلقيس التي كانت لا تزال غارقة في خيبتها و ألمها..لكن أختها... التي سمعت كل
شيء من خلف الباب حيث توارت قبل دقائق.....لمحها!

" إياك أن تظني للحظة واحدة بأن والدك قد تخلى عنك يا حبيبتي..لقد كانت مؤامرة تمت
حياكتها بعناية ضدهما..بعد رحيل عفاف ذلك اليوم..انهارت بلقيس تمامًا..كانت تريد الموت..رأيت
ذلك في عينيها..لكنها فعلت شيئًا واحدًا..بعد ساعاتٍ و ساعاتٍ من البكاء المتواصل..وجدتها تتحامل
على كل ذرة كرامة تمتلكها لتمسك بالمال و تضعه في يدي..و همست لي بصوتٍ مبحوح لا يزال وقعه
حيًا في قلبي حتى اليوم.." هذا المال من حقنا..لقد فقدت عملاً..و أستحق تعويضًا.."لم أنفاجئ حينها
كثيرًا و أنا أسمع نبرتها الباهتة الشاحبة..فقد كان وضعنا المادي مزريًا لدرجة تدعو للشفقة ! و بعد
أسابيع عدة..ما يقارب الشهرين..تفاجئنا بزيارة والدك لمنزلنا..كان حاله كحال أمك..بدا لي من
ملامحه التي فقدت كل إشراقة و أمل و كأنه على وشك السقوط ميتًا هو الآخر..وربما ذلك الحال
هو ما جعلني أقف أمامه عاجزة عن طرده..خاصةً و قد انحرفت عيناه لتقعان على شيء ما
خلفي..فعلمت تلقائيًا..بأن بلقيس قد تكهنت بوجوده..و لم أفعل أكثر من أن تراجع مفسحة له
المجال للدخول..و دخل بالفعل..

كان يتقدم كل خطوة قبل الأخرى ببطء شديد..لم يرمقني بنظرة واحدة..فقد كان يبدو و كأن
عينيه قد تم احتجزهما لدى عينيها اللتين أصابتهما نفس العدوى..جلس في أحد المقاعد المتهترئة..و
جلست بلقيس أمامه في أريكة أخرى..

كنت على وشك الانسحاب و تركهما..حينما سمعت صوت بلقيس توقفني..و طلبت مني
الجلوس بدون أن تحيد بعينيها الفارغتين عن عينيه..

إلى أن سمعت أول جملة خرجت من بين شفثيه بصوتٍ مختنق باهت ؛

" اشتقت إليك!"

بدا و كأن تلك الهمسة حاربتة بشدة للتحرر..و ظهر تأثيرها في عيني بلقيس..لكنها جاهدت

لإخفاء ذلك..و قالت في المقابل بنبرة جافة تشوبها ارتجافة قوية ؛

" إذا كان لديك ما تقوله فتفضل بسرعة رجاءً..ليس من اللائق بقاءنا في منزل مغلق مع رجل

غريب.."

تحدثت إليه بقسوة..كنتُ أنا الشاهدة الوحيدة على تلك القسوة..كما شهدت على نظرة الألم التي افترست عينيه عميقًا..و ندائه المتوسّل ؛

" بلقيس !! "

لكن ما قابله كان صمت و نظرة أشد قسوة..فابتلع ريقه بصعوبة..و انخفضت أنظاره ليرمق بطنها بنظرة ذات مغزى..و كأنه يلقي التحية على جنينه...عليك !

كان يعبر بعينه فقط عن اشتياق حقيقي صادق..و غاص المكان في الصمت لوقت..قبل أن يبدأ في التحدث و بلقيس بالكاد تسمعه..أخبرنا عن كل الضياع و الأفكار التي تداخلت في عقله حينما تم وضعه أمام الخيارين..خوفه على مستقبل بلقيس و على ابنته..التهديدات المشفرة التي ألقها عفاف عليه إلى أن دفعته للتنازل عنوة..

ثم انحنى في مبادرة صدمتني على ركبتيه أمام والدتك..و نظر في عينها الباكيتين و اللتين بالكاد نجح في دفعهما للنظر له..و منحها وعدًا بصوت يغمره الحب و الصدق و الألم.. وعدّها بأنه لن يتخلّى عنكما أبدًا..طلب منها أن لا تفكر في أيّ شيء بعد..كان هو من سيتكفل بكل احتياجاتها إلى أن تنجيك..و إلى أن يجد حلًا نهائيًا لتلك المعضلة..همس لها حرفيًا.. " اسمعيني جيدًا..هل تظنين بأن ذلك الطلاق جائز ؟! هل يحدث الطلاق بالإجبار ؟! أنا لم أنفصل عنك..الأمر لم يتجاوز توقيعًا تافهًا على ورق..و الحقيقة أن كل ذرة حية فيّ لا تزال تعشقك و تحبك..لم يتغير أيّ شيء..لم يتغير أيّ شيء..لقد كنت زوجتي...و لا تزالين زوجتي الوحيدة التي أحب..الأمر لا يتطلب أكثر من فترة لأجد حلًا دائمًا...و سأستعيدك..أعدك سأستعيدك! " كنتُ عاجزة عن التصديق و أنا أراقبهما موقفنة بأن الإثنان تناسيا وجودي نهائيًا.. فرأيته كيف ألصق جبينه بخاصتها مشاركا إياها البكاء بحرارة بينما يجلس فوق الأرض أمامها.. و تساءلتُ فعلاً...أيّ حُب هذا ؟! بل أيّ جنون هذا ؟! و الذي يجعله مستعدًا لأن يتخلّى عن كل رفاهية حياته لأجلها ؟!

و الذي يجعلها مستعدة لتعيش في -الظل- فقط لتكون معه !
مستعدة للوثوق بوعوده و مستعدة لتقديمها حتى و هما يعلمان بأن تحقيقها هي أمنية بعيدة المنال على جميعنا !

كيف يمكن لما بينهما أن يكون حقيقيًا ؟! هل هناك حب بهذا العمق حقًا ؟!

كانت مجموعة من الأسئلة التي عجزت عن إيجاد إجابة لها..فاكتفيت بالصمت..لم أحاول
الاعتراض حتى بعد رحيله..فقد أخرجني ذلك الوميض الذي برز في عينيها عميقًا و استطعت لمح
حتى من بين أطنان من الألم و الحزن !

بعدها..أصبحت حياتنا رتيبة..كان لا ينفك عن زيارتنا بين فترة و أخرى بالسّر.. ليطمئن على
بلييس و يضع في يدها بعض الأوراق النقدية التي غالبًا ما يجبرها على أخذها..ثم يرحل إلى أجل غير
معلوم..

كانا اثنان من الحمقى اللذان خاضا طريقًا أعوجًا لم يمتنعا خلاله من التنازل عن كل شيء
عدا بعضهما البعض..

لكنهما لم يدركا بأن ذلك الحُب نفسه كان قد بدأ يتحول إلى نقطة ضعف..
كحيوان متوحش لم ينفك عن افتراس الفرحه و الحياة من ملامحهما..كانا يذبلان ببطء..و
دعيني أكون صريحة بحيادية..فالثلاثة كانوا يذبلون سوياً!
بلييس..و كمال..و زوجته أسيل أيضاً!

ستساءلين كيف علمت ؟ و كيف أستطيع أن أتعاطف مع امرأة من المفترض أن أكرهها..لكن
الحقيقة هي أنني لم أجد أي سبب مقنع يجعلني أكرهها..

كانت بلييس حريصة على شراء الجريدة كل صباح..تلك الجرائد التي حملت صور كل فرد
من تلك العائلة..بما فهم كمال و زوجته الثرية..و في كل صورة جديدة أراها سوياً..لم ألمح سوى رجلاً
يقف أمام المرأة التي فرضت عليه بالإكراه..

و امرأة..خسرت نفسها في سبيل الحفاظ على مكانة بائدة في المجتمع ! لهذا فقط..لم أشعر
نحوها بالنقمة يوماً أو الكره !

الحقيقة أن السيدة عفاف..لم تدمر روحين فقط حينما انتزعتها من بعضهما..بل تسببت
بالأذى لثلاثة أشخاص..و من بينهم الإنسانية الأعز لديها كما كانت تظهر...أختها الوحيدة !
بعد فترة ليست بالطويلة من ذلك اليوم..تحديدًا بعد ولادتك بشهرين..أخبرنا والدك بأنه
مضطر للسفر مع زوجته إلى فرنسا..كانت رحلة عمل تخص إحدى مشاريع زوجته كما ذكر..
لكنني بطريقة ما...شعرتُ بأنها ليست إلا محاولة أخيرة لإصلاح ما تمّ تدميره بينهما
سابقًا..أخبرنا أيضًا بأنه لم يعد يحتمل..و بأنه قد اتخذ قراره بأن يطلع زوجته على رغبته في
الانفصال..

و تلك المرة لن يردعه رادع حتى لو اضطر لمفارقة ابنته مؤقتًا و رؤيتها خلسة من البعيد !

ودّع والدتك بحرارة و منحك عناقًا طويلًا جدًا..قبل أن يغادر على وعد بالعودة إليكما نهائيًا

هذه المرة..لكن المفارقة الوحيدة كانت أنه لم يعد على الإطلاق !

لقد علمنا بعد أيام معدودة بأن الطائرة الخاصة التي كانا يستقلانها للعودة تعرضت لحادث

شنيع..حتى أن الأخبار عرضت الحدث في التلفاز و كادت أمك أن تفقد نفسها و هي تسمع الخبر

الأليم..

الحقيقة أنها لم تكذب..بل فقدت نفسها فعلاً..ألم أتساءل في إحدى السّطور السابقة عن

ماهية ذلك الحُب ؟!! ذلك الرباط الغريب الذي جمع بين شخصين كل منهما ينتهي لعالم و حياة

مختلفة !

ذلك الذبول الذي كان يرتسم على وجهها و هو على قيد الحياة أصبح لا شيء مقارنة مع

وضعها بعد موته..لقد تحوّلت في ظرف أيام قليلة إلى مجرد جثة هزيلة..كانت تموت ببطء..

لقد كانت تموت أمام عيناى تدريجيًا بينما أنا عاجزة تمامًا عن تقديم أيّ شيء لها عدا

المواساة..

إلى أن أتى ذلك الصباح المشؤوم..الذي استيقظت فيه ككل يوم أهم بإيقاظها..لكنها لم

تستيقظ..لم تستجب..لم تسمعي..لقد كانت.....ميتة !

توفيت بسكتة قلبية..ميتة تبدو عادية لأيّ شخص في العالم لكنني أنا فقط أدركت بأنها لم

تكن عادية !

كانت تلك النهاية المتوقعة لقلب اعتكف الكُتمان طويلًا !

علمتُ حينما فقدت أختي و الشخص الوحيد الذي كان متبقيًا لدي من عائلة فقدتها

مسبقًا..بأن التراكمات ليست مجرد أفكار متداخلة نغوص فيها بدون وعي..

التراكمات هي مجموعة من الآلام و الأوجاع التي نسمح لها نحن بالتكدّس في قلوبنا..و مهمتها

الوحيدة أن تضع حدًا فاصلاً لحياتنا!

لقد كانت هذه هي القصة ببساطة..ربما لن تستطيع الكلمات أن تجسّد كل الحقيقة

بالتفاصيل..و ربما سيعجز عقلك في لحظاتٍ ما عن الفهم و الاستيعاب..لهذا فقط..أريدك أن تكوني

أقوى منها..من والدتك..لتتجاوزي كل ما ذكرته سابقًا..

و تذكري فقط..بأن كلا والديك كانا يحبانك بشدة..و لم يفكرا في التخلي عنك حتى في أكثر

لحظتهما يأسًا !!! "

كيف يمكن للإنسان أن يبقى صامداً بعد كل هذا ؟!! كشيح هزيل بعينين واسعتين تنساب من تحتهم الدموع بغير كايح كانت..خفقات قلبها التي توقفت عن التضارب بقوة كانت تشاركها الصدمة و الألم..

لم يتخلها عنها !!

بعد كل هذا العمر الذي أمضته تعيش على صورة واحدة استكانت في مخيلتها لامرأة تخلت

عنها..تكتشف بأن تلك المرأة لم تكن أمها أساساً !!

كيف استطاعت أن تقسو إلى هذا الحد ؟!! على نفسها و على والديها ؟!! و هي التي لم تحكم

من قبل على أي أحد حكمت عليهما !!!

ظلت تجلس مكانها طويلاً..عينها الجاحظتين بشدة تناظران الفراغ القاتم..ويدها

متمسكتان بالرسالة بتشنج..و للحظة تناست كل العالم و عقلها يغرق في ذلك الماضي.. يحاول

باستماتة أن يستميل بعض الصور الأليمة من ماضي والديها و التي لا تزيدها إلا حسرة..

لقد كانت والدتها تشتغل في منزل أخت عفاف..خالة هادي !! كان من الممكن أن يلتقيا في

ظروف أخرى لولا كل تلك الظروف...لقد كان مرتبطاً بقدرها منذ البداية !

بعد كل هذا العمر الطويل..تكتشف من أكثر إنسانة أذتها في العالم بأنها ليست إلا ربيبة

أختها..ابنة زوجها من امرأة أخرى و الذي يكون والد سجي..

سجي ؟!!

ارتجفت شفتها و رموشها بشدة..و اهتزت النظرة في عينها بشكل ملحوظ حينما مال عقلها

إلى تلك الفكرة...سجي...سجي تكون -أختها- ؟!! هي أختها فعلاً ؟!!!!!!

لم تشعر بنفسها و هي تطبق عينها محررة شهقات أخرى و دموع حارقة أخرى..و ظلت تبكي

لوقتٍ طال متناسية أمر الرسالة الأخيرة التي لا تعلم حتى أي حقائق أخرى تحتويها..

هي ليست لقيطة..لم تكن لقيطة..كان من الممكن أن تعيش في كنف والدها و والدتها و لو

قليلاً لولا مكر شديد من إنسانة دمرت حياتها بدناءة...من خالة أختها !!

و التي تعتبرها أمها الثانية..كيف يمكنها أن تكون أمًا ؟! أي أم في العالم تستطيع أن تنحدر إلى

مستوى كهذا ؟!!

لا تصدق بأنها قابلت فرداً من عائلتها فعلاً و لم تعرفه..لقد جلست معها..نظرت في

عينها..أمسكت بيدها و شاركتها الكثير من الأحاديث..

حتى أنها تعيش معها في سقفٍ واحد..كمجرد شخصٍ غريب !!

حتى و لو كانت قد فقدت والديها منذ زمن طويل..هي لا تزال تمتلك عائلة..كان من الممكن أن تحيا بجانب أختها..أن تتعرف على خالتها و لو عبر الورق..

وقعت عينها أثناء تنقلهما الضائع في كل مكان على تلك الرسالة...الأخيرة !!
فتجمدت طويلاً و هي تنظر لها بأنفاسٍ مكتومة مختنقة..قبل أن تطرف بعينها و تحث نفسها بالإجبار للإمساك بها..

كانت تدركُ قبل أن تفتحها و تشرع في قراءتها بأنها ليست عادية..حتى أن جسدها تشنج و كأنها تجهز نفسها لاستقبال أيّ تكن الصدمات الأخرى التي ستقرأ عنها هنا..
" و أخيراً !! لا تدركين كم انتظرت هذا اليوم حبيبي..اليوم الذي تتمين فيه سنتك الثامنة عشر..فتكونين قادرة على زيارتي بنفسك..لن أتكلم طويلاً اليوم..هل تتذكرين منزلنا الصغير ؟!! ذلك الذي تركته مضطرة للسفر مع زوجي..و رغم كل محاولاته الحثيثة سابقاً لدفعي لبيعه أو استئجاره لنستفيد به إلا أنني رفضت دائماً..لقد كان ذلك المنزل هو نكهة الماضي و الذكرى الوحيدة المتبقية لي من والداي و أختي..لهذا فقد كانت فكرة التخلي عنه غير مرجحة على الإطلاق..لقد كان الشيء الوحيد الذي عجزت عن التخلي عنه..الشيء الوحيد الذي أملكه لأهديه لك..ذلك المنزل من حقك حبيبي..إنه نصيبك من الأمان بعد كل تلك السنوات من الضياع و اللا أمان..كان التعويض على كل ما ارتكبته من ذنوب في حقك..لقد أرسلت لك الوثائق التي تلزمك حبيبي..الآن ذلك المنزل أصبح ملكك..لقد دونته باسمك ! كل ما أريده منك الآن هو الصّفح..و أن تدخري بعض الوقت لزيارتي..أحتاج لرؤيتك بشدة شهد..و أعلم بأنك بعد كل شيء لن تخذلي هذا الإحتياج..هذا هو عنواني في مدينة (.....) تركته لك أسفل الرسالة..و ستجدين كل شيء متعلق بالمنزل في الوثائق التي أرسلتها مع السيدة عفاف و التي وعدت بأن تعطيها لك..كان هذا هو شرطي الوحيد لها في مقابل شرطها لي بأن لا أحاول زيارتك طوال مدة الخمسة عشر سنة التي أمضيها هناك.. أن تسلمك كل الرسائل إلى يدك حتى تخرجين.. "

كانت شهد عاقدة حاجبها طوال وقت قراءتها لتلك الرسالة..و لم تنفك تلك التقطيبة عن

البروز أكثر كلما قرأت أكثر...شقة ؟! هل لديها شقة باسمها حقاً ؟!!

أيّ شقة بالضبط إن لم تكن هذه التي تجلس فيها الآن ؟!!!

فجأة...وجدت نفسها ترفع عينها لتنقلها حول المكان برهبة و غرابة شديدة..هل يعقل ؟!!!

شعرت بتنمل غريب بحواسها و قدميها..يمنعها و يكبح رغبتها في النهوض الآن و البحث عن

شيء واحد..لتتأكد من فكرة واحدة هي التي دارت في ذهنها الآن..

لكنها تحاملت على نفسها بقوة إلى أن وقفت..و لم تترك الرسالة من يدها أبدًا و هي تتجه
بخطواتٍ سريعة رغم ترنحها إلى الغرفة الصغيرة الوحيدة في هذا المنزل..
وقفت أمام الخزانة المهترئة..تنظر لانعكاس عينيها المتورمتين بشدة و شحوب ملامحها التي
فقدت كل لونها فجأة في المرأة القديمة الخاصة بالخزانة..قبل أن تزفر نفسًا مرتجفًا و تفتحها بغاية
إخراج شيء واحد..

أمسكت بتلك الأوراق التي وضعها السائق في يدها ذات يوم..و لم تفكر أبدًا أو تخطر في عقلها
فكرة تفقدها حينها..لكنها اليوم..عزمت على تفقدها..
فتحت الملف بأنامل ترتعش بقوة..و جالت عيناها فوق تلك السطور التي لا تعنيها قبل أن
تتجمد تمامًا للمرة الألف اليوم رُبما و هي ترى اسمها !!
و اسمًا آخر تراه لأول مرة...لبنى ماجد !
لقد كان العقد باسمها !!!

كل شيء مدون باسمها..هذا المنزل الذي كان حلمها الوحيد ذات يوم..و الذي قايضتها عفاف
بحريتها لتمنحه لها...كان ملكها منذ البداية !!!!
ليس هذا فحسب...

إنه المنزل الذي عاشت فيه والدتها و كل أفراد أسرتها..لقد كانت تعيش طوال هذه المدة في
منزل عائلتها..حتى أن تلك الأريكة المهترئة التي تعودت الجلوس عليها كل ليلة من ليالي وحدتها..
رُبما تكون هي نفسها التي بكّت فيها والدتها بحرقة بينما توقع على أوراق موتها..و مجددًا يتكرّر
الزمن بطريقة ساخرة !!!

لم تعد الدموع كافية للتعبير الآن..لقد تعرضت لأكبر خدعة في العالم..لقد تم خداعها
بطريقة شنيعة جدًا..و لم تكن كذبة بسيطة و لا خدعة هينة..لقد كانت خدعة استهلك حياتها
بالكامل..

كيف يمكنها أن تفكر حتى في مسامحتها بعد هذا ؟!!
لم تشعر بنفسها و هي تنخفض ببطءٍ إلى أن جلست فوق الأرض الباردة تستند بظهرها إلى
الجدار الذي يشارك الأرض نفس برودتها..و أسقطت يدها الممسكة بالملف بجوارها بينما عيناها
الجاحظتين بصدمة شديدة تحدقان بنفس المكان بفراغ ابتلعها كليًا..
و ظلت جالسة في نفس المكان...تشعر بالعجز يبدأ في تجريد خفقات قلبها و حواسها من
صمودها..تشعر بالغثيان و الدوار يلفّ عقلها الذي بالكاد بات قادرًا على العمل و الاستيعاب..

تريد أن تقول شيئاً ما.. أن تصرخ بعبارة ما لكنها لا تذكر تلك العبارة حتى.. تريد أن تبكي
بصوتٍ مرتفع.. أن تحرّر كل الألم الذي لم ينفكّ عن التهام قلبها لكنها عاجزة تماماً.. عاجزة عن كل
شيءٍ سوى الجلوس مكانها و التحديق إلى السّراب بصدمة !
كان الغثيان يلفها أكثر بعد كل دقيقة تمر.. أنفاسها تتباطئ بتعب و عيناها غائرتان بضعفٍ
شديد.. والأفكار المتضاربة تركض في عقلها كخيول غير مروّضة..
لا تعلم إن كان عليها أن تفرح لاكتشافها الجديد اليوم بأنها بين ليلة و ضحاها باتت تمتلكُ
عائلة بالفعل... أم تحزن لكل هذه الوحدة و الضياع الذي اكتنفها طوال سنواتٍ و لا زال يهيمن على
كل جوارحها !
ما الذي يستطيع المرء فعله في وضع كهذا !!!

"54 :مجاهرة بالاحلام"

#الكاتبة

بعد ساعاتٍ طويلة أمضاها في إحدى مواقع التصوير الطبيعية مع البعض من زملائه.. يلتقطون بعض الصور من أجل دعاية كلفوا بها..توقف أمام المنزل الصغير يحمل في يده اليمنى كيسًا بلاستيكيًا صغيرًا..

و بالأخرى أخرج المفتاح ليدسه في مكانه المخصّص و يفتح الباب بلهفة داخلية لرؤية حبيبته كعادة تستطيها كل جوارحه في كل مرة يتأخر عن العودة..

كان مزاجه رائعًا جدًا اليوم..و قد توقع بأن يجدها تجلس في الأريكة الصغيرة أو أمام المرآة في انتظاره..أو في المطبخ بما أن الطبخ إحدى هواياتها المفضلة التي يصبر على تعلمها منها في آخر فترة.. تقدم بضع خطواتٍ نحو الداخل و كذلك اليوم كان المنزل هادئًا جدًا و استطاع بدون أن يتفقد المطبخ أن يتكهن بأنها ليست موجودة فيه..حسنًا تلك كانت أمنيته منذ البداية !

تعمد أن لا يتجه إلى غرفتهما الذي يعلم بأنها ستكون بداخلها الآن..كما تعمد أن لا يصدر أيّ صوت يجعلها تشعر بوجوده..و اتجه من فوره للمطبخ الصغير حيث عزم اليوم على إعداد أحد الأطباق التي علمتها له مرغمة..

كانت قد وقعت عيناه أثناء اتجائه إلى المطبخ على مجموعة الأوراق البيضاء الملقاة بإهمال فوق الأريكة لكنه لم يهتم بتفقدتها أبدًا و هو يفكر بأنها تخص شهد حتمًا..بما أنها تحب الدراسة أحيانًا عليها..

وضع الكيس فوق الطاولة الخشبية القديمة بهدوء..قبل أن يفتحه ليخرج ما بداخله بينما عقله يستعيد الوصفة بصوتها بما أنه لم يحب أبدًا فكرة الاستعانة بإحدى مقاطع الطبخ في الأنترنت ليتعلم..

ثوان استغرقها في البحث عن الطنجرة..قبل أن يشرع في الطبخ بحذر و تركيز.. فهو لا يزال يتذكر حتى اللحظة تلك المهزلة التي حدثت في أول مرة طبخ فيها شيئًا لأجلها..يتذكر حتى كيف غرق لؤي في نوبة ضحكٍ طويلة عليه قبل ما يقارب الشهر..

بينما ابتلعت سجي ما صنعه مرغمة نفسها على عدم إحباطه برسم ابتسامة شاحبة بالكاد
يمكن تصنيفها على أنها ابتسامة..و تناولت شهد طعامه بكل رحابة رغم التشنج الذي أصاب حنجرتها
أثناء ذلك..

لقد كان الوضع مزريًا فعلاً في منتصف ضحكٍ لؤي و تعاير شهد و سجي التي لم تساهم سوى
في مضاعفة حنقه من كل شيء..و بالتالي فقد وجد نفسه بدون أن يشعر يحمل برتقالة من الصحن
الدائري أمامه ليلقيها على لؤي هاتقاً به بامتعاض أن يتوقف..

لكن هذا الأخير لم يفعل أكثر من أن تلقى البرتقالة بيده بخفة و سرعة..ثم هز رأسه في كل
الاتجاهات بلا فائدة بينما يلقي بها فوق الطاولة بإهمال..قبل أن يقف فجأة ليقول مبقياً على
الابتسامة العريضة التي تلتها تهيدة طويلة ؛

_سأجهز شيئاً صالحاً للأكل..أشعر بأن هناك ثقب صغير قد بدأ بالتشكل في معدتي بعد ما
تذوقته..

حينها و كما هو متوقع..تحركت شهد تهم بالوقوف بحرج بينما تقول ؛
_سأساعدك..

لكن يد هادي التي امتدت لتغطي يدها الموضوعه فوق الطاولة منعته..ثم رمقها بنظرة
عابسة بشدة و هو يردف ؛

_دعيه يرينا القليل من مهارته في الطبخ..لنرى إن كان سيتشكل ثقب جديد في معدة كل منا
بعد تناول ما سيعده..

كانت سجي تنظر بينهما بابتسامة صغيرة..حينما تسمرت عينا هادي قليلاً عليها..يرمقها بتلك
النظرة المعهودة التي لم تعد تفارق عينيه لها منذ شهور..

نظرة تمزج ما بين شيءٍ من التوجس المختلط بالقلق..لكنه في كل مرة يحجب ذلك القلق
بمهارة..كما فعل الآن و قال بغیظ غير حقيقي تماماً ؛

_لماذا لا تساعدينه يا "زوجته" ؟..منذ أن تزوجتما أساساً و أنا أشعر بأنكما شكلتما حزناً
ضدي !

سقطت الابتسامة عن وجه سجي و هي تنظر له باستنكار حقيقي لجملته الثانية..و التي
لمست قلبها بالحقيقة التي احتضنتها..فهي منذ أن تعرضت لما تعرضت له و ارتبطت بلؤي باتت علاقتها
مع هادي مختلفة عن ذي قبل..

متباعدة و تحتوي أسرارًا لن تتجراً يوماً على البوح بها له..رغم أنها كانت لتبوح له بغير تردد لو كان هو في محل لؤي ذلك اليوم..

لقد كان هادي..أقرب شخص إليها في العالم و لا يزال قريباً منها إلى حد لا تستطيع وصفه..لكنها رغم ذلك..لا تستطيع إلا الاعتراف أمام نفسها بإحباط و بشيء من الحزن المختلط بالرضا..بأنه مهما بدا قريباً منها..مهما قدرت وجوده من حولها و أحبته كابن خالتها و صديقها الأعز منذ الطفولة..

فسيبقى لؤي أقرب إليها منه و من كل الناس بمراحل عديدة جداً..مراحل لا يمكن عدّها أو إحصاءها أبداً!

_تقصّد حزناً أم " حرباً " !

صوت لؤي الذي قال يرمق هادي بابتسامته المستفزة التي تدعو أيّ كان من ينظر لها ليخرمش وجهه نهبها من شرودها..فرفعت رأسها نحوه لترمقه بنظرة تشبه اللوم أو العتاب.. لكن لؤي قابل نظرتها تلك بابتسامته السخية التي تجبر ملامحها و قلبها على اعتكاف اللين و الهدوء..بينما قال هادي يكرّر بجدية و هو ينظر إلى سجي بطريقة جعلت من رموشها ترتجف قليلاً ؛ _هل شكّلتما حزناً ضدي يا سجي !!؟

عقدت سجي حاجبها بعدم قدرة على الفهم..و احتل نظرتها شيءٌ من التوتر الذي لمحّه لؤي و شهد و هي تقترب قليلاً منه عبر الطاولة بينهما بينما تقول ؛ _هل تتحدث بجدية هادي ؟!

الآن فقط...كان هادي يتخلّى عن تلك السّطحية التي بدأت تبدّد الرونق من علاقتهما..و رفع نفس اليد التي كان يغطي بها يد شهد ليغطي يد سجي بدلاً عنها في حركة جعلت من شهد و لؤي معاً يتجمدان للحظة..و اقترب هو الآخر سائلاً بجدية أكبر ؛

_هناك شيء ما تغير بك يا سجي..لقد تغيرت كثيراً منذ أن تزوجت به !

كان قد رمق لؤي بنظرة خاطفة أثناء تحدّثه..و ازداد ذلك التوتر في عيني سجي..حتى أنها عجزت عن إجابته لوقتٍ شعرت خلاله بأن كل الدماء تنسحب من وجهها.. إلى أن قال لؤي ينقذها بنبرة تعمد أن تكون مرحة ؛

_بالطبع ستتغير أيها الزرافة..لقد كانت "آنسة" و أصبحت "سيدة" !

شعرت سجي بارتياح نسبي و هي ترى هادي يلتفت عنها لينظر إلى لؤي هاتفاً بفضاظة ؛

_لا أتحدث معك !!

لكن لؤي لم يتراجع..فقد مد يده متعمداً ليقبض على يد هادي إلى أن أبعدھا عن سجي..و

قال أمام وجهه بنبرة بطيئة أكثر استفزازاً من كل السابقات ؛

_تتحدث إلى -زوجتي- !

قال هادي متحدياً بنبرة مشابهة له و قد تناسى عقله للحظة موضوعهما الأول ؛

_إنها ابنة خالتي قبل أن تكون زوجتك !

قال لؤي بكل هدوء و ثقة و هو يترك يده على يد سجي المفرودة فوق الطاولة بكل راحة..و كأنه

يخبر الجميع بانتماءها الحصري له..بما فيهم سجي التي رفعت حاجبها بدهشة من هذا النقاش الغبي

الذي يدور بينهما..

_آه من الجيد أنك ذكرتني بأنها ابنة خالتي أيضاً..هذه آخر مرة تضع فيها يدك على ابنة خالتي

و زوجتي !

هم هادي بالرد عليه بغيظ أكبر..لكن سجي قاطعتهما فجأة هاتفة بغير تصديق و هي تسحب

يدها من تحت يد لؤي ؛

_هل ستشاجران حقاً حيال هذا الموضوع السخيف ؟!

تجاهل لؤي حركتها تلك بحزم داخلي..و أغلق قبضته فوق الطاولة بدون أن يبعد أنظاره عن

هادي..و لا هادي فعل..فقد ظلا ينظران لبعضهما للحظاتٍ أخرى بحنق شديد.. لا أحد من الثلاثة

منتبه لشهد الذي التي كانت تر اقب الوضع طوال الوقت بحيادية يتخللها شيء من.....الإعجاب ؟!

لقد كانت تشعر بالإعجاب فعلاً..إعجاب كبير بعلاقة هؤلاء الثلاثة..بصداقتهم العميقة

المميزة..بالعلاقة الفريدة من نوعها بين لؤي و سجي..

كان إعجاباً يتخلله أحياناً شيء من الغيرة غير المؤذية نحو هادي و سجي..و حزن لأمنية لا

تنفك تحتلها منذ أن أصبحت فرداً من هذه العائلة..

ليتها...كانت تمتلك عائلة حقيقية صغيرة كهذه منذ الأزل !

كان لؤي قد استدار ليتمم ما بدأه..بينما زفر هادي بغيظ داخلي و هو يلتفت قليلاً لتقع

عيناه على شهد مباشرة..و كأن مجرد النظر لملامحها كفيل بإنهاء كل انفعالاته..لانت نظرة عينيه

قليلاً و هو يرى الابتسامة الباهتة الصغيرة التي منحتها له..

و تعمّدت أن تمد يدها الآن لتتمسك بنفس اليد التي حرّرها قبل قليل..فانخفضت أنظاره

ليرمق ذلك التلامس..قبل أن يرفعهما قليلاً نحو سجي..تلك الأخيرة منحته نظرة تشبه الاعتذار أو

التفهم..و قالت بصدق و هي تستند بمرفقيها إلى الطاولة ؛

_لم يتغير أي شيء يا هادي صدقي..لا أزال أنا سجي ابنة خالتك و صديقتك الصّدوقة..
مدّت يدها بعدها و كأنها ستمسك بيده..لكنها توقفت في منتصف الطريق..و نظرت لشهد
لتسأل مبتسمة ابتسامة مداعبة ؛

_هل أستطيع أن أمسك بيده لمدة خمس ثوان ؟!!

اتسعت عينا شهد قليلاً بشيء من الحرج أو الخجل..و لم تتردد من ترك يد هادي
بسرعة..فاتسعت ابتسامة سجي قليلاً..و تمسكت بيد هادي هي هذه المرة مانحة إياه نظرة تحمل
مغزى جملتها..

و شعرت بالسعادة و هي ترى نظرة العتاب و القلق تسقط نسبياً من وجه هادي..ليمنحها
بدلاً عنها ابتسامة تحمل وميض الصداقة القديمة الجميلة..

و مجدداً...لا أحد منهما انتبه للابتسامة المشابهة التي شقت شفاه لؤي بشيء من الحزن و هو
يستند إلى الطباخ بيديه و ينظر إلى ذلك التشابك..رفع أنظاره قليلاً لينظر إلى شهد..و للعجب فقد
كانت هناك ابتسامة مشابهة لخاصته ترتسم على محياها الجميل..

قبل أن يحمل الصّحن و يقترب من الطاولة إلى أن وضعه بينهم و جلس في الكرسي الملاصق
لكرسي سجي..تلك التي رفعت أنظارها نحوه تلقائياً بمجرد جلوسه..

لكنه لم يلمح سوى حركة يدها التي تركت أخيراً يد هادي لتعاود إمساكها بيده هو..و منحته
ابتسامة صغيرة لا يشوبها سوى الهدوء و التفهم الذي لطالما كان ركيزة علاقتهما الصّحية السوية..
امتدت أنامل هادي بهم بالبدء في الأكل..إلا أن صوت لؤي الذي تنبه فجأة منعه حينما قال و
هو يستدير نحوه بسرعة..بدون أن يترك يد سجي ؛

_لحظة !

نظر له هادي رافعاً أحد حاجبيه بنفاذ صبر..فقال لؤي مبتسماً بكل لطف ؛

_لن يتذوق أيّ أحد منا الطعام قبل شهد..

اتسعت عينا شهد قليلاً و هي تنظر له بغباء..لكنه بدا جاداً في اقتراحه فهمست بتلعثم و هي
ترى تلك النظرة ترتسم على ملامح هادي..

نظرة من تم تعريضه لأقصى أنواع الظلم للتو !

_ل..لماذا أنا ؟!!

تظاهر لؤي بالدهشة و هو يرد ؛

_لأنني أريد ! ألا تحبين أن تتذوقي ممّا أعددتة ؟!

مجددًا وجدت شهد نفسها تقول بعينين متسعيتين يغالهما نفس الشعور الحرج ؛

_بلى..بلى بالطبع أحب ذلك..أقصد.....

صمتت فجأة تنظر لهادي بنظرة مزجت ما بين الأسف و الحيرة..و كأنها ستخونه لو استمعت

لنبرة المكر في صوت لؤي و تذوقت طعامه ال...اللذيذ !

لكن هادي لم يمانع رغم الضيق الذي لا يزال يحتل وجهه..فهمس يشير إلى الطعام بحاجبه

الرفيع حيث يقطعه الأثر الحبيب الذي تعشق ؛

_تذوقي تذوقي يا زوجة أخاه..أخشى أن يتقيء طفلنا الطعم السيء في بطنك فأضطر لحملكِ

إلى المشفى على وجه السرعة !

قاومت شهد رغبة حثيثة في الضحك ليخرج صوتها باستعطاف حقيقي بريء ؛

_هادي !!

لكن سجي عجزت عن منع ابتسامتها الباهتة قليلًا فحررتها مرغمة أثناء مر اقبتها.. هل

يمكنها أن تعترف بأنها باتت تحب مر اقبتها في كل حين ؟!

علاقتهما...ردود فعلهما تجاه بعض..نظرات هادي التي تلين تلقائيًا كلما نظر لها..و نظراتها

الوديعة التي تبدو لإنسانة تحديق بالشيء الجميل الوحيد في حياتها..

نظراتهما تصرخ بالحب..و كأن هناك غشاء غير مرئيًا يلقيهما في دوامة جميلة تجعلهما منعزلان

عن كل العالم بمجرد أن تلتقي أنظارهما و لو بالصدفة..

و كأن تلك النظرات تقر بانتماء كل منهما للآخر..هادي لشهد و شهد لهادي منذ الأزل..إلى الأبد

!

شعرت بأنها مر اقبة بطريقة ما..فرمشت بتوتر و هي تستدير نحو لؤي..و كما توقعت..كانت

عيناه عليها..و لوهلة شعرت بالرهبة تحتل كل كيائها و عقلها يرسل لها فكرة ما..فكرة جديدة..فكرة

مهيبة لشدة جمالها..فنظراته لها..و ربما نظراتها هي أيضًا..تشبه لحد كبير نظرات شهد و هادي إلى

بعضهما البعض !

_تناولي..

كان هذا صوت هادي الذي كرّر بخفوت الآن..لكن شهد لم تنفذ أمره الخافت

الرفيق..همست له بنفس النبرة و كأنها تحمل نفسها ذنب عدم إتقانه لإعداد الطعام ؛

_أنت أولاً..

لم يمانع تلك المرة..استدار عنها قليلاً ليبدأ في الأكل بهدوء شاركه به لؤي و سجي..و على عكس ما تمنى لؤي كانت شهد آخر من يتذوق طعامه..إلى أن فتح فمه ليسألها بنبرة من يتعمد إغاضة شخصٍ ما بالاستشهاد برأيها ؛

ما رأيك به إذا ؟!!

شعرت شهد بأنها مر اقية من الثلاثة..تدرك سبب كل ذلك الاهتمام..ليس السبب الذي تجسده نبرة لؤي أو نظرتة الآن..بل لكونها تحمل طفلاً في أحشاءها..كان القدر الأكبر من الاهتمام منصّباً نحوها من ثلاثهم طوال الوقت..

و رغم ذلك...و رغم استطابتها لمذاق ما تناولته..إلا أنها تعمّدت أن تهمس بنبرة حيادية خافتة بعد أن ابتلعت ريقها ؛

لذيذ جداً...لكن.....

و تجرأت لتستأنف بنفس النبرة الوديدة الخافتة ؛

_للأسف لم أعد أحب الدجاج كثيراً منذ أن أصبحت حامل !

تراجعت قليلاً ناظرة للؤي بأسف..ذلك الذي قابلها بنظرة يتخللها شيء من خيبة الأمل..و تلك المرة كان هادي من يهز رأسه ضاحكاً عليه برضا..ذلك النوع من المزاح السخيف الذي يكون بين الإخوة..

لكن هل خرج منتصراً من التحدي الصامت ذاك ؟ بالطبع لا..

فقد تدخلت سجي معقبة بحمائية هادئة ؛

_لكن هذا لا ينفي من أن لؤي أكثر واحد يجيد الطبخ بيننا بعد شهد..حتى أنا لا أستطيع أن أطبخ مثله..

لم تكد تكمل جملتها..حتى وجدت هادي يقول رافعاً حاجبيه بنبرة اتهام واضحة ؛

أخبرتكَ بأنكما شكّلتما حزناً ضدي منذ زواجكما ؟ ألم أخبركِ ؟!!

لم يمهلها فرصة للرد..وقف فجأة بسرعة ليضيف بينما يمسك بيد شهد ليقفها و يسحبها معه خارج المطبخ ؛

_تعالى يا شهد..سنتاول طعامنا في الخارج اليوم..

لم تستطع شهد أن تمنع نفسها من أن تلتفت نحو لؤي و سجي اللذين نظرا لحركة هادي بغباء..و همست بأسفٍ حقيقي الآن..بنبرة خافتة و كأنها تخشى أن يسمعها هادي الذي أصبح

يتصرف بطفولية في آخر فترة ؛

_أعتذر..إنه لذيذ حقًا..لقد أحببته أقسم لكما !

كانا قد خرجا فعلاً تزامناً مع آخر كلمة وجهتها شهد لهما..فاستدارت سحى لتنظر للوي بحيرة مغلقة بنظرة من عدم الرضا..لكن هذا الأخير..قابلها بابتسامة رائقة و تهيدة غير حقيقية تماماً قال

بعدها بلا أدنى مبالاة ؛

_لا عليكِ..إنه يغار !

ثم قرب الكرسي من الطاولة مضيقاً بنفس النبوة ؛

_أفضل شيء فعله هو أنه تركَ لنا كل هذا الطعام لنتناوله بمفردنا..

ظلت سحى تنظر له للحظاتٍ بشيءٍ من التبلد..فرفع أنظاره نحوها مجدداً ليقول بكل عفوية

مثيرة للعجب ؛

_كُلي !!!

انتظرها للحظاتٍ أن تبدأ في الأكل بالفعل..إلى أن تهتت سحى بقلة حيلة..و أشاحت بأنظارها

عنه لتشاركه الأكل..و كم كانت صادقة في جملتها..فهي حتى اللحظة...

لم تتذوق ألد ممّا تعده شهد و لوي من طعام !

عاد من شروود ذاكرته و هو يضع الصّحن الأبيض لينقل إليه شرائح الدجاج بالأرز التي

أعدها..ثم مد يده ليتذوق القليل بحذر..اليوم فقط يشعر بأنه شخص آخر لا يشبه هادي الحاد

الطباع و الذي لا يجيد إعداد بيضة مقلية حتى..

شبح ابتسامة جذابة ظهر على جانب شفثيه أثناء همسه برضا ؛

_لا بأس به..

ثم تركَ الصحن هناك ليغادر المطبخ متجهاً إلى غرفة النوم الصغيرة..يتساءل عن ماهية ما

يجعل حبيبته ساكنة إلى هذا الحد..لدرجة أنها لم تغادر الغرفة منذ أن أتى أو تصدر أي صوت..لن

يستغرب إن وجدها نائمة في هذا الوقت المبكر..بما أن النوم أصبح إحدى عاداتها المزعجة في آخر

فترة..

دفع الباب بهدوء..و هناك رآها تستلقي فوق السرير المهترء..لم يكن يرى منها سوى ظهرها و

شعرها المستلقي على كتفها و ظهرها نصفه و على الوسادة تحت رأسها..تضم ركبتيها نائمة في

وضعية الجنين..هل كانت تتألم حينما غفت !؟

عقد هادي حاجبيه قليلاً عند هذه الفكرة.. قبل أن يترك الباب و يقترب بضعة خطواتٍ أخرى منها.. لكنه توقف في منتصف الطريق حينما وقعت عيناه على ذلك الملف الذي كان ملقى فوق الأرض بإهمال..

ما الخطب اليوم ؟ هل هذا يوم الفوضى العالمي لديها ؟!!
اقترب منها أكثر إلى أن جلس على طرف السرير بجانبها.. و قد كانت نائمة فعلاً.. لكن ما جعل بعض القلق الحقيقي يتسلل إلى قلبه.. ذلك الشحوب الذي كان يفترس ملامحها بشكل غير طبيعي..
و قد تأكد من فكرته السابقة و هو يرى تلك العقدة المتشنجة بين حاجبيه.. تبدو لشخصٍ نام و هو يقاوم شعوراً جلياً بالألم !

همس بخفوتٍ و هو يمد يده ليربت على ركبتهما من فوق فستانها الأبيض الناعم ؛

_شهد !!

رأى تلك الارتعاشة الضئيلة التي غزت رموشها لثانية.. ثم فتحت عينها قليلاً فقط لتقابل ملامحه بنظراتٍ زائغة مرهقة لأقصى حد..
_هادي.. لقد جئت..

همست بخفوتٍ شديد.. فلم يشعر بنفسه و هو يرفع نفس اليد ليلامس جانب وجهها مبعداً القليل من خصلات شعرها ليتسنى له النظر لها كما يجب أثناء سؤاله برفق ؛

_ما الخطب حبيبتي ؟ هل أنت بخير ؟! لقد رأيتك تلقين بعض الأوراق فوق الأرض.....
صمت فجأة عاقداً حاجبيه بقلق أكبر حينما استشعر شيئاً ما غريباً.. قبل أن يحرك يده على وجهها بلهفة.. و سرعان ما كانت عيناه تتسعان قليلاً جزعاً..
همس و هو يحرك يده على وجهها يلمس كل إنشٍ منه ؛
_يا إلهي.. حرارتك مرتفعة جداً.. ما الذي.....

اقترب منها بلهفة أكبر ليدس يده تحت عنقها ناظراً لملامحها الشاحبة بجزع.. يحاول أن يطمئن ما إذا كانت عينها الشبه مفتوحتين تلمحانه فعلاً..

_شهد !!

شعر بذلك الجزع يتضاعف في قلبه حينما تحركت يدها لتتمسك بمعصم ذراعه المطوق لعنقها.. و همست من بين دموع تحررت فجأة لتغرق كل وجهها.. همست كشخصٍ لا يستوعب ما يقوله ؛

_لم يتخليا عني.. لم يتخليا عني.. هادي.. لقد... كانا على قيد... الحياة.. لم يتخليا... عني.....

لم يفهم هادي شيئاً..لقد كانت تهذي حرفياً..تشنجت ملامحه أكثر بقلق و انعدام فهم..
خاصة و هو يرى تلك الدموع التي لم تتوقف عن الانسياب لتضاعف من حرارة وجهها و شعوره في
هذه اللحظة و أنامله تمسح اليسير منها بغير إدراكٍ منه..

_سأتصل بالطبيبة..

قال بسرعة و هو يهم بالنهوض من جانبها..لكنه قبل حتى أن ينجح في تركها.. تفاجأ بيدها التي
تمسكت بمعصمه أكثر..ثم تحركت بضعفٍ لتنام على ركبتيه محتضنة نفسها لجذعه القريب منها
بينما تهمس بنفس النبرة التي تبدو لشخصٍ يهذي ؛

_لا لا..لا تتركني الآن..أنا بخير..أنا بخير..

تفتت قلب هادي بنبرتها رغم جهله التام الذي جعل بعض الانفعال يغزو عينيه..لكنه رغم
ذلك همس برفق و هو يربت على شعرها و كأنه يمشط خصلات طفلته الصغيرة التي تعاني الحصى ؛
_حرارتكِ مرتفعة جداً شهد..أخبريني ما الذي حدث في غيابي ؟!!

لم يسمع منها أيّ جوابٍ لوقتٍ طويل..إلى أن جاءه صوتها المبحوح قليلاً تهمس بخفوتٍ شديد
؛

_هـ...هناك..هناك خافض حرارة..لا تتصل..بالطبيبة..إنه..إنه.....

صمتت فجأة..و شعر من أنفاسها التي كانت تخرج مجهدة أثناء كلامها بأنها تكابد رغبة جلية
في النوم أو فقدان الوعي ربما !

قبل أن يرفعها قليلاً بذراعيه هذه المرة بحزم إلى أن جعلها تستلقي فوق الوسادة مجدداً..و
كما توقع كانت مغمضة عينيهما بشدة..و بدت إليه و كأنها قد غفت بالفعل..لكنها لم تكن قد
نامت..علم ذلك من صوت أنفاسها المتحشجة و ارتعاش رموشها..

وقف بسرعة ليدور من حول السرير إلى أن فتح أحد الأدراج حيث كانت تضع بعض الأدوية
الخاصة بها..بحث هناك إلى أن وجد الدواء المنشود لوضع كهذا..ثم اتجه من فوره للمطبخ يشعر
بالحسرة لكل ما أعده من أجلها..و عاد بعد ثوانٍ قليلة يحمل في يده كأساً من الماء..
اقترب منها بسرعة ليطوقها مجدداً و يرفعها بين ذراعيه إلى أن أصبحت نصف جالسة..و
حينها فقط كانت شهد تفتح عينيهما لتقابل عينيه بنفس نظراتها الضعيفة الزائغة..

تجاهل هادي كل انقباض بشع اكتسح قلبه في هذه اللحظة..و تجاهل رغبته في تكرار نفس
السؤال السابق فقط ليعلم ما حدث في غيابه..بما أنه بات متأكداً الآن بأن ذلك الملف و تلك الأوراق

الملقاة في الأريكة ليست عبثاً..

و أخرج حبة من الدواء ليقربها من فمها إلى أن جعلها تبتلعه برشفة من كأس الماء في يده..قبل أن يدفعها برفق إلى أن عادت مستلقية و يرفع الغطاء السميكة فوق جسدها..

لكن عينيه وقعت أثناء ذلك على بطنها البارز..و تسمرت هناك للحظة بشعور دخيل

من...الذنب !!؟

كانت أول مرة يخالج قلبه شعور حقيقي بالذنب و هو يرى شحوبها و تعيها..

إنها لا تزال صغيرة جدًا...

أصغر بكثير من أن تستطيع تحمل ثقل روح أخرى تنشئ و تنمو في أحشاءها..لا يزال يتذكر

نصائح الطبيبة له بأن يكون حريصًا حذرًا معها منذ بداية شهرها الخامس..

تعليقها عن صحتها البدنية التي قد لا تحتمل مجهود الحمل بكل التأثيرات و التقلصات

الواردة الحدوث معها مستقبلاً..و تأكيدها بضرورة الابتعاد عن أيّ ضغوطات نفسية قد تؤثر سلبًا

عليها و على راحة الجنين..

طرف برموشه ببطء و هو يمد يده ليبسطها فوق بطنها..ثم رفع عينيه ليقابل الوجه الحبيب

مجددًا..و لم يندهش و هو يقابل عينها المغلقتين..و هذه المرة ليس مجرد حركة فقد كانت قد غفّت

فعلًا بعد أن جعلها تتناول قرص الدواء..

وجد عقله تلقائيًا يمرر مشهدًا مشابهاً لهما في الماضي..الفرق الوحيد فقط هو مكان كل

منهما..يتذكر ذلك اليوم الذي ارتفعت فيه حرارته بشدة إلى درجة أن اضطرت حبيبته للإتصال بأمه

خوفًا عليه..

دائمًا ير افقه ذلك الشعور بأن حياتهما سويًا بالكامل هي عبارة عن مشاهد مكررة لكن

بطريقة أخرى..ما من مشهد مر بينهما إلا و عاشاه معها مجددًا بطريقة ما..

وها هو ذا اليوم يجلس في طرف السرير..يتأمل ملامحها الساكنة الشاحبة بضغفٍ كئيب..لا

يسعه إلا أن يتجول بأنامله الحنونة فوق كل حواسها..يتقرب ظهور مفعول الدواء بلهفة..و ينتظر

استيقاظها مجددًا بلهفة أكبر..

اقترب منها ببطءٍ إلى أن طبع شفثيه على وجنتها مطبقًا عينيه بقوة..لكنه لم يلبث أن انتفض

بجزع حينما سمع صوت تأوه خافتٍ منها تزامنًا مع تملل جسدها كمن يشعر بالألم..أو كمن تعرض

للسعة خبيثة من كائن صغير مزعج..

و هو بالطبع يعرف هوية ذلك الكائن الصغير المزعج..لهذا لم يشعر بنفسه و هو ينظر إلى
بطنها حيث تستقر يده بعبوس تر افقه تلك العقدة بين حاجبيه و كأنه تعرض لنفسِ اللكمة..إلى أن
همس متهمداً بيأسٍ شديد ؛

يا إلهي..أشعر بأنني أنا من سأنتهي قبل أن تنتهي هذه الأربعة أشهر المتبقية..
شعر بارتياح نسي و هو يتفقد حرارة وجهها ليجدها قد انخفضت قليلاً..قبل أن يتهدد للمرة
الثانية و يستدير ليرمق ذلك الملف بنظرة غير عادية..تركها بعدها على مضض ليقترُب منه إلى أن
حمله بالورقتين اللتين كانتا بداخله..

ثم اتجه من فوره إلى الأريكة الصغيرة في الهو ليجلس هناك يتفقد كل الأوراق الملقاة و التي
اكتشف للتو بأنها لم تكن أوراقاً عادية فعلاً..بل رسائل...

كلها بأظرفة تحمل أرقاماً غريبة..و بعنوان مر افق على واجهتها..عنوان دار الأيتام الذي كانت
تعيش فيه شهد !!!

لم ينتظر كثيراً..سرعان ما وجد نفسه يقلب بين الأوراق بعشوائية ليقراً كل ما لمسَها يده غير
مهتم بتواريخها أو ترتيبها..كل ما شغل باله الآن..و كل ما اهتم به و جعل من عينيه تتسعان بما يفوق
الصدمة..هو المعلومات التي كانت تحتويها تلك الرسائل..

إلى أن فتح الملف ليتأكد من معلومة غريبة وجدها في رسالة معينة..و التي استوعب بأنها آخر
رسالة قد أرسلت إلى شهد عن طريق والدته التي لم تكلف نفسها قبلاً مسؤولية توصيلهم لها..
و هناك..قرأ ما جعل الصدمة تتضاعف في عينيه..

و بطريقة ما..كان نفس الشحوب الذي اعتلى ملامح شهد لدقائق قبل مجيئه يحتل ملامحه
الآن بينما ينزل الملف ملقياً به بجانبه بإهمال..

ثم أغمض عينيه بضياح شديد و هو يرفع يديه ليغطي جبينه الذي انحنى يأساً..هل كانت
هذه هي أكبر ألعيب أمه في حق شهد ؟ أن حرمتها طيلة سنواتٍ مضت من مجرد لقب عائلة ؟! لولا أن
لعبتها هذه المرة لم تلمس شهد فقط...بل سجي أيضاً!

لم يدرك كم لبث جالساً في مكانه بنفسِ الوضع..السكون فقط يحتل المكان كما يحتل كل
جوارحه و مشاعره..لم يندهش..لم تعد الدهشة شعور يمكن أن ينتابه حينما يتعلق الأمر بأمه..
المرأة التي ساهمت في حرمان ابنها الصغير من حُبه البريء الضائع..و التي عقدت صفقة على
مشاعره سابقاً..

و التي أحرقت يد طفلة صغيرة لمجرد أسبابٍ سخيفة في نفسها..

أيّ ذنوب أخرى ستفعلها و لن تبدو أهون من كل ما سبق !
بعد دقائق أخرى أمضاها في نفس الوضع..كان يتنهد بقوة ليقف متجهًا إلى نفسِ الغرفة..و
كم شعر بالاحباط و هو يراها لا تزال نائمة..لكنه رغم ذلك اقترب منها ليحتل نفس المكان في طرف
السرير..

دقائق طويلة أخرى امتدت لساعاتٍ لم يفعل فيها شيئًا سوى مر اقبة ملامحها النائمة و
التربيت على جانب وجهها..قبل أن تتأهب ملامحه فجأة حينما لمح حركة رموشها الدالة على قرب
استيقاظها..

إلى أن فتحت عينيها لتقع في عينيه مباشرة...
و حينها...ساد صمت طويل بدت فيه شهد و كأنها لم تستوعب وجوده إلّا الآن..أو أنها نسّت
تمامًا بأنه كان هنا قبل أن تنام بل و كان هو من جعلها تتناول الدواء..
شعر هادي بارتياح نسبي و هو يراها تتحرك ببطءٍ إلى أن أصبحت نصف جالسة بلامح خفّ
شحوبها قليلًا و حرارة أوشكت على أن تعود طبيعية..
ثم همست و هي تشبك أناملها مع بعضها بنبرة لا تنم عن شيءٍ محدّد ؛
_لقد كنت هنا قبل أن أنام أليس كذلك ؟!

لم يكلف هادي نفسه عناء إجابتها..فقد انخفضت عيناه قليلًا ليرمق تشابك أناملها..ثم لم
يلبث أن مدّ يده نحوها ليقوم بنفس الحركة السابقة..احتوى وجنتها براحة يده مستفسرًا ؛
_كيف تشعرين الآن ؟!

لسببٍ ما..شعرت شهد بأن نبرته لم تكن بدمية تمامًا..و من انطباع عينيه استطاع عقلها
التكهن بقراءته لكل الرسائل..لكنها رغم ذلك همست تجيبه بنبرة شابهها بعض القلق ؛
_أنا...بخير...تمامًا..

كانت عيناها تنظران له بتركيز أثناء إجابتها..فصمت هادي قليلًا..قبل أن يقول فجأة بدون
سابق مقدمات كعادته ؛

_هل اتصلت بكِ أمي ؟!!

الآن فقط تأكدت كل شكوكها حول قراءته للرسائل!..
أطرقت بعينيها قليلًا مانحة إياها مجرد إيماءة بالنفي بالكاد يمكن ملاحظتها كإجابة..فعاد
هادي ليسأل بنبرة حاول أن تكون هادئة ؛
_كيف قابلتها إذًا ؟!!

تلكأت شهد قليلاً في إجابته.. وظهر بعض التوتر الذي لمحّه بوضوح في عينيها اللتين لم ترفعهما نحوه إطلاقاً.. مجرد أن رمقته بنظرة سريعة ثم عادت لتخفضهما.. ثم همست بصوتٍ خافتٍ متردّد.. لا تستطيع أن تتكهن بردة فعله أبداً على إجابتها ؛

_لقد... أرسلت لي السائق إلى... الجامعة.. و... و ذهبت معه إلى.....

رفعت رأسها إليه أخيراً تنقل عينيها بين عينيها اللتين ضاقتا قليلاً و هي تستأنف ؛

_منزلك !!

همستها بنبرة أكثر خفوئاً و تردّداً من السابقة.. بينما تجمد هادي للحظة ينظر لها بدون

تعايير.. إلى أن همس بنبرة تشبه نظرتة ؛

_بدون أن تخبريني !!؟

همست شهد تبتلع ريقها بشيءٍ من الرجاء.. لا تزال ملامحها تحمل إرهاقاً و تعباً كبيراً ؛

_لقد... تفاجأت بشدة حينما وجدت السائق أمامي يطلب مني مرافقته إليها.. و لم أستطع

أن..... أفكر !!!

لم يشعر هادي بنفسه و هو يهتف بحدة غير مستوعباً لفعلتها إطلاقاً ؛

_حتى و لو.. لم يكن يجدر بك الذهاب إليها بدون أن تخبريني.. لم يكن يجدر بك حتى الركوب

مع شخصٍ غريب في سيارته بدون علمي.. كيف استطعت أن تجزمي بأنه سائق أمي ؟! بل ما الذي أكد لك بأن أمي لن تتسبب في أذيتك كما فعلت في الماضي ؟! كيف تتصرفين بكل هذا التهور ؟! ألم تخافي

إطلاقاً ؟!!

كان صوته قد ارتفع أكثر في آخر كلامه.. لكنها لم تشعر بالخوف أبداً بقدر ما منحته العذر لكل ذرة قلق رأتها ترتسم في عينيها أثناء إلقاءه لأسئلته الغاضبة.. لهذا لم تردّد أبداً من أن تمد يدها

لتتمسك بذراعه أثناء همسها باعتذار حقيقي خالص ؛

_أعتذر... أقسم بالله لم أفكر.. لقد انتابني الفضول بشدة لمعرفة غاية والدتك من هذا

اللقاء.. شعرت حتى قبل أن أقابلها بأن هدفها هذه المرة مختلفاً.. و لم أستطع أن أضيع الفرصة التي

انتظرتها طويلاً لسماع الحقيقة..

صمتت للحظة كان فيها هادي ينظر جانباً بمشاعر متناقضة غير مفسّرة.. لا يزال عاجزاً عن

تجاوز صدمته بكل ما قرأه.. ثم عادت تهمس بصوتها المتهدج قليلاً برجاء ؛

_لا تغضب مني رجاءً..... هادي !!!

لم يستطع هادي بعد جملتها هذه أن يمنع نفسه من الالتفات نحوها مجدداً..و نظر لعينيها
الشبه دامت عينيه المحملتين بتناقضاته..قبل أن يقول فجأة بدون أن يشعر ؛
_أنتِ و سجي.....

صمت بدون أن يكمل جملته التي فهمت شهد مغزاها جيداً و استطاعت التكهّن
بتكلمتها..فتركت ذراعه لا لشيء إلا لتراجع قليلاً شاعرة بغصّة تخنق حنجرتها مانعة إياها من
التنفس السوي باستعادة كل أحداث الأمس..
قبل أن تطبق عينيها على دمتين انسابتا من تحتهما..دمعتان راقب هادي انسيابهما بقلب
حزين..لكنه لم يفعل أكثر من مر اقبتهما للحظات..
إلى أن جاءه صوتها تهمس بخفوتٍ بدون أن تفتح عينيها ؛
_هل يمكنني...أن أنام لدقائق أخرى بعد ؟!

لم يمنحها هادي جواباً..فقد انحنى حاجباه قليلاً و هو يشعر بأن ذلك الألم المحتل لملامحها
ينغرس في قلبه ليمزقه..لكنه رغم ذلك لم يتخلى عن حزمه..
بل قال و هو يقف فجأة ليتجه إلى الخزانة الصغيرة و يفتحها مخرجاً لها إحدى فساتينها من
التي اشتراها لها بنفسه ؛

_أولاً ستغيرين ثيابك..و بعد أن تخبريني بكل شيء سنفكر في موضوع النوم من جديد..
كان قد وضع الفستان بجانبها فوق السرير تزامناً مع نطقه لآخر كلمة..ثم اقترب منها بكل
عفوية ليبعد شعرها عن ظهرها و يلمس سحب فستانها الأبيض بهم بفتحه..
لكنه و قبل أن يفعل سمع صوت شهد القريب منه جداً..همست و هي تلمس صدره بيدها
بتعثر و خجل يعرفه جيداً ؛

_هادي !!!

كان هادي قريباً منها جداً..ذراعه تطوقان جسدها فيما يشبه العناق..و أنفاسه تلمح جانب
وجعها و عنقها..بينما ذقنها يلامس كتفه القوي الذي احتوى ضعفها طويلاً..حينما همس فجأة و هو
يتراجع قليلاً برأسه لينظر لوجهها ؛

_ألا تزالين تخجلين مني ؟!!

كان صوته خافتاً الآن..نبرته حانية هادئة بشكل مختلف عن نبرته السابقة معها..و بالكاد
استطاعت شهد أن ترفع عينيها إلى عينيهِ القريبتين جداً منها..تشعر بذراعيه و بأنفاسه و بأنامله التي

تسمرت عند سحب فستانها..و تلك الحركة لوحدها كانت تجعل من خفقات قلبها تتضارب بداخل قفصها الصدري..بينما توهجت وجنتاها رغماً عنها..

إلى أن همست العبارة التي سمعها سابقاً منها..لا يمكنها أن تتوقف عن الخجل منه ما حيت !
_قليلاً...فقط !!

لانت ملامحه أكثر بعد إجابتها..بطريقة جعلتها تدرك كم تأثره بها للحد الذي يجعله عاجزاً تماماً عن التمسك بموقفه الحازم لأكثر من ثوان أمامها..لكنه رغم ذلك لم يتراجع..همس بنفس النبرة الحانية الخافتة..و التي تناقض نظرة الجدية في عينيه ؛
_أغمضي عينيك ريثما أنتهي إذا !!

و فعلت..أغمضت عينها بطاعة و تعب و هي تشعر به يقترب منها أكثر إلى أن عاد ذقنها ليلا مس كتفه..بينما أكملت أنامله المشوار القصير ببطء مهلك لأعصابها و مريح في نفس الوقت !!
و مجدداً يتكرر أحد المشاهد المألوفة من الماضي لكن مع اختلاف موقعهما..و كأنما لم تكتشف أمر حملها إلا لتعيش هذه اللحظات معه..

بحيث يغدو هو المضطر الآن للإعتناء بها كطفلة الصغيرة لا العكس..
لولا أن أي أحد منهما لم يكن مضطراً..فكل ما فعلاه كان منبعه إدراك واحد لا غير..كونهما
كيان واحد منذ الأزل..

لقد كانت تعيش بداخله كما يقطن هو بأعماقها..لقد كان مأواها و هي مأواه..و طبيعة الإنسان أن يخفض كل أسلحته و حذره بمجرد قطعه للخطوة الأولى بداخل مأواه !!
كانت مغمضة عينها طيلة الوقت..حتى حينما شعرت به يدسّ الفستان الجديد فوق رأسها..ثم تشرع أنامله في إبعاد خصلات شعرها ليتركها ترتاح على جانب واحد من كتفها..و نفس الأنامل هي ما جعلتها ترتعش بدغدغتها لبشرتها أثناء إغلاقها للثلاثة أزرار خلف ظهرها..
قبل أن تنتهد بلا صوت و هي تشعر بذراعيه تعودان لتطوقانها بقوة في عناق دائي..و همس
صوته الأجش في أذنها بنبرة مختلفة ؛

_انتهيت !!

و كأنها لم تسمعه..وجدت نفسها بدلاً من الابتعاد ترفع ذراعيها لتطوق عنقه بشدة..و لم تفتح عينها إطلاقاً حينما همست في أذنه هي الأخرى ببراءة و أصابعها تلامس خصلات شعره الناعمة ككل مرة تطوق عنقه فيها في عناق مشابه ؛
_لا تغضب مني..لا تغضب مني أرجوك..

أغمض هادي عينيه بقوة و هو يميل عليها إلى أن دفن أنفاسه في تجويف عنقها..ثم همس
فوق بشرتها الناعمة بصيغة تشبه الأمر ؛

_لن أفعل..لو وعدتني بأنك لن تكرّريها مجددًا..

لم تتردّد شهد من الهمس بحرارة و هي تضم نفسها أكثر و أكثر إليه..تتمسكُ بالشئ الوحيد
الثابت في حياتها ؛

_أعدك..أقسم بالله لن أكرّرها..

لا يمكنها إطلاقاً أن لا ترفق كلامها معه بقسم يشعر بأنه يخرج من أعماق روحها..و كأنها
تحاول أن تثبت له بالجزم مدى صدقها في كل وعد تمنحه له..

لا يمكن لأيّ كلمة تغادر شفّتها منسوبة إليه أن تمر هباء..كل كلمة تقولها هي بمثابة وعد
أزلي..كل تهيدة..كل نظرة و لمسة بينهما تحمل معاني قد تعجز كل المفردات في العالم عن وصفها..
شعرت بضغط ذراعيه يخفّ قليلاً فقط إلى أن ابتعد قليلاً لينظر لعينها..و حينها همس
بجدية تامة و هو يحرّر إحدى يديه ليبعد خصلة شاردة من شعرها إلى خلف أذنها ؛

_سجى يجب أن.....

قبل أن يستطيع إتمام جملته..تفاجأ من شهد التي مدّت يدها لتلمس فمه مقاطعة..ثم
همست بصوتٍ خافتٍ شبه مختنق و هي تنقل عينها بين عينيه ؛

_لقد فكرت كثيراً ليلة أمس..أولاً...سأسافر لأقابل تلك المرأة التي تكون...خالي ! ثم بعد
عودتنا فوراً سأخبر سجي بحقيقة كوننا.....

صمتت لوهلة كانت فيها قد شردت عيناها في نفس الإتجاه..تلك الحقيقة الصادمة التي
اكتشفتها قبل ساعات..

ثم همست ترسم شبح ابتسامة بالكاد يمكن ملاحظتها على شفّتها ؛

_أختان ! أنا و هي !!!

لكن هادي لمح ذلك الطيف في عينها ما إن نطقت بالكلمة المختلفة..و التي ما توقعت يوماً أن
تنطقها بشفّتها..

أن تكون لديها أخت..رباط عميق إلى هذا الحد مع إنسانة لم تتعرف عليها إلّا قبل عدة
أشهر..كان الشئ الذي جعلها غير نادمة إطلاقاً على معرفة الحقيقة..

رغم ذلك فقد فضل هادي أن لا يضغط عليها بأيّ شكل فيما يخصّ هذا الأمر بالذات..ربما
لو كان في مكانها لاتخذ نفس القرار..

ربما لو كان في مكانها لفضل تجاهل كل تلك الحقيقة و الهروب من مواجهتها..من يعلم ؟!

مثلا خالجه الآن شعور متطفل غريب..

لقد شعر بالضيق فعلاً لفكرة أن يكون هناك شخص واحد في العالم يمتلك الحق في مشاركته إياها..شخص آخر تستند عليه..شخص آخر يشاركه هذه النظرة الفائضة بالحُب و الحنان في عينها..و التي لم تمنحها لغيره قبلاً..

لكنه هز رأسه بشكل غير مرئي ليطرد تلك الفكرة المزعجة..و بدلاً عن ذلك..همس بدون أن تتوقف أصابعه عن التلاعب بخصلات شعرها الناعمة الملامسة لجانب وجهها ؛

_متأكدة ؟!

اكتفت شهد بإيماء صغيرة شاردة كإجابة على سؤاله الذي يحمل في طياته تفهماً هائلاً..تلك الصفة التي تستنكر أحياناً ارتباطها بهادي..ثم تعود لتستوعب شيئاً ما يجعل خفقات قلبها ترقص على أنغام أخرى نسجت بحبه..

منذ متى كان هادي يعاملها بنفس أسلوب تعامله مع العالم ؟ منذ متى سمح لطباعه الصعبة أحياناً بأن تتسبب لها بالأذى إلا و كبج نفسه قبل حتى أن يلوح نظرة حزن أو ألم تحتل عينها..

كيف يمكنه أن يؤذي عينها ؟ أن يخدش تلك النظرة الصافية بداخلهما له ؟!

أحياناً تشعر بنفسها فراشة صغيرة..و هو البستاني الذي فتح حديقته إليها لتستلقي فوق الورد التي ينتقيها قلبها بغير تحفظ..و الذي ظلل الحديقة بكفيه لكي يقيها حرارة الشمس أحياناً..و احتواها بكل أضلعه ليحميها من صقيع البرد في أحيان أخرى..

و الذي تعلم الابتسام حينما لمح أول تأثير لابتسامته على عينها..و الذي منحها حباً و ثقة لا محدودة..وضع قلبه بين قبضتيها الصغيرتين و اثقاً بأنها ستؤثر التخلي عن كل العالم على إفلاتها! على الحُب أن يكون قادراً على قمع طباعنا غير الحميدة..على الحُب أن يكون قادراً على ترويض عصبيتنا و اندفاعاتنا..على الحُب أن يكون قادراً على تغييرنا من الأسوء إلى الأجمل أو من الأجمل إلى الأشد جمالاً !

على الإنسان أن يؤمن بأن الحُب لو عجز عن تطويعنا بهذا الشكل فهو ليس بحُب إطلاقاً!

_لقد طبخت اليوم شيئاً ما..

جاءها صوته بعد لحظات يقول بنبرة مميزة..فرمشت قليلاً لتولي انتباهها له..ثم لم تلبث أن

قالت كشخص تذكر للتو شيئاً هاماً كان قد نسيه ؛

_يا إلهي..لقد تذكرت للتو بأنني لم أتناول أي شيء منذ ساعات طويلة..لا بد أنه جائع جداً..

كانت قد بسّطت يدها فوق بطنها تزامناً مع نطقها لآخر كلمة..و مجدداً تلمح نفس الضيق غير

الحقيقي يرتسم على تقاسيم وجه هادي..

ثم قال يرفع أحد حاجبيه بحذر غير مريح ؛

_ما الذي تقصدينه بالضبط بجملته " لا بد بأنه جائع " !!

توترت عينا شهد قليلاً بهذا السؤال..لكنها رغم ذلك ردّت متدركة بسرعة ؛

_أقصد...لقد تطور طبخك جداً في آخر فترة..لدرجة أنني أصبحت ما إن أسمعك تتكلم عن

الأمر أشعر بمعدتي تتقلص من الجوع..

عقد هادي حاجبيه بشكّ من كلمة "تتقلص"..هل تعتبر إجابتها مرضية لصالحه أم مهيينة إلى

حد ما ؟!! ظل ينظر إلى ملامحها الشاحبة قليلاً للحظاتٍ أخرى بنفس الطريقة..لم تتوقف خلالها

شهد عن النظر له هي الأخرى ببراءة -شبه- حقيقية..

مهلاً..هل وصف عقله براءتها اليوم بالـ"شبه" حقيقية ؟ منذ متى بدأت حبيبته تكتسب بعض

المكر ممّا يجعلها قادرة على تغيير أيّ كان موقفهما لصالحها ؟!!

لقد بدأ يشعر بالارتياح لا القلق فقط من مدى التغيرات التي بدأت تطرأ عليها في آخر

فترة..تحديداً منذ أن بدأت تظهر أمارات الحمل عليها!

_تتقلص ؟!

لم يستطع رغم كل محاولاته أن يمنع لسانه من أن يردّد الكلمة المزعجة بتوجس.. لكن شهد

للعجب لم تتأثر بنبرته أو نظراته..فقد أومأت بنفس تلك البراءة التي تضاعف من جمال عينيها..و

همست في نفس اللحظة باستعطاف ؛

_سنموت من الجوع !!

لحظة أخرى استغرقها هادي في النظر لها بتلك الطريقة التي تجعلها راغبة في الابتسام..قبل

أن يقف فجأة..لكنه لم يلتفت فوراً..مد يده من مكانه ليلمس جبهتها باهتمام.. قبل أن يزفر بارتياح

حينما شعر بحرارتها لا تزال معتدلة..

لكنه رغم ذلك قال بجدية تزامناً مع ابتعاده نحو الباب ؛

_استلقي قليلاً ريثما أعود..إذا عادت حرارتك لترتفع فسأتصل بالطبيبة..

غادر الغرفة بعدها مغلقاً الباب خلفه بهدوء..فتهدت شهد بلا صوتٍ و هي تراجع قليلاً إلى

أن أصبحت مستلقية بالفعل على جانبها..بينما تسمرت عيناها على الخزانة بنظراتٍ متباعدة..

عاد بعد ثوانٍ قليلة يحمل في يده صحن الأكل..لكن شهد لم تنتبه له في خضم شرودها..و يبدو بأن نوبات شرودها ستتكرر كثيرًا في الفترة القادمة بما أنها طريقتها الواردة في التعامل مع حزنها أو صدماتها..

اقترب منها أكثر إلى أن جلس في نفس مكانه السابق بطرف السرير..و حينها فقط استطاعت شهد أن تنتبه له بعد أن وضع الصحن فوق المنضدة بجانبها..فطرفت برموشها و هي تحت نفسها بإعياء على الجلوس مجددًا..

ثم مدت يدها لتحمل الصحن بدون أن تقول كلمة الآن..و اكتفى هادي بمر اقبتهما بينما تشرع في الأكل بهدوء..و بشهية غير مفتوحة..همس بعد وقتٍ و هو يراها تتوقف عن الأكل فجأة غارقة في شرود لحظي جديد ؛

_هل أعجبكِ !!؟

رفعت شهد رأسها نحوه لتمنحه إحدى ابتساماتها الحزينة..و استغرقت لحظاتٍ في الصمت قبل أن ترد بهدوء ؛
_أعجبني...جداً !

الآن وجد نفسه هو من يبتسم بجذل..و ارتفع أحد حاجبيه ببطءٍ كشخصٍ يتساءل إن كانت تقصده هو أم الأكل..هل أصبحت إحدى هواياتها تقليده !!؟
_متأكدة !!؟

سألها بنبرة بطيئة غير عادية..فزمت شهد فمها قليلاً و هي تحرك رأسها بصدق.. لكلا المعنيين! قبل أن تهمس و كأنها قد تذكرت شيئاً ما ؛
_و أنت..ألن تأكل !!؟

لم يبعد هادي أنظاره عنها أثناء ردّه بخفوتٍ ؛
_لا أشعر بالجوع..

كانت ابتسامتها الباهتة لا تزال مرتسمة بخفة في عينيها..و رفعت الصحن الذي أكلت نصفه تقريبًا لتضعه فوق المنضدة..ثم همست بنبرة جسدت الارهاق المائل في عينيها ؛
_هل ننام الآن إذًا ؟!

رمق هادي الساعة الحائطية التي تشير إلى الثالثة و النصف صباحًا بنظرة سريعة..و كان ردّه الوحيد أن اقترب منها يحثها برفق على الاستلقاء..إلى أن أصبحت نائمة في حضنه بالفعل..
همست بعد لحظاتٍ و هي تغمض عينيها بسلام..تطوق جذعه بكلتا ذراعيها بقوة ؛

هل قرأت ذلك العنوان الذي كتبتة تلك المرأة في آخر رسالة لها؟!

_هممم..

همس هادي و هو يمشط خصلات شعرها برفق..يناظر الجدار بطلائه القديم بهدوء..و تلقى منها بعض الصمت..إلى أن ابتعدت قليلاً فاضطر لأن يخفض عينيه لينظر لها و هو يسمعها تهمس بصوتٍ ساكن جداً ؛

_متى سنسافر إذا ؟ أحتاج بشدة لأن أقابلها!

همس هادي بنفسٍ النبرة بدون أن تتوقف أنامله عن تجولها الرتيب بداخل خصلات شعرها ؛
متى تريدان أن نسافر؟!

لا يدرٍ لما ملح بعض التردد في نبرتها بينما ترد ؛

_اليوم..أو غداً..المهم أن نذهب في أسرع وقت..

صمتت للحظة..ثم أضافت بخفوتٍ أكبر و هي تنظر إلى صدره الواسع حيث ترتاح يدها ؛
_لكن في حال كنت منشغلاً ف.....

_هل تعلمين بأن هناك شركة أزياء قد تواصلت معي قبل أسبوع تقريباً !

لم تفهم شهد مغزى جملته في البداية..فرفعت رأسها نحوه مجدداً لتنظر له بعدم فهم..إلى أن استأنف هادي بجدية ؛

_لقد عرضت عليّ العمل معها في إحدى الدعايات..لكنني كنت قد رفضت لأنني لم أرد

ترككِ..الآن بما أننا سنسافر إلى نفسِ المدينة على أيّ حال فربما سأغير رأيي..

فتحت شهد فمها تهم بتشجيعه على الفكرة التي راقت لها..لكنها تجمدت فجأة حينما كرّر عقلها كلمة ما..و وجدت نفسها تهمس فجأة بنبرة غريبة ؛

شركة أزياء ؟ هل هذا يعني بأنك ستصور عارضات أزياء؟!

كان في نبرتها شيءٌ من القلق أو الضيق..و بالكاد استطاع هادي أن يكبح الابتسامة الخبيثة من أن تشق شفثيه..فاكتفى بأن تركّ خصلات شعرها ليغطي وجنتها الآن مردفاً ببساطة ؛

_نعم !

حينها رأى كيف أن ملامحها شحبت أكثر..ثم فغرت فمها و كأنها تود أن تقول شيئاً ما..لكنها عادت لزمه على نظرة قد تبدو لأيّ شخص في العالم متضايقة متدمرة..

لكن له..بدت في غاية البراءة..خاصة و هي تحاول أن تمنع نفسها من أن تنطق بجملته تبدد
سكون الموقف و تحصرها في خانة الزوجة غير المتفهمة..لكنه أيضًا لم يتوقع منها أن تبتلع ريقها
بصمتٍ لتبتلع معه تلك النظرة و تعود لتخفي وجهها في صدره..
فغر فمه بدهشة و هو ينظر لشعرها بغباء اكتنفه فجأة..هل اكتفت بإجابته حقًا؟!
وجد نفسه يعود ليضمها بين ذراعيه برفق..لكنه رغم ذلك ظل ينظر لها بترقب و توجس و
كأنه يتوقع منها أن تقول شيئًا ما لعدة لحظات..لكنها ظلت صامتة لوقتٍ طويل..ففتح فمه مجددًا
يهم بمناداتها..

لكن و قبل أن يخرج صوته..تفاجأ بها تقول فجأة بينما تبتعد عن حضنه قليلًا فقط لتنظر
له مجددًا ؛

_لديّ اقتراح آخر..

رفع هادي حاجبيه يحثها على الكلام بصمت..فترددت قليلًا..قبل أن تهمس و هي تتلاعب بأخر
زر من قميصه الأزرق..همست بما جعل ابتسامته المكتومة تتحرر كليًا ؛
_سأنتظر إلى ما بعد انتهاء الموسم الدراسي..و بعدها نسافر إلى...خالي !
ضيق هادي عينيه على ابتسامته التي سحرتها تلك..قبل أن يهمس بتركيز تام مع كل تعبير
جديد يظهر في ملامحها ؛

_و لماذا هذا القرار المفاجئ سيدة شهد !!؟

همست بنبرة تبدو لطفلة صغيرة متذمرة و هي تعود لتخفي وجهها في صدره ؛
_هكذا فقط..لا أريد أن تضيع مني بعض المحاضرات و الدروس المهمة..
لقد أوشك على تصديقها فعلاً !
_و...العمل !!؟

قال يسألها بحذر شديد مفتعل..و مجددًا يقابله صمت مضحكٍ منها..إلى أن رفعت رأسها
نحوه مجددًا..و قالت تتظاهر بالغباء حرفيًا ؛
_ألم تقل بأنك رفضته ؟!

همس هادي بنفس نبرته التي لا تنم عن شيءٍ محدّد ؛

_نعم..لكنني أخبرتك بأنني أفكر في تغيير رأيي!..

شعر بدهشة حقيقية فعلاً و هو يراها و يسمعها تقول باندفاع مفاجئ ؛

_لا تغيره إذا..نحن لن نسافر قبل انتهاء موسمي الدراسي على أية حال..

صمتت تنظر له بوجه شبه ممتقع..قبل أن تزم فمها كمن استوعب للتو ما تفوه به.. بينما
رفع هادي أحد حاجبيه على نظرة فاقت حدود الدهشة..لكن ما جعلها تبتلع ريقها بندم و قلق..تلك
الصرامة التي احتلت ملامحه فجأة لتبدد ابتسامته..

ثم قال بنبرة متبلدة بشكل يدعو للقلق أكثر ؛

_هل هذا طلب...أم أمر ؟!!

نفس النظرة البائسة التي كانت ترسم على ملامحها ذلك اليوم أمام المرأة..حينما أتى و في يده
باقة من الورود البيضاء لها..ارتسمت الآن على ملامحها..و همست من بين شفتين مزومتين بضيق
بالغ ؛

_ليس طلبًا و لا أمرًا..إنما.....

صمتت لوهلة..ثم استرسلت شارحة بصدق ؛

_التقاط الصور لعارضات الأزياء يعني بأنك ستلتقي بالكثير منهن و ستتعرف على الكثير

منهن..

_إذًا ؟!!

سألها بنفس النبرة..فاستأنفت شهد بنبرة ذات مغزى ؛

_ماذا لو أعجبت إحداهن...بك ؟!!

حتمًا لن تتوقف عن دفعه للابتسام حبًا و يأسًا بكل ردودها!

ضاقت النظرة في عينيه أكثر..و قطب حاجبيه قليلًا و هو يسألها بشكّ بينما أنامله الحنونة

ترسم خطوطًا عشوائية على وجنتها و فكها ؛

_تعجب إحداهن بي ؟!!

همست شهد فورًا بكل صدق و أمانة ؛

_نعم..أنت وسيم جدًا...ألا ترى ؟!!

اتسعت ابتسامته أكثر و أكثر أمام عينيها المرهقتين عشقًا..و قد تضاعفت تلك النظرة

الخالصة في عينيها و هي تسمعه يقول بنبرة تشبه الثناء ؛

_هل تتغزلين بي الآن ؟!!

شعرت بأن مزاجها السابق يتغير تمامًا..و لوهلة تناست أمر عارضات الأزياء و هي تجيب بثقة

أمهرته رغم صوتها الذي يحتله بعض التذمر ؛

_أتغزل القدر الذي أريد ! هذا من حقي !!

لم يجيبها هادي لثوان..لكن عينيه المبتسمتين برضا أجابتاها..إلى أن قال بدون أن يخفض ذلك الحاجب ؛

_ظننت بأن ما يقلقك من أمر هذا العمل هو حدوث العكس !

لأول مرة تبدو له حكيمة في ردودها إلى هذا الحد..حينما قالت بهدوء بعد صمتٍ قصير ؛
_حينما طلبت مني أن أتوقف عن التحدث إلى أم..إلى ذلك الشاب..هل بسبب أنك قلقته من أن أعجب به أنا أو يعجب هو بي ؟!!

بمجرد نطقها لذلك السؤال..رأت كيف غابت الابتسامة تمامًا عن ملامحه..و احتدت النظرة في عينيه قليلًا و هو يقول تلقائيًا ؛

_سأقتلع عيني أي رجل من وجهه لو حاول مجرد المحاولة أن يرمقك بنظرة كتلك !
انخفض جانبها شففتها قليلًا و هي تهمس بخفوتٍ و كأنها كانت تتوقع ردة الفعل تلك ؛
_أتحدث مجازيًا...هادي !!!

_مجازيًا ؟

كرّر من ورائها ببطء..فاكتفت بإيماءة صغيرة كرد..لكن هادي لم يتحدث فورًا..ظل ينظر لها عاقدًا حاجبيه بنفس الطريقة للحظات..

لكنه لم يلبث في النهاية أن تنهد مغيرًا كل منحنى الموضوع بمجرد سؤال ؛

_هل تعلمين بماذا أفكر فعلاً ؟!!

لم تجب شهد..و لم يكن هو ينتظر إجابتها..قال يسترسل بنبرة حملت وميضًا مختلفًا لم تغفله عينا شهد ؛

_لطالما حلمت منذ طفولتي بمعرض خاص بي..معرض كبير يحمل على جدرانها الكثير الكثير من الصور الفوتوغرافية الملتقطة بعدساتي..ذلك الحلم رافقني طويلاً لدرجة بدأت أفكر بترك المجموعة للبدء في تحقيقه !

برقت عيناها بشدة و كأنه تحدث عن حلمها هي لا هو..لكنها رغم ذلك همست بجذل ؛

_هل لديك ما يكفي من الصور لتحقيق ذلك ؟!!

حرك هادي رأسه بالنفي مجيبًا بهدوء ؛

_لديّ الكثير فعلاً..لكن ليس القدر الذي يسمح لي بإنشاء معرض..

ثم همس فورًا بحنان و هو يتحرك قليلًا إلى أن أصبح مستلقيًا على جانبه يحضنها بكلتا ذراعيه ؛

_لكن لا تقلقي..لقد حققت أحلامًا كنت أظن بأنها مستحيلة التحقيق حتى قبل سنة..مقارنة

معها فهذا الحلم يبدو الأوهون و الأسهل !

كان يقصدها هي بأحلامه التي كان يظنها مستحيلة..عيناه باحتنا بذلك كما صوته..و كم أثر

فيها ذلك الاعتراف القدر الذي جعل عينها تدمعان قليلاً كعادتها الجميلة..

ثم همست بصوتٍ أجش شابه بعض التحشرج ؛

_و ستحققه أيضًا..أعدك بأنني سأكون معك خطوة بخطوة إلى أن أراك تحقق كل أحلامك..

اقترب منها هادي قليلاً إلى أن لمس بجبينه جبينها..فأطبقت شهد عينها بينما تسمع صوته

القريب منها جدًا يهمس باهتمام ؛

_و أحلامك أنت !

همست بدون أن تفتح عينها بنبرة تحشرجت أكثر ؛

_أنت جميع أحلامي !

رغم كل الأثر الذي خلفه هذا الجواب في قلبه..و الذي جعله يتراجع قليلاً برأسه و كأنه فقط

يحاول أن يمنح نفسه وضعية أفضل لتأملها و استيعاب جملتها..إلا أنه قال بكل جدية و هو ينظر

لعينها المغمضتين ؛

_لا!!..أنا أعلم بأنك تعشقين الدراسة منذ صغرك و حتى الآن..لدرجة أنك كنت الأولى على

صفك السنة الماضية..أليس كذلك !!؟

فتحت شهد عينها ببطء..و قالت بجدية مشابهة لجديته ؛

_نعم..لكنني لا أعتبر الدراسة حلمًا..بل وسيلة !

بدا هادي و كأنه قد وجد غايته بالفعل بسماع إجابتها..فقال يسألها بنفس نبرته التي تصبح

أكثر حنانًا معها ؛

_وسيلة لأي شيء !!؟

رأى ذلك التردد الذي ارتسم على ملامحها..يختلط بالكثير من التوتر المنبعث من ثقة

متخاذلة بداخلها..لكنها رغم ذلك عجزت عن عدم الإجابة أمام إصرار عينيه..فهمست تهز كتفها

بنبرة حاولت أن تكون ثابتة عادية ؛

_ربما...أستطيع أن أصنع لنفسني لقب...امرأة أعمال يوميًا !

لم يظهر أيّ تعبير على ملامح هادي.. و ردة الفعل تلك أراحتهما بقدر ما جعلتها تشعر بالقلق و هي تراه يحدق بها بعينين فشلت في قراءتهما لأول مرة.. فاستطردت بصوتٍ أكثر خفوتاً.. تبدو له كشخصٍ يخشى أن يتعرض للسخرية أو الاحباط لو أفصح عن أحلامه التي تبدو بعيدة جداً!
_ حتى و لو لم أنجح في ذلك.. إذا كان هناك شيء واحد علمتني إياه الحياة.. فهو بأنه كلما ارتفع الإنسان في درجة علمه و ثقافته.. ارتفع شأنه بين سائر الناس و المجتمع!
الآن فقط.. رأيت ذلك الحزن الذي اكتسح عينيه فجأة.. حزن لم يبدد نظرة الجدية فيهما.. لكنه نجح بأن يبدد موقفها هي و يسلب القليل من صوتهما.. حينما همست تبتلع ريقها بغصة لظالما أحرقت حنجرتها لمجرد سماع كلمة واحدة أو التفكير فيها ؛

_ لقد خفت دائماً من كلمة "لقطة".. كنت أكره سماعها حتى و إن لم تكن منسوبة لي.. كل ما أردته... أن أنسفها من حياتي.. أن أصنع لنفسني لقباً جديداً لا يجعلني أشعر بالإختناق قهراً كلما سمعته.. لقباً أسمعه بفخر و سعادة.. أردت أن أصنع لنفسني هوية جديدة أمحوها بها تلك الهوية الضائعة.. أردت أن يكون لديّ اسم ثاني حقيقي أكتبه في كل أوراقٍ بجانب اسمي.. أن يكون هناك مكان.. أقف فيه لأسترجع ذكرياتٍ بريئة من طفولتي.. أن يكون لديّ شخص واحد أنظر له بإدراكٍ أنه فرد من عائلتي.. حتى لو كان كل فرد من عائلتي ميتاً.. المهم أن يكون هناك مكان واحد حيث لا يتم النظر لي على أنني تلك الفتاة اليتيمة المسكينة أو اللقطة على حد سواء.. كانت مجرد أمنيات في قلبي و كانت الوسيلة المتاحة لديّ للسعي لها هي... الدراسة.. لقد فكرت بأن الدراسة هي وسيلتي الوحيدة لإنقاذ نفسي ممّا كنت فيه.. فدرست بجهد.. درست و درست و درست لدرجة أنني كنت أمضي كل وقتٍ متاح لي في الدراسة..... فقط !

كان صوتها يختنق بعد كل كلمة جديدة تلقها على مسامعه هو فقط.. تحكي له و تبوح بما لم تفكر بأن تبوح به لأيّ شخصٍ كان في هذا العالم..
و مع نطقها لآخر كلمة.. كانت هناك عبارات حقيقية فوق وجنتها.. قبل أن تكمل بصوتٍ متهدج اختنق أكثر بدموع بريئة ؛

_ لو كنت أعلم بأن الحقيقة تقبع على بعد مسافة أمتار مني.. لو كنت أعلم بأنني أمتلك عائلة بالفعل منذ البداية.. أختاً حقيقية هادي!.. لدي خالة و ابن خالة و... أخت على قيد الحياة.. لا غنمت بعض اللحظات منها لأبتسم قليلاً... و أرتاح قليلاً !!

شعر هادي بالدموع تلسع عينيه بقوة.. حتى أنه أطبقهما قليلاً كما أطبق شفثيه الملامستين لجبينها قهراً.. و منحها قبلة طويلة هناك.. قبلة جعلت صوت بكاءها الناعم الخافت يخف أكثر..

و تعتمد أن يحافظ على الصمت لثوان و كأنه فقط يمنحها لها لتهداً و تتمالك نفسها..
تستوعب بأن تلك الأيام قد ولت..

و بأن ما يجدر بها فعله الآن هو الابتسام..فقط...بدل البكاء !
إلى أن همس بعد لحظاتٍ و هو يترك شفتيه على جبينها..يشعر بخفقات قلبه تنقبض بشدة
كتلك الليلة التي أخبرته فيها عن حكايتها مع الظلام..و بكائها الصامت سابقاً حتى لا يسمعها أحد..
يبدو أنه لن يتوقف عن التألم بألمها ما حيا..كما لن يتوقف عن سماعها ما حيا!
و الآن..ألا تزالين تمضين كل أوقاتك المتاحة في الدراسة...فقط ؟!

كان يعلم جوابها مسبقاً..لكنه أراد سماعه منها..لا لشيءٍ إلا ليحقق غايته الأولى بأن يجعلها
تستوعب موقعها و وضعها اليوم..و هنا..
اختفى صوت بكائها تماماً مخلقاً شهقاتٍ بلا صوت..و كانت هي من ابتعدت قليلاً لتنظر إلى
وجهه بعينها المؤطرتين باحمرار خفيف..قبل أن تحرك رأسها بالنفي مجيبة بتأثر غلف صوتها
بالكامل ؛

_ قطعاً لا!..الآن...أصبح لدي الكثير من الأشياء المهمة التي تستحق مني إمضاء الوقت فيها..و
الكثير من أوقات فراغي التي لا أفعل فيها أي شيء سوى النوم بين ذراعيك..كما الآن!..الآن...أصبحت
حياتي جديدة بأن تسمى حياة..و لم يعد لقي شهد اللقيطة..لم يعد أي أحد في العالم يتجرأ على
مناداتي بذلك اللقب الشنيع و الذي يجعلني راغبة في الموت قهراً..لأنني أنا..الآن...أكون شهد هادي
الشاذلي!..زوجتك أنت..و هذا أفضل لقب سمعته في حياتي على الإطلاق..هذا...اللقب الذي حلمت
طوال حياتي بأن يتم وضعه بجانب اسمي..بل هذا هو اللقب الوحيد الذي يستحق بأن يوضع بجوار
اسمي...إلى الأبد !

الآن شعر بتلك اللمعة الخفية تصبح حقيقية و بارزة..لكنه لم يمانع..لا يمانع أبداً أن يظهر
تأثره أمام أكثر إنسانة قادرة على التأثير به في العالم..
لم يستطع أن يلفظ كلمة أمام كل ما قالت..فاكتفى بأنها سحبها إلى حضنه أكثر..يتمنى أن
يخفيها بين أضلعه عن كل ما قد يؤذيها..أن يكتم كل تلك الأفواه التي جرحتها سابقاً و أن يمحو أثر
كل ألم عاشته قبله أو معه..
أغمض عينيه بقوة و هو يشدد من احتضانه لها..قبل أن يهمس في أذنها بصوتٍ أجشٍ بينما
يستند بذقنه إلى قمة رأسها ؛

_ستحقيقين كل أحلامكِ..و سأكون معكِ خطوة بخطوة إلى أن تحققي كل ما تنشدينه..إلى أن أراكِ و قد أصبحتِ أجمل امرأة أعمال على الإطلاق..

اشتد ضغط ذراعيه من حولها أكثر و أكثر كما اشتد ضغط رموشه على عينيه و هو يضيف
بنبرة مكتومة في شعرها..بصوتٍ شبه مسموع لكنها سمعته بوضوح ؛
_حبيبتي..شهدي أنا !!!

و كانت تلك آخر كلماتٍ سمعتها منه قبل أن تسدل رموشها متأهبة للنوم بكل حواسها في أحضانه الدافئة..كم تحب تلك الطريقة منه في مناداتها..و كم اشتاقت للقيها ذاك بصوته..
منذ متى لم يناديها به ؟ ربما أسبوعان..أو ثلاثة أسابيع..لا تتذكر سوى أنها سمعته منه آخر مرة في ذلك اليوم الذي ذهب فيه إلى المشفى لأجل فحص جديد..
كان بعد قبلة طويلة جعلتها تترنح عشقًا..و جعلها صوته تستعيد ثباتها العاطفي مجددًا..حينما همس لها بجانب أذنها بينما أنامله تداعب خصرها و كأنه يدغدغها بسحر يخصّه..يحاول أن يطمئنّها بعد أن أخبرتها الطبيبة بأنها دخلت مرحلة جديدة أشد حساسية في الحمل ممّا سبق..

ذلك جعلها تشعر بقلق طبيعي..و صوته جعل كل قلق يتلاشى و كأنه لم يكن..
" هل تعلمين بما أفكر ؟ إذا كانت فتاة فسأسميها عسل ! لكنني لا أعلم ما إن كان هذا الاسم موجود فعلاً أو لا ؟ هل تظنين بأنهم لن يقبلونه في التسجيل...ها ؟ أخبريني يا شهدي....."
حينها لم تتمالك نفسها من الضحك أمامه بقوة بينما يجلسان في سريرها الدافئ..هو يستند بظهره إلى قائم السرير و هي تجلس على ركبتيها أمامه كالطفلة..و فوراً سمعت صوته يقول بصراحة غير حقيقية تمامًا ؛

" مهلاً..لماذا تضحكين الآن ؟ أنا أتحدث بجدية..توقفي عن الضحك..
و بالطبع لم تكن لترفض له أمراً..فزمتَ فمها تكتم الضحكة بصعوبة..لكنها عجزت تماماً..فعادت ضحكتها الجميلة لتتحرّر جاعلة من خفقات قلبه تتراقص بتلك الطريقة المعهودة كلما ضحكت..
و لم يجد ما يمنعه من أن يجذبها إلى حضنه بقوة بما أن تلك كانت غايته منذ البداية..أن يراها تضحك..ثم همس و هو يتمسكُ بها بشدة كما فعل الآن تماماً..
" حبيبتي..شهدي أنا فقط !"

" 55 :لقاء مع الماضي "

#سجى

عندما عدنا ليلة أمس..كان المنزل فارغًا تمامًا من شهد و هادي..و ذلك أمر طبيعي تعودنا عليه..فقد أصبحت تلك من أبرز عاداتهما..أن يمضيا ليلة بين كل يومين أو ثلاثة أيام في منزل شهد.. ذلك المنزل الذي لم أزره يومًا رغم أن شهد اقترحت الأمر عليّ أكثر من مرة قبلًا.. لكنني في كل مرة كنت أعدها بأن أزوره لاحقًا..ثم بعد أن يأتي لاحقًا أعدها مجددًا بلاحقًا أخرى.. إلى أن أتى هذا اليوم الذي سنغادر فيه أنا و لؤي إلى منزلنا الخاص... و الآن أصبحت مضطرة لزيارة منزلها فعليًا..بما أنني لن أعيش معها بعد هي و هادي و هما يقضيان الكثير من الوقت هناك..فلا بد أن أحفظ العنوان لأذهب إليهما كلما شعرت برغبة في التواجد معهما..

و أنا أعلم بأن تلك الرغبة لن تتوقف عن اكتساح قلبي لفترة جيدة أخرى بعد كل الوقت الذي أمضيته هنا أنا و لؤي..

كان أول ما فعلناه فور دخولنا هو الاتجاه إلى غرفتنا فورًا..

استلقى لؤي فوق السرير بإرهاق..بينما اتجهت أنا إلى الحمام لأغير ثيابي ثم أعود إليه..و كعادتنا منذ عدة أشهر اقتربت منه إلى أن استلقيت بجانبه على السرير..و استغرقنا لحظات ننظر فيها إلى السقف بصمت تام..

إلى أن شعرت بيده تمتد إلى يدي محتضنة أناملي برفق..و حينها فقط..التفت نحوه لأنظر له من مكاني الذي يبعد عنه ببضعة سنتيمترات..

إلى أن همس لي بينما يمد يده الأخرى ليغطي وجنتي مربيًا بلطف ؛

هل أنت متأكدة من رغبتك في الانتقال إلى منزلي !!؟

لمسته تلك كانت الشيء الوحيد الذي جعل ذلك التوتر الذي ما لبث يحتلني كلما تذكرت الأمر

يتداعى قليلاً..همست مصححة بخفوت و جدية ؛

متأكدة تمامًا من رغبتني في الانتقال إلى...منزلنا !!

و كما هو متوقع منه..ابتسم لي..منحني ابتسامة واسعة جدًا و هو يقول بنبرة محملة

بالرضا..بدون أن يتغلى عن يدي أو يترك وجنتي ؛

_جيد جدًا..

بادلته ابتسامته بأخرى مشابهة و أنا أقول بنبرة ذات مغزى ؛

_يبدو بأن هادي و شهد سيمضيان الليلة في منزلهما الآخر..

فتنهذ لؤي بيأسٍ زائف و هو يقول ؛

_واضح..لا بد بأن هادي المنحرف هو من اقترح الأمر على زوجته البريئة المسكينة..

شعرتُ ببعض الإحراج ينتابني لمجرد قوله لكلمة "منحرف"..ذلك لأنني فهمت القليل ممّا يلمح

له..لكنني رغم ذلك همست بابتسامة صارت أكثر اتساعًا ؛

_أنت تعزّ شهد كثيرًا..أليس كذلك ؟!

لم يحاول لؤي إطلاقًا الإنكار..قال بصدق و هو ينقل عينيه من عيناى إلى وجنتى حيث تستقر

يده تلامس خصلة شاردة هناك من شعري ؛

_صحيح..إنها الشخص الوحيد القادر على التأثير على هادي بأكثر الطرق إيجابية..لقد كنت

دائم القلق عليه قبلها..

همستُ بهدوء شديد و أنا أحاول أن لا أتأثر بلمسات أنامله الحنونة على خدى ؛

_والآن ؟

و لم يتردد من أن يجيبني بصدق تام ؛

_الآن..أشعر بالاطمئنان الشديد كلما رأيتهما سوياً..لطالما آمنت بأن الحب يجعلنا أفضل

الأشخاص فى أعين من نجب..و فى أعين أنفسنا !

كانت تلك الجملة الثانية هي أصدق جملة سمعتها عن الحب..و هي ما كنت أحتاجها بالفعل

لأستطيع وصف ما يخالجنى نحوه و نحو نفسي منذ أن...أحبته !

عجزتُ بعد تلك الكلمات عن إجابته بشيءٍ أبلغ من عيناى..فبقيت أنظر له للحظاتٍ أشعر

بقلى يتأرجح بين مشاعر شتى كلها تدور حوله..

اقترب منى قليلاً بعدها ليطوقني بالكامل بين ذراعيه..فاكتفيتُ أنا بأن أغمضت عيناى بسلام

و أنا أرتاح على صدره..يستعيد عقلى الليلة الأولى التى نمت فيها بين أحضانه..

و كم أصبحت تبدو بعيدة جدًا تلك الليلة !

و صباحًا..كان أول سؤال أطرحه عليه ؛

_ألن تتصل بهادى لتخبره بانتقالنا ؟

كنت أقف بجانب السرير أوضب آخر قطعة من ثيابي في الحقيبة المتوسطة الحجم.. حينما سمعت صوته من جانبي يجيب ببساطة بينما يرفع الحقيبة التي أغلقها للتو ليحملها مع حقيبته الأصغر منها بقليل ؛

_لقد أرسلت له رسالة بمجرد استيقاظي..حينما يكون متفرغاً هو من سيتصل بي..
أومأت له بهدوء و عيناى على الحقيبتين المرتكزتين أرضاً..و لم أشعر بذلك الشرود الذي اكتنف تركيزي للحظاتٍ إلا حينما سمعت صوته يهمس لي ببطء ؛
_هل نذهب ؟!! سحى !!

طرفت بعيناى قليلاً و أنا أرفع رأسي نحوه مجدداً بغباء..لكنني سرعان ما طردته عني بهزة شبه مرئية من رأسي..ثم أومأت له ببطءٍ و ثبات..و انتظرتة إلى أن التفت عني متجهاً إلى باب الغرفة الجميلة التي احتضنت ذكريات لن أنساها في داخلها..

غريب جداً أنني شعرتُ بالحنين إليها بمجرد توقفي في حاجز الباب..و رغبت بشدة..بل تمنيت لو أستطيع أن أبقى هنا إلى الأبد..

لكن الفكرة بدت ثقيلة على قلبي..أن نعيش أنا و لؤي ما تبقى من حياتنا على هذا الوضع غير السوي..بما أنني أعلم بأنني لن أستطيع إطلاقاً أن أبادر و لو بكلمة صغيرة و نحن هنا..
سمعتُ صوته يناديني مجدداً باستغراب..فالتفتُ نحوه بسرعة لأجده متوقفاً في منتصف المهو..يحمل بين يديه الحقيبتين..

يبدو...وسيمًا جدًا بقميصه الأزرق و بنطاله الجينز الأسود..و معطفه الصوفي الذي تمنيتُ أن أرتديه لا لشيءٍ إلا لأغمض عيناى مستنشقة عطره بكل جوارحي..
_أتيت..

قلتُ بهدوء أجبرت صوتي على التسلح به و أنا أغلق الباب من خلفي برفق..و كأنني أودع المكان الذي عشت فيه أكثر اللحظات دفناً في حياتي..و بعدها بثوان..كنت أجلس بجواره في السيارة التي انطلقت بهدوء..

الحقيقة أن كل شيء اليوم كان هادئاً..بدءاً من الجو..إلى نظرات لؤي الخالصة الصافية إلي..إلى أفكارى و خفقات قلبي..و عيناى اللتين تعمدتُ أن أركزهما على الطريق بينما أشعر بنظراته عليّ تلفحني بين كل ثانية و أخرى..

و لن أكذب إطلاقاً لو قلت بأنني شعرتُ بسعادة عارمة..و شوق أكبر ما إن توقفنا أمام المنزل الصغير نسبياً..لم أنتظر لؤي ليفتح لي باب السيارة كما تعود أن يفعل دائماً معي..تلك المرة..فتحت الباب بنفسني لأنزل متهددة بحنين صامت..

و ما هي إلا لحظة واحدة حتى شعرتُ بلؤي يقف بجاني بعد أن أخرج الحقيبتين من الصندوق الخلفي..رفعت رأسي نحوه فوجدته يتأملني مسبقاً..و كمرّة من المراتِ النادرة..أنا من تحدثت أولاً..قلتُ أحق في عينيه بصدق تام ؛

_الآن فقط استطعت أن أستوعب كمّ اشتياقي لهذا المنزل بالذات..
بدا لؤي راضياً تماماً بجملتي تلك..حتى أنني رأيتُ ذلك البريق الذي ارتسم في عينيه بجانب ابتسامته الجذابة بينما يقول بلطف ؛

_لقد زرتّه لمراتٍ تعد بالأصابع..ظننتُ بأنك ستكونين قد نسيتِ شكله حتى بعد كل هذا الوقت !

و أنا أيضاً ظننتُ ذلك !

همستُ محتفظة بنبرة صوتي الهادئة و نظرتي البالغة المعاني ؛
_لم أنسه إطلاقاً..لا أزال أتذكر ديكوره الداخلي حتى و كأني زرتّه بالأمس فقط..
كنتُ أتحدث بصدق..لكن لؤي رغم ذلك لم يقتنع بإجابتي ربما..فرايت ذلك الأمل الذي ظهر في عينيه بشكل خفي..أثناء سؤاله لي بجذل ؛
_حقاً ؟!

و لم أفعل أكثر من أن حركتُ رأسي بالإيجاب بهدوء كرد له..قبل أن نتقدم عدة خطوات نحو المنزل..لكنني سمعت لؤي يقول بمجرد أن توقفنا أمامه ؛

_أظن بأنه يحتاج إلى تنظيف شامل..لم أزره منذ وقتٍ طويل جداً..
كان قد أخرج المفتاح تزامناً مع تحدّثه ببديهية ليدسه في مكانه المخصّص و يفتح الباب..و امتزج صوت اصطدامه بالجدار برفق ما إن دفعه مع صوتي الهادئ بينما أجيبه ؛
_سننظفه إذًا..ما الضرر في ذلك ؟

حسنًا ربما هناك القليل من الضرر !

فما إن توقفنا بداخله حتى شعرتُ بأن الغبار يلفح أنفي بشدة ممّا جعلني أعطس لا إرادياً..أبعدت المنديل الذي استعملته للعطس عن أنفي و أنا أعود لأنظر للؤي و كأن هناك حدساً أمرني بأن أنظر له..فهمس هذا الأخير بشيءٍ من الحذر ؛

_هل غيرت رأيك ؟ ربما يجدر بنا أن نتصل بإحدى العاملات ل.....

_سننظفه أنا و أنت..ألسنا كافيين ؟!!

قاطعته قبل أن يكمل بحزم و ثبات..فتداعت ابتسامته قليلاً بدون أن تختفي..قبل أن يقول
بنبرة ذكرتني بلؤي القديم فعلاً..المبتسم دائماً و الذي كان المرح إحدى صفاته الجميلة الأساسية ؛
_من ذا الغبي الذي قال ذلك ؟ أنا و أنتِ أكثر من كافيين لتنظيف ساحة بالكامل لا مجرد
منزل صغير كهذا..

وقعت عيناى على الحديقة الصغيرة المهمة هي الأخرى منذ وقتٍ طويل..فاقتربتُ منها بهدوء
أثناء ردي عليه بنبرة لم أشعر بها ؛

_ليس صغيراً كثيراً..ألا ترى الحديقة ؟!!

سمعتُ صوت خطواته تقترب منى إلى أن وقف بجانبى..و حينها همس لي بينما يعقد ذراعيه
مثلى و يحدق بالحديقة ؛

_لا أتذكر المرة الأخيرة التي اعتنيت فيها بها..

كانت نبرته شاردة بعض الشيء..بدا و كأنه يحاول أن يحدّد تاريخ مرته الأخيرة التي أتى فيها
لهذا المنزل و اعتنى به..فرمشتُ ببطءٍ و أنا استدير نحوه..

ثم قلتُ بهدوء شديد..جملة لم أخطط لها إنما قفزت إلى لساني تلقائياً..و خرجت بنبرة ساكنة
إلى أقصى حد ؛

_لا بأس..سنبدأ من جديد !

فوراً...لمحتُ تأثير ما قلته يرتسم على ملامحه التي ارتخت قليلاً..ثم عادت ابتسامته لتتألق
ببطءٍ و هو يتأملنى بتلك الطريقة التي تجعلنى راغبة فى الاختفاء من أمامه..لا لشيءٍ إلا لأنفرد بهذا
الشعور بالذنب الذى ينتابنى فى كل مرة أرى حرارة الحُب تتأجج فى عينيه بهذا الشكل..
يريد أن يغدقنى بذلك الحُب..يريد أن يفعل الكثير معى..أن يمنحني من سخاء دفئه القدر
الذى يحول الماضي بكل ألمه إلى مجرد سراب..

و أنا أريد..أريد أن أعيش معه تلك التجربة..

أن أنام على صدره بصفتى زوجته الحقيقية..أن أنظر فى عينيه و أتأمل العشق المنصهر فىهما
بدون أن أرمش بعيناى بعيداً عنه و لو للحظة..

أريد أن...أن أمنحه الكثير..

لأننى فى كل مرة أمنحه شيئاً ما..أشعر بأننى أمنحه إلى نفسى أيضاً!

_هل نبدأ في العمل إذا أم نؤجله إلى ما بعد الأكل ؟

صوته الحبيب أخرجني من شرودي به بهذا السؤال..فأرغمت نفسي على تشكيل ابتسامة

حقيقية دافئة على شفاهي و أنا أرد ؛

_أولاً..التنظيف..و بعدها أنا من ساعد لنا شيئاً نأكله..

عقد لؤي حاجبيه قليلاً بعدم فهم لجملتي التالية التي خرجت حازمة قليلاً..لكنني كنت قد

التفتُ فعلاً متجهة إلى الغرفة حيث أدخل الحقائق قبل قليل..و التي ستصبح غرفتنا على ما

يبدو..فقال بينما يلحق بي بسرعة ؛

_مهلاً..لماذا عليك أن تطبخي أنت ؟ لما لا نطبخ سوياً ؟!!

حسنًا..لو أجبتَه بصدق فسأقول بأنني بكل بساطة اشتييتُ ذلك..لقد أصبحت من أكثر

الأشياء التي تمتعني و تريحني رؤية الرضا على ملامحه و الابتسامة تلك في عينيه..

أريد أن أفعل أي شيء يجعله راضيًا و مرتاحًا..حتى لو كان مجرد طبق أعده أنا بيدي..كزوجة

لطيفة محبة..لكنني لم أقل الصدق..بل ما قلته كان.....

_لأنني أريد أن أثبت لك بأنني طبخة جيدة جدًا بقدرتك أنت و شهد..أنا و هادي مساكين جدًا

ليتم حصرنا في خانة الطرف الفاشل في الطبخ !

توقف لؤي فجأة..فاستدرتُ إليه لأنظر له من مكاني حيث كنت أقف في حاجز الباب الذي

دفعته للتو..و حينها قال بتوجس و بنبرة شابهها بعض...الغيرة !

_الآن أنا من أصبحت أشك بأنك و هادي شكلتما حزبًا ضدي..منذ متى كنت أنتِ فاشلة في

الطبخ ؟!!

نطق سؤاله ببديهية..و لم أستطع أمام المدح الخفي أن أكبح ابتسامة جديدة عن الظهور في

عيناي بتأني..ثم قلت بصدق هذه المرة ؛

_لست فاشلة..لكنني لست محترفة أيضًا بقدرتك أنت و شهد..و نعم...أنا و هادي شكلنا فريقًا

ضدكما أنت و شهد..و هل تعلم ما هدفنا الأول ؟ أن نتفوق عليكما في الطبخ !

رأيتُ كيف أن تلك النظرة في عينيه ازدادت بروزًا..و امتععت ملامحه حريفًا و هو يتجمد

لثوانٍ قليلة..إلى أن قال بتوجس ؛

_هل أنتِ جادة ؟!

و بالطبع لم أكن لأتخلى عن موقعي..فأخفيتُ تلك الابتسامة الشبه ظاهرة فورًا..و قلت بينما

أرفع ذقني قليلاً و كأنني أطلب منه أن يدقق النظر في ملامحي ليتأكد من جديتي..

_بالطبع..هل ترى على ملامحي أي أثر للمزاح ؟

شعرتُ بالشفقة عليه و أنا أراه يفتح فمه و كأنه سيقول شيئاً ما بغباء..ثم عاد ليطبقه لحظة..و قال بدلاً عن ذلك بنبرة تشبه الاستعطاف و العتاب في نفس الوقت ؛

_سجى !!

لكنني رفضتُ أن أتنازل..همست متهددة بنبرة لانت قليلاً بذلك الشعور الغريب..الجميل الذي يدغدغ قلبي..شعور أنك تقف أمام...شخصك المفضل !

_لؤي !!

تجمد لؤي لحظة أخرى ينظر لي بتمعن..قبل أن يقترب مني فجأة تزامناً مع قوله بنبرة غير مصدقة ؛

_هل حقاً ت.....

لكنه لم يكذب يقترب مني أو يكمل كلامه حتى..حتى كنتُ قد دخلت إلى الغرفة و تعمدت إغلاق الباب خلفي في وجهه..و على الفور سمعت صوت خطواته تتوقف قليلاً..ثم تعود لتقترب من الباب إلى أن وقف خلفه تماماً..طرقات خفيفة طرقتها فوق الباب تزامناً مع صوته الذي تسلسل أذناي يحمل نبرة استغراب ؛

_سجى ؟ ما خطبك اليوم ؟!!

ما خطبي اليوم ؟ هل سأبدوا حمقاء لو قلت بأنني لا أعلم ! أنا فقط كنت...سعيدة ! و كم اشتقتُ لأن أنطق حروف تلك الكلمة و لو بيني و بين نفسي !
أطبقتُ فهي قليلاً على ابتسامة لم أعرف متى عادت لترسم لنفسها مكاناً في قلبي قبل عيني..لكنني رغم ذلك تعمدت أن يكون صوتي جاداً هادئاً بينما أقول ؛
_سأغير ثيابي و أخرج بعد لحظات..انتظري..

كنتُ أستند بظهري إلى الباب..و لسبب ما شعرت بأنه فعل المثل حينما أتاني صوته في غاية السكون و الاسترخاء..مشهد ذكرني بمشهد بعيد مع اختلافات كبيرة مرعبة جداً..
_حسنًا..

كان صوته رائعاً و كأن هناك ابتسامة تحتل ملامحه بينما يتحدث..و شعرتُ بأنني استطيت هذه الحركة..فبقيت واقفة هناك للحظات أخرى..إلى أن تنهدت و أنا أقترُب من حقيبتي لأفتحها منتقية ثياباً مناسبة للتنظيف..

و التي كانت عبارة عن قميص أبيض قصير و بنطال جينز مريح..ثم رفعتُ شعري على شكل ذيل حصان..و اقتربت من الباب مجددًا لأفتحه بتأني و...ألم أخبركم بأنه كان يستند على الباب؟! لأنني ما إن فتحته حتى شهقتُ بذهول و أنا أرى لؤي يسقط أمامي تمامًا على الأرض..هل كان شاردًا جدًا؟ أم أن صوت انفتاح الباب كان هادئًا جدًا لدرجة أنه لم يسمعه؟ يا إلهي! صوت تأوه قوي من لؤي جعلني أنتفض بقوة..قبل أن أقول بينما انخفض إلى مستواه ناظرة له بجزع؛

_يا إلهي لؤي..أنا لم أطلب منك أن تنتظرني على الباب حرفيًا..هل أنت بخير!!؟ شعرتُ بالاستغراب قليلًا و أنا أرى ملامحه التي تخلصت من كل أثر للألم مع أول التفاتة يلتفتها نحوي..و بدلًا عن الرد على سؤالِي الوجيه الجاد.. وجدتُ عينيه تتسمران تمامًا على عيناَي بنظرة فاقت حدود...الاعجاب!..هل أبدوا مختلفة إلى حد كبير؟ أم ربما فقط.....
_تبدين...جميلة جدًا!!

و أنت تبدو...رائعًا جدًا! رائعًا في كل الأحوال و المواقف..رائع التصرفات و النظرات و.....انتقاء الكلمات!
ابتلعتُ ريقِي ببطءٍ و أنا أتجنب عينيه اللتين لم تتوقفا عن التحديق بي بانشداه..و كأنه قد نسي نفسه فعلاً..تخلى عن حذره و حركته السريعة كلما لمحت نظراته بالصدفة في التظاهر بالعفوية و الاعتيادية..

ثم أرغمتُ نفسي بالقوة على أن أقف..و قلت بينما أنحني عليه قليلًا لأمسك بذراعه بصوتٍ متحشرج بعض الشيء؛
_دعني أساعدك على النهوض..

ها هو ذا يستوعب نفسه أخيرًا..و يحاول التظاهر بالاعتيادية بينما يتحركُ بسرعة ليقف..و يقول بنبرة عادية ظاهريًا؛

_أنا بخير..لقد...شردت قليلًا فقط بينما أنتظرُك..
أومأتُ له ببطءٍ و أنا أحاول باستماتة أن أتغاضى عن جملته السابقة..و التي صنعت حقلاً صغيرًا من الورود في قلبي..ثم همست بشيءٍ من التوتر المزعج؛
_هل ستغير ثيابك!!؟

كان جوا به مجرد إشارة بالنفي من رأسه تزامناً مع يديه اللتين تحركتا يخلع معطفه الثقيل قليلاً.. ثم قال و هو يلقي به فوق كرسي الزينة ليبقى بقميصه الأبيض و بنطاله الأسود فقط..

عفوياً...و جميلاً كما العادة !

_لا..دعينا ننهي التنظيف بسرعة..أشعر بأني سأموت من الجوع لو لم أتناول شيئاً في

غضون ساعة من الآن..

كان قد مر من جانبي و تجاوزني نحو الـهو..و بقيتُ أنا و اقفة مكاني قليلاً أشعر بحيرة غريبة

تكتنف قلبي..قبل أن أحث الخطى خلفه لألحق به بهدوء..

و لم يستغرق الأمر وقتاً طويلاً منا لتنظيف المنزل الدافء..

كان منزلاً أنيقاً جداً..مريح بأثاثه الذي يمزج كله ما بين اللون الرمادي و الأبيض.. أكثر لونين

يحبهما لؤي..و تلك معلومة كنت أعرفها عنه منذ وقتٍ طويل!

كانت هناك لوحات جميلة..حوالي أربع لوحات واحدة كبيرة جداً معلقة على جدار واحد..و

ثلاث لوحات صغيرة معلقة بأناقة على الجدار المقابل..و تحتها تماماً مدفئة متقنة التصميم..ربما

سأهتم بإشعالها لاحقاً..و لما لا أجلس في الأريكة الرمادية الصوفية القريبة منها لأستمتع بذلك الدفء

المنبعث منها..

هذا لو شعرتُ بحاجة إليها..فأنا غالباً أنسى كل شيءٍ ما إن أكون برفقة لؤي! و هذه معلومة

جديدة لم أستوعبها إلا في آخر فترة عني !

كان لؤي يتحدث طيلة الدقائق التي استغرقناها في التنظيف..و كنتُ أجيبه مبتسمة بشيءٍ

من الشرود به..و بدوقه الخاص الجميل..حتى أنني في إحدى المرات حينما ألقى إحدى نكاته الطريفة

عن حالة المنزل..ضحكت بدون أن أشعر..ضحكة خافتة لا صوت لها تقريباً..

لكنني لم أتوقع أبداً بأن تصل إلى مسامعه رغم ذلك..أو بالأحرى تصل إلى قلبه لتجعله يتجمد

مجدداً ناظراً لي بشيءٍ من...من الانبهار الشديد !!

حينها لم أشعر بنفسي و أنا أستقيم قليلاً بعد أن كنتُ أنفض ذرات الغبار من الأرائك

باستعمال المكينة الصغيرة الخاصة بها..و تداعت الضحكة تماماً مع استيعاب جديد طرق عقلي...

هذه حقاً أول "ضحكة" تصدر مني بعد الحادث !

استغرق لؤي لحظات في الوقوف مكانه..حيث كان يولي ظهره لإحدى اللوحات الجميلة

هناك..ينظر لي بتلك الطريقة التي تبدو لشخصٍ رأى أغرب شيءٍ في حياته اليوم.. أو بالأحرى..أجمل

شيء !

فهذا ما رسمته نظراته بعدها بينما يقطع الخطوات القليلة بيننا ليقترّب مني.. إلى أن وقف أمامي.. و همس بينما يمد يده ليبعد خصلة كانت ترتكز على جانب وجهي بهدوء ؛

لقد ضحكتِ فعلاً ! هل كنت أتوهم ؟!!

ذلك البريق الذي رأيته في عينيه بينما يلقي بالسؤال الذي يحمل في طياته خوفاً من أن يكون ما رآه توهمًا حقًا.. جعل رجفة قوية تمر على طول جسدي.. و زادت يده الطين بلة بلمساتها الحانية على خدي.. و خاصة على غمازة خدي !

لم أستطع سوى أن أهز رأسي قليلاً في حركة شبه مرئية أجبت بها.. ثم همستُ الكلمة التي كنت سأندم لاحقاً لو لم أحررها ؛

_بفضلك !

رأيتُ كيف انحرفت عيناه قليلاً عن عينيائي لتستقر على حركة إبهامه فوق غمازة خدي الشبه ظاهرة.. و لأجله فقط... ابتسمت.. حتى و أنا لا أشعر برغبة حقيقية في الابتسام الآن.. ابتسمت فقط لأحقق له الرغبة التي دائماً ما قرأتها في عينيه..

أن يرى و يداعب تلك الغمازة في كل حين !

برقت عيناه أكثر كطفل تم تركه في مدينة ملاهي شاسعة مليئة بالألعاب بمجرد أن ظهرت ابتسامتي تلك.. و تلك المرة.. للمرة الأولى لا يسألني و لا ينتظر إذني قبل أن يميل عليّ ببطء ليقبل مكانه المفضل.. و لم أكن لأعترض إطلاقاً على حركة باتت تجعل نبضات قلبي ترتعش دفناً و... و دهشة ! بل أغمضتُ عينيائي بسلام و أنا أشعر بعقلي يضج بتساؤلات حمقاء.. كيف يمكن لمجرد قبلة صغيرة كتلك أن تفعل بي كل هذا ؟ أن تؤثر بي إلى هذا الحد ؟!!

إلى حد أنني رغبتُ بشدة.. بأن أطلب منه أن يبقي على تلك اللمسة قليلاً بعد ما إن رفع رأسه

ليقابل عينيائي المضطربتين !!

و سرعان ما عاد إبهامه ليرتّب فوق نفس المكان أثناء همسه بابتسامة ضئيلة لكنها تحمل

سعادة حقيقية لا مثيل لها ؛

_لقد ضحكتِ فعلاً !

وجدتُ نفسي كالمرّة السابقة أحرك رأسي ببطءٍ على جملته.. و كم من الخواء شعرت به

يلفحني ما إن أسقط يده و ابتعد خطوة يهيم بإتمام ما كان يفعله قبل أن... أضحك !

راقبته للحظاتٍ أخرى بينما يتجه إلى غرفتنا الجديدة ليختفي هناك قليلاً.. حينها فقط كنتُ
أزفر نفساً طويلاً التفتُ بعده لأكمل عملي.. لولا أن صوته الذي ارتفع بعد لحظة واحدة من الغرفة
لفت انتباهي إليه مجدداً ؛

_سجى..تعالى قليلاً..

تركتُ المكينة من يدي لأقترب من الغرفة.. إلى أن توقفت هناك أراه يقف بجانب السرير

ينظر إلى أربعة إطاراتٍ صور بعينين لامعتين.. ثم نظر لي سائلاً بهدوء ؛

_ما رأيك بأن نجد مكاناً نعلق به هذه الصور ؟

كنتُ أعرف فحوى الصور التي يتحدث عنها.. فقد وضعتها أنا و هو مع ثيابنا في

الحقيبة.. لكنني رغم ذلك اقتربت أكثر منه إلى أو وقفت بجانبه أنظر إلى الصور الجميلة هناك.. و التي

تم التقاطها جميعها بيد هادي..

كل صورة منهم تحكي حكاية منفصلة عن الأخرى.. و تحمل بداخلها ذكرى لطيفة من الثلاث

أشهر السابقة و التي لن أنساها ما حييت..

تجولت بعيناي بين كل صورة على حدا.. و قد كانت الأولى تضميني أنا و لؤي.. صورة التقطها لنا

هادي قبل شهرين تقريباً.. لقد كان ذلك اليوم من إحدى الأيام التي ذهبت فيها إلى الطبيب..

أتذكر بأن لؤي أوصلني إلى الباب ثم طلب مني الدخول بمفردي متعللاً بأنه سيذهب ليشترى

بعض المخبوزات اللذيذة لنا.. فقد كانت من عادة شهد أن تحضر القهوة في ذلك الوقت من المساء

تحديداً..

و قد ذهب بالفعل و دخلتُ أنا متجهة من فوري إلى الحديقة..

جلستُ بجانب الحوض الخاص بشهد أتأمل الورود المفتحة هناك بشروء.. إلى أن شعرت

بخطواتٍ هادئة تقترب مني.. فلم أكلف نفسي عناء الالتفات بما أنني تكهنت بصاحبها قبل أن يصل إليّ

حتى و يجلس بجانبني بهدوء..

ثم سمعتُ صوته يهمس قريباً مني بينما يشاركني النظر إلى الورود ؛

_هل تأخرت ؟!!

كان جوابي غاية في الهدوء.. همستُ بينما أحركُ رأسي بالنفي بخفوتٍ.. بدون أن أرفع رأسي

نحوه ؛

_إطلاقاً..

ثم نظرتُ له سائلة باهتمام ؛

_هل أحضرت ما ذهبت من أجله ؟

أوما لي لؤي آنذاك ببطءٍ و عيناه تغرقان في شرود جديد..لكنه على عكسي فقد كان شاردًا

لسبب...كان شاردًا بي !

و أنا تلقائيًا استطعتُ أن أستنتج أين وضعهم فقلت بينما أهم بالوقوف ؛

_سأذهب لأساعد شهد..

لكنه لم يسمح لي بخطوة أبعتها..فقد تفاجئتُ بيده التي ارتفعت لتمسك بمعصبي

برفق..ثم ما إن نظرت له..همس بنبرة شعرت بها غريبة ؛

_اجلسي معي قليلًا..

هل كان خيار الرفض متاحًا ؟ قطعًا لا !

عدتُ لأجلس بجانبه مسيرة ليده التي تركت معصبي ليس إلا لتلتفّ حول أصابعي بدفء..و

جلسنا لدقائق لا نفعل أيّ شيء سوى التمسكِ بأنامل بعضنا البعض و تأمل الحوض أحيانًا..و

السماء أحيانًا أخرى..

لكننا لم نتوقع أن تستقطب تلك الحركة البسيطة من لؤي..و التي فعلها أثناء جلوسنا

هناك..حينما مد يده ليبعد بعض الخصلات عن وجهي بدون حتى أن أنظر في عينيه..إلهام الفنان

هادي ليلتقط لنا صورة آنذاك..

صورة رائعة جعلتني أوّمن بموهبته الفطرية أكثر ممّا آمنتُ بها يومًا..

أما الثلاثة صور الأخرى..فقد كانت كلها من عيد ميلادي الذي كان قبل أيام قليلة..و لن أبالغ

لو وصفته بأجمل عيد ميلاد عشته في حياتي..

ظاهريًا...بدا الأمر كمجرد حفلة صغيرة فاجتني بها الثلاثة بعد عودتي من الجامعة برفقة

لؤي..لكنها عنت لي الكثير الكثير..أكثر ممّا يمكن لأيّ إنسان تصوره..

حتى أنني لم أشعر بعيناي اللتين دمعتا بشدة آنذاك ما إن توقفتُ في منتصف الهو أسمع

صوت التصفيفات من هادي و شهد..

و شاركهم أيضًا لؤي الذي لم يتوقف صوته عن التكرّر في ذهني بينما يغني أغنية عيد الميلاد

المعروفة..لا أعلم حتى كيف تذكره و أنا من كنت قد نسيتّه ! و كيف خطّط و دبر هو و شهد و هادي

ليصنعا لي تلك الحفلة اللطيفة في يوم واحد..لكنهم فعلوا..

و جعلوني لأول مرة خلال حياة طويلة..أشعر بأنني أمتلك عائلة قوية متماسكة فعلاً..ذلك

كان أجمل شعور مر في قلبي على الإطلاق !

صورة لي و أنا أقف أمام طاولة الشرفة المطلّة على الحديقة أقطع قالب الكيك الأبيض و
الثلاثة متواجدين بجاني..صورة لي أنا و لؤي بينما يقبل جبتي بذلك الحنان المنقطع النظير..و صورة
أخرى لأربعتنا..حيث كنتُ أقف أنا و شهد..و كلا من لؤي و هادي يقفان خلفنا و يضمّاننا من الخلف
بذراعيهما..

_دعنا نعلق الثلاثة صور الخاصة بعيد الميلاد هناك..
قلتُ أجيبة أخيراً بينما أشير إلى الجدار الفارغ و الذي يعلو السرير تحديداً..ثم انخفضت
قليلاً لأحمل الصورة الرابعة و التي تحتل مكانه خاصة في قلبي..
و أضفتُ بهدوء و أنا أنظر للجدار المقابل للسرير من جهة اليمين..هناك حيث تقبع نافذة
كبيرة تحتل الجدار بالكامل و تطل على الحديقة مباشرة ؛
_و نعلق هذه هنا..ما رأيك ؟!

_موافق !
قالها فوراً و بطريقة جعلتني أنظر له بغباء لوهلة و أنا أراه يبحث في الحقيبة مجدداً إلى أن
أخرج كيساً بلاستيكيّاً صغيراً به مجموعة من المسامير..راقبته بهيعة يشبه البريق الجميل في عينيه و
هو يصعد فوق السرير ليبدأ في تعليق الصور في المكان الذي اخترته.. صورتنا تنتصف الصورتين
الجميلتين..

ثم نزل من السرير بعدها متجهاً إلى الجدار الآخر ليترك المسامير به..و استدار نحوي ليأخذ
مني اللوحة التي أحملها منذ لحظاتٍ حيث قام بتعليقها في مكانها المخصّص بعناية فائقة..و كم
بدت...رائعة ! و كأنها وضعت في مكانها المثالي...غرفتنا!
بدون أن أشعر وجدتُ نفسي أقع في شرود لحظي بها..أشعر بأطياف الابتسامة تداعب
قلبي..و فعل لؤي مثلي...فقد تراجع خطوة صغيرة إلى أن وقف بجاني جاذباً انتباهي..و تاهت عيناه
قليلاً متأملاً صورتنا..

إلى أن همس الشيء الذي دار في ذهني قبل قليل..و كأننا نتشارك نفس الأفكار و المشاعر ؛
_رائعة جداً..و كأنها وضعت في مكانها المثالي !
الآن ارتسمت ابتسامة حقيقية على وجهي..و أدركتُ رأسي قليلاً نحوه لأنظر إلى جانب وجهه
المبتسم مثلي بمحبة..ثم ما إن استدار نحوي ليمنحني عينيه البراقتين..لم أشعر بنفسي و أنا أميل
قليلاً ناحيته إلى أن اتكأت برأسي على كتفه..

أحاطت جذعه من الخلف بهدوء شديد...أتحسّس نبض قلبه بأصابعي بهدوء أشد...نفسه ذلك
الهدوء الذي التفت به ذراعه حول كتفائي..وحطت يده الحنونة على شعري..
و بشفتيه..طبع قبلة جد معبرة على جبيني..قبلة أغمضت على إثرها عيني بدون أن أرفع
رأسي أو أنظر له..بقيت فقط أنظر للصورة المميزة أمامي..و هو يشاركني تأمل انعكاسنا الجميل
هناك..

بنسخة سجي الجديدة..الحاملة و الد.....عاشقة !

#شهد

لم أستطع إطلاقاً أن أقابلها قبل سفري..شعرتُ بأنني ما إن أراها حتى تهرب الكلمات من بين
شفتاي لتشكّل حقيقة أريد البوح بها بكل جوارحي..لكن ليس الآن..ليس قبل أن أتخلص من كل هذا
التشوش و القلق الذي يسكن عقلي و قلبي..
أريد أن أقابل تلك المرأة التي تسمى خالتي بالدم ليس لأن شوقي لها يفوق شوقي للنظر في عيني
سجي و الافصح بحقيقة لا أعلم حتى الآن كيف استوعبها..لكنني قبل حتى أن استوعبها...أحببتها
بشدة !

أن تكون تلك الإنسانية الرائعة بكل ما تحمله الكلمة من معنى..أول شخصٍ عاملني بلطفٍ و
لم يحكم عليّ من شكلي أو خلفيتي..أول شخصٍ نظر في عيني ليقدّم لي نصيحة لم أنساها حتى هذه
اللحظة..كلمات أول حوار دار بيننا في منزلنا أنا و هادي في المطبخ..
" لا ترتبكي بهذا الشكل يا شهد..أنتِ هنا في بيتك..تذكرني أنكِ زوجة هادي و نحن هنا من
نزورك..لهذا ارفعي رأسك هكذا و كوني واثقة حينما تتحدثين إلى أيّ منا..خاصة و هادي يقدم لك كل
هذا الدعم..لن تجدي شاباً أفضل من هادي يا شهد..صدقيني !"

لقد كانت تتحدث يومها ك...كأختٍ تخاطب أختها الصغيرة فعلاً ! كانت لدي أخت منذ

البداية..سند قوي..لكنني فقط...لم أستوعب !

لم أفهم..لم أحاول أن أفهم !

كيف كنتُ أشعر بالنقص بجانبها و هي جزء مني ؟ كيف منعت نفسي ذات يوم و أنا أرى

ذبولها من أن أسألها عن حالها بحق ؟!

كيف لم أكن معها و لم تكن معي في أشد لحظاتنا حزناً و التي يتشاركها كل إخوة عاديون !

و مجددًا أجد عقلي ينجرف لاسم واحد...عفاف !

تلك المرأة التي سرقت مني سنوات مديدة لن يعوضها الزمن..و أحمد الله بشدة أن زرع في قلبيها

القليل من الذنب ما يكفي لتطلعي على هذه الحقيقة !

كنتُ أجلس في السيارة بجانب هادي..لقد فضل هادي أن نساfer بالسيارة بدل القطار..و أنا

لم أكن لأمانع إطلاقًا التواجد معه في أي مكان بمفردنا..كنت أستند إلى رأس المقعد برأسي

باسترخاء..بينما عيناى تر اقبان حركة الشارع بإرهاق..

الكسل يستحوذ على جسدي و رغبة في النوم تزيد في كل لحظة..خاصة و أنا أستشعر حركات

أصابعه التي لم تتوقف عن تمسيد أصابعي الملقاة على المقعد بين كل لحظة و أخرى..

و أعلم أيضًا بأن عينيه تسترقان النظرات إليّ بنفس الوتيرة..لقد قالت سحى جملة صحيحة

حقيقية..

" لن تجدي شابًا أفضل من هادي يا شهد..صدقيني !"

كانت تلك أصدق جملة سمعتها من أي أحد طوال حياتي..ذلك لأنني أؤمن بأنه الرجل الأفضل

و الأجمل..نصفي الثاني المثالي رغم عيوب لا أتذكرها..غير أن كل عيب يزيده مثالية في عيناى !

_هل أنتِ جائعة ؟

سمعتُ صوته يسألني بهدوء شديد..فحركت رأسي بالنفي بدون أن أستدير نحوه ؛

_لا..أتمنى فقط..أن نصل بسرعة..

قبل أن ألتفت نحوه و اسأله مجددًا حينما تذكرتُ شيئًا ما ؛

_هل تحدثت إلى سحى و لؤي ؟!!

كنتُ أقصد بحديثه معهما أن يخبرهما بموضوع اضطرارنا للسفر فجأة بسبب عمل لديه كما

اتفقنا..قال هادي بنبرة عادية بدون أن يبعد عينيه عن الطريق ؛

_نعم..لؤي عاتب علينا بشدة و سحى تفهمت الموقف رغم تذمرها في البداية..

أومأت له ببطءٍ و بغير ارتياح تام..قبل أن أعود لأتخذ نفس الوضعية..و استغرقت لحظات

أخرى في تأمل حركة الشارع أحاول بشدة أن أمنع جفوني من الانغلاق..

لكنني في النهاية عجزت..فلم أشعر بتلك التهيدة التي خرجت مرهقة من جوف صدري..بعد

أن سمحت لجفوني بالانسداد ببطءٍ..و استسلمتُ للنوم..

لم أعرف بعدها كم نمتُ تحديدًا.. لكنني علمت بأن الأمر امتد لساعاتٍ حينما فتحت عيناى فجأة لأجد السيارة تسير بنفس الهدوء.. لكن هذه المرة لم تكن تسير فى طريق مكتظ بالسيارات كما السابق.. بل فى شارع طويل فارغ تمامًا..

_وأخيرًا استيقظت.. لقد كدت أن أصاب بصداع نصفى من صوت شخيرك..
طرفت بعيناى ببطءٍ و أنا أستوعب جملة تلك.. قبل أن ألتفت بسرعة لأنظر له مكررة ؛
_شخيرى؟! هل..كنت.....

صمتُ أنظر له بدهشة مختلطة ببعض الاحراج.. ورأيت كيف ارتسمت ابتسامة واسعة على شفاهه.. ثم رمقنى بنظرة سريعة و هو يهم بإجابتى.. لكنه عاد ليتراجع ناظرًا إلى وجهى بشيء من...القلق
!

ثم بدلًا عن ذلك همس بنبرة شامها بعض اللوم و هو يتجاهل الطريق للحظات ؛
_وجهك شاحب بشدة..كان الأخرى بنا أن ننتظر ليوم أو يومين قبل السفر..
هل أخبرتكم عن قدر الحزن الذى ترسله نبرة القلق أو اللوم فى صوته إلى قلبى ؟ ذلك الحزن
هو ما جعلنى أرد بخفوتٍ و كأننى أعتذر ؛
_لقد سمحت الطيبة بذلك..

لكن صوته لم يلى..و لم تتغير تعابيرهِ و هو يردف بجدية بينما يعود ليولى انتباههِ إلى الطريق ؛

_حتى و لو..الطيبة لم تقابلِك ل ترى وجهك بكل هذا الشحوب الذى يحتله..
حسنًا..نوعًا ما هو كان محقًا..فأنا ذاتًا أشعر بنفسى مرهقة إلى حد كبير يجعلنى لا أرغب
سوى بالنوم لوقتٍ طويل طويل..

لكننى رغم ذلك قلت محاولة إبعاد ذلك القلق عن عينيه ؛
_هذا أمر طبيعى جدًا هادى..كل النساء يعانون من نفس الأعراض خلال فترة الحمل..
لم ألقى منه أي رد فعل سوى من هزة من رأسه لم ترق لى أبدًا..فمددتُ يدي نحوه إلى أن
لمست ذراعه الذى كان على المقود..

و حينها فقط رأيت عينيه تنجرفان لتلك اللمسة..
ثم نظر لى بنظرة لانت قليلًا..حينها همستُ برجاء خافت ؛
_توقف عن القلق أرجوك...أنا بخير !

عادت عيناه لتحديقان بتلك الحركة البديهية التي يبدو بأنها راقته له فعلاً..استمر تحديقته للحظات وكأنه يحاول أن يأخذ قراراً حيال تصديقي أو لا..ثم طرف بعينه فجأة ليقول بتسلية خفية لمحتها واضحة في صوته ؛

_حسناً سأتوقف..لكن بشرط !

مجرد شرط ؟!! لماذا ألمح هناك تلميحاً غريباً في كلمة شرط ؟!!

أبعدت يدي ببطءٍ و أنا أقول برحابة رغم بعض الخجل الذي احتقنت به وجنتاي لمجرد تفكيري بشرطه الرائع..بما أنني أكثر من يعرفه و يعرف بأنه لا ينطق كلمة شرط إلا في اللحظات التي يكون فيها في أوج رواقه و...و انحرافه !

_ما هو ؟!!

لم يرد على سؤالي..بل صمت للحظة أخرى ثم نظر لي بطرف عينيه سائلاً بنبرة ذات مغزى ؛

_كم مرة ناديتك "حبيبتي" منذ أن تزوجنا ؟!!

أي سؤال هذا ؟

فتحتُ فمي و كأنني سأجيبه لكنني لم أجد أقوله له فعلاً فعدت لأغلقه ناظرة إليه بغباء..و لم

يبدو هو بحاجة لأكثر من ردة الفعل تلك..فأكمل مؤكداً بحاجب مرتفع ؛

_لا تتذكرين..صحيح ؟ ربما لأنني أناديك بها أكثر من عشر مرات في اليوم..

لم أفهم غايته من قول كل ذلك..هل يعاتبني على شيء ما ؟!! إلى أن أضاف سؤالاً آخر بنفس

نبرته ؛

_الآن..كم مرة ناديتني أنتِ بحبيبي ؟!

هل هذا هو الشرط إذن ؟ بغض النظر عن الشرط..لقد استوعبت للتو بأنني لم أناديه بتلك

الكلمة و لو لمرة واحدة من قبل إطلاقاً!

لقد اعتدتُ دائماً أن أناديه باسمه كأجمل اسم تنطقه شفاهي..لم أخبره إطلاقاً من قبل كم

أحب اسمه..كم أحب كل شيء متعلق به..كم من السعادة أشعر بها في كل مرة أناديه باسمه المجرد

فيستدير نحوي ليمنحني عينيه ملبياً النداء..

و أنا التي ناديته من قبل مئات المرات و لم يسمعي..ناديته بعيناي و بقلبي و بلساني أيضاً..و

تلقت نداءاتي المشرفات بفيض من العنف و الغضب..إلى أن تم تكميم تلك الشفاه عن النطق باسمه

مجدداً في العلن..

الآن يريدني أن أستبدله بكلمة أخرى ؟ ألا يدركُ من من المشاعر يحمله كل حرف يلفظه

لساني من حروف اسمه ؟!!

_الجواب هو و لا مرة !

صوته أخرجني من شرودي..فطرفتُ بعيناي بسرعة..ثم قلت بحذر و أنا أرى التضايق

الزائف يستوطن ملامحه ؛

_ما...هو الشرط إذا ؟!

نظر لي و كأنه ينظر إلى أغبي كائن في العالم..و هذا ما بدوتُ عليه في الحقيقة و أنا أتصنع

الجهل..قبل أن يقول بجدية تكاد أن تكون حقيقية ؛

_ألم تفهمي المغزى من كلامي بعد ؟

تعمدتُ أن أحرك رأسي بالنفي مكملة في تمثيلي..لأول مرة أقرر أن أتسلى أنا أيضًا على

حسابه..حسنًا أحب اسمه جدًّا..لكنني لا أمانع أن أناديه بكلمة تطرق عقلي عفويًا كلما تطلعت به !

قال و هو ينظر لي بدون أن يتوقف عن القيادة بصبر لا يليق به ؛

_قولها الآن..أريد أن أسمعها من بين شفتيك !

ابتلعت ريتي ببطءٍ و أنا أسأله مجددًا بنفس الغباء الذي أصبح زائفًا الآن ؛

_ماذا...أقول ؟!!

تسمر هادي للحظة ينظر لي بطريقة صارمة جعلتني أقول بسرعة ؛

_حسنًا حسنًا فهمت..

لانت نظرتة قليلًا بعد جملتي..و ظهر شيء من الترقب في عينيه تزامنًا مع التهيدة البائسة التي

أطلقتها من بين شفتي..قبل أن أقول ببطءٍ..أحاول أن أتحامل على التوهج الذي احتل وجنتاي و

شعرت بحرارته بوضوح ؛

_ما أردت قوله هو..أقصد...أنني لم أناديك هكذا من قبل لكن...ليس لأنني لا أريد إنما

فقط...أحب اسمك جدًّا و.....

صمتُ فجأة و أنا أسمع صوت تأفف خافتٍ منه تزامنًا مع التفاته جانبًا و كأنه يئس مني..و لم

أشعر آنذاك بلساني الأبله الذي انطلق يشكل حروف الكلمة ؛

_حبيبي !!

التفت إليّ منتفضًا هاتفًا بسرعة ؛

_ماذا ؟!!

يا الله كيف نطقها بكل ذلك الغباء ؟ ابتلعتُ ريقى بصعوبة قليلاً و أنا أحاول تكرارها لعدة مرات.. إلى أن نجحت فعلاً.. لكن صوتي خرج خافتاً جداً و أنا أهمس ؛

_حبيبي ؟

برقت عيناه بشدة بدت لي مفاجئة في اللحظة الأولى و هو يتوقف بالسيارة في جانب الطريق فجأة..و الحمد لله أننا تخطينا الطريق المكتظ سابقاً بالفعل و إلا كنا لنموت ضحية حادث سير شنيع..

_لماذا توقفت ؟!!

قلتُ غير قادرة على إخفاء ذهولي المختلط بشيءٍ من الجزع..و سمعت صوته يقول بلا مبالاة بينما يفكّ حزام الأمان بحركاتٍ سريعة ؛

_لقد تعبت من القيادة..سنرتاح قليلاً و بعد أن نتناول شيئاً ما نكمل الطريق..

اقترب مني بعدها بسرعة ليطوق وجهي مردفاً ؛

_كرّرها..

بالكاد استطعتُ أن أخرج من تأثير حركته المتهورة السابقة لأدقق النظر في عينيه.. و لم أمانع إطلاقاً تنفيذ ذلك الأمر و أنا أشعر بأنامله تدغدغ بشرتي برقة..

همستُ أرسم شبه ابتسامة صغيرة على وجهي ؛

_حبيبي..

و ازدادت بروزاً و أنا أراه يغلق عينيه كمن يستلذ بشيءٍ ما.. لكنه لم يكتفي رغم ذلك..همس بصوتٍ أجش أشد خفوتاً ؛

_كرّرها..

أغمضتُ عينيائي مثله و أنا أردد بوداعة ؛

_حبيبي...

فشعرتُ بجبينه على جبيني و صوته خافتاً أكثر و أكثر ؛

_مجدداً شهد..أريد سماعها مجدداً..

حنان غريب احتل قلبي و أنا أرفع يداي لألمس بهما يديه المطوقتين لوجهي هامسة بطاعة ؛

_حبيبي...

انقباض غريب شعرته في معدتي حينما تركّ جبيني لا لشيءٍ إلا ليميل على وجنتي المتوهجة

بقبله طويلة.. دافئة.....جداً!!

_مجددًا..

_حبيبي...

قبله أخرى أكثر دفئًا شعرتها على وجنتي الأخرى و أنا أسمعها يكرّر بجوار أذني للمرة التي لا
أذكر كم ؛

_مجددًا.....

حينها..فتحتُ عيني لأقابل عينيه القريبتين..و ساد بيننا صمت قصير بدا و كأن عيني فقط
من تكررّان الكلمة مرارًا و تكرارًا..لكن الاصرار في عينيه لم يذبل..و عاد ليهمس بنفس النبرة الشبه
مسموعة ؛

_مجددًا..

رأيتُ كيف انجرفت أنظاره إلى شفّتي و أنا أهمس ببطءٍ..أحرّر إحدى يديه لا لشيءٍ إلّا لألمس
فكه الحاد متأمله إياه بحُب تخطى كل حدود المنطق ؛

_حبيبي..حبيبي..حبيبي.....

لكنني لم أستطع إكمالها تلك المرة..فقد كان قد قطع المسافة بيننا ليتذوق كل الحروف التي
كرّرتها مرارًا من شفّتي..و ما حدث لي حينها كان أنني انهرت..انهرتُ تمامًا و أنا أطبق عيني متناسية
تواجدنا خارج البيت بإرادتي ربما..

فأنا أحيانًا أصبحت أعجز عن التعرف إلى نفسي و أنا معه !

نصبح شخصًا واحدًا..شخصًا مجنونًا بتأثير الحُب..شخصًا واحدًا يجلس أمام انعكاسه الذي
لا يفارقه حتى بعد النوم..لقد كان هادي بالنسبة لي كحلُم أعيشه بكل جوارحي..حلُم أخشى من أن
أستيقظ منه على فاجعة الحياة !

رغم ذلك فقد وجدتُ نفسي أهمس بأنفاسٍ ملاهثة ما إن ابتعد قليلًا و عادت جيّهته لتلمس
جبيتي ؛

_نحن في الشارع..ماذا لو رأنا أحد ؟!!

لم أستغرب إطلاقًا من ردة فعله التي توقعتها أساسًا..حينما قال مبتسمًا بمزاج رائق جدًا ؛
_ماذا لو رأنا أحد !! لا أحد يستطيع أن يمنعني من تقبيل زوجتي في أيّ مكان أريد باستثناء
زوجتي نفسها !

الآن استغربتُ فعلاً..استغربتُ من آخر جملة نطقها..و همست باستنكار حقيقي و شعور
سيء ينتابني نحو تلك الجملة ؛

_أمنعك ؟ أنا ؟!!! إطلاّقاً لن يأتي يوم أفعل فيه شيئاً كهذا !!
علمتُ بأنه تعمد أن ينطق تلكَ الجملة حينما سمعت سؤاله التالي ؛
_لماذا ؟!!

و لم أجد ما يمنعني من أن أبوح بما يريد مني البوح به..للمرة الألف أرى في عينيه رغبة
الاستماع إلى مشاعري و التمعن فيها..
قلتُ بأنفاس لم تستعد رتابتها و أنا أسدل رموشي عنه..أنظر لحركة أناملي التي كانت تتلاعب
عشوائياً بياقة معطفه الأسود الضخم ؛
_لأنك أنت...هادي..صديق طفولتي...و..زوجي...و.....
صمتُ فجأة بدون أن أرفع عينائي نحوه..فسمعت صوته يحثني برفق بينما يمسح على تلكَ
الرموش المنسابة على عينائي تضع بيني و بينه حدود نظراتٍ لامعة بالحُب..لو رآها الآن لكان الانهيار
من نصيبه هو لا العكس !

_و.....؟

_و...حبيبي !!

شعرتُ بأنفاسه اللاهثة تتوقف فجأة..فرفعت عينائي لأقابل عينيه مجدداً مضيفة بصدق ؛
_الأول..الوحيد..الأفضل...و الأبدى !!

صمت قصير ساد بيننا مجدداً..صمت محمل بنظرة حنان عميق استوطنت حدقتيه..ثم
همس لي فجأة مبتسماً بحُب شديد ؛

_كيف تحولين الكلمات العادية إلى "معجزات" كلما نطقتهما ؟!! متى أصبحتِ تجيدين التعبير
إلى هذا الحد ؟!!

كان جوابي المثالي أن حركتُ كتفائي باستسلام هامسة ببساطة ؛

_إنها مجرد مشاعر بقيت أخنقها في قلبي لسنوات طويلة..و حينما سمحت لها

بالتحرر..أصبحت تسبقني في التعبير قبل حتى أن أسمع لها..

ابتسامة ضئيلة شقت شفثيه..بينما تضاعف البريق الخلاب في عينيه الجذابتين في أغمق

درجاتِ البني و هو يتأملني لثوان أخرى كمن يتأمل معجزة بالفعل..

ثم اقترب مني..تلكَ المرة ليلثم جبتي مطولاً..

ابتسامة أخيرة منحها لي..قبل أن يستدير ليقول بنبرة شبه متحشجة بينما يهم بفتح الباب

للنزول ؛

_على حسب ما أتذكر..لقد قرأت بأن هناك مطعم جيد على بعد شارع واحد من هذا

الطريق..دعينا نذهب إليه لتتناول شيئاً..

ثم أضاف فوراً بغیظ و هو يخرج من السيارة أخيراً و أنا بعده ؛

_لا بد أن المزعج طفلك يكاد أن يموت من الجوع !

لم أستطع أن أتمالك نفسي في هذه اللحظة من أن أبتسم بينما أشد على طرفي معطفي

الأسود الذي أرتيه فوق فستاني الأزرق الواسع..

ابتسامة واسعة يائسة من فكرة أن أستطيع إفهامه بأننا لم نعرف هوية طفلنا بعد..و لا نعلم

حتى إن كان صبيّاً أو صبية..لكنني أعلم بأن شعور الذنب سيلازمه طويلاً لو تبين بأنها صبية تلك التي

لا يتوقف عن شتمها طوال الوقت !

استلزمنا الأمر ساعة أخرى تقريباً لنصل إلى العنوان المنشود..إلى أن توقفت السيارة أمام

بيت بسيط جداً..و توقفت معها أنفاسي ما إن وقعت أنظاري عليه..

هل هنا تعيش "خالتي" فعلاً ؟ هل سأقابلها حقاً ؟! بعد كل هذا الوقت !!!

_شهد..

رفعت رأسي بسرعة حينما سمعت هذا النداء الحاني يوجه لي من طرف هادي الذي لم أعلم

متى دار حول السيارة و فتح الباب من جهتي..و كم بدت عيناه قادرتان على اختراق كل جوارحي في تلك

اللحظة..تفهمني تماماً.. كما يجيد قلبه فهمني !

كنتُ أضع كل شعري خلف ظهري..و مع ذلك فقط شعرت به يضايقي حينما انفلتت خصلة

منه إلى جانب وجهي..فرفعت يدي بتوتر لأبعدها..لكن يد هادي امتدت في نفس اللحظة لتقبض على

تلك الأصابع المرتجفة..

ثم قال بحزم جاد و هو يسحبني نحوه برفق إلى أن أصبحت واقفة بجانبه..أنظر في عينيه

بينما كل تفكيري عند ذلك المنزل و مكانه..

_تعال..

و كأن صوته كان الشيء الوحيد القادر على منحي بعض القوة و نبذ الكثير من

التوتر..فوجدتُ نفسي أسير برفقته نحو المنزل..بخطواتٍ هادئة ظاهرياً مضطربة داخلياً..

إلى أن رفع يده ليترك الباب..طريقة..اثنتان..و كان الباب يفتح على مصراعيه و كأن من

بالداخل كان يقف خلفه منتظراً قدومنا..

كانت هناك امرأة أربعينية..تشبني..تشبني جداً..تشبه تلك المرأة في الصورة وكأنها نسخة أخرى منها..امرأة استطاع قلبي أن يمنحها تعريفاً ما إن رأيته..و لم أشعر بالهمسة المختنقة التي ترددت بداخلي..إنها خالتي...

أنا أقف أمام خالتي الحقيقية الآن..فرد من عائلتي التي ظننتها غير موجودة..جزء من أمي الحقيقية و...و مني ! مهما ارتكبت من ذنوبٍ في حقي !!

كانت تضع شالاً فوق شعرها المجموع..تضعه بعشوائية أنيقة وتلفه حول عنقها تاركة القليل من شعرها الأسود ظاهراً للعيان..

تسمرت مثلنا لوقتٍ طويل و هي تعقد حاجبها بشدة..

عينها تتوقفان على هادي قليلاً ثم تعودان لتنظران لي بحيرة..ثم تنظران إلى هادي ثم لي..ثم توقفت عن النظر لهادي نهائياً..و بدأت العقدة بين حاجبها تنفك ببطءٍ و هي تحديق بي بتدقيق شديد..

عينها تتجولان في كل إنش من ملامحي..قبل أن تعودان لتستقران في عيناى.. استمر الوضع لوقتٍ طال أكثر من اللازم..نظراتها الصامتة و نظراتي النابضة بالدهشة و الاستيعاب..ثم فجأة...سمعت صوت شهقة قوية تصدر منها..شهقة جمعت ما بين البكاء و الضحك و هي تقول فجأة بأمل..بلهفة كبيرة ؛

_شهد...شهد...أنتِ شهد...ابنة الغالية شهد ؟ لا يمكن أن تخطئ عيناى..قد أخطأ في كل شيءٍ إلا في التعرف عليكِ..

ارتجافة قوية مرت على طول جسدي..و لم أشعر بالدموع التي انزلقت من تحت جفوني بسخاء شديد لتغرق وجهي..بينما تمسكت أناملى أكثر بأنامل هادي التي لم تتوقف عن الضغط على يدي بمساندة و احتواء..

كانت تنتظر جواباً مني..رغم أنها تعرف الجواب مسبقاً إلا أنها أرادت تأكيداً..و منحتها

تأكيداً..همستُ أشهق مثلها بصوتٍ مختنق شبه مسموع ؛

_أنا...شهد...ابنة...بلقيس !!!

لم أكد أكمل كلامي..حتى وجدتها تقترب مني بسرعة لتجذبني إلى حضنها بقوة شديدة..لدرجة أن أناملى كادت أن تفلت يد هادي..لكنني رفضتُ أن أفلتها..

كنتُ أعلم حتى و أنا في خضم موقف كهذا ما الذي قد تعنيه حركة مشابهة له..أن أترك يده لأحتضن هذه المرأة التي قابلتها للتو..أن أتخلى عن أنامله فقط لأنني وجدت فرداً من عائلتي !

لهذا فقط...أطبقتُ عيناى بقوة كما أطبقت أناملى حول يده أتمسكُ بأنامله أكثر و أكثر..هو
عائلى الأولى التى تأتى قبل كل عائلة..عائلى بالدم و بالعاطفة و بالحب و بكل شىء...هو كل شىء

عندى !

رغم ذلك..فلم أستطع أن أمنع ذلك الشعور الذى انتابنى بمجرد أن شعرتُ بحضنها..و

كاننى...أضم والدتى ! أو على الأقل أضم جزءاً منها..

فرفعتُ يدى الحرة لأربت على ظهرها..و أغمضت عيناى أكثر رغبة باختبار معنى أن يعانق

الإنسان عطر والدته للمرة الأولى !

" 56 :جسدان بروج واحدة "

#الكاتبة

لم تترك طريقة إلّا و رَحبت بها -بها-..كانت عيناها تلمعان حرفياً سعادة و شوقاً و تأثراً..كانت مندهشة لدرجة أنها لم تلاحظ بطن شهد و لم تركّز لتسألها عن هادي إلّا بعد أن فصلت عناقهما الطويل لتطوق وجهها ناظرة لها بعينين تفيضان بالدموع..

لا تصدق أنها أتت فعلاً..لقد أتت ابنة أختها لزيارتها في النهاية..انصاعت عند رجاءها و لو استغرقها الأمر شهوراً عديدة لتأخذ هذا القرار..

قَبِلت وجنتها..جبينها..و لم تتوقف عن النظر لها بتلك الصدمة و الدهشة الشديدة على ملامحها إلّا حينما وقعت عيناها على بطنها بالصدفة..حينها فقط وجدت نفسها تتسمّر تماماً كما توقف سيلان الدموع من عينيها فجأة..

ثم رفعت رأسها بأمر من عقلها الذي بدأ بالادرّاك الآن لترمق هادي بتفحّصٍ..و سرعان ما سمعت صوت شهد تهمس بصوتها المتهدج بهدوء ؛

_إنه زوجي...هادي أكرم الشاذلي !

علِم هادي بأنها تعمّدت أن تنطق اسمه الكامل و كأنها تخبر خالتها عن هويته بطريقة غير مباشرة..و لم يستغرب أيّ منهما و هما يلاحظان شحوب ملامحها اللحظي..و التفاجئ الكبير الذي ظهر على وجهها..

بدون أن تقول شيئاً للحظاتٍ..فقد ظلت و اقفة مكانها تنقل عينيها بينهما بصمتٍ للحظاتٍ أخرى..إلى أن مد هادي يده الحرة قائلاً بهدوء ؛

_تشرفت بلقاءك سيدتي..

توترت ملامح لبني أكثر..و رمقت شهد بنظرة أخرى و كأنها فقط تحاول أن تتأكد إن كان الاسم الذي سمعته صحيحاً..هل سمّحت السيدة عفاف لابنها بالزواج من شهد !!؟

صافحت هادي بتردّد مكتفية بإيماءة ضائعة قليلاً من رأسها..قبل أن تراجع مضيفة بعد أن نجحت في تمالك نفسها قليلاً ؛

_ادخلا..

جلسا بجانب بعضهما في أريكتين ملتصقتين بسيطتي التغليف كانتا تحتلان الهو الصغير
نسبيًا..

كان المنزل رغم بساطته إلا أنه جميل و مرتب و أنيق..و يبدو في حال أفضل بكثير من حال
القديم حيث عاشت بمفردها لفترة من الزمن..
شعرت بارتياح نسيي مع هذا الإدراك..حتى و لو لم يكن كبيرًا جدًا أو فخم الأثاث إلا أنه جيد
بالنسبة لأسرة كاملة كانت تعيش في ذلك الوضع سابقًا..

بينما اتجهت السيدة لبنى من فورها إلى المطبخ بغاية إعداد القهوة..ثم عادت بعد قليل
لتتخذ الأريكة المقابلة لهما..و فورًا...كانت تمتد يدها لتقبض على يد شهد بلهفة..ثم همست مباشرة
بنبرة مزجت ما بين الترقب و القلق ؛

_أخبراني عن...علاقتكما..كيف بدأت و متى تعرفتما على بعضكما البعض !!?
التفتت ببطءٍ لتنظر إلى هادي..و كان هو من تنحنح ليبدأ الحديث بجدية..لم يخبرها
الحقيقة كاملة..تعمدًا أن يحذف منها كل ما سيحول الأجواء إلى مكهربية بما أن كل ذلك قد أصبح من
الماضي فعلاً..

أخبرها عن لقاءاتهما في الطفولة..صداقتهما الجميلة..و قرارهما الذي اتخذهما بكامل إرادتهما
بالزواج بعد فترة من خروجها من دار الأيتام..و كأن فترة زواجهما الأول..تهديد والدته و العقد الذي
وقعته...كانت مجرد أوها م !

فلتظن بأنهما كانا سويًا و لم يفترقا طوال السنوات الماضية..و بأن زواجهما كان طبيعيًا منذ
البداية..و الأهم...لا تريدها شهد أن تعرف إطلاقًا بأنها لم تقرأ الرسائل إلا قبل أيام معدودة..
فلتظن بأن الرسائل كانت تصلها كل سنة كما أرادت..و بأنها تعرفها منذ الطفولة..لا تريد لها
رغم كل شيء أن تعاني صدمة كتلك..أو أن تعيش ما تبقى من حياتها تكابد شعورًا جديدًا بالذنب..
ربما ترتاح أكثر بعد أن تراها بجانب من تحب بخير..و ربما ترتاح هي أيضًا لو أثرت تناسي كل
الماضي و...و منح الغفران للإنسانة الوحيدة التي تبقت لها من طرف والدتها!..
بالنهاية هي ليست أمها..بل...خالتها فقط...

و كل ما فعلته سابقًا أو ستفعله دافعه حُب صادق لا غير!
لهذا فقط..هي لا تريد محاسبتها على أي شيء..لا تريد عتابها أو لومها..لقد أتت بغاية واحدة
إلى هنا..أن تتعرف على الإنسانة الوحيدة المتبقية لها من عائلة أمها..و ربما أيضًا لتسمع عن والدتها
أكثر بلسان أقرب شخصٍ إليها..

و رغم ذلك...فقد كان هناك سؤال واحد عالق في ذهنها تود طرحه عليها..وقد كانت تخطّط لتفعل بعد أن ينتهيا من سرد قصتهما المعدلة..لكن خالتها سبقتها حينما قالت بدهشة استوطنت كل ملامحها ؛

_شيء واحد لا أستطيع استيعابه..كيف وافقت السيدة عفاف على هذا الارتباط ؟!

مجددًا كان هادي من يجيب بجدية و اختصار ؛

_حسنًا..هي لم توافق فعليًا..لكنها رضخت بطريقة ما..

لم تحاول لبني الإلحاح في الأسئلة أكثر..لكنها أيضًا عجزت عن عدم التعليق بانبهار حزين و هي تنظر بينهما بحنان ؛

_هل تحبان بعضكما إلى هذا الحد ؟!

كانت تقصد الحد الذي وضحته طريقة تحدثهما طيلة الوقت..حتى الطريقة التي كان هادي يتمسكُ بها بأنامل شهد فوق مسندي الأريكتين حيث يجلسان..و كيف كان إبهامه يتجول فوق ظاهر كفها ممسّدًا بشرتها في حركة علمت بأنها بديهية جدًّا..

لم يكن هناك أيّ جواب كفيّل بإيفاء سُؤالها حقه..ذلك لأنّ حُبهما لم يكن شيئًا يمكن وصفه بالكلمات أو حصره في كلمة واحدة..لهذا فقط..اكتفيا بالصمت للحظاتٍ أمامها.. إلى أن سحبت شهد نفسًا طويلًا..لتلقي السؤال الذي أرادت سؤاله منذ أن قرأت الرسالة الأخيرة التي تطلب منها فيها زيارتها ؛

_لماذا لم...تحاولي التواصل معي بعد خروجي من دار الأيتام ؟!!

قالت لبني بكل صدق و وضوح و هي تتشبث بيدها أكثر..لا تزال تنقل عينها بين كل إنشٍ في وجهها بسعادة و دهشة لم تتداعى بعد ؛

_لقد فكرت بأن أتواصل معك فعلاً..حتى أنني فكّرت بالسفر إليك..خاصة و أنا أنتظر زيارتك لمدة أشهر طويلة عبثًا..لكن في كل مرة كانت تمنعني رغبة صادقة في قلبي بأن تأتي إليّ بنفسك..لم أرد أن أوثر في قرارك أبدًا حيال مسامحتي أم لا..لا أعلم إن كنت قد سامحتني فعلاً أو لا..لكن ما يهمني الآن فقط بأنك هنا بالفعل..لقد أتيت إليّ بعد كل هذه الشهور بنفسك و لا تعلمين كم تأثرت بهذا.. صمّنت للحظة..ثم استأنفت مبتسمة بنفس نبرتها الحانية الخافتة ؛

_كما أنني لم أتوقف عن السؤال عنك..لقد أرسلت عدة رسائل إلى السيدة عفاف..أحيانًا

أجابتي باختصار و أنا أسألها عن حالكِ و أحيانًا تجاهلت رسالتي..

أسدلت شهد رموشها على نظرة استطاع هادي أن يقرأها بوضوح..ذنب آخر تركبه والدته في حقها!

بينما ساد صمت حزين بين الثلاثة..إلى أن قطعت لبنى بصوتها الخفيض الذي تلون بالحزن فجأة و هي تقترب من شهد بوجهها قليلاً ؛

_هل سامحتني شهد ؟ على كل تلك السنوات التي تركتك فيها ؟!!

لم تستطع شهد أن تجيبها..لقد كادت أن تجزم بداخلها قبل دقائق بأنها سامحتها فعلاً..و هي تشعر بأنها سامحتها فعلاً..لكن...كيف تنطقها ؟

صمت آخر ساد من طرفها الآن..ظلت خلاله تسدل رموشها فوق نظرات حائرة حزينة..إلى أن رفعت رأسها نحو خالتها ببطء..و حينها همست مغيرة كل منحنى الموضوع ؛

_هل...يمكنك أن تحكي لي عنها قليلاً ؟!!

شحبت ملامح لبنى قليلاً و هي تسمع هذا السؤال.. ليس من السؤال نفسه..بل من طريقة شهد في تجنب الإجابة عن سؤالها هي..لكنها لم تلبث أن تنهدت لتبعد أي أثر للحزن عن ملامحها..و قالت بصوتٍ أرادت أن يكون حازماً لطيفاً ؛

_ليس الآن حبيبتي..أولاً سأجهز لكما غرفتكما لتأخذا قسطاً من الراحة..و بعد العشاء نتحدث القدر الذي تشاءين..

أومأت لها شهد بتردد و هي تراها تقف فجأة متخفية عن يدها..لكنها لم تلبث أن مدت نفس اليد لتلمس خدها برفق..و تشبعت عيناها بنظرة فائضة بالسعادة و هي تتأملها للحظات لم تفعل فيها شهد أي شيء سوى أنها ظلت تراقب تلك النظرة بمشاعر غريبة..

متناقضة بشكل غير مألوف..لكنها في جميع الأحوال..جميلة...بعض الشيء!

إلى أن عادت خالتها لتستقيم كما كانت..و قالت بينما تلتفت متجهة إلى أحد الغرف هنا ؛

_لديّ ألبوم كامل من الصور العائلية التي سأجعلك ترينها واحدة بواحدة الليلة..

كانت على وشك الوصول إلى الغرفة..حينما توقفت على صوت قرع الجرس..فاتسعت

ابتسامتها قليلاً و هي تقول أثناء اقترابها من الباب ؛

_لا بد أنه سند..سأفتح الباب..

لم تستطع شهد أن تمنع نفسها من الالتفات نحو الباب القريب بنظرة يشوبها شيء من

التوتر و اللهفة..و التفت هادي مثلها لينظر في نفس المكان..ينتظر ظهور ابن الخالة ال...الغبي !

إلى أن ظهر فعلاً..مراهق وسيم يبدو في سنته السابعة عشر ربما..تجمد تمامًا على بعد مسافة أمتار منهما يحدق ناحية شهد بطريقة جعلتها ترتبك أكثر..
لكنها لم تلبث أن وقفت ببطءٍ هي و وقف هادي مع سماع صوت لبنى التي توقفت بجانب ابنها هامسة بنبرة مميزة بينما تشير نحوهما ؛
_ابنة خالتك..شهد..

لم تكن تحتاج لأن تشرح له أكثر..فهو قد كان يعرفها قبل أن يقابلها حتى..لقد عاشت معه تقريبًا بذكريات والدته عن والدتها و سيرتها التي تتحدث بها دائمًا متهمدة بشعور يقتلها من الذنب..
ابتسم بخنين طبيعي و هو يقترب منهما أكثر..عيناه على شهد فقط و لم يلمح ذلك الارتفاع الصغير الذي ظهر بأحد حاجبي هادي..تحديدًا حاجبه الذي يشقه أثر يزيده وسامة..
راقبه بصمتٍ إلى أن وقف أمامهما..و استغرقه الأمر لحظاتٍ في النظر إلى شهد..تلك الوحيدة التي بدت ملامحها تحمل حيرة عادية..هل هذا الشاب يكون ابن خالتها فعلاً ؟
هو نفسه الطفل الذي لطالما مرت صورته في ذاكرتها متصورة بأنه أخيها!
اقترب منها فجأة و كأنه يهم باحتضانها في حركة ربما تبدو طبيعية لشاب صغير يقابل ابنة خالته التي سمع بسيرتها دائمًا لأول مرة..

لكن..كما توقعت شهد..لم ينجح حتى بوضع يده على كتفها حينما امتدت ذراع هادي لتحط على كتفيه هو..و نظر في عينيه المندهشتين مبتسمًا بشكل مبالغ به بينما يقول ؛
_هل أنت سند ابن خالة شهد الذي تحدثت عنه السيدة لبنى في الرسائل !!؟
ارتسم انطباع الغباء جليًا على ملامحه..لكنه رغم ذلك وجد نفسه يحرك رأسه في حركة بديهية لم يشعر بها..لكن عينيه اتسعتا أكثر حينما جذبته هادي ليضمه بشدة..و قال بينما يربت على ظهره بحنانٍ مبالغ به ؛

_اووه..أنت تقاريني في الطول فعلاً ما شاء الله..لقد كنت أتخيل صورة لطفل في الخامسة و أنا
أقرأ مع شهد الرسائل..

رفعت شهد يدها إلى فمها تغطي ابتسامة مذهولة اخترقت ملامحها عنوة..حسنًا تلك تصرفات متوقعة من هادي ! و قد زادت اتساعًا و هي تراه يبعده فجأة بدون أن يترك كتفيه مردفًا بنفس النبرة التي تبدو غير صادقة تمامًا لشدة اللطف المبالغ الذي يكتسحها ؛
_عمومًا أنا و شهد تشرفنا بلقاءك يا سند..

شخص آخر كان يشاركُ شهد الدهشة لكن بدرجة أكبر منها بكثير..كانت لبني التي ابتسمت
باستغراب و عقلها يستوعب تدريجيًا مغزى تصرفات هادي حيال ابنها..

تركه هادي لا شيءٍ إلا ليطوق كتفي شهد إلى أن ألصقها ب صدره مضيقًا بدهشة زائفة..يرى
ابتسامتها الواسعة و يعلم بأنها تحاول أن تمنع نفسها من الضحك عبيثًا ؛

ألقي التحية على ابن خالتك يا شهد..ما خطبكِ !!؟

بالكاد استطاعت شهد أن تخفي ابتسامتها قليلًا..فأنزلت يدها عن فمها لتمدها نحو سند..و
تلك الحركة فقط ما سمح لها بها هادي الذي تعلقت عينها به للحظة و كأنها تسأله إن كان عليها أن
تصافحه أم لا..

و قد بدت ابتسامته الحاملة لأطنان عشقه كافية كجواب..قبل أن تهمس ما إن تلامست يدها
مع يد سند يصافحها بغباء ؛

_سعيدة بمقابلتك أخيرًا..

كانت نبرتها خجولة قليلًا رغم وضوحها..و بدا سند متوترًا أمامها بعد تصرفات هادي..حتى أنه
عقد حاجبيه و هو ينقل عينيه بينهما لثوانٍ و كلما نظر لهادي كانت تتبدل نظرتة و كأنه ينظر إلى
كائن غريب قادم من الفضاء..

إلى أن قال يبتلع تلك النظرة بصوتٍ خافت ؛

_و أنا أيضًا سعيد جدًا..لقد كنت أتمنى مقابلتك منذ وقتٍ طويل..

كان يجاهد نفسه لرسم ابتسامة صغيرة يبعد بها نظرتة المتبلدة..و قد نجح مع أول بادرة و هو
يحاول أن يمهد لعقله فرصة استيعاب بأن من تقف أمامه تكون شهد فعلاً..ابنة خالته !

قبل أن يلتفت الثلاثة للبني التي قالت بنفس حزمها اللطيف ؛

_حسنًا كفى كلامًا..تعاليا لأريكُما غرفتكما..

رافقاها هادي و شهد بهدوء..بينما ظل سند متوقفًا مكانه ينظر إلى هادي تحديقًا بنظرة
يشوبها القليل من الضيق..إلى أن أغلقت والدته الباب عليهما و استدارت نحوه مبتسمة..و حينها
فقط همس سند عابثًا ؛

_لم أكن أعرف بأنها متزوجة !

قالت والدته ببساطة و هي تصل إليه لتسحبه من ذراعه معها نحو المطبخ ؛

_و ها أنت قد عرفت الآن..تعال معي..سأعد لك شيئًا لتأكله..

كانت الغرفة تشبه المنزل في مساحتها الضيقة نسبياً و أناقتها..غرفة مريحة بستائر بيضاء شفافة تغطي النافذة الوحيدة الموجودة بها..و سرير بغطاء في نفس اللون..
ما إن دخلت شهد..حتى وجدت نفسها تتسمر للحظة استغلتها في التجول بعينها حول الغرفة..لكنها كانت أكثر شروداً من أن تستطيع تكوين انطباع حقيقي عنها..فاقتربت من تلك النافذة تلقائياً لتريح الستائر البيضاء ناظرة إلى الشارع الفارغ في هذا الوقت من النهار..
كانت هناك مشاعر غريبة تجتاحها بضراوة..تسحبها بعيداً عن ما يدور من حولها..حتى أنها لم تشعر بهادي الذي اقترب من السرير تزامناً مع خلعه لمعطفه الثقيل إلى أن ألقى به فوقه..
ثم رمق شرودها بنظرة مشبعة بالاهتمام..قبل أن يقترب منها بصمتٍ إلى أن وقف وراءها و أحاطها من الخلف مريحاً يديه على بطنها البارز..ثم نطق السؤال الذي طرأ في ذهنه للتو و هو يستند بذقنه إلى كتفها ؛

_لماذا توقفتِ عن الابتسام ؟!! ألسنتِ سعيدة بمقابلة خالتكِ ؟!!
همست شهد بنبرة شاردة قليلاً و هي تريح يديها على يديه تلقائياً ؛
_بلى..فرحت جداً بمقابلتها لكن...أشعر بأن هناك شيئاً ناقصاً..و كأنني..و كأن...هناك فراغ عميق بقلبي..لقد توقعت أن أشعر بالانتماء نحوها أكثر من كل شيء..و الآن لا أحس سوى...برغبة قوية في التعرف إلى والدتي الحقيقية أكثر..أريد أن أسمع عنها أكثر و أن.....
صمتت فجأة..و ظهر في عينيها نظرة أخرى..نظرة تشبه الحيرة أو...الحزن! ثم استدارت برأسها فقط نحو هادي هامسة بنبرة فاجئته ؛
_لقد ارتكبت والدتي و والدي ذنباً كبيراً جداً في حق والدة سجي..أليس كذلك ؟!!
ابتسامة عميقة المشاعر احتلت عيني هادي جعلت قلبها يرتجف قليلاً..ثم همس بدون أن يتوقف عن احتضانها ببساطة ؛

_الحُب يجعلنا نرتكب الحماقات بدون أن نعي ذلك !
شيءٌ من خيبة الأمل استوطن عيني شهد و هي تهمس بغير اقتناع ؛
_أي حُب هذا الذي يجعل صاحبه يخون ؟!!
بدا جلياً على ملامح هادي التي لانت أكثر مع كل كلماتها بأن غايته من ردوده ليست الرد فقط..إنما أراد أن ينتزع ذلك الحزن و الذنب من قلبها حينما همس ؛

_ماذا لو كان يجب الإثنتين ؟ ووجد نفسه يقف فوق خط فاصل..ضائع ما بين طريقين كل طريق منهما محفوف بالحيرة..لكنه رغم ذلك يفضل أن يبقى في مكانه معلقاً ما بين الماضي و

الحاضر..على أن يختار أيّ من الطريقين !

حسنًا..هناك وجهة نظر فيما قاله !

فغرت شهد فمها ناظرة إليه بتمعن..قبل أن تسأل بنبرة شائها رغبة ضئيلة جدًا في الإيمان بما

قاله ؛

_هل...يعقل !!؟

أوماً لها هادي بهدوء و عيناه تتأملانها بحُب لا ينضب..توهج وجنتها و أنفها بفعل برودة الجو.. شحوب ملامحها الذي ينخر قلبه قلقًا كلما رآه..نظرتها البريئة المتأملّة إليه..خصلات شعرها السوداء المرتاحة على ظهرها بنعومة شديدة تشبهها..

كل ما فيها ملفت للنظر..كل ما فيها يدعوه لتأملها و عشقها أكثر..حتى صوتها الحزين الذي ارتفع برفض الاقتناع بما قاله ؛

_لا..هذا ليس عذرًا..و إلا هل يمكن لقلب واحد أن يحب شخصين ؟ هذا مستحيل !!
قال هادي بدون أن يتوقف عن احتضانها بحكمة و جدية و ملامحه تلين أكثر و أكثر برغبة قوية في إنهاء حزنها ذاك ب...بقبلة جديدة !

_لا..ليس مستحيلًا على الإطلاق..دائمًا القلب يبحث في شريك حياته عن كل ما ينقصه..فإذا لم يجد كل ما يحتاجه فيه يلجأ إلى البحث في مكان آخر..قلب آخر قد يلائمه أكثر..و هذا خطأ كبير بالفعل..لكن بعض الناس يعجزون عن اتخاذ قرار الفراق..فيقطعون السبيل السهل و الذي يطلق عليه اسم... خيانة !

شعر بالندم لنطقه لآخر كلمة و هو يرى لمعة الحزن تعود لتتشكل بشكل أقوى الآن..ثم همست حبيبته بأسى ؛

_تتفق معي بأنهما كانا خائنان إذا ؟!!

همس هادي و هو يشدد من احتضانها لجسدها بيد و يرفع الأخرى ليطوق وجنتها برفق ؛
_نحن بشر..جميعنا مؤهلون لارتكاب الأخطاء شهد..و مؤهلون أيضًا للندم عليها..

همست شهد بصوتٍ مختنق قليلًا و هي تشعر بغصةٍ مريرة تخنق حنجرتها ؛

_هل تظن بأن الندم قد زار قلبيهما يومًا ؟!

جاءها الجواب فورًا بصوته الحازم الحنون ؛

_بالطبع..بما أنهما لم يكونا معصُومين عن الخطأ..الأمر أشبه بأن يكابد الإنسان شعورين متضاربين..يدركُ تمامًا بأن ما يفعله خاطئ و يود تصحيحه بكل ما فيه من قوة..لكنه في نفسِ الوقت عاجز عن التوقفِ عن فعله..

تلاشى القليل من الحُزن من ملامحها بسماعها لهذه الكلمات..لكنه لم يختفي تمامًا..و هذا الادراك أزعجه بشدة..لكنه لم يستطع إلا أن يتنهد مطوّلًا متمسكًا بها أكثر حينما استدارت عنه لتستند برأسها إلى صدره مجددًا ناظرة أمامها..

و ساد صمت قصير هادئ و حزين..قبل أن يسمع صوتها تقول بنبرة من تذكر شيئًا مهمًا بينما تلتفت نحوه فجأة بسرعة ؛

_و أنت...هل يمكنك أن تقع في حُب شخصين في نفسِ الوقت ؟!!

نظر لها هادي بتبلد سائلًا ؛

_ما الذي تقولينه يا شهد ؟!

فقالت شهد بإصرار جعله يتنهد باستسلام..كم سيصبر بعض على تلك الهرمونات الغبية التي باتت تزعجه أحيانًا ؟!!

_أريد سماع الجواب الآن..أرجوك..

همس هادي بصبر و هو يصنع دوائرًا وهمية على خدها الناعم ؛

_ماذا قالت خالتكِ حبيبتي ؟ عليك أن تأخذي قسطًا من الراحة ريثما تجهز طعام العشاء..

ثم قال فورًا و هو يحزّرها من عناقه ليمسك بيدها يهْم بسحبها نحو السرير ؛

_تعال..

لكن شهد رفضت التحرك من مكانها و كرّرت بدلًا عن ذلك بنبرة يشوبها شيءٌ من التذمر ؛

_لا أريد..أريد أن أسمع الجواب..

تنهد هادي للمرة الثانية..ثم لم يلبث أن استدار نحوها ناظرًا لها بياسٍ للحظات..لكنها ظلت

تحقق به بنفس الطريقة منتظرة الجواب رغم التردّد البسيط الذي لامس عينيها خلسة..يبدو بأنه بدأ

يفقد مهاراته في التأثير عليها بنظراته فقط !

قال بعد لحظة أخرى..يطرح عليها سؤالًا آخر بدل إجابتها ؛

_هل تستطيعين أنت ؟!

_بالطبع لا !!

هتفت فورًا باستنكار خافت..فقال هادي بصلاية ؛

_لماذا تلقين مثل هذا السؤال عليّ إذا؟؟

لانت عيناه قليلاً و هو يرى تعبير الندم يرتسم على ملامحها بشكل خفي..و أسدلت ستار رموشها عنه بصمتٍ كما تفعل في مو اقفٍ مشابهة..فزفر مطولاً..قبل أن يقترب الخطوة الصغيرة التي تفصل بينهما..ثم مد يديه ليطوق وجهها إلى أن عادت تنظر في عينيه بتردد..
و حينها فقط..همس بنبرة هادئة ؛

_هناك بعض علاقات الزواج تفتقر إلى التواصل..يشعر الإنسان داخلها بأنه وحيد..بأنه في حاجة إلى صديق حقيقي..يسمعه بدون أن يحاكمه..يشعر به و يثق به..
صمت للحظة..ثم عاد ليستأنف ناظرًا في عينها تمامًا بنبرة بطيئة عطوفة رغم خشونة صوته
الفطرية ؛

_أما أنتِ..أنتِ شهد..صديقة طفولتي..زوجتي و حبيبتي..أنا أمتلك كل شيء يتمناه المرء بالفعل..ما الذي قد أحтаجه بعد ؟!!

ما الذي قد يحتاجه بعد ؟ ما الذي قد يحتاجه بعد ؟!
وجدت شهد نفسها بدون أن تشعر ترفع يديها لتغطي يديه المطوقتين لوجهها..بينما اختفت كل رغبة في الحصول على جوابٍ لسؤالها من عينها..و ما حل محلها كان نظرة إدراكٍ و تسليم بما قاله..

رغم أنه لم يقل شيئاً جديداً فعلاً..فهي حتى في خضم إلقاءها لسؤاله الأحمق ذاك كانت تعلم بأن احتمالية نظر هادي لأي امرأة غيرها هي غير متاحة أساساً!
رغم ذلك..فقد وجدت نفسها تتهد بخفوتٍ و هي تميل بوجهها للجانب قليلاً..و أغمضت عينها و كأنها تحاول أن تنهل من لمساته القدر الذي تستطيع..أحياناً تتصرف بغباءٍ فعلاً !
لكنها شعرت به يبعد يديه فجأة لا لشيءٍ إلا ليسحبها نحو السرير..إلى أن جعلها تستلقي عليه و جلس بجانبها يربت على شعرها برقة..لكن أي أثر للنوم لم يمر في عينها..و ظلت تتأمله فقط بنظراتها الوديدة الهادئة..بتركيز..إلى أن همس هادي و هو يلمس رموشها بأنامله برقة ؛
_نامي قليلاً..

إيماءة شبه ملحوظة منحتها له من رأسها و هي تهمس بدون أن تتوقف عن تأمله بعينها المتسعيتين بخفوتٍ..الآن يشعر بأنها هي من ترغب في التعامل بنظراتها لا العكس !
_لا أريد أن أنام مجددًا..أشعر بأنني...أصبحت أمضي وقتًا في النوم أكثر ممّا أمضيه و أنا مستيقظة..

ابتسامة ضئيلة جدًا لامست شفاهه..همس بعدها ببساطة ؛

_ذلك لأنك أصبحت تمضين وقتًا في النوم أكثر مما تمضيينه و أنتِ مستيقظة فعلاً!

شعر هادي من حركة جفونها التي ثاقلت قليلاً بأنها على وشك الاستسلام للنوم فعلاً ككل مرة تقاومه فيها قبل أن ينتهي بها المطاف نائمة على يده..و قد كانت تجاهد لمقاومته فعلاً..حينما همست بصوتها الساكن جدًا ؛

_حقًا؟!

هل تسأله بالفعل ؟

أوما لها هادي بهدوء و ابتسامته تصبح أكثر شروءًا بها..قبل أن ترفع يدها لتمسك بيده الحرة..و كما توقع تمامًا..فقد قربتها من الوسادة إلى أن فردتها فوقها و تحركت لتستلقي بوجنتها على راحة يده بكل بديهية..

تلك الحركة التي فعلتها لعدة مرات سابقًا..و كأنها تخشى أن يختفي من حولها ما إن تغمض عينيها مستسلمة للنوم ! ثم همست أثناء ذلك بكل رضا ؛
_حسنًا..دعني أنظر لك قليلاً فقط..

كانت يداها الإثنان لا تزالان متمسكتين بيده حتى بعد أن استلقت بوجنتها عليها..إحدهما تلتفّ حول معصمه..و الأخرى تحتضن إبهامه برقة..بينما أصابع يده الحرة تداعب وجنتها الأخرى.. و عيناه المبتسمتين خلسة تفصحان عن رغبة غير مطوعة في احتواء كل ذلك الضعف و الاحتياج في عينيها بكل ما يمتلكه من قوة و جهد..

صمت طويل سيطر على الأجواء بينهما..كان حريصًا فيه على منحها ما تريد..فلم ينفك يتأملها بصمتٍ تاركًا لها الحرية لتفعل بيده ما تريد..إلى أن بدأت جفونها تنسدل فعلاً ببطء.. و لم يستغرقه الأمر أكثر من دقائق أخرى حتى كان يتهدد بخفوتٍ حينما تأكد بأنها غفت فعلاً..نظرة عميقة منحها لملامحها الساكنة..قبل أن ينقل عينيه ببطءٍ ليدبرها المتمسكتين بيده.. و اللتين خفّ ضغطهما بعد أن نامت..فلم يشعر بنفسه و هو يترك وجهها لا لشيءٍ إلا ليقبض على يدها الملتفة حول معصمه..و التي كانت تحتوي على أثر يعرفه جيدًا.. احتضنها برفق و هو يرفعها إلى فمه إلى أن طبع قبلة معهودة فوق الأثر ذاك في معصمها.. مغمضًا عينيه للحظاتٍ قبل أن يفتحها على ابتسامة صغيرة احتلت وجهه عفويًا و هو يتذكر سؤالها قبل قليل عن إذا ما كان يستطيع الوقوع بحُب شخصين..

بما معناه هي..و أنثى غيرها !!! لا تدركُ الحمقاء بأن جميع النساء تصبحُن في عينيه سرابًا
أمامها !

كم كانت أيامَ هادئة تلك التي قضياها هنا مع بعضهما البعض..هادئة و رائقة إلى أقصى حد..
كانا ببساطة كزوجين حديثي الزواج انتقلا إلى منزلهما الجديد الدافئ..
كزوجين حقيقيين بكل التفاهم و الحُب الصّامت الذي يملأ قلوبهما قبل أعينهما..لكن يبقى
هناك شيء واحد ناقص...أنهما ليسا "حقيقيين" بعد !!
لا تعلم إن كانت عاجزة عن قراءة عينيه إلى تلك الدرجة سابقًا أم أن نظراتهما تصبح أعمق و
أكثر وضوحًا بعد لها كل يوم..نظراته تجلدها بسّوط الد...لا ليس الذنب..إنما الرغبة الصادقة في أن
تمنحه نفسها بكليتها!

لا تريد لحُبها أن يعيش في هذا الصّمت طوال حياتها..لا تريد لمشاعرها أن تبقى حبيسة
الكتمان بعد..لا تريد أن تنظر في عينيه و تقول كلمة مبتذلة ك...أحبك !
رغم كل ما تحمله من معاني..إلا أنها لا تراها تليق برجل كلوي..رجل كلوي يستحق اعترافًا
مختلفًا..تلك المشاعر التي لا تنفك تتضاعف في قلبها بشكلٍ مخيف لا يمكن تلخيصها في تلك الكلمة
التي همستها قبله لرجل لا يستحقها..

لا يمكنها الآن أن تهمس نفس الكلمة للوي..لوي يستحق اعترافًا أفضل و أعمق..مشاعرها
تستحق من عقلها أن يبحث طويلاً بجهد..لربما تجد كلمة واحدة كفيلة لوصف و لو القليل منها!
لقد أصبح لوي يخرج قليلًا في آخر فترة..و لا تعلم حتى أين يختفي لساعاتٍ عديدة خارجًا..و
لا تعلم أيضًا سبب تلك المكالمات التي تسمعه أحيانًا يخوضها مع أحد أصدقاءه كما قال..
لكنها لم تسأله..و لن تسأله..لا داعي لأن تسأله أساسًا..هو سيخبرها بنفسه حينما يحين
الوقت..تعلم ذلك و تنتظر ذلك..لطالما كانت علاقتهما هادئة هكذا..خالية من الشوائب..خالية من
الشك و اللوم و سوء الفهم !

كانت تقف في غرفتهما الدافئة أمام المرأة..ترتدي فستانًا أبيضًا حريريًا يكاد أن يلامس
ركبتيها..شعرها مصفّف بنعومة..تجمع خصلة صغيرة منه بمشبك أنيق على شكل قلب أسود صغير
إلى الجانب..بينما تتركُ الباقي يفتش كتفها و ظهرها..وعيناها المخضرتين بلون الزيتون قد زادتهما
الكحل الذي لونهما به جاذبية هادئة..

وضعت الكحل من يدها فوق طاولة الزينة..ثم مالت قليلاً نحو صورتها في المرآة مدققة النظر
في انعكاسها و هي ترفع أحمر الشفاه الوردي..نفس أحمر الشفاه الذي وضعت منه ذات يوم قبل
ذهابهما لزيارة أطفالها الصغار في دار الأيتام..
لقد كزّرتك الزيارة قبل ما يقارب الشهر و نصف من الآن..كانت دار الأيتام تلك من ضمن
الأماكن التي أخذها لؤي إليها بعد إحدى حصصها النفسية..و كم سَعِدت بمفاجئته آنذاك..
لم تكن زيارتهما تلك تشبه الزيارة الأولى بأي شكل..تلك المرة دخلا سويًا بخطواتٍ هادئة..يدها
في يده كزوجين طبيعيين..و ابتسامتها بارزة بوضوح..يشعر كل من ينظر لها بأنها لم تبكي قبلها لشهور
و أيام و ساعات..

و كعادة قديمة جدًّا..هرع الأطفال إليها ملتفين حولها بأيادهم الصغيرة التي احتضنت
خصرها بلهفة..لكن ما جعلها تزم فمها كاتمة ابتسامة كبيرة بر اقة..حينما وقعت عيناها على لؤي
الذي لم تعرف متى و لا كيف أصبح يقف على بعد أمتار منها بعد أن احتل الأطفال مكانه عنوة..
يومها لم يخجل من منحها نظرة مشبعة بغيرة واضحة من هؤلاء الأطفال المزعجين..حتى أنه
أخفض عينيه عنها لينقلها بينهم عاقدًا حاجبيه بعبوس شديد قبل أن ينظر لها مجددًا..
و لم تستطع أن تمنع شفيتها آنذاك من تكوين كلمة واحدة بينما ترمقه بابتسامتها الجميلة
تلك..و المحملة باعتذار غير حقيقي تمامًا..
"أعتذر!"

همستها و إن جعلت ملامحه تلين قليلاً فهي لم تنجح بنسفِ نظرة العبوس المختلطة بلهفة
قوية في عينيه..فقد اقترب منها فجأة ليهتف بالأطفال مبتسمًا بلطفٍ زائد..و الحقيقة أنه كان ينتزعهم
من حضنها حرفيًا باقتراحه..

_حسنًا حسنًا يكفي إلى هذا الحد..أول من سيّجلس فوق العشب الأخضر يحصل على هدية
جميلة مني !

فغرت سجي فمها و هي ترى الجميع بدون استثناء يتخلون عن حضنها منفذين الأمر اللطيف
بسرعة البرق..لكنها و قبل أن تعلق بشيءٍ ما..شعرت بيد لؤي التي امتدت لتقبض على يدها..
ثم ما إن نظرت له بتلك الدهشة المغلفة بانهمار طفيف..همس لها مبتسمًا باتساع ؛
_رأيت كيف أنقذتك منهم بمهارة فائقة ؟

نظرة اندهاش كبير احتلت عينيها البراقتين..هل كان يتحدّث بجدية حقًا ؟ لكنها قبل أن تتمكن من إجابته قاطعها هتاف الأطفال بجانبها عن من جلس أولاً.. نظرت لهم بجزع و هي ترى البعض منهم قد شرعوا في التشابك بالأيدي..

ثم لم تشعر بنفسها و هي تقترب بسرعة هامة بإنهاء هذا الإشتباك..بينما تسمّر لؤي مكانه يراها تستعمل يديها في إبعادهم عن بعض هاتفية بهم بحزم لطيف أن يجلسوا بأدب.. لكنها عجزت تمامًا...فتوقفت متخصّرة تنظر بينهم بياسٍ..لكن ما جعل عينيه هو تلمعان بشدة..تلك النظرة اللائمة التي منحتها له أثناء قولها ؛

_أنظر ماذا فعلت الآن !!!

نظرتها و نبرتها و كأنها قد ضاعفت من جمالها في عينيه أضعافاً..فتجمد قليلاً يدقق النظر بها بابتسامة كبيرة شرعت ترسم بتأني بالغ على شفثيه..و قد بدا و كأنه قد اختار بكامل إرادته أن يتجاهل الضجيج من حولهما مكتفياً بتأمل ملامحها العابسة..المبتسمة رغم عبوسها.. إلى أن لمح بطرف عينيه إحدى المشرفات قادمة بسرعة من أحد الاتجاهات..فهتف فوراً بنفس نبرته اللطيفة و هو يصفق بيديه الإثنتين ليلفت انتباه الأطفال المزعجين ؛

" أول من يجلس أولاً له هديتين ! "

فقط..و لم يستغرقه الأمر لحظة واحدة حتى كان الجميع قد جلس فعلاً..و عمّ هدوء تام في المكان لثانيتين..جعل المشرفة تلك تتوقف متهددة بارتياح..قبل أن تلتفت مجدداً عائدة إلى أشغالها.. شعرت بنفسها عاجزة لحظتها عن كبح ابتسامتها عن الاتساع أكثر و أكثر و هي ترأق ابتعاد المشرفة و هدوء الأطفال..

و لم تدّر آنذاك بأن تلك اللحظة...

كانت أول مرة..يتمنى لؤي فيها أن تتطور تلك الابتسامة الرائعة إلى...ضحكة ! ثم ما إن استدارت نحوه لترمقه بنظرة جديدة شابهها بعض الدهول ممّا يفعله..شعر بأنه... وقع في حبها مجدداً! هل يمكن للإنسان أن يقع في حب نفس الشخص مرتين ؟! ماذا عن آلاف المرات التي شعر فيها بأن ذلك الشعور يتجدّد و يتجدّد حتى استطابه قلبه فلم يعد يتفاجئ من ذلك التدهور الذي يكتسح نبضاته كلما نظر في عينيها ؟! اقترب بعدها من الأطفال تزامناً مع أصواتهم الصغيرة التي ارتفعت هذه المرة بأدب بجملة واحدة..

" أنا من جلست أولاً..أنا من جلست أولاً "

ظل لؤي ينقل عينيه بين وجوههم الصغيرة يسمع أصواتهم التي اختلطت ببعضها البعض..و
للمرة التي لا يذكر كم خلال دقائق تغمره رغبة في النظر لها مجددًا..لكنها هذه المرة لم تكن تنظر له
بمجرد ابتسامة..فقد مطّت فمها قليلاً و رفعت حاجبيها و كأنها تسأله عن ما يجب عليه فعله..
لكنه منحها أجمل ابتسامة..ثم نظر للأطفال مهدئاً بصوتٍ مرتفع ؛
_ لحظة لحظة..لقد غيرت رأيي..

صمت جديد ساد في الأرجاء بعد جملته..قبل أن يكمل مبتسماً و هو يرى التركيز و اللفتة التي
كانوا ينتظرون بها كلامه..

_لقد أعجبتني روح المنافسة التي تتمتعون بها..لهذا قرّرت أن أعطي هدية لكل واحد منكم..
لم يكد يكمل كلامه حتى كان صوت هتاف الأطفال يرتفع بسعادة بالغة..بينما نظرت له سحى
من بين ابتسامتها بعدم فهم..و الحقيقة أنها كانت تحاول الاطمئنان ما إذا كان لؤي قد فقد صوابه..
فأَيّ هدايا يعدهم بها و هما توجهها من المشفى إلى هنا مباشرة !
لولا أن لؤي اختار أن لا يجيئها بالكلام..فاقترب منها لا لشيءٍ إلّا ليمُر من جانبها متجهاً إلى
البوابة الكبيرة بعد أن همس لها بلطفه البالغ ؛
_سأعود في الحال..

راقبته سحى و هو يبتعد بغباء..و راقبه الأطفال أيضاً بنفس النظر..لكنه لم يختفي لأكثر
من ثوان..حتى رآته سحى يتخطى البوابة مجددًا لكن هذه المرة...كان يحمل في يديه أربع أكياس كبيرة
من الهدايا!

فغرت فمها لوهلة بدهشة..قبل أن تقترب منه بسرعة لتحمل عنه أحد الأكياس بغاية
المساعدة ليس إلّا..ثم سارت معه باتجاه الأولاد أثناء سماعها لصوته يهمس لها فقط مجيباً تلك
النظرة في عينيها..

_لقد اشتريتها من متجر قريب من المشفى و تركتها في صندوق السيارة..

ثم حركَ كتفيه مضيقاً بشقاوة ؛

_لم تَكُن لتنجح مفاجئتي لو سمحت لكِ برؤيتها..

لم تستطع سحى أن تزيع أنظارها عنه حتى بعد أن انتهى..نظرة غريبة استفحلت عينيها و
جعلت لؤي يعكف حاجبيه باستغراب بعد أن كان يهم بالالتفات عنها ببديهية..هل ستبالغ لو اعترفت
بأنها وقعت في حبّه مجددًا في تلك اللحظة ؟!

_ما الخطب ؟

سألها لؤي باهتمام..و استغرقها الأمر لحظات طويلة لتستطيع منحه جوابًا..غير مقنعًا!
فقد حركت رأسها بالنفي بغير تركيز..قبل أن تطرف برموشها لعدة مراتٍ لتخرج من شرودها هامسة ؛
_لا..لا شيء !

ثم أشاحت بعينيها عنه مقتربة من الأطفال برفقته بهدوء..لكنها لم تستطع أن تتوقف عن
تأمله بين كل لحظة و أخرى بشرود حتى أثناء جلوسهما مع الأطفال و انشغالهم باللعب..
لا تدرٍ لما كان عليها استعادة تلك الذكرى الآن بالضبط..ربما لتذكر نفسها للمرة الألف كم أنه
أصبح.. يترأس قائمة كل ما تحبه في الحياة !
كانت هناك ارتعاشة طفيفة تسكن أناملها المتمسكة بأحمر الشفاه..لكنها قمعتها بقوة و هي
تنزل يدها أخيرًا معيدة إياه إلى مكانه..ثم استقامت قليلًا في طريقة وقوفها نازرة إلى انعكاسها الغائر
قليلاً بتصميم جديد..

لا تعلم إن كان الحزن يقطن في عينيها منذ الأزل..لدرجة أنها كانت لا تزال قادرة على رؤية
طيفه حتى و هي تجبر شفرتها على رسم ابتسامة صغيرة..ابتسامة تحولت إلى حقيقة بجهدٍ منها..
تخاف ؟ لا يمكنها أن تنبذ شعور الخوف مهما فعلت أو حاولت..لكن الفرق اليوم كان أن منبع
كل الخوف كان هي...نفسها!..

تخاف من أن تراجع بعد ما همّت بفعله اليوم..تخشى أن يهزمها هذا الشعور المقيت أمام
لؤي فتخلق شرحًا جديدًا بينهما..تخشى أن تراودها مشاهد لطالما لاحقتها ككابوس خبيث..
أو أن تتجسد أمامها صورة من الماضي تبعدها و لو لثانية عنه...عن لؤي !
لكنها قاومت ذلك الشعور بحزم..و سحبت نفسًا عميقًا و هي تستدير أخيرًا مقتربة من الباب..
إلى أن أغلقت الضوء و غادرت الغرفة بهدوء..لم تعد تخاف من خلو المنزل..و كأن عقلها الباطني أيضًا
قد استوعب فكرة أن -مصدر- ذلك الخوف نفسه قد غادر عالمنا..

اقتربت بهدوء من الطاولة الطويلة نسبيًا حيث رتبت مجموعة من الأصناف المختلفة من
الطعام..إلى أن وقفت هناك تتجول بعينيها فوقها باهتمام يشوبه توتر خفي..
ثم لم تلبث أن تهتدت و هي تمسك بالقداحة التي تركتها هناك لتشعل شمعتين تتوسطان
الطاولة مضيئة طابعًا رومانسيًا إلى شكلها..لا تعلم إن كانت هذه الفكرة جميلة أو لا..ألا تبدو مبتذلة
نوعًا ما ؟!!

انخفضت بسرعة تهم بإطفاء الشمعتين متراجعة عن الفكرة الغبية..لكنها تراجعت في آخر
لحظة عاقدة حاجبها قليلًا..ثم عادت لتقف متهددة بحيرة..

كانت أضواء المنزل خافتة جدًّا.. فقد اكتفت بإشعال المدفئة الصغيرة هناك و مصباح جانبي على شكل قرص دائري يرتاح على المنضدة القابعة في ركن قريب من الطاولة..و ذلك جعل الأجواء من حولها تبدو ساجرة بشكل يدعو للتوتر أكثر..

هل سيفهم لؤي تلميحتها من مجرد رؤيته للطاولة و الشموع ؟!

شعرت بذلك التوتر يرتفع مؤثراً على حزمها..فاقتربت من أحد الكراسي لتجلس مستندة بذقنها إلى يدها المرتجفة قليلاً..بينما أخذت تنقر فوق الطاولة بأصابع يدها الأخرى تحاول أن تلهي عقلها فقط عن أي فكرة متطفلة قد تغزوه و تدفعها لتغيير رأيها كما فعلت في الأيام السابقة في كل مرة خطرت في ذهنها فكرة فتح الموضوع..

دقائق أخرى قضتها في الانتظار مكانها لا تفعل أي شيء سوى النظر أمامها إلى كل مكان و النقر أو التلاعب بغطاء الطاولة القماشي..إلى أن سمعت صوت دوران المفتاح في قفل الباب ببطء.. و حينها فقط..كانت تقف شبه مجفلة لدرجة أنها كادت أن توقع كأساً قريباً منها لولا أن أمسكته بيدها بسرعة لتثبته مكانه ز افرة نفساً عميقاً..ثم اتجهت من فورها للمذياع الصغير الذي أحضرته معها من منزل شهد و هادي..

و قامت بتشغيل لحنٍ هادئٍ جداً...في غاية الهدوء !

ثم عادت لتقف مكانها بجانب الطاولة..صوت اللحن الجميل يمتزج مع صوتٍ أقدام لؤي الذي كان يقترب بحذر..و قد استطاعت أن تقرأ استغرابه من الوضع ككل من صوت خطواته.. إلى أن وصل إلى الباب..لتقع عيناه الحائرتين عليها مباشرة في الضوء الخافت ثم ؟..ثم اختفى العالم من حولهما..مجدداً تشعر بأنهما جزء من العالم المتحرك من حولهما..لكنهما في نفس الوقت منفصلان عنه !

توقف على بعد مسافة أمتار منها ينظر لها بما يفوق الدهشة و...و الافتتان!...حتى أن عينيه اتسعتا قليلاً و هما تتجولان عليها بالكامل لعدة ثوانٍ..ثم ابتلع ريقه ببطء ما إن عادت عيناه لتقابلان خاصتها..

صمت قصير ساد بينهما في تواصل بصري لم ينقطع..ينظر لها بانهار تتخلله حيرة..و تنظر له مبتسمة بالكاد..تحاول أن تتذكر حزمها السابق..تحاول أن تطرد كل فكرة دخيلة من عقلها تبعدها عنه..

استطاع لؤي أن يتمالك نفسه قليلاً.. فطرف برموشه لعدة مراتٍ و هو يقترب منها أكثر.. و
أرغم نفسه بالقوة على أن يبعد عينيه عنها لوهلة قصيرة لا شيء إلا ليرمق الطاولة المرتبة الجميلة
سائلاً بعدم فهم :

_سجى... ما كل هذا ؟!!

توقفت عيناه على الشمعتين المضيئتين للحظة سريعة.. ثم عاد ينظر لعينيهما الجميلتين بعد
أن وصل إليهما و وقف أمامهما تماماً.. لكنها لم تجب... ظلت فقط تزم فمها قليلاً ناظرة له بطريقة جعلت
قلبه يتقلص بحنان بدون أن يشعر..

و لم استطع أن يمنع يده من أن تمتد لتلمس خصلة ناعمة من شعرها الملاص لجانب وجهها
أثناء همسه بصوتٍ أجش و ابتسامة ضئيلة جداً أهدتها لها عيناه :

_تبددين جميلة جداً !!

أغمضت سجى عينيهما ببطءٍ و هي تشعر بخفقاتٍ قلبها تهوي بلمسته و صوته.. مجرد لمسة
صغيرة يا سجى و تشعرين بأنك على وشك السقوط خائرة القوى... ماذا لاحقاً ؟ ماذا ؟!!
تلاشت ابتسامة لؤي ببطءٍ و عيناه تنجرفان لتلامسان كل إنشٍ من وجهها.. بعينيه فقط
يلمس تلك الملامح الأقرب إلى قلبه كما لمس قلبها و روحها سابقاً..

و لم يشعر بإبهامه الذي تحرك على خدها ببطءٍ.. يمارس طقسه الأجل.. حركته المعهودة في
لمس غمازة خدها.. و قد توقعت سجى أن تشعر بشفتيه عليها في أي لحظة.. لكنه اليوم لم يفعل..
و كأنه قد استطاع التكهن برغبة جسدها في السقوط في أي لحظة.. فمنحها آخر لمسة من
إبهامه فوق مكانه المفضل.. قبل أن ينزل يده ببطءٍ.. و تعمد أن يدسّها في جيب بنطاله الأسود الذي
يعلوه قميص أبيض رسمي..

حينها فقط كانت تعود لتفتح عينيهما بنفس البطء.. ثم أجبرت نفسها على أن تستدير برأسها
قليلاً لتنظر إلى الطاولة سائلة :

_ألن... تتذوق ما أعددتة ؟!!

بدا و كأن لؤي يفهم كل غايتها.. لكنه رغم ذلك يرفض التصديق بما شعر به و استنتجه.. ليس
إلا وقاية لقلبه من خيبة الأمل لاحقاً لو وجد نفسه مخطأ..

عادت سجى لتنظر نحوه و كأنها تسأله بعينيهما أن يو افق.. فأوماً لها ببطءٍ و عيناه الحنونتين
تغيمان في شرود مختلف.. قبل أن يقترب من جهتها.. يلفحها بعطره الذي تعرفه و تحفظه أنفاسها.. و

بصمتٍ تام..كان يمسكُ بطرف الكرسي حيث ستجلس هي ليسحبّه إلى الورا قليلاً محفزاً إياها على الجلوس..

اقتربت سجي ببطءٍ لتجلس بصمتٍ مشابه..ذلك الصمت الذي تحوّل إلى خانقٍ بالنسبة لها بعد أن دار لؤي حول الطاولة ليتخذ مكانه..و شرع في الأكل بهدوء و بشهية مفتوحة نسبياً..
أو هذا ما حاول إظهاره لها بابتسامته الواسعة التي ما لبثت يقابلها بها كلما التقت أنظارهما!
الشيء الوحيد الذي كان يسمع في كل المنزل صوت اللحن العاطفي الجميل..لحن لم تسمعه من قبل لكن بدا وكأنه نفس اللحن الذي نسجه خيالهما سابقاً في كل مرة جمعت بينهما لحظة عميقة العاطفة و الاحساس !

لحظات أخرى من الهدوء المحمل بشجن العزف الجميل أمضتها في مر اقبتة خلسة..إلى أن وجدت نفسها تهتف فجأة بغير تخطيطٍ منها ؛
_هل...نرقص !!؟

رفع لؤي أحد حاجبيه ناظراً لها بتوجسٍ للحظة..لكنه لم يلبث أن وقف من مكانه تزامناً مع انتهاء اللحن و ارتفاع صوت لحنٍ آخر لأغنية أجنبية يعرفها..اقترب منها بهدوء..يطرد بحزم أي فكرة تدور في ذهنه..و وقفت سجي أيضاً تر اقبه بقلبٍ ينبض..
إلى أن وقف أمامها و فرد يده ناحيتها..و بالطبع وضعت يدها بداخلها بغير تردد..و سرعان ما وجدت نفسها تسحب من طرفه إلى أن أصبحت يدها ترتاح على كتفه بفعل يده..بينما التفت الأخرى حول خصرها برفق..

كان لؤي ينظر لها بعمقٍ..ينظر لها وكأنه الوحيد في العالم القادر على سبر أغوارها المخفية..ذراعها الآخر يلتف حول عنقه في نصفٍ عناق..يده ترتاح فوق يدها المستلقية على كتفه متمسكة برفق..أقدامهما بالكاد تتحرك في ما يشبه رقصة هادئة..
و أول مقطع من الأغنية يتسلل إلى مسامعهما و كأنه يسرد قصتهما بطريقة غير مباشرة..

Because I love you more

Than words could ever say

I can live again

With no regrets of dreams that died

Before you came

لأنني أحبك أكثر..

ممّا تحمله الكلمات من معنى..
فإنني أستطيع أن أعيش ثانية..
بدون أن أندم على الأحلام التي...
ماتت قبل أن تأتي..

يفهمها..كما تفهم الأم طفلها الصغير و ربما أكثر..يشعر بها وكأنها ابنته الحائرة ذات الثلاث
سنوات..يحبها..كما يحب المرء نفسه و يحبها من كل أذى !

Because I know this time

This love is really mine

I can love again

And touch the stars

That seemed so very far away

لأنني أعلم الآن..
بأن هذا الحب هو ملكي فعلاً..
فإنني أستطيع أن أحب ثانية..
و ألامس النجوم التي...
بدت لي بعيدة المنال..

رباه..كيف أجادت تلك الكلمات و ذلك الصّوت تعرية كل ما يخالجهما من أحاسيس تعجز
الروح عن وصفها أو احتوائها !

شعرت بأنها عاجزة بعد عن النظر في جوف عينيه بعينها اللتين تردّدان كلمات الأغنية
خلسة..فأخفضت رأسها قليلاً إلى أن أصبح جبينها يلامس كتفه..

لا يمكنها إلا أن تلجأ إليه حتى في اللحظات التي تكون معضلتها مرتبطة به...بهما معاً!
تحركت يدها بإدراكٍ منها لتترك كتفه و تحاوط جذعه مغمضة عينها بقوة..بدون أن تبعد
رأسها عن كتفه أو تتوقف عن منح الأوامر لقدميها في التجاوب مع كل حركة تصدر منه..
و سرعان ما شعرت بأنامل ذراعه الملتفّ حول خصرها ترتفع قليلاً و كأنه يحاول أن يهددها
و يمنحها الاطمئنان ضدّ شيءٍ ما..شعور ما..بينما اليد الأخرى...انضمت للسابقة لتطوق كتفها الآن..
و مال برأسه قليلاً لا لشيءٍ إلا ليستنشّق أنفاسها القريبة منه..و يمنحها القليل من دفءٍ
أنفاسه..يغرق ملامحه في خصلات شعرها الناعمة كنعومة كل شيءٍ بها حتى كاد أن يفقد نفسه فيها..

يشكرها على تلك المبادرة التي سمحت له باغتنام هذه اللحظات القصيرة ليكون قريباً منها
لهذا الحد..و كلمات الأغنية لا تزيدهما إلا ضعفاً..

أو ليس الحب تعريف آخر للضعف ؟ أكبر ضعف ؟!!

همس لها بعد لحظات طويلة من هذا الصمت الذي تحوّل من خانق إلى دافئ جميل..همس
في أذنها بنبرة احتوت تفهّم و أمان العالم ؛
_أخبريني سحى...

لم تتحرك سحى إطلاقاً و كأنها وجدت موطنها الطبيعي المتمثل في كتفه..همست بصوتٍ خرج
يحمل بحّة جعلت من خفقات قلبه هو من تضطرب فاقدة توازنها الطبيعي ؛
_ماذا أقول ؟!!

كانت و كأنها تستنجد به..صوتها مختنق قليلاً و نبرتها قد تبدو مهمة لكل شخصٍ في العالم إلا
هو..فقد همس في أذنها بنبرة بالكاد يمكن سماعها ؛
_قولي أي شيء تشعرين بأنك في حاجة لقوله..ما الذي يدور في ذهنك من أجل هذه الليلة
بالذات ؟!!

صمت جديد تلقاه منها..قبل أن يقطب حاجبيه قليلاً حينما استوطن قلبه شعوراً غريباً..و
عزّزته نبرتها التي خرجت مختنقة أكثر بشكل جعله يجزم بأنها...تبكي ؟ أو على وشك البكاء !
_ساعدني..لؤي...أرجوك ساعدني !

تجمد لؤي على نظرة قلقة غزت عينيه عنوة..قبل أن يرفع يديه ليقبض على كتفها يهم
بإبعادها برفق..لكنها رفضت أن تقابل عينيه..بل شعر بذراعها تتشبثان بجذعه أكثر و أكثر..فهمس
يبتلع ريقه بقلق ؛
_سحى !!

لحظة صمت أخرى..ثم شعر بها ترفع رأسها و تخفّف من ضغط ذراعها ببطءٍ منصاعة ليديه
اللتين لم تفارقا كتفها..و حينها ما إن قابل عينها الدامعتين بعذاب..رفع يديه أكثر ليطوق وجهها
سائلاً بقلق أكبر ؛

_ما الخطب الآن ؟!!!

ابتلعت سحى ريقها بصعوبة و هي تنقل عينها بين عينيه للحظات..ثم لم تلبث أن رفعت يديها
هي هذه المرة إلى أن حاوطت وجهه ببطء..ثم همست تبلى شفاهها بكلماتٍ متعثرة ؛
_لقد...كنت أفكر أننا.....

عادت لتبتلع ريقها و تبتلع معه التردد الذي يقتلها..و أكملت بصوتها المختنق بنفس النبرة ؛
_أننا...متزوجين..أليس كذلك ؟ أنا...زوجتك يا لؤي..لكن.....

همس لؤي بدون أن يترك وجهها بحذر ؛

_لكن... ؟ أكملني !

فتحت فمها و كأنها تود الشرح فعلاً..إلا أنها عادت لتغلقه بحيرة..إلى أن همست تهز كتفها
بأمل باهت في أن تكون قد نجحت في جعله يفهم مغزى كل ما فعلته الليلة ؛
_أنت تعرف !

لكن لؤي رفض أن يتعاطف معها بأي شكل الآن..قال يهز رأسه بالنفي بجدية حقيقية ؛
_إطلاقاً..لا أعرف أي شيء..أكملي كلامك..

نظرة تشبه العتاب احتلت عينها اللامعتين..لكنه ظل متمسكاً في موقفه ينظر لها بحزم
شديد..إلى أن قالت بعد لحظات من صمت جعله يقلق من أنها لن تتكلم إطلاقاً..قالت بأنفاس
مضطربة بشدة ؛

_كنت أريد أن أقول بأنني...مستعدة..أقصد..أريد لزواجنا أن...يصبح حقيقياً..لؤي...
لقد...جعلتك تنتظر لوقت طويل فعلاً..و أن الوقت أن...أن تأخذ حقك الطبيعي كأبي زوج...مني !
صدمته !!

طريقة تحدثها عن علاقتهما كمجرد تخليص حقوق أو أداء واجبات جعلت من ملامحه
تشخب تماماً..بينما انهارت آماله حتى عانقت الأرض التي تلامس أقدامهما..و وجد نفسه بدون أن
يشعر يكرر ببطء ؛

_أخذ حقي الطبيعي كأبي زوج...منك !!؟

حسناً..ربما خانها التعبير !

ذلك وارد الحدوث بالنسبة لفتاة تتحدث عن موضوع كهذا لأول مرة..بالنسبة لسجي..حبيبته
الغالية على قلبه و التي تذوقت معاناة ربما لم تكن فتاة أخرى لتستطيع تحمّل الحياة بعدها..
همست سجي بحرارة و هي تستند بجبينها إلى خاصته كذلك اليوم في المتحف..تغمض عينها
بقوة..تطوق وجهه بقوة و كأنها تخشى أن يختفي فجأة لو تركته ؛
_أعتذر..أعتذر...لقد خانني التعبير مجدداً لكن...هذه هي الحقيقة لؤي..أليس هذا...حقك

!!!؟

شعرت بالارتياح يعود ليملاً قلبها و هي تلمس الحنان في نبرته..حينما همس لها عن قرب..
يتمسكُ بها بقوة تفوق قوتها..بينما صوت مقطع جديد يمتزج مع صوت كلماته المشبعة بتفهم ورفق
لطالما كان سمته الأساسية في التحدث معها...حتى في مواقف كهذه !
_لا..إطلاقاً..أنا لا أملكُ أيَّ حق عليك..هل تدركين ما الذي تفوهتِ به ؟! أنتِ لا تشبهين أيَّ
زوجة أخرى يا سجي..أنتِ لستِ مجرد زوجة بالنسبة لي..أساساً أنا لا أؤمن بمبدأ الحقوق و الواجبات
في علاقة يفترض بها أن تكون الأسمى و الأصدق في العالم..

There's a world for us to find

Far beyond the rainbow line

And new horizons every day

With love to guide us all the way

Eternally, eternally

هناك عالم يجب أن نجده..

بعيداً وراء خط قوس قزح..

و هناك يومياً آلاف الآفاق مع الحب..

لتقودنا نحو الطريق..

إلى الأبد..إلى الأبد..

صمت قليلاً..ثم استأنف ببطء شديد..يريد أن يقحم الكلمات في عقلها..يريدها أن تتوقف
بعد عن التسرع في إلقاء كلماتٍ لا تقصدها فعلاً..

_كل ما ستمنحينه لي يوماً سيكون بمحض إرادتكِ أنتِ..لا يوجد هناك أيَّ سبب آخر يجعلك
تتنازلين لمنحي أيَّ شيء سوى أنكِ ترغيبين أنتِ بمنحِ لي..و مهمتي أنا أن ألقاه منكِ كهدية جميلة
ترفرف لها روجي حباً..

شعرت بالدموع في عينيها تتكاثر و هي تسمع كلماته المعبرة..لا يمكنه أن يخذلها..دائماً لديه
القدرة على انتقاء الكلمات و ترتيبها بشكلٍ يجعلها تقف أمامه مشدوهة..منصهرة تماماً به..
رغم ذلك فقد وجدت عقلها يركز مع كلمة واحدة قالها الآن و لم تحبها إطلاقاً..فقالته بحرارة
و هي تتمسكُ بوجهه أكثر..تحاول أن تجد طريقة تستطيع بها إيصال مشاعرها له بدون أن تلفظها
حرفياً ؛

_ لكنني لا أتنازل.. بل أريد.. لؤي... بغض النظر عن كل شيء أنا أريد.. أقسم بالله من كل قلبي
أريد..

و كأن كلماتها كانت الختام في حديثٍ كان يجب أن يُفتح بينهما منذ وقتٍ طويل.. هيمن صمت
جديد على الأجواء.. هذه المرة من طرف لؤي الذي انعقد حاجباه قليلاً متمعنًا فيما قالته..
قبل أن يقول فجأةً بغير اقتناع تام ؛
_ متأكدة ؟ !!

انزلت عيناه فوراً لتسقط على حركة حنجرتها المختنقة.. والتي تدل على أنها كانت تبتلع
ريقها للتو.. لكنها لم تلبث أن أومأت برأسها بالإيجاب ببطء.. واستمرت تحديق في عينيه فقط بينما كل
خلية منها تتأهب لردة فعله..

لو اقترب منها الآن ف... فستتهار به و له.. و لن تحاول إبعاده إطلاقاً.. لن تبعده إطلاقاً! إطلاقاً!
لكنه لم يقترب.. بل عقدت حاجبها قليلاً و هي تشعر بأنامله تترك وجهها ببطء.. ثم ابتعد شبه
خطوة نحو الوراء بدون أن يشيح أنظاره عنها.. و هي أيضاً تركت وجهه و أسقطت يديها بجانبها.. تشعر
بخواء كبير يحتلها لمجرد ابتعاده تلك المسافة الشبه ملحوظة..

و قد منحها ردة فعل.. ردة فعل تمثلت في كلمة جعلت كل ما فيها يرتعش مجدداً ؛
_ بادري إذا!!.. إذا كنت متأكدة حقاً من كل ما قلته فبادري أنتِ هذه المرة سحى.. أنا لن اقترب
منكِ أبداً سحى.. لقد أخبرتك بأن كل ما ستمنحينه لي في حياتك سيكون بمثابة هدية لي.. و الهدية لا
تسرق... بل تعطى !

دمعة وحيدة تحررت من إحدى عينيها و تلقفتها عيناه بفيض من حنان و حزن.. لكنه لم
يتراجع في كلامه.. بل ظهرت نظرة أشد حزمًا في عينيه.. و بدلاً من أن يمد يده ليمسح تلك الدمعة كما
فعل دائماً.. أغلق قبضته بشدة و هو يدسها في جيب بنطاله مجدداً..

و تلك الحركة كانت كل الغاية منها كيح رغبة همجية انتابته لأول مرة في أن يحتوي ذلك
الضعف في عينيها و يسرق الهدية التي انتظر تلقيها طويلاً !
رأى كيف شحبت نظرة عينيها قليلاً.. عكس وجنتها اللتين توجهتا باحمرار طفيفٍ أسر قلبه..
بينما رفعت يدها اليمنى لتلمس طرف جبهتها كشخصٍ يشعر بالضيق الشديد.. و همست من بين
أنفاسٍ مختنقة متضاربة ؛
_ ك.. كيف..... أبادر ؟ !!

شعور مؤلم من العطف استوطن قلبه أمام هذا السؤال البريء.. الحزين و الصادق..و الذي يحمل في طياته استنجدًا خفيًا..

و كأنها تعاتبه بطريقة غير مباشرة على نظرتة الحازمة..و قراره الظالم..بأنه لن يبادر في لمسها إن لم تفعل هي بكامل إرادتها..كيف تفعل ؟ كيف ؟!!

احتد فكه قليلاً و هو ينظر لها بعينين تمطران عشقًا صامتًا..و صرخ صوته الذي خرج خافتًا ظاهريًا بكلمة واحدة..صريحة و هادئة ؛

_قبليني !

سمع صوت تلك الشبهة التي غادرت شفيتها على شكل نفسٍ لاهث..و ازداد انعقاد حاجبها فوق عينين زائغتين..تقبّله ؟! هي ؟!!!

كان شبه مستعدًا لسماع رفضها..أو ربما فقط توقع أن تلتفت عنه و تغادر نحو أيّ غرفة بصمتٍ..توقع أيضًا أن تتضاعف نظرة العتاب في عينيها لتغدو بارزة بوضوح إليه..أو على الأقل أن تهمس له بكلمة ترددت في عقله بصوتها..

" لن أستطيع ! "

لكنها خالفت توقعاته تمامًا..لم تقل شيئًا..لم تنظر له بعتاب..لم تحاول المغادرة بصمتٍ..و بالطبع لم ترفض !

للمرة الثانية تنزل عيناه إلى حركة حنجرتها المتشنجة..و يرتعش قلبه بسماع تلك الخطوة المرتعشة التي اقتربتها منه..نفسها التي ابتعدها..

ارتعشت رموشه قليلاً ما إن قابل عينيها مجددًا..

يجاهد نفسه ليبقي تلك النظرة الحازمة في عينيه.. لكن عينيها لا تساعدانه..خفقات قلبه لا تساعدانه..و المقطع الجديد الذي تسلل إلى أذنيه لا يساعد بتاتًا!

Because you came to me

With all my dream to see

I can gift again

With no regrets for all I gave

Before you came

لأنك أتيت إلي..

مع كل أحلامي لتري..

بأنني أستطيع أن أعطي ثانية..

بدون أن أندم على كل...

ما أعطيته قبل أن تأتي!

لكن هل تعلمون ما الشيء الذي جعل كل محاولاته تلك تضيع هباءً فعلاً ؟

كان حركتها التالية.. حينما رفعت يديها المرتعشتين بتردد لتطوق بهما عنقه.. وكأنها تطوقه

بأصابعها الرفيعة التي لامست خصلات شعره بأطرافها في عناقٍ مفتوح.. تضمه و لا تضمه..

ثم أغمضت عينها بقوة.. و ارتفعت على أطراف أصابعها تريد إثبات صديق كل كلمة قالتها له

اليوم.. لكنها توقفت على بعد مسافة تكاد لا تلاحظ بينهما.. و شعر بارتجافتها واضحة حتى بدون أن

يلمسها..

لكنه ظل ينتظر بصمتٍ.. يشعر بأنفاسها تتسرب إلى كل جوارحه.. ينظر لعينها المغمضتين

مسدلاً رموشه على عينين تستعدان للانغلاق باستسلام تام في اللحظة التي ستقطع فيها تلك المسافة

الشبه ملحوظة بين شففتيها و... تقبله فعلاً..

و كم طال انتظاره.. طال حتى كاد أن يتنهد مستسلماً بالفعل.. يائساً من أن يستطيعا تخطي

ذلك الحاجز البشع بينهما يوماً..

همس بصوتٍ بالكاد يمكن سماعه.. الألم ينخر قلبه عليها و عليه.. لا يريد أن تضغط على

نفسها إطلاقاً.. خاصة فيما يخصهما هما وحدهما.. خاصة فيما يخصه هو و هي فقط !

_كفى.. سحى.. أنتِ لس.....

لم يستطع أن يكمل.. فقد جحظت عيناه بقوة و فقدت كل حواسه صوابها دفعة واحدة

حينما شعر بتلك المسافة الصغيرة بينهما تصبح منعمة فجأة.. بعد أن قطعها سحى في لحظة واحدة

لم يستوعب عقله فيها أي شيءٍ إلا حينما لمست شففتها شففته برقة شديدة..

لم يشعر بيديه اللتين انفتحتا ببطءٍ بداخل جيبه.. بينما ناشدت حواسه و جسده استرخاءً

غريباً.. و أغمض عينيه باستسلام إرادي و هو يشعر بتلك الارتعاشة التي كانت تسكن يديها حتى قبل

ثانية واحدة تخفّ تدريجياً..

لكنها عجزت رغم ذلك أن تمنحه أكثر من تلك اللمسة.. عجزت عن أن تبادر بأكثر من مجرد

لمسة بقدر رقتها بقدر ما جعلت كل خلية حية فيه تنتفض و ترتجف..

و هو لم يكن يطلب منها أكثر من تلك اللمسة.. فلم يشعر بيديه اللتين تركتا جيبي بنطاله

لترتفعان إليها إلى أن طوق خصرها بقوة.. و قبلها مستلماً تلك المبادرة منها بشراة و امتنانٍ خالص..

منحّها قبله جعلت كل ذرة خوفٍ تتداعى خلف أنهار فائضة من الدفء...شفتاه الدافئتين
اعتذرتا لشفتيها بدون صوتٍ على كلمة صغيرة قالها بما يشبه صيغة الأمر قبل قليل...صيغة الأمر
الواقع !

لم تشعر بيديها اللتين ارتفعتا أكثر إلى أن أصبحت تضمه فعلاً الآن..تحاول أن تغض عقلها
عن أيّ ذكرى بشعة تراود عقلها..تستمع إلى صوتٍ فؤادها الذي لم يتوقف عن الهتاف طوال الوقت
باسم واحد..

لؤي..لؤي..لؤي...تستوعبها بكل حواسها..تعيشها بكل حواسها..بكل ما يغمرها من حُب و
إخلاص نحوه..

و كأن ذلك التواصل الغريب بينهما دام لسنواتٍ..هكذا شعرت به بعد أن ابتعد عنها فجأة..
ابتعد قليلاً فقط..يعود ليصنع تلك المسافة الشبه ملحوظة بينهما..فشهقت بقوة محررة أنفاساً
متسارعة كأنفاسه التي كانت لاهثة مختنقة بشدة..

و لوهلة..شعرت بأنها أصبحت عاجزة عن تمييز أنفاسها من أنفاسه..فقد كانا قريبين جداً..لا
أحد منهما فتح عينيه للحظاتٍ..مجرد أن عادت يداه لتحاوِطان وجهها..
ثم همس مكرراً بصوتٍ غير ثابتٍ و هو يتفقد بعينه كل إنشٍ من وجهها..يريد أن يقرأ كل
تعايرها..يريد أن يرى بنفسه تأثيره عليها..

متأكدة ؟!!!

كانت الألحان الرائعة على وشك الإنتهاء الآن..و آخر مقطع تكرر على مسامعها هو ذلك
المقطع الجميل الذي سمعاه قبل قليل..و كأن الكلمات هي مجرد صدى لخفقاتٍ قلبيهما..

There's a world for us to find

Far beyond the rainbow line

And new horizons every day

With love to guide us all the way

Eternally, eternally

هناك عالم يجب أن نجده..

بعيداً وراء خط قوس قزح..

و هناك يومياً آلاف الآفاق مع الحُب..

لتقودنا نحو الطريق..

إلى الأبد...إلى الأبد..

لقد وجدا عالمهما فعلاً..خلف كل خطوط قوس قزح..تحت المطر و بين الألحان..وجداه بين
سطور من الكلمات تهمسُها أعينهما..في أنفاسِهما المتحشجة و ذلك العشق السامي الذي ولد من
رجم الألم !

ذلك كان عالمهما البعيد المنفصل عن كل العوالم الأخرى..ذلك كان عالمهما الخاص الذي
يفقدان به الشعور بكل شيءٍ عدا هذا السلام الذي يلفهما..
فتحت سَجي عينيها بعد عدة محاولاتٍ فاشلةٍ لتحقق في عينيهِ مجدداً..و رأى تلك اللمعة
تزداد بهما بروزاً..تريد البكاء و لا تعلم السبب..تريد البكاء على صدره بعد أن تتخطى هذا الحاجز
معه..

تريد أن تسرد له الكثير ممّا لا يزال يعتمر قلبها من مشاعر متضاربة..و أن...تعترف بصديقٍ
بأنها و للمرة الأولى معه..تشعر بأنها.....عذراء !

نظراته كانت تشعرها بذلك..لمساته و حتى قبْلته..و كأن أيّ رجل قبله لم يلمسها..و كأنه
الرجل الأول و الوحيد..لطالما كان الأول...و الوحيد !
أومات له للمرة الثانية..و تلك المرة بدت إيماءتها ثابتة خالية من التردد..قبل أن يرتفع جانب
شفتيها في ابتسامة دامعة صغيرة جداً..ابتسامة بدت و كأنها انعكاس للابتسامة التي رسمتها ملامحه..
و قد لمعت عيناه أيضاً و كأنه يشاركها رغبتها في البكاء..

لكن لمعان عينيهِ بدا مختلفاً..لقد لمعت عينيهِ...سعادة داخلية..ليس لأنها تطرقت للموضوع
أو أتت إليه بنفسِها كما تمنى دائماً..بل كانت سعادة ترتبط بهويته كصديقها لؤي أكثر من مكانته
كزوجها..

سعادة خالجت قلبه لفكرة أنه و أخيراً يناشد فوزاً حقيقياً..يناشدان فوزاً حقيقياً..فغاليته
التي كانت حتى قبل عدة أشهر تخشى من مجرد التحدّث عن حادثٍ ولى..الآن تنظر في عينيهِ
مستنجدة به أن يمنحها الخلاص الأخير من الماضي..

تريد لعطره هو أن يستوطن روحها..تريده أن يمحو بعينيهِ و يديه كل آثار موجعة لا تزال
مخلدة في قلبها من الماضي..أن يستبدل كل لمسة دنيئة مقززة بأخرى حنونة دافئة...عاشقة !
تريد أن تغير هويتها و اسمها لتكتب نفسها على اسمه هو..سجى ابنة خالة لؤي..سجى صديقة
لؤي..سجى حبيبهِ لؤي..سجى زوجة لؤي..سجى التي تنتهي للؤي...فقط !

رغم ذلك..فقد وجد نفسه يعود ليكرّر نفس الكلمة و كأنه يحاول أن يمنحها قرار التراجع في
أي لحظة لو هي شاءت ؛

_متأكدة؟!!!

إيماءة أخرى من رأسها له..فتحرّكت أنامل لؤي على وجهها إلى أن لمس المشبك الأنيق الذي
يجمع خصلة صغيرة من شعرها و فتحه برفق أثناء تكراره بنفس الطريقة ؛

_متأكدة?!!!!

بدا و كأنها مستعدة لمنحه نفس الإجابة للمرة الألف.. و هو أيضاً مستعد لسؤالها للمرة
الألف حتى تقطن الراحة قلبه الخافق بعنف..فهمس و هو يغلق أنامله على المشبك و كأنه يحتوي
قلبا هي..بدون أن يترك شعرها حيث تجولت أصابعه بهدوء..
نفسه الهدوء الذي ارتاحت به شفاهه على جبينها ؛

_أريد أن أسمع التأكيد بصوتك سجي..تخيلي أنك تقدمين لي هدية غالية جداً..أعلى شيء
تمتلكينه..و أنا أرفضها خوفاً من أن تندمي لاحقاً على التفريط بها..كيف ستقنعيني بأخذها حينها ؟
كان يتحدث فوق بشرتها حرفياً..شفته لم تفارقا جبينها حتى بعد أن أنهى كلامه..بينما
أغمضت سجي عينها باستسلام إرادي للمرة التي لا تذكر كم..و انزلت يداها اللتان كانتا تطوقان
عنقه إلى أن استقرتا فوق صدره..تلامس موضع قلبه كما تحب أن تفعل دائماً..

قبل أن تهمس بعفوية تامة..بصدق حقيقي ؛

_أنت أعلى عندي من كل شيء في العالم..أنت الشخص الوحيد الذي أشعر بأنني مستعدة لأن
أمنحه كل ما أملك بدون أن تراودني لحظة ندم واحدة..

صمتت للحظة..ثم همست و أناملها تتحرك على صدره إلى أن أصبحت متمسكة بياقة
قميصه الأبيض بيديها الإثنتين..تشبث به باستماتة و كأنها تقبض على هديتها الأعلى فعلاً..

_أساساً...أنت كل ما أملك !

مالت عيناه قليلاً بحنان و هو يسمع جملتها الأخيرة تلك..لا يصدق بأن سجي تقف أمامه..بل
في أحضانه بهذا الشكل..تطلب منه أن يتوجّها الليلة ملكة على قلبه بينما تعترف له بأعذب صوت
بمكانته التي تخطت حدود كل شيء بالنسبة إليها!

ابتسامة جديدة ارتسمت في عينيه فقط..و ابتعد قليلاً يفصل قبلة جبينها..لكن لا شيء إلا
ليميل عليها أكثر إلى طبع شفثيه على غمازة خدها البارزة قليلاً رغم أنها لم تكن تبتسم الآن..

و همس و كأنه يتعمد أن يستخرج الكلمات منها لا أكثر..يريد أن يسمع عن مشاعرها أكثر..
يريدها أن تستفيض في التعبير أكثر..بما أن كل كلمة جديدة تصدر منها الليلة تطرب قلبه أكثر ممّا
يفعل صوت الألحان من حولهما!

_لم أقتنع بعد..تلك ليست مجرد هدية..تلك تشبه أن يستيقظ الإنسان فيجد نفسه يسبح في
السماء..بين الغيوم و القمر و النجوم..حاولي أن تقنعيني أكثر..

همست سحى تبتلع ريقها للمرة العاشرة ربما..تحاول أن لا تظهر في صوتها المتهدج قليلاً تأثرها
بتلك القبله الرقيقة على غمازتها..تعلم بأنها ليست مجرد قبله..و بأنه لن يبتعد الآن إطلاقاً..فتلك
كانت عادته..

ما إن تلمس شفتاه بشرتها..حتى يغمض عينيه و ينسى نفسه للحظات و كأنه يخشى أن
يفارقها فيتلقفه الندم على فرصة أتيحت له و لم يستغلها كاملة !
_حسنًا..ماذا لو أخبرتك بأنني أجهز لتلك الهدية منذ وقتٍ طويل لأجلك..و بأنني لا أراها قيّمة
إلا حينما تمسكها أنت بيدك..هذا يعني بأن كل قيمتها مرهونة بك أنت..فهل تسقطها من يدك و
تتركها...تنكسر !!؟

همس لؤي و هو يسبح بشفتيه على بشرتها برقة شديدة..لأول مرة لا يكتفي بتقبيل مكانه
المفضل ذاك..بل وجد نفسه بغير وعي منه يميل عليها أكثر و أكثر بدون أن يفارق بشرتها إلى أن لمست
شفتاه الوريد الخافق في عنقها..

بينما ارتفعت يده الأخرى حيث يقبع المشبك الذي رفض إسقاطه على ظهرها إلى أن استقرت
فوق مؤخرة عنقها..تحت خصلات شعرها المنسدلة بسحر يُسبي الأنفاس..و همس بصوتٍ مختنق بما
سيقول و يده تنغلق حول المشبك بدون أن يشعر ؛
_أخشى أن أمسكها أنا بتهور...فتنكسر بيدي !

شعر بضغط يديها يشدد على ياقة قميصه..ثم همست بنبرة تشبه نبرته في اختناقها و هي
تميل برأسها للجانب قليلاً مقتربة منه أكثر و أكثر بدون أن تعي ذلك..
تتقبل لمساته ببديهية غريبة عليها..و كأن جسدها يعرف جسده منذ الأزل!
و الحقيقة أن لا أحد منهما كان يُدرك بأن الحواجز المذكورة قد بدأت تتداعى منذ وقتٍ طويل
فعلاً !

منذ أن بدأت تنام في حضنه كل ليلة..منذ أن سمحت له لأول مرة بأن يقبل خدها..منذ أن
أصبح عناقه شيئاً بديهيّاً و باتت لمساته تشبه الدواء المخدر بالنسبة لجسدها..

منذ أن لم تعد خفقات قلبها تتسارع خوفاً كلما اقترب منها بل بـ...بسحر و نشوة !
_ هذا احتمال غير وارد إطلاقاً..لأنني أنا سجي..ما كنت لأضع الهدية في يدك لولا تيقني التام
بأنها لن تنغلق حولها إلا لتحميمها من الانكسار فعلاً..قد يحاول الجميع كسرها..قد يستطيعون
كسرها..لكنك فقط...الوحيد في العالم القادر على ترميمها..
صمت قصير ساد بينهما..و شعرت بأنفاس لؤي تتوقف فجأة..فحررت إحدى يديها لا لشيء
إلا لترفعها إلى أن لمست ذقنه الملتحي قليلاً..قليلاً فقط...ثم أضافت في أذنه ببطء..بصوتٍ اخترق قلبه
بقدر الثقة التي احتواه ؛

_ لن تؤذي لؤي..و لو اجتمع كل العالم على أذيتي فأنت بالذات...لن تفعل !
نفس طويل حررته شفتاه و لفح بشرة عنقها مرسلًا رعشة جديدة إلى قلبها..ثم شعرت
بذراعيه تلتفان من حولها بقوة..يطوقها براحه و قلبه في عناقٍ لا مثيل له..و انغلت يده المطوقة لها
أكثر و أكثر على القلب الصغير لكن بحرص شديد على أن لا يكسره..
لكنه لم يتحدث..و هذا يعني بأنه لا يزال يحتاج إلى إقناع أكبر ليقبل الهدية التي تمنّاها
طويلاً !

بأدلتة سجي العناق بقوة شديدة..تفوق قوته حتى..و لم تبخل عليه بالهمس في أذنه بصوتٍ
خافتٍ جداً..تخاطب كل جوانبه التي تعشقها..تخاطب لؤي صديقها و حبيبها و زوجها!
_ إذا كنت تنتظرني أن أعترف بحبي لك...فستنتظر طويلاً لأنني...لن أقولها لؤي..لن أهمس في
أذنك بكلمة همستها عبثاً لرجل آخر قبلك..لأنك لست مجرد رجل عادي وقعت في عشقه..فأنت لا
تستحق اعترافاً عادياً لؤي..تلك الكلمة لوحدها لن تكون كافية أبداً للتعبير عن ما يخالجني نحوك..
صمتت للحظة شعر فيها بأنفاسها تتردد في أذنيه متسارعة..متسارعة بشدة..ثم استأنفت
تضمه أكثر و أكثر..همست بأعذب نبرة سمعها في حياته ؛
_ أنا..أنا لست أحبك فقط لؤي ،أنا...أتنفّسك !

حسنًا..هل تركت له أيّ كلام ليقال ؟ لقد قبل الهدية قبل حتى أن يطلب منها أن تقنعه بها..
لكنه أراد أن يمنحها الفرصة لسحبها من يده في أيّ لحظة..

كان يؤثر أن ينكسر هو للمرة الألف على أن يلح و لو نظرة انكسار واحدة في عينيها!
أرغم نفسه بالقوة على أن يخفّف من ضغط ذراعيه حولها إلى أن ابتعد قليلاً ينظر في عينيها
البراقتين ببريق لا يمكن إغفاله أو تجاهله..و كأنها رَحالة مغتربة وجدت وطنها أخيراً !

ثم و في حركة استوعبها و لم تلمحها سجي..كان يضع المشبك في جيب بنطاله الأيمن بهدوء..
قبل أن يرفع يديه الإثنتين ليحتضن وجهها مجدداً..ثم همس بصوتٍ بطيء استوطنته بحه رجل يقف
أمام امرأته الأولى و الوحيدة..

يرغب في تكليلها على صدره بأعذب الهمسات و اللمسات..لكن العجز يكبله منذ وقتٍ طويل..
طويل جداً !

_لآخر مرة أسألك سجي...هل أنت متأكدة ؟!
لم يبدو لها كسؤال..بل خرجت نبرته متشنجة كمن يلقي بتحذير..و قابلتها هي بنظرة ثابتة
أذهلته..ثم قالت بصوتها المختنق قليلاً ببطء..تنظر في عينيه تماماً ملقية بكل الخوف خلف ظهرها
معه ؛

_و سأقولها لآخر مرة لؤي..أنا...أتنفسك...أنت.....
وجد نفسه يقترب منها قبل حتى أن تنطق آخر حرفٍ ليتذوق الاعتراف العذب من شفيتها..
للمرة الثانية في حياته يقبلها..يقبل المرأة الوحيدة التي يحب..و التي سيجب دائماً..
كان يشعر بها ضعيفة بين يديه..حتى حينما عادت يداها لتلتفان حول خصرها متشبثاً كما
يتشبث المرء بروحه..شعر بجسدها يتراجع قليلاً للوراء مستسلمة لذراعيه و كأنها على وشك الانهيار
به و له..

لقد كانت شبه مستعدة لأن تحارب ذكرياتٍ مرعبة ستطرق عقلها بضراوة بمجرد اقترابه
منها..لكنها الآن لا تشعر إلا ب...بالأمان بين يديه..و كأن مجرد وجوده من حولها..كافٍ ليُمجّي هوية
جميع الرجال..

قبلها بنعومة شديدة..حتى في قبلته كانت تستطيع أن تلمح هويته و حنانه و حُبه..و خوفه من
أن ينساق لدوامة عشقها فينسى نفسه للحظة و...و يؤذيها!
كانت شفتاه حتى و هو قريب منها إلى ذلك الحد تكررّان نفس السؤال للمرة الألف..
متأكدة يا سجي ؟ هل أنت متأكدة فعلاً ؟!

أرجوك أن تمنحيني إجابة أخيرة قاطعة..أرجوك أن..لا تهدمي جدران الأمل و السعادة التي
بنيتها في قلبي بارتعاشة خوفٍ أو...اشمئزاز !

و قد كانت ترتعش طوال الوقت..ترتعش حباً لا خوفاً..كل ما فيها يرتجف عشقاً..حتى عيناها
و يداها اللتان لم تتوقفا عن التشبث به في ميلانها و كأنها دمىة يحركها فنان بخيطٍ غير مرئي..

إلى أن فتح عينيه ليقابل عينها منحنياً معها بجذعه و كأنهما راقصان بارعان يقفان أمام جمهور شاسع يستمعان لتصفيقاتهم الحارة بعد نهاية رقصة غاية في الروعة و التناغم..

أو ليست جميع الرقصات تنتهي بحركة كتلك التي صنعها جسداهما بغير تخطيطٍ منهما؟! صوت أنفاسها المتحشجة كان يتردد في أذنه كلحن جميل..و عيناها الزائغتين قليلاً تحت حاجبها المنعقدتين استغراباً بريئاً كانتا تلقيان سؤالاً معبراً على عينيه..

هل هذا هو مذاق القبله الأولى حقاً ؟ هل هذا هو مذاق الحُب الأول و الاعتراف الأول؟! هل هذا هو طعم الأخذ و العطاء في الحُب؟! و شعور أن ترغب الآن في إسدال رموشها و...و الشعور بقبلته مجدداً؟! كيف يمكنها حتى أن تشعر بذلك؟! لقد شعرت بذلك فعلاً!

تمسك بها أكثر إلى أن عاد ليستقيم بجسده و يجعلها تستقيم هي الأخرى..لا تزال تنظر في عينيه بتشوشٍ منبعه أفكارها و أسئلتها الغريبة تلك..و لم تنتبه فعلياً إلا حينما لمست يداها كتفها برقة..بينما همس صوته في جوف أذنها بنبرة خاصة بها وحدها ؛

_الآن اقتنعت !

بعدها لم يمهلها أو يمهل نفسه لحظة جديدة للوقوف هناك..انحنى فوراً ليدسّ إحدى ذراعيه تحت ركبتيها و الآخر خلف ظهرها إلى أن حملها بين ذراعيه..يشعر بيديها اللتين ارتفعتا لتطوقان عنقه بغير تخطيط منها على الأرجح..

بينما عادت عيناها لتمنحان عينيه نظراتٍ بالغة الثقة و...و الحُب الذي اعترفت به بطريقتها الخاصة..قبل أن تسدلهما ببطءٍ مريحة رأسها على كتفه حينما شعرت بخطواته الهادئة نحو غرفتهما..خطواته جعلت قلبها ينبض بعنفٍ بعد هدنة قصيرة أعلنتها حواسها..

إلى أن تخطى حاجز الباب مغلقاً إياه بقدمه..فعادت لتفتح عينها و كأنها ملتزمة بوعدٍ خفي معه..أن تمنحه عينها كلما راودته رغبة مجنونة في التحديق بهما..

اقترب أكثر و أكثر بداخل الغرفة..يرفض أن يقطع تواصله البصري معها..حتى حينما وضعها فوق السرير برفق..ثم جلس في طرفه لتمتد يداها إلى قدميها ينزع الحذاء الأسود الرقيق مثلها عنهما برفق..

و بنفسٍ هدوءه المثالي وضع الفردتين فوق الأرض..و كأنه يتعمد كل حركة و لمحة كي لا يجعل ذرة فزع واحدة تلامس قلبها..

عاد لينظر لها لوهلة..فوجدها تراقبه فعلاً..قبل أن تفرد يدها نحوه في حركة دفعت ابتسامة شبه دامعة لأن تكتسح عينيه..و لم يتردد من التشبث بكفها بقوة إلى أن رفعها إلى فمه يطبع قبلة طويلة فوق ظاهره..

كلاهما يتملكهما خوفٌ ضئيل دخیل..يقاومانه بضراوة الاحتياج لبعضيهما البعض..كان هو...يخاف من أن ينجرّف لمشاعره فيؤذيها..و كانت هي...تخاف أن يعترضها مشهد واحد من الماضي فتؤذيه !

لكن حتى خوفهما بدا عاجزاً عن كبح ما على وشكِ الحدوث اليوم..حتى خوفهما لم ينجح في نسفِ ابتسامته اللامعة تلك..و التي قابلتها سجي بابتسامة مرتعشة لامعة مثلها.. قبل أن يقترب منها بتأني إلى أن أصبح مستلقياً بجانبها..يتقاسم معها السرير الذي تقاسمه معها لمراتٍ لا تعد حتى الآن لكن هذه المرة مختلفة..

هذه المرة لم يكتفي بأن ينام بجانبها محتضناً إياها بقوة..فقد أراح يده برفق على جانب وجهها و هو يميل على أذنها بهمسة ساحرة ؛
_سأقبل الهدية بشرطٍ واحد..

ابتعد قليلاً لينظر لعينها..مشرقاً عليها بعينيه..لكن سجي اكتفت بنظراتها المحملة بثقة لا حدود لها كجواب..و لم يحتج هو لأكثر من ذلك كي يستطرد بلطفٍ بينما يحركُ نفس اليد ليبعد خصلة من شعرها إلى خلف أذنها ؛

_إذا شعرتِ في أي لحظة بأنكِ عاجزة عن الإتمام..فستخبريني..اتفقنا !!؟
أومات له سجي مبتلعة ريقها ببطء..فتحرّكت أنامله على وجنتها بنعومة إلى أن لامس إبهامه تلك الغصّة بحنجرتها..و عاد ليمس بحنانٍ مدققاً النظر بكل إنشٍ في وجهها ؛
_أريد أن أسمع الجواب بصوتك..

و قد منحته الجواب الذي يريد..كان جوابها أبلغ من كل الكلمات..فقد رفعت ذراعها لتحتضنه مطوقة عنقه بقوة..ثم همست في أذنه بصوتها الذي يجب ؛
_إذا شعرتِ بأنني غير قادرة على الإتمام..فسأنظر في عينيك قليلاً..و أضمك قليلاً..متأكدة بأن هذا أكثر من كافٍ..

ابتسم لؤي بحزن و هو يشعر بذراعيها حوله تضمانه بقوة شديدة..لكنها اضطرت لأن تخفف من ضغطهما قليلاً حينما ابتعد عنها قليلاً فقط لا لشيءٍ إلّا ليطبع شفتيه على جبينها بقوة..و همس بنفس النبرة بينما يلصق جبينه بخاصتها ؛

_أريدك أن تنظري في عيناى طيلة الوقت..

و كأنها سمعت جملته بشكل عكسي..فوجدها تغلق عينها بقوة بدون أن تشعر..لكنها رغم ذلك همست بصوتٍ أجش خافت جدًا و هي تلمس صدره القريب منها جدًا بيديها ؛

_سأحاول..

و كانت تلك..آخر كلمة سمعها منها..و كان آخر ما شعرت به هي..قبل أن يفرقها معه في سماءهما الخاصة بهما وحدهما..حيث تالأت النجوم متخللة السواد بأمل..و توهج القمر محتضناً أقرب نجمة إليه..

و أعلن الليل الحالك استسلامه التام أمام وهج النور الذي بدد عنه ظلمته بغير إذن منه ! هو أنامله التي امتدت لتداعب عقدة حزام فستانها الملتفّ برقّة شديدة حول خصرها..لكن هل تعلمون ما كان الشيء الغريب فعلاً ؟

أن كلمات الدكتورّة التي كانت تشجعها طيلة الأيام الماضية..لم تتكرّر في ذهنها إطلاقاً الليلة منذ أن رآته..كانت معه سحى الحقيقة..بقلبيها و روحها و بكامل إرادتها غير الخاضعة لمخاوفها. لوحدهما..و ثالثهما الحُب فقط..

و كان الشاهد الوحيد على قصة حُب سامية تم تكليلها بنجاح تلك الليلة..قطرات المطر التي لم تنفك تنساب برقّة متأنية في ظلام الليل..تلامس زجاج النافذة الكبيرة كلفحة من الأمل تطرق بابهما..

حتى بعد أن غفت بعد دقائق طويلة على كتفه كطائر صغير يستكين في عشه الآمن.. ربما سيقفان سوياً في الصباح أمام النافذة الكبيرة هناك ليتأملان إشراقة شمسٍ جديدة.. بعد أن غابت طويلاً طويلاً..

غابت ليس إلّا لتذكرهما بأنها عائدة من جديد !

" 57 :مشبك شعر "

#لؤي

الحُلم...هل حاولتم من قبل أن تضعوا تعريفاً لهذه الكلمة الصغيرة؟! أو لنقل...المعجزة!

نعم..هذه هي الكلمة الصحيحة التي كنت في حاجتها الآن لأصف ما يخالجي..

لم أكن مستلقياً بجانب حُلمي الجميل الذي راودني لشهور طالت..بل كنتُ أحتضن معجزتي..

تلك المعجزة التي يمضي الإنسان كل حياته يصلي بعجز شديد آملاً في تحقيقها..لكنها ما إن تتحقق..

حتى يتحوّل عجزه ذاك إلى...ذهول مرعب!

أليست مجرد "معجزة"؟ كيف تتحقق إذاً بهذه البساطة!!؟

حتى قبل ساعاتٍ طويلة..كان اليأس و الاستسلام يكبلني من كل صوب..لا أزال أتذكر صباح

يوم الأمس..حينما توقفتُ أمام المرأة بعد أن استيقظت قبل سحى..معجزتي..تتذكرون؟

لكنني وجدتُ نفسي حتى و أنا أقف أمام المرأة منشغلاً بإغلاق أزرار قميصي الأبيض عاجزاً

عن التوقف عن تأملها..بينما هي لا تزال نائمة تحت الغطاء السميك الذي نتشاركه كل يوم بسكون

تام..

إنها تلك المرات النادرة التي أستيقظ فيها قبلها..فعالباً..و منذ أن انتقلنا إلى هذا المنزل..كنتُ

أستيقظ لأجد نفسي مستلقياً بمفردي فوق السرير..و حينما يحالفني الحظ..أستدير لأراها مباشرة

تقف في الحديقة..

إما تجلس القرفصاء بجانب الحوض ذاك..تمسكُ في يدها مقصاً ضخماً تقطع به بعض

الأغصان الجافة الزائدة هناك..أو تحمل في يدها الإبريق الأبيض الصغير الذي تستعمله في سقي

الأزهار تلك منذ أن انتقلنا إلى هنا..

أو تقف بجانب طاولة خشبية مربعة صغيرة تراقب العصافير الصغيرة بينما تتناول من

الحبوب التي تضعها لها فوقها كل يوم قبل أن تراقبها بانسراح و هي تحلق عالياً مجدداً..بحرية

مطلقة..

كانت تعشق مراقبة العصافير بينما تطير عالياً بحرية مطلقة ثمينة..لأنها ترى نفسها بينها!

و لو حالفي الحظ أكثر..فقد أحظى بابتسامة شاردة من عينيها الزيتونيتين العميقتي التعاير
حتى أثناء شرودها..بدون أن تنظر لي..بدون أن تلمحني أو تدرك مر اقبتي الخفية لها..كانت تمنحني
القوة لأبدأ يومًا جديدًا مشبعًا بالسعادة...بها!

لم أكن لأستيقظ قبلها لولا أن هناك بعض العمل الهام ينتظرنني في الخارج..ذلك العمل الذي
لم أخبرها عنه و لم تسألني حتى الآن عن سبب خروجي المتكرر من البيت بعد أن كنت لا أغادره في فترة
من الزمن..

كانت تلك الدقائق التي قضيتها أراقبها من مكاني بعينين تفيضان بمشاعر مختلفة..ثمينة
جداً بالنسبة لي..حتى و أنا أستشعر في نفسي رغبة قديمة بأن...أغرق تلك الملامح الحبيبة حبًا! و
لعلها تستيقظ ليوم واحد فقط لتقع عينيها على لؤي -حبيبها- لا صديقها!

كانت تلك أمنية اجتاحت قلبي في لحظة من الزمن.. و دفعت ابتسامة ساخرة مريرة لتشق
قلبي قبل شفاهي..تعلمون بالطبع ما كان عذر تلك الابتسامة..ذلك لأنني لم أتوقع إطلاقًا أن أعود في
المساء لتقع عيناى على أجمل امرأة رأيتها في حياتي..

تقف أمامي مبتسمة بتردد و أمل..تحديق بعيناى بحُب لا يمكن أن ينضب..تنظر لي كلؤي..
-حبيبها- لا صديقها..تعرض عليّ الرقص..تضميني...ثم تخبرني بأجمل نبذة سمعتها في حياتي..بأن الحُب
ليست كلمة كافية لوصف ما تشعر به نحوي..

لم تكن تجبني فقط كسائر الناس..بل تنفّسني..و أنا..لأنني ما تذوقت الحُب قبلها يومًا..كنتُ
أرى في عينيها وميضًا يجعلني أرى كل الناس من حولنا مجرد وهم..و هي...الحقيقة الوحيدة الموجودة
في حياتي !

إذا كان الحُب ليس كلمة كافية لوصف ما تشعر به هي نحوي..فماذا عن شعوري أنا نحوها ؟
كيف أصفه !

لا أزال أتذكر حتى الآن شعور قبلتنا الأولى..لا يزال صوت أنفاسها اللاهثة تأثرًا بي يتردد في
عقلي كسيمفونية عتيقة تجسد كل العشق..لا تزال نظراتها العاصفة بالمشاعر..اعترا فها المتيم يملأ
كل خلية حية بداخلي..

أشعر بأن الدماء تتسرب في عروقي بنشاطٍ غريب كلما تذكرت كلمة..أو نظرة..أو لمسة !
بأنني..بعد كل شيء...ها أنا ذا لا أزال على قيد الحياة ! أستلقي بجانب حبيبتي !

اليوم أيضًا استيقظتُ قبلها..لم أكن لأسمح لها بأن تستيقظ قبلي أساسًا..و أنا الذي لم يلامس النوم الحقيقي أجفانه إلا دقائق معدودة من الزمن..كيف كنتُ سأستطيع النوم بطبيعية و عقلي يستوعب بالكاد ما أعيشه؟! كيف كنت سأفوت على نفسي فرصة رؤيتها بهذا الشكل؟! كانت الشمس لا تزال لم تشرق بعد..و كانت سجي غارقة بالكامل في النوم..رأسها يرتاح بكل هدوء على صدري..شعرها الكستنائي الناعم مبعثر حول وجهها برقبة شديدة كما يحدث دائمًا حينما تكون نائمة..

ملامحها تبدو شاحبة قليلًا و ذلك مبرر تمامًا لشخصٍ لم ينم إلا بعد منتصف الليل بأكثر من ساعتين..و...ترتدي قميصي الأبيض الذي...كان يبتلع جسدها النحيل حرفيًا! المهم بأنها كانت تغلق أزراره بالكامل حتى الرقبة..و رغم أن كفها المفرد كان يرتاح بسلام على صدري..تلامس موضع قلبي النابض بحُما..و ملامحها تبدو في غاية السكون و الارتياح..

إلا أن ذلك التوهج بوجنتها كان واضحًا جدًا لي..

كانت ببساطة تبدو جميلة جدًا..كسجى صديقتي التي ركضتُ معها و لعبت معها و حملتها بين ذراعي لأول مرة و أنا في الثامنة من عمري..كسجى حبيبتي التي نظرت في عينيها لمراتٍ لا تعد و بحت لها بحُبي لمراتٍ لا تحصى..

كسجى...زوجتي التي همستُ في أذنها ليلة أمس أملًا بأن لا تغلق عينيها عني أبدًا..و نفذت.....

بالكاد !

لم أستطع أثناء تأملي الطويل لها..لدقائق لا تعد..أن أمنع أناملِي من التجول فوق كل إنشٍ من ملامحها التي أحفظ كل تفصيل منها في أعماق قلبي..و لا أن أمنع نفسي من الانخفاض قليلًا بين كل دقيقة و أخرى لأقبل ذلك التوهج ببطءٍ و تركيز..

و رغم ذلك..فقد كان هناك قلق طفيف يحتل قلبي و يزداد قليلًا أثناء انتظاري لاستيقاظها.. كنتُ أود بشدة أن أرصد أول نظرة لها ما إن تستيقظ..أول تعبير و أول كلمة حتى..للمرة الألف أود التأكد ما إن كان ما حدث بيننا بالأمس صائبًا بـالنسبة لها-...أم لا !

قبلة جديدة طبعتها فوق خدها الناعم..و بالكاد تمكنت من إرغام نفسي على فصلها إلى أن عدتُ مستلقيًا فوق الوسادة البيضاء التي أشاركها معها..أشعر باليأس لفكرة أنها تنام الآن على خدها..و أنني مضطر لتكبير رغبتِي في لثم مكاني المفضل هناك إلى أن تستيقظ..

ثم اقتربتُ أكثر إلى أن لمست جبينها بخاصتي..و همست لها عن قرب بينما أضمها بكلتا ذراعي إلى صدري أكثر..همست بخفوتٍ شديد و كأنني أحثها و لا أحثها على الاستيقاظ في نفس الوقت ؛

_تذكرين حينما طلبت منك أن تنظري في عيناى طيلة الوقت و أجبتني بأنك ستحاولين ؟ أنا الآن أطالبك بأن تفتحيهما حالاً و تنظري لي..هيا سحى.. هيا غاليتي..امنحيني تلك النظرة الجميلة..

اعتراف مماثل آخر منك و قد أفقد نفسي إثر نوبة قلبية بسببك !

شعرتُ بتلك الابتسامة التي رسمت لنفسها سبيلاً إلى عيناى بدون تخطيط مني..بينما استعداد عقلي للمرة التي لا أذكر كم ذلك الاعتراف..ألم أقل لكم بأنها معجزة ؟ و أنا مجرد رجل بسيط اعتاد أن لا يؤمن بالمعجزات !

على الأغلب...لا يزال يلزمني الكثير من الوقت بعد لاستيعابها و التعايش معها!
فجأة..شعرتُ بحركة صغيرة في أناملها المريحة على صدري..تلامس بشرتي مباشرة بغير أي حواجز تذكر لأول مرة بيننا..ثم رأيت كيف تملمت جفونها قليلاً دليلاً على استيقاظها القريب.. فتأهبت كل ملامحي و عقدتُ حاجباى قليلاً منتظراً بلهفة شديدة..و كم طالت تلك الرحلة قبل أن تفتحيهما بالكامل و...تنظر لي مباشرة !

بدت لي نظراتها غريبة في البداية..كانت عيناها خاليتان من الاستيعاب..و قد عقدت حاجبيهما هي الأخرى و هي تحديق بي للحظاتٍ و كأنها تحاول أن تستعيد تركيزها المفقود..
لكنها كانت مجرد لحظاتٍ قصيرة..و سرعان ما اتسعت عيناها قليلاً فقط و احتقنت وجنتاها المتوردتين أصلاً بحمرة خجل أكبر..لكنها حاولت احتوائه بثباتٍ كاذب..فرايتُ كيف انزلقت عيناها بترددٍ إلى يدها الملامسة لصدري..

و بالطبع لم تكن لتكون سحى خاصتي لو فعلت ما خطر في ذهنها و أبعدها..لهذا فقط..
أسدلت رموشها كستار ناعم عني بصمتٍ..بدون أن تبعد تلك اليد أو تعلق بكلمة..
لم أكن أعلم فيما تفكر بالضبط..لكن ملامحها أوحّت لي بالطبع بأن أي ذرة تردد أو ندم لم تطرأ في ذهنها..بل العكس تماماً..فقد بدت تلك النظرة التي منحتها لي بغير قصد منها قبل أن تسدل جفونها..هادئة..صافية جداً و شديدة السكون..

لقد كان..حاجزاً شائكاً...مزعجاً و تخطيناه !

حينما شعرتُ بأنها لن تتحدث أبداً باقية على نفس الوضع..همست أنا مبتسماً بلطفٍ الشيء الذي خطر في ذهني تلقائياً ؛

_مرحباً..

كانت نبرتي توضح ابتسامتي..و راقبتها باهتمام بينما تبتلع ريقها ببطء..فامتدت يدي لتكرّر حركة فعلتها لأكثر من مرة ليلة أمس..لمستُ ذلك التشنج الصغير برقبتهما..

إلى أن رفعت رأسها نحوي لتمنحني عينيها الزائغتين قليلاً..و اللتين اختلط فيهما اليوم خجلها
اللذيذ بإرهاق طبيعي..و همست ترد لي تلك الكلمة بصوتٍ ناعم خافتٍ جداً ؛
_مرحباً..

كانت قد نجحت في رسم ابتسامة صغيرة في عينيها تزامناً مع نطقها لتلك الحروف..لكن
عيناها..وقعتا على حركة يدها الأخرى الحرة..التي ارتفعت لتلمس ياقة قميصي متمسكة بها في حركة
ربما بديهية..

هل أصبحت مهووسة إلى هذا الحد بالتمسك بياقة قميصي ؟ أم أنها نسيت بأنها هي من
ترتيده الآن لا أنا !!!

لم أعلق على تلك الحركة أبداً..كل ما فعلته..أن رفعتُ نفس اليد التي كانت على عنقها لألمس
جانب وجهها بلطفٍ..ثم استغرقت ثوانٍ أخرى في التحديق بها فقط..
ثوانٍ لم تحاول فيها سجي أن تترك عيناها..و كأنها قد سمعت كلامي لها قبل قليل و قررت أن
تنفذه لأجلي..

لكن عيناها أنا من حادثاً قليلاً عنها لتستقرا مجدداً على أناملها المتمسكة بياقة قميصي..
و هذه المرة...أنا من تعمدتُ أن أبقى على الصمت..فقد اكتفيت بابتسامة غريبة لونت وجهي..
ثم ما إن عدت لأنظر في حدقتيها..ارتفع حاجباها قليلاً و أنا أرى تعبير التوجس الذي كان قد ارتسم في
عينيها إزاء نظرتي تلك ربما..

لكنني همستُ لها ببراءة بدون أن أبعد يدي عن وجنتها ؛

_هل أسألك سؤالاً بسيطاً ؟!!

ازداد التوجس قليلاً في عينيها..لكنها رغم ذلك أومأت لي بغير اقتناع تام و كأنها تشعر بالقلق
ممّا قد أقوله..و احزروا ماذا سألتها ؟!

_من سمح لك بارتداء قميصي ؟!!

نطقْتُ هذا السؤال بنبرة جادة تماماً يشوبها شيءٌ من الجمود غير الحقيقي..فأنا بالكاد كنت
قادرًا على كتم ضحكتي الواسعة..و لا بد بأن سجي لمحت كل ذلك..

شعرتُ بالشفقة عليها و أنا أراها ترفع حاجبيها بشيءٍ من الذهول الأقرب إلى الفزع أولاً..ثم
سرعان ما أغمضت عينيها هامسة بنبرة من يوشكُ على البكاء في أي لحظة..و الحقيقة أنها كانت
توشكُ على البكاء فعلاً..البكاء إخراجاً و خجلاً من السؤال ذاك !!!

_لا تفعل ذلك...لؤي..أرجوك !!

و كأن همستها هذه كانت الإذن الذي انتظرتة لأحرّر تلك الضحكة..فوجدتُ نفسي بغير أن
أشعر أضحكُ بقوة..ضحكة لم تخلو من ذلك الشعور اللذيذ الذي يعتريني بالعطف نحوها..
ثم جذبتها إلى صدري بقوة و أنا أطوقها بكلتا ذراعي..و انخفضتُ قليلاً مغرقاً أنفي في
خصلاتِ شعرها..أتمرغ في عطرها المسكّر مغمضاً عيناى بقوة مثلها..
و ذلك الاستسلام الذي تقابلني به مر افقاً لتمسّكها بجذعي بكلتا ذراعيها لا يزيدني إلا سعادة
ورضا..

صمت جديد طاف بيننا..كنتُ أشعر بنسماتٍ دافئة تتسلل إلينا رغم أن نافذة الغرفة
الزجاجية مغلقة..و في كل مرة جديدة تلفحني نسمة جديدة..كنتُ أشدّد من ضغط ذراعي حولها
غير مبالياً بنفسى..

إلى أن أرغمتُ نفسي على الابتعاد قليلاً لا لشيءٍ إلا لأقابل عينيها مجدداً..و شعرت بالراحة و
أنا أرى ملامحها المتوردة قد استعادت هدوءها و استرخاءها قليلاً..فأنا آخر همّي الآن كان أن أبالغ في
إحراجها!

قبل أن أهمس بجديّة..بنبرة خرجت محملة بقلق طبيعي رغم الحنان الذي يغلف صوتي ؛
_أخبرني إذاً..كيف تشعرين اليوم ؟!!

لم أكن في حاجة لتفسير أكبر ليصل مغزى سؤالي إليها..ظلت ملامحها على نفس التعابير و
كأنها لم تتفاجئ أبداً من هذا السؤال..لا يهم من كان يخاطبها الآن..زوجها أم صديقها...أنا الإثنين !
لكن ذلك اللمعان الذي ظهر في عينيها عميقاً جعلني أقطّب حاجبائي قليلاً بلهفة فاقت
الحدود..لا...لم يكن لمعان حزن أو دموع...بل كانت لمعة...حياة ؟!!

ثم همست لي بنبرة خافتة تحمل في باطنها الكثير من المعاني المشفرة بيننا..و التي ربما لن يدرك
معناها الحقيقي شخص سمعنا بالصدفة..

همست و هي تسمح ليدها التي كانت تستكين فوق صدري قبل قليل..و التي ما انفكت تضميني
بها بقوة بعدها بثوان قليلة..بأن تعود لتستكين فوق موضع قلبي..و كأنها تخاطبه هو لا أنا!
_بأنى.....على قيد الحياة ؟!

ابتسامة حنونة شقت شفّتي بعفوية..لكنني رغم ذلك همستُ سائلاً بجذل ؛

_بأنك...أنتِ فقط ؟!!

_بأننا !! بأننا...على قيد الحياة !

همست مصححة تلقائياً...ثم صمتت للحظة..و أضافت مانحة إياي طيف ابتسامة ارتسم في

عينها فقط..لكنه جعل قلبي يختلج بخفقاتٍ مجنونة ؛

_أنا و أنت !

هل تظنون بأنني قد اكتفيتُ بهذا الجواب ؟! أنا الذي أخاف عليها من نفسي و مشاعري أن

تختنق بها في لحظة ما !!

حاولتُ بشدة..بشدة أن أكتفي إلى هذا الحد..أن أكنم سؤالاً آخر لم يبارح عقلي منذ أن

استيقظت..حتى أنني أومأت لها برأسي بهدوء و عيناى تسرحان قليلاً في البعيد رغم أنني ظاهرياً كنت

أنظر لها..

لكنني عجزتُ في النهاية..فوجدت نفسي أهمس لها مجدداً بشكل مفاجئ ؛

_هل يعقل بأنني...أذيتك بدون أن أقصد في لحدي.....

قبل حتى أن أكمل..جاءني صوتها الخافت يقاطعني بحرارة..بنبرة باترة..صادقة جداً ؛

_إطلاقاً..إطلاقاً لا !!!

دهشة طفيفة ظهرت في عيناى..لكنني احتويتها و أنا أكرّر مجدداً بالحاح ؛

_متأكدة ؟!!

شعرتُ بأن لون العالم كله تحول إلى وردي و أنا أرى ابتسامة حقيقية تملأ كل إنشٍ في وجهها..

ابتسامة دامعة قليلاً..ثم همست بنبرة تلونت بتلك الابتسامة اليانسة ؛

_متأكدة بالطبع..فقط...توقف عن طرح هذا السؤال !!

الآن فقط شعرتُ بارتياح تام يحتل قلبي..فهمست و أنا أتهد مطولاً..أبادلها الابتسامة

الجميلة تلك بغير تخطيطٍ مني ؛

_حاضر..أيّ أوامر أخرى سيدة سحى لؤي الشاذلي ؟!

لم يتغير أيّ شيء في نظرتها عدا ابتسامتها التي تعمقت قليلاً..ثم حركت رأسها بالنفي بدون أن

تحيد بعينها عني..لكنني أنا من فعلت..قلْتُ فجأة بحزم و أنا أبعد الغطاء عني لأمهد لنفسي فرصة

الوقوف ؛

_سأفعل شيئاً ما..

لكنني و قبل حتى أن أقف..عدتُ لأنظر لها لأجدها قد استقامت قليلاً نصف جالسة تستند

بظهرها إلى قائم السرير بينما الغطاء الأبيض يغطي نصف جسدها..

و قلتُ محذراً بينما أرفع إصبعي السَّبَّابة في وجهها و أراقب أناملها التي ارتفعت إلى شعرها
تبعد القليل من خصلاته الناعمة إلى الوراء ؛
_إياكِ أن تتحركي من مكانكِ..

نظرت لي بتوجسٍ مضحك.. لكنني أبقيتُ على نظرتي و أصبعتُ.. فأومأت لي عاقدة حاجبها
قليلاً بنفسٍ ذلك التوجس الذي جعلني أتردد من أن أستدير عنها.. ذلك التردد.. و تلك النظرة الجميلة
في عينيها..

هي ما جعلتني أمد يدي أكثر نحوها إلى أن لمستُ وجنتها و كأنني أساعدها في إبعاد تلك
الخصلات التي تزعجها.. ثم اقتربت منها بتأني إلى أن طبعت قبلة طويلة فوق جانب شفيتها..
قبلة أغمضت غاليتي على إثرها عينيها.. ثم همستُ في أذنها بنبرة تحمل معنى أعمق من
ظاهرها ؛

_سأعود حالاً..

ثم وقفتُ بسرعة لألتفتُ قميصي الداخلي الرمادي من فوق الأريكة و أرتديه بسرعة تزامناً
مع اقترابي من الباب إلى أن خرجت بالفعل مغلقاً الباب من خلفي بهدوء.. و اتجهت من فوري إلى
المطبخ..

على الأرجح تعلمون ما الذي أنوي فعله.. إنها تلك المبادرة التقليدية التي يفعلها كل زوج عاشق
لزوجته في صباحٍ رائق كهذا !

شرعتُ بسرعة في تجهيز طعام إفطار بسيط لشخصين.. كنت قد تعمدت أن أحضر وجباتٍ
سريعة حتى لا أتأخر كثيراً على سحجي.. الشيء الوحيد الذي حرصت عليه هو جودة طعمه.. و شكله
النهائي..

حسنًا و لا أنكر أيضاً بأنني استغرقتُ في ترتيب ما أعددته فوق الصحنين المربعين الأبيضين
وقتاً أكبر مما استغرقتُه في إعداده.. ثم تبقت الخطوة الأهم.. هل رأيتُم من قبل صينية إفطار
رومانسي تكتمل بدون وردة حمراء على الجانب !!؟

ربما لم أكن لأواجه أي مشكلة لو لم تكنُ غرفتنا تطل على الحديقة كمعظم الغرف هنا و
المطبخ أيضاً ذو الجدار الزجاجي المفتوح عليها.. و لو لم أكن أمتلكُ زوجة تهتم بالورود لدرجة انتقادي
لو قطفتُ وردة أمامها..

لأول مرة في حياتي أشعر بأنني ناقم على زوجة أخي شهد التي نقلت عدوى الاعتناء الشديد
بالورود لسحجي !

اقتربتُ من الحديقة بحذر..و تحديدًا من حوض الأزهار الطويل..نفس المكان الذي كنت أراقب سحى تقف بجانبه من غرفتنا..كنت مستعدًا لأن أواجه فضيحة لا تنسى لو لمحتني سحى..و رغم ذلك فقد اقتربت بحذر شديد..

إلى أن وصلتُ إليه..و قطفت وردة مع بالغ الاعتذار لها و لصاحبة كل هذا المكان التي ما فتئت تعتني به طيلة أيام..مع العلم أنني أعتبر أيضًا من مجي الورود و من أكثر الداعمين لفكرة الاعتناء بها..

لكن الغاية تبرّر الوسيلة ! خاصة لو كانت الغاية سامية جدًا كغايتي بالطبع ! رمقتُ الغرفة أثناء عودتي بنظرة كان الهدف أن تكون خاطفة..لكن عيناى اتسعتا قليلًا و أنا أرى سحى تقف خلف النافذة فعلاً..لا تزال ترتدي قميصي الأبيض الذي لاق بها أكثر ممّا كان يليق بي بكثير..

تعقد ذراعيها أمام صدرها..و يبدو بأنها كانت تر اقبني منذ أن جنّت إلى هنا! لكن الأهم من هذا الادراك..و الذي جعلني أشعر بالارتياح أنني لم أفصح..كانت ابتسامتها الدافئة التي لامست عينيها فقط..و لم تلبث تغدقها عليّ بفيض من حنان يتأرجح في نظراتها لي..و ربما لم تكن لتخبرني بأنها رأني لولا أن التفتُ بنفسى لأكتشف ذلك..و رغم ذلك..فقد رفعت أحد حاجبيها و هي ترمق الوردة في يدي و كأنها تلقي عليّ سؤالًا صامتًا.. فلم أتمالك نفسى و أنا أقرب من النافذة التي تفصل بيننا..و ربما..من حسن حظي أن الجو كان دافئًا هذا اليوم..و إلّا لكنت قد تجمدت من البرد بهذا الوضع.. توقفتُ خلفها تمامًا..على بعد مسافة بالكاد تعد من سحى..و رأيت كيف ارتفعت يدها فورًا تهم بفتح النافذة لي ناظرة لي بقلق مبرّر..لكنني منعته بحركة من يدي..فتوقفت يدها على القفل و أمالت رأسها إلى الجانب ناظرة لي بحاجبيها المرتفعين بعدم فهم.. لكنني فعلتُ شيئًا مختلفًا..زفرت بعض الهواء من فمي إلى النافذة بيننا..ثم قربت سبابتي لأكتب لها ببطة بدون أن أفارق عينيها اللتين زادتاه دهشة منى.. إلى أن أنزلتُ يدي و أشرت لها بذقني أن تقرأ ما كتبت..و هكذا فعلت..أخفضت عينيها تتجول بهما فوق تلك الحروف بارتياح..

" تظاهري بأنك لم تربني.. "

على أساس أنها لم تكن لتكتشف الأمر لو قدمتها لها مع الإفطار ! حسنًا..لكن على الأقل كنتُ سأنجح في مفاجئتها !

رأيتُ كيف ارتفع حاجبا سجي أكثر و أكثر و هي تقرأ تلك الجملة مني..قبل أن ترمق الوردة
المسكينة في يدي..ثم فعلت نفس الحركة السابقة..زفرت بعض الهواء لتبدأ في الكتابة فوقه و نظراتها
تفقد القليل...القليل فقط من رقتها!

"كيف أفعل؟! "

ثم نظرت لي بعدها عابسة بشكل طفيف جداً..و كعادة قديمة لدي..ابتسمتُ في وجهها..لكنها
كانت ابتسامة غير واثقة تماماً..كتبت لها بعدها باستعطافٍ مسكين..

"تعلمين بأنها لأجلك؟! "

ثم تعمدتُ أن أرسم لها بجانبها قلباً صغيراً لطيفاً..
كان هناك شعور عجيب من السعادة يغمرني في هذه اللحظات..و ربما لأول مرة بعد سنواتٍ
طويلة..أشعر بأنني عدتُ ذلك الطفل الصغير المنطلق بلا قيود..
أشعر بأنني لؤي الحقيقي الذي كنتُ عليه قبل أن تكبّلني المسؤوليات و القرارات الصارمة
التي خاضت في حياتي !

لا أظن بأن سجي الوحيدة التي كانت في حاجة إلى التعافي..أنا أيضاً مثلها كنت في حاجة إلى
التعافي..و قد تعافيت...اليوم تعافيت على يديها!

ربما نجحت محاولتي هذه في التأثير على موقفها..علمتُ ذلك من الطريقة التي استقرت
عينها بها على القلب الصغير للحظات..لكنها لم تتخلى عن موقفها رغم شبح الابتسامة الذي برز في
عينها عنوة..

و تسلل إلى نبضات قلبي الهادئة ليبعثها مجدداً..و كأن هذه هي مهمتها في الحياة...أن تحيل
كل الهدوء من حولي...إلى ضجيج جميل !

رفعت يدها للمرة الثانية لتكتب لي..

" ما رأيك أن تدخل ؟ "

حسنًا..ها هي بدأت تتخذ وضعية الزوجة الصارمة ! أجمل زوجة صارمة في العالم !
أملتُ رأسي قليلاً إلى الجانب محدقاً بها بما يفوق الحب..و اثق بأن كل أفكارى متجسدة الآن
في نظرتي إليها..و هذا إدراكٌ يسعدني بالطبع..

ثم رفعتُ يدي بدون أن أشعر لأبسّطها فوق الزجاج الذي تنطبع عليه أشعة الشمس..و
للعجب..فقد وجدت سجي تقوم بنفس الحركة..رفعت يدها تلقائياً لتبسّطها بنفس الطريقة و كأنها
لامست يدي فعلاً..

قبل أن تفتح فمها لتهمس لي الآن بشيء لم أسمع.. لكنني استطعت أن أفهمه من قراءة حركة شفاهها ؛

_ادخل الآن !

كانت عيناى فى هذه اللحظة على أيدىنا المرتاحة فوق الزجاج كل منا فى جهة معاكسة..ثم
تراجعت قليلاً و كأننى سأبتعد فعلاً..لكن فكرة جالت فى ذهنى جعلتنى أراجع عن الابتعاد..
ثم اقتربت متعمداً إلى أن لمست الزجاج بجبهتى.. بدون أن أفارق عينىها..لكنها هذه المرة لم
تتجاوب مع حركتى..فرفعت حاجباى و أنا أراجع قليلاً ناظراً لها كطفل صغير يتفاجئ من عدم نجاح
مخططه..

و لم أستغرب و أنا أرى تلك الابتسامة اليائسة التى افترت عنها شفيتها ما إن استوعبت مغزى
حركتى و نظرتى..ابتسامة أقرب إلى ضحكة..بل هى ضحكة بالفعل..ضحكتها الثانية على التوالى خلال
فترة قصيرة..ثم رفعت يدها الحرة لتكتب لى فى المساحة الصغيرة المتبقية تحت جملتها السابقة..
" مجنون ! "

لكن الأهم من ضحكتها و تلك الكلمة..أنها اقتربت بعدها لتلصق جبينها فى الجدار الزجاجى
بيننا..و فعلت أنا المثل مبتسماً برضا..أرى كيف أطبقت سحى عينىها على ابتسامتها الغريبة تلك..
ابتسامة تشبه ابتسامة شخص يقف فى أعلى تلة الجبل الذى عاش حياته كلها يحلم و يحاول تسلقه !
و لأننى أحب مشاكستها..و لأننى اليوم فقط أشعر بأننى استعدت لؤى القديم المرح و المزعج
بمزاحه بعض الأحيان..فقد رفعت يدي الأخرى التى تحمل الوردة لأطرق الزجاج برفق لافتاً انتباهها
مجدداً..

حينها فتحت سحى عينىها تلقائياً بدون أن تبتعد عن الزجاج أو تترك يدي..فكتبت لها مجدداً
جملة محملة بالكثير من المكر الذى أخفيته بنظرتى البريئة..
" يمكنك أن تفتحي لى الباب الآن لأدخل..لست أمانع "

اممم..يبدو بأننى نسيْتُ لوهلة بأننى أخاطب سحى..ابنة خالتى و صديقتى و زوجتى..و للأسف
فقد وصلنا إلى مرحلة تستطيع أن تقرأ حتى الشاعر و النوايا غير الظاهرة فى عيناى..
كتبت لى بعد لحظاتٍ استغرقتها فى النظر لتلك الكلمات بغير ارتياح تام..
" لماذا ؟!!! "

فأجبتها بنفس الطريقة و بكل بساطة..

" أريد أن أقول لك شيئاً ما "

" أعطني فكرة ؟ "

كتببت لي باقية على نظرة التوجس و الشكّ و التي تدعو للضحك كما يدعو كل شيء من حولي

هذا الصباح للضحك بأعلى صوتٍ أمتلكه..

جرعة أخرى من البراءة لونتُ بها نظراتي..و كتبت لها بـ...ببراءة !

" لا أستطيع..الأمر حسّاس بعض الشيء و قد تشعرين بالخجل "

نظرة سحى التالية جعلتني عاجزًا بالفعل عن إخفاء ابتسامتي أكثر..لكنها فاجتنتني حينما

كتببت لي بتأني و هي تنظر نحوي بحذر و كأنني قاتل متسلسل قد أكرس الزجاج في لحظة متهورة و

أنقض عليها..

" حسنًا..إذن سأغلق الباب الآخر أيضًا "

اتسعت عيناى قليلاً و أنا أنظر لها باستنكار و كأنني لا أصدقها..و علمتُ بأنها مثلي تكتم

ابتسامة كبيرة جديدة حينما سمحت لحاجبها الأيمن بالانخفاض قليلاً بينما تركت الآخر مرتفعاً

بجدية..

ثم...ثم استدارت عني متجهة إلى الباب فعلاً..و أمام عيناى أغلقته و أدارت القفل !

ثم عادت تحدق بي عاقدة ذراعها كما كانت قبل قليل بدون أن تقترب مني هذه المرة..بقيتُ

أنظر لها لثوانٍ بما يفوق البلاهة..و للمرة الثانية..أرفع إصبعي نحوها بتحذير هاتفاً رغم أنني أعلم

بأنها لن تسمعني..

_ لحظة..قادم إليك في الحال..

ابتعدتُ بعدها على الفور متجهًا إلى الجدار الزجاجي الذي خرجت منه إلى الحديقة من

المطبخ قبل قليل..وضعت الوردة مكانها في جانب الصينية التي تضم الصحنين معًا..و حملتها مقترّباً

من الغرفة بسرعة..

تهيدة قصيرة حرّرتها..قبل أن أرفع يدي لأطرق الباب بهدوء شديد و أنا أهتف بكل أدب ؛

_هل إذا وعدتكِ بأنني سأتصرف بأدب ستفتحين لي الباب ؟!! سحى ؟!!

لم يصلني أيّ جواب منها..فضيقتُ عيناى قليلاً بقنوط حرصت على أن لا يظهر في صوتي

بينما أعود لأطرق الباب بنفس الهدوء ؛

_هل تعلمين حتى بأن كل ثيابي في الغرفة..بمعنى أنني لو بقيت هنا لدقيقة أخرى بهذا الشكل

فقد أصاب بالزكام..أنا أمتلكُ جسداً سريع التقاط المرض أساساً..تتذكرين ؟!!

قابلي نفس الجواب..فزفرتُ بتعب و أنا أخفض أنظاري قليلاً..و انتظرت بضعة ثوان أخرى..

ثم لم أشعر بنفسي بعدها و أنا أقول بقنوط واضح الآن ؛

_هيا سجي..أعلم بأنك كنتِ تمزحين..

كنتُ قد مددتُ يدي تزامناً مع جملي تلك لأدير المقبض تلقائياً..لكنني تفاجئت بشدة حينما

وجدت الباب يفتح أمامي فعلاً..و علمت بأنه لم يكن مغلقاً أساساً!

فغرتُ في بعض الغباء و أنا أدفعه أكثر متقدماً نحو الداخل...و رأيتهما!

كانت تقف في نفس المكان..مستندة بظهرها إلى النافذة وراءها..تعقد إحدى ذراعيها فوق

خصرها و تستند بمرفق الأخرى على نفس الذراع بينما تلمس بيدها فمها حيث ترتسم ابتسامة

كبيرة..

لكن نظرتها أصبحت شديدة البراءة ما إن وقعت عينها علي..فقلتُ أحاول أن أتغاضى عن

شكلها و ابتسامتها الجميلة التي تسلب القلب..و التي يبدو بأنني سأعتاد رؤيتها كثيراً منذ اليوم..

_خدعتني؟!

خرج صوتي متشرجاً قليلاً رغم كل محاولاتي..و قد فاقمت حركتها التالية من وضعي المزري

أساساً..حينما حركت كتفها باستسلام بينما تنزل يدها باقية على نظرتها البريئة تلك..

و التي بدت مستفزة لأقصى حد...لقلبي !

بدت و كأنها تقف هناك لأجلي..تنتظرني أن أنضم إليها لنشاهد السماء ربما..و ما كنتُ أبداً

لأخذل ذلك النداء غير المعلن في عينها..فتقدمت من المنضدة البنية الملاصقة للسرير لأضع الصينية

هناك..

ثم اقتربتُ منها فتحركت لتستقيم في طريقة وقوفها تلقائياً..ثم ما إن وقفت أمامها مبتسماً..

همست لي و كأن شيئاً لم يكن ؛

_لقد أشرقت الشمس بالفعل..ليتنا استطعنا أن نستيقظ في وقتٍ أبكر و نراقبها..

همستُ لها مبقياً على ابتسامتي و أنا أمد يدي لألمس جانب وجهها ؛

_لا بأس..غداً نراقبها..

ثم أضفتُ في نفس اللحظة بلطف ؛

_الآن أريدك أن تتذوقي ما أعددته..اعتبريه أول إفطار لنا بعد الزواج..

قلتُ جملتي الثانية بابتسامة و نبرة مميزة عن ما سبق..لكن سجي لم تستجب لما قلته هذه المرة رغم الابتسامة الشاردة التي منحتها لي و كأنها أرغمت نفسها عليها بينما عقلها ساهم في أمكنة أخرى..

ثم استدارت فجأة مولية إيايَ ظهرها.. فلم أتردد من أن أطوقها بذراعي..و همستُ بجانب أذنها و أنا أرى نظراتها التي ازدادت شروداً تستقر في تلك السماء الشاسعة ؛
_ ما الخطب ؟!!

لقد كنتُ أدركُ فور استيقاظي هذا اليوم بأن مسار علاقتنا قد تغير منذ ليلة الأمس إلى الأبد..كنتُ قلقاً من فكرة أن تعود الحواجز لتنشئ مساحتها بينما بغير أن نشعر..لكنني...بطريقة ما.. أشعر الآن بأن أي شيء لم يتغير بيننا..حتى حينما ألمسها..و أضممها بهذا الشكل أشعر و كأننا كنا هكذا من الأزل..

إننا نفس الشخصين اللذين كانا يلعبان معاً في الطفولة..و اللذين عاشا طوال حياتهما سوياً..بجانب بعضهما البعض كصديقين مخلصين..أعز صديقين..و اللذين تزوجا ذات يوم حزين..و منحا و استقبلا من بعضهما وعوداً سامية لن تتداعي أبداً بتداعي الزمن..
صمت طويل قابلت به سجي سؤالي..ثم سمعتُ صوت تنهيدة تفكير تصدر عنها..قبل أن تهمس لي كمن اتخذ قراره أخيراً بالبوح بما تبقى لديه من أسرار !

_ هل أخبرك بشيء ما ؟ و دعنا نعتبرها آخر مرة نتحدث فيها عن الماضي ؟!!
شعرتُ بالقلق ينتابني من نبرتها و سؤالها هذا..لكنني رغم ذلك همست أطمئنها و أنا أشدد من احتضانها بين ذراعي..بينما عيناها على حديثنا اللطيف المعبر الذي لا يزال أثره مكتوباً فوق النافذة الزجاجية أمامنا..

_ أخبريني بكل ما تريدين..
شعرتُ بها تتلمل قليلاً..فخففت من ضغط ذراعي من حولها فقط بما يسمح لها بالالتفات نحوي و النظر في عيناها كما أرادت..و فقط حينما نظرت في عينيها..استطعت أن أتوقع تلقائياً بأن الموضوع يخص...ذلك اليوم المشؤوم للأسف !

اليوم الذي انتهى و بدأ فيه كل شيء ! هل سنتحدث عن ذلك اليوم حقاً ؟! بعد كل هذا الوقت !!!

كانت نظراتها يشوبها بعض الاضطراب رغم ثباتها الذي أحمد الله عليه..اضطراب خفيف و طبيعي..لكنه كان ليكون معجزة لو ذكر هذا الموضوع حتى قبل فترة أمامها..

و كنتُ سعيدًا بالاعتيادية التي تقف بها بين ذراعي..كيف لم تحاول أن تغير ما ترتديه حتى
حينما تركتها لتلك الدقائق القليلة..كيف تقف أمامي بهذا الشكل..و كأنها تفعل كل يوم !

أيّ مرحلة وصلت إليها علاقتنا فعلاً !!

كانت عيناى عليها طيلة الوقت..أرى و ألمح كل تعبير جديد يحتل تلك الملامح الأقرب إلى قلبي..
إلى أن ابتلعت ريقها ببطءٍ..و همست تخاطب عيناى اللتين لم تنفك تتطلع فيهما هي الأخرى بعمق..
همست بنبرة يتخللها شيء من...الحيرة !

_في ذلك اليوم..و بينما كنت أمر بكل تلك ال.....

صمتت فجأة..و رأيتُ كيف ارتعشت رموشها قليلاً و هي تسدل جفونها عني للحظة..لم
تستغرق غيرها قبل أن تعود لتمنحني عينها..و تكمل بتماسكٍ أرسل سعادة جميلة إلى قلبي ضد كل
القهر الذي انتابني تلقائياً بفتح هذه السيرة و في يوم كهذا..

لكن يبدو و كأن هذا هو اليوم المناسب لها!

_كان من المفترض بي..أن أستنجد بأشرف..فقد كان...هو آخر شخصٍ رأيته..كان الشخص
الذي ظننت بأنني...أحبه جداً في وقتٍ من الزمن..

رباه...أيّ طاقة و أيّ صمود تخولني الآن البقاء هادئاً بينما أسمع اسم هذا الرجل مجدداً..
هذا الرجل الذي أشعر بأنني أرغب في البحث عنه و إبراهيم ضرباً كلما مرّ اسمه أو صورته في ذهني..
ثم أعود لأذكر نفسي بحياتي الحالية..حياتي التي توشكُ على أن تصبح...مثالية ! و بندمه..و
بخروجه من حياتنا..و بنظراتٍ سحى لي..و بهمساتها و مشاعرها نحوي ! فأستعيد هدوئي نسبياً !
شعرتُ بأن سحى قد تعمدت هذه المرة أن تقطع كلامها لا لشيءٍ إلا لتتحقق من ردة فعلي على
ما قالتها و لتطمئن من قدرتي على الإصغاء لها..و قد أثبتُ لها بنظراتي الحنونة المشجعة كل هذا..
فاستأنفت تبتلع ريقها للمرة الألف ربما خلال يوم واحد..أكملت بنفس الأنفاس غير الثابتة
تماماً و النبرة المحملة بحيرتها ؛

_أو على الأقل هادي...فقد كان هو أيضاً قريباً مني إلى حد كبير جداً...تعلم !

أومأتُ لها ببطءٍ و عقلي يعلق في كلمة واحدة راقى لي جداً.. "كان" !

أعذر بشدة منك يا أخي الصغير..لكنني ما كنتُ لأمانع أن أعتنق دور الشخص الأناني في
القصة لو تعلق الأمر بسحى..و بقلب سحى !

هذه المرة كان صمتها أطول من كل السابقات..إلى أن عادت لتتنظر في عيناى مباشرة بعد أن
تاهت نظراتها قليلاً عني..و همست عاقدة حاجبها بشعور..مختلفٍ جداً ؛

_ لكن أيّ أحد منهم لم يطرأ في ذهني.. لا أشرف.. لا هادي.. و لا خالتي !
ارتفع حاجباي قليلاً و أنا أنقل عيناى برهبة بين عينيها.. و قد كنتُ أشعر بالرهبة فعلاً لما
قادتني إليه كلماتها و استنتاجي.. و قد أكدت لي صحة ما استنتجته..
حينما رفعت يديها الإثنتين لتطوق وجهي.. و همست بينما أصابعها الرقيقة تداعب قلبي قبل
تلك الشعيرات الدقيقة بذقني.. همست بصوتٍ أجش و كأنه قادم من مكان بعيد.. حتى أنني شعرتُ
بأنني سمعت له صدى لشدة ما اخترقت جملتها التالية قلبي..
_ لقد كنت أنت!.. أنت الشخص الوحيد.. الاسم الوحيد الذي طرأ في ذهني.. و الذي لم أتوقف
عن الهتاف به مستنجدة به فقط.. و كأنني كنت أمتلك ثقة تامة بأنك الشخص الوحيد القادر على
إنقاذي فعلاً !!
كانت عيناها قد دمعتا قليلاً.. حينما استطردت بصوتها الذي تهدج بعض الشيء رغم خفوته ؛
_ حتى قبل عدة أسابيع من الآن.. كنت عاجزة عن فهم السبب.. لماذا كنت أناديك أنت بالذات
!! و كيف لم يبارح اسمك ذهني و كأنني خلقت مرتبطة به منذ الأزل !!
دمعة وحيدة انسابت من إحدى عينيها و راقبتها بلهفة.. تلتها دموع أخرى انسابت ببطءٍ
شديد.. ثم عادت تهمس من بين أنفاسها المضطربة المتهدجة.. همست بحرارة شديدة و كأنها اليوم
فقط تستوعب أكبر حقيقة.. أجمل حقيقة على الإطلاق !
_ لقد كنت أنت منذ البداية.. لطالما كنت أنت لؤي.. حتى في اللحظات التي ظننت فيها بأنني
واقعة في عشق غيرك.. كنت أنت.. حتى و أنا أنظر في عينيك بينما كل خلية مني تشهد على أنك مجرد
صديق.. كنت أنت..
اقتربت قليلاً مني إلى أن لامست جبهتها ذقني.. و همست مطبقة عينيها بقوة بدون أن تحرّر
وجهي.. باكية بإدراكٍ جميل ؛
_ لقد كنت أنت فقط منذ البداية لؤي.. الآن فقط أستطيع أن أدرك ذلك.. أستطيع أن أعترف
بذلك.. لقد كنت أنت.. من نبض له قلبي منذ البداية.. منذ أن كنت مجرد طفلة تتعلق في تلايب ثيابك
سائلة أن تحملها بين يديك.. منذ أن كنت مجرد مراهقة تهرع إليك بعد كل مشكلة لتشتكي.. و بعد أن
أصبحت شابة مدمنة على الإتصال بك سائلة أن تمنحها سبباً للضحك.. كنت أنت فقط.. أنت
الشخص الوحيد الذي أحببته منذ البداية.. و سأحبه دائماً حتى و أنا غير قادرة على أن أهتف الكلمة
في وجهه خوفاً من أن لا تفي بما يعتريني..

لم أشعر أبدًا بتلك الدموع التي كانت قد احتقنت بعيناي أنا الآخر بسماعها..لم أتخيل يومًا
قط أن أسمع هكذا كلماتٍ من سحى..أن أعيش هكذا موقف مع سحى..
بينما نقف سويًا في غرفتنا..أمام نافذة كبيرة تحمل على جدارها الزجاجي بصمة تخصنا..
أيديها على وجهي تتشبث بي بقوة..و ذراعي تحتويان كتفيها بفيض من المشاعر المنسوبة إليها... فقط
إليها!

لكن ما لم أتوقعه أيضًا..الجملة التالية التي خرجت منها بشكل عفوي حتمًا ؛
_الآن فقط أتمنى لو أنني استطعت أن أدرك هذا قبل.....
لم أسمح لها بالإتمام أبدًا..قاطعتها بقوة و أنا أبعدها قليلًا من كتفيها لا لشيءٍ إلا لأنظر في
عينها بينما أقول ؛
_إياك أن تنطقها...إياك!
طرفت سحى برموشها المبللة و هي تنظر لي و كأنها قد استوعبت بالفعل ما كانت ستنتطق به..
لكنني لم أسمح لها بالتعليق..همستُ بنبرة بطيئة يشوبها بعض الانفعال بينما أقترّب منها
بوجهي أكثر ؛

_هل تظنين بأنك الوحيدة التي أدركت هذا ؟! و أنا أيضًا مثلك..لقد أدركت مشاعري في فترة
من الزمن..أدركناها و استوعبناها في الوقت المناسب تمامًا..كل ذلك الماضي الذي عشناه بسلبياته و
إيجابياته قادنا إلى هذا اليوم..و هذه اللحظة..لما كنا الآن سويًا لولاه..
شعرتُ بالراحة و أنا أرى نظراتها التي لم تنفك تهدأ تدريجيًا بعد كلامي..رغم أنني لم أقل أي
شيء جديد عليها..لكن أحيانًا...يجب علينا تذكير أنفسنا و ذوينا بأن الماضي مهما كان سيئًا أو مؤلمًا..
فقد كان المحطة التي قادتنا لحاضرنا الذي نجبه بدونه !

أطبقتُ أناملي أكثر على كتفيها لأديرها مجددًا إلى أن عدت لأضمها من الخلف بقوة..ثم
همست بعد أن هدأت نبرتي قليلًا أذكرها بيوم بعيد ؛

_هل تتذكرين ذلك اليوم..حينما توقفنا بوضعية مشابهة في الشرفة..أول عناقٍ لنا بعد

الزواج ؟!

لم تجبني بكلمات..لكنها أومأت برأسها ببطءٍ ثم أبقت على نظراتها منخفضة قليلًا بينما تلقي
بكل ثقلها على صدري الملامس لظهرها..و ذلك كان كافيًا كجواب لي..فاستأنفتُ برفق بينما أمسد
بيدي اليسرى التي أطوقها بها بشكل عكسي كتفيها الأيمن..

_لقد همست لكِ يومها بالكثير من الكلمات..لكن...هناك جملة معينة هـ.....

_ "و إذا كنتِ تظنين بأنكِ انتهيتِ..فأنا أعدكِ بأنني سأعيدكِ إلى الحياة مجدداً !! "
سمعتُ صوتها المتحشرج قليلاً يقاطعني برقعة قبل حتى أن أكمل..ثم تحركت للمرة الثانية
لتستدير نحوي القدر الذي سمحت لها به ذراعاي..إلى أن نظرت في جوفِ عيناى مسترسلة ببطء ؛
_ "كل ابتساماتكِ التي قتلها بدناءة سأعيد إحياءها مجدداً باحتواء..أنا سأستعيد صديقتي
سجى التي فقدتها..سأستعيدكِ!"

ثم صمتت قليلاً..و همست راسمة شبح ابتسامة ضئيلة جداً..ابتسامة نافست احمرار
الدموع الذي يوطر عينيها وزادتها جمالاً ؛
_ أي جملة قصدت بالضبط من بينها ؟!!
كانت يدها قد امتدت لتستقر فوق صدري تزامناً مع إلقاءها لهذا السؤال..بينما ارتفع
حاجباى قليلاً بدون استغراب..و اكتفيتُ أمامها بهمسة هادئة جداً بينما أحرر إحدى يداى المطوقتين
لها لأغطي يدها ملصقاً إياها أكثر بصدري ؛
_ جميعها !

ثم رفعتُ جانب شفتاي بابتسامة تخصّها فقط هي...لم أكن أنوي إطلاقاً قطع هذا الصمت
بيننا..فقد بدا لي و كأننا قلنا كل شيءٍ كنا في حاجة لقوله هذا الصباح..لكنها هي من قطعتة مجدداً..
همست و هي ترمق يدي المغطية ليدها بنظرة غير عادية ؛
_ لكن...هناك جملة نطقتها يومها و أحببتها أكثر..
نظرت لها باهتمام كبير..لكنها مجدداً اختارت أن تطيل من انتظاري..إلى أن همست بعد ثوانٍ
بخفوتٍ..تضغط على كل حرفٍ ممّا تقوله و كأنها تحاول أن تستشعره و تستلذ بمعناه ؛
_ كل ما تشعرين به هو محض أوهام..و الحقيقة الوحيدة ها هنا...هي أنكِ أصبحتِ "زوجتي" !
هل يمكنني أن ألومها ؟ إذا كنت أنا قد أحببتها أكثر منها ! لا أستطيع أن أصف حتى شعوري
كلما نظرتُ لها مدركاً بأنها زوجتي فعلاً ! ما الذي فعلته لأستحق إنسانة في غاية الروعة مثلها ؟!!
_ الحقيقة الوحيدة ها هنا هي أنكِ أصبحتِ "زوجتي" ..

همست مكرراً من وراءها بشرود..قبل أن تصدر مني تهيدة طويلة لم أشعر بها بينما أ همس
متأملاً إياها بقلبٍ منهكٍ بالحُب !

_ أحياناً لا أصدق بأنكِ "زوجتي" حقاً !! أشعر بأنني في منتصف حلم جميل و أخاف أن
أستيقظ !

رأيتُ كيف زمت فمها أكثر و تضاعف البريق في عينيها و هي تنظر لي بصمتٍ للحظاتٍ..ثم
قالت بنبرة بدت و كأنها خرجت من أعماق قلبٍ يشاركني نفس الإرهاق !
_توقف عن الخوف إذاً..لأنني لن أسمع لك بأن تستيقظ منه أبدًا !
اكتفيثُ الآن بابتسامة دامعة قليلًا..إلى أن سمعت صوت سجي تهمس متسائلة بنبرة لم تتغير
إطلاقًا ؛

_لقد كنت تريد أن تقول شيئًا ما !
نظرتُ لها بعدم فهم..فأضافت شارحة بهدوء ؛
_حينما سألتني عن كلماتك لي ذلك اليوم ؟
نعم..لقد كنتُ أريد أن أقول شيئًا..أردت أن أقول الكثير..أردت أن أخبرها بأننا لا تزال نمتلكُ
الكثير من الأحلام لتحقيقها..و الكثير من التفاصيل الجميلة التي سنعيشها سويًا..
أهم ما في الأمر أن...نعيش !
لكن يبدو بأن تلك الكلمات لم تعد ذات مغزى كبير..فعينها بدت لي و كأنها تنطق بما يجول في
قلبي..تشاركني الرأي حتى بدون أن تعلم ذلك..لهذا فقط...اكتفيثُ بابتسامة و تنهيدة صغيرة همستُ
بعدها بشرود عميق ؛

_لا شيء..لقد قلنا كل شيءٍ بالفعل !
أخذتُ نفسًا طويلاً بعدها أستعيد به تركيزي الذي تشتت للحظاتٍ..لكن عيناى عادتا
لتمارسان طقسهما الأجل في التنقل بين ملامحها..إلى أن تسمرت عند نقطة محددة..و ارتجفت
شفتاي و كأنني سأقول شيئًا ما..لكنني عدت لأطبقتها..
_الآن أنا متأكدة بأنك تريد أن تقول شيئًا !
سمعتُ صوت سجي تقاطع شرودي بها..و الآن فقط استطعت أن أستوعب بأنها كانت تنظر
لي أيضًا..و لا بد بأنها لاحظت حركتي تلك !
همستُ مبتسمًا لها بإخلاص..بغير تردد ؛

_نعم..لقد أردت أن أسألك إن كان بإمكانك أن أقبلك الآن ؟!!
سألتها بأدب مبالغ به..ثم أطبقتُ فمي أنظر للدهشة الطفيفة التي برزت في عينيها..و الحمد لله
أنها لم تستغرق في دهشتها تلك إلا ثانيتين..قبل أن تهمس لي بينما ترفع أحد حاجبيها بنبرة لم أتوقعها ؛
_ظننت بأنك ستطلب مني أن أبادر مجددًا !؟

لم أتمالك نفسي في هذه اللحظة بالذات من الضحك بقوة.. وشاركتني سجي الضحكة بهدوء..
ثم شعرتُ بها ترتفع قليلاً على أصابع قدميها الحافيتين و تطوق عنقي بذراعيها باستسلام جميل ما إن
اقتربت منها لأحقق الأمنية التي كانت تخالجني منذ دقائق و أنا أراقبها و أسمعها تتحدث مسهبة في
وصف مشاعرها.. بدون أن يتوقف كلانا عن الابتسام..
لكنني رغم ذلك.. لم أنسى أن أهمس لها من بين ضحكة لن تتداعى أبداً و أنا أغمض عيناى و
ألصق جبيني بجبينها بعد أن فصلتُ تلك القبله ؛
_أعتذر..أعتذر...

و كان جوابها عبارة عن تهيدة ارتياح طويلة تسالت إلى قلبي لتضاعف من هذا السكون الذي
يختلجه..و قد تمنيتُ أن أبقى على هذا السكون أكثر..أن أضمها أكثر..
لكنني في النهاية وجدت نفسي أهمس لها بخفوتٍ ؛
_دعينا نذهب لنفطر إذن..

بدت سجي و كأنها لم تسمعي للحظاتٍ ظلت فيها تغلق عينيها بنفس السكون الذي يجتاح
ملامحها المتوردة..لولا أن جاءني صوتها تهمس بعد ثوانٍ بنبرة مماثلة..و كأنها كانت تشاركني أفكارى
فعلاً و قرّرت تحقيق أمنيّتي ؛
_حينما أشعر بالجوع !

و فقط..مات كل مجالٍ للكلام بيننا..لكن ليس إلّا لتنتفح سبل أجمل لمجالاتٍ أخرى !

#سجى

عندما كنتُ صغيرة..كان لديّ فضول كبير حيال كلمة بسيطة كال-حُب- !
أردتُ في البداية أن أسمع عن قصة أمى و أبى..كان فضولي لسماع قصتهما أقوى بكثير من
فضولي لفهم تلك الكلمة نفسها أو استيعابها..و بالطبع لم يكن هناك أيّ أحد باستثناء خالتي
لأسأله..
حتى في أسوء الظروف كنتُ أتوقع أن أسمع عن قصة حُب لطيفة جميلة..لكنني للأسف
لاقيت منها رفضاً غير مباشراً للخوض في هذا الموضوع..و في كل مرة كانت هناك وسيلة جديدة
للتخلص من أسئلتى..

و بما أنني لم أخض الكثير من الحوارات معها في حياتي.. أعني القدر الذي يجعلني أنسى معظمها و أحتفظ بالكثير.. فقد كانت تلك المرات النادرة التي سمعتها تتحدث بسيرة والدتي أو والدي ثمينة جدًا بالنسبة لي.. لم أنسها إطلاقًا و لن أنساها..

كانت خالتي تحب أُمي بشدة.. هذا أمر لا يمكن إنكاره أبدًا أو تجاهله.. ما جعلها تحكي لي عنها بعض القصص الجميلة في مناسباتٍ خاصة.. أبرزها عيد ميلاد والدتي..

لكن الموضوع برمته كان يجعل من نظراتها الجامدة القوية.. تتحول بغير رغبة منها إلى متألمة يتخللها ألم حقيقي و حسرة.. و هذا أكثر شيء تكرهه خالتي لو تعلمون.. لهذا كانت أغلب أحاديثنا عنها تنتهي بسرعة شديدة..

أما والدي.. فبالكاد أعرف عنه اسمه.. عمله الذي كان يرتاده قبل الزواج بأُمي.. خلفية عائلته.. و القليل القليل من المعلومات التي أفلتت منها في مناسباتٍ خاصة كذلك.. لكنني كنتُ أحبه رغم ذلك..

على الرغم من إدراكي التام لمشاعر خالتي نحوه.. و التي لم تكن بالودودة جدًا حين ذكره.. إلّا أنني دائمًا ما رسمتُ له في ذهني صورة ذلك الرجل الجميل قلبًا و قالبًا.. الحارس البسيط الذي أحب ابنة رؤسائه في العمل و ناضل ليفوز بذلك الحُب..

لقد كنتُ أحبهما سويًا.. أحب قصتهما على الرغم من بساطتها الظاهرية.. و ربما كان هذا هو السبب الذي جعلني أنجذب لأشرف أول مرة.. لقد كان أشرف يذكرني بأبي بدون أن أشعر.. كنت أطمح في داخلي لأن أعيش قصة حُب مشابهة..

لهذا تمسكتُ بأول بادرة حُب قدمت لي.. و لم يكن من الصعب عليّ أن أصنف شعوري نحوه على أنه حُب.. لكنني نسيت بأن الحُب ليس شعورًا نختار الانقياد إليه بمحض إرادتنا.. ليس شعورًا ينمو خلال يوم أو ليلة أو حتى أسبوع.. إنه شعور يتطلب منا حياة كاملة ربما فقط لنحظى به.. إحساس عميق يعيش معنا إلى الأبد و بعده.. روح أخرى تعيش و تنمو بداخلنا إلى أن تمتزج مع روحنا فنغدو عاجزين عن التعرف عبي أنفسنا بدونها!

هذا ببساطة أصبح تعريف الحُب بالنسبة لي !

ربما كان أبي و أُمي واقعان في الحُب فعلاً.. لكنني بعد أن أدركتُ معناه الحقيقي.. أصبحت قلقة من أن يكون ما شعرا به.. و ما عاشا عليه طيلة حياتهما ليس بحُب فعلاً.. بل أضغاث شعور لطيف أطلقا عليه اسم حُب !

و لأن خالتي لم تكن تحبهما سوى كثيرًا كما أوحّت لي نظراتها دائمًا..فأنا لم أكن أمتلك الكثير من الصور لهما في جعبتي..باستثناء صور الزفاف و القليل منها معي..و بعض الصور التي نشرت لهما في وقتٍ مضى في الجرائد..

حتى منزلنا الذي عشتُ فيه أولى سنوات طفولتي قبل أن أفقدهما..لم يكن يحوي الكثير..ما جعلني أتساءل في أحيانٍ نادرة..هل يعقل أن تكون خالتي قد تخلصت من بعضها عمدًا؟! لا أستنكر ذلك أبدًا !

أو ربما...لم يكن والداي من هواة تخزين الذكريات في صور ! هذا سؤال لن أعرف إجابته إطلاقًا..كقصتهما التي يطوقها الكثير من الغموض رغم بساطتها !

لا أعلم حتى لما كان عليّ أن أتذكر والداي في هذا اليوم تحديدًا..ربما لأنها المرة الأولى التي أتمنى فيها فعلًا لو كانا برفقتي..لا لشيءٍ إلّا ليشاركاني هذه السعادة التي تلازمي بعد وقتٍ طويل من الحزن..

و أنا لستُ مستغربة من هذه الأمنية في الحقيقة..فأنا لأول مرة في حياتي حرفيًا..أرغب في أن أفتح ذراعاي و أهتف للعالم بأنني...سعيدة بحق !

بعد ساعاتٍ طويلة من تلك اللحظات التي لن تغيب عن ذهني لما تبقى من حياتي..لحظات الانتصار الذي انتظرتُ طويلًا لأعيشه..انتصار ضد نفسي أولًا..ضد كل قلق و خوف كان يحتلني سابقًا..و اختفى بمجرد أن لمسني لؤي !

كملاكٍ نزل إلى الأرض بمهمة واحدة..أن يحيل كل خوفي إلى أمان منقطع النظير ! كنتُ أقف في الحديقة الجميلة..الشيء الوحيد الذي يزعجني بها هو عدم تواجد أيّ مقاعد لأجلس كما كنتُ أفضل أن أفعل في وقتٍ سابق..

كان الجو دافئًا جدًا..أكاد لا أصدق أننا في فصل الخريف..في هذه المدينة التي لا تعرف شيئًا اسمه حر حتى في فصل الصيف..و كأن الكون كله كان شاهدًا على سعادتي لهذا اليوم.. فكان حتى النسيم الذي يداعب شعري مطيرًا إياه في كل اتجاه بعشوائية لطيفة..لا يزيدني إلّا شعورًا بالدفء و رغبة بالبقاء هنا و تأمل هذه الطيور البيضاء بينما ترفرف بأجنحتها أمامي..طامعة كلها في أن تحظى بنصيبها من الحبوب التي أضعها لها كل يوم في أوقاتٍ متفرقة هنا..

تلك كانت طريقي في استمالتها إلي و الفوز بهذه اللحظات المثالية أثناء مراقبتها.. كان الوقت بعد العصر بقليل..و كنتُ أرتدي فستانًا أبيض اللون يتخطى ركبتي بقليل..أقف هناك عاقدة ذراعاي متأملة المكان بشبح ابتسامة هادئة..بعد أن تركت لؤي بداخل المنزل..

أو بالأحرى بعد أن -طردي- لؤي من المطبخ..تعلمون كم هو مبهوس بإثبات نظريتي السابقة

حيال أنني و هادي أكثر اثنين فاشلين في الطبخ في هذه العائلة !

لكنني سمعتُ بعد دقائق قليلة من وقوفي هناك صوت خطواته تقترب مني بهدوء شديد..

فاتسعت ابتسامتي الشاردة قليلاً بدون أن ألتفت نحوه..بل رمقت الوردة الحمراء التي قطعها لأجلي في

الصباح و التي كنت أضعها في إناءٍ حديدي صغير ملأته بالماء تفادياً لذبولها السريع..

إلى أن شعرتُ به يقف ورائي..و بوشاح رمادي دافئ يلتفّ حول كتفائي..ثم...ذراعاه اللتان

تنافسان كل الأوشحة في العالم في دفئها تلتفان حول خصري من الخلف مشكلاً عنقاً جميلاً تنهدت

له بصمتٍ..

ظننتُ بأنه سيكتفي بالصمت بعد تلك الحركة..خاصة حينما لامست شعيرات ذقنه وجنتي

لترسل شعوراً غريباً من الدغدغة اللطيفة إلى قلبي..و انسجمت عيناه في تأمل الجو هنا معي..

لكنه همس لي بعد أقل من دقيقة من التأمل بصوته الهادئ ؛

هل جعلتكِ تنتظرين كثيراً؟!!

كانت نبرته حنونة جداً و كأنه يحاول أن يعتذر لي حتى على الدقائق التي أمضيتها خارجاً..

همستُ له مبتسمة بسكونٍ شديد و أنا ألمس يديه المتشابكتين فوق خصري بيدي ؛

_قطعاً لا..لكنني أشعر بالفضول لمعرفة ما طهوته لنا اليوم..

سمعتُ صوته فوراً يهمس لي و هو يلصق وجنته أكثر بوجنتي ؛

_لا يمكنكِ أن تتوقعي !

لم أتمالك نفسي في هذه اللحظة بالذات من تحرير ضحكة خافتة بلا صوتٍ..ضحكة التقطها

لؤي و أبعد رأسه قليلاً فقط سائلاً بغباء رغم الابتسامة المشرقة التي ملأت عينيه بشكلٍ عفوي ؛

ما الأمر؟! هل قلت شيئاً غريباً؟!!

لا...لم تكن الضحكة بسبب ما قاله..بل بسبب ما قلته له تالياً..حينما أدركتُ رأسي لأنظر له

من مكاني مجيبة بصدق بدون أن أتخلى عن ابتسامتي التي شابهها شيء يشبه الاعتذار ؛

_لا..فقط ذقنك.....

صمتُ فجأة..فرفع إحدى يديه التي كانت على خصري ليلمس ذقنه بينما يقول بدهشة ؛

_هل خدشتكِ بذقني ؟ لقد حلقته في الأمس فقط !

كان لؤي يمتلك ذقناً مهبذباً بشعيراتٍ رقيقة جداً..و قد حرص دائماً على أن يبدو بشكله المثالي

هذا حتى في أكثر اللحظات المؤلمة التي عشناها..هذه صفة لطالما أحببتها به..

أومأتُ له بالنفي و أنا أهمس مبتسمة بصدق..بينما رقت عيناى أكثر و أكثر بسؤاله و نظرتة
القلقة..

_إطلاقاً..إنما فقط..شعرت بالدغدغة..

الآن فقط..رأيتُ كيف عادت الابتسامة لتستوطن ملامحه بشكل خفى..لكنه رغم ذلك سألتني
بتوجس ؛

_حقاً ؟!!

أومأت له بتأكيد..فقطب حاجبيه قليلاً مفكراً..قبل أن يقول شيئاً جعلني أنا من أرفع
حاجباى بدهشة ؛

_و هل لو كررت الأمر الآن ستضحكين مجدداً ؟!

مهلاً...أيّ أمر ؟!! نظرتُ لها بغباء لوهلة..قبل أن أهمس بحذر ؛

_ليس بشكل مؤكد !

رأيتُ ابتسامته و هي تتسع أكثر و أكثر و كأن ردّي قد أشعره بالرضا..ثم قال بحماسٍ حاول
إخفاءه ؛

_دعينا نجرب إذّا..

كل هذا كان في ثانية واحدة..قبل أن أهتف ضاحكة بغير تصديق حينما شعرتُ بأنامله التي
على خصري تدغدغني بشكل مفاجئ ؛

_مهلاً..مهلاً لؤي..لا تفعل ذلك..

لكن محاولتي ذهبت أدراج الرياح..و لم أشعر بنفسى إلّا و أنا أضحكُ بقوة غير قادرة أبداً
على التملص من يديه مهما حاولت..خاصة حينما انضمت يده الأخرى و كأنه قد تأمر اليوم ليفعل
كل ما كان محظوراً بيننا لمدة أشهر طويلة..

يستعيد صديقة..و يحصل على زوجة !

كنتُ أسمع صوت ضحكته يتسلل إلى أذناى كأجمل لحنٍ سمعته في حياتى..و قد عاد ذقنه
ليلامس وجنتى لكن هذه المرة كان مصدر الدغدغة مختلفاً..إلى أن هتفت بصوتي الذي أصبح متعرجاً
بضحكتى التي بالكاد بدأت أعتادها ؛

_حسناً حسناً يكفي إلى هذا الحد..لؤي..أرجوك..يا إلهي.....

فقط بعد آخر كلمة شعرتُ به يتوقف أخيرًا بدون أن يتوقف عن احتضاني..فزفرت عدة أنفاس مرهقة و أنا لا أزال عاجزة عن التوقف عن الضحك..لا أعلم حتى ما السبب الذي كان يجعله يضحكُ معي و كأنه أيضًا تعرض لهذا الهجوم الضاري..

إلى أن تهدتُ آخر تهيدة و أنا أراجع قليلًا مستندة بإرهاق إلى صدره..و حينها سمعت صوته يهمس في جوف أذني بعد أن تلاشت ضحكته هو الآخر مخلقة أثرها الجميل في صوته ؛
_كان لا بد لي أن أسمع صوت ضحكك الحقيقية في هذا اليوم تحديدًا ! و الحمدلله أنك أهديتني الطريقة المناسبة !

شعرتُ بشفتيه على وجنتي تشكلان قبلة طويلة بعد نهاية كلامه..لكن ما جعلني أفتح عيناي على نظرة غائرة بالمشاعر المختلفة..كان التحشرج الذي لمحتة في نبرته أثناء همسه لي بأمنيته التي تناشد قلبه منذ الصباح لهذا اليوم !

التفتُ قليلًا لأقابل عينيه من هذا القرب..و كما توقعت كانت هناك لمعة واضحة تحتلها..ل معة لم يحاول إخفاءها أبدًا..نظرته تشبه نظرة شخص يتطلع بالقمر الذي تمنى أن يلمسه طويلًا.. أردتُ أن أخبره بأن كل ما كان عليه فعله أن يطلعني على هذه الأمنية..ثم يترك الباقي إلي.. مستعدة لفعل كل شيء لأرى هذه النظرة في عينيه..لأفرغ قلبه من كل أمنية عبر تحقيقها.. خاصة لو كانت هذه الأمنية متعلقة بنا!

رفعتُ يدي بهدوء إلى أن لمست ذقنه..و استغرقني الأمر لحظات في النظر له بهدوء..أعلم ما الذي يدور في ذهنه الآن..كل فكرة تطرأ في عقله تزورني قبل أن تمر عليه.. لهذا...تعمدتُ أن أقرب أنا الآن إلى أن طبعت قبلة أطول من قبلته على ذقنه..فوق الشعيرات التي سألتني إن كنت قد خدشت بها..

ثم ألصقتُ وجنتي بذقنه كما كان يفعل بعد أن التفت إليه بكامل جسدي..و همست له بخفوتٍ شديد..و كأنني أشعر بالغيرة من أن تتنصت حتى العصافير إلى ما يدور بيننا !
_إياك أن تحلق ذقنك لأجلي لؤي..أحبه بهذا الشكل جدًّا..

ثم ابتعدتُ قليلًا لا لشيءٍ إلا لأنظر في عينيه من ذلك القرب الشديد بيننا..و أضفت بجدية بينما ألمس جبينه بجبيني..أرى بعيناي تأثير قبلي و كلماتي عليه..
_إياك !

انتظرته بعدها أن يمنحني جوابًا قاطعًا لما بدا كسؤال..و بالفعل...فقد وجدته بعد لحظات من التحديق بي..يحركُ رأسه فوق جبيني بهدوء..قبل أن يرتفع جانب شفتيه في ابتسامة دافئة..

همس لي بعدها بشيءٍ من التردد و هو يشدد من تمسك ذراعيه بخصري ؛
_هناك شيء..اشتريته قبل فترة طويلة لأجلك..لكنني كنت أنتظر اللحظة المناسبة لأقدمه
لك..

رمشتُ بعيناي ببطءٍ و أنا أبتعد قليلاً ناظرة له باهتمام..و فعل هو المثل..حررني لا لشيءٍ إلا
ليدس يده في جيب بنطاله الجينز الأزرق الذي يرتديه تحت قميص قطني أزرق..بأكمام طويلة و عنق
مرتفع قليلاً..أخرج منه علبة مخملية صغيرة أخفضت أنظاري تزامناً معه لأراها..
لكن أيّ تحكم في خفقات قلبي كنتُ لا أزال أمتلكه قبل قليل..فقدته الآن..و شعرت بها
تصطدم بقفصي الصدري بشكل مؤلم..لكنه جميل في نفس الوقت..حينما خمنت تلقائياً ما
بداخلها..

لكن لؤي الذي كان مخفضاً رأسه طيلة الوقت لم يمنحني حتى فرصة للاستيعاب..فقد
تفاجئتُ به ينزل على ركبتيه فجأة أمامي..بدون أن يرفع رأسه للحظاتٍ بقيت فيها أحرق فيه فقط
بأنفاسٍ غير ثابتة على الإطلاق..

إلى أن رفع رأسه نحوي ببطءٍ..و رأيتُ عينيه تلمعان بنفسٍ الشكل قبل قليل..بحُبٍ شديد..
بعاطفةٍ شديدة..

كنتُ أجاهد نفسي بشدة لأن أكون جملة أطلب منه فيها أن يقف..فلا داعي إطلاقاً ليتخذ
وضعية كهذه ليجعلني أعيش ذلك الشعور الذي حرمت منه..
أو بالأحرى..حرمتنا منه !

لكنني عجزتُ تماماً..و فاقم صوته الذي سمعته يتسلل إلى أذناي متهدجاً قليلاً من عجزتي ؛
_أعلم بأننا لن نستطيع أن نعيد الوقت إلى الوراء..و لا يمكننا حتى الزواج مجدداً..و أنا فخور
بهذه الحقيقة..بغض النظر عن الطريقة التي تزوجنا بها..أنا أشعر بالفخر الشديد لمجرد التفكير
بأنني متزوج منك أنتِ سحى..مهما تخيلت سابقاً شريكة حياتي..الفتاة التي سأقع في حبها و التي
ستجعلني أجلس بهذا الشكل أمامها لأعرض عليها الارتباط بي..فأنا لم أتخيلها يوماً أن تكون بهذه
الروعة..بروعتكِ أنتِ سحى...

كنتُ أشعر بالدموع تتسلل إلى عيني بعد كل كلمة..تفرض سطوتها إلى أن انسابت فعلاً
ببطءٍ..و بقيت أنا أنظر في عينيه و أتساءل..هل يمكن للإنسان أن يبكي من السعادة فعلاً ؟ أن يحترق
من السعادة ؟!

كيف أوفى بكل وعودة القديمة و الجديدة لي ؟! حتى أبسطها و التي همسها لي في لحظات

عاطفة متوهجة ! كيف يمكنه أن يكون مثاليًا لهذا الحد ؟!

هل هناك شخص مثالي إلى هذا الحد في عالمنا السيء فعلاً ؟!!

كانت دموعه تنساب أيضًا بنفس الحرارة التي تنساب بها دموعي..ثم أطبق فمه قليلاً على

ابتسامة كبيرة برأفة و هو يسترسل بنبرة زادت تهديجاً ؛

_لقد أخبرني ليلة أمس بأن كلمة "أحبك" ليست كلمة تصف ما تشعرين به نحوي..و ها أنا ذا

أخبرك للمرة الألف بأنني أحبك بشدة..و أعترف بأنها أيضًا لا تكفي لوصف ما يعتريني نحوك..لكنني لا

أملك غيرها للتعبير سجي..لقد منحتك وعدًا ذات يوم..أخبرتكَ بأنني سأحبك يومًا ما..و إذا بي

أكتشف بأنني كنت أحبك قبل ذلك اليوم حتى ! أحبك سجي..بكل ما تحمله الكلمة من معنى..بطريقتي

أنا!..أحبك بالمعنى الذي يعادل تعلق طفل صغير بأمه..أو رجل كبير على فراش الموت..بالحياة!..الفرق

الوحيد بيني و بينه.. أنني لو خيَّرت بينك و بين الحياة..فسأختارك أنت و أموت مبتسمًا !

كانت يده الأخرى قد امتدت أثناء كلامه لتفتح العلبة الصغيرة..ثم رفعها نحوي مظهرًا ذلك

الخاتم اللامع كابتسامته التي بدت لي كنجمة تشق السماء عنوة في ليلة مظلمة باردة..ثم همس يميل

برأسه للجانب قليلاً و هو يتأملني كشخص يعانق حلمًا عتيقًا ؛

_هل تقبلين بأن تكوني زوجتي و حبيبتي إلى الأبد سجي ؟!!

الآن فقط...وجدت نفسي أطبق عيناى بقوة باكية أكثر..لا يمكن لقلبي أن يتضخم أكثر من

هذا الحد..لا يمكن للسعادة أن تتجلى في حياتي أكثر من هذا الحد..لم أتخيل يومًا أن أعيش سعادة

كهذه بحيث أجد نفسي عاجزة عن احتواءها أو تقييدها..

لم أتصور بأن القدر الذي جعلني أختبر أسوء أنواع الأذى سابقًا..حتى كدتُ أجزم بأنني مُت..

قد يكون مجهزًا لي كل هذه المفاجآت..أو أن سجي الجديدة التي أصبحت..قد تناشد يومًا راحة أكثر

مما كانت تمتلكها قبل تلك المأساة !

و كأن تلك العصافير المُحلقة حولنا تحلق في قلبي !

كانت نظراته لي مليئة بالجدية و اللهفة و الترقب..و كأنه ينتظر مني إجابة فعلاً..و كأنه لا

يعرف الإجابة فعلاً ! ألم تمنحه حالتي هذه الإجابة فعلاً ؟!!

نظرة خاطفة جدًّا منحتها للعصافير خلفنا..و التي للعجب وجدتُ البعض منها لا تزال تقف

فوق الطاولة حتى بعد أن انتهت كل الحُبوب..و البعض الآخر ترفرف من حولنا بهدوء و صوت

صفيرها الشيء الوحيد الذي يسمع في المكان..

تراها تشعر بالانهار الآن مثلي ؟ أحياناً أشعر بأنها تفهم كل ما يدور هنا ! و بأنها..بطريقة ما..
كانت تشاركني طوال الوقت كل مشاعري بتقلباتها و تطوراتها أولاً بأول !
أم ربما...لأنني دائماً ما لمحتُ نفسي بينها..ما إن أراها تطير حتى أشعر بانسراح غريب في قلبي و
كأنني أيضاً أطيّر..وجودها من حولي و الانصات إلى صوت صغيرها أو رفرفة أجنحتها كان يشعرنني
بالحرية !

و أنا أعشق الحرية !
شاركني لؤي تلك النظرة السريعة لها..قبل أن تعود عيناى لتقابل عينيه المترقبتين..ثم و بدون
أي تردد..انخفضتُ أنا الأخرى إلى أن أصبحت أجلس أمامه على ركبتي..
و مددتُ يدي نحوه بدون أن أعلق بكلمة و كأنني أحثه أن يضع الخاتم في مكانه الملائم بعيناى
الباكيتين حباً فقط..

لكن رعدة طفيفة مرت في عمودي الفقري و أنا أرى ابتسامته التي اتسعت أكثر بينما يرفع
يده ليحتوي يدي..إلى أن أدخل الخاتم في بنصري بدون أن يفارق عيناى..
و هذه المرة..كنتُ أنا من أقرب منه لأطوق عنقه محتضنة إياه بشدة..بينما استقرت عيناى
بمشاعر متضاربة على أجمل شيء ارتدبته في حياتي..قبل أن أطبقهما حينما شعرت بذراعيه تبادلاني
هذا العناق بقوة أكبر بكثير من قوتي..

و رغم ذلك فقد همس لي بصوته الحاني بينما يغرق أنفاسه في تجويف عنقي ؛
_أريد سماع الجواب بصوتك..
كم من مرة سمعتُ منه هذه الجملة خلال يوم واحد ؟! ابتسامة ضئيلة افترت عنها شففتاي..
همست له بعدها بغير تردد ؛

_أقبل..بالطبع أقبل !
قبل أن أبتعد ببطءٍ لكن ليس إلا لأستطيع التمسك بيديه الإثنتين..و لم أشعر بنفسي و أنا
أكرّر بحرارة شديدة و أنا أطرق برأسي قليلاً..بصوتي المتحشرج الخافت ؛
_ألف مرة أقبل !

أظن بأنني أعيش هذه اللحظة الآن مع أكثر إنسان أحبه في هذه الحياة..بسبب دعواتي
الدائمة لله بأن يرزقني بشخصٍ واحد أستطيع أن أنام على صدره و أبكي بدون أن يتهمني بالضعف أو
ينفر من ضعفي !

لقد كان الشخص الوحيد في العالم الذي استطعتُ معه أن أسقط كل أقنعة البأس و القوة
و أكون على حقيقتي..ربما يبدو ما أقوله غريبًا..لكن فقط...إنسانة مثلي..تعلم كم أن الهرب من

كينونتنا الضعيفة و تقمص الصمود لوقتٍ طويل...متعّب بحق !

لم أدرك بأنني أثناء نظري الشارد للأرض كنتُ أقترّب منه أكثر..إلى أن شعرت بيده على جانب
وجهي..ثم همس و هو يلامس خصلات شعري بأصابعه بدون أن يبعدها تلك المرة ؛
_أخبريني..

لم أحتج هذه المرة لأسأله عن قصده..همستُ بدون أن أرفع رأسي نحوه بنبرة غير عادية ؛
_هل تركت شيئًا ما فوق النار ؟!

_لا..لماذا ؟

همس لي لؤي تلقائيًا باهتمام..فرمشتُ بعيناي قليلًا و أنا ألتزم الصمت للحظات..قلت بعدها
بخفوتٍ شديد ؛

_أريد أن نبقى هنا حتى الغروب..

مجددًا سمعتُ صوته يهمس بنبرة لونها ابتسامته التي أحفظها في أعماق قلبي ؛
_لنبقى..

لم تكن هذه غايتي الوحيدة من سؤاله حتمًا..فتحتُ فمي لأسأله مجددًا الشيء الذي أشتهي
فعله في هذه اللحظة بينما ابتسامة صغيرة تحتل عيناى الناظرتين للعشب الأخضر حيث نجلس
سويًا في مقابل بعضنا ؛

_هل يمكنني أن أنام على ركبتيك إذا ؟!

صمت قصير جدًا قابلني منه..ثم سمعتُ صوته يهمس شيئًا لم أتوقع سماعه ؛

_هل يمكنني أن أنام أنا قليلًا ؟!!

هنا فقط...كنتُ أرفع عيناى إليه لأنظر له باستغراب..و قد كانت ابتسامته الجذابة لا تزال
تستوطن ملامحه..حينما همس لي بدون أن يتوقف عن التجول بأنامله على وجنتي و ذقني و طبعًا...
غمازتي!

_اليوم لك..و المرة القادمة لي !

علمتُ ما قصده بدون أن أضطر لسؤاله..و جوابًا على هذا همست بنبرة متحشجة قليلًا
بدون أدنى تفكير ؛

_أنا بالكامل لك..دائمًا سأكون !

أظن بأنني لو سمعتُ فتاة تقول هذا لرجل ما..أيّ رجل..في الماضي...لكنك قد شعرت بالضيق الشديد من هذا الوصف !

أما الآن...فقد أصبحتُ أوّمن بشيءٍ واحد...نحن نغير بتغير هوية الشخص الذي نجلس أمامه..و هذا لا يعني إطلاقاً بأننا نمتلك العديد من الشخصيات..

إنما هي شخصية واحدة..و مشاعر جائشة نتلون بها حسب كل موقف !
رأيتُ كيف تغيرت ملامح لؤي تلقائياً بسماع تلك الجملة مني..كيف لانت نظرة عينيه أكثر..
كيف تداعت ابتسامته قليلاً بتأثر..كيف عقد حاجبيه قليلاً بتركيز و هو يتأملني للحظاتٍ بعاطفة مختلفة..

ثم اقترب مني بعدها ليمنحني أمثل جواب..قبلة مثالية أغمضتُ عيناى على إثرها فوق جبيني..ثم أخرى طويلة فوق غمازة خدي..و قبل حتى أن أفتح عيناى مستوعبة..شعرت به يعدل طريقة جلوسه و يهمس لي بحنان ؛
_اقتربي..

بدون تردّد اقتربتُ إلى أن أصبحت أنام على ركبتيه فعلاً..لا أعلم حقاً سبب حي لهذه الحركة التي طلبت من شهد أن تدعني أقوم بها من قبل..و كانت هي الشخص الوحيد الذي شعرت بالرغبة لأن أغفوا على ركبتيه بعد لؤي !

شعرتُ بالاسترخاء التام يحتل كل جسدي حينما امتدت أنامله إلى شعري تمشطه برفق..
كنتك الليلة التي كانت بداية لمسار جديد في حياتنا..لكنني هذه المرة لم أغفوا..بقيت أنظر في عينيه بهدوء تتخلله ابتسامة شبه ملحوظة..

_أريد أن أخبرك بشيءٍ ما..

همس لي فجأة بهدوء..فرفعتُ حاجباى قليلاً محفزة إياه على الكلام..لكن لؤي اختار أن يلتزم الصمت للحظات يقلب فيها عينيه حولنا..

ثم نظر لي مجدداً مردداً بنبرة لصٍ يعترف بجريمتة الشنيعة ؛

_مشبكُ شعرك الذي على شكل قلب..

رفعتُ حاجباى أكثر..فاستأنف يتصنع القليل من الحرج ؛

_قررت أن أسرقه منك..لقد أحببته..

شعرتُ بأن الابتسامة المذهولة ستخونني في أي لحظة و ترتسم بشكل واسع..فزمت في

قليلاً و أنا أسأله بنبرة لا معنى لها ؛

_أين هو ؟!!

قال لؤي فوراً باندفاع ؛

_عندي..لماذا تسألين ؟!

ثم همس فوراً بارتياح جعل ابتسامتي تلك تتحرر عنوة ؛

_أم أنك تريدين استعادته ؟!

حركت رأسي بالنفي بقوة و أنا أقول فوراً بلطفٍ مبالغ به ؛

_أنا ؟ قطعاً لا..لقد سألت فحسب..

ثم أسدلت رموشي و أنا أعض على باطن شفتي السفلى محاولة إخفاء ابتسامتي الظاهرة

بوضوح..و شعرت بأن عيني لؤي علي تدققان النظر لتلك الابتسامة بجرأة تدعو...للخجل !

إلى أن همس لي بعد تفكير مفتعل..بدون أن يتوقف عن تمشيط خصلات شعري برقته

الباعثة للراحة ؛

_يمكنك أن ترتديه بين فترة و أخرى بالطبع..لكن بشرط واحد..

رفعت عيناى إليه باهتمام في هذه اللحظة رغم أنني لم أكن مهتمة فعلاً بالمشبك..إلا أنه

استأنف بحزم هادئ و طيف الابتسامة يلوح في عينيه واضحاً ؛

_أنا من سأضعه لك و أنا من سأخلعه أيضاً..و بالطبع سيبقى عندي إلى أن تحتاجينه

مجدداً..

صمت لوهلة..ثم أضاف بتقرب و كأنه يتحدث عن موضوع شديد الجدية و الأهمية ؛

_ما رأيك ؟!

هل الأمر يحتاج إلى تفكير حقاً ؟ قلت فوراً و للمرة الثانية بتأكيد و لطفٍ مبالغ جداً به ؛

_موافقة بالطبع..

الآن فقط...رأيت ابتسامته تتحرر أكثر جاعلة من خفقات قلبي تختلج لها..ثم همس بكل

رضاً..بنبرة تسللت إلى أذناي و كأنه يمدحني ؛

_جيد..جيد جداً..

رفع عينيه بعدها لينظر إلى السماء التي بدأت تغيم قليلاً..كما بدأ الجو يتحول تدريجياً إلى

أشد بروداً.. قبل أن ينظر لي مجدداً سائلاً بما توقعته ؛

_هل نعود إلى المنزل الآن ؟ أشعر بأن الجو لا ينفك يزداد بروداً..

لم أمانع إطلاقاً..تحركتُ بهدوءٍ إلى أن وقفت بمساعدته..لكنني ما كدت أتحركُ بعد أن
أمسكت بطرف الوشاح لألفه حولي أكثر..حتى جاءني صوت لؤي الذي كان ينفض ركبتيه حازماً ؛
_ لحظة..هل تظنين حقاً بأنني سأسمح لك بأن تدخلني إلى المنزل سيراً على الأقدام ؟
كان قد استقام و اقفاً تزامناً مع آخر كلمة..و رفعتُ حاجبائي رغم علمي بما يقصده..إلى أن
قال بنفس النبرة لكن بطريقة ما فهذه المرة كان يشوبها شيء من...الخبث !
_ أنتِ عروس جديدة..و العروس لا تسير في داخل البيت..بل يتم حملها إلى كل مكان كالأميرة..
كالأميرة ؟ رياه..كيف عاد لؤي إلى طبعه المشاكس في غضون ليلة واحدة !!! الآن فقط أشعر
بأن كل الحواجز قد زالت بيننا فعلاً !

_ لكنني.....

فتحتُ فمي أنوي الاعتراض رغم أنني داخلياً لم يكن عندي أيّ اعتراض..إلا أنني تفاجئت بلؤي
قبل حتى أن أكمل الكلمة تلك..يقطع الخطوة الصغيرة ليحملني لكن مهلاً..ليس بين ذراعيه..بل على
كتفه ك....بالتأكيد لا يوجد أيّ أميرة في العالم يتم حملها بهذا الشكل !
شهقتُ هاتفة بغير تصديق و أنا أشعر به يسير بالفعل متجهاً للمنزل بينما أتمسكُ به بقوة
حينما شعرت بالعالم كله قد أصبح مقلوباً فجأة رأساً على عقب ؛
_ مهلاً مهلاً..هل هكذا يتم حمل العروس ؟!

سمعتُ صوت لؤي يقول بكل بساطة بينما يكمل سيره و كأنه لا يشعر بالفرق أبداً ؛

_ هل هناك طريقة محدّدة ؟! لم أكن أعرف !

هتفتُ فوراً و أنا أشعر بالدوار يلفّ رأسي بقوة ؛

_ بالطبع هناك..توقف لؤي..أنت تشعرني بالدوار..

لكنني لم أحظى بأيّ جواب منه..فهتفتُ هذه المرة بحدة لم أتحدث معه بها منذ فترة طويلة
جداً جداً.. لكنني الآن لم أشعر أبداً بما يمنعني من التحدث معه بها و كأننا قد قمصنا شخصياتنا
القديمة فجأة بدون سابق إنذار !

_ أقول لك توقف حالاً..لؤي...أقسم بالله ستخسرني بهذه الطريقة..ألا ترى بأنني مرهقة ؟ يا

إلهي !!

قلتُ آخر شيءٍ مغمضة عيني بإرهاقٍ و أنا لا ألتقي منه أيّ رد..لكنه هذه المرة منحني رد..

سمعت صوت ضحكته الكبيرة التي يبدو بأنه كان يخبئها منذ لحظاتٍ بصعوبة..

فتأوهتُ بإرهاق أكبر و أنا أسقط رأسي للأسفل و أتوقف عن المقاومة..لولا أن سمعته يقول
من بين تلك الضحكة التي كانت لتسعدني لو لم أكن في هذا الوضع ؛

_خمني ماذا طهوت لنا اليوم !

الآن فقط..كنتُ أفتح عيني بحماسٍ مفقود تمامًا..و قلت فوراً بنبرة غير لطيفة على
الإطلاق ؛

_هل ستنزلي لو فعلت ؟

_بالطبع..أخبريني..

قال فوراً و بغير اعتراض..و تساءلتُ كيف أصبح الطريق من مكاننا إلى المنزل ذاك طويلاً بهذا
الشكل المزعج ! لكنني رغم ذلك هتفت أحاول التخمين رغم أن ما أريده فعلاً أن...أضربه !

_الأرز بالدجاج ؟

_خطأ..

_حساء الفاصوليا ؟

_قطعاً لا..

_المعكرونة..

_بالله عليك..لقد أكلناها قبل يومين فقط!

_سلطة الدجاج..

_حاولي أن تخمني أكثر سجي..

_لقد تعبت..

_لقد وصلنا !

شعرتُ به في نفس اللحظة التي قال بها هذا ينزلي أخيراً بكل سهولة إلى أن وقفت على قدمي..
لكنني ترنحت لوهلة حينما استعاد العالم من حولي شكله الحقيقي..فقبض لؤي على كتفائي سائلاً
بقلق ؛

_هل أنت بخير ؟

منحته نظرة عابسة بشدة و أنا أتمالكُ نفسي أخيراً..و بدلاً من أن أجيب سؤاله نظرتُ حولي
للمطبخ الذي لا أعلم حتى متى دخلنا إليه و أنا أقول شاعرة بالاستفزاز من ابتسامته ؛

_ماذا طهوت إذاً ؟!!

لم يحاول لؤي إطلاقاً أن يخفي ابتسامته تلك بينما يقول بكل...جرأة ؟!

_سلطة الدجاج المشوي..

حينها فقط..كنتُ أراجع خطوة مبتعدة عن يديه اللتين كانتا لا تزالان على كتفائي..و هتفت

باستنكار ؛

_خدعتني !!!

لكنني لم أتوقع للمرة الثانية أن يهمس لي باقياً على ابتسامته بنبرة استعطافٍ صريحة ؛

_لقد أحببت سماعك و أنتِ تحاولين التخمين ! ماذا أفعل !!

لقد كدتُ أن...أصدق ! زَمَمْتُ فمي قليلاً لكن لا لأخفي ابتسامته..بل لأثبت له بأنني انزعجت

منه فعلاً..ثم قلت بحزم قبل أن ألتفت هامة بالاتجاه نحو غرفتنا..

أو...بالتظاهر بالاتجاه نحو غرفتنا!

_لا تتحدث معي لمدة ساعة كاملة على الأقل !

لكنني ما كدتُ أقطع خطوة واحدة بعيداً عنه..حتى شعرت به..كما توقعت تماماً..يقترّب مني

فجأة ليضمّني من الخلف بقوة..ثم هتف في نفس اللحظة بجزع رغم أن نبرته كانت تفصح لي بوضوح

كم أنه مستمتع بالوضع ؛

_ساعة كاملة ؟ ما الذي سأفعله في ساعة كاملة بدونك ! لن أقبل بالخصام لأكثر من أربع

ثوانٍ !

هتفتُ فوراً متمسكة بموقفي ظاهرياً فقط ؛

_أنا غاضبة فعلاً لؤي..إياك أن تهاون بالأمر..

شعرتُ بذراعيه تتمسكان بي أكثر..و لم أتوقع بعد جملي أن يهمس لي بنبرة هادئة حزينة..و

كأنني بتحذيري نسفت كل الاستمتاع الذي كان يحتله !

_حسناً..أعتذر..

شعور من عدم الارتياح انتابني..هل أخذ جملي على محمل الجد فعلاً ؟

استدرتُ قليلاً مجبرة إياه على تحريري من هذا العناق -الجميل- لأنظر له بشيءٍ من القلق..

لكنني وجدت ابتسامته لا تزال مرتسمة كما هي في عينيه على الأقل..فقط لأنه كان يجاهد لإخفاءها

عني !

ثم همس لي باستعطافٍ مسكين و هو يرفض تماماً أن يترك كتفائي حيث كانت تستقر يداه ؛

_هلا سامحتني الآن ؟ أعدكُ بأنني لن أكرّر الحركة السخيفة إلا حينما يخطر لي الأمر..لقد

مرت أربع ثوانٍ أساساً !!

لن يكرّرها إلّا حينما -يخطر له الأمر- ! ما معنى هذا فعلاً ؟!!

تسمرتُ قليلاً أنظر له بغباء..و لم أشعر بعدها إلّا بتلك الابتسامة اليائسة التي احتلت كل وجهي بدون سابق إنذار..ابتسامة كادت أن تصنف على أنها ضحكة بلا صوتٍ شاركني إياها لؤي..
ثم اقتربتُ بنفسِي حينما شعرت بذراعيه تقرباني من صدره..ضمني بقوة مبقياً على تلك الابتسامة الكبيرة.. إلى أن همست أنا هذه المرة بدون أن أشعر..

همستُ مبتسمة بسعادة غريبة و أنا أحاطت جذعه بكلتا ذراعي..أفصح عن شعور انتابني فعلاً للتو.. بصوتٍ علمت بأنه سيكون قد سمعه رغم أنني كنت أخطب نفسي ؛
_يا إلهي..لم أتوقع أن تعود إلى طبيعتك بهذه السرعة !

كان جوابه ضحكة خافتة أطربت قلبي بسماعها..ثم سرعان ما شعرتُ بإحدى ذراعيه تتحركان..لكنني لم أعرف الغاية من تلك الحركة بعد..إلّا حينما رفع الأخرى أيضاً سامحاً لي بالابتعاد قليلاً..

و شعرتُ بأنامله تلمس شعري برقّة..و بمشبكٍ صغير يجمع خصلة ما من الجانب يهدوء..لم أكن أنظر له الآن و أنا أشعر بأنفاسه قريبة مني بينما يقوم بعمله المهم على الأرجح على أكمل وجه..
إلى أن شعرتُ به يحرّر شعري أخيراً..قبل أن تعود يداه لتقبضان على كتفائي..لكن هذه المرة.. لم تكن غايته احتضاني أو النظر في عيني..فقد أدراني برفق إلى أن تواجهت مباشرة مع المرأة الكبيرة نسبياً التي تحتل أحد جدران المطبخ..

كان قد جمع خصلة صغيرة من شعري كما كنتُ أفعل ليلة أمس إلى الجانب..بمشبكٍ شعري الذي على شكل قلب بالطبع..و الذي علمت الآن فقط بأنه كان يضعه في جيبه طيلة الوقت..
و كانت يداه لا تزالان على كتفائي..حينما همس و هو ينظر في انعكاس عيني مباشرة..
بنبرة...ساحرة جداً!

_تعلمين متى عليك أن تعيديه لي !

كان صوته رغم هدوءه و ثباته الكبير يحمل نوعاً غريباً من المشاعر..لقد تعلق بمشبكٍ شعري فعلاً ! و لا أعلم حتى السبب الذي يجعل حلية بسيطة كهذه تنال إعجابه لهذا الحد !
همستُ مبتسمة بخفوتٍ و أنا أرفع يدي لألمس يده اليسرى المرتاحة على كتفي ؛
_غدًا ؟!

و لم أستغرب حينما وجدته يحركُ رأسه بالنفي.

قبل أن ينحني قليلاً إلى أن طبع قبلة فوق يدي الملامسة ليدته..و بدون أن يعود ليستقيم

بظهره..رفع عينيه فقط لينظر لانعكاس عيناى فى المرأة مجيباً ؛

_بعد العشاء مباشرة..و سأستعيده أنا بيداي !

نبرته دفعت شيئاً من الارتياح ليحتل عيناى..لكننى رغم ذلك سألته بلطفٍ ؛

_و السبب ؟!

و دعونى أكون واضحة..أنا..سجى..بكل الوعي الذى أمتلكه..و بكل معرفتى بلؤى التى أفخر

بها..لم أتوقع رده أبداً..حينما قال بعد صمتٍ قصير لم تبخل عيناه خلاله من النظر لعيناى بـ...بمكر!

_لا تسألينى عن السبب و إلا أخرجتك !

ارتفع حاجباى تلقائياً و أنا أنظر له بدهشة..قبل أن أزم شفتاى قليلاً..ثم قلتُ بعدها و أنا

أخفق ابتسامة تود أن تتحرر و تحبط موقفى..ألا يكفى تلك الحرارة التى ارتفعت إلى وجهى بغير أن

أملك أمر منعها !

_على أساس أنك لم تخرجنى الآن !

بدا و كأن لؤى لم يسمعى للحظاتٍ و هو يراقب ذلك التورد بوجنتاى بعينين راقى نظرتهما

أكثر..شعرتُ بأنه أجبر نفسه فعلاً على أن ينظر لى مجدداً..إلى أن أجابنى بـ...ببساطة تدعو للتعجب !

_لم أفعل بالطبع !

ضيقْتُ عيناى قليلاً و أملت رأسى للجانب ناظرة له باستنكار هادئ..فأضاف متدراگاً بتلك

البراءة المصطنعة رغم أن ابتسامته تكاد أن تكون واضحة لى ؛

_تخيلى ما كان سيكون الوضع لو أجبت سؤالك فعلاً ؟!

رفعت ذقنى قليلاً مردفة فى نفس اللحظة ؛

_تخيل ما سيكون الوضع لو انسحبت إلى غرفتنا الآن و أغلقتهما بالمفتاح و لا أفتحها حتى

الصباح !

و كأننى قد ألقيتُ عليه تهديداً بالإفراغ فعلاً..تراجع برأسه ناظراً لى بغير تصديق حقيقى..

بينما تحركت شفتاه بغير إذن منه على الأرجح ليقول بشك ؛

_لن تفعلنى بالطبع !

و بالطبع..لأؤكد شكّه ذاك..رفعت كتفاى باستسلام و أنا أقول ببساطة تشبه ببساطته قبل

قليل ؛

_إذا خطر لى الأمر..قد أفعل !

_ لا أصدقك..

قال مندفعًا بنفسِ النبوة و النظرة التي تحفز على الضحك..و لم أتردد من إجابته بينما أزم

شفتاي بأسف ؛

_عليك أن تبدأ بتصديقي إذا..

الآن فقط..انعقد حاجباه قليلاً على نظرة اختفى منها كل الاستمتاع السابق..بدون أن يتوقف
عن النظر لي..لكنه في النهاية قال عابسًا بشكلٍ طفيف و كأن عقله قد اهتدى أخيرًا إلى نقطة ضعفٍ
يهددني بها..

_حسنًا..حينما سأمضي الليلة أمام النافذة أراقبك..و كانتقام جدير بالموقف منك ستكُونين

أنتِ المسؤولة عن وضعي لو أصبت لا سمح الله بنزلة برد !

اووه..كان عليّ أن أتوقع هذا من لؤي ! أنا لا أستبعد حتى أن يتظاهر أمامي بالمرض بعد تلك

المرة التي كدت أن أفقد نفسي فيها خوفًا عليه !

_أنت تجيد استغلال مكانتك عندي إذا !

همستُ له محرّرة ابتسامتي أخيرًا بثباتٍ و جدل..لكن بنبرة خلت من كل المزاح و تلونت بتلك

الذكرى التي لا أعلم أيّ شعور اعتنقه فعلاً كلما تذكرتها..الاشتياق..أو الحزن !

شعرتُ بأن نفس السؤال طرأ في عقل لؤي و أنا أرى ملامحه التي تخلصت من كل التعابير

السابقة هي الأخرى..ليبقى فقط الشرود الممتزج بابتسامته التي لم تفارق وجهه تقريبًا منذ أن

استيقظنا صباحًا..

صمت قصير ساد بيننا..ثم شعرتُ بذراعيه تشتدان من حولي أكثر كمن يشعر بالخوف فعلاً

من أن يفقد هذا الحلم كما اعتبره..قبل أن يميل قليلاً ليمس ملامسًا أذني بشفتيه بنبرة...جعلت

قلبي يترنج فعلاً !

_ليتك أنتِ...تدركين حجم مكانتك عندي ! لم يعد لها حجم أساسًا !

شعرتُ بأن تلك الهمسة..ككل همسة ألقاها منه..قد اخترقت أعماق قلبي..و لم أجد

بالطبع كلماتٍ لأرد بها عليه..فاكتفيت بأن أغمضت عيني و أنا أسترخي على صدره الواسع أكثر..أضع

كل ثقلي عليه غير قلقة أبدًا من السقوط..

و يبدو بأن لؤي كان يشاركني نفس المشاعر الآن..فأطبقتُ عيناى أكثر..حينما شعرت بشفتيه

تلامسان صدغي..مجرد لمسة شديدة الرقة..لكنها تطورت من مجرد لمسة إلى شيءٍ أعمق..

فشعرتُ بشفتيه تنزلقان الأمس تمامًا فوق بشرتي..و تلك المرة لم يلثم غمازة خدي..فقد
اكتفى بأن رفع إحدى يديه ليلمسها بما أنه كان يحتضنني من الجهة المعاكسة..إلى أن شعرت بشفتيه
تلامسان ذلك النبض الخافق في عنقي..

و يبدو بأنه قد اختار تلك اللحظة تحديدًا ليمس فوق بشرتي بخفوتٍ شديد ؛

_هل نذهب للأكل إذا ؟

مهلاً..ماذا قال ؟ لقد ألقى سؤالاً ما !!

همستُ للمرة الثانية اليوم بصوتٍ أكثر خفوتًا من صوته..بالكاد أجبر الحروف على التجمع

لأجيب بينما كل جوارحي تهتف مستطيبة هذا الاسترخاء ؛

_حينما أشعر بالجوع !

فقط..هذا ما كان يحتاجه لؤي فقط ليغرق أنفاسه أكثر بعنقي..أنفاسه التي كانت

متحشجة قليلًا..دافئة جدًا و كأنها تعود لشخصٍ مصاب بالزكام فعلاً..

الآن فقط أستطيع أن أجيب سؤالاً قد يكون مرّ في ذهن كل شخصٍ يعيش معنا في هذا

العالم..

إذا كانت هناك لحظة واحدة أود أن أعيش عليها ما تبقى من حياتي..أن تستمر إلى الأبد...فهي

هذه اللحظة حتمًا!

الثالث و الخمسون ؛ ومضات من الحب

#هادي

لأكون صادقًا جدًا..شديد الصدق..فأنا لم أحب إطلاقًا هذه الأيام التي مكثتُ فيها أنا و شهد

في منزل.....هل يليق بهم أن أصفهم بعائلتها ؟

حسنًا و إن يكن..أنا عائلتها الوحيدة !

و لأكون صادقًا أيضًا..شديد الصدق..لا أظن بأنني مهووس بشهد..إنما أنا فقط أشعر بأن

النار تلسع صدري كلما تطرق عقلي لفكرة أن يأخذها أحد مني..أي أحد..أو أن...تقارن ما بين الدفء

الذي شعرته في حضن خالتها و الدفء الذي تستشعره في حضني..

أو أن...لا سمح الله..تحب رفقة ابن خالتها المراهق ذاك..سند ! لا سمح الله لأجله بالطبع !

و لأكون صادقًا جدًا..للمرة الثالثة...فأنا لم أتوقع إطلاقًا أن تنسجم شهد كل هذا الانسجام

مع عائلة خالتها و في هذا الوقت القصير..لو وضعنا بعين الاعتبار طبيعة شهد المتحفظة و الخجولة

بالطبع !

حتى أنها باتت تشاركهم الكثير من الأحاديث حينما نكون على طاولة الطعام..تبتسم بصدق..

و قد تتحول الابتسامة أحيانًا إلى ضحكة تجعلني أفغر فمي مشدوهاً بالكامل..إنها بالكاد تضحك حتى

حينما تكون معي !

لكن هل تعلمون ما يجعلني أبقى صامدًا بدون أن أمد يدي لأمسك بها و أذهب بها بعيدًا عن

كل ما يحول بيننا من حواجز آدمية مزعجة..هو تلك التهيدة التي تحررها خالصة ما إن تقع عينيها

عليّ في منتصف ابتسامتها..و نادرًا جدًا أن يحدث هذا..

ذلك لأنها في أغلب الأوقات تبتسم أو تضحك و هي تنظر لي تمامًا ! و كأنني المعني الوحيد

بابتسامتها تلك..عيناها تخبرني في كل مرة كم أن تلك السعادة الجميلة في جوفهما مصدرها أنا قبل

كل شيء !

و بالطبع..أنا..كأي زوج لطيف يعشق زوجته..أكتفي بأن أحرق بها متهدًا داخليًا بصمتٍ

مشبع بالمشاعر..أتأمل تلك التعابير الشفافة و كأنني أراها و أكتشفها لأول مرة..في كل مرة...

رغم أنني فعليًا أحفظ كل إنشٍ منها عن ظهر قلب..

أحياناً..في أحيانٍ قليلة..أتمكن من أن أمنحها ابتسامة بالكاد ترتسم في عيناها..ليس
لكوني أعجز عن الابتسام..على العكس تمامًا فهي كانت الوجه الوحيد الذي يجعلني راغبًا في
الابتسام كل ما نظرتُ له و من كل قلبي..

لكن لأن مشاعري في تلك اللحظات..تكون أعمق و أقوى و أكثر تعقيدًا من أن أستطيع
تجسيدها في مجرد نظرة..أو ابتسامة..ثم تعود و تراودني تلك الأمنية جميلة بأن أمسك بيدها بكل
رفق و أذهب بها بعيدًا عن الجميع..

ليس غيرة الآن..إنما رغبة في أن أتلقف من نظراتها و ابتسامتها تلك كل ما أحتاجه بغير أن
أضطر للالتفات عنها استجابة لنداء مفاجئ من خالتها..أو أن أخفي لهفتي الدائمة عليها حتى لا يبدو
الوضع بيننا مريبًا..

أيضًا لكي لا أفاقم من ذلك الخجل الذي يلون نظراتها لي و كأنها تخشى أن تفصح عيناها و
عينها عن أعمق أسرارنا القلبية المخفية عن العالم !
أظن بأن شهد كانت مثلي أيضًا..فهي رغم سعادتها بتواجدها بين ثلاث أفراد من عائلتها..أو
لنقل بصيغة أدق..فردان من عائلتها..خالتها و ابنها..

فذلك الرجل هناك..زوج خالتها...و الذي تعامل معنا بكل لطفٍ و اعتيادية حينما قابلنا..و
كأنه ليس نفس الشخص الذي حرّض خالتها في الماضي على التخلي عنها..لا يعتبر أبدًا فردًا من
عائلتها..

و بما أن أيّ صلة دموية أو عاطفية لم تكن تربط بينهما..فلم تكن شهد مضطرة إطلاقًا على
النظر له بعين الشوق و مسامحته..ذلك لأنها أساسًا لم تكن تحمل أيّ شعور نحوه...و لا هو يملك
أيّ واجبات نحوها!

لقد كانت شهد مثلي فعلاً..ما يجعلها غير قادرة و لو لمرة واحدة أن تخفي عني ذلك القنوط
الخفيف الذي يكتسحها بعد دقائق طويلة من الحوارات التي لا تنتهي..
لا يمكن لها أن تكبح ذلك الشوق المتأجج..المتوهج..المتجدد دائمًا إلي..و لا أنا أستطيع..ليتني
أستطيع !

لقد كدتُ أشعر بالجنون ليلة أمس حينما دخلت فجأة لأراها تجلس بجانب ابن خالتها..و بين
أيديهما..أو يديه هو على وجه الخصوص..ألبوم صور وردي لم يلبث أن يقلب صفحاته واحدة تلو
الأخرى سامحًا لها برؤية صور قديمة لمجموعة من أفراد هذه العائلة..

بغض النظر عن صور والدمتها التي رأتها جميعها تقريباً خلال هذه الأيام..حتى أنها طلبت من خالتها أن تمنحها بعض الصور لتحتفظ بها..و صور والدها الذي لم تجد منها إلا اثنتين..

فقد شعرتُ بقلبي يتضخم تأثراً في كل مرة رأيت بريق عينيها اللامع أثناء تنقلها بين تلك الملامح التي تنتهي إليها..كما الآن تماماً...كانت هناك ابتسامة واسعة دامعة قليلاً تكتسح عينيها..حينما همس لها المراهق المزعج سند مبتسماً هو الآخر و هو يشير على صورة معينة ؛

_و هذه أخبرتني أمي بأنه تم التقاطها لهما في عقد قران والداي..

رأيتُ كيف رقت نظرة عينيها أكثر و هي تحديق بالصورة التي قال عنها..و كيف تاهت ابتسامتها قليلاً في البعيد البعيد..ربما تتمنى لو تطراً معجزة ما تعيدها بالزمن إلى الوراء لتخول لها مقابلة والدمتها و لو لمرة واحدة..لمدة أربع دقائق أو خمس لا أكثر..

لتضمها قليلاً..و تنظر في عينيها قليلاً..و تخبرها بأنها تحبها..و تسامحها!

لكنني للأسف..كما العادة..لم أستطع أن أنتصر على ذلك الجشع العاطفي الذي يقطن في قلبي نحوها..و يجعلني غير قادر على تحمل أن أراها منشغلة عني مع أي كان..

فماذا لو كان هذا الـ "أي كان" شاب مراهق مزعج !

فلم أشعر بنفسي و أنا أنادي باسمها بحدة ؛

_شهد !!

و بالطبع..كما هو متوقع..قبل حتى أن أكمل نطق الثلاثة أحرف الحبيبة..كانت صاحبة ذلك الاسم الذي وجد لأجلها ترفع رأسها مجفلة نحوي تزامناً مع وقوفها..

بينما ظل المتطفل ذاك جالساً مكانه..لكن بملامح تحولت في لحظة واحدة من مبتسمة وديعة لطيفة.. إلى حانقة يشوبها ضيق واضح..هل يتجرأ الوقح على أن يرمقني بضيق !!؟

تجاهلته تماماً كما تجاهلتُ في كل مرة رأيت فيها رغبتني الحمقاء بأن أصفعه..هكذا فقط..

بدون سبب..و نظرت لشهد مجدداً و التي كانت تحديق في عينيائي بشيء من القلق..

و من حيث لا أدري..ارتسم شبح ابتسامة بالكاد يمكن ملاحظته في عينيائي فقط حينما رأيتها تقترب مني بدون أن أطلب منها هذا حتى..اقتربت بخطواتٍ هادئة جداً..

إلى أن توقفت أمامي تنظر في عينيائي بعينيها الواسعتين الجميلتين و كأنها تسألني عن سبب ندائي لها بهذا الشكل..بينما هي في الحقيقة كانت تختبر عينيائي ما إن كنت متضايقاً من جلوسها مع ابن خالتها كما العادة أو لا..

لكنني لم أمنحها ردة فعل واضحة..مجرد أن رمقتُ الأبله ذاك بنظرة من طرف عيناى و كأنى
أذكره بدون كلام بأنه يقف متطفلاً بين زوجين..

و كم راقنى رؤيته ينسحب بملامحه الممتعضة تلك بصمتٍ نحو غرفته..راقبت أثره للحظة
أخرى بشعور من عدم الرضا..قبل أن أعيد انتباهى لشهد مجدداً..وقد كانت هذه الأخيرة..تنظر لى
مسبقاً..

رفعتُ يدي بهدوء لألمس القليل من خصلات شعرها المنسابة برقة بالغة على جانب وجهها..ثم
همست لها بخفوتِ الشيء الذي كنت أريد قوله منذ مجيئى ؛
_هل نخرج ؟

رفعتُ شهد يديها الاثنتين لتمسك بيدي المطوقة لجانب وجهها..و اكتفت بإيماء صغيرة و
عيناها ترسمان قلوباً حمراء صغيرة لى رغم التعب الطفيف البادى فيهما..لكننى سألتها مجدداً بنفسِ
النبرة ؛

_ألن تسألينى إلى أين ؟!!
مجدداً أو مأت لى لكن بالنفى هذه المرة..ففتحتُ فى أريد أن أقول شيئاً آخر..لكننى تفاجئت
بها تقول بنبرة صوتها الخافتة المرهقة نسبياً بينما تنزل يدي قليلاً متمسكة بها أكثر ؛
_بشرط !

رفعتُ حاجباى قليلاً ناظراً لها بدهشة طفيفة..لكننى لم أتردد من أن أهز رأسى قليلاً محفزاً
إياها على التحدث بشيء من الحذر..و لم استغرب حينما سمعتها تهمس بتلك النبرة المحملة بضيق
طفيف ظهر فى ملامحها ؛

_لن نذهب إلى أى موقع طبيعى مهجور اليوم..و لن تلتقط الصور !

همستُ بجذل و أنا أكتم ابتسامة واسعة تود الظهور عنوة ؛

_ألم يصبحا شرطين ؟!

لكن شهد صممت على موقفها..و اكتفت بأن هزت كتفها قليلاً كمن لا يملك حيلة فيما
يتمناه..ثم تهدت قليلاً و هى تنظر فى عيناى و كأنها تنتظر إجابتي..و قد أجبتُ بالفعل..قلت مبتسماً
باتساع بينما أطوق كتفها جانبياً و أميل عليها قليلاً لألمس طرف جبهتها بشفتاي مشاكساً ؛

_أفعل ذلك لأننى لا أمتلك حالياً رخصة فى الذهاب إلى أى موقع رسمى و التصوير..ثم هل
تظنين فعلاً بأننى قد أستطيع إجبار نفسى على أن لا ألتقط لكِ أى صورة بينما تجلسين أمامى بكل

هذا الجمال !!

_هادي..رجاءً!!!

همست لي صوتها المتهدج قليلاً و كأنني أتحدث عن أكثر شيء تكرهه في الحياة..إصراري الدائم على التقاط الصور لها في كل مكان و وضعية..و لم أستطع آنذاك أن أكتم ضحكة حقيقية و أنا أجيب في أذنها بلطف ؛

_سنذهب لتناول العشاء..و سألتقط لك بعض الصور بالطبع..

ثم أضفتُ تزامناً مع رفعها لرأسها نحوي و كأنها تود التعليق على جملي الثانية ؛

_لكن لا تخافي..لن تشعري بي حتى متى التقطتها و كيف..ما رأيك الآن ؟!

ردها أدهشني أكثر من الابتسامة الخُلوة التي شقت كل وجهها..حينما قالت تميل برأسها

للجانب قليلاً و هي تسير معي..مسيرة بذراعي الملتفّ حولها..خطوة بخطوة نحو الباب ؛

_لقد أصبحت أفكر بأنك وجدت طريقة لإنشاء معرضك الخاص فعلاً و ستمنحه اسمي !

لكنني استطعتُ أن أحتوي دهشتي بسرعة..فهمست مبقياً على ابتسامتي تزامناً مع فتحنا

للباب و اتجهنا نحو سيارتي بنفس الوضع..ذراعي ملتفّ حول كتفها..و ذراعها ملتفّ حول جذعي..و

عينا في عينيها البراقتين الساحرتين ؛

_لقد أنشأت معرضي الخاص فعلاً..في غرفتنا!

همستُ آخر كلمة بنبرة خاصة مميزة عن كل ما سبق و أنا أميل عليها أكثر لأطبع قبلة عميقة

على وجنتها..و كأنني أقبل ابتسامتها الواسعة..

قبل أن أنخفض قليلاً لأفتح الباب من جهتها و أهمس لها مبتسماً بتلك السعادة الغريبة التي

كانت تعتريني و قد تضاعفت برؤية التوهج المعتاد في مو اقف مشابهة لنا يكتسح وجنتها ؛

_تفضلي يا أمها..

تعبير من الغباء ارتسم في عينيها..فهمستُ بمراوغة بينما أشير إلى بطنها الظاهر بوضوح حتى

و هي ترتدي الفستان الزيتوني الجميل و فوقه معطف أبيض كلاسيكي يجعلها تبدو لي كمشروع امرأة

الأعمال التي أخبرتني ذات ليلة قريبة بأنها تتمنى أن تكونها..

_عسل !

كان كل هدي أن أرى ابتسامتها مجدداً..و نجحتُ بجدارة في دفعها للضحك لا الابتسام فقط..

لكنها لم تعلق بكلمة..اكتفت بأن رفعت يدها لتلمس بطنها البارز أثناء صعودها إلى مكانها الخاص

بالسيارة..

ثم بعدها بدقائق طويلة..كنا نجلس أمام بعضنا البعض في مطعم فاخر هادئ..بتصميم مريح
و إطلالة جميلة على البحر..حينما لفتت انتباهي شهد و هي تسقط الملعقة بهدوء فوق الصحن..
قبل أن تهمس و هي ترفع عينيها نحوي و تريح ذقنها على يدها ببساطة ؛
_ماذا لو كان طفلاً ذكراً إذن؟!!

ماذا لو توقفتِ أنتِ عن إلقاء نفس السؤال عليّ كلما علقنت على جنس طفلنا أو طفلتنا!
و كأن هذا السؤال ظهر في عيناى..لكنه لم يخرج من فمي..قلتُ و أنا أقترّب منها قليلاً عبر
الطاولة بيننا ؛

_حينها سأتركُ أمر انتقاء اسمه لكِ أنتِ !
رفعت شهد حاجبيها ببعض الدهشة و هي تنزل يدها و تتراجع قليلاً محدقة بي ببلاهة أعرفها ؛
_أنا؟!!

كنتُ أود فعلاً أن أسمع اقتراحاتها فيما يخص اسم طفلنا لو كان ذكراً فعلاً..فأومأتُ لها
بالإيجاب بحزم..و تراجعت قليلاً في مقعدي و أنا أراها تفتح فمها و كأنها ستقول شيئاً ما بعفوية..
لكنها توقفت في آخر لحظة..و شردت عينيها قليلاً بعيداً عني رغم أنها ظاهرياً كانتا تنظران لي..
بقيتُ أنتظرها بترقب..ألاحظ تعاقب ملامحها المفكرة ما بين نظرة حنونة و أخرى أشد حناناً..
إلى أن نظرت لي مجدداً..و قالت فجأة بحماسٍ شخصٍ عثر على الحل للغز كبير ؛
_وجدته..سأسميه لؤي!!!!

الآن كان دوري أنا لأرفع حاجباى ببلاهة..لكنها ببلاهة ثوان معدودة..و سألتها بعدها باهتمام ؛
_لماذا؟!

لكن و لأكون صادقاً..للمرة الرابعة اليوم..لم أتوقع لا ابتسامتها الدافئة و الجميلة..و لا
إجابتها المعبرة و المقنعة بالفعل..حينما همست بينما تشابكُ بين أناملها فوق الطاولة..بنبرة جميلة
كجمال وجهها و ابتسامتها الدافئة...بالغة الجمال !

_لأنه أقرب شخص إليك و أكثر شخص تحبه من بين كل أفراد عائلتك ! ألن تحب أن يكون
اسم طفلنا الأول على اسمه !

إجابتها أرسلت شعوراً قوياً من السعادة و التأثير إلى قلبي..ألم أخبركم بأن شهد مثلي ؟ حتى
حينما يتعلق الأمر بانتقاء اسم لطفلنا..لا يمكنها إلا أن تفكر بي أولاً و بمشاعري و طريقة تفكيري و
ما يسعدني أنا!

فتحتُ في أود أن أعقب بشيءٍ ما..أود أن أذكرها أيضًا بالأشخاص المقربين لي بالإضافة إليه..لكنها سبقتي حينما أضافت و عيناها المبتسمتين تغرقان في شرود جديد طفيف ؛
_بالإضافة إلى سجي بالطبع..

ثم نظرت في عيناى سامحة لابتسامتها بأن تبرز أكثر و أكثر..و حينها كان دوري أنا لأهمس بجدية تامة بينما أمد يدي عبر الطاولة بيننا لأحتوي إحدى يديها المتشابكتين بين يدي ؛
_و أنتِ ! أنتِ الأقرب إليّ من بين الجميع !
كانت هناك أغنية أجنبية هادئة جدًا تتردد في الأجواء حولنا..ربما تلك الأغنية أضافت إلى هذا المشهد الساكن و الجميل سحرًا أكبر..لكنني لم أكثر لجمال الأغنية..
فقد كنتُ مأخوذًا بابتسامتها التي اتسعت أكثر و أكثر ببطءٍ..تشوبها تلك النظرة البالغة الحُب في عينيها..

مكتفية للمرة الثانية بالصمت و مر اقبتي بحُب عميق حينما رفعت يدها إلى فمي لأطبع قبلة طويلة في باطنها..

بما أننا نجلس في طاولة جانبية مظلمة و بعيدة نسبيًا عن الطاولات الأخرى..فقد كنتُ أشعر و كأننا بمفردنا في المكان ككل..و هذا ساعدني لأجعلها تعيش نفس التجربة التي وعدتها بها ذات يوم بعيد..تعيشها للمرة الثانية معي..

و كأننا قمنا بكل طقوس الارتباط معًا..لقد طلبتُ يدها في ذلك اليوم للزواج بي بعد موعد رومانسي جميل..و اليوم..نزور مكانًا مشابهاً لكن بصفتنا زوجان..عاشقان..و قريبًا جدًا...أم و أب لأجمل طفلة في العالم..أو...-أغبي- طفل في العالم !

لا أعلم ما الذي تغير في ابتسامتها هذه الفترة و بات يجعلني مأخوذًا بها أكثر من السابق.. لكنني متأكد من شيءٍ واحد..مهما بدت تلك الحقيقة قاسية مؤلمة و مفاجئة عند اكتشافها..فقد أضافت الكثير من الأشياء الجميلة لشهد..

مجرد فكرة أنها ليست لقيطة فعلاً..لم تكن كذلك يومًا..و كون والديها لم يتخليا عنها كما كانت تظن..فكرة أنها في مكان ما في هذا العالم..تمتلك بعض الأشخاص الذين تنتهي لهم بحق.. و أهم فكرة..أجملها..حقيقة كونها تملكُ أختًا جميلة كسجى..هذه الحقيقة لوحدها كافية لأن تجعلها تعيش بسعادة هائلة مدى الحياة !

تعمدتُ أن نخرج ليلتها من المطعم في وقتٍ باكر لكي يتسنى لنا التجول قليلاً بجانب البحر..و هكذا فعلنا لدقائق لم تقع أعين شهد فيها على بائع متجول إلّا و طلبت التذوق ممّا يقدمه..

لا عجب إن تحولت بعد أيام قليلة إلى دب قطبي !

المهم هو أنها كانت أمسية جميلة عدنا منها إلى المنزل مرهقين بالكامل لنتوجه مباشرة إلى غرفتنا بعد أن ألقينا التحية على أفراد عائلتها..عكس هذا اليوم الذي لا يبدو وكأنه سيمر بنفس الجمال..

فتلك الكسولة..لا تزال نائمة في السيارة منذ أن وصلنا إلى هذا المكان الساحر..و المناسب تمامًا لالتقاط صور جميلة بجودة عالية جدًا..على الأقل كي لا أعود خالي الوفاض بعد أن رفضتُ العمل مع شركة الازياء تلك نزولاً عند رغبة الأميرة الناعمة النائمة على الدوام.. على الأقل تلك كانت تستيقظ بقبلة رقيقة..أما خاصتي أنا...فقد أصبحتُ أشك بأن يهتز جفناها حتى لو حدث انفجار بجانبها..أخفضت الكاميرا قليلًا لأرملق تلك الصورة الجديدة التي التقطتها لمنظر السماء وهي تطفو فوق هذا السهل الممتد أمامنا بلا نهاية..

قبل أن ترسم ابتسامة ضئيلة محملة بالرضا على شفاهي و أنا أقترب من السيارة مجددًا..و هذه المرة..لم اكتفي بتأملها فقط أو التأكد من أنها لا تزال نائمة فوق الكرسي الذي أرخته قليلًا إلى الوراء..متدثرة بمعطفي الثقيل الذي استعارته بدون حتى أن تسألني عن رأيي.. فقد مددتُ يدي فورًا لأمس كتفها برفق..تزامنًا مع انخفاضي قليلًا إلى أن أصبح وجهي قريبًا من وجهها..و خرج صوتي حازمًا قليلًا ؛

_شهد..شهد..هيا استيقظي أيتها اليقطينة الكسولة..شهد...

شعرتُ بها تتململ قليلًا..لكنها لم تستيقظ..همست بدون أن تفتح عينها بصوتها الناعس الكسول مثلها ؛

_دقيقة أخرى بعد..أرجوك..

_قطعًا لا..استيقظي الآن هيا..

أمرتها بحزم أكبر..قبل أن أهرها أكثر قليلًا من كتفها منادياً بصوتٍ مرتفع ؛

_شهد !!!

و حينها فقط..رأيتُ كيف فتحت عينها فجأة على وسعهما..استغرقت لحظة واحدة في النظر إلى النافذة الخاصة بمقعد السائق و المواجهة لها و كأنها تستوعب مكانها و موقفها.. إلى أن طرفت برموشها متنهدة ببطء..قبل أن ترتفع يدها لتلمس يدي التي علي كتفها و تلتفت إليّ لتهمس بدون أن تستقيم في طريقة استلقاءها ؛

_هل انتهيت ؟

لم أمنحها أي رد رغم أنني فهمتُ ما تقصده بسؤالها.. فهذا نفسه السؤال الذي تلقينه عليّ دائماً في كل مرة أحضرها معي إلى مكان مشابه و تقضي معظم الوقت في النوم.. فأضافت بنفسِ نبرتها الخافتة الناعسة ؛

_من التقاط الصور ؟!

مجددًا لم أمنحها جوابًا فورًا.. استقمْتُ قليلًا و تركت كتفها لأقبض على يدها الآن أمرًا بنفس الحزم ؛

_ليس بعد.. تعالي..

لكنها رفضت التحرك من مكانها.. بل و قالت باعتراض و ملامحها تتغضن قليلًا لم أعرف إن كانت رجاء أو ضيقًا ؛
_لا أريد..

نظرتُ لها بنفاذ صبر لوهلة.. قبل أن أهتف بحزم و أنا أتمسكُ بيدها أكثر ؛
_هل سألتكِ إن كنتِ تريدين ؟ لم أسألكِ.. تعالي..

لكن هل تعلمون ما الذي جعلني أتفاجئ فعليًا ؟ أنها لم تصغي إليّ رغم ذلك.. فقد همست لي بتذمر حقيقي و هي تسدل جفونها قليلًا.. لا تزال متمسكة بيدي لكنها ترفض التحرك من مكانها ؛
_أريد أن أنام.. أليس من المسموح لي أن أنام !!؟

الآن فقط... شعرتُ بكل ذلك الحزم يسقط عن وجبي دفعة واحدة.. نظرتُ لها لوهلة بيأسٍ.. ثم لم أشعر بنفسي و أنا أتهد مطولًا و أعود لأنخفض قليلًا بجذعي..

لكن هذه المرة ليس لأوبخها.. بل همست و أنا ألمس إحدى الخصلتين المنسابتين على جانبي وجهها برقة.. كانسياب شعرها التي كانت قد قامت بظفره اليوم كالأيام الخوالي على جهة واحدة من كتفها ؛

_انظري إليّ شهد..

للحظاتٍ شعرتُ بأنها لن تستجيب لي.. لكنها رفعت عينها في النهاية ببطءٍ.. لتمنحني بالكاد نظرة غير كاملة.. لكنها كانت كافية لي.. فهمست لها بخفوتٍ و صوتي يصبح أكثر هدوءًا و رقة ؛
_لقد جلبتِكِ إلى هنا اليوم بغاية الابتعاد عن ضجيج البيت و الجلوس مع بعضنا البعض قليلًا على انفراد.. ألا تريدين الجلوس معي !!؟

و كأن تلك الرقة بصوتي انتقلت لعينيها كالعدوى.. فما لبث يتداعى ذلك الضيق المشوب باستعطاف منهما.. لكنها رغم ذلك همست تجيب سؤالي الأخير بنبرة تشبه نبرتها السابقة ؛

_ أنت لا تجلس معي أبداً..أنت لا تفعل أي شيء سوى التقاط الصور !
جيد جداً..الآن أصبحت تغار من عملي أيضاً ! لا أستبعد أن تكسر الكاميرا لو وقعت بيدها
حقاً..هل كل هذا من تأثير هرمونات الحمل ؟ أحياناً أصبحت أشك في هذا فعلاً!
إنها تصاب بالجنون تدريجياً !

_ اسمحي لي إذن بالتقاط الصور لكِ و لن أهتم بأي شيء آخر حينها !
ابتسامة جديدة اكتسحت ملامحي و أنا أرى ذلك التردد الذي غزا عينيها..و كيف قلبت
شفتيها قليلاً و كأنها تفكر فيما قلته بينها و بين نفسها فعلاً..إلى أن همست لي فجأة كزوجة...تحاول أن
تبدو صارمة !

_ صورة واحدة ؟

_ ثلاث صور !

قلتُ كمن يجلس في اجتماع تفاوض حول موضوع مهم جداً..و سمعت صوتها ترد فوراً هي
الأخرى بتردد ؛

_ صورتين ؟

_ أربع صور..

_ حسناً ثلاث صو.....

_ في هذه الحالة ستصبح خمسة !

شعرتُ بأنني عاجز مجدداً عن كتم ضحكة كبيرة حينما اتسعت عيناها بقوة كمن تعرض
للخداع..لكنه لا يملكُ أمر التدارك على أي حال..و أنا..كأننا...لم أكن لأضيع الفرصة بدون استغلالها
بالكامل..فقلتُ مجدداً بنبرة تشبه التحذير ؛

_ إذا لم تكوني تريدين أن تصبح ستة فانزلي بسرعة..

كنتُ أعلم بأن هذه الحيلة ستجدي معها..و هكذا حدث..فلم تفعل شهد أكثر من أن رمقتني

بنظرة أخرى مشوبة بنفس الضيق السابق رغم أنه أصبح أقل بكثير الآن..

ثم أبعدت برفق المعطف الذي يغطيها بالكامل تقريباً..و تحركت قليلاً و كأنها ستستقيم..

لكنني انخفضت لأدير المقبض الصغير الملتصق بالكروسي المائل إلى الوراء إلى أن أعدته لوضعه

الطبيعي..ثم ساعدتها للنزول متمسكاً بيدها..

كان هناك...بالقرب من السيارة..وشاح كبير وضعته أنا على الأرض حينما وصلنا..و فوقه بعض المأكولات و المشروبات الخفيفة لأجلنا نحن الاثنين..و كما وعدتها تمامًا..فقد جلستُ بجانبها بعد أن وضعت الكاميرا جانبًا مؤقتًا فكرة التقاط الصور الستة إلى وقتٍ لاحق..
أما الآن...فقد فردتُ قدمي بارتياح و أنا أستند بيدي الاثنين إلى الأرض متأملًا المنظر الخلاب أمامي بقلب منشرح..لكنني عدتُ لأنظر إليها مجددًا حينما امتدت يدها للكيس الصغير تخرج منه قنينة ماء صغيرة احتستها بالكامل بينما تنظر في عيني..
إلى أن أنزلتها ببطء..فرفعتُ يدي لأمسح باهمامي طرف شفتيها و بعض قطرات المياة التي تسلت و بللت رقبته قليلًا..

كان الهدوء جميلًا جدًا في هذا المكان..لقد اكتشفته من إحدى صفحات التواصل الاجتماعي و أنا أبحث عن أماكن رائعة أزورها كسائح في هذه المدينة..و لم أندم إطلاقًا لأنني زرته..
همستُ لها بخفوتٍ شديد و أنا ملي تنخفض قليلًا على بشرتها إلى أن لمست الجديلة الطويلة حيث استقرت عيني الآن ؛

_لماذا قمت بتجديله اليوم ؟
لم أسمع أيّ جواب منها لوقتٍ..فرفعتُ أنظاري إليها مجددًا..و لم أنفاجئ..بالطبع لم أنفاجئ و أنا أرى عينيها اللتين لا تزال رغبتهما في النوم واضحة فيهما تحدقان بي فقط بصمتٍ..
لكنها اضطرت لأن تهز كتفها مجيبة باختصار ؛
_هكذا فقط..

منحتها ابتسامة صغيرة بادلتني إياها بهدوء شديد..و بدا و كأن العالم كله فارغ إلّا منا..و كأن الصوت الوحيد المسموع في العالم بالإضافة إلى صوت الطبيعة المريح هو صوتي حينما همست لها
برقة ؛

_اقتربي مني أكثر..دعيني أضملك..
كانت شهد تجلس بطريقة مشابهة لي..حينما اقتربت مني تلقائيًا و كأن الأمر لا يستدعي مني أكثر من الطلب ذاك لتفعل..إلى أن استندت بظهرها على صدري و كأن هذه هي طريقتها في عناقٍ..و سرعان ما التفت ذراعي إحداها حول خصرها و الأخرى حول كتفها لأقربها أكثر مني..
انخفضت قليلًا لأغرق أنفي في خصلات شعرها التي تجمعها اليوم عني..كان أنفي يلامس قمة رأسها..بينما شرعت أنامل يدي اليسرى في تمسيد كتفها الأيمن بتلك الطريقة التي تحب..
رأسها..بينما شرعت أنامل يدي اليسرى في تمسيد كتفها الأيمن بتلك الطريقة التي تحب..

و لا احتاج أن أقول بأن أنامل يدي الأخرى التي كانت تتفقد جديلتها بتركيز و كأنني أحاول أن
أحفظ الطريقة الصّحيحة لكيفية تجديدها مجدداً في حال جردتها من هذا الترتيب كما أود أن أفعل..
شعرتُ بأنني لن أتحمل بعد..فتركته تنزلق قليلاً إلى أن لمست المشبك المطاطي الأبيض..و الذي
يشبه فستان حبيبي الأبيض في لونه..و أنزلته ببطءٍ قبل أن تشرع أناملي في حل تلك العقدات
المتراكمة فوق بعضها بالفعل..

لولا أن سمعت صوت شهد تهمس بعد ثوانٍ بسكون شديد شديد..متأكد بأنها لم تكلف
نفسها حتى عناء الالتفات و لو بعينها للنظر إلى ما أفعله ؛
هل ستفعل هذا حقاً ؟!!

اكتفيتُ كإجابة بليغة بأن همست بدون أن أفتح عيني أو أرفع أنفي عن شعرها..لا أحب إلى
من استنشاق تلك الرائحة المسكرة من روعتها ؛
_اممم..أريد أن أمشط شعركِ أناملي..أحب ذلك..
لم أعلم بعدها سبب التهدج الطفيف الذي شعرتُ به يلامس صوتها المبتسم قليلاً حينما
أجابت ؛

_سيصبح شيئاً جذاً حينها..لن أستطيع أن أعود به للبيت هكذا..
لكنني قلتُ متشدقاً و مطمئناً في نفس الوقت ؛
_من قال ذلك ؟ أنا سأرتبه لكِ بنفسِي قبل أن نعود و سأعيد تجديله كما كان..
_كما كان ؟!

سألتني بجدل بدون أن يرتفع صوتها..فكررتُ بلطفٍ و أنا أسحب نفساً عميقاً من شعرها ؛
_كما كان !

فقط...ثم عم صمت طويل لم تتوقف فيه أناملي عن مزاوله تلك النشوة الغريبة إلى أن
وصلتُ إلى آخر عقدة..و حللتها ببطءٍ و تمهل أكثر من السابق..لا أعلم ما سر تلك السعادة التي
شعرتُ بها لمجرد أن تأكدت من أن شعرها عاد منسدلاً بالفعل..و من أنني أستطيع مجدداً أن أتجول
بين تلك الخصلات بحرية مطلقة..

كنتُ و كأنما أحفظ كل تلك التموجات..أسبح بعقلي و قلبي لا أناملي فقط بين نعومة ممتدة
إلى ما لا نهاية..نعومة جسدها المستند عليّ بكل ثقله..نعومة أنفاسها الريبة و هي تتأمل الأفق
بسكون شديد..

نعومة بشرتها التي ارتاحت شفاهي عليها مجدداً بدون أي نية في الافتراق عنها هذه المرة..نعومة
يدها التي ارتاحت كالعادة فوق يدي التي على كتفها تربت عليها بعفوية..
نعومة خصلات شعرها التي لم تتوقف أصابعي لوهلة واحدة عن تمشيطها برقّة شديدة..و
نعومة صوتها الذي خرج شبه مسموع بعد دقائق طويلة ؛
_شكراً لك !

لم أفهم سبب هذه الهمسة منها إطلاقاً..لكنني لم أسألها رغم ذلك و لا هي كانت في حاجة لأن
أسألها لكي تستأنف شارحة بنفس النبرة ؛
_لقد أحببت المكان جداً..شكراً لك..
لم أستطع أن أجيها..

هل تتذكرون ذلك الشعور الذي راودني في كل مرة جلسنا فيها حول طاولة واحدة مع عائلة
خالتها..في كل مرة رأيتُ ابتسامتها ترتسم لي فقط..لأجلي فقط..
فعجزتُ أمامها عن أن أبادلها إياها أو أشيح بعيناي عنها حتى شاعراً بأن قلبي يتضخم حباً
لها..و كأن كل لحظة تمر بيننا..لا تزيدني سوى حباً لها..
شعور شبيه له نسبياً..أشد وطأة منه بقليل...كان يعتريني الآن !
إلى أن تركتُ شعرها على مضض..ليس إلّا لأطوق وجنتها الأخرى بيدي لأجعلها تنظر لي..و
فعلت..التفتت بكل رحابة نحوي لتمنحني تلك النظرة الصافية التي تجعل كل الكنوز الثمينة في
العالم غير كافية لأن توضع في مقارنة معها..
و حينها همستُ لها بصوتٍ مثقل بالمشاعر..ما أشعر به فعلاً ؛
_أنتِ جميلة جداً شهد..أنتِ أجمل امرأة رأيتها في حياتي !

كانت هذه عبارة همستها لها لأول مرة ذات ليلة حزينة من البوح بالمشاعر الدفينة..و كررتها
اليوم بنبرة مشابهة..لأتلقي ردة فعل مشابهة أيضاً..ابتسامة دامعة قليلاً..
و دمعة انزلقت فعلاً لتنساب بهدوء شديد إلى أن اختفت بداخل يدي المطوقة للوجه
الحبيب..ثم همست مخاطبة عيناي بهدوء..بثباتٍ و نضج ؛
_هل تعلم بأنك أول شخص يخبرني بأني...جميلة ؟!
رغم الوقع الذي خلفته جملتها هذه في قلبي..إلّا أنني اخترتُ في هذه اللحظة أن أقابلها
بابتسامة هادئة..حنونة رغم المرح الطفيف الذي يشوبها..

ثم لم أشعر بنفسي و أنا أقترّب منها أكثر إلى أن التفت ذراعاي من حول كتفيها من الأمام الآن..و أغرقت أنفاسي في خصلات شعرها الجميلة مثلها..و همست هناك بصوتٍ أجش ؛
_و لن أتوقف عن تكرارها ما حييت..لأنك أجمل شيء وقعت عيناي عليه فعلاً..
رأيتُ تلك الابتسامة الجميلة و هي تتشكل بخجل على ملامحها..لكن ما لم أتوقعه أبداً..هو حركتها التالية..حينما ارتفعت قليلاً مقترية مني ثم...شعرت بشفتيها على فكي تطبعان قبلة عميقة !!
ابتسامة كبيرة توهجت بها ملامحي و أنا أشعر بيدها على خدي من جهة و شفاهها على خدي من جهة.. قبل أن تبعد فجأة و تلتفت مباشرة عائدة إلى وضعيتها السابقة بدون أن تسمح لي بالنظر إلى وجهها الذي سيكون مثل حبة الطماطم الآن !

هل أخبرتكم من قبل بأن شهد لا تبادر بأي شيءٍ إطلاقاً ؟
صحيح بأنها لا تتوانى عن إظهار تقبلها و حُبها لكل ما تتلقاه مني من عاطفة جياشة لكنها لا تبادر أبداً حينما يتعدى الأمر حدود العناق أو الاعتراقات الجميلة بمشاعرها إلّا في أوقات نادرة جداً ! ربما يجعل هذا ردة فعلي مقبولة و منطقية جداً !
حينما حرّرتُ ضحكة مرتفعة و أنا أحاطها بذراعاي مجدداً..ثم تعمّدت أن أنخفض بوجهي إلى أن منحّتها قبلة مشابهة على فكها..قبلة أعمق و أطول..قبل أن أهمس لها بدون أن أفارق بشرتها متعمداً ؛

_لقد كانت قبلة جميلة..شكراً لك !
كنتُ أستطيع أن أشعر بابتسامتها المتسعة بدون أن أنظر لها..لكنها رغم ذلك لم تجب..فقد اكتفت بالصمت و بدلاً عن الرد شعرت بها تستكين على كتفي بسلام و كأن هذا التلامس يروق لها..
ألم أخبركم بأنها تجب ما أقدمه لها !
و على الأرجح هي تتمنى الآن لو تستطيع أن تقدم لي الكثير في مقابله..لكنها لا تعلم حتى الآن بأنها تقدم لي الكثير فعلاً...أكثر ممّا أقدمه لها أنا بكثير !
أغمضتُ عيناي بعدها بسكون و أنا أسمع لأناملي بمداعبة تلك الخصلات لدقائق أخرى..
أستغل الوقت المتبقي لنا هنا و لحظات السكون هذه في احتضانها القدر الذي أريد قبل أن نعود إلى ذلك المنزل المزعج أين يتم مناداتنا بين كل دقيقة و أخرى لأسباب مختلفة رغم انعدام أهميتها..
كانت شهد قد غيرت من وضعيتها فباتت مستلقية برأسها على صدري الآن..و كنتُ أشعر طوال الوقت بأناملها و هي تتحركُ برفق فوق نفس المكان..و كأنها تحاول أن ترصد كل حركة لخفقات قلبي..

حينما تنهدتُ فجأةً و أنا أمسكُ بكتفيها لأبعدها..إلى أن نظرت في عينيها الكسولتين..و همست
بحنانٍ مدرِّكًا بأنني انتزعتها بقسوة من غفوة قصيرة كاذبة استسلمت لها بإرادتها ما إن استلقت على

صدري ؛

_لقد منحتكِ وعدًا و سأنفذه الآن..

لم تعترض شهد رغم التهيدة المرهقة التي حرّرتها..ثم رفعت رأسها بصمتٍ لتقابل السماء التي
كانت قد بدأت تفقد رونقها قليلًا قبيل الغروب..و كانت تلك فرصتي لأتحرك قليلًا إلى أن أصبحتُ
أجلس خلفها..و شرعت في تنفيذ ما وعدتها به..

كنتُ قد بدأت بترتيب شعرها بالطريقة التي ستسمح لي بالبدء في تجديله..حينما سمعت
صوت شهد تهمس لي بخفوتٍ شديد بدون أن تفارق السماء ؛

_هل تعرف كيف تقوم بذلك حقًا ؟!

همستُ لها بدون أن أتوقف عن إتمام ما بدأته..محاولًا باستماتة أن أتذكر الطريقة و أنفذها
كما هي ؛

_إذا قلت بأنني لا أعرف فسأكون أغبى رجل في العالم !

و كنتُ أقصد بهذا حقيقة كوني متزوج منذ فترة جيدة من فتاة لطيفة اعتادت طوال حياتها
أن تفعل بشعرها هذه التسريحة !

تهيدة صغيرة سمعتها من شهد..و كانت هي الجواب الوحيد الذي حصلتُ عليه منها..قبل أن
أبتسم براحة و أنا أرى أول عقدة شكلتها أنا ملي بشعرها..و ما يلها بدا لي شديد السهولة..
غريب..أليس كذلك ؟ أنا أيضًا أصبحتُ أشعر أحيانًا بأنني أغير بشكل غريب جدًا..لن أقول
بأن حُبها و تواجدتها بجاني يجعلني أفقد نفسي..بل الأصح أنه يجعلني أتحرّر من تلك القيود التي
كانت تكبل هادي الشاذلي الذي كنت عليه قبلها..

و كأنني مخلوق صغير تم سجنه في قوقعه لمدى حياته..لكنه لم يستسلم يومًا..فما لبث يفرد
يديه نحو السماء منتظرًا إنقاذًا مفاجئًا يأتي كالمعجزة ليخرجه منها..و كانت هي...حبيبتي الصغيرة هي
هذا الإنقاذ..

لقد كانت الأيادي التي تمسكت بي و انتشلتني من تلك القوقعة الكريمة..من نفسي..من نسخة
لا أحبها من نفسي !

مر اليوم بعدها بشكل جميل و هادئ..القليل من الكلام و الكثير من الثثرة القلبية المعبرة..و
الابتسامات الحقيقية الدافئة التي تبادلناها..كنتُ أنا و هي و كأننا نودع هذه المدينة الجميلة مؤقتًا..
بما أننا سنعود إلى مدينتنا و بيتنا...غداً !

و ها نحن ذا...نقف أمام عتبة الباب..أنا أحمل في يدي نفس الحقيبتين اللتين جننا بهما..و
شهد تحمل في عينيها دموعًا تضم معاني مختلفة عن الدموع التي ذرفتُها في لقاءها الأول بخالتها..
كنتُ أقف بجانبها أصافح زوج خالتها الذي لم أحبه أو استلطفه منذ أول لقاء مودعًا..بينما
شهد في حضن خالتها التي كانت تشاركها الدموع..لكن دموع عن دموع تختلف...تذكرون ؟
لقد كانت دموع خالتها تحمل في طياتها الكثير الكثير من الاعتذار الذي لن يكفي لتعويض ما
عاشته شهد طيلة السنوات الأليمة و كان لها دور واضح فيه..

بالإضافة إلى ذلك الحُب الذي عبرت عنه كلماتها..رغم أنني للآن أستنكر الطريقة التي ينظر
فيها بعض الناس للحُب !

كان سند يقف خلف والديه..لكنه استطاع أن يقترب منا أكثر حينما تراجعت والدته قليلاً
بعد أن احتضنت شهد للمرة التي لا أذكر كم..و كأول مرة رأيناه بها..لم أسمح له على الأقل بعيناي أن
يضم شهد..فاكتفى الطفل الد..لطيف ! بمصافحتها..

صافحها مبتسمًا باتساع رغم اللوعة التي تحتل عينيه و كأنه سيبيكي هو الآخر..كيف يتحمل
فكرة أن يفقد فردًا جميلًا من عائلته كشهد بعد أن حصل عليه فجأة و لو لبضعة أيام ؟! ربما
أستطيع أن أمنحه العذر هنا !

كانت هناك ابتسامة مشابهة على وجه شهد..و اكتفت حبيبي بأن رفعت يدها الأخرى لترت
فوق ظاهر يده و كأنها تتمسكُ بها بيديها الاننتين..

قبل أن ترفع عينيها قليلاً لزوج خالتها..و رأيتُ كيف فقدت ابتسامتها الجميلة كل بريقها دفعة
واحدة و هي تمد يدها لتصافحه ب...بتحفظ فقط !

كان زوج خالتها رجلًا كبيرًا في السن نسبيًا..يبدو أكبر من خالتها بما يتعدى العشر سنوات..و
قد كانت السيدة لبني تبدو بجانبه أجمل منه بكثير..إذا وضعنا بالاعتبار طريقة اهتمام كل منهما
بنفسه..و أخايد العمر و الفقر المطبوعة على تقاسيمه..

ربما كان يملك العذر آنذاك..لكنني...بغض النظر عن علاقتي بشهد..و عن رغبتني في فتح
الموضوع بل و لكمه حتى بدون سبب و التي انتابتي في لحظات كثيرة قضيناها هنا..

لا يمكنني أن أمنحه العذر باعتبار أنني مجرد -إنسان- يشاهد كل شيء من البعيد !

لكني أعود و أفكر..لولا تلك الخطوة منهما..لما كنتُ قد قابلت شَهد في حياتي..و أنا لست
ممتناً لأيّ منهما في هذا بالطبع..لأنني أعلم بأن الأمر برمته لما حدث لولا تدابير من القدر !
أظن بأن هذا كان التأكيد على مثل تردّد في مسامعي كثيراً من قبل..
في كل شر كبير..يوجد هناك خير كبير !
شعرتُ براحة نفسية غريبة تنتابني بمجرد انغلاق ذلك الباب..و اتجأها إلى السيارة ليحتل
كل منا مكانه المخصّص..و تبدأ رحلتنا الطويلة متمسكين بأيدي بعضنا البعض..حاملين ذكريات
مميّزة في قلبينا لهذه المدينة..
تلك الرحلة الطويلة التي كانت لتكون متعبة لولا سعادتي بفكرة عودتنا إلى منزلنا من جديد !

#الكاتبة

لم تكن الحياة سيئة يوماً..الحياة ليست عادلة دائماً..نعم...لكنها أيضاً لا تكون ظالمة حينما
نجيد انتقاء الشخص الصحيح لنعيش معه..لأجله...له !
لم يكن مجرد شخص اختاره قلبها بمحض إرادته المطلقة الحرة..لم يكن مجرد رجل قابلته
ذات ليلة عابرة فقررت أنه الشريك المثالي لأجلها..لم يكن مجرد صديق طفولة أتت على سيرة الارتباط
صدفة معه ذات مرة فقررا الارتباط..هكذا فقط...
لم يكن مجرد قريب دم رأت فيه كل الصّفات الجميلة التي تتمناها كل فتاة في هذا العالم في
شريكها..لم يكن مجرد رجل نبيل خلوق قرّر ذات يوم أن ينقذها من موتٍ محتم بدافع نبلة..بل كان
ببساطة.....لؤي !

ليس مجرد اسم كتب على منهج حياتها بجبر لا ينضب..بل هو كيان..حياة..كان مضخة أمانها
الخاص..سرّها العميق..هويتها الجديدة التي تؤثرها عن كل هوية أخرى..
لؤي..سلامها النفسي..لؤي...طبيبها ال..روحي !

كيف لا تمنحه نفسها ؟ و هو جزء من نفسها ! كيف لا تكون له ؟ و كل جوارحها تشهد
بانتماءها له ؟ كيف لا تبتسم..و تبكي..و تموت من السعادة..و تعيش من الحب.....و هي معه !
كيف ؟ !!!

كيف...مرت أيامها الماضية كالحلم الذي يزور غفوتنا بعد كابوس شنيع لينسّفه من ذاكرتنا و
يتربع كالتاج داخل قلوبنا ؟ شهر عسل ؟ أو حياة كاملة من العسل !
حياة كاملة جعلها تحيا جزءاً منها في مدة قصيرة جداً..سبعة أيام...من العسل !

سبعة أيام جميلة..رائعة لدرجة باتت تتساءل عن الطريقة التي ستمكن بها من أن تعود
لحياتها الطبيعية بعدها..تفارقه كل يوم أو يومين لساعاتٍ طويلة تقضيها في الجامعة ؟
كيف ستفارقه ؟ لو نجح هو في مفارقتها !

عزاؤه الوحيد..صبره الوحيد..هو عطرها الذي أصبح جزءاً منه..التصق به..تسرب إلى روحه
حتى لم يعد يميز عطره من عطرها..عزاءه الوحيد..هو عيناها المبتسمتان و غمازتها التي تعهد لنفسه
أنه لن يفارقها لحظة إلا بعد أن يدللها بقبلة رقيقة عليها في كل مرة..
و اشتياقها البارز في عينيها الزيتونيتين..و ذلك الحب الذي لا تنفك عن الاعتراف به ذات
العينين..و لمسة أناملها الناعمة على حنجرته..حينما تمرر إبهامها هناك برقة تجعله راغباً في الاغماء
نشوة..تلك الحركة التي أصبحت تفعلها دائماً..

في كل ليلة تنام فيها على صدره..يشعر بيدها تتجول على بشرته بعد أن تسدل رموشها
مستسلمة لتلك الغفوة الكاذبة الأولى..بغير تخطيط منها..و ربما بغير إدراكٍ منها حتى !
و كم يجدها غريبة..لكنه يعود و يتذكر ذات يوم عابر حينما قامت بها بشكل تلقائي..حينما
جلسا فوق جبل كبير يتأملان الأفق و البحر البعيد..يومها منحها وعداً عميق المعنى..و هي منحته...
لمسة رقيقة من أناملها!

مجرد لمسة..أرق لمسة !

خصلات شعرها التي أصبح مستقرها الحقيقي صدره..و كأنها تتعمد في كل ليلة أن تنام بذلك
العمق تاركة إياه يتعذب بجمالها الأخاذ..ألا حدود لجمالها ؟ ألا نقطة نهاية لتلك المشاعر المتربعة في
قلبه نحوها !

لم يعد هناك شيء اسمه سجي و لؤي..الآن أصبح سجي و لؤي كيان واحد..لا يمكن أن يذكر
اسمها إلا و يذكر اسمه معه..في جملة واحدة متصلة لا تنفصل أبداً..
لم يعد هناك أيّ دعوى للكلام أو الاعتراف أو السؤال..لقد وصلا لمرحلة باتت فيها خفقات
قلبيهما تتواصل بلا صوتٍ..هو...يبوح لها بكل ما يعتمره..و هي..تستقبل..كل نظرة..كل لمسة و
ابتسامة و قبلة..بما يفوق الرحابة..و العكس صحيح أيضاً !

لقد...ذهبت للجامعة اليوم..بعد أيام عديدة من التغيب عادت..و تلك المرة..عادت سجي
أخرى..سجي مختلفة عن كل نسخة سابقة منها..سجي أقوى..سجي أجمل..سجي أسعد و أرق و أكثر
ثقة من كل مرة خطت فيها بقدميها إلى هناك..

سجي...المكتملة الكاملة بحُب...لؤي المكتمل الكامل بحُبها !

كانت أول كلمة نطقت بها فور خروجهما من البيت آنذاك..ذلك البيت الذي لاحقها فيه حتى قبل دقائق ليستعيد قميصه الأسود الذي ارتدته مجددًا بغير إذن..كما أصبحت تعتبر كل قميصه الأخرى ملكية خاصة بها..

لاحقها متدمرًا ضاحكًا بقوة..و جرت منه مرتعبة ضاحكة بنفس القوة..حتى أنها أثناء هروبها تجرأت يدها على أن تمتد لوسادة الأريكة باليهو و تلقبها عليه بدون أن تلتفت نحوه..لكنها لم تنسى أن تهتف غير مصدقة أثناء هروبها ؛

_توقف يا لؤي..هل تظن بأني خائفة منك حقًا ؟

الصحيح أنها كانت تناقض نفسها و هي تهتف بالسؤال ذاك أثناء ركضها بعيدًا عنه..و وجدها لؤي فرصة ليهتف هو الآخر مستمتعًا..سعيدًا و رائقًا ؛

_تقولين هذا بينما تهربين مني ! توقفي لأرى شجاعتك يا سارقة القمصان !

لكنها لم تتوقف..و لا هو فعل..إلى أن انتهى بهما المطاف ما إن وصل إليها عازمًا على استعادة ما هو ملكه..يقعان سويًا على السرير الكبير..

ثم...صمت تام و أنفاس مضطربة قابلت بها سجي عينيه المقبلتين عليها..و ربما لو لم يستند بيديه إلى جانبي رأسها فوق السرير الوثير لكانت قد تكسرت إحدى أضلعها الآن إثر سقوطه عليها.. تأملها لؤي بوضعيته تلك للحظات..بملاحم سقطت عنها الابتسامة و تبقى أثرها فقط..إلى أن همس لها و هو يحرك إحدى يديه بدون أن يغير من وضعيته ليلمس خصلة من شعرها كانت تغطي جزءًا من وجهها مرجعًا إياها إلى الجانب ؛

_ما الذي سأفعله بك الآن ؟!

راقبها كعادة قديمة بينما تبتلع ريقها ببطء..ثم قالت بجذل...بنبرة شعر بها حنونة رغم أنها بدت ظاهريًا و كأنها عابرة بدافع المزاح ؛

_ماذا تريد أن تفعل ؟!

بالكاد استطاع الخروج من نبرتها هذه..ليقول عاقدًا حاجبيه قليلاً كمن تمت سرقة فعلًا

بينما عيناه تلتهمان كل إنشٍ من ملامحها ؛

_أريد استعادة قميصي !

بدا و كأنه يتكلم بجدية فعلًا بملاحه البائسة قليلاً و عينيه المبتسمتين خلصة..بينما ازدادت تلك النظرة في عينها حنانًا حتى بدت كنهر سائل منسكب من الدفء..

و كأن عناقه المادي بذراعيها لم يعد كافيًا بالنسبة إليها..يشعر بأنها تضمه بقوة أكبر في كل مرة

ترمقه بنظرة مشابهة لهذه من عينيها شديدي الدفع..

ثم همست متمهدة بعد لحظاتٍ طويلة..طويلة جدًا من عناقها الجميل غير الملموس ؛

_تعلم بأنني سأعود للجامعة اليوم ؟

شعرت بخيبة الأمل فورًا تكتسحها و هي ترى كيف سقطت كل تعايره السابقة عن وجهه..و

حل محلها إحباط كبير..ثم تأوه و هو يقول بينما ينقلب على ظهره مستلقيًا بجانبها ؛

_أعلم..بالطبع أعلم..ليتلك فقط لم تذكريني الآن..

كان قد استدار إليها برأسه أثناء نطقه لآخر كلمة..و فعلت سجي..نظرت له من ذلك القرب

بهدوء..إلى أن همست بعد قليل و كأنها لم تسمعه ؛

_أريد أن أقود أنا السيارة اليوم..

بالكاد نجح لؤي في رسم ابتسامة صغيرة بعد أن استوعب ما قالته..و ظل صامتًا للحظاتٍ

ينظر لها فقط..يعلم ما خلف تلك الجملة من معاني..إلى أن قال بنبرة مازحة و ابتسامته تتسع أكثر ؛

_أسمح لك..

رفع يده بعدها ليحتوي وجنتها مبعداً خصلات شعرها إلى الورا قليلاً كأنها وظيفته الوحيدة

في الحياة..ثم سألها بلطف ؛

_هل أسألك سؤالاً خطر في ذهني كثيرًا ؟

أومأت له سجي ببطءٍ بدون أن تفارق عينيه..فنقل أنظاره منها إلى يده للحظات..قبل أن

يسألها بهدوء شديد..أغرب سؤال يمكن لها أن تسمعه !

_لماذا يتبعثر شعرك برقة شديدة بعد أن تنامي ؟!

لم تتمالك سجي أمر تلك الضحكة الكبيرة التي شقت كل وجهها..ضحكة صامتة أجابت

بعدها ببساطة ؛

_ربما لأنه...شعر !

الغريب في الأمر أن لؤي لم يشاركها الضحكة رغم سعادة قلبه بضحكتها..بل بدا جادًا تمامًا و

هو يضيف مصححًا ؛

_ربما لأنه شعرك...ك ؟ هذا ما أردت قوله !

هذه المرة...لم تمنحه سجي أيّ إجابة باستثناء ابتسامتها الحنونة تلك..و الحقيقة أنه لم يكن

ينتظر منها أيّ جواب..فقد استأنف مضيقًا بصدق حقيقي و هو يلتهم كل إنش من وجهها بعينه ؛

_لا تعلمين كم تبدين جميلة في تلك اللحظات..حينما يتبعثر شعرك من حولي..ملاصًا صدري
و ذراعي و قلبي..أشعر و كأن قلبي سيخرج من مكانه..أتمنى لو أستطيع أن أضم تلك الصورة الرقيقة
و أتجول بها في كل مكان و هي أمام ناظري..أتمنى لو أستطيع أن أضمك كلك إلى قلبي..
تهند بعمق و عيناه تتحولان إلى غابة واسعة جدًا من نضج المشاعر و توهجها..مقابل عينها
اللتين توقفتا بين أن تبتسم مجددًا أو تبكي مجددًا...حبًا!
و قد زاد الطين بلة حينما أضاف متهدًا للمرة الثانية بعد صمتٍ طويل..بصوتٍ أجش..
عميق..عميق !

_أنا...متيم بك سجي ! لم أعد أستطيع احتواء هذه المشاعر فعلاً..لقد تفاقمت في قلبي لدرجة
يمكنها أن تكفي لاحتواء مئة قلب آخر و تمتد لما بعد مئة سنة من هذه اللحظة !
كان هناك بريق أخاذ في عينيه بينما يتحدث..يبوح لها للمرة الألف..بطريقة جديدة عما
يعتريه..لا يكتفي من البوح ؟ لا يكتفي من حبها ! كيف يكتفي عن حبها و إن اكتفى لسانه عن البوح !
و كانت هي أمامه..ترتجف !

لقد ارتجفت فعلاً..شعرت بذلك..لمح ذلك..حتى حينما طرفت برموشها المرتعشة بشدة..
زمت فمها و هي تشعر بالبرد يتلقفها من مكانٍ مجهول..و رفعت يدها ببطءٍ شديد..شديد..لتلمس
رموشه..أو بالأحرى عينيه..انتقلت ارتجافتها إليه..

لكنه أثر الصمت رغم رغبة قوية داهمته في ضمها الآن شاعرًا بالرهبة من لمسها تلك..إلى أن
أنزلت يدها بنفس البطء..لكن ليس إلا لتلمس باقي ملامحه و كأنها تحاول أن تتأكد مجددًا من أن ما
تعيشه حقيقة لا حلمًا شديد الجمال..

لامست أنفه..فمه..ثم ذقنه الذي تجب شكله..إلى أن توقفت جولتها الطويلة أخيرًا ملصقة
يدها بفكه..تاركة إبهامها يصنع دوائرًا وهمية فوق بشرته..قبل أن تقترب قليلًا منه إلى أن لامس
جبينها جبينه..

و حينها..بعد لحظاتٍ طويلة امتدت لما يتعدى الدقيقة..سمعت صوته يهمس مبتسمًا بخفوتٍ
شديد ؛

_سأسألك مجددًا !

همست سجي و هي تطبق عينها بهدوء شديد ؛

_اسأل..

فاتسعت ابتسامته قليلًا..قبل أن يقول مجددًا..ما لم تتوقعه ؛

_هل يمكنني أن أستعيد قميصي الآن؟!

توقع لوهلة بأنها قد تفتح عينها موبخة..أو أن يتحول الوضع بينهما لمزاح مجددًا..لكنها مجددًا..تخالف توقعاته حينما همست بعد صمتٍ جديد..تكرّر جملة قالها قبل قليل بينما تبادله الابتسامة بدون أن تفتح عينها أو تبعد يدها عن خده ؛
_أسمح لك !

فتحت عينها بعدها ناظرة له من ذلك القرب..و رأت الدهشة الطفيفة التي اعتلت ملامحه بينما يرفع حاجبيه و كأنه يحاول أن يتأكد من ما سمعه..لكنه لم يفعل ما سألها بالفعل..
فقد رفع يده ليلمس خدها المتورد قليلاً بنفس طريقته الرقيقة..ثم اقترب منها بتأني..
فأغمضت سجي عينها و هي تستقبل قبلته الدافئة على جبينها..قبلة طالت جدًا..و جعلت من الارتجافة السابقة تختفي و كأنها لم تكن..

قبل أن تشعر بذراعيه تطوقانها إلى صدره بقوة..و صوته الحاني يهمس في جوف أذنها بخفوتٍ شديد ؛

_لدي فكرة أخرى..

صمت للحظة قصيرة..ثم عاد ليستأنف بنفس النبذة و هو يشعر بذراعيها تلتفان من حول جذعه مبادلة إياه العناق ذاك بقوة أكبر ؛

_لما لا نؤجل هذا إلى المساء..سأختار لكِ أنا القميص الذي أريد لتردينه ثم أستعيده مجددًا بطريقتي..ما رأيك ؟

زمت سجي شففتها على ابتسامة اكتسحت وجهها عنوة..ثم قالت تحاول أن تكون نبرتها عادية في مقابل نبرته ال...ماكرة !

_رأيي بأنك أكثر زوج عادل و متفهم رأيت في حياتي !

على الأرجح كانت تقصد أن تقول..

"أكثر زوج منحرف !"

لكنها عادت و غيرت رأيها في آخر لحظة..مكتفية بعدها بأن تمسكت به أكثر و هي تشعر بضحكته المكتومة في شعرها..ضحكة تنهدت لها بارتياح و هي تقابل النافذة الكبيرة المقابلة لها بسكونٍ جميل..

تلك النافذة التي لا تزال حتى الآن تحمل طيف الابتسامات التي تبادلاها كل في جهة في كل فرصة..و الكلمات التي يخطها لها كطفل كل هدفه اللعب معها كلما سنحت له فرصة..

الحقيقة أن لا شيء في هذه الغرفة عاد عادياً.. بدءاً من السرير الذي لم تعد تراه سريرًا إلا حينما تغفو فوقه على صدره.. كما الآن تمامًا... إلى المنضدة حيث تترجع مجموعة من الصور التي تخصهما..

لقد عاشت طوال حياتها في قصر فاره المسافة.. مثقل بالتحف الثمينة.. واسع و مصمم تحت أيدٍ أشهر المصممين و أمهرهم.. لكنها لأول مرة في حياتها... تشعر بأنها تعيش في بيتٍ بالفعل !
لقد أخفقت خالتها في بناء منزل حقيقي لهم.. للأسف فشلت فشلاً ذريعاً.. إلى الحد الذي جعل كل منهم يركض في الحياة آملاً في البحث عن مأواه الخاص..
هي وجدته هنا..

بين أحضان لؤي.. في عينيه و ابتسامته و كلماته و... لمساته ! و لا تظن بأن الجميع قد وجدته !
_ ماذا قلنا ؟

قالت بجذل و هي ترى لؤي يتجه تلقائياً إلى جهة السائق هاماً بفتح الباب.. إلا أن لؤي قال ببساطة و هو يكمل طريقه ؛
_ ألا أفتح لك الباب ؟

كان قد رفع أنظاره إليها تزامناً مع انخفاضه قليلاً بغاية فتح الباب لها فعلاً.. باب سيارته هو.. بما أنها لم تستعمل سيارتها منذ وقتٍ طويل جداً.. ربما عليها أن تمر اليوم إلى بيت خالتها.. لتطمئن عليها و تستعيد سيارتها..

اقتربت بهدوء و هي ترسم ابتسامة هادئة على وجهها البهي.. إلى أن صعدت في مكانها بتأني.. و رفعت أنظارها صوب لؤي الذي كان لا يزال يقف متمسكاً بالباب..

لكنه اضطر أن يغلقه بهدوء مفارقاً ملامحها لثوانٍ معدودة استغرقها في الدوران حول السيارة إلى أن فتح الباب الآخر و استقل مكانه بجانبها.. و بالطبع لم يكن في حاجة ليسألها مجدداً إن كانت متأكدة من رغبتها هذه.. فقد كانت ابتسامتها المشرقة تلك أكثر من كافية له لتمنحه كل الأجوبة التي يحتاج..

ما إن انطلقت السيارة.. حتى تراجع برأسه قليلاً إلى أن استند به إلى طرف المقعد بإرهاق لا علاقة له بأي مرض.. متأملاً جانب وجهها المبتسم.. كل تفاصيلها الصغيرة الجميلة.. غمازتها البارزة بوضوح.. شعرها المرفوع على شكل ذيل حصان.. مصقّف و مرتب بعناية فائقة ممّا سمح لحلقاتها الفضية الجميلة و التي على شكل قرص صغير بأن تظهر للعيان..
_ أين ستذهب خلال الساعات التي سأمضيها في الجامعة ؟

طرف برموشه بغير تركيز و هو يحاول أن يستوعب السؤال الذي طرحته ببديهية..إلى أن

همس بدون أن يتحرك من مكانه أو يرفع صوته ؛

_لديّ بعض العمل سأكمّله ثم أعود إليك..

أومأت سجي مبتسمة بتفهم و هي ترمقه بنظرة سريعة عادت بعدها لتنظر إلى الطريق..لكن

تلك النظرة السريعة لوحدها كانت أكثر من كافية لتبعثر هدوء خفقات قلبه لمدة دقائق أخرى..

لا تزال طريقتهما في القيادة نفسها..يتذكرها جيداً في كل اللحظات التي استقل فيها سيارتها

بجانبيها..الرحلات الجميلة التي كان يذهب إليها برفقتها هي و هادي..فيتناوب الثلاثة على القيادة في كل

مرة يستحوذ التعب على أحدهم..

و كانت هي...تلتصق بالمقود..في نفس هذا المكان..مصرة على القيادة إلى أن يرغمها التعب أو

النعاس على التخلي عنها..فتستسلم على مضض..ثم تعود لتستلم المهمة تلك بعد بضعة دقائق..

كانت طريقتهما في قيادة السيارة تمثلها..دائماً تقود بهدوء و تركيز و ثباتٍ عجيب..ثبات سجي و

نضجها الذي يعرفه..و يألفه..حتى في اللحظات التي تكون فيها في أوج غضبها أو سعادتها..كم كان

مشتاقاً إلى هذا الجانب منها !

رفع يده بهدوء ليغطي يدها اليمنى الملتفة حول المقود..و تلك الحركة كانت كفيلة بتشتيتها

عن أكثر الأشياء التي تجيدها لمجرد ثلاث ثوانٍ استغرقتها في النظر لها..قبل أن ترمش بهدوء و تعود

لتولي انتباهها للطريق حينما انعطفت بالسيارة..

إلى أن توقفت السيارة بعد قليل..و حينها فقط كان يستقيم قليلاً ملقياً نظرة حوله..إنهما

أمام الجامعة فعلاً..هل كانت قريبة إلى هذا الحد؟! كيف وصلا بسرعة !

تهيدة طويلة حرّرها و هو يقبض على يدها أكثر ليبعدها عن المقود الآن ما إن التفتت سجي

لتنظر له بهدوء..ثم همس و هو يمرّر إبهامه برفق على ظاهر كفها..يراقب ذلك التلامس الجميل

بينهما بعينه الـ... الحزینتين ؟

_هل سأبدوا أمامك كالطفل لو أخبرتك بأني لا أريد أن أفترق عنك حتى لتلك الساعات

القليلة ؟!

رفع أنظاره صوبها ببطء..و هناك...في عينها..رأى هدوءاً جذاباً جميلاً..ثم قالت مبقية على

ابتسامتها ؛

_حينها سأخبرك بأني سعيدة جداً..كوني أجلس الآن بجانب طفل آخر يشعر بنفس ما أشعر

به !

صمت قصير ساد من طرف لؤي..صمت مشبع بنظرته الحانية الحزينة قليلاً..ثم همس لها
بخفوتٍ ؛

_ اقتربي..

و لم تمنع سجي أبداً..رفعت يدها لتفتح حزام الأمان بهدوء..قبل أن تقترب منه لتمنحه عناق
وداع مؤقت..تشعر به يضمها بنفس الطريقة..لكنه لم ينسى أثناء احتضانه لها أن يلثم مكانه المفضل
مطوئاً..

ثم أغرق أنفه في تجويف عنقها حيث يلتف وشاح حريري أبيض..هامساً هناك بصوتٍ أجش ؛
_فخور جداً بك..

شعر بابتسامتها بدون حتى أن ينظر لوجهها..ابتسامة ساكنة جميلة احتضنت قلبها قبل
وجهها و هي تشدد من ضغط ذراعها من حوله..مغمضة عينها بسلام لثوانٍ أخرى..
إلى أن ابتعدت قليلاً..ابتعدت بوجهها فقط تاركة يديها الاثنتين تطوقان وجهه..و همست
بنبرة ذات مغزى ؛

_لا أحتاج لأن أكررها لؤي ! أليس كذلك ؟

منحها لؤي أجمل ابتسامة و هو يهمس مجيباً الكلمة التي نطقها عيناها ؛

_و أنا أحبك أيضاً..أحبك بجنون !

صمت للحظة..ثم عاد ليسألها بنبرة عابرة و هو يرسم أشكالاً عشوائية على وجنتها بإبهامه ؛
_هل تشعرين بالبرد ؟

عكفت سجي حاجبها قليلاً باستغراب من هذا السؤال الذي يشبه أسئلة كثيرة يلقيها عليها
لؤي..لكنها رغم ذلك أجابت بهدوء ؛

_قليلاً فقط !

فقط..و كان هذا ما يحتاجه لؤي لينزل نفس اليد تلك لا لشيءٍ إلا ليمسك بوشاحها الأبيض
و يسحبه من عنقها برفق بين يده..و يهمس شارحاً حينما رفعت سجي أحد حاجبيها باستغراب أكبر ؛
_جيد..لأنني أحببت هذا الوشاح أيضاً و أريد أن يبقى عندي اليوم..

ارتفع حاجب سجي الآخر و هي تنظر لجديده ملامحه رغم ابتسامته الواضحة..لكن لؤي لم
يكلف نفسه عناء تفسير أسبابه أكثر..مجرد أن اقترب منها قليلاً ليطبّع قبلة أخيرة في جانب عنقها..
أين كان يلتف الوشاح قبل قليل..

و كأنه يعوضها عن الوشاح الدافئ ذاك...بقبلة أشد دفئاً بكثير !

ألا تكفيها القبله كتعويض ؟

ثم وضع الوساح بعناية فوق صندوق السيارة أمامه..و التفت بديهية بهم بفتح الباب..تاركا سجي تر اقبه بعينين زائغتين قليلاً استغراباً بفعلته و تأثراً بقبلته قبل قليل..التفتت بعدها تهم بفتح الباب..لكنه هتف مانعاً إياها و هو يدور حول السيارة بسرعة ؛
_انتظري..أنا سأفتحه..

كان قد وصل إليها فعلاً..و مد يده ليفتح الباب سامحاً لها أخيراً بالنزول..و بما أنه استغل كل ثانية سابقة في توديعها بطريقته الطفولية..الجميلة..فقد اكتفت سجي الآن بابتسامة أخيرة منحتها له..قبل أن تترك يده ببطءٍ و تلتفت أمام عينيه متجهة إلى البوابة الكبيرة التي تبدو وكأنها ما فتحت اليوم إلا لأجلها..

و كأنها كانت تنتظرها و تحفزها لأن تتجاوزها متجاوزة معها آخر الحواجز التي كانت تقف حائلاً بينها و بين سجي الحقيقية..سجي الأنيقة..المتألقة..الواثقة..المتوهجة و المبتسمة على الدوام..راقبها لؤي للحظاتٍ إضافية إلى أن توقفت حينما اقتربت منها فتاة ما..و بالطبع لم تكن هناك أعين هنا إلا و التفتت قليلاً لترمقها و لو بنظرة عابرة..أليست هي سجي الشاذلي ؟ من لا يعرفها !
لكنه لم يكن يتوقع أنها بعد ساعاتٍ طويلة..سترسل له رسالة تخبره فيها بأنها ستذهب إلى خالتها و أن لا يحمل همها فهي ستعود بسيارتها !

و هو...رغم اعتراض داخلي طفيف..لفكرة أنها و لأول مرة حرفياً بعد وقتٍ طويل ستذهب إلى مكان ما بدونه..وجد نفسه يجيبها بذلك التفهم المعهود..و الذي يتخلله مزاجه المشاكس المعهود..
" حسناً..لكن لا تتأخري كثيراً..و إلا تجديني أقف أمام الباب قبل حتى أن تستوعي لو وصلت قبلكِ إلى المنزل ! "

رسالته جعلتها تبتسم بعفوية..قبل أن تعيد الهاتف إلى مكانه بحقيبتها الدراسية الصغيرة..و تشير لسائق سيارة الأجرة أن يتوقف أخيراً..ثم نزلت بسرعة هامة بالاتجاه مباشرة لغرفة عمته كما العادة كلما جاءت..

لتجلس بجانبها لدقائق طويلة..أحياناً بصمتٍ حزين..و أحياناً أخرى بابتسامة غير مكتملة..و أحياناً..في أحيان قليلة..كانت تجد نفسها تتحدث معها مطولاً..تحكي لها عن مواقف و لحظاتٍ بشكل عشوائي..حتى و هي تعلم بأنها لن تتلقى أي جواب منها..

لكنها اليوم فقط...تفاجئت حينما علمت من الخادمة التي فتحت لها الباب..تخبرها بعد أن سألتها عن حال خالتها بأنها تحدثت أخيراً ! لقد تحدثت قبل أيام قليلة و كان الشيء الوحيد الذي قالتة..

" أريد رؤية شهد ! "

علمت أيضاً بأن شهد أتت إليها فعلاً..لكن لا أحد يعلم ما الذي دار بينهما باستثناء زوجها على الأرجح..و هي لن تسأل زوجها بالطبع..لقد قابلته لمراتٍ قليلة جداً بعد وفاة شهاب..و في كل مرة منها.. كانت تمنحه مجرد نظرة سريعة لا تنم عن شيءٍ محدّد..قبل أن تتجه للسلالم قاصدة غرفة خالتها.. لا يمكنها أبداً أن تتعاطف معه..لم تستطع أن تتعاطف معه مهما حاولت..ربما...أشفقت عليه من البعيد كمجرد إنسانة..لكنها عجزت دائماً عن منحه أكثر من تلك النظرة..و هو لم يكن يبدو كمن يحتاج لأيّ نظرة أو كلمة مواساة حتى..

إنه فقط يبدو..كجثة تمشي على قدمين..يشبهها سابقاً..يشبهها في ضياعها و يأسها و

استسلامها..يشبهها كثيراً ! و هي ليست بسعيدة أبداً بهذا الادراك !

كانت تنوي أن تسأل خالتها عن زيارة شهد..أرادت أن تسمع صوتها و لو مرة واحدة بعد كل هذه المدة التي التزمت فيها الصمت و كأنها تقرر للعالم بفقدانها لتلك السطوة القديمة..

لكنها تفاجئت بها ما إن دفعت الباب...نائمة !

لقد كانت نائمة بعمق..بجسدها الهزيل..و وجهها الشاحب و إن كانت تبدو بوضع أفضل قليلاً الآن من كل المرات السابقة التي رأتها فيها..وجدت نفسها تتسمر للحظة شاعرة بخيبة أمل شديدة..قبل أن تحث نفسها على الاقتراب منها ببطء..

جلست بجانبها على طرف السرير ناظرة لها لوقتٍ بصمتٍ حزين..قبل أن تمد يدها لتلمس جبينها برفق..و ظلت هكذا فقط لدقائق طويلة..تتأمل ملامح أكثر امرأة تحبها بعد والدتها..آخر ذكرى من والدتها مربتة على جبينها و شعرها برفق..

و كم تأملت أن تستيقظ فجأة..لكنها لم تفعل..و كأنها كانت تتعمد أن تفاقم من ذلك القلق الطفيف الذي انتابها من كل الأحداث السابقة..لماذا سافرت شهد و هادي ؟ و لماذا تستدعي خالتها شهد بالذات ؟!!

إلا لو كانت تود طلب الصفح !! خالتها !!!!!

و بعدها بساعاتٍ أخرى..تحديدًا في صباح اليوم التالي..كانت تقف أمام العيادة النفسية..
برفقة لؤي مجددًا..بعد أن قاد هو السيارة بنفسه مجددًا..و صمّم أن يكون معها في يوم كهذا..آخر
حصّة لها مع الطيبة !

كانت تشعر بالسعادة لفكرة أن هذه مرّتها الأخيرة هنا..ليس لكونها لم تحب رفقة الطيبة..بل
لأنها أحبت فعلاً فكرة العودة إليه مجددًا..لؤي...لكن باقتناع أنها عادت..كما كانت...إنسانة طبيعية
بالكامل..

إنسانة تعهدت لنفسها أن تستغل كل حياتها المتبقية في العيش معه..بجانبه..لأجله..كأكثر
شخصٍ محظوظ في هذا العالم !

و ما إن سمعت الأمر اللطيف بالدخول..حتى كانت تدفع الباب ببطءٍ متقدمة إلى الداخل..
وقعت عينها مباشرة على طبيبتها التي كانت تقف الآن أمام النافذة الكبيرة المطلّة على الشارع..و يبدو
أنها قد رأت لؤي..كما راقبت وقوفهما سوياً قبل قليل..

توقفت سجي بعد أن أغلقت الباب ناظرة له بعينين ترققان بقوة..لا يمكن لأيّ إنسان أن ينظر
لهما و لا يمنحها لقب امرأة عاشقة حتى النخاع..فماذا عن إنسانة تعرفها جيّداً بهذا القدر ؟
حتى لو كانت غريبة..فقد تحولت إلى أقرب المقربين خلال هذه المدة !

و رغم ذلك..فقد كانت تشعر ببعض التوتر حينما التفتت إليها ليان بهدوء..نظرت لها
للحظات بتفحص..ابتسامتها الشبه ملحوظة..و بريق عينها..

قبل أن ترفع أحد حاجبيها ملقية سؤالاً صامتاً واضحاً كوضوح إجابته على سجي..و لأول مرة
فعلياً..ترى سجي محاولاتها لإخفاء ابتسامة حقيقية..ابتسامة إنسانية بالكامل !
ليتها تتوقف عن بذل الجهد عبثاً لإخفاءها فقط !

وجدت سجي نفسها تتلعثم كالطفلة لأول مرة..كيف تجيبها ؟!
فاكتفت بأن زمت فمها قليلاً بعد محاولاتٍ فاشلة للرد..قبل أن تحرك رأسها بالإيجاب ببطءٍ و
ابتسامتها تتسع و تتسع حتى كادت أن تلامس أذنيها..لكنها لم تتوقع أبداً..أبداً...أن تحرّر طبيبتها
ابتسامتها الكاملة و التي شابهت تهيدة سعادة حقيقية..و كأنها تقف أمام إنجاز كبير قامت بتحقيقه
بعد عناء طويل..

قبل أن تتحرك مقترية منها بهدوء ثم.....ضمّتها! لقد ضمّتها فعلاً !
عانقتها بقوة شديدة و كأنها تعانق أختاً صغيرة..و تجمدت سجي تماماً أمام المبادرة هذه لثوانٍ
طويلة..

لكنها في النهاية..نجحت..بصعوبة في أن تستعيد تركيزها لتبادلها هذا العناق مغمضة عينيها
على ابتسامتها..

تريد أن تبتسم أكثر..تريد أن تضمها أكثر..سعيدة لدرجة تشعر بأنها راغبة في أن تبتسم و
تضم كل شخصٍ يصطدم بها في الطريق..حبذا لو كان كل هؤلاء الأشخاص يملكون وجه لؤي !
_فخورة جدًا بك !

سمعت هذه الجملة تتسلل إلى أذنها بصوتِ الطيبة التي قالت برقة و هي تبتعد أخيرًا لتنظر
لوجهها بنفسِ الابتسامة..لكن سجي...لم تشعر بالثناء لسماع هذه الجملة..فقد وجدت نفسها تهز
كتفها تلقائيًا هامسة بنبرة إقرار ؛

_لا أظن بأن يجب عليك أن تشعرني بهذا نحوي..لقد حدث كل هذا.....لأنني أحبه !

صمتت لوهلة..ثم أضافت بنفسِ الصدق ؛

_لما كنت استطعت أن...أفعل شيئًا...لولا هذا !

لم يظهر أيّ تعبير للإحباط على وجه ليان..بل العكس تمامًا قالت بثبات و هي تربت على
وجنتها ؛

_أنا فخورة بك لهذا السبب أساسًا !

اكتفت سجي بنظرتها الخالصة كإجابة للحظاتٍ..ثم وجدت نفسها بدون أن تشعر تسألها
حينما استشعرت الفراغ الذي اكتسح الغرفة..و كأنها قد باحت بكل شيءٍ بالفعل..فلم يعد تواجدها
هنا ذات معنى !

_هذه آخر حصةٍ إذًا !

للمرة الثانية...لم تتوقع إجابتها..الحقيقة أنها رغم طيبتها و رفقتها و أسلوبها البارع في
استقطاب ثقة أيّ كان من يجلس أمامها ليبوح لها بكل شيء..إلا أنها ما تحدثت معها يومًا بطريقتها
العفوية كما فعلت الآن..و كأنها تهنئها بطريقة غير مباشرة بحقيقة أنها تجاوزت مرحلة أن تكون
المريضة و هي طبيبتها..

همست لها بلطفٍ شديد و هي تحتوي كفها بين يديها الاثنتين..و تنظر لها بابتسامتها الواسعة
الجميلة ؛

_ستكون آخر حصة..لكن ليست آخر مرة أراك فيها بالطبع..سنلتقي كثيرًا بعد خارج نطاق

هذه الغرفة..ثقي بي !

كانت الحصة الأخيرة هذه.. أقصر حصة من بين كل الحصص السابقة.. تكلمت معها لدقائق..
و تلك المرة كانت الطيبة من اختارت أن تجلس معها في البهو الصغير القابع في جانب معين من
المكتب كصديقتها فقط أو كفرد من عائلتها..

الكثير من الأسئلة و الإجابات.. أسئلة دافئة.. و إجابات صادقة متفائلة.. إلى أن خرجت بعد
دقائق لتقع عينها مجدداً.. على أجمل رجل رآته في حياتها.. ذلك الرجل الذي كان يقف بجانب سيارته
الآن.. يتحدث عبر الهاتف باهتمام.. لولا أن رآها.. فأنزل الهاتف بعد أن همس شيئاً أخيراً للطرف الآخر
ذاك..

توقفت سجي على بعد خطوة واحدة منه.. و حينها... سمعت صوت لؤي يسألها بخفوتٍ غير
قادر على احتواء الانهيار الذي ظهر في عينيه إثر رؤيته لابتسامتها المميزة فور خروجها من العيادة..
_ هل انتهيت بهذه السرعة ؟

أومأت له سجي لعدة مراتٍ و هي تشعر بأنفاسها تتسارع بغرابة.. فاستغرق لحظاتٍ أخرى في
استعادة تركيزه.. قبل أن يستقيم في طريقة وقوفه أكثر.. ثم تنهد مردفاً بينما يفتح لها الباب بدون أن
يبعد عينيه المأخذوتين إليها عنها ؛

_ اصعدي..

تقدمت سجي بهدوء لتتخذ مكانها.. تتصرف ببديهية مثيرة للعجب بعد أن نجحت بإثارة كل
خلية موجودة بداخله بجمالها.. ثم سألتها و هي ترفع أنظارها صوبه و تعدل حزام الأمان حول
جسدها ؛

_ إلى أين ستأخذني اليوم ؟!

لم يحتج لؤي لذكاء كي يفهم سؤالها.. و إن كانت هذه آخر حصة فلا بد له من الالتزام بعادته
الجميلة التي عودها عليها طيلة أشهر.. لكنه أثر أن لا يجيها بأكثر من نظرتة الشقية قليلاً..
قبل أن يدور حول السيارة مستقلاً مكانه.. و ينطلق باتجاه المكان الذي كان يخطط لأخذها
إليه منذ أيام بالفعل.. في هذا اليوم تحديداً.. و ما كان من سجي... إلا أن تهتدت مبتسمة و هي تراقب
حركة الشارع.. لا ترغب في الإصرار عليه أبداً لإخبارها..

يمكنه أن يأخذها للمكان الذي يريد في هذا العالم ما دام سيكون رفيقها فيه !
لكنها لم تعلم بأنه هو ذاتاً وجد نفسه بعد أقل من دقيقتين من انطلاقه و شرودها.. كانت
عيناه كما قلبه قد انشغلتا بشيءٍ آخر عدا المكان الذي سيذهبان إليه..

تلك الحلية التي كانت تضعها على مقدمة شعرها الناعم المفرد بحرية تامة.. تدفع خصلاته
الأمامية به كطوق ناعم.. كتاج أبيض مرصع بأحجار صغيرة جدًا.. لامعة كخاتمه في يدها.. هكذا
وصفه عقله..

جيد.. أولاً المشبك ذاك.. ثم الوشاح... والآن هذا التاج الذي يبدو أبسط بكثير من أن يطلق
عليه اسم تاج.. من أين تشتري مثل هذه الأشياء فعلاً؟ متى اشتريتها أساساً؟ أم أنها كانت لديها من
قبل!

حسنًا السؤال التالي.. كيف تليق بها هذه الأشياء؟ كيف تزداد جمالاً بعد كل يوم و كل دقيقة
و لحظة تكون فيها معه؟ هل يزيد حبه جمالاً؟! أم أنه هو من يبحث عن أسباب منطقية ليفسر
جمالها الأخاذ الذي يتضاعف كل يوم في عينيه!

أيّ كان الجواب سيؤجل البحث عنه إلى وقت لاحق.. أما الآن فكل ما يريده.. هو تأمل كل تلك
التفاصيل بنهم أكبر.. تروقه لعبة اللا مبالاة التي تلعبها معه في بعض الأحيان.. كهذه اللحظة تمامًا..
فهي لم ترمقه بأيّ نظرة منذ أن صعدا بالسيارة.. وهو لا يستطيع أن يحدّد إن كانت لا تشعر
بنظراته عليها فعلاً... أو تتظاهر بأنها لا تشعر!

علم بأنها لم تكن تشعر به فعلاً حينما وجدها ترفع رأسها عن النافذة التي كانت تستند عليها
متأملّة ما خلفها لتلتفت إليه مجفلة قليلاً تزامناً مع توقف السيارة و ارتفاع صوته منادياً اسمها؛
_سجى!!!

نظرت له سجى لوهلة بغير تركيز.. لكنها لم تلبث أن طرفت برموشها و هي تنقل عينها حولها
مستوعبة هذا المكان الذي أحضرها إليه.. و قد كان مكاناً.. ساحراً بحق!
وجدت نفسها تفغر فمها بانهار تام و هي تحرك يدها باحثة عن مقبض السيارة إلى أن وجدته
و فتحتها منزلة قدميها إلى الأرض من دون أن تبعد عينها عن المنظر أمامها..
هل هذا حلم؟ هل هذه الجنة؟!

كانت تقف في منتصف مكان كبير جداً.. واسع و فارغ إلّا منهما الآن.. نهر شاسع المسافة و
شلالات من المياه العذبة تنساب بتوالي لتمتزج مع المياه اللامعة لشدة نظافتها..
شعرت بلوّي يقف بجانبها.. فرمشت قليلاً و هي تلتفت إليه ببطء.. و مباشرة اصطدمت عيناها
بابتسامته الهادئة الجميلة.. لم يكن يبتسم لها بشقاوة الآن و لا بمرح.. بل... بانهار مشابه لانهارها ما
إن وقعت أنظارها على المنظر هنا..

ثم رفع ذراعه ليلفّ بها كتفها جانبياً.. و سألها بلطفٍ؛

ما رأيك إذا ؟!!

فغرت سجي فمها قليلاً محدقة به للحظات بصمتٍ..قبل أن تهمس بنبرة غير ثابتة تمامًا ؛

_كيف اكتشفت هذا المكان ؟

همس لها لؤي بنبرة ذات مغزى مبطن و هو ينقل عينيه بين عينيها..سعيد جدًا..ربما هو

أسعد إنسان في هذا العالم !

_كان لا بد لي أن أكتشفه !

و قبل أن تتساءل سجي أكثر..كان يضيف فوراً بصوتٍ أجش بطيء و هو يشير إليها بذقنه ؛

_لأجل هذه النظرة بالذات !

للمرة الثالثة براها تطرف برموشها ببطء و كأنها تحاول أن تستوعب شيئاً ما شديد التعقيد

في ملامحه..قبل أن تشعر بذراعه التي انسحبت من فوق كتفها لا لشيء إلا ليحتضن يدها..

ثم همس و هو يتخلل أناملها بأنامله مشجعاً إياها على السير باتجاه الشلال الكبير ؛

_تعالى..

سارت معه سجي برحابة إلى أن توقفها فوق الأحجار الصلبة..على بعد خطواتٍ قليلة من المياه

التي شعرت بها و كأنها تدعوها الآن و في هذه اللحظة لأن تقطع بعض الخطوات الإضافية و تلقي

بنفسها بداخلها منتشية ببرودتها المنعشة..

كانت لا تزال يدها بداخل يده..بينما برزت تلك الفكرة بوضوح في عينيها..على شكل نظرة

براقة استطاع أن يقرأها لؤي بدون أدنى مجهود..لكنها لم تتجرأ على طرحها خوفاً من عدة احتمالات

كارثية قد تنتج لاحقاً لو انسأقت لتمورها..

شعرت بأنامله تضغط على أناملها برفق..حركة دفعتها لترفع رأسها نحوه ناظرة له عن قرب

بصمتٍ معبر..لطالما كان صمتها معبراً بالنسبة إليه !

و حينها فقط..همس لها بصوتٍ عميق ؛

_لا داعي لتخبريني..أنا أستطيع قرائتها في عينيك فعلاً !

قابلت سجي جملته بابتسامة ثابتة رغم الشرود الذي لا يزال يكتنف عينيها و كأنها في حلم

بالفعل ؛

_ماذا قرأت ؟

و لم يتردد لؤي من إجابتها بنفس نبرته التي تشبه هذا المكان في سحرها و سكونها ؛

_تلك الأمنية التي اكتسحت عينيك في أول صباح لنا..و التي رأيت شبيبتها في كل صباح بعده..
في كل مرة قبلتك بها و نظرت في عينيك قرأتها..و في كل مرة كررت تلك الجملة المميزة بيننا بخفوت
علمت بأن ما ترغبين به فعلاً.....

صمت لوهلة قصيرة ينقل عينيه بين عينيها..قبل أن يرفع يده الأخرى ليحتوي خدها..و همس
بينما يلمس شفيتها بإبهامه برقة ؛

_هو الصراخ بها بأعلى صوتٍ تستطيعينه !
حينما انتهى...لم تكن هناك أيّ دهشة في ملامحها..ذلك لأن هذه القدرة الهائلة لديه على
قراءتها و كأنها كتاب مفتوح بالكامل أمامه..لم تعد تدعو للدهشة..ثم ابتسمت...فقط سمحت
لابتسامتها بالبروز أكثر..

قبل أن تقول الشيء الذي طرأ في ذهنها فعلاً..بدون أدنى تردد ؛
_أنت مذهل..أنت أكثر إنسان مذهل رأيته في حياتي !
كان هناك شيء من المرح في نبرتها..و لم يبخل لؤي عليها من أن يرد عليها فوراً بينما يقترب منها
قليلاً ليلكز كتفها بكتفه بمشاكسة ؛

_و أنت جميلة..و راقية..و رائعة..بالإضافة إلى أنك أكثر زوجة تجيد انتقاء الكلمات في هذا
العالم !

ضحكة بلا صوتٍ اهتز لها كتفها..و ما كادت تهز رأسها أيضاً بلا فائدة من هذا الحوار
الأحمق..حتى كان لؤي يفاجئها بأن نسف المسافة القصيرة بينهما مقبلاً تلك الشفاه التي نطقت بتلك
الكلمات الجميلة للتو..

ثم شعر بها فوراً تلتفت إليه بالكامل و ترفع يديها الاثنتين لتطوق عنقه كما فعلت تلك
الليلة..الليلة التي قبلها فيها لأول مرة..

كانت يداه قد ارتفعتا أيضاً لتطوقان وجهها..لكنه لم ينسى أن يلمس الطوق الناعم الذي
يسجن خصلات شعرها الأمامية..لمسه للحظة بأنامله الطويلة التي تحتضن وجهها..
قبل أن يفعل الشيء المتوقع منه تماماً..أمسك به ليبعده بكل لطف عن شعرها تزامناً مع
ابتعاده قليلاً..القدر الذي سمح لسجي بأن تقول بتذمر هادئ ؛

_يا الله..هل مجدداً ؟

قالت ذلك و هي ترمق غرضها الخاص بين يديه بعد أن أفسد تسريحة شعرها كعادة بدأ
يتعود عليها..لكن لؤي ظل منشغلاً عنها للحظاتٍ بالنظر إلى الطوق بين يديه..

قبل أن يرفع عينيه نحوها..و يقول بينما يرفع الطوق أمام وجهها و يراقب يدها التي ارتفعت

لترتب شيئاً وهمياً في شعرها الذي لم يفقد ترتيبه أساساً ؛

_ليس مجدداً بالطبع ! فقط لكي لا يتبلل أو يسقط منك لا سمح الله !

عقدت سجي حاجبها قليلاً بحذر منه..لكنه اكتفى بابتسامة غير نزهة تماماً..قبل أن يخلع

معطفه الأسود الثقيل نسبياً ملقياً به فوق الأرض..ثم انحنى ليضع الطوق هناك بهدوء..

نظرة أخرى سريعة منحها لها..قبل أن يمسك بيدها مردفاً بدون مقدمات ؛

_تعالى الآن..

اتسعت عينها سجي قليلاً و هي ترى نفسها تنسحب بفعل يده إلى داخل المياه فعلاً..قبل أن

تهتف باعتراض ضعيف ؛

_لحظة..لؤي..الطقس ليس مناسباً إطلاقاً..ماذا لو مرضت مجدداً ؟

التفت إليها لؤي الذي كان قد أدخل قدميه الاثنتين في المياه فعلاً..بينما ظلت هي واقفة على

بعد خطوة واحدة فوق الأحجار رغم أن يدها في يده..همس لؤي مشجعاً بجدية حنونة و هو يطبق

على يدها أكثر ؛

_لن يحدث أي شيء سجي...ما سيحدث هو أنك ستندمين جداً لاحقاً في حال لم تفعلني الشيء

الذي خطر في ذهنك دائماً..اقتربي..هيا..

نظرت له سجي بتردد للحظة..لم يكن ترددها مرتبطاً بها رغم حقيقة أنها لا ترتدي الآن سوى

هذا القميص القطني الأصفر و فوقه سترتها البيضاء الخفيفة..بل به هو..لأنها أكثر من يعلم حقيقة

أن جسده حساس أكثر من جسدها تجاه البرد..

لكنها في النهاية وجدت نفسها تتهد باستسلام..قبل أن تقترب معتمدة على يده إلى أن أدخلت

قدميها في المياه فعلاً..و لسوء حظها لم تعلم أو لحسنه..فقد كان هذا الشلال ليس عميقاً جداً

فتوقفت المياه عند حدود ركبتها..

و رغم ذلك فقد شعرت برجفة شديدة من البرد تمر على طول جسدها..حتى أنها أطبقت فمها

بقوة و هي تنظر للؤي كطفلة مرتعبة..إلا أن هذا الأخير بدا مصراً تماماً على إتمام الطريق إلى

الداخل..و للمرة الثانية خلال دقائق تشعر بذراعه يلتف حول كتفها لكن هذه المرة بغاية سحيمها

للدخل أكثر و أكثر..

كانت المياه تصبح أكثر عمقاً بعد كل خطوة..إلى أن توقفا في منتصف هذا النهر الكبير..و

حينها فقط رفعت عينها المتسعيتين قليلاً للؤي..كل ما فيها يرتجف..

بدءًا من يدها التي كانت تقبض على كتفيه الآن..أو بالأحرى تقبض على قماش قميصه
معتصرة إياه كما العادة..سواء كانت سعيدة أو حزينة..مرتعبة أو هادئة..سواء كانت ترتجف من البرد
أو من...الحُب !

لا بد أن تتمسك به بهذا الشكل و كأنها تهدده بدون صوتٍ أن يتجرأ على الابتعاد عنها و لو
قليلاً !

إلى أسنانها التي شعرت بها تصطك بشدة..
شعرت بذلك البرد يخف تدريجيًا بمجرد أن بدأ يعتاد جسدها على المياه التي كانت قد
تجاوزت خصرها الآن..و قد أضافت إليها أنامل لؤي التي كانت تحاوط وجهها الكثير من الدفء..
قبل أن تسمع صوته يهمس لعينها عن قرب..غير عابئ أبدًا ببرودة الجو أو حقيقة أنه مثلها
الآن لا يرتدي إلا هذا القميص الأبيض بعد أن خلع معطفه.. غير عابئ بأي شيء سواها ؛
_كيف تشعرين الآن؟!

ابتسامة مرتجفة منحتها له سجي..ابتسامة ذات مغزى..ثم قالت تحاول أن لا تدع برودة الجو
تؤثر على صوتها ؛
_هل أقول حقًا ؟

كانت تعلم أنه يعتمد نطق هذا السؤال بهذه الصيغة بالضبط..يكزّره..يكزّره...ليشعر بذات
السعادة بعد كل جواب لها يناقض جوابها ذات يوم في المشفى..لم يحاول أن يقاطع صمتها أبدًا..و هي
تعمدت هي أن تطيل الصمت قليلاً..

إلى أن رفعت رأسها لترمق السماء التي كانت غائمة قليلاً..لا تستبعد أن يسقط المطر الآن و
هما في هذا الحال..ثم عادت لتقابل عينيه للحظة أخرى..

قبل أن تقترب منه إلى أن لمست ذقنه الخشن بوجنتها الناعمة..تحب هذا الاحتكاك المميز
بينهما..و حينها فقط...خرج صوتها من جوف قلب مشبع بسعادة لا مثيل لها ؛
_أشعر بأنني...متيمة بك بنفسِ القدر ! ها قد وجدت كلمة تصف القليل ممّا يعتريني أخيرًا !
أغمضت عينها بعدها بسلام و هي تشعر بوجهه يتحرك قليلاً لا لشيءٍ إلا ليمس في أذنها
تمامًا بصوتٍ أجش ؛

_و ماذا أيضًا ؟!
همست سجي و هي تضمه أكثر بدون أن تفتح عينها أو ترفع صوتها و لو قليلاً ؛

_امممم..ماذا أيضًا ؟ أشعر بأنني...أمتلك طاقة تخولني الركض و الضحك بأعلى صوتٍ بدون
أن تخامرني ذرة تعب واحدة..

_هممم..و ماذا أيضًا ؟

_بأنني...إنسانة سعيدة بالكامل..بأنني...إنسانة ناجحة متألفة و مكتملة إلى حد لا يوصف..أنا
لم أشعر بهذا الاكتمال يومًا إلا معك لؤي !
_ماذا أيضًا ؟!

الآن فقط..شعر بها تخفّف من تمسك ذراعيها بعنقه إلى أن ابتعدت قليلًا لتنظر إلى وجهه
الوسيم..و قالت ترفع أحد حاجبيها بغرابة..بنبرة غير جادة تمامًا ؛
_هل يوجد شيء آخر تنتظر مني قوله ؟

لم يتردّد لؤي من أن يهز رأسه لها بالإيجاب..فصمتت سجي للحظاتٍ أخرى استغرقتها في نقل
عينها بين عينيه..إلى أن قالت في النهاية بنبرة تشبه التساؤل رغم أنها لم تكن تتساءل أبدًا ؛
_بأنني على قيد الحياة..أنا و أنت ؟ هل هذا ما تريد مني قوله أيضًا ؟!!

رأت كيف مالت ابتسامته لشيءٍ أعمق..كيف تحرك بؤبؤ عينيه متجولاً بين كل ملامحها..ثم
همس لها متهدداً بصدق تام ؛
_أريدك أن تصرخي بها !

لمحة من الدفء مرت في عينها..لكنها رغم ذلك قالت تجيبه بنبرة غير عادية..و كأنها فقط
تحاول أن تماطله قليلًا..و الحقيقة أنها بدت إليه في تلك اللحظات بينما تريح يديها فوق كتفيه..و
تحقق بعينها الزائغتين بالحركة..

كطفلة صغيرة تحاول أن تمارس القليل من الدلال الماكر على والدها..بدون سبب...هكذا
فقط !

_لماذا عليّ فعل هذا ؟ ألا تعلم بأنني لا أحب الصراخ إطلاقاً ؟!!

همس لها لؤي بكل هدوء و هو يبعد خصلة من شعرها إلى الجانب ؛

_ألا تعلمين أنتِ بأن صراخاً عن صراخ يختلف !

همست سجي مفكرة..محتفظة بابتسامتها ؛

_أشعر بأنني سأبدوا كالطفلة لو فعلت !

رأت كيف اتسعت ابتسامته لؤي أكثر و كأن وصف الطفلة قد راق له..قبل أن تشعر بيديه
الملفتين حول خصرها تداعبانها برقة بينما هو اقترب منها أكثر ليمس بنفس الرقة في أذنها ؛

_كوني طفلة إذن ! ماذا في الأمر ؟

صمت للحظة قصيرة..ثم سمعت صوته يكرّر بنبرة تحولت إلى غريبة..و كأنه يحدث نفسه فقط..في نفس الوقت الذي ترتفع يده لتبعد خصلات شعرها إلى خلف ظهرها ؛

_كوني طفلي ! ماذا في الأمر ؟

أغمض عينيّ بعدها و هو يلقّها بذراعيه أكثر في عناق حقيقيّ..بينما رفعت سجي أنظارها للسماء..تمنح تلك اللوحة الفنية نظراتٍ شديدة الصفاء..مستندة بذقنها إلى كتفه..و هذا سبب وجيه يجعلها تحب فارق الطول المتقارب قليلاً بينهما..

لولا أن شعرت بلؤي يبتعد قليلاً..لكن ليس إلا ليقابل عينيها..السبب الوجيه الذي يفسر حبه للون الزيتون الباهت في آخر فترة..ثم همس لها عن قرب و هو يلصق جبينه بخاصتها بدون أن يحرّرها من عناقه ؛

_الآن كرّري ورائي..

_هممم ؟

كان هذا الجواب الوحيد الذي تلقاه منها..و لم يكن في حاجة لأكثر منه ليستأنف ببطء ؛

_أنا...على...قيد...الحياة...مجدداً..

ضحكة بلا صوتٍ تلقاها من سجي و جعلت قلبه يرقص مبتهجاً..حينما قالت معقبة كالطفلة بالفعل ؛

_مجدداً ؟ ألا يعتبر هذا اعتراف ضمنيّ منك بأنني كنت ميتة ؟!!

_سجي !!!!

همس مقاطعاً بصرامة شعرت سجي بأنها لائقة بصوته..و تنحنحت على إثرها و هي تهمس بنبرة لم تخفي ابتسامتها ؛

_حسناً حسناً..سأقول.....

صمتت فجأة..ففتح لؤي عينيّه ناظراً لها عن قرب بنفس الصرامة..و قابلته سجي بنظرة حاولت أن تكون ثابتة جادة..لكنها رغم ذلك لم تتحدث فوراً..فاضطر لؤي لأن يرفع حاجبه الأيمن محفزاً..

حينها فقط..كانت تهمس بعد أن أخذت نفساً عميقاً..همست...كطفلة تحاول أن تسايره

فقط ليمنحها هدية ما!

_أنا...على...قيد...الحياة...مجدداً! هل ارتحت الآن ؟

إلا أن لؤي..لم يبدو و كأنه قد يكتفي بالإجابة تلك..فسمعته يكرّر بنفس النبرة ؛

_كرّرها بصوتٍ مرتفع أكثر..

إلا أنها..مجددًا-..أثرت أن تتظاهر بالغباء قليلاً..فقالت بينما تتراجع قليلاً برأسها لتنظر في

عينيه بوضوح ؛

أخبرني أولاً..إلى أيّ درجة تريده أن يكون مرتفعاً؟!

الآن فقط..وجد لؤي نفسه يتغلى عن رداء الصرامة..فتنهّد مبتسماً بيأس كامل..فكرّرت سحى

بنفس الغباء المفتعل ذاك ؛

_هل تقصد أن أصرخ ؟

_تماماً..

قال بدون تردّد..و كان دور سحى لتتنهّد الآن..لكنها رغم ذلك لم تلبث أن فتحت فمها لتتف بصوتٍ مرتفع أكثر قليلاً و كأنها فقط تحاول تجربة الأمر..أن تصرخ هكذا فقط بدون سبب..أو ربما

السبب الوحيد لصراخها هو...سعادتها!

_أنا...على...قيد...الحياة...مجددًا..

هتفت آخر كلمة بصوتٍ ارتفع عن السابقة منها..لكن ما جعل ابتسامتها تلمع أكثر ببريق خلاب..هو الصدى الواضح الذي تردّد لصوتها في الأرجاء..هل شعرت بالقلق من أن تبدو كالطفلة قبل قليل ؟ الآن تشعر بأنها طفلة حقيقية..

طفلة لدرجة أنها عادت لتصرخ بنفس الجملة ناقلة أنظارها حولها لهدف واحد ربما..أن تسمع الصدى ذاك مجددًا..و كأن العالم كله يعيش معها هذا الموقف لحظة بلحظة..العالم كله متواطئ مع لؤي..يو افقه الرأي..و يو افقه الشعور..

_أنا على قيد الحياة مجددًا...

كان صوت الصدى بالنسبة لها رائعاً جداً..إنها تصرخ من جديد..لكن ليس طلباً للنجدة..بل رغبة كاملة..تامة منها بأن تسمع صوت الكون يردّد من وراءها الجملة التي ردّدها طويلاً من قبل..لكنها اليوم تردّدها بشعور مختلف..مميز..أجمل..حقيقي...حقيقي جداً!

بدا و كأنها قد تناست لؤي للحظاتٍ و هي تستمع لهذا اللحن الجديد..لحن الطبيعة التي من أهم هواياتها أن تمدنا بنفس الطاقة التي نمدها بها..لكن الغريب في الأمر..أو الأمر الذي لا يدعو للغرابة..

كون لؤي لم ينزعج إطلاقاً من هذه الفكرة.. بل وجدها فقط فرصة جديدة متاحة لينظر لها
مبتسماً بقلب لم يألف شعور البسمة الحقيقية إلاّ معها.. لكنه علم بعد أقل من ثانية أخرى بأنها لم
تغفل عنه للحظة واحدة.. حينما نظرت في عينيه بعينيها اللامعتين بشدة.. وسألته بنبرة يشوبها انبهار
حقيقي ؛

_هل سمعت ؟ هل تسمع صوت الصدى ؟!!

" أنا أسمع صوتك أنت فقط ! "

أراد أن يجيها بهذا الشكل.. لكنه اكتفى بأن أوماً لها بالإيجاب سعيداً.. متيماً.. متيماً بها و
بصوت الصدى الذي يروق لها إلى هذا الحد.. بدت وكأنها قد استلمت المبادرة منه فعلاً فلم تعد
بحاجة لحثه لها..

فوجدها تراجع قليلاً بجذعها القدر الذي جعله مضطراً لأن يتمسك بخصرها أكثر حينما
استشعر رغبة غير معلنة منها بأن تسترخي عليه.. ربما باتت تلك عاداتها معه.. هو أيتها المفضلة.. أن
تستسلم بكل جسدها لذراعيه واثقة بأنه لن يفلتها..

ثم هتفت و هي تفتح ذراعيها كفراشة تطير في تلك السماء التي تستقر عيناها عليها.. تطير بغير
هدى.. لا تهمها الوجهة بقدر ما يهمها رفيقها الذي لن يفارقها مهما كانت الوجهة..

_أنا على قيد الحياة مجدداً.. على قيد الحياة مجدداً لؤي.. أنا على قيد الحياة.. على قيد

الحياة.....

لو كانت تدرك منذ البداية كم أن الأمر سيكون ممتعاً و فارقاً لما ترددت لوهلة في تنفيذ ما
يريد.. كما تفعل دائماً.. مستعدة لتنفيذ كل ما يتمناه لأجلها بدون أدنى تردد.. إذا كان هو نفسه قد
اعترف سابقاً بأنه ما خلق في هذه الحياة إلاّ لأجلها ! ليكون معها.. لها !

لم تشعر بضحكتها الكبيرة المرتفعة التي كانت قد بدأت تتسرب بين كل كلمة و أخرى.. تشوه
ذلك الصدى لكن بشكل جميل.. ساحر.. تحتل قلبه و روحه حاملة معها قناديل من البهجة.. أطنائاً
من الأمل.. لفحات من الحياة.. اعترافاتٍ ضمنية بحبها للحياة..

ألا يستحق هذا المشهد أن يصبح لوحة بالفعل ؟

لم تشعر حتى بنفسها و هي تغمض عينيها أكثر مسترخية على ذراعيه أكثر.. و لم يشعر هو
بنفسه حينما شدّد من تمسكه بها و هو يقترب قليلاً بوجهه من وجهها ليراقب تلك المعجزة عن قرب..

لا يعلم إن كان السبب في هذا الشعور الغريب من القشعريرة..هي ذاتًا...أو حقيقة كونهما يقفان الآن في منتصف هذا الشلال الكبير..يستمعان إلى جانب صوت صدى ضحكتها إلى صوت انسياب المياه العذبة بنعومة..

و قد كانت ابتسامتها تشبه تلك المياه المتسرب بسحر فعلاً..كل ما عليها فعله أن تسمح لها بالإنسياب على قلبه لتضفي إلى كل شيء من حولها الكثير من الحياة..
لن يكذب لو اعترف بأنه لم يرى في جمال ابتسامتها يوماً..ليس بصفته لؤي حبيبها..
زوجها..عاشقها..فهو يؤمن كل الإيمان بأنه كان ليقع بحُب ابتسامتها بنفس القدر لو قابلها بطريقة أخرى كشخص غريب عنها..

بعيدة عن حقيقة قرابتهما الدموية..و صداقتهما العتيقة..مهما كانت عتيقة..فهو اليوم ذاتاً يشعر بأن مشاعره عتيقة بنفس القدر !

همس لها فجأة مبتسماً و هو لا يزال منخفضاً إليها بجذعه يتأملها بنهم..لكن هذه المرة من مسافة أقرب..أقرب جداً..لا يدخر فرصة ليكون قريباً من عينيها..ليكرّر مشهداً ساحراً من الماضي القريب ؛

_ألا تخافين من أن أسقطك في لحظة غفلة ؟

كانت عيناه تنتقلان الآن بين كل ملامحها..لكنه عاد ليولي كل الانتباه لعينيها ما إن فتحتهما ببطء..ثم همست ببديهة شديدة..بدون أن تتلملح حتى أو تحاول تغيير وضعيتها ؛
_هل تظن بأن الأيدي التي انتشلتني من الأرض باستماتة لتوقفني على قدمين مترنحتين ما ظننت يوماً بأنهما قد تستعيدان قدرتهما على الوقوف و لو بعد ألف سنة..قد تسقطني في لحظة غفلة ؟!

رفعت يدها بعدها بهدوء شديد إلى أن لمست بها رموشه من مكانها..و همست بعد لحظاتٍ طويلة من الصمت..همست بصوتٍ أجش بطيء و رقيق كلمسة أناملها على وجهه ؛
_أنا...لست على قيد الحياة لؤي..أنا على قيد عينيك !

زمت فمها بعدها مبتسمة بتألق و هي تترك المجال له ليفتح عينيه مكتفية بملامسة خده الآن..و رأت تلك النظرة التي ملأت عينيه الحنونتين بعد جملتها..تلك التقطعية بين حاجبيه و هو يراقب ابتسامتها بتفحص و كأنه يحاول أن يفهم المغزى الحقيقي منها..

و قد تولت سجي هذه المهمة..همست مبقية على ابتسامتها و هي تسترخي عليه أكثر و كأن لا شيء في هذه الحياة عاد يهيمها غيره ؛

_منذ فترة طويلة..و أنا أنتظر اللحظة المناسبة لأحرّر هذه الكلمات..

تألفت ابتسامة لؤي أكثر بشيء من الشقاوة..لكنه لم يفعل أكثر من أن سألها بنبرة لا تنم عن

أي شيء محدد ؛

_إلى أي درجة تحبينهما ؟

_ماذا تقصد ؟

سألت سجي بنفس النبرة رغم أنها فعلياً كانت قد فهمت مغزى سؤاله..و لم يتردد لؤي من الرد

بخفوت ؛

_عيناى ؟

لكنه لم يتوقع أبداً أن تكون إجابتها مقنعة له بذلك الشكل..حينما همست تلقي عليه سؤالاً

مشابهاً بكل هدوء ؛

_إلى أي حد تحب أنت غمازة خدي ؟

و فقط..لم يبق بينهما أي سؤال يحتاج لإجابة..إلى أي حد يحب غمازة خدها ؟ إلى أي حد

يحب عيناى وشعرها ورموشها و حاجبها ؟ إلى أي حد يحب هدوءها وثباتها و رقتها و جاذبيتها ؟ إلى

ما لا حد ! و لو كانت هناك جملة تفي بالغرض أكثر لكان استعملها !

صوت قوي من السماء جعله ينتفض فجأة من شروده بكل ما يخصها..لكن حتى تلك

الانتفاضة لم تكن كافية لتجعله يفلتها..بل العكس تماماً..شعرت سجي فوراً بذراعيه تتمسكان بها

أكثر إلى أن عاد ليستقيم و جعلها تستقيم معه..

ثم همس بعينين متسعيتين و هو يرفع رأسه تزامناً مع سجي ليرمقا السماء بنظرة سريعة ؛

_ستمطر !!!!

قبل حتى أن تستوعب سجي..شعرت به يلفّ ذراعيه من حول كتفها ليحبثها على السير

عائدين حيث تركّ معطفه..و لم تعترض رغم رغبة خائنة داخلية بالبقاء هنا أكثر..في هذا المكان

الغلاب الذي شعرت بداخله بأنها انعزلت في عالمها الخاص معه..

ساعدتها متمسكاً بيدها بإخلاص إلى أن لامست بحدائنها الأبيض الذي تبلل بالكامل الأحجار..

و حينها فقط..و كأنها خرجت من حلم دافئ للتو..رفعت ذراعيها لتضم نفسها شاعرة بالبرد الشديد

يلفحها من كل مكان..

لكنها سرعان ما شهقت متفاجئة حينما شعرت بمعطف ثقيل يغطي كتفها..و ذراعي لؤي

الذي كان يقف خلفها تلتفان من حولها متمسكاً بطرفيه بكلتا يديه..

لا...لم يكن سبب الشهقة تلك هو تفاجئها بمبادرته هذه..و لا ذلك الدفء المباغت الذي احتضن جسدها..بل إدراكها الفوري بأنه قد ألبسها معطفه هو..و الذي هو الأولى منها بارتداءه.. لكنها للأسف عجزت لوهلة عن الهتاف به موبخة و هي تستشعر ذلك التأثير الفوري الذي يجعلها تختبره كلما اقترب بطريقة مباشرة..لكنها في النهاية استطاعت أن تهمس متحاملة على كل المشاعر المتناقضة تلك ؛

_لا يعقل..أنت أولى مني بارتدائه لؤي !

لكن لؤي بدا وكأنه غير مهتمًا أبدًا بما قالت..فقد همس لها مبتسمًا و هو يقوم بحركته المعتادة تلك..حينما يلصق ذقنه الملتحي بفكها الناعم و كأنه يتعمد أن يجعلها تختبر نفس الشعور المألوف بالدغدغة ؛

_لا أعلم إن كنت ستصدقيني لو أخبرتك بأنني لا أشعر بالبرد..

" و لا أنا ! كيف أشعر بالبرد و أنا في حضرتك ؟ بين ذراعيك ! "

إجابة أخرى تجاهلتها متعمدة..و همست بدلاً عن ذلك و هي تسحب نفسًا عميقًا و ترفع يدها

لتلمس وجهه في حركة تلقائية لم تشعر أو تخطط لها ؛

_الجو لا ينفك يصبح أكثر برودة..دعنا نذهب بسرعة..

صوت جديد صدر من السماء..جعل سجي تغمض عينيها بصمتٍ..و جعل من لؤي يصدر

صوتًا ينم عن عدم الرضا و هو يردف ؛

_لقد تمنيت لو كان الجو أفضل قليلًا اليوم لنبقى أكثر..

شعر بها ترتجف قليلًا بين ذراعيه فشدد من تمسكه بها يحتضنها أكثر..لكن صوتها الذي خرج

ثابتًا جعله يتساءل إن كان يتوهم ذلك الشعور أم لا !

_لا بأس..يمكننا أن نعود في الوقت الذي نريده..

ثم أضافت فورًا بنبرة ظهر فيها القلق واضحًا ؛

_دعنا نذهب الآن لؤي..

ابتسم لؤي بمداعبة رافضًا تمامًا أن يتحرك من مكانه أو يحزرها..يروق له جدًا هدوءها و

انصهارها بهذا الشكل بين يديه..ثم همس و هو يطبع قبلة جديدة طويلة و عميقة فوق غمازة خدها

قبل أن يعود لوضعيته السابقة ؛

_أنت خائفة علي..أليس كذلك ؟

جاءه الجواب سريعًا و مؤكدًا من سجي ؛

_و كيف تريدني ألا أخاف ؟

قبل حتى أن تنطق آخر حرف.. شعرت بتلك القطرات التي تحرّرت من جوف السماء بقوة..

فهمت بتضايق حقيقي ؛

_رأيت ! ها قد بدأت تمطر..دعنا نذهب..

هتف لؤي و هو يحزّرها بالكاد ؛

_حسنًا حسنًا..ارفعي يديك أولًا..

لم تفهم سجي في الوهلة الأولى مغزى أمره..لكنها سرعان ما رفعت يديها بالفعل لتدخلهما في أكمام المعطف بمساعدته..ثم شعرت به فورًا يقبض على يدها و يسحبها نحو السيارة..تدرك جيدًا بأنه لم يتصرف بهذه السرعة إلا خوفًا عليها هي لا على نفسه..

إنه أكثر إنسان مهمل في حق نفسه في العالم !

فتح لها الباب بسرعة ما إن وصلا فارتمت في المقعد الأمامي بتعب..ثم انتظرت به بقلق إلى أن

فتح الباب من جهته و استقر في مكانه هامًا بتشغيل السيارة..

لولا أن قاطعه صوت رنين هاتفه..و الذي كان لا يزال في معطفه..فتنهّد و هو يقترب ليدس

يده في جيب معطفه الذي ترتديه هي في حركة استقبلتها سجي بأكثر نظرة غبية ارتسمت على وجهها طوال حياتها..

ألم يكن الأولى به أن يطلب منها هي أن تخرج الهاتف و تعطيه له ؟ و ربما ترد أيضًا..أليست

زوجته ؟!

نظر للهاتف لوهلة في يده..قبل أن يرفعه إلى أذنه مجيبًا باهتمام ؛

_نعم ؟

ثم صمت للحظاتٍ يستمع فيها للطرف الآخر الذي لم يكن يعرف لؤي هويته على ما يبدو..

لكن ما جعل سجي تعقد حاجبها قليلًا بحيرة..هي الابتسامة التي ما انفكت تشق شفثيه ببطء أثناء سماعه..

_بالطبع..بالطبع سنأتي..سأرسل لك رسالة و نحدد موعدًا مناسبًا..

كان ينظر لسجي طيلة مدة تحدّثه..إلى أن أنزل الهاتف أخيرًا..و هتف مجيبًا التساؤل و الحيرة

على وجه سجي ؛

_تمثالنا جاهز !!!!

برقت عينا سجي بقوة و هي تقول ؛

_حقًا؟!

قبل أن تراجع في مقعدها مبتسمة حينما أومأ لها لؤي مردفًا بنفس النبرة التي يشوبها الكثير

من الحماس و بعض التوتر ؛

_نعم..و غالبًا سنذهب غدًا لنستلمه..

اكتفت سجي الآن بابتسامتها التي بدت و كأنها انعكاس لخاصته كإجابة له..و اكتفى لؤي في

مقابلها بتلك اللمسة التي منحها لها..حينما مد يده الحرة ليغطي يدها التي كانت تستقر بين

المقعدين..لكنها أصبحت تستقر فوق ركبته بفعل يده..

ثم نظر أمامه موليًا الانتباه إلى الطريق..و ظلت هي تستند برأسها إلى طرف مقعدها..تنظر في

جهته..إلى جانب وجهه المبتسم..تشعر بحماسة من مكانها..من ابتسامته و حركة أنامله المتمسكة

بأناملها..ينتابه الحماس كطفل صغير سيستلم هدية العيد غدًا !

انزلقت أنظارها قليلًا لترmq أيديهما المتشابكة فوق ركبته..قبل أن تعود لتولي انتباهها له..و

همست فجأة بخفوتٍ ؛

_لقد كان مجددًا !

نظر لها لؤي بعدم فهم..فأضافت بهدوء و هي تتمسك بيده أكثر ؛

_الضحك بأعلى صوت..الصراخ..و الاستماع إلى صوت الصدى !

نظرة حنونة جدًا منحها لها لؤي..همس لها بعدها بنبرة تشبه نظرتة ؛

_سعيد لأجل هذا !

لحظة أخرى من الصمت الجميل..ثم كان يلتفت عنها مرغماً لير اقب الطريق..و التفتت سجي

هي الأخرى لتقع عيناها مباشرة على النافذة المغلقة..و المبللة تمامًا بهذا التساقط الكثيف..

توقفت السيارة بعدها بدقائق معدودة أمام منزلها..فنزل لؤي أولاً ثم سجي التي كانت تشعر

برغبة هائلة بأن تتدثر بعشر أغطية ربما لشدة البرد الذي يكتسح كل جسدها..

الحقيقة أن وضعهما الاثنان كان مزريًا بنفس القدر..و لا تستبعد أن ينتهي بهما المطاف

مستلقيان في حالة مزرية من التعب..المشكلة الكبرى هنا هي من سيهتم بهما في حال تحقق ما تخيلته

فعلًا !

و كأن الجواب كان ينتظرها أمام الباب..فما كادت تتقدم خطوة واحدة ملتصقة بلؤي الذي

عاد ليضم كتفها بنفس الطريقة سابقًا..حتى كانا يتسمران حينما وقعت أنظارهما على زوجين من

العيون التي جالت من حولهما باستغراب لحالتهما هذه..

هادي الذي كان يقف و في يده مظلة كبيرة يحمي نفسه بها من المطر..و شهد التي خرجت للتو من الباب الذي فتحه لها بنفسه لتقف بجانبه تحت نفس المظلة..

و على عكسهما تمامًا..للعجب...فقد بدا هادي و شهد دافئان جدًا بثيابهما الثقيلة التي لم يلامسها ذرة مياه واحدة..مرتبان بشكل مبالغ به بالنسبة لحالتهما..

شعرت سحى بالقليل من حبيبات الإحراج تكتسح وجنتيها..فاستقامت قليلاً و هي تمسكُ بطرفي المعطف و كأنها تحاول إغلاقه أكثر..أو لعلها فقط تخلعه و تلقي به بعيداً..

فقط لو لم يكن معطف لؤي !

نفسه لؤي الذي لم يلفت انتباهه فكرة تواجد أخيه و زوجته هنا بعد هذه المدة التي غابا عنهما فيها بقدر ما لفت كل انتباهه فكرة كونها تقف تحت المطر مباشرة..

و لم يتردد من أن يمد يديه مجدداً..ليمسكَ بغطاء الرأس الكبير المتصل بمعطفه و يغطي به شعرها.. قبل أن يسمع صوت هادي الذي كان أول من تحدث بين الأربعة..حينما قال بنبرة بدت و كأنها ساخرة بتلميحاتٍ مزعجة ؛

_قبل أن تسألا..لقد جئنا أنا و شهد كل هذه المسافة لنقول لكما الحمد لله على سلامتكما و

نتمنى لكما يوماً سعيداً ثم نذهب..

#الكاتبة

إنه ثاني منزل تدخل إليه في حياتها و تختبر بداخله مثل هذا الشعور الدافء من...الألفة !
كان أول منزل جعلها تتذوق هذا النوع الذي كان غريباً بالنسبة إليها في الماضي من المشاعر هو
منزلها الآن هي و هادي..

و الآن منزل لؤي و سجي ! أكثر شخصين هادئين قابلتهما في حياتها..و قد انعكس هدوءهما
هذا على كل ركن في منزلهما الجميل رغم صغر مسافته نسبياً..جميل و دافء إلى درجة شعرت معها و
كأنها ليست المرة الأولى حرفياً التي تطئه بقدميها..

و مع إدراك و فهم حقيقة أن تلك الفتاة التي انسحبت برفقة زوجها للتو مبتسمة لتغير ثيابها
المبللة بالكامل...أختها التي أنت اليوم إليها لتطلعها على هذه الحقيقة ! تضاعف هذا الشعور !
لا تعلم كيف ستتمكن من فعلها..بأي طريقة ستخبرها بهذه الحقيقة..لكنها فقط عازمة على
أن تخبرها اليوم بغض النظر عن كل ردود الفعل المتضاربة التي مرت في ذهنها أثناء الطريق إلى هنا !
شعرت بأنامل حنونة تتخلل أصابعها..فالتفتت تلقائياً لتنظر إلى هادي الذي كان يجلس
بجانبيها طوال الوقت..كانت هناك ابتسامة هادئة جداً تحتل ملامحه الوسيمة..همس بجدية و هو
يتمسك بيدها أكثر ؛

_هل تشعرين بالتردد من إخبارها ؟

همست شهد بصدق تام و هي ترغم نفسها على رسم ابتسامة ضئيلة قابلته بها ؛

_أشعر بالتردد من...ردة فعلها!

أغمضت عينيها بعدها ببطءٍ و هي تشعر بيده الأخرى التي ارتفعت لتحتوي وجنتها..بينما

تسلل صوته إلى قلبها كدواء بمفعول قوي جداً ضد كل فكرة سخيفة تطرأ في عقلها ؛

_سجي ستكون أكثر إنسانة سعيدة في العالم حينما تعلم بأنها تمتلك أختاً جميلة مثلك !

انتظرها هادي بصبر أن تفتح عينيها ليرى بنفسه مدى تأثير كلماته عليهما..لكنها رفضت أن

تفتحهما فوراً كما تفعل في الكثير من اللحظات المشابهة..و بدلاً عن هذا رفعت يدها لتغطي يده في

نفس الوقت الذي تميل برأسها قليلاً عليها و كأنها تحاول أن تنهل من تلك اللمسة البسيطة أكثر..

قبل أن تفتح عينيها أخيراً لتمنحه نظرة كانت أبلغ من كل كلام..نظرة أخبرته بها عن كم أنها تشعر منذ الآن بالسعادة لفكرة أنها تمتلكُ أختًا كسجى..و لفكرة أنها كانت دائماً..قبل حتى أن تقابله أول مرة و تحبه.. جزءاً حقيقياً من هذه العائلة !

منذ دقائق و هي تنتظر أمام الحمام خروج لؤي..تحديداً منذ أن خرجت من الحمام مرتدية هذه السترة الحمراء القصيرة و المغلقة بأزرار فوق بنطالها الجينز الواسع قليلاً و أفسحت له مجال الدخول..

تشعر بالقلق الشديد لفكرة أن يكون جسمه قد التقط عدوى الزكام فعلاً..خاصة و صوت خرير أنفه بين الحين و الآخر لا ينفك يصل إليها..و هذا السبب تحديداً هو ما جعلها لا تخرج فوراً إلى هادي و شهد..

كانت تذرع المكان جيئة و ذهاباً..لكن صوت عطسة مفاجئة منه جعلتها تتوقف للحظة

متسعة العينين.. ثم استدارت مباشرة لتطرق الباب منادية بصوت هامس ؛

_لؤي..هل ستخرج الآن ؟ لقد تأخرت كثيراً..

وصلها صوته يحمل بحة واضحة جعلت قلقها المبالغ به أساساً يتفاقم بدلاً من أن يخف ؛

_دقيقة واحدة و أخرج..

_حسناً..

همست بتردد..ثم تراجعت نصف خطوة نحو الوراء و كأنها ستبتعد..لكن صوت عطسة

خافتة جديدة جعلها تتراجع فوراً..و وجدت نفسها بدون أن تشعر تعود لتسأل بصوتها القلق ؛

_هل...أنت بخير !!؟

لم يصلها أي رد منه الآن..فتهدت بخفوتٍ و هي تركُّ قبضتها المغلقة تلامس الباب بدون أن

تطرقه الآن..لكنه لم يجعلها تنتظر أكثر..فقد سمعت صوت دوران المفتاح بعدها بأقل من ثلاث

ثوانٍ..

ثم كان الباب يندفع إلى جهة لؤي الذي ظهر من خلفه مبتسماً..كان قد غير ثيابه إلى قميص

رمادي بعنق مرتفع و بنطال أسود..لكن ليس هذا ما لفت انتباهها أولاً..فقد جالت عيناها على كل

إنشٍ في وجهه..

بدءاً من شعره الذي كان لا يزال مبللاً عكس شعرها الذي بدأ يجف قليلاً..ثم عينيهِ

المبتسمتين..إلى أنفه حيث برز احمرار خفيف جداً..همست و كأنها توبخه بصوتٍ هادئ ؛

_رأيت ! هل كنت قلقة أنا من فراغ !

اتسعت ابتسامته قليلاً و هو يرد ببساطة بينما يتقدم خطوة واحدة نحوها و يمد يده ليربت

على وجنتها برفق و كأنه يهدئ من روع طفلة ؛

_إنك تبالغين فعلاً..أنا بخير..

قبل حتى أن يتم كلامه..كانت نفس اليد تلك تنخفض من وجبها إلى أن أمسك بيدها و سحبها

برفقته إلى أن جلس في طرف السرير و جعلها تجلس بجانبه..

و للمرة الثانية..لا يسمح لها بفرصة الاستيعاب حتى..

فقد اتسعت عيناها قليلاً حينما مال لؤي عليها إلى أن شعرت برأسه يستكين فوق صدرها..ثم

بذراعيه تلتفان من حول خصرها بكل بساطة..و صوته الحنون يهمس بعد تنهيدة طويلة باستكانة

شديدة..و كأنه لم يصبح بخير إلا بعد هذه الحركة منه !

_أنا بخير حقاً !

رفعت سجي يديها بشكل عفوي لتحاوله بقوة..و ظلت هكذا فقط تنظر أمامها إلى النافذة

الكبيرة المطلة على الحديقة يهدوء شديد..يشبه ذلك الهدوء الذي ارتفعت به يدها اليسرى أكثر

متخللة شعره المبلبل برقّة..

و نفس الهدوء الذي ارتفع به صوته بعد لحظاتٍ بنبرة تشبه..الضيق !

_هادي المزعج ! ألم يجد وقتاً أفضل من هذا لزيارتنا !

ابتسامة حنونة ارتسمت على ملامح سجي..لكن صوتها خرج جاداً تماماً حينما قالت ؛

_من الجيد أنك ذكرتني بهادي و شهد..لقد جعلناهما ينتظران كثيراً..دعنا نخرج إليهما..

لم يمنحها لؤي أي إجابة للحظاتٍ طويلة..بل شعرت به عكس ما توقعت يشدّد من ضغط

ذراعيه من حولها و كأنه يخبرها بلا صوتٍ عن كم أنه جاد جداً في تدمره السابق..إنه لا يمانع حتى أن

يترك هادي و شهد ينتظران إلى الصباح التالي في مكانهما..

حينما ظل صامتاً تماماً لوقت طويل..لم تجد بدا من أن تحرك يدها التي على شعره إلى أن

لمست جانب وجهه..و همست بصوتها الدافء برقّة ؛

_لؤي !

_هممممم ؟

سمعت صوته فوراً يجيبها باسترخاء عجيب..فهمست باقية على ابتسامتها الدافئة الهادئة ؛

_دعنا نخرج إلى هادي و شهد..

لكنه اختار أن يتكاسل أكثر في الاستجابة لها..فخرج صوته خافتاً جداً ؛

_دقيقة واحدة أخرى !

تهيدة صامتة حرّرتها سجي و هي تسأل بنفس الهدوء ؛

_ألا يعتبر هذا عيباً في حقهما ؟

لقد توقعت لوهلة صغيرة..صغيرة جداً بأنها ستقابل مجدداً لؤي العاقل الجاد المؤدب على

الأقل في حق شهد ! لولا أن جاءها رده بشكل فوري ؛

_العيب هو اختيارهما لهذا اليوم بالذات لزيارتنا!

_لؤي !!!

هذه المرة خرج صوتها حازماً و كأنها توبخه..قبل أن ترفع يدها الأخرى إلى أن أصبحت تطوق وجهه بغاية أن تجعله ينظر لها..و ما إن فعل لؤي بصعوبة..همست تكرر نفس السؤال و هي تحركُ

إبهاميهما على بشرته ؛

_هل أنت بخير حقاً ؟!!

الأصح..هل...هي...بخير حقاً ؟ إنها لا تشعر بنفسها بخير أبداً بعد تلك النظرة الـ...جميلة فقط ؟ التي غزت عينيه نحوها..نظرة تشبه العديد من نظراته التي تجعل قلبها يرفرف بخفقاتٍ مجنونة..

تلك النظرات التي تجعلها تتمنى لو تمتلك وسيلة واحدة في الحياة تخولها الاحتفاظ بها

جميعها في أعماق أعماق روحها حتى تهرع إليها كلما ضاقت بها الحياة..

ثم تعود لتبتسم حينما يمر سؤال صادق..شديد الصدق في ذهنها..

كيف تضيق بها الحياة و هو معها !

ارتعاشة طفيفة احتلت رموشها و هي تنتظره بصبر أن يجيبها على سؤال نسيت ماذا كان أساساً..لكنه لم يمنحها إجابة..فقد ظل فقط ينظر لها و على أطراف شفثيه شبح ابتسامة ساهمة.. ثم ما إن فتح فمه ليجيبها..همس لها بنبرة غريبة..تشبه نظراته الساحرة التي يشوبها نفس الغرابة ؛

_كيف جعلتني مدمناً عليكِ إلى هذا الحد !

رفع يده مباشرة بعدها ليغطي يديها بدون أن ينزلهما عن وجهه..بينما ابتلعت سجي ريقها

ببطءٍ و هي تسأله تلقائياً بصوتٍ أجش ؛

_إلى أي حد...تقصد ؟!!

و قد جاءها الجواب مقنعاً..بل أكثر من مقنع..جواب جعلها تطبق جفونها مستعدة مثله لأن
ترك هادي و شهد ينتظران إلى الأبد..حينما ترك لؤي يديها تزامناً مع اقتراحه منها..

بغاية واحدة..أن يضمها بالكامل و يهمس مغرقاً أنفاسه الحارة في تجويف عنقها ؛

_لم أعد أستطيع الشبع منك..لم أعد أستطيع الاكتفاء منك بعد سجي !

رفعت سجي ذراعها لتطوق عنقه بقوة مرخية رأسها على كتفه باسترخاء شديد..تشعر بيده

التي تحركت بهدوء على ظهرها ملامسة شعرها..و بأنفاسه التي لم تنفك تلفح بشرتها برقة شديدة..

و فقط..ظلاً هكذا للحظاتٍ طويلة..ثم شعرت بضغط ذراعيه يخف من حولها تدريجياً..

ففعلت هي الأخرى المثل بدون أن تحرّره تماماً..إلى أن عاد يقابل عينيها بعينيها الدافئتين على الدوام..

و كان هو من يهمس الآن متنهّداً باستسلام بعد لحظاتٍ من تأمل صامت ؛

_دعينا نخرج الآن..

بدا و كأنها قد تراجعت عن موقفها السابق تماماً..علم لؤي بأن فكرة التراجع تراود ذهنها فعلاً

حينما سمع صوتها تسأله بشكّ متعمد ؛

_متأكد ؟

نظرة عابسة احتلت وجهه و هو يقول بجدية تكاد أن تكون حقيقية ؛

_متأكد بأنني سأطردهما من المنزل في حال لم يقرّرا الذهاب بسرعة..

و بعدها بلحظاتٍ قليلة..كانا يقفان أمام باب الغرفة الذي أغلقته سجي من خلفهما..حينما

همس لؤي بإصرار ؛

_أنا من سأجهزها سجي..لا تعاندي !

إلا أن سجي قالت بصرامة حريصة على أن لا يرتفع صوتها ؛

_أنت لا تعاندي..و اذهب لتجلس مع هادي و شهد..

فتح لؤي فمه و كأنه سيعترض مجدداً..لكنها لم تسمح له حتى بهذا القدر..فقد تراجع ناظرًا

لها بتوجس حقيقي و هو يرى ذلك الحاجب الصارم الذي ارتفع تزامناً مع إصبعها السبابة الذي

وجهته نحوه و كأنها تمنحه تهديداً غير قابل للتفاوض..

قبل أن تخفضه ببطءٍ إزاء نظرة الحذر تلك..و تهمس بصوتٍ لان قليلاً فقط ؛

_سأذهب إلى المطبخ..

تجاوزته بعدها متجهة إلى المطبخ مباشرة كما قالت..بينما زفر لؤي نفس ارتياح و هو ينقل

عينيهِ حوله للحظة أخرى..لم يلبث بعدها أن تحرك متجهاً إلى الیهو حيث تركا هادي و شهد..

جلس في الأريكة الرمادية في مقابلهما..و لم يغفل أثناء جلوسه نظرة القنوط التي احتلت عيني هادي بمجرد انضمامه لهما..بينما همست شهد و هي ترسم شبح ابتسامة غير مرتاحة تمامًا ؛
_سجى ؟

همس لؤي و هو يبادلها الابتسامة بتلك النبرة اللطيفة التي دائمًا ما خاطبها بها ؛
_إنها في المطبخ..ستنضم إلينا بعد قليل..

عقد حاجبيه بعدها باستغراب طفيف و هو يرى نظراتها التي انصبت في الاتجاه المعاكس للنافذة الحائطية الكبيرة..و كأنها تبحث عن سجى خلسة أو تنتظر مجيئها بلهفة !
لكن تحديقه بها لم يطل كثيرًا حينما التفت ليرمق سجى..تلك التي كانت تقترب بهدوء حاملة بيديها صينية صغيرة لأربعة أقداح من القهوة..لكن حتى رائحة القهوة الشهية لم تكن رائعة بقدر ابتسامتها الحلوة التي قابلت الجميع بها بينما تقدم لكل واحد منهم فنجان..
ابتسامة متبادلة مرت بينهما أثناء رفعه ليده إلى أن أخذ فنجانه و كان هو أول من تذوقه بدون أن يفارق عينيها بتأني شديد..قبل أن تتسع ابتسامته بحُب تزامنًا مع استقرارها لمكانها بجانبه..
_إذا..كيف كانت ؟

سألت سجى بهدوء بينما ترتشف من فنجان قهوتها رشفة صغيرة..قبل أن تضيف إزاء نظرات هادي و شهد المحملة بغباء غير مبرّر..غباء لا يرتبط فقط بسؤالها..بل بابتسامتها الواسعة المتألقة..و نبرتها المشرقة بينما تلقي بسؤالها..
_رحلتكما إلى خارج المدينة ؟

لم تستطع شهد أن تجيب إطلاقًا..فقد ظلت فقط متسمة طوال الوقت تتأملها بطريقة بدت غريبة جداً على سجى..و كأن هناك الكثير من الكلام العالق في طرف لسانها..تنتظر الوقت المناسب فقط لتحريره..

بينما قال هادي مبتسمًا مثلها هي و لؤي..يشاركهما سعادتها الحديثة حتى و هو غير ملم بأسبابها الحقيقية ؛

_كانت رائعة بالطبع..رائعة جدًا..

أومأت سجى محتفظة بابتسامتها..لكن عينيها حادت قليلاً عنه إلى شهد..و تداعت ابتسامتها قليلاً فقط بشيءٍ من القلق و هي ترى كل الشرود الذي كان يعتري ملامحها..حينها لم تشعر بنفسها و هي تسأل باهتمام ؛
_كيف حالكِ أنت ؟

لكن شهد لم ترد..فعادت سجي تقول هذه المرة بصوتٍ مرتفعٍ لتنبيهها ؛

_شهد !!

تفاقم استغرابها قليلاً و هي ترى شهد تنتفض ناظرة لها بغير تركيز للوهلة الأولى..لكنها لم تلبث أن رمشت ببطءٍ محاولة تذكر سؤالها..ثم أجبرت شفيتها على رسم ابتسامة ضئيلة هامسة بتلعثم ؛

_أنا.....أقصّد...بخير.....و أنتِ ؟!!

ردت سجي مبتسمة بلطف ؛

_أنا بأفضل حال..

لم تكذ تنطق آخر حرف..حتى سمعت صوت هادي يرتفع فجأة هائفاً ؛

_أنا و لؤي سنخرج قليلاً و نترككما سوياً..

نظر له لؤي بدهشة تامة شاركته بها سجي..إلا أن هادي لم يفعل أكثر من أن وقف فجأة و قد

بدا جاداً جداً و مستعداً للخروج..لكن لؤي ظل مكانه متجمداً بفم مفتوح..

التفت قليلاً ليرمق سجي بحيرة..فأومأت له هذه الأخيرة بهدوء..و ربما كانت تلك الإشارة منها

هي الشيء الوحيد الذي جعله يتهد و يقف ليرافق هادي حينما استشعر الاثنان..سجي و لؤي..رغبة

شهد بالتحدث مع سجي بمفردهما..

صوت انغلاق الباب من خلف هادي و لؤي جعل شهد تنتفض للمرة الثانية خلال دقائق

قصيرة..بينما تهتدت سجي مطولاً و هي تنظر لها باهتمام..

رمقت الفئجان الخاص بشهد و الذي لم تلمسه هذه الأخيرة أبداً بنظرة خاطفة..قبل أن

تسأل بلطفٍ و هي تعيد أنظارها لوجهها المطرق..بحيث كانت تشابكُ بين أناملها فوق حجرها و

تراقب تلك الحركة بتوتر ؛

_تريدن أن تقولي شيئاً ما..أليس كذلك شهد ؟

رفعت شهد عينيها إليها بترددٍ شديد..و ساد صمت قصير من طرف الاثنتين..ظلت خلاله سجي

تنتظر سماع ردها بصبر..و قد حاولت شهد..حاولت أن تجبر لسانها على تجميع الحروف لكنها عجزت

تماماً لوقتٍ طويل..

فما كان من سجي إلا أن تهتدت بخفوتٍ و هي تقف لتقترب منها إلى أن جلست بجانبها في نفس

الأيكة..و لم تتردد أبداً من أن تمد يدها لتغطي يدي شهد المتشابكتين..

استقرت أنظار شهد على تلك الحركة لثوانٍ..قبل أن تلتفت إليها لتمنحها نظرة شائها بعض

الحزن بالإضافة إلى ترددها السابق..لكن سجي همست مكررة بلطفٍ ؛

_أنتِ لا تبدين على ما يرام أبدًا..ما الخطب ؟ أخبريني !

رمقت بطنها البارز بوضوح بقلق نسبي مضيضة بشكٍ ؛

_أم أن الأمر يخص الحم.....

_لا..بالطبع لا..

قاطعتها شهد مطمئنة بنفس النبرة التي تمزج ما بين توتر نسبي و تردد كبير..فرفعت سجي

حاجبها تحثها باهتمام أن تقول ما في جعبتها..لكن تركيز شهد ظل لثوانٍ طويلة منصبا على تلك

اللمسة و تلك النظرة العطوفة في عيني سجي..

كل تلك الأشياء التي كانت تبدو عادية من قبل..فجأة باتت تعني لها الكثير..و لأول مرة..لأول

مرة حرفيا..ينتابها هذا الشعور الغريب نحو إنسان آخر..شعور انتماء مختلف عن الذي تكنه

لهادي..

لأول مرة...تنتابها هذه الرغبة الهائلة في..احتضانها..تريد احتضانها بشدة و بدون أي

مقدمات..تود احتضان أهم فرد متبقي لها من عائلتها..أختها...إنها أختها فعلا !

ابتلعت ريقها لعدة مرات بصعوبة..قبل أن تهمس بصوتٍ باهت قليلا ؛

_أنا...في الحقيقة.....

أومات لها سجي بتشجيع..بينما انخفض حاجبا شهد الى الأسفل قليلا بشيء من الحزن..قبل

أن تسحب يدها من تحت يد سجي..فقطبت هذه الاخيرة حاجبها بقلق أكبر من تلك الحركة..

لكن شهد لم تفعل أكثر من أن أمسكت بحقيبتها الصغيرة التي أتت بها..و أمام عيني سجي..

فتحت الزر الصغير..و أخرجت مجموعة الرسائل التي باتت تحملها معها أينما ذهبت..

نظرت لها للحظاتٍ بشروء بين يديها..قبل أن تمدها إليها ببطء..و تلك المرة كان دور سجي لأن

تسألها بقلق و هي ترمق الرسائل تلك بعدم فهم ؛

_ما هذا ؟!!

لم تستطع شهد تجميع حرفٍ واحد لتجيها..فاكتفت بأن حركت رأسها و كأنها تحثها برجاء أن

تجد الاجابة عن سؤالها بنفسها..لكن عيني سجي تجمدتا قليلا على تلك اللمعة التي برزت عميقا في

جوف عينيها..لمعة تفضح تأثرها بمحتوى الرسائل تلك..

و تخبرها بوضوح عن مدى أهمية ما تحتويه !

و قد اختار عقلها في هذه اللحظة بالذات أن يذكرها بزيارة شهد لخالتها..فكرة ضاعفت من حيرتها و ترددها و كأن عقلها تكهن تلقائياً بما ينتظرها..

رفعت يدها بعدها بتردد إلى أن استلمت الرسائل منها..لكنها لم تستطع أن تفتحها مباشرة.. فقد ظلت للحظات تنقل عينها بين يدها و ملامح شهد التي عادت تطرق برأسها مراقبة حركة أنامل يديها المتشابكة ببعضها بصمتٍ..

ابتلعت ريقها ببطءٍ و هي تقلب الرسائل بين يديها لثوانٍ..وقعت عينها على الأرقام خلف الأظرفة..فطرفت برموشها بشيءٍ من الحيرة و هي ترمق شهد بنظرة أخرى..قبل أن تشرع بتردد في فتح أول رسالة منها حسب الأرقام خلفها..

و سرعان ما شرعت عينها تتجولان بين كل الأسطر هناك..استطاعت أن تفهم بسرعة بأن هذه الرسالة مرسلة من أحد أفراد عائلة شهد..تحديدًا خالتها كما لقبت نفسها صاحبة الرسائل ! كانت الرسالة الأولى قصيرة مختصرة..لكنها فقط كافية لتجعل من فضولها يتضاعف أضعافاً..و وجدت نفسها تبحث بين جميع الرسائل بلهفة لتقرأ جزءاً كبيراً من إحداها ثم تبحث عن التي تليها بغاية الفهم بأسرع ما يمكن..

كانت ترمق شهد بين كل عدة ثوانٍ و أخرى و كأنها تطلب منها بطريقة غير مباشرة أن توفر عليها عناء القراءة و تشرح لها كل شيء..بدءاً من سبب تسليمها إياها هذه الرسائل.. إلى...علاقة هذه الرسائل بها هي !

لكن شهد ظلت صامته فقط..هادئة تماماً..بل إنها حتى كانت تتعمد طوال الوقت أن تنظر بعيداً بعينها الدامعتين قليلاً توترًا و...و لهفة غريبة !

وضعت الرسالة الثالثة من يدها..و ما إن أتمت قراءة الرابعة..حتى كانت تعود لتلتفت إلى شهد لكن هذه المرة بلامح شحبت قليلاً إزاء قراءتها لجملة بدت جد غريبة..

" لكنني على الأقل..ترككتك في وصاية امرأة مهما بلغ بها التكبر فهي تظل فرداً من عائلتك ! " خالتها !!!! لقد كانت تتحدث عن خالتها فعلاً تلك السيدة !!!

ابتلعت ريقها ببطءٍ و هي تضعها فوق الثلاثة رسائل السابقة لتفتح الأخرى بتردد طفيف منبعه الحقيقي شعورها الصادم بعد تلك الجملة..لكنها لم تلفت انتباهها بقدر ما فعلت التي تليها..رسالة شعرت و هي تقرأها و كأنها تتعرف إلى شهد جديدة..

شهد...التي تم التخلي عنها في دار أيتام و هي مجرد طفلة لم تتعلم طريقة النطق الصحيحة بعد !

شهد...التي أثرت خالتها..آخر فرد متبقي لها من عائلتها ابنها و زوجها عليها و تركتها..

شهد..التي توفيت والدتها قبل حتى أن يتسنى لها أن تتعرف عليها فعلاً..و التي قابلتها ذات يوم بعيد لكن و كأنها لم تقابلها ! و التي يبدو أنها لم تدرك هذه الحقيقة إلا متأخراً ! بفضل خالتها !

نفسها شهد...التي عاشت طوال حياتها تسمع لقب اللقيطة من طرف خالتها..و التي كانت تجلس بجانبها الآن بصفتها زوجة ابن خالتها..و التي...جعلت عينيها تترقرقان بدموع حقيقية و هي تتسمر لوقتٍ طويل مدققة بأحرف تلك الرسالة..

هل كانت حياتها صعبة قليلاً في منزل خالتها ؟ ماذا عن شهد إذاً التي نشأت في مكان لا يمكن وصفه و لو سهواً بال...منزل !

لكن تلك الدموع سرعان ما تحررت بغزارة كلما قرأت رسالة جديدة..كانت كل جملة جديدة و كلمة جديدة تثبت تورط خالتها في كل مجريات حياة شهد..لكن جملة واحدة جعلت نفس التردد الذي اعترى قلب شهد في ذلك اليوم يحتل قلبها اليوم..

" الرسالة القادمة ستكون طويلة جداً لأنني سأسرد لك فيها كل شيء بدون زيادة أو نقصان ! "

كانت تعلم حتى و هي تفتح الرسالة ما قبل الأخيرة بأنامل ترتعش قليلاً و عينيها دامت بحق.. بأن ما ستقرأه بداخلها سيفاجئها تماماً..فلا يمكن أن تكون شهد قد وضعت هذه الرسائل في يدها هي بالضبط من فراغ..

إلا لو كانت تلك الحقيقة تمسّها و تخصّها فعلاً !

و قد كانت تخصّها فعلاً..و تمسّها بشدة...

تمس والديها اللذين عاشت طوال حياتها ترسم لهما صورة جميلة مكلفة بعشق كبير..تلك الصورة التي شرعت تتداعى و تهت تدريجياً كلما مرت عيناها المصدومتان على جملة جديدة عنهما تخوض في حياتهما..

كانت عيناها تجريان فوق الكلمات حرفياً..تقرأها و تكررّها لعدة مراتٍ في محاولات واهية للاستيعاب لا الفهم..فهي قد فهمت كل شيءٍ مسبقاً..كيف يمكن لكل هذا أن يكون قد حدث في الماضي فعلاً ؟ هل هي عالقة في كابوسٍ من نوع ما !!

لقد تعرضت والدتها للخيانة من طرف والدها فعلاً ! و مع من ؟!! مع والدته شهد التي كانت تشتغل في منزلهم كمربية !!! كيف عساها أن تتقبل كل هذه الحقائق الآن..كيف عساها أن تستوعب كل هذا !!

لقد خان والدها والدتها مع والدته شهد..و نتج عن هذه الخيانة مجيء شهد إلى هذه الدنيا..بما

معناه أن شهد تكون...ابنة والدها.....أختها الصغرى !!!!

صمت طويل ساد في المكان بعدها..بعد أن قرأت آخر رسالة بتركيز ضائع تمامًا و سمحت

للورقة بأن تسقط من يدها ببطء لتلامس السجادة البيضاء الأنيقة في الأرض..

صمت مرفق بأنفاس سجي شبه المسموعة..صمت كان هو الوحيد التأكيد لشهد بأن سجي

قد انتهت من قراءة الرسائل فعلاً !

فابتلعت ريقها للمرة الخامسة ربما و هي تلتفت برأسها ببطء شديد إلى الجالسة بجانبها..و

مباشرة...وقعت عينها على ملامحها التي كانت شاحوبة بشدة..عينها اللتان كانتا مبتسمتين

بإشراقة قبل دقائق كانت تنظر بهما الآن أمامها بغير هدى..و هناك آثار دموع واضحة تؤطرهما..

و الأهم من كل هذا يداها اللتان كانتا تمسكان بالرسالة قبل قليل..كانتا الآن ترتجفان قليلاً

بشكل شبه ملحوظ..و الأسئلة المعقدة تتحرر من عينيها على التوالي..تتكرر بشكل متوالي بدون أن

يتسنى لها الحصول على إجابة لها..

انزلقت دمعة وحيدة من عين شهد اليمنى و هي تزم فمها قليلاً لا تعرف طريقة للتحدث..فلم

تشعر بنفسها و هي ترفع يدها ببطء لتكرر نفس الحركة السابقة التي منحها لها سجي..غطت يديها

الاثنتين محاولة احتواء ارتجافتهما و لفت انتباهها إلى وجودها معها..

و قد نجحت محاولتها..فقد أسدلت سجي رموشها ببطء إلى تلك الحركة..و استغرقت لحظات

طويلة في النظر لها بصمت..قبل أن تبتلع ريقها ببطء شاعرة بغصة خانقة عالقة في حنجرتها..

ثم تستدير إلى شهد لتمنحها نظرة مختلفة عن أي نظرة رمقتها بها سابقاً..و خرج صوتها

المبحوح قليلاً يحمل نفس الارتجافة بيديها و هي تسأل بتحشرج :

_هل...كنتما عندها ؟

نقلت شهد عينيها بين عيني سجي و كأنها لا تفهم سؤالها..فأغمضت هذه الأخيرة عينيها لوهلة

واحدة حاولت خلالها إعادة بعض الثبات إلى جسدها و صوتها..قبل أن تفتح فمها شارحة باختصار :

_خالتك !

كانت الدموع قد عادت لتنساب بتأني من عينيها أثناء تحدثها..و شاركتها شهد إياها و هي تهز

رأسها بالإيجاب بصمت..حينها زمت سجي فمها قليلاً و هي تنقل أنظارها الضائعة بعيداً للحظات..قبل

أن تعود لتسألها مجدداً بنفس نبرتها التي لم تنفك تحاول جاهدة إضفاء الثبات إليها لكن عبثاً !

_زيارتك الأخيرة إلى...خالتي..هل.....

لم تستطع أن تكمل سؤالها و هي تشعر بتلك الغصة تخنقها أكثر..فما كان من شهد إلا أن أعفها من هذا العناء مجيبة بخفوت و بصوتٍ متهدج قليلاً كصوتها بينما تومئ برأسها مراراً..بدون أن تترك يديها أو تتوقف عن التمسك بها..

_لقد استدعتني لهذا السبب..

صمتت للحظة واحدة..ثم أضافت بصوتٍ خافت ؛

_لتسلمها لي !

أرادت سجي أن تتحدث معقبة...الآن ؟ الآن تسلمها لك !! بعد كل هذا العمر !!!!

لكنها عجزت تمامًا عن النطق لثوانٍ عديدة..و حينما وجدت صوتها...همست بدون أن تشعر

بنفس النبوة المتحشجة..بمشاعر مضطربة تمامًا !

_هل...أنت متأكدة ؟!!

ارتعشت شفتاها قليلاً و هي تضيف شارحة بأنفاس غير ثابتة إطلاقاً ؛

_أقصد..والذي..و والدتك.....

سحبت يديها بعدها من تحت يد شهد و هي تنخفض قليلاً إلى أن استندت بجبينها إليهما

مغمضة عينها بتعب..و بقت هكذا للحظاتٍ طويلة لم تنفك شهد تر اقيها خلالها بشعور من...

الشفقة !

فتحت فمها لعدة مرات و كأنها ستقول شيئاً ما..لكنها كانت تعجز في كل مرة..إلى أن مدت

نفس اليد لتربت على ركبتيها..ثم همست بتهدج الشيء الذي خطر في بالها ؛

_متأكدة كما أراك الآن من حقيقة أننا...أختان ! لكن.....

اختلف صوتها بعدها فصمتت تمامًا..لكن سجي التي سمعت جملتها تلك و استوعبتها بكل

وضوح..أبعدت يدها ناظرة لها بحاجبين منعقدين فوق عينين ضائعتين تمامًا..فلم تجد شهد مفراً من

أن تستأنف بنبرة زادت اختناقاً ؛

_في حال لم...تصدقني هذا..فهناك العديد من الطرق الأخرى للتأكد !

كانت تتحدث بجدية حقيقية رغم الأسى الذي يحتل عينها بشكل طفيف..و لوهلة..شعرت

بأنها رأت في عيني سجي نظرة تشبه...الاستنكار ! كيف تقترح عليها هكذا اقتراح !!!

زفرة أشد إرهاقاً حرّرتها سجي و هي تلتزم الصمت لوقتٍ طويل..قبل أن تتحرك فجأة لتقف

أمام شهد مغرقة يديها في شعرها..تنظر إلى الباب المغلق بعيداً بعينها المؤطرتين باحمرار واضح و هي

تحاول باستماتة شديدة استيعاب كل شيء..

بدءًا من خيانة والدها لوالدتها.. كل الأفعال الشنيعة التي ارتكبتها خالتها بحق والدها و
والدتها و والدة شهد حتى ! تغاضبها عن إطلاعها على كل هذه الحقائق طيلة السنوات الماضية..
إلى أهم حقيقة قائمة الآن...بأنها بعد كل شيء..و على الرغم من كل شيء و من كل ذلك الألم
المستجد الذي تشعر به ينخر قلبها الآن مع تخيل ذلك الماضي.. تمتلك أختًا صغيرة !
لقد عرفت اليوم أشياء ما توقعت يومًا أن تكون قد حدثت..رغم كل الغموض الذي لطالما
لفَّ حياة والديها و حديث خالتها في كل مرة يكونا هما أساس الموضوع..
لكنها إلى جانب كل هذا..فكأنما منحها القدر تربيته ناعمة يخفّف بها عليها..هدية جميلة
تخفّف من وطأة ما تشعر به في هذه اللحظة من صدمة..شهد...تكون أختها! كانت هذه هي الحقيقة
الوحيدة التي لم تشعر بأن فهمها و استيعابها صعب أو مستحيل !
لقد كانت قصتهما متشابهة جدًا..لأول مرة تدرك هذا..كلتاهاما فقدتا والداها في سن مبكرة
جدًا..و تم وضعهما في أمانة خالتيهما..الفرق فقط أن خالتها هي كانت على قدر من المسؤولية و ربتها..
و خالة شهد اضطرت على...التخلي عنها!
و هي تعلم...هي أكثر من يعلم بأن خالتها أيضًا رغم كل حبيها لها..كانت لتختار أبناءها لو
وضعت أمام خيار صعب تنتقي فيه أحدهم !
لا تصدق بأن هذه الرسائل كانت في جعبة خالتها كل هذا الوقت..لقد كان من حقها أن تعرف
هذه الحقيقة منذ البداية..لا أن تتعامل معها خالتها بمثل هذه الأنانية..لا أن تتركها تعيش في وهم الأم
و الأب الطبيعيين..
لا أن تتركها تحيا وحيدة بينما هي في الحقيقة تمتلك ذكرى من أحد والديها على الأقل !!
توقفت أخيرًا تستند بيديها إلى خصرها..تنظر إلى شهد بعد أن هدأت قليلًا بطريقة جعلت من
شهد ترتبكُ بعض الشيء..فقد كانت ملامحها تبدو الآن مبهمة كغشاء من الصعب قراءة ما خلفه..
رغم أن عينيها لا تزالان تحملان نفس المشاعر المتضاربة السابقة..
ثم فجأة..همست بنبرة حازمة بشكل جعل من عيني شهد تتسعان قليلًا باستغراب ؛
_قفي !
شعرت شهد ببعض القلق ينتابها من الفراغ..و عجزت للحظاتٍ عن التحرك..لكنها لم تلبث
أن سحبت نفسًا قصيرًا أجبرت نفسها بعده على الوقوف أمام سجي..و للمرة الثانية تستغرق سجي
وقتًا طويلًا في النظر لها فقط..
إلى أن فتحت فمها سائلة بنبرة غير مقروءة ؛

_ لماذا لم تأتي و تخبريني بهذه الحقيقة مباشرة ؟ ما الذي جعلك تثقين بأن تسمح لي بقراءة أسرار حساسة كهذه عن حياتك ؟ ألم تخافي من فكرة أن أحمل مسؤولية كل شيء إلى والدتك و أكرهها ؟!! ألم تخافي حتى من فكرة أنني قد أرفض هذه العلاقة بعد كل تلك الحقائق ! ارتعشت شفاه شهد قليلاً أمام أنظار سجي التي لم تتغير تعابير وجهها إطلاقاً.. رغم شحوبها و رغم لفحة الضعف و الألم في عينيها.. بينما لم تتردد شهد إطلاقاً من أن تهز رأسها بالنفي ببطء.. و بنفس الشعور المتطفل الذي يعتريها من القلق.. و كأنها تخاف فعلاً من إمكانية أن ترفضها سجي ! سمعت صوت سجي تسألها بنفس النبرة التي تبدو لشخص يقاوم انهيارات لا تحصى من المشاعر المختلطة :

_ لم ؟

كان جوابها عبارة عن هزة بسيطة من كتفيها.. همست بعدها بصدق.. الشيء الذي خطر في ذهنها فعلاً :

_ لأنني.. أعرفك منذ فترة.. و أعرف بأنك.. لست من هذا النوع من الناس..... صمتت لوهلة قصيرة جداً ثم أضافت بتلعثم و عيناها تنذران بدموع وشيكة :
_ كما أن تلك الحقائق لا تخصني أنا فقط.. إنها تخصك بنفس الطريقة أيضاً.. أقصد... من حقلك أن تعرفي بهذا..

هزت رأسها في حركة لا فائدة منها و هي تضيف بصوتٍ شرع يتحشرج :
_ لقد فعلت الشيء الذي شعرت بأنه صائب من وجهة نظري ! صمتت لوهلة أخرى تنظر لسجي بمودة غريبة.. ثم أضافت تهز كتفيها مجدداً لكن هذه المرة بإقرار :

_ في النهاية مهما كانت الحقيقة قاسية جداً و مؤذية فهي تبقى جزء من الماضي.. لا يمكننا أن نغيره.. و لا يمكننا أن تسمح له بأن يؤثر على حاضرننا..

ابتسامة شبه ملحوظة لامست أطراف شفتيها بتردد و هي تسأل بأمل ضئيل :

_ ماذا تظنين أنت ؟!

صمت طويل.. عميق و ذو مغزى ساد بعد سؤالها هذا.. كانت هناك لمعة مشابهة للمعة في عينيها تحتل عيني سجي.. و قد سيطر صمت جديد على الأجواء بينهما.. لكنه صمت مشوب بعاطفة مختلفة عن السابقة الآن..

ثم بعد لحظاتٍ أخرى.. ارتفع صوت سجي سائلة بنبرة لم تفهمها شهد بداية :

_ماذا كانت تلك الجملة التي قلتها قبل قليل ؟

طرفت شهيد برموشها بعدم فهم لوهلة.. لكنها لم تلبث أن همست تجيب بتردد ؛

_مهما كانت الحقيقة قاسية جدًا و مؤذية فهي.....

قاطعتها سجي فجأة بصوت هادئ ؛

_لا.. التي قلتها قبل قليل حينما كنا جالستين !

تقطيبة صغيرة ظهرت بين حاجبي شهيد.. همست بعدها ببطء و كأنها تسألها إن كان ما تقوله

هو ما تود سجي سماعه فعلاً..

_في حال لم تصدقي هذا ف... فهناك العديد من الطرق الأخرى للتأكد ؟!

لوهلة واحدة تهيأ لها بأنها رأت طيف ابتسامة يمر في عيني سجي.. ثم خرج صوتها أكثر هدوءً ؛

_مثلاً ؟!!

بدا و كأنها مستعدة تمامًا و بكل جدية لأن تسمع اقتراحاتها حيال هذا الموضوع.. رغم أن نظرة

عينها و طيف الابتسامة شبه الملحوظ ذاك كانتا تؤكدان العكس تمامًا..

إن لم تكن مخطئة.. إن لم يخذلها ذلك الشعور بداخل قلبها ناحية سجي فهذه الأخيرة... قد

تقبلتها مسبقًا فعلاً.. قبل حتى أن تلقي عليها كل تلك الأسئلة.. بل بمجرد أن علمت بهذه الحقيقة التي

لا تعلم إن كانت ستطلق عليها حزينة أو سعيدة... تقبلتها !

لهذا فقط.. لم ترهق نفسها كثيرًا في التفكير.. فقد اكتفت بأن هزت كتفها لترد بتحشرج

سامحة لابتسامتها المتسامحة بأن تتعمق بعض الشيء بأمل ؛

_العناق... مثلاً ؟!!!

دمعة وحيدة انزلقت من تحت جفن سجي الأيمن و هي تقف في نفس المكان.. على بعد خطوتين

من شهيد.. لا تعلم إن كان عليها أن تسلم بالأمر الواقع الذي وجدت نفسها في منتصفه فجأة.. أو

ترفض بشكل قاطع و تعود إلى حياتها مقنعة نفسها بأن كل ما قرأته في الرسائل تلك و ما سمعته من

شهيد محض أوهام من عقلها..

لكن... أنى لها أن تنتقي الخيار الثاني و هي تقف الآن أمام إنسانة تتأملها بأمل بريء في

عينها.. و كأنها ترجوها و تحثها بكل نظرة أن تمنحها الخلاص من شيء غريب..

لقد أتت إليها اليوم و في يدها عدة رسائل محملة بحقيقة قد تكون مؤذية جدًا في الحالة

الطبيعية لأي شخص في مكانهما.. لكنها فقط.. اكتفت بالابتسام في وجهها بمودة مركزة و عالقة في أكثر

حقيقة راقته لها بين كل الحقائق !

كيف لا تتقبلها..بينما لا تملك دافعاً واحداً يحفزها على عدم تقبلها..كيف لا تتقبلها الآن..و هي أكثر من يدرك و يستوعب قدر الألم الذي عاشته طوال حياتها حتى أنها شاركتها شعور اليتيم منذ الأزل !

الأخرى...أنها تشعر الآن بأنها تنتهي إلى هذه الفتاة أكثر ممّا انتمت إلى والديها يوماً..فقد توفي والداها قبل حتى أن يتسنى لها الاحتفاظ بذكريات حقيقية لهما في عقلها..و كل ما علمته عنهما يوماً كان من خلال انصاتها لكل حديث عابر يدور عنهما..إنها لا تتذكر حتى شكلهما بوضوح لولا الصور..
بينما شهد تقف أمامها كنقطة أمل بيضاء..حية ترزق !

إنها نفس الفتاة التي لم تدخر فرصة للاهتمام بها خلال فترة بقاءها معها و مع هادي في منزلها..و التي دائماً ما أبدت استعداداً عجيباً لمساندتها حتى و هي لا تعرف عنها إلا القليل ! ألا تتقبلها الآن ؟!!

لقد شعرت اليوم لأول مرة بأنها تتعرف على جزء حقيقي من حياة والديها..كما تشعر الآن بأنها مستعدة لتقبلها و عناقها...ألف مرة !

لم تحاول شهد الاقتراب منها أبداً..كانت حريصة على أن تحترم مساحتها الخاصة و قرارها أيّ كان..و هذا التصرف منها جعل من ملامح سجي تلين أكثر و أكثر بعطف..
إلى أن همست فجأة بصوتها الذي تحشرج أكثر..

متغاضية عن الشعور الحزين الذي لا يزال يعتريها نحو ذلك الماضي..متغاضية عن حقيقة أن والدها أحب امرأة أخرى على والديها بل و تزوجها أيضاً و أثر الانفصال عن والديها لولاها..
سعيدة قليلاً بفكرة أنه قدم كل تلك التضحية لأجلها فقط..و لكي لا يفقدها..و بأنه في نفس الآن لم يتخلى عن ابنته الأخرى..شهد..إطلاقاً! و لو كان قد تخلى عن إحداها لكرهته !
متعمدة أيضاً أن لا تلقي بأيّ حكم على أيّ أحد منهم الثلاثة..لا تريد إطلاقاً أن تكره والده
شهد بينما لم تتعرف عليها و لم يتسنى لها حتى الإمام بظروف حياتها و دو افعها الخفية..و الأهم من هذا..أن لا تحمل شهد ذنب كل ما مضى إطلاقاً !

_مو افقة...دعينا نجرب !

همست هذا بنبرة متسامحة كنظرة شهد..و كتلك الدمعة التي انسابت من عينيها انسابت واحدة مشابهة من عيني شهد ببطء..ثم برددت حاولت باستماتة أن تغلب عليه..اقتربت الخطوة الفاصلة بينهما..

و تولت سجي مهمة قطع الأخرى ثم... احتضانها كأكثر طريقة فعالة للتأكد من صحة هذا

ال رابط الذي جمع بينهما دائماً بدون أن تعلم أيّ منهما !

حاوطتها سجي بذراعيها بهدوء أولاً.. ثم سرعان ما شددت من احتضانها لها و هي تطبق عينيها بشدة على أنفاسي استعادت رتابتها بالكاد.. بينما تسمرت شهد متسعة العينين و هي تنظر إلى المدفأة الصغيرة في مقابلها.. ثم سرعان ما كانت تسحب نفساً عميقاً أطبقت عينيها بعده بسلام تزامناً مع رفعها لذراعيها لتبادلها هذا العناق بقوة مماثلة..

و لم يتسنى لها... لن يتسنى لها إطلاقاً رؤية الابتسامة الباهتة قليلاً التي اكتسحت ملامح سجي و هي تفتح عينيها بعد لحظاتٍ.. ابتسامة صادقة جداً رغم الحزن الطفيف الذي يتلقفها.. بينما تنهدت شهد تنهيدة ارتياح و امتنان طويلة..

شعرت بذراعي سجي يحررانها ببطء.. فحققت من ضغطها هي الأخرى إلى أن ابتعدت قليلاً لتقابل ملامح سجي مجدداً بابتسامتها الصادقة.. لكن سجي اختارت في هذه اللحظة أن تخفض أنظارها قليلاً إلى بطن شهد البارز و كأنها تذكرت الآن فقط حقيقة حملها..

فطرفت ببطء و عيناها تغرقان لثوانٍ قليلة في شرود قصير.. ثم في حركة لم تتوقعها شهد إطلاقاً.. رفعت يدها بتردد إلى أن بسطتها بلطف فوق بطنها..

و حينها فقط... رأت كيف تعمقت ابتسامتها أكثر.. من بين دموع جديدة تساقطت بنعومة.. قبل أن تنظر لها سائلة بنبرة شعرت بها شهد لطيفة جداً جداً!

_ خالته إذن... أنا ؟ !!!

أومأت لها شهد لعدة مراتٍ سامحة لدموع جديدة بالانسياب بسعادة الآن على وجنتيها.. بينما

عادت سجي لتحديق بنفس المكان.. يدها المرتاحة على بطن شهد..

و همست بعد لحظاتٍ بنبرة تشبه نبرة الاستيعاب و هي تشاركها دموعها ؛

_ يا إلهي !

همست شهد بصوتٍ مرتعش قليلاً ؛

_ ألا يبدو الأمر... غريباً جداً !!

و للمرة الثانية.. لم تكن تنتظر لا تلك الابتسامة التي منحتها لها سجي بسخاء.. و لا ردها الذي

جاء محملاً بشعور غريب فعلاً !

_ تقصدين... جميلاً جداً !!!

أومأت لها شهد بحرارة..و رأت بعينها كيف اتسعت ابتسامة سجي الدامعة أكثر وأكثر حتى
كادت تملأ كل إنشٍ من وجهها..قبل أن ترفع نفس اليد تلك..هذه المرة لتجذبها إلى حضنها مجدداً..
تضمها بقوة للمرة الثانية في حياتها حرفياً..و كأنها تمنحها وعداً غير معلناً بأنها لن تتوقف عن
احتضانها إلى الأبد !

منذ دقائق و هو يراقب الشارع المكتظ بالسيارات من النافذة القريبة من مقعده..بحيث كانا
يجلسان في أحد المقاهي الراقية التصميم..و التي اختارها هادي عازماً على إطلاعها على نفس
الحقيقة التي تطلع شهد سجي عليها الآن..
و قد كان يتوقع كل ردود فعل لؤي..إلا أن يقابله بهذا الهدوء مكتفياً بأن أشاح بأنظاره عنه
ملتزماً بصمتٍ طويل..ذلك الصمت الذي أثر هادي أن يبقي عليه و كأنه يمنحه فرصة ليفهم و
يستوعب كل ما قاله بتأني..

إلى أن التفت إليه لؤي مجدداً و سأل بصوتٍ أظهر مدى الصدمة التي تعتره الآن ؛

_هذا يعني بأنك لم تكن تمزح !!!

أوماً له هادي بصبر و هو يقول مبتسماً بينما يحتوي بيده فنجان قهوته الذي أوشك على

الانتهاء منه ؛

_قطعاً نعم..

لكن لؤي ظل ينظر له بنفس الطريقة..حينما قال بغباء فعلي ؛

_هذا يعني بأنهما أختان فعلاً !!!

لمعة تسلية طفيفة كانت تحتل عيني هادي أثناء رده بجدية ؛

_بالطبع نعم..أنا أتحدث منذ ساعة..ألم تستوعب هذا بعد يا أحق ؟!!

و كأنه لم يتحدث إطلاقاً..حتى أن لؤي لم يرد على وصفه الأخير له كما العادة لشدة صدمته..

بل وجد نفسه يتراجع للمرة الثانية بشرود في مقعده..

ثم أشاح بأنظاره جانباً هامساً بعد تهيدة استسلام طويلة ؛

_كيف أصدق هذا الآن!.....يا إلهي !

بينما اكتفى هادي في مقابله بأن ابتسم بهدوء و هو يرفع فنجانه ليرتشف رشفة جديدة و

يعيده إلى مكانه بنفس الهدوء..قبل أن يلتفت قليلاً ليشاركة تأمل الشارع المكتظ بصمتٍ..

منذ دقائق و هما تجلسان في هذه الأريكة..في مقابل المدفئة التي كانت مشتعلة الآن..و في منتصف صمتٍ قصير طاف بينهما بعد مجموعة أسئلة لم تنفك سجي تلقمها على شهد..
كان الصوت المنخفض لحسيسها هو الصوت الوحيد المسموع في المكان..قبل أن يقطعه
مجددًا صوت سجي التي كانت تريح رأسها على ركبة شهد..و كذلك اليوم... فلم تنفك هذه الأخيرة
تمشط خصلات شعرها بيديها لكن بشعور مختلف تمامًا عن شعور ذلك اليوم و شعور أي يوم قبله
أو بعده !

_هل تظنين بأنه أحب الاثنين فعلاً؟!!

نطقت سؤالا بينما تر اقب بعينها الشاردين نيران المدفئة بهدوء..بينما تهدت شهد بحزن و
هي تجيب بخفوتٍ ؛

_لا أعلم..و أنا أيضًا منذ أن سمعت هذه الجملة من هادي و أنا أحاول التشبث بهذه الفكرة
كي أتوقف عن التفكير أكثر في الموضوع..لكنني في أحيانٍ قليلة..أتساءل إن كان هذا هو الصواب..ألا
يبدو الأمر أسوء من ناحية أخرى ؟ أن يقع الإنسان في حُب شخصين في نفس الوقت !
صمتت للحظة قصيرة ثم أضافت بعدها بشرود تام ؛

_في جميع الأحوال لا يمكننا أن ننكر بأنها...تعرضت للخيانة.....

غصة مختنقة اكتسخت صوتها و هي تضيف بخفوتٍ شديد ؛

_والدتك..أقصد...من طرف والداي !

صمت طويل قابلها من جهة سجي..صمت جعل من تلك النظرة الحزينة تزداد حزنًا..لولا أن
سمعت صوت سجي تجيبها بعدها بلحظاتٍ بنبرة ذات مغزى ؛

_تريدين أن تقولي...والدنا! أليس كذلك ؟!!

همست بصوتٍ لا يزال يشوبه نفس الاستغراب لكن بشكل أقل بكثير من السابق..فأخفضت
شهد أنظارها لتسقط عينيها مباشرة على عيني سجي التي كانت قد استدارت بجسدها لتقابلها..و لم
تستطع أن تفعل أكثر من أن تهز رأسها مؤكدة..

ثم فتحت فمها و كأنها ستلقي بسؤال جديد دار في ذهنها..لكنها عادت لتزمه بتردد..حينها
تحركت سجي بهدوء لتستقيم بجسدها إلى أن أصبحت جالسة بجانبها مجددًا..و قالت تحثها بتفهم ؛
_أنا أسمعك !

ابتلعت شهد ريقها بصعوبة و هي ترمقها بنظرة تحمل نفس التردد السابق..ثم عادت تخفض
أنظارها لوهلة أخرى..قبل أن تسأل فجأة بصوتٍ باهت بعض الشيء ؛

_هل تكرهينها ؟!!

نظرت لها سجي بعدم فهم..فأضافت شهد ببطءٍ و كأنها تستصعب مجرد الالتفات لفكرة أن يكون هذا هو شعور سجي فعلاً نحو والدتها التي لم ترها إلا في الصور..
لكنها رغم كل هذا لا تزال تشعر بذلك الانقباض المؤلم حين تذكر تفاصيل حياتها الحزينة من تلك الرسائل !

_أ...أمي ؟!!!!

لم تتفاجئ سجي من هذا السؤال..و لم تتخلى عن ثبات موقفها و هي ترد مباشرة ؛
_هل يمكنني أن أكره أبي ؟!!

لم تمنحها شهد أي رد باستثناء نظرات عينيها التي شاهبا أمل ضعيف..لكنها اضطرت لاحقاً لأن تحرك رأسها بالنفي قطعاً حينما أبقت سجي على صمتها..فاستأنفت سجي بوضوح ؛
_كيف يمكنني أن أكرهها إذا !!!

ابتسامة ضعيفة شقت شفاه شهد..بينما مدت سجي يدها برفق لتربت على يدها المريحة فوق الأريكة بينهما و أضافت بصدق و شفافية تامة ؛

_لو كنت أستطيع أن أكره أيّ أحد فالأولى بي أن أكره أبي...أو خالتي !

صمتت للحظة أخرى..ثم عادت تضيف راسمة شبح ابتسامة صادقة على شفيتها ؛
_بينما لم أقابلها شخصياً..و لم أسمع ظروفها و مبرراتها منها هي شخصياً..فلا يمكنني إطلاقاً أن أطلق عليها أيّ حكم سطحي !
شعرت بالرضا يملأ قلبها و هي ترى ابتسامة شهد تتسع قليلاً..لكنها لم تستطع أن تمنع نفسها من أن تسأل فجأة بخفوت ؛
_هل أقول شيئاً ؟!!

أومأت لها سجي بتشجيع..فاتسعت ابتسامة شهد الخالصة قليلاً..قبل أن تردف بصدق تام ؛
_أشعر بنفسي سعيدة جداً جداً لفكرة أنني...أمتلك أختاً..و أصبح سعيدة أكثر حينما استوعب في كل مرة بأن هذه الأخت...هي أنتِ بالذات !

لمعت عيناها بشدة و هي تميل برأسها للجانب قليلاً مضيفة بصوتٍ متهدج قليلاً ؛
_لطالما تمنيت منذ الطفولة بأن أمتلك أختاً..لكنني ما توقعت أبداً..أن تكون هذه الأخت.....
رائعة بقدركِ !

ابتسامة صادقة برقت بها عينا سجي و هي تفتح فمها تهيم بإجابتها بينما تمسح على ظاهر كفها
أكثر بلطفٍ.. لكن صوت انفتاح الباب فجأة قاطعها.. فالتفتت هي و شهد في نفس اللحظة لتقع
أعينهما على لؤي و هادي اللذين كانا قد عادا للتو..

كانت ملامح هادي هادئة بديهية كما العادة.. بينما بدا لؤي من ملامحه الممتعة الساهمة
بشكل غريب و كأنه كان طوال وقت غيابهما عن المنزل يتعرض للصفعات واحدة تلو الأخرى..
فعلمت سجي حتمًا بأنه أصبح يعرف الحقيقة مثلها.. لكن لم تبدو عليه الصدمة أكثر منها ؟
أتراه لا يعرف خالتها جيدًا أم يعجز تصديق ذلك الرابط الصادم الذي يربطها بشهد !
وقفت بهدوء مقتربة منهما.. و فعلت شهد المثل لكنها ما كادت أن تخطو خطوة واحدة نحوهم
حتى كان هادي يوقفها حينما قطع الخطوات بينهما مقتريًا منها بسرعة..
إلى أن وصل أمامها.. و رفع يده ليربت على جانب وجهها الذي تبدو عليه آثار البسمة واضحة..
ثم استدار قليلًا برأسه ليقول موجهاً سؤاله لها هي و سجي التي كانت تنظر للؤي بقلق غريب ؛
_هل أنتما بخير ؟

لكن سجي لم تلتفت إليه.. فكرر بهدوء ؛

_سجي !!!

استدارت سجي بوجهها مباشرة مطمئنة بإيماءة صغيرة و ابتسامة صغيرة.. ثم لم تلبث أن
أعادت أنظارها إلى لؤي الذي كان لا يزال يقف مكانه بنفس التعابير الممتعة..
قالت و هي ترفع يدها لتفرقع أصابعها أمام وجهه منبهة ؛

_لؤي !!!

نظر لها لؤي بغباء حقيقي.. فسألت بقلق ؛

_هل أنت بخير ؟!!

طرف لؤي برموشه ببطء و هو يكتفي بالتحديق بها للحظاتٍ فاغر الشفاه.. ثم وجدته سجي
يجيد بأنظاره عنها ليرمق شهد بنظرة ذات مغزى أثناء سؤاله لها بنبرة تحمل نفس تعابير ملامحه ؛
_هل أخبرتك بكل شيء ؟!!

أومأت له سجي مبتسمة بثباتٍ.. لكنه أثر أن يكرر بقلق شعرت به مبالغاً به ؛

_كل شيء كل شيء !!!

ردّت سجي مباشرة بجدية ؛

_بالطبع لؤي.. ما خطبك ؟!!

بدا لؤي مندهشاً من تعابيرها و هدوءها أكثر من دهشته السابقة بما عرفه.. فلم يمنع نفسه

من السؤال بغير تصديق ؛

_و تبتسمين ! هل أنت بخير حقاً !!

الآن اكتفت سجي بأن أمالت رأسها للجانب رافعة حاجبيها و كأنها تسأله بيأسٍ إن كان عليها

أن تستعمل لغة أخرى ليقتنع..بينما ظل لؤي متجمداً يحدق بها بنفس التعبير للحظاتٍ أخرى..

قبل أن يزفر بحيرة و ينظر لشهد سائلاً ببطء ؛

_و أنتِ ؟!!

طرفت شهد برموشها بعدم فهم لسؤاله..لكنها سرعان ما استوعبت فحوى سؤاله فهمست

ترمق هادي بنظرة خاطفة ؛

_أنا...بألف خير !

و كأنها منحته إجابة بالعكس..امتقعت ملامحه أكثر و تضاعفت دهشته و كأنه لا يصدق أن

يكون هذا هو وضعهما بعد كل ما كان..لكنه في النهاية لم يستطع إلا أن يزفر نفساً جديداً حاول من

خلاله أن يتخلص من حاله هذا..ثم نظر لسجي سائلاً بنبرة طفل صغير شديد الغباء ؛

_أظن بأنني بالغت في تقدير الموقف فعلاً !

مدت سجي يدها لترت برفق على كتفه مجيبة بصوتٍ...رائق ! ما الذي يحدث فعلاً !

_ما رأيك أن تهدأ قليلاً و نجلس للتحدث أربعتنا..

اكتسبت ابتسامتها نظرة حنونة جداً و هي تسمعه يعقب عن قصد ؛

_تقصدين..أنا و أخي و أنتِ...و -أختك- !

استطاعت أن تلاحظ الطريقة التي شدد بها على حروفه في آخر كلمة و كأنه يحاول أن يتأكد

فعلاً من أنها تعلم كل شيء..و قد تأكد فعلاً..

أكدت له بشكل جميل حينما أسقطت يدها قليلاً إلى أن أمسكت بيده و كأنها تستعد لسحبه

ناحية شهد و هادي ليتحدثوا فعلاً كما اقترحت..بعد أن همست مجيبة بإقرار ؛

_بالطبع نعم..

لاحظ بأنها استخدمت نفس جواب هادي على سؤال مشابه..فعبس بشكل طفيف و هو يرغم

نفسه على مجاراتها في خطواتها نحو أخيه المزعج و زوجته..مزعج لأنه كان يعلم بهذه الحقيقة قبله

هو و سجي..

و لأن الجميع اليوم يبدو هادئاً و متقبلاً للأمر الواقع الذي يشبه حدوث معجزة مفاجئة.. ممّا يجعله يشعر فعلاً بأن الخلل فيه و بأنه قد بالغ جداً جداً..

و بأن هؤلاء الثلاثة.. زوجته و أخيه و زوجة أخيه.. أو بصيغة غريبة أخرى.. أخت زوجته ! قد اتفقوا عليه مسبقاً لأداء هذه المسرحية الغريبة عليه ! و من يعلم.. قد يجفل بصرخة مفاجئة من أحدهم يعلن بها بأنهم كانوا يسخرون منه فعلاً !

و إلا كيف يمكن للإنسان أن يتمسك بهدوءه أمام حقيقة كهذه ! إذا كان هو بنفسه أكثر شخصٍ هادئٍ بينهم يستنكر الأمر ! إلا لو كانت هذه الحقيقة تروق له من جانب معين ! على الأرجح هذا هو الاحتمال الصحيح فعلاً !

"59: وميض من نور"

#سجى

أنا...أمتلكُ أخْتًا ! أنا...أخت لشخصٍ ما ! أخت حقيقية فعلاً..لديّ أخت صغيرة جميلة و
الأجمل من هذا الإدراك هو أن تلك الأخت حامل الآن !
لقد كنتُ أحاول أن أعود عقلي على ترديد هذه الكلمات كأكثر طريقة فعالة لاستيعاب هذه
الحقيقة الجميلة ! و قد نجحت..تقريباً نجحت !
لكنني على عكس هذا..لم أستطع النجاح أبداً في نبذ فكرة تراودني منذ الأمس..كنتُ أشعر
بأنني في حاجة ماسّة للتحدث بهذا الموضوع مع خالتي..و إذا كنتم تتساءلون عن مشاعري نحوها..إن
كنتُ أشعر بالحقْد أو الغضب فالجواب هو قطعاً لا !
أنا إنسانة ناضجة مرت بالكثير و الكثير من المراحل في حياتها..و من التجارب المريعة إلى درجة
لم أعد معها أشعر بقابلية لتكبد عناء أيّ شعور مرهق جديد كالكراهة أو العتاب أو الغضب !
لاسيما إن كان الشخص المقصود بهذا خالتي !
أنا فقط أحتاج لأن أنظر في عينيها و أخبرها بوضوح عن كم أنني سعيدة بحياتي الآن..بل أكثر
من سعيدة..و عن كم أنني ممتنة لها رغم كل شيءٍ على مبادرتها الأخيرة في جمعي بشهد حتى و إن أتت
متأخرة !
بعد عودة لؤي و هادي..وجدتُ نفسي غير قادرة على السماح لشهد و هادي بالذهاب بتلك
السرعة..و لا شهد بدا عليها الرغبة بالذهاب أساساً..فاختارت بمساندة من هادي أن تخضع لرغبتني
و تبقى لهذه الليلة فقط بحُكم أن لديهما غداً موعد مع الطيبة !
جلسنا لوقتٍ طويل في الهو نتبادل الأحاديث فقط بيننا..كانت شهد تجلس بجانبني طوال
الوقت..و قد كنتُ سعيدة جداً بالنظر لها بين كل حين لأرد على جملة قالتها أو أتحدث معها بشيءٍ ما..
و للمرة الالف..أواجه ذلك التفهم الجميل من لؤي..فبعد أن تناولنا وجبة العشاء
مباشرة..كان قد وقف هو و هادي لينسحبا للمرة الثانية إلى الحديقة..مفسحين المجال لي و لشهد
لتبادل الكثير من الأحاديث الأخرى حيال بعضنا البعض..

لكن هل تعلمون ما الذي أسعدني أكثر؟! هو الطريقة التي كانت تتجاوب بها شهيد معي و نحن نتحدث بعفوية مطلقة لوقتٍ طويل..و لوهلة و أنا أرى ابتسامتها الواسعة على شيءٍ قلته..خالجني شعور غريب من انتماء فطري..

شعرتُ بأن كل ذلكَ الماضي الذي عشت فيه بمفردي غير عاملة بأنني أمتلكُ أختًا..لم يكن..و كأنه قد تلاشى تمامًا في لحظة واحدة و أصبحت كل اللحظات ممثلة بهذه الحقيقة ! لقد تحدثنا عن كل شيءٍ تقريبًا..حكيت لي شهد عن بعض التفاصيل من حياتها في دار اليتام..و سردتُ لها تاريخي الطويل مع لؤي و هادي كأجمل ثلاثي..شعورها البريء نحو هادي و فكرتها السابقة عن تخلي والدتها عنها..و سردت أنا في المقابل بعض المعلومات التي كنت أعرفها عن والدنا..قبل أن أعدها بأنني سأجعلها ترى جميع الصور المتبقية منه عما قريب.. كنتُ أمسكُ بيدها بشدة بينما نتحدث بكل هذا..ثم في نهاية المطاف وجدتها هي الآن من تقرب مني لتضميني للمرة الثالثة منذ إطلاعي على هذه الحقيقة..عانقتني بطريقة طرفت لها برموشي في البداية..قبل أن أبادلها عفويًا و أنا أهمس لها جملة أنهيت بها حوارنا الطويل ؛ _لقد أخبرتني قبل ساعات بأنك سعيدة بكونك أختي..و لم أستطع الرد عليك..... ابتعدتُ بعدها بهدوء لأنظر للملامح الجميلة و همست بينما ألمس خدها برقة أختٍ كبيرة تربت على وجنة أختها الصغيرة التي لم تفارقها يومًا ؛ _ما أود قوله بأنني أيضًا سعيدة بنفسِ القدر..سعيدة كما لو أنني ألتقي بنسخة أخرى مني في هذا العالم !

اكتفت شهد أمامي آنذاك بأن رفعت يدها لتغطي يدي التي على وجنتها..و تمسكت بها برفق بينما تميل عليها أكثر مبتسمة بتلك الطريقة التي تجعل أيّ كان من أمامها يحبها.. و حينها فقط..قرّر لؤي و هادي أن يعودا..فاستدرتُ و أنا أسمع صوت انفتاح النافذة الزجاجية الجدارية..دخل لؤي أولًا ثم بعده هادي الذي كان يضع يده في جيبي بنطاله..لكنه ابتسم ابتسامة مميزة ما إن وقعت عيناه على ابتسامته شهيد.. و ظل فقط و اقمًا مكانه للحظاتٍ يستند إلى طرف الأريكة المقابلة بظهره..بينما سأل لؤي باهتمام و هو يجلس في نفس الأريكة التي يستند عليها هادي ؛ _أتمنى أن لا نكون قد قاطعناكما مجددًا..لكن الجو كان باردًا في الخارج لذا.....

قاطعته عطسة جديدة مفاجئة..عطسة أجفلتُ بسماعها كما أجفل دائماً..نظرت له أزم في قليلاً بحاجبين منعدين بغير رضا..إلا أن لؤي لم يفعل أمامي أكثر من أن ابتسم بلطفٍ و هو يهمس بنبرة من ارتكب مصيبة و يحاول ترميمها ؛

_ما رأيكم بأن نخلد للنوم الآن ؟

حسنًا..فكرة جيدة للإنفراد به و توبيخه مجددًا على نفس الشيء !

لم أعترض أبدًا على اقتراحه..و لا هادي و شهد..فقد انسحبنا أربعتنا بعدها بثوانٍ قليلة كل إلى غرفته..و قد كنتُ أجهز نفسي لتوبيخ لؤي بمجرد أن دخلنا لغرفتنا..لكنه قاطعني للمرة الثانية..و هذه المرة كانت نبرته مشوبة بمكر بالإضافة إلى براءة ملامحه و كأنه يعلم كل مواطن ضعفي و يجيد استغلالها ؛

_أحتاج للنوم فقط..رجاء !

تسمرتُ للحظة فاعرة الشفاه و كأنني لا أجد ما أقوله..و أنا بالفعل لم أكن أجد ما أقوله.. فتهدت باستسلام و أنا أتخلى عن رغبتى السابقة منصاعة للإرهاق الطفيف في عينيه..شاكرة لكونه لم يصب بالزكام فعلاً..بل مجرد مضاعفات صغيرة غير مؤذية..و قلت مضطرة ؛

_حسنًا..

لكنني هذه المرة كنتُ أنا من أمسك بيده لأسحبه إلى السرير..إلى أن رفعت الغطاء و دفعته من كتفيه..أو بالأحرى هو من استجاب لي كالمأخوذ تمامًا و جلس نصف مستلقيًا بنفسه بمجرد أن لمست كتفيه..

قبل أن أدور حول السرير مقتربة منه إلى أن جلست بجانبه مريحة رأسي و يدي على صدره.. فشعرتُ فورًا بأنامله ترتفع إلى شعري مُمشطة برفق..بينما ارتاحت شفاهه على جبيني للحظاتٍ لم أحسب عددها..و قد شعرت منها و كأنه قد غرق في تفكير طويل..لكنني رغم ذلك لم أحاول التعليق أبدًا..إلى أن جاءني صوته الحاني يهمس بدون أن تفارق شفاهه جبتي ؛

_لا أزال حتى هذه اللحظة أعجز عن التصديق بأن أُمي أخفت حقيقة كهذه طوال تلك

السنوات !

لفحة من حزن طفيف برزت في عيناى..لكنني طردتها بقوة و رسمتُ بدلًا عنها ابتسامة صغيرة رفعت رأسي بعدها إلى لؤي لأنظر في عينيه من مكاني القريب..ثم همست بينما أرفع يدي يهدوء لألمس جانب وجهه ؛

_عليك أن تبدأ بالتصديق إذا !

رأيتُ الطريقة التي تحركت بها عينيه تاركًا عيناى لوهلة لا لشيء إلا ليسقطها على ابتسامتي الصغيرة المتفائلة.. كيف طرف برموشه ببطءٍ و هو يتأملني بنظرة لم تنفك أن ازدادت عمقًا أمام ابتسامتي التي ازدادت عمقًا مثلها..

ثم رفع إحدى يديه اللتين تحاوطانني إلى أن لمس بها يدي المرتاحة على وجهه..و أنزلها ببطءٍ إلى فمه ليطلع قبلة عميقة في باطنها..لكن عيناى علقنا في الابتسامة الجميلة التي اكتسحت ملامحه بعدها..ابتسامة تلونت بلمعة مكر واضحة..ثم خرج صوته بدون أن يفارق يدي في غاية...المكر !
_لقد اشتريت قميصًا جديدًا..سأسمح لك بأن تجربيه قبلي لكن بشرط واحد.....
_لا أريد معرفته !

قلتُ أقاطعه فورًا و أنا أتوقع تلقائيًا ماهية ذلك الشرط الذي يقصده..فتراجع رأس لؤي إلى الورا قليلًا ناظرًا لي بغباء لوهلة..لكنه سرعان ما استطاع تمالك نفسه..فهمس باعتراض و ابتسامته تتداعى ببطءٍ ؛
_لكن.....

لكنني قاطعته للمرة الثانية..و هذه المرة خرج صوتي بنفس النبرة الحازمة التي خاطبته بها لعدة مراتٍ اليوم بينما أعود لأريح رأسي على صدره ؛
_لن يحدث أي شيء هذه الليلة يا لؤي..من الأفضل أن تخلد للنوم !
صمت قصير قابلني من طرف لؤي..ثم جاءني صوته يحمل لفحة من التمرد الذي أحبه...
بشدة !

_لكنني لا أشعر برغبة في النوم الآن..ماذا سنفعل ؟!
ابتسامة هادئة ارتسمت في ملامحي و لم أستطع كبحها إطلاقًا حتى حينما عدت لأنظر له هامسة بينما أرفع يدي قليلًا على صدره إلى أن بسطتها فوق ذقنه الملتحي قليلًا برقعة ؛
_هل نسيت بأن هادي و شهد في الغرفة المجاورة ؟!
و كأنني زدتُ الطين بلة !

شحبت أنظار لؤي قليلًا و هو يتجمد للحظة أخرى يحدق بها بي كشخصٍ يكتم رغبة قوية في أن يصرخ طلبًا لبعض الخصوصية..إلى أن همس في النهاية عابسًا كطفل صغير لا يهتم لرأي العالم بما يتمناه !
_و إن يكن !

شعور غريب من العطف احتل قلبي أمام نظراته و لمسات يده الحانية على شعري..خاصة
حينما ظهرت تلك التقطية بين حاجبيه و هو يتأملني لوقتٍ و كأنه فقط يحاول أن يحتوي بعض
الأفكار المجنونة التي قفزت إلى عقله و في نفس الوقت استشفاف رد فعلي الحقيقي..
لكنني لم أمنحه ردًا واضحًا باستثناء النظرة الحنونة التي لم تنفكّ تزداد بروزًا في عيني..ثم
فجأة..كنتُ أنا من اقتربت منه بتأني إلى أن طبعت قبلة طويلة على خده..ثم واحدة أطول منها بكثير
على شفتيه..

قبلة استجاب لها لؤي مباشرة و هو يرفع يده الأخرى ليحتضني بها أيضًا حتى مع الدهشة
التي احتلتها في اللحظة الأولى..و ما إن ابتعدتُ قليلًا تاركة جبيبي يرتاح فوق جبينه..حتى همست له
بنبرة خافتة جدًا مختلفة كل الاختلاف عن السابقة ؛
_هل نخلد للنوم الآن ؟

شعرتُ بأنفاسه الدافئة القريبة مني جدًا تضاعف من ذلك الشعور بقلبي..حتى أنني حركت
إحدى يداي المطوقتين لوجهه أنوي أن ألمس بها قلبي لأتحسس خفقاته..لكنني بدلًا عن ذلك وجدت
نفسي أبسطها فوق قلبه هو بدون أيّ تخطيط مني !
و لم أنفاجئ كثيرًا و أنا أستشعر وتيرة خفقات قلبه التي كانت تنبض بشكل مجنون..و كأنني
أستشعر خفقات قلبي أنا بالفعل..و كأننا نتشارك نفس القلب و نفس الخفقات..كل هذا من مجرد
قبلة !

شعرتُ به بعدها يطبع قبلة جديدة فوق جبيبي..ثم همس هناك بعد تهيدة طويلة و كأنه يعلن
استسلامه لهذه الليلة راضيًا بسماعه لصوتِ أنفاسي القريبة يتردد كمضخة صغيرة لا تتوقف عن
العمل ؛

_حسنًا.....

شعرتُ به بعدها مباشرة يتحركُ برفق بغاية تعديل وضعية نومنا..فلم أفعل أكثر من أن
تمسكت به أكثر مغرقة كل ملامحي في صدره الذي لطالما كان أشبه بالموطن لي..
و قد ظننتُ بأن تلك الهمسة كانت الأخيرة بيننا الليلة..لكنني سمعت صوته المكتوم في
خصلات شعري يهمس بعد لحظاتٍ طويلة مجرد كلمة عفوية بدت و كأنها تحررت من قلبه مباشرة و
هو يشدد من احتضانه لي ؛
_حبيبتي !

و فقط..كانت تلك هي الهمسة التي جعلتني أبتسم فوق صدره بشكل لا إرادي مستسلمة
بعدها مباشرة للنوم..متأكدة..بأنها كانت آخر فكرة دارت في ذهن لؤي أيضًا قبل أن يستسلم للنوم
مثلي !

#شهد

أسبوع ونصف ! منذ معرفتي لتلك الحقيقة و أنا أفكر و أفكر في طريقة للبوح بها بالحقيقة
و ماذا ستكون ردة فعل سجي بسماع هذه الحقيقة !
لكنني و لأكون بالغة الصدق..لم أتوقع أبدًا في أي من اللحظات أن تكون ردة فعلها أجمل من
هذه !

ليس و كأنني طرقتُ بابها ذات يوم بينما أحمل في يدي بضعة رسائل تجزم بقرابتنا..لكنها
تجزم أيضًا بحقيقة كون والدها..أو والدنا كوصفٍ أفضل..قد أثر والدتي في وقتٍ من الأوقات على
والدتها و خانها !

لقد كنتُ لأعتبره مجرد حلم جميل لولا تواجدي الآن..و في هذه الساعة المتأخرة نسبيًا من
الليل في منزلها شخصيًا !

يظن الإنسان دائمًا في لحظات الحزن و الوحدة و الاكتئاب..بأنها نهاية المطاف ! فيسقط كل
أسلحته في مواجهة الحياة مستسلمًا و مسلّمًا بأمره..و إذ بيدٍ حنونة تمتد نحوه من حيث لا يدري..
تعيد إليه نبض الحياة و تمنحه حافزًا جديدًا على الاستمرار و العيش !
اليوم فقط...أستطيع أن أقول و بكل يقين بأن الحياة منحني بقدر ما أخذت مني ! و ربما
منحتني أضعاف ما خسرت !

كنتُ أشعر بالتعب الشديد يسيطر على كل ذرة من جسدي..لكن حتى هذا الشعور لم يكن
قويًا كفاية لينهي سعادتي أو حتى يحجمها قليلًا..كنت سعيدة إلى درجة البكاء أيضًا و التضرع لله
شاكرة على كل ما لدي !

و لن أحتاج لأن أقول أيضًا بأن هذه الليلة كانت واحدة من أكثر الليالي التي نمتُ فيها هانئة
البال..مرتاحة إلى أبعد حد..سعيدة إلى أبعد حد..

هادي أيضًا كان يشاركني نفس الرضا..و رغم بعض القلق الذي انتابه في الثواني الأولى
لدخولنا الغرفة و رؤيته للتعب الذي برز في ملامحي و خطواتي..إلا أنه لم يفعل اليوم أكثر من أن

ضممني بين ذراعيه بشدة و هو يربت بيد على شعري و الأخرى يمسد بها كتفي في حركته الأثيرة التي
تساعدني على الاسترخاء..

بعد أن سألتني بنبرته الحنونة تلك عن إن كنتُ أشعر بأنني بخير فعلاً..و أجبتة مطمئنة بأنني
على ما يرام !

و مع حلول الصباح التالي..شعرتُ بأن ذلك التعب قد تداعى بالكامل تقريباً..لكن سعادتي
تضائلت قليلاً لفكرة أننا مضطران للمغادرة بعد قليل..

إلى أن توقفنا في حاجز الباب أربعتنا..و شعرتُ بسجى تقترب مني مباشرة لتطوقني بين
أحضانها و كأنها حركة اعتادت فعلها و أحببتها..عانقتها بقوة أكثر من الأمس..ثم أغمضت عيني
بسلام و أنا أسمع صوت هادي و لؤي يتسلل إلى أذني..

بحيث كان هذان الاثنان يقفان بجانبنا بابتسامة على وجه كل منهما..لكن الفرق أن
ابتسامتهما كانت ابتسامة تحدي و مشاكسة..و حتى حديثهما..

شعرت بالابتسامة تخونني و أنا أسمع لؤي يهمس له بأكثر نبرة وقحة في العالم..

و على الأرجح هو يظن بأنني غير منتبهة لما يقولانه !

_أشعر بحزن طفيف لفكرة أننا لن نلتقي مجدداً حتى الأسبوع القادم..لكن هذه سنة الحياة..
لكل منا ما يشغله..

هو لم يكن يودّعنا بحزن للفكرة فعلاً..بل بالأحرى أنه كان يطردنا حرفياً و يحدّد لنا موعد
الزيارة المقبلة ! المهم أن لا تكون غداً أو بعد غد !

حينما ابتعدتُ أنا و سجي ناظرين إلى بعضنا البعض..حينها فقط كنتُ أغفل عنهما و أنا
أقابل ابتسامة سجي اللامعة قليلاً..ثم حركتها التالية التي..أسرت قلبي حرفياً و جعلتني راغبة في
عناقها مجدداً !

فقد مدت يدها برفق لتبسطها للمرة الثانية فوق بطني..تركها هناك للحظاتٍ ظلت فيها
تراقب حركتها بتمعن و كأنها تحاول أن ترصد أيّ حركة هناك للجنين..و قد تحقق ما أرادته فعلاً..
فرايتُ الطريقة التي زمت بها فمها قليلاً و هي تعود لترفع أنظارها نحوي..ثم همست لي و هي
تمد يدها الأخرى لتلمس بها خدي برقة ؛

_اعتني بنفسك جيداً.....

أنزلت عينيها قليلاً إلى بطني مجدداً مضيفة بصوتٍ تحشرج بعض الشيء ؛

_و اعتني به أيضاً!

حينها..و بدون أدنى تردد..رمقتُ لؤي الذي كان قد توقف عن مشاكسة هادي بعد أن منحه ضربة أخيرة على كتفه..ثم همست بصدق الشيء الذي شعرت به و أنا أعطي كلتا يدي سجي بيدي ؛
_يمكنك أن تعني به أنتِ أيضًا..أساسًا سنلتقي كل يوم !

همستُ جملتي بنبرة مشبعة بالأمل و بلمحة من التساؤل..و كما توقعت مسبقًا..فقد أومأت لي سجي بكل رحابة..لكنني بقيت فقط مركزة مع لمعة عينها و ارتعاشة يدها الطفيفة..
و لم أستطع...إطلاقًا لم أستطع أن أمنع نفسي من أن أقرب مجددًا لأضمها للمرة الثانية و الأخيرة هذا اليوم..و أشعر بها في المقابل تستقبل عنائي و تضميني بنفس الطريقة..لكنها ما إن ابتعدت قليلًا و اقتربت من هادي تود احتضانه...ربما !

حتى تفاجأ ثلاثتنا من لؤي الذي رفع يده فجأة ليجذبها إلى حضنه هو..ثم هتف باعتراض أمام نظرة الغباء التي احتلت عيني هادي ؛

_ليس هذه المرة مجددًا..العناق ممنوع بينكما بعد الآن..ممنوع ممنوع بشكل كُلي !
لم أعرف إن كان عليّ لحظتها أن أو افقه الرأي فقط..أو أن أكبح ابتسامتي التي اكتسحت شفاهي عنوة..فرفعتُ يدي لأحجبها قبل أن تتطور إلى ضحكة..لكنني علمت فورًا بأن المشكلة ليست فيّ و أنا أرى ابتسامة سجي المذهولة من فعلته !
_توقف عن هذا لؤي !

هتفت به موبخة بينما تتملص منه رغم أن ابتسامتها كانت لا تزال ظاهرة كما هي..و لأول مرة فعليًا..أرى لؤي ينظر إلى شخصٍ ما بحدة..و قد كان هذا الشخص سجي التي رفض أن يترك ذراعها حتى بعد أن سمح لها بالتحرّر..

الشخص الوحيد الذي لم يبتسم بيننا هو هادي..فقد رمق سجي بنظرة ممتعة حريفًا..قبل أن يعيد أنظاره إلى لؤي سائلًا بتردد ؛
_هل يمكنني أن أقبل جبينها على الأقب.....

_ممنوع !!!

قاطعته لؤي بفضاظة كبيرة و بنبرة أكثر ارتفاعًا ربما من السابقة..لكن هادي...اختار أن يسأل مجددًا متناسيًا ربما تواجدي بجانبه و كأنه يحاول أن يختبر نفسية شخصٍ مجنون ؛
_حسنًا هل.....

لم يستطع أن يكمل..فقد قاطعه لؤي للمرة الثانية..و قد أجفلتُ أنا لثانية و أنا أسمع هتف بنبرة تهديد صريحة ؛

_ سأضمّ شهد !!!!

هنا فقط..و كأن هناك صاعقة سقطت على رأس هادي..تسمر للحظة صغيرة جدًا..ثم قبل حتى أن أستوعب أنا أو لؤي أو سجي..كان هادي يهتف بسرعة تزامناً مع مده ليدته إلى طرف الباب..

_ حسناً ذهبت !!

و بنفسه كان من أغلقه في وجهنا أمام دهشتي من كل هذا الحوار !
و أخيراً تذكر أن ينقل أنظاره إلي..رمقني بنظرة شخص كاد أن يتعرض للطعن للتو من طرف أخيه المجنون..و نظرتُ له أيضاً..لكن ببلاهة احتلّني فجأة..لقد أغلق الباب في وجهنا حقاً ! أو في وجه لؤي و سجي ؟!

_ دعينا نذهب..

صوته الذي عاد ليستعيد نبرته العادية أخرجني من تأثير تلك الفكرة نسبياً..و ما كدتُ أن أنظر في عينيه تماماً حتى كانت يده تمتد نحوي ليمسك بيدي و يقودني نحو السيارة..
لكنني قلتُ أثناء ذلك بدون أن أشعر ؛

_ هل كنت تحتاج أن تضمّ سجي إلى هذا الحد فعلاً ؟!

توقف هادي فجأة بجانب سيارتنا لينظر لي بتفاجئ للحظة..فرمشتُ بعيناي بتردد و أنا لا أفهم أيضاً سبب إلقائي لهذا السؤال..لكنه قال بينما يتركُ يدي أخيراً و ينخفض قليلاً ليفتح باب السيارة من جهتي بجديّة حقيقية لم تخلو من التوجس السابق الذي كان يغزو نبرته ؛
_إذا كنتِ تسألين بدافع الفضول فقط فنعم..أنا لا أريد أن يتم وضع أيّ حدود في علاقتي مع سجي لأنها ابنة خالتي و بمثابة أختي التي ترعرعت معها و متعود عليها لحد لا يوصف.....
كنتُ أنصت إليه باهتمام..لكنه توقف فجأة يحثني على الصعود..و أنا فعلت فوراً مفسحة له المجال أيضاً بأن يدور حول السيارة إلى أن استقل مكانه..و حينها فقط..رأيت ابتسامته المألوفة ترسم على ملامحه الوسيمة..حينما همس بنبرة خاصة بي و هو يشرع في تشغيل السيارة ؛
_أما إذا كنتِ تسألين بدافع الغيرة يا سيدة شهد.....

توقف للمرة الثانية ينظر لي و كأنه ينتظر مني تأكيداً على أنني أشعر بالغيرة فعلاً..و لم أستطع أمامه إلا أن أحرك رأسي ببطءٍ مجيبة بصدق رغم التردد في نبرة صوتي ؛
_ شعرت بها.....قليلاً فقط !

بدا و كأن إجابتي راقت لهادي جداً..ظهر هذا من ذلك البريق الذي اكتسح عينيه و جعل ابتسامته تبدو أجمل و هو يتوقف عن ما كان يفعله..لكنني بقيتُ فقط أنتظر جوابه باهتمام..

فقرب يده برفق مني إلى أن لمس جانب وجهي حيث كانت ترتاح بعض الخصلات من شعري..و

همس بينما يقرب وجهه أيضًا مني بنبرة...جميلة كابتسامته !

_فلا!...أنا لم أكن في حاجة لأن أضرم سجي حصرًا...ما يهمني فعلاً هو حقيقة كونها تقف أمامي

الآن بعد كل هذا العمر..بجانب الشخص الذي لائم قلبها تمامًا..سعيدة..سعيدة جدًا كما لم تكن من

قبل !

صمت للحظة واحدة..ثم أضاف و هو يربت بإبهامه على خدي بنبرة ساهمة بعض الشيء..و

قد علمتُ حصرًا..بأنه كان يشاركني نفس المشاعر السابقة بالأسى بل و القلق من وضع سجي الذي

كان يبدو غريبًا !

_كل ما أريده فقط أن أراها بخير دائمًا !

حسنًا..سأسمح لنفسي بأن أعترف لمرة جديدة بأني أحب بل و أحترم جدًا هذه العلاقة

الجميلة بين ثلاثتهم..لؤي و سجي و هادي !

_و أنت أيضًا !

شعرتُ و كأن هادي كان يقرأ أفكارني طوال الوقت..و كأن ما نطقه للتو هو تنمة للفكرة التي

طرأت في ذهني..لؤي و سجي و هادي...و أنا !

لولا أن أضاف برفق و هو يتهد أخيرًا و يستقيم قليلًا في طريقة جلوسه ؛

_أريدك أن تكوني بخير دائمًا !

و فقط..أبعد يده بعدها ليمسك بالمقود مخلفًا ذلك الخواء العميق في قلبي..خواء امتلأ قليلًا

بابتسامته التي لم تفارق وجهه طوال الطريق..و يده التي لم تفارق يدي كأجمل تواصل بشري رأيته في

حياتي !

و كما هو مخطّط له..اتجهنا مباشرة إلى العيادة من أجل الفحص الطبي..و كالعادة فقد

وصفت لي الطبية بعض أنواع الأدوية المقوية..بعد أن طمأنتنا على وضع الجنين و طلبت من هادي..

ليس و كأني متواجدة معهم..

أن يحرص على راحتي النفسية و الجسدية أكثر خلال الفترة القادمة..بمناسبة أني في الشهر

السادس !

و ما إن عدنا لنستقل مكاننا في السيارة..فتحتُ في لاسأل بخفوتٍ و أنا أراقب يدي التي

عادت تستقر في مكانها الصحيح بين أنامل هادي ؛

_هل سنعود إلى المنزل الآن ؟

همس هادي تلقائيًا تزامنًا مع انطلاق السيارة ؛

_إذا كنت متعبة جدًا فلنعد !

نظرتُ له باهتمام و أنا أتوقع أن يستأنف..و قد فعل..رمقني مجددًا بذات الابتسامة مضيئًا

بلطف بالكاد يليق بصوته ؛

_و في حال لم تكوني..فسأخذكِ مكان جميل !

شعرتُ بحماسٍ قوي ينتابني حيال هذا المكان..إلى درجة أنني لم أكن لأرفض حتى و لو كنت

متعبة إلى حد ميؤوس منه..قلت محافظة على نبرة صوتي المنخفضة بموافقة فورية ؛

_خذني إليه..

أقصد...يمكنك أن تأخذني إلى أي مكان تشتهي به بشرط أن تكون معي ! و أن لا أفارق عينيك

بغض النظر عن ماهيته..لأن عينيك...هما مكاني المفضل حيث أنتهي و أعيش !

اكتفى هادي أمامي بنفس ابتسامته الحبيبة..لكنني شعرتُ بكفه يتحرك قليلًا محتضنًا يدي

أكثر..تاركًا إبهامه يتحرك على ظاهر كفي برقة لا متناهية..تهيدة خافتة حرّرتها..سرعان ما التفتُ

بعدها لأقابل النافذة المطلة على الشارع بحركته الهادئة اليوم كنبضات قلبي !

لم أعلم كم من الوقت استغرقنا للوصول..كان المكان هادئًا جدًا..لا صوت يسمع هنا ما عدا

صوت زقزقة بعض العصافير في زاوية ما..استقمْتُ مهدوء و أنا أنظر إلى هادي الذي أبعد حزام الأمان

و نزل من السيارة فورًا بابتسامته المتألقة..

و فعلتُ أنا المثل...لكنني ما كدت أقف مكاني باستقامة..حتى وقعت أنظاري على واجهة

جميلة لمحل يبدو و كأنه.....لبيع الورود !!

شعرتُ بذراع هادي تمتد مهدوء لتطوق كتفائي جانبيًا..فطرفت برموشي ببطء و أنا ألتفت

إليه ناظرة له بما يفوق البهجة الطبيعية..و تلقائيًا استطعت تخمين بأن هذا المحل هو نفس المحل

الذي أحضر لي منه باقة من الورد الأبيض ذات يوم و حكى لي عن صاحبه !

_لقد مرت فترة طويلة جدًا منذ آخر مرة أهديتكِ فيها باقة ورد !

قال بنبرة ذات مغزى..و بقيتُ فقط أتأمله من ذلك القرب مبتسمة بحُب..قبل أن أسير

بتحفيز منه باتجاه الباب الكبير لذلك المحل..تقدمت خطوة واحدة..ثم اثنتين..إلى أن توقفت فجأة

أنقل عيناوي حول كل مكان بانهار تام و حقيقي..

كنتُ أشعر بنفسي و كأنني أقف في منتصف المكان الروحي الملائم لروحي فعلاً..لا أعلم سبب

تعلقي بالورد إلى هذا الحد..و لا أريد أن أعلم في الحقيقة !

كل ما يهمني..هو ذلك الشعور الخلاب من السعادة التي ملأتني الآن..و فكرتُ بكل صدق بأن
من صنع هذا المكان لا بدّ و أن يكون شخصًا يمتلك حسًا عاليًا من الذوق !
وُرد بأنواع و ألوان مختلفة منتشرة على الجانبين..و أنا و هادي نقف في الممر في منتصفها..
بينما هناك على الجانب طاولة صغيرة يقبع فوقها مذياع صغير و كرسي بقائم طويل قليلًا بجانبها..
لكن ما جعلني أفغر فمي قليلًا بشيء من الدهشة..هو فكرة أنني لم ألاحظ الرجل العجوز
الذي كان يجلس على الأرض في مكان جانبي معي..يرفع يديه معًا في وضعية الدعاء..و يبدو بأنه على
وشك الانتهاء من الصلاة..

شبح ابتسامة صغير لامس أطراف شفاهي و أنا أتذكر كلمات هادي ذلك اليوم و التي سمعها
من هذا الرجل..التفت قليلًا لأنظر لهادي..فوجدته ينظر في نفس المكان هو الآخر..لكنه نقل أنظاره
إليّ مباشرة..

قبل أن يهمس بخفوتٍ و هو يضغط على كتفي برفق بيده اليسرى الملتفة حولي ؛

_ألا تريدان الانتقاء بينهما ؟

نظرتُ له بعدم فهم في البداية..فأضاف بهدوء ؛

_أخبرتكَ..أريد أن أشتري لكِ باقة !

رفعتُ حاجبائي قليلًا بإدراكٍ طفيف..ثم لم ألبث أن أومأت ببطءٍ باقية على ابتسامتي..و عدت
لأنقل عينايا حول المكان عازمة على الاختيار بينها فعلاً..و بما أنني أفضل الورود الحمراء أكثر من
الأنواع الأخرى..

فقد استقرت أنظاري عليها بدون أن أشعر للحظاتٍ..قبل أن أهمس بخفوتٍ لهادي المترقب
بجانبي ؛

_الحمراء !

لكنني و قبل حتى أن ألتفت إليه مجددًا..لفت أنظاري حركة طفيفة من المكان الجانبي حيث
كان يصلي ذلك الرجل قبل قليل..

نظرتُ هناك فوجدته قد وقف فعلاً..ثم اقترب من أحد الكراسي ليضع سجادة الصلاة بهدوء
و يرفع أنظاره إلينا مقتربًا منا بخطواته البطيئة و ابتسامة بشوشة جدًا تملأ ملامحه بمجرد أن نظر
لهادي..

إلى أن وقف أمامنا...و لسبب ما فقد استقرت عيناه للحظاتٍ بنظرة ودودة جدًا علي..قبل أن

يعيدها لهادي مجددًا..و حينها فقط كان صوته يرتفع هامسًا بمودة ؛

_لقد أحضرتها فعلاً !

رأيتُ بنفسِي كيف اتسعت ابتسامته هادي أكثر و أكثر..كيف امتلأت عيناه بعطف غريب نحو هذا الرجل..و كيف حمل صوته شعوراً مميّزاً من الانتماء و هو يهمس مشدداً من تمسكه بي ؛

_بالطبع..لقد وعدتك بهذا !

حينها فقط...كان الرجل البشوش ينقل أنظاره إلي..ثم همس يهز رأسه بترحيب حار ؛

_أهلاً و سهلاً بك يا ابنتي..

رسمتُ ابتسامة صغيرة يشوبها امتنان طفيف و أنا أهز رأسي مجيبة بشيءٍ من الخجل ؛

_شكراً لك..

قبل أن تقع عيناه على بطني البارز بوضوح..فتهللت ملامحه أكثر و هو يضيف بسعادة ؛

_و تهاني الحارة لكما..

كان قد نقل انتباهه مجدداً لهادي..و قد تولى هذا الأخير الرد بإيماءة من رأسه تحمل نفسِ المودة السابقة الغريبة حينما تقترن بلامح هادي تجاه شخص غريب..و حينها فقط...كان الرجل

يتنهد سائلاً ببديهية من يخاطب شخصاً يعرفه ؛

_بماذا أخدمكما إذن أيها الشبان الصغيّران ؟!

للمرة الثانية يجيب هادي بما يشبه اسمه ؛

_بأقة ورد لزوجتي !

بدا و كأن رد هادي..بل و وصفه الدقيق لي قد راق للرجل أكثر ممّا راق لي أنا..فاتسعت

ابتسامته قليلاً حتى كدتُ أن أجزم بأن هذه الملامح لم يلامسها حزن أو غضب من قبل !

ثم نظر لي بمباشرة سائلاً بحماسٍ غريب مقارنة بسنه ؛

_أيّ واحدة ؟

لحظة واحدة استغرقتها في الصّمت غارقة في أفكارٍ المختلفة حيال هذا المكان و هذا الرجل..

ثم قلتُ في النهاية مكرّرة بخفوتٍ ؛

_الحمراء !

و للعجب فقد اتسعت ابتسامته أكثر و أكثر و هو يلتفت مباشرة ليبدأ في جمع الباقية و

ترتيبها..بينما رفعتُ أنا عيني لهادي أشاركه نظرة الانبهار في عيني..الآن فقط أستطيع أن أفهم سبب

تأثيره على هادي بهذا الشكل !

استغرقه الأمر ثوانٍ معدودة ليقترّب منا مجدّدًا بينما يحمل الباقية في يده..و كان هادي بالطبع من استلمها منه تزامناً مع تحريره لي لا لشيء إلا ليدسّ يده في جيب معطفه يهم بإخراج بعض الأوراق النقدية للدفع له..

لكن الرجل منعه فوراً بأن مد يده ليمتسك بقبضة هادي..و قال أثناء ذلك مبقياً على ابتسامته بحزم شديد ؛

_ أليس من غير اللائق في حقي ؟!

حرك هادي رأسه و هو يهم بالإعتراض..لكن الرجل عاد ليقاطعه بنفس الحزم و هو يشد على قبضته ؛

_ المرة الأولى مجاناً لأجل الخبر الجميل الذي أحضرتماه معكما..لكن في المرة القادمة لا تظن بأن أتساهل معك بهذا الشكل !

كان من الواضح جدّاً أنه يقول هذا بغاية إقناع هادي فقط بالتخلي عن الدفع..و قد نجح فيما أراد فعلاً..فقد تهدّ هادي بعدها و هو يبعد يده مستسلماً..لكنه لم ينسَ رغم ذلك أن يعقب بجدية ؛

_ حسناً..لكن اعلم بأنني سأذكرك في المرة القادمة التي تأتي فيها بما قلته الآن..
قابله الرجل بإيماءة و ابتسامة و كأنه يسايره فقط بعد أن تأكد من أن هناك مرة قادمة فعلاً..قبل أن يمد هادي يده للمصافحة هذه المرة فقط..ثم قال يخاطبه بنفس النبرة التي يشوبها تعاطف غريب اليوم ؛

_ حسناً إذاً..نحن سنذهب الآن لكننا سنعود في وقتٍ ما بإذن الله !
صافحه الرجل بكلي يديه بحرارة و هو يحرك رأسه لعدة مراتٍ بنفس الحرارة..و ما إن غادرنا المكان..حتى تفاجئتُ بهادي يتوقف بجانب السيارة..ثم نظر لي و هو يمد يده لي بتلك الباقة التي بقيت في يده..

و رغم أنني كنتُ أعلم بأن الغاية من مجيئنا إلى هذا المكان كانت أن يريني إياه في المرتبة الأولى.. إلا أنني رغم ذلك لم أستطع أن أكبح بروز تلك اللمعة بعيناي بينما أمد يدي ببطءٍ لألبي رغبة عينيه بأخذها..بينما كرّر عقلي بشكل تلقائي..

" الورود الحمراء للتعبير عن الحب ! "

نظرتُ لها لوهلة بين يداي..قبل أن أبتسم ببطءٍ و أنا أرفعها أكثر إلى أن أغرقت أنفي بها
مستنشقة رائحتها الجميلة..لكنني حتى و أنا مغمضة عيناى كنت أستطيع أن أستشعر مر اقبة هادي
لي..

تأكدتُ من أنه كان ير اقبي فعلاً حينما رفعت رأسي لأقابل عينيه مباشرة..و حينها..همس
بتلك النبرة الدافئة التي أعرفها جيداً منذ وقتٍ طويل ؛
_هل أنتِ سعيدة ؟!

لم أفهم سبب هذا السؤال جيداً في البداية..لكنني رغم ذلك حركتُ شفاهي مجيبة بصدق ؛
_جداً جداً..

لكن هادي لم يبدو راضياً تماماً بإجابتي..قال بنفس نبرته و عيناه تشردان قليلاً في النظر لي ؛
_انطقها !

نظرتُ له بعدم فهم..فكرّر ببطءٍ و جدية ؛
_الكلمة..انطقها بالكامل حرفاً بحرفٍ!..
رقت نظرة عيناى أكثر و أكثر أمام ما يطلبه مني..و بالكاد خرج صوتي ثابتاً و أنا أنفذ ما طلبه
مني بنفس الصدق ؛
_أنا..سعيدة...جداً جداً..

رمقتُ يده اليمنى التي كان يدسّها في جيب بنطاله الجينز للحظة..قبل أن أحرّر إحدى يداى
لأفرداها نحوه إلى أن أمسكت بتلك اليد و أخرجتها من مكانها متخللة أنامله بأناملي بغير تحفظ..و
أضفت بحرارة أمام نظرة عينيه التي لم تنفكّ تزداد دفئاً ؛
_نسيت أن أقول أيضاً بأني -أحبك- بقدر هذه السعادة التي أشعر بها تملأ قلبي الآن !
و كأنني منحته باقة ورد أخرى !

تعمقت ابتسامته أكثر حتى صارت بحجم السماء الهادئة اليوم..و تحركت أنامله برقة
لتنمسك بيدي مؤقتاً..و اكتفى أمامي بأن رفع يدي أكثر بين يده إلى أن لثم ظاهرها برفق..
ثم تركها على مضضٍ بعدها ليفتح الباب من جهتي للمرة الثانية اليوم..و يدور حول السيارة
إلى أن استقل مكانه بجاني..و تلك المرة كانت وجهتنا المنزل أخيراً..منزلنا الجميل الذي لم نلقي عليه
نظرة واحدة منذ عودتنا من السفر..

للحُب هناك أسماء عديدة جدًا..لا تعد و لا تحصى.. البعض منا يعتبره مجرد شعور جميل
يؤنسنا لما تبقى من حياتنا برفقة الشخص الذي نحب..و البعض منا يجسده على أنه أسطورة
تستحق أن تبقى في الكتب و الروايات فقط..لنقرأ عنها و نستمتع بما نقرأه..
أما بالنسبة لي...فقد كان الحُب يشبه ذلك الترياق الذي يتم حقنه في دماءنا عنوة في البداية
بغاية إمدادنا بطاقة الحياة..إلى أن نجد أنفسنا و قد أدمنا تلك النشوة التي يزرعها في قلوبنا..
حد التولع و التوسل لأجل جرعة أخرى !

لكن الفرق الجميل بين الترياق الحقيقي و ترياق الحُب الأسطوري..أن جرعاته أبدية..لا تنتهي
و لا تنفذ !

كنتُ أشعر بالحماس الشديد لرؤية ما صنعته أيدي تلك الفنانة التي التقيناها ذلك اليوم في
المتحف لنا..و رغم شعور داخلي طفيف انتابني من الضيق حين تذكر طريقة تحديقها بلوئي ذلك
اليوم إلا أنني لم أحاول إخفاء حماسي على الإطلاق..

لكن هل تعلمون ماذا ؟ لقد شعرتُ بحماسي يخبو قليلاً ما إن توقفنا أمام واجهة هذا المنزل
الصغير نسبياً..لماذا تدعونا إلى منزلها مباشرة ؟ لقد توقعت في البداية بأنها تملك ورشة في مكان ما!
اقتربنا أنا و لؤي بخطواتٍ ثابتة لا تمثل وتيرة خفقات قلبي و قلبه...على الأرجح ! إلى أن توقفنا
أمام الباب..و احترنا حيال طرقه أم لا..فنحن نأتي إلى هنا للمرة الأولى..ماذا لو كان المنزل الخطأ ؟
لكن تفكيرنا بهذا لم يطل..فقد سمعنا بعد أقل من ثلاث ثوانٍ صوت خطوات تقترب من
الباب بسرعة..ثم فجأة...انفتح الباب على مصراعيه و ظهرت من خلفه الفتاة الجميلة التي يبدو بأنها
لمحت مجيئنا من النافذة القابعة في يسارنا...لا تزال كما هي !

اليوم أيضاً كانت ترتدي ثياباً بنفس أسلوبها ذلك اليوم..قميص أبيض قطني بأكمام و ببعض
الأحرف التي كتبت بلغة أجنبية فوق صدره..سترة سوداء بدون أكمام..و سروال من الجينز الفاتح
يصل إلى مرفقيها فقط..و حذاء رياضي..

هل هذا هو الشكل المثالي حقاً لفنانة نحت ؟!

تردد هذا السؤال في ذهني عفويًا..لكنني حركتُ رأسي لأطرده بسرعة و أنا أسمع الفتاة تقول
بترحيب بينما تتراجع خطوة إلى الوراء و تفتح الباب أكثر ؛
_ أهلاً و سهلاً بكما..تفضلاً..

نظر لي لؤي بنظرة لا مغزى لها و كأنه يسألني إن كان عليه الدخول أولاً أو لا.. لكنني لم أفعل
أكثر من أن تقدمتُ خطوة نحو الداخل.. فتقدم هو الآخر إلى أن توقفنا في منتصف إحدى أجمل
المنازل التي رأيتهما في حياتي..

كان المنزل حرفياً أشبه بمتحفٍ مصغر عن أيِّ متحفٍ آخر.. فبالإضافة إلى المقاعد الرمادية
المرتبة في الجهو.. و الجدران و الأرضية البيضاء.. كانت هناك العديد من اللوحات الجميلة معلقة هنا و
هناك.. تماثيل مختلفة الشكل مميزة الصنع منتشرة في كل مكان و فوق كل منضدة تقريباً..
هذا هو الشكل المثالي فعلاً لمنزل فنانة نحت !

كان لؤي يراقب المكان بنفس الطريقة.. و قد ظهر نفس الانبهار في عيني في عينيه.. حتى أنه
نظر لي بغير تصديق و كأنه يسألني إن كان ما نراه حقيقي.. قبل أن يأتينا صوت الفتاة تقول بلطفٍ
مألوف ؛

_تفضلاً للجلوس رجاءً.. أم أنكما أحببتما الوقوف و التأمل أكثر ؟!
شعرتُ بلفحة من الاحراج تكتسحني.. لكنني و قبل أن أتحدث أنا أو لؤي بأي شيء.. كانت
تضيف بمرح.. حسناً هل أقول مزعج ؟ إنه مزعج فعلاً !
_إياكما و أن تشعرا بالحرَج.. إنها ردة الفعل المعهودة لكل شخصٍ يدخل إلى منزلي.. أنا معتادة
على هذا للأسف..

ثم أضافت فوراً مؤكدة و هي تشير بيدها للجهو الفني الجميل ؛
_تفضلاً بالجلوس..

اقتربنا الخطوات المتبقية بهدوء إلى أن جلستُ أنا و لؤي بجانب بعضنا البعض على نفس
الأريكة.. و شعرت فوراً بيد لؤي تغطي يدي المريحة على الأريكة بيننا تلقائياً.. حتى أنه رفعها قليلاً
ليضعها فوق ركبته بدون أن يتركها..
بينما جلست هي في مقابلنا مبقية على ابتسامتها الواسعة.. و لم أتوقع إطلاقاً بأنها ستكون قد
لاحظت حركتنا تلك.. إلا حينما همست تخاطبني أنا و هي ترمق التشابك ذاك بنظرة جميلة ؛
_تبدين أفضل بكثير اليوم !

شعرتُ بدهشة طفيفة تنتابني من هذه الجملة.. هل كنت مكشوفة إلى هذا الحد حقاً ؟ أي
شخص بقي في العالم نظر لي و لم يلاحظ حالتي الصعبة سابقاً !
و رغم هذا فقد قلتُ أدبر ابتسامة جديدة و أنا أشعر بذلك الشعور السابق يتداعى أمام
مبادرتها اللطيفة ؛

_نعم..شكرًا لكِ..

حينها اكتفت أمامي بإيماءة..ثم قالت تخاطب كلانا الآن ؛

_هل أقدم لكما أي شيء ؟ ماذا تشتهيان ؟!

هذه المرة كان لؤي من أجاب عني و عنه..قال معترضًا بهدوء ؛

_لا شيء..شكرًا لكِ..

نظر حوله باهتمام للحظة قبل أن يقول بنفس النبرة ؛

_هل يمكننا أن نرى التمثال الآن ؟

لم تمنع الفتاة الجميلة إطلاقًا..قالت بذلك الحماس الذي لا يفارق نبرتها و هي تقف فجأة ؛

_بالطبع..تعالا معي..

وقف لؤي فورًا بدون أن يفارق يدي..فتهدتُ أنا الأخرى أهم بالوقوف..لكن عيناى وقعتا قبل

أن أتحرك خطوة على شيءٍ لفت انتباهي..كان صورة صغيرة الإطار نسبيًا ترتاح على منضدة قريبة..

و قد ظهرت فيها هذه الفتاة برفقة شاب ما..و كلاهما تحمل ملامحهما ابتسامة كبيرة..حاولتُ

أن أتجاهل الأمر..لكنني لم أشعر بنفسى و أنا أسأل فجأة بما جعل الفتاة المسماة بياسمين تتوقف في

منتصف الطريق و تنظر لي باهتمام ؛

_هل أنت مرتبطة ؟

لمحة من الاستغراب ظهرت في عينيها..بينما التفت لؤي لينظر لي بذهول أقرب إلى الاستنكار..و

شعرتُ بنفسى مستعدة للهرب الآن لو أتيحت لي الفرصة..لكن الفتاة فقط ردّت ببساطة و هي ترمق

الصورة بابتسامتها التي أصبحت أجمل الآن للعجب فقط لأنها تأملت بها شخصًا غير لؤي !

_نعم..أنا مخطولة منذ أكثر من سنتين..

نظرت لي بعدها سائلة بنفس النبرة ؛

_لماذا سألتِ ؟!

لم أجد ما أجيبها به في البداية..فسحبتُ نفسًا طويلًا قبل أن أقول ما خطر في بالي فقط ؛

_هكذا فقط...فضول !

برزت ابتسامتها أكثر و هي تنقل عينيها بيننا و كأنها قارئة نظرات و تستطيع أن تستشف

المشاعر من تعابير إنسان يقف أمامها فقط..قبل أن تكمل طريقها نحو غرفة جانبية محفزة إيانا

على اللحاق بها أيضًا..

عجزتُ بعدها تمامًا عن كبح ابتسامة راضية احتلت كل تقاسيمي.. لكنني اضطررت لأن أزم شفتاي بأدب ما إن وقعت عينا في عيني لؤي الذي كان لا يزال ير اقبني بتوجس..
رمقته بنظرة بالغة البراءة و أنا أتجاوزه أخيرًا لأحقة بياسمين.. وكانت أول فكرة طرأت في ذهني بمجرد دخولنا إلى الغرفة المربعة الكبيرة نسبيًا.. بأنني كنت مخطئة في ظني السابق.. فهي تملك ورشة
فعلًا !

لكن هذه الغرفة على عكس الهو الجميل.. كانت مليئة بالفوضى.. طاولات عشوائية هنا و هناك حيث كانت ترتاح عدة صحون دائرية متفرقة منها الممتلئة بمواد للنحت و منها الفارغة.. أدوات النحت..

تماثيل غير مكتملة و إحداها مشوهة.. ثم... تمثال جميل يرتاح بمفرده فوق طاولة جانبية ،
كان هذا.....تمثالنا!

و دعوني أكون صريحة جدًا.. فما كنتُ أراه أمامي الآن.. أو بالأحرى ما كنا نراه أنا و لؤي... كان شيئاً قمة في الإبداع !

لم أستطع أن أتمالك نفسي أكثر و أنا أقف على بعد مسافة مترين أنظر لهذه التحفة الفنية من أن أقرب ببطء متجاوزة لؤي للمرة الثانية.. ذلك الذي ظل متسمراً مكانه للحظة واحدة يحدق في نفس المكان باندهار تام..

قبل أن أسمع صوت خطواته تلحق بي إلى أن أصبح يقف بجاني تمامًا.. و حينها فقط.. كنتُ أنا و هو نلتفت إلى بعضنا في نفس اللحظة.. كانت هناك ابتسامة تحتل تقاسيمه الجميلة.. و قد ارتسمت واحدة مشابهة في عينا و أنا أعود لألتفت في نفس اللحظة معه لننظر في نفس المكان.. جالت عينا حوله متأملة كل التفاصيل الجميلة التي لم تغفل عنها كما وعدت.. لم يكن التمثال يشبهنا حرفيًا.. لا يمكن قراءة ملامحه بوضوح أو الجزم بكونها قد استوحيت فكرته من صورة لنا.. عدا عن هذا فقد كان تصميمه غاية في الرقي و الإبداع..

لكن الشيء الذي جعلني أبتسم بحق.. هو حينما وقعت عينا على ذلك التجويف البسيط المرسوم بدقة في وجنة التمثال الخاص بالفتاة.. لقد جسدت غمازتي فعلاً كما وعدت !
كان تمثالاً جميلاً يحمل عنوان الحُب العاجز بأدق تفاصيله.. و أشك بأن أي أحد وقف في مكاني قد يعجز عن تمييز الحزن العميق الذي يحمله بين طياته.. و الأمل العميق المتولد من جوف ذلك الحزن !

لا يمكن لأيّ أحد أن يقف في مكاننا..و لا يقرأ بعض الأسطر من قصة مأساوية طويلة انتهت
بسعادة مطلقة ! و هو لا يستطيع أيضاً..أن لا يختبر ذلك الشعور الغريب بالإنجذاب القوي لخوض
تجربة الحب لمجرد رؤية صورة كهذه !

رفعت رأسي قليلاً لأرمق لؤي بنظرة تحمل كل تلك المشاعر المختلطة التي يجسدها التمثال..و
للعجب فقد تفاجئت بلؤي ينظر لي فعلاً !

لا أعلم حتى منذ متى..لكنني استطعتُ تمييز ذلك التعبير الجميل في عينيه بوضوح..و لولا
معرفتي الكبيرة جداً به..لظننت من نظراته لي الآن و من البريق البارز في تلك العينين..بأنه على وشك
البكاء !

لكنها تلك..كانت طريقته المتدفقة بالمشاعر في تأملي منذ وقتٍ طويل !
و للحظاتٍ طويلة لم أحسب عددها..كنتُ قد تناسيت تماماً تواجد أيّ شخصٍ آخر غيرنا في
هذه الغرفة..إلى أن سمعت الصوت المرح يقاطعنا ؛
_لم أسمع رأيكما بعد ؟

علمتُ بأن لؤي كان يشاركني نفس المشاعر أيضاً حينما التفت مجفلاً لينظر لها..و كنت أنا
من تمكنت من التحدث أولاً..فهمست بنبرة أظهرت كل مشاعري الداخلية ؛
_إنه...فائق الروعة..أنا أعجز حتى عن إيجاد كلمة تصف جماله بحق !
كانت ابتسامتها الكبيرة أساساً و المشبعة بالتفاؤل تتسع أكثر و أكثر..إلى أن انتهيت فنقلت
أنظارها إلى لؤي..مجدداً تلك الطريقة في النظر التي لا تروق لي..كم هي مريحة فكرة أنها مرتبطة
بالفعل !

همس لؤي بنبرة تشبه نبرتي تماماً و هو يرمقني بنظرة خاطفة كشخصٍ لا يستطيع الصمود
دون النظر لي بين كل لحظة و أخرى..
_ما صنعتته رائع بحق..لقد تخيلت كل الأشكال في عقلي لكنني لم أتخيل في إحداها بأنه
سيكون جميلاً إلى هذا الحد..

شعرتُ بسعادة متطفلة تنتابني لمجرد رؤية ملامحها تنشرح أكثر..لكنها لم تلبث أن هزت رأسها
بثباتٍ و هي تقول بجدية لم تخفي سعادتها ؛

_الآن...بما أنها هدية مني كبطاقة تهنئة لذلك الحب الجميل الذي يجمعكما.....
صمتت لوهلة قصيرة بقيتُ أنا و لؤي ننظر لها فيها باهتمام..ثم استأنفت تحرك رأسها
ببساطة ؛

_فأنتما تملكان الخيار بين أن تأخذانه معكما..أو بين أن يتم وضعه في المتحف ضمن المجموعة الخاصة بي..

رفعت أصبعها بحزم و هي تستطرد بنفس النبرة ؛

_للعرض فقط بالطبع لا للبيع..

ثم نقلت عينها بيننا سائلة بابتسامتها الجميلة ؛

_ما رأيكما إذا ؟

ما رأينا؟! نظرة جديدة مرت ببني و بين لؤي..كنتُ و كأنما أستشيريه من خلالها حيال إن كان يوافقني الرأي في الفكرة الذي دارت في ذهني أو لا..فأنا..بكل أمانة..قد وجدت نفسي أميل إلى الخيار الثاني..

أولاً...لأنني لا أحبذ كثيرًا فكرة الاحتفاظ بتمثال في منزلنا..و ثانيًا...لأن فكرة عرض التمثال في متحف كقطعة فنية قيّمة أجمل بكثير من أن يبقى محفوظًا فوق منضدة جانبية في المنزل..هكذا فقط !

و كالعادة تمامًا..لم أحتج غير تلك النظرة بيننا لأوصل سؤالي للؤي..و لأستلم الإجابة منه..و قد كانت إجابته مرضية تمامًا لي..فمنحته ابتسامة دافئة تخصّه فقط هو..قبل أن أنظر للفتاة مجددًا..ثم قلتُ بجدية مشابهة محتفظة بابتسامتي الهادئة ؛

_الخيار الثاني أفضل..فقط بشرط أن لا يتم بيعه فعلاً !

قلتُ الجملة التالية بنبرة يشوبها الأمل و الامتنان فقط..و لم تبخل الفتاة أمامي من أن تؤكد لي بنفس اللطف بينما ابتسامتها تخبو قليلًا فقط تحت نظرة شرود غزت عينها بشكل طفيف ؛
_بالطبع..إنه لكما! هذا أمر لا يستدعي النقاش أساسًا !

و فقط...لم أجد ما أقوله بعدها..لكن لؤي فعل..قال بشيء من التردد الذي استطعتُ تمييزه في صوته ؛

_ماذا عن أتعابك ؟!

توقعتُ بأن تتلاشى ابتسامة الفتاة تمامًا..أو أن تبدأ فقرة المزاح الثقيل كذلك اليوم..لكنني تفاجئت بها للمرة التي لا أدري كم اليوم..تلتزم الصمت لوقتٍ مطول لم تفعل فيه شيئًا سوى تأملنا بنفسٍ طريقتها ذلك اليوم و كأنها تحاول تحليل ظاهرة ما شديدة التعقيد !

ثم همست في النهاية..بإيثار حقيقي !

_أن لا تفترقا عن بعضكما أبدًا !

هل بقي هناك أيّ مجال للكلام بعد هذا الرد ؟ لم يستطع لؤي بعدها أن يعترض بأيّ طريقة..
و لم أحاول أنا أن أفعل حتى..و ما حدث أننا تبادلنا بعض الكلمات العابرة أثناء اقترابنا من الباب..
إلى أن فتحته لنا بنفسها..فقلتُ أهم بالرحيل تلقائيًا..بدافع الأدب ليس إلا !

_في المرة القادمة..أتمنى أن نستطيع مقابلة خطيبك أيضًا !
لم أفهم بعدها سبب النظرة الجديدة التي احتلت ملامحها..نظرة أقرب إلى الأسى..حتى أنني
طرفتُ ببطءٍ و أنا أتساءل إن كنت قد أخطأت في كلمة ما..إلى أن همست تعيد إحياء الابتسامة على
وجهها بقلة حيلة ؛

_كنت لأحب حدوث هذا جدًّا..لكنه نادر المجيء إلى هنا..
نظرتُ لها بعدم فهم لمغزى كلماتها..فأكملت شارحة بهدوء ؛
_إنه جندي في البحرية !
نظرة استيعاب قويّ اكتسحت ملامحي..ليس استيعاب فقط مغزى جملتها و ماهية عمله..بل
حتى مغزى تلك النظرة التي لا تفارق عينيها و هي تتأملنا..نظرة مشبعة بشعور حزين من الحنين !
لكن لؤي لم يبدو و كأنه لاحظ مسبقًا نظراتها حتى..فقد سمعتُ صوته الذي شابه بعض
التعاطف يقول بهدوء بعد لحظة واحدة ؛

_أعاده الله بخير و سلامة..
ثم أضاف فورًا تزامنًا مع إيماءة الامتنان التي قابلته بها ياسمين ؛
_سأنتظرك في السيارة..
كان يوجه كلامه لي أنا الآن..أومأْتُ له ببساطة فالتفت مغادرًا بالفعل ناحية السيارة..و ربما..
كانت تلك الفرصة المناسبة التي استغلتها ياسمين في النظر لي بلطفٍ..ثم همست و هي ترفع أحد
حاجبيها و كأنها كانت داخل أفكاري تشاطرنى إياها طوال الوقت ؛
_أظن بأنك فهمت سبب إعجابي الخاص بكما الآن !

نظرتُ لها في الوهلة الأولى بغير تركيز رغم أنني داخليًا كنت قادرة على فهم ما قصدته..لكنها لم
تميز سوى نظرتي..فقالت تهز كتفها و تزم فمها قليلًا ببساطة ؛
_منذ أن رأيتهما أول مرة في المتحف..و أنا أشعر بأنكما انعكاس جميل لي و له !
صمتت للحظة..قبل أن تقول بخفوت ؛

_و رؤيتكما سويًا بكل هذا الحب و الإخلاص الواضح بينكما..تجعلني متأملة بأن يعود طارق
أيضًا و نجتمع بنفس الطريقة في كل مرة !

حسنًا...هل هذه طريقة مبتكرة للتبرير أو للإعتذار ؟ لم أفهم ما عليّ فعله في هذه اللحظة..
أنا..سجى الفتاة اللطيفة المتسامحة و الهادئة..أجد في نفسي هذه الرغبة المجنونة الآن بالشجار بدون
سبب !

كنتُ لأفعل لولا بقايا من تعقلي..و الكثير من التعاطف الذي جعلني أمد يدي لألمس بها كتفها
مكررة نفس جملة لؤي قبل قليل..قبل أن ألتفت بعدها مباشرة متجهة إلى السيارة أيضًا بعد أن
شكرتها لمرة أخيرة..

صعدتُ إلى جانب لؤي الذي انطلق مباشرة..و طاف صمت بيننا شعرت بأنه سيمتد أكثر..إلا
أنني سمعت صوته يسألني بنبرة خادعة بعد ما يقارب الدقيقتين ؛
_لماذا شعرت بالسعادة بمجرد أن علمت بأنها مرتبطة ؟

كانت هناك ابتسامة شبه ملحوظة تلامس شفثيه..لكنه فقط ظل ينظر أمامه إلى الطريق
باعتيادية و كأنه قد ألقى مجرد سؤال عادي طرأ في ذهنه فجأة..تحركتُ بهدوء إلى أن استقمت أكثر في
طريقة جلوسي ناظرة له بتمعن..

لكنني تعمدتُ أن ألتزم الصمت مجبرة إياه على النظر لي باهتمام..و حينها فقط قلت أرفع
حاجبي قليلًا بنبرة ذات مغزى ؛

_أنت لا تريدني أن أجيبك على هذا السؤال..أليس كذلك ؟

رأيتُ كيف اتسعت ابتسامته بتأني شديد و هو ينقل عينيه بيني و بين الطريق حينما مرت
نفس الذكرى في عقله..ذكرى صباح اليوم... تصرفه مع هادي !
لقد كنتُ أشعر بالذهول الشديد ليس من تصرفاته غير اللائقة قليلًا مع هادي و شهد..بل
من حقيقة استوعبتها في تلك اللحظة بالذات..أن تصرفه في ذلك اليوم..اليوم الذي حضرنا فيه لعقد
قران هادي و شهد..

كان بدافع الغيرة فعلًا ! و هذا إدراك يجعلني أتساءل مجددًا..متى وقع في حُبي لؤي بالضبط ؟!
لم أشعر بتلك الابتسامة التي خطت شفاهي بتأني..ابتسامة مميزة بحق بينما يستعيد عقلي
موقف اليوم بكل تفاصيله..فبعد رحيل هادي و شهد بتلك الطريقة الغريبة..وجدتُ نفسي أتجمد
تمامًا للحظة أهدق فيها إلى الباب المغلق بعجز تام عن الاستيعاب !
قبل أن أرفع عيناى إلى لؤي الذي كان لا يزال يقف بجاني آنذاك..و للعجب فقد وجدته ينظر
لي مسبقًا بالفعل..و في عينيه المبتسمتين خلصة تحت نظرتة الحازمة لفحة من.....الظفر !

فتحتُ في و كأنني سأقول شيئاً ما.. لكنه قاطعني قبل حتى أن أنجح بنطق حرفٍ واحد حينما

مد ذراعيه ليطوق خصري بشكل مفاجئ أثناء هتافه بسعادة مطلقة ؛

_و أخيراً عدنا بمفردنا!

شعرتُ بابتسامته الكبيرة التي ملأت كل وجهه تتسرب إلى روحي.. لكنني رغم ذلك تعمدت أن لا

أظهر هذا على ملامحي.. فقد رسمت أكثر نظرة جادة استطعت أن أقابله بها.. ثم رفعت يداي بعدها

بتأني إلى أن لمست ياقة قميصه الأبيض و أمسكت بها بقوة بين أناملتي لأقربه منها قليلاً مني.. و سألت

بنفس الجدية ؛

_هل يمكنك أن تشرح لي ما حدث الآن بالضبط ؟

لم تتداعى ابتسامته لؤي من وجهه أبداً و هو يتأملني من ذلك القرب.. لا تزال يدها تلتفان من

حول خصري بقوة.. و قد راقته له على ما يبدو نظرة الجدية بملامحي.. و الطريقة التي كنت أمسكُ بها

ياقة قميصه..

حينها رأيتُ كيف انزلقت عيناه ليرمق بهما أناملتي بنظرة غير عابرة إطلاقاً.. ثم لم يلبث أن

أعاد أنظاره إلى عيني.. و أجاب رافعاً حاجبه بنبرة تشبه نبرتي إلى حد ما ؛

_الذي حدث يا سيدتي هو أنني.. منعت أخي المزعج من أن يحتضن زوجتي مجدداً.. أليس من

حقى ؟!

كان يتحدث بجدية حقيقية رغم الهدوء الذي يلفّ صوته.. لكن عيناى علقتا بتلك الابتسامة

البراقة بعينه.. ابتسامة متسلية و عاشقة في نفس الوقت.. لكنني رغم ذلك قلتُ ناظرة له بنفس

الجدية غير الحقيقية تماماً بينما أضغط على كل حرفٍ بتعمد ؛

_بلى ! لو أخبرتي بسبب مقنع !

شعرتُ بخفقات قلبي تختلج بقوة أمام تلك النظرة الجديدة التي احتلت عينيه.. نظرة أعمق

من السابقة بألف مرة.. و علمت.. قبل حتى أن يجيبني..

قبل حتى أن أشعر بأنفاسه تلفح بشرتي برقة حينما مال برأسه قليلاً ليهمس في جوف أذني

بنبرته التي لم تلبث أن لانت عن السابق و زادت سحراً و هو يشدد من ضغط ذراعيه من حولي إلى أن

أصبح يضمني الآن بالكامل.. بأن ما سيقوله... سيروقي تماماً!

_ربما لأنني أغار بشدة... مثلاً !

مثلاً ! لم أشعر بتلك الابتسامة التي استوطنت كل ملامحي لا مجرد عيناى الآن بسماع هذه الجملة..لكننى كبحتها بقوة من صوتى..و كبحتُ أنفاسى أيضاً من الارتفاع أكثر إثر هذا الالتحام الجميل بيننا..

شعرتُ بشفتيه الدافئتين تداعبان غمازة خدى بتلك الرقة اللا متناهية..فهمست حريصة على أن يخرج صوتى فى منتهى الثبات ؛

_حسناً..و ما الذى يضمن لك بأننى لن أفعل حينما لا تكون متواجداً بجانبى !
شعرتُ فجأة بتسمر جسده تماماً..قبل أن يبتعد قليلاً القدر الذى يخوله النظر فى عيناى..
نظر لى مقطباً حاجبيه بتوجس يكاد أن يكون حقيقياً..لكن أنا ماذا فعلت ؟ التزمت الصمت تماماً متمسكة بموقفى !

شعرتُ من نظراته لى بأنه يحاول التأكد فعلاً إن كنت سأرد أو لا..و ما إن فقد الأمل منى..
حتى كان يحركُ رأسه إلى الجهتين و كأنه يطرد فكرة مزعجة عن ذهنه ؛
_لا يمكنك أن تفعلنى بالطبع !

كنتُ لا أزال أمسكُ بياقة قميصه بين يداى..أنظر فى جوف عينيه من هذا القرب و أشعر بيديه على خصرى..و قد همست بينما أجاهد نفسى بصعوبة كى لا أحرر ابتسامتى أمام تعابيرهِ.....
اللطيفة جداً !

_كيف ستمنعنى ؟!

نظرة جديدة رمق بها لؤى حركة يداى..و تلك المرة ما إن عاد ينظر لى مجدداً..رأيتُ تلك الابتسامة التى عادت ترتسم ببطءٍ فى ملامحه..ابتسامة أخبرنى بها عن كم أننى أصبحت أبدو مكشوفة كلياً أمامه..

فلم أفعل أمامه أكثر من أن أطبقتُ فى أكثر مصرة على موقفى..بينما همس لؤى بتأنى ؛
_لن أمنعك..أنت من ستمنحىنى وعداً الآن بأنك لن تفعلنى !

رفعتُ حاجباى بدهشة و أنا أسمع هذه الجملة التى خرجت بصوتٍ واثق جداً من بين شفتيه..قبل أن أراجع قليلاً برأسى فقط مكررة باستنكار حقيقى...نسبياً!

_أعدك بأننى لن أضم هادى مجدداً ؟!! مستحيل !

شعرتُ بقلق حقيقى ينتابنى من النظرة الصارمة قليلاً التى ظهرت فى عينيه..نفس الصرامة التى برزت فى صوته و هو يقول ؛

_بلى..ستفعلين و الآن! هيا باشرى..أنا أسمعك !

الآن فقط... شعرتُ بابتسامتي تكاد أن تخونني و تنفلت مني.. لكنني فقط رفعتُ أحد حاجبائي
مردفة بنبرة لم أستطع احتواءها أبدًا فخرجت مشوبة بالكثير من التسلية التي كنت أشعر بها الآن
فعلًا ؛

_ أنت لا تقصد أن تقول -بادري- !

رأيتُ بعيناي الطريقة التي اتسعت بها عينا لؤي و كأنه لا يصدق التلميح ال...وقح قليلًا في
سؤالي ! و هو محق في الحقيقة..إن كنت أنا نفسي لا أصدق !
ثم قال يسمح لابتسامة جديدة بر اقة بأن تملأ عينيه و كأنه تناسى تمامًا موضوعنا السابق ؛
_بل قصدت ما فهمته أنت بالضبط أيتها المنحرفة !

ثم أضاف فورًا و هو يقترب مني قليلًا إلى أن ألصق جبهته بخاصتي..و بإحدى يديه اللتين كانتا
تطوقان خصري..شعرتُ به يبعد خصلة من شعري المنسدل بالكامل إلى خلف أذني ؛
_لكن في حال أردت أن تبادري بأي شيء.....

صمت للحظة...فرفعتُ حاجبي أكثر باهتمام رغم أنني لم أكن أنظر في عينيه الآن حرفيًا..بل
كنت أسدل رموشي قليلًا نحو الأسفل خاضعة لسحره..إلى أن سمعت صوته يتسلل إلى أذني يحمل
نفس نبرته السابقة ؛

_فأنا لست أمانع بالطبع !

ارتعاشة طفيفة لامست أناملي المتمسكة بياقته و أنا أرفعهما قليلًا لأحاط بهما برفق جانبي
عنقه..و خرج صوتي الخافت متحشرجًا بعض الشيء ؛
_مثلًا ؟!

صمت قصير قابلني لؤي به..ثم شعرتُ بأنفاسه تلفحني مجددًا أثناء همسه بتفكير مفتعل ؛
_اممممم..مثلًا..... !

كنا لا نزال نقف بنفس الوضعية و كأن العالم كله من حولنا تحول إلى فراغ..طرفتُ برموشي
ببطء..لكنني لم أرفع عيناي إلى لؤي إطلاقًا حتى حينما شعرتُ به يقترب مني أكثر..و كان هو من يبادر
الآن في منحي واحدة من قبلاته شديدة...الدفع و الجمال !

قبلة استجبتُ لها بكل جوارحي كما العادة..و ما كدت أستعيد توازن خفقات قلبي بعدها..
حتى سمعت صوته الحاني يهمس لي بذلك الصدق المألوف في نبرته ؛

_لا أحد في العالم يحق له بأن يضمك بين ذراعيه غيري أنا سجي..حتى و لو كان هادي..عديني
رجاء !

كنتُ لا أزال تحت تأثير اللحظة الساحرة السابقة.. فلم أستطع أن أجيبه لوقتٍ.. وأنا في الحقيقة لم أكن أريد أن أجيبه.. ليس لأنني لم أحب تلك المشاعر الجميلة التي احتوتها نبرته.. بل لأنني صدقاً.. أحب هادي و لا أريد أن أقطع مثل هذا الوعد !

فهمستُ متعمدة أن أغير منحي الموضوع ببساطة بعد لحظاتٍ طويلة من الصمت ؛
_علينا أن نجهز أنفسنا !

شعرتُ بالراحة و أنا أشعر بلؤي يبتعد قليلاً فقط و قد نجحت بتغيير مجرى تفكيره.. مؤقتاً على الأقل! سألني عاقداً حاجبيه قليلاً باهتمام ؛

_لماذا ؟ هل كنا نخطّط للذهاب إلى مكان ما اليوم ؟!

نظرتُ له باستغراب طفيف و أنا أجيب فوراً بعد أن نجحت بتمالك نفسي قليلاً ؛

_هل نسيت بهذه السرعة ؟!!

عكف لؤي حاجبيه أكثر و كأنه يحاول أن يفهم مغزى ما قلته بالضبط.. و قد نجح فعلاً.. فقد هتف و هو يفكّ تلك التقطية أخيراً و يرفع حاجبيه معاً ؛

_التمثال !!

ابتسامة صغيرة منحتها له.. ثم لم ألبث بعدها أن رفعتُ يدي لأحرّر وجهي من يديه لكن بدون أن أتركهما.. فقد بقيت متمسكة بهما للحظة أخرى..

و لم أتركهما أبداً حتى حينما ارتفعت قليلاً ببطءٍ إلى أن طبعتُ قبلة طويلة فوق ذقنه.. قبلة ابتسم لأجلها كطفل صغير يعامل بحنان لأول مرة.. قبل أن أهمس في أذنه بما خطر في ذهني فعلاً بنبرة شابهها شيءٌ من... الخجل !

_المرّة القادمة دعني أبادر أنا !

و قبل حتى أن أسمح له بالإستيعاب.. كنتُ قد انسحبت بهدوء متجهة إلى غرفتنا بمزاج رائع لأقصى حد.. تاركة لؤي متجمداً للحظاتٍ أخرى في نفس المكان بنفسِ ابتسامته البراقة الجميلة !

_حسناً.. لقد منحتك ما يكفي من الوقت للتفكير في الأمر.. ألن تمنحيني الوعد الآن ؟

صوت لؤي الذي ارتفع فجأة بهذا السؤال أخرجني من شرودي.. نظرتُ له بتشوش أولاً..

فرمقني بنظرة ذات مغزى و هو يكرّر بجدية ؛

_هل ظننتُ بأنني نسيت الأمر حقاً ؟!

هل كنتُ غبية جداً حينما ظننتُ بأنه نسي الأمر حقاً ؟ تهديت بتعب و أنا أتراجع برأسي أكثر

مستندة إلى طرف المقعد.. ثم همست الشيء الذي طرأ في ذهني فعلاً بنبرة تشبه نبرته ؛

_لكنك كنت تضميني قبل الزواج ؟ ألم تكن تفعل ؟!

الآن فقط..وجدتُ لؤي يتسمر تمامًا كمن تم حصره في زاوية مغلقة..لكنه سرعان ما استطاع

أن يتمالك نفسه..فنظر لي مجددًا مردفًا بنبرة غير مقنعة كثيرًا ؛

_هذا ليس عذرًا كافيًا !

كان هناك عبوس طفيف يحتل ملامحه..و بدا كطفل صغير يتذمر من لا شيء و هو يشيح

بأنظاره عني مجددًا و كأنها طريقة يخبرني بها عن كم أنه غاضب مني فعلاً..

رقت نظرة عيناى تمامًا..و لم أفعل أكثر من أن مددتُ يدي بهدوء إلى أن لمست بها إحدى يديه

التي على المقود..أمسكت بها بشدة مقربة إياها منى تاركة إياه يقود بيد واحدة فقط..و فوراً..رأيت

تلك النظرة العابسة تتداعى ببطءٍ بدون أن تختفي تمامًا..فقلتُ بخفوتٍ ؛

_حسنًا..سأمنحك وعدًا.....

لم أكد أنطق آخر حرف..حتى كان لؤي قد التفت إليّ بسرعة ناظرًا لي بلهفة..إلى أن قلتُ بتردد

و أنا أرفع يده تلقائيًا إلى أن فردتها فوق وجنتي بدون أن أفارقها ؛

_بأننى سأحاول أن ألا أضمه إلّا في المناسبات الكبيرة و الأعياد و.....حينما يستدعي الوضع

هذا !

الآن تداعت كل اللهفة من عينيه..و ما حل محلها كانت نظرة سخرية حقيقية قال بعدها

بدون أن يحاول أن يحرّر يده منى ؛

_حينما يستدعي الوضع هذا ! فعلاً..كم أن الأمر شاق عليك !

لم أتمالك نفسي حينها من أن أقول بتذمر يشبه التذمر الذي كان يكتسح نبرته قبل قليل ؛

_لا تفعل هذا لؤي ! أنت أكثر من يعلم ماذا يكون هادي بالنسبة لي !!

شعرتُ بأننى بالغت قليلًا في الوصف..خاصة حينما استدار إليّ برأسه مستنكرًا..و قبل حتى

أن أتمكن من التدارك بطريقة ما..كان لؤي يسبقني بأن هز رأسه متنهدًا بقلّة حيلة..ثم همس و هو

ينظر جانباً و كأنه يخاطب نفسه فقط ؛

_هذا هو لبّ المشكلة أساسًا !

لم أستطع أن أتمالك نفسي الآن من أن أحرّر ابتسامة جديدة كبيرة..ابتسامة لمحها لؤي

فلانت ملامحه قليلًا فقط أمامها..لكنه فقط ظل ملتزمًا الصمت تاركًا يده في يدي..بل و شعرتُ

بإبهامه يتحرك برقّة على وجنتي..

فهمستُ بمداعبة و أنا أتأمل جانب وجهه الوسيم ؛

_ لكنني سأفي بوعدتي حتمًا...لا تقلق !

و أخيرًا حرّرها ! شعور مألوف من السعادة اكتسحني لمجرد رؤية ذلك الطيف الجميل يرتسم في عينيه..و استغرقتُ ثوان أخرى في النظر له فقط..قبل أن أتهد أنا هذه المرة..و أقول حينما تذكرت شيئًا ما ؛

_ خذني إلى منزل العائلة..أريد رؤية خالتي !

نظر لي لؤي بدهشة أولًا..لكنه لم يلبث أن أومأ برأسه ببطءٍ و هو يترك يدي لكن لا لشيءٍ إلّا

ليحكم التمسك بالمقود و يغير اتجاه السيارة أثناء قوله ؛

_ حسنًا..و أنا أيضًا لدي بعض العمل..هل تحبين أن أعود لأقلك لاحقًا أو أترك سيارتي لك !

قلتُ بهدوء و أنا أستريح في طريقة جلوسي أكثر ؛

_ و لا واحدة منهما..أنت اذهب بسيارتك و أنا سأستقل سيارتي القديمة للعودة..

_متأكدة !

اكتفيتُ الآن بإيماءة و ابتسامة صغيرة..قبل أن ألتفت قليلًا لأستند بمرفقي إلى نافذة السيارة

مر اقبه حركة الطريق بهدوء..ثم بعد دقيقة تقريبًا..سمعت صوته المبتسم يسألني بخفوتٍ ؛

_ألن تسأليني عن ماهية هذا المكان الذي أذهب إليه بين كل فترة و أخرى ؟

تهيدة بلا صوتٍ حرّرتها و أنا أرد مبتسمة بدون أن أنظر له ؛

_لن أسأل !

ظننتُ بأنه سيكتفي بردي..لولا أن سمعت صوته يسأل باهتمام بعد ثانية واحدة ؛

_ألا ينتابك الفضول أبدًا ؟!

اتسعت ابتسامتي قليلًا و أنا أرفع أنظاري قليلًا لأرقى السماء الهادئة اليوم بنظرة شديدة

السكون..نفس السكون الذي استوطن نبرتي و أنا أجيبه بمنتهى الرقة و اللطف ؛

_لماذا قد أسأل عن شيء أعلم بأنك ستخبرني به بنفسك حينما يحين الوقت المناسب له !

تهبتُ بعدها بارتياح و أنا أغمض عيني للندسيم الخفيف الذي داعب حواسي برقعة..لكنني

عدت أفتحها باهتمام و أنا أسمع صوت لؤي الذي لا يبدو بأنه سيتوقف عن إلقاء الأسئلة اليوم ؛

_ألا يمكنك أن تخمني على الأقل ؟

شعرتُ بأنه يلعب طفلة صغيرة بهذا السؤال..ماذا عليّ أن أخمن بالضبط ؟ أنه عاد نسبيًا

للعمل في شركة والده المهملة منذ أشهر ؟! لأن هذا هو التخمين الوحيد المنطقي الذي يدور في عقلي !

لكن ماذا يفعل غير ذلك و لماذا لم يتحدث عن الأمر معي طيلة هذه المدة..بالطبع لا أعلم !

نظرتُ له مردفة بنفس الهدوء ؛

_ماذا سأخمن ؟ أنك قد عدت للعمل !

اختلج قلبي بشدة بتلك النظرة التي استوطنت عينيه لي.. نظرة شخص سمع للتو شيئاً قد راق له رغم أن ما قلته كان مجرد رد بديهي.. قبل أن يمد يده برفق إلى أن لمس وجنتي هذه المرة بنفسه..
و همس مباشرة بما جعل تلك الخفقات تختلج أكثر و كأنني أول مرة أسمع فيها هذه الكلمة ؛
_أنني أحبك بجنون !

صمت لوهلة قصيرة جداً.. قبل أن يضيف ببطءٍ مستغلاً كون الطريق أمامنا فارغ تماماً الآن و
منشغلاً بي عنه لثواني معدودة ؛

_و أن أيّ شيء أفعله.. أو سأفعله في هذه الحياة.. سيكون من أجلكِ حتماً !
ماذا عساي أن أقول الآن كرد على هذا ؟ صمت تام طاف بيننا من طرفي.. شعرتُ خلاله بلمعة قوية تحتقن بعيناي.. و حاولت بعدها.. حاولت أن أفتح فمي لأرد..
لكنني عجزتُ تماماً.. فاكثفت بأن رفعت يدي لأمسك يده التي على وجنتي و أنزلها برفق إلى أن طبعت قبلة طويلة في باطنها.. قبل امتنان.. و احترام.. و حُب شديد !
توقفت السيارة بعدها مباشرة.. فنظرتُ حولي لأستوعب بأننا قد وصلنا إلى القصر فعلاً !!
شعور طفيف من الندم انتابني.. و جعلني أرغب بأن أراجع الآن عن لقاء خالتي فقط لأبقى معه
لدقائق أخرى بعد !

لكنني فقط... تنهدتُ و أنا أحرر يده على مضض.. قبل أن ألتفت هامة بفتح الباب.. لكن لؤي أوقفني ؛

_سجى !

نظرتُ له تلقائياً باهتمام.. فقال بجدية رغم ابتسامته المتألقة في عينيه ؛

_سأعود لأقلك إلى المنزل !

هل كنتُ أستطيع أن أرفض ؟ تحرك رأسي بشكل تلقائي مانحة إياه إيماءة أخيرة.. قبل أن أفتح الباب و أترجل بهدوء متجهة مباشرة إلى الباب الكبير بينما أسمع صوت انطلاق السيارة بسرعة من خلفي..

حينما خطوتُ أول خطوة بداخل القصر الكبير.. كان آخر ما توقعته.. رؤية زوج خالتي في

الحديقة !

لقد كان يقف في الحديقة فعلاً..و الاغرب من هذا أنه كان يقف بجانب الأشجار المنتشرة هنا
و هناك يحمل في يده سكين زراعة كبيرة و يقطع الأوراق الزائدة على ما يبدو !
لم أكن أقف في زاوية تسمح لي برؤية ملامحه..لكن كل شيء به..من طريقة وقوفه إلى كتفيه
المتهدلين..ثيابه المنزلية السوداء..كان يوحي بهيئة رجل سلم كل حصونه لأحكام القدر أخيراً بعد حروب
و صراعات خاضها معه و باءت بالفشل !

لم يستغرق تحديقي به أكثر من ثلاث ثوانٍ..قبل أن أرفع يدي لأشد طرفي سترتي البيضاء
الخفيفة نسبياً و الطويلة بعض الشيء و أتقدم أكثر باتجاه الباب الداخلي هامة بالدخول بدون أن
ألقي التحية عليه حتى..

فأنا في الحقيقة...كما هو معلوم..لا شيء أكره إليّ من النظر لوجهه و التحدث إليه !
كان الباب الداخلي للمنزل مفتوحاً اليوم بالفعل..فدفعته برفق و اقتربتُ من السلالم مباشرة
متأكدة بأن خالتي ستكون في غرفتها..صعدتها بسرعة إلى أن توقفت أمام باب غرفتها أطرق الباب
بخفوتٍ حتى و أنا متأكدة من أنها لن تجيبني..

و هذا ما حدث بالفعل..فتهدتُ مطوّلاً و أنا أمد يدي إلى المقبض الصغير لأفتحه و أتقدم
نحو الداخل بهدوء..لم تكن خالتي نائمة اليوم كالمرّة السابقة..و لم تكن مستلقية في سريرها حتى..بل
رأيته مباشرة بعد دخولي تجلس في الأريكة الصوفية الناعمة بجانب النافذة..
كنتُ لا أستطيع أن أرى منها إلّا جانب وجهها الشارد الشاحب..أغلقت الباب بهدوء قبل أن
أقترب منها إلى أن جلست على الأريكة الصغيرة في مقابلتها..لكنها لم تنظر لي كما العادة..هي حتى لم
تتحرك من مكانها أو تغير وضعيتها و كأنها لم تلاحظ تواجدي أساساً..
شعرتُ بذلك الحزن المألوف يكتسح قلبي من أجلها..و إن كنتم ستتساءلون مجدداً..فنعم..
لقد كنت لا أزال أستطيع الشعور بالحزن عليها حتى بعد كل ما كان..

و بعد كل ما عرفته من شهد عنها!

لقد منحته ذات مرة وصف أُمّي الثانية..و الإنسان لا يستطيع أن يتوقف عن حُب والديه أو
يتجرد من انتماءه لهما مهما حدث !

لقد كانت تعلم بوجودي..و ربما تكون أيضاً قد لمحت مجيئي من النافذة التي تطل منها على
الحديقة حيث كان يقف زوجها..لكنها لم تتحدث..و لا أنا فعلت..لأنني ببساطة لم أجد كلمة أقولها..

هل أعاتبها على شيء حدث و انتهى ؟ أم فقط أظواهر بأن أي شيء لم يحدث و أكتفي بتأملها
و تبادل بعض الحوارات من طرف واحد !! لكنني أتيتُ إلى هنا أساسًا حاملة معي رغبة حقيقية
بالتحدث عن ما حدث !

صمت طويل طاف المكان الساكن بشكل مربع أساسًا.. و وجدتُ نفسي أتهد بخفوتٍ و أنا
ألتفت إلى النافذة مشاركة إياها تأمل اللا شيء لوقتٍ لم أحسب عدده.. كنت أحاول أن أجد طريقة
أفتح الموضوع بها.. أردت أن أخبرها كما عزمت بأنني أصبحت أعرف كل شيء !
و في نفس الوقت أردتُ أن أطمئن عليها.. أردت أن أسمع صوتها بشدة بعد أشهر عديدة من
صمتٍ كئيب مثير للشفقة !

لكنها فقط... ظلت صامته.. فابتلعت ريتي ببطءٍ و أنا أنقل أنظاري إليها مجددًا.. ثم فعلت
الشيء الصائب الذي يجب أن أفعله الآن.. مددت يدي بهدوء إلى أن لمست بها يدها الملقاة على قائم
الأريكة.. و همست بخفوتٍ ؛
_كيف حالك اليوم ؟

نفس السؤال الذي أطرحه في كل مرة بعد مجيئي بصيغة مختلفة ! قابلني صمت جديد متوقع
منها.. و قد ظننتُ كما العادة بأن هذا الصمت سيمتد طويلًا ربما إلى أن أحثها بنفسي بطريقة ما على
التحدث..

لكنني تفاجئتُ بها بعد وقتٍ طويل جدًا من إلقائي لسؤالي.. تفتح فمها أخيرًا لتهمس بدون أن
تلتفت إليّ بصوتها الذي لم أسمعه منذ وقتٍ طويل.. بنبرة لا تعابير محدّدة فيها ؛
_لقد بدأ يفقد عقله.. هل تعلمين ؟

عقدتُ حاجبائي قليلًا بحيرة غلبت دهشتي.. و لم أستطع أن أفهم في البداية مغزى كلامها.. قبل
أن أرمش ببطءٍ و ألتفت لأنظر إلى حيث تحديق هي منذ أن أتيت.. و قد كانت تقصد... زوجها ؟!
نظرتُ لها بتشوش كبير و أنا أنتظر منها أن تتحدث أكثر.. هل هي تقصد زوجها حقًا ؟!
و قد تحدثت فعلاً.. بل فعلت ما لم أتوقعه منها.. التفتت إليّ برأسها ببطءٍ إلى أن نظرت في
عيناي مباشرة لأول مرة حرفيًا بعد وقتٍ طويل..

لكن تعابيرها ظلت كما هي.. فارغة.. فارغة تمامًا.. حينما همست بنفسِ النبرة بدون أن تصدر
منها أي ردة فعل على يدي المحتضنة ليدها فوق حاجز الأريكة ؛
_لقد بدأت تصرفاته تصبح غريبة جدًا خلال الأيام الماضية !

تقطيعة صغيرة جدًا ظهرت بين حاجبيها و هي تردّد بنفسِ نبرتها الغريبة بحيرة ؛

_ أم أنها كانت غريبة من قبل ؟!

لمعة قوية شعرتُ بها تحتل عينايا..مجرد لمعة حزن بسيطة بدون أي أثر للدموع..و التزمت الصّمت التام أمامها للحظاتٍ تناسيت فيها السبب الحقيقي الذي جئت لأجله..
لكن شيئاً ما ارتعش في عينايا و أنا أراقب بنفسي بؤبؤ عيني خالتي و هو يتحرك متجولة بهما بين كل إنشٍ في وجهي..لحظات من التجول لم تلبث فيها عيناها الميئتان أن اكتسبتا بعض المشاعر الإنسانية !

ثم فجأة..همست مغيرة كل منحي الموضوع و هي مستمرة في التجول بعينها اللتين لامستهما لفحة من الأسى بين كل ملامحي ؛

_ لقد أخبرتك بالحقيقة..أليس كذلك ؟ هل قرأت الرسائل أيضاً ؟!

لمحتُ في نبرتها شيئاً من....القلق !

فلم أعرف إن كان عليّ أن أفرح قليلاً لفكرة أن خالتي بدأت تستعيد وعيها بالحياة قليلاً..أو أحزن أكثر لكل تلك الحقائق المؤلمة التي ظلت تخفيها عني و عن شهد طيلة سنوات !
لكنني في جميع الأحوال..لم أستطع أن لا أحرك رأسي بترددٍ مجيبة على تساؤلاتها..و حينها مباشرة..رأيتُ كيف طرفت خالتي برموشها و هي تتراجع قليلاً في مقعدها محررة نفساً متشنجاً !
و بدا من التعبير الذي احتل ملامحها بعدها..بأنها كانت تتوقع هذا أساساً..لكن ما لم تتوقعه ربما..أنني قد أكون جالسة هنا في هذا المكان..أمسكُ بيدها و أنظر لها بهذا الأسى بعد كل ما كان !
حتى أنها أخفضت عينها قليلاً لترمق بهما يدي التي تغطي يدها..ثم زمت فمها و كأنها تكتم رغبة غريبة بالبكاء..أو رغبة أغرب منها.....بطلب الصفح !

قبل أن تنظر لي مجدداً..و تهمس بصوتها الذي تهدج الشيء الوحيد الذي استطاعت أن

تقوله في هذا الوضع على ما يبدو !

_إذا.....

لم أفهم مغزى هذا الحرف الذي نطقته..لكنها استأنفت فوراً بترددٍ ظهر في عينها و يدها التي تململت قليلاً تحت يدي ؛

_ هل أصبحت تكرهيني أنتِ أيضاً ؟!

تسلل هذا السؤال منها إلى قلبي كسهم جارح قيح في عقلي ذكرى يفترض بأنني نسيتهما الآن !

المنظرة الأخيرة التي دارت بيننا ذلك اليوم قبل رحيلي أنا و لؤي !!

لم تكن تلك مجرد نظرة..كانت كلمات و أحرف عميقة دارت بيننا..لقد كانت خالتي تتوسلني
الصفح على شيء حدث لي و تدرك كل الإدراك بأن لها دخل غير مباشر به و إن لم تكن تقصد !
و إن كانت تحبني بشدة و تكره أذيتي فقد...أذتني !

لم يكن سؤالها يتعلق بحقيقة الرسائل فقط..بل كانت تقصد به كل فعل قديم قامت به و
تسبب بأذيتي ! لقد كانت خالتي تخشى من أن أتخلى عنها كآخر قشة أمل متبقية لديها !
و هذه الفكرة لوحدها..جعلت تلك اللمعة في عيناى تصبح أقوى و أبرز..لكنني فقط أومأتُ
برأسي بالنفي و أنا أطبق فهي محاولة بشتى الطرق أن أكبح أنفاسي أيضاً من التسارع إلى درجة البكاء
على أشياء مضت !

لكن خالتي لم تكن بالقوة الكافية لتمنع نفسها على ما يبدو..فر أيتُ بعيناى تلك الدمعة التي
انزلقت من عيناى اليمنى ببطءٍ..دمعة حقيقية حزينة و مؤلمة جداً..
ثم عادت تسألني بنبرتها التي زادت تحشرجاً..ألقت السؤال الذي كان عالقاً بيننا منذ وقتٍ
طويل طويل بدون أن تتجرأ على تحريره ؛
_هل ستسامحيني يوماً ؟!

دمعة وحيدة شعرتُ بها تنزلق من عيني اليمنى..و لم أستطع أن أكبحها إطلاقاً مهما حاولت..
ثم خرج صوتي للمرة الأولى اليوم متحشرجاً كصوتها ؛
_لقد سامحتك مسبقاً خالتي..منذ وقتٍ طويل فعلاً !

لقد سامحتك تحديداً منذ أن وقفت أمام سريركِ الطيب أتأملكِ كجثة هزيلة ملقاة على قارعة
الزمن..لقد حاولتُ ألا أسامحك..لكن صورتى الصغيرة أذرف الدموع بين ذراعيكِ وقفت حائلاً بيني و
بين كل محاولاتي لأن أكرهكِ !

لقد سامحتكِ خالتي..ليس لأنكِ خالتي...بل لأنكِ أُمى الثانية !!
زمت خالتي فمها بقوة و هي تذرف الدموع أكثر و أكثر..و شعرتُ من نظراتها لي..و من الطريقة
التي رمقت بها يدي للمرة الثانية..بأنها تكتم رغبة أقوى من رغبتها في سماع الصفح مني بأن...تضمني !
لكنها فقط..ظلت جالسة بنفس الوضع..ثم همست لي تحاول أن يخرج صوتها أشد وضوحاً..
لكنه خرج متهدجاً بطريقة جعلتني أنا الأخرى راغبة في احتضانها..هكذا فقط...بدون سبب !
أو ربما لعدة أسباب أولها...أن هذه المرة الأولى حرفياً بعد وقتٍ طويل جداً..التي أراها
تبكي فيها !

_هل سامحتني حقاً ؟ ليس على هذا فقط..بل على كل شيء قبلها و بعدها !

هل تقصد بكلمة -قبلها- معاملتها الجافة أحياناً و انشغالها الدائم و تجاهلها لتصرفات ابنها
البكر ضدي ؟ و بكلمة -بعدها- حقيقة الرسائل التي جمعتني بشهد و جعلتني أختاً حقيقية لشخص
ما !

إذا كان هذا هو ما تقصده فعلاً فأنا أود أن أقول بأن كل أفعالها السابقة بحقي..سواء قبلها
أو بعدها..لا يمكن أن تقارن أبداً بقدر الأذى الذي تعرضتُ له بسبب ابنها سابقاً و سامحتها عليه
الآن !

لهذا فقط..لم أحاول منع تلك النظرة الساخرة قليلاً التي لفحت عيناى..ثم و بدون أن أتردد
كثيراً..أومأت برأسي ببطءٍ و أنا أهمس لها بتحشرج ؛
_ماذا تتوقعين مني غير هذا ؟!

لقد كنتُ أذكرها بحقيقة هذا الرباط الذي يربطني بها..و الذي يجعلني غير قادرة إطلاقاً مهما
حاولتُ على حذفها من حياتي أو التخلي عنها..كما أخبرها بطريقة غير مباشرة عن كم أني أحببتها
دائماً..و أعترف لها أيضاً مع بالغ الأسف لشهد و لنفسي أيضاً..بأنها دائماً ستكون متواجدة بحياتي..
هذا أمر لا أملكُ أمر تغييره !

و يبدو بأنها قرأت كل ما أردتُ قوله لها من عيناى..فلم تنفك عيناها عن ذرف الدموع أكثر..
كما لم تنفك هي عن النظر لي بتلك الطريقة و كأنها تطلب مني الصفح مراراً..و تؤكد لي بألم..بأنها
نادمة فعلاً على كل ما مضى..

و بأنها اليوم..وصلت إلى نهاية طريق لم تعد تتمنى فيه سوى أن تعيش بسلام بينها و بين
نفسها!

ثم بعد لحظاتٍ أخرى من الصمت..شعرتُ بيدها تتحركُ ببطءٍ تحت يدي..لكن لا لشيءٍ إلا
لتنمسكَ بها بقوة..ثم تحركت بجسدها الهزيل الذي كانت تلقه بوشاح أبيض قطني فوق فستانها
الذي يحمل نفس اللون..و اقتربت مني بنفسها لتجذبني إلى حضنها معانقة بقوة !
ضمتني بقوة إلى درجة لم أستوعبها أولاً..حتى أنني كدتُ أن أقع من على الأريكة لولا أن
المسافة بين مكاني و مكانها كانت قصيرة جداً..سمعتُ صوت بكاءها يرتفع أكثر و أكثر و هي تدسّ
أنفاسها في كتفي و تشدد من احتضاني...

كمن يحتضن آخر قشة أمل متبقية لديه بالفعل ! بل آخر وميض ضوء متأمل أن يخرج من
قوقعة عميقة الظلام !!

و حينها فقط...على إثر ذلك الصوت الذي ألمني بشدة..أغمضتُ عيناى بقوة على عبارتي
جديدة و أنا أرفع يداى لأبادلها هذا العناق بقوة تكاد أن تكون مماثلة لقوتها..
لم أتوقع يوماً بأننى سأعيش لحظة كهذه..أن أضم خالى بهذا الشكل بينما أسمع صوت
بكاءها بهذه القوة و أشاركها إياه..لكن الحياة أثبتت لى دائماً بأن ليس كل ما نتوقعه وارد الحدوث !
لم أعلم كم استغرق هذا العناق..و لم أهتم بأن أحسب عدده..أنا فقط أطبقتُ عيناى أكثر
فى كل مرة شعرت فيها بذراعى خالى تشدان من حولى و صوت بكاءها يصبح أشد وهناً بمرور
اللحظات..

إلى أن شعرتُ بها هى من تخفّف ضغط ذراعىها من حولى..حرّرتنى بتردد لكنها لم تبتعد رغم
ذلك..فقد ظلت قريبة منى بينما ترفع يديها لتطوق وجهى مدققة النظر بى..و بوضعى الذى يبدو
أفضل بدرجاتٍ لا تحصى من آخر مرة قابلتني بها فعلاً حينما كانت بوعىها..
ثم همست بلهفة و هى تحركُ أناملها على وجهى المبلل بنفسى اللهفة ؛
_هل أنتِ بخير فعلاً ؟ هل أنتِ سعيدة مع لؤى ؟!
لؤى ! شعرتُ بالابتسامة تخوننى تلقائياً و تشق ملامحى من بين الدموع التى تغرقه بمجرد ذكر
اسمه أمامى..و همست أجيبها فوراً بحرارة الشىء الأول الذى خطر فى ذهنى ؛
_أنا و لؤى...نحب بعضنا جداً !

طيف غريب من ابتسامة مفقودة رأيته يرتسم فى عيني خالى بمجرد سماعها لهذا الرد..رغم
أنها لم تكن فى حاجة لسماعه فعلاً للتأكد فنظرة عيناى بمجرد سماع سؤالها أكثر من كافية للإقناع !
لكن الابتسامة لم تكتمل كما تمنيت..بل فقط تنهدت براحة و هى تقترب منى قليلاً إلى أن
طبعت قبلة طويلة فوق جبيني..قبلة أغمضتُ لها عيناى و أنا أرفع يداى لألمس يديها المطوقتين
لوجهى..

إلى أن ابتعدت قليلاً محرّرة وجهى..قبل أن تخفض يديها لتقبض على يداى الاثنتين بين يديها
الآن..ثم ظلت تطرق برأسها قليلاً بينما تجلس على حافة الأريكة مثلى..ظلت ترأقب تلك الحركة
بملامح بالكاد بدأت تستعيد هدوءها بعد انهيار غريب..
ثم فجأة..ارتفع صوتها قليلاً بكلمتين مختصرتين ؛
_شياء آخر !

نظرتُ لها باهتمام و أنا أنتظرها أن تقول ما تود قوله..لكنها أبقت رأسها منخفضاً لعدة ثوانٍ
أخرى..قبل أن ترفعه قليلاً لتقابل عيناى القريبتين..و تهمس بثبات رغم صوتها المختنق ؛

_أريدك أن تتولي مسؤولية الدار في مكاني !

مهلاً..هل تقصد دار الايتام التي عاشت فيها شهد ؟! شعرتُ بنفسي عاجزة عن استيعاب ما
تطلبه مني للحظاتٍ..فقطبت حاجباي ناظرة لها بتشوش و كأنني أنتظر منها أن تخبرني بأنها تمزح !
لكنني أعلم بأنها لا تمزح ! كما أنني...لا أشعر بنفسي مستعدة إطلاقاً لأن أتولى مسؤولية كهذه
! و الآن خاصة بينما عادت حياتي لتستقيم و عدت لأمارسها بطبيعية !

لا أستطيع أن أستلم مسؤولية كهذه ليس لكوني لا أحب الأطفال..بل لأنني قبل يوم واحد
فقط تعرفتُ على فرد من عائلتي..هذا الفرد الذي عاش كل حياته في ذلك المكان و عانى كل أنواع
الظلم و الاستبداد ليس من طرف خالتي فقط..

بل من طرف كل موظف و مشرف هناك !

و أنا لا أعلم حتى إن كنتُ سأستطيع تحمل مسؤولية كبيرة كهذه..فالأمر لا يشبه زيارة الميتم
بين فترة و أخرى و التبرع للأطفال و اللعب معهم !

ماذا لو ظلمتُ أحدهم يوماً ما بدون قصد ؟ ماذا لو تأذى أحدهم بسبي ؟ أو أن يعيشوا ما
عاشته شهد فتضطر إحداهن للزواج خوفاً من البقاء في الشارع !!!

فتحتُ في عدة مراتٍ و أنا أحاول أن أجد إجابة مناسبة..لكنني عجزت في كل مرة..و حينها
فقط ما إن لاحظت خالتي محاولاتي الفاشلة للرد..قالت تنظر في عيناى بنفس النبوة ؛
_لا تردي فوراً..فكري لبضعة أيام أولاً ثم قرري..

تهددتُ بإرهاق و أنا أنظر لها نظرة مفادها..هذا لن يجدي يا خالتي !
لكن خالتي بدت مصرة على رأيها..بل و همست بنظراتٍ لانت أكثر و هي تتمسكُ بيدي أكثر و
كأنها تخبرني بطريقة غير مباشرة عن كم أنها تفهمني !

_أنا أعرف ما خطر في بالك الآن..أعلم تحديداً الشيء الذي يخيفك.....

صمتت لوهلة قصيرة..ثم حررت إحدى يدي لتمد يدها إلى أن فردتها فوق وجنتي برفق..و
همست بصدق رغم النظرة العميقة التي ظهرت في عينيها ؛

_لكنني أثق بك بشدة..و أعلم بأنك قادرة على تحمل هذه المسؤولية بشكل أفضل مني بكثير !
لم أستطع أن أجيبها بكلمة..فاكتفيت بالصمت أمامها بينما عقلي يضح بأفكار كلها تقودني
لنفس النقطة..أنني لست مستعدة لتحمل مسؤولية كهذه !

و من بين كل تلك الأفكار المتضاربة..شعرتُ بخالتي تسحبني إلى حضنها مجدداً..هذه المرة

ضممتني برفق بينما تهمس بأمل ؛

فكري جيداً و أعلميني بقرارك أي كان !

كنتُ أستند بذقني على كتف خالتي بينما أضمها برفق..لكن عيناى وقعتا أثناء ذلك على مجموعة الصور المتراصة فوق المنضدة القريبة..صور لكل أفراد هذا البيت الذين كانوا يشكلون عائلة ذات يوم بعيد !

تجولتُ بعيناى بين كل الصور..من صورة خالتي برفقة زوجها..إلى الصورة الكبيرة نسبياً التي تجمعنا أنا و لؤي و هادي و...شهاب للأسف! و التي تم التقاطها قبل ما يقارب التسعة عشر سنة !! قبل أن يرتسم شبح ابتسامة باهتة لا معنى لها فوق شفثاى حينما مرت خاطرة ما فى ذهنى..هل يمكن لى و أنا و لؤي و هادي و شهد أن نحصل على منضدة كهذه فى يوم ما ؟ منضدة حقيقية و صور حقيقية لعائلة...حقيقية مئة بالمئة !

شعرتُ بابتسامتى تتسع قليلاً و أنا أتخيل تلك الحياة فعلاً..قبل أن أتهد بخفوتٍ و أغمض عيناى مستدعية بعض السلام..لكننى لم أعلم بأن ذلك السلام قد يتبدد مجدداً بعد لحظاتٍ و فى نفس البيت !

فما إن غادرتُ الغرفة و القصر بأكمله مارة بالحديقة الكبيرة..وقعت عيناى على زوج خالتي مجدداً..كان لا يزال يقف فى نفس المكان..يقوم بنفس الشيء و كأنما لم تمر دقيقة واحدة على مجيئى..و كما فعلت سابقاً فقد توقفت للحظة واحدة أنظر فيها إليه بدون تعابير حينما استعداد عقلى جملة قالتها خالتي ؛

" لقد بدأ يفقد عقله..هل تعلمين ؟! "

رعشة طفيفة لامست قلبي و أنا أحاول أن أربط ما قالتة فعلاً بذلك الرجل هناك..ثم لم ألبث أن حركتُ رأسى بلا فائدة و أنا أدسّ يدي فى حقيبتي الصغيرة لأخرج هاتفى و أكتب رسالة للوئى ؛

" لقد انتهيت..هل ستأتى ؟ "

تحركتُ بعدها أهم بإكمال طريقي إلى الباب الكبير حيث يقف الحارسين كل منهما فى جانب معين..و قد كنت على وشك الوصول إلى الباب بالفعل..لكننى تجمدت تماماً على نظرة فاقت حدود الدهول و أنا أسمع اسمى ينادى بصوته ! هل نادانى حقاً ؟!!

طرفتُ برموشى ببطءٍ و أنا أحاول أن أستوعب ما إن كنت قد سمعت اسمى أو لا..حسنًا ما الفرق ؟ حركتُ رأسى للمرة الثانية و أنا أتقدم أكثر عازمة على إكمال طريقي مجدداً..لكننى... مجدداً..وجدت نفسى أتوقف مجبرة و أنا أسمع صوته للمرة الثانية !

ذلك الصوت الذي كان يدب في قلبي القلق كلما سمعته في الماضي ليس خوفًا إنما كرهًا و

حذرًا..كان ينادي اسمي الآن ب...بشيء من السلم !

سمعتُ بعدها مباشرة صوت خطواتٍ هادئةٍ تقترب مني ببطءٍ..فزفرت نفسًا عنيقًا و أنا

أغمضُ عيناى بقوة متسائلة عن السبب الذي يجعلني لا أزال واقفة هكذا !

إلى أن توقفت الخطوات ورائي تمامًا..و وجدتُ نفسي أتهجد بتعب..قبل أن أفتح عيناى مجددًا

و أستدير على مضض إلى أن قابلت ذلك الوجه الذي أكره للمرة الثانية على التوالي بعد وفاة رجل

دنيء اسمه شهاب !

نظرتُ له بملامح فارغة منتظرة أن أسمع ما في جعبته..رغم أنني داخلًا كنت أشعر برهبة

قوية و أنا أرى لأول مرة عن قرب أخاديد الزمن و الألم التي شقت ذلك الوجه حتى كدت أجزم بأنه

خلق بها !

و أستعيد مجددًا كلام خالتي قبل قليل عنه !

و فكرتُ ببني و بين نفسي..كم كنت سأشعر بالشفقة على هذا الرجل لولا معرفتي القديمة

الوطيدة به !

لم أنطق بكلمة واحدة..لا تحية و لا سؤال..بقيتُ فقط واقفة مكاني أنتظر سماع صوته

ليفسر لي سبب هذا النداء الغريب..لكنه لم يتكلم أيضًا لوقتٍ طويل..فقد كان يبدو كشخصٍ ضائع

تمامًا..

حتى أن عينيه زائغتي النظرات لم تلتقيا بعيناى مباشرة إلا لمدة ثوانٍ معدودة ثم كان يشيح

بهما ناظرًا بفراغ إلى ما حولنا..أو إلى اللا شيء حرفيًا..

هل فقد عقله حقًا ؟!

إلى أن عاد ينظر لي مجددًا..و همس بعينيه و صوته الضائع آخر شيء توقعته ؛

_كيف حالك ؟ هل أنت بخير اليوم ؟!

تراجع رأسي قليلًا إلى الوراء و أنا أشعر بنفس الدهول السابق يحتل ملامحي..لكنه بدا جادًا

في سؤاله بالفعل.. حتى أنني رأيتُ تقطبية صغيرة تتشكل بين حاجبيه و هو ينظر لي كمن ينتظر بل و

يتوقع إجابة مني !

أطبقتُ فهي قليلًا محدقة به برهبة لم تلبث أن تضاعفت أكثر..ثم ابتلعت ريتي ببطء..و

همست بصوتٍ متلعثم و أنا أنقل عيناى بين كل ملامحه و كأنني أحاول أن أفهم ما يحدث فعلاً..

_ب...بخير !

و فقط..عدتُ لأزِم في و أنا أتمنى من أعماقي أن لا يضيف أيّ كلمة..أو حتى أن يلتفت عائداً
إلى ما كان يفعله سامحاً لي بالهرب من هذا الوضع الغريب..
فأنا استهلكت من المشاعر ما يكفي لهذا اليوم !
لكنه لم يفعل أيّ منها..فقد ظل فقط يحدق بي للحظاتٍ أخرى بعينين متباعدتين جداً..و
هذه المرة كان صمته أطول و كأن عقله قد غاص في دواماتٍ لا تحصي..
إلى أن نظر لي مجدداً..نظر لي عاقداً حاجبيه بتمعن كشخصٍ لا يعي ما يدور حوله إطلاقاً..ثم
فتح فمه لعدة مراتٍ و كأنه سيقول شيئاً ما..لكنه كان يعود ليغلقه عاجزاً في كل مرة..
و ما إن استطاع التحدث..حتى سمعتُ صوته المكلل بنفس الحيرة يتسلل إلى أذني خافتاً
جداً..هادئاً جداً ؛

_و لؤي ؟ لم أره منذ وقتٍ طويل ؟ هل قابلته مؤخراً ؟!
لم أفهم أيّ شيءٍ من سؤاله الأخير..ماذا يقصد ب-هل قابلته مؤخراً ؟!- هل هذه محاولة غريبة
من هذا الرجل للسخرية مني أم أنه...بدأ يفقد عقله بالفعل !
شعرتُ بغصة غريبة تخنق حنجرتي..فابتلعت ريقى بصعوبة هذه المرة و أنا أقول بحذر بالغ ؛
_إنه...بخير تماماً..لقد أتى قبل أسبوعين لرؤية خالتي..ألم تلتقي به ؟!
الآن فقط...رأيتُ بعض التعابير الطبيعية تحتل ملامحه..فقد فغر فمه للحظة مندهشاً من
ما قلته..ثم لم يلبث أن هز رأسه بالنفي ببطءٍ و هو يعود ليشرذ بنظراته بعيداً عني بطريقته
الغريبة..

حينها و ما إن وجدته صامتاً..همستُ أستغل هذا الصمت و أنا أشعر بنفسى غير قادرة بعد
على الوقوف هنا و النظر لهذه النسخة المثيرة للشفقة من هذا الرجل !
_أنا..أتيت لأرى خالتي فقط..سأذهب الآن..
التفتُ بعدها مباشرة لأغادر قبل حتى أن أسمع إجابته..لولا أن.....
_لحظة !!

زفرتُ بعذاب و أنا أسقط رأسي قليلاً إلى الأسفل بينما ألمس بيدي الباب الكبير..ما الذي
دهاني لأجيء اليوم تحديداً إلى هذا المنزل ؟!
أرغمتُ نفسي بالقوة على أن ألتفت إليه من مكاني الذي يبعد عنه بخطوتين..عازمة على
الرحيل فوراً في حال سمعت منه سؤالاً مشابهاً..لكن ما سمعته منه..جعلني أتجمد تماماً في مكاني
شاعرة برعب حقيقي يدب في أوصالي !

_كنت أريد أن أسألك عن شهاب أيضاً ! لقد كنت أنتظره منذ فترة طويلة ليعود لكنه لم

يظهر.....

شعرتُ بأنني غير قادرة على التنفس بعد...حتى أنني تراجعت قليلاً خطوة نحو الوراء بدون أن

أشعر..و بقيت أنظر له بعينين متسعيتين صدمة..

لكنه فقط..أضاف بنبرة جادة لونها حزن.....حقيقي!

_لقد فكرت في احتمال أنه ربما يكون قد اتصل بك ؟!

لقد فقد عقله فعلاً !!!

_هل اتصل بك ؟!

سأل مجدداً ناظراً لي بأمل جعل من عيناى المرهقتين أساساً بعد نوبة بكاء تتسعان أكثر..و

حاولتُ بشدة..أن أتمالكَ نفسي لأرد بأي شيء..فهذا الرجل الذي يقف أمامي..ليس نفس الرجل الذي

عرفته و عشت تحت سقف واحد معه منذ طفولتي !!

لكنني عجزتُ تماماً..و كل ما استطعت فعله..أن أحرك رأسي ببطءٍ شاعرة ببعض الدوار

يلفني..حينها رأيت شعوراً حقيقياً من الإحباط يحتل ملامحه..قبل أن أزفر نفساً متحشراً بشدة..و

أستدير مجدداً عازمة على الهرب..

و لحسن حظي هذه المرة..فقد استطعتُ الهرب فعلاً قبل أن يمنعي مجدداً..حررت أنفاسي

المختنقة بقوة ما إن تخطيت الباب الكبير..ثم نظرت حولي باحثة عن سيارة لؤي..

لكنه لم يكن قد وصل بعد للأسف..فأخرجتُ هاتفي مجدداً لأتأكد إن كان قد قرأ الرسالة أم

لا..تهمدت بارتياح و أنا أقرأ الرد القصير الذي وصلني منه و الذي يؤكد لي فيه بأنه على وشك

الوصول..

أعدتُ الهاتف إلى مكانه..و توقفت عاقدة ذراعاى أنتظر بفارغ الصبر وصوله..و قد استغرقه

الأمر بضع دقائق فقط..ثم كنتُ ألمح سيارته تقترب بسرعة إلى أن توقفت فعلاً أمام القصر..

اقتربتُ بلهفة لأستقل المقعد بجانبه..و قد كنت عازمة على أن لا أتحدث بموضوع والده معه

أو بأي شيء آخر إلى وقت لاحق..لكن لؤي لاحظ شحوب وجهي على ما يبدو..فالتفت لي بالكامل سائلاً

بقلق ؛

_هل أنت بخير ؟

أرغمتُ نفسي بالقوة على أن أرسم نظرة ثابتة قليلاً في عيناى مكتفية بهزة من رأسى ببطءٍ
كجواب..لكن لؤى لم يقتنع بإجابتي هذه فقط على ما يبدو..فظل ينظر لي للحظاتٍ أخرى بوجوم..ثم
لم يلبث أن سأل باهتمام ؛

_هل قابلتِ أمي ؟ هل تكلمتِ معكِ أم لا ؟!!

طرفتُ بعيناى قليلاً في محاولة لاستعادة تركيزي..و طاف صمت قصير بقيت فيه فقط أحرق
به بحيرة..ثم فجأة...لم أشعر بنفسي إلّا و أنا أفتح في لأسأل بتشوش و صورة والده اليوم لا تزال
عالققة بذهني ؛

_متى آخر مرة رأيت فيها والدك ؟

نظر لي لؤى بعدم فهم أولاً..لكنه رغم هذا أجاب بهدوء ؛

_قبل ثلاثة أسابيع تقريباً..إنه لا يخرج من غرفة مكتبه إلّا نادراً..

فغرّتُ في قليلاً شاعرة بتركيزي ينسحب مني أكثر..بينما عكف لؤى حاجبيه بقلق مكرّراً ؛

_هل أنتِ بخير حقاً ؟ ما خطبك اليوم ؟!!

همستُ بخفوتٍ و أنا أتجاهل سؤاله و كأنني لم أسمعاه ؛

_هل كان طبيعياً ؟!

علمتُ بأنني فاجنته تماماً من الطريقة التي ارتفع بها حاجباه و هو ينظر لي بعدم قدرة على
الاستيعاب..و قبل حتى أن أسمع جوابه..أخذت إجابتي من نظرتة تلك..إلّا أنه قال بتردد ؛

_لقد كان كالعادة..سألته عن وضعه الصحي و أجابني برد مختصر باهت..ثم أخبرته بأنني

عدت للعمل..أنتِ تعلمين هذا الآن !

شعرتُ بنفسٍ تلك الارتعاشة تحتل أطرافي و أنا أنظر له لعدة ثوانٍ بما يفوق الحيرة..ثم قلت
بتردد ؛

_لقد...سألني عن شهاب !

_ماذا ؟!

هتف لؤى مباشرة بذهول..فأومأتُ ببطءٍ و أنا أضيف بنفسٍ نبرتي التي تهدجت قليلاً ؛

_سألني عن إن كان قد اتصل بي أو.....

تهيدة مرتجفة حرّرتها قبل أن أقول مباشرة بما يشبه الذعر ؛

_والدك لم يعد على ما يرام يا لؤى !

ظل لؤي متجمداً للحظاتٍ يحدق بي بما يفوق الصدمة..بينما شحبت ملامحه تماماً وكأنه
يسألني عن إن كنت أعِي ما قلته فعلاً أم لا !

ثم فجأة..طرف برموشه و هو يلتفت قليلاً بهم بفتح الباب و الذهاب لرؤية والده ربما !
لكنني منعتة بلمسة من يدي لمعصمه..ثم همستُ ما إن استدار لي بنبرة لا تزال محملة بنفسِ
المشاعر المتضاربة السابقة ؛

_ليس الآن لؤي رجاءً..دعنا نذهب الآن ثم لاحقاً تعود لرؤيته !
همستُ هذا برجاء شديد و أنا أشعر بنفسِي غير قادرة على تحمل لحظة واحدة أخرى هنا..
لكن لؤي لم يهتم بما قلته بقدر ما لفت انتباهه الارتعاشة القوية بأناملي..و لم يتردد للحظة واحدة
من أن يترك المقبض مباشرة ليغطي يدي هامساً بقلق ؛
_أنتِ ترتجفين فعلاً !!!

همستُ بإرهاق طفيف و أنا أنظر في عينيه القلقتين ؛
_سأصبح بخير بمجرد عودتنا للمنزل..دعنا نذهب الآن لؤي رجاءً..
و فقط..لم أحتج لأكثر من هذا لإقناع لؤي..فقد شعرتُ بيده تتمسكُ بيدي بقوة إلى أن رفعها
لشفتيه و كرّر نفس حركتي السابقة..طبع قبلة عميقة فوق باطنها..
ثم بدون أن يتركها..استقام قليلاً شارعاً في تشغيل السيارة..
حينها فقط...كنتُ أتهد بإرهاق و أنا أستند بظهري و رأسي على المقعد..تنتابني رغبة قوية
بالنوم الآن..رغبة قاومتها بشدة و أنا أراقب ملامح لؤي التي لم يتلاشى منها القلق حتى بعد مرور
دقائق على انطلاقنا..لقد كان يشعر بالقلق بالفعل..و هذا إدراك ذكرني بوضعي مع خالتي..و بفكرة
دارت في خلدي قبل دقائق..

يعيش الإنسان طوال حياته محاولاً إيجاد طريقة يتخلص بها من عائلته..لكنه ما إن يفارقها..
حتى يبدأ ذلك الاشتياق الفطري بالتأجج بداخله..
يدركُ كم هو في حاجة إليها..و كم أنه عاجز عن التملص من تأثيرها تحت أي ظروف ! و كم
يكن من الحُب لأشخاص ظن بأن الحياة بدونهم أفضل !
قد تكون أفضل بدونهم..لكنها تبقى ناقصة !

" 60 : حفلة عيد الميلاد "

#الكاتبة

منذ ليلة الأمس و هي تشعر بنفسها ليست على ما يرام إطلاقاً..تحديدًا منذ سماعها لتلك الجملة من والد لؤي..

" كنت أريد أن أسألك عن شهاب أيضًا ! لقد كنت أنتظره منذ فترة طويلة ليعود لكنه لم يظهر..... "

" لقد فكرت في احتمال أنه ربما يكون قد اتصل بك! "

لقد طاف صمت طويل جدًا بينها و بين لؤي خلال رحلة طريقهما إلى المنزل..و ما كادا يتقدمان بالداخل بضع خطوات..حتى كانت هي من تستدير إليه بعد أن نجحت بتمالك نفسها.. رفعت يديها بهدوء لتطوق وجهه الشاحب بشدة إلى أن أجبرته على النظر لها..و حينها كانت هي من همست برقة و عيناها تعكسان نفس الحزن بعينه ؛

_هل أنت بخير؟! ربما لم يكن عليّ أن أفتح الموضوع اليوم !

استطاعت أن تلاحظ كم التعب الذي كان يملأ عينيه..لكنه لم يرد عليها للحظاتٍ طويلة..هو فقط اكتفى بأن رفع يديه ليحتضن أناملها المطوقة لوجهه..ثم همس بينما يطبق عينيه بسلام و يستند بجبينه إلى خاصتها ؛

_أنا بخير الآن !

أغمضت سجي عينها مثله للحظاتٍ..قبل أن تبتعد قليلاً لكن لا شيءٍ إلّا لتمسك بيده و تجره معها إلى أن جعلته يجلس فوق الأريكة و جلست بجانبه مرتبة على ركبته ؛

_هل أنت جائع؟!

و قبل حتى أن تسمع إجابته..أضافت بينما تقف بسرعة تهم بالذهاب إلى المطبخ ؛

_سأجهز لك شيئاً ما..

لكن لؤي لم يسمح لها بأن تبتعد خطوة واحدة..فقد ارتفعت يده لتقبض على معصمها فجأة..و ما كادت سجي تخفض أنظارها بالكامل إليه لتقابل نظرة عينيه العميقة الحزن..و كأنه داخلياً يحمل نفسه بعض العبء لما آل إليه حال والده !

فهو لم يتحدث معه فعلياً إلا بكلماتٍ عابرةٍ يستفسر بها عن وضعه..و كان يكتفي خلال كل زيارته السابقة بسؤال الخادمة عنه أو الجلوس فقط بصمتٍ إذا ما تجرأ على الدخول إلى مكتبه.. حتى شعرت بضغط يده يشتد على معصمها..جذبها برفق إلى أن عادت تجلس في نفس المكان بجانبه..ثم...انخفض قليلاً بجسده إلى أن أراح رأسه على ركبتيها كما سألها أن تسمح له بأن يفعل ذات مرة..

و همس صوته الخافت بينما يطبق عينيه بشدة ؛

_هذا كل ما أحताجه الآن !

ابتلعت سحى ريقها ببطءٍ و هي ترفع يديها بدون أدنى تردّد إلى أن لمست بهما شعره و شرعت تتخلل تلك الخصلات القصيرة الناعمة بحنان شديد...مكتفية بتلك الحركة منها لوقتٍ طويل.. قبل أن يرتفع صوتها منادية بخفوتٍ ؛

_لؤي !

نادته بحذر و كأنها تخشى إن كان قد غفى فعلاً أن توقظه..لكنها لم تسمع أي رد منه لوقتٍ طويل..فتنهدت مطوّلاً و هي تتأمل ملامحه الساكنة بنفسٍ ذلك الحنان المألوف في نظراتها إليه.. ثم حركت يدها اليمنى لتحتوي ذقنه الملتحي قليلاً ملامسة تلك الشعيرات الدقيقة التي أصبحت تحفظ ملمسها لعدد المرات التي لامس بها بشرتها مرسلًا تلك الدغدغة اللذيذة إلى قلبها.. قبل أن تقرّر الانخفاض إليه بهدوء إلى أن طبعت قبلة طويلة فوق جبينه..و ظلت هكذا فقط تجلس في مكانها لوقتٍ طويل تتأمله فقط بفيضٍ من حُب و عطف.. إلى أن اضطرت بعد دقائق طويلة لأن تحرّكه برفق شديد إلى أن أسندت رأسه على وسادة الأريكة حيث ينام بوضعية غير مريحة إطلاقاً..وقفت بهدوء لتحنني مجدداً إلى أن خلعت حذاءه الأسود الناصع من قدميه و اقتربت تحمله في يدها من غرفة نومهما لتحضر معها غطاءً ثقيلاً بعض الشيء دثرت جسده به..

اتجهت بعدها مباشرة إلى المطبخ بعد أن خلعت سترتها البيضاء باقية بقميصها القطني الأحمر الذي يعتلي بنطالاً أبيضاً من الحرير..و تعمدت أن تشغل نفسها بالطبخ لدقائق طويلة سمحت له فيها بأخذ ذلك القسط من الراحة..

لكنها بعد وقتٍ طويل..شعرت فجأةً بخطواتٍ هادئة تقترب من المطبخ بتأني..فلم تتوقف عن ما كانت تفعله بحيث كانت الآن تمسك بالمعلقة الكبيرة تخلط بها طنجرة الحساء الذي أعدته خصيصاً لأجل لؤي..

لكنها لم تستطع أن تمنع ابتسامتها الحنونة أيضاً من أن تخط ملامحها ببطءٍ حينما شعرت
بذراعين قويتين في احتواءهما تلتفان من حول خصرها من الخلف..ثم جاءها صوته يهمس في أذنها
برقة ؛

_همممم...رائحته شهية جداً..

همست باقية على ابتسامتها و هي لا تزال تحركُ الطنجرة أمامهما شاعرة ببعض الراحة تحتل
قلبيها بسماع نبرته المبتسمة الآن و كأنه قرّر أن يتغاضى عن كل ما سمعه منها اليوم لوقتٍ لاحق..
_أتمنى أن يكون جيداً بقدر الذي تحضره أنت !

شعرت بنفسٍ الدغدغة اللذيذة تلكَ تحتل قلبها حينما لامست شفاهه وجنتها في قبلة دافئة
ثم عاد ليلصق ذقنه بوجنتها..لكن صوته خرج صارماً بعض الشيء حينما قال و هو يحرك يديه برقة
مُهلكة للأعصاب فوق خصرها ؛

_من فضلك ! توقفي عن محاولة التقليل من مهارات زوجتي في الطبخ !!
اتسعت ابتسامته سجي أكثر و أكثر..قبل أن تترك الملعقة أخيراً و تسقط يديها برقة على يديه
المطوقتين لخصرها..همست بحاجب واحد ارتفع بجذل مفتعل ؛

_و إلا ؟!

صمت قصير قابليها من طرفه جعل من حاجبها يرتفع أكثر..إلى أن همس يكرّر بنبرة متأنية
متوعدة ؛

_و إلا !!!

لكنها و قبل حتى أن ترفع حاجبها أكثر بنفسٍ الجذل..شهقت و هي ترفع رأسها ضاحكة بقوة
مفاجئة و هي تشعر بيديه اللتين على خصرها تدغدانها بقوة..قبل أن تهتف من بين ضحكاتها و هي
تحاول التملص منه عيثاً ؛

_لحظة..لحظة..كم من مرة طلبت منك التوقف عن فعل هذا...لؤي.....

كانت تتحدث حرفياً بصعوبة من بين ضحكاتها التي ما لبثت ترتفع أكثر مختلطة بضحكته التي
أطربت قلبها و جعلتها تتهدد داخلياً بحُب لا يمكن أن تضاهي وصفه حروف العالم جميعها..
إلى أن شعرت به يعود ليبسط أنامله الخشنة فوق معدتها..و سمعت صوت تهديدته الطويلة
التي ختم بها ضحكته..فتهدت هي الأخرى و هي تطرق برأسها قليلاً شاعرة بشيء غريب إزاء تلكَ
الحركة منه بالضبط..

شعور لم ترد أن تلتفت له.. لكن تأكد لها بعد أقل من ثلاث ثوانٍ بأنه كان صائبًا فعلاً.. حينما

سمعت صوته الذي اختفى منه كل الأثر للمزاح الآن يهمس في أذنها بخفوتٍ ؛

_هل تعلمين ماذا تخيلت الآن؟!

غصة غريبة شعرت بها تستوطن حنجرتها بدون سبب.. لكنها رغم ذلك أصرت بشدة على أن

يخرج صوتها ثابتًا حينما همست بدون أن تفارق يديه أو أنفاسه القريبة منها ؛

_ماذا؟!

صمت قصير ساد من طرفه بعدها و كأن عقله يحاول أن يغوص في تلك الفكرة فعلاً و

يعيشها بكل جوارحه متأملًا أن تتحول إلى حقيقة ملموسة ذات يوم.. ثم عاد يستطرد في أذنها بصوته

الذي خرج غير ثابتٍ تمامًا ؛

_ماذا لو كان هناك طفل صغير في بطنك الآن؟!

طرفت سجي برموشها ببطءٍ و هي تشعر بأنفاسها تفقد رتابتها قليلًا.. فقط لمجرد أن شاركته

التخيل فعلاً.. لكنها رغم ذلك ظلت صامتة تمامًا لوقتٍ طويل.. إلى أن نجحت بتمالك نفسها قليلًا..

فهمست بصدق و عيناها تشردان في البعيد.. في تلك الفكرة الجميلة الواردة الحدوث في أي

وقتٍ..

_سأكون حينها أسعد إنسانة في الوجود لؤي !

لم تفهم سبب صمته الجديد بعدها.. صمت بدا لها أبلغ من السابق.. ثم جاءها صوته يرد

بكلمة واحدة ؛

_حقًا؟!

تقطيبة صغيرة ظهرت بين حاجبيها و لم تمنعها من أن ترد مؤكدة بههمة خافتة.. و قد توقعات

أن يقابلها نفس الصمت الغريب للحظاتٍ أخرى.. لكن ما لم تتوقعه أبدًا.. هو السؤال الغريب الذي

طرحه عليها و أنهى به ذلك الصمت ؛

_هل تظنين بأنني سأكون أبًا جيدًا سجي؟!

الآن تحولت تقطيبة حاجبيها إلى نظرة مذهولة احتلت كل ملامحها.. ثم تحركت مباشرة

لتلتفت نحوه إلى أن نظرت في عينيه.. و لم تتفاجئ كثيرًا و هي ترى ذلك الألم الكامن بهما و الذي أكد

لها بأنه لم يتغاضى عن أي شيءٍ مما سمعه اليوم..

قالت باستنكار حقيقي بينما ترفع يديها الاثنتين لتطوق وجهه بقوة ؛

_أي سؤال هذا لؤي ؟ كيف تطرح مثل هذا السؤال أساسًا !

كانت تنظر له بعدم فهم..إنها تعجز عن الفهم فعلاً سبب طرحه لسؤال كهذا..بل ما الذي جعله يطرأ في ذهنه من الأساس !

بينما زم لؤي فمه و هو ينظر لها فقط للحظاتٍ كطفل صغير ضائع..كذلك الطفل الصغير الضائع المهمل بين تفضيل والده لأخيه الكبير و صراعاته الدائمة مع أخيه الصغير..إلى أن همس لها بصدق تام ؛

_تراودني فكرة غريبة أحياناً..أخشى إن أصبح لدينا أكثر من طفل واحد مستقبلاً أن لا

أستطيع أن أكون عادلاً في حق أحد منهم أو جميعهم مثل أبي !

لانت نظرات سجي تماماً أمام هذه الكلمات..و برز حزن عميق في عينيها..ثم فجأة...كانت تحرك يديها و ترتفع قليلاً إلى أن طوقت عنقه بشدة في عناق قوي..و همست بينما تشعر بذراعيه تبادلاً لها هذا العناق تلقائياً ؛

_هذا لو كنت أنت تشبه والدك..لكنك لا تشبه إطلاقاً لؤي..إنك لا تشبه إطلاقاً..أنت لا

تشبه لؤي..إياك أن تفكر بهذا الشكل مجدداً إياك..إياك.....

أغمض لؤي عينيه بقوة و هو يشدد من احتضانه لها شاعراً بكلماتها تتسرب إليه كالدواء لمرض خبيث..و قد ظن بأنها ستكتفي بكلماتها السابقة التي شابهها انفعال حار..لكنه سمعها تهمس بعد لحظاتٍ أخرى بخفوتٍ شديد بينما تتعلق بعنقه أكثر ؛

_أنت ستكون أفضل أب في العالم لؤي..ستكون والدًا جيدًا و حنونًا إلى درجة أن يتمنى كل أصدقاء أطفالنا أن تكون والدهم ليوم واحد فقط..ستكون جيدًا إلى درجة أن تملكني الغيرة و أنا أراك تغدق من حنانك الفائض أنهاراً عليهم..ستكون جيدًا إلى درجة أن أتمنى أن يتكرر الزمن ألف مرة لأختارك مجدداً..و لأحبك مجدداً...و لأنجب منك العديد من الأطفال مجدداً !

كانت تتحدث باستفاضة كبيرة..تقول كل ما في جعبتها نحوه من قناعاتٍ لطالما أمنت بها حتى قبل أن تحبه و تصبح زوجته..و الحال اليوم أنها تشعر بنفسها أكثر زوجة محظوظة في العالم فقط لأنه شريكها..

فأي حياة فائقة الروعة سيحيها أطفالهما بين أحضان رجل عظيم كهذا !

لم تشعر في منتصف كلامها بالعبرات التي كانت قد بدأت تنساب من عينيها تبعاً..هي فقط أغمضت عينيها بقوة و هي تشدد من احتضانه أكثر و أكثر..و تشعر به في المقابل يشدد من ضغط ذراعيه حول خصرها بينما يغرق أنفاسه المتهدجة في خصلاتٍ شعرها مشتتشفًا عطرها الأخاذ بنهم غريب..

و قد تأملت بشدة أن تنجح كلماتها في طرد تلك الفكرة من ذهنه نهائياً.. علمت بأنها نجحت

فعلاً حينما سمعت صوته المتحشرج المكتوم في خصلات شعرها يهمس بحرارة ؛

_أنا... لا أحب أبي يا سجي ! لطالما تملكني هذا الشعور داخلياً بأني لا أحبه.. تعلمين هذا

مسبقاً !

تعلم.. تعلم بالطبع !

لقد كانت الشخص الوحيد الذي عاش معهم تحت سقفٍ واحد و عايشته معه الإهمال

الذي لطالما عامله والده به و كأنه شيء مسلم به.. الولد المطيع الذي لا يعصي له أمراً و لو اضطر في

المقابل أن يتخلى عن طموحاته و أحلامه البريئة.. و قد تخلى عنها مسبقاً فعلاً و لمراتٍ عديدة !

المرّة الوحيدة التي واجهه بها.. أول مرة يصرخ في وجهه بكلمة رفض لشيءٍ قاله.. كانت حينما

وقف أمامها في منتصف القصر الكبير.. يحمى بظهره و قلبه و يده مستعداً للتصدي لأيّ ألم جديد

نيابة عنها !

كانت تلك اللحظة فعلياً هي اللحظة الفاصلة بين نسخة قديمة منه.. و هذه النسخة

الجديدة.. إذا كانت هناك لحظة حيث يشعر فيها الإنسان بالخلاص من عبءٍ أثقل كاهله طويلاً..

فقد كانت هي تلك اللحظة بالنسبة إليه !

لم تستطع أن تجيبه بكلمات.. فاكتفت بأن فتحت عينها اللامعتين لتقابل الجدار الأبيض

أمامها بينما تحرك أناملها بين خصلات شعره و كأنها تأكيد منها على أنها متواجدة معه.. تسمعه و

تصغي إليه و تفهمه..

و حينها فقط.. كان صوته يرتفع مستأنفاً بشعور غير مريح من الاستغراب ؛

_أنا لم أستطع التعاطف معه حتى بعد وفاة شهاب ! لكنني اليوم بينما أسمع منك تلك

الكلمات.. شعرت لأول مرة بنيران قوية تتأجج في قلبي.....

اختنق صوته قليلاً و هو يسترسل بنفس الخفوت ؛

_لم أكن أريد له هذا المصير سجي.. لم أتخيل في أكثر أحلامي جنوناً بأن شعوراً من التعاطف

أو القلق سينتابني نحو ذلك الرجل في يوم ما.. لكنني شعرت به اليوم.. لقد شعرت بالخوف فعلاً من

فكرة فقدانه..... لأول مرة أشعر بهذا !

كان صوته قد اختنق أكثر في نهاية كلامه.. و قد شعرت سجي بأن قلبها يتفتت حزناً لأجله..

خاصة حينما ابتعد قليلاً إلى أن تمكن من النظر لها.. و همس بينما يلصق جبينه بجبينها بدون أن

يتوقف عن احتضان خصرها ؛

_هل تظنين بأنني أصبحت أهذي ؟ هل أنا أهذي الآن سجي ؟!!

كانت سجي تهز رأسها بحرارة طيلة كلامه..و ما إن صمت تمامًا يشاركها أنفاسه المتهدجة
المحملة بقلقه.. حتى همست بجديّة وهي تطوق وجهه القريب منها لتجعله ينظر في عينيها ؛
_ما تشعر به طبيعي جدًا جدًا حبيبي..أليس هو والدك في النهاية ؟ و الإنسان بطبيعته
الفطرية لا يستطيع إلّا أن يَكِن الحُب لوالديه بغض النظر عن كل الظروف التي تحته على عدم
حُبهما !!

نفس الشعور القوي من الحَنان اكتسح قلبها وهي ترى الطريقة التي ظلت عيناه تنقلان بها
بين عينيها..ثم فتح فمه ليسألها مجددًا عن قرب..نفس ذلك السؤال السابق لكن على موضوع
مختلف الآن ؛

_حقًا ؟!

فلم تتردّد من الهمس بحرارة وهي ترغم نفسها على رسم ابتسامة أمل ضئيلة شقت الحزن
بينهما ؛

_بلى !

قبل أن تعود لتلصق جبينها بخاصته و تفرد يديها فوق صدره حينما سمعت صوته مجددًا
يسألها بنفس النبرة ؛

_هل أذهب لرؤيته غدًا إذا ؟!

فقالت بدون أن تفتح عينيها بحزم شديد ؛

_بل يجب عليك أن تذهب !!

شعرت بأنفاسه القريبة تستعيد هدوءها تدريجيًا و كأن هذا الرد هو الشيء الوحيد الذي
كان بحاجة إليه اليوم.. قبل أن تسمع صوت تهيدة خافتة تصدر منه و كأنها تهيدة ارتياح لكون كل
ما كان يشعر به طوال اليوم منذ سماع تلك الكلمات منها أمر طبيعي فعلاً..
رغم أنه في أعماقه كان يدركُ هذا و يعلمه مسبقًا..لكن فطرة الإنسان أن يعتكف بعض
الضعف أحيانًا متناسيًا كل منطقية عاش عليها مسبقًا!

_لقد طلبت مني خالتي الصفح اليوم..هل تعلم ؟

قالت فجأة تقطع الصمت مجددًا بنبرة هادئة..و بدا بأن لؤي لم يتفاجأ إطلاقًا بهذا..فقد
همس بعد لحظاتٍ باهتمام ؛

_هل سامحتها ؟!!!

لم تتردد سجي من الرد بثباتٍ رغم خفوتِ صوتها ؛

_منذ وقتٍ طويل !

قبل أن تباعد فجأة حينما مرت فكرة أخرى في ذهنها.. ثم قالت بينما تقترب مجددًا من الطباخ

هاماة بوضع الأطباق ؛

_لكن ليس هذا ما يشغل ذهني حاليًا..

قال لؤي و هو يقترب منها ليساعدها بشكل عفوي ؛

_ما الذي يشغلكِ ؟!

توقفت سجي لوهلة بعد أن وضعت الصحن الدائري من يدها..ثم نظرت له مردفة ؛

_لقد طلبت مني خالتي أن أتولى منصبها في دار الأيتام !

_ماذا ؟!

هتف لؤي بدهشة كبيرة..إلا أنها ردّت ببساطة لا تمثل الشرود الطفيف في عينيها و هي تشرع

في صبّ طعام العشاء لهما ؛

_لا تستغرب..لقد طلبت مني أن أستلم مكانها و منحني مهلة للتفكير..

حمل لؤي معها الأواني إلى الطاولة المتوسطة نسبيًا..قبل أن يسألها بجدية تزامنًا مع استقرار

كل منهما في مكانه ؛

_و ماذا ستفعلين الآن ؟!

حينها..ساد صمت قصير من طرفها..ثم كانت تهز كتفها مردفة بجدية ؛

_لن أو افق بالطبع..

تهددت بعدها و هي تشرع في الأكل بهدوء حينما سأل لؤي مجددًا باهتمام ؛

_إذًا ؟!

شرود جديد أطول من السابق احتل ملامحها..لم تلبث بعده أن ردت بنفسٍ نبرتها السابقة ؛

_لقد فكرت قليلًا خلال الدقائق التي قضيتها في الطبخ..

صمتت للحظة..ثم عادت تنظر في عيني لؤي المترقب لردة فعلها و قالت ما خطر في ذهنها

ببساطة ؛

_سأقترح الموضوع على شهد !

لم تفهم كثيرًا سبب الاستغراب الذي ظهر في عينيه بداية..إلى أن تمكن من السؤال بغير

اقتناع ؛

_هل أنت متأكدة ؟!

كان يتحدث أثناء تذوقه للحساء الذي أعدته له سجي بنفسها..و قد بدا على ملامحه الرضا التام بما تذوقه.. حتى أن صوت همهمة خافت خرج من بين شفثيه و هو يرتشف ملعقة أخرى ممّا جعل ابتسامه سجي تعود لترتسم نسيباً في عينيها..

لكنها رغم ذلك لم تعلق بكلمة على هذا..فقد اقتربت منه قليلاً بوجهها..و قالت بثباتٍ بينما تستند بمرفقيها على الطاولة ؛

_لا يمكن لأيّ شخص في العالم أن يستطيع تولي ذلك المنصب و الاعتناء به أفضل من شهد !

اتسعت ابتسامتها بعدها قليلاً فقط و هي ترى الدهشة التي ظهرت في عينيه قليلاً من طريقتهما في الدفاع عن شهد ! رغم أنها لم تكن تدافع عنها فعلاً..بل قالت الحقيقة التي تعرفها و تشعر بها فقط !

ثم قال بنبرة تشبه التذمر أو الاحتجاج تاركا ابتسامته الجذابة تداعب قلبها بسحر ؛

_هل قلت شيئاً غير هذا ؟!

تظاهرت سجي بأنها لا تلاحظ ابتسامته و مدى اللطف الذي حمله صوته بينما يلقي بهذا السؤال..و اكتفت بأن عادت تستقيم في طريقة جلوسها حاملة الملعقة لتشاركه الأكل..

لكن لؤي ظل متجمداً على نفس وضعه للحظاتٍ..فعادت تنظر له لتجده يحدق بها مسبقاً بطريقته التي ترسل رعشة دافئة إلى قلبها..نفس الرعشة التي شعرت بها الآن و أخفتها من صوتها حينما همست ؛

_لماذا تنظر لي بهذه الطريقة الآن ؟!

أخفض لؤي أنظاره قليلاً ليرمق قميصها القطني الأحمر و الذي لاق بها بشدة..قبل أن يهمس بنبرة ذات مغزى...غير بريء تماماً!

_أحاول أن أتذكر آخر مرة رأيتك بها ترتدين الأحمر !

همست سجي و هي تحاول أن تحجّم ابتسامتها قليلاً عالمة بكل النوايا الخبيثة خلف جملته ؛

_لم أرتديه منذ وقتٍ طويل جداً..

همس لؤي بلطفٍ مبالغ به جداً..جداً!

_عليك أن تبدئي بارتدائه بين الفينة و الأخرى إذا..

الآن...زمت سجي شفثيها قليلاً متأملة إياه بتفكير للحظاتٍ..إلى أن همست فجأة بدون أن تتوقف عن تأمله بنبرة شامها بعض.....الدلال !

_لماذا ؟ هل ستشتري لي فستاناً جديداً ؟!

_سأشتري لنفسِي قميصاً جديداً..

داهمتها هذه الجملة منه تماماً..فتجمدت للحظة تنظر له بحاجبين مرتفعين قليلاً..لكن لؤي بدا متمسكاً في موقفه..فقد تعمقت ابتسامته أكثر و هو يرفع ملعقة أخرى إلى فمه متلذذاً بطعمها بدون أن يفارق عينها..

بينما قالت سحى بنبرة تهديد يعرفها مسبقاً..لكن عينيه هو ظللتا عالقتين فقط في التوهج الطفيف الذي احتل وجنتها ؛

_ستجعلني أندم ألف مرة لأنني ارتديت بعض قمصانك لمراتٍ تعد بالأصابع !
و تلك المرة لم يتجمد مكانه أو يظهر أيّ تعبير للقلق من تهديدها كما اعتادت منه..فقد قال ببساطة و كأنه يتعمد أن يغيظ طفلة صغيرة ؛

_لا يمكنك أن تندمي على شيءٍ فعلته بدافع الحب !
الآن فقط..كان دور سحى لتتجمد ناظرة له بوجه شبه خال من المزاح بعد أن فقدت ابتسامتها..ظاهرياً فقط !

إلى أن قال متداركاً بينما يحرر ضحكة جديدة تخللت قلبها السعيد أساساً لتضاعف من سعادته ؛

_حسناً حسناً أعذر..

ثم مد يده فوراً نحوها مردفاً من بين ضحكته التي شرعت تتداعى تدريجياً بحُب ؛
_أعطني يدك !

رمقت سحى يده بنظرة أولية بدت فيها و كأنها تفكر بينها و بين نفسها إن كان عليها أن تتنازل أم لا..لكنها في النهاية اضطرت لأن تسلمه يدها ملبية دعوة عينيه المبتسمتين..
فتحرك إبهامه برقعة على ظاهر كفها للحظاتٍ..قبل أن تتفاجأ بيده الأخرى ترتفع بذلك السوار الذهبي الجميل الشكل..راقبته بتركيز و هو يقرب نفس اليد من يدها إلى أن وضعه حول رسغها و أغلقه برفق..

ثم عاد لينظر في عينها بعد لحظاتٍ من تأمل فارغ..و همس بخفوتٍ محاولاً التغاضي مؤقتاً عن تلك النظرة الجميلة التي برزت في جوفهما ؛

_لقد اشتريته لأجلك في الفترة التي تركتك فيها برفقة أُمي..لكنني لم أستطع أن أضعه في يدك مباشرة آنذاك بعد كل ما حدث..

صمت لوهلة قصيرة..ثم عاد يسألها بنبرته التي اختفى منها كل أثر سابق للمزاح و امتلأت
بالجدية و كأنه على وشك سماع رأيها في موضوع بالغ الأهمية ؛

_ما رأيك ؟!

قالت سجي بنبرتها التي تحشرجت بعض الشيء و هي ترمق يدها المحتجزة بداخل يده ؛

_ماذا تظن ؟!

و فقط...لم تحتج لغير هذا كإجابة على سؤاله..بينما تنهد لؤي مبتسمًا بدون أن يفارق يدها..

لكنه لم يستطع أن يمنع نفسه بعدها من أن يقول بذلك المزاح الثقيل ؛

_هل أشتري قميصًا أحمرًا لأجلكِ إذا ؟!

و كأنه قد هدم قصر سعادتها في هذه اللحظة..نظرت له سجي بوجه ممتنع للحظاتٍ..و

فتحت فمها و كأنها ستوبخه..لكنها عادت تغلقه للحظة..قبل أن تتنهد محررة ابتسامتها أخيرًا..

ابتسامة مستسلمة بحق..همست بعدها مستسلمة بحق و هي تترك يده أخيرًا و تتراجع في

مقعدتها ؛

_استسلمت !

لكنها حتى و هي تقول هذا متظاهرة بضيق لا تشعر به..كانت عيناها تتأملان السوار الجميل

حول معصمها..جميل ليس لأنه فاره الثمن أو تم اقتناؤه من طرف رجل يمتلك ذوقًا جمليًا في

الاقتناء..

بل فقط.....لأنه قدم لها من طرف لؤي !

للحياة دائمًا طرق غريبة في تصفية الحسابات..لا يمكن لمشهد..أو لصورة..أو حتى لإنسان مر

بنا..أن لا نقابله مجددًا خلال محطة ما من حياتنا..و هي كانت تظن منذ وقتٍ طويل بأنها قد طوت

تلك الصفحة نهائيًا إلى درجة أن فكرة أن تلمح و لو طيفًا صغيرًا من الماضي باتت غير مرجحة على

الإطلاق !

لكن من تكون هي أمام تداير الحياة و أحكامها ؟!

منذ ما يقارب الساعتين..و هي تجلس في نفس المكان بهذه القاعة الكبيرة بالجامعة تستمع

لمحاضرة الأستاذة في مقابلها..بعد أن فارقت لؤي أمام المنزل بإصرار منها على أن تقل نفسها بنفسها

اليوم إلى الجامعة و يتوجه هو إلى أشغاله..

و قد كانت أهم أشغاله اليوم..أن يزور والده بالطبع !

إلى أن سمعت صوت الجرس الذي يعلن عن نهاية هذه الحصة..فتهدت و هي تقف بهدوء
لتشرع تلقائيًا في جمع أغراضها و التوجه إلى الباب الكبير ترافقها بعض الفتيات اللواتي يعتبرن
زميلاتهن في الصف..

كانت تسمع صوت زميلتها لينا..نفسها التي عرفت قبل فترة على لؤي..تتحدث إلى زميلة أخرى
تسير برفقتها بحماس عن شيء ما..لكنها لم تستطع تمييز هذا الشيء تمامًا و لم تكن مهتمة بتمييزه..
فقد كانت تسير شاردة في مجموعة من الأفكار..

منها لقاء لؤي اليوم بوالده..و هذا السوار الخلاب الملتف حول معصمها..ثم ضرورة ذهابها
اليوم إلى منزل هادي و شهد لتفاتح شهد في موضوع تولي منصب خالتها في دار الأيتام..
رغم أنها لم تستشر خالتها مسبقًا في إمكانية أن تحتل شهد هذا المنصب !

لكنها داخليًا..باتت تستطيع تخمين موقف خالتها كيف سيكون حيال الأمر..لو وافقت شهد
بالطبع..خالتها قد تندesh بشدة..و ربما تستنكره داخليًا أيضًا..لكنها لن تستطيع الاعتراض حتمًا !
أليست هي في النهاية من سلمتها هذه المهمة معبرة عن مدى ثقتها الكبيرة بها في أن تستطيع تحمل
مسؤوليتها !

_و سجي أيضًا توافقي الرأي..ما رأيك سجي ؟!...سجي.....

أجفلت على صوت زميلتها تنادي باستغراب..فنظرت لها بتشوش أولًا..لكنها لم تلبث أن
حركت رأسها في محاولة لاستعادة تركيزها..و قالت بصوت غير ثابت تمامًا ؛

_رأيي في ماذا ؟!!!

_كنا نفكر في أن ننتقي يومًا من الأسبوع نجتمع فيه في مكان معين لتبادل الأفكار و المراجعة..

ما رأيك ؟!!

طرفت سجي برموشها ناظرة لها بغير تركيز للحظاتٍ أخرى..قبل أن تفتح فمها تهتم بإجابتها..
لكنها تسمرت تمامًا فاعرة الشفاه حينما وقعت عينها على آخر شخصٍ توقعت أن تراه في حياتها
مجددًا...كان أشرف !

كان أشرف يقف على بعد أمتار عديدة منها..بجانب رواق طويل يؤدي إلى مكتب الإدارة هنا و
الذي يبدو بأنه قد خرج منه للتو..يحمل في يده ملفًا أزرقًا يضم بعض الأوراق ربما..و ينظر لها يعينين
متسعين بشدة و كأنه هو الآخر لم يتوقع إطلاقًا و لو في أكثر أحلامه جنونًا أن يقابلها مجددًا !

بدا و كأن الوقت قد توقف بينهما للحظات..حتى أن كلتي زميلتيما اللتين كانتا تثرثران للتو توقفنا فجأة و هما تلاحظان تجمدهما الغريب هذا..و كانت واحدة منهما فقط من تعرفت عليه و هي

لينا التي نقلت رسالته إليهما في وقتٍ سابق..

و فغرت شفيتها هي الأخرى هامسة بما يفوق الدهول ؛

متى عاد هذا الشاب إلى الجامعة !!؟

ذلك التساؤل منها..هو الذي جعل سجي تستيقظ من هذا الشرود..رمشت لعدة مراتٍ و هي

تنقل عينها إلى لينا..قبل أن تقول بصوتٍ استعاد ثباته بالكاد ؛

_أنا...سأغادر الآن..دعينا نعاود فتح هذا الموضوع في وقتٍ لاحق..

رمقت بعدها ذلك الشاب الذي كان جزءًا من حياتها في يوم ما..جزءًا لم تتردد من أن تمنحه

كل الأجزاء الأخرى حتى و لو كان المقابل أن تضحي بعائلتها و نفسها!

رمقته بنظرة فارغة رغم أنه من مكانه كان يستطيع أن يلاحظ التقطية الصغيرة بين حاجبيها

و كأنها تتساءل هي الأخرى...بفراغ !

" متى عاد هذا الشاب -الغريب- إلى الجامعة ؟ ما الذي جعله يعود أساسًا ! "

لكنها لم تهتم لهذا السؤال بقدر ما اهتمت بذلك الرنين المفاجئ الذي اهتز به هاتفها..فعادت

تشيع بعينها عنه و كأنها لم تره..و كأنه مجرد رجل ما..واحد من مجموعة وجوه غرباء تمر بها بشكل

عابر و لا تؤثر بها بأي شكل كان..

و بدلًا عن هذا أخرجت هاتفها و هي تكمل سيرها نحو الباب بعد أن استأذنت من الفتاتين

للرد..

أين أنتِ ؟ هل عدتِ إلى المنزل !!؟

كان صوته يحمل شيئًا من القلق أو الإرهاق..ممّا أكد لها بأنه رأى والده فعلاً كما كان ينوي في

الصباح..قالت بنبرة بدأت تستعيد هدوءها و ذلك القلق الذي احتل قلبها من أجله يغطي تمامًا على

شعورها قبل قليل ما إن التقت عينها برجل عابر..

_ليس بعد..أنا في طريقي للخروج من الجامعة..و أنت ؟! هل رأيت والدك أم لا ؟!

استطاعت أن تتكهن من الصمت القصير الذي قابلها من جهة لؤي الإجابة تلقائيًا..لكنه

فضل أن لا يمنحها أي إجابة الآن..فقال بصوتٍ باهتٍ قليلًا ؛

_جيد..أنا أنتظرك أمام الباب إذًا..لا تتأخري..

هنا فقط..كانت سحى تتجمد للحظة واحدة حينما انتابها شعور غريب من عدم الارتياح..لؤي
و أشرف في نفس المكان تقريبًا! ربما تكون قد تجاوزت ذلك الماضي تمامًا كما لو أنه لم يكن..لكنها لا
تستطيع التأكد من أن لؤي تجاوزه أيضًا بنفس الطريقة !

_أنا على وشك الخروج..

استطاعت أن تهمس بصعوبة..قبل أن تتحرك بسرعة مستأنفة طريقها نحو البوابة الكبيرة..
لا يمكنها أن تسمح للؤي بمقابلة أشرف أبدًا..

لكنها لم تعلم بأن هذا الأخير كان قد تحرك لاحقًا بها بدون أن يشعر بعد ثوان استغرقها في
الصدمة برؤيتها..و ثوانٍ أخرى في التفاجئ من شكلها الذي بدا مختلفًا جدًا عن آخر مرة رآها بها..و عن
كل المرات التي رآها بها قبل ذلك اليوم حتى..

لقد كانت تبدو..مشرقة..ثابتة..ناضجة أكثر و كأن ما مرّ بين ذلك اليوم و اليوم ألف سنة !
إلى أن تجاوزت البوابة و وقعت عينها مباشرة على ملامح لؤي المرهقة..بحيث كان يقف
مستندًا إلى سيارته على بعد أمتار منها..و قد بدا وكأنه لم يستطع أن يمنع نفسه من أن يتوجه إليها
مباشرة..

تهيدة ثقيلة بعض الشيء حرّرتها بدون أن تتوقف عن السير..كانت تنوي ما إن تصل إليه أن
تضمه بقوة هكذا بدون سبب..أو ربما فقط استجابة للتعب في ملامحه و كأنه يدعوها و يحثها بصمتٍ
على احتضانه !

لكنها ما كادت تصل إليه..و تحديدًا على بعد خطواتٍ تعد تسمرت تمامًا حينما اخترق
مسامعها ذلك الصوت الرجولي الذي تشعر اليوم بأنها تسمعه لأول مرة ينادي باسمها..لكن ما جعل
ملامحها تتحول إلى القلق الشديد..هو حينما انتقلت أنظار لؤي منها إلى خلفها..و وقعت عيناه على
ذلك الرجل الذي أخبرها ذات مرة بأنه يتمنى أن يتسنى له لكمه بشدة كلما مر مجرد اسمه في ذهنه !
فماذا لو كان هذا الرجل الآن يقف أمامه على بعد خطواتٍ ؟ يقترب بلهفة حقيقية من زوجته
بينما يده مرتفعة في الهواء تهم بأن تقبض على ذراعها لتديرها إليه !!

ارتعاشة طفيفة لامست رموش سحى و هي ترى عينيه اللتين اتسعتا لأقصى حد..هو في
الحقيقة لم يكن يتساءل عن سبب تواجده في الجامعة..بل ما جعله يستقيم في لحظة خاطفة لم
تستوعبها و يقترب منه بخطواتٍ سريعة قبل أن يتسنى له لمسها..

سؤال آخر...أي جرأة يمتلكها هذا الرجل فعلاً ؟ أي وقاحة !!!

إلى أن تجاوزها تزامناً مع فتحها لفمها و كأنها ستنادي اسمه..و قبل أن تستوعب حتى كمية الانفعال التي احتلت عينيه..ذلك الانفعال الذي لم يكن في شخصيته سابقاً..لكنه بات ينهزم أمامه منذ أن وقع في غرامها !

كانت قبضته قد ارتفعت بتهور لتسقط على وجه أشرف الذي يبدو بأنه لمح له للتو بعنفٍ شديد ارتد لأجله جسده إلى الوراء إلى أن سقط في الأرض يحدق به بنظرة مزجت ما بين حزن عميق بدا وكأنه قد التصق بعينيه و صدمة نسبية لتواجد هذا الشاب الذي يتذكره منذ تلك المرات المعدودة التي قابله بها هنا !!

شهقت سحى بقوة و هي تقترب من لؤي بسرعة إلى أن وقفت أمامه متمسكة بذراعيه بيد واحدة و بقميصه باليد الأخرى بينما تهمس بتعقل ؛

_ أرجوك أن تهدأ لؤي..سنتسبب بفضيحة لا داع لها !!

كانت أنظار لؤي لا تزال مستقرة في عيني ذلك الرجل وراءهما..و الذي تحرك ببطءٍ إلى أن وقف ناظرًا لهما بعينين مسالمتين تمامًا..قبل أن ينقل أنظاره إلى سحى التي كانت تحدق بعينيه برجاء شديد يتخلله ذلك العشق الجارف الذي لم يعد يفارقهما منذ وقتٍ طويل.. و قال من بين أسنانه كمن يشعر بالإستنكار من جملتها هي أكثر من استنكاره بتواجد هذا الرجل هنا..

_أيّ فضيحة تتحدثين عنها سحى ؟ ألم تري الطريقة التي كان يلاحقك بها هذا السافل !!!! عاد لينظر له بغضب كانت لتستنكره سحى سابقاً لولا معرفتها الشديدة بلؤي..لولا معرفتها الشديدة به و التي جعلها تفهمه تمامًا..قبل أن تهمس بسرعة و هي تتشبث به أكثر غير سامحة له بالتقدم خطوة أخرى نحو أشرف..

_توقف لؤي..الأمر لا يحل بهذه الطريقة..

نظر لها لؤي هامساً باستنكار أكبر و جسده ينتفض بقوة ؛

_منذ متى و هو يلاحقك ؟!

فهمت ببعض الاستياء رغم نبرتها الخافتة ؛

_لم يكن يلاحقني أساساً !

و قبل حتى أن تسمح له بالرد مجدداً أو محاولة الاقتراب منه مجدداً مسيراً لغضبه..رفعت يدها التي كانت تقبض بها على قميصه إلى أن احتوت بها وجنته إلى أن أجبرته على النظر في عينيها و همست بنبرة لانته قليلاً ؛

_هل ستهدا الآن لأجلي أم لا ؟!

تعمدت أن تضيف كلمة "لأجلي" في منتصف سؤالها و كأنها تستعمل نقطة ضعف تعرفها ضده..و قد ظهر هذا في نظرة العتاب التي احتلت عينيه بينما يزمر فمه بقوة شديدة.. شعرت سجي بعدها بجسده يهدأ قليلاً فقط..فتركته ببطء لتلتفت برأسها فقط إلى أشرف الذي كان يراقبهما طوال الوقت..و قد استوعب على ما يبدو و تمكن من تخمين العلاقة التي تجمعهما اليوم..

خاصة حينما سقطت أنظاره على الخاتم الذي كان يحتل بنصبرها..حينما أسقطت يدها عن ذراع لؤي سائلة بحدة ؛

_ماذا تريد الآن ؟!!!

كانت لا تزال تقف أمام لؤي حرفياً حتى حينما التفتت له و كأنها طريقتها الفعالة في كبح أعصابه..بينما طرف أشرف برموشه ببطء و هو ينقل عينيه بينهما للحظات بنظرة...بائسة ! قبل أن يفتح فمه ليحيب بنفس نبرته المسالمة ؛

_أعتذر على هذا الإزعاج لكما..لقد رأيت سجي بالصدفة و أردت التحدث إليها فقط

لو.....

توقف فجأة حينما ارتد جسد لؤي ناحيته قليلاً و كأنه يستنكر مجرد نطقه لاسمها..إلا أن سجي منعتة تماماً بيدها التي امتدت بسرعة لتمسك بيده هاتفة بخفوت ؛

_لؤي !!!!

ثم نظرت إلى أشرف الواقف أمامهما منتظراً و قالت بنبرة جافة لأقصى حد ؛

_ألم تقل كل شيء في رسالتك ؟ فيما سنتحدث بعد ؟!

قال أشرف بصدق تام و هو يرمق لؤي الواقف بجانبها و كأنه يستشيرها أيضاً في أن يسمح له بالتحدث..

_لنتحدث فقط رجاء..لن آخذ من وقتك أكثر من بضعة دقائق..

الآن فقط زفرت سجي زفرة مكتومة و هي تنظر له بياسٍ قليلاً..ثم لم تلبث أن استدارت للؤي بنظرة مترقبة قابلها لؤي لوهلة باستنكار..قبل أن يقول بغير تصديق ؛

_هل تريدان التحدث معه حقاً ؟!

رقت نظرات سجي بشكل لم يغفله أشرف أبداً و هي تنظر للؤي بتفهم معهود بينهما..لكنها رغم

هذا همست برقة و هي تنظر في عينيه فقط و تتمسك بيده و ذراعه أكثر ؛

_دقيقة واحدة فقط لؤي...رجاء !

ارتفع حاجبا لؤي قليلاً و كأنه لا يصدق أنها وافقت فعلاً على منح هذا الرجل الجبان فرصة التحدث فقط ! لكنه لم يستطع أن يرفض مباشرة أمام نظراتها المترقبة..إلى أن أضافت سجي بنبرة استئذان صريحة ؛

_لن أذهب لو لم تسمح لي !

نظر لها لؤي بياسٍ قليلاً و ملامحه تلين أكثر و أكثر في مقابل عينيها الجميلتين و اللتين تنتظران منه الإذن فعلاً..لكنه لم يستطع أن يرد فوراً..فقد زم فمه قليلاً و هو يرمق أشرف بنظرة حاقدة جعلت من ملامح سجي تصبح أكثر رقة و هي تتأمله..

إلى أن زفر في النهاية مردفًا على مضضٍ بدون أن يبعد عينيهِ الحاقدتين عن أشرف ؛

_حسنًا..دعونا نذهب إلى المقهى القريب..

رأى الابتسامة اللطيفة التي ظهرت في عينيها خلسة..ابتسامة تخصّه هو فقط و تخصّ تلك الغيرة التي لم يحاول إخفاءها من عينيهِ..لكنه فقط قابلهَا بنظرة عابسة..قبل أن يتحرك هامًا بالذهاب سيرًا إلى المقهى بدون أن يفارق يدها..

و بعد لحظاتٍ..كان هو يقف أمام المقهى يدس يديه في جيبي بنطاله..بينما سجي تجلس حول إحدى الطاولات هناك في مقابل أشرف..حينما قالت و هي تنظر له بنفسٍ طريقتها المختلفة تمامًا عن الطريقة التي كانت تنظر له بها في الماضي..

قالت حينما وجدته صامتًا تمامًا ينظر لها فقط بعينين يتخللهما تعبير واضح من الأسف أو الاعتذار..بنبرة خالية من أيّ تعبير سوى الجفاء ؛

_هل ستتحدث الآن أم لا ؟!

رمق أشرف يدها التي كانت ترتاح على سطح الطاولة بينهما بنظرة خاطفة..أو تحديدًا ما رmqه كان الخاتم الجميل الذي كانت ترتديه..و صمت للحظة..ثم عاد ينظر لها و تحدث أخيرًا بصدق ؛
_أولاً..تهاني الحارة لكما..أنتما تليقان ببعضكما جدًا..

حاول أن يكون في نبرته شيءٌ من اللطف..لكن وضعه الذي بدا لها مزريًا بعض الشيء لم يكن يساعد على ما يبدو..فقد كان يبدو و كأنه كبر فجأة..و كأنه انتقل من شاب صغير يدرس بالجامعة إلى رجل تثقل المسؤوليات كاهله..

شعرت سجي بالضيق ينتابها رغبة في أن ينتهي هذا الحوار بسرعة لتعود إلى لؤي فقط !

فقالت باختصار و بدون أن يتغير في نظراتها أيّ شيء ؛

_أعلم هذا..هل يمكنك أن تتحدث بسرعة لو سمحت ؟

لم يتفاجئ أشرف كثيرًا من أسلوبها و كأنه كان يتوقعه مسبقًا..هو فقط أسقط نظراته قليلًا ليرمق يديه اللتين ترتاحان فوق الطاولة أيضًا..ثم نظر لها مجددًا هامسًا بنفسِ الصدق الذي تعلم بأنه حقيقي !

_في حال كنتِ تتسائلين داخليًا فلا..أنا لم أعد إلى الجامعة..لا تقلقي..لقد تقدمت للعمل في إحدى الشركات المتواضعة بدوام جزئي بالإضافة إلى عملي في دكان أبي..لكنهم رفضوا قبولي ما لم أحضر بعض الأوراق المهمة من هنا..

رمى الملف الذي كان يضعه فوق الطاولة بجانب فنجان قهوته الذي طلبه عشوائيًا قبل قليل..بينما اكتفت سجي في مقابله بكأس من الماء..ثم عاد ينظر إلى ملامحها التي شابهها بعض الهدوء فقط بدون أن يتغير في تعبيرها شيء..

و أضاف بصوتٍ شرع يتحشرج قليلًا ؛

_ما أردت قوله اليوم هو أنني...سعيد جدًا برؤيتك بخير..لقد كنت أتساءل طيلة الشهور السابقة بيني و بين نفسي عن وضعك..

صمت للحظة يتأمل ملامحها الهادئة..ثم أرغم نفسه بصعوبة على رسم طيف ابتسامة صغير..و أضاف بنفس نبرته ؛

_لكنني لم أتوقع بأن أجدك بهذا الشكل..

تقطعية صغيرة جدًا ظهرت بين حاجبيها و هي تراه يسقط رأسه مجددًا ككل مرة يقول فيها جملة ما..لكنها لم تتوقع أبدًا حينما يرفع رأسه أن تكون نظراته مغلفة بكل ذلك الألم..حينما همس بخفوت ؛

_أعلم بأنني اعتذرت لك مرارًا في الرسالة التي تركتها لك..لكن بما أن الحياة قد منحتني فرصة أخرى للنظر في عينيك..فأنا أود أن أكررها بصدق.....

ابتلع ريقه ببطء و هو يحدق بها للحظة..بعينها و بتلك التقطيعية الصغيرة بين حاجبيها كشخصٍ لم يعد يعني له الماضي أي شيء..لكنها أيضًا لا تمانع سماع اعتذار لا تحتاج إليه...لكنها تستحقه !

_أنا...أعتذر منك بشدة سجي..على كل وعد حُب منحتَه سابقًا و لم أفي به..على كل لحظة جبن تحليت بها أمامك..و على حقيقة أنني مهما حاولت..فلا أجد طريقة أتخيل نفسي بها أفعل أي شيءٍ غير ما فعلته في حقك ذلك اليوم..

الآن فقط..كانت تظهر لمعة بارزة قليلاً بعيني سحى..لكنها لم تكن لمعة حُب أو شوق أو حسرة..

بل لمعة قوة و إدراك و خلاص !

رأت تلك الدمعة التي سقطت من إحدى عينيه..ثم عاد ليستأنف بصوتٍ تحشرج أكثر ؛
_ ما أريدك أن تعلمينه هو أنني أحببتك فعلاً..لكنني كنت و لا أزال مجرد رجل بسيط..و أنا
متأكد بأنني حتى و لو كنت قد حاولت حمايتك آنذاك..لم أكن لأنجح في مجابهة جبروت عائلتك..و كنا
لنخسر سوياً في النهاية !

لهذا استسلمت ! استسلمت ببساطة بدون أن تحاول و لو لمرة واحدة التمسك بيدي !
هذا هو الكلام الذي كانت تجسده نظراتها الآن..و تمكن من قراءته بوضوح..لكنه فقط
ابتسم..ابتسم بضعف..قبل أن يهمس مجدداً بنبرة استعادت القليل فقط من توازنها ؛
_ كل ما أريده الآن..أن تكون هناك فرصة لأن نسأل عن أحوال بعضنا البعض كمجرد زملاء
دراسة قدامى لو حدث و التقينا في صدفة أخرى...من يعلم !
زمت سحى فمها قليلاً و هي تسمح لتلك التقطعية أخيراً بأن ترتخي بعض الشيء..لكن صوتها
خرج بنبرة صريحة لا يشوبها أي ضيق أو استياء ؛

_ لا أظن بأننا سنتقابل مجدداً..ألم تقل بأنك تعيش في مدينة أخرى الآن ؟
بدا و كأن أشرف قد تفاجأ قليلاً بهذا الكلام منها..حتى أن رأسه تراجع قليلاً إلى الوراء..لكنه
رغم هذا تمكن من الهمس بنفس نبرته المسألة المشوبة بالحزن ؛
_ رغم هذا..قد يحدث في أي يوم من الأيام..و حينها أتمنى أن لا نتظاهر بأننا لم نتعرف على
بعضنا البعض من قبل !

صمت طويل بعض الشيء ساد بينهما بعد هذه الكلمات الصريحة منه..ظل فيها ينظر لها
بأمل أن يسمع الموافقة منها لشيء بالغ البساطة..لقد تصرف بجبن معها..لقد تسبب لها بالكثير من
الأذى بغير قصد أو حول منه..

لكنه لا يزال نفس الشخص الذي أمضى معها لحظات جميلة في الماضي..لحظات قد يصنفها
إنسان مثله على أنها الأجمل في حياته رغم قلتها..

بينما ظلت سحى تنظر له و مجموعة من الأفكار الغريبة تطرأ في ذهنها تبعاً..
غريب أمر الإنسان فعلاً..غريب أمر المشاعر و القلب..كيف يمكن لها أن تكون قد أحبت هذا
الشخص ذات يوم !

لقد كانت هذه الفكرة و اقعية ذات يوم !

لكنها الآن لا تشعر سوى بالكثير من السخرية كلما طرأت الفكرة في ذهنها و لو بالصدفة..
تشعر كم أنها كانت إنسانة ساذجة جدًا حينما أغفلت الحُب الحقيقي الذي عاشت معه تحت سقف
واحد طوال حياتها..

كلما قارنت بين حُبها لهذا الرجل و حُبها.....للؤي !
همست بعد لحظاتٍ من ذلك الصمت الفارغ بنبرة... فارغة أيضًا!
_سأحاول !

ثم تنهدت مضيفة فورًا و هي تحمل حقيبتها الأنيقة هامة بالوقوف ؛
_اعذرني الآن..عليّ أن أغادر..

لكنها ما كادت تبتعد خطوة واحدة بعد أن رمقت لؤي الو واقف خلف الجدار الزجاجي الذي
يفصل بينهما..كان يغرق يديه في جيبه بينما يحدق أمامه عشوائيًا في لحظات إجباره لنفسه على
عدم الالتفات و لكم ذلك الرجل مجددًا !
حتى سمعت صوته يوقفها بلهفة ؛
_لحظة.....

استغرقت لحظة أخرى في النظر للؤي..قبل أن تلتفت قليلًا برأسها لتنظر له من مكانها
بثباتٍ..فقال متأملًا و هو يرسم ابتسامة جديدة على ملامحه ؛
_لقد تقدمت لخطبة فتاة من الحي حيث أعيش الآن قبل فترة جيدة..و زواجي سيتم بعد شهر
واحد من الآن.....

لم تفهم سجي سبب إخباره لها بهذا..إلى أن أضاف بتردد كبير ؛
_كنت أتساءل إن كنتِ ستقبلين دعوتي للحضور أيضًا أو لا.....
شعور حقيقي من الانشراح لامس قلبها و هي تسمع خبر ارتباطه..ليس لأجلها..إنما لأجل ذلك
الواقف هناك ينتظرها بصبر..لكنها رغم ذلك قالت بنبرة خرجت لأول مرة منذ دقائق هادئة بهذا
الشكل ؛

_لن أستطيع للأسف..لكنني في جميع الأحوال أتمنى لك السعادة..
شعور طفيف من الإحباط ظهر في عينيه..لكنه رغم هذا لم يستطع أن يلح أكثر في شيء لا
يحق له أساسًا..فاكتفى بأن همس بينما يرمق لؤي بخفوت ؛
_و لكما أيضًا..

و فقط...لم يبق هناك أيّ دعوى للكلام..التفتت سحى لتغادر المقهى فوراً عائدة إلى لؤي..إلى أن توقفت بجانبه..و امتدت يدها برفق لتلمس ذراعه..التفت إليها لؤي مباشرة ليقول قبل حتى أن يتأكد من أنها هي ؛

_ماذا قال لك ؟!!

كان أشرف قد وقف هو الآخر هاماً بالمغادرة..فتحرك بؤبؤ عيني لؤي ليرمقه بنظرة عابرة قبل أن يعيد أنظاره لسحى..هذه الأخيرة التي همست بينما تربت برفق على ذراعه ؛
_لا شيء مهم..لقد اعتذر لي مجدداً و أخبرني بأنه ارتبط حديثاً..
تعمدت أن تخبره بهذا و كأنها محاولة منها لتبعد أيّ شعور سيء من قلبه..و قد نجحت محاولتها على ما يبدو..فقد سألها لؤي ناظراً لها بدهشة كبيرة ؛
_حقاً ؟!

همست سحى مبتسمة بحُب و هي تحرك يدها بهدوء إلى أن أمسكت بيده ؛
_نعم..

بينما رمق لؤي المكان حيث اختفى ذلك الرجل بنظرة أخرى هامساً بفضاظة و كأنه يخاطب نفسه فقط ؛

_المعتوه !! و لا يزال يطلب التحدث معكِ !
لم تخبو ابتسامة سحى و هي تهمس مثله بخفوت ؛
_لقد أراد الاعتذار فقط !
قبل أن تتنهد بشيء من القلق و تسأل مجدداً باهتمام ؛
_كيف كان إذاً !

نظر لها لؤي بعدم فهم أولاً رغم الانهاك الذي يعتري وجهه..فهمست بتردد و ابتسامتها تتداعى ببطء ؛
_لقاءك بوالدك !

و كأنها قد أعادته لنفس الدقائق تلك التي بقي خلالها بجانب والده في الحديقة التي يبدو بأنه لم يعد يجلس في مكان غيرها..لقد وقف بجانبه لوقتٍ طويل ير اقب فقط حركات يديه و هو يهتم بالأشجار في بادرة غريبة على الشخص الذي يعرفه كوالد له !

كان قد تعمد أن لا يجعله يلاحظ وجوده و كأنه يمنح نفسه فرصة لتأمله لأول مرة و استيعاب حقيقة أن هذا الرجل يكون والده بعد كل شيء..و سيبقى والده دائماً مهما حاول التملص من هذه العلاقة!

إلى أن فتح فمه بعد وقتٍ طويل ليقول فجأة الشيء الذي خطر في باله ؛

_لقد عدت للعمل !

رأى جسد والده و هو يتجمد قليلاً للحظات..ثم لم يلبث أن تحرك بهدوء إلى أن استدار إليه برأسه فقط..منحه تلك النظرات الشاحبة الباهتة التي يعرفها منذ عدة أشهر..قبل أن يقول بجديّة جعلته يظن بأن سعى كانت تتوهم فقط !

_متى ؟!

قال لؤي و هو يتأمل بهتمعن ؛

_قبل ما يقارب الشهرين..

لم تظهر أيّ ردة فعل على وجه والده كما كان يتوقع..فقد كان العمل بالنسبة لوالده هو أهم شيء في الحياة..و هو متأكد بأنه لو كان في طبيعته التي يعرفها لكانت قد تهملت ملامحه بوضوح حتى و هو يحاول أن لا يظهر هذا..

لكنه الآن..اكتفى بأن هز رأسه ببساطة كرجل لم يعد يهتم بأيّ شيء في الحياة..فانخفض حاجبا لؤي قليلاً و هو يراه يعود ليكمل ما كان يقوم به..و قد هم للحظة بأن يغادر فقط من هذا المنزل الذي بات بالنسبة إليه مثل سجن خانق يطبق على أنفاسه..

لكنه عاد ليتوقف مكانه للحظات..ثم فجأة..فتح فمه ليسأل بتردد ؛

_ماذا عن شهاب ؟ ألن يعود إلى العمل أيضاً ؟!!

كان يتحدث برهبة كبيرة..قبل أن يصمت محدقاً به بترقب و هو ينتظر أن يستدير والده إليه..لكنه لم يفعل لمدة لحظاتٍ طرف خلالها لؤي لعدة مراتٍ و هو يرى الطريقة التي تجمد والده بها لمجرد سماعه الاسم..

إلى أن ألتفت إليه أخيراً..نظر له لثوانٍ معدودة بملامح لم يستطع قراءتها..ثم فتح فمه ليرد

أخيراً..قال الشيء الذي توقع سماعه..و الذي كره سماعه بشدة !

_هل قابلته في آخر فترة ؟ لقد أرسلت له مجموعة من الرسائل لكنه لا يجيب أيّ منها !

و فقط..هذا ما كان يحتاج إليه لؤي ليفقد ثباته الظاهري..و ما حدث له كان نفس ما حدث
لسجى في نفس الموقف قبل يوم واحد..فقد جحظت عيناه بقوة و تراجع شبه خطوة و هو يشعر
بأنفاسه تختنق بشدة..

لكن والده لم يفعل أي شيء أمام تعابيرهِ سوى أن هز رأسه ببطءٍ في حركة كان يفعلها سابقًا
حينما ينتابه شعور اليأس من أحدهم..ثم التفت ببساطة ليستأنف ما كان يفعله بينما يهمس لنفسه
بشيء سمعه لؤي و فاقم من سوء وضعه..

_دعك من هذا..منذ متى كانت تهملك مصلحة أخيك أساسًا..

ثم حرك رأسه بلا فائدة و هو يضيف بينه و بين نفسه بقلة حيلة ؛

_ولد غبي !

كان لؤي لا يزال متجمدًا مكانه في نفس المكان و هو يسمع هذا الوصف الذي تعود سماعه
من أبيه في وقتٍ سابق..و استوعب..استوعب بخبرة متواضعة..بأن ما يفعله عقل والده الآن ما هي إلا
محاولات واهية لإنكار الحقيقة و العيش بوهم أن شهاب لا يزال مسافرًا !
و حينها تذكر جملة سجي ليلة الأمس..

"والدك ليس على ما يرام يا لؤي !"

لم يعرف بعدها كم ظل و اقفًا في نفس المكان بغير هدف..لكنه في النهاية تمكن من أن يرفع
رأسه و كأن هناك قوة خفية تدفعه لتقع عيناه على ملامح والدته التي كانت تقف خلف نافذة غرفتها
مباشرة..

لأول مرة حرفيًا يراها تقف بهذا الشكل بعد الحادث..لكنه حتى و هو يعلم مسبقًا بأنها عادت
لتتحدث مجددًا..لم يستطع أن يفعل أكثر من أن يمنحها تلك النظرات المتبادلة و كأنهما يتبادلان
حوارًا صامتًا حيال وضع والده المزري !

يقسم بأنها كانت ستصبح مثله لولا تلك الفترة الطويلة التي أمضتها في الصمت فقط و

الاستلقاء كجثة هامدة مستوعبة و مقلبة فكرة فقدانها لابنها في عقلها!

تلك الفترة الطويلة من الصمت و الاستيعاب..هي ما جعلتها تقف هناك اليوم ببعض البأس

الزائف..و قد حمد الله ألف مرة لفكرة أن أحدًا من والديه على الأقل..

قد تعلم من تلك الصدمة شيئًا ما !

بعدها لم يشعر بنفسه و هو يقترب من سيارته ليستقلها متجهاً نحو جامعة سجي..رغم أنه أخبرها في الصباح قبل أن يفترقا بأنه سيتأخر في العودة اليوم..و إذا به يهرع إليها خاضعاً لحاجة عنيفة لأن يحتضنها فقط بين ذراعيه كأكثر وسيلة فعالة للتعافي !

_ "لؤي " !!!

صوت سجي القلق نجح في أن يخرجها من شروده الطويل..فطرف لعدة مرات و هو ينظر لها و كأنه يحاول أن يتذكر ما كان سؤالها..ثم لم يلبث أن تنهد في النهاية باستسلام تام..و قال يهز رأسه قليلاً بنبرة إقرار ؛

_والدي لم يعد على ما يرام يا سجي ! لقد تأكدت من هذا اليوم..

شعرت سجي برغبة قوية في احتضانه فقط و هي تسمع منه هذه الكلمات بصوته الذي بدا لشخص يتمنى لو تمكن من تغيير الحقيقة قليلاً..لكنها فقط...اكتفت الآن بأن تمسك بيده أكثر بينما يقفان أمام مقهى صغير و أصوات السيارات يصلهما قوياً ليضاعف من ذلك الضجيج الذي يكتسح عقله و قلبه..

قبل أن تقول فجأة و هي تتمسك بيده أكثر ؛

_دعنا نذهب..

سارا بعدها للحظاتٍ طويلة يهدوء متجهين إلى السيارة التي تركها لؤي مصفوفة أمام جامعتها..لكنها سمعت صوت لؤي يسألها بعد لحظاتٍ من السير بينما يرفع يده ليغطي بها ظاهر كفها المتمسك بذراعه ؛

_هل تظنين بأن علينا أن نعرضه على طبيب نفسي ؟!

شعور قوي من سخرية غريبة انتابها إزاء هذا السؤال.. هل أصبح والد لؤي من في حاجة إلى

طبيب نفسي الآن ؟! كيف يتغير مسار الحياة بسرعة عجيبة فعلاً !

رغم هذا..فقد قالت تهز رأسها بأسفٍ حقيقي و صادق ؛

_هل تظن بأنه سيوافق على هذا !

و قد منحها نظرة لؤي التالية الجواب القاطع الذي يعرفه كلاهما..هو لن يوافق بالطبع..لن

يوافق قطعاً ! إنه لا يزال نفس الرجل الذي يؤثر الموت على أن تشوب صورته الظاهرية شائبة !

قبل أن يتنهد بخفوتٍ و يعود لينظر أمامه إلى سيارتهما التي اقتريا من الوصول إليها..و فعلت

سجي المثل..لقد كانت تخطط اليوم للذهاب إلى شهد لتتحدث معها حيال طلب خالتها..لكنها بعد كل

أحداث اليوم غير المتوقعة..اضطرت لأن تؤجل هذا إلى يوم آخر..

لقد كان حرفيًا...آخر لقاء بينهما!

من كان يتوقع أن يكون آخر لقاء بينهما آنذاك...في يوم عيد ميلاد هادي !
لا تزال تتذكر جيدًا شكل تلك الطفلة الصغيرة بينما تقف فوق الدرجة التي تعودت أن
تجلس عليها..ترقب الأطفال و هم يلعبون سويًا هنا و هناك لكنها فقط...
غير قادرة على الاندماج معهم !

تتذكر النظرة الحزينة التي كانت ترسم في ملامحها أثناء مرافقتها للبوابة الكبيرة و كأنها
تتوقع وصول صديقها الوحيد في هذه الحياة قريبًا..لقد أصبحت تلك اللقاءات الأسبوعية مثل
الإدمان لها..

تشعر و كأنها ستفقد الجزء الجميل الوحيد من حياتها لو فقدتها.....لو فقدته !
كانت ترقب البوابة باهتمام كبير و تلك النظرة لا تنفك تغدو أكثر حزنًا..لا تزال تتذكر لقاء
الأسبوع الماضي..و كلمات صديقها الوفي عن والده و عن قراره بأن يرسله إلى مدرسة داخلية..
و بطريقة ما...فقد كانت تشعر بالخوف يلتمها حرفيًا لفكرة أن يتوقف عن المجيء لزيارتها..
لكنها لمحتة بعد دقائق أخرى يدخل برفقة والدته..فتهللت ملامحها بشدة و هي ترصد اقترابه بلهفة
كبيرة..

لكن نظرة واحدة عابرة من والدته لها جعلت سعادتها تتداعى مؤقتًا بخوفٍ احتل عينيها..قبل
أن تكمل طريقها إلى أن اختفت بداخل الرواق المؤدي لمكتبها فعليًا..و دخل معها ابنها في البداية..
لكنه خرج بعدها بلحظاتٍ ليقترّب مباشرة من الطفلة البريئة بلهفة مماثلة..إلى أن توقف
أمامها..و ارتفع صوته قائلاً بحماسٍ حقيقي ؛
_لقد تم طردني من المدرسة الداخلية !

و فقط..هذا ما كانت تحتاج إليه لتحرّر ابتسامتها السعيدة البريئة مستعيدة وعد الأسبوع
الماضي بأن يجد طريقة فعالة ليتخلص من هذه المصيبة..لكنها رغم هذا سألت و هي ترفع رأسها
لتقابل عينيهِ ؛

_كيف فعلت هذا ؟

لم يجيبها بعدها فورًا..فقد جلس في الدرجة بهدوء و حثما هي الأخرى للجلوس بجانبه..قبل أن
يهمس بنفسٍ نبرته المتحمسة و كأنه قام بإنجاز كبير..و قد كان هذا بالنسبة لهادي خاصتها...يشبه
الإنجاز الكبير !

_تساجرت مع ابن المعلمة شجارًا حادًا إلى أن وصل بنا الأمر نقف أمام المدير نحن الإثنين..و

فقط..تم استدعاء والدتي وقررت أن تعيدني إلى البيت !

صمت للحظة واحدة..ثم أضاف بدون أن يفقد ابتسامته بجدية ؛

_أساسًا هي لم تكن موافقة على الأمر كليًا منذ البداية..لقد منحها الحجة فقط لتراجع

عنه..

هل يعقل بأن تلك الطفلة الصغيرة ذات الثماني سنوات كانت تعرف الحُب ؟ لأنها الآن بينما

تتذكر ملامحه المشرقة و ابتسامته الكبيرة المتألقة..و تتذكر نظرات تلك الطفلة البريئة إليه اللامعة..

لا يسعها إلا أن تصف طريقتهما في النظر ب...الحُب !

كانت تنصت إليه بتركيز و اهتمام..دائمًا هو من يتحدث أكثر و هي من تنصت إليه..إلى أن عاد

لهمس شيئًا جعلها تفهم سبب سعادته المضاعفة ؛

_هل تعلمين بأن اليوم عيد ميلادي ؟!

هذا السؤال البسيط الذي يحمل إجابته معه..جعل من ملامحها آنذاك تشرق أكثر..لقد

كانت تحب..بل تعشق رؤية ابتسامته..

لقد كانت ابتسامته جميلة كالحلوى فعلاً..كقطعة من الحلوى الطرية الثمينة...على الأقل

بالنسبة لها !

لم تكن قد همست بأي شيء و هي تسمع تلك النسخة الصغيرة لهادي الطفل تستأنف بحُب ؛

_لقد تركت لك اليوم قطعة من الكعك..و استحضرتك في ذهني بينما أنفخ على الشموع و

كأنك معي !

كانت ابتسامتها تزداد اتساعًا كلما تحدث أكثر..و لم تجد ما تقوله آنذاك سوى أن تسأل

بشيء من الخجل ؛

_هل فعلت هذا حقًا ؟!

اكتفى حينها بهزة مؤكدة من رأسه..قبل أن يدس يده في جيب بنطاله الجينز ليخرج شيئًا..و

الذي لم يكن سوى...قطعة حلوى صغيرة مغلفة بشكل جميل..و همس بنفس تلك النبذة المحملة

بالحُب و هو يمدّها نحوها ؛

_ربما لم أستطع أن أحضر لك نصيبك من قالب الحلوى..لكنني أحضرت لك هذه لتشعري

بنفسك و كأنك قد شاركت في عيد ميلادي !

بدا كأنها قد تذكرت للتو بأنه يتحدث عن عيد ميلاده..بينما هو من يحضر لها هدية لا العكس..فاكتسح شعور من الإحراج وجنتيها..و همست تزم فمها الصغير قليلاً و كأنها تعتذر عن شيء لا ذنب لها به ؛

_أنا...ليس لدي أي شيء لأهديه لك !

إلا أن هادي الصغير نظر لها بصرامة محبة..ثم قال و هو لا يزال يفرد يده المفتوحة أمامها ؛
_أنت هديتي الأغلى..

ثم أضاف فوراً و هو يحثها أكثر على أن تأخذ منه الحلوى ؛

_الآن خذي..

حينها...رمقت يده بنظرة مترددة و وجنتاها تتوردان أكثر..لكنها لم تلبث في النهاية أن رفعت يدها بتردد لتأخذها..أطرقت قليلاً برأسها تتأملها بفيض من مشاعر غريبة تنتابها لأول مرة..
لقد كانت تلك أول مرة حرفياً يمنحها أحدهم شيئاً ما لها هي حصراً..لأنها هي و ليس لكونه يشعر بالتعاطف مع مجموعة من الأطفال اليتامى !

لم تدرك تلك الطفلة الصغيرة بأن الدموع كانت قد بدأت تنساب بتأني من عينيها..دموع هادئة تتخلل ابتسامة حقيقية صادقة..و لم تستطع أيضاً أن تلاحظ الطريقة التي كان يتأملها بها صديقها برضا..

و الأدهى أيضاً..أنها لم تدرك في اللحظة التي رفعت رأسها نحوه مجدداً مستجيبة لصوته الذي قال ؛

_تذوقها !

بأن تلك اللحظة تحديداً...بينما تفتح الغلاف بتأني و ترفع قطعة الحلوى الصغيرة لتذوقها فعلاً مبتسمة..بأن ذلك اللقاء بينهما سيكون الأخير حرفياً..و بأنها لن تقابل صديقها الحبيب مجدداً..
إلا بعد سنواتٍ عديدة استنزفت من كل منهما الكثير من الابتسامات..

و لم يدرك ذلك الطفل الصغير..بأنه سيعود لمنزله ليقابل غضب والدته التي علمت مجدداً من إحدى المشرفات الكرميات بأنهما كانا يجلسان سوياً طيلة الدقائق التي قضتها في العمل..
لقد ظلت توبخه طوال الطريق..و ظل هو يستمع لها بصبر فينة و يفتح فمه ليحييها بضيق فينة أخرى..إلى أن وصلت السيارة إلى المنزل الكبير..و لم تتوقف أمه عن توبيخه حتى بعد دخولهما إلى البهو الذي لم يكن يعلم أو يتوقع أن يكون والده متواجداً به..

حينما هتفت أمه بصرامة ؛

_لن تقترب منها مجددًا هادي..و هذا آخر إنذار مني إليك و إلا لن آخذك معي مجددًا !

و هتف هو في المقابل بعد أن فقد صبره ؛

_توقفي عن هذا أُمي..أنا أحب شهد و أريد أن أتزوجها حينما أكبر !

و فقط...حل صمت تام أتبعه سمع صوت خطواتٍ ثابتة اقتربت منهما بتأني...خطوات تعرف عليها قبل أن ينظر لصاحبها..و ما كاد أن يلتفت بالكامل لينظر لوالده بنظراته المتمردة المستاءة مستوعبًا بأنه قد سمع كلامه..

حتى كان يتفاجأ من تلك الصفعة التي سقطت على وجهه بقوة..بينما هتف صوت والده فورًا بصرامة تزامنا مع الشبهة الخافتة التي خرجت من بين شفاه والدته..

_اذهب إلى غرفتك !

كانت أول مرة يرفع فيها والده يده عليه حرفيًا..و كانت أول مرة أيضًا يرمقه هادي بتلك النظرة الكارهة..نظرة كارهة بحق..قبل أن يفتح فمه ليمس بكلمة واحدة تحرّرت من أعماق قلبه صادقة ؛

_أكرهك !

تجاوزه بعدها مقتربًا من السلالم صاعدًا إلى غرفته فعلاً..تلك الغرفة التي احتضنت دموعًا حقيقية تسربت من عينيه محملة بنفس الحقد و العجز..الحقد على والده الذي لم يمنحه يومًا سوى الألم و الإهانة..و العجز لأنه استوعب حينها...بأن احتمالية رؤيته لصديقه عما قريب..باتت مستبعدة تمامًا!

#شهد

أظن بأني ابتسمت كثيرًا يومها ! لقد ابتسمت كثيرًا إلى درجة لم أبتسم مثلها من قبل !!
لكني ما توقعت حينها..لا أنا و لا هادي..أن تكون تلك حرفيًا آخر مرة نبتسم فيها بحق في وجه بعضنا منذ سنوات !

كنتُ أقف في المطبخ منحنية قليلًا برأسي و أنا أضع آخر اللمسات على كل ما حضرته اليوم لأجل هادي بمناسبة عيد ميلاده..و احزروا ماذا ! كان لؤي أيضًا يقف على بعد ما يقارب الخطوة مني يساعدني منذ دقائق طويلة !

لا أزال أتذكر مجيئه هو و سجي صباح اليوم بطلب مني..إصرارنا نحن الثلاثة على أن يغادر هادي المنزل إلى أن ننهي من تجهيزات عيد ميلاده..و المطلوب منه بعد عودته...أن يتظاهر بالتفاجئ !

ثم خروجي أنا و سجي في نزهة قصيرة اشتريتُ لهادي فيها هدية جميلة..و التي كانت عبارة عن كاميرا جديدة بتقنيات حاولت أن تكون مميزة بعض الشيء عن تقنيات خاصته..

كان لؤي يتحدث بجاني بأشياء عابرة..و كنتُ أنا فقط أكتفي بالابتسام على ما يقوله أو أجيبه بهدوء حينما يسألني عن شيء ما..أو يعلق على شيء ما بمرح..حتى أنني عجزت عن كبح ضحكة حقيقية بلا صوت حينما قال فجأة كشخصٍ يشي لشخصٍ آخر بسر عميق ؛

_هل تعلمين بأن زوجك المعتوه لم يحضر لي أي هدية من قبل في أي من أعياد ميلادي ؟

كان يتحدث بغيظٍ شعرتُ به و كأنه حقيقي..و ما خطر في بالي في تلك اللحظة بأن احتمالية أن تنتهي شجاراتهما في يوم ما هي مستحيلة..و رغم هذا فقد كانت هناك ابتسامة في عينيه و صوته بينما يتحدث.. فقلتُ بخفوتٍ و بنفس الخجل الطفيف السابق ؛

_هل تفكر أن تفعل به نفس الشيء هذه السنة ؟

قال فوراً بنفس النبرة التي ازدادت غيظاً على نحو لطيف ؛

_كنت سأفعل هذا حتماً لولا سجي..

ثم أضاف فوراً و كأنه تذكر شيئاً ما بمجرد ذكره لاسم سجي بينما يدور في المطبخ و يغسل بعض الأطباق التي استعملتها أنا...ببساطة !

_ألا تشعرين بأن سجي تأخرت كثيراً ؟ لا يعقل أن تستغرق كل هذا الوقت في التجهز !

فتحتُ فمي أهم بالرد عليه ببديهية..لكن دخول سجي المفاجئ منعني..و قد كانت هذه الأخيرة قد جهزت نفسها فعلاً و بدت...جميلة جداً ! بل أكثر من جميلة !!

كانت ترتدي فستاناً أحمرًا طويلاً بعض الشيء..شعرها منسدل بحرية لكنه مصفّف بعناية..و ملامحها بهية مشرقة بابتسامة كبيرة..كانت تبدو خلابة لدرجة أن يتجمد لؤي مكانه تمامًا و هو يحدق بها باندهاش تام..

و لدرجة أن تتسع ابتسامتها أكثر في المقابل..ثم تفعل شيئاً لم أفهمه بشكل جيد..فقد غمزت له ! غمزت و كأنها تؤكد على شيءٍ مر بينهما سابقاً..أو تمرّر رسالة سرية بينهما فقط بدون أن أعرفها أنا !

أشاحت بعدها بوجهها مباشرة متظاهرة باللا مبالاة بينما تقترب مني..و قد استوعبتُ بأن غايتها كانت أنا منذ البداية حينما قالت فجأة ؛

_هيا..حان دورك الآن..

نظرتُ لها بغباء حقيقي و يدي لا تزال متسخة من قالب الحلوى الذي كنت أرتب شكله النهائي الآن..لكنها اكتفت بأن رمقت لؤي بنظرة خاطفة مبتسمة..و قابلها هذا الأخير بابتسامته السرية مجددًا..لكن الابتسامة تداعت بالكامل من وجهه حينما همست بلطف ؛

_سأجهزكِ..هيا تعالي معي و لؤي هنا سيهتم بالباقي..

و قبل حتى أن يتسنى لي الفهم شعرتُ بيدها تمتد إلى مرفقي لتأخذني معها..بينما وصلنا صوت لؤي الممتقع يهتف من خلفنا كمن تم إيقاظه عنوة من حلم جميل ؛

_ لحظة لحظة..من قلتِ سيهتم بالباقي ؟ نحن لم نتفق على هذا سيدة سجي..سجي.....

لم تبدِ سجي أيَّ اهتمام بنداءاته..فقد برزت ابتسامتها أكثر في طريقنا إلى غرفتها هي و لؤي..إلى أن دخلنا..و حينها فقط تذكرتُ أن أقول بنبرة من وقع في ورطة كبيرة ؛
_كنت سأقول بأن عليّ أن أغسل يدي أولاً !

رمقت سجي يدي التي لاحظتها للتو بعينها المكحلتين بإتقان و اللتين يتشابه لونهما الداخلي مع لون عيناها إلى حد كبير..ثم لم تلبث أن أعادت أنظارها إليّ هامسة بدون أن تختفي ابتسامتها الواسعة الجميلة ؛

_لا بأس..يمكنكِ أن تغسلها في الحمام أيضًا..

أومأتُ لها ببطءٍ لكنني لم أتحرك من مكاني فورًا..فقد شعرت بأنني سأفقد شيئًا ما في حال لم أحرّر الجملة التي خطرت في ذهني ؛
_حسنًا.....تبدين جميلة جدًا !

رأيتُ كيف اتسعت ابتسامتها أكثر..بل و تألقت نظرة عينيها إثر ما قلته..لكنها رغم هذا همست برقة ؛

_انتظري قليلًا و سأجعلكِ تبدين أجمل مني بكثير إلى درجة أن هادي سيفقد صوابه بمجرد رؤيتكِ..

شعور من التوجس انتابني حيال هذه الجملة بالذات..ماذا تقصد بأنني سأبدو أجمل منها ؟

ربما كان عليّ أن أخبرها مسبقًا بأنني لا أحب مساحيق التجميل كثيرًا !

اكتفيتُ بابتسامتي كإجابة..قبل أن أتحرك أخيرًا مقترية من الحمام حيث لم يستغرقني الأمر أكثر من بضع ثوانٍ لأعود..ثم قبل حتى أن أستوعب..وجدت نفسي أجلس في كرسي الزينة أمام المرأة..بينما سجي تقف ورائي و ابتسامتها الكبيرة تدعو للراحة..و لعدم الراحة في نفس الوقت !

لكنني تهمتُ بارتياح حينما امتدت يداها إلى شعري بعد أن رفعت المشط لتشرع في تمشيطة برفق..كانت ابتسامتها قد تداعت قليلاً..لكن ليس إلّا لتفصح المجال لتلك النظرة الحنونة بأن تغزو كل ملامحها..

بقيتُ أراقبها من مكاني بشعور قوي من...السعادة !
حتى أنني لم أستطع أن أمنع عيني من أن تدمعان قليلاً و أنا أعيش لحظة عائلية كنتُ أتمنى بيأسٍ سابقاً أن أعيشها..و بدا و كأنها تشاركني مشاعري كما هي..فرايت كيف تضاعفت تلك النظرة في عينيها..

كيف لمعتا أكثر و هي تقترب قليلاً مني لتفتح أحد أدراج هذه الخزانة التي أجلس أمامها..
لتخرج بعض المشابك الصغيرة الأنيقة منها..ثم شرعت بتأني في انتقاء بعض الخصلات من مقدمة شعري في كل مرة و ربطها واحدة تلو الأخرى تاركة الباقي منسدلاً بنعومة صانعة منه تسريحة جديدة لم أفعلها من قبل !

ثم وضعت يديها برفق على كتفائي ما إن انتهت..و سألت برقة بينما تنظر في عيني تماماً ؛
_ما رأيك ؟!

لم أستطع أن أرد للحظاتٍ كنتُ أشعر خلالها بخفقات قلبي تتسارع بطريقة هستيرية..إلى أن همست بصوتٍ متحشرج بعض الشيء و أنا أميل برأسي إلى الجانب قليلاً ؛
_جميلة..لكن لا تزالين أنتِ تبدين أجمل مني بكثير !

كنتُ أتحدث بصدق تام..فهي كانت فتاة جميلة بحق..جميلة ظاهراً و باطناً كما وصفتها من قبل..و تزداد جمالاً في كل مرة تبتسم أو تتسع ابتسامتها بتأثر كالآن تماماً !
هزت رأسها بتأني و كأنها تتوعدني أن تثبت لي بالجزم بأنني أبدو أجمل منها !
و راقبتها بعيني اللامعتين و هي تمد يدها مجدداً إلى نفس الخزانة..فلم أعترض إطلاقاً رغم أنني كنتُ أنوي أن أعترض سابقاً حينما شرعت في الانتقاء بين مساحيق التجميل باهتمام..لكنها توقفت قبل أن تضع أي شيء لي..و سألتني بلطفٍ ؛
_هل تمانعين ؟

حركتُ رأسي بالنفي مباشرة و أنا أحرر ابتسامة جديدة على ملامحي..و لم تنتظر سجي لحظة أخرى بعدها لتتحرك بهدوء إلى أن أصبحت تقف بجاني و مدت يدها اليمنى لتمسك بذقني شارعة بتأني شديد في تلوين وجهي بتلك المواد التي لا أعرف اسمها جميعها..
لكنها همست لي أثناء ذلك بهدوء ؛

_لا تقلقي...سأضع لك القليل فقط..

ثم أضافت بنبرة شابهها بعض المرح المحبب ؛

_ما يكفي لنجعل هادي يفقد صوابه في انتظار أن ينتهي من إطفاء الشموع !

اتسعت ابتسامتي حتى كادت أن تصل إلى أذناي و أنا أراقب الطريقة التي كانت عيناها

تنظران بتركيز إلى حركات يدها..و قد ساد بعض الصمت بيننا..صمت قطعته هي مجددًا..حينما

همست بحماسٍ هادئ بينما تسقط يدها التي كانت تضع لي الزينة بها أخيرًا ؛

_انتهيت..

شعرتُ بالتردد حينها من أن أستدير قليلًا لأقابل وجهي في المرأة..لكن عيني سحى اللتين كانتا

تحتانني بعد أن عادت لتقف ورائي..هما ما جعلني أرمش ببطءٍ و أنا أرمق صورتني في المرأة أخيرًا..

و لا أحتاج أن أقول بأنني بدوت...مختلفة جدًا ! هل أصبحتُ أبدو أكبر قليلًا من سني ؟ أم

أصغر !!

في جميع الأحوال الشيء الوحيد الذي يشغلني حاليًا هو...كيف ستكون ردة فعل هادي على

هذا ؟!!!

_ما رأيك الآن ؟!

سمعتُ صوت سحى يرتفع بهذا السؤال الجديد..رفعت عيناي لأقابل عينيها و ذلك الارتفاع

بأحد حاجبيها بتردد..بدا و كأنها قد طلبت مني للتو أن أحدد ما إن كنت قد غيرت رأيي حيال ما قلته

قبل قليل..

و رغم أنني...بكل صدق..أعجبتُ بالنتيجة جدًا..إلا أنني همست أكرّر مجددًا بنفسِ الصدق ؛

_لا تزالين أجمل !

تهيدة يائسة حررتها سحى من هذا الرد..لكنها رغم هذا همست بجدية تنافس ابتسامتها و

بريق عينيها ؛

_لكن ليس في نظر هادي !

حينها..لم أشعر بنفسي و أنا أقول مباشرة ؛

_لكن في نظر لؤي !

أظن بأنني فزت قليلًا !

لأنني رأيتُ كيف رفعت سحى حاجبيها بدهشة حقيقية مني..لكن حتى تلك الدهشة لم تنجح

في أن تمنع ضحكة متألفة من أن تحتل ملامحها..ضحكة هادئة شاركتها إياها..

ثم سرعان ما كانت تتنهد مطوَّلاً مع تداعي تلك الضحكة تماماً.. ليحل محلها مجرد ابتسامة صغيرة شابهها بعض الشرود المرتبط بي على ما يبدو.. فقد رفعت يدها بعدها لتلمس شعري مرتبة برقة.. و بنفس تلك الرقة همست و هي تتأملني بإخلاص ؛

_لطالما تمنيت أن تكون لديّ أخت لأستطيع أن أقوم معها بكل هذا !

هل تقصد بـ هذا.. هذا الاهتمام الكبير الذي تقدمه لي منذ أن اكتشفنا هذه الحقيقة و قبلها

حتى ؟ أم هذه النظرة التي تتأملني بها و كأنها تتأمل شيئاً جميلاً بحقّ..

أم ابتسامتها.. و كلماتها الجميلة لي !

إذا كانت تقصد بتلك الثلاثة حروف فأنا أود أن أقول بأن هذا الوصف المختصر لا يكفي أبداً

لإيفاء هذه اللحظات الجميلة التي أصبحت أعيشها منذ أن استعدت أحد أهم أجزائي المفقودة !

صوت طرق هادئ فوق الباب لفت انتباهنا نحن الاثنين.. هتفت سحى بهدوء ؛

_نعم ؟!

فجاء صوت لؤي حائقاً بعض الشيء ؛

_ألن ينتهي هذا التجهيز أبداً ؟ ألا ترون بأنني عالق هنا و هادي على وشك الوصول !

ضحكة أخرى زينت وجه سحى و شاركتها إياها بنفس الطريقة.. قبل أن تتنهد و تهمس لي

بخفوت ؛

_لا أستبعد أن يقتحم الغرفة بعد لحظة واحدة في حال لم نخرج.. تعالي معي..

مر الوقت بعدها سريعاً جداً.. لقد جهزنا كل شيء سوياً.. من الطاولة إلى الزينة التي قام

بتعليقها لؤي و سحى في الجدران بعد إصرار منهما عليّ باعتكاف بعض الراحة ريثما يعود هادي..

إنها تلك اللحظات التي أتفاجئ بالجميع يعاملني و كأنني عجوز صغيرة فقط لأنني حامل !

جلستُ فوق الأريكة الأثيرة أراقبهما يستأنفان كل ما تبقى من عمل.. و لن أنكر و أقول بأن

أمر مر اقبتهما لم يكن ممتعاً.. و لن أنكر أيضاً و أقول بأنني لم أتفاجئ قليلاً من الطريقة التي كانا

يتضاحكان بها بين كل لحظة و أخرى حينما يهمس أحدهما بشيء ما للآخر..

و كيف كانا يتشاجران في بعض اللحظات شجارات غير حقيقية لكنها ممتعة جداً.. كأن يدفع

لؤي سحى من كتفها بتعمد بينما يقفان فوق مقعد دفعه لؤي قريبين من بعضهما لتثبيت الزينة.. فترد

له سحى الدفعة بقوة بدون أن تخبو ابتسامتها تحت النظرة المتوردة العابسة..

لكن ما جعلني أعجز تماماً عن كبح نفسي من الضحك.. حينما قالت سحى بصوت سمعته رداً

على شيء قاله لؤي ؛

_ هذا أمر لا يقبل النقاش فيه لؤي..لقد أخبرتك بأني سأعانقه في المناسبات الهامة و

وافقت..أي مناسبة تبدو لك مهمة أكثر من عيد ميلاده !!!

لكن لؤي لم يبدو متفهمًا جدًا لها كما اعتدت أن أراه دائمًا..فقد هتف بصوت قاطع ؛

_هل أنا حقًا وافقت على هذا الهراء ! أنا أراجع في كلامي إذا !

هتفت سجي التي كانت تحمل في يدها قداحة النار تهم بإشعال مجموعة الشموع التي تركز

فوق قالب الحلوى بحاجب مرتفع استنكارًا بينما لؤي يرتب الطاولة بجانبها..

_لؤي !!!

فهتف هو الآخر بحاجب مرتفع بنفس طريقتهما ؛

_سجي !!!

_لن نتحدث في نفس الموضوع مرارًا وتكرارًا..

_أنا من يجدر بي أن أقول هذا !

_حسنًا لن أضمه من تلقاء نفسي..لكن لو حاول هو أن يضمني فلن تمنعه !!

_هذا أسوء من الاحتمال الأول !

_ماذا نفعل إذا ؟!

_يمكنك أن تمسكي بيده !

_إنه ابن خالتي !

_و أنا ابن خالتك أيضًا وزوجك فوق كل هذا بالمناسبة !

لم يكذ يكمل آخر حرف حتى كان ينتفض قليلاً حينما تأوهت سجي و هي تفلت القداحة التي

كانت تشعلها للتو من يدها..و قبل حتى أن تفتح فمها لترد عليه كان لؤي يمد يده ليمسك بيدها التي

كانت تحمل القداحة بها متفقدًا أصابعها بلهفة..

حينها فقط كان يعم المنزل بعض الهدوء..فقد بدا و كأن سجي قد قرّرت أن تأخذ هدنة تتأمله

فيها قليلاً إلى أن ينتهي ممّا يفعله..لكن الهدنة لم تنتهي..فقد طرق الباب فجأة طرقتين متتاليتين..

فوقفت مباشرة و أنا أسمع صوت المفتاح يدور في القفل..حينها لم أعلم حتى متى تمكن لؤي و

سجي من تمالك نفسيهما..فما كاد هادي أن يتقدم خطوة واحدة ناظرًا حول المكان بترقب..

حتى سمعتُ بارتياح صوت تصفيقات هادئة من الاثنين..في نفس الوقت الذي ارتفع صوت

سجي فقط مرددة كلمات الأغنية المتعارف عليها لأعياد الميلاد..

نقل هادي أنظاره بيننا بغباء حقيقي..من سجي التي تبدو وكأنها الشخص الوحيد الملتزم
بقواعد عيد الميلاد..إلى لؤي العابس قليلاً بلا معنى..ثم إليّ أنا مجدداً..
قبل أن يغلق الباب و يقترب بهدوء إلى أن وقف أمامي تماماً يحدق بي بما يفوق...الدهشة و
الانهار ! و ربما كانت تلك النظرة منه هي ما ذكرتني بشكلي المختلف اليوم !
ابتسمتُ بتوتر قليلاً و أنا أحدق به بانتظار أن يقول أيّ شيء..لكنه لم يتحدث إطلاقاً..فقد
ظل يحدق بي فقط و كأنه يراني لأول مرة !

أو كأن عينيه وقعتا فجأة على شيء غريب..لكنه جميل و مبهّر في نفس الوقت !
هل أبدو جميلة إلى هذا الحد فعلاً ؟ إلى درجة أن يتحقق كلام سجي..فأنا كنتُ أقف بجانب
هادي الآن أنظر في عينيه و أشعر فعلاً بأنه على وشك فقدان صوابه دهشة !
حينما تأكدتُ من أنه لن يتحدث أبداً..فتحت فمي لأهمس أنا بدلاً عنه بنبرة أظهرت حباً
عظيماً ؛

_لقد أخبرتني ذلك اليوم بأنك تركت قطعة لي من الكعك لكنني لم أكن معك لأتناولها ! لقد
تحققت أمنيته اليوم..يمكنك أن تطفئ الشموع و أنت تنظر في عيناى أيضاً !
كنتُ أخشى أن لا يكون قد سمعني و أنا أقابل ذلك الصمت منه و أرى نظراته التي لم تتغير
بل على العكس ازدادت نهماً في التنقل بين كل إنشٍ من ملامحي..
ثم فجأة...رفع يده ببطءٍ إلى أن لمس بها جانب وجهي..ففعلتُ أنا الشيء الوحيد الذي كنت
أستطيع فعله..أغمضت عيناى مستشعرة تلك اللمسة البسيطة بروحي..حينها فقط...سمعت صوته
يهمس مخاطباً سجي على ما يبدو ؛

_أنتِ من فعلتِ هذا..أليس كذلك ؟

فتحتُ عيناى بعدها مستوعبة معنى سؤاله..فقد كان يسألها عن تسريحة شعري و شكلي
المختلف..نظرت إلى سجي التي كانت لا تزال تقف في نفس المكان..و قد حركت رأسها مبتسمة بمحبة
لكلينا..

قبل أن أشعر بيد هادي تنخفض إلى أن أمسك بها يدي الآن..ثم قبل أن يسحبني برفق ناحية
الطاولة..نظر في عيناى و قال مبتسماً تلك الابتسامة الضئيلة التي أحب ؛
_في حال كنتِ تتساءلين عن رأيي..فلقد...بدوت جميلة جداً !!

اقتربنا بعدها من الطاولة المتوسطة الحجم..كانت الساعة الآن قد تعدت التاسعة مساء..و رغم أن أضواء المنزل كانت مشتعلة عكس ما يجدر به الحدوث..إلا أن الجو لم يلبث أن ازداد روعة و دفئًا عائليًا..

وقف هادي خلف الطاولة بدون يترك يدي للحظاتٍ..و حينها..رأيتُ لؤي يقترب تلقائيًا ليضمه بمجرد اقترابه..ثم قال بنبرة خرجت جادة تلك المرة و هادي يضمه في المقابل بعد أن ترك يدي أخيرًا ؛
_كل عام و أنت بخير أيها الزرافة !

حسنًا..آخر كلمة لم تكن جادة جدًّا !

ابتعد بعدها ناظرًا إلى سجي التي كانت عيناها الآن في عيني هادي..لكنها أشاحت بهما قليلًا لترمق بطرفهما لؤي بنظرة لانته تمامًا عن السابق..

علمتُ بأن تلك كانت طريقتها في إلقاء نفس السؤال عليه بدون صوت..

و استطعتُ أن أستنتج أيضًا بأن كل الشجارات السابقة كانت بدون معنى..لأنها الآن بينما تنظر في عينيه..كانت تبدو و كأنها تمنحه وعدًا حقيقيًا بأنها لن تقترب خطوة أخرى من هادي لو لم يتخلى عن موقفه السابق و يسمح لها بعناقه !

و قد سمح لها...منحها الإذن بطريقة جميلة جدًّا..شبح ابتسامة عاشقة و كأنه يتأمل كنزًا ثمينًا لديه..و هزة بسيطة بالكاد ترى من رأسه..حينها فقط..كانت تعيد أنظارها لهادي الذي اكتفى بمرآة الوضع مثلي بحاجب مرتفع قليلًا..

لكن ملامحه ارتخت تمامًا و تهللت ابتسامة حقيقية في عينيه حينما اقتربت سجي تلك

الخطوة المتبقية و حاوطته في عناق نقي مغمضة عينها بإخلاص..

كانت لحظة لم أشعر خلالها بذرة واحدة من الغيرة..

بل ما شعرتُ به تمامًا..هو الكثير من السعادة الإضافية و العطف و أنا أرى كيف أغمض

هادي عينيه محررًا تهيدة طويلة محملة بشعور قوي من الارتياح..

ثم همس و هو يشدد من احتضانه لسجي و كأنه يحتضن أخته الوحيدة كما وصف سابقًا ؛

_لقد اشتقت إليك جدًّا..اشتقت إليك بحق !

كانت كلماتٍ تحمل مغزى أعمق من ظاهرها..هو لم يكن مشتاقًا لها بالمعنى العام..بل ما

اشتاق له فعلاً..ابتسامة سجي و شقاوة سجي و قوتها ! و هذه كلها صفات قد عادت بعد وقتٍ طويل

من ذبول لاحظه كل من يحيط بها..و لا أحد منا يعرف أسبابه الحقيقية !

إلى أن ابتعد كل منهما عن الآخر..و مجددًا فعل لؤي نفس الشيء..فقد جذب سحى من كتفها ليضمها في حضن جانبي و كأنها حركة حاول بها أن لا يسمح لها أبدًا بالإحتفاظ بشعور أيّ حضن غير حضنه !

ثم بعدها بأقل من بضعة ثوانٍ..وقف هادي بيننا منحنيًا قليلًا بينما ينفخ على كل تلك الشموع واحدة تلو الأخرى..

و لوهلة...بينما أتأمله من مكاني القريب..شعرتُ و كأن من يقف بجاني الآن ليس هادي الشاب حاد الملامح الصارم..بل ذلك الطفل الذي يبلغ ثلاثة عشر سنة..و الذي يقف بنفس الطريقة الآن و ينفخ على الشموع مستحضرًا في ذهنه صورة صديقه !

حتى أنني طرفتُ برموشي و كأنني أراه فعلاً..لكنني علمت بأنني أتوهم حينما استدار إليّ هادي تزامنًا مع استقامته..نظر لي مبتسمًا ابتسامة كبيرة متألقة جدًا..لكنني أجبرت على أن أفارق ابتسامة شفتيه لأقابل عينيه مجددًا حينما ارتفعت يده نحوي بتلك القطعة الصغيرة من الكعك.. و قد بدا و كأنه يسألني بعينه أن أتذوقها لأثبت له بأن ما يحدث حقيقي فعلاً..و بأن الأمنية القديمة قد تحققت أخيرًا !

و هكذا فعلت..اقتربت قليلًا لأتذوق الكعك من يده بدون أن أفارق عينيه أو تفارق البسمة عيناى..

إلى أن رفع قطعة أخرى قدمها لسحى..ثم لؤي...و ما حدث بعدها مباشرة بعد فتح هدايا كل منا..هدية سحى التي كانت عبارة عن حذاء رياضي أبيض غالي الثمن.. وهدية لؤي التي كانت عبارة عن سترة سوداء جلدية أحبها هادي جدًا..ثم هديتي التي أسعدته جدًا..

أن جولة غريبة من التقاط الصور قد بدأت..كعادة هادي بالطبع !

لقد التقط لنا الصور بكل الأوضاع الممكنة..صورة لي أنا و سحى..صورة أخرى لسحى و

لؤي..صورة له و لي ثم أربعتنا و هكذا إلى ما لا نهاية ! أو هناك نهاية !

فقد جلسْتُ بعدها بدقائق بجانب سحى في المطبخ..حول الطاولة المتوسطة الحجم..بعد أن أفصحت هذه الأخيرة عن رغبتها في التحدث معي..كنت أنظر لها بترقب بينما أنتظر أن تتحدث بما تريد..بينما ظل لؤي و هادي في الهو يتحدثان بأشياء لم نسمعها..

رفعت سحى يدها برفق لتغطي بها يدي فوق الطاولة..ثم همست تنظر في عيناى بجدية ؛

_ ما سأقوله الآن لا أريد منك أن تعتبره شيئًا مسلمًا به أو طلبًا مني تجبرين على قبوله.....

صمتت للحظة واحدة تنظر في عيناى بنفس الجديدة..فحركتُ رأسي ببطءٍ و كأنني أؤكد لها
بأنني فهمت ما تحاول قوله و أحثها في نفس الوقت على التحدث..إلى أن فتحت فمها أخيراً و قالت
بهدوء :

_لقد اقترحت خالتي عليّ أن أتولى منصبها في دار الأيتام !
ارتفاع بسيط ظهر في حاجبائي..و لم أستطع أن أمنع شعوراً حقيقياً انتابني من السعادة بهذا
الخبر..لكن نفس تلك السعادة خبت و حل محلها شعور غريب و أنا أسمعها تستأنف بنفس النبرة ؛
_لكنني لا أريد استلامه...!

ترددت لوهلة قصيرة..ثم أضافت بجدية ؛
_في الحقيقة أنا...فكرت بأنك أنت أكثر شخص مؤهل لاستلام هذا المنصب و تولي مسؤولية
ك هذه !

" 6a ؛لوي "

#الكاتبة

لطالما آمنت...منذ طفولتها الصغيرة الكنيبة..بأن الحياة شيء غريب بالفعل..لقد عاشت في حياتها تناقضات لا تحصى بحيث باتت تشعر أحياناً بأنها امرأة عجوز تقف على حافة نهاية الطريق.. لكنها نهاية مُرضية جميلة لأقصى حد..نهاية تشبه البداية كثيراً..فهي لا تعتبر حياتها التي عاشتها قبل أن تقابل تلك العينين كأجمل هدية منحت لها من السماء حياة !

لقد كانت نهاية تشبه البداية كثيراً..لأنها سواء في بدايتها أو نهايتها..كانت رفقيتها الوحيدة هي تلك العينين و صاحبهما...لكنها أجمل منها بكثير !

" ما سأقوله الآن لا أريدك أن تعتبره شيئاً مُسلماً به أو طلباً تضطرين لقبوله..... "

" لقد اقترحت خالتي عليّ أن أتولى منصبها في دار الأيتام.. "

" في الحقيقة أنا..فكرت بأنك أنت أكثر شخص مؤهل لاستلام هذا المنصب و تولي مسؤولية كهذه ! "

لا تزال حتى هذه اللحظة تشعر بنفسي الرهبة تعترها كلما استعادت هذه الجملة بصوت سجي..نفس التردد و الصدمة الفائقة التي قابلتها بها يومها..

قبل أن تفتح فمها بعد وقتٍ طويل إزاء نظرات سجي المترقبة لتهمس أول شيءٍ خطر في بالها وقتها ؛

_..ماذا ؟ أ..أقصد..ما الشيء المميز الذي قد أقدمه أنا إلى هذا المنصب ؟!!

كانت تتحدث بتلعثم و ملامحها شاحبة بعض الشيء..قبل أن تقترب قليلاً من سجي مسترسلة بصوتها الخافت الذي لم يتخلص من صدمته بعد ؛

_ثم..ألم تقولي بأنها أكلت هذه المسؤولية إليك !

هزت رأسها بعدها في حركة لا معنى لها و هي تهمس بإقرار ؛

_السيدة عفاف ستفضل أن يتم إغلاق الدار على أن أجلس أنا في ذلك الكرسي صدقيني !

كانت و كأنها تحاول أن تجد طريقة تمهّد بها رفضها الحقيقي أمام سجي معتمدة على تبريراتٍ واهية بدون أن تضطر لنطقها مباشرة..

إلا أن سجي الجالسة بجانبها..و التي كانت تنظر إليها طوال الوقت بابتسامة هادئة في عينيها..قالت بعد انتهاءها بهدوء تام..و كأنها كانت تقرأ معها أفكارها و تستطيع بدون أن تسألها أن تحدّد ما هو حقيقي ممّا قالته أو غير حقيقي !

_تلك كانت السيدة عفاف التي عرفتھا طوال حياتك..و هي لم تعد تشبه حتمًا المرأة التي قابلتها قبل عدة أيام و بدت لي و كأن كل غايتها من منح هذه المهمة لي هو التخلص من عبءٍ ما.. صمتت لوهلة صغيرة تنظر في عيني شهد اللتين ظهر فيهما بعض الإحباط..ثم أضافت بخفوتٍ و هي تحتوي يدها المريحة فوق الطاولة أكثر ؛

_وربما أيضًا التكفير عن ذنب ما !

لم تجد شهد ما ترد عليها به بعد هذا..و للمرة الثانية سجي..تقابلها بتفهم منقطع النظير..

بحيث همست مجددًا بثباتٍ و هي تقترب منها قليلًا بوجهها ؛

_اهدئي قليلًا شهد..أنا لم أطلب منك أن تمنحيني أيّ إجابة الآن..يمكنك أن تفكري القدر الذي تشاءين قبل أن تقرري..

حينها فقط..كانت تخبو نظرة الإحباط السابقة..و ما حل محلها كانت ابتسامة غير مكتملة خطّت ملامح شهد ببطءٍ..لكنها تحمل وميضًا من امتنان كبير و كأنها قد أزاحت عن كتفها ثقلًا حقيقيًا بما أضافته..

لكن النظرة في عينيها تاهت بعدها أكثر و هي تقلب الأمر في ذهنها بتشوش كبير..أن تستلم منصب المديرية في دار الأيتام التي أمضت بداخلها معظم سنوات حياتها حتى الآن من طفولتها إلى مراهقتها..

يعني أنها ستكون مضطرة طوال الوقت للذهاب إلى هناك بشكل دوري إن لم يكن كل يوم..ستقابل كل الأشخاص الذين بدأت تفقد تفاصيل ملامحهم في ذهنها مجددًا.. ستجلس في الكرسي الكبير خلف مكتب تعودت أن تقف أمامه تستمع إلى كلماتٍ سامة غالبًا يتم توجيهها إليها إما بدافع توبيخها على خطأ ما..أو حينما تضطر هي للجوء إلى صاحبته لتطلب منها الإذن للقيام بشيءٍ ما..

ستقابل كل الاطفال الذين فارقتهم و زميلات لا زلن يعشن نفس المعاناة هناك.. لكن الأهم من هذا..هو أن كل أولئك الأشخاص..من مشرفات تعودت وجودهم من حولها سابقًا و الإنصات لأوامرهم كأولياء أمر رغم أن الكلمة تحمل بعض المعنى العاطفي الذي كانت تفتقره معاملة معظمهم لها..

و أطفال صغار لطالما تكلل قلبها بالعطف نحوهم حتى و هي تشاركهم نفس المصير.. و زميلات
غرفة و نوم و دراسة..

جميع أولئك الاشخاص.. سيصبح مصيرهم تقريباً في يدها هي لو قبلت بهذا المنصب !
لقد تحدثت مع هادي بعدها حيال هذا الموضوع.. تحدثت معه لساعاتٍ طويلة متفرقة.. و في
كل مرة كان يمنحها جواباً يشغل تفكيرها لساعاتٍ بعدها.. ثم يمنحها بعدها كامل الحرية لاتخاذ
قرارها بنفسها..

لكن أكثر كلماتٍ علقت في ذهنها.. هي تلك التي همسها لها بينما يجلسان في الأريكة القابعة في
غرفتهما الدافئة.. و المظلة على الحديقة الواسعة حيث تعود أن يراقبها هادي منها..
و قد كانت حينها كعادة باتت قديمة بينهما..

كانت تجلس فوق ركبتيه.. تريح رأسها بسكون تام على صدره.. و ذراعاه تلتفان حول جسدها
المستند إليه كما تفعل دائماً..

حينما تسلل صوته الدافء إلى أذنها مجيباً حيرتها ؛

" يجب أن تعلني جيداً بأن مو افقتك أو رفضك على هذا هو خيارك الخاص.. أنت فقط.. لكن
لو نظرنا إلى الأمر من زاوية بعيدة.. فأنا أتفق مع سجي و أستطيع تفهم سبب اختيارها لك أنت بالذات
شهدي.. هذا لأنك أنت الشخص الوحيد الذي سيستطيع أن يصنع مستقبلاً أجمل لكل أولئك
الأطفال.. أنت أكثر شخصٍ يستطيع أن يتفهم موقفهم لأنك كنت واحدة منهم ذات يوم حبيبتي.. أنت
تشبهين أملاً جديداً لهم.. سيغير وضعهم المزري سابقاً إلى وضع أفضل.. لأنك قبل كل شيء.. أنت إنسانة
جميلة لن تنظر لهم على أنهم وسيلة فعالة للحفاظ على سمعة نظيفة بين العالم.. أنت لا تشبهين أُمي
شهد.. و لهذا السبب تحديداً بالنسبة لي و لسجي و لؤي و كل العالم... أنت من تستحقين أن تجلسي
في ذلك المقعد و تأخذي مكانها ! "

لا تزال تتذكر أيضاً نبرتها التي خرجت مترددة بعض الشيء و هي ترفع رأسها لتقابل عينيه
النافذتين إلى أعماقها عن قرب ؛

" هل أقبل إذا ؟ ! "

ثم صوته الحبيب يجيئها بحنان و هو يبعد خصلات ناعمة من شعرها إلى جانب وجهها و
خلف كتفها ؛

" إذا كنتِ تشعرين بأنك تريدين هذا من داخلِك ! "

و ها هي ذي اليوم..بعد ما يتعدى الشهرين..تقف في غرفة منفصلة بهذه الدار الكبيرة..أمام
المرأة الفاخرة تنظر لشكلها الـ...مرتب بشكل مبالغ بالنسبة لها ! و كل هذا بفضل سحى بالطبع التي
أصبحت ربما هو ايتها في آخر فترة أن تستعرض مَهاراتها من خلالها !

و نفس التردد السابق لا يزال يعتري ملامحها بشكل طفيف جدًا الآن..لكنها كبحتة قليلاً و هي
ترفع يدها اليمنى ببطءٍ إلى أن لمسَت بها القلادة الماسية المتدلّية من عنقها..تلك التي أهداها لها هادي
في ليلة عقد قرانهما الثاني..

لمسَها فقط برقة و هي تسحب نفساً جديداً إلى صدرها تحاول أن تستعد نفسياً للخطوة التي
ستقطعها اليوم.....أهم خطوة !

كانت يدها الأخرى ترتاح الآن فوق بطنها الذي ازداد وزنه أكثر و أكثر عن ذي قبل..فهي الآن
حرفياً في منتصف الشهر الثامن..قبل أن يصل إلى مَسامعها صوت انفتاح الباب..ثم ظهر من خلفه
كأجمل شيءٍ تراه اليوم و دائماً.....هادي !

و قد كان...على غير العادة..يرتدي اليوم بدلة سوداء كاملة..باستثناء ربطة العنق بالطبع..
تنساب على قوامه الرجولي لتزيد من تلك الجاذبية الصارخة في ملامحه..شعره الناعم مرتب أكثر من
العادة و هو يرفعه كما تعود دائماً إلى الخلف تاركاً خصلاته تلامس مؤخرة عنقه...ثم ابتسامته !
ابتسامته بدت و كأنها تحمل شعاعاً عميقاً من الفخر..حينما توقف للحظة يقابل انعكاس
عينها في المرأة التي تقف قبالتها..و رغم أنها لم تستطع أن تبتسم مثله الآن..إلا أنها شعرت بنفس
الاختلاج يحدث بخفقات قلبها ليفقدتها توازنها السابق و هي تتأمله من مكانها..

قبل أن يتقدم خطوة أخرى و يغلق الباب خلفه بهدوء..اقترب منها بعدها بتأني جاعلاً من
خفقات قلبها ترتجف قليلاً و كأنها أول تراه..إلى أن وقف خلفها تماماً..و ارتفعت يده مع اتساع
ابتسامته الدافئة قليلاً لتحطان على كتفها سائلاً باهتمام ؛

_هل أنتِ مستعدة إذا يا سيدة شهد ؟!

رمقت عيناه أثناء تحدّثه يدها الملامسة للقلادة في عنقها..قبل أن يعيد أنظاره إلى عينها يحثها
على الرد بصمتٍ..و هي ردت..همست ببعض التوتر ؛

_أظن هذا !

ارتفاع بسيط ظهر في حاجب هادي الأيمن و كأنه لا يشعر بالرضا التام من هذه الإجابة..بينما
سحبت شهد نفساً مرتجفاً قليلاً إلى صدرها..

قبل أن تزفر مجدداً و تهمس معترفة أمام عينيه بصدق ؛

_حسنًا لن أنكر..أنا أشعر ببعض التوتر !

شعرت بيدي هادي اللتين تركتا كتفها ببطء..لكن ليس إلّا لينخفض قليلاً بجسده إلى أن حاوط بهما خصرها الآن..و بسط يده الكبيرة فوق بطنها البارزة..ثم همس يخاطب عينيها بينما يلصق ذقنه بكتفها ؛

_هل يمكنك أن تخبريني بالسبب تحديدًا !

ابتسامة مشوبة ببعض الإحباط لامست عينيها و هي تلتزم الصمت أمامه للحظات..إلى أن همست بصدق تام و هي تبسط يديها فوق يديه و ترمق الورقة المطوية بعناية و التي كانت ترتاح فوق المنضدة أمامها ؛

_هناك العديد من الأسباب..أولها أنني لم أحب الخطاب الذي كتبتة و لا أشعر برغبة في قراءته..

رأت بعينيها كيف لانت نظرة عيني هادي و هو يتأملها فقط للحظة..قبل أن يحرك شفتيه مجيبًا بكل بساطة ؛

_لا تقرئيه إذا..تحدثي بعفوية فقط..عن ما تشعرين به...و عن الأشياء التي تطمحين في إضافتها هنا !

لكنها لم ترد عليه بأي كلمة..ظلت فقط تنظر له من بين شبح ابتسامة ارتسمت ببطء في عينيها..ابتسامة حقيقية الآن رغم أنها لم تكتمل أبدًا..لكن هادي لم يركز مع ابتسامتها بقدر ما كان يشعر بالقلق من التردد الذي يعتري عينيها..

فهمس فجأة و هو يرفع رأسه عن كتفها و يلتفت قليلاً بوجهه لينظر لها بدون أن يتوقف عن احتضانها أو يغير من وضعية وقوفه خلفها ؛

_انظري في عيناى !

نفذت شهد بدون تردد..أدارت رأسها قليلاً إلى أن نظرت في عينيها عن قرب..رغم أنها كانت تستطيع أن تنظر لهما من المرأة أيضًا..و حينها فقط رفع هادي يده إلى أن احتوى بها جانب وجهها تزامنًا مع اقترابه قليلاً إلى أن طبع قبلة طويلة فوق جبينها..و أراح جبينه على نفس المكان سائلًا بخفوت ؛

_هل تتذكرين ما قلته لك ذلك اليوم !!؟

_هممم !

اكتفت شهد بهذه الإجابة القصيرة و هي تغمض عينيها بسلام شاعرة بأنفاسه تلفحها عن قرب و كأنها تهمس لها بكلماتٍ أكثر تأثيرًا و تحفيزًا من كلماته حتى..لكن هادي لم يتوقف عند هذا الحد..همس مجددًا بنفسِ النبوة الخافتة جدًّا ؛

_هل أكرّره !!؟

حركت شهد رأسها بالنفي ببطءٍ فوق جبينه..فعاد يهمس و هو يرتب خصلات شعرها الناعمة المنسدلة بحرية اليوم بيده الملازمة لجانب وجهها ؛

_ماذا إذا ؟!!

حينها فقط..:كان ينال منها جوًّا حقيقيًّا..حينما قالت بصوتٍ أشد خفوتًا من صوته و هي ترفع يدها ببطءٍ إلى أن غطت بها ظاهر كفه بدون أن تسقطه عن وجهها ؛

_لا تتوقف عن النظر في عيناى طيلة مدة وقوفى على المنصة..أحتاج بشدة لهذا هادى !

_لن أتوقف عن النظر لهما ما حييت !

همس مباشرة و شفتاه تبعدان عن شفتيها ببضع إنشات..ثم بعدها مباشرة ما إن فتحت عينيها لتقابل عينيه..حتى كان يقطع تلك المسافة الصغيرة بينهما ليشكل بأنفاسه و أنفاسها قبلة ناعمة جدًّا..

قبلة عادت شهد لتسدل جفونها استسلامًا لها..و تحركت أنامله على إثرها لتحتوي جانب وجهها أكثر ملامسًا بطرف إبهامه رموشها المرتعشة لأجله بينما يطبق عينيه مثلها.. إلى أن ابتعد قليلًا مبتسمًا و عاد جبينه ليلمس جبينها و هو يسمع صوت أنفاسها يتردد في أذنيه كسيمفونية هادئة جميلة..لكن صوت تأوه صغير منها جعله يبتعد قليلًا فقط سائلًا بقلق و هو يرى يدها التي تحركت تلقائيًا لتلمس بطنها بينما تسقط رأسها قليلًا مغمضة عينيها بشدة..

_ما الخطب الآن ؟ أنتِ منذ الصّباح تبدين لى لستِ على ما يرام !

لاحظ أناملها التي تقلصت قليلًا فوق بطنها..بينما برز تعبير من الإرهاق فى ملامحها..و رغم هذا فقد هزت رأسها بالنفي هامسة و هي تتمسكُ بيده بيدها الحرة و تشعر بذراعه الآخر الذي التفّ من حولها و كأنه يعانقها جانبيًّا..

_إنها نفس الأعراض المعتادة هادى..أرجوك لا تقلق..أنا بخير تمامًا..

فتحت عينيها بعدها ببطءٍ إلى أن نظرت فى عينيه القلقتين..إلا أن هادى لم يقتنع تمامًا

بردها..فهمس مكرّرًا و هو يتمسكُ بيدها بقوة و بها هي الأخرى ؛

_هل أنتِ بخير حقًا ؟! يمكننى أن أقوم بإلغاء كل ش.....

_لا..لا تلغي أي شيء..

قاطعته شهد فجأة بصوتها الخافت و ملامحها تستعيد القليل من دماءها..قبل أن تجبر نفسها على الاستقامة أكثر في طريقة وقوفها..ثم أسقطت أناملها عن بطنها مطمئنة بخفوت ؛
_أنا بخير حقًا هادي..لا تنسى بأنه آخر شهر و قد قالت الطبيبة بأن الشعور بنغزات ألم أكبر خلاله هو شيء طبيعي..

و كالعادة تمامًا...فمن بين كل ما قالته انتقى عقله الجملة التي يريد..فهمس يكرّر بصوتٍ اشتد قليلًا بذلك الشعور المألوف من الذنب في قلبه كلما رأى إرهابها و ألمها ؛
_نغزات ألم ! هذا يعني بأنك تتألمين حقًا !

نظرة جديدة من الإحباط ظهرت في عيني شهد و تغلب عليها طيف الابتسامة الذي ظهر في جوفهما و هي تهمس نافية بسرعة ؛
_إنه ألم خفيف هادي..و قد بدأ يختفي أساسًا..

لانت نظراته أمامها بشكل جعل من ابتسامتها تتعمق في عينيها فقط..بينما همس هادي و هو ينقل عينيه بين كل إنشٍ من ملامحها ثم يعود ليتأمل تلك الابتسامة خوفًا من أن تختفي ؛
_هل أنت متأكدة ؟!

لقد كانت تعلم بأنه يحاول أن يطوع نفسه في آخر فترة حتى يتوقف عن المبالغة في قلقه الذي يتسبب لها في الأذى أحيانًا..و ربما هذا هو السبب الوحيد الذي جعله الآن يتخلى عن رغبته الصارمة فعلاً بتأجيل كل شيء..و احترام إرادتها الكاملة !
لهذا هزت رأسها ببطءٍ و هي تحرص على أن تظهر ابتسامتها أكثر..ثم همست أثناء ذلك بنبرة حاولت أن تكون ثابتة قدر الإمكان و هي ترفع يدها التي كانت تلمس بها بطنها لتلمس بها ذقنه الحليق الآن ؛

_متأكدة من أنني...أريد أن أقف على المنصة اليوم و أعلن عن استلامي لهذا المنصب !
و لم يجد هادي بدا أمامها من أن يرفع يده بهدوء إلى أن قبض على يدها بها إلى أن أسقطها قليلًا إلى فمه و طبع قبلة عميقة فوق الأثر القديم في معصمها..قبل أن يتخلل أناملها الرقيقة بأنامله..

ثم همس و هو يحثها على السير بجانبه نحو الباب ؛
_دعينا نخرج إذاً..

كانت الساحة الكبيرة.. نفس الساحة التي تجولت فيها لمراتٍ لا تعد في طفولتها و مراهقتها و توقفت في منتصفها تستمع إلى أوامر المُشرفات أو توبخهم.. تلك الساحة التي كانت تشبه بيتًا لها.. بيتًا حقيقياً رغم افتقاره إلى مفهوم البيت !

تعج بالناس.. العديد من المُشرفات اللواتي تعرفهن مسبقاً و يعرفنها.. و البعض الأخريات ممّن استلموا وظيفتهن بعد رحيلها.. عاملين هنا و أساتذة تعرف كل واحد منهم.. أطفال أيتام في كل مكان.. زميلاتهن اللواتي تتذكر البعض منهن..

الكثير من الذكريات العالقة في كل ركن من هذا المكان مع أناسٍ لا ينتمون إليها بأيّ شكل.. لكنهم استطاعوا.. جميعهم.. أن يتركوا أثراً عميقاً بداخلها.. بغض النظر عن إن كان هذا الأثر سلبياً أو إيجابياً!

لكنها اتخذت قرارها مسبقاً.. بأنها إن كانت ستلتقط أيّ شيءٍ من ذلك الماضي الصّعب فسيكون اللحظات النادرة الجميلة التي عاشتها هنا.. ثم تتغاضى عن السيئة منها و كأنها لم تكن.. لن تفصل أيّ أحد من عمله.. لن تستبعد أيّ أحد و لن تعتبر لحظاتها السيئة حُجة و منصفها الآن وسيلة للانتقام من أيّ أحد.. كل ما ستضيفه هنا يجب أن يكون شيئاً نابعاً من قلبها تضيفه بدافع الإنسانية و الواجب و الحب ليس إلّا !

حينما تقدمت أول خطوة برفقة هادي فوق تلك المنصة الخشبية الكبيرة التي تم بسطها هنا في منتصف هذه الساحة.. انتابها شعور أولي بـ.. بسوداوية مألوفة ! و كأنها تتمنى الهروب مجدداً و عدم وطء هذا المكان المؤذي بقدمها إلى الأبد !

لكن أنامل هادي التي كانت لا تزال تحتوي يدها نجحت بإعادتها إلى و اقعها و انتزاع أيّ فكرة دخيلة تمر في ذهنها.. رفعت رأسها ببطءٍ لتنظر في عينيه.. فهمس بحنان و هو يضغط على أناملها برفق ؛

_ سأتركك الآن مؤقتاً.. لكنني سأبقى قريباً منك بحيث تستطيعين النظر في عيناى طوال الوقت.. اتفقنا ؟

همس آخر كلمة بشكل منفصل و مميز عن كل ما سبق بدون أن يفارق عينها.. فتردّدت شهد قليلاً من الرد.. لكنها لم تلبث في النهاية أن حركت رأسها ببطءٍ موافقة.. شعرت بعدها بأنامله ترتخي حول يدها على مضض.. ثم منحها آخر ابتسامة جميلة من عينيه.. قبل أن يتراجع أمام عينها.. بدون أن يلتفت عنها إلّا بعد خطوتين إلى أن نزل الدرجتين الوحيدتين اللتين تفصلان بين المنصة الكبيرة.. و الساحة الأرضية حيث يقف الجميع..

لكنه لم يبتعد كما وعدھا..فقد وقف على بعد مسافة قصيرة ينظر في عينيها مباشرة من مكانه..حينما اقتربت بخطواتٍ حاولت بشدة أن تبقى ثابتة و هي تشعر بنغزة الألم في بطنها تصبح أقوى..

إلى أن وقفت خلف المنصة الطويلة حيث يلتصق بسطحها جهاز مكبر صوت..و اتجهت جميع الأنظار من الجالسين و الواقفين صوبها بشكل جعل من ذلك التوتر السابق يعود ليكتسح قلبها بشكل طفيف..

تجولت بعينيها بين كل تلك الوجوه الماثلة أمامها باحثة عن شخصٍ آخر غير هادي الآن..و قد وجدته..كانت سعى التي وقعت عيناها عليها أخيراً..تقف بجانب لؤي..بكامل أناقتها كما اعتادت أن تكون دائماً..

لكن حتى شكلها الخلاب اليوم بشعرها المنسدل بنعومة ساحرة و النظارات السوداء التي كانت تدفع بها تلك الخصلات إلى الوراء قليلاً لم يبدو أجمل من ابتسامتها المتسعة التي كانت تتألق في ملامحها..و تألقت أكثر بمجرد أن نظرت في عينيها و كأنها تمنحها تحفيظاً و شجاعة إضافية..
رمقت لؤي هو الآخر بنظرة غير عابرة..فلم يفعل هذا الأخير أكثر من أن أوماً لها مبتسماً بنظرة...تشبه الفخر في عينيهِ !

تلك النظرة في عينيهِ جعلتها تنشغل لوهلة قصيرة عن الحضور و هي تمنحه إيماءة لا تحمل أي معنى محدّد في مقابل إيماءته..و كأنها فقط تعبر عن امتنان داخلي لفكرة أنه أتى...و على نظرتِهِ تلك..

قبل أن تعيد أنظارها مجدداً إلى هادي..و حينها فقط..كانت تجد الجرأة للتحدث أخيراً..فسحبت نفساً قوياً..قبل أن تقترب قليلاً من مكبر الصوت و تقول أخيراً بصوتٍ انتشر صدها في كل أرجاء الساحة و سمعه الجميع ؛
_مرحباً.....أنا شهد !

كان صوتها يحتوي بعض التوتر السابق..و قد بدت و كأنها محاولة أولية منها لأن تختبر قدرتها على التحدث فعلاً..قبل أن تزم فمها قليلاً..ثم ترسم شبح ابتسامة مرتجفة بعض الشيء قالت بعدها تخاطب الجميع رغم أن عينيها كانت تتلكان على عيني هادي فقط ؛
_أو بصيغة أدق..فأنا...واحدة منكم ! معظمكم إن لم يكن الجميع تعرفوني مسبقاً..ذلك لأنني عشت هنا أيضاً معظم سنوات حياتي.....

صمتت لوهلة واحدة و هي تشعر بذلك التوتر السابق يضمحل تمامًا..و ما حل محلّه كانت ابتسامتها الشبه ملحوظة..و التي قالت على إثرها تستأنف حديثها بعفوية مطلقة كما أخبرها هادي ؛
_قبل ما يقارب السنة من الآن...كان الأمر يبدو لي في غاية الغرابة..أن أغادر هذا المكان..أن أقف خارج عتبة الباب الكبير الذي تعودت أن أعتبره بيتًا لي بغض النظر عن كل شيء..كان أمر الانسجام مع ذلك العالم في الخارج و فكرة أنني لن أستطيع بعد أن أعود إلى غرفتي يبدو غريب الوقع جدًا بالنسبة لي..أو لأضيف أيضًا...فهو غريب و مرعب !
اهتزت ابتسامتها قليلًا و هي تصمت للحظة لم تفارق فيها عيني هادي..ثم لم يلبث أن انتشر صوتها مجددًا مستطردة بصدق ؛

_و صدقوني...الكثير منكم هنا قد يجد وصفي للأمر بهذا الشكل مبالغًا به..لكنها حقيقة شعرت بها بداخلي..و أنا أيضًا مثلي مثل أي فرد هنا كنت أنتظر دائمًا اللحظة التي سيفتح ذلك الباب فيها أمامي و أكون قادرة على الخروج منه بكامل حُرّيتي..لكن الفكرة شيء..و تحققها على أرض الواقع شيء آخر! و حقيقة أن تلك الحُرّية التي نبحث عنها طوال حياتنا قد توازي فقداننا لأمان البيت الذي نجده هنا على الرغم من كل شيء !

كانت تتحدث باستفاضة غريبة..و كأنها امرأة عجوز تسرد قصّتها في كتاب بحيث يسمح لأي شخص في العالم قراءته بالمجان..بينما لم تتوقف عيناها أثناء ذلك عن التجول بين جميع الوجوه قبل أن تعود لتنتهي رحلتها بالنظر في عينيه في كل مرة..

إلى أن قالت تسترسل بنفس النبرة و كأنها تخاطب عينيه هو الآن حصراً ؛
_ربما كنت أنا محظوظة جدًا..محظوظة إلى درجة أنني لم أضطر أن أختبر ذلك الشعور بانعدام الأمان و الانتماء خارج هذا المكان و لو لليلة واحدة..لقد كنت محظوظة جدًا إلى درجة أن القدر الذي ظننته يقف ضدي دائمًا..وضعني منذ اليوم الأول لخروجي من هنا.....تحت حماية أكثر رجل أحبه في هذه الحياة !

مالت ابتسامتها قليلًا و هي تصمت فجأة ناظرة في عيني هادي و كأنها تسأله إن كان لا يمانع أبدًا سماع ما تود قوله تاليًا بين أعداد هائلة من البشر..لكنها علمت بأن عينيه علقتا على تلك البركة الصغيرة التي شوّهت ابتسامتها قليلًا و تجمعت في عينها..

و علمت أيضًا من الطريقة التي ظل بها يتأملها من مكانه بنفس الابتسامة الثابتة التي لم تخبو..بينما يدس يديه في جيبي بنطاله الرسمي..بأنه لا يمانع فعلاً..فهمست تستأنف عبر مكبر

الصوت الذي ينقل صوتها إلى الجميع ؛

_أو لأقول...الرجل الوحيد الذي أحببته في هذه الحياة !

نغزة جديدة من الألم شعرت بها في بطنها..فانعقد حاجباها قليلاً و هي تحاول أن تتجاهلها..و بدلاً عن ذلك أكملت استفاضتها بصوتٍ تهدج بعض الشيء..أكملت تخاطب عينيه هو فقط الآن و كأنه الشخص الوحيد المتواجد هنا و المعني بكل كلمة تنطقها ؛

_ذلك الرجل الذي لم يتردد للحظة واحدة من أن يمنحني أول لقب امتلكته في حياتي..و الذي جعل شهد..الفتاة الصغيرة التي تمتلك اسمها فقط..تتحول بين ليلة و ضحاها.....لى شهد هادي الشاذلي !

شعرت بأنفاسها تتلاحق قليلاً..نغزة الألم تصبح أقوى بعض الشيء..فاسترسلت تتحدث بصوتٍ خافت لكنه يتسلل إلى الجميع مرتفعاً ؛

_ذلك اللقب الذي وعدت نفسي بأني لن أسمح له بأن يفارق اسمي..حتى مع فكرة أنني أصبحت أمتلك لقباً حقيقياً الآن..حتى بعد أن وجدت عائلتي الحقيقية..

كانت قد تحركت عينها قليلاً أثناء تحدثها لتقابل عيني سحى مجدداً..و للمُفارقة فقد بدت هذه الأخيرة الآن كانعكاس غريب لها بعينها الدامعتين قليلاً..كانت أول مرة تشعر بأنها تشبهها فعلاً ! تشبهها إلى درجة أن ابتسامة دافئة عميقة احتلت عيني كل منهما و حملت وميضاً متشابهاً جداً..حينما قالت شهد و هي تشعر برغبة قوية بداخلها بأن تجعل العالم كله يشاركها سعادتها المستحدثة..

و يعلمون بأن تلك الفتاة هناك...أختها !

_و لا أظن بأني في حاجة إلى تعريفها لكم..فأنتم جميعاً سمعتم عنها مسبقاً إن لم تكونوا قد قابلتموها شخصياً من قبل و تعرفونها.....

اتسعت ابتسامتها قليلاً و هي تستشعر بداخلها قيوداً غريبة تتحرر تلو الأخرى و كأنها حبل متشابك تحرره أناملها عقدة تلو الأخرى..حينما أضافت بحماقة لم تكن في شخصيتها يوماً و هي تزم فمها قليلاً على ابتسامتها الدامعة بشدة ؛

_إنها ابنة أخت السيدة عفاف..سحى...و هي تكون أيضاً.....أختي الحقيقية !

و لن تتظاهر بعدها بأنها لم تلاحظ الدهشة التي تشكلت في ملامح كل من عرفها مُسبقاً عن قرب..دهشة قوية أقرب إلى الصدمة..خاصة في ملامح المشرفات..

فكيف تكون تلك الفتاة الصغيرة هي أخت سحى ابنة أخت السيدة عفاف ؟ مديرة دار الأيتام

و أكبر مُمولة لها !!!!!

لكن تساؤلاتهم لم تناشد أيّ إجابة..و استأنفت شهد أخيراً و هي تشيح بعينها بصعوبة عن سجي التي رفعت أنظارها قليلاً لترمق زوجها لؤي بابتسامتها حينما امتدت يده لتلمس دمة انسابت من عينها اليمنى..

منحته فقط ابتسامة جميلة بادلها إياها بصمت..لكنه صمت مرفق بيده التي لمست تلك الدمة فقط بدون أن تمسحها..قبل أن يخفضها يهدوء إلى أن تخلل أناملها..و كأنه يفى بوعد قديم قطعه إلها..للمرة الألف يفى به !

_ ما أريد قوله الآن هو أنني.....حينما وافقت على استلام هذا المنصب..كانت غايي الوحيدة أن أعود جزءاً منكم كما كنت..لكن هذه المرة لن أكون مجرد جزء صغير يعيش تحت كنف قواعد ملزم بتنفيذها جميعها..الحقيقة هو أنني...أريد التعديل بتلك القواعد أيضاً كإنسانة عاشت هنا و تستطيع أن تضع نفسها مكان أيّ شخصٍ يعيش نفس الحياة حالياً..

كان صوتها قد بدأ يستعيد قوته شيئاً فشيئاً..لكن التقطية بين حاجبها ازدادت بعض الشيء و عقلها يتقرب مرغماً تلك النغزات التي تصدر من بطنها بشكل أقوى اليوم.. و لا تعلم إن كان هذا بسبب توترها أو شيء آخر ! أو إن كان هادي محقاً حينما قرّر أن يلغي كل شيء !

لكنها استرسلت في جميع الأحوال تقول الشيء الذي كانت تخطّط لقوله منذ وقتٍ طويل ؛ _و أول شيء أتمنى تغييره..أهم شيء هو...بالنسبة لي ليس هناك أيّ سن قانوني يرغب أيّ إنسان على مغادرة البيت الوحيد الذي يمتلكه و الخروج إلى عالم لا يفقه فيه أيّ شيء..... شهقات خافتة تردّدت إلى مسامعها بشكل متباعد من طرف بعض المسؤولين و العاملين هنا..شهقات تفاجئ ليس إلّا..فهذا كان آخر شيءٍ توقعه أيّ منهم أن تقوم به !

لكن كل تلك الشهقات و كل الدهشة التي علت الوجوه أمامها تدل على تخمينهم المُسبق لما ستقوله تالياً..لم تنجح بإثناها عن قوله فعلاً..

_ لهذا فقط..منذ اللحظة التي سأجلس فيها أنا فوق كرسي المدير هنا..و التي سأستلم فيها مسؤوليات تجاه هذا المكان الذي لا أراه مجرد مكان بالنسبة لي.. لن يعود هناك أيّ قانون هنا يجبر أيّ فتاة أو فتى على مغادرة الميتم بعد استكمالهما لسن الثامنة عشر..سيغادرون نعم..لكن بعد أن نستطيع أن نضمن بأن سنوات الدراسة تلك..و بأن كل المجهودات التي بذلت هنا لكي لا يضيع مستقبلهم هباءً..لن تضيع هباءً فعلاً! فلا أحد..لا أحد منا مهما بلغ به النضج يشعر بأنه مستعد لأن

يتم طرده من منزله الذي عاش فيه طوال حياته بين ليلة و ضحاها..بدون أيّ إجراءات حماية أو تمهيد مسبق حتى !

شعرت بتلك النغزات تصبح أشد إيلامًا..و قبل حتى أن ترتفع يدها لتمسّد بطنها من خلف المنصّة التي تحجب جسدها عنهم..التقطت عينا هادي تعبير الألم الذي علا ملامحها..فانعقد حاجباه بشدة و كاد أن يصعد الدرجتين القريبتين إليها غير عابء بأيّ شيء..
لولا أن رآها بقلق..تحرك رأسها مشكلة إيماءة أخيرة للجميع و كأنها تنهي بها كلامها و تستأذنهم بالرحيل..إلا أنها لم ترحل فورًا..و التفت هو قليلاً لتنتقل عيناه بين الحضور بشيء من...
الرهبة !

حينما علت التصفيفات فجأة بحرارة جعلت من عيني شهد تعودان لتعانقان بعض الدموع الجديدة..و من يدها تتشنج قليلاً فوق بطنها و هي تشعر بأنفاسها تتلاحق لا تدري إن كانت سعادة بنظرات التقدير التي توجه نحوها لأول مرة..تدل على أن كل كلمة نطقت بها اليوم قد لاقت الوقع الصحيح في قلوب كل الو اقفين هنا...بما فهم المشرفات أيضاً!

و سجي و لؤي اللذين لم يتردّدا لوهلة في التصفيق بحرارة..هادي فقط من وجد نفسه عاجزاً عن مشاركتهم و هو يشعر بذلك القلق يفترس قلبه أكثر و يحاول أن يتأكد إن كان في محله أم لا !
لكنه اضطر لأن يقترب بسرعة حينما انزلقت عيناه على يد شهد التي تمسكت بطرف المنصّة الخشبية.. و انحنى جسدها قليلاً مغمضة عينها فجأة ب...بألم واضح !

حينها فقط..كانت سجي و لؤي يتوقفان عن التصفيق ناظرين لهادي الذي صعد المنصّة بسرعة بقلق..فقد كان الإثنان يقفان في مكان بعيد نسبياً بحيث لا يسمح لهما برؤية تعابير شهد بشكل جيد بقدره..كما بدأت التصفيفات تتوقف تدريجياً من كل مكان..

اقترب منها هادي بسرعة إلى أن انحنى بجانبها و هو يلفّ ذراعه من حولها بقوة..و يحتوي بيده الأخرى أناملها المتشنجة بشدة حتى ابيضت مفاصلها فوق بطنها هاتفاً أمام ملامحها التي شحبت فجأة بشكل أثار في نفسه الذعر لا القلق فقط !

_ما الخطب شهد...؟ شهد...!! هل أنت بخير...؟؟!!

و ما حدث بعدها..أن شهد تمكنت من أن تفتح عينها و ترفع رأسها قليلاً فقط نحوه بصعوبة شديدة..و ما كادت عيناه بكل الذعر بهما أن تتجولان بين كل ملامحها لتسقط في النهاية على التفصّد الذي تالأ به جبينها..

حتى كان يصله صوتها الخافت تهمس من بين أنفاسٍ مضطربة بصعوبة بالغة و الدموع
تنساب من عينيها تباغًا ؛

_لقد...حان الوقت..سألد الآن..الآن.....هادي !!!!

لم يعرف بعدها..أيّ قوة امتلكها و خولته الوصول إلى المشفى..لا يتذكر جيدًا الفترة ما بين
خروجه برفقة لؤي و سحى من دار الأيتام و وصولهم إلى المشفى..هو كان فقط يحملها بين ذراعيه
طوال الوقت..يهدهدها بصوتٍ حنون رغم أنه داخليًا كان يشعر بأنه هو من في حاجة لمن يهدئه..
إلى أن انتهى به المطاف يضعها فوق الناقلة..ثم يسأل طبيبتها التي استقبلتهما بقلق و هو
يراها تبدأ بتفقد مؤشرات شهد على بعد خطواتٍ من الغرفة التي سيتم إدخالها إليها بلهفة ؛
_هل يمكنني الدخول معها !!؟

إلا أن الطبيبة نفسها لم تحظى بفرصة إجابته..فقد ارتفع صوت شهد من بين وعيها شبه
المُغيب..هتفت و هي تتمسكُ بيده مناقضة تمامًا مغزى كلماتها ؛
_لا..لا تدخل معي يا هادي..لا تدخل..أرجوك..أرجوك...لا أريدك أن تراني بهذا الوضع..لا
تدخل هادي..لا تدخل.....

و فقط..كانت كلماتها آخر ما سمعه..فتسمر بملامحه الشاحبة يراقب دخول الناقلة التي
تحملها إلى الغرفة التي تبدو مخيفة حتى بالنظر لها من مكانه..ثم شعر بيدها تنفصل عن يده قسرًا..
قبل أن يغلق الباب في وجهه الذي شحّب أكثر بكلماتها..و يتراجع هو إلى أن لمس ظهره الجدار
و هو يرفع يديه إلى شعره بعنفٍ شاعرًا بخفقاتٍ قلبه ترتد بداخل قفصه الصدري بصوتٍ مدوّ..
و كيف تفاقم وضعه ؟

كان بسماع صوتها المتباعد من الداخل بشكل جعل من عينيهِ الزائغتين أساسًا تتسعان
بشكل مرعب..قبل أن يشعر بأنامل دافئة تحط على كتفه الأيمن..فالتفت قليلًا ليرمق سحى التي
كانت ملامحها تبدو وكأنها تحمل نفس الخوف في عينيهِ اليوم..
لكن ربما حالته هو أسوء منها..فقد كان يشعر بنفسهِ حرفيًا و كأنه قد انفصل عن العالم..و
كأن روحه من دخلت معها إلى تلك الغرفة المخيفة..ترافقها الآن..و تتمسكُ بيدها..و تؤنّبهِ مجددًا
بذنب غريب لا يعرف ماهيته !

كان صوت أنفاسه يخرج لاهثًا بشدة..حالته تبدو مزرية إلى درجة جعلت من سحى تهمس بقلق
أكبر فوق قلقها على شهد و هي تربت على كتفه برقة ؛

_اهدأ قليلاً هادي..ستكون بخير..

إلا أن هادي لم يبدو وكأنه قد سمع ما قالتة..فقد همس و عيناه المتسعيتين تتعلقان بعينيهما
في ذعر مبالغ به ؛

_من المفترض أنها ستلد بعد سبعة عشر يومًا..لم تكتمل التسعة أشهر بعد..كيف حدث هذا
!!!؟

همست سحى بصوتٍ غير ثابت تمامًا و هي تحاول أن تخفّف من حالته هذه بأيّ طريقة ؛
_هذا أمر وارد جدًا هادي..الكثير من النساء يلدن قبل الوقت كل يوم..أرجوك أن تهدأ !
لمحت بعدها لؤي الذي كان يقترب بخطواتٍ سريعة بعد أن اهتم بتسجيل دخول شهد إلى
المشفى..و لم ينسَ أثناء مجيئه أن يحضر معه قنينة ماء مدها نحو هادي و هو يردف بنبرة تشبه نبرة
سحى ؛

_خذ..

أخذها هادي منه بصمتٍ..لكنه لم يرتشف منها أيّ شيء رغم ذلك..فقد أمسكّ بها فقط
يعتصرها بين يده..قبل أن يتحرك متحرّزًا من أنامل سحى لكن لا لشيءٍ إلا ليقف على بعد مسافة
قصيرة منهما يذرع الممر الطويل ذهابًا و إيابًا..
فتراجع لؤي هو الآخر إلى أن وقف إلى جانب سحى ير اقبانه بينما يذرع المكان محدقًا بالأرض
بعينيه الجاحظتين بشدة..و اللتين لم تلبث أن احتقنت في جوفهما دموع حقيقية و هو يرفع يده تارة
إلى شعره يقبض عليه بعنفٍ ثم يسقطها تارة بعجز..
قبل أن يرمق الباب المغلق مجددًا و كأنه يتمنى أن يفتحمه بعنفٍ فقط ليضمها بين ذراعيه
بشدة و يطمئن بها نفسه منتزعًا إياها من أيد الجميع..ليتها سمحت له بالدخول معها فقط !
بل ليته كان أكثر إصرارًا و دخل !!!

لكنه كان يشعر بالخوف يلتهم قلبه إلى درجة العجز التام عن فعل أيّ شيء..حتى قدرته على
التنفس و الوقوف باستقامة بدأ يشعر بها تضمحل تدريجيًا بمرور الدقائق على نفس الوضع..
و رغم هذا فقد وجد نفسه بدون أن يشعر يهمس من بين شفيتين متصلبتين بما جعل من
ملامح لؤي و سحى ترتخي قليلاً ما بين تعاطف و يأس..فقد كان يهمس حرفيًا جملة كرّرها بضع مرات و
كأنه يخاطب بها نفسه فقط..

_هذا بسببي..كل هذا بسببي..كل هذا بسببي أنا فقط..بسببي..بسببي.....

كان يكرّرها بخوف عصيب يلم بكل خلاياه..و لوقتٍ طويل ظل الصمت الخادع يتّسّد المكان
و ثلاثة أشخاص يحمل كل منهم مشاعرًا مختلفة من القلق نحو شهد يقفون في الانتظار..
إلى أن سمع صوت انفتاح الباب..فتجمد هادي تمامًا لوهلة..قبل أن يرفع رأسه ببطءٍ إلى أن
نظر في عيني الطبيبة التي رفعت يدها بهدوء لتبعد بها الطاقة الطبية عن رأسها..
نظر لها فقط بعجز تام عن النطق..فقالت ترسم ابتسامة مطمئنة و هي تنقل عينيها بين
سجى و لؤي اللذين كانا يقفان خلفه ينتظرون صوتهما بقلق متفاوت ؛
_لقد رزقتما بطفل جميل جدًّا..و الحمد لله صحته جيدة..يمكنك أن تراه فورًا بعد
أن.....

_زوجتي ؟!!!

قاطعها هادي بلهفة تفوق حدود اللهفة العادية..فتسمرت الطبيبة للحظة..ثم لم تلبث أن
عادت ابتسامتها المشفقة لتخط ملامحها..و قالت تزامنًا مع خروج إحدى الممرضات تحمل في يدها
رضيعًا صغيرًا سارت به مباشرة إلى إحدى الغرف القابعة في رواق مختلف عن الذي يقفون فيه ؛
_إنها بخير تمامًا..لقد انخفض ضغطها قليلًا أثناء العملية لكن.....
لكن !!! قاطعها هادي للمرة الثانية و هو يتجاوزها فجأة إلى أن فتح الغرفة بدون أن يهتم
بطلب الإذن من أي أحد الآن و اختفى بداخلها بلمح البصر..بينما قالت سجى غير مستغربة أبدًا من
ردة فعل هادي ؛

_هل هما الاثنان بخير حقًا ؟!!

أومأت لها الطبيبة البشوشة مبقية على ابتسامتها..فتهللت عينا سجى الدامعتين بابتسامة
مشرقة..و رفعت رأسها لتتنظر مباشرة إلى لؤي الذي كان يشاركها ابتسامتها..
لكن عينيها اكتستا بطبقة من الحنان ما إن التفتت صوبه و نظر في عينيها..قبل أن يمد يده
إلى أن لمس وجنتها برقة..و همس أثناء ذلك يسأل الطبيبة التي استطاعت أن تخمن علاقة هذين
الاثنين بدون أن تحتاج لعناء التفكير المطول ؛

_بما أن المجنون قد دخل إلى زوجته الآن..فهل يمكننا نحن أن نرى الطفل قبلهما و نطمئن

عليه ؟!

سألت الطبيبة مبتسمة ؛

_هل أنت أخوه ؟!!

قبل أن تضيف فورًا بلطف حينما نظر لها لؤي ببعض الغباء ؛

_المجنون الذي دخل لزوجته للتو !

نظرة من الإدراك ظهرت في عيني لؤي فوراً..بينما اتسعت ابتسامة سجي أكثر و أكثر حتى كادت

تتحول إلى ضحكة..حينما أوماً لؤي للطبيبة مؤكداً و هو يشير إلى سجي أيضاً ؛

_نعم..و هي زوجتي و أخت زوجته أيضاً..

فقالت و هي تشير إلى الممر الذي اختفت فيه الممرضة قبل قليل ؛

_لقد تم نقله إلى غرفة العناية الوليدية للتأكد من صحته..يمكنكما أن ترياه القدر الذي

تشاء ان بعد أن يتم الانتهاء من فحصه..

أوماً لها لؤي بامتنان..فالتفتت مغادرة بهدوء..لكنه ما كاد أن يلتفت قليلاً لينظر إلى سجي..

حتى كانت هناك عقدة صغيرة تتشكل بين حاجبيه و هو يرى ذلك الشرود الذي كانت تتأمله به..

_ما الخطب !!؟

همس بخفوتٍ ينهها..فطرفت سجي برموشها..قبل أن تهز رأسها ببطء..ثم قالت مبتسمة

بعينين لم تستعيدا تركيزهما الكامل بعد ؛

_لا شيء..دعنا نذهب لرؤية الجني الصغير..لا أصدق قدر حماسي لرؤيته..

و بداخل الغرفة..ما إن تقدم هادي الخطوة الأولى..حتى كان يعود ليتسمر قليلاً و هو يراها..

لقد كانت حبيبته...راقدة بالسّرير الطبي الكبير..برداء المشفى الأزرق..و ملامحها التي ازداد

شُحوبها أضعافاً عن ما كانت عليه قبل دخولها..

اقترب منها الخطوات المتبقية ببطء..إلى أن جلس في طرف السرير بجانبها..ينظر لعينيهما اللتين

كانت تغلقهما تحت رموش ترتعش قليلاً..قبل أن ينحني قليلاً إلى أن طبع شفثيه فوق جبينها المتصبب

عرقاً..ثم همس فوق بشرتها و هو يبسط أنامله على وجنتها و كأنها فقط محاولة فعالة لإخراجها من

قوقعة غريبة ؛

_لقد كدت أن أموت من القلق..كدت أن أفقد نفسي من الذعر شهد..الحمد لله على سلامتكِ

حبيبتي..

أغمض عينيه بعدها بقوة و هو يلصق جبينه بجبينها بقوة..و ظل فقط يجلس بنفسِ

الوضع..ينحني إليها بوجهه بينما يحتوي خدها الشاحب و يشعر بأنفاسها المرهقة تتسرب إليه..

تختلط بأنفاسه القريبة منها و كأنها تنسِف عنه ألم اللحظات السابقة التي أمضاها في انتظارها..

لكنه شعر بها تفتح عينها قليلاً فقط بعد وقتٍ لم يحسب عدده لم تتوقف خلاله أنامله عن
تمسيد بشرة وجهها..ثم وصله صوتها في غاية الضعف..في غاية الخفوت و...و السعادة !
_أ...أين هو ؟!!!

فهمس بنفس درجة خفوتها و هو يشعر بيدها التي تحركت تحمل نفس ارتعاشة أنفاسها و
صوتها إلى أن لمست بها صدره القريب جداً منها..مجرد لمسة رقيقة شعر بها و كأنها لمست بها قلبه
مباشرة !

_لقد تم نقله إلى غرفة أخرى..سيتم فحصه ثم يعيدونه إلينا..
_هل رأيته ؟!!

تسلل صوتها الواهن مجدداً بهذا السؤال الخافت..فلم يفعل أكثر من أن حرك رأسه فوق
جبينها هامساً ؛

_سأراه أنا و أنتِ سوياً..

ثم صمت قليلاً..و لم يستطع أن يمنع نفسه من أن يرفع رأسه قليلاً إلى أن تمكن من النظر في
عينها شبه المفتوحتين..و يسأل مجدداً بينما يرجع خصلات شعرها الملتصقة بجانب وجهها إلى الوراء
قليلاً ؛

_هل أنتِ بخير حقاً ؟ ألا تشعرين بأي ألم ؟!!

كان قد مد يده الحرة في نهاية كلامه إلى أن بسطها برفق فوق بطنها من فوق الغطاء الأبيض
الذي يستر نصف جسدها..و كررت شهد نفس حركتها قبل دقائق بات يشعر بها الآن و كأنها أيام
مرت..

بسطت يدها فوق يده متمسكة بها بوهن..ثم و في لمحة جميلة جداً..راقب من مكانه

الابتسامة التي تشكلت بتأني في ملامحها..و همست أثناءها بنفس نبرتها ؛

_هناك بعض الألم..لكنه طفيف جداً جداً..

ابتسامة حنونة تزينت بها ملامح هادي..و كرر بخفوتٍ و هو لا يزال حتى اللحظة يجد صعوبة
بالغة في تصديق أنه يجلس الآن في غرفة بالمشفى..إلى جانب شهد..حبيبته..بعد أن انتهى كابوس
الولادة أخيراً !

_ألهذه الدرجة هو طفيف ؟!!

شعر بقدرتها على التحدث تتلاشى حينما هزت رأسها ببطءٍ و هي تحرّر أنفاسًا ثقيلة..حتى أن رموشها عادت تنسدل بغير إرادة منها كما يبدو..فانخفض يهدوء إلى أن لمس بشفتيه الخط الدقيق لابتسامتها الشبه الملحوظة..و همس فقط فوق بشرتها بحنان ؛

ما رأيك أن تنامي قليلاً إذا ؟!!

إلا أنها ردت باعتراض و صوتها بالكاد يصل إلى مسامعه ؛

_أريد أن أراه...أولاً !

لم تكد تكمل جملتها..و لم يكد هادي يرفع رأسه قليلاً حتى كان صوت طرق خافت خلف الباب ينههما.. فالتفت هادي بترقب لصاحب الطرقات..و الذي لم يكن سوى ممرضة شابة قالت تستأذنه بلطف ؛

_هل يمكنك أن تسمح لي سيدي ؟ يجب أن يتم نقل السيدة الصغيرة إلى غرفة أخرى !
و بعد دقائق معدودة..كان يجلس في غرفة أخرى..فوق سرير آخر..لكن في نفس المكان بجانب شهد التي بدأ شحوبها يتداعى قليلاً فقط..حينما سمعا للمرة الثانية..طرقات خافتة على الباب..
و تلك كان صاحباهما هما لؤي و سجي بالطبع..و قد توقف الاثنان لوهلة واحدة أغلق فيها لؤي الباب بدون أن تفارق عينيه...الطفل الرضيع الذي كانت تحمله سجي ! طفلهما !!!
لمعت عينا شهد بقوة..و اعتلتها نظرة بارزة من لهفة غير مطوعة..نفس تلك الالهفة التي ظهرت في عيني هادي مرفقة بابتسامة برقت بها عيناه..قبل أن تقترب سجي أكثر مبتسمة بحنان للملامح الناعمة..

إلى أن وصلت إليهما..و انحنت برفق شديد إلى أن وضعت تلك الروح الصغيرة الجميلة فوق صدر شهد..و سمعت مباشرة صوت الشهقة الخافتة التي حرّرتها شهد و هي ترفع يديها تلقائياً لتضمها إليها..

شعرت بخفقات قلبها تتضخم بشدة..حتى أنها و لوهلة قصيرة خشيت أن تفقد توازنها عليه فتمسكت به أكثر..و ارتعشت يدها بشدة و هي تلمس الشعيرات الرقيقة التي تغطي رأسه الصغير..
لمسته فقط برقعة..و شعرت مباشرة بهادي الذي غير مكانه بسرعة إلى أن أصبح يجلس بجانب رأسها..ثم مد يداً تحمل نفس الارتعاشة و كأنه سيلمس نفس المكان بينما يفرغ شفتيه بما يفوق...التأثر !

إلا أنه لم ينجح بلمسه..و شعر بطبقة من دموع مجهولة المصدر تكتسي بها عيناه..حينما همست شهد و هي تجد صعوبة في النظر لتلك الملامح البريئة التي هي...جزء منها و منه !

قطعة صغيرة مشكلة منهما!

_هل يمكنك أن تساعدني لأستقيم قليلاً..أريد النظر إلى وجهه !

لم يمتنع هادي..لكن يده التي كانت لا تزال متوقفة في الهواء بمشاعر غريبة جداً..قوية إلى درجة عجز قلبه أن يستوعبها و يحتويها في البداية..تحركت ببطءٍ إلى أن أحاطها هي بها بدلاً عن ذلك..ثم حثها برفق إلى أن أصبحت نصف جالسة..

و حينها فقط...ما إن تمكنت شهد من النظر إلى تلك الملامح الجميلة...جداً..مباشرة..حتى كانت تتسرب دموعها بقوة..و ارتسمت ابتسامة متأثرة حنونة جداً في عينيها و هي تلمس بأناملها برقة شديدة تلك الملامح ثم تعود لتمررها فوق فروة شعره الرقيقة و الهشة إلى درجة خافت معها أن تضغط عليها قليلاً فقط فتؤذيها..

كان كتفها يلامس صدر هادي الشبه ملتصق بها في جلوسه إلى جانبها..و تأمله لتلك الملامح الحمراء الصغيرة بدهشة ترفض التخلي عن عينيها..كما ترفض أنامله الانصياع لرغبته منذ ثوان و تحقيق أمنيتها بلمسه..

و قد شعرت شهد بنبضات قلبه تضربها بقوة..متسارعة بشدة..مضطربة بشكل هستيري إلى درجة تجمدت عيناها لوهلة صغيرة و كأنها قد تذكرت وجوده فعلياً الآن فقط..قبل أن أن ترفع رأسها نحوه ببطءٍ بحيث كان ذراعه لا يزال ملتقاً حول كتفها يسندها إليه..

نظرت في عينيها بابتسامة مشوبة بدموع حارة..دموع سعادة مطلقة..فلمحت انعكاساً مماثلاً لعينيها.. قبل أن تهمس و هي ترمق يده المرتجفة التي كان يغلق قبضتها فوق ركبته..
_ألن تلمسه أبداً هادي ؟ إنه طفلنا الذي انتظرناه طويلاً !

كانت شفتاه و رموشه ترتعش بنفس الطريقة..و قد راقبت شهد من مكانها القريب اللمعة القوية التي استوطنت عينيها..ثم تلك الدمعة التي لمست جفنه الأيمن و هالها مجرد النظر لها..
قبل أن يحرك شفتيه ببطءٍ هامساً بصوتٍ متهدج بحق ؛

_لؤي ؟!!

كان لؤي و سجي لا يزالان يقفان بنفس المكان..و قد بدا الأمر و كأن هادي و شهد قد انفصلا بعالمهما الخاص بحيث لا أحد منهما يشعر بوجود أي شخص آخر عداهما..
لؤي بابتسامة لامعة تعمقت أكثر حينما سمع سؤال هادي للتو..و سجي بنفس ملامحها منذ دقائق..نظرة شديدة التأثر و كأنها أنجبت هي للتو لا شهد..و بالطبع لم تكن لتكبح دموعها عن الانسياب بحرارة..الانسياب سعادة..و.....رغبة بريئة في أن تعيش تجربة مشابهة لتجربة شهد !

و ربما قرأ لؤي تلك الرغبة في عينيها..فغامت عيناه قليلاً و تلاشت ابتسامته قليلاً فقط و هو
ينخرط في رحلة قصيرة من تأملها..قبل أن يمد يده تزامناً مع تلك الإيماءة التي منحها شهد لهادي
كأبلغ رد على سؤاله..

لكز كتفها لافئاً انتباهها إليه..قبل أن يشير لها برأسه في إشارة فهمتها مباشرة..فلم تفكر كثيراً
و هي ترمق شهد و هادي بنظرة أخيرة من عينيها الجميلتين..قبل أن تستدير برفقته متجهين إلى
الباب..

إلى أن فتحه لؤي بهدوء..ثم أغلقه بنفس الهدوء غير سامح لهادي و شهد بأن يلاحظا رجليهما
حتى..فقد همست شهد مجدداً و هي تترك عيني هادي للحظة لتسقطهما على وجه طفلهما..
هي...و هو !

_ انظر له كم هو جميل هادي..أشعر بأنني عاجزة عن تصديق مدى جماله..لكنني لا أستطيع
تحديد إن كان يشبهني أكثر أو يشبهك..ليته يشبهك.....
كان هادي يتأمله معها بنفس الطريقة..و قد دمعت عيناه أكثر..قبل أن تمتد يده أخيراً..بنفس
الارتعاشة السابقة..إلى أن لمس بها الملامح الناعمة البريئة برقة شديدة..و طرف برموشه لعدة مرات و
هو يحرر نفساً ثقیلاً شعرت به شهد..

قبل أن يهمس الشيء الأول الذي خطر في باله..همس بصوته الذي اختنق فجأة بنبرة ضائقة
بعض الشيء..كنبرة طفل صغير يعيش تجربة شديدة الروعة لأول مرة ؛
_أيّ شعور هذا !!!.....يا إلهي !

انخفضت شهد بعدها بهدوء إلى أن طبعت قبلة طويلة فوق جبينه..فراقبها هادي بفيض من
شعوره الخلاب اليوم..و ما كادت أن ترفع رأسها كلياً..حتى كان ينخفض هو الآن إلى أن كرز نفس
حركتها..قبلة تحمل نفس المغزى و نفس الشعور فوق الجبين الناعم..
و ربما كانت تلك القبلة..و تلك اللمسة التي منحها لملامحه الصغيرة..هما التحفيز الذي جعله
يبدأ باستيعاب حقيقته أخيراً..فارتسمت ابتسامة دافئة جداً في ملامحه..ابتسامة التقطتها عيناها
لأنه منحها لها خصيصاً..

قبل أن يهمس بحرارة و هو يتأملها بنظرة مختلفة عن أي مرة تأملها بها سابقاً ؛
_لقد أصبحت أماً! أصغر أم و أجمل أم رأتها عيناها..هل تستوعبين هذا شهدي !!!؟
همست شهد تخاطب عينية و ابتسامته تلك بابتسامة مشابهة ؛
_و أنت والده ! هل تستوعب هذا !!!؟

نظرة ذات مغزى رمق بها هادي ملامح طفلهما.. تلك التفاصيل الصغيرة شديدة النعومة.. قبل

أن يهمس فجأة بنبرة شعرت بها شهد عفوية تمامًا ؛

_أشعر بالندم لأنني كنت أشتمه !

اتسعت ابتسامته شهد قليلًا.. و برقت عيناها بشدة و هي تسأله بترقب حينما أعاد أنظاره إليها

ببطء ؛

_هل ستتوقف عن شتمه إذا ؟!!

و كما توقعت تمامًا.. فقد همس هادي بيأس تام.. بصدق تام رغم ابتسامته الحنونة التي لم

يتوقف عن إغداقها على تلك الملامح و نظرت التي كانت تعد بكل أنواع الحماية و الحب و

الاحتواء.. لهما الاثنان.. لعائلته الصغيرة الجميلة !

_مُحال !

قبل أن تتسع ابتسامتها إلى ضحكة جميلة احتلت كل إنشٍ في ملامحها.. ضحكة بطعم العسل

الذي دائمًا ما وصفها به.. ضحكة التقطتها عيناه بنهم.. و لم يستطع أن يفعل أمامها أكثر من أن

يقترّب.. للمرة الثانية في نفس اليوم.. ليلتقطها بشفتيه لا بعينه فقط.. و كأنه يهنئها و يهنئ نفسه

بطريقة مميزة..

لكنه حتى و هو أقرب إليها من أنفاسها.. كانت يده لا تزال تحتوي تلك الروح الصغيرة المشكلة

منهما.. و كانت ذراعاها.. لا تزالان تضمانه إلى صدرها بقوة فائقة..

و قد تشكلت تلك الوعود بينهما بكلماتٍ ترددت في ذهنها بصوته الحبيب.. جاعلة من خفقات

قلبي التي كانت تتصارع طوال اليوم بمشاعر متفاوتة.. تناشد استرخاءً لذيذاً..

تلك الوعود التي همسها في جوف أذنها بينما يقفان أمام مرآة غرفتها المهترئة ذات يوم.. بعد أن

وضع في يدها قبلها بلحظاتٍ باقة ورد بيضاء.. و اعترف لها للمرة الألف بحُب أهوج يعصف بقلبيهما

منذ الأزل..

تلك الوعود التي كتبت على شاطئ قلبيهما بخيوط القدر.. عميقة.. محفورة إلى درجة تبدو

معها احتمالية تلاشيها منعدمة تمامًا !

هل اختبرتم من قبل شعور أن ترزقون بأختٍ صغيرة هكذا فجأة ؟ مثل أن تجلس والدتك أمامك و تنظر في عينيك..قبل أن تمد يدها و تمسك بيدك الصغيرة لتفرد لها فوق بطنها و تبوح بالسر الجميل...أنها تحمل في أحشاءها هدية صغيرة !

لقد كان شعوري يشبه إلى حد كبير شعور طفل صغير عاش هذا الموقف لأول مرة ! رغم أنني عملياً أصبحتُ خالة..إلا أنني بطريقة ما أيضاً أشعر بأنني بدأت أستعيد جزءاً من طفولتي منذ أن أتى ذلك الصغير الوسيم إلى حياتنا..و كأنني قد رزقت بشهد مجدداً.. و كأنني قد عشتُ شعور الأخت الكبرى في وقتها المفترض بكل تلك اللفتة و الانبهار و الحب ! حينما عدنا نحن الأربعة إلى المنزل..منزل هادي و شهد بالطبع..كنتُ أنا مجدداً من أحمل ذلك الكيان الصغير جداً..أحمله بحذر شديد..بحُب شديد و رفق شديد.. بعد أن وضعه هادي في يدي قبل قليل و انحنى هو على شهد يحملها بين ذراعيه في طريقنا نحو الداخل..فقد كان وضع ملامحها الشاحبة لا يبشر بالراحة كثيراً.. و رغم أن هذا طبيعي جداً بالنسبة لأيّ امرأة في مكانها تعود إلى المنزل بعد يوم واحد من ولادتها..إلا أن لا أحد منا كان قادراً على التعامل معه بطبيعية..

كنتُ لا أزال أحمل الصغير المدثر بين غطاء أبيض يبتلعه بالكامل إلا من وجهه الناعم بعينه المغلقتين أثناء غفوة جميلة أعلم بأنه قد يستيقظ منها في أي لحظة ليملاً المنزل بكاء مُحبباً.. لكنني رغم هذا كنتُ حريصة على تأجيل هذا قدر المستطاع حينما اقترب هادي بشهد من غرفتهما إلى أن دفعها برفق لتمدد فوق السرير و هو يدثرها بحنان..و اقتربت أنا من السرير الطفولي الصغير الذي كان يرتاح في جانب معين من غرفتهما.. و بما أن السيدة شهد..زوجة ابن خالتي و أختي الصغيرة..كانت ترفض من البداية رفضاً تاماً أن تعلم بهوية الطفل..فقد اضطر هادي المسكين على شراء هذا السرير بلون أزرق باهتٍ جداً بحيث يكون منصفاً سواء كان جنس المولود فتاة أو صبي.. و قد أدلى القدر بدلوه و أتى صبيّ جميل اسمه..لؤي ! حسناً هذا لوحده سبب كافٍ ليجعلني أعشقه أكثر !!

اقتربت بعدها من السرير إلى أن انخفضت قليلاً بغاية الترييت بأناملي الحنونة على وجنة شهد..منحتها تربيته ناعمة ابتسمت لأجلها بمحبة و هي ترفع يدها بضعفٍ إلى أن غطت بها يدي.. قبل أن أهمس متجاهلة مؤقتاً هادي الذي كان يجلس بجانبها من الجهة الأخرى يحرص على تعديل وضعيتها أكثر بأن يعدل من وسادتها أو يدثرها أكثر أو حتى يرتب غرة شعرها الذي كان مصففاً

الآن على شكل جديلة صنعها لها بنفسه قبل دقائق إلى الورا قليلًا و كأنها محاولات مجدية لأن يبعد عنها أي شعور طفيف بالضيق من أي شيء..

_كوني بخير !

همستُ مبتسمة بخفوتٍ و يدي لا تزال فوق وجنتها..تحت أناملها الدافئة..فحركت رأسها بهدوء في حركة أرادت أن تطمئنني بها و تؤكد لي بأنها ستكون بخير فعلاً.. قبل أن أنخفض قليلًا أن طبعْتُ قبلة خاطفة حنونة فوق جبينها..ثم رمقت بعدها هادي بنظرة أخيرة قبل أن أتجه إلى الباب..لكنني و قبل أن أغلقه بشكل تام..لمحت في لحظة خاطفة..صورة جديدة جعلتني أبتسم بإخلاص..

كانت صورة هادي الذي انخفض أكثر بمجرد التفاتي عنهما إلى أن أصبح مستلقيًا فوق السرير..و امتدت يداه مباشرة ليضم شهد بشدة بين ذراعيه و هو يطبع قبلات متتالية فوق جبينها.. قبلات لم تبدو بأنها ذات هدف..بل و كأنها مجرد حركة يحاول من خلالها هادي تصفية ذهنه عن أفكار مقلقة و تحفيز شهد التي استكانت بين ذراعيه على النوم بسرعة.. قبل أن أغلق الباب أخيرًا..ثم أقترب مباشرة من المطبخ إلى أن وقفتُ في حاجزه حينما وقعت عيناى على مشهد مألوف جدًا بالنسبة لي لأنني تقريبًا أصادفه كل يوم.. كان لؤي الذي شرع ينقل الأطباق و يختار منها ما يريد بغاية تجهيز وجبة العشاء لنا..و قد كان شاردًا بعض الشيء فلم يلاحظ دخولي الهادئ..إلا حينما اقتربتُ أنا بنفسى أقطع الخطوات المتبقية بيننا..

ثم فعلتُ الشيء الذي خطر في بالي بكل عفوية..أحطت جذعه من الورا بذراعاى و أنا ألصقُ وجنتي بظهره مغمضة عيناى على ابتسامتي كشخصٍ يبحث عن الفرصة فقط ليضمه !
و أنا كنت هذا الشخص فعلاً !

شعرتُ بابتسامة لؤي فورًا من صوته الذي همس بشيءٍ من الاستغراب و هو يتوقف عن ما يفعله فجأة ؛

_سجى !!؟

_هممم !

همستُ باختصار شديد و أنا أشعر بنفسى مسترخية إلى حد عجيب..إلا أن لؤي تحرك ببطءٍ و كأنه يود الالتفات..فاضطرت لأن أسقط ذراعاى على مضض إلى أن قابلت ملامحه المبتسمة حينما ألصق ظهره بالطباخ..

و حينها همس يرفع أحد حاجبيه بنبرة ليست جادة تمامًا أمام ابتسامتي المتسعة بشكل مبالغ به ؛

هل تحولت إلى معتوهة ؟!!

كان قد مد يده بعدها مباشرة ليلمس القليل من خصلات شعري المنسدلة على جانب وجهي بشكل بديهي جدًا..بينما أنا همست بدون أدنى اعتراض أو استياء ؛
_ربما أكون معتوهة..لكنني معتوهة سعيدة !

رأيتُ ابتسامته و هي تتوهج في عينيه و كأن مجرد وصفي لنفسي بتلك الكلمة قادر على احداث فوارق لا تحصى بقلبه و مزاجه..ثم همس بنفس نبرته السابقة البديهية جدًا و أنامله تعمل برقة على ترتيب أشياء وهمية بشعري ؛

_و ستكونين أكثر سعادة حينما تعلمين بمفاجأتي التي أجهزها من أجلك..
نظرة ترقب هادئة ظهرت في عيني و أنا أسأل رافعة أحد حاجبائي بتوجس ؛
مفاجئة من أي نوع بالضبط ؟!!

فاتسعت ابتسامته أكثر و هو يمز رأسه بالنفي مردفًا بنبرة ذات مغزى ؛
_لن تخدعيني بسؤال كهذا !

تعقدت ملامحي قليلًا بنظرة تشبه عدم الرضا..لكنني رغم ذلك قلتُ و أنا أرفع ذراعي تلقائيًا لأريحهما على كتفيه و أشابك بين أناملي خلف عنقه لما شعرت بذراعيه تلتفان من حول خصري...أخيرًا!

و جذبني نحوه إلى أن أصبح جسدي يستند إلى جسده بدون أن يفارق عيني ؛
متى سأراها إذا ؟!!

شعرتُ من النظرة الساهمة بعض الشيء التي اعتلت عينيه بينما يتأملني للحظاتٍ إضافية..
بأن مفاجأة هذه المرة ستكون مختلفة و مميزة عن أي مرة تسبقها..إلا أنه لم يمنحني أي إجابة..بل ما فعله كان أنه حرّني فجأة و كأنه يتعمد استفزازي بهذا..

ثم التفت ببساطة هامًا بإتمام ما كان يفعله أثناء قوله ؛

_حينما يحين الوقت المناسب لها !

نظرتُ له بشيءٍ من القنوط للحظات..تحديدًا لظهره بعد أن التفت عني..ثم قلت فجأة بغاية إغاظته ليس إلا ؛

_حسنًا و أنا لن أخبرك بمفاجئتي إذا !

لم أكمل جملي حتى كان لؤي قد التفت نحوي سائلاً بلهفة ؛

_ ما هي ؟!

إلا أنني تراجعُ خطوة واحدة هادئة بينما أقول ببساطة تشبه بساطته قبل قليل ؛

_ لن تخذعني بسؤال كهذا !

نظر لي لؤي بوجه ممتع..إلا أنني ابتسمتُ فقط ببساطة قبل أن أراجع بضع خطواتٍ أخرى

تزامناً مع صوته الذي هتف بغير تصديق ؛

_ لحظة..سجى..ألا يمكنك أن تلمحي لي عنها قليلاً على الأقل ؟

لم أستجب فعاد يقول من ورائي ببعض الاستياء ؛

_ متى كنت تنوين أن تخبرني عنها إذا ؟!!

و كانت تلك هي اللحظة التي استدرتُ فيها قليلاً لأنظر في عينيه تزامناً مع وصولي لحاجز

الباب..و قلت ب....بابتسامة محيرة لأقصى حد قبل أن أكمل طريقي ؛

_ذلك يعتمد على مزاجي ! حتى لا تسألني مجدداً إن كنت معتوهة !

و فقط...اتجهتُ بعدها إلى غرفتنا هنا و أنا أسمع صوت الزفرة القانطة التي حرّرها من

ورائي..و جعلت من ابتسامتي تميل قليلاً ما بين الكثير من الحنان..و بعض الظفر الذي عجزت عن

التحكم به !

جلسنا تلك الليلة أربعتنا حول مائدة طعام العشاء..حتى شهد المهرقة تحاملت على نفسها

لتجلس معنا مشكلين أربعتنا عائلة دافئة صغيرة..

لم نكن قد أطلعنا خالتي بعد على خبر ولادة شهد..و هذه كانت رغبة هادي تجنباً لأن تطلب

من أيّ منا أن ترى الطفل الآن أو أن تقرر زيارة منزل هادي و شهد فجأة فتتأثر نفسية هذه الأخيرة

برؤيتها..

أما والدهما..فلا أحتاج لأن أقول بأنه كان أشبه بالمغيب بالعالم من حوله..و الحقيقة أن

حالته التي كان عليها قبل ثلاثة أشهر تقريباً كانت تزداد سوءاً بدل العكس..

لقد أخبرتي خالتي في آخر لقاء لي معها و الذي كان قبل خمسة أيام من الآن بأنه لا ينفك

يزداد هدوءاً مع الوقت بشكل موحش..لقد أصبح هادئاً و صامتاً إلى درجة أن صوته نادراً ما يتردد في

لمحة خاطفة في أرجاء المنزل..

و كل ما يفعله حرفيًا طوال الوقت..هو إما قضاء دقائق طويلة ما بين مكتبه و الحديقة كالعادة..أحيانًا يتوقف أمام صورة عائلية كبيرة يتأملها بلا تعابير..و في أحيان أخرى..التي يشتد فيها وضعه..يحاول التواصل برقم شهاب !

لقد علمتُ من لؤي قبل فترة..تحديدًا في ليلة عيد ميلاد هادي..بأنه تحدث معه حيال هذا الموضوع..لقد أخبر هادي بوضوح عن وضع والده و سأله إن كان مهتمًا بزيارته..
إلا أن هادي لم يمنحه أيّ شيء سوى نظرة شاردة لوقتٍ طويل..نظرة خالية تمامًا من التعابير بحيث يصعب قراءتها..ثم و بكل بساطة..قال معقبًا ؛

" ألم تره أنت ؟ أظن بأن هذا أكثر من كافٍ بالنسبة للجميع ! "

و فقط..تم إغلاق الموضوع تمامًا..ثم إسدال الستار عن شرخ قديم كان بين هادي و والده..و أنهاه هذا الأخير بأن قطع كل صلة عاطفية له به و كأنه لا يمثل له أيّ شيء في الحياة أكثر من قريب بالدم يتمنى له الشفاء !

أظن بأن لؤي لم يكن جادًا كثيرًا حينما أخبرني بأنه يجهز لي مفاجأة..و لا أنا كنتُ أتحدث بصدق تام في الحقيقة !

" ماذا لو كان هناك طفل صغير في بطنك الآن ؟ "

جملة بسيطة ؟ أليس كذلك !!

لكنها التصقت بذهني منذ أن سمعتها لأول مرة من لؤي إلى درجة تحولت خلالها رغبتني في أن تتحقق تلك الأمنية أشبه ب...هوس لي طيلة الثلاثة أشهر السابقة !
و كم تضاعفت بولادة شهيد..و مجيء لؤي الصغير إلى حياتنا..لا أتذكر كم مرة قمْتُ بفحص الحمل خلال هذه المدة..لكن كل ما اعرفه هو أنها أصبحت مثل عادة لي تقريبًا بين كل فترة و أخرى..
كنتُ أشتري الجهاز الصغير و أقوم بالكشف بدون أن أسمح للوئي بأن يعرف أو يلاحظ..فأنا كانت أعظم غاية لي هي مفاجئته بالدرجة الأولى ! و عيش ذلك الحلم الجميل بأوممة منتظرة برفقته !
برفقة شخصي المفضل في هذه الحياة و أقربهم لي !

و حين أخبرتُ لؤي..قبل أسبوعين تقريبًا من الآن..بأن لدي مفاجأة جميلة له..قلتها بأمل عميق في قلبي أن تصبح الأمنية التي أشعر بقرب تحققها و أفعأ نعيشه سويًا بالفعل..
و اليوم أيضًا...قررتُ أن أتجه إلى الصيدلية لأشتري جهاز كشف جديد بعد عودتي من الجامعة..و ما كدت أدخل إلى البيت الذي أعلم بأنه سيكون فارغًا الآن بما أن لؤي في العمل..

حتى كنت أسقط حقيبتى و هاتفى بسرعة و أتجه مباشرة إلى الحمام بغاية تكرار عملية قد تتحول إلى مرهقة لي بمرور الوقت.. لكنني لا أزال حتى الآن أشعر باللهفة لنتيجتها رغم اليأس الطفيف الذي بدأ يعتريني بين لحظات و أخرى..

و بعدها ببضع دقائق تعد بالأصابع..كنتُ أجلس فوق الحوض..أحمل الجهاز في يدي المرتعشة قليلاً بينما أنتظر ظهور النتيجة الـ...منشودة في أي لحظة..و قد ظهرت..بعد انتظار ثلاثة أشهر..رأيتُ النتيجة و هي تتشكل أمامي على شكل خط أحمر صغير أكد لي بأنني... حامل ! أخيراً !!! و رغم أن هذا احتمال كان متوقعاً جداً..إلا أنني وجدتُ نفسي بدون أن أشعر أعقد حاجبائي بشدة و أنا أدقق النظر في النتيجة و كأني أحاول التأكد من أنها حقيقية فعلاً..ربما ارتكبت خطأً ما ! لكن لم يكن هناك خطأ..لم يكن هناك أي خطأ..و شعرتُ بيدي المتمسكة بالجهاز ترتعش بقوة..و تشاركها الأخرى التي رفعتها إلى عيناى لألمس بها دموعاً سالت منهما بغزارة لم أستوعبها...نفس الارتعاش !

لم أدرك كم بقيتُ جالسة حينها في نفس المكان..أحمل الجهاز في يدي بينما أذرف الدموع بسخاء شديد..العجز يملكني و يمنعني عن الوقوف لكنه عجز جميل اليوم بحيث كنتُ أشعر بخفقات قلبي تكاد أن تحطم قفصي الصدري و تتشكل أمامي معبرة عن.....سعادة لا متناهية ! لكنني اضطررتُ للوقوف أخيراً حينما تناهى إلى مسامعي صوت انفتاح باب الغرفة..وقفت منتفضة بسرعة..قبل أن أقرب من الخزانة التي كانت تقبع في جانب معين بالحمام ثم فتحت الدرج السفلي و وضعت الجهاز به تحت بعض المناشف التي تخصني بحيث لا يراها لؤي.. قبل أن أرفع يداى لأبعد أثر الدموع عن عيناى رغم تورده ملامحي و الاحمرار الذي يؤطر عيناى و لمحته في المرأة يدل على أنني بكيتُ فعلاً..سمعت بعدها فوراً صوت طرقاتٍ خافتة فوق باب الحمام مرفقة بصوت لؤي الخافت..

_سجى ؟ هل أنتِ بالداخل ؟!!!

فاقتربتُ بسرعة لأفتح الباب..و ما كدت أن أنظر في عيني لؤي الذي تراجع قليلاً عاقداً حاجبيه ببعض الدهشة المبررة تماماً من طريقي في فتح الباب ثم...وضع ملامحي و عيناى ! حتى كنتُ أنا من أقرب منه إلى أن حاوطت عنقه بقوة..و كأنها طريقي في تهنئته و تهنئة نفسي رغم أنني لا أنوي أن أخبره الآن فوراً..و مباشرة شعرت بتلك الدهشة تتطور قليلاً إلى قلق.. حينما همس في جوف أذني و هو يبادلني العناق و يمرر أنامله الحنونة بين خصلات شعري ؛
_ما الخطب..غاليتي ؟ هل أنتِ بخير ؟!!

ابتسامة ذات مغزى عميق جدًا برزت في عيناى ما إن سمعتُ اللقب الحبيب ينطق بصوته
موجهًا لي مجددًا بعد فترة طويلة افتقدته خلالها..قبل أن أبتعد قليلًا إلى أن استطعت النظر في عينيه
مبقية على ابتسامتي المتوهجة بشدة..

فهمس لؤى و هو يحاوط وجهي ملامسًا تلك الابتسامة بعينه و يديه ؛

هل كنت تبكين !!؟

إلا أنني لم أمنح هذا السؤال أيّ إجابة..بل همستُ الشيء الذي خطر في ذهني و أناملى لا تزال

ملتفة حول جذعه قابضة على قماش قميصه الأزرق ؛

_لقد اشتقت لسماعك تناديني بهذا الشكل !

ابتسامتي المتوهجة..و صوتي الذي خرج في غاية السكون..نجحنا في جعله يتخلى عن سماع

إجابة لسؤاله و ذلك القلق الطفيف السابق يخبو تدريجيًا..و همس بدلًا عن ذلك يسألني برقة لطالما

شعرتُ بأنها تليق بصوته رغم خشونته ؛

غاليتي !!؟

أومأت له بهدوء و أنا أحاول أن أحتوي ارتعاشة أناملى بالتمسك به أكثر..و في نفس الوقت

منع نفسي من أن أقرب الآن من نفس الخزانة لأفتحها مجددًا و أنفقد ذلك الجهاز مجددًا..

و أحقق رغبة تملكنتي و كتمتها..هي في أن أفتح في أنطق الكلمة أمام وجهه الآن و

فورًا..لكنني قمعتُ نفسي بصعوبة..و اكتفيت بدلًا عن ذلك بتلك الأيماءة و الابتسامة رغم أنني

حرفيًا..كنت ألتهمه بنظرات عيناى..

_سأحرص على أن أناديك بها كثيرًا بعد الآن إذن !

همس لي عن قرب بصوته الذي ازداد حنانًا..قبل أن يكرّر مجددًا بما عجز عن منع نفسه عن

تكراره على ما يبدو ؛

_هل أنت بخير حقًا ؟!

و كان ردي الوحيد أن عدتُ لأضمه مريحة رأسي على صدره الآن..ثم شدّدت من تمسكي

بجذعه و أنا أهمس بنبرة تحمل مغزى أعمق من ظاهرها ؛

_أنا...بألف خير..لم أشعر نفسي من قبل بخير إلى هذه الدرجة أكثر من اليوم !

ثلاثة أيام أخرى مرت بعد تلك اللحظة..كنتُ أفكر خلالها بطريقة أخبر من خلالها لؤى بهذا

الموضوع..رغم أنني لا أعلم حتى السبب الذي يجعل نطق الكلمتين غريب جدًا في لساني و صعب..

و كأنني أخشى إن نطقها هكذا فجأة في لحظة عابرة أن أفقد لهفتي بالتقاط أول تعبير
سترسمه عينا لؤي عليها..ماذا لو نطقها في وقتٍ غير مناسب ؟ بحيث يكون ذهن لؤي منشغلاً بشيء
آخر عني فلا يستوعبها بالكامل إلّا بعد أن أفقد متعة التعبير الأول و النظرة الأولى !
ثم بعد ذلك اليوم مباشرة بيوم واحد..كنتُ أجلس برفقة شهد في بهو منزلها هي..منزلها
الصغير الذي قرّرت أخيراً أن أزوره..أو بالأحرى..المنزل الذي كانت تعيش فيه والدتها و الذي يحمل
بعض الذكريات في أركانه لوالدي أيضاً!
كنتُ أحمل بين يدي لؤي أهدده مبتسمة بحنان و أنا أجلس في الأريكة القديمة في البهو..
بينما أسمع صوت شهد تتحدث عبر الهاتف مع...خالتها!
لقد كانت خالتها التي تعيش في مدينة أخرى..و التي استطعتُ أن أفهم من بعض الردود التي
وصلتني من شهد بأنها كانت تعتذر لها للمرة الألف لأنها لم تستطع أن تسافر إليها هنا لرؤية الصغير
مباشرة و تهنئتها..
و اكتفت بمكالماتٍ مرئية رأت فيها الصغير و اطمئنت فيها على شهد..هذه الأخيرة التي سمعت
صوتها تقول بحرارة ؛
_ لا بأس خالتي..أنا لست منزوعة منك صدقيني..يكفي فقط أنك لم تتوقفي عن الاتصال كل
يوم و رغبتك الآن بأن تأتي شخصياً لولا مشاغلِك.....
ثم صمتت للحظة و عادت تقول بنفس النبرة ؛
_ حسناً إذا..و لا تنسي أن تبليغي سلامي إلى سند أيضاً..
وصلني بعدها صوت تحرك بعض الأواني للحظاتٍ من المطبخ حيث هي موجودة..إلى أن
سمعتُ صوت شهد تقول أخيراً ب.....
برجاء شديد و هي تقترب مني إلى أن وضعت فنجان قهوة واحد فقط فوق الطاولة !
_ هل يمكنك أن تهتمي به لمدة ساعتين سحى ؟ لديّ محاضرة مهمة جدّاً في الجامعة بعد نصف
ساعة..لقد كنت أنوي أن أنغيب عنها اليوم أيضاً خاصة و أن هادي يبدو منشغلاً أيضاً هذه الأيام في
الاستوديو.. لكن بما أنك هنا.....
كنتُ أستمع إليها بابتسامة لم ينفك أن تخللها بعض القنوط..إلى أن صمتت فجأة تنظر لي..
بتردد و كأنها تتوقع احتمال الرفض مني !
قلتُ أنظر لها بعتاب و كأنني أوبخها ؛

_بالطبع يمكنني أن أهتم به لمدة يوم بكامله حتى..هل وضعت احتمال أن أرفض حقًا في

ذهنك ؟!!

لفحة طفيفة من الندم ظهرت في عينيها..لكنها قالت ببساطة و هي تجلس بجانبني على الأريكة..و تمد يدها لتلمس يدي التي كنتُ أربت بها على رأس لؤي الصغير من فوق الغطاء الذي يتلعه بالكامل ؛

_لم أقصد هذا بالطبع..لكنني فكرت بأنك ربما قد تكونين ملتزمة بموعد ما..
نظرة حنونة تشبعت بها ابتسامتي و أنا أجيب فورًا برقة مبالغ بها بينما أعود لأتأمل الملامح الساكنة بين يداي ؛

_حتى و لو كنت ملتزمة بموعد ما..مستعدة لأن أنسحب منه ألف مرة لو كان المقابل أن أمضي بضع دقائق إضافية معه..

ثم نظرتُ لها مضيفة فورًا بعفوية مطلقة ؛

_لقد أصبحت أشعر بتأنيب ضمير نحوك بسبب اضطرارك لأن تتركه معي لمدة دقائق طويلة في كل زيارة لي..لكن ماذا أفعل ؟ أشعر بأنني بدأت أتعلق به بشكل ميؤوس منه !
الآن كان دورها هي لتبتسم لي في المقابل..ثم همست و يدها لا تزال فوق يدي تربت عليها بدفء ؛

_لا أحب إلى قلبي من أن أراه برفقتك..

كانت تتحدث بصدق تام..لكنني رغم ذلك همستُ أميل برأسي إلى الجانب قليلًا بشك ؛

_حقًا ؟ ألا تشعرين بالانزعاج أحيانًا من الأمر ؟!!

و لم تتردد أمامي من أن تحرك رأسها بالنفي مجيبة فورًا بإخلاص ؛

_بالطبع لا..

ثم أضافت فورًا مبقية على ابتسامتها المحببة إلى قلبي ؛

_أنتِ لا تدركين بعد كمّ السعادة التي أشعر بها و أنا أرى كمية الاهتمام و الحب الذي

تقدمينه له..ثم ألا تعتبرين أيضًا أمًا ثانية له ؟!!

بدت و كأنها تسألني بعتاب..لكنني لم أمنحها أي رد الآن..وجدت نفسي أتجمد تمامًا بسماع

كلمة "أم" تنسب إلي !

بقيت فقط متسمة للحظات لم أحسب عددها أنظر في عيني شهد..ثم فجأة..لم أشعر بتلك

الهمسة التي تحررت بشكل تلقائي مني ؛

_أنا حامل يا شهد !

نظرة بالغة الغباء احتلت عيني شهد و ظلت للحظاتٍ مرتسمة بشكل جعل من دمعة هادئة تنساب من عيني اليمنى..بينما توهجت ابتسامة شهد أكثر أُمامي و هي تنقل عينيها بين عيناى و كأنها تحاول أن تتأكد من ما سمعته فعلاً..إلى أن همست فجأة بغير تصديق ؛

_يا إلهى ! هل حقاً ؟!!

و لم تنتظر حتى لسماع الإجابة الواضحة منى لتتقرب فجأة إلى أن حاوطتني بين ذراعيها بقوة.. فلم أفعل أمامها أكثر من أن حركت إحدى يداى تاركة الأخرى متمسكٌ بلؤى الصغير لأبادلها العناق بها مربتة على ظهرها و أنا أشعر بابتسامتها و أستقبل دموعاً جديدة تحررت من جوف قلبي لا من عيناى فقط..

إلى أن همستُ مجدداً و أنا أغمض عيناى بهدوء ؛

_لقد كنتِ أول شخصٍ يسمع بهذا..أنا لم أخبر لؤى بعد !

شعرتُ بضغط ذراعيها يخفٌ تدريجياً إلى أن نظرت في عيناى..و عادت يدها لتربت فوق يدي المرتاحة فوق الأريكة..و للعجب فقد كانت هناك دموع مشابهة لدموعي تنساب من عينيها.. لكنها رغم هذا همست بصوتٍ متحشرج بعض الشيء و تعابير الدهشة السابقة لا تزال تحتل عينيها ؛

_متى ستخبرينه إذا ؟! لؤى سيطير من الفرحة لو علم !

تاهت نظرة عيناى قليلاً إزاء جملتها الثانية..لكننى رغم هذا همست أهز كتفاى بخفوتٍ ؛
_قريباً جداً..أريد فقط أن تكون هناك لحظة مثالية لأخبره بها..

فتحت شهد فمها تنوي إجابتي..و ربما ستطلب منى و تؤكد علي على ضرورة إخباره في أقرب وقت..لكن صوت طرق هادئ فوق الباب قاطعها..فرمقته بنظرة خاطفة من عينيها قبل أن تنظر لي مجدداً و تهمس بينما تجبر نفسها على الوقوف ؛

_هذه على الأغلب صديقتي أمل..لقد راسلتني قبل قليل للذهاب سوياً إلى الجامعة..
راقبتها بهدوء و هي تقترب من الباب إلى أن فتحته..و مباشرة تنأى إلى مسامعي صوت ناعم يهتف بشقاوة و صاحبتة تقتحم المنزل بدون أن تهتم بطلب الإذن ؛

_أين هو ؟ هذه المرة لن أرتاح حتى أراه !

عقدتُ حاجباى قليلاً بشيءٍ من التوجس و أنا أرى شابة جميلة تقترب بلهفة لدرجة أنها لم تنتبه لي حتى إلا حينما كادت أن تصل إلى اليهو..

و حينها فقط توقفت تنظر لي ببعض...الدهشة ! فقط !

لقد كنتُ أنتظر ربما أن تشعر ببعض الاحراج !

علمتُ بأن شهد معتادة على هذا منها حينما رأيتهما تقترب منا بهدوء بعد أن أغلقت الباب..إلى أن توقفت بجانب صديقتها التي أراها لأول مرة..ثم قالت و هي تشير إليّ و تحثها على الدخول أكثر بديهية جميلة ؛

_أولاً..أقدم لكِ أختي سحى..

رمقتها صديقتها بنظرة فاقت حدود الذهول الآن..و مجدداً قبل حتى أن يتسنى لشهد تعريفها إليّ جيداً كانت تسأل بغباء ؛

_هل لديكِ أخت ؟!!

و بنفس تلك البديهية أجابت شهد بنبرة شامها بعض الاعتذار ؛

_نعم..أعتذر لأنني لم أملك الفرصة لأعرفكِ عليها من قبل..

ثم نظرت لي الآن..تحديداً لابتسامة التعجب التي ظهرت في ملامحي و قالت تشير إليها بمحبة ؛
_و هذه صديقتي أمل..إنها تقطن في الشقة المقابلة لنا..

أحببتُ حقيقة أنها قالت "لنا" و ليس "لي" و هذه فكرة تحمل الكثير من المعاني حتى و إن بدت عادية ظاهرياً! قبل أن أنظر إلى أمل..ثم كنت أنا من أتحدث أولاً راسمة ابتسامة ودودة في وجهي بدون أن أقف ؛

_أهلاً و سهلاً بكِ يا أمل..لقد تشرفت بمعرفتكِ..

حينها فقط..رأيت تعابير الشغب تختفي..و ارتخت ملامحها تماماً و هي تقول بصوتٍ تلون ببعض الحرج أخيراً ؛

_و أنا أيضاً..أنا تشرفت بمعرفتكِ أكثر..

رمقت بعدها شهد بنظرة عابسة بعض الشيء و كأنها تعاتبها على شيء مجهول..ربما لأنها لم تخبرها من قبل بأنها تمتلكُ أختاً ! قبل أن تقترب الخطوات المتبقية إلى أن جلست بجانبني بدون أن تطلب الإذن بالطبع..

و علمتُ فوراً بأن غايتها من الجلوس كانت أن تنظر في ملامح ذلك الصغير في يدي..من الرهبة التي ظهرت في عينيها و هي تمد يدها لتلمس وجهه الناعم برقة حريصة على أن لا توقظه..

ثم سمعت صوتها تهمس بنبرة جميلة بحق ؛

_يا إلهي كم هو جميل..

لكنها ما كادت أن تبعد يدها بعدها و تنظر لشهد..حتى كانت خطتها السابقة بعدم إيقاظه
تفشل..و شهقت كمن ارتكب ذنبًا يخشى تبعاته حينما فتح الصغير عينيه فجأة..و علا صوت بكاءه
بشكل أفزع شهد التي اقتربت بسرعة..

لولا أن وقفتُ أنا بسرعة لأتحرك به مهددة برفق و أنا أهمس بكلماتٍ مهدئة في أذنه
الصغيرة و أضمه بشدة إلى صدري إلى أن عادت ملامحه تستكين كما كانت تدريجيًا..
و سمعتُ صوت زفرة شهد المرتاحة قبل أن تنظر لأمل بما يشبه اليأس..لكن هذه الأخيرة
هتفت فورًا تنفي عنها التهمة البشعة ؛
_لقد لمسته فقط ! لم أقصد إيقاظه..

حينها كنتُ أنا من أقول بصوتٍ خافتٍ جدًّا و أنا لا أزال أهزه بين ذراعي حتى لا يستيقظ
مجددًا ؛

_هششش..أليست لديكما محاضرة ؟ اذهبا الآن و أنا سأهتم به !
نظرت لي شهد ببعض التردد هامسة ؛
_حسنًا..و لقد أرضعته قبل قليل و جهزت له الحليب في المطبخ في حال استيقظ مجددًا و
شعر ب.....

_ماذا قلنا شهد ؟ ألا تثقين بأنني قادرة على الاعتناء به ؟!!
همستُ أقاطعها ببعض الصرامة..و رأيت كيف ارتخت ملامحها التي لا يزال الإرهاق يظهر
عليها حتى بعد مرور أسبوعين و نصف على الولادة..ارتخت تلك الملامح قليلًا بشعور متطفل من
الراحة..قبل أن تنظر لأمل و تهمس بكلمة خافتة تحثها على الذهاب..
لكن صديقتها اللطيفة بشكل يكاد أن يتحول إلى مزعج لم تذهب فورًا..فقد نظرت لي مجددًا
مردفة بمحبة ؛

_حسنًا..لكنني سأعود لأراه مجددًا في المساء..
أومأتُ لها مبتسمة بصمتٍ كي لا أوقظه..فاتسعت ابتسامتها قليلًا..و قد همت بأن تغادر..
لكنها عادت تنظر لي مجددًا..ثم همست بنفس ابتسامتها المتسعة بشكل مبالغ به ؛
_شيء آخر..موعد خطوبتي بعد يومين من الآن..لقد دعوت شهد فعلاً لكنني أريدك أن تأتي
أيضًا !

نظرتُ إلى شهد عاقدة حاجباي قليلًا و كأنني أسألها عن الطريقة التي عرفت بها هذه الفتاة..
إلا أن هذه الأخيرة لم تفعل أكثر من أن زمت فمها قليلًا على ابتسامتها اليائسة..

فعدتُ أنظر إلى الملامح المنتظرة بترقب لردة فعلي..و كما هو متوقع مني تمامًا لم أجد ما
يمنعني من أن أهز رأسي مو افقة بهدوء..فبرقت ابتسامتها أكثر..
قبل أن تلتفت برفقة شهد التي منحتني ابتسامة أخيرة تحمل سعادة الخبر الذي أطلعته عليه
قبل قليل..و رغم كل توصياتي السابقة..فقد سمعتُ صوت صديقتها تقول بمجرد وصولهما إلى الباب
و فتحهما له بنية الذهاب ؛

_على الأرجح مجد سيفقد عقله حينما يعلم عدد الحضور الذين دعوتهم !
ثم سمعتُ صوت شهد تقول معاتبة بنفس الخفوت ؛
_حرام عليكِ !
إلا أن الأخرى هتفت كشخص متبلد المشاعر فعلاً ؛
_ماذا ؟ ألا يكفي بأني و افقت على الارتباط به ؟ يجب عليه أن يعيش ما تبقى من حياته ممتناً
على تنازل كهذا.....

و فقط...سمعتُ صوت إغلاق الباب من خلفهما..فتنهدت بخفوتٍ و أنا أعود لأتخذ مكاني
جالسة..لكنني حتى أثناء جلوسي لم أكن قادرة على التوقف عن هز جسده الصغير بين يداي برفق..
أو التفكير في نفس الشيء الذي يشغل ذهني..
كيف سأخبر لؤي ؟ و ما ستكون ردة فعله !

ثم بعدها بيومين...كنتُ أجلس برفقة لؤي و شهد و هادي و مجموعة ضيوف آخرين..
أعدادهم تتجاوز الأربعين شخصاً..
كان الجو جميلاً جداً و دافئاً في منزل صديقة شهد..
و دعوني أقول أيضاً بأني رغم دهشتي الأولى منها إلا أنني لم استطع ان أنكر و لو للحظة
سعادتي الداخلية من أجل شهد..لكونها استطاعت بناء صداقة جميلة كهذه بشخصيتها المتحفظة
الهادئة..

كنتُ أرتمي فستاناً قرمزيّاً داكناً..أجلس في نفس المكان بجانب لؤي الذي لم يتوقف عن
العزف بأنامله المحتوية لأناملي فوق ظاهر كفي..كان ينقر بإبهامه فوق ظاهر كفي بطريقة رتيبة
استطعت ملاحظتها..كشخصٍ ينتظر مرور الوقت للرحيل..
أو ربما لتنفيذ خطة ما يخطط لها منذ وقتٍ طويل..

علمتُ بأن أفكاري عنه كانت حقيقية حينما سمعت صوته يهمس في أذني تزامناً مع ارتفاع صوت التصفيفات من حولنا لما أدخل العريس الشاب خاتم الخطوبة في بنصر خطيبته..

_ما رأيك بأن نذهب الآن؟

كنتُ اليوم و في بادرة مميزة..أرفع خصلتين من شعري المفرودة معظم خصلاته بمشبكٍ لكن منهما يثبتهما على الجانب..حينما همست في أذنه أنا الأخرى و عيناى تسقطان عفويًا على ابتسامة شهد المتسعة و هي تشارك الجميع التصفيق..بينما هادي بجانبها يحمل طفلهما في مشهد لطيف جدًا لكل من يراه ؛

_إلى أين ؟!!

إلا أن لؤي لم يمنحني أيّ إجابة..فقد استغل انشغال الجميع بالاقتراب من الفتاة الجميلة و خطيبها بغاية تقديم التهنية..و قبض على يدي أكثر يحثني على الوقوف معه..و أنا انصعْتُ له بالطبع و أنا أسمع صوته يهمس لهادي و شهد مستأذناً ؛
_نحن سنذهب الآن..

أوماً له هادي تلقائيًا..بينما تخللت نظرة غير عادية ابتسامة شهد التي منحتها لي أنا بالذات..و بادلتها أنا بواحدة مشابهة و كأنني أمنحها التأكيد من خلالها على نيتي بأن أطلع لؤي على الخبر الجميل اليوم..بغض النظر عن الطريقة فأنا تأخرت كثيرًا أساسًا!

كنتُ أشعر بلهفة لؤي الكبيرة من طريقته في القبض على يدي أثناء نزولنا درجات المنزل الطويلة نسبيًا سويًا..إلى أن وصلنا إلى سيارته و حينها فقط كان يترك يدي لا لشيءٍ إلا ليفتح لي الباب محفزًا إياي على الصعود..

فاتخذتُ مكاني بهدوء ينافي نظرة الاستغراب التي رمقته بها..قبل أن أفتح فهي سائلة تزامناً مع اتخاذه لمقعده أمام المقود ؛

_أنت على الأرجح تود أخذي إلى مكانٍ ما..لكنني لا أفهم هذه اللهفة الشديدة التي تعتري عينيك !

قال لؤي و هو بالكاد يكتم ابتسامته العريضة جدًا ؛

_ستدركين بأنها مبررة تمامًا بعد أن نصل !

تهددتُ بخفوتٍ و أنا أراجع قليلًا في مقعدي أنوي أن ألزم الصمت إلى أن نصل..إلا أن لؤي لم يكن ليترك أيّ شيءٍ في مكانه الصحيح اليوم..لا خفقات قلبي و لا المشبكين المسكينين اللذين كنت أصفّف بهما شعري..

فشعرتُ به يلتفت فجأة نحوي و كأنه تذكر شيئاً مهماً..ثم و بكل بساطة..مد يديه الاثنتين في نفس اللحظة ليفتح المشبكين و يبعدهما بكل هدوء عن شعري تزامناً مع همسه..
_أولاً.....

نظرتُ له باستسلام بينما يضعهما في صندوق السيارة قبل أن تمتد يده إلى شعري مجدداً يرتبه برقة..فهمست و أنا أتأمله عن قرب ؛
_و ثانياً ؟!

و...ثانياً...ربما لم يكن عليّ أن ألقى عليه مثل هذا السؤال !
لأنه اقترب فوراً ليقبلي بنعومة شديدة..مستغلاً فكرة أننا نجلس الآن بسيارتنا المظلمة..في شارع فارغ تماماً في هذا الوقت من النهار..بحيث كانت الشمس على وشك إسقاط حصونها و سحب خيوط ضوءها عن العالم..

إلى أن ابتعد قليلاً و همس مباشرة يجيب سؤالي على استعجال و كأنه لا يطيق صبراً لأخذي إلى المكان الذي ينوي الذهاب إليه أيّ كان ؛

_و ثانياً..تبدین فائقة الجمال..لقد كنت أريد أن أقول هذا منذ الصباح !
ابتعد بعدها بنفس السرعة..ليس و كأنه قد سرق من نبضات قلبي كل هدوء بحركة مباغته..
أو حركات بدأت أعتادها..بل بدأت أدمنها !!

لم أشعر بذلك العبوس الطفيف الذي ظهر في عيني و أنا أنظر له للحظاتٍ حتى بعد انطلاق السيارة و كأن فكرة أنه لم يلتفت مجدداً ليرمقني بأيّ نظرة أخرى بعد جملته تلك أزعجتني بشدة !
لكنني في النهاية تنهدتُ و أنا أرفع يدي لأمررها فوق شعري المسرح بعناية أرتب مكان المشبكين اللذين سرقهما هذا الرجل الغريب بجاني..قبل أن أراجع أكثر مستريحة في مقعدي..
و لم أكن أتوقع أبداً..بأن يستغرق الطريق كل هذه الدقائق الطويلة من القيادة..كان الطريق مألوفاً جداً..شعرتُ بأننا مررنا منه لمرةٍ لا تعد سابقاً..حتى أن فكرة ما خطرت في ذهني و طردتها بالقوة..

فآخر ما أريده الآن الذهاب إلى ذلك المكان الذي يحمل لي في أرجاءه التي كنتُ أحبها..ذكرى بشعة لا أود استعادتها رغم حقيقة أنها لم تعد تملكُ أيّ تأثير علي !
كنتُ أراقب الطريق بعينين شاردتين..أشعر بأجفاني ترتخي قليلاً في رغبة واضحة بـ...النوم قليلاً ربما! لكنني بقيت أقاوم نفسي في كل مرة..و لم أستطع أيضاً خلال تلك المرات أن أمنع يدي من أن ترتفع بشكل عفوي تماماً لألمس بها بطني !

ثم أعود لأسقطها ما إن أستوعب نفسي..إلى أن توقفت السيارة فجأة..فظننتُ بأننا وصلنا..
إلا أن لؤي التفت إلي بمنتهى البساطة..قبل أن يخرج من جيب سترته السوداء...شريطاً أبيض !
كان شريطاً أبيضاً نظرت له بغباء لوهلة و أنا أتحرك قليلاً مجبرة نفسي على الاستقامة في
طريقة جلوسي..لكنه لم يفعل أكثر من أن همس و هو يقترب مني قليلاً بدون أن يسألني ليضع
الشريط فوق عينائي و يعقده برفق خلف رأسي !

_ ألم أخبرك في ذلك اليوم بأنني أجهز مفاجأة لك ؟ هل ظننتُ بأنني كنت أتحدث بشكل عابر !
كنتُ أستقبل كل حركاته اليوم بدهشة..و حتى فعلته الآن و صوته..فقلت بإحباط ليس في
محله و أنا ألمس الشريط الذي يغشي الرؤية عن عينائي ؛
_ ألا يمكنني أن أراها مباشرة فقط ؟!!

و سمعتُ صوته يهمس برقة لا متناهية و هو يمنحني لمسة و قبلة طويلة تشبه صوته على
وجنتي ؛

_ بالطبع لا..لن تبقى مفاجأة حينها !
فقلتُ باستسلام و ذلك الإحباط يملأ صوتي أكثر ؛
_ حسناً..

ثم عدتُ لأرتاح في مقعدي و أنا أشعر بالغرابة الشديدة من كل الوضع..قبل أن تنطلق
السيارة مجدداً..لكن الرحلة هذه المرة كانت قصيرة جداً مقارنة بالسابقة..و شعرت بها تتوقف
مجدداً بعد بضعة دقائق..
قبل أن أسمع صوت انفتاح الباب من جهة لؤي..فرفعتُ يدي أبحث عن حزام الأمان لأفتحه
بسرعة..تزامناً مع وصول لؤي إلى جهتي و فتحه للباب ثم...يده التي عادت تقبض على يدي إلى أن
استطعت الوقوف على قدمي خارج السيارة..
كان الوضع برمته يبدو مضحكاً جداً..مضحكاً إلى درجة أن هناك ضحكة أفلتت من بين
شففتاي فعلاً و لم أستطع التحكم بها و أنا أسير بمساعدة لؤي في طريق لا أعرفها..
_ لماذا تضحكين ؟!

سمعتُ صوته المبتسم يسألني بنبرة مميزة رغم فظاظتها الظاهرية..فقلت أحرك رأسي بحيرة ؛
_ لا أعرف..ألا يبدو الأمر مضحكاً بعض الشيء ؟!!
_ لو كنتِ تقفين معي في نفس الزاوية لبدا لكِ جميلاً جداً جداً !
_ الأمر ؟!!

_أنتِ..و ضحككتكِ !

حسنًا هو لم يعد مضحكًا فعلاً !

شعرتُ بيده بعدها مباشرة تمتد إلى الشريط لتسحب تلك العقدة منه مفسحًا لي المجال

أخيرًا لأرى...شيئًا جميلًا جدًا !!!

كان الليل قد أسدل ستاره على العالم فعلاً..الجو يبدو هادئًا رغم لفحات النسيم التي كانت تصطدم بوجهي و تطير خصلات شعري برقّة..نظرتُ حولي بغاية التأكد من فكرة دارت في ذهني..
و قد كنا نقف فعلاً ف.....نفس المكان الذي عشنا به أنا و لؤي لمدة لا أستطيع عدّها !
كانت نفس منطقة المزرعة التي ضمت ذكرياتٍ جميلة منها و حزينه بداخلها..لكنني من مكاني حيث أقف الآن..لم أكن قادرة على رؤية أيّ أثر للبيت الذي ضم كل لحظاتنا تلك بداخله..
و ما كنتُ أراه فعلاً..هو ساحة كبيرة جدًا..ساحة مربعة محاطة بسياج خشبي..مُضيئة بأضواء ملونة صادرة من...ألعاب أطفال انتشرت بكل مكان..و هي الشيء الوحيد الذي كان يضفي للمكان المظلم الروح و يضيء ظلام الليل..

رفعتُ رأسي ببطءٍ لأرمق اللافتة التي كانت معلقة في مقدمتها..و ما رأيته هناك جعل من أنامل كلتا يداي..المختبئة بين أنامل لؤي و الأخرى الملقاة بجانبي..ترتعثان بشدة..

" غاليتي ! "

لقد كانت هذه هي العبارة المكتوبة في اللافتة الكبيرة بخط عريض جدًا..و هي على الأرجح تسمية لهذا المكان الذي يبدو و كأنه...مدينة ملاهي سيتم إطلاقها عما قريب !
لم أشعر برموشي و هي ترتجف بشدة..و لا بتلك العبرات التي بدأت تنساب من عيني و تساءلت معها إن كان هذا هو مصيري فعلاً..أن لا أتوقف عن ذرف الدموع سعادة كما وعدني يومًا!
شعرتُ بعجز تام يكبلني عن إبعاد عيني عن تلك اللافتة فقط حتى أستطيع النظر في عيني لؤي..و قد زاد الطين بلة عليّ بصوته الذي تسلل إليّ حنونًا جدًا بينما تمتد يده الحرة لتلمس دموعي بدون أن يحاول مسحها ؛

_هل أعترف لكِ بشيءٍ ما ؟ لقد كان هو أكبر سبب جعلني أو افق على العودة إلى العمل في الشركة..لقد كنت أفكر طويلًا في طريقة فعّالة تخولني إنقاذ لحظاتنا الجميلة التي عشناها هنا..ثم ألم تكن أمنية طفولتي أن أصبح معالجًا نفسيًا ؟ لقد شعرت بطريقة ما بأنني أحقق جزءًا من هذا الحلم باتخاذي لقرار كهذا..و وقوفنا هنا اليوم..لقد كانت كل غايتي منذ البداية أن أتمكن من النظر في عيني أشخاص في أمسّ الحاجة للمساعدة و أمد لهم يد المساعدة فعلاً حتى يعودوا قادرين على

الابتسام مجدداً..و أنا لن أخفي شعوراً انتابني أمامكِ أنتِ بالذات حبيبتي..لقد كنتِ هذا الشخص الذي جعلني أعيش تلك التجربة فعلاً بكل تفاصيلها..شعور أن أضرم بين يداي إنساناً مجروحاً في غاية الضعف..أن أطبق عليه بين ذراعي بقوة شديدة..أن أنظر في عينيه المشبعتين باليأس و أهمس له بكلماتٍ تبدد عنه ذلك اليأس..أن أكون قادراً على زرع الابتسامة في تلك العينين مجدداً ثم مرّ اقبتها بسعادة بالغة و هي تتشكل بتأني شديد..إلى أن تكتمل أمام عيناى..لقد عشت تلك التجربة بتفاصيلها معكِ إلى درجة أنني أشعر الآن بالفخر الشديد كرجل كبير أمضى حياته في تحقيق أجمل أمانيه..قبل أن يقرّر اعتكاف بعض الأمان فوق سريره..أنا أشعر بالفخر الشديد..لأجل نفسي قبل أن يكون لأجلكِ..لأنكِ و نفسي سواء عندي.....

كان يتكلم بسخاء شديد..و شعرتُ بصوته يتحشج في آخر كلماته و كأنه يشاركني البكاء..قبل أن يكمل بنفس نبرته كلمات تحمل نفس المشاعر السابقة..و نفس التأثير السابق على قلبي..
_لقد كنت أخطئ لأن أحضركِ إلى هنا منذ وقتٍ طويل..لكنني كنت أشعر بالحيرة حُيال الاسم الذي يتوجب عليّ إطلاقه على هذا المكان..و أنتِ منحتني الجواب بجملتكِ لي أمام الحمام ذلك اليوم !

صمت فجأة و شعرتُ من صوت أنفاسه التي كنت أستطيع سماعها بوضوح و كأنه يعجز عن التحدث أكثر..ليس لأنه قال كل شيء..ليس لكونه قد باح بكل شيء..فأنا أعلم بأننا مهما تكلمنا و اعترفنا أمام بعضنا طوال حياتنا لن يكون هناك حد فاصل تقف عنده تلك الرغبة الفائضة في الشرح أكثر..

و في وصف مشاعر باتت مخلدة لشدة عمقها !
بل فقط...لكونه يقف الآن بجاني..و هو يشاركني نفس العجز لأنني أنا أيضاً أشاركه نفس الحب الفائض غير القابل للشرح أو الوصف أو التسوية !
صمت طويل بعض الشيء ساد الأرجاء بيننا و بدا و كأن أيّ منا لن يتحدث بعد الآن..لكنني سمعتُ صوته الذي يحمل نفس التحشج يسألني فجأة بينما يده لا تزال على خدي إحداها و الأخرى تتمسكُ بيدي ؛

_ألن تقولي أيّ شيء ؟
ألن أقول أيّ شيء ؟ ماذا عساي أن أقول بعد ؟! أنا أشعر و كأني أقف في منتصف معجزة.. غير قادرة على استيعابها أو الانخراط بها أكثر للتأكد من حقيقتها..ماذا عساي أن أقول بعد ؟!!

زَمَمْتُ شَفَتَايَ قَلِيلًا وَ أَنَا أَحْرَكْتُ يَدَيِ الْحَرَّةِ ببطءٍ إِلَى أَن كَرَرْتُ بِهَا نَفْسَ الْحَرَكَةِ الَّتِي كَرَرْتُهَا
لِبَضْعِ مَرَاتٍ خِلَالَ الْأَيَّامِ السَّابِقَةِ..تَحْدِيدًا مِنْذُ أَن اكْتَشَفْتُ أَجْمَلَ حَقِيقَةٍ فِي الْكَوْنِ..
بَسَطْتُهَا فَوْقَ بَطْنِي..وَشَعَرْتُ فُورًا بِأَنَامِلِي تَرْتَجِفُ أَكْثَرَ..قَبْلَ أَن أَرْغَمَ نَفْسِي أَخِيرًا عَلَى
الْاِلْتِفَاتِ صُوبِهِ بِدُونِ أَن أَحَاوِلَ إِسْقَاطَ يَدَيِ..وَكَمَا تَوَقَّعْتُ تَمَامًا..فَقَدْ كَانَتْ أَنْظَارُ لُؤْيِ الْآنَ مُتَعَلِّقَةً
بِحَرَكَتِي تِلْكَ..

تَعَلَّقْتُ بِهَا عَيْنَاهُ لِلْحِظَاتِ مَعْدُودَةٍ مِنَ الزَّمَنِ..ثُمَّ لَمْ يَلْبَثْ أَن عَادَ يَرْفَعُهَا نَحْوِي وَ قَدْ تَشَكَّلَتْ
بَيْنَ حَاجِبَيْهِ الْكَثِيفَيْنِ تَقْطِيبَةٌ تَنَمُّ عَنْ.....أَمَلٍ ضئِيلٍ !
وَلَمْ أَكُنْ أَنَا بِالطَّبْعِ لِأَخْذِلَ ذَلِكَ الْأَمَلَ..وَلَا لِأَجْعَلَهُ يَنْتَظِرُ أَكْثَرَ..فَفَتَحْتُ فِي وَ نَطَقْتُهَا..أَخِيرًا..
هَمَسْتُ بِصَوْتٍ أَجْشَ مُخْتَنِقٍ بِدُمُوعٍ دَافِنَةٍ ؛

_إِنَّهُ مَوْجُودٌ فَعَلًا..لُؤْيٍ...هَنَّاكَ طِفْلٌ صَغِيرٌ فِي بَطْنِي... الْآنَ !
وَ قَدْ حَصَلْتُ عَلَيْهِ ! التَّعْبِيرُ الْأَوَّلُ..النَّظَرَةُ الْأُولَى..رَدَّةُ الْفِعْلِ الْأَوَّلَى ! كَمَا تَخِيلْتُهَا تَمَامًا..بَلْ
أَجْمَلَ وَ أَرْوَعَ بِدَرَجَاتٍ مِمَّا تَخِيلْتُ !
فَقَدْ رَأَيْتُ حَاجِبَا لُؤْيٍ وَ هُمَا يَتَخَلَّصَانِ مِنْ عَقْدَتَهُمَا بِبطءٍ لِيَرْتَفِعَانِ بَدَلًا عَنْ ذَلِكَ..وَ انْفَرَجَتْ
شَفَاهُ نَاضِرًا لِي بِعَيْنَيْهِ الْمُتَسَعِّتَيْنِ قَلِيلًا كَمَنْ يَكَابِدُ شَعُورًا قَوِيًّا بِ.....الصَّدْمَةِ !
لَيْسَ وَ كَأَنَّهُ نَفْسَ الشَّخْصِ الَّذِي أَلْقَى عَلَى ذَلِكَ السُّؤَالِ قَبْلَ أَشْهُرٍ تَعَدُّ بِالأَصَابِعِ !
بَقِيْتُ فَقَطْ أَنْظُرُ لَهُ..كَأَنَّنا نَقَفُ..بِمَفْرَدِنَا تَمَامًا أَمَامَ بَوَابَةِ كَبِيرَةٍ لِسَاحَةِ مُضِيئَةٍ بِأَلْوَانِ
خِلَابَةٍ..بَعْدَ الْغُرُوبِ بِدَقَائِقٍ عَدِيدَةٍ..وَهَنَّاكَ لَافِتَةً فَوْقَنَا مَكْتُوبٌ عَلَيْهَا بِخَطِّ عَرِيضٍ عِبَارَةٍ...غَالِيَتِي
الَّتِي لَمْ تَتَوَقَّفْ عَيْنَاهُ عَنْ تَرْدِيدِهَا لِي حَتَّى فِي اللَّحْظَاتِ الَّتِي نَسِي لِسَانَهُ فِيهَا أَن يَفْعَلَ !
ثُمَّ حِينَمَا أَوْشَكْتُ عَلَى أَن أَفْقِدَ الْأَمَلَ تَمَامًا مِنْ سَمَاعِ أَيِّ إِجَابَةٍ مِنْهُ..سَمِعْتُ صَوْتَهُ يَهْمَسُ
بِتَشْوِشٍ شَدِيدٍ وَ يَدُهُ الْمُتَجَمِّدَةُ فَوْقَ وَجْنَتِي تَتَحَرَّكُ أَخِيرًا لِتَمْنَحَنِي مَجْرَدَ تَرْبِيتَةٍ هَنَّاكَ مِنْ إِيْمَامِهِ ؛
_م..مَاذَا قَلْبٌ لِّلْتَو ؟!!

لَكِنْ رَدِي الْآنَ جَاءَ مُخْتَلَفًا..فَقَدْ رَفَعْتُ يَدَيِ الْحُرَّةِ بِتَأْنِي إِلَى أَن أَمْسَكَتُ بِهَا يَدَهُ الْمَلَامَسَةِ
لُوجَهِي..ثُمَّ أَنْزَلْتُهَا بِرَفَقٍ إِلَى أَن فَرَدْتُهَا فَوْقَ بَطْنِي تَمَامًا وَ أَنَا التَفْتُ إِلَيْهِ أَخِيرًا بِكَلْبِيَّتِي..
وَ حِينَهَا..مَا إِنْ عَادَتْ عَيْنَاهُ لِتَسْقُطَانَ عَلَى تِلْكَ الْحَرَكَةِ..هَمَسْتُ أَكْرَرَ بِصِيفَةٍ أَفْضَلَ..أَنْطَقُ
كُلَّ كَلِمَةٍ عَلَى حِدَا بَنْبَرَةٍ بِالْكَادِ اسْتِعَادَتْ ثَبَاتَهَا وَ قُوَّتَهَا ؛
_أَنَا...حَامِلٌ...لُؤْيٍ !

شعرتُ و كأنه قد تجمد تمامًا على نفس الحركة..و ربما الشيء الوحيد الذي أكد لي بأنه قد سمعني فعلاً هو ذلك الالتواء الذي رأيته في حنجرتَه كمن يبتلع ريقه بصعوبة..
و حرّرتُ على إثره يدي من يده إلى أن لمست بها تلك الحركة..مجرد لمسة حانية فوق حنجرتَه و كأنها مُحاولة فعالة مني لتقديم المساعدة..قبل أن أفتح فمي مجدداً منادية بخفوتٍ ؛
_لؤي !

و كأن تلك الهمسة هي الشيء الوحيد الذي كان يحتاج إليه على ما يبدو ليستطيع استعادة البعض فقط من تركيزه..فعادت عيناه لترتفعان نحو عيناَي..لكن ليس إلّا بعد أن تشكّلت في جوفهما ابتسامة راقبتها بحُب..و ابتسمت لأجلها بما يفوق الحُب و أنا أحركُ يدي إلى أن أصبحت أريحها على جانب عنقه الآن..

كانت ابتسامة استيعاب ارتسمت بتأني شديد..ابتسامة جميلة إلى درجة أن عجزت تماماً عن إبعاد عيناَي عنها و أنا أحاول فقط الاحتفاظ بها في أعماق قلبي كإطار صورة ثمينة أعلقها في غرفتي..
و قد اختلج قلبي بشدة أكثر ممّا هو عليه و أنا أشعر بيده التي على بطني تتحركُ هناك بشكل عفوي و كأنها فقط محاولة منه لأن يقحم الفكرة أكثر في ذهنه..و قد نجحت محاولته على ما يبدو..
فقد شعرتُ بنفس تلك اليد بعد لحظة واحدة..تلتفّ من حول خصري ليجذبني إليه بقوة مفاجئة في عناقِ ثمين جداً بالنسبة لي..عناق استجبت له فوراً و أنا أطوق عنقه بقوة بينما أشعر بذراعه الآخر ينضم إلى السابق ملتقاً حول خصري..

و بأنفاسه الدافئة تلفح مباشرة بشرة عنقي..قبل أن يصلني صوته في غاية...السعادة !
_يا إلهي !! و أنا من كنت أظن بأنني جهزت لك أجمل مفاجئة في الكون ! ما قيمة مفاجئتي الآن
أمام ما تفعلينه بي !!!!

همستُ بحرارة شديدة و أنا أكتُم أنفاسي في كتفه حائرة بين أن أرفع يدي لأمسح دموعي أو فقط أفسح المجال لابتسامتي بالتحرّر أكثر ؛

_قيمتها هي أنها الشيء الذي جعلني أعترف بهذا أخيراً لؤي بعد أيام مرهقة من محاولة تحيّن اللحظة المناسبة..قيمتها هي أنها منك أنت لؤي..و أيّ شيء أحصل عليه منك أنت...هو بالنسبة لي
أثمن شيءٍ في العالم !

صمت قصير ساد بيننا..ثم وصلني صوته يسأل بخفوتٍ بعد أن استعاد ثباته قليلاً فقط ؛
_متى عرفتِ ؟!

_في نفس ذلك اليوم..الذي عانقتك به أمام الحمام !

قلتُ فوراً..فساد صمت إضافي من طرف لؤي هذه المرة..قبل أن يفتح فمه ليمس مجدداً بما يشبه العتاب ؛

_و لم تخبريني طوال هذه المدة !

شعرتُ بخفقاتٍ قلبي تستعيد توازنها ببطءٍ..و ظهر هذا التوازن في صوتي الخافت الذي أجبت به بثبات ؛

_أعتذر...حبيبي ! لقد كنت أشعر بتوتر قوي ينتابني بشدة..حتى أنني حاولت لبضعة مراتٍ أن أهمس بهذا فجأةً لكنني عجزت في كل مرة..و الحمدلله أنني عجزت..لم أكن لأحصل على لحظة أكثر جمالاً من هذه لأعترف بهذا !

شعرتُ بضغط ذراعيه المرتعشتين يشتد من حولي بقوة..فأطبقت جفوني بسلام شديد و أنا أشدد من احتضانه في المقابل..قبل أن يصلي صوته الأجلش يهمس بحرارة في جوف أذني ؛
_أنا سعيد جداً سجي..أنا سعيد جداً..لم أشعر بنفسي سعيداً إلى هذه الدرجة من قبل..
بعد هذه الكلمات تحديداً..شعرتُ بأن أي كلمة في العالم سأنطقها لن تكون كفيلة كرد عليه..
على كلمة كنت أراها سابقاً بعيدة عن متناول يدي..و الحال أنني أشعر اليوم بكل حرف منها يتسرب إلى قلبي بمعناه الحقيقي..

قبل أن أشعر بضغط ذراعيه من حولي يخف تدريجياً إلى أن تسنى لي النظر في عينيه لوهلة واحدة..فقد اضطررتُ بعدها مباشرة لأن أغمض عيناي ببطءٍ إزاء تلك القيلة النبيلة التي طبعها فوق جبينني..

قبل أن يستبدل شفاهه بجبينه و هو يحتوي وجهي بين يديه..إلى أن همستُ سائلة بخفوتٍ ؛
_متى سيتم افتتاحها إذا ؟

و سمعتُ الإجابة فوراً..إجابة بليغة إلى درجة لم أشعر بأني في حاجة بعدها للسؤال عن أي شيء..فقد همس لؤي بصوته شديد الخفوت و كأنه يشي لي بسر لا يجب لأحد غيري سماعه ؛
_بعد شهر و نصف من الآن..في ذكرى عيد زواجنا تحديداً !

و فقط...حررتُ نفساً كان يختنق في صدري و أنا أفسح المجال لابتسامة جديدة بالتشكّل في عيناي..

لقد كان بإمكانه على الأقل أن لا يفكر بتفصيل كهذا..كان بإمكانه ببساطة أن يكون رجلاً طبيعياً كسائر الرجال بالعالم..

لكنه لؤي خاصتي ! الذي وقع على عقد زواج ذات يوم بغاية نبيلة في حمايتي..و الذي احتواني

فوق صدره و في عينيه لأشهر عديدة بكل نوبات جنوني و حزني..

والذي أحبني بجنون قبل حتى أن أستعيد وعيي بالعالم من حولي و أتعلم مفهوم الحب

الحقيقي..و الذي أنقذني من موتٍ محتم و أعاد تشكيل خيوط الابتسامة على وجهي بجبر لا ينضب..

كيف يمكنه أن يكون كسائر الرجال !!؟

" النهاية ؛ عائلة صغيرة "

#الكاتبة

يبدأ الإنسان بالتعلق بالحياة و حُبها في اللحظة التي تقرّر أن تمنحه هُويته المفقودة..قد تتجسّد هذه الهوية على هيئة حلم تحقق بعد طوال انتظار..قد تأتي على هيئة هواية نحترفها فتغدو جزءًا متجددًا بحياتنا..

قد تأتي على هيئة دراسة..مهنة.....أو شخص !
تبدأ الأيام بالمرور بسلسلة عجيبة..تصبح تفاصيل الدقائق التي كانت تمر عابرة في الماضي..
مُهمة..ثمينة و فارقة في حياتنا..كل نظرة..كل كلمة..كل ابتسامة..كل ضحكة..نتمى لو استطعنا أن نرسمها في كتاب لا تنتهي عدد صفحاته..

فقط كي تكون لدينا فرصة للعودة إليها مجددًا و عيشها للمرة الألف !
نحن نمتلكُ كتابًا بالفعل..لكل منا كتابه الخاص الذي يحمله معه..بجوار قلبه أينما ذهب..
يسمح لمن يريد بقراءة القليل من صفحاته و يغلقه بمفتاح من حديد أمام من يريد..
كان كتاب الذكريات !

الذي يحمل في طيات صفحاته البيضاء كل مو اقفنا..منذ أول لحظة تسجلها أذهاننا عن الحياة..إلى...آخرها..لكننا نحن من نختر لون الجبر الذي نكتب به عليها..ثم نقرّر بشجاعة تمزيق ما نريد منها لاحقًا..

و هي اتخذت قرارها منذ وقتٍ طويل..و نفذته على أرض الواقع بإرادة حديدية لا تقبل التفاوض..لا يهم عدد الصفحات التي لا تزال في جعبتها..المهم هو عدد الابتسامات و الضحكات و الذكريات الجميلة التي تحتويها تلك الصفحات !

شهد هادي الشاذلي ! التي قرّرت أن تحتفظ بلقب زوجها حتى بعد أن وجدت لقبها الحقيقي..
ذلك لأنه كان لقبها الأول..أول اسم يمنح لها كهوية بعد اسمها الأول..

شهد هادي الشاذلي...التي اختارت بمحض إرادتها أن تجلس في هذا المقعد الذي وقفت أمامه لمراتٍ لا تعد ك...لاجئة صغيرة ! و باتت اليوم تملكه فعلاً و تملكُ معه مجموعة أعباء و مسؤولياتٍ وعدت نفسها بأنها ستكون على قدر تحملها و ستحملها جميعها..

شهد هادي الشاذلي... ذات الواحد و العشرون ربيعاً اليوم.. أم لطفل صغير اسمه لؤي.. و
زوجة لرجل عظيم اسمه هادي !

لقد بدأ لون الحياة يتغير تدريجياً بمرور الأيام.. أو بصيغة أفضل لقد بات متوهجاً أكثر..
مشعاً و منيراً في عينيها تعكّره في بعض الأحيان عثرات طبيعية ضبابية للحياة..
لكنها لا تملك القوة الكافية لإحباطها عن التقدم أكثر في طريق مهّدته لنفسها بمخالب
ناعمة.. لقد بدأت ألوان الحياة تواكب وردية أزهار حديقته.. تزداد لمعاً..
تزداد حباً بعد كل يوم و كل دقيقة تعيشها بجانب أشخاص أصبحت مكانتهم اليوم في قلبها
تعادل مكانة الأم في قلب طفلها الصغير.. العائلة الحقيقية المتماسكة الروابط في حياة كل شخص !
و على الرغم من أنها أدمنت النضج طوال سنوات حياتها التي حرمتها من أن تعيش طفولة
طبيعية.. إلا أنها اليوم.. و بعد كل يوم... تشعر بنفسها و كأنها تزداد سنوات أخرى من النضج الفكري و
العاطفي..

حتى هذا الكرسي حيث كانت تجلس الآن.. تمسك بقلم ذهبي في يدها و تدون بعض الأشياء
المهمة في ملفّ أمامها يخصّ طفلاً جديداً تم إيداعه في هذه الدار قبل عدة أيام..
لم يعد يخيفها كما كان.. و لم يعد يبدو في عينيها كبيراً إلى درجة أن تبدو ضئيلة و هي تجلس
عليه.. حتى نظراتها الزائغة المهتزة سابقاً.. باتت اليوم تبدو أكثر هدوءاً و ثباتاً و كأنها امرأة ناضجة
فعلاً عاشت الحياة... و فهمتها جيداً!

كما وصفها هادي ذات يوم !

كان هناك شبح ابتسامة شبه ملحوظ فوق شفّتها.. حينما حركت يدها اليمنى لتمسك
بها تفها متفقدة الساعة.. قبل أن تغلق الملف و تقرّر الوقوف مباشرة بغاية الوصول في الوقت المحدّد
إلى..... أهم حدث ترقبه في حياتها !

لكنها لم تنسى أيضاً أن تحمل حقيبتها الصغيرة الأنيقة و هاتفها أثناء اقترابها من الباب.. إلى
أن فتحت بهدوء و سارت بخطواتٍ... ثابتة في ذلك الممر الكبير الذي دخلت منه ذات يوم بعيد مُسيرة
بأنامل حنونة عاشت بعدها بوهم أنها لوالدتها !

لقد كانت غاية مرورها ذلك اليوم هي الانتقال للعيش هنا لسنواتٍ لا تعد.. و اليوم تسير في
نفس الممر لكن في الجهة المعاكسة بغاية العودة إلى منزلها.. الأول و الأعلى... فهي للمفارقة باتت تعتبر
هذه الدار أيضاً مثل منزل ثانٍ لها!

لكنها ما كادت أن تخطو خطوة خارجه لتقابل في طريقها إحدى المشرفات التي كانت تنقل بعض الأغطية في يديها إلى غرفة معينة..حتى كانت تتوقف عن السير فجأة حينما وقعت عيناها على... منظر مألوف جدًا !

لقد رأت تلك الفتاة الصغيرة..فتاة تعرفها جيدًا و تحبها منذ مجيئها إلى هنا قبل سنة واحدة..كانت تجلس فوق الدرجة الصغيرة أمام أحد الغرف هنا و التي تكون غرفتها هي تحديدًا المشتركة مع عدة فتيات أخريات..

لم تكن نفس الدرجة تحديدًا التي اعتادت الجلوس عليها هي في طفولتها..لكنها بطريقة ما.. شعرت لوهلة و كأنها ترى صورة من الماضي و هي ترى النظرات الصغيرة تتجول بين الاقدام الصغيرة الراكضة في الساحة..لأطفال في مثل سنها أغلهم يلعبون..

لم تتردد لوهلة واحدة من أن تغير طريقها مقتربة منها..إلى أن وصلت إليها..و ارتسمت ابتسامة باهتة بعض الشيء في ملامحها بشكل تلقائي و هي تنحني بهدوء إلى أن جلست بجانبها.. و حينها فقط كانت الطفلة الصغيرة ذات الملامح البيضاء المحببة إلى القلب تنتبه إليها..لكنها رغم هذا لم تقل أي شيء..لقد كانت تبدو في مزاج سيء إلى درجة أنها اكتفت بأن رمقتها بنظرة خاطفة بغاية التأكد من هوية من جلس بجانبها فقط ثم عادت تطرق برأسها ب...بحزن !

في تلك اللحظة فقط..كانت عينا شهد تقعان على الشيء الذي كان بين يديها..دفتر صغير كانت تضعه فوق ركبتيها و فوقه قلم أسود عادت تحمله بغاية تكرار كتابة جملة كتبتها لعدة مراتٍ أساسًا في الصفحة البيضاء أمامها !

ابتلعت شهد ريقها ببطءٍ و هي تفغر فمها للحظاتٍ تراقها فقط..يدها الصغيرة و هي تكتب بتفانٍ..إلى ملامحها الحزينة..لكنها لم تلبث بعدها أن رفعت أنظارها قليلًا لترقى المشرفة المسؤولة عن هذه الجهة و التي كانت تقف بجانب طفل صغير تتحدث إليه بشيءٍ ما أو بالأحرى توبخه على شيءٍ ما..

قبل أن تقرّر أن تفتح فمها أخيرًا مخاطبة الصغيرة الجالسة بجانبها الآن ؛

_هل أنتِ غاضبة مني ؟!

سألت بخفوتٍ و بنبرة لطيفة بعض الشيء..و انتظرت بضع ثوانٍ لسماع الرد..لولا أن الصغيرة لم تكلف نفسها عناء التحدث..فقد اكتفت بأن هزت رأسها بالنفي بدون أن ترفعه..مما جعل شهد تطرف برموشها قليلًا على ابتسامتها الباهتة..

_لماذا لا تتحدثين معي إذا ؟!!

سألت مجددًا بترقب متعمد..و جاءها رد شفهي هذه المرة..لكن بنبرة تحمل نفس الحزن

السابق و مجددًا بدون أن ترفع الفتاة الجميلة رأسها ؛

_لأنك لم تفي بوعدك !

الآن ظهرت دهشة حقيقية في عيني شهد و هي تهمس بسرعة ؛

_أنا؟! ماذا فعلت ؟!!

شعرت ببعض الراحة تنتابها حينما قرّرت صاحبة الملامح العابسة أن ترفع أنظارها أخيرًا

إليها..حتى و هي تسمعها تقول بعتاب واضح ؛

_ألم تخبريني ذلكَ اليوم بأنك ستتحدثين إلى السيد هيثم حتى يتم نقلي من فصل الأنسة

رهف ؟ لكنك بدلًا عن هذا تغيبتِ لمدة ثلاث أيام و لم تفعلي أيّ شيء !

نظرة طفيفة من الإدراك احتلت عيني شهد..قبل أن تهمس بنبرة اعتذار واضحة و هي تمد

يدها ببطءٍ لترت بها فوق الشعر البني الناعم المنسدل بحرية ؛

_أعتذر حبيبتي..لقد كانت لديّ محاضرات مهمة في الجامعة طوال الثلاث الأيام الماضية فلم

أستطع المجيء..

ثم أضافت فورًا و هي ترسم ابتسامة دافئة جدًّا في عينيها ؛

_لكنني أعدك بأنني سأحدث معه غدًا مباشرة بعد وصولي إلى هنا و سيتم نقلك على الأرجح

في نفس اليوم..

ظهر بعض الرضا في عيني الصغيرة..قبل أن ترفع إصبعها الخنصر أمام شهد سائلة بترقب ؛

_وعد ؟!!

فلم تتردّد شهد من أن تلفّ خنصرها حول خنصر الصغيرة مجيبة بمحبة ؛

_وعد !

ثم رمقت الورقة سائلة باهتمام ؛

_لماذا تكررين كتابة هذه الجملة إذن ؟!

اختفت تلكَ النظرة فورًا و حل محلّها بعض الاستياء قالت بعده فورًا ؛

_أنا مُعاقبة !

همست شهد مبتسمة و هي لا تزال ترتب على شعرها الناعم برقّة ؛

_أعلم..لكن ما السبب ؟ ماذا فعلتِ هذه المرة ؟!

لم يكن في نبرتها أي اتهام أو توبيخ..لقد كانت تسألها فقط و كأنها صديقة تستفسر صديقتها العزيزة فقط..و بنفس الطريقة ردت ذات الملامح العابسة و هي تزم فمها الصغير بامتعاض ؛

_لقد شتمتها !

_ماذا ؟!!

هتفت شهد بصوتها الخافت بغير تصديق..فكرت تلك الجنية الصغيرة مؤكدة بنفس النبرة التي تبدو لشخصٍ لن يتردد في تكرار نفس الفعل لو عاد به الزمن ؛

_الآنسة رهف..لقد شتمتها !

فغرت شهد فمها ناظرة لها للحظاتٍ بتبلد..ثم لم تشعر بنفسها و هي ترفع يدها إلى فمها لتكتم ضحكة ملأت كل إنش في ملامحها..و جعلت الملامح الشقية تلك تعبس أكثر.. إلى أن قالت تزم فمها قليلاً و تحاول أن تخرج نبرتها جادة ؛

_هل يمكنني أن أعرف السبب على الأقل ؟!

و بالطبع لم تتردد الجنية الصغيرة من أن ترد بنبرة حمانية بعض الشيء ؛

_لقد كانت توبخني لأنني أتحدث معك عن ما يحدث في الفصل و أطلب منك أن تنقليني إلى فصل آخر..

لم تستطع شهد أن تقول كلمة الآن و هي تنظر لها ما بين ذهول و يأس..و يبدو بأن تعابيرها تلك كانت الحافز الذي جعل بعض الاحراج يظهر في عيني الصغيرة..فقالت تتدارك بغير رضا ؛
_لم تكن شتيمة سيئة جداً..لقد أخبرتها فقط بأنها لا تزال طفلة على أن يتم تعيينها كمدرسة و بأنني أعتبر تقريباً صديقة المديرية و سأحرص على أن يتم طردها من وظيفتها لو لم تتوقف عن مضايقتي..

صمتت أخيراً تنظر لشهد بتردد..فقالت شهد ترفع حاجبها الأيمن بحذر ؛

_فقط ؟!!

أومأت الصغيرة عاقدة حاجبها قليلاً بتردد..و حينها فقط...كانت تتلاشى ابتسامة شهد

نسبياً..لكن ملامحها ظلت تحمل نفس المحبة حينما همست ؛

_حسناً..بغض النظر عن السبب الذي دفعك لهذا فما فعلته لم يكن صائباً يا -مها-..و حتى إن لم تكوني تحبين معلمتك كثيراً فهي تظل معلمة و أكبر منك بسنواتٍ عديدة من الخبرة و العلم.. صمتت لوهلة تنظر إلى ملامح مها التي ظهر فيها بعض الفهم لكل ما قالت..و هذه المرة كانت هي من تمد إصبعها الخنصر نحوها سائلة بحنان ؛

_هل تعدينني الآن بأنك لن تكرّريه مجددًا؟!

نقلت منها عينها بين وجه شهد و يدها و كأنها تشعر بالتردد من قطع هذا الوعد إن كان

سيعني بأنها لن تشتم المعلمة المزعجة مجددًا!

إلا أنها لم تستطع أن تصمد كثيرًا أمام عيني شهد المبتسمتين بلطف..فرفعت يدها أخيرًا

باستسلام لتعانق خنصر شهد بخنصرها..إلا أن هذه الأخيرة كرّرت بإلحاح هادئ ؛

_وعد ؟

فهمست الصغيرة مكرّرة و هي ترسم ابتسامة جميلة مثلها أخيرًا ؛

_وعد !

حرّرت شهد إصبعها بعدها لكن لا لشيءٍ إلا لتمسك به القلم ثم تغلق الدفتر مضيفة بلطف ؛

_و لا داعي لأن تكلمي العقوبة فأنت لن تعودتي مجددًا للدراسة تحت إشراف الأنسة رهف..

لمعت عينها مَها بلهفة طفولية..قبل أن ترتفع بغير تردد إلى أن حاوطت عنق شهد بقوة..و

هتفت و هي تطبع عدة قبلات لطيفة على وجنتها ؛

_أحبك أحبك أحبك.....

كانت تكرّر الكلمة بين كل قبلة ببراءة قادرة لوحدها على أن تأسر قلب أيّ كان في مكانها..فماذا

عنها هي التي تشعر بنفسها كلما ضمّتها أو ضمت أيّ أحد من الأطفال هنا و كأنها تعانق طفولة ضائعة

من خلالهم !

لهذا لم تتردد من أن تضمّنها بقوة و هي تحرّر ابتسامة كبيرة أثناء همسها ؛

_و أنا أيضًا أحبك أيتها الشقية..لكنني أحبك أكثر حينما تكونين مؤدبة !

حرّرتها بعدها بهدوء إلى أن طبعت قبلة أخيرة فوق جبينها..لم تلبث بعدها أن حملت حقيبتها

هامة بالوقوف مجددًا..لكنها لم تنسى قبل أن تتجاوزها أن تمنحها آخر تربيطة حنونة على وجنتها

الناعمة..

اقتربت من المشرفة التي كانت لا تزال تقف مع نفس الطفل..لكن الفرق الآن أنها كانت

تتحدث معه ببعض الرفق..لكنها اضطرت لأن تلتفت بمجرد وصول شهد..فهمست هذه الأخيرة

بهدوء ؛

_ما خطبه ؟!!

قالت المشرفة الأربعينية تهز رأسها ببعض الأسى ؛

_إنه يرفض التأقلم..لقد بلل ثيابه في الأمس و لا يزال حتى الآن يرفض تناول أي شيء إلا
بالاجبار..

رمقت شهد الطفل البالغ من العمر خمس سنوات..و الذي كان يقف مطرق الرأس بملامحه
الباكية بنظرة متأسفة بحق..قبل أن ترمق المشرفة مجددًا أمرة بهدوء ؛
_هل يمكنك أن تخبري الأنسة رHF بأني قرّرت بأن يتم نقل مها من فصلها إلى فصل جديد ؟!
أومأت لها المشرفة التي كانت واحدة من اللواتي تعرفهن منذ طفولتها..و قد تغيرت علاقتها بها
إلى درجة أنها باتت تشعر الآن بأن تلك الأيام حين كانت تقف مكان هذا الطفل الصغير تستمع إلى
التوبيخ قد مرت قبل ألف سنة..

لكن شهد أضافت بجدية رغم صوتها الهادئ ؛
_و رجاء لا يتم إعطاء مثل هذه العقوبات للأطفال مجددًا !
منحتها السيدة أمامها نفس الرد..فأومأت شهد في المقابل بامتنان..قبل أن تهمس مجددًا و هي
تعود لتنظر إلى الطفل الصغير بنظرة تحمل عطفًا غير محدود ؛
_هل يمكنك أن تتركيني معه لدقيقة واحدة ؟!!
استجابت لها المشرفة مباشرة..فانخفضت شهد إلى أن أصبحت تجلس القرفصاء حتى يتسنى
لها النظر إلى الملامح البريئة أمامه..ثم همست و هي تمد يدها برفق لتمسح على وجنته الناعمة حيث
كان هناك أثر دموع واضح ؛
_ما اسمك ؟!

قال الطفل الصغير و هو ينظر لها بتردد ؛
_أسامة..
أومأت شهد ببطء و هي تسأل مجددًا ؛
_هل يمكنك أن تخبرني أنا ما الخطب ؟!!
تلونت ابتسامتها الحنونة بحنان أكبر و هي ترى الطريقة التي أخذت تنتقل بها عيناه
الجميلتين بين عينيها بتوجس..إلى أن قرّر أن يجيبها أخيرًا..فقال بصوته المختنق ببراءة شديدة ؛
_أريد أمي و أبي..لقد أخبرني عمي شاكر بأنهما قد انتقلا إلى السماء لكنني أريدهما..
صمت لوهلة ينظر لها بتدقيق و كأنه يحاول أن يخمن إن كانت ستفيده أو لا..ثم عاد يفتح
فمه سائلًا ببراءة مطلقة ؛

_ألا يمكنك أن تتصلي بهما ؟!

همست شهد باقية على ابتسامتها الدافئة ؛

_لا.. لكنني أعرف مكانهما بالفعل..

_أين ؟!

انخفض جانب شفتي شهد بأسى و هي تتأمل له للحظات..ثم لم تلبث أن مدت يدها الحرة

مردفة بخفوت ؛

_أعطني يدك !

لم يتردد الصغير كثيرًا من أن يرفع يده إلى أن وضعها فوق راحة يدها..فأطبقت عليها شهد
للحظة..قبل أن تحركها بهدوء إلى أن بسطتها فوق قلبه تمامًا بدوه أن تتوقف عن التمسك بها..

و همست تخاطب عينيه الباكيتين برقة ؛

_إنهما هنا تمامًا..في مكان قريب جدًا حيث يمكنهما مر اقبتك..

صمتت لوهلة قصيرة ثم أضافت بنبرة تعمدت أن تغلفها بالكثير من الأمل ؛

_هل تعلم بأنهما يبتسمان أيضًا حينما تبتسم ؟!!

_لكنني أريد رؤيتهما !

شعرت شهد بنفسها غير قادرة على منع لمعة قوية اكتسحت عينها بعد هذه الجملة بالذات..
و لم تستطع أن تمنع نفسها بالطبع من أن تجذبه إلى حضنها بقوة..ثم أغمضت عينها و هي تشدد من
التمسك بالجسد الصغير للحظات..

قبل أن تبعده مجددًا..ثم قالت و هي تطوق وجهه القريب منها برفق ؛

_أليس من الأفضل على الأقل أنك تستطيع الشعور بهما ؟!!

كانت تحرك أناملها برفق على وجنتيه لتمسح أثر الدموع التي لم تتوقف عن التحرر بنفس
البراءة المطلقة..و كم شعرت بالارتياح و هي ترى العينين الجميلتين تتوقفان عن ذرف الدموع مؤقتًا..

ثم بدا وكأنه قد بدأ يفهم كلماتها فسألها بأمل ؛

_هل هما يراقباننا حقًا ؟!

فقالت مباشرة وبدون أدنى تفكير ؛

_بالطبع..ويمكنك الشعور بهما و الابتسام لهما أيضًا..

فغر الصغير شفاهه قليلًا و كأنه سيقول شيئًا ما..إلا أنه تراجع في آخر لحظة ناظرًا لها
بتفكير..لكن عيني شهد سقطتا على يده التي تحركت ببطءٍ إلى أن عادت تستقر فوق قلبه..فهمست

برقة ؛

هل ستبتسم لأجلهما إذا؟!

إلا أن الطفل لم يبتسم..فقد سألها بترقب و بملامح اكتسبت بعض الهدوء ؛

هل أنت تعيشين هنا؟!

_بالطبع..و ستراني كل يوم تقريبًا..

أجابت بلهفة..ثم أضافت فورًا برجاء ؛

هل ستبتسم الآن؟!

حينها فقط...كانت ترتسم ابتسامة ببطءٍ شديد لتزيد من جمال تلك الملامح الناعمة الجميلة أساسًا..كانت ابتسامة غير مكتملة و كأنها ابتسامة يحاول فيها قلب صغير أن يعانق بعض الأمل و يؤمن به..

لكنها بدت أكثر من كافية لشهد التي جذبتة إلى حضنها مجددًا مبتسمة مثله..قبل أن تطبع قبلة طويلة بعض الشيء على وجنته..ثم ترمق المشرفة التي كانت تقف على بعد مسافة قصيرة..و تهز رأسها في إشارة فهمتها مباشرة فاقتربت مجددًا إلى أن وقفت بجانبها تزامنًا مع النظرة الحنونة التي منحتها شهد للطفل الصغير..

قالت بنبرة حازمة بعض الشيء رغم الرفق الذي يغلفها ؛

بما أنك ابتسمت الآن..فهذا يعني بأنك ستبدأ في الانصات إلى كلام الخالة سهام؟!
رمق الطفل المرأة الواقفة بجانبها بنظرة أظهرت بعض الرفض..إلا أنه ما كاد أن يفتح فمه الصغير مثله ليجيب شهد..حتى كانت هذه الأخيرة تقاطعه بنفس الحزم ؛
_إذا كنت تريد منهما أن لا يتوقفا عن مراقبتك!

جملتها هذه..نجحت في أن تجعل تلك النظرة تخبو مجددًا..ثم بدلًا عن ذلك..كان يهز رأسه بتردد رغم أن عينيه اللتين ارتفعتا إلى المشرفة مجددًا لم تكونا تحملان الكثير من المودة..
وقفت شهد بهدوء بعدها تزامنًا مع المشرفة التي مدت يدها إلى الصغير تدعوه للتمسك بها و هو فعل بإرادته الآن..لكن عينيه ظللتا معلقتين بعينيها حتى في أثناء سيره معها باتجاه غرفة الطعام الكبيرة..

و لم تحاول شهد في المقابل أن تقاطع تواصل عينيها معه بابتسامة إلا حينما اختفى بداخل الغرفة..حينها فقط كانت تنهد بخفوتٍ..ثم استأنفت طريقها نحو البوابة الكبيرة بخطواتٍ أصبحت أسرع الآن..

إلى أن وصلت إلى سيارتها السوداء..و فتحت الباب الخلفي هاتفة فورًا بحرارة ؛

_أرجوك أن تسرع يا سيد محمد..لقد تأخرت بما فيه الكفاية..

_أمرِك سيدتي..

سمعت صوت السائق العجوز يقول بتفهم تزامناً مع انطلاق السيارة..فرمقت ساعة

معصمها الأنيقة و هي بالكاد تعد الوقت للوصول إلى المنزل..

كانت تنقل عينيها طوال فترة الطريق إلى المنزل بين ساعتها ثم حركة الطريق الهادئة..

قبل أن تقرّر حمل هاتفها لتكتب رسالة لهادي ؛

" أنا على وشك الوصول..هل أنت جاهز ؟ "

لم يصلها أي رد..فتنهدت متأملة أن لا يكون قد رأى الرسالة لا تجاهلها فقط بسبب تضايقه

منها..إلى أن توقفت السيارة أخيراً ففتحت الباب بسرعة قبل حتى أن يتسنى للسائق التحرك من

مكانه..

ثم ترجلت ملازمة الأرض الممهدة بكعب حذاءها القصير..فهي حتى بعد كل هذه السنوات..و

مهما زاد نضجها و معرفتها بالحياة و تأنقها..لا تزال غير قادرة على أن تكون شخصاً غير نفسها..

اقتربت من الباب بسرعة و هي تبحث في حقيبتها عن المفتاح..قبل أن تتنهّد ما إن وجدته ثم

تدسه في مكانه المخصّص..

إلى أن فتحت الباب...و ما كادت أن تتقدم خطوة بالداخل..

حتى كانت عيناها تتسعان قليلاً جزعاً و هي تسمع صوت بكاء صغيرها من غرفة النوم !

لم تفكر كثيراً و هي تسقط الحقيبة و المفتاح فوق طاولة الهو في طريقها إلى الغرفة..و

هناك..مع أول خطوة تقطعها نحو الداخل عبر الباب المفتوح..وقعت عيناها على...منظر لطيف

جداً!

لقد كان هادي يقف في منتصف الغرفة..بشعر مبلل يثبت بأنه قد استحجم حديثاً..عارِي

الصدر إلّا من بنطاله الرسمي الأسود..و يحمل بين يديه لؤي الصغير و هو يذرع الغرفة به يميناً و

يساراً و يحاول أن يهدده برفق كي يصمت عن البكاء..

لكن ملامحه لم تكن تعكس أبداً الرفق الذي كان يحمله به و القلق الذي يعتري عينيه

خلسة..و لا صوته الذي وصل إليها بفضاظة ؛

_اووهه..توقف توقف..لقد بدأت أشعر بالصداع منك.....

ثم وقف فجأة في منتصف الغرفة حيث كان مولياً إياها ظهره فلم يتسنى له ملاحظتها..وقف للحظة واحدة كان فيها صوت بكاء لؤي الصغير قد انخفض نسبياً..قبل أن يقول عاقداً حاجبيه كمن تلقى شتيمة قبيحة جداً للتو ؛

_ماذا قلت ؟ حقاً !! حسناً هذه مشاعر متبادلة بيننا..أم أنك كنت تظن بأنني أهتم بك بدافع الحُب مثلاً !!

عاد صوت البكاء ليرتفع مجدداً و كأن صاحبه قد فهم ما قاله هادي للتو فعلاً..بينما عجزت شهد عن أن تكتم ابتسامة يائسة جداً لكنها في نفس الوقت حنونة إلى حد لا يمكن إغفاله و هي ترى هادي يعود ليهزه هاتفاً بفزع ؛

_حسناً حسناً سأقبل اعتذارك بشرط أن تنطق كلمة بابا مجدداً..

إلا أن الطفل المشاكس لم يلبي حاجته..فقد وقعت عيناه على شهد بينما هادي يضمه إلى كتفه..و ما ردده فعلاً..كان كلمة متعثرة تعلم نطقها منذ عدة أشهر و لم يتوقف عن ترديدها فقط و كأنه يقصد إغاضة هادي ؛
_مام...مام.....

تزامن نطقه لها مع التفات هادي فجأة..و ما كادت عيناه أن تقعان في عينها مباشرة..حتى كان صوته يرتفع هاتفاً بسخرية حادة ؛

_اووه..انظروا من أتى بعد ساعتين من الاختفاء !

عضبت شهد على شفرتها السفلى ناظرة له بما يشبه الاعتذار..لكنها لم تستطع أن تتحدث فوراً..فقد عاد صوت لؤي يرتفع هاتفاً باسمها بصوته المتعثر لعدة مرات الآن و هو يصارع لكي يصل إليها بيديه..

فاقتربت الخطوات المتبقية بسرعة إلى أن أخذته من هادي الذي لم يمانع..و قالت و هي تحمله بين ذراعيها و تضمه بقوة مهددة بنفس طريقة هادي..أو ربما كانت طريقتها أفضل بكثير..فقد ساد هدوء تام في الغرفة لا يقطعه سوى صوت طفليهما المشاكس و هو يردد كلمات غير مفهومة و كأنه يحكي لشهد عن كمية الاستبداد الذي عاشه خلال دقائق غيابها..

لكنه في جميع الأحوال كان يتحدث برضا تام !

رمقه هادي لوهلة بملامحه المتبلدة التي عبست أكثر استياء من هذه المعاملة التي أصبح هو يتلقاها من هذا الطفل المشاكس لا العكس..و بالطبع لم يستطع أن يمنع نفسه من التعليق كطفل غاضب ؛

_هذا ليس عدلاً أبداً..أنا منذ دقائق أحاول تهدئته بكل الطرق..لم أترك حيلة لم أفعلها بدون

جدوى و انظري كم أصبح هادئاً الآن و كأنه قد التقى ملاك الرحمة !

كان يتحدث باستياء أقرب إلى الحقيقي..و قد زاد استياءه حينما رmqه الطفل الشقي..و الذي كان يبدو كنسخة صغيرة منه..كما تمننت هي ذات يوم..ضاربة برغبته و اتفاقهما عرض الحائط بالطبع !

رمقه بنظرة...عدائية ! هذا ما كان ينقص !!

قبل أن يعود ليضم شهد بذراعيه الصغيرتين و يختفي بين أحضانها هامساً بشيء ما على صدرها.. ذلك الشيء الذي فهمته هي بأعجوبة و عجز هادي عن تمييز حرف واحد عن الآخر ممّا قاله..

لكنه رآها بغباء تهز رأسها بحنان و هي تهمس فوق جبينه بينما أناملها تمشط خصلات شعره البنية الداكنة و الناعمة جداً..

_حسناً حسناً حبيبي..

_ماذا قال !!؟

قال هادي فجأة بحدة مبالغ بها..فنظرت له شهد بما يشبه الرجاء و هي تشدد من احتضانها للصغير تحاول أن تدفعه للنوم..إلا أن زوجها...متبلد المشاعر و الفهم..كرّر بنفس النبرة غير المتساهلة أبداً ؛

_ألم تجيبه للتو..ماذا قال !!؟

زمت شهد فمها على نظرة تشبه العتاب الآن..إلا أنه ظل مصمّماً..فهمست بصوت خافت جداً و هي تشعر بالجسد الصغير يبدأ بالارتخاء بين ذراعيها تدريجياً..

_ماذا سيقول مثلاً يا هادي ؟ لا بد أنه يريدني أن أصرّحه معي في المرة القادمة..

نظر لها هادي بشكّ مردداً ؛

_لا بد !

فقالت شهد ببعض الانفعال رغم نبرة صوتها الخافتة المسالمة ؛

_بالطبع..هل تظن بأنني أملك قوى سحرية تخولني فهم كل كلمة ينطقها..أنا أفهم القليل فحسب..

رمقت بعدها الملامح الجميلة الغارقة في حضنها لتتأكد من أنه نام فعلاً..قبل أن تقترب من الباب ثم من غرفة جانبية..إلا أن هادي هتف من خلفها وكأنه لا يعنى أبداً باحتمالية أن يستيقظ ذلك الطفل المزعج البكاء -بالنسبة له- !

_لقد صدقتكِ سيدة شهيد..بدليل الهمسات التي تمر بينكما كل يوم خفية عني..هل تظنين

بأنني غبي إلى هذا الحد حقاً كي لا أفهم أنكما تفضلان بعضكما علي؟؟

كانت شهيد تستطيع أن تسمعه حتى بعد أن دخلت إلى الغرفة التي كانت أصغر من خاصّتهما

قليلاً..وقد كانت غرفة أطفال...ساحرة بحق !

كانت غرفة جهزها نفس الرجل الذي كان يصرخ بتدمير للتو..و تلك المرة كانت كل الألوان و

الألعاب تخص الذكور..

و بالطبع لم تخلو أيضاً من مجموعة صور متفرقة لمراحل من نمو لؤي معلقة هنا وهناك و

في كل ركن بالغرفة تقريباً..كانت صوراً للؤي بمفرده..و بعضها لها هي معه أو لهادي أو سجي و لؤي..

أو لهم الثلاثة سوياً!

و واحدة أخرى تجمعهم بخالتها و سند من آخر زيارة لها و التي كانت قبل شهرين من الآن..تلك

الزيارة التي كاد هادي أن يُصاب فيها بالجنون كما العادة و هو يحاصر تصرفات سند المسكين طوال

الوقت كرجل يحمل مفتاح الصبر في يده..

و في اليد الأخرى رغبة واضحة بكسر المفتاح و الإلقاء به إلى الخارج ! رغم أنهما حرفياً كانا

يقيمان في منزلها هي !

إلى أن انتهى بها المطاف تقف أخيراً لتودعهما ممتنة و سعيدة لفكرة أن هادي تمكن من

تمالك نفسه بعدم تنفيذ ما خطر بباله لأجلها...فقط لأجلها !

وضعته برفق قبل أن تنخفض قليلاً إلى أن قبّلت وجنته مطولاً..ثم رفعت الغطاء فوق جسده

الصغير قبل أن تقترب مجدداً من الباب إلى أن خرجت و أغلقته بهدوء شديد..

تهيدة مرهقة حرّرتها بعدها و هي تقترب من الغرفة مجدداً..متوقعة بل و مستعدة أيضاً

لتحمل القليل من اللوم على تأخيرها..

و كما توقعت تماماً فقد كان هادي الآن يقف أمام الخزانة يبحث بينها عن قميص يليق

بمناسبة اليوم..بينما شفاهه تتحركُ معبراً بكلماتٍ لم تفهمها عن مزاجه السيء جداً اليوم !

كان لا يزال عاري الصدر.. يرتدي البنطال الأسود الذي وجدته به فقط.. حينما انخفضت
شهد قليلاً لتبعد فردي حذاءها بهدوء ثم اقتربت منه حافية القدمين.. إلى أن وقفت بجانبه مجبرة إياه
على التراجع قليلاً فقط حتى يفسح لها المجال لتجد له قميصه بقدرتها السحرية..
و قد فعلت... مدت يديها مباشرة إلى منطقة معينة إلى أن أخرجت القميص الأبيض الرسمي
فعلاً.. لكن عيني هادي العابستين لم تكونا الآن تر اقبان حركات يديها..
فقد تفاجئت.. حسناً لم تتفاجأ بمجرد أن التفتت إليه مجدداً بحيث كانت تقف أمامه و
ظهرها يلامس تقريباً صدره.. و هي ترى نظراته التي كانت منصبة على وجهها.. و يبدو بأنه ظل ير اقبها
طيلة الثواني التي استغرقتها في إخراج قميصه !

_ هل سترتدي السترة أيضاً أم ستكتفي بالقميص ؟!
سألت بخفوتٍ و بنبرة مُسالمة لأقصى حد.. إلا أن هادي ظل فقط ينظر لها بدون أدنى ذرة
تردد تلامس ملامحه.. ثم قال بنبرة من يكشف كل مخططاتها غير الموجودة أساساً!
_ هل هذه محاولة غريبة لجعلي أتغاضى عن تأخركِ اليوم ؟!!
نفس التعبير السابق ظهر في عينيها.. قبل أن تزفر بتعب مبررة أمام عينيها المر اقبتين.. و
القريبتين جداً بحيث كان ذراعه الممتد أمامها يلامس باب الخزانة المغلق.. و الآخر يمسكُ به طرف
الباب الذي كانت تبحث بداخله و كأنها محاولة غريبة منه هو لمحاصرتها..
كما يفعل دائماً بالطبع !

_ أعتذر.. هادي!... لقد كنت أخطط للمجيء بسرعة فعلاً لكن بعض المشاكل في الدار
اعترضتني..

زمت فمها قليلاً فسقطت أنظار هادي على تلك الحركة.. لكنها همست و هي لا تزال تحمل
القميص الناصع المطوي بعناية بين يديها ؛
_ ثم ألم يكن الموعد في الواحدة ؟ يمكننا أن نصل في الوقت لو ارتديت ملابسك بسرعة..
لم تتغير ملامح هادي إطلاقاً.. بل ما فعله كان أن أمال رأسه قليلاً إلى الجانب بدون أن يتوقف
عن التحديق بها حتى حينما قطع الخطوة الشبه ملحوظة بينهما و لامست مفاصل أناملها بشرة
صدره الرشيق..

فهمست تستعطفه بنبرة ودیعة لأقصى حد ؛
_ لو أردت رأيي أنا فعليك ارتداء السترة أيضاً و ربطة العنق.. إنها مناسبة مهمة جداً بالنسبة
لنا و قد لا يتكرر هذا الشعور الجميل طوال العمر هادي..

صمتت بعدها تنظر له بأمل..لكن عينيه هو تسمرتا للحظاتٍ أخرى على لمعة الابتسامة التي

ظهرت في عينيها خلصة..ثم قال أخيرًا بخفوتٍ ؛

_ما نوع المشاكل التي اعترضتكِ !!؟

رفعت شهاد حاجبيها بغباء..فقال مكرّرًا بنفس النبرة ؛

_لقد قلتِ بأنكِ كنتِ ستأتين بسرعة لكن هناك بعض المشاكل اعترضتكِ..أيّ مشاكل !!؟

لم تردّد شهاد من الرد بلهفة و كأن هذا السؤال قد راق لها تمامًا و هي تستند بظهرها تقريبًا

إلى الخزانة المفتوحة و المحاصرة بداخلها بفعل ذراعيه ؛

_ليس بالأمر الجلل..لقد كان هناك طفل صغير انضم إلينا حديثًا..لكنه كان يجد صعوبة في

التأقلم ف.....

صمتت فجأة..قبل أن تهز كتفيها مضيفة بصديق ؛

_كان عليّ أن أتدخل..

ظلت ملامح هادي كما هي باستثناء عينيه اللتين لانت النظرة بهما قليلًا..فقالت شهاد مكرّرة

بتردد ؛

_هل سترتدي السترة الآن...وربطة العنق !!

راقبت ذلك الحاجب المفضل لديها..فقط لأن هناك أثر جذاب لجرح قديم يشقه و هو يرتفع

ببطء..ثم فجأة...ترك هادي باب الخزانة المفتوح و شعرت بعطره الذي تحفظه في أعماق جوارحها

يبتعد عنها حينما مدّ نفس اليد لينزع القميص من يديها في حركة فظة بعض الشيء..

و بدون أن يوجه إليها أيّ كلمة جديدة..اقترب من المرأة و هو يبدأ في ارتداء القميص و كأنها

غير موجودة..إلا أن شهاد رفضت الاستسلام..فالتفتت بسرعة لتخرج السترة و ربططة العنق اللذين

تحفظ مكانهما جيدًا..

ثم اقتربت منه تزامنًا مع ارتفاع أنامله ليشعر في إغلاق أول زر من قميصه..وقفت أمامه تمامًا

ملقبة بالسترة و ربططة العنق فوق كرسي الزينة وراءهما..قبل أن تمتد يداها بدون أدنى خجل لتمسك

بالزر عنه فلم يعترض هادي و هو يراقبها بنظر اته الباردة...ظاهريًا فقط!

لكنه لم يستطع رغم ذلك أن يبقى على نفس القدر من الثبات و هو يشعر بأنامل ناعمة

تدغدغ بشرته في كل زر جديد تغلقه بتأني بدون أن تفارق عينيه..بدءًا من الزر السفلي إلى آخر زر

أغلقتة فوق صدره..

لكن يديها توقفت هناك.. فلم تسقطهما حتى بعد أن انتهت.. بل ما فعلته.. أن بسطتهما فوق صدره برقة.. إحداهما تلامس قلبه الخافق بهدوء خادع.. وحينها همست و هي بالكاد تمنع ابتسامة جميلة من اكتساح ملامحها بالكامل.. وترى في المقابل أثر ابتسامة شبه ملحوظة يلامس عينيه ؛
_هيا.. هادي.. أنا أعلم بأنك سامحتني مسبقاً !

ظل هادي متمسكاً في موقفه للحظات.. لكنه عجز في النهاية عن إخفاء ابتسامة عينيه رغم أن ملامحه بقت ثابتة كما هي.. و ازداد وضعه.. ليس سوءاً بالطبع.. بل تفاقم بشكل جميل جداً و هو يرى ابتسامتها تتسع أكثر..

تتلون ببعض الشقاوة التي لم تكن في شخصيتها سابقاً.. وبدأت تكتسبها بسببه.. إلى جانبه.. و فكر بينه و بين نفسه عن كم أنها تزداد فتنة و جمالاً بعد كل سنة و أخرى..
فمثلاً.. شعرها الأسود... و الذي كانت تسدله بالكامل الآن.. طويل.. طويل جداً.. ساحر و فاتن مثلها لدرجة أن أيّ أحد رآه بالصدفة قد يتمنى أن يمرر يده و لو بشكل سطحي فوق تلك الخصلات..
لكن المفارقة أن لا أحد في العالم يستطيع أن يلمسه بطرف إصبعه حتى غيره !
فماذا عن تلك الليالي التي تنام فيها تلك الخصلات على صدره.. و يمضيها هو في الغرق بينها بأنامله و أنفاسه بحرية مطلقة..

وجهاها الناعم قد اكتسب بعض الوقار.. و نظراتها المهتزة سابقاً باتت أكثر ثقة و ثباتاً اليوم.. حتى أنها قد ازدادت بضع سنتيمتراتٍ طويلاً.. لكن حتى ذلك التغير الطفيف لم ينجح بأن يقلص فارق الطول بينهما و لو قليلاً..

فلا يزال حتى اليوم يضطر لأن ينخفض بوجهه كلما أراد تقبيلها.. و أن يتمسك بها إلى أن تفارق قدمها الأرض حينما يضمها..

لقد ازدادت أناقة بشكل لا يمكن إغفاله.. لكنها لا تزال تحتفظ حتى اليوم بطبيعة شهد.. صديقه.. حبيبته.. زوجته.. التي يعرفها... لا تزال ترتدي كل أنواع التنانير الطويلة تحت قمصان و سترات أنيقة..

لا تزال تقبل كل هدية منه و كأنها وسام تعلقه فوق صدرها و تعيش ما تبقى من حياتها في تأمله كأثمن ما يمكن للإنسان أن يحصل عليه.. لا تزال تلجأ إلى حضنه حينما تشعر برغبة في البكاء و تتأمله لساعاتٍ طويلة مبتسمة فقط بما يفوق الحب و الإخلاص..

لا يزال الخجل يعترها حتى و لو بنسبة أقل في أوج عاطفة مشتعلة فتغمض عينيها مستسلمة
بجوارح عاشقة و هي تعلم بأنها في أيادٍ أمينة..و الأهم من كل هذا...بأن عينيها لا تزالان تحملان نفس
تلك اللعة في عيني شهد الطفلة الحزينة له..

و شهد المرأة الصغيرة التي كانت عليها قبل ثلاث سنوات..و شهد..حبيبته التي تقف أمامه الآن
تتأمله بمكر -بريء-!

إنه لن يتوقف عن استخدام هذا الوصف مهما طال بهما الزمن !!
لم يشعر بتلك الابتسامة التي كانت قد بدأت تنتقل من عينيهِ إلى كل وجهه..إلا حينما هز
رأسه في النهاية بغاية الهرب من أفكاره الشاردة..و رأى مجدداً..ابتسامتها الرائعة و هي تتسع أكثر و
أكثر..

إلى أن قالت بحماسٍ غريب جداً و هي تمد يدها بدون أن تلتفت عنه باحثة عن رِبطة عنقه ؛
_حسناً بما أنك قد ابتسمت الآن فهذا يعني بأنك ستسمح لي بأن أضع لك رِبطة العنق !
كانت قد رفعت يديها تزامناً مع تحدثها و كأنها تنوي أن تضعها له بدون أن تحتاج لسماع
الإذن..لكن فارق الطول للأسف لم يكن في مصلحتها..

خاصة و قد قرّر هادي في هذه اللحظة أن يحسّسها بمدى هشاشتها حينما تراجع قليلاً برأسه
ناظراً لها بابتسامته التي بدأ يشوبها بعض المكر في مقابل ابتسامتها التي تمزج ما بين رجاء و تدمير..
إلى أن قرّر في النهاية أن يعتقها..فانخفض قليلاً القدر الذي تسنى لها أن تضع رِبطة العنق
حول عنقه..ثم تشرع بهدوء في ترتيبها و عقدها..لكنه لم يستقم حتى بعد أن نجحت في هذا..
فقد ظل فقط يتأملها من مكان أقرب..و لم تمنع شهد أبداً و هي تولي انتباهها بصعوبة كما
اعتاد منها تماماً لما تفعله..ارتفعت يداها بعدها بهدوء ليلمس بها خصلات من شعرها كانت منسدلة
على كتفيها..

و كانت تلك حركة أولية نجحت في أن تشوشها قليلاً..لكن...هل كان هو ليكتفي بتلك ال...
قليلاً؟؟

فقد أسقط إحدى يديه تاركا الأخرى على شعرها إلى أن لفها بتأني شديد من حول خصرها..
ثم قربها منه قليلاً أمام عينيها اللتين حرصت على أن تركّزهما أكثر على ما تفعله..على أساس أنها لا
تلاحظه الآن بينما هي في الحقيقة شبه ملتصقة به !
هل تحاول أن ترد له الصاع أم ماذا؟؟

لم يعلق هادي على أسلوبها..فقد أخفض عينيه قليلاً إلى أن رمق بها الفستان الأزرق الطويل
الذي كان يلفّ الجسد الرشيق بـ...بجاذبية شديدة !

ثم قال ما خطر في باله ؛

هل ستذهبين بهذا الفستان ؟!!

و أخيراً نجح في جذب انتباهها..فقد توقفت شهد فجأة قبل أن تستطيع إكمال آخر عقدة من

ربطة عنقه..و نظرت له سائلة بغير ارتياح ؛

نعم ! ألا أبدو جميلة به ؟!!

همس هادي مبتسماً بنبرة لا تعكس أبداً ما قاله ؛

_المشكلة تكمن هنا تمامًا..أنك تبدين أكثر من جميلة به !

لفحة من الإحباط ظهرت في عيني شهد..و قالت تلقائياً بنبرة تشبه...التذمر !

_لكنني ذهبت به إلى الدار !

فقال هادي مباشرة بجدية نافست ابتسامته ؛

و هل المكان الذي سنذهب إليه يشبه الدار ؟!!

احتقنت ابتسامته بنظرة حنونة بعض الشيء و هو يرى ذلك الإحباط يرتسم أكثر في

ملامحها..قبل أن تقول بغير رضا ؛

هل تقصد أن عليّ أن أغيره الآن أم ماذا ؟!!

لحظة صمت استغرقها في النظر لعينها..ثم قال يتنهد باستسلام و هو يرجع بعض خصلات

شعرها إلى خلف كتفها ثم يعيد ليرتبها فوقه في حركات عفوية ؛

_لا..لكنك ستكونين ممنوعة تمامًا من أن تفارقي جانبي طيلة مدة بقاءنا هناك !

حسنًا..و كأن هذا شرط سيزعجها !

فقد رأى بغير دهشة الابتسامة التي عادت تتشكل في عينها فقط..ثم عادت لتكمل ما كانت

تفعله..و عاد هو أيضاً ليكمل ما كان يفعله !

لولا أنه قرّر في آخر لحظة أن يتخلى عن شعرها ليضم ذراعه الآخر محتضناً به خصرها..

حينما قالت شهد بارتياح و هي ترتب ياقة قميصه أخيراً ؛

_انتهيت !

كانت تتحدث ببديهة ليس و كأنها محتجزة الآن بذراعيه..حتى أنها التفتت قليلاً فاضطر لأن يخفف من ضغطه حولها إلى أن حملت السترة..و تلك المرة وجد نفسه يسقطهما بالكامل سامحاً لها بأن تمارس حقوقه عليها كزوجة..

كأن تطلب منه أن يمد ذراعه مفروداً حتى يتسنى لها إدخال كم السترة به..ثم تدور حوله بحرية لتتمكن من التمسك بطرفي سترته أخيراً و تعديل ما يجب تعديله بالنسبة إليها.. إلى أن سمع صوتها تقول مجدداً بارتياح تام و هي تتأمل بهلته الأنيفة و كأنها تتأمل إنجازاً عظيماً لها ؛

_الآن انتهيت فعلاً !

كانت يدا هادي قد عادتاً لتعبثان بشعرها بدون أن يخرب ترتيبه..حينما قال مباشرة بنبرة لم تفهمها في البداية ؛

_لا أظن بأن هذا ينطبق عليّ أيضاً !

نظرت له شهيد بعدم فهم..إلا أنه لم يمهلها فرصة للاستفسار..حينما انخفض ببطء ليعانق أنفاسها بأنفاسه..يقبلها بتلك النعومة التي باتت مدمنة عليها..فلم تفعل أكثر من أن ارتفعت على أطراف أصابع قدميها و هي ترفع ذراعيها في نفس الوقت إلى أن أصبحت تطوق عنقه بشدة.. و ما كاد أن يفصل هادي ذلك العناق الأبدي..حتى كانت تسمع صوته يسألها عن قرب ؛
_لؤي !!؟

همست شهيد و هي تغمض عينيها مثله..لا تزال تتمسك بعنقه بذراعيها الاثنتين حتى بعد أن عادت قدميها لتستقران فوق الأرض براحة ؛

_لقد كنت أخطط لأن أتركه في الروضة أو يذهب معنا..لكنني تلقيت رسالة من والدتك ليلة أمس تطلب مني أن أحضره إليها ليبقى معها اليوم ريثما نعود..

ابتسامة باهتة قليلاً لونت ملامح هادي و لم تستطع شهيد أن تراها..فقد كانت لا تزال مغمضة عينيها بنفس الطريقة..تشعر بجبينه على جبينها..و أنفاسه تلفحها بنفس الدفء الذي ترسله أنامله المطوقة لوجهها أثناء همسه بخفوت ؛

_هذا جيد ! لم أكن أريدها أن تر افقنا أساساً..إنها تبدو مرهقة أكثر من قبل في آخر فترة و لا أظن بأن الخروج سيفيدها بأي شيء اليوم..

_هذا ما فكرت به أيضاً !

همست شهد تهز رأسها فوق جبينه.. قبل أن تضيف و هي بالكاد ترغم نفسها على فتح عينيها
و التخفيف من ضغط ذراعيها حول عنقه.. حينما خطرت فكرة ما في ذهنها بشكل عابر ؛

_هل أنت متأكد بأنك ترغب في الذهاب إلى زيارة والدك ؟

و كما توقعت تمامًا.. فقد قابلها صمت قصير من طرف هادي.. صمت تعرفه جيدًا.. لكن
صوته خرج حازمًا.. صافيًا.. هادئًا.. و مُحملاً بتأثيرها الجميل عليه و هو لا يزال قريبًا منها بذراعيه و
عينيهِ و أنفاسه ؛

_سأذهب.. أنا و لؤي !

صمت مشابه ساد من جهتها هي.. قبل أن تهمس بعدها بلحظاتٍ بنفسِ النبوة الخافتة جدًا ؛
_هل نذهب الآن ؟!

هذه المرة كان هو من يحرك رأسه فوق جبينها مجيبًا بما ينافي وضعيتهما ؛
_حسنًا..

أرغم نفسه بعدها على الاستقامة قليلًا و هو يشعر بذراعيها تنزلقان على صدره إلى أن تركته
نهائيًا و التفتت تهم بتجهيز نفسها رغم أنها كانت شبه جاهزة.. إلّا أن هادي أوقفها قبل أن تبتعد
خطوة ؛
_لحظة..

نظرت له شهد باهتمام.. لكنه لم يفعل أكثر من أن مد يده بهدوء ليعدل بعض الخصلات
المتمردة من شعرها الناعم إلى الجانب.. قبل أن يسقط يده مجددًا و كأنه يمنحها الإشارة في إتمام أيّ
كان ما كانت تريد إتمامه..

و هي فعلت... لكن ليس إلّا بعد أن منحته ابتسامة جميلة.. قبل أن تقترب من السرير الصغير
الذي يخصّ لؤي.. و تحمل من عليه الحمالة العصرية الخاصة به.. م تقترب من الباب فعلم هادي
بأن غايتها الآن هي المطبخ لتجهز الاغراض التي ستأخذها معها من أجل أن تترك لؤي مع والدته هذا
اليوم..

هنالك بعض الوعود و الأحلام التي لا تذبل أبدًا.. حتى أحلامنا التي نعتكفها طويلاً دون تطور
إلى أن نجزم داخليًا بآسٍ بفوات أو ان تحقيقها.. قد تتحقق في يوم ما.. في لحظة ما..
ذلك لأن الاحلام لا تخضع لوقتٍ محدد.. لا تخضع لقوانين.. و لا لمجتمع.. الاحلام هي جزء من
ذواتنا.. و الشغف الذي يقودنا لتحقيقها هو أكبر ذخيرة نمتلكها للعيش !

" لطالما حلمت منذ طفولتي بمعرض خاص بي..معرض كبير يحمل على جدرانہ الكثير الكثير من الصور الفوتوغرافية الملتقطة بعدساتي..ذلك الحلم رافقني طويلاً لدرجة بدأت أفكر بترك المجموعة و البدء في تحقيقه ! "

" هل لديك ما يكفي من الصور لتحقيق ذلك ؟! "

" لديّ الكثير فعلاً..لكن ليس القدر الذي يسمح لي بإنشاء معرض ! "

" لكن لا تقلقي..لقد حققت أحلاماً كنت أظن بأنها مستحيلة التحقيق حتى قبل سنة من

الآن..مقارنة معها فهذا الحلم يبدو الأهمون والأسهل ! "

" و ستحققه فعلاً..أعدك بأنني سأكون معك خطوة بخطوة إلى أن تحقق كل أحلامك ! "

لقد..تحقق الحلم فعلاً !

ذلك الحلم الذي كان يبدو وكأنه هين جداً و سهل مقارنة مع حلمه الحقيقي الذي يقف

بجانبه..يتمسك بيده..و ينظر في عينيه بابتسامة براقة..تحقق بمشقة كبيرة جداً!

لكن كل تلك المشقة بدت هينة أكثر من الفكرة السابقة..فقط لأن حلمه الأول...الأثمن و

الأعلى..كان بجانبه !

مع أول خطوة يخطواها نحو المعرض الكبير..المعرض الذي فتح اليوم فقط..معرض يضم

مجموعة من الصور الفوتوغرافية الملتقطة بعدسات "هادي الشاذلي" الفنية..

كانت عيناهما تغوصان في العدد الهائل من الحضور الذين أتوا اليوم..أعداد كبيرة من نساء

و رجال كانوا يتجولون هنا و هناك..يتأملون اللوحات المعلقة في كل مكان..و التي تحمل توقيعه في كل

منها..بمشاعر متفاوتة من الانبهار..

مناظر طبيعية..صُور خلافة من قلب الواقع..لوحات ملتقطة لمشاهد حقيقية تضم في

أعماقها مشاعرًا ستبقى خالدة إلى الأبد في تلك الصور..

كان صوت الهمسات يتسلل إلى أذنيهما واضحاً..همسات صادرة من أشخاص يتناقشون

حيال عمل فني ما..

و أشخاص آخرون يقرّرون التحدث مع أحد المشرفين رسميًا لاشتراء لوحة ما..لولا أنه لم يكن

يحمل أي رغبة بداخله في أن يبيع أيّ منها..لقد انتقى أجمل الصور و أكثرها مكانة في قلبه ليعرضها

اليوم هنا..

في معرضه الأول..لكي تبقى مخلدة إلى الأبد !

لمحه أحد المشرفين الذي كان يقف بجانب رجلين يتحاور معهما بانسجام أمام لوحة معينة..
فهمس بشيء ما يستأذن منهما قبل أن يقترب منهما بسرعة إلى أن وقف أمامه و قال بترجيب مبالغ به ؛
_سيد هادي..سيدة شهد..و أخيرًا وصلتما..

ثم رمق المكان المكتظ بالنسبة لمعرض يفتح لأول مرة..و أضاف بانهار لا حدود له قبل حتى أن
يسمح لهادي بأن يرد تحيته ؛
_هل رأيتما عدد الحضور ؟ أنا لم أكن أتوقع حتى في أحلامي بأن يكون المكان مكتظًا إلى هذا
الحد..هذا أمر مذهل حقًا !

كان يتحدث بحماسٍ كبير..و ذلك الحماس جعل ابتسامة هادي التي ارتسمت في البداية
باتساع..تداعى قليلاً بشعور دخيل من القنوط..قبل أن يرمى شهد..تحديدًا ابتسامة شهد المنهرة و
التي كانت لا تزال تنقل عينيها حولها و كأنها تعجز عن استيعاب جمال هذا المنظر أمامهما حتى الآن..
ثم نظر له مجددًا مردفًا بنبرة ثابتة لا تجسد ذلك البريق الذي كان يلعب بعينيهِ كطفل صغير
يزور مدينة أحلامه أخيرًا ؛
_شكرًا لك..

و شعر بالارتياح و هو يرى الشاب الثلاثيني أمامه يهز رأسه بسعادة..قبل أن يقول مجددًا
بنبرة استئذان ؛

_إذا احتجت لأي شيء فأنا ساكون قريبًا..
أومأ له هادي مجددًا بنفس ابتسامته رغم أنه داخليًا كان يتمنى فقط أن يتخلص منه..
فاستدار الشاب مغادرًا..بينما رفعت شهد عينيها أخيرًا إليه بعد ثوانٍ طويلة من التأمل لتهتف
بصوتها الخافت و هي تكاد أن تبكي حرفيًا ؛
_يا إلهي..هل رأيت عدد الحضور فعلاً هادي ؟

تحولت ابتسامته تلقائيًا إلى أخرى دافئة جدًا و هو يقابل كل هذا الانفعال منها و كأنه حلمها
اليوم ما تحقق لا حلمه..لكنه رغم هذا اكتفى بأن أومأ برأسه مو افقًا ببطء..
فبرقت عينا شهد أكثر ممّا جعله يشكّ إن كانت تنتظر إجابته بهذه الجدية لتتأكد من أنها لا
تتخيل فعلاً..ثم شعر بأناملها المحتجزة بداخل أصابعه منذ مجيئها تشدد على كفه..و همس صوتها
و كأنها تخاطب نفسها فقط و هي تعود لتنقل عينيها حول المكان ؛
_أنا لا أصدق..لا أصدق..كل شيء يبدو رائعًا و مثاليًا هادي..كيف استطعت أن تفعل كل
هذا بمفردك ؟!

علم بأنها كانت تخاطبه من سؤاليها الأخير.. لكنها رغم هذا لم تلتفت منتظرة منه أي رد.. فلم يتعب نفسه بالإجابة.. بل سار برفقتها بهدوء يتقدمان نحو الداخل أكثر..

و بعدها بلحظات... كانت عيناها تبحثان عن شخصين بعينهما.. هذين الشخصين اللذين وجداهما أخيراً.. كانا لؤي و سجي بالطبع.. و قد اتسعت ابتسامة شهد و هي تراهما يقفان سوياً فقط.. بينما سجي تتأبط ذراع لؤي بيد و تتعلق بنفس الذراع بيدها الأخرى.. و أنامل لؤي في المقابل تغطي تلك اليد باحتواء عفوي جميل.. و كلاهما.. كزوجين عاشقين لائقان ببعضهما لكل من يراهما و لو بالصدفة.. يتأملان صورة معينة..

كانت صورة جميلة لطفل صغير.. يجلس فوق العشب حيث كانت تظهر خلفه سهول خضراء مترامية فوق بعضها تحت سماء منعشة و أجواء صيفية خلابة للتأمل.. مبتسم باتساع للكاميرا.. و لقد علمت من قبل بأن هادي قد التقطها قبل سنوات.. قبل حتى أن يتزوجا لأول مرة.. التقطها في رحلة له بأحد المخيمات المدفوعة.. و علمت أيضاً بأنه لم يكن ضمن المسجلين بالرحلة.. فقد انضم إليهم فقط فجأة و هو في منتصف رحلة خاصة به..

اقتريا منهما أكثر.. و ما كادا أن يصلان حتى كان لؤي يلتفت أولاً ثم بعده سجي.. قبل أن يقول هذا الأخير بنبرته المعهودة في مخاطبة هادي و هو يشير إليه :

_ جيد جداً.. انظروا من وصل متأخراً.. صاحب المعرض نفسه.. ألم أخبرك لعدة مرات من قبل بأنك مُصور فاشل !!؟

قال هادي يجاريه في مشاكسته بفضاظة رغم الابتسامة التي ترفض مفارقة حقيقته ؛

_ و ألم أخبرك أنا ليلة الأمس بأنك غير مدعو إلى معرضي.. لماذا أتيت !!؟

لكنه قبل حتى أن ينهي كلماته.. كان لؤي يتطوع بقطع الخطوة الوحيدة بينهما إلى أن ضمه بقوة.. و قال بينما يربت بضربات متتالية فوق ظهره بفخر شديد ؛

_ الصور رائعة حقاً.. لقد كنت أتوقع بأن تكون جميلة جداً لكن ليس إلى هذه الدرجة من

المثالية !

لم يرد عليه هادي بكلمات.. لكن اللمعة القوية التي اكتسحت عينيه بينما يبادلها العناق كانت

أكثر من كافية كجواب.. إلى أن ابتعد قليلاً ناظرًا إلى سجي.. و بالطبع.. لم تردّد هذه الأخيرة من أن تقترب مبتسمة باتساع سامحة له بضمها جانبيًا..

أمام عيني لؤي اللتين اعتلتهما نفس نظرة الضيق التي ستظل تعتلها دائماً.. لكنه لا يملك في أمرها سوى أن يتحملها و يكتمها بصبر.. سمعها بعدها تقول بمحبة ؛

_ كل شيء يبدو خلابًا جدًا هادي.. سعيدة جدًا من أجلك..

إلى أن ابتعدت أخيرًا.. فارتفع ذراعه ليمنحها مجرد عناق جانبي بديهي شبيه لعناق هادي لها

للتو !

لكنها قرّرت في تلك اللحظة أن تنقل عينها إلى شهد التي كانت تر اقب الوضع مبتسمة.. و
حركت شفّتها تهم بأن تتحدث إليها.. لولا أن سبقها لؤي الذي همس يخاطبها بتلك النبرة التي يخصّ
بها شهد دائمًا ؛

_ كيف حالك اليوم ؟ لقد علمت من أمي بأنكما ستحضران لها لؤي الصغير ليبقى برفقتها
اليوم..

قالت شهد تجيبه ببديهة حتى و هي عاجزة عن كبح ابتسامتها ؛
_ نعم.. لقد وجدت مسك أيضًا هناك..

و تلك المرة كان دور سجي لترد بصوتٍ شابه بعض... الحزن !
_ جيد أنك فعلت هذا.. على الأقل كي لا تبقى وحيدة هذه الليلة.. منذ أن وافق عمي أكرم على
الذهاب إلى المشفى وقد ازداد هدوءها و شخوبها أضعافًا..
صمت طفيف ساد الأرجاء بينهم حينما مرت تلك الذكرى في ذهنهم.. لقد استغرق السيد أكرم
الشاذلي سنة و نصف من الصمت المهيّب و الباعث للرجفة إلى الأبدان قبل أن يقرّر أخيرًا أن
يستسلم لرغبة زوجته بالالتحاق بالمشفى !

لولا أن ارتفع صوت لؤي بنبرة تعمد أن تخرج مشوبة ببعض المرح ؛
_ لقد أحببت هذه اللوحة أنا و سجي و نريد أن نشترها..

قال هادي مباشرة متناسيًا الموضوع السابق ؛
_ هذه ! مستحيل !!

_ لماذا مستحيل ؟! نحن نريدها !!!

هذه المرة كان صوت سجي من تحدث باستنكار.. فقال هادي بنبرة قاطعة ؛

_ إنها تذكرني بلؤي و أريد أن أهديها له في عيد ميلاده الثالث..

لكنه تفاجأ من رد لؤي الذي قال برضا و هو يبتسم باتساع ؛

_ هذا يعني بأنها كانت لنا منذ البداية !

نظر له هادي بعدم فهم.. قبل أن يقول بتبلد ؛

_ هل أنت في عمر الثالثة ؟!!

قال لؤي بثباتٍ مستفز ؛

_لست في عمر الثالثة.. لكنني الأحق باسم لؤي و صاحبه الأصلي !

كان لؤي يتحدث بمزاح واضح رغم أن رغبته السابقة كانت حقيقية.. ففتح هادي فمه بهم بالرد عليه بفضاظة.. إلا أن شهد سبقته هذه المرة.. وقالت تخاطب لؤي و سجي ليس و كأنه صاحب

الصورة و المعني بالأمر هنا !

_نحن مو افقان..يمكنكما أن تأخذانها بالطبع..

ابتسامة محببة منحتمها لها سجي و هي تربت على ذراعها..بينما رفع هادي حاجبيه ببلاهة حقيقية أمام تعابير الرضا التي اجتاحت ملامح لؤي..إلى أن قرّرت زوجته المصونة أن تنظر له.. و حينها همست بنبرتها المتفهمة الجميلة ؛

_لا بأس يا هادي..هناك العديد من الصور الأخرى التي نستطيع أن نمنحها كهدية للؤي..و أساسًا هي ستكون ملكه في كل الأحوال حتى لو أخذها لؤي و سجي..

كان هادي يستمع إليها بنفس النظرة المتبلدة..إلى أن أضافت مبتسمة بترقب ؛

_ما رأيك ؟!!

لكن سؤالها جعل من نظرة هادي تتحول إلى عابسة..قبل أن يشيح بأنظاره معقبًا بسخرية ؛

_رأيي أنا ! من أنا حتى أقول رأيي ! ليس و كأني صاحب هذه الصور و مُلتقطها !

لكنه لم يتوقع صوت سجي التي هتفت معاتبة ؛

_ليس و كأنك تتحدث الآن إلى أخيك و ابنة خالتك !

نظر لها هادي معترضًا بنبرة من تعرض للظلم ؛

_لم أقل هذا !

إلا أن سجي قالت تعقد ذراعها و ترفع حاجبها بنبرة اتهام واضحة جدًا ؛

_يمكنك أن تقوله حرفيًا أيضًا..

_سجي !!

همس هادي ناظرًا لها بغير تصديق..لكنه لم يلبث أن تنهد بارتياح و هو يرى ابتسامتها التي

عادت تتشكل في ملامحها تدل على أنها لم تكن جادة جدًّا..قبل أن تهمس الآن بجدية حقيقية ؛

_عمومًا لقد اتخذت قراري بأننا لن نأخذها..بما أنك تريد أن تهديها للؤي فلا أحب إليّ من

هذا..و من أن أراها كلما أتيت إليكم معلقة في غرفته..

كانت قد رمقت شهد في نهاية كلامها مبتسمة..و قد بادلتها هذه الأخيرة الابتسامة بمحبة..تلك

الابتسامات التي لاحظها لؤي..فقال موجهاً كلامه لهادي هذه المرة ؛

_ ما رأيك في أن نتجول قليلاً هنا و نتركهما بمفردهما ؟!

لم يعترض هادي..خاصة و قد كان يريد أن يتحدث مع بعض الوافدين هنا و سماع رأيهم..و

ما كادا أن يبتعدا الاثنان تاركين شهد و سجي بمفردهما..حتى كانت هذه الأخيرة تمد يدها برفق إلى أن

أمسكت بيد شهد..ثم سألتها باهتمام ؛

_كيف تسير الأمور إذا ؟!!

نظرت لها شهد بتشوش في البداية سائلة ؛

_أين ؟!!

فقالت سجي مباشرة بجدية ؛

_في الدار بالطبع..ألم تتعودي سماع هذا السؤال من كثرة المرات التي أطرحة عليك فيها !

رفعت شهد يدها الحرة إلى أن لمست بها طرف جبهتها في حركة حاولت بها أن تستعيد

تركيزها..ثم لم تلبث أن قالت بينما تقترب قليلاً إلى أن أصبحت تستند إلى الجدار حيث تقبع الصورة

الجميلة بجانب سجي ؛

_لا بأس بها !

رفعت سجي حاجبها الأيمن مكررة بقلق ؛

_كيف...لا بأس بها ؟!!

فلم تتردد شهد من الرد مبتسمة بصدق رغم هدوء ملامحها و صوتها ؛

_أقصد بالمعنى العام..ليس من السهل جداً أن تقابلي في كل يوم تقريباً أطفالاً صغاراً تم

التخلي عنهم من قبل عائلاتهم أو فقدوا أولياء أمورهم في حوادث مريعة..

تنهيدة صغيرة حررتها و هي تضيف ببعض الشroud ؛

_أقصد..أحياناً أشعر بأنني مُرهقة إلى درجة أتمنى معها أن أتخلى عن كل شيء.....

تلاشت ابتسامة سجي قليلاً و هي تنظر لها من مكانها بحيث كانتا تستندان الآن إلى الجدار..إلا

أن شهد أضافت و هي تطبق على أنامل أختها الوحيدة..و كم تحب هذا اللقب و تؤنس نفسها به..

همست تحاول أن تبقي على ابتسامتها متسعة كما هي..ما تشعر به فعلاً في هذه اللحظة ؛

_ لكن لا تخافي..إنها مجرد أفكار غريبة تطرأ في ذهني أحياناً..لقد وعدت نفسي منذ اللحظة

التي أعلنت فيها موافقتي على تكبد هذه المسؤولية بأنني لن أراجع عنها أبداً إلا بموتي..

صمتت أخيرًا تنظر لسجى بأمل أن تعود ابتسامتها كما كانت..إلا أن سجى همست بجديّة
تامة ؛

_ليس الموضوع هو هذا شهد..أنا أعلم بأنك لا يمكن أن تخلفي بأيّ وعد تقطعينه..لكن
السؤال هو هل ستستطيعين -نفسياً- الوفاء بهذا الوعد حقًا ؟!
صمتت للحظة تنظر لها بحزن قبل أن تضيف ؛
_لقد أصبحت أشعر بأنني ظلمتك حينما اقترحت عليكِ هذا الأمر بعد هذا الكلام من.....
_قطعًا لا ! إياك أن تفكري بهذا الشكل !

قاطعتها شهد بصوتها الخافت الذي سمعته من بين الضجة الهادئة من حولهما..ثم لم تلبث
أن استأنفت تضيف بحرارة ؛

_حتى و لو لم تكوني قد اقترحتة..حتى و لو كانت هذه الفرصة قد أتحت لي من مصدر
مجهول..كان قراري سيكون نفسه..رجاءً سجى..لا تأخذي ما قلته على محمل الجد و تقلقي و إلا
سأبدأ بالتفكير بأن عليّ أن أكبح مشاعري البديهية عنك..

صمتت للحظة واحدة تنظر لعيني سجى اللتين بدأتا تستعيدان هدوءهما السابق..قبل أن
تتحدث مجددًا بنفس النبرة ؛

_أنتِ لا تعرفين أيّ شعور جميل ينتابني في كل مرة أنجح بأن أمنح الأمان لطفل جديد محطّم..
حينما أرى ابتساماتهم الصغيرة تتشكل بتأني على وجوههم..أول ابتسامة يمنحونها لحياتهم
الجديدة..أشعر و كأنني قد عدت بالزمن إلى الوراء سنوات عديدة..أشعر و كأنني أضمت نفسي في كل
مرة أضمت أحدهم و أرى ابتسامته..و كأنني أحرّرت تلك الطفلة الصغيرة الخائفة من قيودها جميعها..
هل تفهميني ؟!!!

نطقت حروف سؤالها الأخير بأمل..بينما عادت ابتسامة سجى لتتشكل في ملامحها بتأني..و
قالت تجيبها تلقائيًا بحنان ؛

_هل يمكنني أن لا أفهمك ؟!!
تعمقت ابتسامة شهد في عينيها أكثر..و برزت نظرة دافئة في داخلهما..قبل أن تهمس بنبرة
تشبه نظرتها ؛

_لهذا السبب تحديدًا أحبك..
رفعت سجى يدها الحرة يهدوء إلى أن لمست بها وجنتها تربت عليها بحنو و قالت ؛
_أنا أحبك في جميع الأحوال و بغض النظر عن أيّ أسباب !

ثم هزت رأسها محررة ضحكة خافتة و هي تردف ؛
_مع العلم أننا نتحدث حيال هذا في أهم يوم في حياة هادي..قد يقتلنا بدون أن يرف له جفن
لو سمعنا..

تجولت شهد بعينها حول المكان باحثة عنه إلى أن لمحته يقف في جهة معينة مع لؤي..و أمام
رجل آخر في متوسط العمر يتحدث معه بتركيز حيال صورة معينة معلقة أمامهم..
و من الفراغ..عرفت ابتسامتها في بعض الشرود و هي تقول مؤكدة ؛
_أنا متأكدة بأنه يستطيع أن يفعلها !

و فقط...حررت بعدها ضحكتها الهادئة الخافتة..و فعلت سجي المثل..لكن مع فرق الآن..أن
عيني كل منهما تاهت و هي تتأمل أكثر شيء تحبه في الحياة..
شهد لهادي..و سجي للؤي !

و بعدها بساعات..توقفت سيارتان أمام القصر الكبير..كانت لهادي و لؤي بالطبع..و قد
ترجل أربعتهم بغاية الدخول لاصطحاب لؤي الصغير و مسك إلى المنزل..
كانت الشمس قد غربت مُسبقاً فعلاً..تقدمت سجي و لؤي أولاً..ثم بعدهما شهد و هادي..
و لغرابة المنظر..فقد كانت عفاف تجلس...فوق الأرض !
لقد كانت تجلس فوق الأرض حرفياً..فوق البساط الأحمر الناعم الذي يحتل الهو تلاعب
الصغيرين و ابتسامة باهتة قليلاً هي الابتسامة الوحيدة التي ترسم في ملامحها كلما اجتمعت
بالصغيرين ترسم في وجهها الآن..قبل أن تعود لتختفي برحيلهما و كأنها لم تكن..
لكنها انتهت لدخولهم فجأة..فاختفت ابتسامتها هذه المرة مبكراً و هي تتحرك إلى أن وقفت..
ثم قالت بنبرة شامها بعض...الإحباط !

_لقد عدتم بسرعة !!
كان واضحاً بأنها لا تقول هذا لمجرد القول..لقد كان هذا هو وضعها تقريباً في كل مرة قبل
رجيل أحد الصغيرين..بينما تحدث هادي مردفاً يهدوء حينما قفز لؤي الصغير من مكانه مقترباً منه
بخطواته المتعثرة بلهفة..ليس و كأنه نفس الشخص الذي كان ينظر له بحقد في الصباح !
_ليس بالسرعة التي وصفتها في الحقيقة..لقد مرت أربع ساعات منذ ذهابنا..

كان قد حمل الصغير بين ذراعيه بقوة..و سمع صوته يهتف فوراً بينما يتعلق في عنقه بكلماته
التي يجد صعوبة بالغة في فهمها تزامناً مع اقتراب سجي من مسك بسرعة حينما رأتها تضع لعبة
الدمية الخزفية في فمها..

_م...س...ل...د...ها...ل...ع...ب...تي.....

نظر له هادي كشخصٍ تتراقص حوله عدة علامات استفهام..قبل أن ينظر لشهد التي كانت
تقف بجانبه و كأنه يطالها بشرح مفصّل ؛

_أظن بأنه يتحدث عن لعبة ما لدى مسك..

هتفت سجي مبتسمة و هي تحمل الطفلة الصغيرة الجميلة ذات الشعر البني القصير الناعم
و العينين الزيتونيتين ؛

_أيّ لعبة هذه ؟ هل الدمية الخزفية ؟!!

قالت شهد ببساطة ؛

_ربما..إنه يتحدث بألغاز معقدة هذه الفترة..حتى أنا لا أستطيع أن أفهمه..

اقترب لؤي من سجي إلى أن تسنى له طبع قبلة طويلة فوق وجنة الصغيرة التي يبدو بأنها قرّرت
استبدال اللعبة بأصابعها التي رفعتها إلى فمها تمصّها عشوائياً..تلك العادة التي حاولت سجي لعدة
مرات أن توقفها عنه لكنها لا تزال تعجز حتى الآن..

ثم قال يخاطب أمه بدون أن يتوقف عن التريبت على الملامح الجميلة الناعمة بيده ؛

_مضطرون للذهاب الآن أمي..أمل بأنهما لم يزعجانك كثيراً..

لمح بعض التردّد يرتسم في ملامح والدته و هي تنقل عينيها بينهم الأربعة..و استغرقها الأمر
لحظاتٍ..إلى أن قالت بتردد حقيقي ؛

_لقد كنت أود سؤالكم إن كان بإمكانكم أن...تبقوا هذه الليلة ؟! لتناول العشاء !!

على الرغم من أنها زارت هذا المنزل لمراتٍ لا تعد خلال السنتين الماضيتين..تحديداً في كل مرة
كانت تجد نفسها مجبرة على إحضار لؤي إلى عفاف..إلا أنها كانت المرة الأولى حرفياً التي تجلس فيها
حول هذه الطاولة..كما كانت المرة الأولى للؤي و سجي و هادي خلال سنوات..
لقد كان هادي يكره الجلوس حول هذه الطاولة في الماضي..لا يزال يتذكر جيداً عدد
الجدالات التي جرت بينه و بين والده حول هذه الطاولة..و بعضها بينه و بين شهاب..

كم من مرة وقف من على كرسيه متذمرًا ليتجه إلى غرفته..كم مرة اصطدمت كفّ والده بسطح الطاولة و هو يوبخه على شيء ما محاولًا السيطرة على ردوده عبثًا..كم مرة زم فمه و هو يكتم دموعًا حارقة تزيد من إحباط موقفه..

لولا أن الوضع هذه المرة بدا مختلفًا..لقد بدا مختلفًا إلى درجة شعر فيها معها و كأنها مرتبه الأولى في الجلوس هنا..و كأنه ضيف غريب أتى إلى هنا تلبية لدعوة عزيزة قبل أن يقرّر الرحيل.. لقد كان كل شيء مختلفًا..لقد تغيرت الحياة كثيرًا في قصرهم و خارجًا أيضًا..من قد يتأمل هذه المرأة الجالسة أمامه بفستان منزلي أبيض..كئيب رغم ثمنه الغالي..بشعرها المرفوع معظمه بمشبك..و ملامحها الخالية من مظاهر الزينة..

و ينجح في مقارنتها بتلك المرأة القديمة التي كان يعرفها كأم له إلّا و يتراجع بصدمة مبالغ بها ! من قد يرمى هذا المنزل الكبير الفارغ و تمر في ذهنه عدد الشجارات التي دارت بين جدرانها و عدد الوجبات المُرّة التي تناولوها هنا بدون أدنى مشاعر..و كأنهم فقط مجموعة أشخاص غرباء اجتمعوا بغاية القيام بواجب ما محتم ليس إلّا..

لكن الوضع اليوم يبدو مختلفًا..بصوت لؤي و سجي و شهد و هو أيضًا و الحوارات التي دارت بينهم أثناء تناولهم الأكل حتى و لو كانت حوارات قصيرة..و بأصوات لعب الصغار الذين عادوا يجلسون فوق البساط نفسه يلعبان بانسجام و ألسنتهم الصغيرة تصدر أصواتًا مرتفعة تنذر بالحياة..

من كان يصدق حتى أن تجلس شهد حول هذه الطاولة يومًا كفرد من العائلة ! و لا أن يجلس لؤي و سجي بصفتهما زوج و زوجة !!

لقد ألفت والدته بطلب غريب اليوم..و لم يتردد أيّ منهم الأربعة في تلبيته..لقد كان هذا أول شيء غريب تفعله اليوم..و ثاني شيء.....

_هل تسير الأمور على ما يرام ؟!!

لقد وجهت هذا السؤال إلى شهد فعلاً ! و وجدت شهد نفسها تغصّ في لقمتها ناظرة لها

بدهشة مبرّرة تمامًا..إن كان لؤي و سجي و هو نظروا لها بنفس الدهشة !

إلّا أن والدته قالت فقط تضيف بنبرة لا تنم عن أيّ شيء محدّد ؛

_في الدار ؟ أقصد !

لم تستطع شهد أن تجيبها للحظات و هي تحديق بها بشفتين فاغرتين صدمة..إلى أن مدت يدها

تلتقط منديلًا أبيضًا مسحت به طرفي شفتيها..و قالت ترد بخفوت ؛

_إنها..على ما يرام..أقصد...جيدة جدًا!

أومأت لها عفاف بهدوء..قبل أن تنقل عينيها إلى سجي..ثم ارتفع صوتها الهادئ سائلة مجددًا ؛

_و أنتِ ؟!

نظرت لها سجي باهتمام..فقالت عفاف بنفس النبرة ؛

_هل قرّرت عند أيّ محامٍ تريدان البدء بالتدريب ؟!!

همست سجي بعد لحظة واحدة من الصّمت ؛

_لقد قرّرت بأنني سأكمل دراستي إلى أن أحصل على شهادة الماجستير..

كانت قد أطلعت الثلاثة الجالسين بجانبها على هذا القرار فعلاً..خالتها الوحيدة التي لم تكن تعرف بالأمر..و لم يظهر أيّ استغراب في ملامحها رغم ذلك..فقد اكتفت بأن أومأت بنفس الطريقة.. قبل أن تتنهد بخفوتٍ و تخفض أنظارها مجددًا مستأنفة الأكل..و فعل الجميع هكذا بعد وصلة من الصّمت المكلل ببعض الحيرة..إلى أن انتهى بهم المطاف في النهاية يصعدون السلالم الطويلة بغاية تمضية الليلة هنا!

و انتهى الأمر بشهد تحقق أمنية قديمة لديها..كانت أن تدخل غرفة هادي !

كان أول من دخل هادي..و قد اتجه مباشرة إلى الخزانة تزامنًا مع خلعه لسترته ثم ربطه عنقه إلى أن ألقى بهما فوق أريكة جانبية سوداء..ثم فتح الخزانة يبحث بين ثيابه القديمة عن ثياب مريحة أكثر من التي يرتديها..

بينما تقدمت شهد بعد أن أغلقت الباب و هي تتأمل كل مكان في الغرفة بعينها بتأني..

كانت غرفة أنيقة..يغلب عليها طابع الهدوء و اللون الأسود في كل مكان..بدءًا من السرير الذي كان الشيء الوحيد الفاتح فيه هو مخداته البيضاء..

إلى الأرائك ثم الخزانة الجانبية و إطار المرأة الكبيرة المعلقة في جانب معين..غرفة قد يخمن أيّ أحد دخل إليها بأنها لشاب يعشق التصوير..فهو لم يبخل على ما يبدو بوضع لمساته في كل مكان يدخله..

فكانت هناك بعض الصور المتفرقة المعلقة هنا و هناك..بالإضافة إلى صور له هو من مراحل مختلفة من حياته..حتى أنها لمحت بضعة صور ملقاة فوق المنضدة الملاصقة لسريره و يبدو بأن لا أحد فكر بلمس أيّ شيءٍ في غرفته طيلة مدة غيابه الطويلة جدًا..

لم تشعر بنفسها حينما توقفت أمام صورة معلقة في مقابل السرير من جهة اليمين..كانت صورة له هو من أيام...مراهقته ! صورة كانت من إحدى أحلامها الأخرى أن تراها في يوم ما..فهي قد

استطاعت مقابلته في طفولته و شبابه..لكنها لم تكن تعرف شكله كيف كان خلال سنوات مراهقته
الصعبة !

و قد اكتشفت الآن بأنه لم يتغير كثيرًا..باستثناء أن ملامحه ازدادت نضجًا و جاذبية و
وسامة..و أن ذلك الأثر لم يكن موجودًا بحاجبه..فهي لا تزال تشعر بنفسِ الرعشة اللذيذة في قلبها
بمجرد تأمله !

_غرفتكَ جميلة جدًا !

همست فجأة و هي لا تزال تتأمل صورته فقط بشرود و كأنها تقصدها هي لا الغرفة..بينما
توقف هادي الذي كان على وشكِ فتح الزر الثاني لقميصه الأبيض..نظر لها من مكانه بحيث كان
يقف بجانب الخزانة..

_صدقيني لم تكن تبدو جميلة بهذا الشكل حينما كنت أعيش فيها..

قال و هو يهم بإتمام ما بدأه..إلا أن شهد التفتت إليه من مكانها الذي يبعده بثلاث أمتار
تقريبًا..حيث كل منهما يقف في جهة و بينهما السرير الوثير..قالت تكرر كلمة علفت في ذهنها و كأنها
تسأله ؛

_لم تكن ! هل هذا يعني بأنك أصبحت تراها جميلة الآن ؟!!

حينها فقط...كان هادي يتوقف عند الزر الرابع..نظر لها للحظة و على شفثيه ابتسامة شبه
ملحوظة..قبل أن يهمس مجددًا بنبرة غير عادية أبدًا ؛

_ألم تدخل إليها أنت ؟ كيف يمكنني أن أراها بشعة بعد الآن ؟!!

ابتسامة غير مكتملة افترت عنها شفاه شهد..ابتسامة شاردة بعض الشيء..بينما أكمل هادي
فتح كل الأزرار إلى أن ألحق القميص الرسمي بالسترة و ربطة العنق..و أمسك بالقميص الداخلي
الأسود ليرتديه بسرعة أمام أنظار شهد التي راقبته بشرود..

قبل أن يقترب من السرير بغاية النوم..لكن شهد لم تتحرك من مكانها رغم ذلك..فقال بينما
يرفع الغطاء ليندس تحته و يعدل من وضعية استلقائه ؛

_ألن تأتي ؟!!

لم تستجب له شهد..فهتف ينيها بصوت مرتفع بعض الشيء الآن ؛

_شهد !!!

التفتت إليه شهد مجفلة قليلًا..فقال مكرّرًا بنبرة عادت كما كانت خافتة هادئة ؛

_تعال..

و كعادة قديمة..اقتربت شهد بدون أدنى اعتراض..إلى أن جلست بجانبه فوق السرير..و حينها فقط تحرك هادي إلى أن أصبح يجلس نصف مستلقيًا يستند بظهره إلى قائم السرير..ثم همس و هو يمد يده ليلمس وجنتها برقة مبعداً القليل من خصلات شعرها إلى الجانب ؛
_لم أكن أعلم بأنك ستجيبين غرفتي إلى هذا الحد..في هذه الحال يمكننا أن نأتي لقضاء ليلة هنا بين كل فترة و أخرى..

كان يتحدث برفق شديد رغم خشونة صوته..ذلك الرفق الذي جعل ملامح شهد تلين تدريجياً و هي تتأمله..لكنها رغم هذا حركت رأسها بالنفي هامسة بصدق ؛
_لقد أحببتها فعلاً..لكنني لا أزال أفضل غرفتنا !
_بالطبع..لأنها تحتوي صورك في كل مكان !

عقب هادي فوراً بنبرة لم تكن جادة تماماً..عكس نبرة شهد التي خرجت في غاية الجدية ؛
_بل لأنها تحتوي ذكريات جميلة جداً لنا في كل ركن لها..و لأنك أنت من التقطت كل تلك الصور !

ابتسامة تعرفها جيداً شقت ملامح هادي بتأني..ثم همس و هو مستمر في الترييت على بشرتها ؛
_اقتنعت !

قبل أن يتحرك مباشرة و يجذبها إلى حضنه إلى أن أصبحت مستلقية فوق صدره كما تفعل في كل ليلة..و حينها همس و هو يلمس جبينها بشفتيه و يرفع الغطاء فوقهما أكثر ؛
_غداً سأذهب للتزلج مجدداً..

كان في نبرته شيء من الحذر..و كما توقع تماماً فشهد تتحول إلى نسخة لا يعرفها حينما يتعلق الأمر بلؤي الصغير..فقالت و هي ترفع عينها إليه و تلمس بيدها صدره الخافق بهدوء ؛
_و إن يكن ! لن تأخذ معك لؤي هذه المرة أيضاً !

نظر لها هادي بصمتٍ للحظة..إلى أن قال بحاجبين منعقدين قليلاً ؛
_هل كل هذا الخوف فقط لأنه سيذهب معي ؟ ألا تثقين بي إلى هذه الدرجة و بأنني قادر على الاعتناء به !!؟

همست شهد مبررة في نفس اللحظة و هي تحرك يدها برقة على صدره ؛
_تعلم بأن الأمر ليس هكذا هادي..

_كيف إذن !!؟

_إنه لا يزال صغيرًا جدًا!

_هل قلت أنا العكس؟!

سأل هادي باستنكار هادئ..فتنهت شارحة بصبر ؛

_لقد بدأ يتعلم المشي بالكاد..أخشى أن يسقط أو يتأذى في لحظة غير مقصودة منك !

_تعالى معنا إذا !

قال فورًا بجدية..بينما احتلت نظرة تشبه الاعتذار أو الإحباط عينها..تلك النظرة التي لمحها

هادي بوضوح..بينما قالت هي مبررة بخفوت ؛

_أريد هذا بشدة..لكن أنا في فترة امتحانات الآن و مسؤولية الدار أيضًا.....

صمتت لوهلة فجأة..قبل أن تضيف بأسف ؛

_أقصد.....أنت تعلم !

صمت قصير ساد بعد هذه الإجابة منها بدا فيه هادي وكأنه يحاول أن يجد حلًا وسطًا

بينهما..إلى أن عاد يهمس بتفهم ؛

_ما رأيك أن نحدد موعدًا الشهر القادم ؟! ستكون امتحاناتك قد انتهت حينها !

نظرت له شهيد بتردد..فهمس يحثها بمكر ؛

_لا تحاولي الرفض حتى..لقد انتهت كل أعذارك الآن..

قبل أن تعود ابتسامته لتتألق في ملامحه حينما همست شهيد مستسلمة ؛

_حسنًا..

لكنها شهقت بدهشة حينما شعرت به يتحرك فجأة إلى أن أصبح مشرفًا عليها بعينيه..

فهمست و هي تلتقط أنفاسها من حركته المباغته ناظرة إلى صدره القريب حيث كانت يدها لا تزال

ترتاح فوقه ؛

_ماذا فعلت بالضبط ؟!!

و لم يكن هادي ليفوت فرصته في أن يجيب بإحدى جملة الماكرة التي دائمًا ما تعلق في ذهنها ؛

_إجراء صغير بما أن الغرفة قد أعجبتك إلى هذا الحد !

لم يمهلها بعدها فرصة الاستيعاب و هو ينخفض إليها بوجهه ليكلل اعترافه لها قبل قليل

خيال أن الغرفة لم تعد تبدو له بشعة كما كانت بعد دخولها إياها بتأكيد حقيقي..في غاية الروعة..

على أنها لم تعد تبدو بشعة فعلاً ! و لن تعود !!

و في غرفة تبعد عن غرفتهما ببضعة أمتار..كانت هناك فتاة أخرى تقف أمام النافذة الكبيرة
المطلّة على الحديقة المظلمة..كانت نفس النافذة الخاصة بغرفتها التي اعتادت أن تقف خلفها طويلاً
في الماضي..

و التي أدركت اليوم بغرابة بأنها...اشتاقت إليها! هل يعقل أن تكون قد اشتاقت لغرفتها التي
كرهتها طويلاً !

لقد كانت هي من طلبت من لؤي أن يمضيا الليلة في غرفتها تحديداً لا غرفته..كانت لا تزال
ترتدي فستانها الأسود الذي ذهبت به إلى الافتتاح اليوم..فستان شديد النعومة و قد ازداد نعومة
بأنسداله على قوامها النحيل..

و قد كان صوت جريان الماء في الحمام يصل إلها واضحاً من طرف لؤي المُختفي هناك منذ
دقيقتين.. إلى أن سمعت صوت انفتاحه بعدها بلحظات.. فلم تلتفت كعادتها حتى و هي تشعر
بخطواته تقترب منها إلى أن وقف وراءها للحظة واحدة..
ثم امتدت ذراعاه لتحاطبان خصرها من الخلف في عناق دائي..قبل أن يهمس صوته و هو
يلامس فكها الناعم بذقنه ؛

_هل أنت متأكدة من أنك لن تشعري بالقلق على مسك و تحاولي الذهاب للإطمئنان عليها
هذه الليلة ؟!

همست سجي بنبرة ثابتة و هي لا تزال تتأمل اللا شيء المتمثل في الظلام المنتشر بالخارج ؛
_متأكدة بأنه إن كان هناك شخص واحد يستطيع أن يعتني بمسك أكثر مني فهي خالتي..
ثم تلملمت قليلاً إلى أن فكّت عقدة ذراعها و قالت تضيف بنبرة عادية ؛
_كما أن لؤي معها..و إذا كانت شهد قد قبلت بأن تترك ابنها مع خالتي فهذا يؤكد كلامي بنسبة
مئة بالمئة..

ابتسامة هادئة شعرت بها في صوته الذي همس في نفس درجة الخفوت ؛
_هل تعلمين ! أنا لا أزال أشعر حتى هذا اليوم بنفس الغرابة حينما أسمعك تتحدثين أمامي
بصيغة الغائب و أنت تنطقين اسم لؤي !

همست سجي محررة ابتسامة حنونة لم يتسنى له رؤيتها ؛
_هذا طبيعي جداً..إذا كنت تغار من طفل صغير !

رد لؤي بدون يرتفع صوته باعتراض ؛
_ليس غيرة..إنما غرابة...لقد قلت غرابة !!

إلا أن سجي قالت بكل بساطة و هي تلمس يديها ذراعيه المطوقتين لها ؛

_بالنسبة لي الأمر سيان !

فتح لؤي فمه و كأنه سيعترض أكثر..إلا أنه عاد و أغلقه..ثم تنهد هامسًا باستسلام في النهاية ؛

_كما تريدین !

صمت قصير تسيد بينهما للحظاتٍ طويلة من التأمل فقط..هي تتأمل الأفق..و هو يتأمل تحركات أناملها على ذراعيه و يديه و وتيرة أنفاسها التي تنخفض في لحظة ما قبل أن تعود لترتفع بعض الشيء و كأن هناك عدة أفكار عالقة في ذهنها تحاول تحليلها..

إلى أن قرّرت أن تشاركه تلك الأفكار ربما..فقالت فجأة تلقي بسؤال خطر في ذهنها من الفراغ ؛

_هل تعلم بأنني كنت أحب هذه الغرفة كثيرًا في الماضي !!؟

لم تتغير تعابير لؤي إطلاقًا..بل سألها و هو يلامس بشرة فكها الناعم بشفتيه بعد لحظة

صمتٍ واحدة بسكون لطالما كان مفتاح كل الجوارات بينهما و لا يزال ؛

_و الآن ؟!!

لحظة صمت أخرى..ثم جاءه الرد بنبرة تشبه نبرته ؛

_الآن أشعر بأنني عدت أحبها بنفس القدر !

تقطيعة صغيرة تشكلت بين حاجبي لؤي..حينما قال يسألها باهتمام و هو يبعد شفتيه بنسبة

ضئيلة جدًا عن بشرتها ؛

_لماذا تحديدًا ؟ ما الذي تغير ؟!!

شعر برغبتها في الالتفات إليه فحرّرها يهدوء إلى أن تمكنت من الاستدارة بكامل جسدها..ثم

نظرت في عينيه لوهلة عاقدة ذراعها..قبل أن تنقل عينها ببطءٍ إلى أن رمقت مكانًا معينًا..

كان ذلك المكان...الأرضية حيث جلست خلف الباب تقريبًا ذات يوم بعيد..تضم نفسها

بذراعها و تقابل الجدار البارد بعينين تنزفان ألمًا..قبل أن يقرّر شخص ما..شخصها المفضل أن

يقتحم تلك الوحدة و يكللها ببعض...الأمل !

التفت لؤي لينظر إلى نفس المكان معها..و لوهلة..بينما يسمعها تتحدث بصوتٍ أجش شارد

شعر و كأنه يرى ذلك المشهد يتكرر أمامهما فعلاً..حيًا...و كأنه حقيقي !

_هل ترى ذلك المكان ؟ هناك تحديدًا جلست أمامي على ركبتك تحاوط وجهي بين يديك و

تحاول أن تجعلني أستعيد وعيي بالعالم !

لم يعلق لؤي..و لم تبدو سجي و كأنها في حاجة لسماع أي تعليق منه و هي تتم بنفس النبرة ؛

_و هناك أيضًا اعترفت لك أنا بشيءٍ لم أكن لأعترف لأي أحد به..هناك تحديدًا نظرت في عيناى و منحني وعدًا أبدًا بأنك لن تتخلى عني..قبل أن تمسك بيدي و تنتشلي من الأرض إلى أن وقفت على قدماي..

صمتت للحظة واحدة تبتلع فيها ريقها بشعور غريب من...حنين لا معنى له !
قبل أن تستأنف و هي تنقل عينها ببطءٍ إلى السرير الآن و تنتقل أنظار لؤي معها و كأنهما متفرجان يشاهدان أكثر عرض مسرحي و اقعي على الإطلاق..
_قبل أن تقرّر أن تحملني بين يديك كحائل قوي بيني و بين أن يلامس جسدي الأرض مجددًا..لقد وضعتني على هذا السرير لؤي هل تذكر ؟!
ارتعاشة ضئيلة لامست رموش لؤي و هو يهمس بدون أدنى تردد ؛
_كيف لا أذكر ؟!!

قبل أن ينظر لها مجددًا..و حينها فقط كانت سحى تهمس راسمة ابتسامة صادقة بحق ؛
_لهذا السبب تحديدًا أصبحت أحب هذه الغرفة..لقد كنت مخطأة جدًا لأنني كرهتها في البداية..في الواقع هنا...كانت نقطة بداية كل شيء بيننا لؤي !
صمتت أخيرًا تنظر في عينيه بابتسامتها التي لاح فيها بعض الحزن..و تعمد لؤي أن يحافظ على ذلك الصمت لثوانٍ..إلى أن فتح فمه أخيرًا..و همس بنبرة داعبتها برقها ؛
_أظن بأن لديك وجهة نظر سديدة حيال هذا الأمر..أنا أو افقك الرأي..
برقت ابتسامة سحى قليلًا و هي تحديق به للحظاتٍ من مسافتها القريبة منه..إلى أن همست ترفع أحد حاجبيها على إثر نظراته و ابتسامته بنبرة...غير عادية تمامًا!
_ماذا إذا ؟!

همس لؤي مكرّرًا بجذل و هو يمد ذراعيه ليحاوط خصرها تلقائيًا ملصقًا إياها به ؛
_ماذا إذن !!!

قبل أن ينخفض بعدها بهدوء إلى أن أغرق أنفاسه في عنقها ملامسًا النبض الخافق هناك بشفتيه..يكزّر حركة فعلها ذات ليلة..و كزّرها بعدها لمراتٍ لا تعد..فلم تمانع أبدًا و هي تطوق عنقه بذراعها بشدة..

قبل أن تسمعه يهمس فوق بشرتها بصوتٍ خافتٍ لأقصى حد ؛
_امممم..لقد بدأت أفكر في آخر فترة بأن علينا أن نلد لمسك أختًا أو أخًا يؤنسها !

كان يتحدث ببراءة مطلقة..لكن تلك البراءة لم تنطلي على سجي التي همست بالكاد تكتم

ابتسامتها و هي تشعر بشفتيه تتماديان قليلاً في تدليل بشرتها ؛

_لديها أخ بالفعل..إنه لؤي...هل نسيت ؟!!

علّمت بأنها أصابت الهدف حينما قال لؤي بشيء من الضيق و هو يشدّد من ضغط ذراعيه

حولها في عناق أبدي كوعده الذي قطعه عليها ذات يوم في هذه الغرفة ؛

_توقفي عن مناداته باسمه المجرد هكذا..ألم يكن يمكنك أن تقولي ابن هادي و شهد أو

تستعملي وصف "الصغير" بجانب اسمه !

همست سجي بصوتٍ رائق لأقصى حد ؛

_ولماذا أفعل هذا بينما أنا أحب اسمه إلى هذا الحد !

شعرت من صوته الخافت حينما هتف متذمراً و كأنه يعجز عن تحديد إن كان عليه أن يعتبر

اعترافها مدحاً أو إهانة ! يبدو بأن الأمر سيبدأ بالانقلاب ضده..و ربما سيضطّر يوماً أيضاً أن يصرخ

بهادي أن يغير اسم ابنه و يعيد إليه ملكية اسمه !!

و كأن كل هذا البؤس لم يكن يكفي..فقد شعر بيدي سجي تتركان عنقه فجأة..إلى أن فردتهما

فوق صدره لكن هذه المرة بغاية دفعه..و قد نجحت في دفعه فعلاً و هي تقول بصرامة يعرفها جيداً ؛

_حسناً توقف عن هذا لؤي..نحن في منزل العائلة الآن.....

كانت قد استطاعت تخليص نفسها منه نسبياً..حينما قال لؤي بتبلد بدون أن يتوقف عن

مداعبة بشرة وجهها بشفتيه ؛

_إِذَا ؟!!

فقال بنبرة حاولت أن تخرج صارمة لكنها خرجت...رقيقة بطريقة لا يمكن إغفالها!

_لن يحدث أي شيء هذه الليلة !

همس لؤي بصوته الخافت متذمراً و هو يلمس طرف جبهتها بشفتيه مرسلًا إلى قلبها

اختلاجاتٍ متتالية ؛

_رباه ! إنها نفس الجملة مجددًا !

لم تستطع سجي في هذه اللحظة أن تمنع ضحكة خافتة ملأت كل وجهها..قبل أن تقرّر بكامل

إرادتها أن ترفع ذراعيها مجددًا إلى أن عادت تضمه بقوة..و فعل لؤي المثل بشكل جعلها تشكّ إن كان

قد خسر مزاجه السابق..

لكنها كانت لا تزال تستطيع الشعور بأنفاسه التي عاد يكتمها في تجويف عنقها.. قبل أن
تسمعه يهمس بنبرة جادة الآن و هو يربت على ظهرها بيديه صعودًا و نزولًا..
_ لا أصدق أحيانًا بأننا كنا نعيش في هذا المنزل سويًا لسنواتٍ طويلة كمجرد...قريبين !
همست سجي بجديّة مشابهة و هي تسبح بأناملها بين خصلات شعره القصيرة الناعمة بكل
حرية ؛

_ تعلم بأننا كنا أكثر من مجرد قريب و قريبته لؤي !
فقال لؤي مباشرة بدون أن يعلو صوته و كأنه يبوح لها بسر ما ؛
_ صديقين ؟ أخوين !!!!
همست سجي باستكانة شديدة و هي تنقل عينها حول الغرفة الأنيقة المضيئة و كأنها تتعرف
عليها مجددًا..و تشعر بخفقات قلبه تضرب خفقات قلبها و كأنها تردّد معها نفس الجملة كلمة بكلمة !
_ لقد كنت دائمًا أنت لؤي..حتى في اللحظات التي كنت أعجز فيها عن تمييزك كما يجب كنت
مميزًا في عيناى عن الجميع !

ابتعد لؤي قليلًا إلى أن تمكن من النظر في ملامحها المبتسمة الجميلة عن قرب..قبل أن يهمس
بنبرة تعمد أن تكون بطيئة تحمل بعض...الاغراء !
_ هل هذا يعني بأنك تراجعت عن جملتك السابقة ؟

تظاهرت سجي بالغباء سائلة و هي تشعر بيده التي ارتفعت إلى وجهها يلمس بإبهامه غمارة
خدها البارزة بوضوح..و هو بالطبع...لا يزال حتى هذا اليوم مغرم بذلك التجويف بنفس الطريقة
المجنونة !

_ أيها !!!
قبل أن تغمض عينها برقة حينما استقرت شفتاه فوق مكانه المفضل للحظات..ثم قال
يجيبها بنبرة مميزة و ابتسامة عينيه التي تحب تتوشح ببعض...الخبث !
_ حتمًا سيحدث شيء ما هذه الليلة !

لقد كانت دائمًا تستغرب من طريقته في أخذ الإذن من عينها بطرقه الخاصة..و بدون حتى أن
يبدو الأمر حقيقيًا أو يطلبها بشكل صريح..إنها إلى اليوم..و طوال السنوات التي لحقت زواجهما..
لا تتذكر بأنه اقترب منها ذات مرة و لو سهوًا بدون أن ينظر في عينها..و يأخذ الموافقة
الفورية منهما !

و كأن عينيه في كل مرة تكررّان نفس السؤال القديم المميز بينهما على عينها..

" هل يمكنني.....؟ "

فتجيبه عيناها مباشرة بالرد الحبيب المتوقع ؛

" يمكنك ! "

و هكذا فعل اليوم..أو هكذا فعلت هي !

مجرد ابتسامة لامعة مألوفة لقلب -على قيد الحياة- منحتها لعينيه..و تلقاها هو بفيض من

عذوبة تسربت إلى أنفاسها حينما اقترب منها ليختم يومًا جميلًا...بطريقة أجمل !

لكنها شعرت به ينخفض بعدها بلحظاتٍ إلى أن دس ذراعه تحت ركبتيها فتمسكت به تلقائيًا و

هو يأخذها إلى المكان الذي هتف فيه أمام وجهها ذات يوم يأمرها بأن تستعيد رباطة جأشها..

و يمنحها وعدًا غير قابل للتفاوض بأنه يفضل أن يموت على أن يراها متزوجة من...حسنًا لا

داعي لذكر الاسم المقيت !

و للمفارقة أيضًا...فما كاد أن يضعها برفق فوق السرير مشرقًا عليها بعينيه المبتسمتين..حتى

شعر بها ترفع ذراعها في نفس اللحظة لتتشبث بعنقه كليلة بعيدة..ليلة ساحرة..

ليلتهما الأولى و الأبدية !

_ أتمنى بأنك تركت بعض الثياب هنا لي..بدلاً من أن نفصح في الصباح !

همست فجأة بصوتها الخافت المشوب ببعض المرح..بينما قال لؤي و هو يضمها في المقابل

غير مستغرب من الطريقة التي كانت تتشبث به بها ؛

_ لماذا ستفضحين ؟ بينما أنا أرتدي قميصًا أبيضًا جميلًا مكتوب باسمك !

_ لؤي !!!

_ أحبك !

و فقط..لم يحتج لأن ينطق بعد تلك الكلمة الحبيبة أيّ حرف آخر..فقد ماتت أنفاس حبيبته

الغالية منصهرة تحت وطأة تأثيره الكاسح !

لقد أصبحت زيارة هذا المكان مثل الإدمان لهما منذ أول مرة وطأت أقدامهما بداخله..و قد

كان هذا قبل فترة طويلة فعلاً..حينما كانت لا تزال حاملاً بمسك في شهرها الثالث..و تلقيا اتصالاً من

ياسمين تخبرهما بموعد معرضها القادم حيث قرّرت أن تكون لوحتهما ضمن قائمة أعمالها الفنية..

لقد كان يوماً جميلاً جداً إلى درجة أن لا تنساه إلى الأبد..و حتى هذا اليوم الذي وقفت فيه بجانبه..بينما تحمل بين يديها مسك..و ثلاثتهم...يشكلون عائلة دافئة بالابتسامة المتسربة من عيني سجي و لؤي..

و تحركات مسك المشاغبة بين ذراعيها..
كانا يقفان أمام تمثالهما تحديداً..تمثال جميل صامد رغم بعض الآثار التي بدأت تظهر بشكل طفيف على جوانب مُعينة منه تدل على أنه لم يصنع حديثاً..
تمثال يحمل اسم حُيَما..يحمل أسطورة حُب حزين في ثناياه و تفاصيله الفنية المتقنة..تمثال تأملته معهما ابنتهما الصغيرة و هي تتعلق في عنقها و تخفي أصابع يدها الصغيرة في فمها..
إنها تلك العادة المزعجة طبعاً!
كانت سجي ترتدي فستاناً بنفسجياً جميلاً..يشبه كثيراً فستاناً أهداه لها ذات يوم جميل لؤي..
بينما هذا الأخير يقف بجانبها ببديلته الرسمية المكونة من بنطال رمادي و قميص و سترة بدون ربطة عنق..

حينما سمعت صوته يهمس لها فجأة بتلك النبرة الحانية التي تعرفها و تحفظها عن ظهر قلب ؛

_دعيني أحملها عنك قليلاً !

نظرت له سجي مبكية على ابتسامتها المخلصة..قبل أن ترمق مسك بنظرة خاطفة..ثم اقتربت منه إلى أن وضعتها في يديه بالفعل..و حينها قال لؤي و هو يقبل وجنتها الناعمة لعدة مرات ثم يعود ليتأملها بالفستان القماشي الطفولي الذي كان يلف جسدها الصغير ؛
_ألم أخبركِ بأن هذا الفستان سيكون على مقاسها..انظري كم لائمه !
كان يتحدث بنبرة بديهة جداً..بنبرة أب حنون يتأمل ابنته بأفكار من شعوره المختلط بالحُب و الفخر..و قد قرّرت سجي التخلي بمحض إرادتها عن متعة تأمل المكان حولهما بمتعة أفضل..تأمله هو و ابتسامته و طريقته في تدليل صغيرتهما..

إلى أن نظر لها و قال مضيقاً بنبرة شامها غيظ مفتعل بمهارة ؛

_حتى لا تتجرئي مرة أخرى و تعقي على ذوقي في انتقاء ملابسها..

كان لا يزال يداعب الصغيرة بين يديه بينما يسمع صوت الحروف العشوائية التي تنطقها شفاهها بينها و بين نفسها..و يرى انشغال عينيها اللامعتين بالتنقل حول المكان بلا هدف معين..

إلا أن سجي لم ترد عليه اليوم..فقد كان عقلها منهمكًا في ترديد بعض الجمل المميزة من الماضي..إلى أن قالت فجأة و هي تتأمل كل حركة منه..من ابتسامته الحنونة لطفلتهما و هو يضمها إلى صدره..

إلى يديه المنهمكتين في تعديل أشياء وهمية بفستانها و وجهها الناعم الذي قدر له أن يكون نسخة ممتزجة مشكلة من ملامحهما سوياً..بشعرها البني الناعم و عينيها الزيتونيتين..
_ألم أخبرك؟!

نظر لها لؤي مبتسمًا باهتمام..لكن ابتسامته تلاشت بعض الشيء و هو يرى نظرتها الجميلة التي قالت بعدها تخاطب عينيه بنبرة ذات مغزى ؛
_بأنك ستكون أفضل أب في العالم !

مالت ابتسامة لؤي لتصبح أكثر حنانًا..ليس و كأنه يتأمل زوجته الحبيبة فقط..بل قطعة أخرى..قطعة مشكلة من روحه..و قد ظهر هذا الشعور فعلاً في نبرته التي خرجت تحمل سؤالاً يعلم إجابته جيداً ؛

_هل أنا كذلك حقًا !
لم يكن في حاجة لسماع أيّ جواب..و لم تكلف سجي نفسها عناء منحه جوابًا يعرفه مسبقًا..
فقد همست بنفس نبرتها الخافتة و ابتسامتها تتشبع بنظرة ذات مغزى عميق ؛
_ماذا تظن ؟!

صمت قصير ساد بينهما بعد هذه الإجابة..و عاد كل منهما ليسييران في المكان بين أعداد متوسطة من الناس و هما يتأملان كل ما تقع أعينهما عليه هنا من تحفٍ أثرية باهتمام..
إلى أن عاد صوت لؤي ليرتفع فجأة ؛

_لقد اشتريت ثلاث تذاكر لنذهب إلى العرض يوم السبت..
فهمت سجي مغزى جملته فوراً..فقالت تتنهد ببساطة و هي تشدد من تمسكها بيده التي كان يحتضن بها يدها بينما الأخرى يضم بها مسك إلى صدره ؛

_أنت مصير على الذهاب كل سنة أليس كذلك ؟!

جاءها الرد فوراً و معبراً إلى أقصى حد ؛

_إنه شغفك ! كيف يمكننا أن لا نذهب كل سنة ؟!

لم تفارق ابتسامة سجي عينيها و هي تهمس برقة بدون أن يتوقف أحدهما عن السير أو عن الابتسام في وجه بعضهما البعض ؛

_ لكنني لم أعد أهتم كثيرًا بها... أخبرتك !

لكنه قال يجيئها بنفسِ بساطته التي تزيد من رغبتها في... حُبّه أكثر !!

_ بل أنتِ تهتمين كثيرًا.. أنا أعلم !

لفحة من يأسٍ جميل لامست عينيها في الخفاء.. لكن ابتسامتها ظلت مرتسمة كما هي حينما

قرّرت أن تقلد طريقته في الرد عليها قبل عدة أيام هامسة ؛

_ كما تريد إذا !

قبل أن يقاطعهما صوت بشوش يعرفانه جيدًا ؛

_ ها أنتما ذا !

نظرت سجي للفتاة الجميلة التي وقفت أمامهما.. صاحبة تلك التحفة الفنية الخاصة بهما و

صاحبة عدة تحف فنية موجودة هنا.. و قد بدت مختلفة هذا اليوم عن ما اعتادت سجي رؤيتها به..

فكانت ترتدي... فستانًا!

لقد كانت ترتدي فستانًا فعليًا.. فستان أزرق يتخطى أسفل ركبتها بقليل.. و تترك شعرها

منسدلاً أنيقًا ببهجة تشبه المرتسمة في عينيها.. قالت سجي تجيب جملتها قبل قليل بنبرة عادية ؛

_ لقد أخبرتكِ على الهاتف بأننا سنأتي.. ما الداعي لكل هذه الدهشة الآن ؟!

إلا أن ياسمين قالت و هي تقترب من مسك شارعة فعليًا في أخذها من يدي لؤي بدون أن

تطلب إذن أيّ أحد منهما ؛

_ هل يمكنكِ بدلاً من توبيخي على أشياء لا وجود لها أن تدعيني ألقى التحية على هذه الجنية

الصغيرة !

كان لؤي يراقب الوضع مبتسمًا.. و هو لم يعترض بالطبع على رغبة ياسمين.. فتركها تحمل

مسك بين يديها تداعبها برقة بعد أن أومأت له مبتسمة في تحية ودودة بادلها لؤي إياها.. تزامنًا مع

صوت سجي التي قالت محذرة بنبرة صارمة مفتعلة بمهارة ؛

_ هل يمكنكِ أنتِ أن تتوقفي عن نعتِ ابنتي بهذه الكلمة ؟!!

قالت ياسمين بدون أن تنظر لها.. فقد كانت منشغلة بتقبيل الصغيرة و بالتحدث إليها بلغة

الاطفال المضحكة و هي تهزها بين يديها ك... دمىة صغيرة !

_ لماذا ؟ ألا يليق بها لقب الجنية ؟ ليكن في علمك فقط فلقب الجنية دائمًا ما يرمز إلى

الجمال المفرط !

نظرت لها سحى ببلاهة لا تليق بملامحها أبداً.. قبل أن ترمق لؤي و كأنها تسأله إن كان قد سمع هذه المعلومة الغريبة و التي تشكّ بأنها يمكن أن تكون تمّت للصحة بأيّ صلة..

و قد علمت من ابتسامته اليائسة بأنه يشاركها الرأي.. فقالت تهز رأسها بتعجب ؛

_عجباً ! من أين تحصلين على مثل هذه المعلومات الغريبة بالضبط ؟!!

و لم تستغرب أبداً حينما ردت ياسمين و هي تضم مسك التي تعرفها مسبقاً إليها مبتسمة

باتساع ؛

_ليس من أيّ مكان.. أنا أصنع المعلومات بنفسني ثم أنشرها بين الناس.. هل هذه إجابة

مقنعة ؟

كانت عيناها قد وقعت أثناء نطقها لآخر كلمة على شيءٍ ما خلفهما.. أو... شخص ما ! فبرقت

نظرتهمما بشدة و هي تقول فجأة ؛

_ها هو ذا طارق قد وصل أخيراً !

التفتت سحى و لؤي ليرمقا الشاب الذي كان يقترب بهدوء منهم.. شاب في نفس طول لؤي

تقريباً.. و قد كان هو الآخر يرتدي بدلة سوداء بدون ربطة عنق.. و ربما... إن لم يخطئ ظنها.. فقد كان

هو الشخص الذي أقنع هذه الو اقفة أمامهما بارتداء الفستان اليوم !

إنها لن تنكر بأنها تحترم قدرته على التأثير على إنسانة مثلها إلى حد أن تستبدل أسلوب ثيابها

العزیز بفستان ناعم !

إلى أن وقف أمامهما.. و أول شيء فعله كان أن مال على الطفلة الصغيرة المنشغلة باللعب

بأصابعها.. قبل وجنتها و كأنها طريقتها في الترحيب بها.. قبل أن يمد يده إلى أن صافح لؤي بترحيب حار

تزامناً مع صوته الذي ارتفع مرحباً بينما ينقل أنظاره بين كل منهما بلطفٍ بالغ ؛

_لقد أخبرتني ياسمين بأنكما ستأتیان لكنني سعيد أكثر برؤيتكما بخير.. أهلاً و سهلاً بكما..

إيماءة تلقاها من كل منهما مرفقة بابتسامة ودودة.. قبل أن تتهد سحى و تقترب من ياسمين

حينما رأت رغبتها في أن تعيد مسك إليها أخيراً.. لكن عقلها تاه مجدداً في ذكرياتٍ أخرى.. و هذه المرة

كانت عن هذه الفتاة الو اقفة أمامهما..

الحقيقة أنها لم تكن تتوقع أبداً بأن علاقتها بها قد تتطور بعد ذلك اليوم إلى... علاقة صداقة

حقيقية باتت تجمعهمما اليوم.. صداقة نقية و صحّية إلى درجة لا تصوّر..

صداقة بدأت منذ اليوم الأول الذي قرّرت فيه هي و لؤي الذهاب للمعرض الخاص بها لرؤية تحفتهما و التعبير عن إعجابهما مجدداً بها..ثم تطورت بمرور الوقت بمكالماتٍ هاتفية و لقاءات متتالية لأسباب مختلفة..

و أصبحت أعمق و أقوى حينما علمت ذات يوم من هذه الفتاة أمامهما بأنها فقدت والديها قبل سنواتٍ..لقد فقدت أمها و هي طفلة بعد أن أصيبت بمرض خبيث..ثم فقدت والدها قبل ثلاث سنوات من لقاءها الأول بهما في نوبة قلبية !

لولا أن كتب لها القدر الوقوع في حُب هذا الرجل الو اقف أمامهما الآن يتبادل الكلام مع لؤي خيال أشياء عابرة..ذلك الرجل الذي جاء كتعويض جميل عن فقدانها لأسرتها.. و الذي ملأ فراغ حياتها بسطور من الدفء..تمامًا كما فعل لؤي بحياتها هي !!
_اسمعا أولاً ماذا قرّرنا أنا و طارق !

هذه الجملة لفتت انتباهها و نجحت بأن تخرجها من شرودها..فنظرت باهتمام لياسمين التي قالت بحرارة و هي ترفع رأسها إلى أن نظرت في عيني طارق بلمعة لا يمكن لأيّ أحد إغفالها ؛
_سنقيم الزفاف في الشهر القادم !

برقت عينا سجي بسعادة حقيقية..بينما ابتسم لؤي و هو يرفع صوته مردّداً بصدق ؛
_حقًا ؟ لا أظن بأنني سمعت خبرًا جميلًا كهذا منذ فترة..مباركٌ لكما..
بينما همست سجي و هي تمد يدها اليُمنى متمسكة بمِمسك بالأخرى إلى أن قبضت على أنامل ياسمين بين يدها..و قالت تخاطبها بسعادة حقيقية من أجلها ؛
_هذا أمثل قرار اتخذتماه..لقد تأخرتما بما في الكفاية أساسًا..
ثم نظرت بينهما مُضيفة بصدق ؛
_سعيدة جدًا من أجلكما !

كانت ابتسامة ياسمين متسعة جدًا..و بدت ابتسامة خطيبها الذي يعتبر زوجها رسميًا الآن بعد أن تم عقد قرانهما قبل فترة..متسعة أكثر منها..حينما مد يده في حركة لاحظتها سجي و لؤي إلى أن احتوى بها أنامل ياسمين..و خبت ابتسامته قليلًا فقط تحت نظرة متألقة بعشق لا مثيل لها..
تلك السعادة التي انعكست على ملامح لؤي و سجي..كما بديا هما ككُل كانعكاس للعاشقين الو اقفين في مقابلتهما..بالابتسامة الدافئة..المُعبرة...التي مرت بينهما..و بيده التي تحركت لتفعل حركة مشابهة لحركة طارق..

فقد تخلل أصابعها النجيلية بأنامله الخشنة باحتواء و هو يغرق في نهر عينها للحظات لم يهتم بحسابها..و كأنه يشاركها نوعًا غريبًا من السعادة..و كأن مجرد وقوفهما الآن..كشاهدين على قصة حُب جميلة..

هو انتصار بخد ذاته لهما !

فهي دائمًا ما آمنت..قبل أن تحبه حتى..بأن الحُب هو أعظم انتصار يمكن للإنسان أن يحصل عليه..و تحول هذا الإيمان بعد أن وقعت في حبه..في حُب هذا الرجل العظيم..إلى يقين كبير..يقين كبير إلى درجة أن يتحول انعكاسها في المرآة الذي كانت تشعر به غريبًا عنها في فترة من الزمن..إلى صورة لامعة..براقة بومضات من الاطمئنان و الامتنان لحياة أخذت منها الكثير..و منحها الأكثر مما أخذته كأجمل تعويض !

كان يا مكان...كانت هناك فتاة جميلة تعيش في قصر كبير فاره..لكن ضخامة القصر و قيمته المالية لم تكن كافية لتجلب سعادتها..و كانت تظن بأنها قد تجدها خارج عتبة هذا القصر.. لكنها لم تكن تعلم بأن سعادتها الحقيقية هي قابعة فعلاً على بعد خمس أمتار من غرفتها الوحيدة..و بأنها كانت طوال الوقت قادرة على النظر لها..التحدث إليها..التشبث بها ! لقد كانت تلك "السعادة" التي تقبع على بعد خمس أمتار من غرفتها..هي مصدر توازنها النفسي و التي تمنحها الصمود في بحثها عن سعادة أخرى.. إلى أن تفاجئت بها ذات يوم تفتح لها ذراعها طوعاً في دعوة للعناق..إلى أن تفاجئت بها تلتفت من حولها فعلاً مشكلة ذلك العناق..فاستسلمت..فقط...أغمضت عينها و استسلمت بجوارح مكسورة تناشد الطيران..

و إذا بحلم الطيران الذي ظننته عابراً يتحقق فعلاً..فمن قال بأن مفهوم الطيران يقتصر على جناحين يرفرفان في سماء زرقاء عالية ؟!

فأحياناً قد تتشكل السماء أيضاً في عينين عاصفتين بالحُب الخالص..و قد تتجسد الأجنحة على هيئة ذراعين تلتفان من حول جسد هشّ ضعيف..لتوقظان به الحافز المناسب..لخوض تجربة أخرى..حقيقية..مميزة.....عن الطيران في سماء عالية فعلاً.....جامحة بالمشاعر !

" يوماً ما سنأتي إلى هنا سوياً..حينها لن نكتفي بالتأمل فقط..بل سننزل سوياً..يداً في يد

لنتوجه إلى مكاننا خطوة خطوة..هذا وعد !"

حينما سمعت هذا الوعد ذات يوم..و آمنت به مُصدقة بكل جوارحها..لم تُكن تتوقع بأنها
حينما تأتي إلى هنا فعلاً..فستأتي هي و هادي برفقة ملاكٍ صغير كان يسير بخطواتٍ متعثرة بينهما..
بالطبع بعد أن بكى كثيراً ليتم إنزاله من الحماله التي كان يحمله بها هادي فوق صدره..هذا
الأخير الذي لم تتوقع بأن ينفذ ما كان يريد تنفيذه بنفس الإصرار فعلاً..إلا حينما استيقظت صباحاً
على أنامل صغيرة مشاكسة تعبت بوجهها و شعرها..

ففتحت عينها لترى لؤي ينام فوق صدرها..و كالعاده بالطبع فهو لا يتوقف عن التحدث

معها بكلماته غير المفهومة حتى و هي نائمة !

لكن ما جعلها تطرف برموشها و هي تتحرك إلى أن أصبحت جالسة تتمسكُ به ناظرة له

باستغراب...هو حقيقة أنه كان جاهزاً مسبقاً !

لقد جهزه هادي فعلاً للذهاب للتزلج..فكان يرتدي معطفاً أزرقاً يبتلع جسده الصغير و يجعله
يبدو أشبه بدمية قطنية صغيرة..و قفازين بنفس اللون فوق بنطال أسود..حتى أن شعره كان ظاهراً
مقدمته فقط من تحت القلنسوة التي تغطي رأسه بالكامل تقريباً..

حينها لم تشعر بالابتسامة التي زينت كل إنشٍ في وجهها و هي تجذبه إليها لتقبله هامسة بحُب

شديد ؛

_اوووه..انظروا إلى من تجهز منذ الصباح الباكر..هل والدك من فعل كل هذا ؟ أين هو

أخبرني..لا بد أنه من طلب منك أن تفسد نومي منذ الصباح الباكر أيضاً.....

كانت قد تحركت تزامناً مع تحدثها إلى أن وقفت مقتربة من الباب..لكنها ما كادت أن تتقدم

بضع خطواتٍ بداخل البهو الأنيق..حتى كانت عيناها تقعان على هادي الذي كان يقف بجانب منصدة

معينة يحمل في يده كاميرته الخاصة و يضغط عدة أزرار في جانبها ناظراً إلى شاشتها بتركيز..

لكنه اضطر لأن يرفع رأسه بمجرد سماعه لصوتِ خطواتها..قبل أن يقول مبتسماً بثبات ؛

_أنا و لؤي مستعدان تماماً..هل نذهب إذا ؟!!

و فقط...كان جوابها على ذلك السؤال أن تنهدت و هي تعود إلى غرفتها تهم بتجهيز نفسها هي

الأخرى..و قد تركت لؤي مجدداً معه بعد أن أوقفته فوق الأرض بهدوء أمرة بأن ينتظرانها ريثما تعود..

و ها هي ذي تقف خلف السياج الخشي الذي يفصل بينها و بين لؤي الصغير و هادي..تنظر

لهذا الأخير بينما يجلس القرفصاء أمام ثمرة حُبهما العتيق..و يمسكُ بقدميه الصغيرتين يثبت

المزلاجين الخشبيين في حذائه بينما الأصابع الناعمة الصغيرة تستند إلى كتفيه..

ابتسامة حنونة بحق زينت ملامحها و هي ترى نظرات لؤي التي كان ينقلها حول المكان المكتظ من خلف كتف والده المنشغل بترتيبه و تجهيزه بحماسٍ غريب..حتى أن يديه تحركتا في لحظة ما إلى أن أصبح يضم هادي فعلاً بيديه الصغيرتين و هو يتأمل كل ما حوله و ير اقب حركات الناس و أقدامهم تتر اقص بسلاسة بتركيز و انهيار كبير..

إلى أن انتهى هادي الذي كان و للعجب يبدو اليوم و كأنه هو نسخة عن لؤي لا العكس..فهي لأول مرة تشعر بأنها تراه كطفل بالفعل بثيابه الرياضية و الخوذة التي كان يغطي بها شعره الناعم.. وقف بهدوء فتشبثت أنامل لؤي هذه المرة بقدميه بدون أن يتوقف عن مراقبة العالم حوله بتركيز بينما هادي ينحني عليه ليثبت الخوذة الصغيرة الآن فوق رأسه..

أحاط وجهه بعدها يتأمله بابتسامة تحمل وميضاً من...اعتزاز غريب في عينيه ! قبل أن يقترب قليلاً إلى أن طبع قبلة طويلة فوق وجنته..و ينحني بعدها أكثر إلى أن التقط عصا التزلج فوق الجليد الرطب في هذا المكان..

و فقط حينما تحركت يده إلى أن قبض بها على أصابع لؤي و هو يبدأ بالتزلج بوتيرة هادئة و يدفع الصغير الذي ظل يرمق اللوحين المثبتين تحت قدميه و هما يقودانه فوق الجليد الأبيض بعينين تستكشfan العالم حديثاً..

شعرت بقلبيها يختلج بقوة ما بين قلق مبرّر و طبيعي تماماً..و بين...تأثر قوي بمشهد لم تكن لتتخيل أن تراه في حلمها حتى لشدة روعته !

كانت تنقل عينها بفيضٍ من المشاعر الجارفة بين ملامح هادي المبتسمة بريق قوي..و تزداد حدقته بريقاً في كل مرة يرمقها بنظرة خاطفة و كأنه يتأكد من تواجدها معه في هذا الحلم.. قبل أن تنظر مجدداً إلى الصغير فتمتلئ نظراتها بلهفة أمومية مألوفة في كل مرة يكاد أن يتعثر بركبتيه الضعيفتين ثم يعود ليكمل الطريق بتحفيز من هادي..

و بضحكة كبيرة جداً إلى درجة أن يده الحرة كانت ترتفع لتصفع يده الأخرى المحتجزة بين أنامل هادي مصفقاً بسعادة لا حدود لها..كتلك السعادة التي احتقنت عيناها بها..و التي تسربت منهما على شكل دموع هادئة و نظرة لامعة لا تفارقيهما..

لماذا لا تلتقطين الصور !!؟

سمعت هذا السؤال الذي خرج بصوت هادي البعيد ينهها..فأخفضت عينها لتنظر إلى الكاميرا التي كانت في يدها..نفسها التي أهدتها له هي في عيد ميلاده الرابع و العشرون..

قبل أن ترفعها قليلاً لتثبتها أمام عينها فعلاً بمهارة نسبية..فهي تظل قبل كل شيء..و بعد كل شيء..زوجة مُصور فوتوغرافي مهووس بالتقاط الصور لكل شيء و لأي شيء..ثم شرعت تضغط الزر الجانبي الخاص بالتقاط الصور بشكل متتالي ملتقطة لهما عدة صور بوضعيةٍ مختلفة..
قبل أن تقرّر مجدداً إنزال الكاميرا و هي ترى هادي ينخفض ليحمل وزن لؤي أخيراً بين ذراعيه..لكنه لم يقترب منها أو يتوقف عن ما يفعله برشاقة..بل عاد يمارس هوايته الإضافية المميزة بسلاسة غريبة بينما يحمل الصغير بين ذراعه الحُر هذه المرة..

فلم تشعر بنفسها و هي تحرّر تهيدة تشبه تهيدة الخلاص الأخير !
تهيدة تشبه أن يغمض الإنسان جفونه بقوة على منظر كنيب..ثم يفتحها فيصطدم بمساحاتٍ خضراء شاسعة تشبه الجنة..
تهيدة إنسانة وصلت إلى الحد الفاصل من الامتنان إلى ظروف حياتها..إنسانة عاشت طويلاً بأمل باهتٍ أن تحقق بعض أحلامها..و إذا بها بقدرة قادر...تحقق جميعها!
لأن جميعها تقريباً كانت تتمثل في تلك الملامح..و تلك الابتسامات اللامعة..في خفقات قلبها المتر اقصة فرحاً و حُباً..في تلك الآلة السوداء في يدها..و التي تحتوي كنزاً ثميناً من ذكرياتٍ لا تحصى و لا تعد..

في منزلها الدافئ بعائلة متماسكة..و غرفتها المضاءة بعدد الاعترافات و الضحكات التي ترددت بداخلها منذ أن وطأت بقدميها بداخلها ذات مرة..
في...تلك الرسالة الحبيبة التي اهتز لها هاتفها فجأة..و لم تتردد في أن تتجول بين سطورها سطرًا سطرًا و كأنها تقرأ قصيدة شعرية و تتمعن في حروفها..
" نحن في مدينة الملاهي..أنا و لؤي و مسك..لقد أردت أن آخذ مسك اليوم للتنزه قليلاً بما أنه يوم عطلة..هل ستحضران لؤي و تنضمان إلينا و إلا أخبريني عن مكانكما لنأتي نحن ؟!! "

حسنًا..هذا كان تهديدًا لا طلبًا !

" ماذا لو لم نستطع أن نأتي ؟! "

كتبت ببعض الترقب و ابتسامتها المشرقة المتوهجة يتضاعف توهجها..و جاءها الرد فوراً..

قاطعاً..صارماً..و جميلاً !

" بل ستأتيان ! هل تظنين بأن هذا طلب ؟!! "

حسنًا..لقد توقعت هذا !

لهذا كتبت و هي بالكاد تمنع ابتسامتها المتألقة من التطور إلى ضحكة كبيرة..

"عُلم...و ينفذ !"

قبل أن تسحب نفسًا عميقًا إلى صدرها.. وترفع عينها مجددًا.. هذه المرة كانت غايتها السماء الغائمة قليلاً..و التي شعرت بها تبتسم لها رغم غيومها الرمادية الفاتحة..كما كان الكون بوسعه

يبتسم في وجهها..

كان يا مكان..كانت هناك فتاة صغيرة جميلة تعيش في دار أيتام..تكره حياتها..تكره مصيرها.. لكن حدث و أن وقعت الفتاة في حُب ابن المديرية القاسية..و قرّرت الزواج به تحت ظروف قاهرة.. لكنها عاشت في وهم طويل بأنه لا يبادلها الحُب..كانت تظن بأنها ستحيا في حلم عناقه القلبي فقط لبضعة أيام ثم تعود إلى حياتها الوحيدة مجددًا..

لكن الأمير الذي ظننه مُجافياً..فاجئها ذات ليلة ساحرة باعترافٍ أبدية أجمت فكرة حُبها و ألقت بكل همتها في خانة جوفاء من التخاذل..

قرّرت أن تبتعد عنه..لكن بذرة حبيبة منه كانت قد بدأت تنمو في أحشاءها..

قرّرت الفتاة الوحيدة الحزينة أن تخبره..لكنها كانت مترددة من أن تنال ردة فعل معاكسة..و

إذا بها تنهار بين يديه اللتين أطبقتا عليها تصبّان أقداحًا من ماء الحياة في قلبها..

ترفعانها إلى نقطة المئة بعد الصفر..ترسمان الابتسامة على وجهها بألوان زاهية ...

بالنصر..تدللانها بهمساتٍ دافئة..تضعفانها بحنانٍ أسر..تحطمان حصونها الواهية بسطوة سادية في رقتها..تزرعان بذورًا جديدة من الثقة في قلبها بدل تلك المُهتزة..

كان يا مكان..كانت هناك فتاة صغيرة جميلة تعيش في دار أيتام..لكن حدث و أن وقعت الفتاة

في حُب ابن المديرية الوسيم..و أحبها بجنون..تزوجت الفتاة من حبيبها في النهاية..

كانا يعلمان بأن مفهوم السعادة لا يمكنه أن يرتبط بالأبدية..لا توجد هناك سعادة مطلقة

بحيث لا يفارق شعاع البسمة وجه إنسان..

لكنهما قرّرا أن يخوضا سويًا رحلة طويلة حيث لا تتوقف أياديهم المتوازنة بامتزاجها..عن

ملاحقة السعادة المنشودة حتى و إن كانت...نسبية !

-تمت-

شكرًا لكل من رافقني في رحلتي الطويلة من بدايتها حتى نهايتها..

لقرائي المستقبلين و كل من سيدخر البعض من وقته الثمين لقراءة روايتي..

أحبكم في الله جميعًا..

